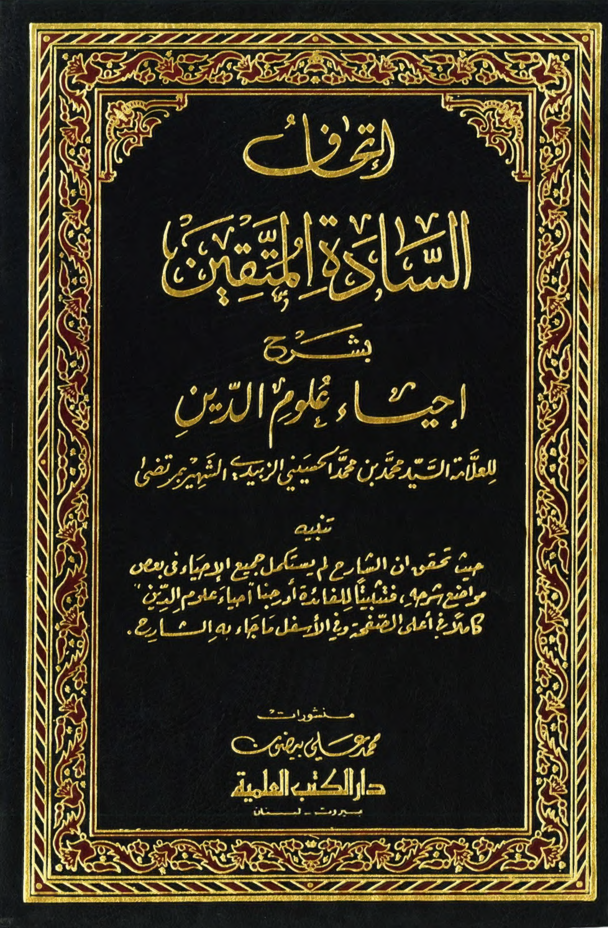


إتحاف
السادة المتقين
بشرح
إحياء علوم الدين
للعلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى
تنبيه
حيث تحقق أن الشارح لم يستكمل جميع الإحياء في بعض
مواضع شرحه، فتثبيتاً للفائدة أدرجنا أحياء علوم الدين
كاملاً في أعلى الصفحة وفي الأسفل ما جاء به الشارح.
منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

إتحاف السادة المتقين

بشرح

إحياء علوم الدين

تصنيف

العلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي

الشهير بمرتضى

المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ

تنبيه

حيث تحقق أن الشارح لم يستكمل جميع الإحياء في بعض مواضع شرحه فتنبيهاً للفائدة أدرجنا إحياء علوم الدين كاملاً في أعلى الصفحة وفي الأسفل ما جاء به الشارح

الجزء التاسع

كتاب كسر الشهوتين، كتاب آفات اللسان، كتاب ذم الغضب والحقد والحسد،
كتاب ذم الدنيا، كتاب البخل وحب المال.

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت. لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ – ٨١٥٥٧٣

كتاب كسر الشهوتين
وهو الكتاب الثالث من ربع المهلكات
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً الله ناصر كل صابر

الحمد لله المثيب لمن واظب على طاعاته، وزجر نفسه عن معاصيه وكسر عن شهواته، المقبل على من أقبل إليه بأنواع قرباته، الهادي لمن اعتصم به سبيل الرشد والتوفيق بعناياته، أحمده سبحانه وتعالى حمداً أستفتح به أبواب هباته، وأشكره شكراً أستجلب به المزيد من صوب سحائب رحماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تعرب عن صميم المخلص في طوياته، وتقرب مقلدها من حظائر قدسه وحضراته وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله وحبيبه وخليله صفوة كائناته وخلاصة خلاصاته صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ووارثيه وهداته، وسلم تسليماً، وعظم تعظيماً وبعد فهذا شرح

كتاب كسر الشهوتين

شهوة البطن وشهوة الفرج وهو الكتاب الثالث من الربع الثالث من كتاب الإحياء، للإمام حجة الإسلام. قطب الائمة الاعلام، أبي حامد الغزالي سقى الله بعهاد الرحمة ثراه، وأجزل في جنة الفردوس قراه، تتبعت فيه تفصيل ما أجمله، وبيان ما أهمله، وضم ما أبداه ونشره، ونظم ما بدّده ونثره بوجه يفيد للمطالع مضامنه، ويبرز للمراجع مكامنه، ويبين للطالب مقاصده، ويقيد للراغب أوابده، ويعلي للراقي مصاعده، ويقرب للشائق معاهده، ويهيج للناظر مشاهده، سلكت فيه طريق الايجاز في البيان، ونبهت فيه على فوائد شريفة هي جواهر حسان والله أسأل الاعانة والتوفيق، والابانة عن وجه التحقيق، لا إله غيره ولا خير إلا خيره وهو حسبي ونعم الوكيل.

قال المصنف رحمه الله تعالى في مفتتح كتابه:

الحمد لله المنفرد بالجلال في كبريائه وتعاليه المستحق للتحميد والتقديس والتسبيح والتنزيه، القائم بالعدل فيما يبرمه ويقضيه، المتطوّل بالفضل فيما ينعم به ويسديه، المتكفل بحفظ عبده في جميع موارده ومجاريه، المنعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل بما يفي

بسم الله الرحمن الرحيم

(**بسم الله الرحمن الرحيم**) استفتاحاً لهذا الباب بمفتاح هو مفتتح كل كتاب وعنوان كل خطاب، ثم أردفه بجملة الحمد ليجمع بين الذكرين ويعمل بمقتضى الخبرين فقال:

(**الحمد لله**) وهو ذكر أوصاف الكمال من حيث هو كمال وهذا له تعالى خاصة (**المنفرد بالجلال**) أي المتناهي في عظم القدر (**في كبريائه**) أي عظمته (**وتعاليه**) أي رفعته وهو تفاعل من العلو بمعنى الفوقية المطلقة في الرتبة ومعنى تفرده به فيهما أن لا يحيط به وصف الواصفين، بل علم العارفين (**المستحق**) أي المستوجب (**للتحميد**) أي لأنه يحمد وحده لنفسه أزلاً ويحمده عباده له أبداً فهو المحمود المثني عليه (**والتقديس**) هو التنزيه من كل وصف يدركه حس أو يتصور خيال أو يسبق إليه وهم أو يختلج به ضمير أو يفضي إليه فكر، (**والتسبيح**) هو التقديس والتنزيه. يقال: سبحت الله أي نزهته عما يقول الظالمون الجاحدون (**والتنزيه**) يقال: نزهت الله عن السوء أي برأته منه وفي ذكر التقديس والتنزيه بعد ذكره المتعالي الذي هو تفاعل من العلو وفيه نوع مبالغة إشارة إلى أنه العلي المطلق الذي له الفوقية لا بالإضافة وبحسب الوجوب لا بحسب الوجود الذي يقارنه إمكان نقيضه وهو منزه عن العلو بالإضافة إلى بعض الموجودات والإضافة إلى الوجود، (**القائم بالعدل**) أي السواء (**فيما يبرمه**) أي يحكمه (**ويقضيه**) أي يقدره من أفعاله قد خلق أقسام الموجودات جسمانيها وروحانيها ناقصها وكاملها وأعطى كل شيء خلقه وهو بذلك جواد ورتبه في موضعه اللائق به ولا يفهم صفة قيامه بالعدل إلا من أحاط علماً بأفعال الله تعالى من ملكوت السموات إلى منتهى الثرى، حتى إذا لم ير في خلق الرحمن من تفاوت ثم رجع فما رأى من فطور ثم رجع كرة أخرى، فانقلب إليه البصر خاسئاً وهو حسير قد بهره جلال الحضرة الربوبية وحيره اعتدالها وانتظامها، فحينئذ يعلق بفهمه شيء من هذه الصفة (**المتطول بالفضل**) هو ابتداء إحسان بلا علة وتطول به من (**فيما ينعم به ويسديه**) أي يوصله يقال أسدى إليه معروفاً إذا اتخذه عنده، (**المتكفل**) تفعل من الكفل وهو حياطة الشيء بجميع جهاته حتى يصير عليه كالفلك الدائر، (**بحفظ عبده في جميع موارده ومجاريه**) أي جهاته إذ ركبه من متعاديات متضادات إذ لا بدّ له من حرارة غريزية لو بطلت لبطلت حياته، ولا بدّ له من رطوبة تكون غذاء لبدنه كالدم وما يجري مجراه، ولا بد من يبوسة بها يتماسك أعضاؤه وخصوصاً ما صلب منها كالعظام ولا بد من برودة تكسر سورة الحرارة حتى تعتدل ولا تحلل الرطوبات الباطنة بسرعة فهذه متعاديات متنازعات وقد جمع الله هذه في إهابه ولولا حفظه إياها لتنافرت وتباعدت وبطل امتزاجها واضمحل تركيبها وبطل المعنى الذي صارت به مستعدة بقوة التركيب والمزاج وحفظ الله

بأمانيه، فهو الذي يرشده ويهديه، وهو الذي يميته ويحييه، وإذا مرض فهو يشفيه، وإذا ضعف فهو يقوّيه وهو الذي يوفقه للطاعة ويرتضيه، وهو الذي يطعمه ويسقيه ويحفظه من الهلاك ويحميه ويحرسه بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه، ويمكنه من القناعة بقليل القوت ويقريه حتى تضيق به مجاري الشيطان الذي يناويه ويكسر به شهوة النفس التي تعاديه، فيدفع شرها ثم يعبد ربه ويتقيه. هذا بعد أن يوسع عليه ما يلتذ به

تعالى بتعديل قواها مرة وبإمداد القلوب ثانياً **(المنعم عليه بما يزيد على مقاصده بل بما يفي بأمانيه)** جمع أمنية وهي تقدير الوقوع فيما يترامي إليه الأمل، **(فهو الأصل الذي يرشده)** بتوفيقه **(ويهديه)** إلى سبيل الخير والرشد عناية الهية تعين الإنسان عند توجهه في أمور فتقربه لما فيه صلاحه وتفتره عما فيه فساده، وأكثر ما يكون ذلك من الباطن نحو قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل﴾ الآية [الأنبياء: ٥١] وللهداية ثلاث منازل في الدنيا: الأول تعريف الخير والشر، والثاني: ما يمد به حالاً فحالاً بحسب استزادته من العلم والعمل الصالح، والثالث: نور الولاية التي هي في أفق نور النبوة بتحري هذه المنازل الثلاث يتوصل إلى الهداية للجنة، **(وهو الذي يميته)** بعد خلقه **(ويحييه)** ثانياً بعد موته، **(وإذا مرض)** بطرئان العلة في تركيب صورته **(فهو)** الذي **(يشفيه)** أي يزيل عنه تلك العلة **(وإذا ضعف)** عن حمل ما حمل **(فهو)** الذي **(يقويه)** ويدفع عنه ذلك الضعف، **(وهو الذي يوفقه للطاعة)** أي يلهمه إياها إلهاماً ويسهل له سبلها **(ويرتضيه)** أي يجعله مرضياً، **(وهو الذي يطعمه ويسقيه)** أشار بهذه الفقر إلى قوله تعالى حكاية عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿والذي يميتني ثم يحيين﴾ [الشعراء: ٨١] ﴿والذي هو يطعمني ويسقين★ وإذا مرضت فهو يشفين﴾ الآية [الشعراء: ٧٩، ٨٠] **(ويحفظه من الهلاك ويحميه)** بصيانة بعض المتعاديات والمتضادات بعضها عن بعض **(ويحرسه بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه)** أي يوقعه في الردي وذلك لأن إمداد القلوب إنما تتم بخلق الأطعمة والأدوية وخلق الآلات المصلحة لها وخلق المعرفة الهادية إلى استعمالها حفظاً لبدنه من المتضادات وهذه هي الأسباب التي تحفظ الإنسان من الهلاك الداخل، **(ويمكنه من القناعة)** أي الاكتفاء **(بقليل القوت ويقويه)** أي يحفظ عليه قوته **(حتى تضيق به)** أي بالقناعة بالقوت اليسير **(مجاري الشيطان)** أي مداخله **(الذي يناويه)** أي يعاديه، وذلك لأنه يجري من ابن آدم مجرى الدم كما في الخبر، فإذا أقل القوت ضاقت العروق ولم يتولد دم كثير إذ إنما يتحصل بسبب الغذاء الكثير فلا يرد على القلب من تلك المجاري دم فيفيض ويصفو ويشرق نوره **(ويكسر به سطوة النفس التي تعاديه)** فإن الشهوات إنما تنبعث من امتلاء العروق بالدم الحاصل من كثرة الأغذية، فإذا قل الغذاء قل الدم فقلت سطوة النفس الأمارة بالسوء، **(فيدفع شرها)** بتلك الرياضة **(ثم يعبد ربه)** بجمع همته **(ويتقيه)** وتمام التقوى لا يكون إلا بعد مخالفة الهوى ومعاداة النفس وكسر سورتها **(هذا بعد أن يوسع عليه بأنواع النعم وأصناف)** الافضال **(ما**

ويشتهيه، ويكثـر عليه ما يهيج بواعثه ويؤكد دواعيه كل ذلك يمتحنه به ويبتليه، فينظر كيف يؤثره على ما يهواه وينتحيه، وكيف يحفظ أوامره وينتهي عن نواهيه، ويواظب على طاعته وينزجر عن معاصيه، والصلاة على محمد عبده النبيه، ورسوله الوجيه، صلاة تزلفه وتحظيه، وترفع منزلته وتعليه وعلى الابرار عترته وأقربيه، والأخيار من صحابته وتابعيه.

أما بعد: فأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فيهـا أخـرج آدم عليـه السلام وحـوّاء من دار القرار إلى دار الذل والافتقار، إذ نهيا عن الشجرة فغلبتهما شهواتهما حتى أكلا منها فبدت لهما سوآتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الأدواء والآفات، إذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق إلى المنكوحات ثم تتبع شهوة الطعام، والنكاح شدة الرغبة في الجاه والمال اللذين هما وسيلة إلى التوسع في المنكوحات والمطعومات، ثم يتبع

يلتذ به ويشتهيه ويكثر عليه ما يهيج بواعثه) أي يحركها **(وجل دواعيه كل ذلك ليمتحنه به ويبتليه)** فإذا قهر تلك الشهوات ودفعها صار بذلك حراً تقياً بل يصير إلهياً ربانياً فتقل حاجاته ويصير محسناً في معاملاته، فإن لم يمكنه إماتتها صار ملحقاً بالبهائم. قال تعالى: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ [هود: ٧] **(فينظر كيف يؤثره)** أي يختاره **(على ما يهواه)** ويستلذه **(وينتحيه)** أي يقصده بميل النفس إليه، **(وكيـف يحفـظ أوامـره)** فيـأتمر بها **(و)** كيـف **(ينتهي عن نواهيه ومناهيه)** أي منهياته مما نهى الله عن ارتكابها **(و)** كيف **(يواظب)** أي يداوم **(على طاعته و)** كيف **(ينزجر عن معاصيه والصلاة)** مع السلام **(على سيدنا محمد عبده)** ونبيه **(النبيه)** من نبه نباهة إذا شرف **(ورسوله الوجيه)** من وجه وجاهة إذا كان له حظ وروية، **(صلاة تزلفه)** أي تقربه إليه **(وتحظيه)** أي ترفع منزلته عنده، **(وترفع محله)** في أعلى عليين، **(وتعليه)** على مقـامـات إخـوانـه، **(وعلى الأبـرار مـن عترتـه)** أي نسلـه **(وأقربيه)** هم الأدنون في النسب، **(والأخيار من صحابته وتابعيه)** أي تابعي طريقته وسنته.

(أما بعد: فأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فيها أخرج آدم وحواء عليهما السلام من حلو القرار) التي هي الجنة **(إلى دار الذل والافتقار)** التي هي الأرض. **(إذ نهيا عن)** أكل **(الشجرة)** هي الحنطة او الكرمة أو التينة أو شجرة من أكل منها أحدث، والأولى أن لا تعين من غير قاطع كما لم تعين في الآية لعدم توقف ما هو المقصود عليه قاله البيضاوي **(فغلبتهما شهوتهما)** بوسوسة إبليس ألقى في خاطرهما، **(حتى أكلا منها فبدت لهما سوآتهما)** أي انكشفت عوراتهما وأخرجا مما كانا فيه من الكرامة والنعيم، والقصة مشهورة في القرآن، **(والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبع الآفات إذ تتبعه شهوة الفرج وشدة الشبق)** محركة أي الهيجان **(إلى المنكوحات، ثم تتبع شهوة الطعام والنكاح شدة الرغبة)** والميل **(في الجاه**

استكثار المال والجاه أنواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات، ثم يتولد بينهما آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء، ثم يتداعى ذلك إلى الحقد والحسد والعداوة والبغضاء، ثم يفضي ذلك بصاحبه إلى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء، وكل ذلك ثمرة إهمال المعدة وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء، ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجاري الشيطان لأذعنت لطاعة الله عز وجل ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به ذلك إلى الانهماك في الدنيا وإيثار العاجلة على العقبى، ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا، وإذا عظمت آفة شهوة البطن إلى هذا الحد وجب شرح غوائلها وآفاتها تحذيراً منها، ووجب إيضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضلها ترغيباً فيها، وكذلك شرح شهوة الفرج فإنها تابعة لها. ونحن نوضح ذلك بعون الله تعالى في فصول يجمعها بيان فضيلة الجوع ثم فوائده، ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام والتأخير، ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف أحوال الناس، ثم بيان الرياضة في ترك الشهوة، ثم القول في شهوة الفرج، ثم بيان ما على المريد في ترك التزويج

والمال اللذين هما الوسيلة إلى التوسع في المنكوحات والمطعومات، ثم يتبع استكثار المال والجاه أنواع الرعونات) وأصل الرعونة إفراطاً لجهالة أو الوقوف مع حظ النفس ومقتضى طباعها. **(وضروبات المنافسات والمحاسدات ثم تتولد بينهما آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء، ثم يتداعى ذلك إلى)** ارتكاب **(الحقد والحسد والعداوة والبغضاء، ثم يفضي بصاحبه إلى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء)** وكل ذلك ثمرة إهمال المعدة وترك سياستها وإهمال **(ما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء)** أي البطر الحاصل منها. **(ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجاري الشيطان التي يدخل منها لأذعنت لطاعة الله عز وجل ولم تسلك سبيل البطر والطغيان)** على الله عز وجل، **(ولم ينجر به ذلك إلى الانهماك في الدنيا وإيثار العاجلة على الآجلة)** وقد ذم الله تعالى هذا الإيثار فقال: ﴿تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى﴾ [الأعلى: ١٦] **(ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا)** والتكالب هو التواثب، **(وإذا عظمت آفة شهوة البطن إلى هذا الحد وجب شرح غوائلها وآفاتها تحذيراً)** عنها، **(ووجب إيضاح طريق هذه المجاهدة والتنبيه على فضلها ترغيباً وكذلك شرح شهوة الفرج فإنها تابعة لها)** أي لشهوة البطن.

(ونحن نوضح ذلك بعون الله تعالى في فصول نجمعها، وهو: بيان فضيلة الجوع) وما فيها من الأخبار والآثار، **(ثم فوائده ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالقليل من الطعام والتأخير، ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف أحوال الناس، ثم بيان الرياء في ترك الشهوة ثم القول في شهوة الفرج، ثم بيان ما على المريد في ترك التزوج**

وفعله، ثم بيـان فضيلة من يخالف شهوة البطن والفرج والعين.

بيان فضيلة الجوع وذم الشبع:

قال رسول الله ﷺ: « جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلـك كـأجـر المجاهد في سبيل الله وإنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع وعطش » وقال ابن عباس: قال النبي ﷺ: « لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه » وقيل يا رسول الله أي الناس أفضل؟ قال: « من قل مطعمه وضحكه ورضي بما يستر به عورته ». وقال النبي ﷺ: « سيـد الأعمال الجوع وذل النفس ولبـاس الصـوف » وقـال أبـو سعيـد الخدري:

وفعله، ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة البطن والفرج والعين) فهي ثمانية فصول:

بيان فضيلة الجوع وذم الشبع:

ولنذكر أولاً مناسبة إيراد المصنف هذا الكتاب عقيب كتاب رياضة النفس فنقول: لما كان ختام هذا الكتاب المتقدم في الكلام على الإرادة والمريد، ولا بد للمريد من خصال سبع: الصدق في الإرادة وعلامته إعداد العدة ولا بد له من التسبب إلى الطاعة، وعلامة ذلك هجر قرناء السوء ولا بد له من المعرفة بحال نفسه، وعلامة ذلك انكشاف آفات النفس، ولا بد له من مجالسة عالم بالله، وعلامة ذلك إيثاره على ما سواه ولا بد له من توبة نصوح، فبذلك يجد حلاوة الطاعة ويثبت على المداومة وعلامة التوبة قطع أسباب الهوى والزهد فيما كانت النفس راغبة فيه، ولا بدّ من طعمة حلال وعلامة ذلك المطالبة عنه، وحلول العلم فيه يكون بسبب مباح وافق فيه حكم الشرع، ولا بد له من قرين صالح يؤازره على حاله وعلامته معاونته على البر والتقوى ونهيه إياه عن الإثم والعدوان، فهذه الخصال السبع قوة الإرادة لا قوام لها إلا بها ويستعين على هذه السبع بأربع هن أساس بنيانه وبها قوة أركانه. أولها الجوع، ثم السهر، ثم الصمت، ثم الخلوة فهذه الأربعة سجن النفس وضيقها وتقييدها بهن تضعف صفاتها وعليهن تحسن معاملاتها فلهذا أعقبه بهذا الكتاب ليكون كالتتمة لتلك الخصال التي ذكرها وابتدأ بما ورد في فضل الجوع فقال:

(قال رسول الله ﷺ: « جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله، وأنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع وعطش ») قال العراقي: لم أجد له أصلاً. **(وقال ابن عباس)** رضي الله عنهما، **(قال رسول الله ﷺ: « لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه »)** قال العراقي: لم أجد له أصلاً. **(وقيل: يا رسول الله أي الناس أفضل؟ قال: « من قل مطعمه وضحكه ورضي)** من اللباس **(بما يستر عورته »)** قال العراقي: لم أجـد لـه أصلاً. **(وقـال رسـول الله ﷺ: « سيـد الأعمال الجوع وذل النفس لبـاس الصوف »)** قال العراقي: لم أجد له أصلاً. **(وقال أبو سعيد الخدري)** رضي الله عنه، **(قال**

قال رسول الله ﷺ : « البسوا وكلوا واشربوا في أنصاف البطون فإنه جزء من النبوّة » وقال الحسن: قال النبي ﷺ : « الفكر نصف العبادة، وقلة الطعام هي العبادة » وقال الحسن أيضاً: قال رسول الله ﷺ : « أفضلكم عند الله منزلة يوم القيامة أطولكم جوعاً وتفكراً في الله سبحانه، وأبغضكم عند الله عز وجل يوم القيامة كل نؤوم أكول شروب ». وفي الخبر: « أن النبي ﷺ كان يجوع من غير عوز » أي مختاراً لذلك وقال ﷺ : « إن الله تعالى يباهي الملائكة بمن قل مطعمه ومشربه في الدنيا يقول الله تعالى أنظروا إلى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فصبر وتركهما اشهدوا يا ملائكتي ما من أكلة يدعها إلا أبدلته بها درجات في الجنة »، وقال ﷺ : « لا تميتوا القلب بكثرة الطعام والشراب، فإن القلب كالزرع يموت إذا كثر عليه الماء » وقال ﷺ : « ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وإن كان لا بد فاعلاً فثلث

رسول الله ﷺ : « البسوا واشربوا وكلوا في انصاف البطون فإنه جزء من النبوة ») قال العراقي: لم أجد له أصلاً.

قلت: وسيأتي للمصنف نحوه قريباً من حديث الحسين عن أبي هريرة.

(وقال الحسن البصري) رحمه الله تعالى مرسلاً، **(قال النبي ﷺ : « التفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة »)** قال العراقي: لم أجد له أصلاً.

قلت: وروى أبو نعيم في الحلية من طريق سالم بن أبي الجعد قال: قيل لأم الدرداء: ما كان أفضل عمل أبي الدرداء؟ فقالت: التفكر.

(وقال النبي ﷺ : « أفضلكم عند الله منزلة يوم القيامة أطولكم جوعاً وتفكراً وأبغضكم عند الله عز وجل يوم القيام كل نؤوم أكول شروب ») أي كثير النوم كثير الأكل كثير الشرب قال العراقي: لم أجد له أصلاً. **(وفي الخبر: « أن النبي ﷺ كان يجوع من غير عوز » أي مختاراً له)** ولفظ القوت: وفي حديث عائشة. قالت: كان رسول الله ﷺ وأصحابه يجوعون من غير عوز أي مختارين لذلك قال العراقي: رواه البيهقي في الشعب من حديث عائشة. قالت: لو شئنا أن نشبع لشبعنا، ولكن محمداً ﷺ كان يؤثر على نفسه، وإسناده معضل.

(وقال ﷺ : « إن الله تعالى يباهي الملائكة بمن قلّ مطعمه ومشربه يقول الله تعالى: انظروا إلى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فصبر وتركهما اشهدوا يا ملائكتي ما من أكلة يدعها إلا أبدلته بها درجات في الجنة ») رواه ابن عدي في الكامل، وقد تقدم في الصيام. **(وقال ﷺ : « لا تميتوا القلب بكثرة الطعام والشراب فإن القلب كالزرع يموت إذا كثر عليه الماء »)**. قال العراقي: لم أقف له على أصل. **(وقال ﷺ : ما ملأ آدمي وعاء**

لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه »، وفي حديث أسامة بن زيد وحديث أبي هريرة الطويل ذكر فضيلة الجوع اذ قال فيه: « إن أقرب الناس من الله عز وجل يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا، الأحفياء الأتقياء الذين إن شهدوا لم يعرفوا وإن غابوا لم يفتقدوا، تعرفهم بقاع الأرض وتحف بهم ملائكة السماء نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله عز وجل، افترش الناس الفرش الوثيرة وافترشوا الجباه والركب، ضيع الناس فعل النبيّين وأخلاقهم وحفظوها هم، تبكي الأرض إذا فقدتهم ويسخط الجبار على كل بلدة ليس فيها منهم أحد لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف أكلوا العلق ولبسوا الخرق شعثاً غبراً يراهم الناس فيظنون أن بهم داء وما بهم داء، ويقال قد خولطوا فذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقلوبهم إلى أمر الله الذي أذهب عنهم الدنيا، فهم عند أهل الدنيا يمشون بلا عقول. عقلوا حين ذهبت عقول الناس، لهم الشرف في الآخرة، يا أسامة إذا رأيتهم في بلدة فاعلم أنهم أمان لأهل تلك البلدة ولا يعذب الله قوماً هم فيهم. الأرض بهم فرحة والجبار عنهم راض. اتخذهم

شراً من بطنه. حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وإن كان لا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ») رواه الترمذي من طريق المقدام وقد تقدم في الصيام.

(**وفي حديث أسامة بن زيد وأبي هريرة**) رضي الله عنهما الطويل (**ذكر فضيلة الجوع إذ قال فيه: « إن أقرب الناس من الله عز وجل من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الأحفياء**) بالحاء المهملة وبالمعجمة (**الأتقياء الذين إن شهدوا لم يعرفوا**) أي لخفائهم بين الناس (**وإن غابوا لم يفتقدوا**) أي لم يطلبوا (**تعرفهم بقاع الأرض وتحف بهم الملائكة**) ولفظ القوت: ملائكة السماء (**نعم الناس بالدنيا**) أي بلذائذها (**ونعموا بطاعة الله عز وجل فرش الناس الفرش**) اللينة (**وافترشوا الحياة والركب ضيع الناس فعل النبيين وأخلاقهم وهم حفظوها تبكي الأرض إذا فقدتهم ويسخط الجبار**) جل وعز (**على كل بلدة ليس فيها منهم أحد لم يتكالبوا**) أي لم يتواثبوا (**على الدنيا تكالب الكلاب**) أي تواثبها على الجيف وهي أمتعة الدنيا، (**أكلوا العلق**) جمع علقة بالضم هو اليسير من الطعام، (**ولبسوا الخرق**) أي البالي من الثياب، (**شعثاً رؤوسهم غبراً**) وجوههم، (**يراهم الناس فيظنون أن بهم داء**) أي علة (**وما بهم داء، ويقال: إنهم قد خولطوا وذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم**) ولا خولطوا، (**ولكن نظر القوم بقلوبهم إلى أمر**) جد (**أذهب عنهم**) حب الدنيا، (**فهم عند أهل الدنيا يمشون بلا عقول**) أي على هيئة من لا عقل له (**عقلوا حين ذهبت عقول الناس لهم الشرف**) أي الرتبة العالية (**في الآخرة إذا رأيتهم في بلدة فاعلم أنهم أمان لتلك البلدة ولا يعذب الله أبداً قوماً هم فيهم الأرض بهم فرحة والجبار عنهم راض اتخذهم لنفسك إخواناً**

لنفسك إخواناً عسى أن تنجو بهم وإن استطعت أن يأتيك الموت وبطنك جائع وكبدك ظمآن فافعل. فإنك تدرك بذلك شرف المنازل وتحل مع النبيين. وتفرح بقدوم روحك الملائكة ويصلي عليك الجبار». روى الحسن عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «البسوا الصوف وشمروا وكلوا في أنصاف البطون تدخلوا في ملكوت السماء». وقال عيسى عليه السلام: «يا معشر الحواريين أجيعوا أكبادكم وأعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل». وروي ذلك أيضاً عن نبينا ﷺ رواه طاوس. وقيل مكتوب في التوراة: إن الله

عسى أن تنجو بهم، وإن استطعت أن يأتيك الموت وبطنك جائع وكبدك ظمآن فإنك بذلك تدرك شرف المنازل وتحل مع النبيين وتفرح بقدوم روحك الملائكة ويصلي عليك الجبار») هكذا رواه صاحب القوت. قال العراقي: الحديث بطوله رواه أحمد في الزهد في حديث سعيد بن زيد قال: سمعت رسول الله ﷺ وأقبل على أسامة فذكره مع تقديم وتأخير، ومن طريقه رواه ابن الجوزي في الموضوعات وفيه حبان بن عبد الله بن جبلة أحد الكذابين، وفيه من لا يعرف وهو منقطع أيضاً ورواه الحرث بن أبي أسامة في مسنده من هذا الوجه اهـ.

قلت: وقد روي بعضه من حديث معاذ أخرج أبو نعيم في الحلية من طريق أبي قلابة، عن عبد الله بن عمر قال: «مر عمر بن الخطاب بمعاذ وهو يبكي فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أحب العباد إلى الله الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا وإن شهدوا لم يعرفوا أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم».

(وروى الحسن) البصري رحمه الله تعالى **(عن أبي هريرة)** رضي الله عنه **(أن رسول الله ﷺ قال: «البسوا الصوف وشمروا وكلوا في أنصاف البطون تدخلوا في ملكوت السماء»)** قال العراقي: رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف. **(وقال عيسى عليه السلام: «يا معشر الحواريين أجيعوا أكبادكم)** ولفظ القوت: وفي خبر عن عيسى عليه السلام قال: «يا معشر الحواريين جوعوا بطونكم وعطشوا أكبادكم» **(واعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل»)** يعني بحقيقة الزهد وصفاء القلب فالجوع مفتاح الزهد وباب الآخرة، وفيه ذل النفس واستكانتها وضعفها وانكسارها وفي ذلك حياة القلب وصلاحه. وأخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق موسى بن سعيد عن مالك بن دينار قال: بلغني أن عيسى عليه السلام قال لأصحابه: «اجيعوا أنفسكم وأظمئوها وأعروها وانصبوها لعل قلوبكم أن تعرف الله عز وجل».

(وروي ذلك عن نبينا ﷺ أيضاً رواه طاوس) مرسلاً قال العراقي: لم أجده.

قلت: ورواه عبد الرحيم بن يحيى الأسود في كتاب الإخلاص هكذا عن طاوس عن النبي ﷺ إنه قال كذا في القوت.

ليبغض الحبر السمين لأن السمن يدل على الغفلة وكثرة الأكل وذلك قبيح خصوصاً بالحبر . ولأجل ذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه : إن الله تعالى يبغض القارىء السمين من الشبع وفي خبر مرسل : « إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش » ، وفي الخبر : « إن الأكل على الشبع يورث البرص » وقال ﷺ : « المؤمن يأكل في معي واحد والمنافق يأكل في سبعة أمعاء » أي يأكل سبعة أضعاف ما

(**وقيل: مكتوب في التوراة أن الله عز وجل يبغض الحبر السمين**) رواه أبو نعيم في الحلية من طريق سيار : حدثنا جعفر ، سمعت مالك بن دينار يقول قرأت في الحكمة أن الله يبغض كل حبر سمين ، ورواه البيهقي في الشعب من طريق محمد بن ذكوان ، عن رجل عن كعب من قوله : إن الله يبغض أهل البيت اللحمين والحبر السمين . قال البيهقي في تأويل الجملة الزائدة أنهم هم الذين يكثرون أكل اللحم قال: وقرانه بالجملة الأخرى كالدلالة على ذلك ، وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف ، فخاصم النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ : « أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين » وكان حبراً سميناً . فغضب وقال: ما أنزل الله على بشر من شيء فأنزل الله تعالى : ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ الآية [الأنعام : ٩١] . وهكذا أخرجه الواحدي في أسباب النزول ، وأخرجه الطبري في تفسيره من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير ، وعزاه أيضاً للحسن البصري ، وعند أبي نعيم في الطب النبوي من طريق بشر الأعور قال: قال عمر : إياكم والبطنة الحديث وفي آخره: وإن الله ليبغض الحبر السمين ، (**لأن السمن يدل على الغفلة وكثرة الأكل وذلك قبيح**) مطلقاً (**خصوصاً بالحبر**) وهو العالم . ونقل البيهقي عن الشافعي أنه قال: يعدو العاقل من إحدى حالتين: إما أن يهتم لآخرته ومعاده أو لدنياه ومعاشه ، والشحم مع الهم لا ينعقد فإذا خلا عن المعنيين صار في حد البهائم يعقد الشحم ، (**ولأجله قال ابن مسعود**) رضي الله عنه : (**إن الله يبغض القارىء السمين**) ورواه صاحب القوت كذلك وفي موضع آخر في كتابه ، (**ليمقت الحبر السمين**) وعزاه أبو الليث السمرقندي في بستانه لأبي أمامة الباهلي مرفوعاً قال السخاوي : وما أعلمه مرفوعاً .

(**وفي خبر مرسل: إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش»**) قال العراقي: تقدم في الصيام دون الزيادة التي في آخره ، وذكر المصنف هنا أنه مرسل ، والمرسل . رواه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان من حديث علي بن الحسين دون الزيادة أيضاً (**وفي الخبر « إن الأكل على الشبع يورث البرص »**) نقله صاحب القوت وقال قد يروى في خبر ثم ساقه قال العراقي لم أجد له أصلاً . (**وقال عليه الصلاة والسلام: « المؤمن يأكل في معي واحد**) بكسر الميم وبالعين المهملة مقصور فيه لغة أخرى معي بالكسر والسكون بعدها ياء حكاها صاحب المحكم والجمع الأمعاء وهي المصارين (**والكافر**) وفي نسخة المنافق بدل الكافر

(**يأكل في سبعةأمعاء**) قال العراقي: متفق عليه من حديث عمر وحديث أبي هريرة اهـ.

قلت: رواه البخاري من طريق مالك عن أبي الزناد، عن الأعرج عن أبي هريرة بلفظ: « يأكل المسلم في معي واحد والكافر في سبعة أمعاء ».

وأخرجه مسلم والترمذي والنسائي من طريق مالك عن سهل بن أبي صالح عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ ضافه ضيف وهو كافر فذكر قصته، وفي آخرها: « المؤمن يشرب في معي واحد والكافر يشرب في سبعة امعاء ». وأخرجه أيضاً من رواية العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة مقتصراً على الحديث دون القصة.

وأخرجه البخاري والنسائي وابن ماجه من رواية عدي بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة أن رجلاً كان يأكل أكلاً كثيراً فأسلم فكان يأكل أكلاً قليلاً، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: « إن المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء » واختلف في المراد بهذا الحديث على أقوال.

أحدها: قال ابن عبد البر الإشارة فيه إلى كافر بعينه لا إلى جنس الكفار، ولا سبيل إلى حمله على العموم لأن المشاهدة تدفعه. ألا ترى أنه قد يوجد كافر أقل من مؤمن ويسلم الكافر فلا ينقص أكله ولا يزيد، وفي حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه على أبي هريرة ما يدل على أنه في رجل بعينه، ولذلك جعله مالك في موطئه بعده مفسراً له وهذا عموم، والمراد به الخصوص فكأنه قال: هذا إذا كان كافراً كان يأكل في سبعة أمعاء، فلما آمن عوفي وبورك له في نفسه، فكفاه جزء من سبعة أجزاء ما كان يكفيه إذ كان كافراً خصوصاً فكأنه قال هذا الكافر وهذا المؤمن اهـ.

وسبقه إلى ذلك الطحاوي فقال: هذا الكافر مخصوص حكاه عنه ابن طاهر في مبهماته، ثم اختلف في تعيين الكافر الذي أسلم، وكان ورود الحديث على أقوال.

أحدها: أنه جهجاه الغفاري رواه أبو يعلى والبزار والطبراني قال ابن بشكوال: وهو الأكثر قال العراقي: في شرح الترمذي أنه لا يصح لأن مدار حديثه على موسى بن عبيدة الترمذي وهو ضعيف.

الثاني: أنه أبو بصرة الغفاري رواه أحمد في مسنده بإسناد صحيح وجزم به الخطيب في مبهماته.

الثالث: أنه أبو غزوان رواه الطبراني بإسناد صحيح.

الرابع: أنه فضلة بن عمرو رواه أحمد والبزار بإسناد رجاله ثقات قال العراقي وهذه قصة أخرى وليس هو المبهم في حديث أبي هريرة.

الخامس: أنه ثمامة بن أثال.

السادس: أنه بصرة بن أبي بصرة الغفاري حكاها القاضي عياض والنووي، وحكى ابن

يأكل المؤمن أو تكون شهوته سبعة أضعاف شهوته. وذكر المعي كناية عن الشهوات لأن الشهوة هي التي تقبل الطعام وتأخذه كما يأخذه المعي. وليس المعنى زيادة عدد معي المنافق على معي المؤمن.

بشكوال كونه ثمامة بن أثال عن أبي إسحاق وصدر به المازري كلامه وقال العراقي: لم أجد في طرق الحديث ما يدل على هذين القولين.

الثاني: من الأقوال أن هذا مثل ضرب للمؤمن وزهده في الدنيا وللكافر وحرصه عليها، وإليه أشار المصنف بقوله: **(أي يأكل سبعة أضعاف ما يأكل المؤمن)** وكان المؤمن لزهده في الدنيا وتقلله منها يأكل في معي واحد، فليس المراد حقيقة الامعاء ولا حقيقة الأكل، وإنما المراد الإتساع في الدنيا والتقلل منها، فكأنه عبر بالأكل عن أخذ الدنيا وبالأمعاء عن أسباب ذلك والعرب ترفع في ذكر ضعف الشيء وأضعافه إلى سبعة.

وهذا هو القول الثالث **(أو تكون شهوته)** أي الكافر **(سبعة أضعاف شهوته)** أي المؤمن لأنه غير واقف مع المقصد الشرعي وإنما هو تابع لشهوة نفسه مسترسل فيها غير خائف من تبعة الحرام وورطته بخلاف المؤمن فإن الغالب من حاله قلة الأكل لعلمه أن مقصود الشرع من الأكل ما يسد الجوع ويمسك الرمق ويقوي على عبادة الله تعالى، وخوفه من حساب الزيادة على ذلك، فصار أكله إذا نسب لأكل الكافر كأنه سبعة.

وهذا هو القول الرابع **(ويكون المعنى)** على هذا القول **(كناية عن الشهوة لأن الشهوة هي التي تقبل الطعام وتأخذه كما يأخذ المعي، وليس المعني زيادة عدد أمعاء المنافق على أمعاء المؤمن)**، وهذا القول اختيار سهل التستري رحمه الله تعالى كأنه قال: المنافق يأكل في سبعة أمعاء شره وطمع وشهوة وحرص ورغبة وغفلة وعادة، فهو يأكل بهذه المعاني، والمؤمن يأكل بمعنى الفاقة والزهد، ولكن ليس ذلك أمراً مطرداً في حق كل مسلم وكافر، فقد يكون في المؤمنين من يأكل كثيراً بحسب العادة أو لعارض، ويكون في الكفار من يعتاد قلة الأكل إما لمراعاة الصحة كالأطباء أو للتقلل كالرهبان أو لضعف المعدة، وحينئذ فهذا خرج مخرج الغالب والسبع على سبيل التقريب دون التحديد.

القول الخامس: أن هذا تحضيض للمؤمنين على قلة الأكل إذا علموا أن هذه صفة المؤمن الكامل الإيمان وتنفير من كثرة الأكل إذا علموا أن هذه من صفة الكفار، فإن نفس المؤمن تنفر من الاتصاف بصفة الكافر، وهذا كما قال تعالى: ﴿والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم﴾.

القول السادس: أن المراد به أن المؤمن يسمي الله تعالى عند طعامه بلا يشركه الشيطان فيه فيقل أكله لذلك والكافر لا يسمي الله فيشاركه الشيطان فيه، وفي صحيح مسلم: « إن الشيطان ليستحل الطعام إن لم يذكر اسم الله عليه ».

وروى الحسن عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « أديموا قرع باب الجنة يفتح لكم » فقلت: كيف نديم قـرع باب الجنة؟ قال: « بالجوع والظمأ ». وروي ان أبا جحيفة تجشأ في مجلس رسول الله ﷺ فقال له: « اقصر من جشائك فإن أطول الناس جوعاً يوم القيامة أكثرهم شبعاً في الدنيا ». وكانت عائشة

القول السابع: أن المراد المؤمن هنا تام الإيمان المعرض عن الشهوات المقتصر على سد خلته، والمراد بالكافر المتعدي في طغيانه المنهمك على الدنيا الشديد الإعراض عن الآخرة فاريد مؤمن بوصف مخصوص وكافر بوصف مخصوص.

القول الثامن: قال النووي: المختار أن معناه بعض المؤمنين يأكل في معي واحد، وأن أكثر الكفار يأكلون في سبعة أمعاء، ولا يلزم أن كل واحد من السبعة مثل معي المؤمن.

تنبيه:

اختلف في المراد بالأمعاء السبعة، فحكى القاضي عياض عن أهل الطب والتشريح أن أمعاء الإنسان سبعة: المعدة، ثم ثلاثة أمعاء بعدها متصلة بها البواب والصائم والرقيق، وهي كلها رقاق، ثم ثلاثة غلاظ الأعور والقولون والمستقيم وطرفه الدبر قال: فيكون على هذا موافقاً لما قاله ﷺ أن الكافر المذكور وإن كان بعينه أو بعض الكفار أو من يأكل منهم بشرهه وجشعه ولا يذكر اسم الله تعالى على أكله لا يشبعه إلا ملء أمعائه السبعة كالأنعام، أو آكلة الخضر. والمؤمن المقتصد في أكله يشبعه ملء معي واحد. قال: وقيل المراد بالسبعة صفات سبعة: الحرص، والشره وبعد الأمل،والطمع، وسوء الطبع، والحسد، وحب السمن قال: وقيل شهوات الطعام على سبعة. شهوة الطبع، وشهوة النفس، وشهوة العين، وشهوة الفم، وشهوة الأذن، وشهوة الأنف، وشهوة الجوع وهي الضرورية التي بها يأكل المؤمن، وأما الكافر فإنه يأكل بجميع شهواته. وحكى القاضي أبو بكر بن العربي قريباً من هذا القول عن بعض مشايخ الزهد فذكر الحواس الخمس والحاجة والشهوة.

(**وروى**) الحسن البصري (**عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « اديموا قرع باب الجنة يفتح لكم » قلت: وكيف نديم قرع باب الجنة؟ قال: « بالجوع والظمأ »**) كذا في القوت قال العراقي: لم أقف له على أصل.

(**وروي أن أبا جحيفة**) وهب بن عبد الله السوائي رضي الله عنه، توفي رسول الله ﷺ وهو مراهق. (**تجشأ في مجلس رسول الله ﷺ فقال له: « اقتصر من جشائك فإن أطول الناس جوعاً يوم القيامة أكثرهم شبعاً في الدنيا »**) ولفظ القوت. وفي حديث أبي جحيفة لما تجشأ عند رسول الله ﷺ من ثريد ولحم قال: كنت أكلته فقال له: « اكفف عنا جشاءك فأن أطولكم شبعاً في الدنيا أكثركم جوعاً في الآخرة » فقال: والله ما تملأت طعاماً منذ يومئذ إلى يومي هذا، وأرجوا أن يعصمني الله عز وجل فيما بقي اهـ.

رضي الله عنها تقول: إن رسول الله ﷺ لم يمتلىء قط شبعاً، وربما بكيت رحمة له مما أرى به الجوع فامسح بطنه بيدي وأقول: نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوّيك ويمنعك من الجوع؟ فيقول: «يا عائشة إخواني من أولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فـأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدني أستحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي غداً دونهم فالصبر أياماً يسيرة أحب إليّ من أن لا ينقص حظي غداً في الآخرة وما من شيء أحب إليّ من اللحوق بأصحابي وإخواني» قالت عائشة: فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله إليه. وعن أنس قال: جاءت فاطمة رضوان الله عليها بكسرة خبز إلى رسول الله ﷺ فقال: «ما هذه الكسرة». قالت: قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى أتيتك منه بهذه الكسرة. فقال رسول الله ﷺ: «أما أنه أوّل طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام»

قال العراقي: رواه البيهقي في الشعب من حديث أبي جحيفة، وأصله عند الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث ابن عمر تجشأ رجل الحديث لم يذكر أبا جحيفة اهـ.

قلت: وأخرجه البزار أيضاً من حديث أبي جحيفة بلفظ: إن أكثر الناس شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة. قال الحافظ ابن حجر: وسنده ضعيف، وحديث ابن عمر عن ابن ماجه في سنده مقال.

(وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: إن رسول الله ﷺ لم يمتلىء قط شبعاً، وربما بكيت رحمة له مما أرى به من الجوع فامسح بطنه بيدي وأقول: نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوّتك ويمنعك من الجوع فيقول: «يا عائشة اخواني من أولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فاجدني أستحيي أن ترفهت في معيشتي أن يقصر بي غداً دونهم فالصبر أياماً يسيرة أحب إليّ من أن ينقص حظي غداً في الآخرة، وما من شيء أحب إليّ من اللحوق بأصحابي واخواني» قالت: فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله إليه). قال العراقي: لم أجده. قلت: وهو أشبه بمخاطبة عمر رضي الله عنه مع ابنته حفصة حين لامت عليه في خشونة العيش. أورده الذهبي في نعم السمر في سيرة عمر.

(وعن أنس) رضي الله عنه **(قال جاءت فاطمة رضي الله عنها بكسرة خبز إلى رسول الله ﷺ فقال: «ما هذه الكسرة» قالت: قرص خبزته لم تطلب نفسي حتى آتيك بهذه الكسرة. فقال: «أما أنه أوّل طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام»)** قال العراقي: رواه الحرث بن أبي أسامة في مسنده بسند ضعيف اهـ.

قلت: أخرجه القشيري في الرسالة فقال: أخبرنا علي بن أحمد الاهوازي، أخبرنا أحمد بن

وقال أبو هريرة: ما أشبع النبي ﷺ أهله ثلاثة أيام تباعاً من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا. وقال ﷺ: « إن أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشبع في الآخرة وان أبغض الناس إلى الله المتخمون الملأى وما ترك عبد أكلة يشتهيها إلا كانت له درجة في الجنة ».

وأما الآثار: فقد قال عمر رضي الله عنه: إياكم والبطنة فإنها ثقل في الحياة نتن في الممات. وقال شقيق البلخي: العبادة حرفة حانوتها الخلوة وآلاتها المجاعة. وقال لقمان لابنه: يابني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن

عبيد الصفار، حدثنا عبد الله بن أيوب، حدثنا أبو الوليد الطيالسي، حدثنا أبو هاشم صاحب الزعفراني، حدثنا محمد بن عبد الله، عن أنس بن مالك أنه حدثه قال: جاءت فاطمة رضي الله عنها بكسرة خبز فساقه. قال: وفي بعض الروايات جاءت فاطمة بقرص شعير.

(**وقال أبو هريرة**) رضي الله عنه: (**ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعاً من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا**) رواه مسلم وقد تقدم. (**وقال ﷺ « إن أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشبع في الآخرة وان أبغض الناس إلى الله تعالى المتخمون الملآى**) أي الذين يملأون بطونهم من الطعام حتى يتخمون والتخمة فساد الطعام في المعدة. (**وما ترك عبد أكلة يشتهيها إلا كانت له درجة في الجنة »**) قال العراقي: رواه الطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عباس بسند ضعيف اهـ.

قلت: لفظ الطبراني: « إن أهل الشبع في الدنيا هم أهل الجوع غداً في الآخرة » قال المنذري: إسناده حسن، وقال الهيتمي فيه يحيى بن سليمان القرشي فيه مقال.

وأخرج ابن ماجه والحاكم من حديث سلمان بلفظ « إن أكثر الناس شبعاً في الدنيا أطولهم يوم القيامة جوعاً قال الحافظ ابن حجر في سنده لين، وقد أخرجه ابن ماجه أيضاً من حديث ابن عمر بنحوه، وقد تقدم عند ذكر حديث أبي جحيفة، وتقدم عن كعب ان الله يبغض أهل البيت اللحميين أخرجه البيهقي في الشعب وهم المكثرون في أكل اللحم حتى يتخموا.

(**وأما الآثار، فقد قال عمر رضي الله عنه: إياكم والبطنة فإنها ثقل في الحياة نتن في الممات**) أخرجه أبو نعيم في كتاب الطب النبوي من طريق بشر الأعور قال: قال عمر بن الخطاب: إياكم والبطنة في الطعام والشراب فإنها مفسدة للجسد مورثة للفشل مكسلة عن الصلاة، وعليكم بالقصد فيها فإنه أصلح للجسد وأبعد من السرف، وقد روي عن عمرو بن العاص وغيره من الصحابة البطنة تذهب بالفطنة. (**وقال شقيق البلخي**) رحمه الله تعالى: (**العبادة حرفة حانوتها الخلوة وآلتها المجاعة**) يشير بذلك إلى أن الخلوة والجوع ركنان عظيمان لأساس العبادة ولا تتم إلا بهما وفيهما سجن النفس وضيقها، ويتبع الخلوة الصمت ويتبع الجوع السهر فهي أركان أربعة. (**وقال لقمان لابنه**) وهو يعظه: (**يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة**

العبادة. وكان الفضيل بن عياض يقول لنفسه: أي شيء تخافين؟ أتخافين أن تجوعي؟ لا تخافي ذلك، أنت أهون على الله من ذلك إنما يجوع محمد ﷺ وأصحابه. وكان كهمس يقول: إلهي أجعتني وأعريتني. وفي ظلم الليالي بلا مصباح أجلستني فبأي وسيلة بلغتني ما بلغتني؟ وكان فتح الموصلي إذا اشتد مرضه وجوعه يقول: إلهي ابتليتني بالمرض والجوع وكذلك تفعل بأوليائك فبأي عمل أؤدي شكر ما أنعمت به عليَّ؟ وقال مالك بن دينار: قلت لمحمد بن واسع: يا أبا عبد الله طوبى لمن كانت له غليلة تقوته وتغنيه عن الناس، فقال لي: يا أبا يحي طوبى لمن أمسى وأصبح جائعاً وهو عن الله راض. وكان الفضيل بن عياض يقول: إلهي أجعتني وأجعت عيالي وتركتني في ظلم الليالي بلا مصباح، وإنما تفعل ذلك بأوليائك فبأي منزلة نلت هذا منك؟ وقال يحي بن معاذ: جوع الراغبين منبهة، وجوع التائبين تجربة، وجوع المجتهدين كرامة، وجوع الصابرين سياسة، وجوع الزاهدين حكمة، وفي التوراة اتق الله وإذا شبعت فاذكر الجياع. وقل أبو سليمان:

وقعدت الأعضاء عن العبادة)، أي تكاسلت، (**وكان الفضيل بن عياض**) رحمه الله تعالى (**يقول**) مخاطباً لنفسه: (**أي شيء تخافين أتخافين أن تجوعي؟ لا تخافي ذلك، أنت أهون على الله من ذلك إنما يجوع محمد ﷺ وأصحابه**) أخرجه أبو نعيم في الحلية، (**وكان كهمس**) بن الحسن العابد معاصر للحسن البصري روى عن جماهير التابعين (**يقول: إلهي أجعتني وأعريتني، وفي ظلم الليالي أجلستني، فبأي وسيلة بلغتني ما بلغتني**)؟ نقله صاحب القوت (**وكان فتح**) بن شخرف (**الموصلي**) رحمه الله تعالى (**إذا اشتد مرضه وجوعه يقول: إلهي ابتليتني بالمرض والجوع، وكذلك تفعل بأوليائك فبأي عمل أؤدي شكر ما أنعمت به عليَّ**)؟ نقله صاحب القوت، (**وقال**) أبو يحيى (**مالك بن دينار**) البصري رحمه الله تعالى، (**قلت لمحمد بن واسع**) البصري: (**يا أبا عبد الله طوبى لمن كانت له غليلة تقوته وتغنيه عن الناس، فقال: يا أبا يحي طوبى لمن أصبح جائعاً وأمسى جائعاً وهو عن ربه راض**) نقله صاحب القوت، (**وكان الفضيل**) بن عياض رحمه الله تعالى (**يقول: إلهي أجعتني وأجعت عيالي وتركتني في ظلم الليالي بلا مصباح، وإنما تفعل هذا بأوليائك، فبأي منزلة نلت هذا منك**) نقله صاحب القوت: (**وقال يحي بن معاذ**) الرازي رحمه الله تعالى: (**جوع الراغبين منبهة**) أي مما يحمل على النباهة أي الشرف والرفعة، (**وجوع التابعين تجربة**) بتعود أنفسهم إياه واستئناسهم به، (**وجوع المجتهدين**) في العبادة (**كرامة**) يكرمهم الله تعالى بها ليشغلهم بمناجاته، (**وجوع الصابرين سياسة، وجوع الزاهدين حكمة**) أخرجه القشيري في الرسالة بلفظ: الجوع للمريدين رياضة وللتائبين تجربة وللعارفين مكرمة، وقد علم من هذا أن الجوع لا يستغني عنه مريد متفرغ للطاعة ولا تائب عن الذنب ولا زاهد قد أعرضه عن الدنيا ولا عارف كمل شغله بالمولى. (**وفي التوراة: اتق الله، وإذا شبعت فاذكر الجياع، وقال أبو**

لأن أترك لقمة من عشائي أحب إلي من قيام ليلة إلى الصبح. وقال أيضاً: الجوع عند الله في خزائنه لا يعطيه إلا من أحبه. وكان سهل بن عبدالله التستري يطوي نيفاً وعشرين يوماً ولا يأكل، وكان يكفيه لطعامه في السنة درهم، وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال: لا يوافي القيامة عمل بر أفضل من ترك فضول الطعام اقتداء بالنبي ﷺ في أكله. وقال: لم ير الأكياس شيئاً أنفع من الجوع للدين والدنيا. وقال: لا أعلم شيئاً أضر على طلاب الآخرة من الأكل. وقال: وضعت الحكمة والعلم في الجوع ووضعت المعصية والجهل في الشبع. وقال: ما عبد الله بشيء أفضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال، وقد

سليمان) عبد الرحمن بن أحمد بن عطية (الداراني) رحمة الله تعالى: (**لأن أترك لقمة من عشائي أحب إليّ من قيام ليلة إلى الصبح**) أخرجه القشيري في الرسالة، فقال: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن أحمد بن سعيد الرازي يقول: سمعت العباس يقول: قال أحمد بن الحواري، قال أبو سليمان الداراني، لأن أترك من عشائي لقمة أحب إلي من أن أقوم الليل إلى آخره أي ان حال العبد مع الجوع في عبادته بعض الليل أقرب إلى الخشوع من قيامه وهو شبعان كل الليل. (**وقال**) الداراني أيضاً (**الجوع عند الله في خزانة لا يعطيه إلا لمن أحبه**) نقله صاحب القوت، (**وكان**) أبو محمد (**سهل**) بن عبد الله (**التستري**) رحمه الله تعالى (**يطوي نيفاً وعشرين ليلة لا يأكل**) وعبارة القوت، وقيل: كان سهل بن عبد الله لا يأكل الطعام إلا في خمسة عشر يوماً فإذا دخل شهر رمضان كان لا يأكل حتى يرى الهلال، وكان يفطر كل ليلة على الماء القراح، (**وكان يكفيه لطعامه في السنة درهم**) واحد يشتري له به الشعير فيطحن ويقرص، وكان يأكل كل يوم منه أوقية كما تقدم ذلك قريباً، (**وكان يعظم**) أن (**الجوع ويبالغ فيه حتى قال: لا يوافي القيامة عمل بر أفضل من ترك فضول الطعام اقتداء بالنبي ﷺ في أكله**) والمراد بفضول الطعام ما زاد عن إقامة الصلب لعبادة الله تعالى. (**وقال**) أيضاً (**لم ير الأكياس**) أي العقلاء (**شيئاً أنفع من الجوع في الدنيا والدين، وقال**) أيضاً: (**لا أعلم شيئاً أضر على طلاب الآخرة من الأكل**) أي لما زاد عن الحاجة. (**وقال**) أيضاً. (**وضعت الحكمة والعلم في الجوع ووضعت المعصية والجهل في الشبع**) لأن العبد إذا شبع تحركت شهواته، وإذا جاع ذل وفترت همته عن كثير من الأمور الدنيوية وتفرغ القلب للاجتهاد في الطاعات وناله العلم والحكمة، قال القشيري في الرسالة: أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبيد الله، حدثنا علي بن الحسن الارجاني، حدثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد الاصطخري بمكة. قال: قال سهل بن عبد الله: لما خلق الله الدنيا جعل في الشبع المعصية والجهل، وجعل في الجوع العلم والحكمة.

(**وقال**) أيضاً (**ما عبد الله بشيء أفضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال، وقد قال في**

جاء في الحديث: « ثلث للطعام فمن زاد عليه فإنما يأكل من حسناته ». وسئل عن الزيادة فقال: لا يجد الزيادة حتى يكون الترك أحب إليه من الأكل، ويكون إذا جاع ليلة سأل الله أن يجعلها ليلتين، فإذا كان ذلك وجد الزيادة. وقال: ما صار الأبدال ابدالاً إلا باخماص البطون والسهر والصمت والخلوة. وقال رأس كل بر نزل من السماء إلى الأرض الجوع، ورأس كل فجور بينهما الشبع. وقال: من جوّع نفسه انقطعت عنه الوساوس. وقال: إقبال الله عز وجل على العبد بالجوع والسقم والبلاء إلا من شاء الله. وقال: اعلموا أن هذا زمان لا ينال أحد فيه النجاة إلا بذبح نفسه وقتلها بالجوع والسهر والجهد. وقال: ما مرّ على وجه الأرض أحد شرب من هذا الماء حتى روي فسلم من المعصية ـ وإن شكر الله تعالى ـ فكيف الشبع من الطعام؟ وسئل حكيم: بأي قيد أقيد نفسي؟ قال: قيدها بالجوع والعطش، وذللها بإخمال الذكر وترك العز، وصغرها بوضعها تحت أرجل أبناء الآخرة، واكسرها بترك زي القراء عن ظاهرها، وانج من آفاتها بدوام سوء

الحديث) الذي تقدم ذكره قريباً (**« ثلث للطعام »**) وثلث للشراب وثلث للنفس (**فمن زاد عليه فإنما يأكل من حسناته» وسئل**) سهل (**عن الزيادة**) ما علامتها؟ (**فقال: لا يجد الزيادة حتى يكون الترك أحب إليه من الأكل ويكون إذا جاع ليلة سأل أن يجعلها ليلتين فإذا كان ذلك وجد الزيادة وقال**) سهل أيضاً (**ما صار الأبدال أبدالاً إلا باخماص البطون والصمت والسهر والخلوة**). وهي الأركان التي أسست عليها الإرادة. ولفظ القوت، وقال سهل رحمه الله تعالى: اجتمع الخير كله في هذه الأربع خصال، وبها صار الأبدال أبدالاً اخماص البطون والصمت والسهر والاعتزال عن الناس. (**وقال**) أيضاً: (**رأس كل بر نزل من السماء إلى الأرض الجوع ورأس كل فجور بينهما الشبع، وقال**) أيضاً: (**من جوّع نفسه انقطعت عنه الوساوس**) أي لأن الشيطان تضيق مجاريه إلى القلب فلا يقدر على أن يوسوس. (**وقال**) أيضاً: (**إقبال الله على العبد بالجوع والسقم والبلاء نعمة من الله تعالى**) عليه إذ لولا أنه اختاره لما بلاء. (**وقال**) أيضاً: (**اعلموا أن هذا زمان لا ينال أحد فيه النجاة إلا بذبح نفسه**) الامارة بالسوء (**وقتلها بالجوع والسهر والجهد**) في طاعات الله عز وجل. (**وقال**) أيضاً: (**ما على وجه الأرض أحد شرب من هذا الماء حتى روي، فسلم من المعصية وإن شكر الله تعالى فكيف الشبع من الطعام**) هذه الأقوال كلها لسهل رحمه الله تعالى وزاد صاحب القوت فقال: وقال سهل من لم يصبر على الجوع والضر لم يتحقق هذا الامر.

(**وسئل حكيم**) من الحكماء (**بأي قيد تقيد النفس**) وفي بعض النسخ أقيد النفس. (**قال: قيدها بالجوع والعطش، وذللها بإخماد العز وترك الذكر وصغرها بوضعها تحت أرجل أبناء الآخرة واكسرها بترك زي الأغنياء**) أي هيئتهم (**وانج من آفاتها بدوام ظن السوء**

الظن بها، واصحبها بخلاف هواها. وكان عبد الوحد بن زيد يقسم بالله تعالى أن الله تعالى ما صافى أحداً إلا بالجوع ولا مشوا على الماء إلا به، ولا طويت لهم الأرض إلا بالجوع، ولا تولاهم الله تعالى إلا بالجوع. وقال أبو طالب المكي: مثل البطن مثل المزهر وهو العود المجوّف ذو الأوتار إنما حسن صوته لخفته ورقته، ولأنه أجوف غير ممتلىء، وكذلك الجوف إذا خلا كان أعذب للتلاوة وأدوم للقيام وأقل للمنام، وقال أبو بكر ابن عبد الله المزني: ثلاثة يحبهم الله تعالى، رجل قليل النوم قليل الأكل قليل الراحة.

وروي أن عيسى عليه السلام مكث يناجي ربه ستين صباحاً لم يأكل فخطر بباله الخبز فانقطع عن المناجاة، فإذا رغيف موضوع بين يديه فجلس يبكي على فقد المناجاة، وإذا شيخ قد أظله فقال له عيسى: بارك الله فيك يا ولي الله أدع الله تعالى لي فإني كنت في حالة فخطر ببالي الخبز فانقطعت عني، فقال الشيخ: اللهم إن كنت تعلم أن الخبز خطر ببالي منذ عرفتك فلا تغفر لي بل كان إذا خطر لي شيء أكلته من غير فكر

بها واصحبها بخلاف هواها) أي بمخالفة ما تهواه، (وكان عبد الواحد بن زيد) البصري رحمه الله تعالى (يقسم بالله تعالى ما صافى الله تعالى أحد إلا بالجوع، ولا مشوا على الهواء والماء ولا طويت لهم الأرض، ولا والاهم الله تعالى إلا بالجوع). وكان يعد الأخلاق الشريفة السنية المحمودة ويحلف أنهم ما نالوها إلا بالجوع رواه صاحب القوت فقال: حدثني محمد الجهضمي، عن أحمد بن شاكر قال: سمعت أبا سعيد الخراز يقول: سمعت الثقات من العلماء يقولون: عن عبد الواحد بن زيد فذكره، وقال في موضع آخر، وكان عبد الواحد بن زيد يحلف بالله ما تحوّل الصديقون إلا بالجوع والسهر. (وقال أبو طالب المكي) رحمه الله تعالى في كتابه القوت (مثل البطن مثل المزهر) بكسر الميم (وهو العود المجوّف ذو الاوتار إنما حسن صوته لخفته ورقته، ولأنه أجوف غير ممتلىء) ولو كان ثقيلاً جاسياً ممتلئاً لم يكن له صوت، (وكذلك الجوف إذا خلا عن الطعام والشراب كان) أرق للقلب و(أعذب للتلاوة وأدوم للقيام وأقل للمنام، وقال بكر بن عبد الله المزني) البصري رحمه الله تعالى (ثلاثة يحبهم الله تعالى: رجل قليل النوم قليل الأكل قليل الراحة) أي في عبادة الله تعالى لأنها لا تحصل إلا بجهد ومشقة.

(وروي أن عيسى عليه السلام مكث يناجي ربه ستين صباحاً لم يأكل) شيئاً (فخطر بباله) في أثناء مناجاته (الخبز فانقطع عن) أنس (المناجاة، فإذا رغيف موضوع بين يديه فجلس يبكي لفقد) أنس (المناجاة وإذا بشيخ قد أظله) أي أشرف عليه، (فقال له عيسى: يا ولي الله أدع الله لي فإني كنت في حالة) المناجاة (فخطر ببالي الخبز فانقطعت عني) تلك الحالة، (فقال الشيخ: اللهم إن كنت تعلم أن الخبز خطر ببالي منذ عرفتك فلا تغفر

وخاطر. وروى أن موسى عليه السلام لما قربه الله عز وجل نجياً كان قد ترك الأكل أربعين يوماً ـ ثلاثين ثم عشرا ـ على ما ورد به القرآن لأنه أمسك بغير تبييت يوماً فزيد عشرة لأجل ذلك.

بيان فوائد الجوع وآفات الشبع:

قال رسول الله ﷺ: «جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الاجر في ذلك». ولعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من أين هو، وما سببه؟ وليس فيه إلا إيلام المعـدة ومقاساة الأذى! فإن كان كذلك فينبغي أن يعظم الأجر في كل ما يتأذى به الإنسان من ضربه لنفسه وقطعه للحمه وتناوله الأشياء المكروهة وما يجري مجراه؟ فاعلم أن هذا يضاهي قول من شرب دواء فانتفع به وظن أن منفعته لكراهة الدواء ومرارته،

لي، وروي أن موسى عليه السلام لما قربه) الله (نجيا) أي في مقام المناجاة (كان قد ترك الأكل أربعين يوماً).

وفي القوت: روينا عن أبي سعيد الخراز قال: قال جماعة من الحكماء إن الله تعالى لا يكلم أحداً وفي بطنه شيء من الدنيا، فهذا يدل على أمره لموسى عليه السلام بترك الأكل ليلقاه خالياً من الدنيا وبنفس ساكنة عن المنازعة إلى شيء من الملك وروح روحانية قد أحياها الحي بحياته، فعند ذلك صلح هذا الشخص لمخاطبه قبلاً بلا ترجمان. وروي عن مكحول قال: ثلاث خصال يحبها الله عز وجل قلة الأكل، وقلة النوم، وقلة الكلام. وكان بعض السلف يقول: أدنى أحوال المؤمن قلة الأكل والنوم وأفضل أحوال المنافق كثرة الأكل والنوم. وقال القشيري في الرسالة. قال يحيى ابن معاذ: لو أن الجوع يباع في السوق لما كان ينبغي لطلاب الآخرة إذا دخلوا السوق أن يشتروا غيره، وقال أيضاً الجوع نور والشبع نار والشهوة مثل الحطب يتولد منه الإحراق ولا تنطفىء ناره حتى تحرق صاحبها. وكان سهل التستري إذا جاع قوي وإذا أكل ضعف. وقال أبوعثمان المغربي: الربـاني لا يأكل أربعين يوماً والصمداني لا يأكل ثمانين يوماً.

بيان آفات الشبع وفوائد الجوع:

(قال رسول الله ﷺ جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلك) كأجر المجاهد في سبيل الله» تقدم هذا الحديث قريباً. قال العراقي: لم أجد له أصلاً. (ولعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من أين هو وما سببه وليس فيه إلا إيلام المعـدة) بتخليتها عن الطعام والشراب (ومقاساة الأذى، فإن كان كذلك فينبغي أن يعظم الأجر في كل ما يتأذى به الإنسان من ضربه لنفسه وقطعه للحمه وتناوله للأشياء المكروهة وما يجري مجراه. فاعلم ان هذا يضاهي قول من شرب دواء فانتفع به وظن أن منفعته لمرارة الدواء

فأخذ يتناول كل ما يكرهه من المذاق وهو غلط، بل نفعه في خاصية في الدواء وليس لكونه مراً وإنما يقف على تلك الخاصية الأطباء، فكذلك لا يقف على علة نفع الجوع إلا سماسرة العلماء، ومن جوّع نفسه مصدقاً لما جاء في الشرع من مدح الجوع انتفع به وان لم يعرف علة المنفعة، كما أن من شرب الدواء انتفع به وإن لم يعلم وجه كونه نافعاً.

ولكنا نشرح لك ذلك إن أردت أن ترتقي من درجة الإيمان إلى درجة العلم. قال الله تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ [المجادلة: ١١] فنقول في الجوع عشر فوائد.

الفائدة الأولى: صفاء القلب وإيقاد القريحة وانفاذ البصيرة، فإن الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ شبه السكر حتى يحتوي على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان في الأفكار، وعن سرعة الإدراك، بل الصبي إذا أكثر الأكل بطل وفسد ذهنه وصار بطيء الفهم والإدراك. وقال أبو سليمان الداراني: عليك بالجوع فإنه مذلة للنفس ورقة للقلب وهو يورث العلم السماوي: وقال ﷺ: «أحيوا

أو كراهته، **فأخذ يتناول كل ما يكرهه من المذاق وهو غلط**) نشأ من غفلة، (**بل نفعه في خاصية من الدواء**) قائمة به (**وليس لكونه مراً**) أو كريهاً، (**وإنما يقف على تلك الخاصية الأطباء**) الحذاق، (**وكذلك لا يقف على علة نفع الجوع إلا سماسرة العلماء**) ونقادهم، (**ومن جوّع نفسه مصدّقاً لما جاء في الشرع من مدح الجوع**) وذم الشبع (**انتفع به، وإن لم يعرف علة المنفعة. كما أن من شرب الدواء انتفع به وإن لم يعلم وجه كونه نافعاً، ولكنا نشرح ذلك إن أردت أن ترتقي من درجة الإيمان إلى درجة العلم**) المضاعفة بسبعين درجة كما في الخبر، وتقدم في كتاب العلم، قال الله تعالى: (**﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ فنقول: في الجوع عشر فوائد**).

(**الفائدة الأولى: صفاء القلب**) وهو بياضه الذي يحصل من قلة امداد الدم الواصل من العروق (**وإيقاد القريحة**) أي تنوّرها، والقريحة هي الطبيعة من حيث صدور العلم عنها(**وانفاذ البصيرة**) أي امضاؤها، (**فإن الشبع يورث البلادة**) والجمود (**ويعمي القلب**) بتراكم الحجب عليه (**ويكثر البخار في الدماغ**) بصعوده من المعدة إليه، (**فيثقل القلب بسببه عن الجريان في**) ميدان (**الأفكار وعن سرعة الإدراك**) لما يلقى إليه، (**بل الصبي إذا أكثر الأكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطيء الفهم والإدراك**) لما يلقى إليه كما هو مشاهد. (**قال أبو سليمان الداراني**) رحمه الله تعالى: (**عليك بالجوع فإنه مذلة للنفس ورقة للقلب وهو يورث العلم السماوي**) أراد به العلم الذي يأتي من فوق من غير اكتساب، (**وقال ﷺ «احيوا**

قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع وطهروها بالجوع تصفو وترق » . ويقال : مثل الجوع مثل الرعد ، ومثل القناعة مثل السحاب والحكمة كالمطر . وقال النبي ﷺ « من أجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه » . وقال ابن عباس : قال النبي ﷺ : « من شبع ونام قسا قلبه » ثم قال « لكل شيء زكاة وزكاة البدن الجوع » . وقال الشبلي : ما جعت لله يوماً إلا رأيت في قلبي باباً مفتوحاً من الحكمة ، والعبرة ما رأيتها قط . وليس يخفى أن غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل إلى المعرفة والاستبصار بحقائق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه ، والمعرفة باب من أبواب الجنة ، فبالحري أن تكون ملازمة الجوع قرعاً لباب الجنة ، ولهذا قال لقمان لابنه : يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة . وقال أبو يزيد البسطامي : الجوع سحاب فإذا جاع العبد أمطر

قلوبكم بقلة الضحك وطهروها بالجوع تصفو وترق ») قال العراقي : لم أجد له أصلاً . قلت : لكن مقابل الجملة الأولى قد رواه القضاعي في مسند الشهاب من حديث أبي هريرة « كثرة الضحك تميت القلب » وعند ابن ماجه « لا تكثروا الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلوب » وسيأتي في الكتاب الذي يليه .

(**وقال : مثل الجوع مثل الرعد ، ومثل القناعة مثل السحاب والحكمة كالمطر**) الأشبه أن هذا من كلام أبي سليمان الداراني وليس بحديث . (**وقال النبي ﷺ « من أجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه »**) قال العراقي : لم أجد له أصلاً . (**وقال ابن عباس رضي الله عنهما ، قال النبي ﷺ « من شبع ونام قسا قلبه »**) أي غلظ واشتد ثم (**قال**) ﷺ : (**« لكل شيء زكاة وزكاة البدن الجوع »**) قال العراقي : رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة « لكل شيء زكاة وزكاة الجسد الصوم » وإسناده ضعيف اهـ .

قلت : ورواه كذلك البيهقي ، ورواه أيضاً الطبراني وابن عدي والبيهقي أيضاً من حديث سهل بن سعد ، وأما الجملة الأولى من الحديث فلم أقف لها على أصل .

(**وقال**) أبو بكر (**الشبلي**) رحمه الله تعالى (**ما جعت لله يوماً إلا رأيت في قلبي باباً من الحكمة**) أي العلم الإلهي ، (**والعبرة**) أي الاعتبار (**ما رأيتها قط**) قبل ذلك (**وليس يخفى أن غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل إلى**) مقام (**المعرفة**) في الله ، (**والاستبصار بحقائق الحق**) كما هي (**والشبع يمنع**) ذلك لما فيه من تبليد الفكر ، (**والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من أبواب الجنة ، فبالحري أن يكون ملازمة الجوع قرعاً لباب الجنة**) المشار إليه في الخبر السابق أديموا قرع باب الجنة . (**ولهذا قال لقمان لابنه : يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة**) وقد تقدم قريباً .

(**وقال أبو يزيد**) البسطامي رحمه الله تعالى : (**الجوع سحاب فإذا جاع العبد أمطر القلب**

القلب الحكمة. وقال النبي ﷺ : « نور الحكمة الجوع، والتباعد من الله عز وجل الشبع، والقربة إلى الله عز وجل حب المساكين، والدنو منهم. لا تشبعوا فتطفئوا نور الحكمة من قلوبكم ومن بات في خفة من الطعام بات الحور حوله حتى يصبح ».

الفائدة الثانية: رقة القلب وصفاؤه الذي به يتهيأ لإدراك لذة المناجاة والتأثر بالذكر، فكم من ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتأثر حتى كأن بينه وبينه حجاباً من قسوة القلب، وقد يرق في بعض الأحوال فيعظم تأثره بالذكر وتلذذه بالمناجاة، وخلوّ المعدة هو السبب الأظهر فيه. وقال أبو سليمان الداراني: أحلى ما تكون إليّ العبادة إذا التصق ظهري ببطني وقال الجنيد: يجعل أحدهم بينه وبين صدره مخلاة من الطعام ويريد أن يجد حلاوة المناجاة. وقال أبو سليمان: إذا

الحكمة) أي كما يمطر السحاب الماء، **(وقال النبي ﷺ : « نور الحكمة الجوع، والتباعد من الله تعالى الشبع، والقربة إلى الله عز وجل حب المساكين، والدنوّ منهم، ولا تشبعوا فينطفىء نور الحكمة من قلوبكم ومن بات يصلي في خفة من الطعام بات الحور حوله حتى يصبح »)** قال العراقي ذكره أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وكتب عليه أنه مسند وهي علامة ما رواه بإسناده اهـ.

قلت: ورواه أيضاً ابن عساكر في التاريخ بلفظ: « نور الحكمة الجوع، ورأس الدين ترك الدنيا، والقربة إلى الله حب المساكين والدنوّ منهم، والبعد من الله الذي قوى به على المعاصي الشبع فلا تشبعوا بطونكم فيطفأ نور الحكمة من صدوركم فإن الحكمة تسطع في القلب مثل السراج ».

(الفائدة الثانية: رقة القلب وصفاؤه الذي يتهيأ به لإدراك لذة المناجاة والتأثر بالذكر) أي انتقاشه فيه، **(فكم من ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب)** لما يذكر وفهم معانيه، **(لكن القلب لا يلتذ به ولا يتأثر)** منه لفوات موجب الاستعداد الذي هو الرقة والصفاء الحاصلان من الجوع **(حتى كان بينه)** أي بين القلب **(وبينه)** أي بين أثر الذكر **(حجاباً من قساوة القلب)** وهو حجاب معنوي **(وقد يرق في بعض الأحوال)** والأحيان **(فيعظم تأثره بالذكر وتلذذه بالمناجاة)** فيكون لها فيه وقع عظيم **(وخلو المعدة)** عن الطعام والشراب **(هو السبب الأظهر فيه)** أي في رقته. **(وقال أبو سليمان)** الداراني رحمه الله تعالى: **(أحلى ما تكون لي العبادة إذا التصق ظهري ببطني)** هو إشارة إلى ما ذكر من وجدان التلذذ في تلك الحالة والتصاق الظهر بالبطن كناية عن قلة الأكل. **(وقال الجنيد)** رحمه الله تعالى: **(يجعل أحدهم بينه وبين صدره مخلاة من الطعام ويريد أن يجد حلاوة المناجاة)**. نقله صاحب القوت بلفظ: يقوم أحدهم في صلاة فيجعل بينه وبين الله زنبيل طعام، ويريد أن يجد حلاوة المناجاة أو يسمع فهم الخطاب. **(وقال أبو سليمان)** الداراني رحمه الله تعالى: **(إذا جاع**

جاع القلب وعطش صفا ورق وإذا شبع عمي وغلظ ، فإذا تأثر القلب بلذة المناجاة أمر وراء تيسير الفكر واقتناص المعرفة فهي فائدة ثانية .

الفائدة الثالثة : الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والأشر الذي هو مبدأ الطغيان والغفلة عن الله تعالى ، فلا تنكسر النفس ولا تذل بشيء كما تـذل بالجوع ، فعنده تسكن لربها وتخشع له وتقف على عجزها وذلها إذا ضعفت منتها وضاقت حيلتها بلقيمة طعام فاتتها وأظلمت عليها الدنيا لشربة ماء تأخرت عنها وما لم يشاهد الإنسان ذل نفسه وعجزه لا يرى عزة مولاه ولا قهره ، وإنما سعادته في أن يكون دائماً مشاهداً نفسه بعين الذل والعجز ، ومولاه بعين العز والقدرة والقهر . فليكن دائماً جائعاً مضطراً إلى مولاه مشاهداً للاضطرار بالذوق ، ولأجل ذلك لما عرضت الدنيا وخزائنها على النبي ﷺ قال : « لا بل أجوع يوماً وأشبع يوماً فإذا جعت صبرت وتضرعت وإذا شبعت شكرت » أو كما قال . فالبطن والفرج باب من أبواب النار وأصله الشبع . والـذل والانكسار

القلب وعطش صفا ورق وإذا شبع عمي وغاظ) فغلظ القلب وعماه إنما يكون من الشبع ، (فإذا تأثر القلب بلذة المناجاة أمروراء تيسير الفكر واقتناص المعرفة) فهي فائدة ثانية .

(الفائدة الثـالثـة : الانكسـار والذل وزوال البطـر والفـرح والاشر الذي هـو مبـدأ الطغيان) والتعدي عن الحدود (والغفلة عن الله تعالى ، فلا تنكسر النفس ولا تذل بشيء كما تذل بالجوع) فإن فيه إماتتها واستكانتها وضعفها وفي ذلك حياة القلب ، (فعنده) تطمئن (وتسكن لربها وتخشع له وتقف على عجزها وذلها) وافتقارها (إذا ضعفت منتها) بضم الميم أي قوّتها ، (وضاقت حيلتها بلقمة طعام فاتتها وأظلمت عليها الدنيا لشربة ماء تأخرت عنها ومـا لـم يشاهد ذل نفسه وعجزه لا يرى عزة مولاه وقهره) وبه فسر الخبر : من عرف نفسه فقد عرف ربه أي من عرف نفسه بالذل والافتقار عرف ربه بالعز والاقتهار ، (وإنما سعادته في أن يكون دائماً مشاهداً نفسه بعين الذل والعجز) والانكسار ، (و) مراقباً (ربه بعين العز والقدرة والقهر) من أراد الرقي إلى هذا المقام ، (فليكن دائماً جائعاً مضطراً إلى مولاه مشاهداً للاضطرار بالذوق) بنور عرفاني يقذفه الحق في قلبه ، (ولأجل ذلك لما عرضت الدنيا وخزائنها على النبي ﷺ قال : « لا بل أجوع يوماً وأشبع يوماً فإذا جعت صبرت وإذا شبعت شكرت » أو كما قال) رواه أحمد والترمذي وحسنه وابن سعد والطبراني والبيهقي من حديث أبي امامة بلفظ : عرض علي ربيليجعللي بطحاء مكة ذهباً فقلت لا يا رب ولكني أشبع يوماً وأجوع يوماً فإذا جعت تضرعت إليك وإذا شبعت حمدتك وشكرتك » وقد تقدم الكلام على هذا الحديث ، (فالبطن والفرج باب من أبواب النار وأصلهالشبع ،والذل

باب من أبواب الجنة واصله الجوع. ومن أغلق باباً من أبواب النار فقد فتح باباً من أبواب الجنة بالضرورة لأنهما متقابلان كالمشرق والمغرب، فالقرب من أحدهما بُعد من الآخر.

الفائدة الرابعة: أن لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى أهل البلاء فإن الشبعان ينسى الجائع وينسى الجوع والعبد الفطن لا يشاهد بلاء من غيره إلا ويتذكر بلاء الآخرة، فيذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيامة، ومن جوعه جوع أهل النار حتى انهم ليجوعون فيطعمون الضريع والزقوم ويسقون الغساق والمهل، فلا ينبغي أن يغيب عن العبد عذاب الآخرة وآلامها فإنه هو الذي يهيج الخوف، فمن لم يكن في ذلة ولا علة ولا قلة ولا بلاء نسي عذاب الآخرة ولم يتمثل في نفسه ولم يغلب على قلبه فينبغي أن يكون العبد في مقاساة بلاء أو مشاهدة بلاء، وأولى ما يقاسيه من البلاء الجوع، فإن فيه فوائد جمة سوى تذكر عذاب الآخرة، وهذا أحد الأسباب الذي اقتضى اختصاص البلاء بالأنبياء والأولياء والأمثل فالأمثل، ولذلك قيل ليوسف عليه

والإنكسار باب من أبواب الجنة وأصله الجوع، ومن أغلق على نفسه (**باباً من أبواب النار فقد فتح**) لها (**باباً من أبواب الجنة بالضرورة لأنهما متقابلان كالمشرق والمغرب فالقرب من أحدهما بُعد عن الآخر**) كما هو شأن المتقابلين.

(**الفائدة الرابعة: أن لا ينسى بلاء الله وعذابه**) وامتحانه (**ولا ينسى أهل البلاء**) والامتحان، (**فإن الشبعان ينسى الجائع والجوع**) وفي المشهور على ألسنة العامة الشبعان يفت للجيعان فتاً بطيئاً، (**والعبد الفطن**) المتبصر بنور الإيمان (**لا يشاهد بلاء من غيره إلا ويتذكر بلاء الآخرة فيذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيامة**) حين تدنو الشمس من الرؤوس ويلجمهم العرق، (**ومن جوعه جوع أهل النار حتى أنهم ليجوعون**) فيها (**فيطعمون الضريع**) الذي لا يسمن ولا يغني من الجوع وهو يبيس الشبرق (**والزقوم**) الغسلين، (**ويسقون**) فيها من عين آنية (**الغساق والمهل**) وكل ذلك مذكور في القرآن، (**فلا ينبغي أن يغيب عن العبد عذاب الآخرة وآلامها** وشدائدها **فإنه الذي يهيج الخوف**) ويثيره في قلبه (**فمن لم يكن في ذلة**) بين أبناء جنسه (**ولا علة**) في بدنه (**ولا قلة**) في ماله وجاهه (**نسي عذاب الآخرة ولم يتمثل في نفسه**) خياله، (**ولم يغلب على قلبه فينبغي أن يكون العبد في مقاساة بلاء**) في نفسه (**أو مشاهدة بلاء**) من غيره، (**وأولى ما يقاسيه من البلاء الجوع فإن فيه فوائد جمة**) أي كثيرة (**سوى تذكر عذاب الآخرة، وهذا أحد الأسباب الذي اقتضى اختصاص البلاء بالأنبياء والأولياء والأمثل فالامثل**) كما ورد في الخبر « نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل » يعني أقرب شبهاً بنا فالأقرب فرفع

السلام: لم تجوع وفي يديك خزائن الأرض؟ فقال: أخاف أن أشبع فانسى الجائع. فذكر الجائعين والمحتاجين إحدى فوائد الجوع فإن ذلك يدعو إلى الرحمة والإطعام والشفقة على خلق الله عز وجل، والشبعان في غفلة عن ألم الجائع.

الفائدة الخامسة: وهي من أكبر الفوائد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس الأمارة بالسوء فإن منشأ المعاصي كلها الشهوات والقوى، ومادة القوى والشهوات لا محالة الأطعمة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوّة، وإنما السعادة كلها في أن يملك الرجل نفسه والشقاوة في أن تملكه نفسه، وكما أنك لا تملك الدابة الجموح إلا بضعف الجوع، فإذا شبعت قويت وشردت وجمحت، فكذلك النفس كما قيل لبعضهم: ما بالك مع كبرك لا تتعهد بدنك وقد انهدّ؟ فقال: لأنه سريع المرح فاحش الأشر

أهل البلاء إليه ووصف نفسه به وجعلهم الأمثل فالأمثل منه، فمن كان به ﷺ أمثل كان هو الأفضل، (**ولذلك لما قيل ليوسف عليه السلام: لم تجوع وفي يديك**) أي في قبضتك وملكك (**خزائن الأرض**) من الذخائر وغيرها، (**فقال: أخاف أن أشبع فانسى الجائع**) نقله صاحب القوت، (**فذكر الجائعين والمحتاجين إحدى فوائد الجوع، فإن ذلك يدعو إلى الرحمة**) والبر (**والإطعام والشفقة على خلق الله عز وجل**) تعظيماً لأمره تعالى، (**والشبعان في غفلة من ألم الجائع**) لا يدري عنه ولا يذكره على لسانه ولا يخطر حاله في قلبه.

(**الفائدة الخامسة: وهي من أكبر الفوائد**) وأجمعها (**كسر شهوات**) باعثة على (**المعاصي كلها**) جليلها وحقيرها (**والاستيلاء**) أي الغلبة (**على النفس الأمارة بالسوء**) بقمع حدتها (**فإن منشأ المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات لا محالة الأطعمة**) الواصلة آثارها إليها (**فتقليلها يضعف كل شهوة وقوّة**) ويبطل عملها، (**وإنما السعادة كلها في أن يملك الرجل نفسه**) فيصرفها في الخير كيف يشاء، كما أن الشقاوة كلها في أن تملكه نفسه فتحمله في المعاصي حيث شاءت، (**وكما انك لا تملك الدابة الجموح**) الصعبة المراس (**إلا بضعف الجوع**) أي إذا أضعفتها بقلة العلف: (**فإذا شبعت قويت وشردت**) عنك (**وجمحت**) عليك، (**فكذلك النفس**) هي بمنزلة مطيتك إن أشبعتها قويت عليك وان أضعفتها بالجوع لأنت وانقادت، ولله در البوصيري حيث قال:

والنفس كالطفل إن تهمله شب على ... حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

وقال غيره:

فإنك مها تعط فرجك سؤله ... وبطنك نالا منتهى الذم أجمعا

(**كما قيل لبعضهم: ما بالك مع كبرك**) أي طعنك في السن (**لا تتعاهد بدنك**) بأن تراعيه من جهة المأكل والمشرب والاستحمام؟ (**فقال**): لا أتعاهده (**لأنه سريع المرح**) أي

فأخاف أن يجمح بي فيورطني، فلأن أحمله على الشدائد أحب إليّ من أن يحملني على الفواحش. وقال ذو النون: ما شبعت قط إلا عصيت أو هممت بمعصية. وقالت عائشة رضي الله عنها: أوّل بدعة حدثت بعد رسول الله ﷺ الشبع.

إن القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم إلى هذه الدنيا، وهذه ليست فائدة واحدة بل هي خزائن الفوائد، ولذلك قيل: الجوع خزانة من خزائن الله تعالى وأقل ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام، فإن الجائع لا يتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من آفات اللسان كالغيبة والفحش والكذب والنميمة وغيرها، فيمنعه الجوع من كل ذلك وإذا شبع افتقر إلى فاكهة فيتفكه لا محالة بأعراض الناس ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم.

وأما شهوة الفرج فلا تخفى غائلتها والجوع يكفي شرها، وإذا شبع الرجل لم يملك فرجه وإن منفعته التقوى فلا يملك عينه فالعين تزني كما أن الفرج يزني فإن ملك عينه بغضّ الطرف فلا يملك فكره فيخطر له من الأفكار الرديئة وحديث النفس بأسباب

النشاط (**فاحش الأشر فأخاف أن يجمح بي فيورطني**) أي يوقعني في ورطة المعاصي (**فلأن أحمله على الشدائد أحب إليَّ من أن يحملني على الفواحش**) فيهلكني. (**وقال ذو النون**) المصري رحمه الله تعالى: (**ما شبعت قط إلا عصيت**) بالفعل (**أو هممت بمعصية**) نقله صاحب القوت، (**وقالت عائشة رضي الله عنها: أول بدعة أحدثت بعد رسول الله ﷺ الشبع إن القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم إلى الدنيا**) ولفظ القوت، وقال بعض الصحابة: أول بدعة الخ وفيه جمحت بهم شهواتهم، (**وهذه ليست فائدة واحدة بل هي خزانة الفوائد**) باعتبار جمعها وضم ما انتشر من الفوائد، كما أن الخزانة تجمع أصناف الأموال النفيسة، (**ولذلك قيل: الجوع خزانة من خزائن الله تعالى**) قد جمع الله فيها كل خير، (**وأول ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فإن الجائع لا تتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص من آفات اللسان**) كلها (**كالغيبة والفحش والكذب والنميمة وغيرها**) مما سيأتي ذكرها في الكتاب الذي يليه، (**فيمنعه الجوع من كل ذلك**) ويقطع مادته، (**وإذا شبع افتقر إلى فاكهة**) أي تاقت نفسه إليها(**فيتفكه لا محالة باعراض الناس، ولا يكب الناس في النار على مناخرهم**) ووجوهم (**إلا حصائد ألسنتهم**) كما في حديث معاذ، وسيأتي. (**وأما شهوة الفرج فلا تخفى غائلتها والجوع يكفي شرها**) فلا تنبعث، (**وإذا شبع الرجل لم يملك فرجه وإن منعه التقوى**) عن ذلك (**فلا يملك عينه، فالعين تزني كما أن الفرج يزني**) ففي الخبر «زنا العينين النظر» (**فإن ملك عينه بغض الطرف فلا يملك فكره فيخطر له من الأفكار الردية وحديث النفس بأسباب الشهوة ما تتشوش به مناجاته**) وتختل، (**وربما عرض له**

الشهوة ما تتشوّش به مناجاته، وربما عرض له ذلك في أثناء الصلاة.

وإنما ذكرنا آفة اللسان والفرج مثالاً وإلاّ فجميع معاصي الأعضاء السبعة سببها القوّة الحاصلة بالشبع. قال حكيم: كل مريد صبر على السياسة فصبر على الخبز البحت سنة لا يخلط به شيئاً من الشهوات ويأكل في نصف بطنه رفع الله عنه مؤنة النساء.

الفائدة السادسة: دفع النوم ودوام السهر، فإن من شبع شرب كثيراً ومن كثر شربه كثر نومه، ولأجل ذلك كان بعض الشيوخ يقول عند حضور الطعام: معاشر المريدين لا تأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً فتخسروا كثيراً. وأجمع رأي سبعين صديقاً على أن كثرة النوم من كثرة الشرب، وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب، والعمر أنفس الجواهر وهو رأس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فتكثيره ينقص العمر ثم فضيلة التهجد لا تخفى. وفي النوم فواتها ومهما غلب النوم فإن تهجد لم

ذلك في أثناء الصلاة) التي هي معراج المؤمن ومحل مناجاته، **(وإنما ذكرنا آفة اللسان والفرج مثالاً وإلاّ فجميع معاصي الأعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع. قال حكيم)** من الحكماء: **(كل مريد صبر على السياسة فصبر على الخبز البحت)** أي الخالص وحده **(سنة)** كاملة لا يتخللها ما يضاد **(لا يخلط به شيئاً من الشهوات)** من أنواع الادامات، **(ويأكل في نصف بطنه)** أي من غير شبع، وإنما هو بقدر سد الرمق **(رفع الله عنه مؤنة النساء)** أي فحينئذ تموت شهوته ولا يريدهن حراماً أو حلالاً.

(الفائدة السادسة: دفع النوم ودوام السهر فإن من شبع) من الطعام **(شرب كثيراً)** فإن حرارة الطعام في المعدة تستدعي ذلك **(ومن كثر شربه)** ارتخت عروقه **(وكثر نومه)** وخدرت أعضاؤه، **(ولأجل ذلك كان بعض الشيوخ يقول عند حضور الطعام: معاشر المريدين لا تأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً فترقدوا كثيراً فتخسروا كثيراً)** ولفظ القوت، وقيل: كان شباب في بني إسرائيل يتعبدون، وكانوا إذا حضر عشاؤهم قام فيهم عالمهم، فقال: يا معشر المريدين الخ. **(وأجمع رأي سبعين صديقاً على أن كثرة النوم من كثرة الشرب)** نقله صاحب القوت، **(وفي كثرة النوم ضياع العمر)** قال بعض الناس لفيلسوف من الحكماء؟ صف لي شيئاً أستعمله حتى أكون أنام النهار، فقال: يا هذا ما أضعف عقلك إن نصف عمرك نوم والنوم من الموت تريد أن تجعل ثلاثة أرباعه نوماً وربعه حياة. قال: وكيف؟ قال: أنت إذا عشت أربعين سنة فإنما هي عشرون سنة أفتريد أن تجعلها عشر سنين **(و)** في كثرة النوم **(فوت التهجد)** وهو صلاة آخر الليل **(وبلادة الطبع وقساوة القلب)** وطول الغفلة ونقصان الفطنة. وفي هذه الأشياء الفوت، وفي الفوت الحسرة بعد الموت، **(والعمر أنفس الجواهر)** وأغلاها **(وهو رأس مال العبد فيه يتجر)** وبه يربح، **(والنوم موت)** مجازي **(فتكثيره ينقص من**

يجد حلاوة العبادة، ثم المتعزب إذا نام على الشبع احتلم ويمنعه ذلك أيضاً من التهجد ويحوجه إلى الغسل إما بالماء البارد فيتأذى به أو يحتاج إلى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل فيفوته الوتر إن كان قد أخره إلى التهجد، ثم يحتاج إلى مؤنة الحمام وربما تقع عينه على عورة في دخول الحمام فإن فيه أخطاراً ذكرناها في كتاب الطهارة، وكل ذلك أثر الشبع، وقد قال أبو سليمان الداراني: الاحتلام عقوبة. وإنما قال ذلك لأنه يمنع من عبادات كثيرة لتعذر الغسل في كل حال، فالنوم منبع الآفات والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له.

الفائدة السابعة: تيسير المواظبة على العبادة فإن الأكل يمنع من كثرة العبادات لأنه يحتاج إلى زمان يشتغل فيه بالأكل، وربما يحتاج إلى زمان في شراء الطعام وطبخه، ثم يحتاج إلى غسل اليد والخلال، ثم يكثر تردداه إلى بيت الماء لكثرة شربه، والأوقات المصروفة إلى هذا لو صرفها إلى الذكر والمناجاة وسائر العبادات لكثر ربحه. قال

العمر) كما تقدم ذلك من قول الحكيم، (**ثم فضيلة التهجد لا تخفى**) قد أثنى الله على المتهجدين في كتابه ووردت به الأخبار والآثار على ما تقدم في كتاب ترتيب الأوراد، (**وفي النوم فواتها**) أي تلك الفضيلة (**ومهما غلب النوم، فإن**) وفقه الله للقيام (**وتهجد لم يجد حلاوة العبادة**) لما عنده من شواغل الغلبة (**ثم المتعزّب**) من المريدين (**إذا نام على الشبع احتلم ويمنعه ذلك أيضاً من التهجد ويحوجه إلى الغسل بالماء البارد فيتأذى به فلا يجد حلاوة العبادة أيضاً أو يحتاج إلى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل**) فإنهم ما يفتحونه إلا قرب الفجر (**فيفوته الوتر إن كان قد أخره إلى التهجد ثم يحتاج إلى مؤنة الحمام**) أي كلفته، وربما لا يوجد عنده من أجرته، (**وربما تقع عينه على عورة من دخل الحمام فإن فيه أخطاراً كثيرة ذكرناها في كتاب الطهارة، وكل ذلك أثر الشبع، وقد قال أبو سليمان الداراني**) رحمه الله تعالى: (**الاحتلام عقوبة**) نقله صاحب القوت (**وإنما قال ذلك لأنه يمنع من عبادات كثيرة**) ويعيق عنها (**لتعذر الغسل في كل حال، فالنوم**) إذاً (**منبع الآفات والشبع مجلبة له**) أي يحمله على الجلب له (**والجوع مقطعة له**) أي يحمله على قطعه.

(**الفائدة السابعة: تيسير المواظبة على العبادة**) أي تسهيل المداومة عليها، (**فإن الأكل يمنع من كثرة العبادات لأنه يحتاج إلى زمان يشتغل فيه بأكل وربما يحتاج إلى زمان في شراء الطعام وطبخه**) واحتاج إلى آلات لذلك، (**ثم يحتاج إلى غسل اليدو**) استعمال (**الخلال**) في أسنانه ليخرج فضول الطعام منها، (**ثم يكثر تردداه إلى بيت الماء لكثرة شربه**) وامتلاء معدته، (**والأوقات المصروفة إلى هذا لو صرفها إلى الذكر والمناجاة وسائر العبادات لكثر ربحه**) وعظم أجره، (**وقال السري**) السقطي رحمه الله تعالى (**رأيت لعلي**) بن ابراهيم

السري: رأيت مع علي الجرجاني سويقاً يستف منه فقلت: ما حملك على هذا؟ قال: إني حسبت ما بين المضغ إلى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ أربعين سنة، فانظر كيف أشفق على وقته ولم يضيعه في المضغ، وكل نفس من العمر جوهرة نفيسة لا قيمة لها فينبغي أن يستوفي منه خزانة باقية في الآخرة لا آخر لها، وذلك يصرفه إلى ذكر الله وطاعته. ومن جملة ما يتعذر بكثرة الأكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد، فإنه يحتاج إلى الخروج لكثرة شرب الماء واراقته. ومن جملته الصوم فإنه يتيسر لمن تعوّد الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف أوقات شغله بالأكل وأسبابه إلى العبادة أرباح كثيرة، وإنما يستحقرها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ [الروم: ٧] وقد أشار أبو سليمان الداراني إلى ست آفات من الشبع فقال: من شبع دخل

(الجرجاني سويقاً يستف منه فقلت) له: (وما دعاك إلى هذا؟ فقال: إني حسبت ما بين المضغ إلى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ أربعين سنة) أي كيلا يضيع وقته بالمضغ، وقد وقع مثل ذلك لداود الطائي، فقد أخرج أبو نعيم في الحلية من طريق إسماعيل بن الريان قال: قيل لداود الطائي اما تشتهي الخبز؟ قال: بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية. ومن طريق عامر بن إسماعيل الأحمس قال: قلت لداود الطائي بلغني انك تأكل الخبز اليابس تطلب به الخشونة فقال: سبحان الله كيف وقد ميزت بين أكل الخبز اليابس وبين اللين، فإذا هو قراءة مائتي آية، ولكن ليس من محرقة بما يبس علي، (فانظر كيف أشفق على وقته ولم يضيعه في المضغ) ومحافظة الوقت عندهم أمر أكيد، (وكل نفس من) أنفاس (العمر جوهرة نفيسة لا قيمة له)، ولذلك قالوا: تضييع الوقت يورث المقت، (فينبغي أن يستوفي منها خزانة باقية في الآخرة لا آخر لها، وذلك يصرفه إلى ذكر الله تعالى وطاعته) ولا يدعه يذهب مجاناً. (ومن جملة ما يتعذر بكثرة الأكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فإنه يحتاج إلى الخروج) منه كل ساعة (لكثرة شرب الماء وإراقته) ضرورة. (ومن جملته الصوم، فإنه يتيسر لمن تعوّد الجوع) ويسهل عليه، (فالصوم ودوام الاعتكاف) في المسجد (ودوام الطهارة وصرف أوقات شغل الأكل وأسبابه إلى العبادة أرباح كثيرة) لا يحصى مقدارها إلا الذي وفقه الله لها، (وإنما يستحقرها الغافلون الذين لا يعرفون قدر الدين لكن) هم كما قال الله تعالى فيهم، ﴿رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ وقد أشار أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (إلى ست آفات في الشبع فقال: من شبع دخل عليه ست آفات) الأولى: (فقد حلاوة

عليه ست آفات: فقد حلاوة المناجاة وتعذر حفظ الحكمة، وحرمان الشفقة على الخلق لأنه إذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع، وثقل العبادة، وزيادة الشهوات، وأن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد، والشباع يدورون حول المزابل.

الفائدة الثامنة: يستفيد من قلة الأكل صحة البدن ودفع الأمراض، فإن سببها كثرة الأكل وحصول فضلة الاخلاط في المعدة والعروق، ثم المرض يمنع من العبادات ويشوّش القلب ويمنع من الذكر والفكر وينغص العيش ويحوج إلى الفصد والحجامة والدواء والطبيب، وكل ذلك يحتاج إلى مؤن ونفقات لا يخلو الإنسان منها بعد التعب عن أنواع من المعاصي واقتحام الشهوات، وفي الجوع ما يمنع ذلك كله.

حكي أن الرشيد جمع أربعة أطباء هندي، ورومي، وعراقي، وسوادي، وقال: ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لا داء فيه. فقال الهندي: الدواء الذي لا داء فيه عندي هو الهليلج الأسود. وقال العراقي: هو حب الرشاد الأبيض؟ وقال الرومي: هو

المناجاة، و) الثانية: **(تعذر حفظ الحكمة الإلهية، و)** الثالثة: **(حرمان الشفقة على الخلق لأنه إذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع، و)** الرابعة: **(ثقل العبادة)** على البدن، **(و)** الخامسة: **(زيادة الشهوات، و)** السادسة: **(أن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد)** للاعتكاف والعبادة **(والشباع يدورون حول المزابل** وبيوت الماء لإخلاء المعدة**)**.

(الفائدة الثامنة: يستفيد) المريد **(من قلة الأكل صحة البدن)** واستقامته **(ودفع الأمراض)** عنه **(فإن سببها)** أي الأمراض **(كثرة الأكل وحصول فضلة الأخلاط في المعدة والعروق)** كما قال الشاعر:

فإن الداء أكثر ما تراه ... يكون من الطعام أو الشراب

(ثم المرض يمنع من العبادات) أي من أدائها على الوجه المشروع، **(ويمنع من الذكر والفكر وينغص العيش ويحوج إلى الفصد والحجامة)** عند تبوّغ الدم، **(والدواء والطبيب، وكل ذلك يحتاج إلى مؤن ونفقات)** فمنها ما يصرف إلى الأدوية، ومنها ما يصرف إلى الطبيب الذي يصفها **(لا يخلو الإنسان منها بعد)** تحمل **(التعب من أنواع المعاصي واقتحام الشهوات** وارتكاب الاخطار**، وفي الجوع ما يمنع ذلك كله)** بلا مشقة.

(وحكي) في أخبار الخلفاء **(أن)** هارون **(الرشيد)** أيام خلافته **(جمع أربعة أطباء هندي ورومي وعراقي وسوادي)** أي من سواد العراق وكل منهم ماهر في فنه، **(وقال)** لهم: **(ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لا داء فيه، فقال)** الطبيب **(الهندي: الدواء الذي لا داء فيه عندي هو الهليلج الأسود)** المعروف بالكابلي، **(وقال)** الطبيب **(الرومي: هو عندي**

عندي الماء الحار. وقال السوادي: وكان أعلمهم الهليلج يعفص المعدة وهذا داء، وحب الرشاد يزلق المعدة وهذا داء، والماء الحار يرخي المعدة وهذا داء. قال: فما عندك؟ فقال: الدواء الذي لا داء معه عندي أن لا تأكل الطعام حتى تشتهيه، وأن ترفع يدك عنه وأنت تشتهيه. فقال: صدقت. وذكر لبعض الفلاسفة من أطباء أهل الكتاب قول النبي ﷺ: «ثلث طعام وثلث شراب وثلث للنفس». فتعجب منه وقال: ما سمعت كلاماً في قلة الطعام أحكم من هذا، وإنه لكلام حكيم. وقال ﷺ: «البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعوّدوا كل جسم ما اعتاد» واظن تعجب الطبيب جرى من هذا

حب الرشاد الأبيض، وقال) الطبيب (**العراقي: هو عندي الماء الحار، فقال**) الطبيب (**السوادي وكان أعلمهم: الأهليلج**) فيه أنه (**يعفص المعدة**) لما فيه من العفوصة والقبض (**وهذا داء، وحب الرشاد**) الأبيض فيه أنه (**يزلق العدة**) ولفظ القوت: يرتق المعدة (**وهذا داء، والماء الحار**) فيه أنه (**يرخي المعدة وهذا داء، فقال**) الرشيد: (**ما عندك؟ فقال: الدواء الذي لا داء معه عندي أن لا تأكل الطعام حتى تشتهيه، وأن ترفع يدك**) عنه (**وأنت تشتهيه فقال: صدقت**) نقله صاحب القوت، وهو في كتاب أخبار الخلفاء لابن أبي الدنيا، (**وذكر لبعض الفلاسفة من أطباء أهل الكتاب قول النبي ﷺ «ثلث طعام وثلث شراب وثلث للنفس»**) وقد تقدم بلفظ «حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وإن كان لا بدَّ فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس» (**فتعجب منه**) الحكيم واستحسنه (**وقال: ما سمعت كلاماً في قلة الطعام أحكم من هذا وإنه لكلام حكيم**)، ثم قال: جهدت الأطباء من الفلاسفة أن يقولوا مثل هذا في التقلل من الأكل فلم يهتدوا إليه، فاكثر ما قالوا: **لا تقعد على طعام حتى تشتهيه وأن ترفع يدك عنه وأنت تشتهيه**، ومنهم من قال: تأكل بعد الجوع وترفع قبل الشبع، وبعضهم يقول: لا تأكل إلا بعد جوع مفرط ولا تشبع شديداً، وإن كان مرادهم هذا المعنى الذي ذكره نبيكم ﷺ هكذا أورده صاحب القوت، وقد نبه ﷺ في الخبر السابق «المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء» إنه لا يستحب للإنسان إلا الأكل في سبع بطنه، وهو ما ذكره في هذا الخبر من اللقيمات، وذلك دون عشر لقم لأن الجمع بالألف والتاء لما دون العشرة ثم رخص لمن غلب عليه النهم أن يبلغ إلى ثلث بطنه، فحصل من ذلك أن أكل المؤمن في اليوم ينبغي أن يكون في سبع بطنه أو ثلث بطنه.

(**وقال ﷺ «البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعوّدوا كل جسد ما اعتاد»**) قال العراقي: لم أجد له أصلاً اهـ.

قلت: رواه الخلال من حديث عائشة بلفظ: الازم دواء والمعدة بيت الداء وعودوا بدنا ما اعتاد. وقيل: الحمية رأس الدواء من كلام الحرث بن كلدة طبيب العرب، وروى ابن أبي الدنيا

الخبر لا من ذاك. وقال ابن سالم: من أكل خبز الحنطة بحتاً بأدب لم يعتل إلا علة الموت. قيل: وما الأدب؟ قال: تأكل بعد الجوع، وترفع قبل الشبع. وقال بعض أفاضل الاطباء في ذم الاستكثار: إن أنفع ما أدخل الرجل بطنه الرمان، وأضر ما أدخل معدته طلح،

في كتاب الصمت من طريق وهب بن منبه قال: أجمعت الأطباء على أن رأس الطب الحمية، وأجمعت الحكماء على أن رأس الحكمة الصمت.

وبخط الحافظ ابن حجر الجملة الأولى من الحديث لها أصل من حديث أوّله أصل كل داء البردة والبردة محركة هي التخمة قاله الجوهري وهو حديث ضعيف رواه ابن عدي في الكامل، وأبو نعيم في الطب النبوي اهـ. ما وجد بخطه.

قلت: هذا الحديث أعني أصل كل داء البردة رواه أيضاً المستغفري في الطب النبوي، والدارقطني في العلل كلهم من طريق تمام بن نجيح عن الحسن البصري عن أنس رفعه بهذا، وتمام ضعفه الدارقطني وغيره، ووثقه ابن معين وغيره ولأبي نعيم أيضاً من حديث ابن المبارك عن السائب بـن عبد الله عن علي بن زحر عن ابن عباس مرفوعاً مثله. ومن طريق عمرو بن الحرث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رفعه «أصل كل داء من البردة» ومفرداتها ضعيفة وقد ذكر الدارقطني عقب حديث أنس ما لفظه: وقد رواه عباد بن منصور عن الحسن من قوله وهو أشبه بالصواب وجعله الزمخشري في الفائق من كلام ابن مسعود.

(**وأظن تعجب الطبيب**) المذكور إنما (**جرى من**) سماع (**هذا الخبر لا من ذاك**) فقد قال ابن زكريا المتطبب: ما ترك ﷺ في الطب شيئاً إلا أتى به في هذه الكلمات الثلاثة نقله الراغب في الذريعة. (**وقال**) أبو الحسن علي (**بن سالم**) البصري شيخ صاحب القوت (**من أكل خبز الحنطة بحتاً**) أي وحده بلا أدام (**بأدب لم يعتل إلا علة الموت. قيل: وما الأدب؟ قال: يأكل بعد الجوع ويرفع قبل الشبع**) نقله صاحب القوت. قال: والأصل في هذا أن العلل داخلة على الأجسام من اختلاف نبات الأرض، وأن المعدة مركبة على طبائع أربعة: الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة. وكذلك منابت الأرض على هذه الطبائع، فإذا أكثر من اختلاف منابتها أمالت الحرارة والبرودة من النبات غرائز الطبائع من الرطوبة واليبوسة، فزاد بعض على بعض وقوي وضعف عن مثله، فكانت الأمراض من ذلك لأن كل مأكول من نبات الأرض يعمل في وصف من معاني الجسم وأن الحنطة مخالفة لسائر نبات الأرض لأنها معتدلة في الطبائع الأربع كاعتدال الماء في سائر الأشربة. وقال بعض الأطباء: كل من الخبز بحتاً فإنه لا يضرك. وقال غيره: أكل الخبز يابساً وحده خير من أكله مع الأدم الضار (**وقال بعض أفاضل الأطباء في ذم الاستكثار**) من الأكل: (**أنفع ما أدخل الرجل بطنه الرمان**) فإنه بأسره جيد الكيموس قليل الغذاء وفي جميع أصنافه حتى الحامض جلاء مع القبض، (**وأضر ما أدخل معدته الملح**) لأنه يحرق الدم ويضعف البصر ويضر الدماغ والرئةويقللالمني ويورث الجرب والحكة.

ولأن يقلل من طلح خير له من أن يستكثر من الرمان. وفي الحديث: «صوموا تصحوا» ففي الصوم الجوع وتقليل الطعام صحة الأجسام من الأسقام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرهما.

الفائدة التاسعة: خفة المؤنة فإن من تعوّد قلة الأكل كفاه من المال قدر يسير، والذي تعوّد الشبع صار بطنه غريماً ملازماً آخذاً بمخنقه في كل يوم فيقول: ماذا تأكل اليوم فيحتاج إلى أن يدخل المداخل فيكتسب من الحرام فيعصي أو من الحلال فيذل، وربما يحتاج إلى أن يمد أعين الطمع إلى الناس وهو غاية الذل والقماءة. والمؤمن خفيف المؤنة. وقال بعض الحكماء: إني لأقضي عامة حوائجي بالترك فيكون ذلك أروح لقلبي. وقال آخر: إذا أردت أن أستقرض من غيري لشهوة أو زيادة استقرضت من نفسي

(**ولأن يقلل من الملح خير له من أن يستكثر من الرمان**) فإن القليل من المضر بما لا يضر، والكثير من النافع ربما يضر. ولفظ القوت: المالح في الموضعين. (**وفي الحديث «صوموا تصحوا»**) قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الطب النبوي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف اهـ.

قلت: هكذا رواه أبو نعيم مقتصراً في كتابه المذكور، ورواه في موضع آخر منه بلفظ: «أغزوا تغنموا وسافروا تصحوا» ورواه أحمد بلفظ «سافروا تربحوا وصوموا تصحوا وغزوا تغنموا» وهو عند الطبراني بلفظ «اغزوا تغنموا وصوموا تصحوا وسافروا تستغنوا» ورواه ابن بخيت في جزئه بلفظ «سافروا تربحوا وصوموا تصحوا واغزوا تغنموا».

(**وفي الصوم الجوع**) ومن هنا اشتهر على السنة العامة. جوعوا تصحوا ومعناه صحيح لكنه ليس بحديث. (**وفي تقليل الطعام صحة الأجسام من الأسقام**) والأمراض، (**وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرهما**).

(**الفائدة التاسعة: خفة المؤنة**) للمريد، (**فإن من تعود قلة الأكل كفاه من المال قدر يسير**) أي قليل (**والذي تعوّد بالشبع صار بطنه غريماً ملازماً له آخذاً بمخنقه في كل يوم**) وهو كناية عن تملكه منه بالكلية كما يتمكن الآخذ بمخنق الإنسان وهو موضع خنقه (**فيقول: ماذا تأكل اليوم فيحتاج أن يدخل المداخل**) من حيث اتفق (**فيكتسب من الحرام فيعصي**) الله تعالى، (**أو من الحلال فيذل ويتعب**) وقد نهى عن إذلال المؤمن نفسه، (**وربما احتاج إلى أن يمد أعين الطمع إلى الناس وهو غاية الذل والقماءة**) أي الحقارة (**والمؤمن**) من شأنه أن يكون (**خفيف المؤنة. وقال بعض الحكماء: إني لاقضي عامة حوائجي بالترك**) فإذا تركتها قضيتها (**فيكون ذلك أروح لقلبي**) وفي نسخة لنفسي، فإن الاضطراب إنما يحصل بالتطلع. (**وقال آخر إذا أردت أن أستقرض من غيري لشهوة**)

فتركت الشهوة فهي خير غريم لي وكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله يسأل أصحابه عن سعر المأكولات، فيقال: إنها غالية. فيقول: أرخصوها بالترك. وقال سهل رحمه الله: الأكول مذموم في ثلاثة أحوال: إن كان من أهل العبادة فيكسل، وإن كان مكتسباً فلا يسلم من الآفات، وإن كان ممن يدخل عليه شيء فلا ينصف الله تعالى من نفسه.

وبالجملة: سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا، وسبب حرصهم على الدنيا البطن والفرج، وسبب شهوة الفرج شهوة البطن، وفي تقليل الأكل ما يحسم هذه الأحوال كلها ومي أبواب النار، وفي حسمها فتح أبواب الجنة، كما قال ﷺ: «أديموا قرع باب الجنة بالجوع» فمن قنع برغيف في كل يوم قنع في سائر الشهوات أيضاً وصار حراً واستغنى عن الناس واستراح من التعب وتخلى لعبادة الله عز وجل وتجارة الآخرة فيكون من الذين: ﴿لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ [النور: ٣٧] وإنما لا تلهيهم لاستغنائهم عنها بالقناعة، وأما المحتاج فتلهيه لا محالة.

أقضيها (أو زيادة) أدخرها (استقرضت من نفسي فتركت الشهوة فهو خير غريم لي) فيصير الترك حينئذ والمنع للنفس. هكذا عادة كما كان الأكل والأخذ عادة كذا في القوت. (وكان إبراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (يسأل أصحابه عن سعر المأكولات فيقال: إنها غالية فيقول ارخصوها بالترك) وكان ينشد:

فإذا غلا شيء عليَّ تركته ... فيكون أرخص ما يكون إذا غلا

أخرجه أبو نعيم في الحلية. (وقال سهل) التستري رحمه الله تعالى (الاكول مذموم في ثلاثة أحوال إن كان من أهل العبادة فيكسل) ويضعف، (وإن كان مكتسباً فلا يسلم من الآفات، وإن كان ممن يدخل عليه شيء) من الفيض من غير كسب (فلا ينصف الله تعالى من نفسه).

(وبالجملة: سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا) وتواثبهم عليها (وسبب حرصهم على الدنيا البطن والفرج وسبب شهوة الفرج البطن) لأنه هو الذي يجرها (وفي تقليل الأكل ما يحسم هذه الأبواب كلها) ويسدها (وهي أبواب النار، وفي حسمها فتح أبواب الجنة كما قال ﷺ «أديموا قرع باب الجنة بالجوع») تقدم هذا الحديث وان العراقي قال: لم أقف له على أصل، (فمن قنع برغيف في كل يوم قنع في سائر الشهوات أيضاً وصار حراً) غير مستعبد ولا مستذل، (واستغنى عن الناس واستراح من التعب) والمشقة (وتخلى لعبادة الله) عز وجل آناء الليل وأطراف النهار (وتجارة الآخرة) من العبادة والزهد والقناعة، (فيكون من الذين قال) الله في حقهم: ﴿رجال (لا تلهيهم) أي لا تشغلهم (تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ وإنما لا تلهيهم تلك لاستغنائهم عنها بالقناعة) ولو اتجروا. (وأما المحتاج فتلهيه لا محالة).

الفائدة العاشرة: أن يتمكن من الايثار والتصدق بما فضل من الأطعمة على اليتامى والمساكين، فيكون يوم القيامة في ظل صدقته كما ورد به الخبر: فما يأكله كان خزانته الكنيف وما يتصدق به كان خزانته فضل الله تعالى، فليس للعبد من ماله إلا ما تصدق فأبقى أو أكل فأفنى أو لبس فأبلى. فالتصدق بفضلات الطعام أولى من التخمة والشبع، وكان الحسن رحمة الله عليه إذا تلا قوله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنه كان ظلوماً جهولاً﴾ [الأحزاب: ٧٢] قال: عرضها على السموات السبع الطباق الطرائق التي زينها بالنجوم وحملة العرش العظيم فقال لها سبحانه وتعالى: هل تحملين الأمانة بما فيها؟ قالت: وما فيها؟ قال: إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت. فقالت: لا. ثم عرضها كذلك على الأرض فأبت، ثم عرضها على الجبال الشم الشوامخ الصلاب الصعاب فقال لها: هل تحملين الأمانة بما فيها؟ قالت: وما فيها؟ فذكر الجزاء والعقوبة. فقالت: لا. ثم عرضها

(**الفائدة العاشرة: أن يتمكن المريد من الايثار**) على إخوانه بما فضل من المال، (**والصدقة بما فضل**) من الأطعمة (**على اليتامى والمساكين، فيكون يوم القيامة في ظل صدقته كما ورد الخبر به**)، وهو ما رواه الحاكم من حديث عقبة بن عمرو، كل امرىء في ظل صدقته وقد تقدم في كتاب الزكاة، (**وما يأكله فخزانته الكنيف**) أي بيت الماء، (**وما يتصدق به فخزانته فضل الله تعالى فليس للعبد من ماله إلا ما تصدق فأبقى أو أكل فأفنى أو لبس فأبلى**). وروى أحمد، وعبد بن حميد، ومسلم من حديث أبي هريرة يقول العبد: مالي مالي وإنما له من ماله ثلاث ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو اعطى فأقنى» وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس، وروى ابن المبارك والطيالسي وسعيد بن منصور وأحمد وعبد بن حميد ومسلم والترمذي والنسائي وابن حبان من حديث ابن الشخير يقول ابن آدم: مالي مالي وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا اكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت.

(**فالتصدق بفضلات الطعام أولى من التخمة والشبع. وكان الحسن**) البصري (**رحمه الله تعالى إذا تلا قوله تعالى**) وهما الآيتان من آخر سورة الأحزاب: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً﴾ إلى آخر السورة. (**قال: عرضها الله على السموات السبع الطباق و**) السبع (**الطرائق التي زينها بالنجوم وحملة العرش العظيم فقال لها سبحانه تعالى: هل تحملين هذه الأمانة بما فيها؟ قالت: وما فيها؟ قال: إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت. فقالت: لا ثم عرضها على الأرض كذلك فأبت، ثم عرضها على الجبال الشم الشوامخ**) أي المرتفعة إلى السماء (**الصلاب الصعاب فقال لها: هل تحملين الأمانة بما فيها؟ قالت: وما فيها؟ فذكر**

على الانسان فحملها إنه كان ظلوماً لنفسه جهولاً بأمر ربه، فقد رأيناهم والله اشتروا الأمانة بأموالهم فأصابوا آلافاً فماذا صنعوا فيها؟ وسعوا بها دورهم وضيقوا بها قبورهم وأسمنوا بـراذينهم وأهزلوا دينهم وأتعبوا أنفسهم بالغدوّ والرواح إلى باب السلطان يتعرضون للبلاء وهم من الله في عافية يقول أحدهم: تبيعني أرض كذا وكذا وأزيدك كذا وكذا، يتكىء على شماله ويأكل من غير ماله، حديثه سخرة وماله حرام، حتى إذا أخذته الكظة ونزلت به البطنة قال: يا غلام ائتني بشيء أهضم به طعامي يـا لكـع اطعـامـك تهضم إنما دينك تهضم. أين الفقير أين الأرملة أين المسكين أين اليتيم الذي أمرك الله تعالى بهم؟ فهذا اشارة إلى هذه الفائدة وهو صرف فاضل الطعام إلى الفقير ليدخر به الأجر، فذلك خير له من أن يأكله حتى يتضاعف الوزر عليه. ونظر رسول الله ﷺ إلى رجل سمين البطن فأومأ إلى بطنه باصبعه وقال: « لو كان هذا في غير هذا لكان خيراً

الجزاء والعقوبة على الاحسان والإساءة. فقالت: لا. ثم عرضها على الإنسان) المراد به آدم عليه السلام **(فحملها إنه كان ظلوماً لنفسه جهولاً بامر ربه، فقد رأيناهم والله اشتروا الأمانة بأموالهم فاصابوا آلافا فماذا صنعوا فيها وسعوا بها دورهم وضيقوا بها قبورهم وسمنوا براذينهم)** وهي خيل الروم، **(وأهزلوا دينهم وأتعبوا أنفسهم بالغدوّ والرواح إلى باب السلطان)** يتعرضون بالبلاء لأن أبواب السلطان فيها فتن كمبارك الابل كما ورد في الخبر، **(وهم من الله في عافية يقول أحدهم ابغوني كذا وكذا وائتوني بكذا وكذا يتكىء على شماله ويأكل من غير ماله)** من غضب وظلم **(خدمته)** الذين يخفون به **(مسخرة)** أي أذلاء **(وماله)** الذي جمعه **(حرام حتى إذا أخذته الكظة)** وهـو بـالكسر ثقـل المعـدة بـالطعـام، **(ونزلت به البطنة)** وهي التخمة **(قال: يا غلام ائتني بشيء يهضم طعامي)** ثم خطابه وقال: **(يـا لكع)** أي يا أحمق **(اطعامك تهضم)** أي الذي تريد هضمه هو طعامك **(وإنما دينك تهضم)** أي بل تهضم دينك. **(أين الفقير أين الارملة)** هي المنقطعة التي مات أهلها. **(أين المسكين أين اليتيم الذي أمرك الله بهم؟ وهذه إشارة إلى هذه الفائدة وهي أن ما يصرف من فاضل الطعام إلى الفقير ليدخر به فذلك خير له من أن يأكله حتى يتضاعف الوزر عليه)**، فإن الحسن رحمه الله تعالى في آخر كلامه حذر وأنذر عن ترك إطعام الفقراء والمساكين، وأما ما سبق من تفسيره للآية فقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الانباري في كتاب الأضداد عن ابن عباس نحوه، وأخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الانباري عن ابن جريج نحوه، وأخرجه ابن أبي حاتم عن مجاهد نحوه، وأخرج ابن جرير عن قتادة نحوه.

(ونظر رسول الله ﷺ إلى سمين البطن فأومأ) أي أشار **(إلى بطنه بأصبعه وقال « لو كان هذا في غير هذا لكان خيراً لك » أي لو قدمته لآخرتك وآثرت به غيرك)** قال

لك » أي لو قدمته لآخرتك وآثرت به غيرك. وعن الحسن قال: والله لقد أدركت أقواماً كان الرجل منهم يمسي وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء لأكله فيقول: والله لا أجعل هذا كله لبطني حتى أجعل بعضه لله.

فهذه عشر فوائد للجوع يتشعب من كل فائدة فوائد لا ينحصر عددها ولا تتناهى فوائدها، فالجوع خزانة عظيمة لفوائد الآخرة، ولأجل هذا قال بعض السلف: الجوع مفتاح الآخرة وباب الزهد، والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة، بل ذلك صريح في الأخبار التي رويناها وبالوقوف على تفصيل هذه الفوائد تدرك معاني تلك الأخبار إدراك علم وبصيرة، فإذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع كانت لك رتبة المقلدين في الإيمان والله أعلم بالصواب.

العراقي: رواه أحمد والحاكم في المستدرك والبيهقي في الشعب من حديث جعدة الجشمي وإسناده جيد اهـ.

قلت: هو جعدة بن خالد بن الصمة الجشمي، وسماه ابن قانع جعدة بن معاوية حديثه في الجعديات، ورواه أيضاً الطيالسي وأبو يعلى والباوردي والضياء بلفظ: فطعن بطنه بأصبعه وقال « لو كان بعض هذا في غير هذا لكان خيراً لك ».

(وعن الحسن) البصري رحمه الله تعالى، **(قال: والله لقد أدركت أقواماً إن كان الرجل منهم ليمشي وعنده من الطعام ما يكفيه، ولو شاء لأكله فيقول: والله لا أجعل هذا كله لبطني حتى أجعل بعضه لله)** فيتصدق منه.

(فهذه عشر فوائد للجوع تتشعب من كل فائدة فوائد لا ينحصر عددها ولا تتناهى فوائدها) لكثرتها، **(فالجوع خزانة عظيمة لفوائد الآخرة)** تجمعها **(ولأجل هذا قال بعض السلف: الجوع مفتاح الآخرة، وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة)** قال القشيري في الرسالة: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت محمد بن علي العلوي يقول: سمعت علي بن إبراهيم القاضي بدمشق يقول: سمعت محمد بن علي بن خلف يقول: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: سمعت أبا عثمان الداراني يقول: مفتاح الدنيا الشبع ومفتاح الآخرة الجوع اهـ.

وأما قوله: الجوع باب الزهد والشبع باب الرغبة فقد ذكره صاحب القوت في أثناء كلام، **(بل ذلك صريح في الأخبار، التي رويناها وبالوقوف على تفصيل هذه الفوائد تدرك معاني تلك الأخبار إدراك علم وبصيرة وترتقي من رتبة إدراك الإيمان فإذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع كانت لك مرتبة المقلدين في الإيمان، والله أعلم)**

بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن:

اعلم أن على المريد في بطنه ومأكوله أربع وظائف.

الأولى: أن لا يأكل إلا حلالاً فإن العبادة مع أكل الحرام كالبناء على أمواج البحار، وقد ذكرنا ما تجب مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام، وتبقى ثلاث وظائف خاصة بالأكل وهو تقدير قدر الطعام في القلة والكثرة، وتقدير وقته في الابطاء والسرعة، وتعيين الجنس المأكول في تناول المشتهيات وتركها.

أما الوظيفة الأولى: في تقليل الطعام فسبيل الرياضة فيه التدريج، فمن اعتاد الأكل الكثير وانتقل دفعة واحدة إلى القليل لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته، فينبغي أن يتدرج إليه قليلاً قليلاً، وذلك بأن ينقص قليلاً قليلاً من طعامه المعتاد، فإن كان يأكل رغيفين مثلاً وأراد أن يرد نفسه إلى رغيف واحد فينقص كل يوم ربع سبع رغيف، وهو أن ينقص جزءاً من ثمانية وعشرين جزءاً أو جزءاً من ثلاثين جزءاً، فيرجع إلى رغيف في شهر، ولا يستضر به ولا يظهره أثره. فإن شاء فعل ذلك بالوزن، وإن

بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن:

(أعلم أن على المريد في بطنه ومأكوله أربع وظائف) الوظيفة

(الأولى: أن لا يأكل إلا حلالاً فالعبادة مع أكل الحرام) لا تثبت فهي **(كالبناء على أمواج البحار)** أو على شفا جرف هار **(وقد ذكرنا ما تجب مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام)** فاستغنينا عن ذكره هنا **(وتبقى ثلاث وظائف خاصة بالأكل وهو تقدير قدر الطعام في القلة والكثرة وتقدير وقته في الإبطاء والسرعة وتعيين الجنس المأكول في تناول المشتهيات وتركها.**

(أما الوظيفة الأولى:) من هذه الوظائف الثلاث **(في تقليل الطعام وسبيل الرياضة فيه التدريج، فمن اعتاد الأكل الكثير وانتقل دفعة واحدة إلى القليل لم يحتمله مزاجه وضعف)** حاله **(وعظمت مشقته، واشتدت بليته فينبغي أن يتدرج إليه قليلاً قليلاً، وذلك بأن ينقص قليلاً قليلاً من طعامه المعتاد)** عليه، **(فإن كان يأكل)** كل يوم **(رغيفين مثلاً وأراد أن يرد نفسه إلى رغيف واحد فينقص في كل يوم ربع سبع رغيف، وهو أن ينقص جزءاً من ثمانية وعشرين جزءاً أو جزءاً من ثلاثين جزءاً فيرجع إلى رغيف في شهر)** برياضة وتمهل **(ولا يستضربه ولا يظهر أثره)** أي أثر النقصان **(عليه، فإن شاء فعل ذلك بالوزن)** بأن يعيره بعود رطب وينقص كل ليلة بقدر نشاف العود، **(وإن شاء بالمشاهدة**

شاء بالمشاهدة فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقصه عما أكله بالأمس، ثم هذا فيه أربع درجات

أقصاها: أن يرد نفسه إلى قدر القوام الذي لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين، وهو اختيار سهل التستري رحمة الله عليه إذ قال: إن الله استعبد الخلق بثلاث، بالحياة والعقل والقوة، فإن خاف العبد على اثنتين منها وهي الحياة والعقل أكل وأفطر إن كان صائماً، وتكلف الطلب إن كان فقيراً، وإن لم يخف عليهما بل على القوّة قال: فينبغي أن لا يبالي ولو ضعف حتى صلى قاعداً، ورأى أن صلاته قاعداً مع ضعف الجوع أفضل من صلاته قائماً مع كثرة الأكل وسئل سهل عن بدايته وما كان يقتات به. فقال: كان قوتي في كل سنة ثلاثة دراهم، كنت آخذ بدرهم دبساً، وبدرهم دقيق الأرز، وبدرهم سمناً وأخلط الجميع وأسوّي منه ثلاثمائة وستين أكرة آخذ في كل ليلة أكرة أفطر عليها فقيل له: فالساعة كيف تأكل؟ قال: بغير حد ولا توقيت. ويحكى

فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقصه عما أكله بالأمس وهذا فيه أربع درجات).

(**أقصاها: أن يرد نفسه إلى قدر القوام الذي لا يبقى دونه**) والمراد بالقوام الضرورة من القوت وهو ما سدّ الجوعة وأعان على أداء الفرائض (**وهو اختيار أبي محمد سهل**) بن عبد الله (**التستري**) رحمه الله تعالى (**إذ قال: إن الله استعبد الخلق بثلاث: بالحياة والعقل والقوة فإن خاف العبد على اثنتين منها وهي الحياة والعقل أكل وأفطر إن كان صائماً وتكلف الطلب إن كان فقيراً وإن لم يخف عليهما بل على القوة قال: فينبغي أن لا يبالي ولو ضعف حتى صلى قاعداً ورأى أن صلاته قاعداً مع الجوع أفضل من صلاته قائماً مع كثرة الأكل**) فعلم من هذا أن المحافظة على العقل مقدمة على محافظة القوة فإن لم يصلح عقل المريد بالخبز البحت فلا بأس أن يأتدم ببعض الأدهان، وقد كان سهل رحمه الله تعالى يقول للمتقللين من أهل عبادان: احفظوا عقولكم وتعاهدوها بالأدهان والدسم فإنه ما كان ولي الله ناقص العقل. (**وسئل سهل**) رحمه الله تعالى (**عن بدايته وما كان يقتات به**) ولفظ القوت: وقد حدثني الحسن بن يحيى البستي عن أحمد بن مسروق قال: لقيت سهل بن عبد الله فلما دخلت عليه بش بي وقبلني وكان له فيّ إرادة، ولذلك قلت له: أحب أن تصف لي بدايتك وما كنت تتقوت به، (**فقال: كان قوتي في كل سنة ثلاثة دراهم كنت آخذ بدرهم دبساً وبدرهم دقيق الأرز وبدرهم سمناً وأخلط الجميع وأسوي منه بنادق ثلاثمائة وستين أكرة آخذ كل ليلة أكرة أفطر عليها، فقيل له: فالساعة**) ولفظ القوت: فقلت له الساعة (**كيف**) تعمل؟ (**قال: آكل بغير حد ولا توقيت**) وفيه إشارة إلى أن العارف إذا بلغ درجة الصديقين سقط عنه الحد والتوقيت في الأقوات، ثم أنه تقدم للمصنف قريباً أن سهلاً كان في بدايته وهو في تستر يشتري له الفرق من

عن الرهابين أنهم قد يردون أنفسهم إلى مقدار درهم من الطعام.

الدرجة الثانية: أن يرد نفسه بالرياضة في اليوم والليلة إلى نصف مد وهو رغيف وشيء مما يكون الأربعة منه مناً. ويشبه أن يكون هذا مقدار ثلث البطن في حق الأكثرين ـ كما ذكر النبي ﷺ ـ وهو فوق اللقيمات لأن هذه الصيغة في الجمع للقلة فهو

الشعير بدرهم ويعمل منه ثلاثمائة وستين رغيفاً فيفطر كل ليلة على رغيف وذكر صاحب القوت أيضاً في موضع آخر من كتابه ما لفظه: وحدثونا عن سهل أنه سئل كيف كان في بدايته فاخبر بضروب من الرياضات: منها كان يقتات ورق النبق مدة، ومنها أنه أكل دقاق التبن ثلاث سنين، ثم ذكر أنه اقتات ثلاثة دراهم في ثلاث سنين، قيل: وما هو؟ قال: كنت أشتري في كل سنة بدانقين تمراً وأربعة دوانق كسباً ثم أعجنها عجنة واحدة ثم أخبزها ثلاثمائة وستين كبة أفطر كل ليلة على كبة. قال: فقلت له فكيف أنت في وقتك هذا؟ قال: آكل بلا حد ولا توقيت اهـ ولعل باعتبار الأوقات والأحوال.

(**وحكي عن بعض الرهابين**) جمع رهبان جمع راهب وهو عابد الدير (**إنهم قد يردون أنفسهم إلى قدر درهم من الطعام**) وهذا كما فعل سهل رحمه الله تعالى في الرواية الثانية.

(**الدرجة الثانية: أن يرد نفسه بالرياضة في اليوم والليلة إلى نصف مد**) والمد هو رطل وثلث بالبغدادي عند أهل الحجاز فهو ربع صاع لأن الصاع خمسة أرطال وثلث. وعند أهل العراق المد رطلان كما في المصباح، (**وهو رغيف وشيء**) إذا كان كل رغيف نصف رطل وشيئاً (**مما يكون الأربعة منه مناً**) بالتشديد وهو لغة تميم وهو ما يوزن به رطلان لكن يزيد ثلثين ونصف ثلث إذ نصف المد هو نصف رطل ونصف الثلث فتأمل. (**ويشبه أن يكون هذا مقدار ثلث البطن في حق الأكثرين كما ذكر النبي ﷺ**) ثلث للطعام وثلث الشراب وثلث للنفس، (**وهو فوق اللقيمات**) لأنه ﷺ قال: «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطن» فدل على أن ما نقص من ملء البطن فهو خير، ثم قال: «حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه» ثم ترقى فقال: «وإن كان ولا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس». فعلم من ذلك أنه رتبة فوق رتبة اللقيمات (**لأن هذه الصيغة في الجمع**) بالألف والتاء (**للقلة وهو لما دون العشرة**) من العدد، وفيه أيضاً مع التقليل التصغير لأن لقيمة تصغير لقمة وفي القوت معنى الحديث فثلث للطعام أن يأكل شبعه المعتاد فيصير ثلث الشبع قوام الجسم باعتياد ثان، كما كان ملء البطن من الشبع هو العادة الأولى، وثلث الشبع هو ثمان أواق. فهذا على معنى الخبر الآخر: طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وفي هذا خمسة أوجه. قال بعض علمائنا البصريين: طعام الواحد شبعاً يكفي الاثنين قوتاً، وطعام الاثنين شبعاً يكفي الأربعة قوتاً، ومنهم من قال: طعام المسلم يكفي مؤمنين وطعام مسلمين يكفي أربعة من خصوص المؤمنين، ويجوز أن يكون طعام الواحد من المنافقين يكفي المسلمين على معنى قوله ﷺ: «المؤمن يأكل في معي واحد والمنافق في سبعة أمعاء»

لما دون العشرة، وقد كان ذلك عادة عمر رضي الله عنه إذ كان يأكل سبع لقم أو تسع لقم.

الدرجة الثالثة: أن يردها إلى مقدار المد وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الأكثرين، ويكاد ينتهي إلى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شيء للذكر. وفي بعض الألفاظ «ثلث للذكر» بدل قوله «للنفس».

الدرجة الرابعة: أن يزيد على المدّ إلى المنّ ويشبه أن يكون ما وراء المن إسرافاً مخالفاً لقوله تعالى: ﴿ولا تسرفوا﴾ [الأعراف: ٣١] أعني في حق الأكثرين، فإن مقدار الحاجة إلى الطعام يختلف بالسن والشخص والعمل الذي يشتغل به. وههنا طريق خامس

ويصلح أن يكون معناه طعام الواحد من الصناع المتصرفين في المعايش يكفي اثنين ممن هو قاعد لا يتصرف، ويصلح أيضاً طعام واحد من المفطرين يكفي طعام صائمين، وفي الخبر: إنْ عمر حين قال لابن مسعود وأبي موسى رضي الله عنهم في قصة المرتد الذي قتلاه قبل أن يستتيباه ويحكم ألا طينتم عليه بيتاً وألقيتم إليه كل يوم رغيفاً ثلاثة أيام، فلعله أن يتوب أو يرجع إلى الإسلام. اللهم إني أبرأ ولم أعلم ولم أرض إذ بلغني فدل بهذا أن في رغيف كفاية كل يوم وثلاثة أرغفة عندنا بالحجاز رطل لأن الرطل المكي عدد ستة أقراص منذ ذلك إلى يومنا هذا فيكون رغيفان ثماني أواق. فهذه كما قلناه أن ثمان أواق ثلث الشبع لقوله: ثلث طعام بعد قوله لقيمات جمع لما دون العشرة، (**وكان ذلك عادة عمر رضي الله عنه**) فما ذكرنا مواطىء لفعله (**أي**) روي أنه (**كان يأكل سبع لقم أو تسع**) لقم.

(**الدرجة الثالثة**): أن يردها بالرياضة والتدريج (**إلى مقدار المد**) وهو رطل وثلث بالبغدادي عند أهل الحجاز كما تقدم، (**وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الأكثرين، ويكاد ينتهي إلى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شيء للذكر، و**) جاء (**في بعض الألفاظ**) من الحديث المذكور: (**ثلث للذكر بدل قوله للنفس**) هكذا، أورده صاحب القوت قال: فدل أيضاً على أن ملء البطن يمنع من الذكر وما منع من الذكر فهو شر. قال الله تعالى: ﴿والله خير وأبقى﴾ ورواية هذا اللفظ أغفلها العراقي.

(**الدرجة الرابعة: أن يزيد في المد حتى يبلغ إلى المن وهو ما يكال به رطلان ويشبه أن يكون ما وراء المن اسرافاً مخالفاً لقوله تعالى**) ﴿كلوا واشربوا (**ولا تسرفوا**) إنه لا يحب المسرفين﴾ [الأعراف: ٣١] (**أعني في حق الأكثرين**) وفي القوت: أكل أربعة أرغفة كل يوم سرف ورغيفين قتر وثلاثة أرغفة قوام حسن. وهذا أعدل الأقوات، (**فإن مقدار الحاجة إلى الطعام يختلف بالسن والشخص والعمل الذي يشتغل به**) فإن الشاب الجلد تدعوه نفسه إلى الطعام أكثر من الشيخ الفاني، وكذلك الرجل السمين اللحيم ليس له صبر على الجوع بخلاف

لا تقدير فيه ولكنه موضع غلط، وهو أن يأكل إذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على شهوة صادقة بعد، ولكن الأغلب أن من لم يقدر لنفسه رغيفاً أو رغيفين فلا يتبين له حد الجوع الصادق، ويشتبه عليه ذلك بالشهوة الكاذبة.

وقد ذكر للجوع الصادق علامات إحداها: أن لا تطلب النفس الأدم بل تأكل الخبز وحده بشهوة أي خبز كان، فمهما طلبت نفسه خبزاً بعينه أو طلبت أدماً فليس ذلك بالجوع الصادق. وقد قيل: من علامته أن يبصق فلا يقع الذباب عليه أي لم يبق فيه دهنية ولا دسوسة فيدل ذلك على خلوّ المعدة، ومعرفة ذلك غامض. فالصواب للمريد

النحيف الهزيل، وكذلك الأعمال والصنائع تختلف فمنها ما هو داع إلى كثرة الحاجة إلى الطعام (**وههنا طريق خامس لا تقدير فيه ولكنه موضع غلط**) واشتباه على أكثر الناس، (**وهو أن يأكل إذا صدق جوعه**) واشتهت إلى الطعام نفسه وترامت عليه (**ويقبض يده**) عن الطعام (**وهو على شهوة صادقة بعد، ولكن الأغلب إن من لم يقدر لنفسه رغيفاً أو رغيفين فلا يتبين له حد الجوع الصادق ويشتبه عليه ذلك بالشهوة الكاذبة**) والفرق بين الصادقة منها والكاذبة أن الصادقة ما يختل البدن بدونه والكاذبة ما لا يختل بدونه.

(**وقد ذكر للجوع الصادق علامات. إحداها: إن لا تطلب النفس الأدم مع الخبز بل يأكل الخبز وحده بشهوة أي خبز كان، فمهما طلبت نفسه خبزاً بعينه أو أدماً فليس ذلك بالجوع الصادق**) اعلم أن للجوع حداً من الأوقات وحداً في الأقوات، فحد الجوع الأول من الوقت إلى مثله كالبعد أربعة وعشرون ساعة، وحده الآخر اثنتان وسبعون ساعة، وأما في الأقوات فحده الأول أن لا تطلب النفس الأدام، فإذا طلبت فليس جائعاً. فهذا حده الأول، وحده الثاني أن لا تطلب الخبز ولا تميز بينه وبين غيره، فمتى تاقت النفس إلى الخبز بعينه فليس جائعاً لأن لها شهوة في التخير، ومتى لم تميز بين خبز وغيره فهذا هو الجوع الصادق وهو الفاقة والحاجة إلى الطعام الذي جعله الله غذاء للأجسام وهذا يكون في آخر الحدين من الأوقات بعد الثلاث إلى سبع وخمس، ويكون طلب العبد عند هذا الجوع القوام من العيش والضرورة من القوت وهو ما سد الجوعة وأعان على أداء الفرائض وهذا حال الصديقين.

(**وقد قيل من علامته**) ولفظ القوت: وقد سمعت بعض هذه الطائفة يقول: حد الجوع (**أن يبصق**) العبد (**فلا يقع الذباب عليه**) أي على بزاقه (**أي لا يبقى فيه دهنية ولا دسومة فيدل ذلك على خلو المعدة**) ولفظ القوت: فإن لم يقع على بزاقه ذباب فقد خلت معدته عن الطعام يريد أن بزاقه قد خلا من الدسومة والدهنية وصار صافياً. مثل: الماء فلا يسقط عليه الذباب مع لطف حاسته التي ركبت فيه وخفي إدراكه لما يقع عليه وقد ذكره صاحب العوارف أيضاً هكذا، (**ومعرفة ذلك غامض**) أي خفي، (**فالصواب للمريد أن يقدر مع نفسه**

أن يقدر مع نفسه القدر الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو بصددها، فإذا انتهى إليه وقف وإن بقيت شهوته.

وعلى الجملة؛ فتقدير الطعام لا يمكن لانه يختلف بالاحوال والأشخاص. نعم: قد كان قوت جماعة من الصحابة صاعاً من حنطة في كل جمعة فإذا أكلوا التمر اقتاتوا منه صاعاً ونصفاً، وصاع الحنطة أربعة أمداد، فيكون كل يوم قريباً من نصف مد ـ وهو ما ذكرنا أنه قدر ثلث البطن ـ واحتيج في التمر إلى زيادة لسقوط النوى منه، وقد كان أبو ذر رضي الله عنه يقول: طعامي في كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله ﷺ. والله لا أزيد عليه شيئاً حتى ألقاه فإني سمعته يقول: «أقربكم مني مجلساً يوم القيامة وأحبكم إليّ من مات على ما هو عليه اليوم». وكان يقول في إنكاره على بعض

القدر الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو بصددها فإذا انتهى إليه وقف وإن بقيت شهوته، وعلى الجملة فتقدير الطعام لا يمكن لأنه يختلف بأختلاف الأحوال والأشخاص) كما ذكرنا (**نعم وقد كان قوت جماعة**) من الصحابة رضوان الله عليهم (**صاع من حنطة في كل جمعة، فإذا أكلوا التمر اقتاتوا صاعاً ونصفاً**) نقله صاحب القوت، (**وصاع الحنطة أربعة أمداد فيكون كل يوم قريباً من نصف مد وهو ما ذكرنا أنه قدر ثلث البطن، واحتيج في التمر إلى زيادة لسقوط النوى منه، وقد كان أبو ذر**) الغفاري (رضي الله عنه **يقول: طعامي في كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله ﷺ لا أزيد عليه شيئاً حتى ألقاه، فإني سمعته يقول: «أقربكم مني منزلاً يوم القيامة وأحبكم إلي من مات على ما هو عليه اليوم»**) هكذا أورده صاحب القوت. قال العراقي: رواه أحمد في كتاب الزهد، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية دون قوله: «وأحبكم إلي» اهـ.

قلت: أما قوله: كان قوتي الخ فقد أخرجه أيضاً أبو نعيم في الحلية دون قوله: «من شعير» وهذا لفظه: حدثنا محمد بن علي بن حبيش، حدثنا يوسف بن موسى بن عبدالله المروزي، حدثنا عبدالله بن حنيف، حدثنا يوسف بن أسباط، حدثنا سفيان الثوري أراه عن حبيب بن حسان، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: كان قوتي على عهد رسول الله ﷺ صاعاً فلا أزيد عليه حتى ألقاه، وقال أيضاً: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا عبدالله بن أحمد، حدثنا أبي، حدثنا أبو معاوية الضرير، حدثنا الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قيل له: ألا تتخذ ضيعة كما اتخذ فلان وفلان؟ قال: وما أصنع بأن أكون أميراً وإنما يكفيني كل يوم شربة من ماء أو لبن وفي الجمعة قفيز من قمح. قلت: والقفيز مكيال وهو ثمانية مكاكيك، والمكوك صاعان ونصف وهو أيضاً ثلاث كيلجات، والكيلجة منّ وسبعة أثمان منّ.

الصحابة: قد غيرتم ينخل لكم الشعير ولم يكن ينخل، وخبزتم المرقق وجمعتم بين ادامين واختلف عليكم بألوان الطعام، وغدا أحدكم في ثوب وراح في آخر، ولم تكونوا هكذا على عهد رسول الله ﷺ، وقد كان قوت أهل الصفة مداً من تمر بين اثنين في كل يوم، والمد: رطل وثلث ويسقط منه النوى وكان الحسن رحمة الله عليه يقول: المؤمن مثل العنيزة يكفيه الكف من الحشف والقبضة من السويق والجرعة من الماء، والمنافق مثل السبع الضاري بلعاً بلعاً وسرطاً سرطاً لا يطوي بطنه لجاره ولا يؤثر أخاه بفضله وجهوا هذه

وأما الحديث المرفوع فقد قال أبو نعيم: حدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد حدثني أبي، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا محمد بن عمر وقال: سمعت عراك بن مالك يقول: قال أبو ذرّ: إني لأقربكم مجلساً من رسول الله ﷺ يوم القيامة، وذلك أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أقربكم مني مجلساً يوم القيامة من خرج من الدنيا كهيئة ما تركته فيها والله ما منكم من أحد إلا وقد تشبث بشيء منها غيري».

(**وكان**) رضي الله عنه (**يقول في**) بعض (**إنكاره على بعض الصحابة قد غيرتم**) أي السنة (**نخل لكم الشعير**) أي دقيقه (**ولم يكن ينخل**) بل ينفخ فما طار منه بالنفخ وما لم يطرأ بقي، (**وخبزتم المرقق**) أي الخبز الرقاق، (**وجمعتم بين أدمين، واختلف عليكم بالوان الطعام وغدا أحدكم في ثوب وراح في آخر، ولم تكونوا هكذا على عهد رسول الله ﷺ**) نقله صاحب القوت، وإنكار أبي ذر رضي الله عنه على أهل عصره وأمره إياهم بالمعروف والصدع بالحق مشهور، فإنه كان يقول ولا يبالي في الله لومة لائم، فلما لم يمكنه وضج منه الناس أمره عثمان رضي الله عنه بالخروج إلى الربذة فخرج إليها حتى مات بها رضي الله عنه، (**وقد كان قوت أهل الصفة**) وهم جماعة من فقراء الصحابة لم يكن لهم موضع يأوون إليه فكانوا يأوون إلى صفة المسجد (**مداً من تمر بين اثنين في كل يوم**) نقله صاحب القوت. قال العراقي: رواه الحاكم وصحح إسناده من حديث طلحة النصري اهـ.

قلت: هو طلحة بن عمرو النصري بالنون له صحبة روى عنه حرب بن أبي الأسود.

(**والمد رطل وثلث**) بالبغدادي عند أهل الحجاز كذا في القوت، (**ويسقط منه النوى، وكان الحسن**) البصري رحمه الله تعالى (**يقول: المؤمن مثل الغنيمة**) تصغير غنم ولفظ القوت مثل العنيزة (**يكفيه الكف من الحشف**) وهو محرك التمر الرديء (**والقبضة من السويق والجرعة من الماء، والمنافق مثل السبع الضاري**) أي اللهج بأكل اللحم (**بلعاً بلعاً**) أي يبلع في حلقومه بلعاً كثيراً (**وسرطاً سرطاً**) أي يزدرد في حلقه إزدراداً كثيراً (**لا يطوي بطنه على الجوع لجاره**) أي لأجل جاره بأن يأخذ من طعامه فيعطيه، (**ولا يؤثر أخاه**) المؤمن (**بفضله**) أي ما فضل منه من الطعام (**وجهوا هذه الفضول أمامكم**) كذا نقله صاحب القوت. (**وقال**) أبو محمد (**سهل**) التستري رحمه الله تعالى: (**لو كانت الدنيا دماً عبيطاً**)

الفضول أمامكم. وقال سهل: لو كانت الدنيا دماً عبيطاً لكان قوت المؤمن منها حلالاً لأن أكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط.

الوظيفة الثانية: في وقت الأكل ومقدار تأخيره وفيه أيضاً أربع درجات.

الدرجة العليا: أن يطوي ثلاثة أيام فما فوقها وفي المريدين من رد الرياضة إلى الطيّ لا إلى المقدار حتى انتهى بعضهم إلى ثلاثين يوماً وأربعين يوماً، وانتهى إليه جماعة من العلماء يكثر عددهم منهم: محمد بن عمرو القرني، وعبد الرحمن بن إبراهيم دحيم،

بالعين المهملة أي طرياً خالصاً لا خلطة فيه (**لكان قوت المؤمن منه حلالاً**) نقله صاحب القوت قال: وظن بعضهم أن هذا من كلامه ﷺ، وهو خطأ إنما هو من كلام إمامنا سهل التستري، (**لأن أكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط**) وقال الحافظ السخاوي في المقاصد: هذا الكلام لا يعرف له إسناده ولكن معناه صحيح فإن الله لم يحرم على المؤمن ما يضطر إليه من غير معصية. وفي القوت: وقد سئل سهل رحمه الله تعالى عن قوت المؤمن. قال: قوته الله. قال: سألت عن قوامه، فقال: الذكر. قال: إنما سألت عن غذائه. قال غذاؤه العلم. قال: سألت عن طعمة الجسم. قال: مالك وللجسم دع الجسم إلى من تولاه قديماً يتولاه الآن. وكان رحمه الله تعالى يقول: القوت للمؤمنين والقوام للصالحين والضرورة للصديقين.

(**الوظيفة الثانية: في وقت الأكل ومقدار تأخيره وفيه أربع درجات**).

(**الدرجة العليا: أن يطوي ثلاثة أيام فما فوقها سبعة وعشرة وخمسة عشر**) يوماً. وصاحب هذه الدرجة لا يعرض للأقوات ولكن يعمل في زيادة الأوقات فيؤخر أكله وقتاً بعد وقت حتى ينتهي إلى أكثر طاقة النفس لحمل الجوع بضعف الجسم عن الفرض أو خشية اضطراب العقل، فمن أراد هذه الطريق اخر فطره كل ليلة إلى نصف سبع الليل، وقد يكون قد طوى ليلة في نصف شهر، وهذا طريق من أراد الطي المذكور لأنه يعمل في تجوعه على مزيد الأيام ولا يعمل في نقصان الطعام فلا يؤثر ذلك نقصاً في عقله ولا ضعفاً عن أداء فرضه إذا كان على صحة قصد وبحسن نية وصدق عقد، فإنه يعان على ذلك ويحفظ فيه ويكون طعمه إذا أكل عند كل وقت يزيد فيه وينقص ضرورة عن غير تعمل لنقصانه لأن معناه يضيق لا محالة، فكلما زاد جوعه نقص أكله على هذا إلى أن ينتهي في الجوع وينتهي في قلة الطعم ولا تنال فضيلة الجوع التي وردت في الأخبار السابقة إلا بالطيّ وإليه الإشارة بقول المصنف: (**وفي المريد من رد الرياضة إلى الطي لا إلى المقدار حتى انتهى إلى ثلاثين يوماً وأربعين**) يوماً (**أيضاً وانتهى إليه**) أي إلى ثلاثين وأربعين (**جماعة من العلماء يكثر عددهم**) ولفظ القوت: وممن اشتهر بالطي وكثرة التقلل عنه بذلك الخمسة عشر يوماً إلى العشرين إلى شهر جماعة من العلماء يكثر عددهم، (**منهم محمد بن عمرو العرني**) هكذا في النسخ بضم العين المهملة، وفتح الراء وكسر النون وفي بعض نسخ القوت العوفي وفي تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر محمد بن عمرو بن حجاج الغزي صدوق مات سنة

وإبراهيم التيمي وحجاج بن فرافصة، وحفص العابد المصيصي، والمسلم بن سعيد، وزهير، وسليمان الخوّاص، وسهل بن عبدالله التستري، وابراهيم بن أحمد الخوّاص، وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يطوي ستة أيام، وكان عبد الله بن الزبير يطوي سبعة أيام، وكان أبو الجوزاء صاحب ابن عباس يطوي سبعاً. وروي أن الثوري وإبراهيم بن أدهم كانا يطويان ثلاثاً ثلاثاً كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة. قال بعض العلماء: من طوى لله أربعين يوماً ظهرت

ثمانين ومائتين ورسم عليه بعلامة الدال على أنه من رجال أبي داود. ولم يذكره الذهبي في الكاشف، (وعبد الرحمن بن إبراهيم) بن عمرو بن ميمون القرشي أبو سعيد الدمشقي لقبه (دحيم) مصغراً ويعرف أيضاً بابن اليتيم مولى آل عثمان بن عفان قاضي الأردن وفلسطين، قدم بغداد سنة اثنتي عشرة ومائتين، فحدث بها وكان ينتحل في الفقه مذهب الأوزاعي، وقدم مصر فكتب بها وكتب عنه وهو وهو ثقة حافظ ثبت، ولد في شوّال سنة ١٧٠ وتوفي بالرملة سنة ٢٤٥ روى عنه البخاري، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه. (وإبراهيم) بن يزيد بن شريك (التيمي) تيم الرباب أبو أسماء الكوفي كان من العباد ثقة صالح الحديث. قال الأعمش: سمعت إبراهيم التيمي يقول: إني لأمكث ثلاثين يوما لا آكل قتله الحجاج ولم يبلغ أربعين سنة روى له الجماعة. (وحجاج بن فرافصة) بضم الفاء الأولى وكسر الثانية بعدها صاد مهملة الباهلي المصري صدوق عابد، روى له أبو داود والنسائي. وقال القشيري في الرسالة: سمعت أبا عبد الله الشيرازي يقول: حدثنا محمد بن بشير، حدثنا الحسين بن منصور. حدثنا داود بن معاذ سمعت مجاهداً يقول: كان الحجاج بن فرافصة معنا بالشام فمكث خمسين ليلة لا يشرب الماء ولا يشبع من شيء يأكله (وحفص العابد المصيصي والمسلم بن سعد) وفي بعض النسخ بن سعيد، (وزهير) بن نعيم البابي السلولي، أبو عبد الرحمن السجستاني نزيل البصرة عابد مات بعد المائتين روى له داود في كتاب المسائل له، (وسليمان الخواص) وأبو محمد (سهل بن عبد الله التستري) وقد تقدم عنه ما يدل على ذلك، (و) أبو إسحاق (إبراهيم بن أحمد الخواص) من أقران الجنيد مات بالري سنة ٢٩١ هكذا سرد هؤلاء الأربعة صاحب القوت، ثم قال: (وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يطوي ستة أيام، وكان عبد الله بن الزبير) رضي الله تعالى عنه (يطوي سبعة أيام، وكان أبو الجوزاء) أوس بن عبد الله الربعي محركة ثقة من قراء أهل البصرة روى له الجماعة (يطوي سبعاً، وكان صاحب ابن عباس) وقد تكلم في سماعه عن عائشة، (وروي أن) سفيان (الثوري وإبراهيم بن أدهم كانا يطويان ثلاثاً ثلاثاً) زاد صاحب القوت: وقد رأينا من كان يطوي تسعاً وخمساً وكثيراً ممن كان يطوي ثلاثاً. (كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة).

قال السهروردي في العوارف: واشتهر حال جدنا محمد بن عبد الله المعروف بعمرويه، وكان صاحب أحمد الأسود الدينوري أنه كان يطوي أربعين يوماً وأقصى ما بلغ في هذا المعنى من الطي

له قدرة من الملكوت أي كوشف ببعض الأسرار الإلهية ، وقد حكي أن بعض أهل هذه الطائفة مرّ براهب فذاكره بحاله وطمع في اسلامه وترك ما هو عليه من الغرور ، فكلمه

رجل أدركنا زمانه وما رأيته كان بأبهر يقال له زاهد خليفة كان يأكل في كل شهر لوزة ولم يسمع أن أحداً بلغ في هذه الأمة بالطي والتدريج إلى هذا الحد ، فكان في أول مرة على ما حكى ينقص القوت بنشاف العود ثم يطوي حتى انتهى إلى اللوزة في الأربعين ، فقد يسلك في هذه الطريق جمع من الصادقين وقد يسلك غير الصادق هذا الوجود هوى مستكن في باطنه يهون عليه ترك الأكل إذا كان له استحلاء نظر الخلق ، وهذا عين النفاق نعوذ بالله من ذلك . والصادق ربما يقدر على الطي إذا لم يعلم بحاله أحد ، وربما يضعف إذا علم بأنه يطوي فإن صدق في الطي ونظره إلى من يطوي لأجله يهون عليه الطي ، فإذا علم به أحد تضعف عزيمته في ذلك . وهذه علامة الصادق ، فهما أحس في نفسه أن يحب أن يرى بعين التقلل ، فليتهم نفسه ، فإن فيه شائبة نفاق . ومن يطوي لله خالصاً يعوضه الله تعالى فرحاً في باطنه ينسيه الطعام ، وقد لا ينسى الطعام لامتلاء قلبه بالأنوار يقوي جاذب الروح الروحاني فيجذبه إلى مركزه ومستقره من العالم الروحاني ويقفو بذلك عن أرض الشهوة النفسانية ، ومن آثر جاذب الروح إذا تخلف عنه جاذب النفس عند كمال طمأنيتها وانعكاس أنوار الروح عليها بواسطة القلب المستنير بأقل من جاذب المغناطيس للحديد إذ المغناطيس يجذب الحديد لروح في الحديد مشاكل للمغناطيس يجذبه بنسبته الجنسية الخاصة ، فإذا تجنس النفس بعكس نور الروح الواصل إليها بواسطة القلب يصير في النفس روح استمدها القلب من الروح وأداها إلى النفس فيجذب الروح النفس بجنسية الروح الحادث فيه فيزدري الأطعمة الدنيوية والشهوات الحيوانية ، ويتحقق بمعنى قول رسول الله ﷺ أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني ولا يقدر على ما ذكرناه إلا عبد تصير أعماله وأقواله وسائر أحواله ضرورة ، فيتناول من الطعام أيضاً ضرورة ولو تكلم مثلاً بكلمة من غير ضرورة التهب فيه نار الجوع التهاب الحلفاء بالنار ، لأن النفس الراقدة تستيقظ بكل ما يوقظها ، وإذا استيقظت نزعت إلى هواها ، فالعبد المراد بهذا إذا فطن بسياسة النفس ورزق العلم سهل عليه الطي ، وتداركته المعونة من الله تعالى لاسيما إن كوشف بشيء من المنح الإلهية ، وقد حكى لي فقير أنه اشتد به الجوع وكان لا يطلب ولا يتسبب قال : فلما انتهى جوعي إلى الغاية بعد أيام فتح علي بتفاحة . قال : فتناولت التفاحة وقصدت أكلها ، فلما كسرتها كوشفت بحوراء نظرت إليها عقب كسر التفاحة ، فحدث عندي من الفرح بذلك ما استغنيت به عن الطعام أياماً .

(**وقال بعض العلماء**) ولفظ القوت : وقد كان بعض العلماء يقول والمراد به سهل التستري كما صرح به صاحب العوارف : (**من طوى لله أربعين يوماً**) أي من الطعام (**ظهرت له قدرة من الملكوت أي كوشف ببعض الأسرار الإلهية**) وكان يقول أيضاً لا يبلغ العبد حقيقة الزهد الذي لا شوبة فيه إلا بمشاهدة قدرة من غيب الملكوت نقله صاحب القوت والعوارف ، (**وقد حكى أن بعض أهل هذه الطائفة**) من الصوفية (**مر براهب**) في دير له ، (**فذاكره بحاله**

في ذلك كلاماً كثيراً إلى أن قال في الراهب: إن المسيح كان يطوي أربعين يوماً وإن ذلك معجزة لا تكون إلا لنبي أو صديق، فقال له الصوفي، فإن طويت خمسين يوماً تترك ما أنت عليه وتدخل في دين الإسلام وتعلم انه حق. وأنك على باطل؟ قال: نعم فجلس لا يبرح إلا حيث يراه حتى طوى خمسين يوماً ثم قال: وأزيدك أيضاً فطوى إلى تمام الستين، فتعجب الراهب منه وقال: ما كنت أظن أن أحداً يجاوز المسيح؟ فكان ذلك سبب اسلامه. وهذه درجة عظيمة قلّ من يبلغها إلا مكاشف محمول شغل بمشاهدة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى نفسه في لذته وأنساه جوعته وحاجته.

وطمع في إسلامه وترك ما هو عليه من الغرور، فكلمه في ذلك كلاماً كثيراً إلى أن قال له الراهب: إن المسيح كان يطوي أربعين يوماً وأن ذلك معجزة لا تكون إلا لنبي أو صديق) ولفظ القوت: وإنما نعتقد إعجاز هذا وأنه لا يكون إلا لنبي، (**فقال له الصوفي: إن طويت خمسين يوماً تركت ما أنت عليه وتدخل في دين الإسلام وتعلم أنه حق**) ولفظ القوت: إن ما نحن عليه حق (**وإنك على باطل قال: نعم فجلس لا يبرح إلا بحيث يراه حتى طوى خمسين يوماً**) ولفظ القوت فقعد عنده لا يبرح ولا يذهب إلا حيث يراه الراهب إلى أن طوى خمسين يوماً. (**ثم قال: وأزيدك أيضاً فطوى إلى تمام الستين**) يوماً (**فتعجب الراهب**) منه واعتقد فضله وفضل دينه، (**وقال: ما كنت أظن أن أحداً يجاوز المسيح**) عليه السلام. أي فعله في الطي ولكن هذه أمة تشبه بالأنبياء في العلم والفضل، (**فكان ذلك سبب إسلامه**) نقله صاحب القوت. قال وبعضهم يقول لا يوقن العبد يقيناً ثابتاً يحكم عليه بالاستقامة فيه ولبسة حال لازمة، وعلم نافذ في الملكوت إلا بمشاهدة قدرة من قدرة الغيب برأي عين تظهر له بشهادة دائمة يقوم بها وتضطره، فعند هذا يعرف من الله تعالى وصفه المخصوص القيوم به، ويصح لعبد مراده بهذا الطريق المنهج له طي أربعين في سنة وأربعة أشهر على ما نزلنا من تأخير الأوقات وقتاً بعد وقت حتى تندرج الليالي في الأيام، وتدخل الأيام في الليالي فتكون الأربعون بمنزلة يوم واحد وليلة واحدة وهذا طريق المقربين.

وقد أشار المصنف لهذا فقال: (**وهذه درجة عظيمة قلما يبلغها إلا**) مراد به (**كاشف له**) بشهادة (**محمول**) فيه قد (**شغل بمشاهدة ما**) شغله عن نفسه و (**قطعه عن طبعه وعادته، واستوفى نفسه في لذته وأنساه جوعته وحاجته**) وكشف له حقيقته ومرجوعه. قال صاحب القوت: وقد عرفنا من كان فعل ذلك وظهرت له آيات من الملكوت وكشف له عن معاني قدرة الجبروت تجلّى الله عز وجل بها وفيها كيف شاء. وقال صاحب العوارف، قيل لسهل التستري رحمه الله تعالى: هذا الذي يأكل في كل أربعين أو أكثر أكلة واحدة أين يذهب لهب الجوع؟ قال: يطفئه النور، وقد سألت بعض الصالحين عن ذلك فذكر لي كلاماً بعبارة دلت على إنه يجد فرحاً بربه ينطفيء معه لهب الجوع، وهذا في الخلق واقع إن الشخص يطرقه فرح، وقد كان جائعاً فيذهب

الدرجة الثانية: أن يطوي يومين إلى ثلاثة وليس ذلك خارجاً عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول إليه بالجد والمجاهدة.

الدرجة الثالثة: وهي أدناها أن يقتصر في اليوم والليلة على أكلة واحدة، وهذا هو الأقل وما جاوز ذلك إسراف ومداومة للشبع، حتى لا يكون له حالة جوع وذلك فعل المترفين وهو بعيد من السنّة، فقد روى أبو سعيد الخدريّ رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ كان إذا تغدى لم يتعش، وإذا تعشى لم يتغد. وكان السلف يأكلون في كل يوم أكلة.

عنه الجوع، وهكذا في طرق الخوف يقع ذلك. ثم قال صاحب العوارف: واعلم أن هذا المعنى من الطي والتقلل لو أنه عين الفضيلة ما فات أحداً من الأنبياء، ولكان رسول الله ﷺ يبلغ من ذلك إلى أقصى غاية، ولا شك أن لذلك فضيلة لا تنكر، ولكنه لا تنحصر مواهب الحق تعالى في ذلك فقد يكون من يأكل كل يوم أفضل ممن يطوي أربعين يوماً، وقد يكون من لا يكاشف بشيء من معاني القدرة أفضل ممن يكاشف بها إذا كاشف الله تعالى بصرف المعرفة، فالقدرة أثر من القادر، ومن أهل لقرب القادر لا يستغرب ولا يستنكر شيئاً من القدرة ويرى القدرة تنجلي له من سجف أجزاء عالم الحكمة.

(**الدرجة الثانية: أن يطوي يومين إلى ثلاثة**) أيام (**وليس ذلك خارجاً عن العادة بل هو قريب، لكن لا وصول إليه إلا بالجد والمجاهدة**) ومراعاة التدريج بالوجه الذي ذكر آنفاً.

(**الدرجة الثالثة: وهي أدناها أن يقتصر في اليوم والليلة على أكلة واحدة وهذا هو الأكل وما جاوز ذلك**) فهو (**إسراف ومداومة للشبع حتى لا تكون له حالة الجوع**)، فإذا جعل العبد شبعه بين جوعتين كان جوعه أكثر من شبعه وسلم من خبر أبي جحيفة ومن كانت له جوعة بعد كل شبعة اعتدل جوعه وشبعه، ومن أكل في كل يوم مرتين فقد تابع الشبع وتحقق بخبر أبي جحيفة وشبعه حينئذ أكثر من جوعه، (**وذلك فعل المترفين وهو بعيد عن السنّة**) وقد كانوا يعدونه سرفاً هكذا نقله صاحب القوت، ولكن قال القشيري في الرسالة: سمعت محمد بن عبد الله بن عبيد الله يقول: سمعت علي بن الحسن الأرجاني يقول: سمعت أبا محمد الاصطخري يقول: سمعت سهل بن عبد الله وقد قيل له الرجل يأكل في اليوم أكلة، فقال: أكل الصديقين. قال: فأكلتين؟ قال: أكل المؤمنين. قال: فثلاثة؟ قال: قل لأهلك يبنوا لك معلفاً فهذا بظاهره يدل على الأكلتين في يوم من عمل المؤمنين وهم تحت الصديقين، فليتأمل في الجمع بين الكلامين، (**فقد روى أبو سعيد**) مالك بن سنان (**الخدري**) الأنصاري رضي الله عنه (**أن النبي ﷺ كان إذا تغدى لم يتعش وإذا تعشى لم يتغد**) هكذا نقله صاحب القوت. وقال العراقي: لم أجد له أصلاً في المرفوع، ورواه البيهقي في الشعب من فعل أبي جحيفة اهـ.

قلت: بل أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة عطاء بن أبي رباح، حدثنا محمد بن عمر بن مسلم

وقال النبيّ ﷺ لعائشة: « إياك والسرف فإن أكلتين في يوم من السرف، وأكلة واحدة في كل يومين اقتار، وأكلة في كل يوم قوام بين ذلك ». وهو المحمود في كتاب الله عز وجل.

ومن اقتصر في اليوم على أكلة واحدة فيستحب له أن يأكلها سحراً قبل طلوع الفجر فيكون أكله بعد التهجد وقبل الصبح فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام، وخلوّ القلب لفراغ المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم، وسكون النفس إلى المعلوم

وأحمد بن السندي قالا: حدثنا جعفر بن محمد الفريابي، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، حدثنا أيوب بن حبان، حدثنا الوضين بن عطاء، عن عطاء بن أبي رباح قال: دعي أبو سعيد الخدري إلى وليمة وأنا معه فرأى صفرة وخضرة، فقال: أما تعلمون أن رسول الله ﷺ كان إذا تغدى لم يتعش وإذا تعشى لم يتغد، (**وكان السلف يأكلون في كل يوم أكلة**) نقله صاحب القوت. (**وقال النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها « إياك والسرف فإن أكلتين في كل يوم من السرف »**) كذا في القوت. قال العراقي: رواه البيهقي في الشعب من حديث عائشة وقال: في إسناده ضعف (**وأكلة واحدة في كل يومين اقتار، وأكلة في كل يوم قوام بين ذلك وهو المحمود في كتاب الله عز وجل**) يشير إلى قوله تعالى: ﴿والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾ [الفرقان: ٦٧] ولفظ القوت بعد إيراده هذه الآية، فكان الاكلتين في يوم من الإسراف، وأكلة في يومين من الاقتار، وأكلة في يوم قوام بين ذلك. وأقول على هذا أن أكل أربعة أرغفة سرف، ورغيفين قتر، وثلاثة أرغفة قوام حسن، وهذا أعدل الأقوات، ولا يعجبني أكل أربعة أرغفة في مقام واحد لأني لا آمن الازدياد فيصير ذلك معتاداً فإن كان عن جوع شديد أو عدة لسفر أو عدم فلا بأس، وقد كان للصحابة أكلتان وشربتان. فالاكلتان الوجبة والغبوق فالوجبة من الوقت إلى الوقت، والغبوق أن يشرب مذقة لبن أو يأكل كف تمر عند النوم أو بعد عتمة أو يكون عند الظهيرة، وقد يكون سحراً. والشربتان العلل والنهل، فالنهل الشربة الأولى من اللبن بمنزلة الوجبة والعلل الشربة الثانية بمثابة الغبوق من نقيع تمر أو زبيب أو لبن يقوم مقام الأكلتين فهي تمام الري والأولى علالة للنفس من العطش فسمى عللاً، وكان من أخلاق السلف ترك الشبع اختياراً لأنفسهم لخفة الجسم أو مؤاساة الفقراء أو مساواة لهم في الحال لئلا يتفضلوا عليهم في حالهم.

(**ومن اقتصر في كل يوم على أكلة واحدة**) وكان صائماً (**فيستحب له أن**) يعمل في تأخير الافطار على رياضة و (**يأكلها**) أي تلك الأكلة (**سحراً**) أي في وقت السحر ولا يجاوزه، وهو (**قبل طلوع الفجر فيكون أكله بعد التهجد وقبل الصبح فيحصل له**) بذلك خمسة أشياء: (**جوع النهار للصيام**) أي لأجله، والأولى بالصيام، (**وجوع الليل للقيام، وخلو القلب لفراغ المعدة، ورقة الفكر**) أي صفائه، (**واجتماع الهم**) بخلو القلب، (**وسكون

فلا تنازعه قبل وقته. وفي حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة قال: ما قام رسول الله ﷺ قيامكم هذا قط، وإن كان ليقوم حتى تورم قدماه، وما واصل وصالكم هذا قط غير انه قد أخر الفطر إلى السحر. وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يواصل إلى السحر فإن كان يلتفت قلب الصائم بعد المغرب إلى الطعام وكان ذلك يشغله عن حضور القلب في التهجد فأولى أن يقسم طعامه نصفين، فإن كان رغيفين مثلاً أكل رغيفاً عند الفطر ورغيفاً عند السحر لتسكن نفسه ويخف

النفس إلى المعلوم فلا تنازعه قبل وقته) فإن النفس إذا علمت أنها ستأكل رغيفاً في السحر اطمأنت بالليل ولم تنازع وهذا أوسط الطرقات، وأحبها إليَّ وهو طريق السائرين كذا في القوت. قال: ومن لم يكن له معلوم فلا بأس أن يأكل شبعه ثم يتربص حتى ينتهي جوعه، وترك المعلوم في الطعام طريق صوفية البغداديين، والوقوف مع المعلوم طريقة البصريين، ولما قدم صوفية أهل البصرة على أبي القاسم الجنيد بعد وفاة أبي محمد سهل قال لهم: كيف تعملون في الصوم؟ فقالوا: نصوم بالنهار، فإذا أمسينا قمنا إلى قفافنا. فقال: آه آه لو كنتم تصومون بلا قفاف كان أتم لحالكم أي لا تسكنون إلى معلوم، فقالوا: لا نقوى على هذا. قال صاحب القوت: ولعمري أن طريق البغداديين بترك المعلوم من المطعوم أعلى وهو طريق المتوكلين الأقوياء، وطريق البصريين بالمعلوم والتوقيت أسلم من آفات النفوس، وأقطع للتشرف والتطلع، وهو طريق المريدين والعاملين.

(وفي حديث عاصم بن كليب) بن شهاب بن المجنون الجرمي الكوفي صدوق مات سنة بضع وثلاثين ومائة روى له البخاري تعليقاً ومسلم والاربعة، **(عن أبيه)** تابعي صدوق روى له البخاري في كتاب رفع اليدين والأربعة أصحاب السن، **(عن أبي هريرة)** رضي الله عنه **(قال: ما قام رسول الله ﷺ قيامكم هذا قط وإن كان ليقوم حتى تزلع قدماه)** أي تتورم وتتشقق، **(وما وصل وصالكم هذا قط غير أنه قد أخر الفطر إلى السحر)** كذا هو في القوت قال العراقي: رواه النسائي مختصراً كان يصلي حتى تزلع قدماه وإسناده جيد اهـ.

قلت: وروى الجماعة سوى أبي داود من حديث المغيرة: كان يقوم من الليل حتى تنفطر قدماه.

(وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يواصل إلى السحر) كذا في القوت قال العراقي: لم أجده من حديث عائشة، لكن رواه أحمد من حديث علي، ولا يصح. ورواه الطبراني من حديث جابر، لكنه لم يصح من فعله وإنما هو من قوله « فأيكم أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر » ورواه البخاري من حديث أبي سعيد، وأما هو فكان يواصل وهو من خصائصه، **(فإن كان يلتفت قلب الصائم بعد المغرب إلى الإفطار وكان ذلك يشغله عن حضور القلب)** في التهجد، **(فالأولى أن يقسم طعامه نصفين إن كان رغيفين مثلاً أكل**

بدنه عند التهجد ولا يشتد بالنهار جـوعه لأجل التسحر، **فيستعين بالرغيف الأوّل على** التهجد، وبالثاني على الصوم. ومن كان يصوم يوماً ويفطر يوماً فلا بأس أن يأكل كل يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر. **فهذه الطرق في مواقيت الأكل** وتباعده وتقاربه.

رغيفاً عند الفطر ورغيفاً عند السحر لتسكن النفس) عن الالتفات والاضطراب، **(ويخف بدنه عند التهجد)** وإحياء الليل بالذكر، **(ولا يشتد بالنهار جوعه لأجل التسحر فيستعين بالرغيف الأول على التهجد، وبالثاني على الصوم)** وقد استحسنه صاحب القوت وأشار إليه صاحب العوارف، **(ومن كان)** من عادته أنه **(يصوم يوماً ويفطر يوماً)** وهو أعدل طرقات الصيام، **(فلا بأس أن يأكل يوم الفطر وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر)** فإن لم يفعل فليأكل يوم فطره نصف أكله بالأمس فكأنه صائم فإن لم يفعل اضطرب جسمه وداخله الفتور في حاله كذا في القوت، **(فهذه هي الطريق في مواقيت الأكل وتباعده وتقاربه)** وبقيت عليه طريق أخرى في المريد الذي لا يصوم ولا يقتصر على أكلة واحدة في اليوم والليلة ويريد قوام جسده للطاعة، فالمستحب إن كان ذا معلوم أن لا يزيد على رغيفين في اليوم والليلة وليجعل بينهما وقتاً طويلاً مرة وقصيراً أخرى على حسب الحاجة. وتوقان النفس إلى الغذاء لا على طريق العادة والشهوة. والرغيف ست وثلاثون لقمة يكون قوام النفس في كل ساعة ثلاث لقمات فإذا أراد أن يأكل الرغيف على هذا التقسيم فليجرع بعد كل ثلاث لقم جرعة ماء فذلك اثنتا عشرة جرعة في تضاعيف ست وثلاثين لقمة ففي ذلك قوام الجسد وصلاحه في يوم وليلة على هذا الترتيب وفيه بلاغ للعابدين.

تنبيه:

أما أكل العادات والتنقل في الشهوات والأكل حتى يشبع، فهذا عند العلماء مكروه وآكله عندهم بمنزلة البهائم، وأما الاكل على شبع والامتلاء حتى يتخم فهذا فسق عند بعض العلماء وقد قاله بعض العارفين ويروى أنه قيل لأبي بكرة إنّ ابنك أكل البارحة حتى بشم فقال: لو مات ما صليت عليه.

تنبيه:

ذكر بعض العلماء أن مراتب الشبع تنحصر في سبعة: **الأول:** ما تقوم به الحياة. **الثاني:** أن يزيد حتى يصوم ويصلي من قيام وهذان واجبان. **الثالث:** أن يزيد حتى يقدر على أداء النوافل. **الرابع:** أن يزيد حتى يقدر على الكسب وهذان مندوبان. **الخامس:** أن يملأ الثلث وهذا جائز. **السادس:** أن يزيد عليه وبه يثقل البدن ويكثر النوم وهذا مكروه. **السابع:** أن يزيد حتى يتضرر وهي البطنة المنهي عنها. وهذا حرام. قال الحافظ ابن حجر بعد أن نقله: ويمكن دخول الثالث في الرابع والاوّل في الثاني.

الوظيفة الثالثة: في نوع الطعام وترك الأدام وأعلى الطعام مخ البرّ فإن نخل فهو غاية الترفه وأوسطه شعير منخول، وأدناه شعير لم ينخل، وأعلى الأدم اللحم والحلاوة، وأدناه الملح والخل، وأوسطه المزوّرات بالأدهان من غير لحم، وعادة سالكي طريق الآخرة الامتناع من الأدام على الدوام بل الامتناع عن الشهوات فإن كان لذيذ يشتهيه الإنسان فأكله اقتضى ذلك بطراً في نفسه وقسوة في قلبه وأنساً له بلذات الدنيا حتى يألفها ويكره الموت ولقاء الله تعالى وتصير الدنيا جنة في حقه ويكون الموت سجناً له. وإذا منع نفسه عن شهواتها وضيق عليها وحرمها لذاتها صارت الدنيا سجناً عليه ومضيقاً له فاشتهت نفسه الإفلات منها، فيكون الموت إطلاقها. وإليه الاشارة بقول

(**الوظيفة الثالثة: في نوع الطعام وترك الأدام**) وهو أي الطعام على ثلاث مراتب، (**وأعلى الطعام مخ البر**) أي لبابه الذي يتحصل بعد نخل دقيقة بالمنخل الحرير بعد المنقلة، (**فإن نخل**) كذلك (**فهو غاية الترفه**) وخبزه يعرف بالسميد أولاً ينخل مطلقاً وخبزه هو المعروف بالخشكار وفيه مرتبة تليها، وذلك أن ينخل بالمنخل الغير المانع وهي ملحقة بالأولى لما فيه من الترفه أيضاً. (**وأوسطه شعير منخول**) كما ذكرنا، (**وأدناه شعير لم ينخل**) وإنما يعجن بما فيه من النخالة سواء نفخ فطار منه ما طار أو لم ينفخ، (**وأعلى الأدم اللحم**) وقد وردت فيه أخبار تؤذن بعلوه ففي حديث بريدة عند البيهقي في الشعب: «سيد الأدام في الدنيا والآخرة اللحم» (**والحلاوة**) وهي المركبة من سمن وعسل ولها أنواع تقدم ذكرها في كتاب الأطعمة، (**وأدناه الملح والخل**) أي كل منهما بانفراد عن الآخر، (**وأوسطه المزوّرات**) وهي الأطعمة التي لا يكون فيها شيء من اللحوم بخلاف المزفرات وإنما اتخذت (**بالأدهان**) والأدهان كسائر السمون وما يعصر من قلوب الأشجار كاللوز والفستق والجوز وكالزيت ودهن السمسم (**من غير لحم**) أي من غير أن يكون فيها شيء من لحم كما ذكرناه. وفي القوت: فإن كان لا بدَّ من فاكهة مع الخبز الذي هو قوت النفس، فكما أطعم الله الفقراء في الكفارة وهو التوسط في الأدام الذي أمر به وأحبه للفقراء من الخبز واللبن لأن أعلى الأدام اللحم والحلواء، وأدناه الملح والخل فلم يأمر تعالى بأعلاه لأنه يشق على الأغنياء ولم يأمر بأدناه لأنه يشق على الفقراء وتوسط الأمر بينهما، فقال: من أوسط ما تطعمون أهليكم، فهو ما ذكرناه على ذلك. (**وعادة سالكي طريق الآخرة الامتناع من الآدام على الدوام، بل الامتناع من الشهوات مطلقاً فإن كل لذيذ يشتهيه الإنسان**) وتدعو إليه نفسه وتطالبه به، (**وأكله اقتضى ذلك بطراً في نفسه**) من جهة متابعته للشهوة (**وقسوة في قلبه وأنساً له بلذات الدنيا حتى يألفها**) ويأنس بها، (**ويكره الموت ولقاء الله تعالى**) لا محالة لأن الفطم عن المألوف صعب، (**وتصير الدنيا جنة في حقه ويكون الموت سجناً له**) ومضيقاً (**وإذا منع نفسه شهواتها وضيق عليها وحرمها**) أي منعها (**فاشتهت نفسه الانفلات منها سريعاً فيكون الموت إطلاقها**) من ذلك المضيق والحبس، وقد روى مسلم

يحي بن معاذ حيث قال: معاشر الصديقين جوّعوا أنفسكم لوليمة الفردوس، فإن شهوات الطعام على قدر تجويع النفس، فكل ما ذكرناه من آفات الشبع فإنه يجري في كل الشهوات وتناول اللذات فلا نطوّل باعادته، فلذلك يعظم الثواب في ترك الشهوات من المباحات ويعظم الخطر في تناولها حتى قال ﷺ: «شرار أمتي الذين يأكلون مخ الحنطة» وهذا ليس بتحريم بل هو مباح على معنى أن من أكله مرة أو مرتين لم يعص، ومن دوام عليه أيضاً فلا يعصي بتناوله ولكن تتربى نفسه بالنعيم فتأنس بالدنيا وتألف اللذات وتسعى في طلبها فيجرها ذلك إلى المعاصي فهم شرار الأمة. لأن مخ الحنطة يقودهم إلى اقتحام أمور، تلك الأمور معاص. وقال ﷺ: «شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه أجسامهم» وإنما همتهم ألوان الطعام وأنواع اللباس ويتشدقون في

من حديث أبي هريرة «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» ورواه البزار والعسكري والقضاعي من حديث ابن عمر مثله، وروى أبو نعيم من حديث ابن عمر مرفوعاً «يا أبا ذر الدنيا سجن المؤمن والقبر أمنه والجنة مصيره، يا أبا ذر إن الدنيا جنة الكافر والقبر عذابه والنار مصيره والمؤمن من لم يجزع من دنياه» الحديث. وروى أحمد من حديث عبد الله بن عمر «والدنيا سجن المؤمن وسنته فإذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة». (**وإليه الإشارة بقول يحي بن معاذ**) الرازي الواعظ رحمه الله تعالى (**حيث قال: معاشر الصديقين جوّعوا أنفسكم لوليمة الفردوس فإن شهوة الطعام على قدر تجويع النفس**) نقله صاحب القوت ففيه إشارة إلى أن من يؤثر الآخرة ولذتها وطعامها ينهي نفسه عن لذة الدنيا ويكفها عن شهواتها وكلما زادت رياضة النفس بالتجويع زادت شهوتها إلى الطعام، (**فكل ما ذكرناه من آفات الشبع**) فيما تقدم، (**فإنها تجري في كل الشهوات وتناول اللذات فلا نطوّل باعادته، فلذلك يعظم الثواب في ترك الشهوات من المباحات ويعظم الخطر في تناولها، حتى قال ﷺ «شرار أمتي الذين يأكلون مخ الحنطة»**) قال العراقي: لم أجد له أصلاً. (**وهذا**) إن صح وروده (**ليس بتحريم**) لمخ الحنطة، (**بل هو مباح على معنى أن من أكله مرة أو مرتين لم يعص**) الله تعالى، (**ومن دوام عليها أيضاً فلا يعصي**) الله تعالى (**بتناوله ولكن تتربى نفسه بالنعيم فتأنس بالدنيا وتألف اللذات وتسعى في طلبها**) على قدر الجهد، (**فيجرها ذلك إلى المعاصي فهم شرار الأمة**) بهذا المعنى، (**لأن مخ القمح**) مع المداومة عليه (**يقودهم إلى اقتحام**) أي ارتكاب (**أمور تلك الأمور معاص**) لله تعالى. (**وقال ﷺ «شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم وبنيت عليه أجسامهم» وإنما همتهم أنواع الطعام وأنواع اللباس ويتشدقون في الكلام**) أي يتوسعون فيه من غير تحرز ولا احتياط. قال العراقي: رواه ابن عدي في الكامل من طريق البيهقي في الشعب من حديث فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وروي من حديث فاطمة بنت الحسين مرسلاً. قال الدارقطني في العلل: إنه أشبه بالصواب، ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث عائشة بإسناد لا بأس به اهـ.

الكلام، وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام اذكر أنك ساكن القبر فإن ذلك يمنعك من كثير الشهوات، وقد اشتد خوف السلف من تناول لذيذ الأطعمة وتمرين النفس عليها، ورأوا أن ذلك علامة الشقاوة، ورأوا منع الله تعالى منه غاية السعادة، حتى روي أن وهب بن منبه قال: التقى ملكان في السماء الرابعة فقال أحدهما للآخر: من أين؟ قال أمرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي لعنه الله. وقال الآخر: أمرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد، فهذا تنبيه على أن تيسير أسباب الشهوات ليس من علامات الخير، ولهذا امتنع عمر رضي الله عنه عن شربة ماء بارد بعسل وقال: اعزلوا

قلت: وكذلك رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة وابن عساكر كلهم من طريق عبد الله بن الحسن عن أمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ولفظ حديثهم: «شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم الذين يأكلون أنواع الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام» وقال البيهقي بعد أن أورده تفرد به علي بن ثابت عن عبد الحميد الأنصاري اهـ.

وعلي بن ثابت ساقه الذهبي في الضعفاء وقال: ضعفه الأزدي قال: وعبد الحميد ضعفه القطان وهو ثقة اهـ.

وجزم المنذري بضعفه وقد روي هذا الحديث أيضاً عن عبد الله بن جعفر وعن ابن عباس، فحديث عبدالله بن جعفر لفظه «شرار أمتي الذين ولدوا في النعيم وغذوا به يأكلون من الطعام ألواناً ويلبسون من الثياب ألواناً ويركبون من الدواب ألواناً يتشدقون في الكلام» رواه الحاكم في المستدرك، والبيهقي في الشعب، وقال الحاكم: صحيح. وتعقبه الذهبي بأن فيه أصرم بن حوشب وهو ضعيف. وأما لفظ حديث ابن عباس «شرار أمتي الذين غدوا بالنعيم وغدوا فيه الذين يأكلون طيب الطعام ويلبسون لين الثياب هم شرار أمتي حقاً حقاً» رواه الديلمي في مسند الفردوس.

(**وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام**) يا موسى (**اذكر أنك ساكن القبر فإن ذلك يمنعك من كثير الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول لذيذ الأطعمة وتمرين النفس عليها، ورأوا أن ذلك علامة الشقاوة، ورأوا منع الله تعالى منه غاية السعادة**) ومن هنا قول العامة ومن العصمة أن لا تجد، (**حتى روي أن وهب بن منبه**) اليماني رحمه الله تعالى قال: (**التقى ملكان في السماء الرابعة فقال أحدهما للآخر: من أين**) مجيئك هذا؟ (**قال: أمرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي لعنه الله**) تعالى. (**وقال الآخر: أمرت بإهراق زيت اشتهاه فلان العابد**) فقد ادخر الله له في الآخرة كل ذلك ذكره صاحب القوت، (**وهذا**) فيه (**تنبيه على أن تيسير أسباب الشهوات ليس من علامات الخير**) فلا يفرح بمثله وقد انقطع بمثله كثيرون يرون الشهوات تساق إليهم فيعدونها منة عظيمة فيكون سبب إخلادهم في النقص، (**ولهذا امتنع عمر رضي الله عنه عن شربة ماء بارد بعسل وقال:**

عني حسابها . فلا عبادة لله تعالى أعظم من مخالفة النفس في الشهوات وترك اللذات ـ كما أوردناه في كتاب رياضة النفس ـ وقد روى نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما كان مريضاً فاشتهى سمكة طرية فالتمست له بالمدينة فلم توجد ، ثم وجدت بعد كذا وكذا ، فاشتريت له بدرهم ونصف فشويت وحملت إليه على رغيف فقام سائل على الباب فقال للغلام : لفها برغيفها وادفعها إليه . فقال له الغلام : أصلحك الله قد اشتهيتها منذ كذا وكذا فلم تجدها فلما وجدتها اشتريتها بدرهم ونصف فنحن نعطيه ثمنها . فقال : لفها وادفعها إليه ، ثم قال الغلام للسائل : هل لك أن تأخذ درهماً وتتركها ؟ قال : نعم . فأعطاه درهماً وأخذها وأتى بها فوضعها بين يديه وقال : قد أعطيته درهماً وأخذتها منه . فقال : لفها وادفعها إليه ولا تأخذ منه الدرهم فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أيما امرىء اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له » . وقال ﷺ : « إذا

اعزلوا عني حسابها) رواه جعفر بن سليمان حدثنا حوشب عن الحسن قال : أتي عمر بشربة عسل **فذاقها**فإذا ماء وعسل ، فقال : اعزلوا عني حسابها اعزلوا عني مؤنتها ،وروى سليمان بن المغيرة عن ثابت قال : اشتهى عمر الشراب فأتي بشربة من عسل فجعل يدير الإناء في يده ويقول : لا أشربها وتذهب حلاوتها وتبقى مرارتها ثم وضعها إلى رجل من القوم فشربها وإنما قال ذلك لأنه علم أنه حلال وفي الحلال حساب ، وفي الحساب نوع عذاب فمن حوسب نوقش . وقد أشار إلى ذلك أبو سعيد الخراز حين نوع الجوع فقال : ومنهم من وجد الشيء الصافي فتركه زهداً فيه من مخافة طول الحساب والوقوف والسؤال ، (**فلا عبادة لله أعظم من مخالفة الشهوات وترك اللذات**) وإن كانت مباحة ، (**كما أوردناه في كتاب رياضة النفس ، وقد روى نافع عن ابن عمر**) رضي الله عنه (**إنه كان مريضاً فاشتهى سمكة طرية ، فالتمست-له بالمدينة فلم توجد**) أي لبعدها عن البحر ، (**فوجدت بعد كذا وكذا**) يوماً (**فاشتريت**) له (**بدرهم ونصف فشويت**) على النار (**وحملت إليه على رغيف**) ليأكل ، (**فقام سائل على الباب فقال**) ابن عمر (**للغلام**) و هو نافع : (**لفها برغيفها وادفعها إليه**) أي إلى السائل ، (**فقال له الغلام : أصلحك الله قد اشتهيتها منذ كذا وكذا فلم نجدها فلما وجدناها اشتريناها بدرهم ونصف نحن نعطيه ثمنها . فقال : لفها وادفعها إليه ، ثم قال**) أي الغلام (**له**) للسائل : (**هل لك أن تأخذ درهماً وتتركها ؟ قال**) السائل : (**نعم فأعطاه درهماً وأخذها وأتى بها ثانياً فوضعها بين يديه وقال : قد أعطيته درهماً وأخذتها منه فقال لفها وادفعها إليه ولا تأخذ منه الدرهم ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول « أيما امرىء اشتهى شهوة فردّ شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له »**) قال العراقي : رواه أبو الشيخ بن حبان في الثواب بإسناد ضعيف جداً ورواه ابن الجوزي في الموضوعات . (**وقال ﷺ « إذ استدّ**) بالسين المهملة وفي نسخة العراقي « إذا

سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القراح فعلى الدنيا وأهلها الدمار » وأشار إلى أن المقصود رد ألم الجوع والعطش ودفع ضررهما دون التنعم بلذات الدنيا ، وبلغ عمر رضي الله عنه أن يزيد بن أبي سفيان يأكل أنواع الطعام فقال عمر لمولى له : إذا علمت أنه قد حضر عشاؤه فأعلمني فدخل عليه فقـرب عشاؤه فأتوه بثريد لحم فأكل معه عمر ، ثم قرب الشواء وبسط يزيد يده وكف عمر يده وقال : الله الله يا يزيد بن أبي سفيان أطعام بعد طعام ؟ والذي نفس عمر بيده لئن خالفتم عن سنتهم ليخالفن بكم عن

سددت » (**كلب الجوع**) بتحريك اللام وهو الحرص على الأكل الكثير (**برغيف وكوز من الماء القراح**) الذي لا يشوبه شيء وفي غالب النسخ بدون ذكر القراح (**فعلى الدنيا وأهلها الدمار** ») أي الهلاك (**أشار**) ﷺ (**إلى أن المقصود**) من الأكل (**ردّ كلب الجوع**) أي شدته (**ودفع ضرره دون التنعم بلذات الدنيا**) قال العراقي : رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف اهـ .

قلـت : ورواه ابن عدي والبيهقي ولكن لفظ الحديث عندهم « يا أبا هريرة إذا اشتد كلب الجوع فعليك برغيف وجر من ماء القراح وقل على الدنيا وأهلها الدمار » وفي إسناده الحسين بن عبد الغفار الازدي . قال الذهبي : متهم ، وقال الدارقطني : متروك ، وفيه أيضاً أبو يحيى الوقار وقال الذهبي : كذوب وفيه أيضاً الماضي بن محمد . قال الذهبي : مصري مجهول ، وقال أبو حاتم : الحديث الذي رواه باطل وليس المراد من قوله : فعلى الدنيا وأهلها الدمار الدعاء عليهم بالهلاك ، بل انزالهم منزلة الهالكين ، فإن من هلك لا يقدر على شيء وكذلك الدنيا وأهلها والقصد الحث على التقنع باليسير والزهد في الدنيا والاعراض عن شهواتها .

(**وبلغ عمر رضي الله عنه أن يزيد بن أبي سفيان**) بن حرب الأموي أخو معاوية أسلم يوم الفتح وكان أفضل بني أمية أمَّرَهُ عمر على دمشق حتى مات بها سنة تسع عشرة (**يأكل أنواع الطعام، فقال عمر لمولى له**) يقال له يرفأ : (**إذا علمت أنه قد حضر عشاؤه فاعلمني فأعلمه فدخل عليه فقرب عشاءه فأتوه بثريد ولحم فأكل معه عمر ثم قرب الشواء**) أي اللحم المشوي (**فبسط يزيد يده وكف عمر يده وقال: الله الله يا يزيد بن أبي سفيان أطعام بعد طعام؟ والذي نفسي بيده لئن خالفتم عن سننهم ليخالفن بكم عن طريقهم**) رواه إسماعيل بن عياش، حدثني يحيى الطويل عن نافع عن ابن عمر قال: بلغ عمر أن يزيد بن أبي سفيان يأكل ألوان الطعام فقـال ليرفأ : إذا حضر طعامه فاعلمني فساقه، وفيه والذي نفس محمد بيده إن خالفتم عن سنته ليخالفن بكم عن طريقه فأشار عمر إلى أنهم كانوا يكتفون بطعام واحد ولون واحد ولا يزيدون، فمن خالف نهجهم الذي سلكوه خولف به عن طريقهم والخير كل الخير في إتباع السلف.

طريقهم. وعن يسار بن عمير قال: ما نخلت لعمر دقيقاً قط إلا وأنا له عاص. وروي أن عتبة الغلام كان يعجن دقيقه ويجففه في الشمس ثم يأكله ويقول: كسرة وملح حتى يتهيأ في الآخرة الشواء والطعام الطيب: وكان يأخذ الكوز فيغرف به من جب كان في الشمس نهاره فتقول مولاة له: يا عتبة لو أعطيتني دقيقك فخبزته لك وبردت لك الماء: فيقول لها: يا أم فلان قد شردت عني كلب الجوع.

قال شقيق بن إبراهيم: لقيت إبراهيم بن أدهم بمكة في سوق الليل ـ عند مولد النبي ﷺ ـ يبكي وهو جالس بناحية من الطريق فعدلت إليه وقعدت عنده وقلت: ايش هذا البكاء يا أبا إسحاق؟ فقال: خير فعاودته مرة واثنتين وثلاثاً. فقال: يا شقيق استر عليّ. فقلت: يا أخي قل ما شئت. فقال لي: اشتهت نفسي منذ ثلاثين سنة سكباجاً فمنعتها جهدي حتى إذا كان البارحة كنت جالساً وقد غلبني النعاس إذا أنا بفتى شاب بيده قدح أخضر يعلو منه بخار ورائحة سكباج. قال: فاجتمعت بهمتي عنه فقربه. وقال: يا إبراهيم كُلْ فقلت ما آكل قد تركته لله عز وجل، فقال له: قد أطعمك الله كُلْ؛ فما كان لي جواب إلاّ أني بكيت، فقال لي: كُلْ رحمك الله، فقلت: قد أمرنا أن

(**وعن يسار بن عمير**) مولى عمر ثقة نزل الكوفة ليس له في الكتب الستة شيء، وإنما ذكره الحافظ في التهذيب للتمييز بينه وبين يسار مولى ابن عمر (**قال: ما نخلت لعمر دقيقاً قط إلا وأنا له عاص**) رواه الأعمش عن شقيق عنه أي لم يكن يأمرني بنخله فإذا نخلته خالفت أمره وكنت عاصياً له، (**وروي ان عتبة**) بن أبان (**الغلام**) رحمه الله تعالى (**كان يعجن دقيقه ويجففه في الشمس ثم يأكله ويقول كسرة وملح حتى يتهيأ لي في الآخرة الشواء والطعام الطيب، وكان يأخذ الكوز فيغرف به من حب**) بضم الحاء وهو دنّ الماء (**كان في الشمس** نهاره فتقول **مولاة له: يا عتبة لو أعطيتني دقيقك فخبزته لك وبردت لك الماء. فيقول لها: يا أم فلان قد سددت عني كلب الجوع**) أي شدته. أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبو محمد بن حبان، حدثنا أحمد بن الحسن، حدثنا أحمد الدورقي، حدثنا إبراهيم بن عبد الرحمن ابن مهدي، حدثني أبي عن بكر قال: كان عتبة يأخذ دقيقه فيبله بالماء ويعجنه ويضعه في الشمس حتى يجف فإذا كان الليل جاء فأخذه وأكل منه لقماً. **قال ثم يأخذ الكوز فيغرف من حب كان في** الشمس نهاره فتقول مولاة له: **يا عتبة لو أعطيتني دقيقك فخبزته لك وبردت لك الماء. فيقول لها: يا** أم فلان قد سددت عني كلب الجوع.

وحدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا جعفر بن أحمد، حدثنا إبراهيم بن الجنيد، حدثنا محمد بن الحسين، وحدثنا عبد الله بن الفرج العابد **قال: كان عتبة يعجن دقيقه في الشمس ثم يأكله ويقول:** كسرة وملح حتى يتهيأ في الدار الأخرى الشواء والطعام الطيب.

لا نطرح في وعائنا إلا من حيث نعلم، فقال: كل عافاك الله فإنما أعطيته، فقيل لي: يا خضر اذهب بهذا واطعمه نفس إبراهيم بن أدهم فقد رحمها الله من طول صبرها على ما يحملها من منعها، اعلم يا إبراهيم أني سمعت الملائكة يقولون: من أعطى فلم يأخذ طلب فلم يعط، فقلت: إن كان كذلك فها أنا بين يديك لأجل العقد مع الله تعالى، ثم التفت فإذا أنا بفتى آخر ناوله شيئاً وقال: يا خضر لقمه أنت، فلم يزل يلقمني حتى نعست فانتبهت وحلاوته في فمي، قال شقيق: فقلت أرني كفك، فاخذت بكفه فقبلتها وقلت: يا من يطعم الجياع الشهوات إذا صححوا المنع، يا من يقدح في الضمير اليقين، يا من يشفي قلوبهم من محبته، أترى لشقيق عبدك حالاً؟ ثم رفعت يد إبراهيم إلى السماء وقلت: بقدر هذا الكف عندك وبقدر صاحبه بالجود الذي وجد منك جد على عبدك الفقير إلى فضلك وإحسانك ورحمتك وإن لم يستحق ذلك؛ قال: فقام إبراهيم ومشى حتى أدركنا البيت [1].

وروي عن مالك بن دينار أنه بقي أربعين سنة يشتهي لبناً فلم يأكله. وأهدي إليه يوماً رطب فقال لأصحابه: كلوا فما ذقته منذ أربعين سنة. وقال أحمد بن أبي الحواري: اشتهى أبو سليمان الداراني رغيفاً حاراً بملح فجئت به إليه فعض منه عضة ثم طرحه وأقبل يبكي وقال: عجلت إلى شهوتي بعد إطالة جهدي وشقوتي قد عزمت على التوبة فأقلني! قال أحمد: فما رأيته أكل الملح حتى لقي الله تعالى. وقال مالك بن ضيغم: مررت

(وروي عن) أبي يحيى (مالك بن دينار) البصري رحمه الله تعالى (أنه بقي أربعين سنة يشتهي لبناً فلم يأكله) أخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق عثمان بن إبراهيم الحميري جليس مالك بن دينار عن مالك أنه قال لرجل من أصحابه: إني لأشتهي رغيفاً ليناً بلبن رائب. قال: فانطلق فجاء به. قال: فجعل له على الرغيف فجعل مالك يقلبه وينظر إليه ثم قال: اشتهيتك منذ أربعين سنة فغلبتك حتى كان اليوم تريد أن تغلبني إليك عني وأبى أن يأكله. (وأهدي إليه رطب فقال لاصحابه كلوا فما ذقته منذ أربعين سنة) نقله صاحب القوت (وقال أحمد بن أبي الحواري) رحمه الله تعالى: (اشتهى أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (رغيفاً حاراً بملح فجئت به إليه فعض منه عضة ثم طرحه وأقبل يبكي وقال: عجلت إلى شهوتي بعد إطالة جهدي وشقوتي قد عزمت على التوبة فأقلني! قال أحمد: فما رأيته أكل الملح حتى لقي الله تعالى) رواه العباس بن حمزة عن أحمد بن أبي الحواري، وقد وقع مثل ذلك لداود الطائي من طريق محمد بن بشير قال: دخلت على داود الطائي المسجد فصليت معه المغرب، ثم أخذ بيدي

---

(١) من قوله: «قال شقيق بن إبراهيم» إلى قوله: «حتى أدركنا البيت» لم يرد في سياق الشرح.

بالبصرة في السوق فنظرت إلى البقل فقالت لي نفسي: لو أطعمتني الليلة من هذا فأقسمت أن لا أطعمها إياه أربعين ليلة، ومكث مالك بن دينار بالبصرة خمسين سنة ما أكل رطبة لأهل البصرة ولا بسرة قط وقال: يا أهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة ما أكلت لكم رطبة ولا بسرة فما زاد فيكم ما نقص مني ولا نقص مني ما زاد فيكم. وقال طلقت الدنيا، منذ خمسين سنة، اشتهت نفسي لبناً منذ أربعين سنة طعاماً فوالله لا أطعمها حتى ألحق بالله تعالى. وقال حماد بن أبي حنيفة: أتيت داود الطائي والباب مغلق عليه فسمعته يقول: نفسي اشتهيت جزراً فاطعمتك جزراً، ثم اشتهيت تمراً فآليت ان لا

فدخلت معه البيت فقام إلى دنّ له كبير فأخذ منه رغيفاً يابساً فغمسه في الماء، ثم قال: ادن فكُل. قلت: بارك الله لك فافطر، فقلت له: يا أبا سليمان لو أخذت شيئاً من ملح. قال: فسكت ساعة ثم قال: إن نفسي تنازعني ملحاً ولا ذاق داود ملحاً في الدنيا حتى مات رحمه الله تعالى.

(**وقال مالك بن ضيغم مررت على سوق بالبصرة فنظرت إلى البقل فقالت لي نفسي: لو أطعمتني الليلة من هذا**) البقل، (**فأقسمت بالله أن لا أطعمها إياه أربعين سنة**) أراد بذلك مخالفتها وكسر شهوتها لتتأدب وتكف عن النزوع، (**ومكث مالك بن دينار**) رحمه الله تعالى (**بالبصرة خمسين سنة ما أكل رطبة لأهل البصرة ولا بسرة. وقال: يا أهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة ما أكلت لكم رطبة ولا بسرة ما نقص مني ولا زاد فيكم وقال**) أيضاً (**طلقت الدنيا منذ خمسين سنة اشتهت نفسي منذ أربعين سنة طعاماً فوالله لا أطعمتها حتى الحق بالله عز وجل**) ذكره ابن حبان في كتاب المصاحف. وقال: كان يكتب المصاحف بالأجرة ويتقوّت بأجرته، وكان يجانب الإباحات جهده ولا يأكل شيئاً من الطيبات، وكان من المتعبدة الصبر والمتقشفة الخشن، فقد روى أبو نعيم في الحلية عن أحمد بن جعفر عن عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدثنا أبو معمر، حدثنا أبي، عن جدي قال: كنت عند مالك بن دينار، فأخذ جلد ساعده فقال: ما أكلت العام رطبة ولا عنبة ولا بطيخة فجعل يعدد كذا وكذا: ألست مالك بن دينار.

وأخرج أيضاً من طريق الهيثم بن معاوية، حدثني شيخ لي قال: كان رجل من الأغنياء بالبصرة وكانت له آنية نفيسة الجمال فساق القصة في عرضه إياها على مالك؟ وفيه فقال: مالك عجباً لك يا فلان أو ما تعلم أني قد طلقت الدنيا ثلاثاً. ومن طريق الحجاج بن نصير، حدثني المنذر أبو يحيى قال: رأيت مالكاً ومعه كراع من هذه الأكارع التي قد طبخت قال: فهو يشمه ساعة فساعة. قال: ثم مرّ على شيخ مسكين على ظهر الطريق يتصدق فقال: هاه يا شيخ فناوله إياه ثم مسح يده بالجدار ثم وضع كساءه على رأسه وذهب فلقيت صديقاً له فقلت له: رأيت من مالك كذا وكذا، فقال: أنا أخبرك كان يشتهيه منذ زمان فاشتراه فلم تطب نفسه أن يأكله فتصدق به.

(**وقال حماد بن أبي حنيفة**) النعمان بن ثابت الفقيه روى عن أبيه ضعفه ابن عدي (**أتيت داود**) بن نصير الطائي رحمه الله تعالى أزوره (**والباب مغلق عليه فسمعته يقول، اشتهيت**

تأكليه أبداً ، فسلمت ودخلت فإذا هو وحده . ومرّ أبو حازم يوماً في السوق فرأى الفاكهة فاشتهاها ، فقال لابنه : اشتر لنا من هذه الفاكهة المقطوعة الممنوعة لعلنا نذهب إلى الفاكهة التي لا مقطوعة ولا ممنوعة ، فلما اشتراها وأتى بها إليه قال لنفسه : قد خدعتيني حتى نظرت واشتهيت وغلبتيني حتى اشتريت ، والله لاذقتيه فبعث بها إلى يتامى من الفقراء .

وعن موسى الأشج انه قال : نفسي تشتهي ملحاً جريشاً منذ عشرين سنة . وعن أحمد ابن خليفة قال : نفسي تشتهي منذ عشرين سنة ما طلبت مني إلا الماء حتى تروى فما

جزراً فأطعمتك جزراً ثم اشتهيت تمراً فآليت أن لا تأكليه فسلمت ودخلت فإذا هو وحده) أخرجه أبو نعيم في الحية فقال : حدثنا إبراهيم بن عبد الله ، حدثنا محمد بن إسحاق .

وحدثنا أبو محمد بن حبان ، حدثنا أحمد بن علي بن الجارود قال : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثني عبيد الله بن عبد الكريم ، عن حماد بن أبي حنيفة فساقه . وفيه : آليت أن لا تأكليه أبداً فاستأذنت وسلمت ودخلت فإذا هو يعاتب نفسه .

وأخرج من طريق الوليد بن عقبة قال : حدثني جار لداود الطائي طال : سمعت داود يعاتب نفسه : اشتهيت البارد وتمراً فاطعمتك وأسقيتك لا ذاق داود تمرة ما دام في دار الدنيا . قال : فما ذاقها حتى مات .

وأخرج من طريق إسماعيل بن حسان قال : جئت إلى باب داود الطائي أريد أن أدخل عليه فسمعته يخاطب نفسه ، فظننت ان عنده انساناً يكلمه فأطلت الوقوف بالباب ، ثم استأذنت فقال : ادخل فدخلت ، فقال : ما بدا لك من الاستئذان قال : قلت سمعتك تتكلم فظننت ان عندك إنساناً تخاصمه . قال : لا ، ولكن أخاصم نفسي وأعطيت الله عهداً أن لا آكل الجزر والتمر حتى ألقاه .

(ومر أبو حازم) سلمة بن دينار الأعرج التابعي الثقة العابد (يوماً في السوق فرأى الفاكهة فاشتهاها فقال لابنه : اشتر لنا من هذه الفاكهة المقطوعة الممنوعة لعلنا نذهب إلى الفاكهة التي لا) هي (مقطوعة ولا ممنوعة ، فلما اشتراها وأتى بها إليه قال لنفسه : قد خدعتيني حتى نظرت واشتهيت وغلبتيني حتى اشتريت والله لاذقتيه فبعث بها إلى يتامى من الفقراء) بالمدينة .

(وعن موسى بن الأشج) رحمه الله تعالى (أنه قال : نفسي تشتهي ملحاً جريشاً منذ عشرين سنة) فما أطعمتها إياه (وعن أحمد بن خليفة) رحمه الله تعالى (قال نفسي تشتهي منذ عشرين سنة ما طلبت مني إلا الماء حتى تروي فما رويتها) فمثل هذ التشديدات في ترك المباحات أرادوا بذلك كبحاً لها ومخالفة لشهواتها رجاء أن يسلم لهم حالهم مع الله تعالى . (وروي أن

أرويتها. وروي ان عتبة الغلام اشتهى لحماً سبع سنين فلما كان بعد ذلك قال: استحييت من نفسي أن أدافعها منذ سبع سنين ـ سنة بعد سنة ـ فاشتريت قطعة لحم على خبز وشويتها وتركتها على رغيف فلقيت صبياً فقلت، ألست أنت ابن فلان وقد مات أبوك؟ قال: بلى، فناولته إياها قالوا: وأقبل يبكي ويقرأ ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾ [الإنسان: ٨] ثم لم يذقه بعد ذلك. ومكث يشتهي تمراً سنين، فلما كان ذات يوم اشترى تمراً بقيراط ورفعه إلى الليل ليفطر عليه قال: فهبت ريح شديدة حتى أظلمت الدنيا ففزع الناس، فأقبل عتبة على نفسه يقول: هذا لجرأتي عليك وشرائي التمر بالقيراط، ثم قال لنفسه: ما أظن أخذ الناس إلا بذنبك؟ على أن لا

عتبة) بن أبان **(الغلام)** رحمه الله تعالى **(اشتهى لحماً سبع سنين، فلما كان بعد ذلك قال: استحييت من نفسي أن أدافعها سنة بعد سنة فاشتريت قطعة لحم على خبز وشويتها وتركتها على رغيف، فلقيت صبياً فقلت)** له: **(ألست ابن فلان وقد مات أبوك؟ قال: بلى فناولته إياها. قالوا: وأقبل يبكي ويقرأ)** قوله تعالى: **(﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾ ثم لم يذقه بعد ذلك)** أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا جعفر بن أحمد بن فارس، حدثنا إبراهيم بن الجنيد، حدثنا أحمد بن عمر الأنباري، حدثنا أحمد بن حاتم أبو عبد الله البصري، حدثنا أحمد بن عطاء بن عبد الله اليربوعي قال: نازعت عتبة الغلام نفسه لحماً. فقال لها: اندفعي عني إلى قابل فما زال يدافعها سبع سنين حتى إذا كان في السابعة أخذ دانقاً ونصف افلاس، فأتى بها صديقاً له من أصحاب عبد الواحد بن زيد فقال: يا أخي ان نفسي تنازعني لحماً منذ سبع سنين وقد استحييت منها كم أعدها وأخلفها فخذلي رغيفين وقطعة من لحم بهذا الدانق ونصف، فلما أتاه به إذ هو بصبي قال: يا فلان ألست أنت ابن فلان وقد مات أبوك؟ قال: بلى قال: فجعل يبكي ويمسح رأسه وقال: قرة عيني من الدنيا أن تصير شهوتي في بطن هذا اليتيم، فناوله ما كان معه ثم قرأ ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾.

(ومكث) عتبة الغلام **(يشتهي تمراً سنين ثم اشترى تمراً بقيراط ورفعه إلى الليل ليفطر عليه. قال: فهبت ريح شديدة حتى أظلمت الدنيا ففزع الناس فأقبل عتبة على نفسه يقول: هذه)** الريح التي هبت. **(من جرأتي عليك وشرائي التمر بالقيراط، ثم قال لنفسه: ما أظن أخذ الناس إلا بذنبك عليّ أن لا تذوقيه)** أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا جعفر بن أحمد، حدثنا إبراهيم بن الجنيد، حدثني خالد بن خداش، حدثنا عبد القادر بن عبد الرحيم قال: هاجت ريح بالبصرة حمراء ففزع الناس لها. قال: فجعل عتبة يبكي ويقول: واجرأتي عليك وشرائي التمر بالقراريط.

تذوقيه. واشترى داود الطائي بنصف فلس بقلاً وبفلس خلاً، وأقبل ليلته كلها يقول لنفسه: ويلك يا داود ما أطول حسابك يوم القيامة، ثم لم يأكل بعد إلا قفاراً، وقال عتبة الغلام يوماً لعبد الواحد بن زيد: إن فلاناً يصف من نفسه منزلة ما أعرفها من نفسي فقال: لأنك تأكل مع خبزك تمراً وهو لا يزيد على الخبز شيئاً قال: فإن أنا تركت أكل التمر عرفت تلك المنزلة؟ قال: نعم، وغيرها، فأخذ يبكي فقال له بعض أصحابه: لا أبكى الله عينك أعلى التمر تبكي؟ فقال عبد الواحد: دعه؛ فإن نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك، وهو إذا ترك شيئاً لم يعاوده. وقال جعفر بن نصر: امرني الجنيد أن اشتري له التين الوزيري، فلما اشتريته أخذ واحدة عند الفطور فوضعها في فمه

حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا أحمد بن الحسين الحذاء، حدثنا أحمد الدورقي، حدثنا ابراهيم بن عبد الرحيم بن مهدي، حدثنا عبد السلام الزهراني، حدثنا أبو نعامة الزهراني قال: كان عتبة يفتل الشريط في بيت مع أصحاب له فهاجت ريح فأتيته وهو لا يدري، فقلت: يا عتبة أما ترى ما في السماء؟ قال: فطرح الشريط فقام فقال: يا عتبة تجترىء على ربك وتشتري التمر بالقراريط، وكان اشترى يومئذ بقيراط.

حدثنا أحمد بن سواد، حدثنا جعفر بن أحمد، حدثنا ابراهيم بن عبدالله الختلي، حدثنا إسحاق بن إبراهيم الثقفي البصري، حدثنا رياح القيسي قال: صحبت عتبة الغلام وقد اشترى تمراً بقيراط، فلما كان عند المغرب هاجت ريح فقال عتبة: إنما أشتهي التمر منذ سنة لم آكله حتى إذا أخذت شهوتي أردت أن تأخذني عندها لا آكلها فتصدق بها.

(**واشترى داود**) بن نصير (**الطائي**) رحمه الله تعالى (**بنصف فلس بقلاً وبفلس خلاً وأقبل ليلته كلها يقول لنفسه: ويلك يا داود ما أطول حسابك يوم القيامة، ثم لم يأكل بعده إلا قفاراً**) أي خبزاً يابساً وحده، (**وقال عتبة**) بن أبان (**الغلام يوماً لعبد الواحد بن زيد**) رحمها الله تعالى: (**إن فلاناً يصف من نفسه**) ولفظ القوت من قلبه (**منزلة ما أعرفها من نفسي**) ولفظ القوت: لا أعرفها ولم يذكر من نفسي: (**قالا: لأنك تأكل مع خبزك تمراً وهو لا يريد على الخبز شيئاً**) ولفظ القوت: إن فلاناً لا يأكل التمر وأنت تأكله. (**قال: فإن أنا تركت أكل التمر عرفت تلك المنزلة، قال: نعم وغيرها فأخذ يبكي قال له بعض أصحابه: لا أبكى الله عينك أعلى التمر تبكي؟ فقال عبد الواحد: دعه فإن نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك، وإذا ترك شيئاً لم يعاوده**) ولفظ القوت: وهو إذا ترك شيئاً لم يعاود فيه أبداً.

(**وقال**) أبو محمد (**جعفر**) بن محمد بن نصير الخلدي البغدادي صحب الجنيد وانتمى إليه وصحب النوري ورويماً وسمنوناً مات ببغداد سنة ٣٤٨ (**أمرني الجنيد أن أشتري له التين فلما اشتريته أخذ واحدة عند الفطور فوضعها في فمه ثم ألقاها وجعل يبكي ثم قال: احمله**

ثم ألقاها وجعل يبكي، ثم قال: احمله فقلت له في ذلك فقال: هتف بي هاتف أما تستحي؟ تركته من أجلي ثم تعود إليــه! وقال صالح المري: قلت لعطاء السلمي إني متكلف لك شيئاً فلا ترد عليَّ كرامتي، فقال: افعل ما تريد، قال: فبعثت إليه مع ابني شربة من سويق قد لتته بسمن وعسل، فقلت: لا تبرح حتى يشربها، فلما كان من الغد جعلت له نحوها فردّها ولم يشربها، فعاتبته ولمته على ذلك وقلت: سبحان الله رددت عليَّ كرامتي! فلما رأى وجدي لذلك قال: لا يسوءك هذا؛ إني قد شربتها أوّل مرة وقد راودت نفسي في المرة الثانية على شربها فلم أقدر على ذلك، كلما أردت ذلك ذكرت قوله تعالى: ﴿يتجرَّعُهُ ولا يكادُ يسيغُهُ﴾ [إبراهيم: ١٧] الآية. قال صالح: فبكيت وقلت في نفسي: أنا في واد وأنت في واد آخر. وقال السري السقطي: نفسي منذ ثلاثين

فقلت له في ذلك فقال: هتف في قلبي هاتف أما تستحي تركته من أجلي ثم تعود إليه) أورده القشيري في الرسالة بلفظ: وقال جعفر بن نصير دفع إلى الجنيد درهماً وقال اشتر به التين الوزيري فاشتريته، فلما أفطر أخذ واحدة ووضعها في فمه وألقاها وبكى وقال: أحمله فقلت له في ذلك. فقال: هتف بي هاتف في قلبي: أما تستحي شهوة تركتها من أجلي منذ ثلاثين سنة ثم تعود إليها.

(**وقال صالح**) بن بشير (**المري**) تقدم ذكره في كتاب العلم (**قلت لعطاء السلمي**) من رجال الحلية وقد تقدم ذكره أيضاً (**إني متكلف لك شيئاً فلا ترد عليّ كرامتي. فقال: افعل ما تريد فبعثت إليه مع ابني شربة من سويق قد لتته بسمن وعسل، فقلت: لا تبرح حتى يشربها، فلما كان من الغد جعلت له نحوها فردها ولم يشربها فعاتبته ولمته على ذلك وقلت: سبحان الله رددت عليّ** كرامتي، **فلما رأى وجدي لذلك قال لا يسوءك هذا إني شربتها أوّل** مرة، **وقد راودت نفسي في المرة الثانية على شربها فلم أقدر كلما أردت ذلك تذكرت قوله تعالى: ﴿يتجرعه ولا يكاد يسيغه﴾ الآية قال صالح: فبكيت وقلت في نفسي أنا في واد وأنت في واد**) أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا أحمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي، حدثنا عمرو بن محمد بن رزين وعبد الله بن سليمان يزيد أحدهما على صاحبه عن صالح المري قال: كان عطاء السلمي قد أضر بنفسه حتى ضعف. قال: فقلت له، إنك قد أضررت بنفسك وأنا متكلف لك شيئاً فلا ترد عليّ كرامتي، قال افعل. قال: فاشتريت سويقاً من أجود ما وجدت وسمناً. قال: فجعلت له شربة فلتتها وحليتها فأرسلتها مع ابني وكوزاً من ماء فقلت، لا تبرح حتى يشربها. قال: فرجع فقال قد شربها، فلما كان من الغد جعلت له نحوها، ثم سرحت بها مع ابني فرجع بها لم يشربها. قال: فأتيته فلمته وقلت له: سبحان الله رددت علي كرامتي إن هذا مما يعينك ويقوّيك على الصلاة وعلى ذكر الله تعالى. قال: فلما رآني قد وجدت من ذلك قال: يا أبا بشر لا يسوءك الله قد شربت أوّل ما بعثت بها، فلما كان الغد زاولت نفسي على أن أسيغها فما قدرت على ذلك إذا أردت أن أشربه ذكرت هذه الآية ﴿يتجرّعه

سنة تطالبني أن أغمس جزرة في دبس فما أطعمتها . وقال أبو بكر الجلاء : أعرف رجلاً تقول له نفسه أنا أصبر لك على طي عشرة أيام وأطعمني بعد ذلك شهوة أشتهيها ، فيقول لها : لا أريد أن تطوي عشرة أيام ولكن اتركي هذه الشهوة . وروي أن عابداً دعا بعض إخوانه فقرَّب إليه رغفاناً فجعل أخوه يقلب الأرغفة ليختار أجودها فقال له العابد : مه أي شيء تصنع ! أما علمت أن في الرغيف الذي رغبت عنه كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا صانع ، حتى استدار من السحاب الذي يحمل الماء والماء الذي يسقي الأرض والرياح والأرض والبهائم وبنو آدم حتى صار إليك ، ثم أنت بعد هذا تقلبه ولا ترضى به .

وفي الخبر : « لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلاثمائة وستون صانعاً أولهم ميكائيل عليه السلام الذي يكيل الماء من خزائن الرحمة ، ثم الملائكة التي تزجي

ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان﴾ الآية فبكى صالح عند هذا وقلت في نفسي ألا أراني في واد وأنت في آخر .

(**وقال السري السقطي**) رحمه الله تعالى (**نفسي منذ ثلاثين سنة تطالبني أن أغمس جزرة في دبس فما أطعمتها**) أخرجه القشيري في الرسالة سماعاً عن أبي عبد الرحمن السلمي عن ابن العباس البغدادي ، عن جعفر بن نصير عن الجنيد قال : سمعت السري يقول : فساقه إلا أنه قال : منذ ثلاثين سنة أو أربعين سنة ، وقد تقدم .

(**وقال أبو بكر بن الجلاء**) رحمه الله تعالى وهو من مشايخ صاحب القوت ومن معاصريه : (**أعرف رجلاً تقول له نفسه أنا أصبر لك عن طيّ عشرة أيام واطعمني بعد ذلك شهوة أشتهيها فيقول لها : لا أريد أن تطوي عشرة أيام ولكن اتركي هذه الشهوة**) التي اشتهيتها . أورده صاحب القوت وقال : سمعت أبا بكر بن الجلاء يقول : أنا أعرف إنساناً فساقه .

(**وروي**) عن وهب بن منبه وغيره (**أن عابداً دعا بعض إخوانه فقرب إليه رغفاناً**) جمع رغيف ككثيب وكثبان (**فجعل أخوه**) أي العابد (**يقلب**) بعض (**الأرغفة**) جمع آخر لرغيف كحمير وأحمرة (**ليختار أجودها**) أي أحسنها (**فقال له العابد : مه**) أي كف عن هذا التقليب (**أي شيء تصنع ، أما علمت أن في الرغيف الذي رغبت عنه**) ولم تقنع به (**كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا صانع**) وظهرت كذا وكذا صنعة ؟ (**حتى استدار**) أي صار مستديراً (**من السحاب الذي يحمل الماء والماء الذي يسقي الأرض والرياح والأرض**) التي أنبتت (**والبهائم وبني آدم حتى صار إليك ثم أنت بعد هذا تقلبه ولا ترضى به**) هكذا أورده صاحب القوت من رواية وهب بن منبه قال (**وقال**) الآخر زيادة (**وفي الخبر « لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلاثمائة وستون صانعاً**) ولفظ القوت ثلاثمائة وستون بين صانع وصنعة (**أولهم ميكائيل**) عليه السلام يقال ان اسمه عبد الرزاق وكنيته

السحاب والشمس والقمر والأفلاك وملائكة الهواء ودواب الأرض، وآخرهم الخباز ﴿وإن تعدّوا نِعمَةَ الله لا تحصُوها﴾ [النحل : ١٨] » وقال بعضهم : أتيت قاسماً الجوعي فسألته عن الزهد أي شيء هو ؟ فقال : أي شيء سمعت فيه ؟ فعددت أقوالاً فسكت فقلت : وأي شيء تقول أنت ؟ فقال : اعلم أن البطن دنيا العبد فبقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد ، وبقدر ما يملكه بطنه تملكه الدنيا وكان بشر بن الحرث قد اعتّل مرة فأتى عبد

أبو الفتوح (**الذي يكيل الماء من خزائن الرحمة**) أي من تحت العرش ، (**ثم الملائكة التي تزجر السحاب**) أي تسوقه (**والشمس والقمر والأفلاك وملائكة الهواء ودواب الأرض وآخرهم الخباز ﴿وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها﴾** ») . قال العراقي : هذا الحديث لم أجد له أصلاً .

قلت : رواه صاحب القوت عن وهب بن منبه باللفظ الأوّل ، وعن غيره باللفظ الثاني والقصة واحدة وهي قصة دعاء العابد لبعض إخوانه وقد صرح صاحب القوت بذلك وميز بين السياقين حيث قال ، وقال الآخر زيادة في الخبر : أي في هذا الخبر الذي ساقه وأراد به هذه القصة ، ولم يرد صاحب القوت بقوله في الخبر أنه مرفوع إلى نبينا ﷺ ، فمن هنا جاء الاشتباه والحق أن سياق المصنف مشعر بأنه في الخبر النبوي ، ولكن حيث وجدنا أصل الكلام الذي هو مأخذ المصنف في كتابه هـذا استرحنا فهو خبر إسرائيلي من قول ذلك العابد الذي دعا مخاطباً به أخاه ، وهذا موضع شديد الالتباس وناهيك بالمصنّف مع جلالة قدره كيف يغفل عن ذلك ويزيد في كلامه لبساً حتى يظن من جاء بعده أنه كلام نبوي ولكن مراجعة الأصول الصحيحة تمنع من الوقوع في الغلط والله أعلم .

(**وقال بعضهم**) ولفظ القوت : وحدثونا عن بعض هـذه الطـائفـة قـال : (**أتيـت قـاسماً الجوعي**) هو القاسم بن عثمان الدمشقي قال ابن السمعاني في الانساب : ولعله كان يبقى جائعاً كثيراً فلقب بالجوعي ، له كرامات ، وروى عن أبي اليمان الحكم بن نافع ، وعنه محمد بن المعافي العابد ، (**فسألته عن الزهد أي شيء هو ؟ فقال**) لي (**أي شيء سمعت فيه فعددت أقوالاً**) قيلت فيه ، (**فسكت**) ولفظ القوت : فقلت قالوا الزهد قصر الأمل فقال : حسن وايش سمعت أيضاً ؟ فقلت : قالوا الزهد ترك الإدخار . فقال : حسن حتى عدد عليه أقوالاً ، قال : فسكت ، (**فقلت أي شيء تقول فيه أنت ؟ فقال : اعلم أن البطن دنيا العبد فبقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد وبقدر ما يملكه بطنه تملكه الدنيا**) زاد صاحب القوت : وعلى هذا المعنى كان شيخنا ابن سالم يقول : إذا أعطيت البطن حظه من الشبع طلبت كل جارحة حظها من اللهو فجمحت بـذلـك النفس إلى الهلكة ، وإذا منعت البطن حظه قصرت كل جارحة عن حظها فاستقام القلب لذلك واعتدل .

(**وكان**) أبو نصر (**بشر بن الحرث**) الحافي رحمه الله تعالى (**قد اعتل مرة فأتى عبد**

الرحمن الطبيب يسأله عن شيء يوافقه من المأكولات ؟ فقال : تسألني فإذا وصفت لك لم تقبل مني ، قال : صف لي حتى أسمع ، قال : تشرب سكنجبينا وتمص سفرجلاً وتأكل بعد ذلك اسفيذباجا ، فقال له بشر : هل تعلم شيئاً أقل من السكنجبين يقوم مقامه ، قال : لا ، قال : أنا أعرف . قال : ما هو ؟ قال : الهندبا بالخل ، ثم قال : أتعرف شيئاً أقل من السفرجل يقوم مقامه ؟ قال : لا . قال : أنا أعرف ، قال : ما هو ؟ قال : الخرنوب الشامي ، قال : فتعرف شيئاً أقل من الأسفيذباج يقوم مقامه ؟ قال : لا . قال : أنا أعرف ، ماء الحمص بسمن البقر في معناه ، فقال له عبد الرحمن : أنت أعلم مني بالطب ؟ فلم تسألني ؟

فقد عرفت بهذا أن هؤلاء امتنعوا من الشهوات ومن الشبع من الأقوات ، وكان امتناعهم للفوائد التي ذكرناها ، وفي بعض الأوقات لأنهم كانوا لا يصفو لهم الحلال فلم يرخصوا لأنفسهم إلا في قدر الضرورة ، والشهوات ليست من الضرورات حتى قال أبو سليمان : الملح شهوة لأنه زيادة على الخبز وما وراء الخبز شهوة . وهذا هو النهاية . فمن لم يقدر على ذلك فينبغي أن لا يغفل عن نفسه ولا ينهمك في الشهوات ، فكفى بالمرء

الرحمن المتطبب يسأله عن شيء يوافقه من المأكولات ، **فقال**) له عبد الرحمن : (**تسألني فإذا وصفت لك لم تقبل مني قال**) له بشر : (**صف لي حتى أسمع**) فقال : تحتاج ان تستعمل ثلاثة أشياء فإن فيهن صلاح جسمك . (**قال : تشرب سكنجبينا**) وهو المعمول بالخل والعسل ، (**وتمص سفرجلا ، وتأكل بعد ذلك اسفيدباجا**) وهو الشورباج ويعرف بالمسلوقة فإنه يقوّي الجسد ويرطبه ، (**فقال**) له بشر : (**هل تعلم شيئاً أقل**) ثمناً (**من السكنجبين يقوم مقامه ؟ قال لا ، قال انا أعرف ، قال ما هو ؟ قال الهندبا بالخل**) ثم قال : (**أتعرف شيئاً أقل**) ثمناً (**من السفرجل يقوم مقامه؟ قال : لا . قال : أنا أعرف . قال : ما هو؟ قال : الخرنوب الشامي**) ثم قال : (**أتعرف شيئاً أقل**) ثمناً (**من الاسفيدباجة يقوم مقامها ، قال :**) أما هذا (**لا ، قال : أنا أعرف . قال : ما هو ؟ قال : « ماء الحمص بسمن البقر في معناها » فقال له عبد الرحمن : أنت أعلم مني بالطب فلم تسألني**) هكذا أورده صاحب القوت ، (**فقد عرفت بهذا أن هؤلاء**) الطائفة إنما (**امتنعوا من أكل الشهوات ومن الشبع من الأقوات ، وكان امتناعهم للفوائد التي** ذكرناها آنفاً وأنه كان ذلك **في بعض الأوقات لأنهم كانوا لا يصفو لهم الحلال فلا يرخصوا لأنفسهم إلا في قدر الضرورة**) ورعاً . (و) معلوم أن (**الشهوات ليست من الضرورات حتى قال أبو سليمان**) الداراني رحمه الله تعالى : (**الملح شهوة ، لأنه زيادة على الخبز وما وراء الخبز شهوة**) ولفظ القوت وكانوا يقولون ما زاد على الخبز فهو شهوة حتى الملح ، (**وهذا هو النهاية فمن لم يقدر على ذلك**) بل زاد على الخبز (**فينبغي أن لا يغفل عن نفسه**) ولا يهملها في عاداتها (**ولا ينهمك في الشهوات**) بل يقتصر على الخبز على شهوة واحدة ملحاً أو أداماً آخر ، ومن جمع بين ادام كثيرة فقد انهمك في الشهوات ، (**فكفى بالمرء إسرافاً أن**

سرافاً أن يأكل كل ما يشتهيه، ويفعل كل ما يهواه فينبغي أن لا يواظب على أكل اللحم وقال علي كرم الله وجهه: من ترك اللحم أربعين يوماً ساء خلقه ومن داوم عليه أربعين يوماً قسا قلبه وقيل: إن للمداومة على اللحم ضراوة كضراوة الخمر. ومهما كان جائعاً وتاقت نفسه إلى الجماع فلا ينبغي أن يأكل ويجامع، فيعطي نفسه شهوتين فتقوى عليه، وربما طلبت النفس الأكل لينشط في الجماع ويستحب أن لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعتاد الفتور ويقسو قلبه لذلك ولكن ليصل أو يجلس فيذكر الله تعالى فإنه أقرب إلى الشكر. وفي الحديث: «أذيبوا طعامكم بالذكر والصلاة ولا تناموا عليه

يأكل من كل ما يشتهيه ويفعل كل ما يهواه) فقد روى ابن ماجه وابن أبي الدنيا في كتاب الجوع، والبيهقي في الشعب من حديث أنس أن من السرف أن تأكل كل ما اشتهيت، وفي لفظ «إن من الإسراف» وسنده ضعيف فيه بقية، وحاله معروف. عن يوسف بن أبي كثير ضعيف، عن نوح بن ذكوان منكر الحديث، عن الحسن عن أنس. ولذا أورده ابن الجوزي في الموضوعات وتعقب بأن له شواهد بعضها أمثل من بعض، وبعضها حسن، وبعضها من تصحيح الحاكم فالسرف على كل حال في الأكل، والفعل مذموم، ومن أسرف في ماله أسرف في دينه ومن فعل ذلك خالف طريق السلف، (**فينبغي**) للمتقشف من المريدين (**أن لا يواظب على أكل اللحم**) أو الدسم بل يقتصر عليها في الشهر مرتين، فإن أكله أربعاً فلا بأس به قد كان السلف يفعلون كذلك، كذا في القوت. (**قال علي كرّم الله وجهه «من ترك اللحم أربعين يوماً ساء خلقه ومن داوم عليه أربعين يوماً قسا قلبه»**) كذا في القوت، (**وإن المداومة على اللحم لها ضراوة**) أي لهج بالانسان (**كضراوة الخمر**) فإن من ضرى بها لا يقدر على تركها إلا بمشقة، فكذلك اللحم فينبغي لأجل ذلك عدم الملازمة عليه لئلا تعتاده النفس فيكون فطمها صعباً، ونظر إلى أن ترك اللحم مما يسيء الخلق ويخل بجوهر العقل. كان سهل التستري رحمه الله تعالى يقول للمتقللين من أهل عبادان: احفظوا عقولكم وتعاهدوها بالأدهان والدسم فإنه ما كان ولي لله ناقص العقل.

(**ومهما كان**) المريد (**جائعاً وتاقت نفسه إلى الجماع فلا ينبغي أن يأكل ويجامع فيعطي نفسه شهوتين**) ويجمع لها بين حظين، بل يقتصر عل الجماع دون الأكل وإذا جمع بينهما فهي تطلبها فربما طلبت النفس الجماع للتعفف وهي تريد الأكل، (**وربما طلبت النفس الأكل لتنشط في الجماع**) وفي الجمع بين شهوتين تقوية للنفس وإجراء عادة لها. (**ويستحب**) للمريد إذا أكل (**أن لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعتاد الفتور**) والكسل (**ويقسو قلبه لذلك**) و(**لكن ليصل أو يجلس يذكر الله تعالى**) بأي ذكر ألهمه الله تعالى في وقته، (**فإنه أقرب إلى الشكر**) لنعمة الله عز وجل. (**وفي الحديث «اذيبوا طعامكم**) أي اهضموه (**بالصلاة والذكر**) وفي لفظ بذكر الله والصلاة (**ولا تناموا عليه**) قبل انهضامه عن أعالي المعدة

فتقسو قلوبكم ». وأقل ذلك أن يصلي أربع ركعات أو يسبح مائة تسبيحة أو يقرأ جزءاً من القرآن عقيب أكله. فقد كان سفيان الثوري إذا شبع ليلة أحياها وإذا شبع في يوم واصله بالصلاة والذكر، وكان يقول: أشبع الزنجي وكدّه ومرة يقول: أشبع الحمار وكدّه. ومهما اشتهى شيئاً من الطعام وطيبات الفواكه فينبغي أن يترك الخبز ويأكلها بدلاً منه لتكون قوتاً، ولا يكون تفكهاً لئلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة.

نظر سهل إلى ابن سالم وفي يده خبز وتمر فقال له: ابدأ بالتمر فإن قامت كفايتك به

(فتقسو) منصوب بفتحة على الواو ولأنه جواب النهي (قلوبكم ») أي تغلظ وتشتد وتكتسب ظلمة وحجاباً. قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط، وابن السني في اليوم والليلة من حديث عائشة بسند ضعيف اهـ.

قلت: رواه عبد الرحمن بن مبارك عن بزيع عن هشام عن عروة عن عائشة، ومن هذا الطريق أخرجه الطبراني في الأوسط وابن السني، وكذا أبو نعيم في الطب، والبيهقي وقد روي أيضاً من طريق أبي الأشعث، عن أصرم بن حوشب، عن عبدالله الشيباني، عن هشام. ومن هذه الطريق أخرجه ابن السني وقد تكلم في الحديث من جهة بزيع، وأصرم بن حوشب. وكثر فيهما الكلام. وحكم ابن الجوزي بوضعه وقال: بزيع متروك وأصرم كذاب، وقد تعقبه الحافظ السيوطي في اللآلىء المصنوعة وغاية ما يقال فيه إنه ضعيف ولذا اقتصر عليه العراقي.

(وأقل ذلك أن يصلي أربع ركعات) بتسليمتين (أو يسبح مائة تسبيحة أو يقرأ جزءاً من القرآن عقب كل أكلة) كذا في القوت فإن وجد نشاطاً أطال في صلاته إما بإطالة القراءة في الركعات أو زاد على عدد الركعات، فإن لحركة الاعضاء قياماً وقعوداً سراً بليغاً في إذابة الطعام، وكذا إن زاد على التسبيح بالتهليل والتكبير فحسن ليجمع الباقيات الصالحات. وكان بعض مشايخنا يأمر للمريد بعد أكله أن يراقب بالجلالة ويستمر عليه لحظات. قال: فإنه يمري الطعام في الحال، (فقد كان سفيان الثوري) رحمه الله تعالى (إذا شبع في ليلة أحياها) بالقيام، (وإذا شبع في يوم واصله بالصلاة والذكر، وكان) يتمثل و(يقول: اشبع الزنجي) أي العبد الأسود (وكده) أي اتعبه في الخدمة (ومرة يقول: أشبع الحمار وكده) وكان إذا جاع كأنه يتراخى في ذلك كذا في القوت وأصله عند أبي نعيم في الحلية، (ومهما اشتهى) المريد (شيئاً من الطعام وطيبات الفواكه فينبغي أن يترك الخبز ويأكلها بدلاً منه) أي يجعل ما اشتهاه بدلاً من الخبز ويقطع به جوعه (ليكون) ذلك له (قوتاً) عند الحاجة إلى طعم، (ولا يكون تفكهاً لئلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة) فإنه أسرع لملكه لأنهّ إذا شبع من الطيبات غير الخبز شبعة أو شبعتين كان أقرب إلى تركه وانقطاع شهوته.

(نظر) أبو محمد (سهل) التستري رحمه الله تعالى (إلى) أبي الحسن علي بن (سالم) البصري

وإلا أخذت من الخبز بقدر حاجتك: ومهما وجد طعاماً لطيفاً وغليظاً فليقدم اللطيف فإنه لا يشتهي الغليظ بعده، ولو قدم الغليظ لأكل اللطيف أيضاً للطافته. وكان بعضهم يقول لأصحابه: لا تأكلوا الشهوات فإن أكلتموها فلا تطلبوها فإن طلبتموها فلا تحبوها، وطلب بعض أنواع الخبز شهوة. قال عبد الله بن عمر رحمة الله عليهما: ما تأتينا من العراق فاكهة أحب إلينا من الخبز فرأى ذلك الخبز فاكهة.

وعلى الجملة: لا سبيل إلى اهمال النفس في الشهوات في المباحات واتباعها بكل حال

شيخ صاحب القوت رحمها الله تعالى (**وفي يده خبز وتمر فقال له: ابدأ بالتمر فإن قامت كفايتك به وإلا أخذت من الخبز بعده حاجتك**) وقال: ان التمر مبارك والخبز مشؤم يعني انه كان سبب إخراج آدم عليه السلام من الجنة، وأما بركة التمر فإن الله تعالى ضرب النخلة مثلاً لكلمة التوحيد في قوله: ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة﴾ [إبراهيم: ٢٤] وهي النخلة وليس في الثمار أحلى من الرطب، ولذلك شبه رسول الله ﷺ المؤمن في حلاوته ولينه وقوّته وثبات أصله بالنخلة. فقال: لا يسقط ورقها مثلها كمثل المؤمن يقول سهل رحمه الله تعالى: إذا استغنيت عن الخبز بغيره من الطعم كان خيراً لك يريد أن لا تقف نفسك مع عادة فتنازعك إليها. نقله صاحب القوت. قال: وقد ذكرت هذه الحكاية لأبي بكر الجلاء فأعجبته وقال: هذا كلام الحكماء وكان ذلك يلائم حاله، (**ومهما وجد**) المريد (**طعاماً**) ذو لونين (**لطيفاً وغليظاً**) بالإضافة إلى أحدهما (**فليقدم اللطيف فلعل كفايته تتم به**) فإنه لا يشتهي الغليظ بعده فيستريح منه، (**ولو قدم الغليظ لأكل اللطيف أيضاً للطافته**) فإنما قدم أهل الدنيا غليظ الألوان على الرقيق ليتسعوا في الأكل وتتفتق شهواتهم فيكون لكل لون لطيف مكان آخر، وشبه بعضهم المعدة بمنزلة جراب ملآنة جوزاً حتى لم يبق فيه فضل للجوز فجئت بسمسم فصببته عليه، فأخذ لنفسه موضعاً في خلال الجوز فوسع الجراب السمسم للطفه مع الجوز، فكذلك المعدة إذا ألقيت فيها طعاماً رقيقاً لطيفاً بعد طعام خشن غليظ أخذته الشهوات في أماكنها فتمكن فيها بعد الشبع مما قبله، والعرب تعيب ذلك ولا تفعله إذ من سنتها أن تبتدىء باللحم قبل الثريد. قال رجل من العرب لبعض الأنباط: أنت من الذي يبتدئون بالثريد

قاا الشواء فذمّ أهل العراق بذلك هذا إذا استوى اللونان في الحكم ولم يكن للمريد في ترك الأفضل منهما نية فأما إن كان ترك الشهوات قد قدمت إليه وكان على عقد نية وقوّة عزمه فلا بأس بأكل الأدون (**وكان بعضهم يقول لأصحابه: لا تأكلوا الشهوات فإن أكلتموها فلا تطلبوها فإن طلبتموها فلا تحبوها**) نقله صاحب القوت، (**وطلب بعض أنواع الخبز شهوة**) حتى قال بعضهم: الخبز من أكبر الشهوات. (**قال عبد الله بن عمر**) رضي الله عنهما: (**ما تأتينا من العراق فاكهة أحب إلينا من الخبز**) رواه صاحب القوت، (**فرأى ذلك الخبز**) المخصوص (**فاكهة**) بالإضافة إلى غيره.

(**وعلى الجملة لا سبيل إلى إهمال النفس في الشهوات في المباحات واتباعها بكل حال**)

فبقدر ما يستوفي العبد من شهوته يخشى أن يقال له يوم القيامة ﴿أذهبتُم طيّبَاتكُم في حياتكُمُ الدّنيا واستمتعتُم بها﴾ [الأحقاف: ٢٠] وبقدر ما يجاهد نفسه ويترك شهوته يتمتع في الدار الآخرة بشهواته.

قال بعض أهل البصرة: نازعتني نفسي خبز أرز وسمكاً فمنعتها، فقويت مطالبتها واشتدت مجاهدتي لها عشرين سنة، فلما مات قال بعضهم: رأيته في المنام فقلت ماذا فعل الله بك؟ قال: لا أحسن أن أصف ما تلقاني به ربي من النعم والكرامات، وكان أول شيء استقبلني به خبز أرز وسمكاً. وقال كل اليوم شهوتك هنيئاً بغير حساب. وقد قال تعالى: ﴿كُلُوا واشربوا هنيئاً بما أسلفْتُم في الأيام الخالية﴾ [الحاقة: ٢٤] وكانوا قد

فإنه يخشى منه على المريد أن يتخذه عادة ولا يأمن من تألم قلبه وتوقان نفسه إليه ومنازعتها إياه، لاسيما إذا كان مبتدئاً في السلوك غراً لا يعرف خبء النفس ودواهيها ولا يفطن لمكرها وآفتها، فإن ترك ذلك أفضل فليتركها حينئذ لأجل الله تعالى خوفاً أن يشتهيه فيحرص على مثله ويدخل مداخل السوء من أجله ويبيع دينه فيه أو خشية تمكن العادة منه فتتعذر عليه التوبة لدخوله في الشبهات عند اعتياد الشهوات لأن العادة جند من جنود الله تعالى يقهر العلم لأجله تعذرت الاستقامة، ولولا العادة لكنا تائبين، ولولا الابتلاء لكان التائبون مستقيمين فليترك حينئذ أكل الطيبات إذا صارت شهوات وخشي منها مطالبة العادات ودواعي النفس بالآفات، ناوياً بذلك صلاح قلبه وتسكين نفسه ليملك بذلك نفسه قبل أن تملكه وتفطم عادتها قبل أن تهلكه ويغلب بالترك طبعه وهواه قبل أن يكونا بالشهوة يغلباه، (**فبقدر ما يستوفي العبد من شهوته يخشى أن يقال يوم القيامة ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾ وبقدرمايجاهد نفسه ويترك شهوته،يتمتع في الدار الآخرة بشهواته**) وقد كان هذا طريق طائفة من السلف إلى الله تعالى، ثم انقرضوا فانمحى طريقهم وخلف من بعدهم خلف من العلماء اتبعوا الشهوات ولم يتغالوا في هذه المقامات ولا سلك بهم هذه الطرقات فلم يتكلموا في طرق الشهوات، فلذلك درس هذا الطريق وعفا أثره لفقد سالكه وعدم كاشفه، فمن عمل به وسلكه فقد أظهره ومن أظهره فقد أحيا أهله.

(**قال**) صاحب القوت: حدثني (**بعض**) علمائنا عن بعض المريدين من (**أهل البصرة**) قال: (**نازعتني نفسي خَبزاً**) ولفظ القوت خبز أرز (**وسمكاً فمنعتها فقويت مطالبتها واشتدت مجاهدتي**)لها(**عشرين سنة. قال: فلما مات رآه بعضهم في المنام قال**) ولفظ القوت قال: فمات فرأيته في النوم فقلت: (**ماذا فعل الله بك؟ فقال: لا أحسن أن أصف لك ما تلقاني به ربي من النعم والكرامات**) ولفظ لقوت من النعيم والكرامة، (**وكان أول شيء استقبلني به خبز**) أرز (**وسمكاً وقال: كل اليوم شهوتك هنيئاً بغير حساب**) إلى هنا آخر القصة.

(**وقد قال**) الله (**تعالى: ﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية**) أي الماضية

أسلفوا ترك الشهوات. ولذلك قال أبو سليمان ترك شهوة من الشهوات انفع للقلب من صيام سنة وقيامها وفقنا الله لما يرضيه.

بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته واختلاف أحوال الناس فيه:

اعلم أن المطلوب الأقصى في جميع الأمور والأخلاق: الوسط، إذ خير الأمور أوساطها وكلا طرفي قصد الأمور ذميم. وما أوردناه في فضائل الجوع ربما يومىء إلى أن الإفراط فيه مطلوب وهيهات، لكن من أسرار حكمة الشريعة أن كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الأقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في المنع منه، على وجه يومىء عند الجاهل إلى أن المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الإمكان. والعالم يدرك أن المقصود الوسط لأن الطبع إذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي أن يمدح غاية الجوع حتى

(و) كأنهم كانوا (**قد أسلفوا ترك الشهوات**) لما تركوها وقدموا الجوع والعطش في خلو أيامهم فاستقبلهم بالأكل والشرب، ويقال لكل عمل جزاء في الآخرة من جنسه وبمعناه (**ولذلك قال أبو سليمان**) الداراني رحمه الله تعالى: (**ترك شهوة من الشهوات أنفع للعبد من صيام سنة وقيامها**) لفظ القوت: ترك شهوة من شهوات النفس انفع للقلب من صيام سنة وقيامها وهو الذي قال: لأن أترك لقمة من عشائي أحب إلي من قيام ليلة ذلك وقد تقدم قريباً. وكان رحمه الله تعالى شديد الأمر في الجوع وكان قد ترك أكل الشهوات وأكل الخبز أيضاً ثلاثين سنة كما نقله صاحب القوت.

بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته واختلاف أحوال الناس فيه:

(**اعلم أن المطلوب الأقصى في جميع الأمور والأخلاق الوسط إذ خير الأمور أوسطها**) كما ورد في الخبر وتقدم الكلام عليه (**وكلا طرفي قصد الأمور ذميم**) قال صاحب القوت، قال وهب بن منبه: لكل شيء وسط وطرفان، فإذا أمسكت أحد الطرفين مال الآخر وإن أمسكت الوسط اعتدل الطرفان.

قلت: أخرجه صاحب الحلية من طريق عبد الصمد بن معقل عن عمه وهب وزاد ثم قال: عليكم بالأوسط من الأشياء (**وما أوردناه في فضائل الجوع فربما يومىء**) أي يشير (**إلى أن الإفراط مطلوب وهيهات فمن أسرار حكمة الشريعة**) الخفية، (**أن كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الأقصى**) أي الأبعد (**وكان فيه فساد**) إما حالاً أو مآلا (**جاء الشرع بالمبالغة في المنع منه**) والزجر عنه (**على وجه يومىء عند الجاهل**) بالأسرار (**إلى أن المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الإمكان والعالم**) الكامل في معرفته (**يدرك**) من ذلك (**أن المقصود**) هو (**الوسط لأن الطبع إذا طلب غاية الشبع، فالشرع ينبغي أن يمدح غاية الجوع**

يكون الطبع باعثاً والشرع مانعاً فيتقاومان ويحصل الاعتدال، فإن من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد فيعلم أنه لا ينتهي إلى الغاية، فإنه إن أسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع أيضاً ما يدل على إساءته كما أن الشرع بالغ في الثناء على قيام الليل وصيام النهار، ثم لما علم النبي ﷺ من حال بعضهم أنه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه، فإذا عرفت هذا فاعلم أن الأفضل بالإضافة إلى الطبع المعتدل أن يأكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بألم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه الجوع أصلاً فإن مقصود الآكل بقاء الحياة وقوة العبادة، وثقل المعدة يمنع من العبادة وألم الجوع أيضاً يشغل القلب ويمنع منها. فالمقصود أن يأكل أكلاً لا يبقى للمأكول فيه أثر ليكون متشبهاً بالملائكة فإنهم مقدسون عن ثقل الطعام وألم الجوع، وغاية الإنسان الاقتداء بهم، وإذا لم يكن للإنسان خلاص من الشبع والجوع فأبعد الأحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال.

ومثال طلب الآدمي البعد عن هذه الأطراف المتقابلة بالرجوع إلى الوسط مثال نملة ألقيت في وسط حلقة محمية على النار مطروحة على الأرض، فإن النملة تهرب من حرارة الحلقة وهي محيطة بها لا تقدر على الخروج منها. فلا تزال تهرب حتى تستقر على المركز

حتى **يكون الطبع باعثاً والشرع مانعاً فيتقاومان ويحصل الاعتدال، فإن من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد فيعلم أنه لا ينتهي إلى الغاية فإنه إن أسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع أيضاً ما يدل على إساءته كما أن الشرع بالغ في الثناء على قيام الليل وصيام النهار، ثم لما علم النبي ﷺ من حال بعضهم)** وهو عبدالله بن عمرو بن العاصي **(أنه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه)** كما هو في الصحيحين ومرّ في كتاب صلاة الليل. **(فإذا عرفت هذا فاعلم أن الأفضل بالإضافة إلى الطبع المعتدل أن يأكل بحيث لا تنقل المعدة و)** بحيث **(لا يحس بألم الجوع، بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه الجوع أصلاً فإن مقصود الأكل بقاء رمق الحياة وقوة العبادة)** بأن يكون أداؤه للفرائض من قيام، **(وثقل المعدة يمنع من العبادة)** أي من القيام اليها **(وألم الجوع أيضاً يشغل القلب ويمنع منه)** فكلاهما من المشوشات، **(فالمقصود أن يأكل أكلاً لا يبقى للمأكول فيه أثر)** لا في ظاهره ولا باطنه **(ليكون متشبهاً بالملائكة)** عليهم السلام، **(فإنهم)** عباد مكرمون **(مقدسون من ثقل الطعام وألم الجوع وغاية الإنسان)** في فضله **(الاقتداء بهم)** واللحوق بزمرتهم، **(وإذا لم يكن للإنسان خلاص من الشبع والجوع فأبعد الأحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طلب الآدمي البعد عن هذه الأطراف المتقابلة بالرجوع إلى الوسط مثال نملة ألقيت في وسط حلقة محمية بالنار مطروحة على الأرض، فإن النملة تهرب من حرارة الحلقة وهي محيطة بها لا تقدر على الخروج منها**

الذي هو الوسط، فلو ماتت ماتت على الوسط لأن الوسط هو أبعد المواضع عن الحرارة التي في الحلقة المحيطة، فكذلك الشهوات محيطة بالإنسان إحاطة تلك الحلقة بالنملة، والملائكة خارجون عن تلك الحلقة، ولا مطمع للإنسان في الخروج وهو يريد أن يتشبه بالملائكة في الخلاص، فأشبه أحواله بهم البعد، وأبعد المواضع عن الأطراف الوسط، فصار الوسط مطلوباً في جميع هذه الأحوال المتقابلة. وعنه عبر بقوله ﷺ: «خير الأمور أوساطها» وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿كُلُوا واشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١] ومهما لم يحس الإنسان بجوع ولا شبع تيسرت له العبادة والفكر وخف في نفسه وقوي على العمل مع خفته، ولكن هذا بعد اعتدال الطبع.

أما في بداية الأمر إذا كانت النفس جموحاً متشوّقة إلى الشهوات مائلة إلى الإفراط

فلا تزال تهرب) في كل ناحية منها (**حتى تستقر على المركز الذي هو الوسط، فلو ماتت ماتت على الوسط لأن الوسط هو أبعد المواضع عن الحرارة التي في الحلقة المحيطة، فكذلك الشهوات محيطة بالإنسان إحاطة تلك الحلقة بالنملة والملائكة خارجون عن تلك الحلقة ولا مطمع للإنسان في الخروج**) منها إذ هي خلقت معه فلا تفارقه، (**وهو**) مع ذلك (**يريد أن يتشبه بالملائكة**) بخروجه عن الصفات البهيمية: (**في الخلاص**) منها (**فأشبه أحواله بهم البعد**) عن الشهوات، (**وأبعد المواضع عن الأطراف الوسط فصار الوسط مطلوباً في جميع هذه الأخلاق المقابلة وعنه عبر بقوله ﷺ: «خير الأمور أوسطها»**) قال العراقي رواه البيهقي في الشعب مرسلاً وقد تقدم.

قلت: أخرجه من قول مطرف، وكذلك رواه ابن جرير في التفسير أيضاً، ويروى من قول يزيد بن مرة الجعفي رواه ابن جرير أيضاً وروي ذلك عن علي مرفوعاً بسند فيه مجاهيل، ورواه السمعاني في الذيل، وأبو بكر الجياني في الأربعين، ويروى أيضاً عن ابن عباس أخرجه الديلمي بلا سند وقد تقدم الكلام على ذلك مفصلاً.

(**وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾**) وكذا قوله تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾ الآية [الإسراء: ٢٩] وكذا قوله تعالى: ﴿لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾ [الفرقان: ٦٧] وقال تعالى: ﴿أنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك﴾ [البقرة: ٦٨] (**ومهما لم يحس الإنسان بجوع ولا شبع تيسرت له العبادة والفكر**) والمراقبة ونحوها (**وخف في نفسه وقوى على العمل في خفته**) وفي بعض النسخ وقوي بالعمل على خفته، (**ولكن هذا بعد اعتدال الطبع**).

(**أما في بداية الأمر إذا كانت النفس جوحة**) رافعة رأسها (**متشوقة إلى الشهوات

فالاعتدال لا ينفعها بل لا بد من المبالغة في إيلامها بالجوع، كما يبالغ في إيلام الدابة التي ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره إلى أن تعتدل، فإذا ارتاضت واستوت ورجعت إلى الاعتدال ترك تعذيبها وإيلامها، ولأجل هذا السر يأمر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه هو في نفسه فيأمر بالجوع وهو لا يجوع ويمنعه الفواكه والشهوات، وقد لا يمتنع هو منها، لأنه قد فرغ من تأديب نفسه فاستغنى عن التعذيب. ولما كان أغلب أحوال النفس الشره والشهوة والجماح والامتناع عن العبادة، كان الأصلح لها الجوع الذي تحس بألمه في أكثر الأحوال لتنكسر نفسه.

والمقصود أن تنكسر حتى تعتدل فترد بعد ذلك في الغذاء أيضاً إلى الاعتدال وإنما يمتنع من ملازمة الجوع من سالكي طريق الآخرة إما صديق وإما مغرور أحمق.

أما الصديق فلاستقامة نفسه على الصراط المستقيم واستغنائه عن أن يساق بسياط الجوع إلى الحق، وأما المغرور: فلظنه بنفسه أنه الصديق المستغني عن تأديب نفسه الظان بها خيراً وهذا غرور عظيم وهو الأغلب، فإن النفس قلما تتأدب تأدباً كاملاً، وكثيراً ما

مائلة إلى الافراط **فالاعتدال لا ينفعها بل لا بد من المبالغة في إيلامها**) أي إتعابها (**بالجوع كما يبالغ في إيلام الدابة التي ليست مروضة**) أي منقادة مهذبة (**بالجوع والضرب وغيرهما إلى أن تعتدل**) وهذا مشاهد، (**فإذا ارتاضت واستوت ورجعت إلى الاعتدال ترك تعذيبها وإيلامها**) وأطلق لها الإكرام، (**ولأجل هذا السر يأمر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه هو في نفسه فيأمره بالجوع**) والصبر عليه (**وهو**) بنفسه (**لا يجوع ويمنعه**) تناول (**الفواكه والشهوات**) ويحذره منها (**وهو لا يمتنع منها**) بل يتناولها، (**لأنه قد فرغ من تأديب نفسه فاستغنى عن التأديب**) إذ صارت مذللة في العبادة، (**ولما كان الأغلب على النفس الشره والشهوة والجماح والامتناع عن العبادة**) بالتكاسل (**كان الأصلح لها الجوع الذي تحس بألمه في أكثر الأحوال لتنكسر**)، فالامتناع عن العبادة ثمرة الكسل والكسل ثمرة امتلاء المعدة، وكذا الجماع إنما يحركه باعث الشهوة والشهوة تنبعث عن الطعام وقس عليهما بقية الأوصاف الذميمة والجوع مقطعة للكل. (**والمقصود أن تنكسر**) النفس (**حتى تعتدل فترد بعد ذلك أيضاً في الغذاء إلى الاعتدال، وإنما يمتنع من ملازمة الجوع من سالكي طريق الآخرة**) رجلان: (**إما صديق**) قد بلغ الغاية القصوى في مرتبة صدقه في العبادة، (**وإما مغرور أحمق**).

(**أما الصديق: فلاستقامة نفسه على الصراط المستقيم واستغنائه عن أن يساق بسياط الجوع إلى الحق**) فهو لا يلازم الجوع ولا حد له في أكله ولا توقيت، (**وأما المغرور: فلظنه بنفسه أنه الصديق المستغني عن تأديب نفسه**) وترويضها (**الظان بها خيراً وهذا غرور**

تغتر فتنظر إلى الصديق ومسامحته نفسه في ذلك فيسامح نفسه كالمريض ينظر إلى من قد صح من مرضه فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه الصحة فيهلك، والذي يدل على أن تقدير الطعام بمقدار يسير في وقت مخصوص ونوع مخصوص ـ ليس مقصوداً في نفسه ـ وإنما هو مجاهدة نفس متنائية عن الحق غير بالغة رتبة الكمال أن رسول الله ﷺ لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه.

قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم، وكان يدخل على أهله فيقول: «هل عندكم من شيء»؟ فإن قالوا: نعم. أكل وإن قالوا لا. قال: «إني إذاً صائم» وكان يقدم إليه الشيء فيقول: «أما أني قد كنت أردت الصوم ثم يأكل». وخرج ﷺ يوماً وقال: «إني صائم» فقالت له عائشة رضي الله عنها قد أهدي إلينا حيس فقال: «كنت أردت الصوم ولكن قرّبيه».

عظيم) وقع في الناس (وهو الأغلب) على أحوالهم، (فإن النفس قلما تتأدب تأدباً كاملاً وكثيراً ما تغتر فتنظر إلى الصديق ومسامحته) نفسه في ذلك، (فيسامح نفسه فيكون حاله كالمرض ينظر إلى من قد صح من مرضه فيتناول ما يتناوله) الصحيح (ويظن بنفسه الصحة فيهلك، والذي يدل على أن تقدير الطعام بمقدار يسير في وقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصوداً في نفسه وإنما هو) لأجل (مجاهدة نفس) جموحة (متنائية عن الحق غير بالغة رتبة الكمال) فهي رياضة المريدين وطريق المجاهدين (أن رسول الله ﷺ لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه) ولا تجزئة ولا تقسيم.

(قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم) رواه البخاري ومسلم، (وكان) ﷺ (يدخل على أهله فيقول: «هل عندكم من شيء». فإن قالوا نعم أكل، وإن قالوا لا قال: «إني إذاً لصائم») قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي من حديث عائشة وهو عند مسلم بنحوه كما سيأتي. (وكان) ﷺ (يقدم إليه الشيء فيقول: «إما أني قد أردت الصوم ثم يأكل») قال العراقي: رواه البيهقي من حديث عائشة بلفظ: «وإني قد كنت فرضت الصوم» وقال: إسناده صحيح وعند مسلم: «قد كنت أصبحت صائماً» (وخرج ﷺ يوماً وقال: «إني صائم» فقالت عائشة رضي الله عنها: قد أهدي لنا حيس) وهو تمر ينزع نواه ويدق مع إقط ويعجنان بالسمن ثم يدلك باليد حتى يبقى كالثريد وربما جعل معه السويق، (فقال: «كنت أردت الصوم ولكن قربيه») قال العراقي: رواه مسلم بلفظ: «قد كنت أصبحت صائماً وفي رواية له: «أدنيه فلقد أصبحت صائماً فأكل» وفي لفظ للبيهقي: «إني كنت أريد الصوم ولكن قربيه» اهـ.

قال صاحب القوت: الأفضل لمن عقد لله تعالى صوماً إن يتمه فإن فسخه لغير الله عوقب على

ولذلك حكي عن سهل أنه قيل له: كيف كنت في بدايتك؟ فأخبر بضروب من الرياضات، منها أنه كان يقتات ورق النبق مدة، ومنها أنه أكل دقاق التين مدة ثلاث سنين ثم ذكر أنه اقتات بثلاثة دراهم في ثلاث سنين فقيل له: فكيف أنت في وقتك هذا؟ فقال: آكل بلا حد ولا توقيت، وليس المراد بقوله بلا حد ولا توقيت: أني آكل كثيراً بل أني لا أقدر بمقدار واحد ما آكله. وقد كان معروف الكرخي يهدى إليه طيبات الطعام فيأكل، فقيل له: إن أخاك بشراً لا يأكل مثل هذا. فقال: إن أخي بشراً قبضه الورع وأنا بسطتني المعرفة، ثم قال: إنما أنا ضيف في دار مولاي فإذا أطعمني أكلت وإذا جوّعني صبرت، ما لي والاعتراض والتمييز؟ ودفع إبراهيم بن أدهم إلى بعض إخوانه دراهم

ذلك من عقوبات القلوب أو عقوبات الجوارح في طرقات الآخرة فتلك عقوبة ترك فضائل الأعمال قال بشر بن الحرث رحمه الله تعالى: إن فلاناً الغني يصوم الدهر، فقال المسكين ترك حاله ودخل حال غيره إنما حاله أن يطعم الجياع ويكسو العراة ويؤاسي المحتاجين، فهذا أفضل له من صيامه الدهر ثم قال بشر: عبادة الغني كروضة على مزبلة وعبادة الفقير كعقد الجوهر في جيد الحسناء. ودخل سفيان الثوري رحمه الله تعالى يوماً على أبي إسحاق الفزاري فقدم إليه قصعة فيها خبيص فقال: لولا أني صائم لأكلت معك. قال الفزاري: دخل علي أخوك إبراهيم بن أدهم فقعد في موضعك هذا فقدمت إليه خبيصاً في هذه القصعة فأكل، فلما أراد الانصراف قال: أما أني كنت صائماً إلا أني أحببت أن آكل معك أسرك بذلك، فوضع الثوري يده فجعل يأكل وتأدب بإبراهيم.

(**ولذلك حكي عن سهل**) التستري رحمه الله تعالى (**أنه قيل له: كيف كنت في بدايتك**) أي ابتداء حالك في السلوك (**فأخبر بضروب من الرياضات**) وأنواع من المجاهدات. (**منها: أنه كان يقتات ورق النبق مدة، ومنها أنه أكل دقاق التين**) وهو ما تكسر منه (**مدة ثلاث سنين، ثم ذكر أنه اقتات بثلاثة دراهم في ثلاث سنين**) قيل: وما هو؟ قال: كنت اشتري في كل سنة بدانقين تمراً وأربعة دوانيق كسباً ثم أعجنها عجنة ثم أجزئها ثلاثمائة وستين كبة أفطر في كل ليلة على كبة قال (**فقيل له فكيف أنت في وقتك هذا؟ قال: آكل بلا حد ولا توقيت**) نقله صاحب القوت وقد تقدم له، وللمصنف قريباً نحو هذه وكذا أورده القشيري في الرسالة في ترجمة سهل. (**وليس المراد بقوله بلا حد ولا توقيت أني آكل كثيراً بل**) المراد (**أني لا أقدر بمقدار واحد ما آكله، وقد كان**) أبو محفوظ (**معروف**) بن فيروز (**الكرخي**) رحمه الله تعالى (**يهدى إليه طيب الطعام فيأكل فقيل له: إن أخاك بشر**) بن الحرث الحافي (**لا يأكل مثل هذا. فقال: إن أخي بشراً قبضه الورع، وأنا بسطتني المعرفة، ثم قال: إنما أنا ضيف في دار مولاي، فإذا أطعمني أكلت، وإذا جوعني صبرت مالي والإعتراض والتمييز**) وفي نسخة التخير هكذا أورده صاحب القوت. (**ودفع إبراهيم بن أدهم**) رحمه الله

وقال: خذ لنا بهذه الدراهم زبداً وعسلاً وخبزاً حواري، فقيل: يا أبا إسحاق بهذا كله؟ قال: ويحك إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال، وإذا عدمنا صبرنا صبر الرجال وأصلح ذات يوم طعاماً كثيراً ودعا إليه نفراً يسيراً فيهم الأوزاعي والثوري فقال له الثوري: يا أبا إسحاق أما تخاف أن يكون هذا سرافاً؟ فقال: ليس في الطعام إسراف إنما الإسراف في اللباس والأثاث.

فالذي أخذ العلم من السماع والنقل تقليداً يرى هذا من إبراهيم بن أدهم ويسمع عن مالك بن دينار أنه قال: ما دخل بيتي الملح منذ عشرين سنة، وعن سري السقطي أنه منذ أربعين سنة يشتهي أن يغمس جزرة في دبس فما فعل. فيراه متناقضاً فيتحير ويقطع بأن أحدهما مخطىء والبصير بأسرار العلم يعلم إن كل ذلك حق ولكن بالإضافة إلى اختلاف الأحوال، ثم هذه الأحوال المختلفة يسمعها فطن محتاط أو غبي مغرور، فيقول المحتاط: ما أنا من جلة العارفين حتى اسامح نفسي فليس نفسي اطوع من نفس سري السقطي ومالك بن دينار، وهؤلاء من الممتنعين عن الشهوات فيقتدي بهم والمغرور

تعالى (إلى بعض إخوانه دراهم فقال: خذ لنا بهذه زبداً وعسلاً وخبزاً حوري فقيل له: يا أبا إسحاق هذا كله) كأنه استكثره (قال: ويحك إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال وإذا عدمنا صبرنا صبر الرجال) نقله صاحب القوت وأصله في الحلية لأبي نعيم، (وأصلح إبراهيم) بن أدهم (مرة طعاماً كثيراً ودعا إليه نفراً يسيراً فيهم) أبو عمرو (الاوزاعي و) سفيان (الثوري فقال له الثوري: يا أبا إسحاق أما تخاف أن يكون هذا إسرافاً؟ فقال: ليس في الطعام إسراف إنما الإسراف في اللباس والأثاث) نقله صاحب القوت وأصله في الحلية لأبي نعيم، (فالذي أخذ العلم من السماع والنقل تقليداً) محضاً (يرى هذا) الصنيع (من إبراهيم بن أدهم ويسمع عن مالك بن دينار) أبي يحيى البصري (أنه قال: ما دخل بيتي الملح منذ عشرين سنة) أخرجه أبو نعيم في الحلية. (وعن) السري (السقطي) رحمه الله تعالى (أنه منذ أربعين سنة يشتهي أن يغمس جزرة في دبس فما فعل) أخرجه القشيري في الرسالة بالشك منذ ثلاثين سنة أو أربعين ورواية صاحب القوت منذ ثلاثين من غير شك، (فيراه متناقضاً) مع بعضه (فيتحير) عند الوقوف عليه، (ويقطع بأن أحدهما مخطىء) لا محالة (والبصير) العارف الناقد (بأسرار العلم يعلم أن ذلك حق، ولكن بالإضافة إلى اختلاف الأحوال) والأشخاص (ثم هذه الأحوال المختلفة يسمعها فطن محتاط) لدينه (أو غبي مغرور) بحاله وعلمه، (فيقول المحتاط: ما أنا من جلة العارفين حتى أسامح نفسي) ما سامح به أولئك القوم، (فليس نفسي أطوع من نفسي سري السقطي ومالك بن دينار) رحمهما الله تعالى ومن يكون مثلهما. (وهؤلاء من الممتنعين عن الشهوات فيقتدي بهم، والمغرور يقول: ما نفسي

يقول: ما نفسي بأعصى علي من نفس معروف الكرخي وإبراهيم بن أدهم، فاقتدي بهم وارفع التقدير في مأكولي، فأنا أيضاً ضيف في دار مولاي فمالي وللاعتراض؟ ثم أنه لو قصر أحد في حقه وتوقيره أو في ماله وجاهه بطريقة واحدة قامت القيامة عليه، واشتغل بالاعتراض. وهذا مجال رحب للشيطان مع الحمقى، بل رفع التقدير في الطعام والصيام وأكل الشهوات لا يسلم إلا لمن ينظر من مشكاة الولاية والنبوة فيكون بينه وبين الله علامة في استرساله وانقباضه، ولا يكون ذلك إلا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى والعادة بالكلية حتى يكون أكله إذا أكل على نية كما يكون إمساكه بنية، فيكون عاملاً لله في أكله وإفطاره، فينبغي أن يتعلم الحزم من عمر رضي الله عنه فإنه كان يرى رسول الله ﷺ يحب العسل ويأكله ثم لم يقس نفسه عليه بل لما عرضت عليه شربة باردة

بأعصى علي من نفس معروف الكرخي، وإبراهيم بن أدهم) رحمها الله تعالى (**فاقتدي بهم وارفع التقدير في مأكولي أنا ضيف في دار مولاي فما لي وللاعتراض ثم أنه لو قصر أحد في حقه وتوقيره وفي ماله وجاهه**) بل وحاشيته (**بطريقة واحدة قامت القيامة عليه واشتغل بالاعتراض**) ولم يبق في المجال شيئاً (**وهذا مجال رحب**) أي واسع (**للشيطان مع الحمقى**) قلائل العقول، (**بل رفع التقدير**) والتوقيت (**في الطعام والصيام وأكل الشهوات لا يسلم إلا لمن ينظر في مشكاة الولاية والنبوة فيكون بينه وبين الله تعالى علامة في استرساله وانقباضه**) قال صاحب القوت: بعد أن أورد الأحاديث المتقدمة في الصيام والأكل وكان بينه ﷺ وبين الله تعالى علامة في صومه وفطره، وكان الوجود علامة فطره ويكون مراداً به وكان العدم علامة صومه يكون معه مراداً به. قال: وعلى هذا المعنى تصريف قلوب العارفين ومن هذه المشكاة تضيء بصائر الشاهدين ولا يوكلون إلى حال ولا يوقفون مع مقام، (**ولا يكون ذلك**) ولا يتم (**إلا بعد**) تمام ثلاث خصال: إحداها: (**خروج النفس عن مسامحة الهوى و**) توقانها (**إلى العادة بالكلية**)، والثانية: حسن النية (**حتى يكون أكله إذا أكل على نية كما يكون امتناعه**) من الأكل (**بنيه**) فيستوي فطره وصومه إذا كان العامل فيهما واحداً (**فيكون عاملاً لله في أكله وإفطاره**). والثالثة: أن يحفظ الجوارح الست بحسن الرعاية وهن السمع والبصر واللسان والقلب واليد والرجل، ويكون مفطراً بالبطن والفرج فيكون ما حفظ أكثر وأبلغ وأحب إلى الله تعالى، ويكون أفضل ممن صام بجارحتين وإن لم يكن ممن أصبح صائماً ثم أفطر بهذه الأوصاف الثلاث دخلت عليه الشهوة الخفية فيما روي عنه ﷺ أنه لما قال: «أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية» فقيل: ما الشهوة الخفية؟ فقال: «أن يصبح أحدكم صائماً ثم يعرض له الطعام يشتهيه فيفطر لأجله». (**فينبغي أن يتعلم الحزم من عمر رضي الله عنه فإنه كان يرى رسول الله ﷺ يحب العسل ويأكله**) قال العراقي: متفق عليه من حديث عائشة: كان يحب الحلواء والعسل الحديث. وفيه قصة شربه للعسل عند بعض نسائه، (**ثم لم يقس نفسه بذلك بل لما عرضت عليه شربة باردة**

ممزوجة بعسل جعل يدير الإناء في يده ويقول: أشربها وتذهب حلاوتها وتبقى تبعتها. اعزلوا عني حسابها وتركها.

وهذه الأسرار لا يجوز لشيخ أن يكاشف بها مريده بل يقتصر على مدح الجوع فقط ولا يدعوه إلى الاعتدال، فإنه يقصر لا محالة عما يدعوه إليه، فينبغي أن يدعوه إلى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له أن العارف الكامل يستغني عن الرياضة فإن الشيطان يجد معلقا من قلبه فيلقي إليه كل ساعة: أنك عارف كامل، وما الذي فاتك من المعرفة والكمال، بل كان من عادة إبراهيم الخوّاص أن يخوض مع المريد في كل رياضة كان يأمره بها كي لا يخطر بباله أن الشيخ لم يأمره بما لم يفعل فينفره ذلك من رياضته، والقوي إذا اشتغل بالرياضة وإصلاح الغير لزمه النزول إلى حد الضعفاء تشبهاً بهم وتلطفاً في سياقتهم إلى السعادة وهذا ابتلاء عظيم للأنبياء والأولياء، وإذا كان حد الاعتدال خفياً في حق كل شخص فالحزم والاحتياط ينبغي أن لا يترك في كل حال ولذلك أدب عمر رضي الله عنه ولده عبد الله إذ دخل عليه فوجده يأكل لحماً مأدوماً

ممزوجة بعسل جعل يدير الإناء في يده ويقول: اشربها وتذهب حلاوتها وتبقى تبعتها اعزلوا عني حسابها، وتركها)، وقد علم أنه كان حلالاً فامتنع من شربه خوفاً من الحساب وقد تقدم ذلك قريباً.

(**وهذه الأسرار**) الخفية (**لا يجوز لشيخ من شيوخ الطريقة أن يكاشف بها مريده، بل يقتصر على مدح الجوع فقط ولا يدعوه إلى الاعتدال فإنه يقصر لا محالة عما يدعوه إليه فينبغي أن يدعوه إلى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال**) فيما بعد، (**ولا يذكر له أن العارف الكامل يستغني عن الرياضة**) وتهذيب الأخلاق، (**فإن الشيطان يجد لذلك من قلبه متعلقاً فيلقي إليه كل ساعة إنك عارف كامل، وما الذي فاتك من المعرفة والكمال**) فيقع المريد في غرور عظيم ولا يجيء منه شيء في الطريق، (**بل كان عادة**) أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد (**الخواص**) رحمه الله تعالى من أقران الجنيد مات بالري سنة ٢٩١ (**أن يخوض مع المريد في كل رياضة يأمره بها كي لا يخطر بباله أن الشيخ لم**) أي لأي شيء (**يأمره بما لم يفعل فينفره ذلك من رياضته**) فكان يفعل ذلك الشيخ دفعاً لنفوره قطعاً لما يخطر في باله، (**والقوي الشديد إذا شغل بالرياضة وإصلاح الغير لزمه النزول إلى حد الضعفاء تشبهاً بهم وتلطفاً في**) حسن (**سياقهم إلى السعادة، وهذا ابتلاء عظيم للأنبياء والأولياء**) ومن على قدمهم، وقد خفي ذلك على كثيرين فلم يحيطوا به علماً (**وإذا كان حد الاعتدال خفياً في حق كل شخص فالحزم والاحتياط ينبغي أن لا يترك في كل حال**) حتى يقع على حد الاعتدال فيتمسك به ويستقيم عليه، (**ولذلك أدب عمر رضي الله عنه ولده عبد الله اذ دخل عليه فوجده يأكل**

بسمن فعلاهُ بالدرة قال: لا أم لك كُلْ يوماً خبزاً ولحماً، ويوماً خبزاً ولبناً، ويوماً خبزاً وسمناً، ويوماً خبزاً وزيتاً، ويوماً خبزاً وملحاً، ويوماً خبزاً قفاراً. وهذا هو الاعتدال فاما المواظبة على اللحم والشهوات فافراط وإسراف ومهاجرة اللحم بالكلية إقتار وهذا قوام بين ذلك والله تعالى أعلم.

بيان آفة الرياء المتطرق إلى من ترك كل الشهوات أو قلل الطعام:

اعلم أنه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما أعظم من أكل الشهوات.

إحداهما: أن لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فتشتهيها ولكن لا يريد أن يعرف بأنه يشتهيها فيخفي الشهوة ويأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة. وهذا هو الشرك الخفي. سئل بعض العلماء عن بعض الزهاد فسكت عنه فقيل له: هل تعلم به بأساً؟ قال: يأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة. وهذه آفة عظيمة بل حق العبد إذا

لحماً مأدوماً بسمن) أي مطبوخاً به **(فعلاه بالدرة)** أي السوط، **(وقال: لا أم لك)** لا تفعل هكذا **(كل يوماً خبزاً ولحماً)** وهما أعلى الطعام والادم **(ويوماً خبزاً ولبناً، ويوماً خبزاً وسمناً، ويوماً خبزاً وزيتاً)** وهؤلاء الثلاثة من أعلى الطعام وأوسط الأدم **(ويوماً خبزاً وملحاً)** وهما من أعلى الطعام وأدنى الأدام **(ويوماً خبزاً قفاراً)** أي وحده بلا أدام **(وهذا هو الاعتدال فأما المواظبة على اللحم)** في كل يوم **(و)** على **(الشهوات)** كالفواكه وغيرها **(فإفراط وإسراف)** منهي عنهما **(ومهاجرة اللحم بالكلية إقتار)** وهو أيضاً منهي عنه، **(وهذا قوام بين ذلك)** قال الله تعالى: ﴿وكان بين ذلك قواماً﴾ [الفرقان: ٦٧] والله أعلم.

بيان آفة الرياء المتطرق إلى من ترك أكل الشهوات أو قلل الطعام:

(اعلم) وفقك الله تعالى **(أنه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما)** في الحقيقة **(أعظم من أكل الشهوات)** فينبغي للمريد أن يتعاهد نفسه من طروّهما.

(إحداهما: أن لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فتشتهيها ولكن لا يريد أن يعرف بأنه يشتهيها فيخفي الشهوة ويأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة) وليس هذا من طريق الموقنين ولا مسلك الصادقين، **(وهذا هو الشرك الخفي)** كذا في سائر نسخ الكتاب والأولى، وهذا من الشهوة الخفية وهي التي جاء في الخبر «أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة الخفية» فالرياء بالمعاملات وخفي الشهوة أن يشتهي أن يعرف ويوصف بترك الشهوات كما هو في سياق القوت، وليس فيه ذكر للشرك الخفي وإن كان بحسب المعنى صحيحاً **(سئل بعض العلماء عن بعض الزهاد فسكت عنه فقيل له: هل تعلم به بأساً؟ قال:)** لا إلا في شيء واحد مكروه **(يأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة)** فاعله بذلك كذا في القوت قال ولعمري انه موضع علة لأن الصادقين من كانوا يأكلون في الجماعة ما لا يأكلون في الخلوة فهذا ضد حالهم **(وهذه**

ابتلي بشهوات وأحبها أن يظهرها فإن هذا صدق الحال وهو بدل عن فوات المجاهدات بالأعمال، فإن إخفاء النقص وإظهار ضده من الكمال هو نقصانان متضاعفان، والكذب مع الإخفاء كذبان فيكون مستحقاً لمقتين ولا يرضى منه إلا بتوبتين صادقتين. ولذلك شدد أمر المنافقين فقال تعالى: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ [النساء: ١٤٥] لأن الكافر كفر وأظهر وهذا كفر وستر، فكان ستره لكفره كفراً آخر لأنه استخف بنظر الله سبحانه وتعالى إلى قلبه وعظم نظر المخلوقين فمحا الكفر عن ظاهره والعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي، ولا يبتلون بالرياء والغش والإخفاء، بل كمال العارف أن يترك الشهوات لله تعالى ويظهر من نفسه الشهوة إسقاطاً لمنزلته من قلوب الخلق

آفة عظيمة بل حق العبد إذا ابتلي بالشهوات) أي بأكلها (وأحبها أن يظهرها) ولا يخفيها وليشترها بنفسه ولا يسترها (فإن هذا) من (صدق الحال) وهو طريق السلف، (وبدل عن فوات المجاهدات بالأعمال) قالوا: إن فاتته المجاهدة في الأعمال فلا يفوتنه الصدق في الحال وإن لم يكن صديقاً فليصدق في كذبه فإن الصدق في الكذب أصل الصدقين، (فإن إخفاء) الكذب و(النقص وإظهار ضده من) الإخلاص (والكمال) هما (نقصانان متضاعفان والكذب مع الإخفاء) هما (كذبان) لأنه نقص، وأظهر حال الكاملين واعتل وأبدى شعار المعصومين فكذب من طريقين (فيك مستحقاً لمقتين) أي للمقت من وجهين، (فلا يرضى منه إلا بتوبتين، ولذلك شدد الله) تعالى (أمر المنافقين) فغضب عليهم ومقتهم مقتين ثم لم يرض منهم إلا بتوبتين واشترط عليهم شرطين (فقال تعالى: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾) يعني أسفل من الكفار (لأن الكافر كفر وأخلص) في كفره (وأظهره) فسوّى بين ظاهره وباطنه (وهذا) أي المنافق (كفر) وأشرك في إيمانه (فستر) فخالف بين ظاهره وباطنه، (فكان ستره الكفر كفراً آخر لأنه استخف بنظر الله تعالى إلى قلبه وعظم نظر المخلوقين فمحا الكفر عن ظاهره) فزاد الله في هوانه وشدد في توبته بما وكده في شرطه فقال: ﴿إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله﴾ [النساء: ١٤٦] وهذا مما لا يمتحن به عالم بالله تعالى ولا غافل عن الله تعالى ولله الحمد. (والعارفون) قد (يبتلون بالشهوات) أي بأكلها (بل المعاصي) والذنوب لما تجري عليهم (ولا يبتلون بالرياء) أي رياء المخلوقين (والغش والإخفاء) وليس للسلف في هذا الباب إلا طريقان أحدهما: ما أشار إليه المصنف بقوله: (وكما العارف أن يترك الشهوات لله تعالى) ويجاهد النفس (في الله تعالى) والعارفون في طريق هذه المجاهدة على قسمين: فمنهم من كان يخفيه لأنه أسلم له، ومنهم من كان يظهره لأنه مؤمن قوي نيته في ذلك القدوة والتأسي، وإلى هذا القسم أشار المصنف بقوله: (ويظهر من نفسه الشهوة إسقاطاً لمنزلته من قلوب الخلق) وطريق آخر: كان فيه طائفة من العلماء والعاملين فكانوا يأكلون الطيبات ويتسعون في المآكل إذا وجدوها إلا أنهم كانوا يظهرون

وكان بعضهم يشتري الشهوات ويعلقها في البيت وهو فيها من الزاهدين، وإنما يقصد به تلبيس حاله ليصرف عن نفسه قلوب الغافلين حتى لا يشوشون عليه حاله.

فنهاية الزهد: الزهد في الزهد بإظهار ضدّه وهذا عمل الصديقين فإنه جمع بين صدقين كما أن الأول جمع بين كذبين. وهذا قد حمل على النفس ثقلين وجرعها كأس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة برميه، فلا جرم أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وهذا يضاهي طريق من يعطي جهراً فيأخذ ويرد سراً ليكسر نفسه بالذل جهراً وبالفقر

ذلك ويكشفون نفوسهم به، فإن فاتك الطريق الأقرب الأعلى فاسلك الطريق الأسلم الأوسط، فأما أن يكون عبد يأكل بالشهوات في السر ويخفيها في العلانية أو يظهر شعار ضدها من الترك لها والزهد فيها فليس هذا طريق الموقنين ولا مسلك الصادقين. وهذا قد عرج عن طريق المسالك وسلك سبيل المهالك فإياك أن تترك محجة الطريق فتقع في حيرة المضيق.

روي أن عابداً من بني إسرائيل انتهى من سياحته إلى أرض لقوم رأى في وسطها طريقاً مستطرقاً تسلك فيه السابلة فقال: هذه أرض لقوم كيف أسلكها شق عليه أن يجاوز الأرض فيبعد عليه طريقه فتفكر وقال: هذا طريق مسلوك لا بأس علي أن أسلكه فسلكه، فلما خرج من تلك الأرض عوقب على ذلك، ونسي ذنبه فجعل يستكشف فقيل له: لأنك سلكت عليَّ على غير طريق ودخلت حرث قوم بغير إذنهم فقال: يا رب معذرة إليك إني رأيته قد جعل طريقاً فأوحى الله إليه أو كل ما اتخذ الظالمون طريقاً جعلته إلي سبيلاً فمن سلك طريق ظالم بغرور لم يكن في ذلك معذوراً وأوقعه في الحيرة والغرور، فهلك وأهلك من اقتدى به. وهذا طريق متصنع جاهل متطرق بذلك إلى الدنيا يتسوق عند الناس بترك الشهوات مظلم التوحيد في الوحدة ضعيف اليقين في غيبته عن العيون، (**وقد كان بعضهم**) من الصادقين من السلف (**يشتري الشهوات بنفسه**) ويعلقها في البيت ويظهر للناس شعار الزاهدين (**وهو فيها**) عند الله (**من الزاهدين**) لا يأكلها (**وإنما يقصد بذلك**) إسقاط منزلته من قلوب الجاهلين و(**التلبيس**) أي الإخفاء (**لحاله**) عن الناظرين (**ليصرف نفسه قلوب الغافلين**) ويشتري بالمعاملات لتنقطع عنه المقالات (**حتى لا يتشوش حاله**) لأن هذا مقام من زهد في الأشياء وأخفى زهده، (**فنهاية**) الخفاء (**الزهد في الزهد بإظهار ضده**) واستشعار المزهود فيه ثم لا يتناول ولا يتمتع به، فيكون هذا أشد من المجاهدة. (**وهذا عمل الصديقين**) وحال الصادقين وطريق الأقوياء من أهل الإرادات، (**فإنه جمع بين صدقين كما أن الأول جمع بين كذبين، وهذا قد حمل على النفس ثقلين**) ثقل المنع من الحظ وثقل سقوط المنزلة عند الخلق فعدمت النفس لذة المتعة به وفقدت إثبات المنزلة بتركه (**وجرعها كأس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة برميه**) وقذفه، (**فلا جرم أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وهذا يضاهي طريق من يعطي جهراً**) وعلانية (**فيأخذ، ويرد سراً**) وخفية (**ليكسر نفسه في الأخذ بالذل جهراً**) إذ فيه سقوط الجاه

سراً. فمن فاته هذا فلا ينبغي أن يفوته إظهار شهوته ونقصانه والصدق فيه. ولا ينبغي أن يغره قول الشيطان: إنك إذا أظهرت اقتدى بك غيرك فاستره إصلاحاً لغيرك، فإنه لو قصد إصلاح غيره لكان إصلاح نفسه أهم عليه من غيره، فهذا إنما يقصد الرياء المجرد ويروّجه الشيطان عليه في معرض إصلاح غيره، فلذلك ثقل عليه ظهور ذلك منه وإن علم أن من أطلع عليه ليس يقتدي به في الفعل أو لا ينزجر باعتقاده أنه تارك للشهوات.

الآفة الثانية: أن يقدر على ترك الشهوات لكنه يفرح أن يعرف به فيشتهر بالتعفف عن الشهوات، فقد خالف شهوة ضعيفة وهي شهوة الأكل وأطاع شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه، وتلك هي الشهوة الخفية فمهما أحس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة آكد من كسر شهوة الطعام فليأكل فهو أولى له. قال أبو سليمان: إذا قدمت إليك شهوة وقد كنت تاركاً لها فأصب منها شيئاً يسيراً ولا تعط نفسك مناها، فتكون

بظهور الرغبة (**وبالفقر**) والزهد (**سراً**) فلا هو متع نفسه بالجاه مع الرد ولا هو أنالها حظها بتناوله مع الأخذ، وهذا من أشد شيء على النفس وهو طريق علماء الزهاد، ومن أخرجه سلكه إلى مقام الصديقية، وهذان طريقان قد درسا وعفا أثرهما في هذا الزمان وما قبله بكثير لا يسلكه إلا من عرفه الفرد بعد الفرد والسابلة من القراء على طرقات التصنع والتزين برآء، (**فمن فاته هذا**) الطريق الأقرب الأسهل (**فلا ينبغي أن يفوته إظهار شهوته ونقصانه والصدق فيه**) فإنه أيضاً محجة الطريق، ومن لم يسلكها وقع في حيرة المضيق، (**فلا ينبغي أن يغره قول الشيطان إنك إن أظهرت**) ذلك للناس (**اقتدى بك غيرك فاستره إصلاحاً لغيره**) وهذا غرور، (**فأنه لو قصد إصلاح غيره لكان إصلاح نفسه أهم عليه من غيره**) ابدأ بنفسك ثم بمن تعول، (**فهذا إنما يقصد الرياء المجرد ويروجه الشيطان عليه**) ويزينه له (**في معرض إصلاح غيره، فلذلك نقل عليه ظهور ذلك منه، وإن علم أن من اطلع عليه ليس يقتدي به في الفعل ولا ينزجر باعتقاده أنه تارك للشهوات.**

(**الآفة الثانية: أن يقدم على ترك الشهوات لكنه يفرح أن يعرف به**) بين الناس (**فيشتهر بالتعفف عن الشهوات**) أي ترك كل شهوة لأجل الشهرة ثم اشتهى أن يعرف بتركها فهذا شهوة الشهوات (**فقد خالف شهوة ضعيفة وهي الأكل وأطاع شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه**) فقد وقع في أعظم مما كره ومتعته بشهوة النظر إليه والمدح له أكبر من متعته بترك شهوته المأكولة (**وذلك هي الشهوة الخفية**) التي جاء في الخبر أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة الخفية، وفسروها بأن يشتهي أن يعرف ويوصف بترك الشهوات، (**فمهما أحس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة آكد من كسر شهوة الطعام فليأكل فهو أولى. قال أبو سليمان**) الداراني رحمه الله تعالى: (**إذا قدمت إليك شهوة وقد كنت تاركاً لها فاصب منها شيئاً**

قـد أسقطت عن نفسك الشهوة وتكون قد نغصت عليها إذ لم تعطها شهوتها. وقال جعفر بن محمد الصادق: إذا قدمت إلى شهوة نظرت إلى نفسي فإن هي أظهرت شهوتها أطعمتها منها وكان ذلك أفضل من منعها، وإن أخفت شهوتها وأظهرت العزوب عنها عاقبتها بالترك ولم أنلها منها شيئاً، وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية.

وبالجملة، من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الرياء كان كمن هرب من عقرب وفزع إلى حية، لأن شهوة الرياء أضر كثيراً من شهوة الطعام والله ولي التوفيق.

يسيراً ولا تعط نفسك) منها **(مناها، فتكون قد أسقطت عن نفسك الشهوة و)** تكون قد **(نقصت عليها)** إذ لم تبلغ **(شهوتها)** قال صاحب القوت، فإن فعل هذا فحسن لأن أبا سليمان خاف عليه ما ذكرناه قبيل من أن يظهر ترك الشهوة فيصير منعه باعتقاد فضله من ترك الشهوات أبلغ من أكل الشهوات، أو أن يأكلها فتشرف عليها نفسه ببلوغ شهوته التي كان تركها لعلة الإخلاص كما تقول العامة بعلة الصبي تشبع الدابة فإن بقي يقينه وغاب الخلق عن عينه تركها وقلبه مطمئن بالإيمان لأنه لم يعتل بالنظر فيتداوى بالتناول للبعض فأما إن كان قد اعتقد ترك شهوة لمعنى دخل عليه منها يخرجه من الورع أو بعزم على المجاهدة ثم أتى بها، فهذا اختبار من الله له لينظر كيف يعمل بالوفاء بالعقد فاحب إلي أن لا ينال منها شيئاً وليتعلل وليدافع عن نفسه بالمعاريض والمعاني حتى لا يفطن به أنه تركها للمجاهدة فيكون قد فعل الوصفين معاً الوفاء بالعقد في تركها والتورية بلطيف الحيلة عن الفطنة له في قصده، وهذا طريق المريدين وصفات المتقين وهو الطريق الأدنى الذي ذكرناه أولاً فإن ظهر قرب الله تعالى منه وغلبه نظره إليه أغناه عن الحيلة والاحتيال لقربه وشهادة ذي الجلال والإكرام وهو الطريق الأعلى الذي ذكرناه آخراً وهذا للموقنين.

(وقال جعفر بن محمد) بن علي بن الحسين **(الصادق)** رحمه الله تعالى **(إذا قدمت إليّ الشهوة نظرت إلى نفسي فإن هي أظهرت شهوتها)** لها **(أطعمتها منها، وكان ذلك أفضل من منعها وإن أخفت شهوتها وأظهرت العزوف عنها عاقبتها بالترك ولم أنلها منها شيئاً)** نقله صاحب القوت وقال: وتفسير ذلك أن إظهار النفس للشهوة أن لا تبالي أن تعرف بأكل الشهوات وأن تحب أن يظهر على ذلك من يعرف من أهل الديانات وإخفاء النفس للشهوة أن تشتهي وتحب أن يعلمها أنها تحب وتشتهي وتكره أن تعرف بأنها ممن تشتهيها، **(وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية)** التي هي شهوة الشهوات.

(وبالجملة: من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الرياء كان) في المثال **(كمن هرب من عقرب وفزع إلى حية لأن شهوة الرياء أضر من شهوة الطعام)** كما تقدم.

القول في شهوة الفرج: اعلم أن شهوة الوقاع سلطت على الإنسان لفائدتين:

إحداهما: أن يدرك لذته فيقيس به لذات الآخرة. فإن لذة الوقاع لو دامت لكانت أقوى لذات الأجساد، كما أن النار وآلامها أعظم آلام الجسد. والترغيب والترهيب يسوق الناس إلى سعادتهم وليس ذلك إلا بألم محسوس ولذة محسوسة مدركة، فإن ما لا يدرك بالذوق لا يعظم إليه الشوق.

الفائدة الثانية: بقاء النسل ودوام الوجود فهذه فائدتها. ولكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا إن لم تضبط ولم تقهر ولم ترد إلى حد الاعتدال. وقد قيل في تأويل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٦] معناه شدة الغلمة، وعن ابن عباس: في قوله تعالى ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [العلق: ٣] قال: هو

القول في شهوة الفرج:

(**اعلم**) أيدك الله (**أن شهوة الوقاع**) أي المجامعة بين الرجل وزوجته (**سلطت على الإنسان لفائدتين**):

(**أحداهما: أن يدرك لذته فيقيس به لذات الآخرة**) إذ ليس كل الناس يعرف اللذات المعقولة ولو توهمناها مرتفعة لما تشوقوا إلى لذات الجنة، (**فإن لذة الوقاع**) هي لذة ساعة (**لو دامت لكانت أقوى لذات الأجساد**) كلها (**كما أن النار وألمها أعظم آلام الجسد والترغيب والترهيب يسوق الناس إلى سعادتهم وليس ذلك إلا بألم محسوس ولذة محسوسة مدركة، فإن ما لا يدرك بالذوق لا يعظم إليه الشوق**) ولا تحصل فيه الرغبة.

(**الفائدة الثانية: بقاء النسل ودوام الوجود**) ونظام العالم، (**فهذه فائدتها**) فلولا الشهوة ما كان الوقاع، ولولا الوقاع ما كان النسل فالله سبحانه جعلها سبباً لهذا الإيجاد، ولذلك قال ﷺ «تناكحوا تكثروا» وقال «خير النساء الولود الودود وشرها العقيم» وقال «تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم» وقال «سوداء ولود خير من حسناء عقيم» ولقصد النسل حظر إتيان المرأة في محاشها وكره العزل تأكيداً للمقصود من النكاح، (**ولكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا إن لم تضبط**) على القانون (**وتقهر وترد إلى حدّ الاعتدال**) الذي هو خير الأمور، (**وقد قيل في تأويل قوله تعالى ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ معناه الغلمة**) قال صاحب القوت: رويناه عن قتادة. قلت: وأخرج ابن أبي حاتم عن مكحول ما لا طاقة لنا به قال: العزبة والإنعاظ والغلمة. وأخرج السدي قال: من التغليظ والإغلال إلى الغلمة.

(**وعن أبن عباس**) رضي الله عنهما (**في قوله تعالى ﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾ قال: هو قيام الذكر**) قال صاحب القوت: رويناه عن ابن عباس.

قيام الذكر. وقد أسنده بعض الرواة إلى رسول الله ﷺ إلا أنه قال في تفسيره: الذكر إذا دخل.

وقد قيل إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله، وكان ﷺ يقول في دعائه: «أعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي وهني ومنيّ». وقال عليه السلام: «النساء حبائل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطة على الرجال».

قلت: والمشهور عن ابن عباس في تفسيره قال: الليل إذا أقبل هكذا أخرجه ابن جرير وابن المنذر، وروي عنه أيضاً الغاسق الظلمة. والوقب: شدة سواده إذا دخل في كل شيء أخرجه الطستي في فوائده، وروي عن مجاهد قال: يعني الليل إذا دخل. هكذا رواه ابن جرير وابن المنذر، وإن صح ما قاله المصنف فهو نقل غريب عن ابن عباس، وقوله: هو قيام الذكر كأنه تفسير للوقوب والغاسق هو الذكر وهو في غريب اللغة.

(وقد أسنده بعض الرواة إلى رسول الله ﷺ إلا أنه قال في تفسيره الذكر إذا دخل) هكذا ذكره صاحب القوت.

قلت: وهذا أغرب من الأوّل ولغرابة القولين نقلهما صاحب القاموس في كتابه وأسندهما للمصنف وهو إنما تبع صاحب القوت وكأنه لعدم اشتهار كتابه بين أيدي الناس تنوسي وجعل. كان الغزالي هو الذي أبدى هذين القولين وقد ذكرت في شرحي عليه كلاماً يحتاج إلى مراجعته. وكان شيخنا المرحوم أبو عبد الله بن الطيب رحمه الله تعالى ينكر هذا جداً ويدلك على هذا قول العراقي في تخريجه حديث ابن عباس موقوفاً ومسنداً لا أصل له، **(وقد قيل إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله)** هو قول فياض بن نجيح نقله عنه صاحب القوت وزاد في موضع آخر فقال، وقال بعضهم: ثلث دينه. **(وكان ﷺ يقول في دعائه «أعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومنيّ»)** تقدم الكلام عليه في كتاب الدعوات. **(وقال ﷺ «النساء حبائل الشيطان»)** قال العراقي: رواه الاصبهاني في الترغيب والترهيب من حديث زيد بن خالد الجهني بإسناد فيه جهالة اهـ.

قلت: الحبائل جمع حبالة بالكسر هو ما يصاد به من أي شيء كان. وروى أبو نعيم من حديث عبد الرحمن بن عابس، وإبن لال من حديث ابن مسعود، والديلمي من حديث عبد الله بن عامر، وعقبة بن عامر، والتيمي في ترغيبه من حديث زيد بن خالد كلهم بلفظ «الشباب شعبة من الجنون والنساء حبالة الشيطان» هكذا روى عندهم بالإفراد والرواية بالجمع أكثر نبه عليه الحافظ السخاوي رضي الله تعالى عنه.

قلت: وقد رواه أيضاً الخرائطي في اعتلال القلوب والقضاعي في مسند الشهاب من حديث زيد بن خالد.

(ولولا هذه الشهوة) قد ركبت في الرجال **(لما كان للنساء سلطة على الرجال)** قال

روي أن موسى عليه السلام كان جالساً في بعض مجالسه إذ أقبل إليه إبليس وعليه برنس يتلون فيه ألواناً ، فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ، ثم أتاه فقال : السلام عليك يا موسى ، فقال له موسى من أنت ؟ فقال : أنا إبليس ، فقال : لا حياك الله ما جاء بك ؟ قال : جئت لأسلم عليك لمنزلتك من الله ومكانتك منه ، قال : فما الذي رأيت عليك ؟ قال : برنس اختطف به قلوب بني آدم قال : فما الذي إذا صنعه الإنسان استحوذت عليه قال : إذا أعجبته نفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه ، واحذرك ثلاثاً : لا تخل بامرأة لا تحل لك فإنه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أفتنه بها وأفتنها به ، ولا تعاهد الله عهداً إلا وفيت به ، ولا تخرجن صدقة إلا أمضيتها فإنه

صاحب القوت : وقد حدثت عن ابن البراء عن عبد المنعم بن إدريس قال : حدثنا أبي عن وهب ابن منبه أنه وجد في التوراة خلق آدم عليه السلام حين خلقه الله عز وجل وابتدعه فقال : إني خلقت آدم وركبت جسده في أربعة أشياء ، ثم ذكر الحديث بطوله في ذكر الطبائع الأربعة ، ثم قال : وقد تغلب الحرارة على بعض المريدين من قبيل قوّة المزاج وحدة الشباب فيظهر الطبع بتبيغ المني على العزاب كما تقوى الحرارة بتبيغ الدم لأن أصل المني هو الدم يتصاعد في خرزات الصلب ، وهناك مسكنه فتنضجه الحرارة فيستحيل أبيض فإذا امتلأ منه خرزات الصلب وهو الفقار طلب الخروج من مسلكه فقويت الصفة لذلك ، فهذا حين هيجان الإنسان للنكاح فلا يصح لمثل هذا أن يأكل الحرارات من الأطعمة وليطفيء ذلك بأكل المبردات والأشياء القاطعة وليتجنب أكل كل حار يابس أو بارد رطب فإنه يهيج الطبع ويقوي العضو ، وقد روينا أن أزواج رسول الله ﷺ إنهن كن يأكلن الخل والبرودات بعد وفاة رسول الله ﷺ يقطعن به الشهوة .

(وروي أن موسى عليه السلام كان جالساً) ذات يوم (إذ أقبل إليه إبليس وعليه برنس يتلوّن فيه ألواناً) مختلفة (فلما دنا منه قلع) ذلك البرنس (فوضعه ثم أتاه فقال : السلام عليك فقال له موسى) عليه السلام : (من أنت ؟ فقال : أنا ابليس ، فقال : لا حياك الله ما جاء بك ؟ قال : جئت لأسلم عليك لمنزلتك من الله) تعالى (ومكانك منه . قال) له موسى عليه السلام : (فما الذي رأيت عليك) يعني البرنس الذي قلعه ؟ (قال : إني أختطف به قلوب بني آدم قال) له موسى عليه السلام : (فما الذي إذا صنعه الإنسان استحوذت عليه) أي غلبته وملكته ؟ (قال : إذا أعجبته نفسه) أي رضي عنها (واستكثر عمله ونسي ذنوبه) قال : (وأحذرك) يا موسى (ثلاثاً) . الأولى : (لا تخل بامرأة لا تحل لك فإنه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أفتنه بها ، و) الثانية : (لا تعاهد الله عهداً إلا وفيت به ، و) الثالثة : (لا تخرجن صدقة إلا أمضيتها)

ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين الوفاء بها. ثم ولى وهو يقول: يا ويلتاه علم موسى ما يحذر به بني آدم.

وعن سعيد بن المسيب قال: ما بعث الله نبيا فيما خلا إلا لم ييأس إبليس أن يهلكه النساء ولا شيء أخوف عندي منه، وما بالمدينة بيت أدخله إلا بيتي وبيت ابنتي اغتسل فيه يوم الجمعة ثم أروح. وقال بعضهم: إن الشيطان يقول للمرأة أنت نصف جندي انت سهمي الذي أرمي به فلا أخطىء وأنت موضع سري وأنت رسولي في حاجتي، فنصف جنده الشهوة ونصف جنده الغضب.

وأعظم الشهوات شهوة النساء وهذه الشهوة أيضاً لها إفراط وتفريط واعتدال.

بالفعل، (**فإنه ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين الوفاء بها ثم ولّى**) إبليس (**وهو يقول: يا ويلتاه علم موسى ما يحذر به بني آدم**) وهذه الخصال التي أشار إليها إبليس قد حذر منها نبينا ﷺ كما هو في الأخبار الواردة في ذلك لا سيما الأولى منها. ففي حديث بريدة عند الطبراني: لا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما، وعنده وعند البيهقي من حديث ابن عباس: لا يخلونّ رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم ولا تسافر امرأة إلا مع محرم ولا يدخل عليها رجل إلا مع محرم، وعند البيهقي أيضاً: لا يدخل رجل على امرأة إلا ومعها محرم من دخل فليعلم أن الله معه. وعند ابن سعد من مرسل الحسن: لا تحدثن من الرجال إلا محرماً. وعند البزار من حديث جابر: لا تدخلوا على هؤلاء المغيبات فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، والأخبار في التحذير عن الخلوة مع النساء الاجنبيات كثيرة.

(**وعن سعيد بن المسيب**) القرشي المدني التابعي رحمه الله تعالى (**قال: ما بعث الله نبياً فيما خلا**) أي مضى (**إلا لم ييأس إبليس أن يهلكه بالنساء**) أي ما عدا نبينا ﷺ فإن الله سبحانه قد أعانه عليه، فأسلم فلم يكن له عليه سبيل، وقد روى نحو ذلك البزار من حديث جابر. (**ولا شيء أخوف عندي منهن**) أي من طائفة النساء. قال ذلك وسنه ثمانون كما سيأتي قريباً. (**وما بالمدينة بيت أدخله إلا بيتي وبيت ابنتي**) وهي التي زوجها عبد الله بن أبي وداعة كما سيذكر المصنف قصتها قريباً (**اغتسل فيه يوم الجمعة ثم أروح وقال بعضهم: إن الشيطان يقول للمرأة: أنت نصف جندي وأنت سهمي الذي أرمي به فلا أخطيء**) غرضي (**وأنت موضع سري وأنت رسولي في حاجتي**) وقد صدق في قوله، (**فنصف جنده الشهوة**) بها يقاتل المؤمنين، (**ونصف جنده**) الآخر (**الغضب**) فإذا اجتمعا في رجل فقد كمل عنده جند الشيطان.

(**وأعظم الشهوات شهوة النساء**) ولذا كانت لذة وقاعهن أعظم اللذات لو دامت ولكثرة استحواذهن على قلوب الرجال بمقتضى الشهوات كن من سهام إبليس التي لا تخطيء المرامي أبداً،

فالإفراط: ما يقهر العقل حتى يصرف همه الرجال إلى الاستمتاع بالنساء والجواري فيحرم عن سلوك طريق الآخرة أو يقهر الدين حتى يجر إلى اقتحام الفواحش، وقد ينتهي إفراطها بطائفة إلى أمرين شنيعين.

أحدهما: إن يتنلولوا ما يقوي شهواتهم على الاستكثار من الوقاع كما قد يتناول بعض الناس أدوية تقوي المعدة لتعظم شهوة الطعام ـ وما مثال ذلك إلا كمن ابتلى بسباع

فيحملن الرجال ما لا يطيقون ويقعون في المحظور لأجلهن، وإذا كن رسلاً في حاجة لا ترد شفاعتهن، وتقضي حاجتهن. وكل ذلك لما فيهن من مخايل الفتن فهن شر غالب لمن غلب، (**وهذه الشهوة أيضاً لها**) ثلاث مراتب (**إفراط وتفريط واعتدال. فالإفراط**) وهي المرتبة الأولى (**ما يقهر العقل حتى تصرف همة الرجل إلى الاستمتاع بالنساء**) المنكوحات (**والجواري**) بملك اليمين ويشتغل بهن، (**فيحرم عن سلوك طريق الآخرة أو**) ما (**يقهر الدين حتى يجر إلى اقتحام الفواحش**) التي حرم الله ما ظهر منها وما بطن، وذلك على ضربين.

أحدهما: تعاطيه في المحرث ولكن لا على الوجه الذي يجب وقد عظم الله أمره فقرنه مرة بالشرك فقط فقال ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك﴾ [النور: ٣] ومرة قرنه بالشرك وقتل النفس المحرمة فقال ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾ [الفرقان: ٦٨] وسمى ذلك سفاحاً من حيث أن المجتمعين عليه لا غرض لها سوى سفح الماء للشهوة كمن ضيع ماء في غير حرثه.

والثاني:تعاطيه في غير المحرث كاللواطة وهي أعظم من الزنا لأن الزنا وضع البذر في المحرث على غير الوجه المأثور، فهو كمن زرع في أرض غيره أو على غير الوجه الذي يجوز أن يزرع فيها. وفي اللواطة مع ذلك تضييع فمتعاطيها كمن قال الله تعالى فيه ﴿ويهلك الحرث والنسل﴾ [البقرة: ٢٠٥] ولهذا وصف قوم لوط بالإسراف فقال: ﴿أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون﴾ [النمل: ٥٥] (**حتى ينتهي افراطها بطائفة إلى أمرين شنيعين**).

(**أحدهما: أن يتناولوا ما يقوي شهواتهم على الاستكثار من الوقاع**) من غير ضعف وفتور، (**كما قد يتناول بعض الناس أدوية تقوي المعدة لتعظم شهوة الطعام**) وكل منهما شنيع. قال صاحب القوت: وحدثونا في أخبار الملوك أن ملك الهند أهدى إلى المنصور تحفاً منها أنه وجه إليه بفيلسوف طبيب قال: فانزله المنصور وأحسن إليه، فلما دخل إليه قال الفيلسوف: قد جئتك يا أمير المؤمنين بثلاث خصال: تتنافس الملوك فيها لا نصنعها إلا لهم. قال: وما هي؟ قال: اخضب لحيتك بسواد لا تنصل أبداً ولا تتغير عن حالها. قال: وما الخصلة الثانية؟ قال: أعالجك بعلاج تتسع به في المآكل فتأكل أي شيء شئت لا تتخم ولا يؤذيك الطعام. قال: وماالثالثة؟ قال: أقوي صلبك بتقوية تنشط بها إلى الجماع فتجامع ما شئت لا تمل من ذلك ولا يضعف بصرك ولا تنقص من قوتك. قال: فأطرق المنصور ثم رفع رأسه إليه فقال: قد كنت أظن أنك أعقل مما أنت.

ضارية وحيات عادية فتنام عنه في بعض الأوقات فيحتال لإثارتها وتهييجها ثم يشتغل بإصلاحها وعلاجها، فإن شهوة الطعام والوقاع على التحقيق آلام يريد الإنسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب الخلاص.

فإن قلت: فقد روي في غريب الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «شكوت إلى جبرائيل ضعف الوقاع فأمرني بأكل الهريسة». فاعلم أنه ﷺ كان تحته تسع نسوة ووجب عليه تحصينهن بالإمتاع وحرم على غيره نكاحهن وإن طلقهن فكان طلبه القوة لهذا لا للتمتع.

والأمر الثاني: أنه قد تنتهي هذه الشهوة ببعض الضلال إلى العشق وهو غاية الجهل

أما ما ذكرت من السواد فلا حاجة لي به لأن ذلك غرور وزور، والشيب هيبة ووقار ولم أكن لأغيّر نوراً جعله الله في وجهي بظلمة السواد، وأما ما ذكرت من الأكل فوالله ما أنا بشره ومالي في الاستكثار من الطعام حاجة لأنه يثقل الجسم ويشغل عن النوائب وأقل شيء فيه كثرة الأختلاف إلا الخلاء، فأرى ما أكره وأسمع ما لا أحب. وأما ما ذكرت من النساء، فإن النكاح شعبة من الجنون، وما أقبح بخليفة مثلي يجثو بين يدي صبية. ارجع إلى صاحبك مذموماً مدحوراً فلا حاجة لي بما جئت به.

(وما مثل ذلك إلا كمن ابتلي بسباع ضارية وبهائم عادية فتنام عنه في بعض الأوقات فيحتال لإثارتها وتهييجها ثم يشتغل بإصلاحها وعلاجها) وكفى بما يهتاج من باعث الطبيعة على ذلك فهو كمن قال:

كلما أنبـــت الزمـــان قنـــاة ركـــب المر في القنـــاة سنـــانـــاً

(فإن شهوة الطعام والوقاع على التحقيق ألم) يحس في الباطن وفي النسخة: آلام (يريد الإنسان الخلاص منه) وفي نسخة: منها (فيدرك لذة بسبب الخلاص) من تلك الآلام.

(فإن قلت: فقد روي في غريب الحديث أن رسول الله ﷺ قال: شكوت إلى جبريل ضعف الوقاع فأمرني بأكل الهريسة») قال العراقي: رواه العقيلي في الضعفاء، والطبراني في الأوسط من حديث حذيفة وقد تقدم وهو موضوع، (فاعلم أنه ﷺ كانت تحته تسع نسوة) تقدم ذكر أسمائهن (وجب عليه تحصينهن) بالامتاع فكان يقسم لهن وربما دار عليهن كلهن بغسل واحد كما ورد، (وحرم على غيره نكاحهن وإن طلقهن) كما هو مذكور في خصائصه ﷺ، (فكان طلبه القوّة لهذا) السبب (لا للتنعيم) فلا يكون مذموماً بل هو محمود بهذا النظر.

(والأمر الثاني: أنه قد تنتهي هذه الشهوة ببعض الضلال) عن نهج الدين (إلى) مرتبة

بما وضع له والوقاع وهو مجاوزة في البهيمية لحد البهائم ثم لأن المتعشق ليس يقنع بإراقة شهوة الوقاع وهي أقبح الشهوات وأجدرها أن يستحي منه حتى اعتقد أن الشهوة لا تنقضي إلا من محل واحد والبهيمة تقتضي الشهوة أين اتفق فتكتفي به. وهذا لا يكتفي إلا بشخص واحد معين حتى يزداد به ذلاً إلى ذل وعبودية إلى عبودية، وحتى يستسخر العقل لخدمة الشهوة. وقد خلق ليكون مطاعاً لا ليكون خادماً للشهوة ومحتالاً لأجلها وما العشق إلا سعة إفراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا همّ له. وإنما يجب الاحتراز من أوائله بترك معاودة النظر والفكر، وإلاّ فإذا استحكم عسر دفعه. فكذلك عشق المال والجاه والعقار والأولاد حتى حب اللعب بالطيور والنرد والشطرنج فإن هذه الأمور

(**العشق وهو**) نهاية الحماقة و (**غاية الجهل بما وضع له**) أي لأجله (**الوقاع وهو مجاورة في**) الصفة (**البهيمية لحد البهائم**) في عدم ملك النفس وذم الهوى، (**لأن المتعشق ليس يقنع بإراقة شهوة الوقاع**) ولا يرضى بارادة لذة الباه (**وهي**) من (**أقبح الشهوات**) وأسمجها (**وأجدرها بأن يستحي منه حتى اعتقد**) في نفسه (**أن الشهوة لا تقضى إلا من محل واحد، والبهيمة تقضي الشهوة أين اتفق فتكتفي به**) لأنها إذا سقطت الأذى عنها بالسفاد سكنت فصارت إلى الراحة. (**وهذا**) المتعشق (**لا يكتفي إلا بواحد معين**) ثم لا يرضى بذلك، (**حتى يزداد به ذلاً على ذل وعبودية على عبودية**). فالبهيمة أحسن حالاً منه ثم لا يرضى بذلك (**حتى يستسخر**) ويستذل ما هو الأشرف الذي هو (**العقل لخدمة**) ما هو أخس وهو (**الشهوة، وقد خلق**) العقل وأعطي ليقمع به الشهوة القبيحة و (**ليكون مطاعاً**) رئيساً آمراً مخدوماً (**لا ليكون خادماً للشهوة**) وساعياً في صحبتها (**ومحتالاً لأجلها**) فما أخس حال من جعل الخادم مخدوماً والمخدوم خادماً وما مثله إلا كمن انتعل بالمنديل ونشف الوجه بالنعل، (**وما العشق إلا منبع إفراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا همّ له**) وتعاطيه حال كل جاهل فارغ سيما إذا نظر إلى أخبار العشق وجالس العشاق، وربما يؤدي العاشق إلى ذبول ودق بل إلى الموت. قال الشاعر:

لو فكّر العاشق في منتهى ... معشوقه قصر عن حبه

وقال حكيم لتلميذ له هوى جارية: هل تشك في أن لا بدّ أن تفارقها يوماً ما؟ قال: لا. قال: فاجعل تلك المرارة المتجرعة في ذلك اليوم في يومك هذا وارتح ما بينهما من الخوف المنتظر وصعوب معالجة ذلك بعد الاستحكام وانضمام الإلف إليه، وقيل لبعض الحكماء: ما العشق؟ فقال: جنون لا يؤجر صاحبه عليه. وسئل اخر عنه فقال: مرض نفس فارغة فأشاروا كلهم إلى معنى واحد، (**وإنما يجب الاحتراز عن أوائله بترك معاودة النظر و**) اجالة (**الفكر**) فيه، (**وإلاّ فإذا استحكم**) غرسه في القلب (**عسر دفعه، وكذلك عشق المال والجاه والعقار والأولاد**) وما في معناها (**حتى حب اللعب بالطيور**) كالحمام وغيره (**والعود**) وما في معناه (**والنرد شير**

قد تستولي على طائفة بحيث تنغص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها البتة.

ومثال من يكسر سورة العشق في أول انبعاثه مثال من يصرف عنان الدابة عند توجهها إلى باب لتدخله وما أهون منعها بصرف عنانها. ومثال من يعالجها بعد استحكامها مثال من يترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم يأخذ بذنبها ويجرها إلى ورائها. وما أعظم التفاوت بين الأمرين في اليسر والعسر فليكن الاحتياط في بدايات الأمور فاما في أواخرها فلا تقبل العلاج إلا بجهد جهيد يكاد يؤدي إلى نزع الروح.

فإذاً افراط الشهوة أن يغلب العقل إلى هذا الحد وهو مذموم جداً، وتفريطها بالعنة أو بالضعف عن امتاع المنكوحة وهو أيضاً مذموم، وإنما المحمود أن تكون معتدلة ومطيعة للعقل والشرع في انقباضها وانبساطها ومهما أفرطت فكسرها بالجوع والنكاح.

والشطرنج) وما في معناهما، **(فإن هذه الأمور قد تستولي على طائفة بحيث تنقص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها البتة)** أما نقص الدين عليهم فمن جهات متعددة، وأما نقصان الدنيا فإنه إن كان محترفاً يشتغل بها عن حرفته ويضيع عياله، وإن كان ذا مال فإنه يضيعه فيا يتعلق بتلك الأشياء وهلم جرا إلى أن ينفذ، وأما عدم صبرهم عنها فذلك مشاهد كادت أن تحول بينهم وبين أكلهم.

(ومثال من يكسر سورة العشق في أوّل انبعاثه مثال من يصرف عنان الدابة عند توجهها إلى باب لتدخله) فإنه يمكنه ذلك، **(وما أهون منعها بصرف عنانها ومثال من يعالجها بعد استحكامها)** ورسوخها **(مثال من يترك الدابة)** على حالها **(حتى تدخل وتجاوز الباب ثم يأخذ بذنبها ويجرها إلى ورائها، وما أعظم التفاوت بين الأمرين في العسر واليسر، فليكن الاحتياط في بدايات الأمور)** أي أوائلها **(فأما في أواخرها فلا تقبل العلاج إلا بجهد جهيد)** وتعب شديد **(يكاد يؤدي إلى نزع الروح)** من البدن.

(فإذاً إفراط الشهوة أن تغلب العقل إلى هذا الحد وهو مذموم جداً وتفريطها بالعنة) بالضم وهي أن لا يقدر على إتيان النساء أو لا يشتهيهن والاسم عنين ويكون خلقة، ويكون عن سحر **(أو بالضعف عن إمتاع المنكوحة)** عن سبب عارض كبرد في الصلب أو غيره، **(وهو أيضاً مذموم، وإنما المحمود)** من الشهوة **(أن تكون معتدلة مطيعة بالعقل والشرع في انقباضها وانبساطها)**. والوقاع الصادر من هذه الشهوة إذا كانت بالوصف المذكور إن تعاطاه العبد على الوجه الذي سنه الشرع، وذلك إما محمود وهو أن يتعاطاه قاصداً به النسل أو مسكنا لنفسه، فالماء إذا اجتمع في مقره يجري مجرى مدة وقيح من جرح يعظم بحسبه الضرر، ويدعو صاحبه إلى ما هو في الشرع محرم، وإما مكروه طباً وإن لم يكن قد كره شرعاً، وذلك أن يتعاطاه فضلاً عما تقدم ذكره، فإنه ينفذ العمر ويستنفد القوى ويوسع أوعية المني ويجلب إليه دماً كثيراً

قال ﷺ : « معاشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فالصوم له وجاء » .

بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله:

اعلم أن المريد في ابتداء أمره ينبغي أن لا يشغل قلبه ونفسه بالتزويج فإن ذلك شغل شاغل يمنعه من السلوك ويستجره إلى الأنس بالزوجة. ومن أنس بغير الله تعالى شغل عن الله ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله ﷺ ، فإنه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا عن الله تعالى ، فلا تقاس الملائكة بالحدادين. ولذلك قال أبو سليمان الداراني: من تزوج فقد ركن إلى الدنيا. وقال: ما رأيت مريداً تزوّج فثبت على حاله الأوّل. وقيل له مرة: ما

ويزيد شهوة، فأعظم فائدة أن يلحق صاحبه بأفق البهائم والتيوس والثيران وغيرهما مما يوصف بالشبق، (**ومهما افرطت فكسرها بالجوع والنكاح. قال ﷺ « معشر الشباب عليكم بالباءة**) أي النكاح، (**فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء »**) أي قطع له وقد تقدم الكلام على هذا الحديث في كتاب النكاح مفصلاً.

بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله:

(**اعلم**) وفقك الله تعالى (**أن المريد في ابتداء أمره**) في سلوكه (**لا ينبغي أن يشغل قلبه ونفسه بالتزويج فإن ذلك شغل شاغل يمنعه من السلوك ويستجره إلى الأنس بالزوجة ومن أنس بغير الله تعالى شغل عن الله تعالى**) . وقال صاحب القوت: الأفضل للمريد في زماننا هذا ترك التزويج إذا أمن الفتنة وعود العصمة ولم تنازعه نفسه إلى معصية، ولم يرادف خاطر النساء على قلبه حتى يشتت همه أو يقطعه عن حسن الإقبال على الخدمة من مسامرة الفكر ومحادثة النفس بأمر النساء ولم تجمح نفسه إلى محظور وكثرة الخواطر بالشهوات يغير القلب من الخشوع ويدخل عليه النقصان، فمتى لم يبتل العبد بهذه الوساوس، فإن التخلي أفضل لمعان محمودة لأنه يجد لذة الوحدة وحلاوة المعاملة ويقبل على نفسه ويشتغل بحاله فلا يهتم بحال غيره، فيحمل حاله على حاله فيقصر أو يقوم بحكم نفسه أخرى فيعجز ويعالج شيطاناً آخر مع شيطانه، وتنضم نفس أخرى إلى نفسه وله في مجاهدة نفسه ومصابرة هواه وعدوّه أكبر الأشغال. (**ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله ﷺ فإنه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا عن الله تعالى**) لأشتغاله بمطالعة جمال مولاه، (**فلا تقاس الملائكة بالحدادين**) هم الذين يشتغلون بعمل الحديد فهم بذلك في غاية القذارة أو المراد بهم البوّابون من الحد بمعنى المنع فهم يمنعون الداخل في البيت، (**ولذلك قال أبو سليمان الداراني**) رحمه الله تعالى: (**من تزوّج**) أو سافر أو طلب الحديث (**فقد ركن إلى الدنيا**) أورده صاحب القوت، وقد تقدم في كتاب العلم. وإنما قال ذلك لأن هذه الأمور مما توجب الركون إلى الدنيا لا محالة. (**وقال**) أيضاً: (**ما رأيت مريداً تزوّج فثبت على حاله الأوّل**) وكأنه

أحوجك إلى امرأة تأنس بها . فقال: لا آنسني الله بها أي أن الانس بها يمنع الأنس بالله تعالى . وقال أيضاً : كل ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشؤم . فكيف يقاس غير رسول الله ﷺ به ، وقد كان استغراقه بحب الله تعالى بحيث كان يجد احتراقه فيه إلى حد كان يخشى منه في بعض الأحوال أن يسري ذلك إلى قالبه فيهدمه فلذلك كان يضرب بيده على فخذ عائشة أحياناً ويقول: « كلميني يا عائشة » لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه لقصور طاقة قالبه عنه ، فقد كان طبعه الأنس بالله عز وجل ، وكان أنسه بالخلق عارضاً رفقاً ببدنه ، ثم إنه كان لا يطيق الصبر مع الخلق إذا جالسهم ، فإذا ضاق صدره قال: « أرحنا بها يا بلال » حتى يعود إلى ما هو قرة عينه ، فالضعيف إذا لاحظ أحواله في مثل هذه الأمور فهو مغرور لأن الأفهام تقصر عن الوقوف على أسرار أفعاله ﷺ فشرط المريد العزبة في الابتداء إلى أن يقوى في المعرفة . هذا إذا لم تغلبه

يريد إذا كان في ابتداء سلوكه فإنه ينقطع حينئذ عن مجاهدة النفس، وقد ضمت إليه نفس أخرى فيشتغل بها فلا يكاد يثبت على أدل حاله الذي شرع فيه ، (**وقيل له مرة ما أحوجك إلى امرأة تأنس بها ! فقال: لا آنسني الله بها إن الانس بها يمنع الإنس بالله تعالى**) أي لا يتفق الإنسان في قلب واحد إما انس بالله وإما انس بالزوجة. (**وقال أيضاً: كل ما شغلك عن الله تعالى من أهل ومال وولد فهو عليك مشؤم**) . وقال أيضاً : إنما تركوا التزويج لتتفرغ قلوبهم إلى الآخرة. وفي حديث الحسن البصري رحمه الله تعالى إذا أراد الله بعبد خيراً لم يشغله بأهل ولا مال. قال أحمد بن أبي الحواري صاحب أبي سليمان: معنى الحديث أن يكون له ولا يشغلونه لا أن لا يكون له ، (**فكيف يقاس غير رسول الله ﷺ به، وقد كان استغراقه بحب الله تعالى بحيث كان يجد احتراقه فيه إلى حد كان يخشى منه في بعض الأحوال**) والأحيان (**أن يسري ذلك**) من قلبه (**إلى قالبه فيهدمه**) أي يغيره عن صحته ، (**فلذلك كان يضرب بيده على فخذ عائشة**) رضي الله تعالى عنها (**أحياناً ويقول « كلميني يا عائشة » لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه لقصور طاقة قالبه**) قال العراقي: لم أجد له أصلاً ، (**فقد كان طبعه**) ﷺ (**الأنس بالله عز وجل**) دائماً (**وكان أنسه بالخلق عارضاً**) لاحقاً (**رفقاً ببدنه، ثم أنه**) ﷺ (**كان لا يطيق الصبر مع الخلق إذا جالسهم، فإذا ضاق صدره قال: « أرحنا يا بلال »**) يعني بإقامة الصلاة. وقد تقدم ذكر هذا الحديث في كتاب الصلاة (**حتى يعود إلى ما هو قرة عينه**) يشير إلى قوله « وجعلت قرة عيني في الصلاة » وقد تقدم الكلام عليه أيضاً.
(**فالضعيف إذا لاحظ أحواله في مثل هذه الأمور فهو مغرور لأن الأفهام تقصر عن الوقوف على أسرار أفعاله ﷺ**) ، فلا ينبغي أن يقيس أحواله ولا أفعاله بأفعاله ولا يوقع نفسه في الغرور فيهلك ، (**فشرط المريد العزبة في الابتداء**) ليجتمع له مع مجاهدة نفسه الأنس بالله عز وجل وحده (**إلى أن يقوى في المعرفة**) ويتفرغ قلبه لله تعالى ، فيكون ذا أدب ساكن وقلب

الشهوة فإن غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدائم فإن لم تنقمع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلاً ، وإن قدر على حفظ الفرج فالنكاح له أولى لتسكن الشهوة وإلا فمها لم يحفظ عينه لم يحفظ عليه فكره ويتفرق عليه همه ، وربما وقع في بلية لا يطيقها وزنا العين من كبار الصغائر وهو يؤدي على القرب إلى الكبيرة الفاحشة وهي زنا الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ فرجه . قال عيسى عليه السلام : إياكم والنظرة فإنها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة . وقال سعيد ابن جبير : إنما جاءت الفتنة لداود عليه السلام من قبل النظرة ، ولذلك قال لابنه عليه السلام : يا بني امش خلف الأسد والأسود ولا تمش خلف المرأة . وقيل ليحيي عليه السلام : ما بدء الزنا ؟ قال : النظر والتمني . وقال الفضيل : يقول إبليس هو قوسي القديمة وسهمي الذي لا أخطىء به يعني النظر . وقال رسول الله ﷺ : « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركها خوفاً من الله تعالى أعطاه الله تعالى إيماناً يجد حلاوته في قلبه » .

خائف ونفس مطمئنة ، فإذا تزوج حينئذ فلا يشغله عن الله تعالى . (**هذا إذا لم تغلبه الشهوة فإن غلبته فليكسرها بالجوع الطويل**) بأن يتجاوز عن ميعاد أكله فلا يأكل إلا بعد يومين أو بعد ثلاث ، (**والصوم الدائم**) خصوصاً في الهواجر ، (**فإن لم تنقمع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلاً إن قدر على حفظ الفرج فالنكاح له أولى لتسكن الشهوة**) وإلاً أوقعته في الخطايا ، (**وإلاً فمها لم يحفظ عينه لم ينحفظ عليه فكره ويتفرق عليه همه**) ويتشتت باله ، (**وربما وقع في بلية لا يطيقها**) بمقتضى عجز البشرية . (**وزنا العين من كبائر الصغائر وهي تؤدي على القرب إلى الكبيرة الفاحشة وهي زنا الفرج**) وأوّل خطايا الفرج شهوة القلب بمسامرة الفكر وهو معفوّ كما أن النظر الأوّل معفوّ والخطيئة الثانية إنعاظ الفرج عن شهوة القلب ، فهذا عمل فإن ظهرت الشهوة من الفرج فهي معصية ، (**ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظه دينه**) لأن أصل البلاء كله من النظر .

(**وقال عيسى عليه السلام: إياكم والنظرة فإنها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة . وقال سعيد بن جبير**) رحمه الله تعالى : (**إنما جاءت الفتنة لداود عليه السلام من قبل النظرة**) فإنه لما رأى أوريـاء وجمالها أعجبته وافتتن بها ، (**ولذلك قال لابنه**) سليمان (**عليه السلام: يا بني امش خلف الأسد والأسود**) من الحيات (**ولا تمش خلف المرأة . وقيل ليحيي**) ابن زكريا (**عليه السلام: ما بدء الزنا ؛ قال: النظر والتمني**) فالنظر من العين والتمني من القلب والفرج يصدق أو يكذب . (**وقال الفضيل**) بن عياض رحمه الله تعالى (**يقول إبليس: هي قوسي القويمة**) التي أرمي بها (**وسهمي الذي لا يخطىء**) في إصابة غرضي (**يعني النظرة وقال ﷺ « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركها خوفاً من الله تعالى أعطاه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه »**) تقدم الكلام عليه في كتاب النكاح . (**وقال ﷺ « ما تركت**

وقال ﷺ : « ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء » وقال ﷺ : « اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فإن أوّل فتنة بني إسرائيل كانت من قبل النساء » وقال تعالى : ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ [النور : ٣٠] الآية . وقال عليه السلام : « لكل ابن آدم حظ من الزنا فالعينان تزنيان وزناهما النظر ، واليدان تزنيان وزناهما البطش ، والرجلان تزنيان وزناهما المشي والفم يزني وزناه القُبلة ، والقلب يهم أن يتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه » .

بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء ») قال العراقي : متفق عليه من حديث أسامة بن زيد اهـ .

قلت : ورواه كذلك أحمد والحميدي ، وأبو بكر بن أبي شيبة ، والترمذي ، والعوفي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والطبراني وابن قانع كلهم عن أسامة بن زيد ، وقد رواه الترمذي أيضاً والحاكم في الكنى عنه وعن سعيد بن زيد معاً . ورواه ابن النجار من حديث سلمان الفارسي، وفي لفظ للطبراني : « ما تركت في الناس بعدي فتنة أمرّ على الرجال من النساء » .

(**وقال ﷺ : اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت من النساء »**) قال العراقي : رواه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري .

قلت : وروي الديلمي من حديث معاذ « اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فإن إبليس طلاّع رصاد وما هو بشيء من فخوخه بأوثق بصيده في الأتقياء من النساء » .

(**وقال**) الله تعالى في كتابه العزيز ﴿ **قل للمؤمنين يغضُّوا من أبصارهم**) ويحفظوا فروجهم﴾ (**وقال ﷺ : « لكل ابن آدم حظه من الزنا فالعينان تزنيان وزناهما النظر ، واليدان تزنيان وزناهما البطش، والرجلان تزنيان وزناهما المشي، والفم يزني وزناه القُبل، والقلب يهم ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه »**) قال العراقي : رواه مسلم والبيهقي واللفظ له من حديث أبي هريرة ، واتفق عليه الشيخان من حديث ابن عباس نحوه اهـ .

وفي لفظ للبيهقي « لكل ابن آدم حظه من الزنا ، فزنا العين النظر ، وزنا اللسان النطق ، والأذنان زناهما الاستماع ، واليدان تزنيان فزناهما البطش ، والرجلان تزنيان فزناهما المشي ، والفم يزني وزناه القُبل » وهكذا رواه أبو داود أيضاً . وروى أبو الشيخ من حديث أبي هريرة « زنا اللسان الكلام » . وروى ابن سعد والطبراني وأبو نعيم في المعرفة من حديث علقمة بن الحويرث الغفاري « زنا العينين النظر » وروى أحمد والطبراني من حديث ابن مسعود « العينان تزنيان ، واليدان تزنيان ، والرجلان تزنيان ، والفرج يزني » قال المنذري : سنده صحيح . ورواه كذلك أبو يعلى والبزار . وقد أورد المصنف هذا الحديث إشارة إلى أن أصل زنا الفرج العينان فإنهما له رائدان وإليه داعيان . وقد قالوا : من سرح ناظره أتعب خاطره، ومن كثرت لحظاته دامت حسراته وضاعت أوقاته . قال الشاعر :

وقالت أم سلمة: استأذن ابن أم مكتوم الأعمى على رسول الله ﷺ وأنا وميمونة جالستان فقال عليه السلام: «احتجبا» فقلنا أو ليس بأعمى لا يبصرنا؟ فقال: «وأنتما لا تبصرانه»؟ وهذا يدل على أنه لا يجوز للنساء مجالسة العميان كما جرت به العادة في المآتم والولائم فيحرم على الأعمى الخلوة بالنساء، ويحرم على المرأة مجالسة الأعمى وتحديق النظر إليه لغير حاجة، وإنما جوّز للنساء محادثة الرجال والنظر إليهم لأجل عموم الحاجة. وإن قدر على حفظ عينه عن النساء ولم يقدر على حفظها عن الصبيان، فالنكاح أولى به فإن الشر في الصبيان أكثر فإنه لو مال قلبه إلى امرأة أمكنه الوصول إلى استباحتها بالنكاح والنظر إلى وجه الصبي بالشهوة حرام بل كل من يتأثر بجمال صورة

نظر العيون إلى العيون هو الذي ـ جعل الهلاك إلى الفؤاد سبيلا

• (**وقالت أم سلمة**) أم المؤمنين ابنة أبي أمية بن المغيرة المخزومية رضي الله عنها. قيل: اسمها هند وأبوها يعرف بزاد الركب من أشراف قريش وأجوادهم هاجرت إلى الحبشة مع أبي سلمة بن عبد الأسد (**استأذن ابن أم مكتوم**) وهو عبد الله بن قيس بن زائدة القرشي العامري مختلف في اسمه (**على رسول الله ﷺ وأنا وميمونة**) بنت الحرث الهلالية أم المؤمنين رضي الله عنها (**جالستان، فقال رسول الله ﷺ «احتجبا»**) أي ادخلا في الحجاب. (**قلنا أو ليس بأعمى لا يبصرنا؟ فقال «وأنتما لا تبصرانه»**)؟ قال العراقي: رواه أبو داود والنسائي والترمذي وقال: حسن صحيح. (**وهذا يدل على أنه لا يجوز للنساء مجالسة العميان كما جرت العادة في المآتم والولائم**) أي في أوقات المصائب والأفراح، (**فيحرم على الأعمى الخلوة بالنساء**) الاجانب صرح بذلك غير واحد من العلماء، (**ويحرم على المرأة مجالسة الأعمى وتحديق الظر إليه لغير حاجة**) ضرورية، فإنه على كل حال أجنبي، وفيه ما في الرجال وأكثر لأن غض البصر عن المحارم مما يورث قوّة على الجماع، وهؤلاء قد حجبت أبصارهم عن الرؤية فرجعت قوّتها إلى الجماع فلهم فيه حظ أكثر من الذي يبصر، فحينئذ فتنة النساء بهم أكثر فيجب منعهن عن الخلوة بهم ومحادثتهم، فإنهم أشد ضرراً من إبليس. ومن المشهور قوله العامة: ما من فتنة تكون في بيت الإنسان إذا حقق أصلها إما من امرأة أو فقيه أعمى، (**وإن قدر**) المريد (**على حفظ عينه عن الزنا**) بأن غضها وسترها ولفها (**ولم يقدر على حفظها عن الصبيان المرد فالنكاح أولى به**). ومن أحسن أعماله وأرفع أحواله لأن المباح مقام من لا مقام له والرجوع إلى الحلال حال من ليس له حال، وذلك (**لأن الشر في الصبيان أكثر**) فإن المرأة معها شيطان والأمرد معه شيطانان، (**فلو مال قلبه إلى امرأة أمكنه الوصول إلى استباحتها بالنكاح**) وإذا مال إلى الأمرد فلا محالة يوقعه في الحرام إذ لا سبيل إلى استباحة الاستمتاع به بحال من الأحوال (**والنظر إلى وجه الصبي بالشهوة حرام**) باتفاق العلماء، (**بل كل من يتأثر قلبه لجمال صورة**

الأمرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين الملتحي لم يحل له النظر إليه.

فإن قلت: كل ذي حس يدرك التفرقة بين الجميل والقبيح لا محالة ولم تزل وجوه الصبيان مكشوفة فأقول: لست أعني تفرقة العين فقط بل ينبغي أن يكون إداركه التفرقة كإدراكه التفرقة بين شجرة خضراء وأخرى يابسة وبين ماء صاف وماء كدر وبين شجرة عليها أزهارها وأنوارها وشجرة تساقطت أوراقها، فإنه يميل إلى إحداهما بعينه وطبعه ولكن ميلاً خالياً عن الشهوة، ولأجل ذلك لا يشتهي ملامسة الأزهار والأنوار وتقبيلها ولا تقبيل الماء الصافي، وكذلك الشيبة الحسنة قد تميل العين إليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح، ولكنها تفرقة لا شهوة فيها، ويعرف ذلك بميل النفس إلى القرب والملامسة، فمهما وجد ذلك الميل في قلبه وأدرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن والأثواب المنقشة والسقوف المذهبة فنظره نظر شهوة فهو حرام. وهذا مما يتهاون به الناس ويجرهم ذلك إلى المعاطب وهم لا يشعرون.

قال بعض التابعين: ما أنا بأخوف من السبع الضاري على الشاب الناسك من غلام

(**الأمرد**) أي يقع الأثر فيه من رؤية محاسنه الظاهرة بحيث يحس بما رآه (**وبحيث يدرك تفرقة بينه وبين الملتحي**) أي صاحب اللحية (**لم يحل له النظر**) أصلاً.

(**فإن قلت: كل ذي حس يدرك التفرقة بين الجميل**) الصورة (**والقبيح**) الصورة (**ولم تزل وجوه الصبيان مكشوفة**) وهم يدخلون في المحافل هكذا ويراهم الرجال من غير نكير، فما معنى قولك من أدرك التفرقة بين الجميل والقبيح وتأثر بحياله قلبه لم يحل له النظر؟ (**فأقول: لست أعني**) بالتفرقة المذكورة (**تفرقة العين فقط، بل ينبغي ان يكون إدراكه التفرقة كإدراكه التفرقة بين شجرة خضراء ويابسة وبين ماء صاف وماء كدر وبين شجرة عليها أنوارها وأزهارها وبين شجرة تساقطت أوراقها فإنه يميل إلى احداهما بعينه**) الباصرة وطبعه المركوز في جبلته، (**ولكن ميلاً خالياً عن الشهوة ولأجل ذلك لا يشتهي ملامسة الأزهار والأنوار وتقبيلها**) وشمها (**ولا تقبيل الماء الصافي، وكذلك الشيبة الحسنة قد تميل العين إليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح، لكنها تفرقة لا شهوة فيها ويعرف ذلك بميل النفس إلى القرب والملامسة، فمهما وجد ذلك الميل بقلبه وأدرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن والأثواب المنقشة**) بأنواع النقوش (**والسقوف المذهبة**) المزخرفة (**فنظره**) حينئذ (**نظر شهوة وهو حرام، وهذا مما يتهاون به الناس**) غالباً (**ويجرهم ذلك إلى المعاطب**) أي المهالك (**وهم لا يشعرون**) بل غافلون أو متغافلون.

(**وقال بعض التابعين: ما أنا بأخوف من السبع الضاري على الشاب الناسك**) أي العابد

أمرد يجلس إليه وقال سفيان: لو أن رجلاً عبث بغلام بين أصبعين من أصابع رجله يريد الشهوة لكان لواطاً وعن بعض السلف قال: سيكون في هذه الأمة ثلاثة أصناف لوطيون: صنف ينظرون، وصنف يصافحون، وصنف يعملون.

فإذاً آفة النظر إلى الأحداث عظيمة فمهما عجز المريد عن غض بصره وضبط فكره فالصواب له أن يكسر شهوته بالنكاح فرب نفس لا يسكن توقانها بالجوع.

وقال بعضهم: غلبت علي شهوتي في بدء إرادتي بما لم أطق فأكثرت الضجيج إلى

(**من غلام أمرد يجلس إليه. وقال سفيان**) الثوري: (**لو أن رجلاً عبث بغلام بين أصبعين من أصابع رجليه يريد**) بذلك (**الشهوة كان لوطياً. وعن بعض السلف قال: سيكون في هذه الأمة ثلاثة أصناف لوطيون: صنف ينظرون**) فقط من قريب أو بعيد، (**وصنف يصافحون، وصنف يعملون**) أخرجه السهروردي في المعارف.

وقال القشيري في آخر الرسالة: ومن أصعب الآفات في هذه الطريقة صحبة الأحداث، ومن ابتلاه الله بشيء من ذلك فباجاع الشيوخ ذلك عبد أهانه الله وقلاه، بل عن نفسه شغله ولو بألف ألف كرامة أهله وهب أنه بلغ رتبة الشهداء أليس قد شغل ذلك القلب بمخلوق، وأصعب من ذلك تهوين ذلك على القلب حتى يصير بعد ذلك يسيراً. قال الله عز وجل: ﴿وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم﴾ [النور: ١٥] وهذا الواسطي يقول: وإذا أراد الله هوان عبد ألقاه إلى هؤلاء الأنتان والجيف. سمعت أبا عبد الله الصوفي يقول سمعت محمد بن أحمد النجار يقول: سمعت أبا عبد الله الحصري يقول: سمعت فتحاً الموصلي يقول: صحبت ثلاثين شيخاً كانوا يعدون من الأبدال كلهم أوصوني عند فراقي إياهم. وقالوا :اتقمعاشرة الأحداث ومخالطتهم ومن ارتقى في هذا الباب عن حالة الفسق، وأشار أن ذلك من بلاء الأرواح وأنه لا يضره وما قالوه ومن وساوس القائلين بالشاهد وايراد الحكايات عن الشيوخ بما كان الأولى بهم إسبال الستر على هناتهم وآفاتهم فذلك نظير الشرك وقرين. فليحذر المريد من مجالسة الأحداث ومخالطتهم فإن اليسير منه قبيح وهو فتح باب الخذلان ومداخل الهجران، ونعوذ بالله من قضاء السوء.

(**فإذاً آفة النظر إلى الأحداث عظيمة**) وعاقبته وخيمة (**فمهما عجز المريد عن غض بصره وضبط فكره، فالصواب له أن يكسر شهوته بالنكاح، فرب نفس لا يسكن توقانها بالجوع**) إذا كانت تصيب من شهوتها بعد الجوع الطويل، فذلك أشد باعث لها على حركة الشهوة، فأما إن كان يجوع ولا يأكل إلا خبزاً بحتاً مع ماء ودام على ذلك فإنه يسكن التوقان وقد تقدمت الإشارة إليه.

(**وقال بعضهم: غلبت عليّ شهوتي**) ولفظ القوت: حدثني بعض الفقراء قال: استفحلت عليّ صفتي مرة (**في بدء ارادتي بما لم أطق فأكثرت**) لفظ القوت: فكنت أكثر (**الضجيج إلى**

الله تعالى، فرأيت شخصاً في المنام فقال: مالك؟ فشكوت إليه فقال: تقدم إليّ فتقدمت إليه فوضع يده على صدري فوجدت بردها في فؤادي وجميع جسدي فاصبحت وقد زال مابي، فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك فاكثرت الاستغاثة فأتاني شخص في المنام فقال لي: اتحب ان يذهب ما تجده وأضرب عنقك؟ قلت: نعم فقال مد رقبتك فمددتها فجرد سيفاً من نور فضرب به عنقي فأصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك أو أشد منه، فرأيت كأن شخصاً فيما بين جنبي وصدري يخاطبني ويقول: ويحك كم تسأل الله تعالى رفع ما لا يحب رفعه. قال: فتزوجت فانقطع ذلك عني وولد لي.

ومهما احتاج المريد إلى النكاح فلا ينبغي أن يترك شرط الإرادة في ابتداء النكاح ودوامه. أما في ابتدائه فبالنية الحسنة وفي دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما فصلنا جميع ذلك في كتاب آداب النكاح فلا نطوّل بإعادته وعلامة صدق إرادته أن ينكح فقيرة متدينة ولا يطلب الغنية.

قال بعضهم: من تزوّج غنية كان له منها خمس خصال: مغالاة الصداق،

الله تعالى، فرأيت شخصاً في المنام فقال: ما لك؟ فشكوت إليه. فقال تقدم إليَّ فتقدمت) إليه **(فوضع يده على صدري، فوجدت بردها في فؤادي وجميع جسدي، فأصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك)** أي راجعني بمثله أو أشد منه، **(فأكثرت الاستغاثة)** إلى الله تعالى، **(فأتاني شخص في المنام فقال لي: أتحب أن يذهب ما تجده وأضرب عنقك، قلت: نعم فقال: مد رقبتك فمددتها إليه فجرد سيفاً من نور فضرب به عنقي فأصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة، ثم عاودني ذلك)** بمثله أو أشد منه، **(فرأيت كأن شخصاً فيما بين جنبي وصدري يخاطبني ويقول: ويحك لم تسأل)** ولفظ القوت: كم تسأل **(الله تعالى رفع ما لا يحب رفعه؟ قال: فتزوجت فانقطع عني)** ذلك **(وولد لي)** ولفظ القوت بعد قوله فانقطع ذلك عني فكان ذلك سبب ذريته فولد له.

(ومهما احتاج إلى النكاح فلا ينبغي أن يترك شرط الإرادة في ابتداء النكاح ودوامه إما في ابتدائه فبالنية الحسنة) لا يعرض له ما يخالفها، **(وفي دوامها بحسن الخلق وسداد السيرة)** الباطنة والظاهرة **(والقيام بالحقوق والواجبات التي أوجب الله تعالى عليه للمرأة كما فصلناه في كتاب النكاح)** في باب حقوق الزوجة على الزوج **(فلا نطوّل)** الكتاب **(باعادته)** ثانياً **(وعلامة صدق إرادته)** مع الله تعالى **(أن ينكح فقيرة)** أي قليلة المال والأثاث **(متدينة)** أي ذات حسب ودين ولا يطلب الغنية ولا الجميلة.

(قال بعضهم: من تزوّج غنية كان له منها خمس خصال: مغالاة المهر) أي تطلب مهراً

وتسويف الزفاف، وفوت الخدمة وكثرة النفقة وإذا أراد طلاقها لم يقدر خوفاً على ذهاب مالها. والفقيرة بخلاف ذلك. وقال بعضهم: ينبغي أن تكون المرأة دون الرجل بأربع وإلا استحقرته بالسن والطول والمال والحسب، وأن تكون فوقه بأربع بالجمال والأدب والورع والخلق وعلامة صدق الإرادة في دوام النكاح الخلق.

تزوج بعض المريدين بامرأة فلم يزل يخدمها حتى استحيت المرأة وشكت ذلك إلى أبيها وقالت: قد تحيرت في هذا الرجل أنا في منزله منذ سنين ما ذهبت إلى الخلاء قط إلا وحمل الماء قبلي إليه، وتزوج بعضهم امرأة ذات جمال فلما قرب زفافها أصابها الجدري فاشتد حزن أهلها لذلك خوفاً من أن يستقبحها فأراهم الرجل أنه قد أصابه رمد ثم

كثيراً (**وتسويف الزفاف**) أي تأخيره، وربما يواعده أهلها ويخلفون في وعدهم فيكون المريد في حيرة شديدة (**وفوت الخدمة**) فإن الغنية تأبى عن الخدمة وتأنف أن تكنس البيت وتباشر مهاته بيدها (**وكثرة النفقة**) فهذه أربعة، (و) الخامسة (**إذا أراد طلاقها لم يقدر خوفاً على مالها**) من متأخر الصداق، (**والفقيرة بخلاف ذلك**) فإن مؤنتها يسيرة وخدمتها كثيرة. (**وقال بعضهم: ينبغي أن تكون المرأة دون الرجل بأربع وإلاّ استحقرته**) في عينها (**بالسن**) فتكون أصغر سناً من الرجل (**والطول**) أي تكون أقصر من الرجل في القامة (**والمال**) أي تكون أقل مالاً من الرجل (**والحسب**) أي تكون أقل حسباً من الرجل والحسب شرف الآباء. وفي ضد هؤلاء الأربعة تستحقر الرجل فتقول: أنا أكبر منك، أنا أطول منك، أنا أغنى منك، أنا أشرف منك وكل ذلك مما يشوّش قلب الرجل، وربما أدّى إلى الفراق فإذا وجد في الرجل شيء من ذلك فلا ينبغي أن يفاتحها به فانه يكون سبب الغم بينهما وقد أمرنا بكتم السن لأجل ذلك فإنك إن قلت سني كذا وكان قليلاً استحقرتك وإن قلت إنك كبير استخرفتك، (**وأن تكون فوقه باربع: بالجمال والأدب والخُلُق والورع**) وهذه الأربعة مما توجب ميل الرجل إليها ويطمئن قلبه من ظرفها. وفي القوت: فإن عزم العبد على النكاح فلا يكن همه من النكاح إلا ذات الدين والصلاح والعقل والقناعة، ففي الخبر: عليك بذات الدين فنكاح المرأة للدين والصلاح طرق من الآخرة والرغبة في المرأة الناقصة الخلق الدنية الصورة الكبيرة السن باب من الزهد، والفقيرة خفيفة المؤنة ترضى باليسير والغنية تشتهي عليه الشهوات فيتمرط عليه دينه. (**وعلامة صدق الإرادة في دوام النكاح الخلق**) أي معاشرتها بأحسن الأخلاق وألينها، فقد حكي أنه (**تزوّج بعض المريدين بامرأة فلم يزل يخدمها حتى استحيت المرأة وشكت ذلك إلى أبيها وقالت: قد تحيرت في هذا الرجل أنا في منزلة منذ سنين ما ذهبت إلى الخلاء**) أي بيت الماء (**قط إلا وحمل الماء قبلي إليه**) وهذا من حسن الأخلاق وطيب المعاشرة، (**وتزوّج بعضهم امرأةٍ ذات جمال فلما قرب زفافها**) إليه (**أصابها الجدري**) فغير محاسن جسدها (**فاشتد حزن أهلها لذلك خوفاً من أن يستقبحها**) ولا تعجبه، (**فأراهم الرجل**) بعد أن فطن لذلك

أراهم أن بصره قد ذهب حتى زفت إليه، فزال عنهم الحزن فبقيت عنده عشرين سنه ثم توفيت ففتح عينيه حين ذلك، فقيل له في ذلك فقال: تعمدته لأجل أهلها حتى لا يحزنوا. فقيل له: قد سبقت إخوانك بهذا الخلق.

وتزوّج بعض الصوفية امرأة سيئة الخلق فكان يصبر عليها فقيل له: لم لا تطلقها؟ فقال: أخشى أن يتزوجها من لا يصبر عليها فيتأذى بها، فإن تزوّج المريد فهكذا ينبغي أن يكون وإن قدر على الترك فهو أولى له إذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق، وعلم أن ذلك يشغله عن حاله، كما روي أن محمد بن سليمان الهاشمي كان يملك من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم، فكتب إلى أهل البصرة وعلمائها في امرأة يتزوّجها فاجمعوا كلهم على رابعة العدوية رحمها الله تعالى، فكتب إليها: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد؛ فإن الله تعالى قد ملكني من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم وليس تمضي الأيام والليالي حتى أتمها مائة ألف، وأنا أصير لك مثلها ومثلها فاجيبيني،

(**أنه قد أصابه رمد**) في عينيه وبقي على ذلك أياماً، (**ثم أراهم أن بصره قد ذهب حتى زفت إليه فزال عنهم الحزن**) القائم بهم، (**فبقيت عنده عشرين سنة**) وهو على تلك الحالة، (**ثم توفيت ففتح عينيه حين ذلك فقيل له في ذلك**) التعاطي (**فقال: تعمدته لأجل أهلها حتى لا يحزنوا، فقيل له: قد سبقت إخوانك بهذا الخلق**) وصدقوا فإن الصبر على مثل هذا أشد ما سمع، وحكي عن بعض الصوفية أنه جعل نفسه أصم مدة عشرين سنة لكون امرأته خرج منها صوت ريح فخجلت فتصامم لكي يذهب عنها الخجل، ولم يزل كذلك حتى ماتت، نقله الشعراني في بعض كتبه.

(**وتزوّج بعض الصوفية امرأة سيئة الخلق فكان يصبر عليها**) ويحتمل سوء خلقها (**فقيل له: لم لا تطلقها**) فتستريح منها؟ (**فقال: أخشى أن يتزوّجها من لا يصبر عليها**) كصبري (**فيتأذى بها**) وهذا من أصعب المجاهدات، (**فإن تزوّج المريد فهكذا ينبغي أن يكون**) في أخلاقه (**وإن قدر على الترك فهو أولى**) لحاله (**إذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح**) وبين (**سلوك الطريق**) طريق الآخرة. (**وعلم أن ذلك يشغله عن حاله**) ويحول بينه وبين جمع همته، (**كما روي أن محمد بن سليمان**) بن علي بن عبد الله بن عباس (**الهاشمي**) وكان قد ولي البصرة من قبل ابن أخيه السفاح (**ملك من غلة الدنيا**) أي ارتفاقها (**ثمانين ألف درهم في كل يوم، ثم كتب إلى أهل البصرة وعلمائها في امرأة يتزوّجها فاجمعوا كلهم على**) زاهدة عصرها (**رابعة**) ابنة إسماعيل (**العدوية**) وكانت رحمها الله بارعة الجمال، (**فكتب إليها**) ما نصه: (**بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد؛ فإن الله تعالى قد ملكني في غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم وليس تمضي الأيام والليالي حتى أتمها مائة ألف وأنا أصير لك مثلها،**

فكتبت إليه بسم الله الرحن الرحيم أما بعد : فإن الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن، والرغبة فيها تورث الهم والحزن. فإذا أتاك كتابي هذا فهيء زادك وقدّم لمعادك وكن وصي نفسك ولا تجعل الرجال أوصياءك فيقتسموا تراثك، فصم الدهر وليكن فطرك الموت. وأما أنا فلو أن الله تعالى خوّلني أمثال الذي خوّلك وأضعافه ما سرني أن أشتغل عن الله طرفة عين.

وهذه إشارة إلى أن كل ما يشغل عن الله تعالى فهو نقصان، فلينظر المريد إلى حاله وقلبه فإن وجده في العزوبة فهو الأقرب، وإن عجز عن ذلك فالنكاح أولى به، ودواء هذه العلة ثلاثة أمور : الجوع، وغض البصر، والاشتغال بشغل يستولي على القلب فإن لم تنفع هذه الثلاثة فالنكاح هو الذي يستأصل مادتها فقط. ولهذا كان السلف يبادرون إلى النكاح وإلى تزويج البنات. قال سعيد بن المسيب : ما أيس إبليس من أحد

فاجيبيني) أي للنكاح، (فكتبت إليه) ما نصه: (بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فإن الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن، والرغبة فيها تورث الهم والحزن، فإذا أتاك كتابي هذا فهيء زادك وقدم لمعادك) أي لآخرتك، (وكن وصي نفسك ولا تجعل الرجال أوصياءك فيقتسموا مالك وصم الدهر وليكن فطورك الموت، وأما أنا فلو ان الله تعالى خوّلني أمثال الذي خوّلك) أي أعطاك (وأضعافه ما سرني أن أشتغل عن الله طرفة عين) والسلام.

(وهذا إشارة إلى أن كل ما شغل عن الله تعالى فهو نقصان) فإذاً الزواج في حق المريد نقصان لحاله لأنه اشتغال بالزوجة، فلا يصح له أن يشتغل بغير الله تعالى: (فلينظر المريد إلى حاله وقلبه فإن وجده ساكناً في العزبة) غير متطلع إلى الشهوة (فهو أقرب) إلى سلوكه، (وإن عجز عن ذلك فالنكاح أولى به). وسئل سهل رحمه الله تعالى عن النساء فقال: الصبر عنهن خير من الصبر عليهن، والصبر عليهن خير من معالجة النساء. وقال أبو الحسن علي بن سالم البصري وقد سئل عن التزويج فقال: لا يصلح في هذا الوقت إلا لرجل يدركه من الشبق ما يدرك الحمار إذا نظر إلى أتان لم يملك نفسه أن يثب عليها حتى يضرب رأسه وهو لا ينثني، فإذا كان الإنسان على مثل هذا الوصف كان التزويج له أفضل، (ودواء هذه العلة ثلاث) خصال: (الجوع) وهو أكثرها تأثيراً، (وغض البصر) وهي تليها، (والاشتغال بشغل يستولي على القلب) ويغلبه بالكلية فلا تكون له وجهة إلى شيء سوى ما هو فيه، (فإن لم تنفع هذه الثلاث فالنكاح هو الذي يستأصل مادتها) ويقطع شأفتها (فقط) وما بعده دواء يستعان به على دفع هذا المرض، (ولهذا كان السلف يبادرون إلى النكاح) خوفاً من الوقوع في شيء من فتن النفس ويراعون المعالجة قبل حلول المرض، (و) كانوا يبادرون أيضاً (إلى تزويج البنات) والأولاد

إلا وأتاه من قبل النساء وقال سعيد أيضاً وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهبت إحدى عينيه وهو يعشو بالأخرى ما شيء أخوف عندي من النساء. وعن عبدالله بن أبي وداعة قال: كنت أجالس سعيد بن المسيب فتفقدني أياماً فلما أتيته قال: أين كنت؟ قلت: توفيت أهلي فاشتغلت بها. فقال: هلا أخبرتنا فشهدناها؟ قال: ثم أردت أن أقوم فقال: هل استحدثت امرأة؟ فقلت: يرحمك الله تعالى ومن يزوّجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟ فقال: أنا فقلت: وتفعل؟ قال: نعم فحمد الله تعالى وصلى على النبي ﷺ وزوّجني على درهمين أو قال ثلاثة قال: فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح فصرت إلى منزلي وجعلت أفكر ممن آخذ وممن أستدين، فصليت المغرب وانصرفت إلى منزلي

ولو قبل البلوغ خشية من الافتتان عليهن وعليهم. (قال سعيد بن المسيب) القرشي التابعي رحمه الله تعالى: (ما أيس إبليس من أحد الاوأتاه من قبل النساء) أي: فإنهن حبائله بهن يصطاد الرجال، (وقال) سعيد أيضاً: (وسنه أربع وثمانون سنة، وقد ذهبت إحدى عينيه، وكان يعشو بالأخرى ما شيء عندي أخوف من النساء).

قلت: قوله أربع وثمانون هكذا وقع في نسخ الكتاب، والصواب أربع وسبعون فإن الواقدي صرّح بأن وفاته سنة أربع وتسعين في خلافة الوليد بن عبد الملك. قال: وهو ابن خمس وسبعين سنة. وفي قول غير الواقدي أنه مات سنة ثلاث وتسعين، فيكون عاش أربعاً وسبعين سنة. واختلف في ولادته فقيل لسنتين مضتا من خلافة عمر، وقيل: لأربع سنين، وأما قوله: وقد ذهبت إحدى عينيه فقد قال أحمد بن عبد الله العجلي في ترجمته: أنه كان أعور وذكره صاحب الشعور في العور.

(وعن عبدالله بن أبي وداعة) الحرث بن صبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو القرشي السهمي أخو المطلب بن أبي وداعة أمها أروى بنت الحرث بن عبد المطلب ذكره المرزباني في معجم الشعراء وقال: أدرك الإسلام فأسلم وعمَّر دهراً بعد ذلك. وأورده الحافظ في الإصابة وقال: هذا على الشرط فإنه لم يبق بمكة بعد الفتح من قريش أحد إلا أسلم وشهد حجة الوداع مع النبي ﷺ وذكره الزبير بن بكار في أنساب قريش وقال: أسلم وعاش في الإسلام وليس له عقب. (قال: كنت أجالس سعيد بن المسيب) أي اختلف إليه في مجالسه (ففقدني أياماً فلما أتيته قال: أين كنت؟ قلت: توفيت اهلي فاشتغلت بها. فقال: هلا أخبرتنا بموتها فشهدناها) أي جنازتها. (قال: ثم أردت أن أقوم. فقال: هل استحدثت امرأة) أخرى؟ (فقلت: يرحمك الله ومن يزوّجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟ فقال: أنا فقلت: وتفعل؟ قال: نعم فحمد الله تعالى وصلى على نبيه ﷺ وزوّجني على الدرهمين أو قال على الثلاثة. قال) عبدالله: (فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح فصرت إلى منزلي وجعلت أتفكر ممن آخذ وممن أستدين فصليت المغرب وانصرفت) إلى المنزل، (فأسرجت) أي أوقدت فيه سراجاً

فأسرجت وكنت صائماً فقدمت عشائي لأفطر وكان خبزاً وزيتاً، وإذا بابي يقرع فقلت: من هذا؟ قال: سعيد. قال: فأفكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب، وذلك أنه لم ير أربعين سنة إلا بين داره والمسجد قال فخرجت إليه فإذا به سعيد بن المسيب فظننت أنه قد بدا له، فقلت يا أبا محمد لو أرسلت إليّ لأتيتك. فقال: لا أنت أحق أن تؤتى. قلت: فما تأمر؟ قال: إنك كنت رجلاً عزباً فتزوجت فكرهت أن أبيتك الليلة وحدك، وهذه امرأتك وإذا هي قائمة خلفه في طوله، ثم أخذ بيدها فدفعها في الباب وردّه فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت من الباب ثم تقدمت إلى القصعة التي فيها الخبز والزيت فوضعتها في ظل السراج لكيلا تراه، ثم صعدت السطح فرميت الجيران فجاؤني وقالوا: ما شأنك قلت: ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم، وقد جاء بها الليلة على غفلة فقالوا: أو سعيد زوّجك، قلت: نعم قالوا: وهي في الدار؟ قلت: نعم، فنزلوا إليها وبلغ ذلك أمي فجاءت، وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام. قال: فأقمت ثلاثاً ثم دخلت بها فإذا

(**وكنت صائماً فقدمت عشائي لأفطر وكان**) العشاء خبزاً وزيتاً، (**وإذا بابي يُقرع فقلت: من هذا؟ قال: سعيد. قال: فأفكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب**) فإنه لم يخطر ببالي، (**وذلك أنه لم ير أربعين سنة إلا بين داره والمسجد. قال: فخرجت إليه وإذا به سعيد بن المسيب فظننت أنه قد بدا له**) رأي في أمر ابنته (**فقلت: يا أبا محمد لو أرسلت إليّ لأتيتك فقال: لا. أنت أحق أن تؤتى. قلت: فما تأمر؟ قال: إنك قد كنت رجلاً عزباً فتزوّجت فكرهت أن أبيتك الليلة وحدك وهذه امرأتك، وإذا هي قائمة خلفه في طوله ثم أخذ بيدها فدفعها في الباب**) إلى جهة الدار (**وردّه**) أي الباب (**فسقطت المرأة**) مما غلب عليها (**من الحياء فاستوثقت من الباب، ثم تقدمت إلى القصعة التي فيها الخبز والزيت فوضعتها في ظل السراج لكيلا تراه**) فتستحقره، (**ثم صعدت السطح فرميت الجيران**) أي بالحصاة (**فجاؤني وقالوا: ما شأنك؟ قلت**) لهم: (**ويحكم زوّجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاء بها الليلة على غفلة. قالوا: وسعيد زوّجك؟ قلت: نعم. قالوا وهي في الدار؟ قلت: نعم. فنزلوا إليها وبلغ ذلك أمي**) وهي أروى بنت الحرث بن عبد المطلب ذكرها ابن سعد في الصحابيات في باب بنات عم النبي ﷺ وقال: أمها غزية بنت قيس بن طريف من بني فهر بن مالك. قال: وولدت لأبي وداعة المطلب وأبا سفيان وأم جميل وأم حكيم والربعة اهـ. ولم يذكر عبد الله وممن صرح بأنها أمه الحافظ في ترجمة عبد الله في الاصابة. (**وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام. قال: فأقمت ثلاثاً ثم دخلت بها، فإذا هي من أجمل الناس وأحفظهم لكتاب الله**) تعالى، (**وأعلمهم بسنّة رسول**

هي من أجمل النساء وأحفظ الناس لكتاب الله تعالى، وأعلمهم بسنّة رسول الله ﷺ وأعرفهم بحق الزوج. قال فمكثت شهراً لا يأتيني سعيد ولا آتيه، فلما كان بعد الشهر أتيته وهو في حلقته فسلمت عليه فردّ عليّ السلام ولم يكلمني حتى تفرق الناس من المجلس فقال: ما حال ذلك الإنسان؟ فقلت: بخير يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو. قال: إن رابك منه أمر فدونك والعصا فانصرفت إلى منزلي فوجه إليّ بعشرين ألف درهم. قال عبد الله بن سليمان: وكانت بنت سعيد بن المسيب هذه قد خطبها منه عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاّه العهد فأبي سعيد أن يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصبّ عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف. فاستعجال سعيد في الزفاف تلك الليلة يعرفك غائلة الشهوة ووجوب المبادرة في الدين إلى تطفئة نارها بالنكاح رضي الله تعالى عنه ورحمه.

بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين:

اعلم أن هذه الشهوة هي أغلب الشهوات على الإنسان وأعصاها عند الهيجان على العقل إلا أن مقتضاها قبيح يستحيا منه ويخشى من اقتحامه وامتناع أكثر الناس عن

الله ﷺ، **وأعرفهم بحق الزوج قال: فمكثت شهراً لا يأتيني سعيد ولا آتيه، فلما كان بعد الشهر أتيته وهو في حلقته فسلمت عليه فردّ عليّ السلام ولم يكلمني)** والناس حوله **(حتى تفرق الناس من المجلس فقال: وما حال ذلك الانسان)** يعني به ابنته؟ **(فقلت: بخير يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدوّ. وقال: إن رابك أمر)** أي من المخالفة لك **(فدونك والعصا، فانصرفت الى المنزل فوجه إليّ بعشرين ألف درهم)**.

(قال عبد الله بن سليمان) أحد رواة هذه القصة، **(وكان عبد الملك بن مروان قد خطبها منه لابنه الوليد حين ولاّه العهد)** وأن يكون خليفة بعده **(فأبى أن يزوّجه)** إياها، **(فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصبّ عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف)** وأشهره بين الناس، **(فاستعجال سعيد)** رحمه الله تعالى **(في الزفاف تلك الليلة يعرفك غائلة الشهوة ووجوب المبادرة إلى تطفئة نارها بالنكاح)** وفيه أنه عصم رحمه حيث لم يزوّجها للوليد لما كان فيه من الظلم.

فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين:

(اعلم) وفقك الله تعالى **(أن هذه الشهوة هي أغلب الشهوات على الإنسان وأعصاها عند الهيجان على العقل)** فقد يضعف عن مقاومتها إذا ثارت **(إلا أن مقتضاها قبيح يستحيا منه ويخشى من اقتحامه)** أي ارتكابه والدخول فيه، **(وامتناع أكثر الناس عن مقتضاها)** لا

مقتضاها. إما لعجز أو لخوف أو لحياء أو لمحافظة على جسمه، وليس في شيء من ذلك ثواب فإنه إيثار حظ من حظوظ النفس على حظ آخر نعم من العصمة أن لا يقدر ففي هذه العوائق فائدة وهي دفع الإثم، فإن من ترك الزنا اندفع عنه إثمه بأي سبب كان تركه، وإنما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفاً من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الأسباب لا سيما عند صدق الشهوة، وهذه درجة الصديقين. ولذلك قال ﷺ: «من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد». وقال عليه الصلاة والسلام: «سبعة

يخلو (إما) أن يكون (**لعجز**) ظاهر، (**أو لخوف**) لاحق، (**أو لحياء**) عارض، (**أو لمحافظة على حشمة**) أي مقام نفسه بين الناس. (**وليس في شيء من ذلك ثواب فإنه إيثار حظ من حظوظ النفس على حظ آخر**) والحظوظ النفسية كلها لا ثواب لها. (**نعم من العصمة أن لا يقدر**) والمشهور على الألسنة، ومن العصمة أن لا تجد والمراد بالعصمة هنا الحفظ أي فإذا أراد الله حفظ عبده لم يجعله قادراً على الإتيان بشيء من المخالفات، (**ففي هذه العوائق فائدة وهي رفع الإثم**) إذ لو أقدم عليه لأثم (**فمن ترك الزنا اندفع عنه إثمه بأي سبب كان تركه، وإنما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفاً من الله تعالى مع القدرة**) عليه (**وارتفاع الموانع**) عنه حسية ومعنوية، (**وتيسر الأسباب لا سيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين، ولذلك قال** ﷺ: «**من عشق**) أي من يتصور حل نكاحه لها شرعاً لا كأمرد والعشق كما تقدم هو التفاف الحب بالمحب حتى خالط جميع أجزائه واشتمل عليه اشتمال الصماء (**فعف**) أي منع نفسه عن إيفاء حظها (**فكتم**) بأن لم يظهره لأحد (**فمات فهو شهيد**») وإنما قارب وصفه وصف القتيل في سبيل الله لتركه لذة نفسه، فكما بذل المجاهد مهجته لإعلاء كلمة الله، فهذا جاهد نفسه في مخالفة هواها بمحبته للقديم خوفاً ورهبة وإيثاراً على محبة محدث. قال العراقي: رواه الحاكم في التاريخ من حديث ابن عباس وقال: أنكر على سويد بن سعيد ثم قال أيضاً: يقال إن يحيى لما ذكر هذا الحديث قال: لو كان لي رمح وفرس غزوت سويداً. ورواه الخرائطي من غير طريق سويد بسند فيه نظر اهـ.

قلت: قد كثر الكلام على هذا. ولنذكر أولاً اختلاف ألفاظه، وهذا الذي أورده المصنف هو لفظ حديث ابن عباس أخرجه الحاكم والخطيب في تاريخيهما من طريق نفطويه عن محمد بن داود بن علي الأصبهاني عن أبيه إمام أهل الظاهر عن سويد بن سعيد عن علي بن مسهر عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس به مرفوعاً

وقرأت في مصارع العشاق للشيخ أبي محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بدمشق قال: حدثنا أبو الحسن علي بن أيوب بن الحسين بن أيوب القمي إملاء، حدثنا أبو عبيد الله المرزباني وأبو عمر بن حيويه وأبو بكر بن شاذان قالوا: حدثنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي نفطويه قال: دخلت على محمد بن داود الأصبهاني في مرضه الذي

مات فيه فقلت له: كيف تجدك؟ فقال: حب من تعلم أورثني ما ترى. فقلت: ما منعك عن الاستمتاع به مع القدرة؟ فقال: الاستمتاع على وجهين: أحدهما: النظر المباح، والثاني: اللذة المحظورة فأما النظر المباح فاورثني ما ترى وأما اللذة المحظورة فإنه منعني منها ما حدثني أبي قال: حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا علي بن مسهر عن أبي يحيى القتات، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ أنه قال: «من عشق وكتم وعف وصبر غفر الله له وأدخله الجنة ثم أنشدنا لنفسه:

انظـر إلى السحـر يجري في لـواحظـه ... وانظـر إلى دعـج في طـرفـه السـاج
وانظـر إلى شعـرات فـوق عـارضـه ... كـأنهن نمال دب في عـاج

وأنشدنا لنفسه:

مـا لهم أنكـروا سـواداً بخد ... يـه ولا ينكـرون ورد الغصـون
إن يكـن عيـب خـده بـد والشعـ ... ـر فعيـب العيـون شعـر الجفـون

فقلت له: نفيت القياس في الفقه وأثبته في الشعر، فقال: غلبة الهوى وملكة النفوس دعوا إليه قال: ومات في ليلته أو في اليوم الثاني، وبهذا السند إلى القمي قال: حدثنا محمد بن عمران، حدثني محمد بن أحمد بن مخزوم، حدثني الحسن بن علي الأشناني، وأحمد بن محمد بن مسروق قالا: حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا علي بن مسهر، عن أبي يحيى القتات، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من عشق فظفر فعف فمات مات شهيداً. وقال الحافظ السخاوي: ورواه ابن المرزبان عن أبي بكر الأزرقي، حدثنا سويد به مرفوعاً قال ابن المرزبان: إن شيخه كان حدثه به مرفوعاً فعاتبه فيه فاسقط الرفع ثم صار بعد يرويه موقوفاً، وهو مما أنكره عليه يحي بن معين حتى قال: ما تقدم من الكلام فيما نقله الحاكم في تاريخه، وكذا أنكره عليه غيره وقد قال أحمد أن سويد ابن سعيد متروك، وقال ابن الجوزي: ومدار الحديث عليه فهو لا يصح لأجله، وأورده في الموضوعات وتبعه في ذلك ابن تيمية وابن القيم مبالغاً في الإنكار على هذا الحديث. قال السخاوي تبعاً للزركشي: لكن سويداً لم ينفرد به فقد رواه الزبير بن بكار فقال: حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون، عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس به مرفوعاً، وهو سند صحيح. وقد ذكره ابن حزم في معرض الإحتجاج فقال:

فـإن أهلـك هـوى أهـلك شهيـداً ... وإن تمنـن بقيـت قـريـر عين
روى هـذا لنـا قـوم ثقـات ... نـأوا بـالصدق عـن كـذب ومين

وقد نظمه أبو الوليد الباجي فقال:

إذا مـات المحـب هـوى وعشقـا ... فتلـك شهـادة يـا صـاح حقـا
رواه لنـا ثقـات عـن ثقـات ... إلى الحبر ابـن عبـاس تـرقـى

قال الحافظ السخاوي: وينظر هل هذه الطريق التي أوردها الخرائطي منها فإن تكن هي، فقد قال العراقي في سندها نظر اهـ.

يظلهم الله يوم القيامة في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله وعدّ منهم رجلاً دعته امرأة ذات جمال وحسب إلى نفسها فقال إني أخاف الله رب العالمين. وقصة يوسف عليه السلام وامتناعه من زليخا مع القدرة ومع رغبتها معروفة، وقد أثنى الله تعالى عليه بذلك في كتابه العزيز وهو إمام لكل من وفق لمجاهدة في هذه الشهوة العظيمة.

وروي أن سليمان بن يسار كان من أحسن الناس وجهاً، فدخلت عليه امرأة فسألته

قلت: ولعل وجه النظر أن الديلمي أخرجه في مسنده من طريق الزبير فقال: عن عبد الله بن عبد الملك بن الماجشون لا عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون، فإن كان هذا القدر هو المشار إليه بقوله فيه نظر فالأمر سهل والله أعلم. ومن ألفاظ هذا الحديث: «من عشق فعف ثم مات فهو شهيد» رواه الخطيب في ترجمة قطبة بن المفضل من حديث عائشة وهو من رواية أحمد بن محمد بن مسروق عن سويد بن سعيد وسويد قد عرفت حاله، وابن مسروق ضعيف لينه الدارقطني.

ومنها: من عشق فكتم وعف وصبر غفر الله له وأدخله الجنة» رواه ابن عساكر من حديث ابن عباس.

ومنها: «من عشق فكتم فصبر فمات فهو شهيد» رواه بعض المذكورين أما الديلمي وأما الخرائطي ونظيره في توالي التعقيب بالفاء قوله تعالى: ﴿فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها﴾ [الشمس: ١٣ - ١٥] وكذا في النازعات توالى فاآت، وللحديث طرق عند البيهقي أيضاً والله أعلم.

(**وقال ﷺ: «سبعة يظلهم الله تحت عرشه يوم لا ظل إلا ظله وعدّ منهم رجلاً دعته امرأة ذات جمال وحسب إلى نفسها فقال: إني أخاف الله رب العالمين»**) ولفظ الحديث: «إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وافترقا عليه ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله رب العالمين ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه» رواه أحمد والشيخان والنسائي من حديث أبي هريرة. ورواه مالك والترمذي من حديث أبي هريرة أو أبي سعيد بالشك. ورواه مسلم أيضاً من حديثهما معاً. وقد تقدم الكلام عليه في كتاب الزكاة.

(**وقصة يوسف عليه السلام وامتناعه من زليخا**) امرأة العزيز (**مع القدرة**) وتيسير الأسباب (**ومع رغبتها إليه معروفة**) عند الناس، (**وقد أثنى الله تعالى عليه بذلك في كتابه العزيز**) بل السورة بتمامها على ذكر أحواله وكيف عصمه الله تعالى فقهر نفسه وأذل هواه (**وهو**) عليه السلام (**إمام لكل من وفق لمجاهدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة**) وله به أسوة وقدرة.

(**فقد روي أن سليمان بن يسار**) الهلالي مولاهم المدني أحد الفقهاء السبعة المشهورة كنيته أبو

نفسه فامتنع عليها وخرج هارباً من منزله وتركها فيه. قال سليمان: فرأيت تلك الليلة في المنام يوسف عليه السلام وكأني أقول له أنت يوسف؟ قال: نعم. أنا يوسف الذي هممت وأنت سليمان الذي لم تهم أشار به إلى قوله تعالى: ﴿ولقد همّت به وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه﴾ [يوسف: ٢٤] وعنه أيضاً ما هو أعجب من هذا وذلك أنه خرج من المدينة حاجاً ومعه رفيق له حتى نزلا بالأبواء، فقام رفيقه وأخذ السفرة وانطلق إلى السوق ليبتاع شيئاً وجلس سليمان في الخيمة وكان من أجمل الناس وجهاً وأورعهم فبصرت به اعرابية من قلة الجبل وانحدرت إليه حتى وقفت بين يديه وعليها البرقع والقفازان فأسفرت عن وجه لها كأنه فلقة قمر وقالت: أهنئني فظن أنها تريد طعاماً فقام إلى فضلة السفرة ليعطيها، فقالت: لست أريد هذا إنما أريد ما يكون من الرجل إلى أهله؟ فقال: جهزك إلي إبليس ثم وضع رأسه بين ركبتيه وأخذ في النحيب، فلم يزل

أيوب (وهو أخو عطاء) وعبد الملك وعبد الله أبني يسار (كان من أحسن الناس وجهاً قد خلت عليه امرأة فسألته نفسه فامتنع عليها وخرج هارباً من منزله وتركها فيه) لما قالت له: ادن (قال سليمان: فرأيت تلك الليلة في المنام يوسف عليه السلام وكأني أقول له أنت يوسف؟ قال: أنا يوسف الذي هممت وأنت سليمان الذي لم تهم، وأشار إلى قوله تعالى: ﴿ولقد هممت به وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه﴾) [يوسف: ٢٤] رواه أبو نعيم في الحلية من طريق مصعب بن عبد الله الزبيري، حدثنا مصعب بن عثمان قال: كان سليمان من أحسن الناس وجهاً فساقه. وأخرجها المزي في التهذيب في ترجمته من طريق مصعب بن عثمان أيضاً:

(وعنه ما هو أعجب من هذا. وذلك) فيما رواه أبو نعيم في الحلية عن جعفر بن محمد بن نصير كتابة، حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق، حدثنا محمد بن الحسين، حدثنا محمد بن بشير الكندي، حدثنا عبد الرحمن بن جرير بن عبيد بن حبيب بن يسار الكلابي، عن أبي حازم (أنه خرج) سليمان بن يسار (من المدينة حاجاً) ومعه رفيق له (حتى نزلا بالأبواء) وهو موضع بين الحرمين (فقام رفيقه وأخذ السفرة) بالضم مائدة من جلد مدبوغ تتخذ للتزود فيها في الأسفار، (وانطلق إلى السوق ليبتاع لهم شيئاً) أي يشتري (وجلس سليمان في الخيمة) وحده (فبصرت به اعرابية من قلة الجبل) أي من رأسه (فانحدرت إليه، فلما رأت جمال وجهه) ووجدته منفرداً (جاء حتى وقفت بين يديه، وكان من أحسن الناس وجهاً وأورعهم، فكشفت) الأعرابية (عن وجهها البرقع) فإذا هو (كأنه فلقة قمر) حسناً وبهاء، (فقالت: أهنئني فظن أنها تريد طعاماً فقام إلى فاضل السفرة ليعطيها. فقالت: لست أريد هذا إنما أريد ما يكون من الرجل إلى أهله. فقال: جهزك الشيطان إليّ ثم وضع رأسه بين ركبتيه) ولفظ الحلية بين كميه (وأخذ في النحيب) أي رفع الصوت بالبكاء، (فلم يزل

يبكي فلما رأت منه ذلك سدلت البرقع على وجهها وانصرفت راجعة حتى بلغت أهلها. وجاء رفيقه فرآه وقد انتفخت عيناه من البكاء وانقطع حلقه فقال: ما يبكيك؟ قال: خير ذكرت صبيتي. قال: لا والله إلا أن لك قصة إنما عهدك بصبيتك منذ ثلاث أو نحوها فلم يزل به حتى أخبره خبر الاعرابية، فوضع رفيقه السفرة وجعل يبكي بكاء شديداً فقال له سليمان: وأنت ما يبكيك. قال: أنا أحق بالبكاء منك لأني أخشى أن لو كنت مكانك لما صبرت عنها، فلم يزالا يبكيان. فلما انتهى سليمان إلى مكة فسعى وطاف ثم أتى الحجر فاحتبى بثوبه فاخذته عينه فنام، وإذا رجل وسيم طوال له شارة حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمان. رحمك الله من أنت. قال له: أنا يوسف، قال: يوسف الصديق؟ قال: نعم. قال: إن في شأنك وشأن امرأة العزيز لعجباً؟ فقال له يوسف: شأنك وشأن صاحبة الأبواء أعجب.

وروي عن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى أواهم المبيت إلى غار فدخلوا فانحدرت صخرة من الجبل فسدت

يبكي، فلما رأت ذلك منه سدلت البرقع على وجهها وانصاعت راجعة حتى بلغت أهلها، **وجاء رفيقه**) من السوق وقد ابتاع لهم ما يرفقهم، (**فرآه وقد انفتحت**) ولفظ الحلية انتفخت (عيناه من البكاء وانقطع حلقه) أي صوته (فقال له: ما يبكيك؟ قال: خير ذكرت صبيتي بالمدينة. قال: لا والله إن لك قصة إنما عهدك بصبيتك منذ ثلاث أو نحوها فلم يزل به حتى أخبره خبر الاعرابية، فوضع رفيقه السفرة وجعل يبكي بكاء شديداً فقال له سليمان: وأنت فما يبكيك؟ قال: أنا أحق بالبكاء منك) قال: ولم؟ قال: (إني لأخشى لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلم يزالا يبكيان، فلما انتهى سليمان إلى مكة فسعى وطاف) بالبيت (أتى الحجر الأسود) ولفظ القوت وطاف وسعى أتى الحجر، (فاحتبى بثوبه فأخذته عينه فنام، وإذا رجل وسيم) أي حسن الوجه جيله (طوال) شرحب (له شارة) أي هيئة (حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمان: رحمك الله من أنت؟ قال: أنا يوسف) بن يعقوب قال) سليمان: (يوسف الصديق؟ قال: نعم. قال: إن في شأنك وشأن امرأة العزيز) زليخا (لعجباً) لما قص الله في كتابه (فقال له يوسف: شأنك وشأن صاحبة الأبواء أعجب) يشير إلى ما وقع له من قصة الاعرابية.

(وروي عن عبد الله بن عمر) رضي الله عنهما قال القشيري في الرسالة: أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الأسفرايني، أخبرنا أبو عوانة بن إبراهيم بن إسحاق، حدثنا محمد بن عون ويزيد ابن عبد الصمد الدمشقي وعبد الكريم بن الهيثمي الديرعاقولي وأبو الخطيب بن المتميز المصيصي قالوا: حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب عن الزهري، عن سالم عن أبيه (قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى أواهم الليل إلى غار فدخلوه) أي ليبيتوا

عليهم الغار فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم. فقال رجل منهم: اللهم إنك تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً فنأى بي طلب الشجر يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً ومالاً فلبثت والقدح في يدي أنتظر استيقاظهما حتى طلع الفجر والصبية يتضاغون حول قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه. وقال الآخر: اللهم إنك تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحب الناس إليَّ فراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها مائة وعشرين ديناراً على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي من أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلته ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة عنهم غير أنهم لا

فيه، (**فانحدرت عليهم صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا: إنه**) والله (**لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم**) فإن لذلك أثراً ظاهراً في النجاة. (**فقال رجل منهم: اللهم إنك تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت أغبق**) بالضم أي لا أسقي (**قبلهما أهلاً ولا مالاً**) أي لا أقدم في الغبوق عليهما أحداً من الأهل ولا من المال، والمراد بالأهل زوجته وصبيته، والمراد بالمال الناطق (**فنأى بي**) أي بعد (**طلب الشجر**) أي المرعى (**يوماً فلم أرح عليهما**) أي لم أصل إليهما في العشية (**حتى ناما**) بعد أن انتظراني على الميعاد، (**فحلبت لهما غبوقهما**) وهو بالفتح ما يشرب في عشية النهار فجئتهما به (**فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً**) وتحرجت أن أوقظهما، (**فلبثت والقدح في يدي أنتظر استيقاظهما حتى طلع الفجر والصبيان يتضاغون**) أي يتصايحون بالبكاء من الجوع (**حول قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئاً**) قليلاً (**لا يستطيعون الخروج منه**) قال رسول الله ﷺ، (**وقال الآخر: اللهم إنك تعلم أنه كانت ابنة عم لي من أحب الناس إلي فاردتها**) وفي نسخة فراودتها (**عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة مجدبة من السنين فجاءتني فاعطيتها مائة وعشرين ديناراً على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت حتى إذ قدرت عليها**) أي تمكنت منها (**قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه**) وهو عقد النكاح، (**فتحرجت**) أي تجنبت الإثم (**من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي من أحب الناس إليّ وتركت الذهب الذي أعطيتها**) إياه. (**اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج**

يستطيعون الخروج منها. وقال الثالث: اللهم إني أستأجرت أجراء وأعطيتهم أجورهم غير رجل واحد فإنه ترك الأجر الذي له وذهب فنميت له أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله اعطني أجري، فقلت: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق. فقال: يا عبد الله أتهزأ بي؟ فقلت: لا استهزىء بك فخذه فاستاقه وأخذه كله ولم يترك منه شيئاً اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون».

فهذا فضل من تمكن من قضاء هذه الشهوات فعف وقريب منه من تمكن من قضاء شهوة العين فإن العين مبدأ الزنا فحفظها مهم وهو عسر من حيث أنه قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه، والآفات كلها منه تنشأ. والنظرة الأولى إذا لم تقصد لا يؤاخذ بها والمعاودة يؤاخذ بها. قال ﷺ: «لك الأولى وعليك الثانية» أي النظرة. وقال العلاء بن

عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة عنهم غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها) قال رسول الله ﷺ: (**وقال الثالث: اللهم إني أستأجرت أجراء**) جمع أجير وهو من يخدم بالأجرة (**وأعطيت أجورهم غير رجل واحد فإنه ترك الأجر الذي له**) وسخطه (**وذهب**) كأنه استقلل (**فثمّرت أجره**) أي نميته (**حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال**) لي: (**يا عبد الله اعطني أجري، فقلت**) له: (**كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال**) لي: (**يا عبد الله أتهزأ بي**) وفي رواية لا تستهزىء بي، (**فقلت**) له: إني (**لا أستهزىء بك فاستاقه وأخذه كله ولم يترك منه شيئاً. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة**) عنهم (**فخرجوا يمشون**) رواه البخاري في الصحيح.

(**فهذا فضل من تمكن من الشهوة فعف**) نفسه عنها ولم يعطها حظها وأقوى هؤلاء الثلاثة الثاني فإنه ترك شهوته مع تيسرها. وكمال محبته لابنة عمه وبذله لها ما بذله من المال الجزيل. وفي القصة إثبات الكرامة لهم حيث استجاب الله دعاءهم وأزال الصخرة عنهم بقدرته خرقاً للعادة.
(**ويقرب منه من تمكن من قضاء شهوة العين فإن العين مبدأ الزنا**) والقلب تابع لها (**فحفظها مهم**) مطلوب (**وهو عسير من حيث أنه قد يستهان به**) ويستحقر أمره، (**ولا يعظم الخوف فيه والآفات كلها تنشأ منه**) وتتولد به، (**والنظرة الأولى**) التي تقع مفاجأة (**إذا لم تقصد**) أي لا تكون مقصودة (**لا يؤاخذ بها والمعاودة**) أي مراجعتها ثانية (**يؤاخذ بها. قال ﷺ: «لك الأولى وعليك الثانية» أي النظرة**) قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي من حديث بريدة قاله لعلي. قال الترمذي: غريب.

(**وقال**) أبو نصر (**العلاء بن زياد**) بن مطر العدوي البصري العابد المتوفي في سنة ٩٤

زياد : لا تتبع بصرك رداء المرأة فإن النظر يزرع في القلب شهوة وقل ما يخلـو الإنسان في تردداه عن وقوع البصر على النساء والصبيان ، فمهما تخايل إليه الحسن تقاضى الطبع والمعاودة وعنده ينبغي أن يقرر في نفسه أن هذه المعاودة عين الجهل ، فإنه إن حقق النظر فاستحسن ثارت الشهوة وعجز عن الوصول فلا يحصل له إلا التحسر ، وإن استقبح لم يلتذ وتألم لأنه قصد الإلتذاذ فقد فعل ما آلمه ، فلا يخلو في كلتا حالتيه عن معصية وعن تألم وعن تحسر ، ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات فإن اخطأت عينه وحفظ الفرج مع التمكن فذلك يستدعي غاية القوّة ونهاية التوفيق ، فقد روي عن أبي بكر بن عبد الله المزني أن قصاباً أولع بجارية لبعض جيرانه فأرسلها أهلها في حاجة لهم إلى قرية أخرى فتبعها وراودها عن نفسها فقالت له : لا تفعل لأنا أشد حباً لك منك لي ولكني أخاف الله. قال: فأنت تخافينه وأنا لاأخافه فرجع تائباً فأصابه العطش حتى كاد يهلك ، فإذا هو برسول لبعض أنبياء بني إسرائيل فسأله فقال: مالك ؟ قال: العطش. قال: تعالى حتى ندعو الله بأن تظلنا سحابة حتى ندخل القرية . قال: مالي

(**لا تتبع النظرة فإن النظر يزرع في القلب شهوة**) أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، حدثنا معتمر عن إسحاق بن سويد ، عن العلاء بن زياد : « لا تتبع بصرك رداء المرأة فإن النظر يجعل في القلب شهوة » . (**وقلما يخلو الإنسان في تردداه عن وقوع البصر على النساء والصبيان فمهما يخيل إليه الحسن تقاضى الطبع المعاودة، وعنده ينبغي أن يقرر في نفسه أن هذا غاية الجهد فإنه إن حقق النظر فاستحسن ثارت النفس بالشهوة وعجز عن الوصول**) إلى المطلوب، (**فلا يحصل له إلا التحسر وإن استقبح ولم يلتذ**) لأن الاستلذاذ لا يكون إلا مع الاستحسان (**تألم**) في نفسه (**لأنه قصد الالتذاذ فلا يخلو في كل حال عن معصية وعن تألم وعن تحسر . ومهما حفظ العين بهذا الطريق الدفع عن قلبه كثير من الآفات، فإن أخطأت عينه وحفظ الفرج مع التمكن**) والتيسر ، (**فذلك يستدعي غاية القوة ونهاية التوفيق**) من الله تعالى ، (**فقد روي عن بكر بن عبد الله المزني**) فيما رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن محمد بن أبان، حدثنا أبو بكر بن عبيد ، حدثني الحسن بن الصباح ، حدثنا زيد بن الخيار ، حدثنا محمد بن نشيط الهلالي، حدثنا بكر بن عبد الله المزني (**أن قصاباً أولع بجارية لبعض جيرانه فأرسلها أهلها في حاجة لهم إلى قرية أخرى فتبعها وراودها عن نفسها فقالت له: لا تفعل فأنا**) ولفظ الحلية لأنا (**أشد حباً لك مني ولكن أخاف الله . قال**) القصاب: (**وأنت تخافينه وأنا لا أخافه؟**) قال: (**فرجع تائباً فأصابه العطش حتى كاد يهلك**) ولفظ الحلية حتى كاد ينقطع عنقه، (**فإذا هو برسول لبعض أنبياء بني إسرائيل فسأله فقال: مالك؟ قال:العطش .قال:**)

من عمل صالح فادعو فادع أنت. قال: أنا أدعو وأمّن أنت على دعائي، فدعا الرسول وأمَّن هو فأظلتهما سحابة حتى انتهيا إلى القرية فأخذ القصاب إلى مكانه فمالت السحابة معه، فقال له الرسول: زعمت أن ليس لك عمل صالح وأنا دعوت وأنت الذي أمنت فأظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرني بأمرك فأخبره، فقال الرسول: إن التائب عند الله تعالى بمكان ليس أحد من الناس بمكانه.

وعن أحمد بن سعيد العابد عن أبيه قال: كان عندنا بالكوفة شاب متعبد ملازم لمسجد الجامع لا يكاد يفارقه. وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمت فنظرت إليه امرأة ذات جمال وعقل فشغفت به وطال عليها ذلك، فلما كان ذات يوم وقفت له على الطريق وهو يريد المسجد فقالت له: يا فتى اسمع مني كلمات أكلمك بها ثم أعمل ما شئت فمضى ولم يكلمها، ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت له: يا فتى اسمع مني كلمات أكلمك بها فاطرق مليا وقال لها: هذا موقف تهمة وأنا أكره للتهمة موضعاً. فقالت له: والله ما وقفت موقفي هذا جهالة بأمرك، ولكن معاذ الله أن يتشوّف العباد إلى مثل هذا مني، والذي حملني على أن لقيتك في مثل هذا الأمر بنفسي

تعالى حتى ندعو وحتى تظلنا سحابة حتى ندخل القرية قال القصاب: مالي من عمل فأدعو. **قال: فأنا أدعو وأمن أنت**) أي قل آمين (**على دعائي**) قال: (**فدعا الرسول وأمن هو فأظلتهما** سحابة حتى انتهيا إلى القرية، فأخذ القصاب إلى مكانه فمالت السحابة معه، فقال له الرسول: زعمت أن ليس لك عمل، وأنا الذي دعوت وأنت الذي أمنت فأظلتنا سحابة ثم تبعتك) دوني (**لتخبرني بأمرك فاخبره**) بما جرى له مع الجارية، (**فقال الرسول: إن التائب عند الله بمكان ليس أحد من الناس بمكانه.**

و) يحكى (**عن أحمد بن سعيد العابد عن أبيه**) سعيد بن إبراهيم (**قال: كان عندنا بالكوفة شاب متعبد لازم المسجد الجامع لا يكاد يفارقه، وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمت فنظرت إليه امرأة ذات جمال وعقل فشغفت به**) أي احبته حباً شديداً دخل في شغاف قلبها، (**وطال عليها ذلك، فلما كان ذات يوم وقفت له على الطريق وهو يريد المسجد فقالت له: يا فتى اسمع مني كلمات أكلمك بها**) ثم اعمل ما شئت فمضى ولم يكلمها، ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت له: يا فتى اسمع مني كلمات أكلمك بها (**فأطرق**) الفتى (**ملياً**) أي برهة من الزمن (**وقال لها: هذا موقف تهمة وأنا أكره أن أكون للتهمة موضعاً فقالت له: والله ما وقفت موقفي هذا جهالة مني بأمرك ولكن معاذ الله أن يتشوف**) وفي نسخة يتشرف (**العباد إلى مثل هذا مني والذي حملني على أن لقيتك في هذا الأمر بنفسي لمعرفتي أن القليل من هذا**

لمعرفتي أن القليل من هذا عند الناس كثير ، وأنتم معاشر العباد على مثال القوارير أدنى شيء يعيبها ، وجملة ما أقول لك أن جوارحي كلها مشغولة بك فالله في أمري وأمرك . قال : فمضى الشاب إلى منزله وأراد أن يصلي فلم يعقل كيف يصلي فأخذ قرطاساً وكتب كتاباً ثم خرج من منزله ، وإذا بالمرأة واقفة في موضعها فألقى الكتاب إليها ورجع إ ، منزله وكان فيه : بسم الله الرحمن الرحيم اعلمي أيتها المرأة أن الله عز وجل إذا عصاه العبد حلم فإذا عاد إلى المعصية مرة أخرى ستره ، فإذا لبس لها ملابسها غضب الله تعالى لنفسه غضبة تضيق منهاالسموات والأرض والجبال والشجر والدواب ، فمن ذا يطيق غضبه فإن كان ما ذكرت باطلاً فإني أذكرك يوماً تكون السماء فيه كالمهل وتصير الجبال كالعهن وتجثو الأمم صولة الجبار العظيم ، وإني والله قد ضعفت عن إصلاح نفسي فكيف بإصلاح غيري وإن كان ما ذكرت حقاً فإني أدلك على طبيب هدى يداوي الكلوم الممرضة والأوجاع المرمضة ذلك الله رب العالمين فاقصديه بصدق المسألة فإني مشغول عنك بقوله تعالى : ﴿ وأنذرهم يوم الآزفة إذا القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع * يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾ [غافر : ١٨ ، ١٩] فأين المهرب من هذه الآية ؟ ثم جاءت بعد ذلك بأيام فوقفت له على الطريق ، فلما

عند الناس كثير ، وأنتم معاشر العباد في مثل القوارير أدنى شيء يعيبها ، وجملة ما أقول لك) وفي نسخة ما أكملك به (أن جوارحي كلها مشغولة بك فالله في أمري وأمرك . قال : فمضى الشاب إلى منزله وأراد أن يصلي فلم يعقل كيف يصلي ، فأخذ قرطاساً وكتب كتاباً ثم خرج من منزله ، فإذا بالمرأة واقفة في موضعها فألقى الكتاب إليها ورجع إلى منزله ، فكان فيه) ما نصه : (بسم الله الرحمن الرحيم اعلمي أيتها المرأة إن الله عز وجل إذا عصاه العبد ستره فإذا عاد إلى المعصية مرة أخرى ستره) كذلك ، (فإذا لبس منها) وفي نسخة لها (ملابسها) بحيث صار معروفاً بها (غضب الله تعالى لنفسه غضبة تضيق منها السموات والأرض والجبال والشجر والدواب ، فمن ذا يطيق غضبه فإن كان ما ذكرت باطلاً فإني أذكرك يوماً تكون السماء فيه كالمهل) أي كالرصاص الذائب ، (وتصير الجبال كالعهن) أي كالصوف المنفوش (وتجثو الأمم) على ركبها (لصولة الجبار العظيم ، وإني والله قد ضعفت عن إصلاح نفسي ، فكيف بإصلاح غيري ، وإن كان ما ذكرت حقاً فإني أدلك على طبيب يداوي الكلوم) أي الجراحات (الممرضة والأوجاع المرمضة) أي المحرقة (ذلك الله رب العالمين فاقصديه بصدق المسألة فإني متشاغل عنك بقوله تعالى ﴿ وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾ والله يقضي بالحق فاين المهرب من هذه الآية) وهذا آخر ما في

رآها من بعيد أراد الرجوع لمنزله كيلا يراها . فقالت : يا فتى لا ترجع فلا كان الملتقى بعد هذا اليوم أبداً إلا غداً بين يدي الله تعالى ، ثم بكت بكاء شديداً وقالت : أسأل الله الذي بيده مفاتيح قلبك أن يسهل ما قد عسر من أمرك ، ثم إنها تبعته وقالت : امنن عليّ بموعظة أحملها عنك ، وأوصني بوصية أعمل عليها . فقال لها : أوصيك بحفظ نفسك من نفسك وأذكرك قوله تعالى : ﴿ وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ﴾ [الأنعام : ٦٠] قال : فأطرقت وبكت بكاء شديداً أشد من بكائها الأول ، ثم أنها أفاقت ولزمت بيتها وأخذت في العبادة فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمداً ، فكان الفتى يذكرها بعد موتها ثم يبكي فيقال له : مم بكاؤك وأنت قد أيأستها من نفسك ؟ فيقول : إني قد ذبحت طمعها في أول أمرها وجعلت قطيعتها ذخيرة لي عند الله تعالى فأنا أستحيي منه أن استرد ذخيرة أدخرتها عنده تعالى .

الكتاب ، (ثم إنها جاءت بعد ذلك بأيام فوقفت له على الطريق) الذي يسلكه العابد إلى المسجد ، (فلما رآها من بعيد أراد الرجوع لمنزله لئلا يراها فقالت له : يا فتى لا ترجع فلا كان الملتقي بعد هذا اليوم إلا بين يدي الله تعالى) غداً (ثم بكت بكاء شديداً وقالت : أسأل الله الذي بيده مفاتيح قلبك أن يسهل ما قد عسر من أمرك ، ثم أنها تبعته وقالت : امنن عليّ بموعظة أحملها عنك وأوصني بوصية أعمل عليها . قال : أوصيك بحفظ نفسك من نفسك) المراد بالنفس الأول الذات ، وبالثاني الامارة أي حفظ ذاتك من شرها ، (واذكرك قوله تعالى : ﴿ وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ﴾ قال : فاطرقت وبكت بكاء شديداً أشد من بكائها الأول ثم أنها أفاقت) من بكائها ورجعت إلى موضعها ، (ولزمت بيتها وأخذت في العبادة) وجدّت فيها ، (فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمداً فكان الفتى يذكرها بعد موتها ثم يبكي فيقال له : مم بكاؤك وأنت قد أيستها من نفسك فيقول : إني قد ذبحت طمعي منها في أول أمرها وجعلت قطيعتها ذخيرة لي عند الله ، وأنا استحيي أن أسترد ذخيرة ادخرتها عنده تعالى) هكذا أخرج هذه القصة الإمام أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج في كتاب مصارع العشاق قال : أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي بن شكر قال : حدثنا أبو الحسن علي بن عبد الله الهمداني بمكة . حدثنا إبراهيم بن علي ، حدثنا محمد بن جعفر الكاتب ، عن محمد بن الحسين البرجلاني قال : أخبرني أحمد بن سعيد العابد عن أبيه قال : كان عندنا بالكوفة فساقها إلى آخرها . وفيها بعض زيادات نشير إليها منها بعد قوله ثم أنها أفاقت فقالت :

والله مـا حملـت أنثـى ولا وضعـت أنسـاً كمثلـك في مصري وأحيائـي

وذكر أبياتاً آخرها قولها

لالبسـن لهذا الأمـر مـدرعـة ولا ركنـت إلى لـذات دنيـائـي

وذكر بعد قوله: ثم لزمت بيتها وأخذت في العبادة. قال: فكانت إذا أجهدها الأمر تدعو بكتابه فتضعه على عينها فيقال لها وهل يغني هذا شيئاً ؟ فتقول: وهل لي دواء غيره، وكان إذا جن عليها الليل قامت إلى محرابها فإذا صلت قالت:

يا وارث الأمر هب لي منك مغفرة — وحل عني هوى ذا الهاجر الداني
وانظر إلى خلتي يا مشتكي حزني — بنظرة منك تجلو كل أحزاني

قال: فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمداً ثم قال: وقال لنا الشيخ أبو القاسم الازجي رحمه الله تعالى: ووجدت في نسخة زيادة مسموعة عن الزبيبي شيخنا رحمه الله تعالى قال: ثم أن الجارية لم تلبث أن بليت ببلية في جسمها، فكان الطبيب يقطع من لحمها أرطالاً، فكان الطبيب قد عرف حديثها مع الفتى فكان إذا أراد أن يقطع لحمها يحدثها بحديث الفتى، فما كانت تجد لقطع لحمها ألماً ولا كانت تتاوّه فإذا سكت عن ذكره تأوّهت. قال: فلم تزل كذلك حتى ماتت كمداً رحمة الله عليها.

خاتمة:

قال صاحب القوت: فأما الصوم فليس عندهم هو الجوع المقصود لإسكان النفس وإخماد الطبع، لأن الصوم يصير عادة ويرجع الصائم إلى قوّة طبعه إذا أفطر، فأما إذا كان يصوم ويفطر على الشهوات أو يمتلىء من الأكل. فإن صوم هذا لا يزيده إلا قوة طبع وظهور نفس وتفتق عليه الشهوات ويدخل عليه الفتور عن الطاعات ويجلب عليه الكسل والشبهات، وربما قوي طبعه جملة واحدة وظهرت عليه نفسه بقوّة مجملة إلا أنه لا يجري في نهاره إلا فيما أجريت عادته عليه وجعل حاله فيه من أبواب الدنيا والتنقل في الهوى، وإن كان ظاهر أحواله أسباب الآخرة عنده لقصور علمه فإن حشوها الدنيا فالتقلل وأخذ البلغة من القوت في الأوقات مع الإفطار أصلح لقلب هذا وأدوم لعلمه وأبلغ في آخرته من مثل هذا الصوم، لأن هذا الذي وصفناه عادة أبناء الدنيا المترفهين ليس بصوم أهل الآخرة الزاهدين ولكن بالتقلل والطيّ وترك الشهوات واجتناب الشبهات تنكسر النفس وتذل ويخمد الطبع وتضعف الصفة عن العادة وتقوى إرادة الآخرة ويعمل المريد في سعيها وتخرج حلاوة الدنيا من القلب فيصير العبد من الجوع والطيّ وترك الترهات كأنه زاهد. وقيل لأبي يزيد البسطامي رحمه الله تعالى، وهو أعلى هذه الطائفة إشارة بأي شيء نلت هذه المعرفة؟ قال: ببطن جائع وجسد عار.

وفي الخبر الإسرائيلي أن عيسى عليه السلام ظهر له إبليس فرأى عليه معاليق من ألوان الإصباغ من كل شيء فقال له: ما هذه المعاليق؟ قال: هذه شهوات بني آدم. فقال: فهل لي فيها

....

شيء ؟ قال: ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر . قال: هل غير ذلك ؟ قال: لا . قال: لله علي أن لا أملأ بطني من طعام أبداً . قال إبليس: ولله عليّ أن لا أنصح مسلماً أبداً . وكان أبو سليمان الداراني يقول: إذا عرضت لك حاجة من حوائج الآخرة فامضها قبل أن تأكل، فما من أحد شبع إلا نقص من عمله أو قال تغيَّر عقله عما كان عليه وقالوا: إذا كان العبد ناسياً لجوعه ذاكراً لربه فهو يشبه الملائكة، وإذا كان شبعان منهوماً في طلب الشهوات فهو أشبه شيء بالبهائم، ويقال: إن الجوع ملك والشبع مملوك، وأن الجائع عزيز والشبعان ذليل. وقيل: الجوع عز كله والشبع ذل كله. وقال أبو سعيد الخراز: معنى الجوع اسم معلق على الخلق افترقوا في الدخول فيه والعمل به لعلل كثيرة: فمنهم من يجوع ورعاً إذا لم يصب الشيء الصافي، ومنهم من وجد الشيء الصافي فتركه زهداً فيه من مخافة طول الحساب والوقوف والسؤال، ومنهم من استلذ العبادة والنشاط بها والخفة فرأى أن النيل من الطعام والشراب قاطعاً له وشاغلاً عن الخدمة والخلوة، ومنهم من قرب من الله تعالى فلزم قلبه حقيقة الحياء حين علم أن الله مشاهده وكان الحياء مقامه لا غير، فتوهم أن الله يراه وهو يمضغ بين يديه ويأكل ويشرب فيؤديه ذلك إلى الاختلاف إلى الكنيف فيجوع من هذه العين، وهكذا كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه. ومنهم من أدركه السهر عن حاجاته فسلا عن نيل مصلحته حتى يذكر في الغب أو يذكر، ورأى رجل رسول الله ﷺ في المنام فأخذ بجلد ذراعه وجعل يقول: جعت هذا الجوع كله ولم يقل له اترك الجوع، ولو قال له اتركه لعله كان يتركه. قال صاحب القوت: وكان بعض شيوخنا ترك أكل الخبز الحار لأنه كان يشتهيه سنين كثيرة فعوتب في ذلك فقال: لو طمعت نفسي في أكل الخبز عشرين سنة ما أطعتها الساعة. وكان ربما بكى من شدة شهوة نفسه وقوة عزم مجاهدته لاستشعار نفسه صدقه وحسن وفائه فييأس من شهوتها آخر الدهر، فلذلك كان يقع عليه البكاء للإياس من المشتهى.

واعلم أن الشهوات لا حدَّ لها وإنما الحد للقوت، فمثل الشهوات مثل الجهل لا حدَّ له، ومثل القوت مثل العلم له حد ينتهي إليه، فكم من شهوة دنية منعت رتبة علية. وكان أبو سليمان الداراني يقول: لا تضر الشهوات من لم يتكلفها إنما تضر من حرصها وكان يدعو أصحابه فيقدم إليهم الا ليبات فيقولون: تنهانا عنها وتقدمها إلينا. قال: لأني أعلم أنكم تشتهونها فتأكلونها عندي خير، ولو جاءني من يزهد ما زدته على الملح، وكان يقول: أكل الطيبات يورث الرضا عن الله تعالى. وقال بعض الخلفاء: شرب ماء بثلج يخلص الشكر لله تعالى، وأوحى الله تعالى إلى بعض أوليائه: أدرك إلي لطف الفطنة وخفي اللطف فإني أحب ذلك. قال: يا رب وما لطف الفطنة؟ قال: إذا وقعت عليك ذبابة فاعلم أني أوقعتها فسلني حتى أرفعها. قال: وما خفي اللطف؟ قال: إذا أتاك فولة مسوّسة فاعلم أني ذكرتك بها فاشكرني عليها، وأوحي إلى بعض الانبياء لا تنظر إلى قلة الهدية وانظر إلى عظمة مهديها، ولا تنظر إلى صغر الخطيئة وانظر إلى كبرياء من واجهته بها، وإذا أصابك ضر أو فقر فلا تشكني إلى خلقي، كما إذا صعدت مساوئك إلي لم أشكك إلى ملائكتي.

تم كتاب كسر الشهوتين بحمد الله تعالى وكرمه يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب آفات اللسان والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، وصلاته على سيدنا محمد خير خلقه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء وسلم تسليماً كثيراً.

وبه تم شرح كتاب كسر الشهوتين شهوة البطن وشهوة الفرج، وذلك في عصر يوم الثلاثاء ثاني عشر محرم الحرام افتتاح سنة ألف ومائتين أرانا الله خيرها وكفانا ضيرها. قال ذلك أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني لطف الله به آمين، والحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

كتاب آفات اللسان وهو الكتاب الرابع من ربع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الله ناصر كل صابر وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي وفق قلوب أحبائه لموافقة مراسم الحق بإصابة البيان، وفتح بصائر أبصارهم فابصروا حقيقة الحقائق بالمشاهدة والعيان، سبحانه من إله جعل اللسان من الإنسان معبراً عما يكنه باطن الجنان، فهو بمنزلة الترجمان أو الأسير المطلق من قيود الهوان، بل الرئيس المطلق في حلبة الميدان، المرتب على شهادته غاية الطاعة والعصيان، أحمده حمداً أستوجب به الأمان، وأشكره شكراً أستوجب به زيادة الإحسان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تقدس ذاته عن مقالات أولي الطغيان وتمجده فيما أبرزه بحكمته من الأكوان، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله سيد ولد عدنان، وخلاصة الخلاصة من نوع الإنسان، المبعوث إلى كافة الإنس والجان، المؤيد بالحجة الباهرة وقواطع البرهان، من أعظمها القرآن الذي أعجز بلغاء كل عصر في كل زمان، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الائمة الأعيان، ذوي الفصاحة والبيان، والديانة والمتانة والإيقان والاتقان، وعلى التابعين لهم بإحسان، وسلم تسليماً كثيراً كثيراً أما بعد فهذا شرح:

كتاب آفات اللسان

وهو الكتاب الرابع من الربع الثالث، الموسوم بالمهلكات من كتاب الاحياء للإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي قدس الله روحه في الجنان، ومتعه بالنعيم والحور والولدان، كشفت فيه عن مشكلات حقائقه، وجلوت عرائس التحقيق عن مخدّرات دقائقه، وغصت في بحار معارفه فابرزت منها درراً، ورصعت عليها من نفائس الذخائر فاضحت كلها غرراً، وحققت ما خفي من محاويه، وبينت ما غمض من مطاويه، وعزوت كل قول إلى راويه، سالكاً مسلك الاختصار على الإمكان، سائلاً من الله الكريم اللطف والإحسان، والإعانة لما أنا بصدده، منتظراً لما يفاض عليّ من مواهب مدده، إنه نعم المسؤل وخير ولي وخير مأمول.

قال المصنف رحمه الله تعالى في مفتتح كتابه على عوائده:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحسن خلق الإنسان وعدله وألهمه نور الإيمان فزينه به وجمله وعلمه البيان فقدمه به وفضله. وأفاض على قلبه خزائن العلوم فأكمله، ثم أرسل عليه ستراً من رحمته وأسبله، ثم أمدّه بلسان يترجم به عما حواه القلب وعقله، ويكشف عنه ستره الذي أرسله، وأطلق بالحق مقوله، وأفصح بالشكر عما أولاه وخوّله، من علم حصله ونطق

بسم الله الرحمن الرحيم

(**الحمد لله الذي أحسن خلق الإنسان وعدله**) أي سوّاه في صورته الحاصلة له بأن ركبه من أعضاء مختلفة مثل اليد والرجل والعين واللسان والأنف والأذن فهو تعالى بخلق هذه الأعضاء محسن وبوضعها في مواضعها الخاصة عدل لأنه وضع العين في أوّل المواضع بها من البدن إذ لو خلقها على القفا أو على الرجل أو على اليد أو على قمة الرأس لم يخف ما يتطرق إليها من النقصان والتعرض للآفة، وكذلك خلق اليدين وعلقها من المنكبين، ولو علقها من الرأس أو من الركبتين لم يخف ما يتولد منه من الخلل، وكذلك وضع جميع الحواس على الرأس فإنها جواسيس لتكون مشرفة على جميع البدن، ولو وضعها على الرجل لاختل نظامها قطعاً وشرح ذلك في كل عضو يطول، (**وألهمه نور الإيمان**) بأن أوقع قبول ذلك في قلبه بما انشرح به صدره واطمأن (**فزينه به وجمله**) أي فظهر أثر ذلك النور الذي في القلب على جوارحه الظاهرة فكان زينة وجمالاً، (**وعلمه البيان**) وهو التعبير عما في الضمير وإفهام الغير لما أدركه كتلقي الوحي وتعرف الحق وتعلم الشرع، (**فقدمه به**) على سائر خلقه، (**وفضله**) حيث خلقه وخلق له ما يتميز به عن سائر الحيوان. فهذا وجه التقديم والتفضيل، وقد عدّ الله ذلك نعمة فقال في كتابه العزيز ﴿الرحمن ۞ علم القرآن ۞ خلق الإنسان علمه البيان﴾ [الرحمن: ١ ـ ٣] والجمل الثلاث أخبار مترادفة، وإنما أخلاها عن العاطف لمجيئها على نهج التعديد، (**وأفاض على قلبه خزائن العلوم**) أي العلوم المخزونة التي لا يطلع على أسرارها. ولما جعل القلب خزانة لما يرد من عالم الملكوت ناسب إفاضة تلك العلوم عليها، (**فأكمله**) وكمال كل شيء بحسبه فكمال الإنسان أن يكون قلبه معموراً بمعرفة ربه مستغرقاً في حبه لا يتطرق إليه خيال لسواه، (**ثم أرسل عليه ستراً من رحمته وأسبله**). الإرسال والإسبال مترادفان فإن بمعنى الإرخاء وهو كناية عن عموم رحمته تعالى عليه، ولولا ذلك ما كان التفضيل والإكمال (**ثم أمده بلسان يترجم**) أي يبين ويوضح (**عما حواه القلب**) أي اشتمله (**وعقله**) وفي بعض النسخ وتقبله ،وترجم كلام غيره إذا عبر عنه بلغة غير لغة المتكلم، وإنما قال ذلك لأن الحاصل في القلب معان معقولة والذي يوضحه اللسان إنما هو تعبير بالفاظ تدل على تلك المعاني إما بالمطابقة أو بالتضمن، (**ويكشف عنه**) أي عن القلب والجملة معطوفة على قوله يترجم (**ستره الذي أرسله**) أي أسدله عليه، (**فأطلق بالحمد مقوله**)

سهله، وأشهد إن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله الذي أكرمه وبجله، ونبيه الذي أرسله بكتاب أنزله، وأسمى فضله وبين سبله. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن قبله ما كبر الله عبد وهلّله.

(أما بعد:) فإن اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فإنه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان، وهما غاية الطاعة

بالكسر اسم اللسان باعتبار أنه آلة للقول وإطلاقه تمكينه من النطق به، وأراد بالحمد اللغوي وهو الوصف بفضيلة على فضيلة على جهة التعظيم وهو باللسان فقط، **(وأفصح بالشكر عما أولاه وخوّله)** أي أعطاه فالشكر باللسان هو الثناء على المنعم في مقابلة النعمة، ثم بين النعمة بقوله: **(من علم حصله)** باكتساب أو من طريق الفيض كما يلهم به بعض الأصفياء **(ونطق سهله)** وهو الأصوات المقطعة التي يظهرها اللسان وتعيها الآذان. **(وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و)** أشهد **(أن محمداً عبده ورسوله)** قدم أحدهما على الثاني إلى أن العبودية أشرف من الرسالة، ولذا كان عبد الله من أشرف أسمائه ﷺ وإليه أشار الشاعر:

لا تـــدعني إلا بيـــا عبـــدهـــا فـــإنـــه أشرف أسمائيـــا

(الذي أكرمه وبجله) أي عظمه ووقره بأن اصطفاه من خلقه وجعله خاتم رسله وجعل طاعته من طاعته ومحبته من محبته، **(ونبيه الذي أرسله)** إلى الناس كافة **(بكتاب أنزله)** من لدنه وهو القرآن، **(وآي فصله)** جمع آية وهي العلامة أي أنزل الكتاب مفصلاً فيه تفصيل كل شيء، وبيان أخبار من مضى، وعلم ما سيأتي وتذكير الضمير نظر الظاهر اللفظ، **(ودين سبله)** المراد بالدين الطاعة للإسلام والإنقياد له والتعبد به وتسبيله تسهيله للواردين عليه كأنه حبسه عليهم لينتفعوا به. **(صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن قبله)** أي من أمة الإجابة **(ما كبر الله عبد وهلله)** فالتكبير قول العبد: الله أكبر كبيراً. والتهليل قوله لا إله إلا الله.

(أما بعد: فإن اللسان) وهي الجارحة المعروفة ذو الصورة التي يميزها البصر **(من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فإنه صغير جرمه)** بالكسر أي جسده. قال أهل التشريح: هو مركب من اللحم والعروق والشريانات والعصب الحساس والغشاء المتصل بغشاء المريء، وقد امتزج بهذا الغشاء قسط صالح من العصب ومنفعة تقليب الطعام على الازدراء، وذلك أن جوهره لحم أبيض رخو مجلل بالغشاء المذكور، وقد التفت به عروق صغار كثيرة فيها دم هو سبب حمرة لونه وتحته عروق وشريانات وأعصاب كثيرة فوق ما يستحقه قدره من العظم، وتحته فوهتان يخرج منهما اللعاب وبهما يبقى في اللسان وما حوله النداوة الطبيعية. واعلم أن لحم اللسان شعبتان كلسان الحية لكن لما جللا بغشاء واحد صارا كأنهما شعبة واحدة ومن قسط كل من الشعبتين من الغشاء درز ظاهر **(عظيم طاعته)** أي انقياده للحق **(وجرمه)** بالضم اكتساب الإثم وبين الجرم والجرم

والعصيان، ثم أنه ما من وجود أو معدوم خالق أو مخلوق متخيل أو معلوم مظنون أو موهوم إلا واللسان يتناوله ويتعرض له بإثبات أو نفي فإن كان ما يتناوله العلم يعرب عنه اللسان إما بحق أو باطل ولا شيء إلا والعلم متناول له. وهذه خاصية لا توجد في سائر الأعضاء فإن العين لا تصل إلى غير الألوان والصور، والآذان لا تصل إلى غير الأصوات، واليد لا تصل إلى غير الأجسام، وكذا سائر الأعضاء واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى وحد له في الخير مجال رحب وله في الشرذيل سحب، فمن أطلق عذبة اللسان وأهمله مرخي العنان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه إلى شفا جرف هار إلى أن يضطره إلى البوار، ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد

جناس. (**إذ لا يتبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان**)، ولذا جعل الإقرار به شرطاً في صحة الإيمان، ففي الخبر: «شهادة أن لا إله إلا الله كلمة جعلها الله بيننا فمن قالها من قلبه فهو مؤمن ومن قالها بلسانه ولم يكن في قلبه كان له مالنا وعليه ما علينا وحسابه على الله». والشريعة واردة أن يطلق اسم الإيمان على من يظهر ذلك من نفسه من غير محض من قلبه ولا يتحاشى من إطلاق ذلك عليه ما لم يظهر منه ما ينافي الإيمان. وقد تقدم الكلام عليه في باب قواعد العقائد. (**وهما**) أي الكفر والإيمان (**غاية الطاعة والعصيان**) فيه لف ونشر غير مرتب، (**ثم أنه ما من موجود ومعدوم خالق أو مخلوق متخيل أو معلوم مظنون أو موهوم إلا واللسان يتناوله ويتعرض له بإثبات أو نفي، فإن كل ما يتناوله العلم يعرب عنه اللسان**) وفي بعض النسخ يعبر بدل يعرب (**إما بحق أو باطل ولا شيء إلا والعلم متناول له**) ولا يخرج إلى الوجود إلا بواسطة تعبير اللسان. (**وهذه خاصية**) خصة الله بها (**لا توجد في سائر الأعضاء**) التي ركب منها الإنسان، (**فإن العين لا تصل إلى غير الألوان والصور**) ولها احد عشر إدراكاً: النور والظلمة واللون والجسم وسطحه وشكله ووضعه وأبعاده وحركاته وسكناته واعداده، (**والأذن لا تصل إلى غير الأصوات**) ولها إدراكان الصوت الخفيف والصوت الثقيل، (**واليد لا تصل إلى غير الاجسام**) ولها عشر إدراكات: الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة، واللين، والخشونة، والصلابة، والرخاوة، والثقل، والخفة. (**وكذا سائر الاعضاء**) فإن لها ادراكات مخصوصة (**واللسان رحب الميدان**) اي واسعه (**وليس له مردود ولا لمجاله منتهى وحدّ**) لسعة متعلقاته (**له في الخير مجال رحب**) أي ميدان واسع، (**وفي الشرذيل سحب**) أي مسحوب، (**فمن أطلق عذبة اللسان**) محركة أي طرفه (**وأهمله مرخى العنان**) أي تركه سائباً كالدابة التي أرخى لها عنانها وتذهب وتروح أينما شاءت. (**سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه إلى شفا**) أي طرف (**جرف**) بضمتين وبضم فسكون للتخفيف اسم لما جرفته السيول وأكلته من الأرض (**هار**) أي هائر بمعنى ساقط (**إلى أن يضطره**) أي يلجئه (**إلى البوار**) أي الهَلاك الأبدي (**ولا يكب الناس**) أي لا يسقطهم (**في النار على مناخرهم**) أي أفواهم ووجوههم (**إلا حصائد ألسنتهم**) أي ما حصدوه بمناجل السنتهم كما هو في حديث معاذ وسيأتي ذكره قريباً (**ولا**

ألسنتهم، ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع إلا فيما يطلقه ينفعه في الدنيا والآخرة ويكفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله وآجله، وعلم ما يحمد فيه إطلاق اللسان أو يذم غامض عزيز، والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير وأعصى الأعضاء على الإنسان اللسان فإنه لا تعب في إطلاقه ولا مؤنة في تحريكه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آهاته وغوائله والحذر من مصائده وحبائله، وإنه أعظم آلة الشيطان في استغواء الإنسان. ونحن بتوفيق الله وحسن تدبيره نفصل مجامع آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بحدودها وأسبابها وغوائلها ونعرف طريق الاحتراز عنها. ونورد ما ورد من الأخبار والآثار في ذمها، فنذكر أولاً فضل الصمت، ونردفه بذكر آفة الكلام فيما لا يعني، ثم آفة فضول الكلام، ثم آفة الخوض في الباطل ثم آفة المراء والجدال، ثم آفه الخصومة، ثم آفة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه، وغير ذلك مما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطبة، ثم آفة الفحش والسبّ وبذاءة اللسان، ثم آفة اللعن إما لحيوان أو جماد أو إنسان، ثم آفة الغناء بالشعر، وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده ثم آفة المزاح، ثم آفة السخرية

ينجو من شر اللسان إلاّ من قيده بلجام الشرع، فلا يطلقه إلا فيما ينفعه) إما **(في الدنيا)** حالاً **(أو في الآخرة)** مآلاً، **(ويكفه)** أي يمنعه **(عن كل ما يخشى غائلته)** أي شره ومصيبته **(في عاجلته)** هي الدنيا **(وآجلته)** هي الآخرة **(وعلم ما يحمد فيه إطلاق اللسان أو يذم غامض)** أي خفي **(عزيز)** واسع الغور، **(والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير)** إلا من يسر الله عليه **(وأعصى الأعضاء على الإنسان اللسان)** أي أكثرها عصياناً عليه، **(فإنه لا تعب في إطلاقه ولا مؤنة في تحريكه، وقد يتساهل الخلق في الاحتراز من آفاته وغوائله)** ودواهيه المترتبة عليه، **(و)** في **(الحذر عن مصائده وحبائله وجهلوا أنه أعظم آلة الشيطان في استغواء الإنسان)** فبه يملك نواصيهم ويغتالهم **(ونحن بتوفيق الله وحسن تيسيره نفصل مجامع آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بحدودها)** المعرفة لها **(وأسبابها)** أي التي منها تنشأ **(وغوائلها ونعرف طريق الاحتراز عنها)** أي عن غوائلها. **(ونورد ما ورد من الأخبار والآثار)** الواردة **(في ذمها فنذكر أوّلاً فضل الصمت ونردفه بذكر آفة الكلام فيما لا يعني)** ترغيباً وترهيباً، **(ثم آفة فضول الكلام، ثم آفة الخوض في الباطل، ثم آفة المراء والجدال، ثم آفة الخصومة، ثم آفة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع)** فيه **(والفصاحة والتصنع، وغير ذلك مما جرت به عادة المتفاصحين)** المتكلفين للفصاحة **(المدعين للخطابة، ثم آفة الفحش والسب وبذاءة اللسان، ثم آفة اللعن إما لحيوان أو لجماد أو إنسان، ثم آفة الغناء والشعر، وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده، ثم)** آفة **(المزاح، ثم آفة السخرية والاستهزاء، ثم آفة إفشاء السر، ثم آفة الوعد**

والاستهزاء، ثم آفة إفشاء السر، ثم آفة الوعد الكاذب، ثم آفة الكذب في القول واليمين، ثم بيان التعاريض في الكذب، ثم آفة الغيبة، ثم آفة النميمة، ثم آفة ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين فيكلم كل واحد بكلام يوافقه، ثم آفة المدح، ثم آفة الغفلة عن دقائق الخطأ في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بأصول الدين، ثم آفة سؤال العوام عن صفات الله عز وجل وعن كلامه وعن الحروف أهي قديمة أو محدثة؟ وهي آخر الآفات. وما يتعلق بذلك وجملتها عشرون آفة. ونسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه.

بيان خطر اللسان وفضيلة الصمت:

اعلم أن خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره إلا بالصمت، فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه، فقال ﷺ: «من صمت نجا» وقال عليه السلام: «الصمت حكم

الكاذب، ثم آفة الكذب في القول واليمين، ثم آفة الغيبة، ثم آفة النميمة، ثم آفة ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين) يأتي هؤلاء بلسان وهؤلاء بلسان على وجه الإفساد، **(فيكلم كل واحد بكلام يوافقه)** ويسكن إليه، **(ثم آفة المدح، ثم آفة الغفلة عن دقائق الخطأ في فحوى الكلام، لا سيما فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته، ويرتبط بأصول الدين، ثم آفة سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وأنها قديمة أو محدثة وهي آخر الآفات، وما يتعلق بذلك وجملتها عشرون آفة. ونسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه)** آمين.

بيان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت:

الصمت هو السكون والضم لغة فيه كالصمات بالضم أيضاً وقد صمت صمتاً. قال الطيبي: الصمت أبلغ من السكوت لأنه يستعمل فيما لا قوّة له للمنطق وفيما له قوة النطق.

(اعلم) وفقك الله تعالى **(أن خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره إلا بالصمت، فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه، فقال ﷺ «من صمت نجا»)** أي من سكت عن النطق بالشر نجا من العقاب والعتاب يوم القيامة. قال العراقي: رواه الترمذي من حديث عبد الله بن عمر وبسند فيه ضعف. وقال: غريب وهو عند الطبراني بسند جيد اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن المبارك وأحمد والدارمي وابن أبي الدنيا في الصمت، والعسكري في الأمثال، والبيهقي وآخرون. ومداره على ابن لهيعة رواه عن يزيد بن عمر وعن أبي عبد الرحمن الجيلي عن عبد الله بن عمرو بن العاصي. وقال النووي في الاذكار بعد ما عزاه للترمذي إسناده ضعيف، وإنما ذكرته لكونه مشهوراً. وقال الترمذي: رواه الطبراني ثقات.

(وقال ﷺ «الصمت حكم) بضم فسكون **(وقليل فاعله» أي)** هو **(حكمة وحزم)**

وقليل فاعله » أي حكمة وحزم. وروى عبد الله بن سفيان عن أبيه قال: قلت يا رسول الله أخبرني عن الإسلام بأمر لا أسأل عنه أحداً بعدك قال قل. آمنت بالله ثم استقم » قال: « قلت فما أتقي ؟ فأومأ بيده إلى لسانه » ، وقال عقبة بن عامر : قلت يا رسول الله ما النجاة؟ قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك » وقال سهل بن

وفي رواية حكمة ، والحكم أعم من الحكمة فكل حكمة حكم ولا عكس ، فإن الحكيم له أن يقضي على كل شيء بشيء فيقول: هو كذا وليس بكذا . ومنه حديث « إن من الشعر لحكماً » أي قضية صادقة كذا قرره الراغب ، والمعنى أن الصمت شيء نافع من الجهل وقلّ من يستعمله ويمنع نفسه من التسارع إلى النطق بما يشينه لغلبة النفس الامارة وعدم التهذيب لها كالرياضة. قال العراقي : رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف بلفظ « حكمة ». ورواه البيهقي في الشعب من حديث أنس بلفظ « حكم » بدل « حكمة » وقال غلط فيه عثمان بن سعيد ، والصحيح رواية ثابت قال: والصحيح عن أنس أن لقمان قاله. ورواه كذلك هو وابن حبان في كتاب روضة العقلاء بسند صحيح إلى أنس اهـ.

قلت : أما قصة لقمان وفيها هذا الخبر سيأتي قريباً في آخر الآفة الأولى ، ونتكلم عليها هناك. وقد رواه أيضاً العسكري في الامثال من حديث أبي الدرداء بزيادة من كثر كلامه فيما لا يعنيه كثرت خطاياه.

(**وروي عن عبد الله بن سفيان**) الثقفي الطائفي وثقه النسائي وروى له (**عن أبيه**) سفيان ابن عبدالله بن ربيعة بن الحرث الثقفي الطائفي صحابي وكان عامل عمر على الطائف. روى له مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه . (**قال: قلت يا رسول الله أخبرني عن الإسلام بأمر لا أسأل عنه أحداً بعدك . قال: قل آمنت بالله ثم استقم . قال: قلت فما اتقي ؟فأومأ بيده إلى لسانه**) قال العراقي : رواه الترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه وهو عند مسلم دون آخر الحديث الذي فيه ذكر اللسان اهـ.

قلت : وكذلك رواه أحمد . وقال النووي : لم يرو مسلم لسفيان غير هذا الحديث اهـ.

وهو أوّل حديث أخرجه الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب الصمت فقال: حدثني أبي وعبد الله بن عمر الجشمي قالا : حدثنا هشيم عن يعلى بن عطاء عن عبد الله بن سفيان عن أبيه قال: قلت يا رسول الله أخبرني فساقه بتمامه كما في المصنف.

(**وقال عقبة بن عامر**) الجهني رضي الله عنه اختلف في كنيته على سبعة أقوال. أشهرها : إنه أبو حماد ولي امرة مصر لمعاوية ثلاث سنين وبها توفي وكان فقيهاً فاضلاً روى له الجماعة. (**قلت: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: « أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك »**) قال العراقي : رواه الترمذي وقال: حسن اهـ.

سعد الساعدي. قال رسول الله ﷺ: «من يتكفل لي بما بين لحييه ورجليه أتكفل له بالجنة» وقال ﷺ: «من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي الشر كله» القبقب: هو البطن والذبذب: الفرج، واللقلق: اللسان. فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك أكثر

قلت: أخرجه أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب الصمت وهو ثاني حديث فيه قال: حدثنا داود ابن عمر والضبي، عن عبد الله بن المبارك، عن يحيى بن أيوب، عن عبيد الله بن زحر، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي امامة قال: قال عقبة بن عامر قلت: يا رسول الله ما النجاة؟ فساقه سواء كما هنا، وقد تقدم للمصنف من هذا الحديث في كتاب العزلة ووقع في النسخ هناك عن عبد الله ابن عامر، وذكرنا أن ذلك غلط من النساخ، والصواب عن عقبة بن عامر كما هنا.

(**وقال سهل بن سعد**) بن مالك بن خالد الخزرجي (**الساعدي**) أبو العباس، وقيل أبو يحيى آخر وعمّر دهراً رضي الله عنه (**قال ﷺ «من يتكفل لي ما بين لحييه**) وفي رواية ما بين فقميه (**ورجليه أتكفل له بالجنة**) وفي بعض النسخ: من يتوكل وأتوكل في الموضعين. قال العراقي: رواه البخاري.

قلت: لفظ البخاري من يضمن لي أضمن في الموضعين بدل يتوكل وأتوكل، وكذلك رواه البيهقي. وأما سياق المصنف؛ فقد رواه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح غريب وابن حبان والحاكم.

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت: حدثنا عبد الله أبو خيثمة، حدثنا عاصم بن عمر بن علي، حدثني أبي عن أبي حازم المدني عن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ: «من يتوكل لي بما بين لحييه ورجليه أتوكل له بالجنة». ورواه العسكري في الأمثال من حديث جابر «من ضمن لي ما بين لحييه ورجليه ضمنت له على الله الجنة».

(**وقال ﷺ «من وقى شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي الشر كله»**) قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف بلفظ «فقد وجبت له الجنة» اهـ.

قلت: سياق المصنف بعينه أخرجه البيهقي من حديث أنس إلا أنه قدم اللقلق على القبقب ثم ذكر الذبذب. (**القبقب: هو البطن**) من القبقبة وهو صوت يسمع من البطن فكأنها حكاية ذلك الصوت، ويجوز أن يكون كناية عن أكل الحرام وشبهه، (**والذبذب: الفرج، واللقلق: اللسان**) ولفظ البيهقي: أما لقلقه فاللسان. وقبقبه فالفم وذبذبه فالفرج، وقال: كذا وجدته موصولاً بالحديث. وفي إسناده ضعف وفي سادس المجالسة للدينوري من حديث أبي الأشهب عن أبي رجاء العطاردي قال: كان يقال إذ وقي الرجل شر لقلقه وقبقبه وذبذبه فقد وقي، وله شاهد جيد من حديث أبي هريرة رواه الترمذي وحسنه وابن حبان والحاكم «من وقاه الله شر ما بين لحييه وشر ما بين رجليه دخل الجنة» وقد رواه ابن أبي الدنيا في الصمت أيضاً وسنده حسن.

الخلق، ولذلك اشتغلنا بذكر آفات اللسان لما فرغنا من ذكر آفة الشهوتين البطن والفرج، وقد سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: «تقوى الله وحسن الخلق» وسئل عن أكبر ما يدخل النار فقال: «الأجوفان: الفم والفرج». فيحتمل أن يكون المراد بالفم آفات اللسان لأنه محله، ويحتمل أن يكون المراد به البطن لأنه منفذه. فقد قال معاذ بن جبل: قلت يا رسول الله أنؤاخذ بما نقول؟ فقال: «ثكلتك أمك يا ابن جبل وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم». وقال عبد الله الثقفي: قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به فقال: «قل ربي الله ثم استقم» قلت: يا رسول الله ما أخوف ما تخاف عليَّ فأخذ بلسانه وقال: «هذا». وروي أن

(فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك أكثر الخلق، ولذلك اشتغلنا بذكر آفات اللسان) الآن **(لما فرغنا من ذكر آفة الشهوتين)** شهوة **(البطن و)** شهوة **(الفرج، وقد سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل)** الناس **(الجنة فقال: «تقوى الله وحسن الخلق» وسئل عن أكثر ما يدخل)** الناس **(النار فقال «الاجوفان الفم والفرج»)** قال العراقي: رواه الترمذي وصححه وابن ماجه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: وأخرجه كذلك ابن أبي الدنيا في الصمت فقال: حدثنا أبو مسلم عبد الرحمن بن يونس، أخبرنا عبد الله بن ادريس، أخبرني أبي وعمي عن جدي عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ فساقه كما للمصنف.

(ويحتمل أن يكون المراد بالفم آفة اللسان لأنه محله، ويحتمل أن يكون المراد به البطن لأنه منفذه فقد قال معاذ بن جبل) رضي الله عنه: **(قلت يا رسول الله أنؤاخذ بما نقول فقال: «ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»)** قال العراقي: رواه الترمذي وصححه وابن ماجه والحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين اهـ.

قلت: وأخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال: حدثنا عبد الله أبو خيثمة وإسحاق بن إسماعيل قالا: حدثنا جرير عن الأعمش عن الحكم بن عتيبة وحبيب بن أبي ثابت عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ بن جبل قال: قلت يا رسول الله أنؤاخذ بما نقول؟ قال: «ثكلتك أمك يا ابن جبل» فساقه. قال وقال حبيب في هذا الحديث وهل تقول شيئاً إلا وهو لك أو عليك.

(وقال عبد الله الثقفي) هو عبد الله بن سفيان بن عبد الله بن الحرث بن ربيعة الثقفي الطائفي الذي تقدم ذكره قريباً **(قلت: يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به فقال: قل ربي الله ثم استقم، فقال: قلت يا رسول الله ما أخوف ما تخاف علي؟ فأخذ بلسانه وقال: «هذا»)** قال العراقي: رواه النسائي قال ابن عساكر: وهو خطأ والصواب سفيان بن عبد الله الثقفي كما رواه الترمذي وصححه وابن ماجه وقد تقدم قبل هذا بخمسة أحاديث اهـ.

معاذاً قال: يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ فأخرج رسول الله ﷺ لسانه ثم وضع عليه أصبعه. وقال أنس بن مالك. قال ﷺ: «لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه» وقال ﷺ: «من سرَّه أن يسلم فليلزم الصمت» وعن سعيد بن جبير مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكر اللسان أي تقول اتق الله فينا

وقد أخرجه ابن الدنيا في كتاب الصمت على الصواب فقال: حدثنا حمزة بن العباس، أخبرنا عبدان بن عثمان، أنبأنا عبد الله، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن ماعز عن سفيان ابن عبدالله الثقفي قال: قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به فساقه وفيه ثم قال: «هذا».

(وقال أنس بن مالك) رضي الله عنه (قال) رسول الله (ﷺ: «لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه») قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت، والخرائطي في مكارم الأخلاق بسند فيه ضعف اهـ.

قلت: ورواه كذلك أحمد والبيهقي وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا عمرو بن محمد الناقد، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا علي بن مسعدة الباهلي، حدثنا قتادة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ فساقه. وعلي بن مسعدة قال ابن حبان لا يحتج به.

(وقال ﷺ: «من سره أن يسلم) في الدنيا من أذى الخلق وفي الآخرة من عقاب الخالق (فليلزم الصمت) عما لا يعنيه ليسلم من الزلل ويقل حسابه. قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت، وأبو الشيخ في فضائل الأعمال، والبيهقي في الشعب من حديث أنس بإسناد فيه ضعف اهـ.

قلت: قال ابن أبي الدنيا في الصمت، حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك، عن عمر بن حفص، عن عثمان بن عبد الرحمن، عن الزهري، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ فساقه ومحمد بن إسماعيل بن أبي فديك قال ابن سعد: ليس بحجة. وقال البيهقي: فيه عثمان ابن عبد الرحمن الوقاصي وهو متروك وقال الذهبي في الضعفاء تركوه. وفي الميزان عن الأزدي عمر ابن حفص الوقاصي منكر الحديث، وقال أبو حاتم: مجهول وله حديث باطل وساق هذا الخبر.

(وعن سعيد بن جبير) التابعي رحمه الله تعالى (مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ إنه قال: «إذا أصبح ابن آدم) أي دخل في الصباح (أصبحت الأعضاء) جمع عضو بالضم وبالكسر لغة كل عضو وافر بلحمه (كلها) تأكيد (تكفر اللسان») قال الزمخشري هو من تكفير الذمي وهو أن يطأ من رأسه ويحني ظهره كالراكع عند تعظيم صاحبه (تقول) وفي رواية فتقول أي بلسان الحال («اتق الله فينا) أي خفه في حفظ حقوقنا (فإنك إن استقمت) أي اعتدلت

فإنك إن أستقمت استقمنا وإن أعوججت أعوججنا ». وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو يمد لسانه بيده فقال له: ما تصنع يا خليفة رسول الله؟ قال: هذا أوردني الموارد إن رسول الله ﷺ قال: « ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله اللسان على حدته ». وعن ابن مسعود أنه كان على الصفا يلبي

(استقمنا) أي اعتدلنا (وإن اعوججت) أي ملت عن الاعتدال (اعوججنا) أي ملنا عنه. قال الطيبي: وهذا لا تناقض بينه وبين خبر « إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله » الحديث لأن اللسان ترجمان القلب وخليفته في ظاهر البدن فإذا أسند إليه لأمر فهو مجاز في الحكم. قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رفعه، ووقع في الإحياء عن سعيد بن جبير مرفوعاً، وإنما هو عن سعيد بن جبير عن أبي سعيد رفعه ورواه الترمذي موقوفاً عن حماد بن زيد وقال هو أصح اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن خزيمة في صحيحه، والبيهقي كلهم من حديث أبي سعيد ولفظهم بعد قوله: « اتق الله فينا » فإنما نحن بك، وقوله: « تكفر اللسان » كذا وقع في أكثر نسخة الجامعين الكبير والصغير ودرر البحار، والذي في نسخ الترمذي والنهاية: « تكفر للّسان » ومنهم من وقفه على أبي سعيد لا على حماد كما في الجامع الكبير للسيوطي، وقال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثني عمران بن موسى القزاز، حدثنا حماد بن زيد، عن أبي الصهباء، عن سعيد بن جبير، عن أبي سعيد قال: أراه رفعه قال: « إذا أصبح ابن آدم » فساقه.

(**وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى أبا بكر الصديق رضي الله عنه وهو يمد لسانه بيده فقال له: ما تصنع يا خليفة رسول الله؟ قال: « هذا أوردني الموارد »**) أي موارد الهلاك (**أن رسول الله ﷺ قال: « ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله تعالى اللسان على حدته »**) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت، وأبو يعلى في مسنده، والدارقطني في العلل، والبيهقي في الشعب من رواية أسلم مولى عمر. وقال الدارقطني: إن المرفوع وهم على الدراوردي، قال: وروي هذا الحديث عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر ولا علة له اهـ.

قلت: قال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثني عبد الرحمن بن زياد بن الحكم الطائي، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، عن عبد العزيز بن محمد، عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب اطلع على أبي بكر وهو يمد لسانه فقال: ما تصنع يا خليفة رسول الله؟ قال: « إن هذا أوردني الموارد » إن رسول الله ﷺ قال: « ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله اللسان على حدته » ووقع في رواية أبي يعلى والبيهقي: « إلا وهو يشكو ذرب اللسان » وكذلك رواه النسائي وابن السني والضياء.

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني

ويقول: يا لسان قل خيراً تغنم واسكت عن شر تسلم من قبل أن تندم، **فقيل له: يا أبا عبد الرحمن أهذا شيء، تقوله، أو شيء سمعته؟ فقال: لا بل سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه». وقال ابن عمر: قال رسول الله ﷺ: «من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر إلى الله قبل الله**

مصعب الزبيري، حدثني مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر دخل على أبي بكر وهو يجبذ لسانه فقال عمر: مه غفر الله لك، فقال أبو بكر: إن هذا أوردني الموارد.

ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت عن أبي خيثمة حدثنا وكيع عن سفيان الثوري، عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: أخذ أبو بكر الصديق بلسانه في مرضه وقال: هذا أوردني الموارد، وحديث قيس بن أبي حازم عن أبي بكر الذي أشار إليه الدارقطني أنه لا علة له قد أخرجه أيضاً ابن أبي الدنيا في الصمت فقال: حدثنا الفضيل بن عبد الوهاب، وعلي بن الجعد، وأحمد بن عمران الأخنسي قالوا: حدثنا النضر بن إسماعيل عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس قال: رأيت أبا بكر رحمه الله آخذاً بطرف لسانه وهو يقول: هذا أوردني الموارد.

قلت: النضر بن إسماعيل البجلي أبو المغيرة قال النسائي: ليس بالقوي.

(**وعن عبد الله بن مسعود**) رضي الله عنه (**أنه كان على الصفا**) وهو الجبل المشهور بمكة (**يلبي ويقول: يا لسان قل خيراً تغنم واسكت عن شر تسلم من قبل أن تندم، فقيل له: يا أبا عبد الرحمن أهذا شيء تقوله**) أنت من نفسك، (**أو شيء سمعته؟ فقال: لا بل سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه»**) قال العراقي: رواه الطبراني وابن أبي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب بسند حسن اهـ.

قلت: قال المنذري رواة الطبراني رواة الصحيح وإسناد البيهقي حسن. وقال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثني أبو عمر التميمي، حدثني أبي عن أبي بكر النهشلي، عن الأعمش، عن شقيق، عن ابن مسعود أنه كان على الصفا يلبي ويقول: يا لساني قل خيراً تغنم أو انصت تسلم من قبل أن تندم. قالوا: يا أبا عبد الرحمن هذا شيء تقوله أو سمعته؟ قال: بل سمعت رسول الله ﷺ يقول فساقه. وأبو بكر النهشلي من رجال مسلم تكلم فيه ابن حبان.

(**وقال ابن عمر**) رضي الله عنهما، (**قال رسول ﷺ: «من كف لسانه**) أي عن التكلم في أعراض المسلمين (**ستر الله عورته**) أي لم يفضحه في الدنيا، (**ومن ملك غضبه**) مع القدرة على الانتصاف (**وقاه الله عذابه**) في الآخرة (**ومن اعتذر إلى الله قبل عذره»**) قال العراقي: رواه ابن الدنيا في الصمت بإسناد حسن اهـ.

قلت: وهذا لفظه حدثنا زهير بن حرب، حدثنا شبابة بن سوار عن المغيرة بن مسلم عن هشام ابن إبراهيم عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ فساقه. وهكذا هو لفظه في كتاب الصمت، وأخرجه في كتاب ذم الغضب من حديث أنس بلفظ: «من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن

عذره. وروي أن معاذ بن جبل قال: يا رسول الله أوصني. قال: «أعبد الله كأنك تراه وعد نفسك في الموتى وإن شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله» وأشار بيده إلى لسانه، وعن صفوان بن سليم قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بايسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخُلُق».

اعتذر إلى ربه قبل الله منه عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته» وقد رواه كذلك أبو يعلى وابن شاهين والخرائطي في مساوىء الأخلاق والضياء في المختارة.

(وروي أن معاذ بن جبل) رضي الله عنه (قال: يا رسول الله أوصني. قال: «اعبد الله كأنك تراه وعد نفسك في الموتى وإن شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله» وأشار بيده إلى لسانه) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت، والطبراني في الكبير ورجاله ثقات وفيه انقطاع اهـ.

قلت: وهذا لفظ كتاب الصمت: حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا محمد ابن عمرو عن أبي سلمة أن معاذ بن جبل قال: يا رسول الله أوصني. قال: «اعبد الله كأنك تراه واعدد نفسك في الموتى وإن شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله» قال: ما هو؟ قال: «هذا» وأشار بيده إلى لسانه.

وأما لفظ الطبراني في الكبير: «اعبد الله ولا تشرك به شيئاً واعمل لله كأنك تراه واعدد نفسك في الموتى واذكر الله عند كل حجر وشجر وإذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة السر بالسر والعلانية بالعلانية» وقد رواه كذلك البيهقي في الشعب، وقد أخرج الطبراني في الكبير أيضاً من حديث أبي الدرداء بلفظ: «اعبد الله كأنك تراه وعد نفسك في الموتى وإياك ودعوات المظلوم». الحديث، وأبو نعيم في الحلية من حديث زيد بن أرقم: «أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك واحسب نفسك مع الموتى واتق دعوة المظلوم فإنها مستجابة».

(وعن صفوان بن سليم) المدني أبي عبد الله القرشي من موالي بني زهرة تابعي فقيه. قال ابن سعد: ثقة كثير الحديث عابد، وقال أحمد بن حنبل: هو يستسقي بحديثه وينزل القطر من السماء بذكره. قال الترمذي: مات سنة أربع وعشرين ومائة. روى له الجماعة (قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن») قالوا: أخبرنا. قال: (الصمت وحسن الخلق) مع الناس» قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا هكذا في كتاب الصمت مرسلاً ورجاله ثقات، ورواه أبو الشيخ في طبقات المحدثين من حديث أبي ذر، وأبي الدرداء أيضاً مرفوعاً بسند ضعيف اهـ.

قلت: ولفظ كتاب الصمت: حدثنا هاورن بن عبد الله، حدثنا ابن أبي فديك، عن عبد الله بن أبي بكر، عن صفوان بن سليم قال: قال رسول الله ﷺ فساقه. وسيأتي حديث أبي ذر في ذكر الآفة الأولى قريباً.

وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت » وقال الحسن: ذكر لنا أن النبي ﷺ قال: « رحم الله عبداً تكلم فغنم أو سكت فسلم ». وقيل لعيسى عليه السلام: دلنا على عمل ندخل به الجنة. قال: لا تنطقوا أبداً، قالوا: لا نستطيع ذلك. فقال: فلا تنطقوا إلا بخير. وقال سليمان بن داود

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه، **(قال رسول الله ﷺ: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت »)** أخرجه البخاري ومسلم وابن أبي الدنيا في الصمت قال: حدثنا إبراهيم ابن أبي المنذر الحزامي، حدثنا سفيان بن حمزة الأسلمي، عن كثير بن زيد، عن الوليد بن رباح، عن أبي هريرة فساقه.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(ذكر لنا أن النبي ﷺ قال: رحم الله عبداً قال فغنم أو سكت فسلم)**، وهذا من جوامع الكلم لتضمنه الإرشاد إلى خير الدارين فإنه قد تم الإرشاد إلى خير الآخرة في المعاد إذ قوله غنم أي غنم ثواب الله لقوله الخير، ثم عطف عليه الإرشاد إلى خير الدنيا وهو السلامة من شر الناس وقد عدَّه العسكري من الأمثال قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت، والبيهقي في الشعب، والخرائطي في مكارم الأخلاق هكذا مرسلاً ورجاله ثقات،ورواه البيهقي في الشعب من حديث أنس بسند فيه ضعف فإنه من رواية إسماعيل بن عياش عن الحجازيين اهـ.

قلت: رواه ابن أبي الدنيا عن عبيد الله بن عمر، حدثنا حزم بن أبي حزم قال: سمعت الحسن يقول: ذكر لنا فساقه، وقد رواه أيضاً العسكري في الأمثال مرسلاً ورواه أيضاً موصولاً عن الحسن عن أنس، ورواه هناد كذلك عن الحسن مرسلاً. وقد رواه أبو الشيخ والديلمي من حديث أبي أمامة الباهلي، ورواه ابن المبارك في الزهد، والخرائطي في مكارم الأخلاق عن خالد بن أبي عمران مرسلاً ورواه ابن أبي الدنيا من طريق ابن المبارك لكن في سنده ابن لهيعة وهو ضعيف وخالد هذا قال الذهبي هو التحبيبي قاضي افريقية فقيه عابد مات سنة ١٣٩. ويروى مثل ذلك عن ابن عباس قال: يا لسان قل خيراً تغنم أو أسكت عن شر تسلم كذا في كتاب الصمت من رواية إسماعيل بن مسلم عنه.

(وقيل لعيسى عليه السلام: دلنا على عمل ندخل به الجنة. قال: لا تنطقوا أبداً قالوا: لا نستطيع ذلك. قال: فلا تنطقوا إلا بخير) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت، حدثنا إسحاق ابن إسماعيل حدثنا سفيان بن عيينة قال: قالوا لعيسى عليه السلام فساقه، وقد روي مثل ذلك عن سلمان الفارسي أنه قال له رجل: أوصني. قال: لا تتكلم. قال: وكيف يصبر رجل على أن لا يتكلم؟ قال: فإن كنت لا تصبر عن الكلام فلا تكلم إلا بخير أو اصمت. رواه ابن أبي الدنيا في الصمت من طريق عبد العزيز بن أبي رواد عنه.

عليهما السلام: إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب. وعن البراء بن عازب قال: جاء اعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: دلني على عمل يدخلني الجنة، قال: « أطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فإن لم تطق فكف لسانك إلا من خير ». وقال ﷺ: « اخزن لسانك إلا من خير فإنك بذلك تغلب الشيطان ». وقال ﷺ: « إن الله عند لسان كل قائل فليتق الله امرؤ علم ما يقول ». وقال عليه الصلاة والسلام:

(وقال سليمان عليه السلام: لو كان الكلام من فضة كان السكوت من ذهب) قال ابن المبارك: معناه لو كان الكلام بطاعة الله من فضة كان السكوت عن معصيته من ذهب أخرجه أبو بكر بن أبي الدنيا عن الهيثم بن خارجة: حدثنا إسماعيل بن هاشم عن الاوزاعي قال: قال سليمان بن داود عليهما السلام: إن كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب، وقد روي مثل هذا الكلام عن لقمان قاله لابنه يعظه.

(وعن البراء) بن عازب رضي الله عنهما **(قال: جاء اعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: دلني على عمل يدخلني الجنة. قال: « أطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فإن لم تطق فكف لسانك إلا من خير »)** أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت قال: حدثنا أحمد بن حنبل، أخبرنا عبد الله بن المبارك، أنبأنا عيسى بن عبد الرحمن، حدثني طلحة الأيامي، حدثني عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء قال: جاء اعرابي إلى النبي ﷺ فقال فساقه.

(وقال ﷺ: « اخزن لسانك إلا من خير فإنك بذلك تغلب الشيطان ») قال العراقي: رواه الطبراني في الصغير من حديث أبي سعيد وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه وله في المعجم الكبير ولابن حبان في صحيحه نحوه من حديث أبي ذر اهـ.

قلت: وأخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت من قول أبي سعيد قال: حدثنا الحسن بن حمزة، أنبأنا عبدان، أنبأنا عبد الله يعني ابن المبارك أنبأنا إسماعيل بن عياش، حدثني عقيل بن مدرك أن رجلاً قال لأبي سعيد الخدري: أوصني قال: عليك بالصمت إلا في حق فإنك به تغلب الشيطان، وهذا إسناد حسن، وعقيل بن مدرك الخولاني شامي مقبول روى له أبو داود.

(وقال ﷺ إن الله عند لسان كل قائل) أي بعلمه **(فليتق الله امرؤ)** وفي رواية عبد **(علم ما يقوله)**؛ وفي رواية ذكرها المطرزي أن الله وراء لسان كل قائل، وهذا الحديث أغفله العراقي وكأنه سقط من نسخته وهو ثابت عندنا في سائر النسخ. قال المطرزي: هذا تمثيل. والمعنى أنه تعالى ما يقوله الإنسان ويتفوه به كمن يكون عند الشيء مهيمناً لديه محافظاً عليه. أخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق محمد بن إسماعيل العسكري عن صهيب بن محمد بن عباد، عن مهدي، عن وهيب بن الورد، عن محمد بن زهير، عن ابن عمر مرفوعاً وفيه: « فليتق الله عبد ولينظر ما يقول » قال أبو نعيم: غريب لم نكتبه متصلاً مرفوعاً إلا من حديث وهيب اهـ.

« إذا رأيتم المؤمن صموتاً وقوراً فادنوا منه فإنه يلقن الحكمة ». وقال ابن مسعود ، قال رسول الله ﷺ : « الناس ثلاثة: غانم وسالم وشاحب. فالغانم الذي يذكر الله تعالى، والسالم الساكت، والشاحب الذي يخوض في الباطل » وقال عليه السلام: « إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم أمضاه بلسانه، وأن لسان المنافق أمام قلبه، فإذا همّ بشيء أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه » وقال عيسى عليه السلام:

ومحمد بن زهير قال الذهبي في الميزان، قال الأزدي: ساقط وأخرجه أيضاً الحكيم الترمذي، والبيهقي في الشعب، والخطيب في التاريخ من حديث ابن عباس.

(وقال ﷺ : « إذا رأيتم المؤمن صموتاً) أي كثير الصمت (فاقربوا منه فإنه يلقن الحكمة ») قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث ابن خلاد بلفظ: « إذا رأيتم الرجل أعطي زهداً في الدنيا وقلة منطق فاقربوا منه فإنه يلقي الحكمة » وقد تقدم اهـ.

قلت: وقد رواه كذلك أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب، ورواه أيضاً من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف، وقد تقدم الكلام عليه.

(وقال ابن مسعود) رضي الله عنه: (الناس ثلاثة) إما (غانم) للأجر، وإما (سالم) من الإثم (و) إما (شاحب) أي هالك آثم، (فالغانم الذي يذكر الله تعالى، والسالم الساكت، والشاحب الذي يخوض في الباطل) قال أبو عبد الله: ويروي: الناس ثلاثة السالم الساكت والغانم الذي يأمر بالخير وينهى عن المنكر، والشاحب الناطق بالخناء المعين على الظلم. قال العراقي: رواه الطبراني في الكبير، وأبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ: الناس ثلاثة. وضعفه ابن عدي ولم أجده من حديث ابن مسعود اهـ.

قلت: رواه الطبراني وأبو يعلى أيضاً من حديث عقبة بن عامر الجهني بلفظ المصنف بدون التفسير، وفي السند ابن لهيعة وهو ضعيف.

(وقال ﷺ : « إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم أمضاه بلسانه وإن لسان المنافق أمام قلبه فإذ هم بشيء أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه ») قال العراقي: لم أجده مرفوعاً وإنما رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من رواية الحسن البصري قال كانوا يقولون اهـ.

قلت: أخرجه ابن أبي الدنيا عن يعقوب بن إبراهيم العبدي، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن أبي الأشهب، عن الحسن قال: كانوا يقولون لسان الحكيم من وراء قلبه، فإذا أراد أن يقول رجع إلى قلبه فإن كان له قال وإن كان عليه أمسك، وإن الجاهل قلبه على طرف لسانه لا يرجع إلى قلبه ما جرى على لسانه تكلم به.

العبادة عشرة أجزاء: تسعة منها في الصمت، وجزء في الفرار من الناس. وقال نبينا ﷺ: «من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به».

(وقال عيسى عليه السلام: العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس) ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت من طريق وهيب بن الورد قال: كان يقال الحكمة عشرة أجزاء فتسعة منها في الصمت والعاشرة عزلة الناس. وأخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق الحسين بن محمد بن يزيد بن خنيس قال: قال وهيب ابن الورد، قال حكيم من الحكماء: العبادة أو قال الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وواحدة في العزلة فأردت من نفسي الصمت على شيء فلم أقدر عليه فصرت إلى العزلة فحصلت لي التسعة.

(وقال نبينا ﷺ: «من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به») لأن السقط ما لا عبرة له ولا نفع فيه فإن كان لغواً لا إثم فيه حوسب على تضييع عمره وكفران النعمة بصرف نعمة اللسان عن الذكر إلى الهذيان، وقلما سلم من الخروج إلى ما يوجب الإثم فتصير النار أولى به من الجنة، لذلك قال العراقي: رواه أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف، وقد رواه أبو حاتم بن حبان في روضة العقلاء، والبيهقي في الشعب موقوفاً على عمر بن الخطاب اهـ.

قلت: وكذلك رواه الطبراني في الأوسط، والقضاعي في مسند الشهاب، والعسكري في الأمثال كلهم من حديث ابن عمر، ولفظ العسكري: «من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثر كذبه ومن كثر كذبه كثرت ذنوبه». والباقي سواء، فبعضهم رواه من طريق ابن عجلان، وبعضهم من طريق يحيى بن أبي كثير كلاهما عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً. وقال العسكري: أحسبه وهماً وأن الصواب أنه من عمر من قوله. وقول العراقي بسند ضعيف لأن فيه إبراهيم بن الأشعث ذكره ابن حبان في الثقات، وقال فيه يغرب ويخطىء وينفرد ويخالف، ولذا قال ابن الجوزي: حديث لا يصح.

وقال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثني أحمد بن عبيد التميمي، حدثنا عبيد الله بن محمد التيمي، حدثنا دريد بن مجاشع، عن غالب القطان، عن مالك بن دينار، عن الأحنف بن قيس قال: قال عمر بن الخطاب: «من كثر كلامه كثر سقطه».

ورواه العسكري من هذا الطريق ولفظه قال لي: «يا أحنف من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن أكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قلّ ورعه مات قلبه». وكذا أورده العسكري من طريق معاوية في قصة قال فيها معاوية من كثر كلامه كثر سقطه. وفي الباب عن معاذ وفي تاريخ ابن عساكر من حديث أبي هريرة: «من كثر ضحكه استخف بحقه ومن كثرت دعابته ذهبت جلالته

(الأثار :) كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يضع حصاة في فيه يمنع بها نفسه عن الكلام، وكان يشير إلى لسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد. وقال عبد الله بن مسعود : والله الذي لا إله إلا هو ما شيء أحوج إلى طول سجن من لسان. وقال ابن

ومن كثر مزاحه ذهب وقاره ومن شرب الماء على الريق ذهب بنصف قوته ومن كثر كلامه كثر سقطه فمن كثر سقطه كثرت خطاياه ومن كثرت خطاياه كانت النار أولى به » . قال ابن عساكر : غريب الإسناد والمتن . وفي الزهد لابن المبارك ومن جهته ابن أبي الدنيا في الصمت من طريق شفي الأصبحي قال : « من كثر كلامه كثرت خطيئته » .

تنبيه :

قد بقي على المصنف، ذكر أخبار في فضيلة الصمت ولم يذكرها وهي على شرطه، فمن ذلك ما رواه أبو يعلى من حديث أنس : « عليك بحسن الخلق وطول الصمت فوالذي نفسي بيده ما تجمل الخلائق بمثلهما » وروى الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس : « الصمت سيد الأخلاق ومن مزح استخف به » ومن حديث أبي هريرة : « الصمت أرفع العبادة » وروى أبو الشيخ في الثواب من حديث محرز بن زهير : « الصمت زين للعالم وستر للجاهل » .

وروى ابن أبي الدنيا في الصمت من حديث أسود بن أصرم المحاربي قال: قلت أوصني يا رسول الله قال: « أتملك يدك ؟ قال: قلت فما أملك إذا لم أملك يدي ؟ قال: أتملك لسانك ؟ قال: فما أملك إذا لم أملك لساني قال فلا تبسط يدك إلا إلى خير ولا تقل بلسانك إلا معروفاً » ومن طريق شهر بن حوشب: حدثني ابن غنم أن معاذاً قال: يا رسول الله أي الأعمال أفضل ؟ فأخرج رسول الله ﷺ لسانه ثم وضع عليه أصبعه. ومن طريق سالم بن أبي الجعد قال: قال عيسى عليه السلام : طوبى لمن بكى من خطيئته وخزن لسانه ووسعه بيته. ومن طريق الشعبي قال: قلت لعبد الله ابن عمرو، وحدثني ما سمعت من رسول الله ﷺ ودع الكتب، فإني لا أعبأ بها شيئاً. فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما كره ربه » . ومن طريق ابن الزبير عن جابر أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل ؟ فقال: « من سلم المسلمون من لسانه ويده » ومن طريق ابن مراوح الليثي عن أبي ذر رفعه قال: « كف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك » .

(الآثار: كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يضع حصاة في فيه يمنع بها نفسه عن الكلام) وقد اشتهر ذلك عنه، وحكاه غير واحد من العلماء. **(وكان أبداً يشير إلى لسانه)** ويجبذه تارة بيده، وإذا سئل عن ذلك **(يقول: « هذا الذي أوردني الموارد »)** تقدم هذا القول من طريق زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر قال له : يا خليفة رسول الله، ومن رواية قيس بن أبي حازم عن أبي بكر وقد ذكر قريباً.

(وقال عبد الله بن مسعود) رضي الله عنه **(والله الذي لا إله إلا هو ما شيء أحوج إلى**

طاوس: لساني سبع إن أرسلته أكلني. وقال وهب بن منبه: في حكمة آل داود، حق على العاقل أن يكون عارفاً بزمانه حافظاً للسانه مقبلاً على شأنه. وقال الحسن: ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه. وقال الاوزاعي: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رحمه الله أما بعد:

طول سجن من لسان) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال: حدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدثنا جرير وأبو معاوية عن الأعمش، عن يزيد بن حيان، عن عنبس بن عقبة التيمي قال: قال عبد الله بن مسعود: والذي لا إله غيره ما على الأرض شيء أو فقر، وقال أبو معاوية: أحوج إلى طول سجن من لسان.

وحدثنا أحمد بن منيع، حدثنا أبو نصر التمار، حدثنا حماد عن عاصم، عن أبي وائل، عن ابن مسعود قال: «ما شيء أحق بطول السجن من اللسان».

وأخرجه أبو نعيم في الحلية عن الطبراني عن علي بن عبد العزيز، حدثنا أبو نعيم، عن الأعمش، عن يزيد بن حيان فساقه بلفظ: «والله الذي لا إله إلا هو ما على وجه الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان».

(وقال ابن طاوس) هو عبد الله: **(لساني سبع إن أرسلته أكلني)**. أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال: حدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدثنا سفيان قال: بعض الماضين: إنما لساني سبع إن أرسلته خفت أن يأكلني.

وحدثني علي بن أبي مريم، عن زيد بن الحباب، حدثنا محمد بن حوشب، سمعت أبا عمران الجوني يقول: إن لسان أحدكم كلب فإذا سلطه على نفسه أكله.

(قال وهب بن منبه) اليماني رحمه الله تعالى **(في حكمة آل داود)** عليه السلام: **(حق على العاقل أن يكون عارفاً بزمانه حافظاً للسانه مقبلاً على شأنه)**. أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال: حدثنا أبو خيثمة، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان عن أبي الأغر، عن وهب بن منبه قال في حكمة آل داود حق على العاقل فساقه.

وأخرج ابن حبان في صحيحه وأبو نعيم في الحلية من حديث أبي ذر رفعه: «كان في صحف إبراهيم عليه السلام وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه مقبلاً على شأنه حافظ للسانه».

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه)** أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال: حدثني شريح بن يونس، حدثنا علي بن ثابت، عن أبي الأشهب عن الحسن فساقه.

(وقال) أبو عمرو **(الأوزاعي)** الفقيه رحمه الله تعالى **(كتب إلينا عمر بن عبد العزيز)** رحمه الله تعالى برسالة لم يحفظها غيري وغير مكحول **(أما بعد: فإن من أكثر ذكر**

فإن من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير، ومن عدّ كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه. وقال بعضهم: الصمت يجمع للرجل فضلتين: السلامة في دينه، والفهم عن صاحبه. وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار: يا أبا يحيى حفظ اللسان أشدّ على الناس من حفظ الدينار والدرهم. وقال يونس بن عبيد: ما من الناس أحد يكون منه لسانه على بال إلا رأيت صلاح ذلك في سائر عمله. وقال الحسن: تكلم قوم عند معاوية رحمه الله والأحنف بن قيس ساكت فقال له: مالك يا أبا بحر لا تتكلم؟ فقال له: اخشى الله إن كذبت وأخشاك إن صدقت. قال أبو بكر بن عياش: اجتمع اربعة ملوك؟ ملك الهند

الموت رضي من الدنيا باليسير، ومن عد كلامه من عمله قلَّ كلامه إلا فيما يعنيه) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال: حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا خلف بن تميم، عن عبد الله بن محمد الأنصاري: عن الأوزاعي قال: كتب فساقه إلا أنه قال قل كلامه فيما لا ينفعه.

(وقال بعضهم: الصمت يجمع للرجل خصلتين: السلامة والفهم عن صاحبه) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال: حدثني محمد بن الحسين قال: سمعت محمد بن عبد الوهاب السكوني يقول: الصمت يجمع للرجل فساقه.

(وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار) البصريان العابدان: **(يا أبا يحيى)** وهي كنية مالك ابن دينار **(حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم)** أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال: حدثني علي بن أبي مريم، عن أحمد بن إسحاق الحضرمي، حدثنا جعفر الخراز قال: سمعت محمد بن واسع يقول لمالك بن دينار: يا أبا يحيى حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدنانير والدراهم.

(وقال يونس بن عبيد) بن دينار العبدي أبو عبيد البصري ثقة ثبت فاضل ورع مات سنة تسع وثلاثين روى له الجماعة: **(ما من الناس أحد يكون منه لسانه على بال إلا رأيت صلاح ذلك في سائر عمله)** أخرجه ابن الدنيا في الصمت فقال: حدثني الحسن بن الصباح، حدثنا حجاج بن محمد، عن سليمان بن المغيرة قال: سمعت يونس بن عبيد يقول فساقه.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(تكلم قوم عند معاوية)** بن أبي سفيان **(والأحنف بن قيس التميمي ساكت فقال له)** معاوية: **(مالك يا أبا بحر)** وهي كنية الأحنف، **(لا تتكلم؟ فقال له: اخشى الله إن كذبت وأخشاك إن صدقت)** أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال: حدثني داود بن عمرو الضبي، حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا ابن عون، عن الحسن قال: كانوا يتكلمون عند معاوية والأحنف ساكت فقالوا: مالك لا تكلم يا أبا بحر؟ قال: أخشى الله إن كذبت وأخشاكم إن صدقت. وحدثني محمد بن الحسين عن عبيد الله بن محمد التيمي قال: قيل للأحنف بن قيس: يوم قطري تكلم. قال: أخاف ورطة لساني.

وملك الصين وكسرى وقيصر ، فقال احدهم : أنا أندم على ما قلت ، ولا أندم على ما لم أقل ، وقال الآخر : إني إذا تكلمت بكلمة ملكتني ولم أملكها وإذا لم أتكلم بها ملكتها ولم تملكني ، وقال الثالث : عجبت للمتكلم إن رجعت عليه الكلمة ضرته وإن لم ترجع لم تنفعه . وقال الرابع : أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت . وقيل : أقام المنصور ابن المعتز لم يتكلم بكلمة بعد العشاء الآخرة أربعين سنة ، وقيل : ما تكلم الربيع بن خيثم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان إذا أصبح وضع دواة وقرطاساً وقلماً فكل ما تكلم به كتبه ثم يحاسب نفسه عند المساء .

(**وقال أبو بكر بن عياش**) بياء تحتية مشدددة وشين معجمة ابن سالم الأسدي الكوفي المقري الحناط بالنون مشهور بكنيته ، واختلف في اسمه على أقوال عشرة . كذا في التهذيب للحافظ . وفي الأربعين العشارية للعراقي على ثلاثة عشر قولاً . والصحيح أن اسمه كنيته ، وصححه ابن حبان ، وابن عبد البر ، وابن الصلاح ، والمزي ، والذهبي . وقد احتج به البخاري في صحيحه ، وثقه أحمد وابن معين مات سنة أربع وتسعين قال : (**اجتمع أربعة ملوك**) فرموا رمية واحدة بكلمة واحدة (**ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر فقال أحدهم : إنما أندم على ما قلت ولم أندم على ما لم أقل ، وقال آخر : إذا تكلمت بكلمة ملكتني ولم أملكها وإذا لم اتكلم بها ملكتها ولم تملكني . وقال الثالث : عجبت للمتكلم إن رجعت عليه الكلمة ضرته وإن لم ترجع لم تنفعه . وقال الرابع : أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت**) . أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال : حدثني همام بن الوليد أبو طالب الهروي قال : سألته فقال : سمعت أبا بكر بن عياش قال : اجتمع أربعة ملوك فساقه .

(**وقيل : أقام المنصور بن المعتمر**) بن عبد الله السلمي أبو عتاب الكوفي الثقة العابد مات سنة اثنين وثلاثين ومائة . روى له الجماعة (**لم يتكلم بكلمة بعد عشاء الآخرة أربعين سنة**) وصام أربعين سنة صام نهارها وقام ليلها ، وكان يبكي الليل كله فتقول له أمه : يا بني قتلت قتيلاً ؟ فيقول : أنا أعلم بما صنعت بنفسي ، فإذا أصبح كحل عينيه ودهن رأسه وبرق شفتيه وخرج إلى الناس ذكره المزي في التهذيب .

(**وقيل : ما تكلم الربيع بن خيثم**) بن عائذ الثوري أبو زيد الكوفي الثقة العابد (**بكلام الدنيا أربعين سنة ، وكان إذا أصبح وضع دواة وقرطاساً فكلما تكلم كتبه ثم يحاسب نفسه عند المساء**) وكان من المخبتين الخاشعين مات في ولاية عبد الله بن زياد وروى له الجماعة إلا أبا داود .

تنبيه :

وقد بقي على المصنف ذكر آثار هي على شرطه في الكتاب روى ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت من طريق ابن عون ، حدثني عطاء البزار ، عن أنس بن مالك قال : لا يتقي الله رجل أو

فإن قلت: فهذا الفضل الكبير للصمت ما سببه؟ فاعلم أن سببه كثرة آفات اللسان من الخطا والكذب والغيبة والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخوض

أحد حق تقاته حتى يخزن من لسانه. ومن طريق حميد بن هلال قال. قال عبد الله بن عمر: دع ما لست منه في شيء ولا تنطق فيما لا يعنيك واخزن لسانك كما تخزن ورقك ومن طريق نسير بن ذعلوق عن بكر بن ماعز عن الربيع بن خيثم قال: قال بكر بن ماعز اخزن عليك لسانك إلا مالك ولا عليك. ومن طريق جرير عن أبن حيان التيمي قال: كان يقول ينبغي للرجل أن يكون أحفظ للسانه منه لموضع قدمه ومن طريق حماد بن زيد قال: بلغني أن محمد بن واسع كان في مجلس فتكلم رجل فأكثر الكلام فقال محمد: ما على أحدهم لو سكت فتوقى وتنقى. ومن طريق جعفر بن سليمان قال: سمعت مالك بن دينار يقول: لو كلف الناس الصحف لأقول الكلام. ومن طريق سفيان بن عيينة قال: قال وهيب بن الورد: إن الرجل يصمت فيجتمع إليه لبه، ومن طريق أبي الأحوص عن محمد بن النضر الحارثي قال: كان يقال كثرة الكلام تذهب الوقار. ومن طريق خلف بن إسماعيل قال: قال لي رجل من عقلاء الهند: كثرة الكلام تذهب بمروءة الرجل. ومن طريق قبيصة قال: قال داود الطائي لمحمد بن عبد العزيز ذات يوم: أما علمت ان حفظ اللسان أشد الأعمال وأفضلها. قال محمد: بلى. فكيف لنا بذلك. ومن طريق عمران بن يزيد قال: قال علي رضي الله عنه: اللسان قوام البدن، فإذا استقام اللسان استقامت الجوارح، وإذا اضطرب اللسان لم تقم له جارحة. ومن طريق عباد بن الوليد القرشي قال: قال الحسن: اللسان أمير البدن، وإذا جنى على الأعضاء جنت، وإذا عف عفت ومن طريق خيثمة عن عدي بن حاتم قال: أيمن أحدكم واساءته بين لحييه يعني لسانه. ومن طريق الشعبي قال: قلت للهيثم بن أبي الأسود النخعي أي الثلاثة أشعر منك ومن الأعور الشني وعبد الرحمن بن حسان بن ثابت حيث تقول أنت:

واعلم علماً ليس بالظن أنه	إذا زال مال المرء فهو ذليل
وإن لسان المرء ما لم تكن له	حصاة على عوراته لدليل

أم الأعور الشني حيث يقول:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده	فهل بعد إلا صورة اللحم والدم
وكائن ترى من ساكت لك معجب	زيادته أو نقصه في التكلم

أم عبد الرجمن بن حسان حيث يقول:

ترى المرء مخلوقاً وللعين حظها	وليس بإخفاء الأمور بخابرِ
وذاك كماء البحر لست مسيغه	ويعجب منه ساجياً كل ناظرِ؟

فقال الهيثم: هيهات الأعور أشعرنا.

(فإن قلت: فهذا الفضل الكثير للصمت ما سببه؟ فاعلم أن سببه كثرة آفات اللسان من الخطأ والكذب والغيبة والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس

في الباطل والخصومة والفضول والتحريف والزيادة والنقصان وإيذاء الخلق وهتك العورات. فهذه آفات كثيرة وهي سباقة إلى اللسان لا تثقل عليه ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان، والخائض فيها قلما يقدر أن يمسك اللسان فيطلقه بما يحب ويمسكه ويكفه عما لا يحب فإن ذلك من غوامض العلم. كما سيأتي تفصيله ففي الخوض خطر وفي الصمت سلامة فلذلك عظمت فضيلته، هذا مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الآخرة. فقد قال الله تعالى: ﴿ما يلفظُ من قَوْلٍ إلاَّ لديه رقيب عتيد﴾ [ق: ١٨].

ويدلك على فضل لزوم الصمت أمر، وهو أن الكلام أربعة أقسام: قسم هو ضرر محض، وقسم هو نفع محض، وقسم فيه ضرر ومنفعة، وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة.

أما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه، وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر.

والخوض في الباطل والخصومة والفضول والتحريف والزيادة والنقصان وإيذاء الخلق وهتك العورات) وغيرها وهي نحو سبع عشرة آفة.

(**فهذه آفات كثيرة وهي سياقة إلى اللسان لا ينفك عنها**) أي عن مجموعها بالقوة في بعضها والضعف في بعضها (**ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان**) بإغراره وتسويله فيقوي ما في الطبع حتى يصير متمكناً منه، (**والخائض فيها قلما يقدر أن يمسك اللسان**) ويزمه (**فيطلقه بما يحب ويكفه عما لا يحب**) فإن ذلك من غوامض العلم كما سيأتي تفصيله، (**ففي الخوض خطر**) وهلاك. (**وفي الصمت سلامة**) من الهلاك، (**فلذلك عظمت فضيلته**) وفضل جانبه، (**هذا مع ما فيه من جمع الهمم**) من التشتت (**ودوام الوقار**) والهيبة بين الناس (**والفراغ للفكر، والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الآخرة، فقد قال تعالى: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾**) أي ما يتكلم بكلمة إلا وعنده مراقب حاضر مهيأ يكتب عليه ما يقوله. وأخرج ابن أبي الدنيا في الصمت من طريق مجاهد: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ قال: الملكان. وقال إن الكلام ليكتب حتى أن الرجل ليسكت ابنه ابتاع لك كذا وكذا وأفعل لك كذا وكذا فتكتب كذبته، (**ويدلك على لزوم الصمت أمر وهو أن الكلام أربعة أقسام: قسم هو ضرر محض، وقسم هو نفع محض، وقسم فيه ضرر ومنفعة، وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة.**

أما الذي هو ضرر محض فلا بدّ من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعةلأن منفعته لا تفي بالضرر).

وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فصول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران، فلا يبقى إلا القسم الرابع، فقد سقط ثلاثة أرباع الكلام وبقي ربع، وهذا الربع فيه خطر إذ يمتزج بما فيه إثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجاً يخفي دركه فيكون الإنسان به مخاطراً. ومن عرف دقائق آفات اللسان على ما سنذكره علم قطعاً أن ما ذكره ﷺ هو فصل الخطاب حيث قال: «من صمت نجا» فلقد أوتي والله جواهر الحكم قطعاً وجوامع الكلم. ولا يعرف ما تحت آحاد كلماته من بحار المعاني إلاّ خواص العلماء وفيما سنذكره من الآفات وعسر الاحتراز عنها ما

(**وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان**) والعمر جوهر نفيس (**وهو عين الخسران فلا يبقى إلا القسم الرابع**) وهو الذي فيه نفع محض، (**فقد سقط ثلاثة أرباع الكلام**) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال: حدثنا علي بن أبي مريم عن خلف بن تميم، حدثنا أبو إسحاق الفزاري قال: كان إبراهيم بن أدهم يطيل السكوت، فإذا تكلم ربما انبسط فأطال ذات يوم السكوت فقلت له: لو تكلمت فقال الكلام على أربعة وجوه، فمن الكلام كلام ترجو منفعته وتخشى عاقبته، فالفصل في هذا السلامة منه، ومن الكلام كلام لا ترجو منفعته ولا تخشى عاقبته فأقل مالك في تركه خفة المؤنة على بدنك ولسانك، ومن الكلام كلام لا ترجو منفعته ولا تأمن عاقبته، فهذا قد كفى العاقل مؤنته، ومن الكلام كلام ترجو منفعته وتأمن عاقبته، فهذا الذي يجب عليك نشره قال خلف: فقلت لأبي إسحاق إبراهيم أراه قد أسقط ثلاثة أرباع الكلام؟ قال نعم اهـ.

(**وبقي ربع وهذا الربع فيه خطر إذ يمتزج به ما هو إثم**) عند الله تعالى، وذلك (**من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجاً**) لطيفاً (**يخفى دركه**) لأكثر الناس، (**فيكون الإنسان مخاطراً**) أي مشرفاً على خطر عظيم، (**ومن عرف دقائق آفات اللسان على ما سنذكره علم قطعاً ما ذكره ﷺ هو فصل الخطاب**) في بابه (**حيث قال: «من صمت نجا»**) وقد تقدم الكلام عليه قريباً. (**فقد أوتي**) ﷺ (**جواهر الحكم قطعاً وجوامع الكلم**) كما رواه مسلم من حديث أبي هريرة، وقد تقدم بلفظ: «أوتيت جوامع الكلم» واختصر لي الكلام اختصاراً. (**ولا يعرف ما تحت آحاد كلماته من بحار المعاني إلا خواص العلماء**) إذ هي ثمان أحرف، وقد جمع فيها خير الدنيا والآخرة وهو أبلغ من قول القائل: من سكت سلم لأن الصمت أبلغ من السكوت كما تقدمت الإشارة إليه، والنجاة أبلغ من السلامة لأن السلامة قد يقتصر إطلاقها على الخلاص من شر الناس فهو خاص في الدنيا، والنجاة تعم الدنيا والآخرة فكأنه قال: من صمت عما لا يعني وعن الفضول سلم في نفسه من شر الناس ومن شر الشيطان. ومن سلم منهما فقد نجا من تبعات الآخرة. (**وفيما سنذكره من الآفات وعسر**

يعرفك حقيقة ذلك إن شاء الله تعالى. ونحن الآن نعد آفات اللسان ونبتدىء بأخفها ونترقى إلى الأغلظ قليلاً، ونؤخر الكلام في الغيبة والنميمة والكذب فإن النظر فيها أطول وهي عشرون آفة فاعلم ذلك ترشد بعون الله تعالى.

الآفة الأولى: الكلام فيما لا يعنيك:

اعلم أن أحسن أحوالك أن تحفظ ألفاظك من جميع الآفات التي ذكرناها من الغيبة والنميمة والكذب والمراء والجدال وغيرها، وتتكلم فيما هو مباح لا ضرر عليك فيه ولا على مسلم أصلاً إلا أنك تتكلم بما أنت مستغن عنه ولا حاجة بك إليه، فإنك مضيع به زمانك ومحاسب على عمل لسانك وتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، لأنك لو صرفت زمان الكلام إلى الفكر ربما كان ينفتح لك من نفحات رحمة الله عند الفكر ما يعظم جدواه، ولو هللت الله سبحانه وذكرته وسبحته لكان خيراً لك فكم من كلمة يبني بها قصر في الجنة؟ ومن قدر على أن يأخذ كنزا من الكنوز فاخذ مكانه مدرة لا

الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك، ونحن الآن نعد آفات اللسان ونبتدىء بأخفها ونترقى إلى الأغلظ منها (**قليلاً قليلاً، ونؤخر الكلام في الغيبة والكذب والنميمة فإن النظر فيها أطول**) والكلام فيها أكثر (**وهي عشرون آفة، فاعلم ذلك ترشد بعون الله تعالى**) وحسن توفيقه:

الآفة الأولى الكلام فيما لا يعنيك:

أي لا يهمك. (**اعلم**) وفقك الله تعالى (**أن أحسن أحوالك أن تحفظ ألفاظك من جميع الآفات التي ذكرناها من الغيبة والنميمة والكذب والمراء والجدال وغيره، وتتكلم فيما هو مباح لا ضرر عليك فيه**) ولا تخشى عاقبته (**ولا**) ضرر فيه (**على مسلم أصلاً**) لا حالاً ولا مآلاً (**إلا أنك تتكلم بما أنت مستغن عنه ولا حاجة بك إليه، فإنك مضيع به زمانك ومحاسب على عمل لسانك ومستبدل الذي هو أدنى**) أي أخس واحقر (**بالذي هو خير**) وأنفع (**لأنك لو صرفت زمان الكلام إلى الفكر**) أي إلى استعماله فيما هو بصدده (**ربما كان ينفتح لك من نفحات رحمة الله تعالى**) ومن رشحات كرمه (**عند**) ذلك (**الفكر ما يعظم جدواه**) أي فائدته. (**ولو هللت الله سبحانه وذكرته وسبّحته**) وقدسته وكبرته (**لكان خيراً لك**) أخرج ابن أبي الدنيا في الصمت من طريق بكر بن ماعز قال: كان الربيع بن خيثم يقول: لا خير في الكلام إلا في تسع تهليل وتكبير وتسبيح وتحميد وسؤالك عن الخير وتعوذك من الشر وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر وقراءتك القرآن (**فكم من كلمة**) يتكلم بها (**يبنى له بها قصر في الجنة**) كما وردت بذلك الأخبار ويغرس له غرس في الجنة (**ومن قدر على أن يأخذ كنزاً من**

ينتفع بها كان خاسراً خسراناً مبيناً . وهذا مثال من ترك ذكر الله واشتغل بمباح لا يعنيه فإنه وإن لم يأثم فقد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله تعالى ، فإن المؤمن لا يكون صمته إلا فكراً ونظره إلا عبرة ونطقه إلا ذكراً ، هكذا قال النبي ﷺ . بل رأس مال العبد أوقاته ومهما صرفها إلى ما لا يعنيه ولم يدخر بها ثواباً في الآخرة فقد ضيع رأس ماله . ولهذا قال النبي ﷺ : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » بل ورد ما هو أشد

الكنوز فأخذ مكانه مدرة) أو خزفة (لا ينتفع بها كان خاسراً خسراناً بيّنا وهذا مثال من ترك ذكر الله تعالى واشتغل بمباح لا يعنيه فإنه وإن لم يأثم) لكون ما اشتغل به مما أبيح له (فقد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله تعالى، فإن المؤمن لا يكون صمته إلا فكراً و) لا يكون (نظره إلا عبرة و) لا يكون (نطقه إلا ذكراً . هكذا قال النبي ﷺ) قال العراقي: لم أجد له أصلاً وروى محمد بن زكريا الغلابي أحد الضعفاء عن ابن عباية عن أبيه قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: « إن الله أمرني أن يكون نطقي ذكراً وصمتي فكراً ونظري عبرة ».
(بل رأس مال العبد أوقاته، ومهما صرفها إلى ما لا يعنيه ولم يدخر بها ثواباً في الآخرة فقد ضيع رأس ماله) وخسر خسراناً مبيناً ، (ولهذا قال ﷺ : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه») رواه أحمد وأبو يعلى والترمذي وقال: غريب وابن ماجه والبيهقي من طريق الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، ورواه ابن أبي الدنيا من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ورواه أحمد والعسكري في الأمثال والطبراني في الكبير ، وأبو نعيم في الحلية وابن عبد البر عن علي بن الحسين عن أبيه به مرفوعاً . ورواه مالك والنسائي وابن أبي الدنيا ، والبيهقي من طريق الزهري ، عن علي بن الحسين مرسلاً . ورواه ابن عساكر عن علي بن الحسين، عن الحرث بن هشام به مرفوعاً . ورواه العسكري عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي بن أبي طالب به مرفوعاً . ورواه الشيرازي في الألقاب من حديث أبي ذر . ورواه الحاكم في الكنى من حديث أبي بكر ، ورواه الطبراني في الكبير من حديث زيد بن ثابت . وفي الباب عن جماعة . وقال الدارقطني في العلل: يرويه الاوزاعي، واختلف عنه فرواه محمد بن شعيب والوليد بن يزيد وعمارة بن بشر وإسماعيل بن عبد الله بن سماعة وبشر بن بكر كلهم عن الاوزاعي عن قرة بن عبد الرحمن عن الأوزاعي عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة، وخالفهم عمر بن عبد الواحد ، وبقية بن الوليد ، وأبو المغيرة فرووه عن الاوزاعي عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة، ولم يذكروا فيه قرة. ورواه بشر بن إسماعيل الحلبي عن الأوزاعي عن الزهري عن أبي سلمة، وسليمان بن يسار عن أبي هريرة قاله موسى بن هارون، وهو ثقة حدث عنه محمد بن يحيى وغيره عن مبشر . وروي عن إسماعيل بن عياش ومحمد بن كثير المصيصي عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة، عن أبي هريرة. ورواه عبد الله بن بديل عن الزهري عن سالم، عن أبيه، عن النبي ﷺ . والمحفوظ حديث أبي هريرة، وحديث علي بن الحسين مرسلاً ، وكذلك هو في الموطأ. ورواه خالد بن عبد الرحمن

من هذا قال أنس: استشهد غلام منا يوم أُحد فوجدنا على بطنه حجراً مربوطاً من الجوع فمسحت أمه عن وجهه التراب وقالت: هنيئاً لك الجنة يا بني، فقال ﷺ: «وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره»؟ وفي حديث آخر: أن النبي ﷺ

المخزومي، عن مالك، عن الزهري، عن علي بن الحسين، عن أبيه. وخالد ليس بالقوى، وروى عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر العمري وهو ضعيف عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ولا يصح. والصحيح حديث الزهري عن علي بن الحسين مرسلاً، وأما حديث علي فقد يرويه الزهري عن علي بن الحسين واختلف عنه، فرواه أبو همام الدلال عن عبيد الله بن عمر العمري فقال عن الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي عن رسول الله ﷺ. وخالفه موسى ابن داود فقال عن العمري عن الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن النبي ﷺ وغيره يرويه عن العمري عن الزهري عن علي بن الحسين مرسلاً وهو الصحيح. واختلف في مالك فرواه خالد بن خداش الخراساني، عن مالك، عن الزهري عن علي بن الحسين مرسلاً، وكذلك رواه أصحاب الزهري عن الزهري. وروي عن جعفر بن محمد، واختلف عنه فرواه موسى بن عمير عن جعفر عن أبيه عن جده عن علي، وخالفه يوسف بن أسباط فرواه عن الثوري عن جعفر عن أبيه عن علي ابن أبي طالب، والصحيح قول من أرسله عن علي بن الحسين عن النبي ﷺ اهـ.

قلت: قال ابن عدي في الكامل بعد أن روي هذا الحديث عن أبي العلاء الكوفي عن هشام بن عمار عن محمد بن شعيب عن الاوزاعي عن قرة ما لفظه. وقد روي عن الاوزاعي عن قرة الزهري بضعة عشر حديثاً، ولقرة أحاديث صالحة رواه عنه رشدين بن سعد، وسويد بن عبد العزيز، وابن وهب والاوزاعي وغيرهم وجملة حديثه عن هؤلاء والله أعلم.

تنبيه:

قال الطيبي: «من» في الحديث تبعيضية، ويجوز كونها بيانية وإنما قال: من حسن إسلام المرء ولم يقل من حسن إيمان المرء لأن الإسلام عبارة عن الأعمال الظاهرة والفعل والترك إنما يتعاقبان عليها وزاد حسن إيمان إلى أنه لا عبرة بصورة الأعمال فعلاً وتركاً إلا أن اتصفت بالحسن بأن توفرت شروط مكملاتها فضلاً عن المصححات، وجعل الترك ترك ما لا يعني من الحسن مبالغة. وفي إفهامه من قبح إسلام المرء أخذه فيما لا يعنيه، والذي لا يعني الفضول كله على تباين أنواعه. وهذا الحديث قالوا: ربع الإسلام، وقيل: نصفه، وقيل: كله.

(**بل ورد ما هو أشد من هذا قال أنس**) بن مالك رضي الله عنه: (**استشهد غلام منا**) أي من الأنصار (**يوم أحد فوجدنا على بطنه حجراً مربوطاً**) أي من الجوع، (**فمسحت أمه عن وجهه التراب وقالت هنيئاً لك يا بني فقال ﷺ: «ما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره»**) قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أنس مختصراً. وقال: غريب: ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت بلفظ المصنف بسند ضعيف اهـ.

فقد كعباً فسأل عنه فقالوا مريض فخرج يمشي حتى أتاه فلما دخل عليه قال: « ابشر يا كعب » فقالت أمه: هنيئاً لك الجنة يا كعب. فقال ﷺ: « من هذه المتألية على الله ». قال: هي أمي يا رسول الله. قال: « وما يدريك يا أم كعب لعل كعباً قال ما لا يعنيه أو منع ما لا يغنيه ». ومعناه أنه إنما تتهيأ الجنة لمن لا يحاسب ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه، وإن كان كلامه مباحاً فلا تتهيأ الجنة له مع المناقشة في الحساب فإنه نوع من العذاب. وعن محمد بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: « إن أوّل من يدخل الجنة من هذا الباب رجل من أهل الجنة » فدخل

قلت قال ابن أبي الدنيا: حدثني عبد الرحمن بن صالح الأزدي: حدثنا يحي بن يعلى الأسلمي، عن الأعمش، عن أنس بن مالك قال: استشهد غلام منا يوم أحد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت أمه التراب عن وجهه وقالت: هنيئاً لك يا بني الجنة فساقه، ولعل وجه ضعف هذا السند أن الأعمش لم يثبت سماعه عن أنس له رؤية فقط لا رواية أو لأن يحي بن يعلى الأسلمي ضعفه أبو حاتم وغيره.

(**وفي حديث آخر أن النبي ﷺ فقد كعباً**) أي ابن عجرة (**فسأل عنه فقالوا**): هو (**مريض فخرج يمشي حتى أتاه**) عائداً له، (**فلما دخل عليه قال: ابشر يا كعب! فقالت أمه: هنيئاً لك الجنة. فقال ﷺ: « من هذه المتألية على الله قال**) كعب (**هي أمي يا رسول الله. قال: « وما يدريك يا أم كعب لعل كعباً قال ما لا يعنيه أو منع ما لا يغنيه »**) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت من حديث كعب بن عجرة بإسناد جيد إلا أن الظاهر انقطاعه بين الصحابي وبين من رواه عنه اهـ.

قلت: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا أحمد بن عيسى المصري، حدثنا ضمام بن إسماعيل الإسكندراني، حدثني يزيد بن أبي حبيب، وموسى بن وردان بن كعب بن عجرة أن النبي ﷺ فقد كعباً فساقه كما هنا. أما كعب ففي قول الواقدي مات سنة اثنين وخمسين، وأما موسى بن وردان فإنه مات سنة سبع عشرة، وله أربع وسبعون سنة، فكان عمره لما ملت كعب نحو أربع عشرة سنة، وعلى هذا يمكن سماعه منه. وأما يزيد بن أبي حبيب فإنه مات سنة ثمان وعشرين ومائة، وبلغ زيادة على خمس وسبعين سنة فكان عمره حين مات كعب نحو أربع سنين فتأمل.

(**ومعناه إنما يتهيأ للجنة من لا يحاسب، ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه وإن كان كلامه مباحاً فلا تتهيأ الجنة مع المناقشة في الحساب فإنه نوع عذاب**) من نوقش في الحساب عذب.

(**وعن محمد بن كعب**) بن سليم بن أسد القرظي رحمه الله تعالى كنيته أبو حمزة مدني نزل الكوفة، ولد سنة أربعين على الصحيح، مات سنة عشرين ومائة. روى له الجماعة (**قال: قال رسول الله ﷺ: « إن أول من يدخل الجنة من هذا الباب رجل من أهل الجنة » فدخل**

عبد الله بن سلام فقام إليه ناس من أصحاب رسول الله ﷺ فاخبروه بذلك وقالوا : أخبرنا بأوثق عمل في نفسك ترجو به فقال: إني لضعيف وإن أوثق ما أرجو به الله سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني. وقال أبو ذر : قال لي رسول الله ﷺ : « ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان » قلت: بلى يا رسول الله. قال: « هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك ». وقال مجاهد : سمعت ابن عباس يقول: خمس لهن أحب إلي من الدهم الموقوفة لا تتكلم فيما لا يعنيك فإنه فضل ولا آمن عليك الوزر ، ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعاً فإنه رب متكلم في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت ولا تمار حليماً ولا سفيهاً فإن الحليم يقليك والسفيه يؤذيك ، واذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به ، واعفه مما تحب أن يعفيك منه ، وعامل أخاك بما

عبد الله بن سلام) رضي الله عنه **(فقام إليه ناس من أصحاب رسول الله ﷺ فأخبروه بذلك وقالوا أخبرنا عن أوثق عمل في نفسك ترجو به . فقال إني ضعيف وإن أوثق ما أرجو به سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني)** قال العراقي : رواه ابن أبي الدنيا هكذا مرسلاً وفيه أبو معشر نجيح اختلف فيه اهـ.

قلت : قال ابن أبي الدنيا ، حدثنا علي بن الجعد ، أخبرني أبو معشر عن محمد بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ فساقه. وفيه فأخبروه بقول النبي ﷺ ، وقالوا : أخبرنا بأوثق عملك وفيه أني لضعيف وفيه لسلامة الصدر ، والباقي سواء . وأبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي مولى بني هاشم مشهور بكنيته. روى له أصحاب السنن ضعيف أسن واختلط مات سنة سبعين ومائة. وقد رواه أيضاً أسد بن موسى عن أبي معشر هذا.

(وقال أبو ذر) الغفاري رضي الله عنه **(قال: قال لي رسول الله ﷺ: « ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان » قلت: بلى يا رسول الله . قال: « هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك »)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا بسند منقطع اهـ.

قلت: قال ابن أبي الدنيا : حدثنا هارون بن عبد الله، حدثنا يزيد بن محمد بن خنيس، عن وهيب بن الورد بلغه أن أبا ذر قال: قال رسول الله ﷺ فساقه.

(وقال مجاهد) بن جبير المكي التابعي ، **(سمعت ابن عباس يقول: خمس لهن أحب إلى من الدهم الموقفة)** أي من الخيل الدهم التي أوقفت وأعدت للركوب الأولى **(لا تتكلم فيما لا يعنيك فإنه فضل ولا آمن عليك الوزر)** أي الإثم **(ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعاً فإنه رب متكلم في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت)** أي وقع في العنت وهو الشدة والحرج ، **(و)** الثانية **(لا تمار حليماً ولا سفيهاً فإن الحليم يقليك)** أي يبغضك بقلبه **(والسفيه يؤذيك)** بلسانه ، **(و)** الثالثة : **(اذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به واعفه**

تحب أن يعاملك به، واعمل عمل رجل يعلم أنه مجازى بالإحسان مأخوذ بالاحترام. وقيل للقمان الحكيم: ما حكمتك؟ قال: لا أسأل عما كفيت ولا أتكلف ما لا يعنيني وقال مورق العجلي: أمرأنا في طلبه منذ عشرين سنة لم أقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا: وما هو؟ قال: السكوت عما لا يعنيني. وقال عمر رضي الله عنه: لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك القوم إلا الأمين، ولا أمين إلا من خشي الله تعالى، ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك، واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى.

مما تحب أن يعفيك منه، و) الرابعة: (**عامل أخاك بما تحب أن يعاملك به، و**) الخامسة: (**اعمل عمل رجل يعلم إنه مجازى بالإحسان مأخوذ بالاحترام**) أخرجه ابن أبي الدنيا فقال: حدثني أبو محمد العتكي عبد الرحمن بن صالح، حدثني أبو هارون جليس لأبي بكر بن عياش، عن محرز التميمي، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: سمعته يقول: «خمس لهن أحسن من الدهم الموقفة». فساقه.

(**وقيل للقمان الحكيم: ما حكمتك؟ قال: لا أسأل عما كفيت ولا أتكلف ما لا يعنيني**) أخرجه ابن أبي الدنيا فقال: حدثني علي بن الجعد عن شعبة عن سيار أبي الحكم قال: قيل للقمان فساقه.

(**وقال مورق العجلي**) هو أبو المعتمر مورق بن مشمرج بن عبد الله البصري ثقة عابد روى له الجماعة (**أمر أنا في طلبه منذ عشرين سنة لم أقدر عليه ولست بتارك طلبه. قالوا: وما هو يا أبا المعتمر؟ قال: السكوت عما لا يعنيني**) أخرجه ابن أبي الدنيا فقال: حدثنا محمد بن سعد، حدثنا عفان، عن جعفر بن سليمان، عن المعلى بن زياد قال: قال مورق العجلي فساقه.

(**وقال عمر**) بن الخطاب (**رضي الله عنه: لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك وأحذر صديقك من القوم إلا الأمين ولا أمين إلا من خشي الله تعالى، ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في أمرك الذين يخشون الله**) أخرجه ابن أبي الدنيا بسندين: الأول: قال حدثنا عبد الله بن خيران أخبرنا المسعودي عن وديعة يعني الأنصاري قال: قال عمر بن الخطاب: لا تتعرض لما لا يعنيك فساقه. والثاني: قال حدثنا محمد بن الصباح، حدثنا حبان بن علي، عن محمد بن عجلان، عن إبراهيم بن مرة، عن عمر بن الخطاب نحوه.

ورواه أبو نعيم في الحلية من طريق أبي بكر بن أبي شيبة، حدثنا عبد الله بن إدريس، عن محمد ابن عجلان، عن إبراهيم بن مرة، عن محمد بن شهاب قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا تتعرض فيما لا يعنيك واعتزل عدوك واحتفظ من خليلك إلا الأمين، فإن الأمين من القوم لا يعادله شيء، ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره ولا تفش إليه سرك واستشر في أمرك الذين يخشون الله وقد تقدم ذلك أيضاً في كتاب آداب الصحبة.

وحدّ الكلام فيما لا يعنيك أن تتكلم بكلام لو سكت عنه لم تأثم ولم تستضر به في حال ولا مال، مثاله أن تجلس مع قوم فتذكر لهم أسفارك وما رأيت فيها من جبال وأنهار وما وقع لك من الوقائع، وما استحسنته من الأطعمة والثياب، وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم. فهذه أمور لو سكت عنها لم تأثم ولم تستضر، وإذا بالغت في

تنبيه:

وقد بقي على المصنف ما هو على شرطه. روى ابن أبي الدنيا من طريق زيد بن أسلم أنه دخل على ابن أبي دجانة وهو مريض ووجهه يتهلل فقال: ما من عملي شيء أوثق في نفسي من اثنتين لم أتكلم فيما لا يعنيني، وكان قلبي للمسلمين سليماً.

ومن طريق عمرو بن قيس الملائي إن رجلاً مر بلقمان والناس عنده فقال: ألست عبد بني فلان؟ قال: بلى. قال: الذي كنت ترعى عند جبل كذا وكذا؟ قال: بلى. قال: ما الذي بلغ بك ما أرى؟ قال: صدق الحديث وطول السكوت عما لا يعنيني.

ومن طريق داود بن أبي هند قال: بلغني أن معاوية قال الرجل ما بلغ من حلمك؟ قال: لا يعنيني ما لا يعنيني.

ومن طريق جعفر بن سليمان قال: سمعت سميطاً العيشي يقول: من لزم ما يعنيه أوشك أن يترك ما لا يعنيه.

ومن طريق ثابت الثمالي عن أبي جعفر قال: كفى عيباً أن يبصر العبد من الناس ما يعمى عليه من نفسه وأن يؤذي جليسه فيما لا يعنيه.

وأخرج الخرائطي من حديث ابن مسعود قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله إني مطاع في قومي فما آمرهم؟ قال: «مرهم بإفشاء السلام وقلة الكلام إلا فيما يعنيهم».

وأخرج العقيلي من حديث أبي هريرة: «أكثر الناس ذنوباً أكثرهم كلاماً فيما لا يعنيه» وروى أبو عبيدة عن الحسن قال: من علامة إعراض الله عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه. وقال سهل التستري: من تكلم فيما لا يعنيه حرم الصدق. وقال معروف: كلام العبد فيما لا يعنيه خذلان من الله عز وجل.

(وحدّ الكلام فيما لا يعنيك) أي لا تتعلق به عنايتك ولا يكون مقصدك ومطلوبك لأن العناية شدة الاهتمام بالشيء. يقال: عناه يعنيه إذا اهتم به وطلبه **(أن تتكلم بكل ما لو سكت عنه لم تأثم ولم تستضر به في حال. أو قال مثاله أن تجلس مع قوم فتذكر لهم أسفارك وما رأيت فيها من جبال وأنهار)** وبلاد، **(وما وقع لك من الوقائع، وما استحسنته من الأطعمة والثياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم معك)** أو مع غيرك. **(فهذه أمور لو سكت عنها لم تأثم ولم تستضر، وإذا بالغت في الاجتهاد حتى لم يمتزج بحكايتك زيادة أو**

الجهاد حتى لم يمتزج بحكايتك زيادة ولا نقصان، ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الأحوال العظيمة، ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشيء مما خلقه الله تعالى فأنت مع ذلك كله مضيع زمانك وأنّى تسلم من الآفات التي ذكرناها ومن جملتها أن تسأل غيرك عما لا يعنيك فأنت بالسؤال مضيع وقتك وقد ألجأت صاحبك أيضاً بالجواب إلى التضييع، هذا إذا كان الشيء مما لا يتطرق إلى السؤال عنه آفة وأكثر الأسئلة فيها آفات فإنك تسأل غيرك عن عبادته مثلاً فتقول له: هل أنت صائم؟ فإن قال نعم، كان مظهراً لعبادته فيدخل عليه الرياء، وإن لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر، وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات، وإن قال: لا، كان كاذباً، وإن سكت كان مستحقراً لك وتأذيت به، وإن احتال لمدافعة الجواب افتقر إلى جهد وتعب فيه، فقد عرضته بالسؤال إما للرياء أو للكذب أو للاستحقار أو للتعب في حيلة الدفع، وكذلك سؤالك عن سائر عباداته. وكذلك سؤالك عن المعاصي وعن كل ما يخفيه ويستحيي منه. وسؤالك عما حدّث به غيرك فتقول له: ماذا تقول؟ وفيم أنت؟ وكذلك ترى إنساناً في الطريق فتقول: من أين؟ فربما يمنعه مانع من ذكره، فإن ذكره تأذى به واستحيا، وإن لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه. وكذلك تسأل عن

نقصان ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الأحوال العظيمة ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشيء خلقه الله تعالى فأنت مع ذلك كله مضيع زمانك) في تلك الحكايات **(وأنّى تسلم من الآفات التي ذكرناها ومن جملتها أن تسأل غيرك عما لا يعنيك)** ولا يهمك **(فأنت بالسؤال مضيع وقتك وقد ألجأت صاحبك أيضاً بالجواب إلى التضييع)** أي تضييع وقته. **(هذا إذا كان الشيء مما لا يتطرق إلى السؤال عنه آفة وأكثر الأسئلة فيها آفات)** لا يخلو منها، **(فإنك تسأل غيرك عن عبادته فتقول له: أنت صائم فإن قال نعم كان مظهراً لعبادته فيدخل عليه الرياء، وإن لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر، وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات)** كما ورد ذلك في بعض الأخبار، **(وإن قال لا كان كاذباً)** في قوله، **(وإن سكت كان مستحقراً لك)** في عدم ردّ الجواب، **(وتأذيت به وإن احتال لمدافعة الجواب افتقر إلى جهد وتعب فيه)** فانظر **(فقد عرضته بالسؤال إما للرياء أو الكذب والاستحقار أو التعب في حيلة الدفع)** فهذه أربع آفات بعضها أعظم من بعض، **(وكذلك سؤالك عن سائر عباداته وكذلك سؤالك عن سائر المعاصي وعن كل ما تخفيه)** عن الناس، **(وتستحيي منه وسؤالك عما حدث به غيرك فتقول له: ماذا تقول وفيم أنتم؟ وكذلك ترى إنساناً في الطريق فتقول)** له: **(من أين)** وإلى أين؟ **(فربما يمنعه مانع من ذكره فإن ذكر تأذى به واستحيا)** هذا إن صدق، **(وإن لم يصدق وقع في الكذب وكنت**

مسألة لا حاجة بك إليها والمسؤول ربما لم تسمح نفسه بأن يقول لا أدري، فيجيب عن غير بصيرة.

ولست أعني بالتكلم فيما لا يعني هذه الأجناس، فإن هذا يتطرق إليه إثم أو ضرر وإنما مثال ما لا يعني ما روي أن لقمان الحكيم دخل على داود عليه السلام وهو يسرد درعاً ولم يكن رآها قبل ذلك اليوم فجعل يتعجب مما رأى فأراد أن يسأله عن ذلك فمنعته حكمته فأمسك نفسه ولم يسأله، فلما فرغ قام داود ولبسه ثم قال: نعم الدرع للحرب. فقال لقمان الصمت حكم وقليل فاعله أي حصل العلم به من غير سؤال فاستغنى عن السؤال وقيل انه كان يتردد إليه سنة وهو يريد أن يعلم ذلك من غير سؤال فهذا وأمثاله من الأسئلة إذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وتوريط في رياء وكذب فهو ما لا يعني وتركه من حسن

السبب) في ذلك. وقال صاحب القوت: ومن المحدثات المبتدعة قول الرجل لاخيه، إذا لقيه ذاهباً في الطريق: إلى أين تريد، أو من أين جئت؟ فقد كره هذا وليس من السنّة ولا من الأدب، وهو داخل في التحسس والتجسس لأن التحسس في الآثار والتجسس في الأخبار وهذا السؤال عن ذلك يجمعها، وقد لا يحب الرجل أن يعلم أين يذهب ولا من أين جاء، وقد كره ذلك مجاهد وعطاء قال: إذا لقيت أخاك في طريق فلا تسأله من أين جئت ولا أين تذهب، فلعله أن يصدقك فتكره ذلك، ولعله أن يكذبك فتكون حملته على الكذب اهـ.

وكان على هذا القدم شيخنا المرحوم علي بن موسى الحسيني فإنه من شدة ما ينكر على من يسأله إلى أين ربما يرجع من مقصده وتشاءم، (وكذلك تسأل عن مسألة لا حاجة بك إليها والمسؤل ربما لم تسمح نفسه بأن يقول لا أدري فيجيب عن غير بصيرة ولا روية) فيقع في خطأ عظيم.

(ولست أعني بالتكلم فيما لا يعني هذه الأجناس) وأمثالها. (فإن هذا يتطرق إليه إثم أو ضرر) في الحال أو في المقال، (وإنما مثال ما لا يعني ما روي أن لقمان الحكيم كان يختلف إلى داود عليه السلام وهو يسرد درعاً ولم يكن رآها قبل ذلك اليوم فجعل يتعجب مما رأى وأراد أن يسأله عن ذلك والحكمة تمنعه من السؤال، فلما فرغ داود عليه السلام وصبّها عليه وقال: نعم جنة الحرب فقال) لقمان: (الصمت حكم وقليل فاعله أردت أن أسألك عنها فكفيتني، وقيل: كان يتردد إليه سنة ويريد أن يعلم ذلك من غير سؤال) أخرجه الحاكم والبيهقي في الشعب من حديث أنس أن لقمان كان عند داود وهو يسرد الدرع فجعل يفتله هكذا بيده، فجعل لقمان يتعجب ويريد أن يسأله، فلما فرغ منها صبها على نفسه وقال نعم درع الحرب هذه. فقال لقمان: الصمت من الحكمة وقليل فاعله كنت أردت أن أسألك فسكت حتى كفيتني. قال البيهقي: هذا هو الصحيح أنه من كلام لقمان.

(فهذا وأمثاله من الأسئلة ما لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وتوريط في رياء وكذب فهو

الإسلام فهذا حدّه.

وأما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به إليه أو المباسطة بالكلام على سبيل التودد أو تزجية الأوقات بحكايات أحوال لا فائدة فيها.

وعلاج ذلك كله أن يعلم أن الموت بين يديه وإنه مسؤول عن كل كلمة وإن أنفاسه رأس ماله، وأن أنفاسه شبكة يقدر على أن يقتنص بها الحور العين فاهماله ذلك وتضييعه خسران مبين هذا علاجه من حيث العلم. وأما من حيث العمل فالعزلة أو أن يضع حصاة في فيه وإن يلزم نفسه السكوت بها عن بعض ما يعنيه حتى يعتاد اللسان ترك ما لا يعنيه وضبط اللسان في هذا على غير المعتزل شديداً جداً.

مما لا يعني وتركه من حسن الإسلام فهذا حدّه)، وإذا حسن الاسلام اقتضى ترك ما لا يعني كله من المحرمات والمشتبهات والمكروهات وفضول المباحات التي لا يحتاج إليها، فهذا كله لا يعني المسلم إذا كمل إسلامه وبلغ إلى درجة الإحسان، فمن عبد الله عن استحضار قربه ومشاهدته بقلبه وعلى استحضار قرب الله منه وإطلاعه عليه فقد حسن إسلامه ولزم من ذلك أن يترك كل ما لا يعنيه في الإسلام ويشتغل بما يعنيه فيه فإنه يتولد من هذين الاستحياء من الله تعالى.

(وأما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به إليه، أو بالمباسطة بالكلام على سبيل التودد) والتألف، **(أو تزجية الأوقات)** أي تسويتها **(بحكايات أحوال لا فائدة فيها، وعلاج ذلك كله أن يعلم أن الموت بين يديه)** ولا بدّ له منه على كل حال، **(فإنه مسئول عن كل كلمة)** يتكلم بها **(وأن أنفاسه المعدودة)** هي **(رأس ماله)** من الدنيا، **(وأن لسانه شبكة يقدر أن يقتنص به الحور العين)** والولدان والنعيم، **(فإهماله ذلك وتضييعه خسران)** ونقصان. **(وهذا علاجه من حيث العلم، وأما من حيث العمل فالعزلة)** عن الناس كما قال وهيب بن الورد عن بعض الحكماء: الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وواحد في العزلة، فأردت من نفسي الصمت على شيء فلم أقدر عليه فصرت إلى العزلة فحصلت لي التسعة وقد تقدم ذلك قريباً. **(وأن يضع حصاة في فيه)** كما كان الصديق رضي الله عنه يفعله، وأن يلزم نفسه السكوت بها عن بعض ما يعنيه حتى يعتاد اللسان ترك ما لا يعنيه، **(وضبط اللسان في هذا على غير المعتزل شديد جداً)** فإنه لا يجد بدأ من الكلام إذا كان مع جماعة ويشتد عليه حفظه للسانه، بل ينفلت منه ولا يقدر على ضبطه. وأما إذا اعتزل مسلم من ذلك فإنه لا يجد من يخاطب معه فيرجع إلى نفسه إما بالتفكرّ أو بالذكر أو بالمراقبة، وهذا علاجه من حيث العمل.

الآفة الثانية فضول الكلام:

وهو أيضاً مذموم وهذا يتناول الخوض فيما لا يعني والزيادة فيما يعني على قدر الحاجة، فإن من يعنيه أمر يمكنه أن يذكره بكلام مختصر ويمكنه أن يجسمه ويقرره ويكرره، ومهما تأدّى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول ـ أي فضل عن الحاجة ـ وهو أيضاً مذموم لما سبق وإن لم يكن فيه إثم ولا ضرر. قال عطاء بن أبي رباح: إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله تعالى وسنّة رسول الله ﷺ أو أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر أو تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها، أتنكرون أن عليكم حافظين كراماً كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد، أما يستحيي أحدكم إذا نشرت صحيفته التي أملاها صدر نهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه. وعن بعض الصحابة قال: إن الرجل ليكلمني بالكلام لجوابه أشهى إليّ من الماء البارد إلى

(الآفة الثانية: فضول الكلام)

(وهو أيضاً مذموم وهذا يتناول الخوض فيما لا يعني، والزيادة فيما يعني على قدر الحاجة، فإن من يعنيه) أي يهمه (أمر) ويكون مقصوداً له (يمكنه أن يذكره بكلام مختصر ويمكنه أن يجنحه) أي يطوّله فيجعل له جناحاً (ويكرره، ومهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية) منها (فضول أي فضل عن الحاجة وهو أيضاً مذموم لما سبق وإن لم يكن فيه إثم ولا ضرر) لكونه مباحاً. (قال عطاء بن أبي رباح) القرشي مولاهم المكي ثقة فقيه فاضل كثير الإرسال. مات سنة اربع عشرة على المشهور، روى له الجماعة (إن من قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام، وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله) أن تقرأه (أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بدّ لك منها اتنكرون أن عليكم حافظين كراماً كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد. أما يستحيي أحدكم إذا نشرت صحيفته التي أملاها صدر نهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم وغيره قالوا: أخبرنا يعلى بن عبيد قال: دخلنا على محمد بن سوقة فقال: أحدثكم بحديث لعله ينفعكم فإنه قد نفعني قال لنا عطاء بن أبي رباح: يا بني اخي إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام فساقه سواء. وأخرجه أبو نعيم في الحلية من هذا الطريق عن عبد الله بن محمد هو ابن أبي الدنيا عن حاجب بن أبي بكر وأحمد ويعقوب الدورقيان قالوا: حدثنا يعلى بن عبيد فساقه، (و) روي (عن بعض الصحابة) رضوان الله عليه. (قال: إن الرجل ليكلمني بالكلام لجوابه اشهى إليَّ من الماء البارد من الظمآن فاترك جوابه خيفة من أن

الظمآن فاترك جوابه خيفة أن يكون فضولاً . وقال مطرف ليعظم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول أحدكم للكلب والحمار اللهم اخزه وما أشبه ذلك .

واعلم أن فضول الكلام لا ينحصر بل المهم محصور في كتاب الله تعالى . قال الله عز وجل: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾ [النساء : ١١٤] وقال ﷺ : « طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل

يكون فضلاً) أخرجه ابن أبي الدنيا عن حمزة بن العباس، أنبأنا عبدان، أنبأنا عبد الله بن المبارك، أنبأنا عمر بن بكار، عن عمرو بن الحرث، عن العلاء بن سعد بن مسعود، عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فذكره.

(وقال مطرف) بن عبد الله بن الشخير العامري الحرشي أبو عبد الله البصري ثقة عابد فاضل مات سنة خمس وتسعين روى له الجماعة : **(ليعظم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قولكم للكلب وللحمار: اللهم أخزه وما أشبه ذلك)** اخرجه ابن أبي الدنيا عن حمزة بن العباس، أنبأنا عبد الله، عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت بن مطرف قال: ليعظم جلال الله في صدوركم فلا تذكروه عند مثل قول أحدكم للكلب: اللهم أخزه وللحمار والشاة.

وأخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا محمد بن محمد بن الحسن، حدثنا أبي، حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت قال: قال مطرف ليعظم جلال الله تعالى إن تذكروه عند الحمار والكلب فيقول أحدكم لكلبه: اخزاك الله وفعل الله بك.

(واعلم أن فضول الكلام لا ينحصر) بضبط، **(بل المهم محصور في كتاب الله تعالى قال الله عز وجل: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾)** قال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثنا إسحاق بن إسماعيل وسعدويه وغيرهما وهذا لفظ إسحاق بن إسماعيل عن محمد بن يزيد بن خنيس قال: دخلنا على سفيان الثوري نعوده، فدخل عليه سعيد بن حسان فقال له سفيان، الحديث الذي حدثتني عن أم صالح اردده عليَّ، فقال سعيد ابن حسان: حدثتني أم صالح عن صفية بنت شيبة عن أم حبيبة قالت: قال النبي ﷺ « كل كلام ابن آدم هو عليه إلا أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر وذكر الله قال فقال رجل ما أشد هذا الحديث؟ قال: فقال سفيان وأي شيء شدته، أليس الله يقول: ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً﴾ [النبأ : ٣٨] أليس الله يقول: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾ أليس الله يقول: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾ .

(وقال ﷺ « طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله ») قال العراقي:

من ماله » فانظر كيف قلّب الناس الأمر في ذلك فامسكوا فضل المال وأطلقوا فضل اللسان. وعن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال: قدمت على رسول الله ﷺ في رهط من

رواه البغوي وابن قانع في معجمي الصحابة والبيهقي من حديث ركب المصري، وقال ابن عبد البر: إنه حديث حسن، وقال البغوي: لا أدري سمع من النبي ﷺ أم لا. وقال ابن منده: مجهول لا تعرف له صحبة، ورواه البزار من حديث انس بسند ضعيف اهـ.

قلت: قال عباس الدوري له صحبة، وقال ابن عبد البر: هو كندي له حديث، روى عنه نصيح العنسي في التواضع اهـ.

وقد أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال: حدثنا مهدي بن حفص، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن مطعم بن المقدام الصغاني، عن عنبسة بن سعيد الكلاعي، عن نصيح العنسي، عن ركب المصري قال: قال رسول الله ﷺ فساقه كسياق المصنف. ولفظ البغوي وابن قانع والبيهقي « طوبى لمن تواضع في غير منقصة وذل في نفسه في غير مسكنة وأنفق من مال جمعه في غير معصية وخالط أهل الفقه والحكمة ورحم أهل الذل والمسكنة، طوبى لمن ذل في نفسه وطاب كسبه وحسنت سريرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره، طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ». وقد رواه كذلك البخاري في التاريخ، والباوردي وابن شاهين والعسكري، وتمام، وابن عساكر. ورواه أبو محمد الجيزي في تاريخ مصر فقال: حدثني أحمد بن حمزة بن محمد بن هارون البصري، حدثنا محمد بن عبد الرحمن الهروي، حدثنا آدم بن أبي أياس، حدثنا إسماعيل بن عياش، حدثنا مطعم بن المقدام الصغاني، وعنبسة بن سعيد الكلاعي، عن نصيح فساقه. وفيه: إن ابن عياش رواه عن مطعم وعنبسة، وفي سياق ابن أبي الدنيا مطعم عن عنبسة. وقال الذهبي في المهذب: ركب يجهل ولم تصبح له صحبة ونصيح ضعيف اهـ.

وقال المنذري: رواة أبي نصيح ثقات. وقال الهيتمي بعد ما عزاه للطبراني: نصيح العنسي عن ركب لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. وقال ابن حبان: إن هذا السند لا يعتمد عليه وأن قول ابن عبد البر أنه حسن أراد به الحسن اللغوي أي لفظه حسن.

وأما الحديث الذي أشار إليه العراقي أنه رواه البزار عن أنس بسند ضعيف فلفظه « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنّة ولم يعد عنها إلى البدعة ». وقد رواه كذلك الديلمي في مسند الفردوس.

(فانظر) وتأمل **(كيف قلب الناس الأمر فامسكوا فضل المال وأطلقوا فضل اللسان)** فخالفوا كلام المصطفى ﷺ.

(وعن مطرف بن عبد الله) تقدمت ترجمته قريباً **(عن أبيه)** وهو عبد الله بن الشخير بن عوف بن كعب بن وقدان بن الحريش، وهو معاوية بن ركب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة الحرشي العامري من مسلمة الفتح عداده في أهل البصرة، روى له الجماعة سوى البخاري **(قال:**

بني عامر فقالوا: أنت والدنا وأنت سيدنا وأنت أفضلنا علينا فضلاً وأنت أطولنا علينا طولاً، وأنت الجفنة الغراء وأنت وأنت فقال: «قولوا قولكم ولا يستهوينكم الشيطان» إشارة إلى أن اللسان إذا أطلق بالثناء ولو بالصدق فيخشى أن يستهويه الشيطان إلى الزيادة المستغني عنها. وقال ابن مسعود: أنذركم فضول كلامكم، حسب امرىء من الكلام ما بلغ به حاجته، وقال مجاهد: إن الكلام ليكتب حتى أن الرجل ليسكت ابنه فيقول: أبتاع لك كذا وكذا؟ فيكتب كذاباً. وقال الحسن: يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكّل بها ملكان كريمان يكتبان أعمالك فاعمل ما شئت وأكثر أو أقلل.

وروي أن سليمان عليه السلام بعث بعض عفاريته وبعث نفراً ينظرون ما يقول

قدمت على رسول الله ﷺ في رهط من بني عامر) بن صعصعة وذلك في عام الفتح (فقالوا: أنت والدنا وأنت سيدنا وأنت أفضلنا علينا فضلاً وأطولنا علينا طولا وأنت الجفنة الغراء وأنت أنت. فقال: «قولوا قولكم ولا يستهوينكم الشيطان») وفي بعض النسخ ولا يستهو منكم الشيطان. قال العراقي: رواه أبو داود والنسائي في اليوم والليلة بإسناد صحيح بلفظ آخر، ورواه ابن أبي الدنيا بلفظ المصنف اهـ.

قلت: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا خالد بن خداش، حدثنا مهدي بن ميمون، عن غيلان بن جرير، عن مطرف بن عبد الله، عن أبيه قال: قدمت فساقه. ولفظ أبي داود والنسائي «قولوا بعض قولكم ولا يستجر منكم الشيطان». وكذلك رواه أحمد والطبراني في الكبير والضياء في المختارة (إشارة إلى أن اللسان إذا أطلق بالثناء ولو بالصدق فيخشى أن يستهويه الشيطان إلى الزيادة المستغني عنها. وقال) عبد الله (بن مسعود) رضي الله عنه: (أنذركم) أي أخوّفكم (فضول كلامكم حسب امرىء من الكلام ما بلغ به حاجته). أخرجه ابن أبي الدنيا فقال: حدثنا أبي، أخبرنا ابن علية، عن ليث أن ابن مسعود قال: أنذرتكم فضول الكلام بحسب ما بلغ حاجته. (وقال مجاهد) رحمه الله تعالى: (إن الكلام ليكتب حتى أن الرجل ليسكت ابنه فيقول) له جملة ما يسكته به: (ابتاع) أي اشتري (لك كذا وكذا) من اللعب والمأكولات فيسمع به فيسكت من البكاء (فيكتب كذاباً) أخرجه ابن أبي الدنيا فقال: حدثنا أحمد بن جميل المروزي، أخبرنا المعتمر بن سليمان، عن ليث، عن مجاهد قال: إن الكلام ليكتب حتى أن الرجل ليسكت ابنه ابتاع لك كذا وكذا وافعل لك كذا وكذا فتكتب كذبته، (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: (يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان يكتبان أعمالك فاعمل ما شئت اقلل أو أكثر) أخرجه ابن أبي الدنيا فقال: حدثنا داود بن عمر والضبي، حدثنا محمد بن الحسن الأسدي، حدثنا يزيد بن إبراهيم عن الحسن قال: يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان كريمان يكتبان عملك فأمل ما شئت فاكثر أو أقل.

(وروي أن سليمان عليه السلام) فيما أخرجه ابن أبي الدنيا فقال: حدثني سويد بن سعيد،

ويخبرونه فأخبروه بأنه مرّ في السوق فرفع رأسه إلى السماء ثم نظر إلى الناس وهز رأسه فسأله سليمان عن ذلك فقال: عجبت من الملائكة على رؤوس الناس ما أسرع ما يكتبون: ومن الذي أسفل منهم ما أسرع ما يملون. وقال إبراهيم التيمي: إذا أراد المؤمن أن يتكلم نظر فإن كان له تكلم وإلا أمسك، والفاجر إنما لسانه رسلاً رسلاً، وقال لحسن: من كثر كلامه كثر كذبه ومن كثر ماله كثرت ذنوبه، ومن ساء خلقه عذب نفسه. وقال عمرو ابن دينار: تكلم رجل عند النبي ﷺ فأكثر فقال له ﷺ: «كم دون لسانك من حجاب»؟ فقال: شفتاي واسناني قال: «أفما كان لك في ذلك ما يرد كلامك». وفي رواية أنه قال ذلك في رجل أثنى عليه فاستهتر في الكلام ثم قال: ما أوتي رجل شراً من

حدثنا مروان بن معاوية، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن طارق بن شهاب قال: (**بعث**) سليمان ابن داود عليهما السلام (**بعض عفاريته وبعث نفراً ينظرون ما يقول ويخبرونه**) قال: (**فاخبروه أنه مرّ في السوق**) ولفظ ابن أبي الدنيا على السوق، (**فرفع رأسه إلى السماء ثم نظر إلى الناس وهزّ رأسه فسأله سليمان**) عليه السلام (**عن ذلك**) ولفظ ابن أبي الدنيا: لم فعل ذلك؟ (**قال: عجبت من الملائكة على رؤوس الناس ما أسرع ما يكتبون، ومن الذين أسفل منهم ما أسرع ما يملون. وقال إبراهيم**) بن يزيد بن شريك (**التيمي**) الكوفي العباد: (**المؤمن إذا أراد أن يتكلم نظر فإن كان**) كلامه (**له تكلم وإلاّ**) أي وإن لم يكن له بل عليه (**أمسك**) عنه، (**والفاجر إنما لسانه رسلاً رسلاً**) أي كثيراً يتبع بعضه بعضاً أخرجه ابن أبي الدنيا فقال: حدثني علي بن أبي مريم، عن عثمان بن زفر التيمي، حدثنا محمد بن عبد العزيز التيمي قال: ذكر الحسن عن إبراهيم التيمي قال: المؤمن إذا أراد أن يتكلم نظر فإن كان كلامه له تكلم، وإن كان عليه أمسك عنه والفاجر إنما كلامه رسلاً رسلاً.

(**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالى: (**من كثر كلامه كثر كذبه، ومن كثر ماله كثرت ذنوبه، ومن ساء خلقه عذب نفسه**) أخرجه ابن أبي الدنيا عن حمزة بن العباس، أخبرنا عبدان، أخبرنا عبد الله، أخبرنا وهيب، عن هشام، عن الحسن فساقه إلا أنه قدم الجملة الثانية على الأولى. (**وقال عمرو بن دينار**) المكي التابعي ثقة: (**تكلم رجل عند رسول الله ﷺ فاكثر فقال له ﷺ «كم دون لسانك من باب» فقال: شفتاي وأسناني. قال «أفما كان لك في ذلك ما يرد كلامك»**) هكذا رواه ابن أبي الدنيا مرسلاً فقال: حدثني إسماعيل بن أبي الحرث، حدثنا محمد بن مقاتل، حدثنا ابن المبارك، عن نافع بن عمر عن عمرو بن دينار قال: تكلم رجال فساقه. قال العراقي: ورجاله ثقات.

(**وفي رواية أنه قال ذلك في رجل أثنى عليه فاستخفر في الكلام**) أي بالغ وأطال. ولفظ ابن أبي الدنيا في الصمت: وبلغني عن ابن عائشة عن عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي عثمان قال: أثنى رجل على النبي ﷺ فاستخفر في الثناء فقال: «كم بيننا وبين لسانك من حجاب» قال: شفتاي

فضل في لسانه. وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه: إنه ليمنعني من كثير من الكلام خوف المباهاة. وقال بعض الحكماء: إذا كان الرجل في مجلس فأعجبه الحديث فليسكت وإن كان ساكتاً فاعجبه السكوت فليتكلم. وقال يزيد بن أبي حبيب: من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع، فإن وجد من يكفيه فإن في الاستماع سلامة وفي الكلام تزيين وزيادة ونقصان. وقال ابن عمر: إن أحق ما طهر الرجل لسانه. ورأى أبو الدرداء امرأة سليطة فقال: لو كانت هذه خرساء كان خيراً لها. وقال إبراهيم: يهلك

وأسناني. قال: «أما كان فيها ما يرد فضل قولك عنا منذ اليوم»؟ (**ثم قال: «ما أوتي رجل شراً من فضل في لسان»**) وروى الديلمي من حديث ابن عباس «ما أعطى عبد شراً من طلاقة لسانه».

(**وقال عمر بن عبد العزيز**) رحمه الله تعالى: (**أنه ليمنعني من كثير من الكلام خوف المباهاة**) أخرجه ابن أبي الدنيا عن حمزة بن العباس، أخبرنا عبدان، أخبرنا عبد الله، أخبرنا حماد ابن سلمة، عن رجاء أبي المقدام، عن نعيم كاتب عمر بن عبد العزيز قال: قال عمر بن عبد العزيز فساقه.

(**وقال بعض الحكماء: إذا كان الرجل في مجلس فأعجبه الحديث فليسكت وإن كان ساكتاً فأعجبه السكوت فليتكلم**). أخرجه ابن أبي الدنيا عن حمزة بن العباس، أخبرنا عبدان ابن عثمان، أخبرنا عبد الله، أخبرنا رشيدين بن سعد، حدثنا الحجاج بن شداد أنه سمع عبيد الله ابن أبي جعفر، وكان أحد الحكماء يقول في بعض قوله: إذا كان المرء يحدث في المجلس فأعجبه الحديث فليسكت وإن كان ساكتاً فأعجبه السكوت فليحدث.

(**وقال يزيد بن أبي حبيب**) المصري أبو رجاء واسم أبيه سويد ثقة فقيه روى له الجماعة: (**من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع فإن وجد من يكفيه فإن في الاستماع سلامة وفي الكلام تزين وزيادة ونقصان**). أخرجه ابن أبي الدنيا عن حمزة بن العباس، أخبرنا عبدان، أخبرنا عبد الله قال: أخبرني رجل من أهل الشام عن يزيد بن أبي حبيب قال: من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع وإن وجد من يكفيه فإن في الاستماع سلامة وزيادة في العلم، والمستمع شريك المتكلم في الكلام إلا من عصم الله، وفي الكلام ترفق وتزين وزيادة ونقصان.

(**وقال ابن عمر**) رضي الله عنه: (**إن أحق ما طهر الرجل لسانه**) أخرجه ابن أبي الدنيا عن إسماعيل بن إسحاق حدثنا أبو أسامة عن سفيان الثوري عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر فساقه.

(**ورأى أبو الدرداء**) رضي الله عنه (**امرأة سليطة**) اللسان (**فقال لو كانت هذه**

الناس خلتان: فضول المال وفضول الكلام، فهذه مذمة فضول الكلام وكثرته وسببه الباعث عليه وعلاجه ما سبق في الكلام فيما لا يعني.

الآفة الثالثة: الخوض في الباطل:

وهو الكلام في المعاصي كحكاية أحوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الأغنياء وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة وأحوالهم المكروهة، فإن كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه وهو حرام. وأما الكلام فيما لا يعني أو أكثر مما يعني فهو ترك الأولى ولا تحريم فيه. نعم من يكثر الكلام فيما لا يعني لا يؤمن عليه الخوض في الباطل وأكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث، ولا يعدو كلامهم التفكه بأعراض الناس أو الخوض في الباطل وأنواع الباطل لا يمكن حصرها لكثرتها وتفننها، فلذلك لا مخلص منها إلا بالاقتصار على ما يعني من مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجنس تقع كلمات يهلك بها

خرساء كان خيراً لها). أخرجه ابن أبي الدنيا عن الفضل بن يعقوب، حدثنا سعيد بن مسلمة، حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال: رأى أبو الدرداء امرأة فساقه.

(وقال إبراهيم) يعني النخعي **(يهلك الناس خلتان فضول المال وفضول الكلام)** أخرجه ابن أبي الدنيا عن محمد بن عبد الملك، حدثنا حجاج بن منهال، عن حماد بن سلمة، عن حماد، عن إبراهيم قال: يهلك الناس في خلتين: فضول المال وفضول الكلام. **(فهذه مذمة فضول الكلام وكثرته وسببه الباعث عليه وعلاجه ما سبق في الكلام فيما لا يعني)** والله الموفق.

الآفة الثالثة الخوض في الباطل:

(وهو الكلام في المعاصي كحكاية أحوال النساء) مما يتعلق بهن كان يقول: قالت لي كذا وقلت لها كذا وفعلت كذا وما أشبه ذلك، **(ومجالس الخمر)** مما يجري فيها من العربدة، **(ومقامات الفساق)** وما يجري فيها من المخزيات **(وتنعم الأغنياء)** بمتاع الدنيا **(وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة وأحوالهم المكروهة)** المخالفة للشرع والعرف؛ **(فإن ذلك مما لا يحل الخوض فيه وهو حرام، وأما الكلام فيما لا يعني أو أكثر مما يعني فهو ترك الأولى)** لأنه مباح، **(ولا تحريم فيه. نعم من يكثر الكلام فيما لا يعني لا يؤمن عليه الخوض في الباطل)** لأنه يستجر إليه وهو لا يدري، **(وأكثر الناس)** إذا تأملت إنما **(يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو)** أي لا يجاوز **(كلامهم التفكه بأعراض الناس)** والتمضمض بها، **(أو الخوض في الباطل وأنواع الباطل لا يمكن حصرها)** وضبطها **(لكثرتها وتفننها)** أي تنوّعها، **(فلذلك لا مخلص منها إلا بالاقتصار على ما يعني من مهمات الدين والدنيا)** فقط. **(وفي هذا الجنس تقع كلمات يهلك بها صاحبها وهو)** لا يدري إذ هو **(مستحقر بها)** غير

صاحبها وهو يستحقرها فقد قال بلال بن الحرث، قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليها بها سخطه إلى يوم القيامة». وكان علقمة يقول: كم من كلام منعنيه

مبال بها ويحسبه هينا وهو عند الله عظيم. (**فقد قال بلال بن الحرث**) بن عاصم أبو عبد الرحمن المزني رضي الله عنه، قدم سنة خمس في وفد مزينة، وكان ينزل الأسعر والأجرد وراء المدينة، وأقطعه رسول الله ﷺ العقيق، وشهد فتح مصر، مات سنة ستين، وله ثمانون سنة. روى عنه ابنه الحرث. روى له أصحاب السنن، (**قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى**) أي مما يرضيه (**ما يظن أن تبلغ ما بلغت**) من رضا الله بها عنه (**يكتب الله**) وفي رواية: فيكتب الله له (**بها رضوانه إلى يوم القيامة**) أي بقية عمره وحتى يلقاه يوم القيامة فيقبض على الإسلام ولا يعذب في قبره ولا يهان في حشره، (**وأن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله**) أي مما يسخطه ويغضبه (**ما يظن أن تبلغ ما بلغت**) من سخط الله (**يكتب**) وفي رواية: فيكتب (**الله**) عليه بها (**سخطه إلى يوم القيامة»**) بأن يختم له بالشقاوة ويصير معذباً في قبره مهاناً في حشره حتى يلقاه يوم القيامة، فمورده النار وبئس الورد المورود.

قال الطيبي: معنى كتبه رضوانه توفيقه لما يرضى الله من الطاعات والمسارعة في الخيرات، فيعيش في الدنيا حميداً، وفي البرزخ يصان من عذاب القبر ويفسح له في قبره ويقال له: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، ويحشر يوم القيامة سعيداً ويظله الله في ظله، ثم يلقى بعد ذلك من الكرامات والنعيم المقيم في الجنة ثم يفوز بلقاء الله تعالى، وعكسه قوله: وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله. قال العراقي: رواه ابن ماجه والترمذي وقال: حسن صحيح اهـ.

قلت: ورواه كذلك أحمد والنسائي وابن حبان والحاكم. وقال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثنا علي بن الجعد، أخبرنا أبو معاوية، عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبيه، عن جده علقمة ابن وقاص، عن بلال بن الحرث المزني، عن النبي ﷺ قال فساقه. (**ثم قال: وكان علقمة**) بن وقاص بن محصن بن كلدة بن عبد ياليل بن طريف بن عتوارة بن مالك بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانه الليثي العتواري المدني. قال النسائي: ثقة. وقال ابن سعد: كان ثقة قليل الحديث، وله دار في المدينة في بني ليث وله بها عقب. وقال المزي: أخطأ من زعم أن له صحبة، ولد في عهد النبي ﷺ، ومات في خلافة عبد الملك روى له الجماعة. (**ويقول: كم من كلام منعنيه حديث بلال بن الحرث**) وأصل ذلك أن علقمة مرَّ برجل من أهل المدينة له شرف وهو جالس بسوق المدينة فقال علقمة: يا فلان. إن لك حرمة وإن لك حقاً وإني رأيتك تدخل على هؤلاء الأمراء فتتكلم عندهم، وإني سمعت بلال بن الحرث يقول فذكره، ثم قال علقمة: أنظر ويحك ما تقول وما تتكلم به، فرب كلام قد منعنيه ما سمعت من بلال.

حديث بلال بن الحرث، وقال النبي ﷺ: « إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها أبعد من الثريا ». وقال أبو هريرة إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالاً يرفعه الله بها في أعلى الجنة. وقال ﷺ: « أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضاً في الباطل » وإليه

(وقال ﷺ « أن الرجل ليتكلم بالكلمة) الواحدة لأجل أن **(يضحك بها جلساءه يهوي)** أي يسقط **(بها)** أي بسببها **(أبعد من الثريا »)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسند حسن، وللشيخين والترمذي « إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً في النار » لفظ الترمذي وقال: حسن غريب اهـ.

قلت: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا الحسن بن عيسى، أنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا الزبير بن سعيد عن صفوان بن سليم، عن عطاء، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ فساقه وفيه « يضحك منها » والباقي سواء. وقال أيضاً: حدثنا العباس العنبري، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا جرير بن حازم، سمعت الحسن يحدث عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال « إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يرى أن تبلغ حيث بلغت ترديه في النار أربعين خريفاً » وأما حديث الترمذي فرواه أيضاً ابن ماجه والحاكم، وعند أحمد من حديث أبي سعيد الخدري « إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً ليضحك بها القوم وإنه ليقع بها أبعد من السماء ».

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه. **(إن الرجل ليتكلم بالكلمة)** الواحدة **(ما يلقى بها بالاً)** أي لا يعبأ بها بل يستحقرها **(يرفعه الله بها في أعلى الجنة)** أخرجه ابن أبي الدنيا عن حمزة بن العباس، أخبرنا عبدان بن عثمان، أخبرنا عبد الله، أنا مالك بن أنس، عن عبد الله بن دينار، عن أبي صالح عن أبي هريرة. قال: إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى لها بالاً يهوي بها في جهنم، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى بها بالاً يرفعه الله بها في أعلى الجنة. هكذا رواه موقوفاً عن أبي هريرة، والجملة الأولى منه موصولة عند الترمذي، وابن ماجه والحاكم بلفظ « يهوي بها سبعين خريفاً في النار » كما تقدم.

(وقال ﷺ: « أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضاً في الباطل ») قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا من حديث قتادة مرسلاً ورجاله ثقات. ورواه الطبراني موقوفاً على ابن مسعود بسند صحيح اهـ.

قلت: قال ابن أبي الدنيا، حدثنا علي بن الجعد، أخبرنا أبو جعفر الرازي، عن قتادة قال: قال رسول الله ﷺ: « إن أعظم الناس خطايا فساقه. وأما موقوف ابن مسعود فقال ابن أبي الدنيا، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن صالح بن خباب، عن حصين بن عقبة قال: قال عبد الله: إن أكثر الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضاً في الباطل.

الإشارة بقوله تعالى: ﴿وكنا نخوض مع الخائضين﴾ [المدثر: ٤٥] وبقوله تعالى: ﴿فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم﴾ [النساء: ١٤٠] وقال سلمان: أكثر الناس ذنوباً يوم القيامة أكثرهم كلاماً في معصية الله وقال ابن سيرين: كان رجل من الأنصار يمر بمجلس لهم فيقول لهم: توضأوا فإن بعض ما تقولون شر من الحدث، فهذا هو الخوض في الباطل وهو وراء ما سيأتي من الغيبة والنميمة والفحش وغيرها، بل هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها أو تدبر للتوصل إليها من غير حاجة دينية إلى ذكرها، ويدخل فيه أيضاً الخوض في حكاية البدع والمذاهب الفاسدة وحكاية ما جرى من قتال الصحابة على وجه يوهم الطعن في بعضهم، وكل ذلك باطل والخوض فيه خوض في الباطل نسأل الله حسن العون بلطفه وكرمه.

الآفة الرابعة: المراء والجدال:

وذلك منهي عنه قال ﷺ: « لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعداً فتخلفه »

(وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وكنا نخوض مع الخائضين﴾ [المدثر: ٤٥] وبقوله تعالى: ﴿فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم﴾ وقال سلمان) الفارسي رضي الله عنه: (أكثر الناس ذنوباً يوم القيامة أكثرهم كلاماً في معصية الله تعالى) أخرجه ابن أبي الدنيا عن إسحاق بن إسماعيل، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن شمر بن عطية قال: قال سلمان فساقه (وقال محمد بن سيرين) رحمه الله تعالى: (كان رجل من الأنصار يمر بمجلس لهم فيقول توضأوا فإن بعض ما تقولون شر من الحدث) أخرجه ابن أبي الدنيا عن الحسن بن الصباح، حدثنا شعيب بن حرب، عن يزيد بن إبراهيم، عن محمد بن سيرين قال: كان رجل فذكره. وقال أيضا: حدثني الحسن بن الصباح، حدثنا شعيب بن حرب، عن إسرائيل، عن منصور، عن إبراهيم قال: الوضوء من الحدث وأذى المسلم. (فهذا هو الخوض في الباطل وهو وراء ما سيأتي من الغيبة والنميمة والفحش وغيره، بل هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها أو تدبر للتوصل إليها من غير حاجة بينة إلى ذكرها ويدخل فيه أيضاً الخوض في حكاية البدع) والأهواء المختلفة (والمذاهب الفاسدة، وحكاية ما جرى من قتال الصحابة) مع بعضهم (على وجه يوهم الطعن في بعضهم) والغض عن منصبهم، (وذلك باطل والخوض فيه خوض في الباطل) وفي بعض النسخ وكل ذلك باطل والحديث فيه خوض في باطل.

الآفة الرابعة المراء والجدال:

(وذلك منهي عنه. قال ﷺ: « لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعداً فتخلفه ») قال العراقي: رواه الترمذي من حديث ابن عباس وقد تقدم اهـ.

وقال عليه السلام: « ذروا المراء فإنه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته ». وقال ﷺ: « من ترك المراء وهو محق بني له بيت في أعلى الجنة، ومن ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة ». وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « إن أول ما عهد إليّ ربي ونهاني عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال ». وقال أيضاً: « ما ضل قوم بعد أن هداهم الله إلا أوتوا الجدل ». وقال أيضاً: « لا يستكمل عبد

قلت: وقال الترمذي غريب. وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا ابن أبي شيبة قاسم، حدثنا المحاربي، عن ليث، عن عبد الملك، عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ فذكره.

(وقال ﷺ: « ذروا المراء) أي اتركوه (فإنه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته ») قال العراقي: رواه الطبراني من حديث الدرداء رضي الله عنه، وأبي أمامة، وأنس بن مالك، وواثلة بن الأسقع بسند ضعيف دون قوله: « لا تفهم حكمته » ورواه بهذه الزيادة ابن أبي الدنيا موقوفاً على ابن مسعود، وفيه من لم يسم اهـ.

قلت: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن إسحاق الباهلي، حدثنا سفيان قال: حدثني رجل صالح قال: قال ابن مسعود: « المراء لا تعقل حكمته ولا تؤمن فتنتة ».

(وقال ﷺ: « من ترك المراء وهو محق بني له بيت في أعلى الجنة، ومن ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة ») تقدم في كتاب العلم. وأخرج ابن أبي الدنيا عن هارون ابن معروف أنه كان مع رسول الله ﷺ فقال: « وجبت وجبت »، فقال أصحابه: ما هذا الذي قلت يا رسول الله؟ قال: « من ترك المراء وهو محق بني له في ربض الجنة، ومن ترك الكذب بني له في ربض الجنة، ومن حسن خلقه بني له في ربض الجنة ». وقد صحح أحمد بن صالح هذا الحديث، واثبت لمالك بن أوس رواية. والمشهور أن له رؤية فقط. وقال ابن خزيمة في القلب من سلمة بن وردان شيء. ورواه ابن منده في معجم الصحابة إلا أنه قال مالك بن أوس بن الحدثان عن أبيه، ورواه الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أنس.

(وعن أم سلمة) أم المؤمنين (رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « إن أول ما عهد إليّ ربي ونهاني عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال ») قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت، والطبراني، والبيهقي بسند ضعيف. وقد رواه أبو داود في المراسيل من حديث عروة بن رويم اهـ.

قلت: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا نصر بن علي الجهضمي، أخبرني أبي عن يحي بن المتوكل، عن إسماعيل بن رافع، عن ابن أم سلمة، عن أم سلمة قالت: فساقه.

(وقال) ﷺ (أيضاً « ما ضل قوم إلا أوتوا الجدل») قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي أمامة وصححه وزاد فيه بعد هدى كانوا عليه وتقدم في العلم، وهو عند ابن أبي الدنيا دون هذه الزيادة كما ذكر المصنف اهـ.

حقيقة الإيمان حتى يدع المراء وإن كان محقاً. وقال أيضاً: « ست من كن فيه بلغ حقيقة الإيمان: الصيام في الصيف، وضرب أعداء الله بالسيف، وتعجيل الصلاة في يوم الدجن، والصبر على المصيبات وإسباغ الوضوء على المكاره، وترك المراء وهو صادق ». وقال

قلت: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا بشر بن معاذ، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق، حدثنا الحجاج بن دينار، عن أبي غالب، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل » ثم قرأ ﴿ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون﴾ [الزخرف: ٥٨].

(**وقال**) ﷺ عليه وسلم (**أيضاً** « **ست**) خصال (**من كن فيه بلغ حقيقة الإيمان الصيام في الصيف**) يعني في الحر الشديد (**وضرب أعداء الله بالسيف**) أي قتال الكفار بالسلاح وخص السيف لأنه أعمها استعمالاً (**والتعجيل في الصلاة**) في (**يوم الدجن**) أي الغيم والمطر الكثير (**والصبر على المصيبات**) عند الصدمة الأولى (**وإسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو صادق** ») قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي مالك الأشعري بسند ضعيف بلفظ: « ست خصال من الخير » الحديث اهـ.

قلت: الديلمي إنما رواه من حديث أبي سعيد بلفظ: « ست من كن فيه كان مؤمناً حقاً اسباغ الوضوء والمبادرة إلى الصلاة في يوم دجن وكثرة الصوم في شدة الحر وقتل الأعداء بالسيف والصبر على المصيبة وترك المراء وإن كنت محقاً » وفي سنده إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة وهو متروك واهٍ، وقد رواه ابن نصر أيضاً بهذا السند.

وأما حديث أبي مالك الأشعري فقد أخرجه البيهقي بلفظ: « ست خصال من الخير جهاد أعداء الله بالسيف والصوم في يوم الصيف وحسن الصبر عند المصيبة وترك المراء وأنت محق وحسن الوضوء في أيام الشتاء » رواه من طريق يحيى بن أبي طالب، عن الحرث الواسطي، عن بحر بن كنيز، عن يحيى بن أبي كثير، عن زيد بن سلام، عن أبي سلام، عن أبي مالك الأشعري، ثم قال: بحر بن كنيز السقاء ضعيف.

(**وقال**) ﷺ (**أيضاً: « لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يذر المراء وإن كان محقاً** ») قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسند ضعيف وهو عند أحمد بلفظ: « لا يؤمن العبد حتى يترك الكذب في المزاحة والمراء وإن كان صادقاً » اهـ.

قلت: قال ابن أبي الدنيا في الصمت، حدثنا سعيد بن سليمان الواسطي، عن عباد بن العوام، عن عبد الله بن سعيد، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء وإن كان محقاً، ويدع كثيراً من الحديث مخافة الكذب » وقد أخرجه كذلك في كتاب ذم الغيبة له. وأما حديث أحمد فقد أخرجه أيضاً الطبراني في الأوسط بلفظ: « لا يؤمن عبد الإيمان كله » والباقي سواء.

الزبير لابنه: لا تجادل الناس بالقرآن فإنك لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنّة. وقال عمر ابن عبد العزيز رحمة الله عليه: من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل. وقال مسلم ابن يسار: إياكم والمراء فإنه ساعة جهل العالم وعندها يبتغي الشيطان زلته. وقيل: ما ضل قوم بعد إذ هداهم الله إلا بالجدال. وقال مالك بن أنس رحمة الله عليه: ليس هذا الجدال من الدين في شيء. وقال أيضاً: المراء يقسي القلوب ويورث الضغائن. وقال لقمان لابنه: يا بني لا تجادل العلماء فيمقتوك. وقال بلال بن سعد: إذا رأيت الرجل لجوجاً ممارياً معجباً برأيه فقد تمت خسارته. وقال سفيان: لو خالفت أخي في رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسعى بي إلى السلطان. وقال أيضاً: صاف من شئت ثم أغضبه بالمراء

(**وقال الزبير**) بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي بن كلاب أبو عبد الله القرشي الأسدي أحد العشرة المشهود لهم بالجنة. قتل سنة ست وثلاثين بعد منصرفه من وقعة الجمل. روى له الجماعة: (**لابنه**) عبد الله بن الزبير كان أول مولود بالإسلام بالمدينة من المهاجرين، وولي الخلافة تسع سنين إلى أن قتل في ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين (**لا تجادل الناس بالقرآن فإنك لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنة**) فجادلهم بها.

(**وقال عمر بن عبد العزيز**) رحمه الله تعالى: (**من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل**) أخرجه ابن أبي الدنيا عن إسحاق بن إبراهيم، حدثنا حماد بن زيد، عن يحيى بن سعيد قال: قال عمر بن عبد العزيز فذكره.

(**وقال مسلم بن يسار**) المصري أبو عثمان الطبنذي، مولى الأنصار، روى له البخاري في الأدب المفرد، وأبو داود والترمذي وابن ماجه: (**إياكم والمراء فإنه ساعة جهل العالم وعندها يبتغي الشيطان زلته**) أخرجه ابن أبي الدينا عن خالد بن خداش، حدثنا حماد بن زيد، عن محمد ابن واسع قال: كان مسلم بن يسار يقول فذكره، وزاد فقال: قال حماد قال لنا محمد: هذا الجدال هذا الجدال.

(**وقيل ما ضل قوم بعد إذ هداهم الله إلا بالجدال**) رواه أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه مرفوعاً وقد ذكر قريباً. (**وقال مالك بن أنس**) رحمه الله: (**ليس هذا الجدال من الدين في شيء، وقال أيضاً: المراء يقسي القلب ويورث الضغائن**) أي الأحقاد. (**وقال لقمان لابنه: لا تجادل العلماء فيمقتوك**) والمقت أشد الغضب، (**وقال بلال بن سعد**) بن تميم الأشعري أبو عمرو الدمشقي ثقة عابد فاضل مات في خلافة هشام: (**إذا رأيت الرجل لجوجاً**) كثير اللجاج في الكلام (**ممارياً معجباً برأيه فقد تمت خسارته**) أخرجه أبو نعيم في الحلية. (**وقال سفيان**) الثوري رحمه الله تعالى: (**لو خالفت أخي في رمانة فقال هي حلوة وقلت**) بل هي (**حامضة لسعى بي إلى السلطان**) أخرجه أبو نعيم في الحلية. (**وقال أيضاً صاف من شئت ثم أغضبه**)

فليرمينك بداهية تمنعك العيش. وقال ابن أبي ليلى: لا أماري صاحبي فإما أن أكذبه وإما أن أغضبه. وقال أبو الدرداء: كفى بك إثماً أن لا تزال ممارياً. وقال ﷺ: «تكفير كل لحاء ركعتان». وقال عمر رضي الله عنه: لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث. لا تتعلمه لتماري به ولا لتباهي به ولا لترائي به. ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضا بالجهل منه. وقال عيسى عليه السلام: من كثر كذبه ذهب جماله، ومن لاحى الرجل سقطت مروءته، ومن كثر همه سقم جسمه، ومن ساء خلقه عذب نفسه، وقيل لميمون بن مهران: مالك لا تترك أخاك عن قلى؟ قال: لأني لا أشاريه ولا أماريه. وما ورد في ذم المراء والجدال أكثر من أن يحصي.

مرة (**بالمراء فليرمينك بداهية تمنعك العيش**) أي المعيشة. أخرجه أبو نعيم في الحلية. (**وقال ابن أبي ليلى**) عبد الرحمن الأنصاري المدني ثم الكوفي، مات بوقعة الجماجم سنة ثلاث وثمانين: (**لا أماري صاحبي فإما أن أكذبه وإما أن أغضبه**) أخرجه ابن أبي الدنيا عن علي بن الجعد، أخبرنا شعبة عن الحكم قال: قال عبد الرحمن بن أبي ليلى فذكره. ووقع في نسخة الصمت، وإما أن أبغضه (**وقال أبو الدرداء**) رضي الله عنه: (**كفى بك إثماً أن لا تزال ممارياً**) أخرجه ابن أبي الدنيا عن إسحاق بن إسماعيل حدثنا جرير، عن برد، عن سليمان بن موسى قال: قال أبو الدرداء فذكره.

(**وقال ﷺ: «يكفر كل لحاء ركعتان»**) واللحاء الملاحاة وهي الملاجة والمماراة. قال العراقي: رواه الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف.

(**وقال عمر رضي الله عنه: لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث لا تتعلمه لتماري به ولا لتباهي به ولا لترائي به ولا تتركه حياء عن طلبه ولا زهادة فيه ولا رضا بالجهل عنه**). أخرجه ابن أبي الدنيا عن أبي سلمة يحيى بن المغيرة المخزومي، حدثني أخي محمد بن المغيرة، عن عبيد الله بن الحرث الجمحي، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب قال: لا يتعلم العلم لثلاث ولا يترك لثلاث فذكره.

(**وقال عيسى عليه السلام: من كثر كذبه ذهب جماله، ومن لاحى الرجال سقطت مروءته، ومن كثر همه سقم جسمه، ومن ساء خلقه عذب نفسه**). أخرجه ابن أبي الدنيا، عن القاسم بن هاشم، حدثنا حماد بن مالك الدمشقي، حدثنا عبد العزيز بن حصين قال: بلغني أن عيسى ابن مريم عليه السلام قال: فذكره.

(**وقيل لميمون بن مهران**) الجزري العابد الثقة كاتب عمر بن عبد العزيز: (**مالك لا يفارقك أخوك عن قلى؟ قال: لأني لا أشاريه ولا أماريه**) والمشاراة المخاصمة. أخرجه ابن أبي الدنيا عن إبراهيم بن سعيد، حدثنا موسى بن أيوب، حدثنا ابن بشير، عن علي بن بذيمة. قال:

وحدّ المراء هو كل اعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه إما في اللفظ وإما في المعنى وإما في قصد المتكلم وترك المراء بترك الإنكار والاعتراض، فكل كلام سمعته فإن كان حقاً فصدق به وإن كان باطلاً أو كذباً ولم يكن متعلقاً بأمور الدين فاسكت عنه.

والطعن في كلام الغير تارة يكون في لفظه بإظهار خلل فيه من جهة النحو أو من جهة اللغة أو من جهة العربية أو من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم أو تأخير، وذلك يكون تارة من قصور المعرفة وتارة يكون بطغيان اللسان، وكيف ما كان فلا وجه لإظهار خلله. وأما في المعنى: فبأن يقول ليس كما تقول، وقد أخطأت فيه من وجه كذا وكذا.

قيل لميمون بن مهران مالك لا يفارقك أخ لك عن قلى فذكره. وأخرجه الطبراني من طريق أبي جعفر النفيلي، وأبو نعيم في الحلية من طريق علي بن حجر كلاهما عن غياث بن بشير به. (**وما ورد في ذم المراء والجدال كثير**) فمن ذلك ما رواه كعب بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من طلب العلم ليجادل به العلماء أو يماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار » رواه الترمذي وضعفه، وابن أبي الدنيا والطبراني وعن حريث بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تجار أخاك ولا تشاره ولا تماره » أخرجه ابن أبي الدنيا. وقال مجاهد: لا تمار أخاك ولا تفاكهه يعني المزاح. وقال لقمان لابنه: يا بني لا تعلم العلم تباهي به العلماء أو تماري به السفهاء أو ترائي به في المجالس. وقال محمد بن واسع: رأيت صفوان ابن محرز في المسجد وقريباً منه ناس يتجادلون فرأيته قام فنفض ثيابه وقال: إنما أنتم حرب، وسمع الربيع بن خثيم رجلاً يلاحي رجلاً فقال مه لا تلفظ إلا بخير ولا تقل لأخيك إلا ما تحب أن تسمعه من غيرك فإن العبد مسؤول عن لفظه محصي عليه ذلك كله أحصاه الله تعالى. وقال إبراهيم ابن مهاجر: سمعت عمر بن عبد العزيز يقول: إذا سمعت المراء فاقصر. (**وحد المراء كل اعتراض في كلام الغير بإظهار خلل فيه**) وركاكة ونقص (**إما في اللفظ**) المسوق (**وإما في المعنى**) المفهوم من ذلك اللفظ، (**وإما في قصد المتكلم**) فيقول: اللفظ والمعنى صحيحان ولكن قصدك غير صحيح، (**وترك المراء بترك الإنكار والإعتراض فكل كلام سمعته فإن كان حقاً فصدق به، وإن كان باطلاً أو كذباً ولم يكن متعلقاً بأمور الدين فاسكت عنه**) ولا تخض فيه، (**والطعن في كلام الغير تارة يكون في لفظ بإظهار خلل فيه من جهة النحو**) بأن يكون التركيب مخالفاً الأقوال النحاة، (**أو من جهة اللغة**) بأن يكون اللفظ المسوق غير مستعمل عند أهلها، (**أو من جهة العربية، أو من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم، أو تأخير، وذلك يكون تارة من قصور المعرفة**) أي تكون معرفة صاحب ذلك الكلام قاصرة، (**وتارة يكون بطغيان اللسان**) وتارة يكون بطغيان القلم وكل ذلك من عوائد البشر، (**وكيفما كان فلا وجه لإظهار خلله. وأما في المعنى فبأن يقول: ليس كما تقول وقد أخطأت فيه**

وأما في قصده فمثل أن يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق، وإنما أنت فيه صاحب غرض وما يجري مجراه. وهذا الجنس إن جرى في مسألة علمية ربما خص باسم الجدل وهو أيضاً مذموم بل الواجب السكوت أو السؤال في معرض الاستفادة لا على وجه العناد والنكادة أو التلطف في التعريف لا في معرض الطعن.

وأما المجادلة فعبارة عن قصد افحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته إلى القصور والجهل فيه وآية ذلك أن يكون تنبيهه للحق من جهة أخرى مكروهة عند المجادل بحيث أن يكون هو المظهر له خطاه ليبين به فضل نفسه ونقص صاحبه ولا نجاة هذا إلا بالسكوت عن كل ما لا يأثم به لو سكت عنه.

وأما الباعث على هذا فهو الترفع بإظهار العلم والفضل والتهجم على الغير بإظهار نقصه، وهما شهوتان باطنتان للنفس قويتان لها أما إظهار الفضل فهو من قبل تزكية النفس وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهي من صفات الربوبية، وأما تنقيص الآخر فهو من مقتضى طبع السبعية فإنه يقتضي أن يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه. وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وإنما قوّتها المراء والجدال. فالمواظب على المراء والجدال مقوّ لهذه الصفات المهلكة وهذا مجاوز حدّ

من وجه كذ وكذ، وأما في قصده فمثل أن يقول: هذا الكلام حق ولكن ليس في قصدك منه الحق إنما أنت فيه صاحب غرض وما يجري مجراه) مع المتناظرين، (وهذا الجنس إن جرى في مسألة علمية ربما خص باسم الجدل) وقد صنفت فيه كتب (وهو أيضاً مذموم بل الواجب السكوت أو السؤال في معرض الاستفادة لا على صفة العناد والنكارة أو التلطف في التعريض لا في معرض الطعن، وأما المجادلة فعبارة عن قصد إفحام الغير) وإسكاته (وتعجيزه وتنقيصه بقدح في كلامه ونسبته إلى القصور والجهل فيه، وآية ذلك أن يكون تنبيهه من جهة أخرى مكروهاً عند المجادل بحيث أن يكون هو المظهر له خطأه ليبين به فضل نفسه ونقص صاحبه ولا نجاة من هذا إلا بالسكوت عن كل ما لا يأثم به لو سكت عنه، وأما الباعث على هذا فهو الترفع بإظهار العلم والفضل) لنفسه (والتهجم على الغير بإظهار نقصه، وهما شهوتان باطنتان للنفس قويتان لها اما إظهار الفضل فهو من قبيل تزكية النفس وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهي من صفات الربوبية، وأما تنقيص الآخر فهو من مقتضى) الصفة (السبعية فإنه يقتضي أن يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه، وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان، وإنما قوتها المراء والجدال، فالمواظب على المراء والجدال مقو لهذه الصفات المهلكة وهذا مجاوز حدّ

الكراهة بل هو معصية مهما حصل فيه إيذاء الغير، ولا تنفك المماراة عن الإيذاء وتهييج الغضب وحمل المعترض عليه على أن يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق أو باطل ويقدح في قائله بكل ما يتصوّر له فيثور الشجار بين المتماريين كما يثور الهراش بين الكلبين يقصد كل واحد منهما أن يعض صاحبه بما هو أعظم نكاية وأقوى في إفحامه وإلجامه.

وأما علاجه: فهو بأن يكسر الكبر الباعث على إظهار فضله والسبعية الباعثة له على تنقيص غيره كما سيأتي ذلك في كتاب ذم الكبر والعجب، وكتاب ذم الغضب فإن علاج كل علة بإماطة سببها وسبب المراء والجدال ما ذكرناه ثم المواظبة عليه تجعله عادة وطبعاً حتى يتمكن من النفس ويعسر الصبر عنه.

روي أن أبا حنيفة رحمة الله عليه قال لداود الطائي: لم آثرت الانزواء؟ قال: «لأجاهد نفسي بترك الجدال فقال احضر المجالس واستمع ما يقال ولا تتكلم. قال: ففعلت ذلك فما رأيت مجاهدة أشد علي منها ـ وهو كما قال ـ لأن من سمع الخطأ من

الكراهة بل هو معصية مهما حصل فيه إيذاء للغير، فلا تنفك المماراة عن الإيذاء وتهييج الغضب) وإثارته **(وحمل المعترض عليه على أن يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق أو باطل ويقدح في قائله بكل ما يتصور له فيثور الشجار)** أي المخاصمة **(بين المتماريين كما يثور الهراش)** أي المهارشة **(بين الكلبين يقصد كل واحد منهما أن يعض صاحبه بما هو أعظم نكاية وأقوى في افحامه.**

وأما علاجه فهو ان يكسر الكبر الباعث له على اظهار فضله) وترفعه على الغير **(والسبعية الباعثة على تنقيص غيره كما سيأتي ذلك في كتاب ذم الكبر والعجب وكتاب الغضب، فإن علاج كل علة بإماطة سببها وسبب المراء ما ذكرناه، ثم المواظبة عليه تجعل عادة)** مألوفة **(وطبعاً)** ملازماً **(حتى يتمكن من النفس ويعسر الصبر عنه).**

(روي أن أبا حنيفة) الإمام **(رحمه الله تعالى قال لداود بن نصير الطائي)** رحمه الله تعالى وكان يحضر حلقته ثم ترك: **(لم آثرت الانزواء؟ قال: لأجادل نفسي)** بترك **(الجدال. قال: احضر المجالس واستمع ما يقال ولا تتكلم. قال: ففعلت ذلك فما رأيت مجاهدة أشد علي منه)** أخرجه القشيري في الرسالة.

وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق سفيان بن عيينة قال: كان داود يجالس أبا حنيفة فحدث يوماً إنساناً فقال له أبو حنيفة: يا أبا سليمان طال يدك وطال لسانك. قال: وكان يختلف ولا يتكلم.

ومن طريق أحمد بن أبي الحواري، حدثني بعض أصحابنا أن داود الطائي كان يجالس أبا حنيفة فقال له: يا أبا سليمان إما الأداة فقد أحكمناها. فقال له داود فأي شيء بقي؟ فقال: بقي

غيره وهو قادر على كشفه تعسر عليه عند ذلك جداً، ولذلك قال ﷺ: « من ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتاً في أعلى الجنة » لشدة ذلك على النفس، وأكثر ما يغلب ذلك في المذاهب والعقائد فإن المراء طبع فإذا ظن أن له عليه ثواباً اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع عليه ذلك خطأ محض، بل ينبغي للإنسان أن يكف لسانه عن أهل القبلة، وإذا رأى مبتدعاً تلطف في نصحه في خلوة لا بطريق الجدال، فإن الجدال يخيل إليه أنها حيلة منه في التلبيس، وأن ذلك صنعة يقدر المجادلون من أهل مذهبه على أمثالها لو أرادوا، فتستمر البدعة في قلبه بالجدل وتتأكد فإذا عرف أن النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه. وقال ﷺ: « رحم الله من كف لسانه عن أهل القبلة إلا بأحسن ما يقدر عليه »، وقال هشام بن عروة: كان عليه السلام يردد قوله هذا سبع مرات. وكل من

العمل به. قال فنازعتني نفسي إلى العزلة والوحدة فقلت لها حتى تجلسي معهم فلا تجيبي في مسألة. قال: فكان يجالسهم سنة قبل أن يعتزل. قال: فكانت المسألة تجيء وأنا أشد شهوة للجواب عنها من العطشان إلى الماء فلا أجيبهم فيها فاعتزلهم بعد ومن طريق محمد بن سليمان المصيصي لوين؟ قال: أراد داود الطائي أن يجرب نفسه هل تقوى على العزلة فقعد في مجلس أبي حنيفة سنة فلم يتكلم فاعتزل الناس (**وهو كما قال لأن من سمع الخطأ من غيره وهو قادر على كشفه تعسر عليه الصبر عند ذلك جداً. قال ﷺ: « من ترك المراء وهو محق بني الله له بيتاً في أعلى الجنة »**) تقدم في كتاب العلم (**لشدة ذلك على النفس وأكثر ما يغلب ذلك في المذاهب والعقائد فإن المراء طبع، فإذا ظن أن له ثواباً اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع وذلك خطأ محض، بل ينبغي للإنسان أن يكف لسانه عن أهل القبلة وإذا رأى مبتدعاً تلطف في نصحه في خلوة**) عن الناس (**لا بطريق الجدال، فإن الجدال يخيل إليه أنها حيلة منه في التلبيس وإن ذلك صنعة يقدر المجادلون من أهل مذهبه على أمثالها لو أرادوا فتستمر البدعة في قلبه بالجدل وتتأكد، فإذا عرف أن النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه. وقال ﷺ: « رحم الله من كف لسانه عن أهل القبلة إلا بأحسن ما يقدر عليه »**) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا بإسناد ضعيف من حديث هشام بن عروة عن النبي ﷺ مرسلاً. ورواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية هشام عن عائشة بلفظ: « رحم الله امرءاً كف عن أعراض المسلمين » وهو منقطع وضعيف جداً اهـ.

قلت: وزاد الديلمي في الحديث: ولا تحل شفاعتي لطعان ولا للعان. وقال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثنا علي بن جعفر، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثني رشدين عن العمري عن هشام ابن عروة قال: قال رسول الله ﷺ فذكره. وزاد فقال (**قال هشام بن عروة**) وهو راوي هذا الحديث: (**كان**) ﷺ (**يردد قوله هذا سبع مرات**) تأكيداً للسامعين، (**وكل من اعتاد**

اعتاد المجادلة مدة وأثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببه عزاً وقبولاً قويت فيه هذه المهلكات. ولا يستطيع عنها نزوعاً إذا اجتمع عليه سلطان الغضب والكبر والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل. وآحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها فكيف بمجموعها ؟

الآفة الخامسة: الخصومة:

وهي أيضاً مذمومة وهي وراء الجدال والمراء فالمراء طعن في كلام الغير بإظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير، وإظهار مزية الكياسة، والجدال عبارة عن أمر يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها، والخصومة لجاج في الكلام ليستوفى به مال أو حق مقصود، وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضاً. والمراء لا يكون إلا باعتراض على كلام سبق، فقد قالت عائشة رضي الله عنها، قال رسول الله ﷺ: « إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم ». وقال أبو هريرة، قال رسول الله ﷺ: « من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع ». وقال بعضهم: إياك والخصومة فإنها

المجادلة مدة وأثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببه عزا وقبولاً قويت فيه هذه المهلكات ولا يستطيع عنها نزوعاً) أي خلاصاً وخروجاً (إذا اجتمع عليه سلطان الغضب والكبر والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل وأحاد هذه الصفات) إذا وجدت (يشق مجاهدتها، فكيف بمجموعها) فهو أشق وأشق، والله الموفق.

الآفة الخامسة الخصومة:

(وهي أيضاً مذمومة وهي وراء الجدال والمراء، فالمراء طعن في الكلام للغير بإظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير وإظهار مزيه الكياسة) وصلابة العقل وقوة الفكر، (والجدال عبارة عن أمر يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها) وردع المخالف بكل ما أمكن، (والخصومة لجاج في الكلام يستوفى به مال أو حق مقصود، وذلك تارة يكون ابتداء، وتارة يكون اعتراضاً والمراء لا يكون إلا باعتراض على كل سبق، فقد قالت عائشة رضي الله عنها، قال رسول الله ﷺ: « إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم ») رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي بلفظ: « أبغض » وبلفظ المصنف أخرجه ابن أبي الدنيا عن أبي خيثمة: حدثنا وكيع، عن ابن جريج، عن ابن أبي مليكة عن عائشة.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه (قال رسول الله ﷺ: « من جادل في خصومة من غير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع ») قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا، والأصفهاني في الترغيب والترهيب، وفيه رجاء أبو يحيى ضعفه الجمهور اهـ.

قلت: قال ابن أبي الدنيا في كتابيه الصمت وذم الغيبة، حدثنا أزهر بن مروان الرقاشي، حدثنا

تمحق الدين. ويقال: ما خاصم ورع قط في الدين. وقال ابن قتيبة: مرّ بي بشر بن عبد الله بن أبي بكرة فقال: ما يجلسك ههنا قلت: خصومة بيني وبين ابن عم لي. فقال: أن لأبيك عندي يداً وإني أريد أن أجزيك بها وإني والله ما رأيت شيئاً أذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أضيع للذة ولا أشغل للقلب من الخصومة. قال: فقمت لانصرف فقال لي خصمي: مالك؟ قلت: لا أخاصمك: قال: إنك عرفت أن الحق لي، قلت: لا ولكن أكرم نفسي عن هذا. قال: فإني لا أطلب منك شيئاً هو لك.

فإن قلت: فإذا كان للإنسان حق فلا بدّ له من الخصومة في طلبه أو في حفظه مهما

مسكين أبو فاطمة، حدثنا رجاء أبو يحي عن يحي بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ فذكره. ورجاء هذا هو ابن صبيح الحرشي أبو يحي البصري صاحب السقط بفتح القاف. وروى ابن ماجه والحاكم والرامهرمزي في الأمثال من حديث ابن عمر: من أعان خصومة بظلم لم يزل في سخط الله حتى ينزع.

(**وقال بعضهم: إياك والخصومة فإنها تمحق الدين**) أخرجه ابن أبي الدنيا عن علي بن الحسين العامري، حدثنا أبو النضر هاشم بن القاسم، عن الأشجعي، حدثنا الربيع بن الملاح قال: سمعت أبا جعفر يقول: إياكم والخصومة فإنها تمحق الدين. قال: وحدثني من سمعه يقول: وتورث الشنآن وتذهب الاجتهاد. (**ويقال: ما خاصم قط ورع في الدين**) أخرجه ابن أبي الدنيا عن أبيه وأحمد بن منيع قالا، حدثنا مروان بن شجاع عن عبد الكريم أبي أمية قال: **ما خاصم ورع قط يعني** في الدين. (**وقال ابن قتيبة**) هو سالم بن قتيبة وليس هو عبد الله بن مسلم الكاتب الدينوري الشهير بابن قتيبة صاحب التآليف المشهورة كما يتبادر على الأذهان عند الإطلاق: (**مرّ بي بشير ابن عبيد الله بن أبي بكرة**) نفيع بن الحرث بن كلدة الثقفي (**فقال: ما يجلسك ههنا. قلت: خصومة بيني وبين ابن عمي. فقال: إن لأبيك عندي يداً**) أي معروفاً ونعمة (**وإني أريد أن أجزيك بها، وإني والله ما رأيت شيئاً أذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أضيع للذة ولا أشغل للقلب من الخصومة. قال: فقمت لأنصرف. فقال لي خصمي مالك؟ فقلت: لا أخاصمك. قال: إنك عرفت أن الحق لي قلت: لا ولكن أكرم نفسي عن هذا قال فإني لا أطلب**) منه (**شيئاً هو لك**) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال: حدثني أبو بكر محمد بن هانيء، حدثني أحمد بن شبويه، حدثني سليمان بن صالح، حدثني عبد الله بن المبارك، عن جويرية ابن أسماء، عن سالم بن قتيبة قال: مرَّ بي بشير بن عبيد الله بن أبي بكرة فقال: **ما يجلسك ههنا؟** فذكره. وزاد في آخره. فمررت بعد ببشير وهو يخاصم فذكرته قوله قال لو كان قدر خصومتك عشر مرار فعلت ولكنه مرغاب أكثر من عشرين ألف ألف.

(**فإن قلت: فإذا كان للإنسان حق**) على آخر (**فلا بد له من الخصومة في طلبه منه**

ظلمه ظالم، فكيف يكون حكمه وكيف تذم خصومته؟ فاعلم أن هذا الذم يتناول الذي يخاصم بالباطل والذي يخاصم بغير علم، مثل وكيل القاضي فإنه قبل أن يتعرف أن الحق في أي جانب هو يتوكل في الخصومة من أي جانب كان، فيخاصم بغير علم ويتناول الذي يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الخصومة على قصد التسلط، أو على قصد الإيذاء، ويتناول الذي يمزج بالخصومة كلمات مؤذية ليس يحتاج إليها في نصرة الحجة وإظهار الحق ويتناول الذي يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره مع أنه قد يستحقر ذلك القدر من المال، وفي الناس من يصرح به ويقول: إنما قصدي عناده وكسر عرضه. وإني إن أخذت منه هذا المال ربما رميت به في بئر وهذا مقصوده اللدد والخصومة واللجاج وهو مذموم جداً. فأما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد وإسراف وزيادة لجاج على قدر الحاجة ومن غير قصد عناد وإيذاء، ففعله ليس بحرام ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلاً فإن ضبط اللسان في الخصومة على حدّ الاعتدال متعذر والخصومة توغر الصدر وتهيج الغضب، وإذا هاج

أوفى حفظه عنده) مها **(ظلمه ظالم)** أو تعدى عليه ذو سطوة **(فكيف يكون حكمه وكيف تذم خصومته؟ فاعلم أن هذا الذم)** الذي ذكرنا **(يتناول الذي يخاصم بالباطل)** بأن يخالف الوجه الشرعي في طلبه وحفظه، **(والذي يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضي، فإنه قبل أن يتعرف أن الحق في أي جانب هو يتوكل في الخصومة من أي جانب يكون فيخاصم بغير علم)** ويجادل بغير سند، **(ويتناول الذي يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة، بل يظهر اللدد في الخصومة على قدر التسلط)** والغلبة، **(أو على قصد الإيذاء ويتناول الذي يمزج بالخصومة كلمات مؤذية)** من الفحش والبذاء **(ليس يحتاج إليها في نصرة الحجة)** وإقامتها **(وإظهار الحق، ويتناول الذي يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره)** ومغلوبيته، **(مع أنه قد يستحقر ذلك القدر من المال)** الذي يخاصم لأجله وهذا القصد ربما لا يظهر بل يكون كامناً في قلبه لا يصرح به. **(وفي الناس من يصرح به)** جهراً ويبرزه من قلبه **(ويقول: إنما قصدي عناده وكسر عرضه)** وجاهه، **(وإني إن أخذت منه هذا المال ربما رميت به في بئر)** أو حفرة **(ولا أبالي)** لاستغنائه عنه **(وهذا مقصوده اللجاج)** فقط **(وهو مذموم جداً. فأما المظلوم الذي ينصر حجته)** ويقيم حقه **(بطريق الشرع)** مسدداً في خصومته **(من غير لدد وإسراف)** وغلو **(وزيادة لجاج على قدر الحاجة ومن غير قصد عناد وإيذاء)** ونكاية لأخيه المسلم، **(ففعله ليس بحرام)** شرعاً، **(ولكن الأولى)** والأليق **(تركه ما وجد إليه سبيلاً)** وأمكنه ذلك، **(فإن ضبط اللسان في الخصومة على قدر الاعتدال)** أي حدي الإفراط والتفريط **(متعذر والخصومة)** كما تقدم **(توغر**

الغضب نسي المتنازع فيه وبقي الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه ويحزن بمسرته ويطلق اللسان في عرضه، فمن بدأ بالخصومة فقد تعرض لهذه المحذورات، وأقل ما فيه تشويش خاطره حتى أنه في صلاته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يبقى الأمر على حد الواجب فالخصومة مبدأ كل شر وكذا المراء والجدال، فينبغي أن لا يفتح بابه إلا لضرورة، وعند الضرورة ينبغي أن يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة، وذلك متعذر جداً، فمن اقتصر على الواجب في خصومته سلم من الإثم ولا تذم خصومته إلا أنه إن كان مستغنياً عن الخصومة فيما خاصم فيه لأن عنده ما يكفيه فيكون تاركاً للأولى ولا يكون آثماً. نعم أقل ما يفوته في الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام وما ورد فيه من الثواب إذ أقل درجات طيب الكلام إظهار الموافقة، ولا خشونة في الكلام أعظم من الطعن والاعتراض الذي حاصله إما تجهيل وإما تكذيب، فإن من جادل غيره أو ماراه أو خاصمه فقد جهله أو كذبه فيفوت به طيب الكلام. وقد قال ﷺ: «يمكنكم من الجنة طيب الكلام وإطعام الطعام» وقد قال الله تعالى: ﴿وقولوا

الصدر) أي تملؤه وغرا وهو شدة اللهيب (**وتهيج الغضب**) وتورث الشنآن والحقد، (**وإذا هاج الغضب**) غطى على عقله (**ونسي المتنازع فيه وبقي الحقد بين المتخاصمين**) واستجره إلى أمور ذميمة (**حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه**) إذا أصيب بها (**ويحزن بمسرته ويطلق اللسان في عرضه**) فلا يترك للقول فيه مجالاً، (**فمن بدأ بالخصومة**) مع أخيه (**فقد تعرض لهذه المحذورات**) وورط نفسه فيها، (**وأقل ما فيه تشويش خاطره**) وتفريق همه (**حتى أنه في صلاته يشتغل بمحاجة خصمه**) لكثرة اشتغاله به فيستغرق أوقاته كلها. (**فلا يبقى الأمر على حد الواجب فالخصومة مبدأ كل شر**) ومنبع كل قبح، (**وكذا المراء والجدال، فينبغي أن لا يفتح بابه**) أصلاً لمن أراد سلامة نفسه (**إلا لضرورة**) داعية (**وعند الضرورة**) إذا تحققت (**ينبغي أن يحفظ اللسان**) عن البذاء (**والقلب**) عن الضغن حتى يخلص (**عن تبعات الخصومة**) ومذماتها (**وذلك متعذر جداً**) خصوصاً في هذا الزمان، (**فمن اقتصر على الواجب في خصومة**) فسلم (**من الإثم ولا بد من خصومته إلا أنه إن كان مستغنياً عن الخصومة فيما خاصم فيه لأن عنده ما يكفيه فيكون تاركاً للأولى ولا يكون آثماً**) لاقتصاره على الواجب. (**نعم أقل ما يفوته في الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام**) ولينه، (**وما ورد فيه من الثواب**) العظيم (**إذ أقل درجات الكلام إظهار الموافقة**) وترك المخالفة (**ولا خشونة في الكلام أعظم من الطعن والاعتراض الذي حاصله إما تجهيل**) للغير أي نسبته إلى الجهل، (**وإما تكذيب**) لقوله (**فإن من جادل غيره أو ما رآه أو خاصمه فقد جهله أو كذبه فيفوت به طيب الكلام، وقد قال ﷺ: «يمكنكم من الجنة طيب الكلام وإطعام**

للناس حسناً﴾ [البقرة: ٨٣] وقال ابن عباس رضي الله عنهما: من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه السلام وإن كان مجوسياً إن الله تعالى يقول: ﴿وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أوردّوها﴾ [النساء: ٨٦] وقال ابن عباس أيضاً: لو قال لي فرعون خيراً لرددت عليه. وقال أنس قال رسول الله ﷺ: « إن في الجنة لغرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام » وروي أن

الطعام ») قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من حديث جابر وفيه من لا أعرفه، وله من حديث هانىء بن شريح بإسناد جيد: « يوجب الجنة إطعام الطعام وحسن الكلام » اهـ.

قلت: أخرجه ابن أبي الدنيا عن إسحاق بن إسماعيل، حدثنا سفيان سمع محمد بن المنكدر يقول: قال رسول الله ﷺ « يمكنكم من الجنة » الحديث هكذا هو عندي في كتاب الصمت إن لم يكن فيه سقط فيكون الحديث مرسلاً.

وأما حديث أبي شريح فقال ابن أبي الدنيا: حدثنا بشار بن موسى، أنبأنا يزيد بن المقدام بن شريح قال: حدثني أبي المقدام عن أبيه عن جده هانيء بن شريح قال: قلت للنبي ﷺ أخبرني بشيء يوجب لي الجنة. قال: عليك بحسن الكلام وبذل الطعام.

(**وقد قال الله تعالى ﴿وقولوا للناس حسناً﴾**) قال عطاء: أي للناس كلهم المشرك وغيره، ورواه ابن أبي الدنيا عن خلف بن هشام، حدثنا خالد عن عبد الملك عنه، (**وقال ابن عباس**) رضي الله عنه: (**من سلم عليكم من خلق الله فارددوا عليه السلام، وإن كان مجوسياً إن الله تعالى يقول ﴿وإذا حييتم بتحية فحيّوا بأحسن منها أو ردوها﴾**) أخرجه ابن أبي الدنيا عن يعقوب بن إبراهيم، حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي، حدثنا حسن بن صالح عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس فذكره. وفيه: من سلم عليك بافراد الضمير وكذا في الجواب. فاردد عليه وفيه ذلك لأن الله عز وجل يقول (**وقال**) ابن عباس (**أيضاً: لو قال لي فرعون خيراً لرددت عليه**) أخرجه ابن أبي الدنيا عن خلف بن هشام، حدثنا شريك، عن أبي سنان قال: قلت لسعيد بن جبير المجوسي يوليني في نفسه ويسلم عليَّ أفأرد عليه؟ فقال سعيد: سألت ابن عباس عن نحو من ذلك فقال: لو قال لي فرعون خيراً لرددت عليه.

(**وقال أنس**) رضي الله عنه (**قال رسول الله ﷺ « إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام »**) أخرجه ابن أبي الدنيا عن سويد بن سعيد، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد، عن أبيه، عن أنس وفيه: غرفة بدل غرفاً. وأطاب بدل ألان، وروي أيضاً من حديث أبي مالك الأشعري بزيادة في آخره وصلى بالليل والناس نيام هكذا. ورواه ابن أبي الدنيا، وفي أخرى بزيادة وتابع الصيام بعد ألان الكلام، وهكذا رواه أحمد وابن حبان والبيهقي، وهو عند الترمذي من حديث علي وقد تقدم هذا الحديث في كتاب آداب الطعام.

عيسى عليه السلام مر به خنزير فقال: مر بسلام، فقيل: يا روح الله أتقول هذا لخنزير؟ فقال: أكره أن أعوّد لساني الشر. وقال نبينا عليه السلام: «الكلمة الطيبة صدقة» وقال: «اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة». وقال ء ر رضي الله عنه البر شيء هين وجه طليق وكلام لين. وقال بعض الحكماء: الكلام ا ين يغسل الضغائن المستكنة في الجوارح وقال بعض الحكماء: كل كلام لا يسخط ربك إلا أنك ترضي به جليسك فلا تكن به عليه بخيلاً فإنه لعله يعوضك منه ثواب المحسنين هذا كله

(وروي أن عيسى عليه السلام مرّ به خنزير فقال: مر بسلام فقالوا يا روح الله أتقول هذا للخنزير؟ فقال: أكره أن أعوّد لساني الشر) أخرجه ابن أبي الدنيا عن الحسين بن علي ابن يزيد، أنبأنا عبدالله بن مسلمة، حدثنا مالك بن أنس قال: مرّ بعيسى ابن مريم خنزير فذكره.

(وقال نبينا ﷺ «الكلمة الطيبة صدقة») قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: ورواه ابن أبي الدنيا عن الحسن بن عيسى، أنبأنا عبد الله بن المبارك، أنبأنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال «الكلمة الطيبة صدقة».

(وقال) ﷺ («اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة») متفق عليه من حديث عدي بن حاتم، وقد تقدم. ورواه ابن أبي الدنيا عن محمد بن مسعود، أنبأنا الفريابي، أنبأنا سفيان عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن خيثمة عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ «اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم يكن شق تمرة فكلمة طيبة».

(وقال عمر رضي الله عنه) كذا في النسخ والصواب وقال ابن عمر: وقد تقدم له في كتاب آداب الأكل وذكره هناك على الصواب. **(البر شيء هين وجه طلق)** أي ذو بشاشة **(وكلام لين)** أخرجه ابن أبي الدنيا عن محمد بن الحسين، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا حماد بن سلمة، عن حميد الطويل قال: قال ابن عمر: البر شيء هين وجه طلق كلام لين اهـ. وقد نظمه بعضهم فقال:

بني إن البر شيء هين وجه طليق وكلام لين

ويروى المصراع الثاني المنطلق الطيب والطعم. **(وقال بعض الحكماء: الكلام اللين يغسل الضغائن)** أي الأحقاد **(المستكنة)** أي الثابتة المخفية **(في الجوارح)** كذا في النسخ، والصواب في الجوانح أخرجه ابن أبي الدنيا عن علي بن أبي مريم، عن أبي عبد الرحمن بن عائشة قال: قال بعض الحكماء فذكره. **(وقال بعض الحكماء: كل كلام لا يسخط ربك إلا أنك ترضي به جليسك فلا تكن به عليه بخيلاً، فإنه لعله يعوّضك منه ثواب المحسنين)** أخرجه ابن أبي الدنيا عن علي بن أبي مريم، عن أبي عبد الرحمن بن عائشة قال: قال بعض الحكماء: كل كلام لا

في فضل الكلام الطيب وتضاده الخصومة والمراء والجدال واللجاج، فإنه الكلام المستكره الموحش المؤذي للقلب المنغص للعيش المهيج للغضب الموغر للصدر نسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه.

الآفة السادسة:

التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيبات والمقدمات وما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة وكل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف الممقوت الذي قال فيه ﷺ: «أنا وأتقياء أمتي برآء من التكلف». وقال ﷺ: «إن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني مجلساً الثرثارون المتفيهقون المتشدقون في الكلام».

يوتغ دينك ولا يسخط ربك فذكره، **(هذا كله في فضل الكلام الطيب وتضاده الخصومة والمراء والجدال واللجاج، فإنه الكلام المستكره الموحش المؤذي للقلب)** المنفر للخواطر **(المنغص للعيش المهيج للغضب الموغر للصدر)** المورث للعداوة نسأل الله التوفيق وحسن المعونة.

الآفة السادسة:

(التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيبات) وهو ما يشبب به الشاعر في قصيدته من غزل وتعريض بالحب وتحسين لها وتزيينها بذكر النساء، **(والمقدمات)** مما يقدم بين يدي الدخول في الغرض من ذكر الأطلال والديار وما سلف له في أيام الصبا والشبوبية، **(وما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة)** والشعر، **(وكل ذلك من التصنع المذموم)** في الشرع، **(ومن التكلف الممقوت)** أي المبغوض **(الذي قال فيه النبي ﷺ «أنا واتقياء أمتي برآء من التكلف»)** أغفله العراقي وقال النووي: ليس بثابت اهـ.

وأخرجه الدارقطني في الإفراد من حديث الزبير بن العوّام مرفوعاً «إلا أني بريء من التكلف وصالحو أمتي» وسنده ضعيف، ويشهد لذلك ما رواه البخاري عن أنس عن عمر رضي الله عنهما: نهينا عن التكلف. وروى أحمد والطبراني في معجميه الكبير والأوسط، وأبو نعيم في الحلية عن سلمان رضي الله عنه إنه قال لمن استضافه: لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم.

(وقال ﷺ «إن أبغضكم إلى الله وأبعدكم مني مجلساً الثرثارون المتفيهقون المتشدقون في الكلام») قال العراقي: رواه أحمد من حديث أبي ثعلبة، وهو عند الترمذي من حديث جابر وحسنه بلفظ «إن أبغضكم إليَّ» اهـ.

قلت: وروى الديلمي من حديث أبي هريرة «شرار أمتي الثرثارون المتشدقون المتفيهقون وخيار أمتي أحاسنهم أخلاقاً».

وقالت فاطمة رضي الله عنها. قال رسول الله ﷺ: «شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام». وقال ﷺ: «ألا هلك المتنطعون ثلاث مرات». والتنطع هو التعمق والاستقصاء. وقال عمر رضي الله عنه: إن شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان. وجاء عمرو بن سعد بن أبي وقاص إلى أبيهْ سعد يسأله حاجة فتكلم بين يدي حاجته بكلام فقال له سعد: ما كنت من حاجتك بأبعد منك اليوم إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يأتي على الناس زمان يتخللون الكلام بألسنتهم كما تتخلل البقر الكلأ بألسنتها» وكأنه أنكر عليه ما قدمه على الكلام

(وقالت فاطمة رضي الله عنها) وهي ابنة رسول الله ﷺ، **(قال رسول الله ﷺ «شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام»)** رواه ابن عدي والبيهقي وابن عساكر من طريق عبد الله بن الحسين عن أمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ. قال العراقي: وفيه انقطاع.

قلت: رواه ابن أبي الدنيا عن إسماعيل بن إبراهيم الترجماني، حدثنا علي بن ثابت، عن عبد الحميد بن جعفر الأنصاري، عن عبد الله بن حسن عن أمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ رفعته فذكره. وهذا السند لا انقطاع فيه وقد تقدم الكلام عليه قريباً.

(وقال ﷺ «ألا هلك المتنطعون» ثلاث مرات). رواه مسلم من حديث ابن مسعود، وقد تقدم في كتاب العلم، وأخرجه ابن أبي الدنيا عن أبي خيثمة والقواريري قالا: حدثنا يحي القطان، عن ابن جريج، أخبرني سليمان بن عتيق، عن طلق بن حبيب، عن الأحنف بن قيس، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ فذكره

(والتنطع هو التعمق والاستقصاء) وهو تفعل من النطع وهو ما ظهر من غار الفم الأعلى.

(وقال عمر رضي الله عنه إن شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان) وشقاشق اللسان مستعار من شقاشق البعير، **(وجاء عمر بن سعد بن أبي وقاص)** تقدم له ذكر **(إلى أبيه سعد)** بن أبي وقاص أحد العشرة المشهود لهم بالجنة **(يسأله حاجة فتكلم بين يدي حاجته بكلام فقال له سعد: ما كنت من حاجتك بأبعد منها اليوم إني سمعت رسول الله ﷺ يقول «يأتي على الناس زمان يتخللون الكلام بألسنتهم كما تتخلل البقر الكلأ بألسنتها»)** أي يتشدق الكلام بلسانه كما تتشدق البقر، ووجه الشبه إدارة لسانه حول أسنانه وفمه حال التكلم كما تفعل البقرة بلسانها حال الأكل وخص البقرة من بين البهائم لأن سائرها تأخذ النبات بأسنانها والبقرة لا تحتش إلا بلسانها. قال العراقي: رواه أحمد وفيه من لم يسم ومختصراً بإسناده مسلم من حديث المغيرة بن شعبة وأبي هريرة وأصلها عند البخاري أيضاً اهـ.

قلت: أخرجه ابن أبي الدنيا، عن ابن أبي شيبة، حدثنا حفص بن غياث، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن مصعب بن سعد قال: جاء عمر بن سعد إلى أبيه فسأله حاجة فذكر الحديث كما عند

من التشبيب والمقدمة المصنوعة المتكلفة وهذا أيضاً من آفات اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف، وكذلك التفاصح الخارج عن حد العادة وكذلك التكلف بالسجع في المحاورات إذ قضى رسول الله ﷺ بغرة في الجنين فقال بعض قوم الجاني: كيف ندي من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل. مثل ذلك بطل فقال: «أسجعاً كسجع الأعراب». وأنكر ذلك لأن أثر التكلف والتصنع بين عليه: بل ينبغي أن يقتصر في كل شيء على مقصوده، ومقصود الكلام التفهيم للغرض وما وراء ذلك تصنع مذموم لا يدخل في هذا تحسين ألفاظ الخطابة. والتذكير من غير إفراط وإغراب، فإن المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها فلرشاقة اللفظ تأثير فيه فهو لائق به، فأما المحاورات التي تجري لقضاء الحاجات فلا يليق بها السجع والتشدق والاشتغال به من التكلف المذموم، ولا باعث عليه إلا الرياء وإظهار الفصاحة والتميز بالبراعة وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويزجر عنه.

المصنف. وأخرجه أيضاً بهذا الإسناد في كتاب ذم الغيبة له، وأخرجه أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبن عمر: «وإن الله تعالى يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها» وقال الترمذي: حسن غريب.

(وكأنه أنكر عليه ما قدم على الكلام من التشبيب والمقدمة المصنوعة المتكلفة، وهذا أيضاً من آفات اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف، وكذلك التفاصح الخارج عن حد العادة) مما فيه تغرب وتدقيق وتعمق، **(وكذلك التكلف بالسجع في المحاورات)** والمخاطبات **(إذ قضى رسول الله ﷺ بغرة في الجنين فقال بعض قوم الجاني كيف ندي من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك دمه يطل)** أي يهدر **(فقال)** النبي ﷺ **(«اسجعا كسجع الأعراب»)** رواه أبو داود وقد تقدم في كتاب العلم **(وانكر ذلك لأن أثر التكلف والتصنع بيَّن عليه)** ظاهر لديه، **(بل ينبغي أن يقتصر في كل شيء على مقصوده)** الذي هو بصدده، **(ومقصود الكلام)** إنما هو **(التفهم للغرض)** فقط، **(وما وراء تصنع مذموم (لا يدخل في هذا تحسين ألفاظ الخطابة والتذكير)** مما يوردها في وعظه للعامة وللخاصة، ولكن **(من غير إفراط وإغراب)** وتعمق **(فإن المقصود منها تحريك القلوب)** وجذبها **(وتشويقها وقبضها)** عن ميل الهوى **(وبسطها)** في مجال الرضا. **(فلرشاقة اللفظ)** وقع عجيب و **(تأثير)** غريب **(فيه فهو لائق به)** ومستثنى مما ذكر، **(فأما المحاورات التي تجري)** بين الناس **(لقضاء الحاجات)** وتيسير الأمور **(فلا يليق بها السجع)** المتكلف **(والتشدق والاشتغال به من التكلف المذموم، ولا باعث عليه إلا الرياء وإظهار الفصاحة والتميز بالبراعة)** على الإخوان، **(وكل ذلك يكرهه الشرع ويزجر عنه)** وفي كلام السلف تنبيه عليه لمن تأمل.

الآفة السابعة: الفحش والسب وبذاءة اللسان:

وهو مذموم ومنهي عنه ومصدره الخبث واللؤم. قال ﷺ: «إياكم والفحش فإن الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش». ونهى رسول الله ﷺ عن أن تسب قتلى بدر من المشركين فقال: «لا تسبوا هؤلاء فإنه لا يخلص إليهم شيء مما تقولون وتؤذون الأحياء الا أن البذاء لؤم». وقال ﷺ:

الآفة السابعة: (الفحس والسب وبذاءة اللسان).

(وهو مذموم ومنهي عنه ومصدره الخبث واللؤم) في أصل الطبع. **(قال ﷺ: «إياكم والفحش فإن الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش»)** فالفحش اسم لكل ما يكرهه الطبع من رذائل الأعمال الظاهرة كما ينكره العقل ويستخبثه الشرع، فتتفق في حكمه آيات الله الثلاث من الشرع والعقل والطبع والتفحش تكلف ذلك وتعمده. قال العراقي: رواه النسائي في الكبرى في التفسير والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو، ورواه ابن حبان من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت عن علي بن الجعد، أخبرني المسعودي وقيس بن الربيع، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن الحرث، عن عبد الله بن مالك، أو عن عبد الله بن مالك، عن عبد الله بن الحرث، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ فذكره بلفظ المصنف. قال: وحدثنا أحمد بن جميل، أنبأنا عبد الله بن المبارك، أنبأنا المسعودي، أنبأنا عمرو بن مرة، عن عبد الله بن الحرث، عن أبي كثير الزبيدي، عن عبد الله بن عمرو بن العاصي أن رسول الله ﷺ قال «ألا فاتقوا الله وإياكم والفحش فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش».

(ونهى رسول الله ﷺ عن أن تسب قتلى بدر من المشركين فقال: «لا تسبوا هؤلاء فإنهم لا يخلص إليهم شيء مما تقولون وتؤذون الأحياء ألا أن البذاء لؤم») قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا من حديث محمد بن علي الباقر مرسلاً ورجاله ثقات، وللنسائي من حديث ابن عباس بإسناد صحيح «لا تسبوا أمواتنا فتؤذوا أحياءنا» وفي أوله قصة اهـ.

قلت: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا علي بن الجعد، أخبرني القاسم بن الفضل الحراني، عن محمد ابن علي قال: نهى رسول الله ﷺ أن تسب قتلى بدر من المشركين وقال فذكره بلفظ المصنف.

وأخرج الخرائطي في مساوىء الأخلاق من حديث أم سلمة «لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء ألا ان البذاء لؤم» وقد رواه أحمد والترمذي والطبراني من حديث المغيرة بن شعبة دون قوله الا أن البذاء لؤم.

« ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي ». وقال ﷺ : « الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها ». وقال ﷺ : « أربعة يؤذون أهل النار في النار على ما بهم من الأذى يسعون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور : رجل يسيل فوه قيحاً ودماً فيقال له : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى فيقول : إن الأبعد كان ينظر إلى كل كلمة قذعة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث ». وقال ﷺ لعائشة : « يا عائشة لو

(وقال ﷺ « ليس المؤمن بالطعّان ولا اللعّان ولا الفاحش ولا البذيء ») فالطعان هو الوقاع في أعراض الناس بنحو ذم أو غيبة ، واللعان الذي يكثر لعن الناس بما يبعدهم من رحمة الله تعالى إما صريحاً أو كناية ، والفاحش ذو الفحش في كلامه وأفعاله ، والبذيء الفاحش من منطقه وإن كان الكلام صدقاً . قال العراقي : رواه الترمذي بإسناد صحيح من حديث ابن مسعود ، وقال : حسن غريب والحاكم وصححه ، وروي موقوفاً . قال الدارقطني في العلل : والموقوف أصح اهـ .

قلت : أخرجه الترمذي في البر ، وإنما قال حسن غريب ولم يصحح لأن فيه محمد بن سابق البغدادي وهو ثقة ، لكنه ضعفه بعضهم . وكذلك رواه البخاري في الأدب المفرد ، وأحمد ، وأبو يعلى ، وابن حبان ، والطبراني ، والبيهقي كلهم من حديث ابن مسعود مرفوعاً . ورواه البيهقي أيضاً من حديث أبي هريرة .

وممن رواه مرفوعاً ابن أبي الدنيا في الصمت قال : حدثنا يحيى بن يوسف الرقي ، حدثنا أبو بكر ابن عياش ، عن الحسن بن عمرو ، عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد ، عن أبيه ، عن عبد الله ، عن النبي ﷺ فساقه . وقال أيضاً : حدثنا الحسن بن الصباح ، حدثنا محمد بن سابق ، عن إسرائيل ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس المؤمن بطعان ولا بلعان ولا الفاحش البذي » .

(وقال ﷺ « الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها ») الفاحش ذو الفحش في قوله أو فعله لا يدخلها مع الأولين أو قبل تعذيبه وتطهيره بالنار إلا إن عفي عنه . قال العراقي : رواه ابن أبي الدنيا ، وأبو نعيم في الحلية من حديث عبد الله بن عمرو بإسناد فيه لين اهـ .

قلت : قال ابن أبي الدنيا : حدثني عصمة بن الفضل ، حدثنا يحيى بن يحيى ، حدثنا أبي لهيعة ، عن عياش بن عياش ، عن أبي عبد الرحمن ، عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال : فذكره وكان العراقي أشار بقوله بإسناد فيه لين إلى ابن لهيعة فإن حاله مشهور والكلام فيه كثير .

(وقال ﷺ « أربعة يؤذون أهل النار في النار على ما بهم من الأذى يسعون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور) أي الهلاك **(رجل يسيل فوه)** أي فمه **(قيحاً ودماً فيقال له ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول : إن الأبعد كان ينظر إلى كل كلمة قذعة)** أي قبيحة **(خبيثة فيستلذ بها كما يستلذ الرفث »)** وهو الفحش في المنطق أو ما

كان الفحش رجلاً لكان رجل سوء » . وقال ﷺ : « البذاء والبيان شعبتان من شعب

يكنى عنه من ذكر النكاح . قال العراقي : رواه ابن ابي الدنيا من حديث شفي بن ماتع واختلف في صحبته فذكره أبو نعيم في الصحابة ، وذكره البخاري ، وابن حبان في التابعين والراوي عنه بشير بن أيوب العجلي وثقه ابن حبان وجهله الذهبي اهـ .

قلت : قال ابن أبي الدنيا : حدثنا داود بن عمرو الضبي ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، حدثني ثعلبة بن مسلم الخثعمي ، عن أيوب بن بشير العجلي ، عن شفي بن ماتع أن رسول الله ﷺ قال : « أربعة يؤذون أهل النار » الحديث وفيه فيستلذها ويستلذ الرفث ، ثم قال : حدثنا أحمد بن عيسى ، حدثنا عبد الله بن وهيب ، عن ثابت بن ميمون ، عن شعيب بن أبي سعيد قال : يقال من استلذ من الرفث سال فوه قيحاً ودماً يوم القيامة . وشفي بن ماتع أبو عثمان الأصبحي مات في خلافة هشام ذكر خليفة بن خياط أنه أرسل حديثاً فظن بعضهم أنه صحابي اهـ .

وقد روى له البخاري في خلق أفعال العباد ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه في كتاب التفسير ، وأيوب بن بشير العجلي شامي صدوق ، روى له ابن ماجه في كتاب التفسير ، وعبارة الذهبي في ديوان الضعفاء أيوب بن بشير شامي مجهول عن تابعي .

(وقال ﷺ لعائشة) رضي الله عنها **(« يا عائشة لو كان الفحش رجلاً كان رجل سوء »)** قال العراقي : رواه ابن أبي الدنيا من رواية ابن لهيعة عن أبي النضر عن أبي سلمة عنها اهـ .

قلت : قال حدثني إبراهيم بن سعيد ، حدثنا عبيد بن أبي قرة ، عن ابن لهيعة ، عن أبي النضر ، عن أبي سلمة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ « لو كان الفحش رجلاً كان رجل سوء » .

ورواه أيضاً من طريق أخرى ليس فيها ابن لهيعة قال : حدثنا الحكم بن موسى ، حدثنا الوليد ابن مسلم عن طلحة بن عمر ، وعن عطاء أن النبي ﷺ قال لعائشة « يا عائشة لو كان الفحش رجلاً لكان رجل سوء » وهذا هو الذي أشار إليه المصنف وأورده .

وأخرج الخرائطي في مساويء الأخلاق من حديث عائشة « لو كان سوء الخلق رجلاً يمشي في النار لكان رجل سوء وإن الله لم يخلقني فحاشا » وعند أبي نعيم بلفظ « لو كان البذاء رجلاً كان رجل سوء » ومما عزاه السيوطي إلى الصمت لابن أبي الدنيا من حديث عائشة ولم أجده فيه « لو كان الفحش خلقاً كان شر خلق الله » .

(وقال ﷺ « البذاء) يروى بكسر الموحدة وبفتحها ممدوداً **(والبيان شعبتان من شعب النفاق »)** قال العراقي : رواه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه على شرط الشيخين من حديث أبي أمامة وتقدم .

قلت : قال ابن أبي الدنيا : حدثنا علي بن الجعد ، أخبرني أبو غسان محمد بن مطرف ، عن حسان

النفاق» فيحتمل أن يراد بالبيان كشف ما لا يجوز كشفه، ويحتمل أيضاً المبالغة في الإيضاح حتى ينتهي إلى حد التكلف، ويحتمل أيضاً البيان في أمور الدين وفي صفات الله تعالى، فإن القاء ذلك مجملاً إلى أسماع العوام أولى من المبالغة في بيانه إذ قد يثور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس، فإذا أجملت بادرت القلوب إلى القبول ولم تضطرب ولكن ذكره مقروناً بالبذاء يشبه أن يكون المراد به المجاهرة بما يستحيي الإنسان من بيانه، فإن الأولى في مثله الإغماض والتغافل دون الكشف والبيان. وقال ﷺ: «إن الله لا يحب الفاحش المتفحش الصياح في الأسواق». وقال جابر بن سمرة: كنت جالساً عند النبي

ابن عطية، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ فذكره. أما البذاء فهو المفاحشة في القول والفعل. (و) اختلف في تفسير البيان في هذا الخبر فقيل: (**يحتمل أن يراد بالبيان كشف ما لا يجوز كشفه**) من الأسرار الإلهية أي لغير أهله، (**ويحتمل أيضاً المبالغة في الإيضاح حتى ينتهي إلى حد التكلف**) المنهي عنه، (**ويحتمل أيضاً البيان في أمور الدين وفي صفات الله تعالى، فإن إلقاء ذلك مجملاً إلى إسماع العوام أولى من المبالغة في بيانه**) وكشفه (**إذ قد يثور**) أي يتحرك (**من غاية البيان**) ونهاية الكشف (**فيه شكوك**) وأوهام (**ووساوس**) وشبهات، (**فإذا أجملت بادرت القلوب إلى قبوله**) وقنعت به (**ولم تضطرب**) ولم تطلب كشف ما وراء ذلك وإليه الإشارة بقول القائل:

ومن منح الجهال علماً أضاعه.

(**ولكن ذكره مقروناً بالبذاءة يشبه أن يكون المراد به المجاهرة بما يستحي الإنسان من بيانه، فإن الأولى في مثله الإغماض والتغافل دون الكشف والبيان**). والذي يظهر أن المراد بالبيان هنا هو الاحتمال الثاني وهو التعمق في إظهار الفصاحة في النطق وتكلف البلاغة في أساليب الكلام، لأنه يجر إلى أن يرى لنفسه فضلاً على من تقدمه في المقال ومزية عليه في العلم أو الدرجة عند الله لفضل خص به عنهم فيحتقر من تقدمه، وأصل البيان هو جمع الفصاحة في اللفظ والبلاغة في المعنى. وقال الزمخشري: هو إظهار المقصود بأبلغ لفظ وبهذا الذي ذكرت فسروا ما رواه الطبراني من حديث أبي أمامة: إن الله كره لكم البيان كل البيان فتأمل.

(**وقال ﷺ «إن الله لا يحب الفاحش المتفحش الصياح في الأسواق»**) أي كثير الصراخ في الشوارع والطرق ومجامع الناس كما يفعله السوقة والدلالون ونحوهم فيكره ذلك. وأما صياح نحو الدلال والمنادي ومنشد الضالة ومعرف اللقطة بقدر الحاجة فلا يكره. قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا من حديث جابر بسند ضعيف، وله وللطبراني من حديث أسامة بن زيد «إن الله لا يحب الفاحش المتفحش» وإسناده جيد اهـ.

قلت: لفظ ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثنا داود بن عمرو الضبي، حدثنا مروان بن معاوية،

ﷺ وأبي أمامي فقال ﷺ : « إن الفحش والتفاحش ليسا من الإسلام في شيء وإن أحسن الناس إسلاماً أحاسنهم أخلاقاً » . وقال إبراهيم بن ميسرة : يقال : يؤتى بالفاحش

حدثنا أبو بكر الفضل بن مبشر الأنصاري ، سمعت جابر بن عبد الله يقول : قال رسول الله ﷺ « لا يحب الله الفاحش المتفحش الصياح في الأسواق » ورواه كذلك ابن عدي في الكامل وضعفه ، ولعل سبب ضعفه الفضل بن مبشر أبو بكر المدني عن جابر . قال الذهبي في المغني : ضعفه ابن معين والنسائي . وقال أبو زرعة : لين .

وأما حديث أسامة بن زيد ، فقد أورده ابن أبي الدنيا من وجهين : الأول : قال حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا معلى بن منصور ، حدثنا يحي بن زكريا ، حدثني عثمان بن حكيم ، حدثني محمد بن أفلح مولى أبي أيوب عن أسامة بن زيد قال : أما أني أشهد على رسول الله ﷺ سمعته يقول « لا يحب الله الفاحش المتفحش » .

الثاني : قال : حدثنا أبو موسى الهروي ، حدثنا يحي بن زكريا بن أبي زائدة ، حدثنا عثمان بن حكيم ، عن أفلح مولى ابن أيوب ، عن أسامة بن زيد قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « إن الله عز وجل لا يحب الفاحش المتفحش » وقد روي ذلك أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري . قال ابن أبي الدنيا : حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع ، حدثنا فضيل بن سليمان ، حدثنا عبد الحميد بن جعفر ، عن أبيه ، عن أبي سعيد رفعه « إن الله لا يحب الفاحش المتفحش » .

(وقال جابر بن سمرة) بن جنادة بن جندب بن حجير بن زباب بن حبيب بن سوآه بن عامر بن صعصعة السوائي أبو عبد الله ، ويقال أبو خالد العامري وأمه خلدة بنت أبي وقاص أخت سعد له صحبة ، وخالف بني زهرة ، ونزل الكوفة وابتنى بها داراً وله بها عقب ومات بها سنة ست وسبعين في ولاية بشر بن مروان ، روى له الجماعة : **(كنت جالساً عند النبي ﷺ وأبي أمامي)** هو سمرة بن جنادة له أيضاً صحبة مات بالكوفة في ولاية عبد الملك بن مروان ، روى له البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي حديث كلهم من قريش يعني الاثني عشر خليفة ، **(فقال ﷺ « إن الفحش والتفحش ليسا من الإسلام في شيء وإن أحسن الناس إسلاماً أحاسنهم أخلاقاً »)** قال العراقي : رواه أحمد وابن أبي الدنيا بإسناد صحيح اهـ .

قلت : ورواه كذلك أبو يعلى ، وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا الحسن بن الصباح ، حدثنا أبو أسامة ، عن زكريا بن سياه ، عن عمران بن رياح ، عن علي بن عمارة الثقفي ، عن جابر بن سمرة قال : كنت عند النبي ﷺ قاعداً وأبي أمامي فساقه بلفظ المصنف ، ووقع عند أحمد وأبي يعلى أحسنهم خلقاً . قال الهيتمي : رجاله ثقات ، وقال المنذري إسناد أحمد جيد .

(وقال إبراهيم بن ميسرة) الطائفي نزيل مكة من الموالي . قال أحمد وابن معين والنسائي : ثقة قال محمد بن سعد : مات في خلافة مروان بن محمد . وقال البخاري : مات قريباً من سنة اثنتين

المتفحش يوم القيامة في صورة كلب أو في جوف كلب، وقال الأحنف بن قيس: ألا أخبركم بأدوأ الداء اللسان البذي والخلق الدنيء. فهذه مذمة الفحش.

فأما حدّه وحقيقته فهو التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة وأكثر ذلك يجري في ألفاظ الوقاع وما يتعلق به فإن لأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه وأهل الصلاح يتحاشون عنها بل يكنون عنها ويدلون عليها بالرموز فيذكرون ما يقاربها ويتعلق بها. وقال ابن عباس: إن الله حي كريم يعفو ويكنو كنى باللمس عن الجماع، فالمسيس واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع وليست بفاحشة. وهناك

وثلاثين ومائة، روى له الجماعة: (**يقال يؤتى بالفاحش المتفحش يوم القيامة في صورة كلب أو في جوف كلب**) أخرجه ابن أبي الدنيا، عن أحمد بن جميل، أنبانا عبد الله بن المبارك، أنبأنا محمد بن مسلم، عن إبراهيم بن ميسرة قال: فذكره.

(**وقال الأحنف بن قيس**) بن معاوية بن حصين التميمي السعدي أبو بحر مخضرم ثقة: (**ألا أخبركم بأدوأ الداء اللسان البذيء والخلق الدنيء**) أي الخسيس. أخرجه ابن أبي الدنيا عن أحمد بن جميل، أنبأنا عبد الله بن المبارك، أنبأنا معمر قال: قال الاحنف بن قيس: فذكره (**فهذه مذمة الفحش**) وقد روي عن أنس مرفوعاً قال: « ما كان الفحش في شيء قط إلا شانه » وعن أم الدرداء عن أبي الدرداء يبلغ به النبي ﷺ قال: « إن الله عز وجل يبغض الفاحش البذيء » أخرجه ابن أبي الدنيا. وعن أسامة بن زيد رفعه « إن الله تعالى يبغض الفاحش المتفحش ». رواه الإمام أحمد، وفي حديث عائشة « إن الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش » رواه مسلم وابن أبي الدنيا، وعن ابن مسعود قال « ألأم خلق المؤمن الفحش » وروى المسعودي عن عوف بن عبد الله قال « ألا إن الفحش والبذاء من النفاق » وهن مما يزدن في الدنيا وينقصن في الآخرة وما ينقصن في الآخرة أكثر مما يزدن في الدنيا.

(**فأما حدّه وحقيقته فهو التعبير عن الأمور المستقبحة**) شرعاً وعقلاً وطبعاً بحيث يكرهه الطبع كما ينكره العقل ويستخبثه الشرع (**بالعبارات الصريحة**) الظاهرة التي لا تحتمل التأويل، (**وأكثر ذلك يجري في ألفاظ الوقاع وما يتعلق به فإن لأهل الفساد**) والرعونة من الفساق (**عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه وأهل الصلاح يتحاشون عنها**) وينزهون عنها ألسنتهم وفي نسخة يتحاشون عن التعرض لها، (**بل يكنون عنها ويدلون عليها**) عند ضرورة التكلم بها (**بالرموز**) والكنايات (**فيذكرون ما يقاربها ويتعلق بها. قال ابن عباس**) رضي الله عنهما: (**إن الله عز وجل حي كريم يعف ويكني كنى باللمس عن الجماع**) قال: ﴿أو لامستم النساء﴾ [النساء: ٤٣] قال أبو حنيفة وغيره من الكوفيين: إن اللمس والملامسة من ألفاظ الكنايات، (**فالمسيس واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع**) يقال: مس

عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل أكثرها في الشتم والتعيير، وهذه العبارات متفاوتة في الفحش وبعضها أفحش من بعض. وربما اختلف ذلك بعادة البلاد وأوائلها مكروهة وأواخرها محظورة، وبينهما درجات يتردد فيها وليس يختص هذا بالوقاع بل الكناية بقضاء الحاجة عن البول والغائط أولى من لفظ التغوّط والخراء وغيرهما. فإن هذا أيضاً مما يخفى وكل ما يخفى يستحيي منه، فلا ينبغي أن يذكر ألفاظه الصريحة فإنه فحش، وكذلك يستحسن في العادة الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك كذا، بل يقال قيل في الحجرة أو من وراء الستر أو قالت أم الأولاد. فالتلطف في هذه الألفاظ محمود والتصريح فيها يفضي إلى الفحش، وكذلك من به عيوب يستحيي منها فلا ينبغي أن يعبر عنها بصريح لفظها

امرأته ولمسها ودخل بها وصحبها إنما يكنون بذلك عن الوقاع والجماع. وفي قوله تعالى: ﴿أو لامستم النساء﴾ هل المراد به لمس بدنها أو كناية عن الوقاع خلاف بين الشافعي وأبي حنيفة تقدم في كتاب أسرار الطهارة، (**وليست بفاحشة وهناك عبارات فاحشة يستقبح ذكرها**) وأفحشها وأصرحها النيك، (**ويستعمل أكثرها في الشتم والتعيير**) أي التعييب، (**وهذه العبارات متفاوتة في الفحش وبعضها أفحش من بعض، وربما اختلف ذلك بعادة البلاد**) فرب لفظ يعاب به في بلد عند محاوراتهم وعند آخرين مستعمل لا يستقبح، (**وأوائلها مكروهة وأواخرها محظورة**) محرمة، (**وبينهما درجات يتردد فيها**) ومن طالع في كتب اللغة ظفر من ذلك شيئاً كثيراً (**وليس يختص هذا بالوقاع بل الكناية بقضاء الحاجة عن البول والغائط**) أو بإراقة الماء عن البول فقط أو عنهما معاً (**أولى من لفظ التغوط والخراءة**) مع أن التغوط أيضاً من الكنايات لأنه يقال: تغوط إذا أتى الغائط وهي الأرض المطمئنة، ولكن لكثرة استعماله فيه صار كالصريح، وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز ﴿أو جاء أحد منكم من الغائط﴾ [النساء: ٤٣] وأما الخراءة ككتابة اسم لهيئة الفعل فهو من الصريح. وقد جاء في سنن أبي داود من حديث سلمان: « أن النبي ﷺ كان يعلمنا كل شيء حتى الخراءة » الحديث فخرج مخرج التبكيت للمنافقين الذين كانوا ينكرون مثل ذلك (**وغيرهما**) كأسماء السوأتين، (**فإن هذا أيضاً مما يخفي ويستحيا منه، فلا ينبغي أن يذكر ألفاظه الصريحة فإنه فحش**) فليحذر منه، (**وكذلك يستحسن في العادة**) الجارية في المحاورات (**الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك**) أو امرأتك، (**كذا، بل يقال قيل في الحجرة**) أو في الدار أو في البيت (**أو من وراء الستر**) أو من وراء الحجاب أو الجهة، (**أو قالت أم الأولاد**) أو صاحبة البيت أو صاحبة الحجرة، إلا أنه قد يقال إن لفظ الزوجة من كنايات القرآن قال تعالى: ﴿اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ [البقرة: ٣٥] (**والتلطف في هذه الألفاظ**) مهما أمكن (**محمود**) شرعاً (**والتصريح فيها يفضي إلى الفحش**) المذموم، (**وكذلك من به عيوب يستحي منها**) بين أقرانه، (**فلا ينبغي أن يعبر عنها بصريح لفظها**

كالبرص والقرع والبواسير ، بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجري مجراه فالتصريح بذلك داخل في الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان . قال العلاء بن هارون : كان عمر ابن عبد العزيز يتحفّظ في منطقه فخرج تحت إبطه خرّاج فأتيناه نسأله لنرى ما يقول . فقلنا : من أين خرج ؟ فقال : من باطن اليد . والباعث على الفحش إما قصد الإيذاء وإما الإعتياد الحاصل من مخالطة الفساق وأهل الخبث واللؤم . ومن عادتهم السب . وقال اعرابي لرسول الله ﷺ : أوصني ، فقال : « عليك بتقوى الله وإن امرؤ عيّرك بشيء

كالبرص) وهو محرك بياض يلمع في البدن **(والقرع)** وهو إنحسار الرأس عن الشعر لمرض ، **(والبواسير)** وهو مرض معروف وله أنواع ، وكذلك العمش والسلاق والعمى والعرج مما هو ظاهر بالبدن إلا أنه يستحيي أن يذكر بذلك صريحاً ، **(بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجري مجراه فالتصريح بذلك داخل في الفحش)** ومما يتأذى به أخوه المسلم وهو حرام ، إلا أن يكون ذلك العارض مشتهراً به بحيث لا يستحي من ذكره ، فلا بأس كالأعمش وهو سليمان بن مهران الكوفي فإنهم كانوا يقولون: حدثنا الأعمش في حياته ويسمع ذلك ولا يتغير على من يقوله وكذا قولهم: حدثنا الأعرج عن أبي هريرة فهذا وأمثاله لا يدخل في الفحش . **(وجميع ذلك من آفات اللسان)** والخوض فيه مذموم .

(قال العلاء بن هارون: كان عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى **(يتحفظ في منطقه فخرج تحت إبطه خراج)** بالضم أي قرحة شبه الدمل ، **(فاتيناه نسأله لنرى ما يقول ، فقلنا)** ما هذا الذي تشكوه؟ فقال: خراج فقلنا **(من أين خرج؟ فقال: من باطن اليد)** أخرجه أبو بكر بن أبي الدنيا فقال: حدثني إبراهيم بن سعيد ، حدثني موسى بن أيوب ، حدثنا ضمرة ، عن العلاء بن هارون قال: كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ في منطقه لا يتكلم بشيء من الخنا فخرج به خراج في إبطه فقالوا : أي شيء عسى أن يقول الآن؟ قالوا يا أبا حفص أين خرج منك هذا الخراج ؟ قال: في باطن يدي . قال: وحدثني علي بن أبي مريم ، عن مطرف بن مصعب ، حدثنا عبد العزيز الماجشون ، عن أبي عبيدة قال: ما رأيت رجلاً أشد تحفظاً في منطقه من عمر بن عبد العزيز . وحدثني محمد بن عباد بن موسى العكلي ، حدثنا يحيى بن سليم ، عن أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال: كنا عند عمر بن عبد العزيز فقال رجل لرجل: تحت إبطك ، فقال عمر: وما على أحدكم أن يتكلم بأجمل ما يقدر عليه . قالوا : وما ذاك ؟ قال: لو قال تحت يدك كان أجمل . **(والباعث على الفحش إما قصد الإيذاء للمخاطب)** وأكثر ما يوجد ذلك في المخاصمات ، **(وإما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق)** ومجالستهم **(و)** مصاحبة **(أهل الخبث)** والذعارة **(واللؤم ، ومن عادتهم السب)** والطعن على اعراض المسلمين .

(وقال اعرابي لرسول الله ﷺ : أوصني فقال: « عليك بتقوى الله وإن امرؤ عيرك]

يعلمه فيك فلا تعيره بشيء تعلمه فيه يكن وباله عليه وأجره لك، ولا تسبن شيئاً قال: فما سببت شيئاً بعده. **وقال عياض بن حماد، قلت يا رسول الله إن الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل علي من بأس إن أنتصر منه؟ فقال: المتسابان شيطانان يتعاويان ويتهارجان**». وقال ﷺ: «سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر». وقال ﷺ: «المستبّان

أي عابك (**بشيء يعلمه فيك فلا تعيره بشيء تعلمه**) أنت (**فيه يكن وباله عليه وأجره لك ولا تسبن شيئاً. قال**) الاعرابي: (**فما سببت شيئاً بعده**) قال العراقي: رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد من حديث أبي جري الهجيمي قيل اسمه جابر بن سليم، وقيل سليم بن جابر اهـ.

قلت: هو صحابي مشهور روى عنه عقيل بن طلحة وأبو تميمة. وعند أبي داود والبيهقي من حديث جابر بن سليم وهو أبو جري الهجيمي: «لا تسبن أحداً ولا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تكلم أخاك وأنت منبسط إليه وجهك إن ذلك من المعروف، وارفع ازارك إلى نصف الساق فإن أبيت فإلى الكعبين، وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة وأن الله لا يحب المخيلة وإن امرؤ شتمك وعيَّرك بما يعلم فيك فلا تعيره بما تعلم فيه فإنما وبال ذلك عليه». ورواه أحمد نحوه، ولكن قال: عن رجل من الصحابة ولم يسمه ولفظه «لا تسبن شيئاً ولا تزهدن في المعروف ولو ببسط وجهك إلى أخيك وأنت تكلمه وافرغ من دلوك في إناء المستقي واتزر إلى نصف الساق فإن أبيت فإلى الكعبين، وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة».

(**وقال عياض بن حمار**) بلفظ الحيوان المعروف ابن أبي حمار بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة المجاشعي التميمي نسبه خليفة ابن خياط عداده في أهل البصرة وله صحبة، روى له مسلم حديثاً واحداً والباقون إلا البخاري فإنه لم يرو له في الصحيح ولكن روى له في الأدب المفرد: (**قلت يا رسول الله إن الرجل من قومي يسبني وهو دوني**) أي في الحسب والشرف (**هل علي من بأس إن انتصر منه**) بأن أسبه كما سبني؟ (**فقال**) ﷺ: (**«المستبان**) أي الذي يسب كل منهما الآخر (**شيطانان**) أي بمنزلتها (**يتعاونان»**) كذا في النسخ والذي في الرواية يتكاذبان (**ويتهاتران**) أي كل منهما يكذب صاحبه وينتقصه من الهتر بالكسر وهو الباطل من القول والسقط من الكلام، وعلى رواية يتعاونان أو يتقاويان ويتقابحان في القول وفيه كما قال المصنف فيما سيأتي أنه لا يجوز مقابلة السب بالسب قال: وكذا سائر المعاصي وإنما القصاص والغرامة على ما ورد به الشرع قال: **وقال قوم يجوز المقابلة** بما لا كذب فيه ونهيه عن التعيير بمثله نهي تنزيه، **والأفضل تركه لكنه لا يعصي. قال العراقي:** رواه داود والطيالسي وأصله عند أحمد اهـ.

قلت: ورواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد قال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح.

(**وقال** ﷺ: **«المستبان ما قالا**) أي أثم ما قالاه من السب والشتم (**فعلى البادىء**) منهما لأنه السبب لتلك المخاصمة فللمسبوب أن ينتصر ويسبه بما ليس بقذف ولا كذب كيا ظالم ولا

ما قالا فعلى البادىء منهما حتى يعتدي المظلوم ». وقال ﷺ: « ملعون من سبّ والديه »

يأثم والعفو أفضل فإن قيل: إذا لم يأثم المسبوب وبرىء البادىء من ظلمه بوقوع التقاص، فكيف صح أن يقدر فيه إثم ما قالا؟ قلنا إضافته بمعنى في يعني إثم كائن فيما قالاه وإثم الابتداء على البادىء ويستمر هذا الحكم (**حتى يعتدي المظلوم**) أي يتعدى الحد في السب فلا يكون الإثم على البادىء فقط، بل عليهما. وقيل: المراد أنه يحصل إثم ما قالا، وللبادىء أكثر من المظلوم حتى يعتدي فيربو إثم المظلوم، وقيل: معناه أنه إذا سبه فرد عليه كان كفافاً فإن زاد بالغضب والتعصب لنفسه كان ظالماً وكان كل منهما فاسقاً. قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة وقال: ما لم يعتد المظلوم اهـ.

قلت: وكذا الترمذي روياه من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة ورواه أيضاً أحمد وأبو داود بلفظ المصنف وفي الباب عن أنس وابن مسعود وعبد الله بن الفضل وغيرهم.

(**وقال** ﷺ: « **سباب**) بكسر السين وتخفيف الموحدة (**المسلم**) أي سبه وشتمه يعني التكلم في عرضه بما يعيبه وهو مضاف إلى مفعول (**فسوق**) أي خروج عن طاعة الله ورسوله، ولفظه يقتضي كونه من اثنين لأنه مصدر سابه مسابة. وفسر الراغب السباب بالشتم الوجيع. قال النووي: فيحرم سب المسلم بغير سبب شرعي. قال: ومن الألفاظ المذمومة المستعملة عادةقولهلمن يخاصمه: يا حمار يا كلب ونحو ذلك، فهذا قبيح لأنه كذب وإيذاء بخلاف قوله: يا ظالم ونحوه، فإن ذلك مما يتسامح به لضرورة المخاصمة مع أنه صدق غالباً فما من إنسان إلا وهو ظالم لنفسه ولغيرها وفيه تعظيم حق المسلم والحكم على من سبه بالفسق، وأن الإيمان ينقص ويزيد لأن الساب إذا فسق نقص إيمانه وخرج عن الطاعة فضره ذنبه وفيه رد على المرجئة في قولهم إنه لا يضر مع التوحيد ذنب (**وقتاله**) أي بمحاربته لأجل الإسلام (**كفر** ») حقيقة أو ذكره للتهديد وتعظيم الوعيد أو المراد الكفر اللغوي وهو الجحد لحقه أو هضم أخوة الإيمان. رواه أحمد والشيخان في الإيمان، والترمذي في البر، والنسائي في المحاربة، وابن ماجه من حديث ابن مسعود، ورواه ابن ماجه أيضاً وأبو نعيم في الحلية، والخرائطي في مساوىء الأخلاق من حديث أبي هريرة، ورواه الدارقطني في الافراد من حديث جابر، ورواه ابن ماجه أيضاً من حديث سعد بن أبي وقاص، ورواه الطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن مغفل وفيه كثير ابن يحيى وهو ضعيف، ورواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب، والطبراني أيضاً من حديث عمرو بن النعمان بن مقرن. ورواه أحمد والطبراني أيضاً من حديث ابن مسعود بزيادة وحرمة ماله كحرمة دمه. وقال الحافظ في الفتح: لما كان المقام مقام الرد على المرجئة أورد البخاري هذا الحديث في كتاب الإيمان واهتم بذلك وبالغ في الزجر معرضاً يقتضيه ظاهره من تقوية مذهب الخوارج المكفرين بالذنب اعتماداً على ما تقرر من دفعه في محله اهـ.

وفي رواية: « من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه » قالوا يا رسول الله كيف يسب الرجل والديه؟ قال: « يسب أبا الرجل فيسب الآخر أباه ».

الآفة الثامنة اللعن:

اما لحيـوان أو جماد أو إنسان وكل ذلك مذموم. قال رسول الله ﷺ: « المؤمن ليس بلعّان ». وقال ﷺ: « لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم ». وقال حذيفة:

(وقال ﷺ: « ملعون من سب والديه ») قال القرطبي: إنما استحق ساب والديه اللعن لمقابلته نعمة الأبوين بالكفران وانتهائه إلى غاية العقوق والعصيان. كيف وقد قرن الله برهما بعبادته وإن كانا كافرين وبتوحيده وشريعته. قال العراقي: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني من حديث ابن عباس بإسناد جيد اهـ.

قلت: ولفظ أحمد: « ملعون من سب أباه ملعون من سب أمه » الحديث وهكذا رواه أبو نعيم في الحلية، ولفظ الطبراني: « ملعون من سب شيئاً من والديه » الحديث، وروى الخرائطي في مساوىء الأخلاق من حديث أبي هريرة: « ملعون من لعن والديه ».

(وفي رواية: « من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه » . قالوا يا رسول الله: كيف يسب الرجل والديه؟ قال: « يسب أبا الرجل فيسب الآخر أباه ») قال العراقي رواه الشيخان من حديث عبد الله بن عمرو اهـ.

قلت: وكذلك رواه الترمذي ولفظهم: « من الكبائر شتم الرجل والديه » قيل: يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: « نعم يسـبّ أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه ».

الآفة الثامنة اللعن:

وهو **(إما لحيوان أو جماد أو إنسان وذلك)** كله **(مذموم. قال ﷺ: « المؤمن ليس بلعان »)** قال العراقي: تقدم حديث ابن مسعود: « ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان » الحديث قبل هذا بأحد عشر حديثاً، وللترمذي وحسنه من حديث ابن عمر: « لا يكون المؤمن لعاناً » اهـ.

قلت: رواه ابن أبي الدنيا عن بندار بن بشار، حدثنا أبو عامر عن كثير بن زيد، سمعت سالم ابن عبدالله بن عمر عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يكون المؤمن لعاناً » قال: وحدثنا عمرو الناقد، حدثنا أبو أحمد الزهري، حدثنا كثير بن زيد، عن سالم بن عبد الله بـن عمر قال: ما سمعت ابن عمر لعن إنساناً قط إلا إنساناً واحداً. وقال قال رسول الله ﷺ: « لا ينبغي للمؤمن ان يكون لعاناً » وقد رواه كذلك الحاكم والبيهقي.

(وقال ﷺ: « لا تلاعنوا ») أي لا يلعن بعضكم بعضاً وأصله لا تتلاعنوا فحذف إحدى التاءين تخفيفاً **(بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم »)** وفي رواية: « ولا بالنار » بدل: « ولا بجهنم »

ما تلاعن قوم قط إلا حق عليهم القول وقال عمران بن حصين: بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره إذ امرأة من الأنصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها. فقال ﷺ: «خذوا ما عليها واعروها فإنها ملعونة». قال: فكأني أنظر إلى تلك الناقة تمشي بين الناس لا يتعرض لها أحد. وقال أبو الدرداء: «ما لعن أحد الأرض إلا قالت لعن الله أعصانا لله». وقالت عائشة رضي الله عنها: سمع رسول الله ﷺ أبا بكر وهو يلعن

أي لا يدعو بعضكم على بعض كأن يقول عليه لعنه الله وعليه غضب الله واجعله من أهل النار أو أحرقك الله بنار جهنم.

قال الطيبي: قوله: «لا تلاعنوا» الخ من عموم المجاز لأنه في بعض إفراده حقيقة وفي بعضها مجاز وهذا مختص بمعين لجواز اللعن بالوصف الأعم أو الأخص كالمصورين قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي من حديث سمرة بن جندب وقال الترمذي: حسن صحيح اهـ.

قلت: وكذلك رواه أبو يعلى والطبراني والحاكم والضياء في المختارة.

(وقال حذيفة) بن اليمان رضي الله عنه: **(ما تلاعن قوم قط إلا حق عليهم القول)** أي العذاب أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا أبو يحيى الرازي، حدثنا أبو يزيد الخراز، عن عبيدة عن الأعمش، عن أبي ظبيان قال: قال حذيفة فذكره. والظاهر أن المراد بالتلاعن في قوله هذا هو اللعان بين الرجل وامرأته، ولم يقع بعده ﷺ إلا مرة بالأندلس في زمان الأمويين كما نقله المقري في نفح الطيب، وليس المراد به أن يلعن بعضهم بعضاً في محاوراتهم فتأمل ذلك.

(وقال عمران بن حصين) رضي الله عنهما: **(بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره إذ امرأة من الأنصار على ناقة لها فضجرت منها)** أي لسوء سيرها **(فلعنتها فقال رسول الله ﷺ: «خذوا ما عليها)** من الأثقال **(وأعروها)** بقطع الهمزة **(فإنها ملعونة» قال)** عمران رضي الله عنه: **(فكأني انظر إلى تلك الناقة تمشي بين الناس ولا يتعرض لها أحد)** قال العراقي: رواه مسلم.

قلت: قال ابن أبي الدنيا حدثنا أبو خيثمة، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدثنا أيوب عن أبي قلابة، عن عمران بن حصين قال: بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة فضجرت فلعنتها، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: «خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة» قال عمران فكأني أراها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد وأخرجه ابن حبان في الصحيح بلفظ: «خذوا متاعكم عنها وأرسلوها فإنها ملعونة».

(وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه: **(ما لعن أحد الأرض إلا قالت لعن الله أعصانا لله)** أخرجه ابن أبي الدنيا عن إبراهيم بن سعيد، حدثنا موسى عن أيوب، حدثنا بقية عن ابن أبي

بعض رقيقه فالتفت إليه وقال: « يا أبا بكر أصدِّيقين ولعانين كلا ورب الكعبة ». مرتين أو ثلاثاً فأعتق أبو بكر يومئذ رقيقه وأتى النبي ﷺ وقال: لا أعود. وقال رسول الله ﷺ: « إن اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة ». وقال أنس: كان رجل يسير مع رسول الله ﷺ وسلم على بعير فلعن بعيره فقال ﷺ: « يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون » وقال ذلك إنكاراً عليه واللعن عبارة عن الطرد والإبعاد من الله تعالى

مريم، عن المهاجر عن أبي الدرداء فذكره. وأخرج أيضاً عن عمرو بن قيس قال: إذا ركب الرجل الدابة قالت: اللهم اجعله رفيقاً حليماً فإذا لعنها قالت على أعصانا لله لعنة الله. ومن طريق فضيل ابن عياض قال: كان يقال ما أحد سب شيئاً من الدنيا دابة ولا غيرها فيقول اخزاك الله ولعنك الله إلا قالت أخزى الله أعصانا لله.

(**وقالت عائشة رضي الله عنها سمع رسول الله ﷺ أبا بكر**) رضي الله عنه (**وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت إليه فقال: « يا أبا بكر ألعانين وصديقين كلا ورب الكعبة »**) قال ذلك (**مرتين أو ثلاثا فأعتق أبو بكر يومئذ بعض رقيقه، وأتى النبي ﷺ وقال: لا أعود**) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في الصمت وشيخه بشار بن موسى الخفاف ضعفه الجمهور وكان أحمد حسن الرأي فيه اهـ.

قلت: قال ابن أبي الدنيا، حدثنا بشار بن موسى، أنبأنا يزيد بن المقدام بن شريح عن أبيه المقدام عن جده عن عائشة قالت: سمع النبي ﷺ أبا بكر الصديق لعن بعض رقيقه، فقال له النبي ﷺ: « يا أبا بكر الصديقون لعانون » فاعتق أبو بكر يومئذ بعض رقيقه. وجاء إلى النبي ﷺ فقال: والله لا أعود اهـ.

وبشار بن موسى الخفاف شيباني عجلي بصري نزل بغداد قال صاحب التهذيب: ضعيف كثير الغلط لين الحديث، روى له ابن ماجة في كتاب التفسير له. وقال الذهبي في المغني: بشار بن موسى الخفاف عن يزيد بن زريع. قال أبو زرعة وغيره: ضعيف. وقال البخاري: منكر الحديث. وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به.

(**وقال ﷺ: « إن اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة »**) قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي الدرداء اهـ.

قلت: ورواه ابن أبي الدنيا عن أبي عمر المقري، حدثنا ابن أبي مريم، حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير، حدثني زيد بن أسلم، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: فذكره.

(**وقال أنس**) رضي الله عنه: (**كان رجل يسير مع النبي ﷺ على بعير فلعن بعيره فقال له النبي ﷺ: « يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون »**) رواه ابن أبي الدنيا عن إسماعيل ابن إسحاق الأزدي، حدثنا إسماعيل بن أبي إدريس، حدثنا أبي، عن شريك بن عبد الله بن أبي

وذلك غير جائز إلا على من اتصف بصفة تبعده من الله عز وجل وهو الكفر والظلم بأن يقول: لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين، وينبغي أن يتبع فيه لفظ الشرع فإن في اللعنة خطراً لأنه حكم على الله عز وجل بأنه قد أبعد الملعون وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله تعالى ويطلع عليه رسول الله ﷺ إذا أطلعه الله عليه.

والصفات المقتضية للعن ثلاثة: الكفر، والبدعة، والفسق. وللعن في كل واحدة ثلاث مراتب.

الأولى: اللعن بالوصف الأعم كقولك: لعنة الله على الكافرين والمبتدعين والفسقة.

الثانية: اللعن بأوصاف أخص منه كقولك: لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى القدرية والخوراج والروافض. أو على الزناة والظلمة وآكلي الربا. وكل ذلك جائز،

نمر، عن أنس بن مالك وهو سند جيد، (**وكان ذلك إنكاراً منه**) ﷺ على الرجل المذكور. وأخرج ابن أبي الدنيا من طريق بكر بن خنيس رفعه قال: «علامة أبدال أمتي أنهم لا يلعنون شيئاً أبداً». ومن طريق يحي بن أبي كثير قال: دخلت أم الدرداء على جيران لها وهم يلعنون فقالت: كيف تكونون صدّيقين وأنتم لعانون. ومن طريق حكيم بن جابر قال: كان أبو الدرداء مضطجعاً بين أصحابه وقد غطى وجهه فمر عليه قس سمين فقالوا: اللهم العنه ما أغلظ رقبته. فقال أبو الدرداء رضي الله عنه: من ذا الذي لعنتم آنفاً فاخبروه. فقال: لا تلعنوا أحداً فإنه لا ينبغي للعان أن يكون عند الله صديقاً يوم القيامة. (**واللعن عبارة عن الطرد والإبعاد من الله تعالى، وذلك غير جائز إلا على من اتصف بصفة تبعده عن الله تعالى وهو الكفر والظلم بأن يقول لعنة الله على الظالمين و**) لعنة الله (**على الكافرين وينبغي فيه لفظ الشرع فإن في اللعنة خطر لأنه حكم على الله عز وجل بأنه قد أبعد الملعون**) عن حضرته وطرده عن عموم رحمته، (**وذلك**) أمر (**غيب لا يطلع عليه غير الله تعالى ويطلع عليه رسوله** ﷺ **لو أطلعه الله عليه والصفات المقتضية للعن ثلاثة**) أعظمها (**الكفر**) وهو الشرك بالله تعالى، (**والبدعة**) التي تضاد السنة المشروعة، (**والفسق**) وهو الخروج عن طاعة الله ورسوله بالظلم وغيره من المعاصي، (**وللعن في كل واحدة**) من هؤلاء الثلاثة (**ثلاث مراتب**).

(**الأولى: اللعن بالوصف الأعم**) وذلك مأذون فيه (**كقولك: لعنة الله على الكافرين**) بالنظر إلى الكفر، (**و**) لعنة الله (**على المبتدعين**) بالنظر إلى البدعة، (**و**) لعنة الله (**على الفسقة**) بالنظر إلى الفسق.

(**الثانية: اللعن بأوصاف**) هي (**أخص منه**) أي من الوصف الأعم (**كقوله: لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس**) بالنظر إلى الكفر (**و**) لعنة الله (**على القدرية**) وهم المعتزلة (**والخوارج**) وهم فرق شتى، (**والروافض**) وهم كذلك فرق شتى، وهذا بالنظر إلى

ولكن في لعن أوصاف المبتدعة خطر لأن معرفة البدعة غامضة ولم يرد فيه لفظ مأثور فينبغي أن يمنع منه العوام لأن ذلك يستدعي المعارضة بمثله ويثير نزاعاً بين الناس وفساداً.

الثالثة: اللعن للشخص المعين وهذا فيه خطر كقولك: زيد لعنه الله وهو كافر أو فاسق أو مبتدع، والتفصيل فيه أن كل شخص ثبتت لعنته شرعاً فتجوز لعنته كقولك: فرعون لعنه الله، وأبو جهل لعنه الله لأنه قد ثبت أن هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعاً. أما شخص بعينه في زماننا كقولك: زيد لعنه الله وهو يهودي مثلاً فيه خطر فإنه ربما يسلم فيموت مقرباً عند الله تعالى. فكيف يحكم بكونه ملعوناً؟

فإن قلت: يلعن لكونه كافراً في الحال كما يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلماً في الحال، وإن كان يتصور أن يرتد؟ فاعلم أن معنى قولنا رحمه الله أي ثبته الله على الإسلام الذي هو سبب الرحمة وعلى الطاعة ولا يمكن أن يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب

البدعة، (و) لعنة الله (**على الزناة**) من النساء والرجال (**والظلمة وآكلي الربا**) وهذا بالنظر إلى الفسق، (**وكل ذلك جائز مأذون**) فيه (**ولكن في لعن أصناف المبتدعة خطر لأن معرفة البدعة**) أمر (**غامض**) خفي (**ولم يرد فيه لفظ مأثور فينبغي أن يمنع منه العوام من الناس لأن ذلك يستدعي المعارضة بمثله ويثير**) أي يحرك (**نزاعاً بين الناس**) فتنشأ من ذلك مفاسد عظيمة.

(**الثالث: اللعن للشخص المعين وهذا فبه خطر كقولك زيد لعنه الله وهو كافر أو فاسق أو مبتدع**) وهذا قد اختلف فيه (**والتفصيل**) الرافع للنزاع (**فيه أن كل شخص ثبتت لعنته شرعاً**) إما في الكتاب أو في السنة (**فتجوز لعنته كقولك: فرعون لعنه الله وأبو جهل لعنه الله لأنه قد ثبت أن هؤلاء قد ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعاً**) ولو قال بدل فرعون أبو لهب لكان أولى إذ قد اختلف في إيمان فرعون فأثبته بعض المحققين ونفاه آخرون كما تقدم الكلام فيه فيما سبق، وأما أبو لهب وأبو جهل فمتفق على كفرهما وموتهما على الكفر. (**أما شخص بعينه في زماننا كقولك: زيد لعنه الله وهو يهودي مثلاً فهذا فيه خطر، فإنه ربما يسلم فيموت مقرباً عند الله تعالى، فكيف يحكم بكونه ملعوناً**)؟ قال ابن حجر المكي: وهذا هو الأليق بقواعد أئمتنا فإنهم صرحوا بأنه لا يجوز لعن شخص بخصوصه إلا إن علم موته على الكفر كأبي جهل وأبي لهب. وأما من لم يعلم منه ذلك فلا يجوز لعنه.

(**فإن قلت: يلعن لكونه كافراً في الحال**) أي في حال اللعن (**كما يقال للمسلم: رحمه الله لكونه مسلماً في الحال وإن كان يتصور فيه أن يرتد**) عن دين الإسلام إلى دين الكفر؟ (**فاعلم أن معنى قولنا**) للمسلم (**رحمه الله أي ثبته على الإسلام الذي هو سبب الرحمة و**)

اللعنة فإن هذا سؤال للكفر وهو في نفسه كفر، بل الجائز أن يقال: لعنه الله إن مات على الكفر ولا لعنه الله إن مات على الإسلام، وذلك غيب لا يدري، والمطلق متردد بين الجهتين ففيه خطر وليس في ترك اللعن خطر. وإذا عرفت هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق أو زيد المبتدع أولى، فلعن الأعيان فيه خطر لأن الأعيان تنقلب في الأحوال إلا من أعلم به رسول الله ﷺ فإنه يجوز أن يعلم من يموت على الكفر، ولذلك عين قوماً باللعن فكان يقول في دعائه على قريش: «اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة». وذكر جماعة قتلوا على الكفر ببدر حتى أن من لم يعلم عاقبته كان يلعنه فنهي عنه إذ روي أنه كان يلعن الذي قتلوا أصحاب بئر معونة في قنوته شهراً فنزل قوله تعالى: ﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾ [آل عمران: ١٢٨]» يعني أنهم ربما يسلمون فمن أين تعلم أنهم ملعونون؟ وكذلك من بان لنا موته

ثبته (**على الطاعة**) والانقياد لأوامر الله تعالى فهو دعاء له بذلك، (**ولا يمكن أن يقال: ثبت الله الكافر على ما هو سبب اللعنة**) والطرد، (**فإن هذا سؤال للكفر وهو في نفسه كفر**) إذ من يسأل الكفر لغيره كأنه يرضى له بذلك والرضا بالكفر كفر، (**بل الجائز أن يقال لعنه الله إن مات على الكفر ولا لعنة الله إن مات على الإسلام وذلك غيب لا يدري**) ولا يدرك، (**والمطلق متردد بين الجهتين**) إما جهة الكفر أو جهة الإسلام، (**ففيه خطر وليس في ترك اللعن خطر**) فهو الأسلم، (**وإذا عرفت هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق أو زيد المبتدع أولى، فلعن الأعيان فيه خطر لأن الأعيان تنقلب في الأحوال**). قال ابن حجر المكي: الكافر المعين لا يجوز لعنه لأنه هو الطرد عن رحمة الله تعالى المستلزم لليأس منها، وذلك إنما يليق بمن علم موته على الكفر فقط، وإن كان كافراً في الحالة الظاهرة لاحتمال أن يختم له بالحسنى فيموت على الإسلام، ولا يجوز أيضاً لعن فاسق معين، ثم نقل عن ابن الصلاح ما يشهد لهذا (**إلا من رسول الله ﷺ فإنه يجوز أن يعلم من يموت على الكفر، ولذلك عين قوماً باللعن، فكان يقول في دعائه على قريش: «اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة» وذكر جماعة قتلوا على الكفر ببدر**) كما رواه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود (**حتى أن من لم تعلم عاقبته كان يلعنه**) ويدعو عليه (**فنهي عنه إذ روي أنه**) ﷺ (**كان يلعن الذي قتلوا أصحاب بئر معونة في قنوته شهراً، فنزل قوله تعالى: ﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾، يعني أنهم ربما يسلمون فمن أين تعلم أنهم ملعونون**) قال العراقي: روى الشيخان من حديث أنس دعا رسول الله ﷺ على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحاً الحديث. وفي رواية لهما قنت شهراً يدعو على رعل وذكوان الحديث، ولهما من حديث أبي هريرة كان يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة

على الكفر جاز لعنه وجاز ذمه إن لم يكن فيه أذى على مسلم، فإن كان لم يجز كما روي أن رسول الله ﷺ سأل أبا بكر رضي الله عنه عن قبر مرّ به وهو يريد الطائف فقال: هذا قبر رجل كان عاتياً على الله ورسوله وهو سعيد بن العاص، فغضب ابنه عمرو بن

ويكبر ويرفع رأسه الحديث. وفيه: «اللهم العن لحيان ورعلاً» الحديث وفيه ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل الله ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ لفظ مسلم اهـ.

قلت: وروى الشيخان وأحمد والترمذي والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر والبيهقي في الدلائل من حديث أنس أن هذه الآية نزلت يوم أحد لما كسرت رباعيته وشجّ وجهه، وعند ابن جرير في روايته عن الربيع في آخره، فكف رسول الله ﷺ عن الدعاء عليهم. وروى أحمد والبخاري والترمذي والنسائي وابن جرير والبيهقي من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ يوم أحد: «اللهم العن أبا سفيان اللهم العن الحرث بن هشام اللهم العن سهيل بن عمرو اللهم العن صفوان بن أمية» فنزلت هذه الآية قال: «فتيب عليهم كلهم» وروى الترمذي وصححه وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث ابن عمر قال: كان النبي ﷺ يدعو على أربعة نفر فأنزل الله هذه الآية فهداهم للإسلام.

وروى الشيخان وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر والبيهقي في السنن من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد قنت بعد الركوع: «اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف» يجهر بذلك. وكان يقول في بعض صلاة الفجر: «اللهم العن فلاناً وفلاناً لأحياء من احياء العرب» حتى أنزل الله هذه الآية. وفي لفظ: «اللهم العن لحيان ورعلاً وذكوان وعصية عصت الله ورسوله» بلغنا أنه ترك ذلك لما نزلت هذه الآية.

وروى ابن إسحاق في سيرته والنحاس في ناسخه من حديث سالم بن عبد الله بن عمر قال: جاء رجل من قريش إلى النبي ﷺ فقال: إنك تنهي عن الشيء ثم تحول فحول قفاه للنبي ﷺ وكشف استه فلعنه ودعا عليه، فأنزل الله هذه الآية. قال: ثم أسلم الرجل وحسن إسلامه.

(**وكذلك من بان**) أي ظهر (**لنا موته على الكفر جاز لعنه وجاز ذمه إن لم يكن فيه أذى على مسلم، فإن كان لم يجز كما روي أن رسول الله ﷺ سأل أبا بكر رضي الله عنه عن قبر مرَّ به وهو يريد الطائف، فقال**) أبو بكر: (**هذا قبر رجل كان عاتياً**) أي متمرداً (**على الله ورسوله وهو سعيد بن العاص**) بن أمية بن عبد شمس بن مناف، (**فغضب ابنه عمرو بن سعيد**) وهو ابن عمة خالد بن الوليد صحابي كبير من مهاجرة الحبشة قدم عليهم بخيبر هو وأخوه خالد قتل بأجنادين، وقيل باليرموك. وابن أخيه سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص له رؤية وحفيده عمرو بن سعيد بن العاص وهو الأصغر ويعرف بالأشدق. (**وقال: يا رسول**

سعيد وقال: يا رسول الله هذا قبر رجل كان أطعم للطعام وأضرب للهام من أبي قحافة. فقال أبو بكر: يكلمني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام؟ فقال ﷺ: «اكفف عن أبي بكر فانصرف ثم أقبل على أبي بكر فقال: يا أبا بكر إذا ذكرتم الكفّار فعمموا فإنكم إذا خصصتم غضب الأبناء للآباء»، فكف الناس عن ذلك. وشرب نعمان الخمر فحدّ مرات في مجلس رسول الله ﷺ فقال بعض الصحابة: لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به. فقال ﷺ: «لا تكن عوناً للشيطان على أخيك». وفي رواية: «لا تقل هذا فإنه

الله هذا قبر رجل كان أطعم للطعام وأضرب للهام من أبي قحافة) يعني والد أبي بكر، **(فقال أبو بكر: يكلمني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام، فقال ﷺ)** لعمرو بن سعيد **(«اكفف عن أبي بكر» فانصرف)** عنه، **(ثم أقبل)** رسول الله ﷺ **(على أبي بكر فقال «يا أبا بكر إذا ذكرتم الكفار فعمموا)** أي اذكروهم بلفظ العموم **(فإنكم إذا خصصتم غضب الأبناء للآباء» فكف الناس عن ذلك»)**. قال العراقي: رواه أبو داود في المراسيل من رواية علي بن ربيعة قال: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة توجه من فوره ذلك إلى الطائف، ومعه أبو بكر ومعه ابنا سعيد بن العاصي، فقال أبو بكر: لمن هذا القبر؟ قالوا: قبر سعيد بن العاصي. فقال أبو بكر: لعن الله صاحب هذا القبر، فإنه كان يحادّ الله ورسوله الحديث. وفيه «فإذا سببتم المشركين فسبوهم جميعاً».

(وشرب نعمان) بن عمرو بن رفاعة النجاري من بني مالك بن النجار يقال اسمه نعمان فصغر صحابي بدري كان يمزح كثيراً رضي الله عنه **(الخمر فحدّ مرات في مجلس رسول الله ﷺ، فقال بعض الصحابة)** قال الحافظ في الفتح اسمه عمير: **(لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به، فقال ﷺ «لا تكن عوناً للشيطان على أخيك». وفي رواية «لا تقل هذا فإنه يحب الله ورسوله» فنهاه عن ذلك)**. قال العراقي: رواه ابن عبد البر في الاستيعاب من طريق الزبير بن بكار من رواية محمد بن عمرو بن حزم مرسلاً. ومحمد هذا ولد في حياته ﷺ وسماه محمداً وكناه أبا عبد الملك اهـ.

قلت: رواه الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة من طريق أبي طوالة، عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه قال: كان بالمدينة رجل يقال له النعمان يصيب من الشراب فذكره، ثم قال العراقي: وللبخاري من حديث عمر أن رجلاً على عهد رسول الله ﷺ كان اسمه عبد الله وكان يلقب حماراً، وكان يضحك رسول الله ﷺ، وكان قد جلده في الشراب فأتى به يوماً فأمر به فجلد فقال رجل من القوم: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي ﷺ «لا تلعنوه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله» وله من حديث أبي هريرة في رجل شرب ولم يسم وفيه «لا تعينوا عليه الشيطان» وفي رواية «لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم» اهـ.

قلت: ورواه البخاري من طريق وهيب، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن عقبة بن الحرث

يحب الله ورسوله » فنهاه عن ذلك. وهذا يدل على أن لعن فاسق بعينه غير جائز. وعلى الجملة ففي لعن الأشخاص خطر فليجتنب، ولا خطر في السكوت عن لعن إبليس مثلاً فضلاً عن غيره.

فإن قيل: هل يجوز لعن يزيد لأنه قاتل الحسين أوأمر به؟ قلنا: هذا لم يثبت أصلاً

أن النبي ﷺ أتى بالنعمان أو ابن النعمان كذا بالشك، والراجح النعمان بلا شك. وفي لفظ لأحمد: كنت فيمن ضربه وقالا فيه أتى بالنعمان من غير شك. ورواه بالشك أيضاً محمد بن سعد في الطبقات من طريق معمر عن يزيد بن أسلم مرسلاً، وجزم ابن عبد البران صاحب القصة هو ابن النعمان وما مرَّ من حديث عمر عند البخاري ربما يشهد له، فإنه قال فيه إن اسمه عبد الله ويلقب حماراً وهذا يقوّي قوله فيكون وقع ذلك له ولابنه ومن يشابه أبان فما ظلم،وحديث أبي هريرة رواه البخاري من طريق محمد بن إبراهيم التيمي عن أبي سلمة عن أبي هريرة، وحديث ابن عمر عند البخاري فيه قوله «لا تلعنوه» هكذا في سائر روايات البخاري، وعند الكشميهني «ألا لا تلعنوه». وروى أحمد وأبو داود من حديث أبي هريرة قال: أتى رجل قد شرب الخمر، فقال رسول الله ﷺ «اضربوه» فقال بعض القوم أخزاه الله تعالى، فقال رسول الله ﷺ «لا تقولوا هكذالا تعينوا عليه الشيطان ولكن قولوا اللهم اغفر له اللهم ارحمه» وروى ابن سعد في الطبقات عن أيوب عن محمد مرسلاً لا تقولوا للنعمان إلا خيراً فإنه يحب الله ورسوله. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إذا رأيتم أخاكم قد زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا له بالتوبة ولا تكونوا أعواناً للشيطان عليه. ذكره صاحب الكشاف في سورة غافر وفيه قصة وقد تقدم ذكرها. (**وهذا يدل على أن لعنة فاسق بعينه غير جائزة**) كما أن الفسق لا يخرج الإنسان عن اخوّة الإيمان، (**ففي لعنة الأشخاص خطر فليجتنب**) عنها (**ولا خطر في السكوت عن لعنة إبليس مثلاً**) وهو هو مع قول الله تعالى في حقّه ﴿وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين﴾ [ص: ٧٨] فضلاً عن غيره، فالساكت عن لعنه لا يلزمه شيء مع أن الاشتغال به اشتغال فيما لا فائدة فيه، فقد روى ابن أبي الدنيا، عن داود بن عمر، وحدثنا عباد بن العوّام، أخبرنا حصين سمعت مجاهداً يقول: قلما ذكر الشيطان قوم إلا حضرهم، فإذا سمع أحداً يلعنه قال: لقد لعنت ملعناً ولا شيء أقطع لظهره من لا إله إلا الله (**فضلاً عن غيره**).

(**فإن قيل: هل تجوز لعنة يزيد**) بن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس كنيته أبو خالد، ولد في خلافة عثمان، وعهد إليه أبوه بالخلافة فبويع له ببيت المقدس في يوم الخميس لثمان بقين من رجب سنة ستين وشخص إلى دمشق مسرعاً ولم يشهد وفاة أبيه ولا صلى عليه لمقامه في ذلك الوقت ببيت المقدس، وأبى البيعة عبد الله بن الزبير ولاذ بمكة والحسين بن علي ونهض إلى الكوفة (**لأنه قاتل الحسين**) بن علي رضي الله عنه (**أوآمر به**) **أي بالقتل؟** (**قلنا هذا لم يثبت أصلاً**) أما كونه لم يقتله بنفسه فهو ظاهر، وأما كونه لم يأمر بقتله فهذا فيه

فلا يجوز أن يقال انه قتله أو أمر به ما لم يثبت فضلاً عن اللعنة لأنه لا تجوز نسبة مسلم

الاختلاف الشائع، وغاية ما ذكر فيه أن يزيد لما قلد عبيد الله بن زياد الكوفة مضافاً إلى ما تقلده من أمر البصرة وسار إليها مسرعاً متنكراً حتى نزل قصر الإمارة بها كتب إليه يزيد قد ابتلى شأنك بالحسين وابتلى بلدك من بين البلدان وأنت من بين العمال، وفي هذا ما يعتق أو يعوب عبد اننا يريد أن الحسين رضي الله عنه إن ملك ردك إلى نسبك ورد مقال معاوية إلى ادعاء أبيك، فكان هذا القول مما حرضه على الحسين رضي الله عنه، وهذا لا يدل على أنه أمره بقتله كما هو ظاهر، ويؤيد ذلك أن في سنة اثنتين وستين بعد قتل الإمام الحسين رضي الله عنه وفد أبو القاسم محمد بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية على يزيد باستدعاء منه، فلما صار إليه اعتذر مما جرى على الحسين رضي الله عنه وقال: لو كنت حاضراً لما جرى ما جرى، فقال له محمد بن علي: لا أحب أن أسمع في أخي إلاَّ خيراً ولا أشك في أنك لو وليت أمره لما جرى ما جرى، ولكن لكل أجل كتاب، وقصة قتله رضي الله عنه مشهورة وحاصلها: إن في سنة إحدى وستين أنفذ عبيد الله بن زياد شبث بن ربعي ليلقى الحسين وحربه من طريق خفان في أثني عشر ألفاً، وعمر بن سعد بن أبي وقاص من طريق الفرات ليأخذ عليه الطريقين في جيش آخر، وقال لعمر: مره أن يرجع إلى المدينة أو إلى مكة أو يسير إلى يزيد فإن أبى فاستأسره فإن أبى فقاتله فأبى الحسين أن يرجع أو يستأسر فقاتلوه فقتل رضي الله عنه سعيداً شهيداً حميداً بمكان يقال له الطف، واختلف في قاتله فقيل سنان بن أنس النخعي، وقيل شمر بن ذي الجوشن الضبابي وكان سنه إذا ذاك رضي الله عنه ستا وخمسين سنة وخمسة أشهر، وحمل رأسه إلى عبيد الله بن زياد على خشبة، وهو أول رأس حمل على خشبة ودفن جسده الشريف بكربلاء.

وبالجملة (**فإنه لا يجوز أن يقال أنه قتله أو امر بقتله ما لم يثبت**) من طرق صحيحة كما نقله ابن عبد البر في التمهيد عن بعضهم أن يزيد لم يأمرهم بقتله، وإنما أمرهم بطلبه أو بأخذه وحمله إليه، فهم قتلوه من غير حكمة. وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ما حاصله: إن جميع ما يذكر في ذلك لم يثبت وإن قتله إنما كان عن رأي عبيد الله بن زياد (**فضلاً عن اللعنة لأنه لا تجوز نسبة مسلم إلى كبيرة**) كالقتل وغيره (**من غير تحقيق**) أو بصيرة، فحيث لم يثبت ما يقتضي اللعن لا يجوز لعنه وبه أفتى المصنف. قال ابن حجر المكي: وهو الاليق بقواعد المذهب فلا يجوز لعنه وإن كان فاسقاً خبيثاً. قال: وفي كلام ابن الصلاح ما يشهد لذلك فلا توله ولا تلعنه.

وبالجملة؛ فالرجل من أهل القبلة ليس بكافر لأن الاسباب الموجبة للكفر لم يثبت منها شيء والأصل بقاؤه على إسلامه حتى يعلم بخروجه عنه، وقد نهى النبي ﷺ عن لعن أهل القبلة ومقترف الذنوب والمعاصي لا يكفر وهو مذهب أهل السنة، وقد ذكره الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب وقال فيه إنه ليس أهلاً لأن يروى عنه وليست له رواية تعتمد، ثم اعتذر عن ذكره فقال: إنما ذكرته للتمييز بينه وبين يزيد بن معاوية النخعي الكوفي العابد قال: ثم وجدت له رواية في مراسيل أبي

داود، وقد نبهت عليها في الاستدراك على الأطراف، ومنهم من أثبت مع فسقه كفره نظراً إلى ما فعل بآل بيت رسول الله ﷺ من الإهانة والإذاية واستباحته المدينة في وقعة الحرة، وبما حكي عنه أنه لما طلب المبايعة من الحسين رضي الله عنه فأبى وأراد أن يأمر بقتله تفاؤل بالمصحف، فخرج في أول سطر وخاب كل جبار عنيد فمزق المصحف، ونقل عنه أنه لما بعث عبيد الله برأس الحسين رضي الله عنه إليه ومعه علي بن الحسين وأختاه سكينة وفاطمة أمر بهم فغلوا في قيد وأقبل على ثناياه بمخصرة معه وقال:

نفلق هاماً من رجال أعزة ... علينا وكانوا هم أعق وأظلما

ونقل عنه أيضاً أنه قال:

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل

وهذا كما ترى تمن أن لو وجد كفار قريش الذين قتلوا ببدر ورأوا إهانته بأهل المدينة وقتلهم واستباحة اعراضهم وهو انتصار للكفر والانتصار للكفر كفر إلى غير ذلك من المخزيات التي تنسب إليه. وقد شحنت كتب التواريخ بذلك وأخباره مستوفاة في تاريخ دمشق لابن عساكر وهو اختيار بعض العراقيين. وإلى هذا ميل الشيخ سعد الدين التفتازاني فإنه ذكر في شرح العقائد بعد أن نقل ما يقتضيه المقام، وأما نحن فلا نتوقف في شأنه فلعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه. انظر هذا الكلام من هذا المحقق مع أنه من كبار أئمة الشافعية، وقواعد مذهبه تقتضي عدم اللعن ولكنه ربى في بلاد العجم وقد امتلأت مسامعهم من الأخبار والحكايات التي أكثرها لا يخلو من مجازفات ثم انها لم تثبت من طرق تفيد اليقين والسكوت فقال ما قال، وخالف مقتضى مذهبه ولم يبال، وإلى مثله الإشارة بقول صاحب بدء الأمالي:

ولم يلعن يزيد بعد موت ... سوى المكثار في الاغراء غالي

فالمكثار هو المبالغ في الكثرة، والاغراء: الإفساد والتحريض عليه، والغالي: المبالغ في التعصب، فمن أجاز لعن يزيد فهو موصوف بهذه الصفات الثلاث، فهذان قولان متقابلان وهناك قول ثالث وهو التوقف في ذلك وتفويض أمره إلى الله تعالى، لأنه العالم بالخفيات والمطلع على مكنونات الضمائر وهواجس السرائر فلا يتعرض لتكفيره، ولعنه أصلاً وإن هذا هو الأحرى والأسلم ومع القطع بإسلامه فإنه فاسق شرير سكير جائر. وقد أخرج الروياني في مسنده من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه: «أوّل من يبدل سنتي رجل من بني أمية يقال له يزيد». وأخرج أبو يعلى في المسند ونعيم بن حماد في الفتن وابن عساكر من حديث أبي عبيدة «لا يزال أمر أمتي قائماً بالقسط حتى يكون أوّل من يثلمه رجل من بني أمية يقال له يزيد». وقد مال إلى التوقف جماعة من العلماء العاملين، وقالوا: الاشتغال بذكر الله تعالى أولى من الاشتغال بلعنه وهو اشتغال بما لا يعني، وقد

إلى كبيرة من غير تحقيق. نعم يجوز أن يقال قتل ابن ملجم علياً. وقتل أبو لؤلؤة عمر رضي الله عنه فإن ذلك ثبت متواتراً، فلا يجوز أن يرمى مسلم بفسق وكفر من غير تحقيق. قال ﷺ: «لا يرمي رجل رجلاً بالكفر ولا يرميه بالفسق إلا أرتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك. وقال ﷺ: «ما شهد رجل على رجل بالكفر إلاّ باء به أحدهما إن كان كافراً فهو كما قال. وإن لم يكن كافراً فقد كفر بتكفيره إياه» وهذا معناه أن يكفره وهو يعلم أنه مسلم فإن ظن أنه كافر ببدعة أو غيرها كان مخطئاً لا كافراً. وقال

قال ﷺ «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه». وقد ذكر حاصل ذلك الفاضل مصطفى بن إبراهيم التونسي الحنفي في كتابه اقتباس الأنوار وجلب الأخبار في آيات النبي المختار ﷺ، وهذا الكتاب كنت رأيته في سنة سبع وستين ومائة وألف عام قدومي إلى مصر، وكان مصنفه إذ ذاك حياً بتونس رحمه الله تعالى وسبقه إلى ذلك الإمام الحافظ شرف الدين قاسم بن قطلو بغا البكتمري الحنفي فذكر في شرحه على بدء الأماني خلاصة ما أشرت إليه ثم بعد نقله هذه الأقوال حسبما يقتضيه المقام قال: وأما نحن فبريئون من أعداء الله ورسوله وأهل بيته، وممن عادى فرداً من أفراد عوام المسلمين لكونه مسلماً أو لكونه ينسب إلى النبي ﷺ ولو بأدنى نسبة اهـ.

ولا بأس بهذا الكلام على عمومه، فنحن كلنا برآء ممن يحاد الله ورسوله أو يؤذي من ينتسب إلى ذلك المقام العلي ولو بأدنى نسبة أو من ينتسب إلى الإسلام والله الموفق. **(نعم يجوز أن يقال قتل ابن ملجم)** وهو عبد الرحمن بن ملجم المرادي، وكان قد أدرك الجاهلية وهاجر في خلافة عمر، وقرأ على معاذ بن جبل، ثم صار من كبار الخوارج وهو أشنع هذه الأمة **(علياً رضي الله عنه)** وقصة قتله مشهورة. ثم قتله أولاد علي رضي الله عنهم في سنة اربع وأربعين، **(وقتل أبو لؤلؤة)** غلام المغيرة بن شعبة **(عمر رضي الله عنه)** وقصته كذلك مشهورة، **(فإن ذلك ثبت متواتراً)** من طرق كثيرة تفيد اليقين والسكوت، **(فلا يجوز أن يرمي مسلم بفسق أو كفر من غير تحقيق)** وبصيرة ففيه خطر. **(قال ﷺ: «لا يرمي رجل رجلاً بالكفر ولا يرميه بالفسق إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك»)** قال العراقي: متفق عليه والسياق للبخاري من حديث أبي ذر مع تقديم ذكر الفسق اهـ.

(وقال ﷺ «ما شهد رجل على رجل بالكفر إلاباء به أحدهما إن كان كافراً فهو كما قال، وإن لم يكن كافراً فقد كفر بتكفيره إياه») قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف اهـ.

قلت: ورواه كذلك النقاش في كتاب القضاة وفيه مندل بن علي وهو ضعيف.

(وهذا معناه أن يكفره وهو يعلم أنه مسلم فإن ظن أنه كافر ببدعة أو غيرها كان مخطئاً لا كافراً) ومما يناسب إيراده في هذا المقام ما أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت من طريق

فإن قيل: فهل يجوز أن يقال قاتل الحسين لعنه الله أو الآمر بقتله لعنه الله؟ قلنا: الصواب أن يقال قاتل الحسين إن مات قبل التوبة لعنه الله لأنه يحتمل أن يموت بعد التوبة، فإن وحشياً قاتل حمزة عمّ رسول الله ﷺ قتله وهو كافر ثم تاب عن الكفر والقتل جميعاً، ولا يجوز أن يلعن والقتل كبيرة ولا تنتهي إلى رتبة الكفر، فإذاً لم يقيد بالتوبة وأطلق كان فيه خطر وليس في السكوت خطر فهو أولى. وإنما أوردنا هذا لتهاون الناس باللعنة وإطلاق اللسان بها. والمؤمن ليس بلعّان فلا ينبغي أن يطلق اللسان باللعنة إلا على من مات على الكفر أو على الأجناس المعروفين بأوصافهم دون الأشخاص المعينين، فالاشتغال بذكر الله أولى فإن لم يكن ففي السكوت سلامة.

إذا مات صاحبكم فدعوه لا تقعوا فيه، وكذا هو عند الطيالسي من طريق عبد الله بن عثمان عن هشام.

وأما حديث عائشة عند النسائي: «لا تذكروا موتاكم إلا بخير» فقد رواه من طريق منصور ابن صفية عن أمه عنها قالت: ذكر عند النبي ﷺ هالك بسوء فقال «لا تذكروا هلكاكم إلا بخير».

(**فإن قيل: فهل يجوز أن يقال قاتل الحسين لعنه الله أو الآمر بقتله لعنه الله؟ قلنا: الصواب أن يقال قاتل الحسين إن مات قبل التوبة لعنه الله لأنه يحتمل أن يموت بعد التوبة**) وقد تقدم أنه لا يجوز لعن أحد إلا إذا تحقق موته على الكفر، فإن تاب قبل موته لم يجز لعنه، (**فإن وحشياً**) بن حرب من سودان مكة (**قاتل حمزة**) سيد الشهداء (**عم رسول الله ﷺ**) يوم أحد (**قتله وهو كافر، ثم تاب عن الكفر والقتل جميعاً**) وأسلم وحسن إسلامه وقتل مسليمة الكذاب في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، (**ولا يجوز أن يلعن والقتل كبيرة ولا تنتهي إلى رتبة الكفر، فإذا لم يقيد بالتوبة**) والإقلاع عن المعاصي (**وأطلق كان فيه خطر**) إذ لعن غير ملعن، (**وليس في السكوت خطر فهو أولى**) وأليق بحال المسلم، (**وإنما**) أوردنا هذا البحث (**لتهاون الناس باللعنة**) وكثرة استعمالها (**وإطلاق اللسان بها**) أي في محاوراتهم، (**والمؤمن**) أي الكامل (**ليس بلعّان**) أي ليس بذي لعن فالصيغة للنسبة كالتمار واللبان أو للمبالغة، فإنه ربما يصدر عن المؤمن في حال من أحوال الغضب أو الغفلة وهو مذموم، وهذا قد تقدم من حديث ابن عمر لا يكون المؤمن لعاناً. (**فلا ينبغي أن يطلق اللسان باللعنة إلا على من مات على الكفر**) وتحقق منه ذلك بإمارات ظاهرة، (**أو على الأجناس المعروفين بأوصاف**) كالكافرين والظالمين وآكلي الربا وشاربي الخمر وقاتلي النفس (**دون الأشخاص المعينين**) فلان وفلان، (**فالاشتغال بذكر الله أولى**) من هذا، (**فإن لم يكن ذكر الله ففي السكوت سلامة**) ونجاة. وقال ابن عبد البر في التمهيد: الأصح هو أن نقول بأن يزيد لو أمر بقتل الحسين أو رضي بذلك، فإنه يجوز اللعن عليه، وإلاَّ فلا. وكذا قاتله لا يكفر من غير استحلال اهـ.

وقال مكي بن إبراهيم: كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن أبي بردة فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عون ساكت فقالوا: يا ابن عون إنما نذكره لما ارتكب منك. فقال: إنما هما كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيامة لا إله إلا الله ولعن الله فلاناً، فلأن يخرج من صحيفتي لا إله إلا الله أحب إلي من أن يخرج منها لعن الله فلاناً. وقال رجل لرسول الله ﷺ: أوصني. فقال: «أوصيك أن لا تكون لعاناً». وقال ابن عمر: إن أبغض

ولا يخفى ما فيه من التناقض حيث أطلق اللعن على مجرد الأمر بقتله ورضاه وقيد قاتله بغير استحلال، فإن من المعلوم أن القتل أشد من الأمر بالقتل مع أن قتل غير الأنبياء ليس بكفر عند أهل السنّة خلافاً للخوارج وأهل البدعة فلا شك ان السكوت أسلم.

(وقال مكي بن إبراهيم) بن بشير بن فرقد التيمي البلخي أبو السكن ثقة ثبت مات سنة خمس عشرة ومائة وله تسعون سنة. روى عنه البخاري وروى له الباقون: **(كنا عند ابن عون)** وهو أبو عون عبد الله بن عون بن ارطبان المزني مولاهم البصري رأى أنس بن مالك ولم يثبت له منه سماع. وقال ابن مهدي: لم يكن بالعراق أعلم بالسنَّة منه مات بالبصرة سنة إحدى وخمسين ومائة روى له الجماعة، **(فذكروا)** عنه **(بلال بن أبي بردة)** بن أبي موسى الأشعري أبو عمرو أمير البصرة وقاضيها أخو سعيد بن أبي بردة وطالت ولايته، فمدحه الشعراء منهم: رؤبة، وذو الرمة، والفرزدق. ذكره البخاري في الأحكام، وروى له الترمذي حديثاً واحداً، **(فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه)** بالسبّ والشتم، **(وابن عون ساكت)** لا يتكلم بشيء **(فقالوا: إنما نذكره)** بالسوء **(لما ارتكبه منك)** وكان قد آذاه، **(فقال: إنما هما كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيامة لا إله إلا الله ولعن الله فلاناً فلأن يخرج من صحيفتي لا إله إلا الله أحب إليَّ من أن يخرج منها لعن الله فلاناً)** أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت قال: حدثني عبد الله بن محمد، سمعت مكي بن إبراهيم قال: كنا عند ابن عون فساق القصة كما هنا سواء.

(وقال رجل لرسول الله ﷺ. أوصني فقال «أوصيك أن لا تكون لعاناً») أي لا تكن ذا لعن وصيغة المبالغة هنا غير مرادة. قال العراقي: رواه أحمد والطبراني وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني من حديث جرموز الهجيمي، وفيه رجل لم يسم أسقط ذكره ابن أبي عاصم اهـ.

قلت: وكذلك رواه البخاري في التاريخ كلهم من طريق عبيد الله بن هوزة عن رجل من بلهجيم عن جرموز القريعي البصري. قال ابن أبي حاتم وابن السكن له صحبة ونسبه ابن قانع فقال جرموز بن أوس جرير الهجيمي: قال الحافظ ابن حجر: ورأيت في رواية قال ابن هوزة حدثني جرموز فذكره فلعله سمعه منه بواسطة ثم سمعه منه، والرجل المبهم في الرواية الأولى جزم البغوي وابن السكن أنه أبو تميمة الهجيمي.

قلت: أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت عن إبراهيم بن زياد سيان، حدثنا عبد الصمد بن عبد

معاذ: قال لي رسول الله ﷺ: «أنهاك أن تشتم مسلماً أو تعصى إماماً عادلاً والتعرض للأموات أشد». قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها فقالت: ما فعل فلان لعنه الله؟ قلت: توفي. قالت رحمه الله. قلت: وكيف هذا؟ قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا». وقال عليه السلام: «لا تسبوا الأموات

ابن المسيب عن الفضيل بن عمرو، أن رجلاً لعن شيئاً فخرج ابن مسعود من البيت فقال: إذا لعن شيء دارت اللعنة فإن وجدت مساغاً قيل لها: اسلكيه، فإن لم تجد مساغاً، قيل لها ارجعي من حيث جئت فخفت أن ترجع، وأنا في البيت. ومن طريق يزيد بن قوذر عن كعب قال: من لعن شيئاً من غير ذنب لم تزل اللعنة تتردد بين السماء والأرض حتى تلزم ترقوة صاحبها. ومن طريق مزيد بن هلال الضبغي عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «إن استطعت أن لا تلعن شيئاً فافعل فإن اللعنة إذاخرجت من صاحبها فكان الملعون لها أهلاً أصابته فإن لم يكن لها أهلاً وكان اللاعن لها أهلاً رجعت عليه فإن لم يكن لها أهلاً أصابت يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً فإن استطعت أن لا تلعن أبداً شيئاً فافعل».

ومن طريق الوليد بن رباح سمعت نمران يذكر عن أم الدرداء قالت: سمعت أبا الدرداء يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يميناً وشمالاً فإذا لم تجد مساغاً رجعت إلى الذي لعن فإن كان لذلك أهلاً وإلا رجعت إلى قائلها».

(وقال معاذ) بن جبل رضي الله عنه، **(قال لي رسول الله ﷺ «انهاك أن تشتم مسلماً أو تعصي إماماً عادلاً»)** قال العراقي: رواه أبو نعيم في الحلية في أثناء حديث له طويل تقدم.

قلت: ورواه من طريق إسماعيل بن رافع عن ثعلبة بن صالح عن رجل من أهل الشام عن معاذ قال: قال رسول الله ﷺ «يا معاذ انطلق فارحل راحلتك ثم ائتني أبعثك على اليمن» فذكر الحديث، وفيه: «وانهاك ان تشتم مسلماً أو تكذب صادقاً أو تصدق كاذباً أو تعصي إماماً عادلاً» الحديث.

(والتعرض للأموات أشد. قال مسروق) بن الاجدع بن مالك الهمداني الوداعي أبو عائشة الكوفي ثقة فقيه عابد مخضرم مات سنة اثنين وستين: **(دخلت على عائشة رضي الله عنها فقالت: مافعل فلان لعنه الله؟ قلت: توفي. قالت: رحمه الله. قلت: وكيف هذا؟ قالت: قال رسول الله ﷺ «لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا»)** قال العراقي: رواه البخاري وذكر المصنف في أوّله قصة لعائشة رضي الله عنها وهو عند ابن المبارك في الزهد والرقائق مع القصة اهـ.

قلت: رواه البخاري من طريق مجاهد وعائشة، وكذلك رواه أحمد والنسائي لكن بدون تلك

فتؤذوا به الأحياء ». وقال عليه السلام: « أيها الناس احفظوني في أصحابي وإخواني واصهاري ولا تسبوهم. أيها الناس إذا مات الميت فاذكروا منه خيراً ».

القصة. وفي تاريخ ابن النجار بلفظ « إلى ما كسبوا » وقال ابن أبي الدنيا. حدثنا أبو عبيدة بن عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثني أبي، حدثنا إياس الأفطس، حدثنا عطاء بن أبي رباح قال: ذكر رجل عند عائشة فنالت منه، فقالوا: إنه قد مات فترحمت عليه وقالت: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا تذكروا أمواتكم إلا بخير ».

(وقال ﷺ « لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء ») قال العراقي: رواه الترمذي من حديث المغيرة بن شعبة ورجاله ثقات إلا أن بعضهم أدخل بين المغيرة وبين زياد بن علاقة رجلاً لم يسم اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد والطبراني، ورواه الطبراني أيضاً من حديث صخر الغامدي.

(وقال ﷺ « أيها الناس احفظوني في أصحابي وإخواني وأصهاري ولا تسبوهم أيها الناس إذا مات الميت فاذكروا منه خيراً ») قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث عياض الأنصاري « احفظوني في أصحابي وأصهاري » وإسناده ضعيف، وللشيخين من حديث أبي سعيد وأبي هريرة « لا تسبوا أصحابي » ولأبي داود والترمذي وقال غريب من حديث ابن عمر « اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم » وللنسائي من حديث عائشة « لا تذكروا موتاكم إلا بخير » وإسناده جيد اهـ.

قلت: حديث عياض تمامه، فمن حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والآخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله عنه ومن تخلى الله عنه أوشك أن يأخذه ». رواه كذلك البغوي والطبراني وأبو نعيم في المعرفة وابن عساكر.

وأما حديث أبي سعيد وأبي هريرة عند الشيخين فتمامه: « فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » وكذلك رواه الطيالسي وأحمد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد، وأبو داود، والترمذي، وابن حبان من حديث أبي سعيد. ورواه ابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هريرة. وعند الدارقطني في الأفراد من حديث أبي سعيد « لا تسبوا أصحابي لعن الله من سب أصحابي. فوالذي نفسي بيده » الحديث. وعند ابن النجار من حديثه « لا تسبوا أصحاب محمد فوالله لئن سلكتم طريقهم لقد سبقتم سبقاً بعيداً ولئن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتهم ضلالاً بعيداً.

وأما حديث ابن عمر « اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم » فرواه أبو داود في الأدب والترمذي في الجنائز من طريق معاوية بن هشام عن عمران بن أنس المكي عن عطاء عن ابن عمر رفعه بهذا، ورواه أيضاً الطبراني وقال: كالترمذي أنه غريب، ورواه الحاكم وقال: إنه صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وعند أبي داود من طريق وكيع عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت:

الناس إلى الله كل طعّان لعان. وقال بعضهم: لعن المؤمن يعدل قتله. وقال حماد بن زيد بعد أن روى هذا لو قلت أنه مرفوع لم أبال؟ وعن أبي قتادة قال: كان يقال: « من لعن مؤمناً فهو مثل أن يقتله » وقد نقل ذلك حديثاً مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ، ويقرب من اللعن الدعاء على الإنسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الإنسان مثلاً: لا صحح الله جسمه ولا سلمه الله وما يجري مجراه فإن ذلك مذموم. وفي الخبر: « إن المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة ».

الوارث، حدثنا عبد الله بن هوذة القريعي، عن جرموز الهجيمي قال: قلت يا رسول الله أوصني قال « أوصيك أن لا تكون لعاناً ».

(وقال ابن عمر) رضي الله عنه: **(أبغض الناس إلى الله كل طعان لعان)** أخرجه ابن أبي الدنيا عن علي بن الجعد، حدثنا أبو هلال الرؤاسي عن قتادة قال: قال ابن عمر: أبغض عباد الله إلى الله كل طعان لعان. **(وقال بعضهم: لعن المؤمن كعدل قتله، وقال حماد بن زيد)** بن درهم الجهضمي أبو إسماعيل البصري ثقة ثبت فقيه مات سنة ست وتسعين وله إحدى وثمانون سنة بعد أن روى هذا **(لو قلت إنه مرفوع)** إلى رسول الله ﷺ **(لم أبال)**. أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت، عن عبد الله بن عمر، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن ثابت بن الضحاك، وكانت له صحبة. قال حماد: ولو قلت إنه مرفوع لم أبال أنه قال لعن المؤمن كعدل قتله، ومن دعاه بالكفر فهو كقتله ومن حلف بملة سوى الإسلام كاذباً فهو كما قال.

(وعن أبي قتادة) الحرث بن ربعي بن بلدمة السلمي بفتحتين المدني شهد أحداً وما بعدها ومات سنة أربع وخمسين **(قال: كان يقال « من لعن مؤمناً فهو مثل أن يقتله » وقد نقل ذلك مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ)**. قال العراقي: روى الشيخان من حديث ثابت بن الضحاك « لعن المؤمن كقتله » اهـ.

قلت: وقد رواه الطبراني في الكبير بزيادة « ومن قذف مؤمناً أو مؤمنة بكفر فهو كقتله » وروي أيضاً « لعن المؤمن كقتله ومن أكفر مسلماً فقد باء به أحدهما » وثابت بن الضحاك بن خليفة أنصاري ممن بايع تحت الشجرة، ورواه الخرائطي في مساويء الأخلاق من حديث عبد الله ابن عامر وابن مسعود بلفظ الشيخين من غير زيادة، وأخرجه ابن أبي الدنيا عن عبد الله بن عمر، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا إسحاق بن سويد العدوي، عن أبي قتادة قال: كان يقال « من لعن فهو مثل أن يقتله ».

(ويقرب من اللعن على الإنسان بالشر) قال الله تعالى: ﴿ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولاً﴾ [الإسراء: ١١] **(حتى الدعاء على الظالم كقول الإنسان مثلاً لا صح جسمه ولا سلمه الله وما يجري مجراه فكل ذلك مذموم. وفي الخبر « إن المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافئه)** أي يماثله في الظلم **(ثم يبقى للظالم عنده فضلة)** أي زيادة **(يوم القيامة »)**

الآفة التاسعة: الغناء والشعر:

وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده وأما الشعر فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح إلا أن التجرد له مذموم. وقال رسول الله ﷺ: «لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً حتى يراه خير له من أن يمتلىء شعراً». وعن مسروق أنه سئل عن

أي إن زاد على مثله لقوله تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ [البقرة: ١٩٤] قال العراقي: هذا الحديث لم أقف له على أصل، وللترمذي من حديث عائشة بسند ضعيف «من دعا على من ظلمه فقد انتصر» اهـ.

قلت: رواه كذلك ابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا في ذم الغضب وهو مطابق لقوله تعالى: ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل إنما السبيل على الذين يظلمون الناس﴾ [الشورى: ٤١] أي ابتداء أو بالتجاوز عن الحد انتهاء.

الآفة التاسعة الغناء:

وهو رفع الصوت بالتطريب والإيقاع (**والشعر، وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل**) مفصلاً (**فلا نعيده**) ثانياً (**وأما الشعر فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح**) رواه البخاري في الأدب المفرد والطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن عمرو، ورواه أبو يعلى من حديث عائشة بلفظ الشعر بمنزلة الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام، وقد تقدم القول في ذلك مفصلاً (**إلا أن التجرد له**) بحيث يهتم له ويعتني به حتى ينسب إليه (**مذموم. قال رسول الله ﷺ: «لأن يمتلىء بطن**) وفي لفظ جوف (**أحدكم**) يحتمل أن المراد الجوف كله وما فيه من القلب وغيره وأن يراد القلب خاصة وهو الظاهر لقول الأطباء إذا وصل القلب شيء من قيح حصل الموت (**قيحاً**) أي مدة لا يخالطها دم (**حتى يريه**) بفتح المثناة التحتية من الورى مثل الرمي غير مهموز أي حتى يغلبه حتى يشغله عن ذكر الله حتى يفسده. قال الزمخشري: وري الداء جوفه يريه أفسده، ولفظ البخاري بإسقاط «حتى» وعليه ضبط يريه بإسكان ثالثة. قال ابن الجوزي: وكان جماعة من المبتدئين ينصبون يريه هنا جرياً على العادة في قراءة الحديث الذي فيه حتى وليس هنا ما ينصب، وتعقبه الزركشي بأن الأصيلي رواه بالنصب على بدل الفعل من الفعل (**خير**) له (**من أن يمتلىء شعراً**») أنشأه أو أنشده لما يؤول إليه أمره من تشاغله عن عبادة ربه، والمراد بالشعر ما يتضمن تشبيباً أو هجاء أو مفاخرة كما هو الغالب في أشعار الجاهليين، وقال بعضهم: قوله شعراً ظاهره العموم في كل شعر لكنه مخصوص بما لم يشتمل على الذكر والزهد والمواعظ والرقائق مما لا إفراط فيه. وقال النووي: هذا الحديث محمول على التجرد للشعر بحيث يغلب عليه فيشغله عن القرآن والذكر. وقال القرطبي: من غلب عليه الشعر لزمه بحكم العادة الأدبية الأوصاف المذمومة وعليه يحمل الحديث، وقول بعضهم عنى به الشعر

بيت من الشعر فكرهه فقيل له في ذلك فقال: أنا أكره أن يوجد في صحيفتي شعر. وسئل بعضهم عن شيء من الشعر فقال: اجعل مكان هذا ذكراً فإن ذكر الله خير من الشعر. وعلى الجملة فإنشاد الشعر ونظمه ليس بحرام إذا لم يكن فيه كلام مستكره قال

الذي هجي به هو أو غيره رد بأن هجوه كفر كثر أو قل وهجو غيره حرام، وإن قل فلا يكون لتخصيص الذم بالكثير معنى.

قال العراقي: رواه مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص، واتفق عليه الشيخان من حديث أبي هريرة نحوه، والبخاري من حديث ابن عمر ومسلم من حديث أبي سعيد اهـ.

قلت: وعند مسلم زيادة قبل الحديث. قال أبو سعيد: بينا نحن نسير مع رسول الله ﷺ إذ عرض شاعر ينشد فقال: خذوا الشيطان أو أمسكوا الشيطان، ثم ذكره. ورواه أحمد من حديث ابن عمر، ومن حديث أبي سعيد ورواه الطيالسي والترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص، ورواه الطبراني في الكبير من حديث أبي الدرداء ورواه ابن جرير وصححه وأبو عوانه والطحاوي وتمام والضياء من حديث عمر بن الخطاب، ولفظ حديث أبي هريرة عند الشيخين لأن يمتلىء جوف رجل قيحاً حتى يريه خير له من أن يمتلىء شعراً. وكذلك رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه، ورواه أيضاً أحمد وأبو داود وابن ماجه من حديث سعد بن أبي وقاص، ورواه الطبراني في الكبير من حديث سلمان، ومن حديث ابن عمر، وروى ابن عدي في الكامل من حديث جابر بلفظ: «لأن يمتلىء جوف الرجل قيحاً أو دماً خير من أن يمتلىء شعراً مما هجيت به» وروى الطبراني في الكبير من حديث عوف بن مالك بلفظ: «لأن يمتلىء جوف أحدكم من عانته إلى لهاته قيحاً يتخضخض خير له من أن يمتلىء شعراً» ورواه أيضاً من حديث مالك بن عمير بلفظ: «لأن يمتلىء ما بين لبتك إلى عانتك قيحاً خير من أن يمتلىء شعراً».

(**وعن مسروق**) بن الأجدع الهمداني التابعي الثقة (**أنه سئل عن بيت من الشعر فكرهه**) أي كره إنشاده (**فقيل له في ذلك. فقال: أنا أكره أن يوجد في صحيفتي شعر**) إذ ليس هو من صالح الأعمال أخرجه ابن أبي الدنيا عن حمزة بن العباس، أنبأنا عبدان، أخبرنا عبد الله أنبأنا سفيان عن الأعمش، عن أبي الضحى عن مسروق أنه سئل فذكره.

(**وسئل بعضهم عن الشعر فقال: اجعل مكان هذا ذكراً فإن ذكر الله خير من الشعر**) وكأنه خاف عن التجرد له فيكون شاغلاً عن الذكر. أخرجه ابن أبي الدنيا عن علي بن أبي مريم عن حسين الجعفي، حدثنا هلال أبو أيوب الصيرفي قال: سألت طلحة بن مصرف عن شيء من الشعر قال: اجعل مكان هذا ذكراً فإن ذكر الله خير من الشعر، (**وعلى الجملة فإنشاد الشعر**) لنفسه أو لغيره (**ونظمه**) أي انشاؤه (**ليس بحرام إذا لم يكن فيه كلام مستكره**) فقد روي أن النبي ﷺ كان ينقل اللبن مع القوم في بناء المسجد، وهو يقول:

هـــــــذا الحمال لا حمال خيبر   هـــــذا أبـــــر ربنـــــا وأطهـــــر

ﷺ: « إن من الشعر لحكمة ». نعم مقصود الشعر المدح والذم والتشبيب وقد يدخله الكذب، وقد أمر رسول الله ﷺ حسان بن ثابت الأنصاري بهجاء الكفار والتوسع في المدح فإنه وإن كان كذباً فإنه لا يلتحق في التحريم بالكذب. كقول الشاعر:

ولـو لم يكـن في كفـه غير روحـه   لجاد بها فليتـق الله سـائلـه

فإن هذا عبارة عن الوصف بنهاية السخاء فإن لم يكن صاحبه سخياً كان كاذباً وإن كان سخياً فالمبالغة من صنعة الشعر فلا يقصد منه أن يعتقد صورته، وقد أنشدت أبيات بين يدي رسول الله ﷺ لو تتبعت لوجد فيها مثل ذلك فلم يمنع منه. قالت عائشة

أخرجه البخاري في قصة الهجرة من رواية عرو مرسلاً. قال الزهري: ولم يبلغنا في الأحاديث أنه ﷺ أنشد بيت شعر تام غير هذا البيت وقد تقدم ذلك. وفي الصحيحين من حديث أنس ارتجازهم وهو ﷺ معهم، وكذا إنشاد حسان كما عند مسلم من حديث عائشة، وإنشاد ابن رواحة كما عند البخاري، وإنشاد النابغة الجعدي كما في معجم البغوي والإستيعاب، وإنشاد بلال وهو محموم بالمدينة كما في الصحيحين من حديث عائشة، وكان الصحابة يتناشدون الأشعار وهو ﷺ يتبسم كما عند الترمذي من حديث جابر بن سمرة، وإنشاد الشريد مائة قافية من قول أمية ابن الصلت في كل ذلك يقول ﷺ: « هيه » كما عند مسلم، وكل ذلك قد تقدم في كتاب السماع فنفس الإنشاد والسماع جائزان بالإجماع كيف، وقد (**قال ﷺ: « إن من الشعر لحكمة »**) تقدم في كتاب العلم (**نعم مقصود الشعر المدح والذم والتشبيب**) بذكر القامة والخد والصدغ والخال، (**وقد يدخله الكذب**) أحياناً (**وقد أمر رسول الله ﷺ حسان بن ثابت الأنصاري**) رضي الله عنه (**بهجاء الكفار**) فقد روى الشيخان من حديث البراء أنه ﷺ قال لحسان: « اهجهم وجبريل معك » وفي لفظ: « هاجهم » وروى أبو داود والترمذي والحاكم من حديث عائشة كان ﷺ يضع لحسان منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله ﷺ أو ينافح، ويقول رسول الله ﷺ: « إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو فاخر » قال الترمذي: حسن صحيح. وقال الحاكم: صحيح الإسناد وأخرجه البخاري تعليقاً وقد تقدم في كتاب السماع، (**والتوسع في المدح وإن كان كذباً فإنه لا يلتحق في التحريم بالكذب كقول الشاعر**) وهو المتنبي:

(**ولـو لم يكـن في كفـه غير روحـه   لجاد بها فليتـق الله سـائلـه**)

(**فإن هذا عبارة عن الوصف بنهاية السخاء فإن لم يكن صاحبه**) الذي مدح به (**سخياً كان**) القائل (**كاذباً**) في مدحه، (**وإن كان سخياً فله المبالغة في صنعة الشعر ولا يقصد منه أن يعتقد صورته**) وقد قيل: أعذب الشعر أكذبه، (**وقد أنشدت أبيات بين يدي رسول الله ﷺ لو تتبعت لوجد فيها مثل ذلك**) من المبالغات، (**فلم يمنع منه**) فمن ذلك إنشاد كعب بن زهير بين يديه قصيدته اللامية، وفيها من التشبيب والمبالغات ما لا يخفى ولم ينكر عليه

رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يخصف نعله وكنت جالسة أغزل فنظرت إليه فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نوراً. قالت: فبهت فنظر إلي فقال: «مالك بهت»؟ فقلت: يا رسول الله نظرت إليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نوراً ولو رآك أبو كبير الهذلي لعلم أنك أحق بشعره. قال: «وما يقول يا عائشة أبو بكر الهذلي» قلت يقول هذين البيتين.

ومبرأ من كل غبر حيضة ... وفساد مرضعة وداء مغيّل

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه ... برقت كبرق العارض المتهلل

قال فوضع ﷺ ما كان بيده وقلم إليَّ وقبل ما بين عيني وقال: «جزاك الله خيراً يا عائشة ما سررت مني كسروري منك». ولما قسم رسول الله ﷺ الغنائم يوم حنين أمر للعباس بن مرداس بأربع قلائص، فاندفع يشكو في شعر له وفي آخره:

وما كان بدر ولا حابس ... يسودان مرداس في مجمع

ذلك، من ذلك (**قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يخصف نعله وكنت جالسة أغزل فنظرت**) إليه فجعل جبينه يعرق وجعل (**عرقه يتولد نوراً فبهت فنظر إليَّ رسول الله ﷺ وقال «مالك بهت» فقلت يا رسول الله نظرت إليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نوراً ولو رآك أبو كبير الهذلي**) أحد شعراء هذيل واسمه ثابت بن عبد شمس من بني كعب بن كاهل بن الحرث بن تميم بن سعد بن هذيل (**لعلم أنك أحق بشعره. قال**) ﷺ (**«وما يقول أبو كبير الهذلي» قلت يقول:**

(ومبرأ من كل غبر حيضة ... وفساد مرضعة وداء مغيل

فإذا نظرت إلى أسرة وجهه ... برقت كبرق العارض المتهلل)

غبر الحيض: كسكر بقاياه وكانوا يزعمون أن المرأة إذا جومعت في غبر الحيض وأراد الله تعالى بتكوين الولد جاء فاسداً، وداء مغيل: من الغيلة كانوا يزعمون أن المرضع إذا جومعت فسد لبنها، فإذا شربه الرضيع كان فاسداً وأسرة الوجه خطوط ترى في الجبهة والعارض السحاب والمتهلل المترقرق ماء. (**قالت: فوضع ﷺ ما كان بيده**) أي من آلة الخصف، (**وقام إليّ وقبل ما بين عيني**) فرحاً وسروراً (**وقال: «جزاك الله خيراً يا عائشة ما سررت مني كسروري منك»**) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، (**ولما قسم رسول الله ﷺ الغنائم يوم حنين**) بعد الانصراف منه (**أمر**) بإعطائها للمؤلفة قلوبهم فأمر (**للعباس بن مرداس**) السلمي وكان مطاع قومه (**بأربع قلائص**) أي النوق فاستقلها (**فاندفع في شعره يقول**):

أتجعل نهبي ونهب العبيد ... بين عيينة والأقرع

(وما كان بدر ولا حابس ... يفوقان مرداس في المجمع

ومـــا كنــــت دون امـــرىء منهما ومـن تضـع اليـوم لا يـرفــع

فقال ﷺ: «اقطعوا عني لسانه» فذهب به أبو بكر الصديق رضي الله عنه حتى اختار مائة من الإبل ثم رجع وهو من أرضى الناس، فقال له ﷺ: «أتقول فيّ الشعر» فجعل يعتذر إليه ويقول: بأبي أنت وأمي إني لأجد للشعر دبيباً على لساني كدبيب النمل، ثم يقرصني كما يقرص النمل فلا أجد بدّاً من قول الشعر. فتبسم ﷺ وقال: «لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين».

الآفة العاشرة: المزاح:

وأصله مذموم منهي عنه إلا قدراً يسيراً يستثنى منه. قال ﷺ: «لا تمار أخاك ولا

ومـــا كنــــت دون امـــرىء منهما ومـن تضـع اليـوم لا يـرفــع)
يريد ببدر وحابس أبا عيينة، والأقرع والنهب اسم لما يؤخذ من الغنائم والعبيد بالتصغير اسم فرس له (**فقال ﷺ: «اقطعوا عني لسانه» فذهب به أبو بكر رضي الله عنه حتى اختار مائة من الإبل ثم رجع وهو من أرضى الناس، فقال ﷺ: «اتقول فيّ الشعر» فجعل**) العباس (**يعتذر**) له (**ويقول بأبي أنت وأمي أني لأجد للشعر دبيباً على اللسان كدبيب النمل، ثم يقرصني كما يقرص النمل فلا أجد بداً من قول الشعر، فتبسم ﷺ وقال: «لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين»**) قال العراقي: رواه مسلم من حديث رافع بن خديج أعطى رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس كل إنسان منهم مائة من الإبل، وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك، فقال عباس بن مرداس:

أتجعـــــل نهبي ونهب العبيـــــد بين عيينـــــــة والأقـــــــرع
ومـــا كـــان بـــدر ولا حـــابس يفــوقـــان مـــرداس في المجمـــع
ومـــا كنــــت دون امـــرىء منهما ومـن تخفـض اليـوم لا يـرفــع

قال فأتم له رسول الله ﷺ مائة وزاد في رواية، وأعطى علقمة بن علاثة مائة، وأما زيادة اقطعوا عني لسانه» فليست في شيء من الكتب المشهورة، وذكرها ابن إسحاق في السيرة بغير إسناد اهـ.

قلت: وجدت بخط الحافظ ابن حجر ما نصه: ورواه إسماعيل القاضي من طريق عروة مرسلاً بالقصة، وأنه قال: «يا بلال اذهب فاقطع لسانه» الحديث أخرجه في النوادر له، والله أعلم.

الآفة العاشرة المزاح:

بكسر الميم مصدر مزح أو مازح وبالضم اسم ما يمزح به وهو المطايبة في الكلام باللسان، (**وأصله**) وكذا كثيره (**مذموم**) وكذا فاعله مذموم وهو (**منهي عنه إلا قدراً يسيراً**

تمازحه » . فإن قلت المماراة فيها إيذاء لأن فيها تكذيباً للأخ والصديق أو تجهيلاً له، وأما المـزاح فمطايبة وفيه انبساط وطيب قلب فلم ينه عنه؟ فاعلم أن المنهي عنه الإفراط فيه أو المداومة عليه. أما المداومة فلأنه اشتغال باللعب والهزل فيه واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذمومة. وأما الإفراط فيه فإنه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تميت القلب وتورث الضغينة في بعض الأحوال وتسقط المهابة والوقار فما يخلو عن هذه الأمور فلا يذم، كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: « إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً » إلا أن مثله يقدر على أن يمزح ولا يقول إلا حقاً، وأما غيره إذا فتح باب المزاح كان غرضه أن يضحك الناس كيفما كان، وقد قال رسول الله ﷺ: « إن الرجل ليتكلم بالكلمة

يستثنى منه) وهو ما خلا عن الباطل. **(قال ﷺ: « لا تمار أخاك ولا تمازحه »)** رواه الترمذي وابن أبي الدنيا من حديث ابن عباس وقد تقدم. قال ابن أبي الدنيا: حدثنا القاسم بن أبي شيبة، حدثنا المحاربي، عن ليث، عن عبد الملك، عن عكرمة، عن ابن عباس فساقه.

(فإن قلت: المماراةفيها إيذاء لأن فيها تكذيباً للأخ) المؤمن **(والصديق)** المرافق **(أو تجهيلاً له)** وهي لا تخلو من هذين، فوجه النهي عنها ظاهر. **(وأما المزاح فمطايبة)** في الكلام باللسان **(وفيه انبساط وطيب قلب)** أي سبب لهما **(فلم ينه عنه)** وليس فيه ما ينشأ عنه المكروه شرعاً؟ **(فاعلم أن المنهي عنه)** أحد شيئين: **(الإفراط فيه)** وفي نسخة منه بأن يتجاوز عن الحد، **(أو المداومة عليه)** فيتخذه ديدناً له وصنعة. **(أما المداومة فلأنه اشتغال باللعب والهزل واللعب مباح، ولكن المواظبة عليه مذمومة)** وفي نسخة: مذموم **(وأما الإفراط فيه)** أو منه **(فإنه يورث كثرة الضحك)** لأن الذي يفرط فيه إنما غرضه أن يضحك الناس، **(وكثرة الضحك تميت القلب)** كما ورد في الخبر: « إياك وكثرة الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب » والمراد باماتته غشيان الظلمة عليه الناشئة من الغفلة عن ذكر الله تعالى، **(وتورث الضغينة في بعض الأحوال)** كما قاله عمر بن عبد العزيز وسيأتي **(وتسقط المهابة)** والجلالة **(والوقار)** عن أعين الأبرار كما سيأتي من قول عمر رضي الله عنه، **(فما يخلو من هذه الأمور فلا يذم، كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: « إني أمزح ولا أقول إلا حقاً »)** تقدم في كتاب أخلاق النبوة. وقال ابن أبي الدنيا حدثنا سعيد بن سليمان، عن أبي معشر، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قيل يا رسول الله تمزح؟ قال: « نعم ولا أقول إلا حقاً » **(إلا أن مثله)** ﷺ **(يقدر على أن يمزح ولا يقول إلا حقاً)** لكمال مشاهدته لجلال الحق سبحانه، **(وأما غيره إذا فتح باب المزاح)** على نفسه **(كان غرضه أن يضحك الناس كيفما كان)** وإضحاك الناس سبب لإمالة قلوبهم ولا يخفى ما فيه، كيف **(وقد قال ﷺ: « إن الرجل ليتكلم بالكلمة)** الواحدة لأجل أن **(يضحك بها جلساءه)** ومعاشريه **(يهوي)** أي يسقط **(بها**

يضحك بها جلساءه يهوي بها في النار أبعد من الثريا ». وقال عمر رضي الله عنه: من كثر ضحكه قلت هيبته، ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شيء عرف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قلّ حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه، ولأن الضحك يدل على الغفلة عن الآخرة قال ﷺ: « لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً ». وقال رجل لأخيه: يا أخي هل أتاك أنك وارد النار ؟

في النار) أي نار جهنم **(أبعد من الثريا »)** وهو النجم المعروف، وفي لفظ: أبعد من صنعاء، وفي آخر سبعين خريفاً وكل ذلك قد تقدم.

(وقال عمر) رضي الله عنه: **(من كثر ضحكه قلت هيبته)** أي وقاره عن أعين الناس، **(ومن مزح استخف به)** أي صار مهيناً. **(ومن أكثر من شيء عرف به)** وأشير إليه به، **(ومن كثر كلامه)** ولو من غير مزاح **(كثر سقطه)** أي سقوطه في الكلام وكذبه، **(ومن كثر سقطه قل حياؤه)** فلا يبالي بما يفعله، **(ومن قل حياؤه قل ورعه)** أي خوفه من جلال هيبة الله تعالى، **(ومن قل ورعه مات قلبه)** قال ابن أبي الدنيا: حدثني أحمد بن عبيد التميمي، حدثنا عبيد الله بن محمد التيمي، حدثنا دريد بن مجاشع، عن غالب القطان، عن مالك بن دينار، عن الأعمش، عن قيس قال: قال عمر بن الخطاب: من مزح استخف به.

وحدثني الحسن بن الصباح، حدثنا محمد بن كثير، عن عبد الله بن واقد، عن موسى بن عقيل أن الأحنف بن قيس كان يقول: من كثر كلامه وضحكه ومزاحه قلت هيبته، ومن أكثر من شيء عرف به.

وروى الطبراني في الأوسط، والقضاعي في مسند الشهاب، والعسكري في الأمثال من حديث ابن عمر: من كثر كلامه كثرسقطه، ومن كثر سقطه كثر كذبه، ومن كثر كذبه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به وقد تقدم.

وروى ابن عساكر من حديث أبي هريرة: من كثر ضحكه استخف بحقه، ومن كثرت دعابته ذهبت جلالته، ومن كثر مزاحه ذهب وقاره، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثرت خطاياه، ومن كثرت خطاياه كانت النار أولى به. قال: وهو غريب المتن والإسناد. وقد روى الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف جداً من حديث أنس: الصمت سيد الأخلاق ومن مزح استخف به.

(ولأن الضحك يدل على الغفلة عن الآخرة) وما فيها من الأهوال **(قال ﷺ: « لو علمتم ما أعلم لبكيتم كثيراً)** أي لغلبة الخوف واستيلاء الحزن **(ولضحكتم قليلاً »)** أي لتركتم الضحك أو لم يقع منكم إلا نادراً. قال العراقي: متفق عليه من حديث أنس وعائشة بلفظ: « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً » اهـ.

قال: نعم. قال: فهل أتاك أنك خارج منها؟ قال: لا. قال: ففيم الضحك؟ قيل: فما رؤي ضاحكاً حتى مات. وقال يوسف بن أسباط: أقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك، وقيل: أقام عطاء السلمي أربعين سنة لم يضحك. ونظر وهيب بن الورد إلى قوم

قلت: وكذلك رواه أحمد والدارمي والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان كلهم من حديث أنس قال خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت بمثلها قط ثم ذكره، وجاء في رواية: إن تلك كانت خطبة الكسوف ورواه أحمد والبخاري والترمذي من حديث أبي هريرة، ومعنى قوله: «لو تعلمون ما أعلم» أي من عظم انتقام الله من أهل الجرائم وأهوال يوم القيامة وأحوالها ما علمته: «لما ضحكتم أصلاً» إذا القليل بمعنى العدم على ما يقتضيه السياق، ولأن «لو» حرف امتناع لامتناع، وقيل: معناه لو تعلمون ما أعلم مما أعد في الجنة من النعيم وما حفت به من الحجب لسهل عليكم ما كلفتم به، ثم إذا تأملتم ما وراء ذلك من الأمور الخطرات وانكشاف الغطاء يوم العرض لاشتد خوفكم ولبكيتم كثيراً، فالمعنى منع البكاء لامتناع علمكم بالذي أعلم، وفيه من أنواع البديع مقابلة الضحك بالبكاء والقلة بالكثرة ومطابقة كل منها بالآخر وفيه ترجيح الخوف على الرجاء.

وروى الحاكم في الأهوال، وابن عساكر من طريق يوسف بن خباب، عن مجاهد، عن أبي ذر رفعه: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولما ساغ لكم الطعام ولا الشراب» قال الحاكم: صحيح على شرطها. وتعقبه الذهبي وقال: بل هو منقطع.

وروى ابن عساكر من حديث أبي الدرداء: «لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت ما أكلتم طعاماً على شهوة أبداً ولا شربتم شراباً على شهوة أبداً ولا دخلتم بيتاً تستظلون به ولمررتم إلى الصعدات تلدمون صدوركم وتبكون على أنفسكم».

وروي الطبراني والبيهقي والحاكم من حديث أبي الدرداء: «لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله لا تدرون تنجون أو لا تنجون».

وروى الحاكم من حديث أبي هريرة: «لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكم قليلاً يظهر النفاق وترتفع الأمانة الحديث وقال: صحيح، وأقره الذهبي.

(وقال رجل لأخيه) وقد رآه يضحك **(أنبئت)** أي أخبرت **(إنك وارد النار؟ قال: نعم)** وذلك في قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلاّ واردها كان على ربك حتماً مقضياً﴾ [مريم: ٧١] **(قال: فهل أنبئت أنك صادر عنها؟ قال: لا. قال: ففيم الضحك فما رؤي ضاحكاً حتى مات)** أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(وقال يوسف بن اسباط) الشيباني رحمه الله تعالى: **(أقام الحسن البصري رحمه الله تعالى)** **(ثلاثين سنة لم يضحك)** أخرجه أبو نعيم في الحلية، **(وقيل: أقام عطاء السليمي أربعين سنة**

يضحكـون في عيد فطر فقال: إن كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين؟ وإن كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين؟ وكان عبد الله بن أبي يعلى يقول: أتضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار؟ وقال ابن عباس: من أذنب ذنباً وهو يضحك دخل النار وهو يبكي. وقال محمد بن واسع: إذا رأيت في الجنة رجلاً يبكي ألست تعجب من بكائه؟ قيل: بلى. قال: فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري إلى ماذا يصير هو أعجب منه. فهذه آفة الضحك، والمذموم منه أن يستغرق ضحكاً والمحمود منه

لم يضحك) وكان شديد الخوف. قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا أحمد ابن الحسين، حدثني أبو عبد الله بن عبيدة قال: سمعت غفيرة تقول: لم يرفع عطاء رأسه إلى السماء ولم يضحك أربعين سنة، فرفع رأسه مرة ففزع فسقط ففتق فتقاً في بطنه.

(**ونظر وهيب بن الورد**) المكي قيل اسمه عبد الوهاب ووهيب لقب له (**إلى قوم يضحكون في**) يوم (**عيد فطر، فقال: إن كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين، وإن كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين**). قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبي حدثنا أحمد بن محمد بن عمر، حدثنا عبد الله بن محمد بن عبيد، حدثنا محمد بن عبد المجيد التميمي، حدثنا سفيان قال: رأى وهيب قوماً يضحكون يوم الفطر فقال: إن كان هؤلاء تقبل منهم صيامهم فما هذا فعل الشاكرين، وإن كان هؤلاء لم يتقبل منهم صيامهم فما هذا فعل الخائفين.

وحدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا أحمد بن الحسين الحذاء، حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثني محمد بن زيد بن خنيس قال: رأيت وهيب بن الورد صلى ذات يوم العيد فلما انصرف الناس جعلوا يمرون به فنظر إليهم شزراً ثم زفر قال: لئن كان هؤلاء القوم أصبحوا مشفقين أنه قد تقبل منهم شهرهم هذا لكان ينبغي لهم أن يكونوا مشاغيل بأداء الشكر عما هم فيه، وإن كانت الأخرى لقد كان ينبغي أن يصبحوا أشغل وأشغل.

(**وكان عبد الله بن أبي يعلى**) رحمه الله تعالى (**يقول: أتضحك ولعل اكفانك خرجت من عند القصار**) وأنت لا تدري. هكذا هو في سائر النسخ عن عبد الله بن أبي يعلى ولم أجد له ذكراً. وفي نسخة المقاصد للسخاوي قال عبد الله بن ثعلبة: فانظره.

(**وقال ابن عباس**) رضي الله عنه: (**من أذنب ذنباً وهو يضحك استخفافاً بما اقترفه دخل النار وهو يبكي**) جزاء وفاقاً وقضاء عدلاً. أخرجه أبو نعيم في الحلية عنه مرفوعاً، وفيه عمر بن أيوب المزني. قال الذهبي في الضعفاء: روي عن ضمرة وجماعة خرجه ابن حبان. (**وقال**) أبو عبد الله (**محمد بن واسع**) البصري رحمه الله تعالى: (**إذا رأيت في الجنة رجلاً يبكي ألست تعجب من بكائه؟ قيل: بلى. قال: فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري إلى ماذا يصير هو أعجب منه. فهذه آفة الضحك والمذموم منه أن يستغرق ضحكاً والمحمود**) منه

التبسم الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع له صوت، وكذلك كان رسول الله ﷺ. **قال** القاسم مولى معاوية: أقبل أعرابي إلى النبي ﷺ على قلوص له صعب فسلم فجعل كلما دنا من النبي ﷺ ليسأله يفر به، فجعل أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون منه، ففعل ذلك مراراً ثم وقصه فقتله فقيل: يا رسول الله إن الأعرابي قد صرعه قلوصه وقد هلك فقال: نعم وأفواهكم ملأى من دمه، وأما إذا أدى المزاح إلى سقوط الوقار فقد قال عمر رضي الله عنه: من مزح استخف به. وقال محمد بن المنكدر: قالت لي أمي يا بني لا تمازح الصبيان فتهون عندهم، وقال سعيد بن العاص لابنه: يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا الدنيء فيجترئ عليك. وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: اتقوا

(التبسم الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع له صوت، كذلك كان ضحك رسول الله ﷺ) أي التبسم، وقد ذكر في كتاب أخلاق النبوة.

(قال القاسم مولى معاوية) بن أبي سفيان وكأنه القاسم بن عبد الرحمن الدمشقي مولى خالد ابن يزيد بن معاوية صاحب أبي إمامة يغرب كثيراً. قال الذهبي في الضعفاء، قال أحمد: حدث عنه علي بن مزيد أعاجيب، وما أراها إلا من قبل القاسم، وقد روى له الأربعة قال: **(أقبل اعرابي إلى النبي ﷺ على قلوص صعب فسلم فجعل كلما دنا من النبي ﷺ ليسأله نفر به)** ومنع من القرب، **(وجعل أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون به)** مما صنع به قلوصه **(ففعل ذلك مراراً)** وفي نسخة ثلاث مرات، **(ثم وقصه)** أي ألقاه على رأسه فاندقت عنقه، **(فقتله فقيل: يا رسول الله إن الأعرابي قد صرعه قلوصه وقد هلك)** أي مات **(قال: «نعم وأفواهكم ملأى من دمه»)** يشير إلى ما صنعوا من الضحك عليه. قال العراقي: رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق وهو مرسل.

(وأما إذا أدى المزاح إلى سقوط الوقار، فقد قال عمر رضي الله عنه: من مزح استخف به) أخرجه ابن أبي الدنيا وقد تقدم. **(وقال)** أبو عبد الله **(محمد بن المنكدر)** بن عبد الله بن الهدير التيمي المدني ثقة فاضل، روى له الجماعة **(قالت لي أمي)** قال أبو القاسم اللالكائي: كان المنكدر خال عائشة فشكا إليها الحاجة فقالت له: إن لي شيئاً يأتيني ابعث به إليك، فجاءتها عشرة آلاف فبعثت بها إليه، فاشترى جارية من العشرة آلاف فولدت له محمداً وأبا بكر وعمر: **(لا تمازح الصبيان فتهون عندهم)** أخرجه ابن أبي الدنيا عن إسحاق بن إسماعيل، حدثنا سفيان عن محمد بن المنكدر قال: قالت لي أمي: لا تمازح الصبيان فتهون عليهم. **(وقال)** أبو عثمان **(سعيد بن العاص)** بن أبي أحيحة سعيد بن العاص بن أمية القرشي الأموي، أحد أشراف قريش وأجوادها **(لابنه)** وهو عمرو بن سعيد ويعرف بالأشدق وقد تقدم ذكره: **(يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا الدنيء فيجترئ عليك)** أخرجه ابن أبي الدنيا عن أبي صالح المروزي، حدثنا عبد العزيز بن أبي رزمة، عن عبد الله بن المبارك قال:

الله وإياكم والمزاح فإنه يورث الضغينة ويجر إلى القبيح. تحدثوا بالقرآن وتجالسوا به فإن ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال. وقال عمر رضي الله عنه: أتدرون لم سمي المزاح مزاحاً؟ قالوا: لا. قال: لأنه أزاح صاحبه عن الحق. وقيل: لكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح. ويقال: المزاح مسلبة للنهي مقطعة للأصدقاء.

فإن قلت: فقد نقل المزاح عن رسول الله ﷺ وأصحابه فكيف ينهى عنه؟ فأقول: إن قدرت على ما قدر عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وهو أن تمزح ولا تقول إلاَّ حقاً ولا تؤذي قلباً ولا تفرط فيه وتقتصر عليه أحياناً على الندور فلا حرج عليك فيه،

قال سعيد بن العاص لابنه فساقه. وأخرجه الدينوري في المجالسة من طريق أبي عبيدةقال:قال سعيد فذكره.

(وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى **(اتقوا الله وإياكم والمزاح فإنه يورث الضغينة ويجر إلى القبيح، تحدثوا بالقرآن وتجالسوا به فإن ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال)** أخرجه ابن أبي الدنيا عن أبي كريب، حدثنا زكريا بن عدي، عن عبد الله بن المبارك، عن عبد العزيز أبي رواد قال: قال عمر بن عبد العزيز: اتقوا الله وإياكم والمزاح فإنه يورث الضغينة ويجر القبيحة تحدثوا بالقرآن وتجالسوا به والباقي سواء.

(وقال عمر رضي الله عنه: أتدرون لم سمي المزاح مزاحاً؟ قالوا: لا. قال: لأنه زاح صاحبه عن الحق) أخرجه ابن أبي الدنيا عن علي بن الحسن، حدثنا أبو صالح حدثني الليث بن سعد أن عمر بن الخطاب قال: هل تدرون فساقه. **(وقيل: لكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح)** أخرجه ابن أبي الدنيا عن الحسين بن عبد الرحمن قال: قال خالد بن صفوان قال كان يقال لكل شيء بذر فساقه. **(ويقال: المزاح مسلبة النهي)** هكذا في النسخ أي العقول **(مقطعة للأصدقاء)** أخرجه ابن أبي الدنيا عن الحسين بن عبد الرحمن قال: كان يقال المزاح مسلبة للبهاء مقطعة للصداقة.

(فإن قلت: فقد نقل المزاح عن رسول الله ﷺ وأصحابه) الكرام، **(فكيف ينهى عنه؟ فاقول:)** إنه ﷺ كان مع أصحابه وأهله وغيرهم على غاية من سعة الصدر ودوام البشر وحسن الخلق وإفشاء السلام والبداية على من لقيه، والوقوف على من استوقفه، والمشي مع من أخذ بيده حتى من الولدان والإماء والمزاح بالحق أحياناً وإجابة الداعي ولين الجانب حتى يظن كل أحد من أصحابه أنه أحبهم إليه، وهذا ميدان ليس فيه إلا واجب أو مستحب، ولو لم يكن من مباسطته لهم إلا الاستضاءة بنور هدايته والاقتداء به في ذلك وتألفهم حتى يزول ما عندهم من هيبته فيقدرون على الاجتماع به والأخذ عنه، لكان ذلك هو الغاية العظمى في الكمال وأنت **(وإن قدرت على ما قدر عليه رسول الله ﷺ وهو أن تمزح ولا تقول إلا حقاً ولا تؤذ قلباً ولا**

ولكن من الغلط العظيم أن يتخذ الإنسان المزاح حرفة يواظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل الرسول ﷺ وهو كمن يدور نهاره مع الزنوج ينظر إليهم وإلى رقصهم ويتمسك بأن رسول الله ﷺ أذن لعائشة في النظر إلى رقص الزنوج في يوم عيد، وهو خطأ إذ من الصغائر ما يصير كبيرة بالإصرار، ومن المباحات ما يصير صغيرة بالإصرار، فلا ينبغي أن يغفل عن هذا، نعم روى أبو هريرة أنهم قالوا يا رسول الله: إنك تداعبنا. فقال: « إني وإن داعبتكم لا أقول إلا حقاً ». وقال عطاء: إن رجلاً سأل ابن عباس أكان رسول الله ﷺ يمزح؟ فقال: نعم. قال: فما كان مزاحه؟ قال: كان

تفرط فيه وتقتصر عليه احياناً على الندور) والقلة، (**فلا حرج عليك ولكن من الغلط العظيم أن يتخذ الإنسان المزاح حرفة**) وصنعة (**يواظب عليه ويفرط فيه، ثم يتمسك بفعل الرسول ﷺ**) ويقول: أنا مقتد به (**وهو كمن يدور نهاره**) اجمع من الزنوج والحبشة (**ينظر إليهم وإلى رقصهم**) ولعبهم (**ويتمسك بأن رسول الله ﷺ أذن لعائشة**) رضي الله عنها (**في النظر إلى رقص الزنوج في يوم عيد**) كما تقدم في كتاب السماع يقال: هو يوم عيد فطر، (**وهو خطأ إذ من الصغائر ما يصير كبيرة بالإصرار**) عليه، فلا ينبغي أن يغفل عن هذا. (**نعم روى أبو هريرة**) رضي الله عنه فيما رواه الترمذي في السنن، وفي الشمائل وحسنه وقال رجاله موثقون (**أنك تداعبنا. قال: « إني وإن داعبتكم لا أقول إلا حقاً**) والمداعبة هي الملاطفة في القول بالمزاح وغيره، وكأنهم قصدوا بذلك إما السؤال عن المداعبة هل هي من خواصه فلا يتأسون به فيها فبين لهم أنها ليست من خواصه وأن جوازها منوط بقول الحق، وأما استبعادهم وقوع المزاح منه ﷺ لجليل مكانته وعظيم مرتبته، فكأنهم سألوه عن حكمته فأجابهم.

قال ابن حجر المكي في شرح الشمائل: وهذا أولى من قول الطيبي فكأنهم أنكروه فردّ عليهم من باب القول بالموجب، فإن المداعبة لا تنافي الكمال بل هي من توابعه ومتماته إذا كانت جارية على القانون الشرعي بأن يكون على وفق الصدق والحق ويقصد تألف قلوب الضعفاء وجبرهم وإدخال السرور عليهم والرفق بهم، والمنهي عنه في الحديث السابق من رواية الترمذي « لا تمار أخاك ولا تمازحه » إنما هو الإفراط فيها والدوام عليها لأنه يورث آفات كثيرة ظاهرة وباطنة من القسوة والغفلة والإيذاء وإيراث الحقد وإسقاط المهابة وغير ذلك، ومزاحه ﷺ سالم من جميع هذه الأمور يقع منه على جهة الندرة لمصلحة تامة من مؤانسة بعض أصحابه، فهو بهذا القصد سنّة، وما قيل أن الأظهر أنه مباح لا غير فضعيف إذ الأصل من أفعاله ﷺ وجوب أو ندب للتأسي به فيها إلا لدليل يمنع من ذلك، ولا دليل هنا يمنع منه فتعين الندب كما هو مقتضى كلام الفقهاء والأصوليين.

(**وقال عطاء**) بن أبي رباح: (**إن رجلاً سأل ابن عباس**) رضي الله عنه (**فقال: كان رسول الله ﷺ يمزح؟ قال: نعم. قال: فما كان مزاحه؟ قال: كان مزاحه أنه ﷺ كسا**

مزاحه أنه ﷺ كسا ذات يوم امرأة من نسائه ثوباً واسعاً فقال لها البسيه واحمدي وجري منه ذيلاً كذيل العروس. وقال أنس: إن النبي ﷺ كان من أفكه الناس مع نسائه. وروي أنه كان كثير التبسم، وعن الحسن قال: أتت عجوز إلى النبي ﷺ فقال لها ﷺ: «لا يدخل الجنة عجوز» فبكت، فقال: «إنك لست بعجوز يومئذ» قال الله تعالى: ﴿إنّا انشأناهن إنشاء★ فجعلناهن أبكاراً﴾ [الواقعة: ٣٦] وقال زيد بن أسلم:

ذات يوم امرأة من نسائه ثوباً واسعاً فقال «البسيه واحمدي» وجرى منه ذيلاً كذيل العروس) قال العراقي: لم أقف عليه.

قلت: والذي روي عن ابن عباس فيما أخرجه الطبراني وابن عساكر أنه سئل هل كان ﷺ يداعب؟ فقال: كان فيه دعابة قليلة.

(وروى انس) رضي الله عنه **(«أن النبي ﷺ كان من أفكه الناس»)** أي أمزحهم إذا خلا بنحو أهله رواه ابن عساكر في التاريخ وقد تقدم في كتاب النبوّة، **(وروى أنه)** ﷺ **(كان كثير التبسم)** تقدم في كتاب أخلاق النبوّة، وروى أحمد والترمذي والحاكم من حديث جابر بن سمرة كان لا يضحك إلا تبسماً وقد تقدم أيضاً.

(وعن الحسن) البصري رحمه الله تعالى **(قال: أتت عجوز)** قيل هي عمته صفية بنت عبد المطلب أم الزبير رضي الله عنها **(إلى النبي ﷺ فقال لها «لا يدخل الجنة عجوز» فبكت. فقال «إنك لست بعجوز يومئذ»)** بل شابة. قيل: كأنه ﷺ فهم أنها تطلب تدخل الجنة على هيأتها وقت موتها فردّ اعتقادها فداعبها. ويحتمل ان لا يكون مداعبة ويكون عدّها مداعبة من فهم الحاضرين، وهذا قد رده ابن حجر في شرح الشمائل فقال فيما قاله أوّلاً نظر إذ لا يحتاج في عدّه مداعبة إلى دعوى أنه ﷺ فهم ذلك، بل إلى لفظ أوهم ذلك واحتماله المذكور ليس في محله، لا سيما وفيه سوء أدب على الصحابة الحاضرين يجعله نفسه فهم أنه غير مداعبة وفهموا المداعبة وهو فهم غير صحيح، وفي ذلك من قلة الأدب ما لا يخفى بل فيه عدم حفظ القواعد الأصولية المصرحة بأن فهم الصحابي مقدم على فهم غيره، لأنه أعرف بمرويه لمشاهدته من القرائن الحالية والمقالية ما لم يشاهده، فوجب تقديم فهمه على فهم غيره. وتأمل مزحه ﷺ تجده لا يخلو من بشرى عظيمة أو فائدة عزيزة أو مصلحة تامة فهو في الحقيقة غاية الجد وليس مزاحاً إلا باعتبار الصورة فقط **(قال الله تعالى ﴿إنَّا أنشأناهن انشاء﴾)** أي خلقناهن من غير توسط ولادة **(فجعلناهُنَّ أبكاراً)** أي كلما جاء الرجل وجدها بكراً يحتمل أن المراد ثم زيناهن حتى وصلن لحد التمتع، ويحتمل وهو الظاهر أنهن خلقن ابتداء كاملات من غير تدريج في التربية والسن، وهذا بناء على ما يصرح به سياق القرائن أن الضمير للحور، وحينئذ فوجه المطابقة بين هذا وما نحن فيه أنه يعلم أن أهل الجنة كلهم أنشأهم الله تعالى خلقاً آخر يناسب الدوام والبقاء، وذلك يستلزم كمال الخلق وتوفر القوى

إن امرأة يقال لها أم أيمن جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن زوجي يدعوك. قال: «ومن هو أهو الذي بعينه بياض»؟ قالت: والله ما بعينه بياض! فقال: «بلى إن بعينه بياضاً فقالت: لا والله. فقال ﷺ: «ما من أحد إلا وبعينه بياض» وأراد به البياض المحيط بالحدقة. وجاءت امرأة أخرى فقالت: يا رسول الله احملني على بعير، فقال: «بل نحملك على ابن البعير». فقالت: ما أصنع به أنه لا يحملني، فقال ﷺ: «ما من بعير إلا وهو ابن بعير» فكان يمزح به. وقال أنس: كان لأبي طلحة ابن يقال له أبو عمير وكان رسول الله ﷺ يأتيهم ويقول: يا أبا عمير ما فعل النغير لنغير كان يلعب به وهو فرخ

البدنية كلها وانتفاء صفات النقص عنها، ثم قال ﴿عُرباً﴾ أي متحببات إلى أزواجهن بحسن التبعل أتراباً على سن واحد ثلاثة وثلاثين إذ هو كمال أسنان نساء الدنيا.

قال العراقي: رواه الترمذي في الشمائل هكذا مرسلاً، وأسنده ابن الجوزي في الوفاء من حديث أنس بسند ضعيف.

(**وروى زيد بن أسلم**) أبو عبد الله مولى عمر بن الخطاب ثقة عالم وكان يرسل روى له الجماعة (**أن امرأة يقال لها أم أيمن**) هي بركة الحبشية مولاة رسول الله ﷺ أعتقها وزوجها زيد بن حارثة فهي أم أسامة بن زيد (**جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن زوجي**) عنت به زيد ابن حارثة (**يدعوك. فقال: «ومن هو أهو الذي بعينه بياض»؟ قالت: ما بعينه بياض. فقال «بلى بعينه بياض» فقالت: لا والله. فقال ﷺ «ما من أحد إلا وبعينه بياض». وأراد البياض المحيط بالحدقة**) لا البياض العارض على الحدقة كما يتبادر إليه الفهم. قال العراقي: رواه الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والمزاح، ورواه ابن أبي الدنيا من حديث عبد الله ابن سهم الفهري مع اختلاف.

(**وجاءت امرأة أخرى فقالت يا رسول الله: احملني على بعير. فقال: «بل نحملك على ابن البعير» فقالت: ما أصنع به إنه لا يحملني. فقال ﷺ «وهل بعير إلا وهو ابن بعير» فكان يمزح به**) قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وصححه من حديث أنس بلفظ «أنا حاملوك على ولد الناقة» اهـ.

قلت: وأخرجه الترمذي في الشمائل وفيه أن الذي استحمله رجل فقال له «إني حاملك على ولد الناقة» وفيه هل الإبل إلا النوق.

(**وقال أنس**) رضي الله عنه: (**كان لأبي طلحة**) زيد بن سهل الأنصاري رضي الله عنه وهو زوج أم أنس (**ابن يقال له أبو عمير**) وهو أخو أنس لأمه، (**وكان رسول الله ﷺ يأتيهم**) تأنيساً لخاطرهم ويخالطهم (**ويقول**) مداعباً مع الصبي: (**«أبا عمير ما فعل النغير»**) أي ما شأنه وما حاله وهو مصغر النغرة (**لنغير كان يلعب به وهو ولد العصفور**) أو طائر

العصفور. وقالت عائشة رضي الله عنها: خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة بدر فقال: «تعالي حتى أسابقك» فشددت درعي على بطني ثم خططنا خطاً فقمنا عليه واستبقنا فسبقني وقال: «هذه مكان ذي المجاز» وذلك أنه جاء يوماً ونحن بذي المجاز وأنا جارية قد بعثني أبي بشيء فقال: «اعطينيه» فأبيت وسعيت وسعى في أثري فلم يدركني. وقالت أيضاً: سابقني رسول الله ﷺ فسبقته فلما حملت اللحم سابقني فسبقني، وقال: «هذه بتلك» وقالت أيضاً رضي الله عنها: كان عندي رسول الله ﷺ وسودة بنت زمعة فصنعت خزيرة وجئت به فقلت لسودة: كلي، فقالت: لا أحبه، فقلت: والله لتأكلين أو لألطخن به وجهك فقالت: ما أنا بذائقته فأخذت بيدي من الصحفة شيئاً فلطخت به وجهها ورسول الله ﷺ جالس بيني وبينها فخفض لها رسول الله ركبتيه لتستقيد مني فتناولت من الصحفة شيئاً فمسحت به وجهي وجعل رسول الله ﷺ

شبه العصفور رواه البخاري ومسلم بلفظ «كان ﷺ أحسن الناس خلقاً وكان لي أخ يقال له أبو عمير وكان له نغير يلعب به فهات فدخل عليّ النبي ﷺ فرآه حزيناً فقال: ما شأنه؟ فقالوا: مات نغيره. فقال: يا أبا عمير ما فعل النغير». وقد تقدم ذلك في كتاب أخلاق النبوّة.

(**وقالت عائشة رضي الله عنها: خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة بدر فقال: «تعالي حتى أسابقك» فشددت علي درعي**) وفي نسخة فشددت درعي على بطني، (**ثم خططنا خطاً فقمنا عليه واستبقنا فسبقني وقال «هذه مكان ذي المجاز»**) وهو اسم مكان بمكة، (**وذلك إنه جاء يوماً ونحن بذي المجاز وأنا جارية قد بعثني أبي بشيء فقال: «اعطنيه» فأبيت وسعيت وسعى في أثري فلم يدركني**) قال العراقي: لم أجد له أصلاً ولم تكن عائشة معه في غزوة بدر.

(**وقالت**) عائشة رضي الله عنها (**أيضاً: سابقني رسول الله ﷺ فسبقته، فلما حملت اللحم سابقني فسبقني وقال «هذه بتلك»**) رواه النسائي وابن ماجه وقد تقدم في كتاب النكاح.

(**وقالت**) عائشة رضي الله عنها (**أيضاً: كان عندي رسول الله ﷺ وسودة بنت زمعة**) ابن قيس بن عبد شمس العامرية أم المؤمنين رضي الله عنها، تزوجها رسول الله ﷺ بعد خديجة، ولما أسنت وهبت يومها لعائشة رضي الله عنها، ولها حديث في مسند أحمد، وتوفيت في آخر خلافة عمر رضي الله عنه، (**فصنعت خزيراً وجئت به فقلت لسودة: كلي فقالت: لا أحبه فقلت: والله لتأكلن أو لألطخن وجهك**) به (**فقالت: ما أنا ذائقته. فأخذت بيدي من الصحفة شيئاً منه فلطخت به وجهها ورسول الله ﷺ بيني وبينها فخفض لها ركبته لتستقيد**) منها (**فتناولت من الصحفة شيئاً فمسحت به وجهي وجعل رسول الله ﷺ يضحك**). قال العراقي: رواه الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والمزاح وأبو يعلى بإسناد جيد.

يضحك. وروي أن الضحاك بن سفيان الكلابي كان رجلاً دمياً قبيحاً فلما بايعه النبي ﷺ قال: إن عندي امرأتين أحسن من هذه الحميراء وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب أفلا أنزل لك عن إحداهما فتتزوّجها وعائشة جالسة تسمع، فقالت: أهي أحسن أم أنت؟ فقال: بل أنا أحسن منها وأكرم، فضحك رسول الله ﷺ من سؤالها إياه لأنه كان دمياً. وروى علقمة عن أبي سلمة أنه كان ﷺ يدلع لسانه للحسن بن علي عليهما السلام فيرى الصبي لسانه فيهش له فقال له عيينة بن بدر الفزاري: والله ليكونن لي

(وروي أن الضحاك بن سفيان) بن عوف العامري **(الكلابي)** كنيته أبو سعيد، ولاّه رسول الله ﷺ على قومه الذين أسلموا وكان أحد الأبطال يعد بمائة فارس، ولما سار رسول الله ﷺ إلى مكة أمره على بني سليم روى له الأربعة **(كان رجلاً دمياً)** بالدال المهملة أي قصيراً **(قبيحاً)** أي في الصورة، **(فلما بايعه النبي ﷺ قال)** أي سفيان **(إن عندي امرأتين أحسن من هذه الحميراء)** يعني بها عائشة رضي الله عنها، **(وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب أفلا أنزل لك عن احداهما فتتزوجها وعائشة)** رضي الله عنها **(جالسة تسمع، فقالت)** عائشة **(أهن أحسن أم أنت؟ فقال: بل أنا أحسن منهن وأكرم، فضحك رسول الله ﷺ من سؤالها إياه لأنه كان دمياً)** أي حقيراً قصيراً. قال العراقي: رواه الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والمزاح من رواية عبد الله بن حسن بن حسن مرسلاً أو معضلاً، وللدارقطني نحو هذه القصة مع عيينة بن حصن الفزاري بعد نزول الحجاب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف اهـ.

قلت: وروى سعيد بن منصور، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم النخعي قال: جاء عيينة بن حصن إلى النبي ﷺ وعنده عائشة فقال: من هذه وذلك قبل أن ينزل الحجاب؟ فقال «هذه عائشة» فقال: ألا أنزل لك عن أم المؤمنين؟ فغضبت عائشة وقالت: من هذا؟ فقال: هذا الأحمق المطاع يعني في قومه. هكذا رواه مرسلاً ورجاله ثقات.

وأخرجه الطبراني من وجه آخر موصولاً عن جرير أن عيينة بن حصن دخل على النبي ﷺ فقال وعنده عائشة: من هذه الجالسة إلى جنبك؟ قال: عائشة. قال: أفلا أنزل لك عن خير منها يعني امرأة؟ فقال النبي ﷺ «أخرج» فاستأذن فقال إنها يمين عليّ أن لا أستأذن على مضري فقالت عائشة: من هذا؟ فذكره.

(وروى أبو سلمة) بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني. قيل: اسمه عبد الله ثقة مكثر مات سنة أربع وتسعين **(عن أبي هريرة)** رضي الله عنه **(أنه ﷺ كان يدلع لسانه للحسن بن علي)** رضي الله عنهما **(فيرى الصبي لسانه فيهش له)** أي يفرح له ويقبل إليه، **(فقال له عيينة ابن بدر الفزاري)** هو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري من المؤلفة قلوبهم، شهد حنيناً والطائف، وكان أحمق مطاعاً دخل على النبي ﷺ بغير إذن وأساء الأدب، فصبر النبي ﷺ على

الابن قد تزوّج وبقل وجهه وما قبلته قط. فقال ﷺ: « إن من لا يَرحم لا يُرحم». فأكثر هذه المطايبات منقولة مع النساء والصبيان وكان ذلك منه ﷺ معالجة لضعف قلوبهم من غير ميل إلى هزل. وقال ﷺ مرة لصهيب وبه رمد وهو يأكل تمراً « أتـأكل التمر وأنت رمد »؟ فقال إنما أكل بالشق الآخر يا رسول الله فتبسم ﷺ قال بعض الرواة حتى نظرت إلى نواجذه. وروي أن خوّات بن جبير الأنصاري كان جالساً

جفوته واعرابيته وقذارته، وكان يتبعه عشرة آلاف قناة كان من الجرارة واسمه حذيفة ولقبه عيينة لشتر عينه. **(والله ليكونن لي الأبن رجلاً قد تزوّج، وقبل وجهه وما قبلته قط، فقال** ﷺ **« إن من لا يرحم لا يرحم »)** قال العراقي: رواه أبو يعلى من هذا الوجه بسند جيد دون ما في آخره من قول عيينة وهو عيينة بـن حصـن بن بدر نسب إلى جده، وحكى الخطيب في المبهمات قولين في قائل ذلك. أحدهما إنه عيينة بن حصن، والثاني أنه الاقرع بن حابس، وعند مسلم في رواية الزهري عن سلمة عن أبي هريرة أن الاقرع بن حابس أبصر النبي ﷺ يقبل الحسن فقال: إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم فقال رسول الله ﷺ « من لا يرحم لا يُرحم » اهـ.

قلـت: وحديث « من لا يرحم لا يرحم » رواه الشيخان والطبراني من حديث جرير، ورواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي وابن حبان من حديث أبي هريرة، ورواه الطبراني أيضاً من حديث ابن عمر، ورواه أبو نعيم في الحلية عن الأقرع بن حابس، وهو في الأدب المفرد للبخاري عن الأقرع بن حابس مع القصة التي ذكرها المصنف.

(فاكثر هذه المطايبات منقولة عن النساء والصبيان، وكان يفعل ذلك ﷺ **معالجة لضعف قلوبهم)** وتأنيس خواطرهم مع إرشادهم لما فيه مصلحة تامة **(من غير ميل إلى هزل)** أو سخرية إذ كان انبساطه مع الغير سالماً من الإيذاء وبه فارق الهزل والسخرية.

(وقال ﷺ **مرة لصهيب)** بن سنان بن خالد الربعي النمر كنيته أبو يحي، وإنما قيل له الرومي لأن الروم سبته وهو صغير فنشأ فيهم ثم ابتاعته كلب وأبيع بمكة، **(وبه رمد وهو يأكل تمراً أتأكل التمر وأنت رمد؟ فقال: إنما آكل بالشق الآخر)** وكأنه كان رمداً بإحدى عينيه، وقد صرح الأطباء أن أكل التمر للعين الرمداء مضر، **(فتبسم** ﷺ **)**. قال العراقي: رواه ابن ماجه والحاكم من حديث صهيب ورجاله ثقات. **(قال بعض الرواة)** لهذا الحديث **(حتى نظرت إلى نواجذه)** أي أضراسه أو أنيابه أو ضواحكه أقوال، والحاصل من مجموع الأحاديث أنه ﷺ كان في أغلب أحواله لا يزيد على التبسم، وربما زاد على ذلك حتى تبدو نواجذه، والمكروه من ذلك إنما هو الاكثار منه والإفراط فيه كما تقدم.

(وروي أن خوات بن جبير) بن النعمان بن أمية **(الأنصاري)** الأوسي كنيته أبو عبد الله،

إلى نسوة من بني كعب بطريق فطلع عليه رسول الله ﷺ فقال: « يا أبا عبد الله مالك مع النسوة » فقال: يفتلن ضفيراً لجمل لي شرود. قال: فمضى رسول الله ﷺ لحاجته ثم عاد فقال: « يا أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد »؟ قال: فسكت واستحييت وكنت بعد ذلك أتفرر منه كلما رأيته حياء منه حتى قدمت المدينة وبعد ما قدمت المدينة قال: فرآني في المسجد يوماً أصلي فجلس إليّ فطولّت فقال: « لا تطول فإني أنتظرك » فلما سلمت قال: « يا أبا عبد الله ما ترك ذلك الجمل الشراد بعد »؟ قال: فسكت واستحييت فقام وكنت بعد ذلك أتفرر منه حتى لحقني يوماً وهو على حمار وقد جعل رجليه في شق واحد فقال: « يا أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد؟ فقلت والذي بعثك بالحق ما شرد منذ أسلمت. قال: « الله أكبر الله أكبر اللهم اهد أبا عبد الله قال: فحسن إسلامه وهداه الله، وكان نعمان الأنصاري رجلاً مزّاحاً فكان يشرب

وقيل أبو صالح أحد فرسان رسول الله ﷺ شهد بدراً. وقال ابن إسحاق: لم يشهدها وأسهم له، وقيل هو صاحب ذات التحيين امرأة من بني تيم الله كانت تبيع السمن وقصتها مشهورة توفي سنة أربعين وله أربع وسبعون سنة (**كان جالساً إلى نسوة من بني كعب**) وفي بعض النسخ من قريش (**بطريق مكة فطلع عليه رسول الله ﷺ فقال: « أبا عبد الله: مالك مع النسوة »؟ فقال: يفتلن ضفيراً**) أي حبلاً يضفرنه (**لجمل لي شرود**) أي نفور. (**قال: فمضى رسول الله ﷺ لحاجته ثم عاد**) أي رجع عليه (**فقال له: « أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد**) أي النفرة (**بعد » قال: فسكت واستحييت وكنت بعد ذلك أتفرر منه كلما رأيته حياء منه**) أن يكلمني بذلك الكلام، (**حتى قدمت المدينة وبعد ما قدمت المدينة قال: فرآني في المسجد يوماً أصلي فجلس إليّ فطولّت**) في الصلاة (**فقال « لا تطول فإني أنتظرك » فلما سلمت**) من الصلاة (**قال « أبا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد » فسكت واستحييت وكنت بعد ذلك أتفرر منه حتى لحقني يوماً وهو على حمار، وقد جعل رجليه في شق واحد فقال: « أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد » فقلت: والذي بعثك بالحق ما شرد منذ أسلمت. فقال « الله أكبر الله أكبر اللهم اهد أبا عبد الله » قال: فحسن إسلامه وهداه الله**) ببركة دعوة النبي ﷺ. قال العراقي: رواه الطبراني في الكبير من رواية زيد بن أسلم عن خوات بن جبير مع اختلاف ورجاله ثقات، وأدخل بعضهم بين زيد وبين خوات ربيعة بن عمرو اهـ.

قلت: وكذلك رواه الإمام البغوي في معجم الصحابة روياه من طريق جرير بن حازم عن زيد بن أسلم أن خوات بن جبير قال: نزلت مع النبي ﷺ بمرّ الظهران قال: فخرجت من خبائي فإذا بنسوة يتحدثن فاعجبني فرجعت إلى خبائي فأخذت حلتي فلبستها وجلست إليهن، وخرج رسول الله ﷺ من قبته، فلما رآني هبته فقلت: يا رسول الله جمل لي شرود فأنا أبتغي له قيداً

الخمر في المدينة فيؤتى به إلى النبي ﷺ فيضربه بنعله ويأمر أصحابه فيضربونه بنعالهم، فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الصحابة: لعنك الله، قال له النبي ﷺ: «لا تفعل فإنه يحب الله ورسوله» وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة إلا اشترى منها ثم أتى بها النبي ﷺ فيقول: يا رسول الله هذا قد اشتريته لك وأهديته لك فإذا جاء صاحبها يتقاضاه بالثمن جاء به إلى النبي ﷺ وقال، يا رسول الله أعطه ثمن متاعه، فيقول له ﷺ: «أو لم تهده لنا» فيقول: يا رسول الله إنه لم يكن عندي ثمنه وأحببت أن يأكل منه فيضحك النبي ﷺ ويأمر لصاحبه بثمنه. فهذه مطايبات يباح مثلها على الندور لا على الدوام والمواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك المميت للقلب.

الحديث بطوله. وربيعة بن عمرو المذكور هو الدمشقي أبو الغاز الجرشي مختلف في صحبته قتل يوم مرج راهط سنة أربع وستين.

(وكان نعيمان) بن عمرو بن رفاعة النجاري **(الأنصاري)** رضي الله عنه **(رجلاً مزّاحاً)** أي كثير المزح والدعابة **(وكان يشرب)** الخمر **(فيؤتى به إلى النبي ﷺ فيضربه بنعليه ويأمر أصحابه فيضربونه بنعالهم، فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الصحابة: لعنك الله. فقال النبي ﷺ «لا تفعل فإنه يحب الله ورسوله»)** رواه البخاري من حديث عمر نحوه وفيه فقال النبي ﷺ: «لا تلعنوه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله» وقد تقدم ذلك قريباً في الآفة الثامنة. **(قال: وكان)** نعيمان المذكور **(لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة إلا اشترى منها ثم جاء به إلى النبي ﷺ ويقول: هذا أهديته لك، فإذا جاء صاحبه يطلب نعيمان بثمنه)** وفي نسخة يتقاضاه بالثمن **(جاء به إلى رسول الله ﷺ ويقول: يا رسول الله اعطه ثمن متاعه، فيقول له ﷺ «أو لم تهده لنا» فيقول يا رسول الله إنه والله لم يكن عندي ثمنه وأحببت أن تأكل منه فيضحك رسول الله ﷺ ويأمر لصاحبه بالثمن)** قال العراقي: رواه الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة. ومن طريق ابن عبد البر من رواية محمد بن عمرو بن حزم مرسلاً اهـ.

قلت: رواه من طريق أبي طوالة عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه، وروى أبو يعلى في مسنده أن رجلاً كان لا يدخل المدينة طرفة إلا اشترى منها فذكره، وقال أيضاً: كان يهدي إليه ﷺ العكة من السمن أو العسل، فإذا طولب بالسمن جاء بصاحبه فيقول للنبي ﷺ: اعطه متاعه فما يزيد ﷺ على أن يتبسم ويأمر به فيعطى.

(فهذه مطايبات يباح مثلها على الندور) والقلة **(لا على الدوام، والمواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك المميت للقلب)** المورث للغفلة والقساوة والإعراض عن ذكر الله، وعن التفكر في مهمات الدين وغير ذلك مما سبق ذكر بعضه، والله الموفق.

الآفة الحادية عشر: السخرية والاستهزاء:

وهذا محرم مهما كان مؤذياً كما قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيراً منهن﴾ [الحجرات: ١١] ومعني السخرية الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء. وإذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة. قالت عائشة رضي الله عنها: حاكيت إنساناً فقال لي النبي ﷺ: «والله ما أحب أني حاكيت إنساناً ولي كذا وكذا. وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ [الكهف: ٤٩] إن الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة القهقهة بذلك. وهذا إشارة إلى أن الضحك على الناس من جملة الذنوب

الآفة الحادية عشر: السخرية والاستهزاء

(**وهذا محرم مهما كان مؤذياً. قال الله تعالى**) في الزجر عنه (﴿**لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم**﴾) تمامه ﴿**ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن**﴾ قال مجاهد: أي لا يستهزيء قوم من قوم إن يكن رجلاً فقيراً أو غنياً أو يعقل رجل عليه فلا يستهزيء به أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر. وقال مقاتل: هذه الآية نزلت في قوم من بني تميم استهزؤا من بلال وسلمان وعمار وخباب وصهيب وابن مغيرة وسالم مولى أبي حذيفة أخرجه ابن أبي حاتم. (**ومعنى السخرية الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه**) على الملأ، (**وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء**) وهو بجميع أنواعه حرام لأنه إيذاء، (**وإذا كان**) ذلك (**بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة**) لأنها كما سيأتي ذكر العيب على الغيب، (**و**) لكن (**فيه معنى الغيبة. قالت عائشة**) رضي الله عنها: (**حكيت إنساناً فقال النبي ﷺ «ما أحب أني حكيت إنساناً وأن لي كذا وكذا»**) قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وصححه.

قلت: ورواه ابن أبي الدنيا عن علي بن الجعد، أخبرنا سفيان بن سعيد، عن علي بن الأقمر، عن أبي حذيفة، عن عائشة قالت: فذكره.

(**وقال ابن عباس**) رضي الله عنه (**في قوله**) تعالى: (﴿**يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها**﴾ **الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن، والكبيرة القهقهة بذلك**) أخرجه ابن أبي الدنيا عن محمد بن عمران بن أبي ليلى، حدثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس فذكره، (**وهو إشارة إلى أن الضحك على الناس من**)

والكبائر . وعن عبد الله بن زمعة أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضرطة فقال: « علام يضحك أحدكم مما يفعل » وقال ﷺ: « إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجيء بكر به وغمه فإذا أتاه أغلق دونه ثم يفتح له باب آخر فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فإذا أتاه أغلق دونه فما يزال كذلك حتى أن الرجل ليفتح له الباب فيقال هلم هلم فلا يأتيه » . وقال معاذ ابن جبل، قال النبي ﷺ: « من عير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله » وكل

جملة (**الجرائم والذنوب**) وفي بعض النسخ من جلة الذنوب الكبائر .

(**وعن عبد الله بن زمعة**) بن الأسود بن المطلب بن أسد القرشي الأسدي ابن أخت أم سلمة أحد الأشراف كان يأذن على النبي ﷺ، استشهد يوم الدار مع عثمان، روى له الجماعة، وعنه عروة وأبو بكر بن عبد الرحمن (**أنه سمع النبي ﷺ يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضرطة وقال: « علام يضحك أحدكم مما يفعل »**) قال العراقي: متفق عليه.

قلت: ورواه ابن أبي الدنيا عن الحسين بن الحسن، حدثنا أبو أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن زمعة أنه سمع النبي ﷺ فذكره.

(**وقال ﷺ « إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال**) له (**هلم هلم**) أي تعال تعال، والقائل لذلك بعض الملائكة (**فيجيء**) ذلك المستهزيء (**بكربه وغمه**) مما أصابه من هول الموقف والحساب، (**فإذا أتاه أغلق دونه**) ذلك الباب ومنعه من الدخول منه، (**ثم يفتح له باب آخر فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فإذا أتاه اغلق دونه، فما يزال كذلك حتى ان الرجل ليفتح له الباب فيقال هلم هلم فلا يأتيه »**) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت من حديث الحسن مرسلاً ورويناه في ثمانيات النجيب من رواية أبي هدبة أحد الهالكين عن أنس اهـ.

قلت: قال ابن أبي الدنيا حدثني عبد الله بن أبي بدر، أنبأنا روح بن عبادة عن مبارك عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ فذكره.

(**وقال معاذ بن جبل**) رضي الله عنه (**« من عيَّر أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله »**) قال العراقي: رواه الترمذي دون قوله قد تاب منه، وقال: حسن غريب وليس إسناده بمتصل قال الترمذي: قال أحمد بن منيع: قالوا من ذنب قد تاب منه اهـ.

قلت: ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت، وفي ذم الغيبة، وابن منيع والبغوي والطبراني وغيرهم كلهم عن معاذ به مرفوعاً. قال ابن أبي الدنيا: حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ « من عيَّر أخاه بذنب » قال ابن منيع قال أصحابنا « قد تاب منه لم يمت حتى يعمله » ثم قال:

هذا يرجع إلى استحقار الغير والضحك عليه استهانة به واستصغاراً له. وعليه نبه قوله تعالى: ﴿عسى أن يكونوا خيراً منهم﴾ أي لا تستحقره استصغاراً فلعله خير منك.

وهذا إنما يحرم في حق من يتأذى به فأما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح من أن يسخر به كانت السخرية في حقه من جملة المزح وقد سبق ما يذم منه وما يمدح، وإنما المحرم استصغار يتأذى به المستهزأ به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة بأن يضحك على كلامه إذا تخبط فيه ولم ينتظم، أو على أفعاله إذا كانت مشوشة كالضحك على خطه وعلى صنعته أو على صورته، وخلقته إذا كان قصيراً أو ناقصاً لعيب من

حدثنا خالد بن خداش حدثني صالح المري سمعت الحسن يقول: كانوا يقولون «من رمى أخاه بذنب قد تاب إلى الله منه لم يمت حتى يبتليه الله به» قال البغوي: هو منقطع لأن خالد بن معدان لم يدرك معاذاً، ومحمد بن الحسن بن أبي يزيد قال أبو داود وغيره: كذاب، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات نظراً إلى ما ذكرنا وفيه نظر، فقد رواه الترمذي من هذا الطريق وغاية ما في الباب أنه ضعيف من جهة محمد بن الحسن، وقول الحسن الذي أسنده ابن أبي الدنيا فيه صالح المري وهو ضعيف أيضاً إن سلم منه فهو شاهد جيد لحديث معاذ ونحوه فليجلدها الحد ولا يثرب أي يوبخ ولا يقرع بالزنا بعد الجلد. وحديث ابن مسعود لو سخرت من كلب لخشيت أن أحوّل كلباً، ولابن أبي شيبة عن أبي موسى من قوله نحوه، وعزاه الزمخشري في الحجرات من الكشاف لعمرو ابن شرحبيل بلفظ: «لو رأيت رجلاً يرضع عنزاً فضحكت منه لخشيت أن أصنع مثل ما صنع، وللبيهقي ما عاب رجل قط رجلاً بعيب إلا ابتلاه الله بذلك العيب، وعن إبراهيم النخعي قال: إني لأرى الشيء فاكرهه فلا يمنعني أن أتكلم فيه إلا مخافة أن ابتلى بمثله، وهذه كلها شواهد لحديث معاذ وبمجموع ذلك كيف يورد في الموضوعات، (**وكل هذا يرجع إلى استحقار الغير والضحك عليه استهانة به واستصغاراً له**) أي استحقاراً، (**وعليه نبه قوله تعالى ﴿عسى أن يكونوا خيراً منهم﴾ أي لم تسخر به استصغاراً**) لشأنه (**فلعله خير منك**) عند الله تعالى.

(**وهذا إنما يحرم في حق من يتأذى به**) ولو باطناً، (**فأما من جعل نفسه مسخرة**) أي محلاً للسخرية يسخر به، (**وربما فرح من أن يسخر به**) ولا يتأذى بـ ـاطنـه منـه (**كـانـت السخرية به من جملة المزح**) إذ هو مطايبة اللسان بالكلام بحيث لا يغمه ذلك ولا يتكدر به، فأما إذا آذى فقد خرج من حد المزاح ولحق بالسخرية، (**وقد سبق ما يذم منه وما يحمد، وإنما المحرم**) شرعاً (**استصغار يتأذى به المستهزأ به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة يجري بأن يضحك على كلامه إذا تخبط**) أي زال عن القصد (**فيه ولم ينتظم**) في نفسه أو لم ينتظم أوله مع آخره، وفي بعض النسخ بأن يضحك منه إذا تخبط ولم ينتظم (**أو على أفعاله إذا كانت مشوّشة**) أي مضطربة غير منتظمة (**كالضحك على خطه**) إذا كان رديئاً، (**وعلى صنعته**) إذا كانت دنية (**أو على صورته**) إذا كانت قبيحة (**وخلقته**) إذا كان قصيراً أو

العيوب، فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية المنهي عنها.

الآفة الثانية عشرة: إفشاء السر:

وهو منهي عنه لما فيه من الإيذاء والتهاون بحق المعارف والأصدقاء. قال النبي ﷺ: «إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة» وقال: «مطلقاً الحديث بينكم أمانة». وقال الحسن إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك. ويروى إن معاوية رضي الله عنه أسر إلى الوليد بن عتبة حديثاً فقال لأبيه: يا أبت إن أمير المؤمنين أسر إليّ حديثاً

طويلاً جداً بحيث يتجاوز عن طول أمثاله، (**أو ناقصاً بعيب من العيوب**) الظاهرة كالعمش والعرج والادرة وداء الفيل وما أشبه ذلك، (**فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية المنهي عنها**) في قوله تعالى ﴿لا يسخر قوم من قوم﴾ [الحجرات: ١١] والله الموفق.

الآفة الثانية عشر إفشاء السر:

أي إظهاره (**وهو منهي عنه لما فيه من الإيذاء والتهاون بحق المعارف والأصدقاء. قال رسول الله ﷺ «إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهي أمانة»**) قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وحسنه من حديث جابر وقد تقدم.

قلت: ورواه ابن أبي الدنيا عن أحمد بن جيل، أنبأنا عبدالله بن المبارك، أنبأنا ابن أبي ذئب، أخبرني عبد الرحمن بن عطاء، عن عبد الملك بن جابر بن عتيك، عن جابر بن عبد الله، عن النبي ﷺ قال «إذا حدث» فساقه.

(**وقال**) ﷺ: (**«مطلق الحديث بينكم أمانة»**) رواه ابن أبي الدنيا عن أحمد بن جميل، أنبأنا عبد الله، أنبأنا حيوة بن شريح، عن عقيل، عن ابن شهاب قال: قال رسول الله ﷺ فذكره هكذا رواه مرسلاً وهو إسناد جيد.

(**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالى (**إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك**) رواه ابن أبي الدنيا عن أحمد بن جيل، أنبأنا عبد الله، أنبأنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال: سمعته يقول إن من الخيانة فذكره، (**ويروى أن معاوية**) بن أبي سفيان رضي الله عنه (**أسر إلى الوليد بن عتبة**) بن أبي سفيان وهو ابن أخي معاوية (**حديثاً فقال**) الوليد (**لأبيه**) عتبة بن أبي سفيان وهو أخو معاوية لأبويه، قال ابن منده: ولد في عهد النبي ﷺ، وولاه عمر الطائف. وأنكره الحافظ ابن حجر في الإصابة وقال: لم أجد بعد التتبع ما يدل على أنه ولد في العهد النبوي وهو محتمل وإنما ولاه الطائف أخوه معاوية، حج بالناس سنة إحدى وأربعين وبعدها، ثم ولاه بمصر الجند بعد عزله عبدالله بن عمرو بن العاصي فمات بالإسكندرية هذا لفظه في الإصابة ورجح تلميذه الحافظ السخاوي إن الموصوف بما ذكر في كلام ابن منده هو عنبسة بن أبي سفيان لا

وما أراه يطوي عنك ما بسطه إلى غيرك قال: فلا تحدثني به فإن من كتم سره كان الخيار إليه ومن أفشاه كان الخيار عليه. قال: فقلت يا أبت وإن هذا ليدخل بين الرجل وبين ابنه؟ فقال: لا والله يا بني ولكن أحب أن لا تذلل لسانك بأحاديث السرى. قال: فأتيت معاوية فأخبرته فقال: يا وليد أعتقك أبوك من رق الخطأ فإفشاء السر خيانة. وهو حرام إذا كان فيه إضرار. ولؤم إن لم يكن فيه إضرار. وقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر في كتاب آداب الصحبة فاغنى عن الإعادة.

الآفة الثالثة عشر: الوعد الكاذب:

فإن اللسان سباق إلى الوعد ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفاً،

عتبة، وقد وجدت في كتاب الأنساب لأبي عبيد القاسم بن سلام ما يشهد لما ذكره الحافظ. قال: ومن بني حرب بن أمية معاوية وعتبة ويزيد وعنبسة ومحمد وعمرو وحنظلة بنو أبي سفيان بن حرب، وأم معاوية وعتبة هند بنت عتبة بن ربيعة وأم عنبسة ومحمد عاتكة بنت أبي أزهر الدوسي، وكان معاوية ولّى عنبسة الطائف ثم عزله وولاه عتبة: **(يا أبت إن أمير المؤمنين)** يعني عمه معاوية **(أسر إلي حديثاً وما أراه يطوي عنك ما بسطه إلى غيرك. قال: فلا تحدثني به فإن من كتم سره كان الخيار له ومن أفشاه كان الخيار عليه. قال: قلت يا أبت وإن هذا ليدخل بين الرجل وبين أبيه قال: لا والله يا بني ولكن أحب أن لا تذلل لسانك بأحاديث السر. قال)** الوليد: **(فأتيت معاوية فحدثته)** بما جرى **(فقال: يا وليد أعتقك أخي من رق الخطأ)** أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال: وحدثني أبي عن بعض أشياخه قال: أسر معاوية إلى الوليد بن عتبة فذكر القصة، ثم قال: وحدثني أبي عن رجل من همدان قال: سمعت اعرابياً يقول لابن عم له: إن سرك من دمك فلا تضعه إلا عند من تثق به. قال: وحدثنا يوسف بن موسى، حدثنا جرير بن حمزة الزيات قال: قال علي رضي الله عنه:

لا تفش سرك إلا إليـــــــك ... فــإن لكـــل نصيـــح نصيحـــا
فـــإني رأيـــت غـــواة الرجـــال ... لا يتركـــون أديماً صحيحـــا

(فإفشاء السر خيانة وهو حرام إذا كان فيه اضرار ولؤم) طبع **(إذا لم يكن فيه إضرار، وقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر في كتاب الصحبة)** وفصلناه **(فلا نعيده)** ثانياً، والله الموفق.

الآفة الثالثة عشر الوعد الكاذب:

(فإن اللسان سبّاق إلى الوعد) أي كثير السبق إليه **(ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفاً، وذلك من أمارات النفاق)** وعلامته الدالة عليه، **(وقد قال الله تعالى)**

وذلك من أمارات النفاق. قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ [المائدة: ١] وقال ﷺ: «العدة عطية». وقال ﷺ: «الوأي مثل الدين أو أفضل». والوأي الوعد وقد أثنى الله تعالى على نبيه إسماعيل عليه السلام في كتابه العزيز فقال: ﴿إنه كان صادق الوعد﴾ [مريم: ٥٤] قيل: إنه واعد إنساناً في موضع فلم يرجع إليه ذلك

في كتابه العزيز: (**﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾**) قال البيضاوي: الوفاء هو القيام بمقتضى العهد، وكذلك الإيفاء والعقد العهد الموثق، وأصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال، ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود التي عقدها الله تعالى على عباده وألزمها إياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الأمانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به أو يحسن إن حملنا الأمر على المشترك بين الوجوب والندب، (**وقال ﷺ: «العدة عطية»**) أي بمنزلتها فلا ينبغي الخلف فيها كما لا ينبغي الرجوع فيها. قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من حديث قباث بن أشيم بسند ضعيف، وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن مسعود، ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت، والخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث الحسن مرسلاً وقد تقدم اهـ.

قلت: في سند الطبراني أصبغ بن عبد العزيز الليثي. قال أبو حاتم: مجهول، ورواه الديلمي أيضاً عن ابن مسعود وأصله: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فسأله شيئاً فقال: «ما عندي ما أعطيكه» فقال: تعدني فقال: «العدة عطية» وسياق أبي نعيم في الحلية قال ابن مسعود: إذا وعد أحدكم أخاه فلينجز له فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول فذكره، ثم قال: غريب تفرد به إبراهيم الفزاري.

وقال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا محمد بن عدي، عن يونس، عن الحسن أن النبي ﷺ قال: «العدة عطية» وقال الخرائطي في مكارم الأخلاق: حدثنا عبد الله ابن الحسين الهاشمي، حدثنا أحمد بن إسحاق الحضرمي، حدثنا وهيب بن خالد، أخبرنا يونس عن الحسن أن امرأة سألت رسول الله ﷺ شيئاً فلم تجده عنده فقالت: عدني فقال رسول الله ﷺ: «إن العدة عطية».

(**وقال**) ﷺ: (**«الوأي مثل الدين أو أفضل» والوأي الوعد**) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت من رواية ابن لهيعة مرسلاً وقال: الوأي يعني الوعد، ورواه الديلمي من مسند الفردوس من حديث علي بسند ضعيف اهـ.

قلت: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا إبراهيم أبو إسحاق الطالقاني، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن ابن لهيعة قال رسول الله ﷺ: «الوأي» يعني الوعد مثل الدين أو أفضل. وقال الفضل بن عباس اللهبي:

إنا أناس من سجيتنا صدق الحديث ووأينا حتم

في أبيات أخر ذكرها ابن أبي الدنيا. (**وقد أثنى الله تعالى على نبيه إسماعيل عليه السلام فقال: ﴿إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً﴾ [مريم: ٥٤] فيقال: أنه واعد إنساناً**

الإنسان بل نسي فبقي إسماعيل اثنين وعشرين يوماً في انتظاره. ولما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة قال: إنه كان خطب إلى ابنتي رجل من قريش وقد كان مني إليه شبه الوعد فوالله لا ألقى الله بثلث النفاق أشهدكم أني قد زوجته ابنتي. وعن عبد الله بن أبي الخنساء قال: بايعت النبي ﷺ قبل أن يبعث وبقيت له بقية فواعدته أن آتيه بها في مكانه ذلك، فنسيت يومي والغد فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال: يا فتى لقد شققت علي أنا ههنا منذ ثلاث انتظرك. وقيل لإبراهيم: الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجيء قال:

في موضع فلم يرجع اليه فبقى اثنين وعشرين يوماً في انتظاره) أخرجه ابن أبي الدنيا عن أحمد بن إبراهيم، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا كعب بن فروخ الرقاشي، حدثنا يزيد الرقاشي أن إسماعيل نبي الله وعد رجلاً ميعاداً فجلس له إسماعيل اثنين وعشرين يوماً مكانه لا يبرح لميعاده ولها الآخر عن ذلك حتى جاء بعد ذلك.

(ولما حضرت عبد الله بن عمرو) بن العاص رضي الله عنهما **(الوفاة قال: إنه كان خطب إلى ابنتي رجل من قريش وقد كان مني إليه شبه الوعد فوالله لا ألقى الله بثلث النفاق)** يشير إلى الحديث الذي رواه هو ويأتي قريباً وفيه: وإذا وعد أخلف فخلف الوعد ثلث النفاق **(اشهدوا أني قد زوجته ابنتي)** أخرجه ابن أبي الدنيا، عن أحمد بن إبراهيم، حدثني محمد ابن كثير عن الاوزاعي، عن هارون بن رباب قال: لما حضرت عبد الله بن عمرو الوفاة فذكره، وفيه: اشهدوا أني قد زوجتها إياه.

(وعن عبد الله بن أبي الحمساء) بالمهملتين المفتوحتين بينهما ميم ساكنة العامري، وقيل: هو عبد الله بن أبي الجدعاء قال المزني: والراجح أنه غيره **(قال: بايعت رسول الله ﷺ ببيع قبل أن يبعث فبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها في مكانه ذلك فنسيت يومي والغد، فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال: يا فتى قد شققت علي أنا ههنا منذ ثلاث انتظرك)** قال العراقي: رواه أبو داود واختلف في إسناده، وقال ابن مهدي: ما أظن إبراهيم بن طهمان إلا أخطأ اهـ.

قلت: قال الحافظ في الإصابة في ترجمته له حديث عند أبي داود والبزار من طريق عبد الكريم ابن عبد الله بن شقيق عن أبيه عنه قال: بايعت النبي ﷺ الحديث اهـ.

وقال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا محمد بن سنان العوفي، حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن بديل بن ميسرة، عن عبد الكريم، عن عبد الله بن شقيق، عن أبيه عن عبد الله بن أبي الحمساء قال: بايعت النبي ﷺ فذكره.

وقال الخرائطي في مكارم الأخلاق، حدثنا نصر بن داود الخلنجي، حدثنا محمد بن سنان أبو بكر العوفي ح.

ينتظره إلى أن يدخل وقت الصلاة التي تجيء. وكان رسول الله ﷺ إذا وعد وعداً قال: «عسى» وكان ابن مسعود لا يعد وعداً إلا ويقول: إن شاء الله وهو الأولى.

ثم إذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفاء إلا أن يتعذر فإن كان عند الوعد عازماً على أن لا يفي فهذا هو النفاق. وقال أبو هريرة، قال النبي ﷺ: «ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم إذا حدث كذب وإذا وعد

وحدثنا عباس بن أحمد الدوري، حدثنا معاذ بن هانىء القناد، قال: حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن بديل بن ميسرة، عن عبد الكريم، عن عبد الله بن شقيق، عن أبيه، عن عبد الله بن أبي الحمساء رضي الله عنه قال: بايعت رسول الله ﷺ فذكره.

قلت: وقد وقع هكذا في نسخة الصمت ونسخة مكارم الأخلاق عبد الكريم عن عبد الله بن شقيق عن أبيه. والصواب عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق كما في نسخ سنن أبي داود وعبد الكريم هذا روى عن أبيه مجهول، وأبوه عبد الله بن شقيق العقيلي بالضم البصري ثقة فقيه مات سنة ثمان ومائة.

(**وقيل لإبراهيم**) النخعي: (**الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجيء قال: ينتظره ما بينه وبين أن يدخل وقت الصلاة التي تجيء**) أخرجه ابن أبي الدنيا، عن أحمد بن إبراهيم، حدثنا محمد بن الصلاح البزار، حدثنا إسماعيل بن زكريا، عن الحسن بن عبيد الله قال: قلت لإبراهيم الرجل يواعد الرجل الميعاد ولا يجيء قال لينتظره والباقي سواء.

(**وكان رسول الله ﷺ إذا وعد وعداً قال «عسى»**) قال العراقي: لم أجد له أصلاً (**وكان**) ابن مسعود رضي الله عنه (**لا يعد وعداً إلا ويقول: إن شاء الله**). وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو معاوية، حدثنا حجاج عن أبي إسحاق قال: كان أصحاب عبد الله يقولون إذا وعد فقال: إن شاء الله فلم يخلف. وروى الطبراني في الكبير عن ابن مسعود موقوفاً: من حلف على يمين فقال: إن شاء الله فقد استثنى (**وهو الأولى**) أي قول إن شاء الله عند الوعد ووجه الأولوية خروجه عن صورة الكذب.

(**ثم إذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد**) بالهبة وغيرها، (**فلا بد من الوفاء**) استحباباً مؤكداً وقيل وجوباً وهو قول الحسن، واختاره بعض المالكية (**إلا أن يعتذر**) أي يتعسر الوفاء بسبب من الأسباب وإن لم يتعذر كره الأخلاف كراهة تنزيه لا تحريم على قول من قال باستحباب الوفاء، (**فإن كان عند الوعد عازماً على أن لا يفي به، فهذا هو النفاق**) صرح به النووي في شرح مسلم لأنه خالف في الظاهر ما في باطنه.

(**قال أبو هريرة**) رضي الله عنه (**قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه**) أي ثلاث خصال من وجدت فيه (**فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»**) قال العراقي: متفق عليه وقد تقدم اهـ.

أخلف وإذا ائتمن خان » . وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ : « أربع من كن فيه كان منافقاً ومن كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث

قلت : ولكن ليس بلفظ المصنف ، وبهذا اللفظ أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق فقال : حدثنا محمد بن جابر ، حدثنا يوسف بن كامل ، حدثنا حماد بن أبي سلمة ، عن داود بن أبي هند ، عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وقال إني مسلم إذا ائتمن خان وإذا حدث كذب وإذا وعد أخلف » .

وأما لفظ البخاري ومسلم فقال في الإيمان : حدثنا أبو الربيع ، حدثنا إسماعيل بن جعفر ، حدثنا نافع ، عن مالك بن أبي عامر ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أئتمن خان » .

وأخرجه كذلك في الوصايا عن أبي الربيع ، وفي الشهادات عن قتيبة ، وفي الأدب عن أبي سلام ، وأخرجه مسلم في الإيمان عن قتيبة ، ويحيى بن أيوب كلهم عن إسماعيل بن جعفر . وأخرجه أيضاً الترمذي والنسائي فهذا ما يتعلق بحديث أبي هريرة .

وأخرج رستة في الإيمان ، وأبو الشيخ في التوبيخ من حديث أنس : « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وحج واعتمر » وقال : « إني مسلم من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان » .

وقال الخرائطي : حدثنا حماد بن الحسن بن عنبسة الوراق ، حدثنا أبو داود الطيالسي ، حدثنا شعبة ، عن منصور قال : سمعت أبا وائل يحدث عن عبد الله عن النبي ﷺ قال : « ثلاث من كن فيه فهو منافق ومن كانت فيه خصلة منها ففيه خصلة من النفاق إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان » .

وأخرجه ابن أبي الدنيا عن أبي حفص الصيرفي عن أبي داود وهو الطيالسي بلفظ : « آية المنافق ثلاث » .

وقال الخرائطي : حدثنا معدان بن يزيد البزار ، حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا محمد بن عبد الرحمن ، عن محمد بن كعب القرظي أن رسول الله ﷺ قال : « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان » . ثم قال تصديق ذلك في كتاب الله عز وجل : ﴿ إذا جاءك المنافقون﴾ [المنافقون : ١] الآية . وقال : ﴿ومنهم من عاهد الله﴾ الآية وقال : ﴿ إنا عرضنا الأمانة﴾ [الأحزاب : ٧٢] الآية .

(وقال عبد الله بن عمرو) بن العاص رضي الله عنهما **(قال رسول الله ﷺ : « أربع من كن فيه كان منافقاً ومن كان فيه خلة منهن كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها) أي**

كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر ». وهذا ينزل على من وعد

يتركها (**إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر**) قال العراقي: متفق عليه.

قلت: هذا لفظه عند الخرائطي في مكارم الأخلاق قال: حدثنا عبد الله بن الحسن الهاشمي، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا شعبة، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: « أربع من كن فيه فهو منافق ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها من إذا حدث » فساقه.

وقال البخاري في الإيمان: حدثنا قبيصة بن عقبة، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن عبد الله ابن مرة، عن مسروق عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كان فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا ائتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر » ثم قال: تابعه شعبة عن الأعمش وقد أوصلها هو في كتاب المظالم، وكذلك أوصلها مسلم. وقد أخرجه أيضاً أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي، وأخرجه ابن أبي الدنيا عن زهير بن حرب، حدثنا وكيع، عن سفيان عن الأعمش بلفظ البخاري. قال النووي: لا منافاة بين الحديثين من ثلاث خصال أو أربع، لأن الشيء الواحد قد تكون له علامات كل واحدة تحصل صفة، قد تكون تلك العلامة شيئاً واحداً، وقد تكون أشياء.

وروى أبو أمامة مرفوعاً: « وإذا غنم غل وإذا أمر عصى وإذا لقي جبن ». وقال الطيبي: لا منافاة لأن الشيء الواحد قد تكون له علامات فتارة يذكر بعضها وأخرى جميعها أو أكثر. وقال القرطبي: يحتمل أن النبي ﷺ استجد له من العلم بخصالهم ما لم يكن عنده. قال العيني: الأولى أن يقال إن التخصيص بالعدد لا يدل على الزائد والناقص. وقال الحافظ في الفتح لا تعارض بين الحديثين لأنه لا يلزم من عدد الخصلة المذمومة الدالة على كمال النفاق كونها علامة على النفاق لاحتمال أن تكون العلامات دالات على أصل النفاق، والخصلة الزائدة إذا أضيفت إلى ذلك كمل خلوص النفاق على أن في رواية مسلم من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة ما يدل على إرادة الحصر، فإن لفظه من علامة المنافق ثلاث وكذا أخرج الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد، وإذا حمل اللفظ الأول على هذا لم يرد السؤال فيكون قد أخبر ببعض العلامات في وقت وبعضها في وقت آخر اهـ.

ووجه الحصر على الأربع أن إظهار خلاف الباطن إما في الماليات فهذا إذا ائتمن، وإما في غيرها فهو إما في حالة الكدورة، فهو إذا خاصم، وإما في حالة الصفاء فهو إما مؤكدة باليمين فهو إذا عاهد وإلا فهو بالنظر إلى المستقبل فهو إذا وعد، وإما بالنظر إلى الحال فهو إذا حدث، قال العيني: ومرجع الأربع إلى ثلاث لأن قوله إذا عاهد غدر داخل في قوله إذا ائتمن خان، وإذا خاصم فجر داخل في قوله إذا حدث كذب اهـ.

وهو على عزم الخلف أو ترك الوفاء من غير عذر فأما من عزم على الوفاء فعن له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقاً وإن جرى عليه ما هو صورة النفاق، ولكن ينبغي أن يحترز من صورة النفاق أيضاً كما يحترز من حقيقته، ولا ينبغي أن يجعل نفسه معذوراً من غير ضرورة حاجزة فقد روي أن رسول الله ﷺ كان وعد أبا الهيثم أبن التيهان خادماً فأتى بثلاثة من السبي فأعطى اثنين وبقي واحد، فأتت فاطمة رضي الله عنها تطلب منه خادماً وتقول: ألا ترى أثر الرحى بيدي؟ فذكر موعده لأبي الهيثم فجعل يقول: «كيف بموعدي لأبي الهيثم» فآثره به على فاطمة لما كان قد سبق من موعده له مع أنها كانت تدير الرحى بيدها الضعيفة. ولقد كان ﷺ جالساً يقسم غنائم هوازن بحنين

ووجه الحصر على الثلاث هو التنبيه على فساد القول والفعل والنية، فبقوله إذا حدث نبه على فساد القول، وبقوله إذا ائتمن نبه على فساد الفعل، وبقوله إذا وعد نبه على فساد النية وإليه أشار المصنف بقوله:

(وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف أو ترك الوفاء من غير عذر فأما من عزم على الوفاء) مقارناً بوعده، **(وعنّ له)** أي عرض له **(عذر منعه من الوفاء)** أو بدا له رأي **(لم يكن منافقاً)** أي لم يوجد فيه صفة النفاق، **(وإن جرى عليه ما هو صورة النفاق)** ويشهد لذلك ما رواه الطبراني بإسناد لا بأس به في حديث طويل من حديث سلمان رضي الله عنه إذا وعد وهو يحدث نفسه أن يخلف وكذا قال في باقي الخصال، وسيأتي للكلام تتمة في آخر هذا السياق من هذه الآفة. **(ولكن ينبغي أن يحترز من صورة النفاق أيضاً كما يحترز من حقيقته)** التي هي إظهار ما يبطن خلافه، **(ولا ينبغي أن يجعل نفسه معذوراً من غير ضرورة حاقة)** وفي بعض النسخ حافزة. **(فقد روي أنه ﷺ كان وعد أبا الهيثم)** مالك **(بن التيهان)** بن مالك بن عبيد الأنصاري من سابقي الأنصار توفي سنة عشرين والتيهان بفتح المثناة من فوق وتشديد المثناة التحتية المكسورة **(خادماً فأتى)** ﷺ **(بثلاثة من السبي)** فأعطى اثنين لجماعة **(وبقي واحد، فجاءت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تطلبه منه وهي تقول: ألا ترى أثر الرحا يا رسول الله في يدي فذكر)** ﷺ **(موعده لأبي الهيثم فجعل يقول: «كيف بموعدتي لأبي الهيثم» فآثره به)** أي بالواحد من السبي **(على فاطمة)** رضي الله عنها **(لما سبق من موعده له مع أنها تدير الرحا بيدها الضعيفة)** قال العراقي: تقدم ذكر قصة أبي الهيثم في آداب الأكل، وهي عند الترمذي من حديث أبي هريرة وليس فيها ذكر لفاطمة رضي الله عنها اهـ.

قلت: قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو علي محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثنا العباس بـن الوليد، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا الجريري، عن أبي الورد، عن ابن

فوقف عليه رجل من الناس فقال: إن لي عندك موعداً يا رسول الله. قال: « صدقت فاحتكم ما شئت » فقال: احتكم ثمانين ضائنة وراعيها، قال: « هي لك ». وقال احتكمت يسيراً ولصاحبة موسى عليه السلام التي دلته على عظام يوسف كانت أحزم منك وأجزل حكماً منك حين حكمها موسى عليه السلام، فقالت: حكمي أن تردني شابة وادخل معك الجنة ». قيل: فكان الناس يضعفون ما احتكم به حتى جعل مثلاً

أعبد قال: قال لي علي يا ابن أعبد ألا أخبرك عني وعن فاطمة بنت محمد كانت أكرم أهله عليه، وكانت زوجتي فجرت بالرحا حتى أثر الرحا بيدها، واستقت بالقربة حتى أثرت القربة بنحرها، وقمت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دنست ثيابها فأصابها من ذلك، فقدم على رسول الله ﷺ سبي أو خدم فقلت لها: انطلقي إلى رسول الله ﷺ فسليه خادماً يقيك حرّما أنت فيه، فأتت أباها حين أمست فقال لها: مالك يا بنية؟ قالت: لا شيء. جئت لأسلم عليك واستحيت أن تسأل شيئاً، فلما رجعت قلت لها ما فعلت فساق الحديث وفيه: فقال ﷺ: « هل أدلكما على خير لكما من حمر النعم تكبيرات وتسبيحات وتحميدات مائة حين تريدان أن تناما » الحديث. وليس فيه أيضاً ذكر لأبي التيهان وابن أعبد قال الذهبي في الضعفاء، قال ابن المديني: ليس بمعروف.

(ولقد كان رسول الله ﷺ جالساً يقسم غنائم هوازن بحنين) اسم موضع بين مكة والطائف، وكان قد خرج لقتال هوازن وثقيف فصار إلى حنين، فلما التقى الجمعان انكشف المسلمون ثم أمدهم الله بنصره وعطفوا وقاتلوا المشركين فهزموهم وغنم أموالهم وعيالهم، ثم سار إلى أوطاس فانهزم المشركون إلى الطائف وغنم المسلمون منها أيضاً أموالهم وعيالهم، ثم سار إلى الطائف فقاتلوهم، فلما أهل ذو القعدة ترك القتال لأنه شهر حرام ورحل راجعاً فنزل الجعرانة وقسم غنائم أوطاس وحنين ويقال كانت ستة آلاف سبي، (**فوقف عليه رجل من الناس فقال: إن لي عندك موعداً يا رسول الله. فقال: « صدقت فاحتكم ما شئت »**) أي لك الحكم في طلب ما تريد (**فقال: احتكم ثمانين ضائنة**) الضأن من الغنم فالذكر ضائن والأنثى ضائنة. قال ابن الأنباري: الضأن مؤنثة والجمع أضؤن كافلس وجمع الكثرة ضئين ككريم (**وراعيها**) أي الخادم الذي يرعاها، (**فقال رسول الله ﷺ: « هي لك » ولقد احتكمت يسيراً. ولصاحبة موسى**) عليه السلام وهي العجوز من عجز مصر (**التي دلته على عظام يوسف**) عليه السلام أي جسده الشريف وكان في صندوق من رخام في قعر النيل تتلاطم عليه الأمواج (**كانت أحزم منك**) أي أكثر حزماً، (**وأجزل حكماً حين حكمها موسى**) عليه السلام فإنه لما سأل عن يوسف عليه السلام لم يجد عند أحد علماً لتقادم العصر ومرور الأزمنة، وأجمع رأيهم على عجوز كانت من بقايا القبط، وقد أتت عليها سنون فطلبها سيدنا موسى عليه السلام وسألها فقالت: عندي علم من ذلك، فقال أخبرينا ولك ما تريدين، (**فقالت: حكمي أن تردني شابة**) كأحسن ما كنت عليه من الشباب، (**وأدخل معك الجنة**) فاخبرته عن محله فدعا الله تعالى بأن يردها شابة فارتدت في الحال شابة

فقيل: أشح من صاحب الثمانين والراعي، وقد قال رسول الله ﷺ: «ليس الخلف أن يعد الرجل الرجل وفي نيته أن يفي» وفي لفظ آخر: «إذا وعد الرجل أخاه وفي نيته أن يفي فلم يجد فلا إثم عليه».

ورجع إليها حسنها وجمالها، ودعا الله تعالى أن يجعلها معه في الجنة فاستجيب له ودلته على محله في قعر النيل، فأتى إليه وأشار بعصاه فانفرق البحر وظهر الصندوق، فحمله موسى عليه السلام إلى بيت المقدس فدفنه عند آبائه الكرام عليهم السلام. (**قيل فكان الناس يضعفون ما احتكم به حتى جعل مثلاً يقولونه**) هو (**أشح من صاحب الثمانين والراعي**) يعنون به ذلك الرجل الدنيء الهمة. قال العراقي: رواه ابن حبان والحاكم في المستدرك من حديث أبي موسى مع اختلاف. قال الحاكم: صحيح الإسناد. قلت: فيه نظر.

(**وقد قال النبي ﷺ: «ليس الخلف أن يعد الرجل الرجل ومن نيته أن يفي**) بما وعد به وتمامه، ولكن الخلف ان يعد الرجل ومن نيته ان لا يفي». أخرجه أبو يعلى في مسنده، وابن لال في مكارم الاخلاق، والديلمي من حديث زيد بن أرقم وهو حديث حسن. (**وفي رواية**) في هذا الحديث(**«إذا وعد الرجل**)يعني الإنسان فذكر الرجل طردي (**أخاه**) أي في الإسلام وإن لم يكن من النسب بأن يفعل له شيئاً يسوغ له شرعاً (**وفي نيته**) وفي لفظ ومن نيته (**أن يفي**) له وفيه دليل على أن النية الصالحة يثاب عليها الإنسان وأن تخلف عنها المنوي (**فلم يجد**) ما يفي به (**فلا إثم عليه»**) قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وضعفه من حديث زيد بن أرقم إلا أنهما قالا: فلم يف اهـ.

قلت: لفظ أبي داود في الأدب: «إذا وعد الرجل أخاه ومن نيته أن يفي له فلم يف ولم يجيء للميعاد فلا إثم عليه» ومثله للترمذي في الإيمان إلا أنه قال فلا جناح عليه، وقال: غريب وليس سنده بالقوي قال الذهبي في المهذب: وفيه أبو النعمان يجهل كشيخه أبي الوقاص. وقال الصدر المناوي في تخريج المصابيح: اشتمل سنده على مجهولين.

فإن قلت: الخصال التي ذكرت في الأحاديث السابقة الدالة على النفاق قد توجد أحياناً في المسلم المصدق بقلبه ولسانه مع أن الإجماع حاصل على أنه لا يحكم بكفره ولا بنفاق يجعله في الدرك الأسفل من النار؟ أجيب بأوجه فقيل: معناه إن هذه خصال نفاق وصاحبها شبيه بالمنافق في هذه ومتخلق بأخلاقهم لا أنه منافق في الإسلام مبطن الكفر. وقيل: هذا فيمن كانت هذه الخصال غالبة عليه، فأما من ندر ذلك منه فليس داخلا فيه. وقيل: هذا القول تحذير من اعتياد هذه الخصال خوفاً أن يفضي به إلى النفاق دون من وقعت منه نادرة من غير اختيار أو اعتياد. وقيل: بل الوارد في تلك الأحاديث في حق رجل بعينه منافق إذ لم يكن من عادته ﷺ يواجه أحداً بما يكره، وإنما كان يقول: ما بال أقوام يفعلون كذا. فهذا مثله أشار بالآية إليه حتى يعرف ذلك الشخص بها. وقيل: المراد به المنافقون الذين كانوا في زمانه ﷺ حدثوا بأنهم آمنوا فكذبوا، وائتمنوا على دينهم فخانوا، ووعدوه في نصرة الدين فأخلفوا وهو قول عطاء بن أبي رباح، وإليه رجع الحسن

الآفة الرابعة عشرة: الكذب في القول واليمين:

وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب. قال إسماعيل بن واسط: سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله ﷺ فقال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامي هذا عام أول ثم بكى، وقال: « إياكم والكذب فإنه مع الفجـور وهما في النار ».

البصري وهو مذهب ابن عمـر وابن عباس وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي وغيرهم. وقيل: المراد بالنفاق هنانفاق العمل لانفاق الكفر، ومنه قول عمر لحذيفة رضي الله عنهما: هل تعلم في شيئاً من النفاق؟ وقال بعضهم: الألف واللام في المنافق لا يخلو إما أن تكون للجنس أو للعهد، فإن كانت للجنس يكون على سبيل التشبيه والتمثيل لا على الحقيقة، وإن كانت للعهد فيكون من منافق خاص بعينه أو المنافقين الذي كانوا في زمنه ﷺ.

الآفة الرابعة عشر: (الكذب في القول و) في (اليمين).

وهو الإخبار عن الشيء بخلافه سواء فيه العمد والخطا إذ لا واسطة بين الصدق والكذب على مذهب أهل السنة والإثم يتبع العمد وقد كذب يكذب كذباً ككتف، ويجوز التخفيف بكسر الكاف وسكون الذال، **(وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب)** أي من الذنوب القبيحة والعيوب الفاحشة. **(قال إسماعيل بن أوسط)** هكذا في سائر النسخ، والصواب أوسط بن إسماعيل كما نبه عليه العراقي، وهو أوسط بن إسماعيل بن أوسط البجلي شامي ثقة مخضرم، مات سنة تسع وسبعين، روى له البخاري في الأدب المفرد والنسائي وابن ماجه: **(سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله ﷺ فقال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامي هذا عام أول ثم بكى وقال: « إياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار »)** قال العراقي: رواه ابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة، وجعله المصنف من رواية إسماعيل بن أوسط عن أبي بكر وإنما هو أوسط بن إسماعيل بن أوسط وإسناده حسن اهـ.

قلت: وأخرجه ابن أبي الدنيا عن علي بن الجعد، أنبأنا شعبة، عن يزيد بن ضمير، سمعت سليم بن عامر يحدث عن أوسط بن إسماعيل بـن أوسط سمع أبا بكر الصديق رضي الله عنه يخطب بعد ما قبض رسول الله ﷺ بسنة فقال: قام رسول الله ﷺ عام أول مقامي هذا ثم بكى أبو بكر قال: « عليكم بالصدق فإنه مع البر وهما في الجنة وإياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار ».

ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق عن علي بن حرب، حدثنا أبو النضر هاشم بن القاسم، حدثنا شعبة. ورواه أيضاً عن الدوري، حدثنا زيد بن الحباب عن معاوية بن أبي صالح، حدثني سليم بن عامر. ورواه كذلك أحمد وابن حبان والحاكم ولفظهم كالنسائي، وابن ماجه من طريق أوسط خطبنا أبو بكر الصديق فقال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامي هذا عام الأول فقال: « سلوا

وقال أبو أمامة قال رسول الله ﷺ : « إن الكذب باب من أبواب النفاق » . وقال الحسن : كان يقال إن من النفاق اختلاف السر والعلانية ، والقول والعمل ، والمدخل والمخرج ، وإن الأصل الذي بني عليه النفاق الكذب . وقال عليه السلام : « كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت له به كاذب » . وقال ابن مسعود ، قال

الله المعافاة أو قال العافية فلم يؤت أحد قط بعد اليقين أفضل من العافية والمعافاة عليكم بالصدق فإنه مع البر وهما في الجنة وإياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله » .

ورواه ابن جرير في تهذيب الآثار ، وابن مردويه بلفظ : قام فينا رسول الله ﷺ فقال : « سلوا الله العافية فإنه لم يعط أحد أفضل من معافاة بعد يقين وإياكم والريبة فإنه لم يؤت أحد أشد من ريبة بعد كفر وعليكم بالصدق فإنه مع البر وهما في الجنة وإياكم والكذب إنه مع الفجور وهما في النار » .

وروى سفيان بن عيينة في الجامع وابن المبارك وهناد وابن أبي الدنيا في الصمت وحسين بن أصرم في الاستقامة وابن مردويه والبيهقي وسنده أصح الأسانيد من طريق قيس بن أبي حازم قال : سمعت أبا بكر يقول « إياكم والكذب فإن الكذب مجانب للإيمان » .

(وقال أبو أمامة) صدي بن عجلان الباهلي رضي الله عنه **(قال النبي ﷺ « إن الكذب باب من أبواب النفاق »)** قال العراقي : رواه ابن عدي في الكامل بسند ضعيف فيه عمر بن موسى الوجيهي ضعيف جداً ويغني عنه قوله ﷺ « ثلاث من كن فيه فهو منافق » وحديث « أربع من كنّ فيه فهو منافق » قال في كل منهما « وإذا حدث كذب » وهما في الصحيحين وقد تقدما في الآفة التي قبلها .

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى **(كان يقال : إن من النفاق اختلاف السر والعلانية و)** اختلاف **(القول والعمل و)** اختلاف **(المدخل والمخرج ، وأن الأصل الذي بني عليه النفاق الكذب)** أخرجه ابن أبي الدنيا عن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا إسحاق الأزرق ، عن عون ، عن الحسن قال يعد من النفاق اختلاف القول والعمل واختلاف السر والعلانية والمدخل والمخرج ، وأصل النفاق والذي بني عليه النفاق الكذب .

(وقال ﷺ « كبرت خيانة) تأنيثه باعتبار الضمير وهو فاعل معنى **(أن تحدث أخاك)** في الدين وإن لم يكن أخاك في النسب **(حديثاً هو لك به مصدق وأنت له به كاذب »)** لأنه ائتمنك فيما تحدثه فإن كذبته فقد خنت أمانته وخنت أمانة الإيمان فيما أوجب من نصيحة الإخوان .

النبي ﷺ : « لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » ومر رسول الله ﷺ برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان يقول أحدهما : والله لا أنقصك من كذا وكذا ، ويقول الآخر والله لا أزيدك على كذا وكذا فمرّ بالشاة أحدهما فقال : « أوجب وقد اشتراها أحدهما بالإثم والكفارة » . وقال عليه السلام : « الكذب ينقص الرزق » .

قال الطيبي[1] : أخاك فاعل كبرت وأنت الفعل له باعتبار المعنى لأنه نفس الخيانة وفيه معنى التعجب كما في ﴿كبر مقتاً عند الله﴾ [غافر : ٣٥] والمراد خيانة عظيمة منك إذا حدثت أخاك المسلم بحديث هو يعتمد عليك اعتماداً على كل مسلم لا تكذب فيصدقك والحال إنك كاذب. وقال النووي : التورية إطلاق لفظ هو ظاهر في معنى وتريد به معنى آخر يتناوله اللفظ ، لكنه خلاف ظاهره وهو ضرب من التغرير والخداع ، فإن دعت له مصلحة شرعية راجحة لا مندوحة عنها إلا به فلا بأس وإلا كره ، فإن توصل به إلى أخذ باطل أو دفع حق حرم وعليه ينزل هذا الخبر . قال العراقي : رواه البخاري في كتاب الأدب المفرد ، وأبو داود من حديث سفيان بن أسيد ، وضعفه ابن عدي. ورواه أحمد والطبراني من حديث النواس بن سمعان بإسناد جيد اهـ.

قلت : ورواه أيضاً ابن سعد والبغوي وابن قانع والبيهقي عن سفيان بن أسيد بفتح الهمزة وكسر السين المهملة الحضرمي. قال البغوي : ولا أعلم لسفيان غيره. ورواه أبو نعيم في الحلية والبيهقي أيضاً عن النواس بن سمعان ، وقد سكت أبو داود على حديث سفيان فاقتضى كونه حسناً عنده إلا أن النووي في الأذكار قال : هو ضعيف وكأنه تبع فيه ابن عدي فإن فيه بقية ابن الوليد والكلام فيه مشهور ، وكون سند حديث النواس جيداً فيه خلاف أيضاً ، فقد ذكر المنذري أن شيخ أحمد فيه عمر بن هارون فيه خلف وبقية رجاله ثقات. وقال الهيثمي : عمر ضعيف وبقية رجاله ثقات.

(وقال ابن مسعود) رضي الله عنه ، **(قال النبي ﷺ « لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً »)** قال العراقي : متفق عليه.

(ومرَّ رسول الله ﷺ برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان يقول أحدهما : والله لا أنقصك من كذا وكذا ، ويقول الآخر : والله لا أزيدك على كذا وكذا فمرَّ بالشاة وقد اشتراها أحدهما فقال « أوجب أحدهما بالإثم والكفارة ») قال العراقي : رواه أبو الفتح الأزدي في كتاب الأسماء المفردة من حديث ناسح الحضرمي ، وهكذا رويناه في أمالي ابن شمعون. وناسح ذكره البخاري هكذا في التاريخ وقال أبو حاتم : هو عبد الله بن ناسح اهـ.

قلت : ذكره الازدي في مفردات أسماء الصحابة ، وذكره البخاري فقال ناسح عن النبي ﷺ

---

(١) قوله أخاك الخ هكذا هو بخط المؤلف ولعل صوابه أن تحدث لأنه هو الفاعل وخيانة تمييز وبه تعلم ما في كلام الشارح السابق اهـ مصححة.

وقال رسول الله ﷺ: « إن التجارهم الفجار » فقيل يا رسول الله أليس قد أحل الله البيع ؟ قال: « نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون » وقال ﷺ: « ثلاثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم: المنان بعطيته، والمنفق سلعته بالحلف الفاجر

وعنه شرحبيل بن شفعة. وأخرج ابن شاهين من طريق الوليد بن مسلم، عن حريز بن عثمان، عن شرحبيل بن شفعة، عن ناسح الحضرمي، عن النبي ﷺ أنه مرَّ برجلين يتبايعان شاة فذكر الحديث. وقال ابن أبي حاتم: أخرجه البخاري في النون وخطاه في ذلك أبي وأبو زرعة وقال: إنما هو عبد الله بن ناسح، وقال الحسن بن سفيان في الصحابة عبد الله بن ناسح الحضرمي الحمصي، واخرج له حديثاً آخر من طريق سعيد بن سنان عن شريح بن نسيب عنه. وقال أبو نعيم: لا تصح له صحبة. قال الحافظ السخاوي: وحديثه المذكور أعني الذي أورده ابن شاهين أخرجه أيضاً الخرائطي في مساويء الأخلاق، وقال الحافظ في الإصابة: ناسح بنون ومهملتين على الراجح، وقيل بمعجمة وجيم، وقيل بمعجمة ثم مهملة حكاها أبو أحمد العسكري.

(وقال ﷺ « الكذب ينقص الرزق ») قال العراقي: رواه أبو الشيخ في طبقات الاصبهانيين من حديث أبي هريرة، ورويناه كذلك في مشيخة القاضي أبي بكر وإسناده ضعيف.

(وقال ﷺ « إن التجار هم الفجار » فقيل: يا رسول الله أليس الله قد أحل البيع ؟ قال: « نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون ») قال العراقي: رواه أحمد والحاكم وقال: صحيح الإسناد والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن شبل اهـ.

قلت: عبد الرحمن بن شبل أوسي أنصاري أحد نقباء الأنصار. قال البخاري: له صحبة. وقال ابن منده: عداده في أهل المدينة، روى عنه تميم بن محمود ويزيد بن عمير وأبو راشد الحبراني وأبو سلام الاسود، ذكره عبد الصمد بن سعيد فيمن نزل حمص من الصحابة. وقال أبو زرعة الدمشقي: نزل الشام. وأخرج الجوزجاني في تاريخه من طريق أبي راشد الحبراني قال: كنا بمسكن مع معاوية فبعث إلى عبد الرحمن بن شبل إنك من فقهاء أصحاب رسول الله ﷺ وقدمائهم فقم في الناس وعظهم. وأخرج أحمد من طريق أبي سلام عن أبي راشد قال: كتب معاوية إلى عبد الرحمن بن شبل أن أعلم الناس بما سمعت فجمعهم فذكر لهم أحاديث منها حديث: « أن التجار هم الفجار » وأخرج له البخاري في الأدب المفرد وأبو داود والنسائي وابن ماجه حديثاً من رواية تميم ابن محمود عنه، وابن ماجه أخرجه من طريق أبي راشد عنه.

(وقال ﷺ « ثلاثة نفر لا يكلمهم الله ») تكليم رضا عنهم أو كلاماً يسرهم أو لا يرسل إليهم الملائكة بالتحية أو ملائكة الرحمة ولما كان لكثرة الجمع مدخل عظيم في مشقة الخزي قال (« يوم القيامة) الذي من افتضح في جمعه لم يفز (ولا ينظر إليهم) نظر رحمة وعطف ولطف أحدهم (المنان بعطيته) من المنة التي هي الاعتداد بالصنيعة وهي إن وقعت في صدقة أحبطت الثواب أو في معروف أبطلت الصنيعة (و) الثاني (المنفق) كمحدث أي المروّج (سلعته) أي

والمسبل إزاره ». وقال ﷺ : « ما حلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بعوضة إلا كانت نكتة في قلبه إلى يوم القيامة ». وقال أبو ذر : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة يحبهم الله : رجل كان في فئة فنصب نحره حتى يقتل أو يفتح الله عليه وعلى أصحابه ، ورجل كان له جار سوء يؤذيه فصبر على أذاه حتى يفرق بينهما موت أو ظعن ، ورجل كان معه

متاعه (**بالحلف**) بكسر اللام ويروى بسكونها أيضاً (**الفاجر**) أي الكاذب (**و**) الثالث (**المسبل إزاره**) أي الجار له بارخاء طرفيه خيلاء ، وخص الإزار لأنه عامة لباسهم فلغيره من نحو قميص حكمه.

قال الطيبي : جمع الثلاثة في قرن لأن المسبل إزاره المتكبر المترفع بنفسه على الناس ومحتقرهم ، والمنان إنما منّ بعطائه لما رأى من علوه على المعطى له ، والحالف البائع يراعي غبطة نفسه وهضم صاحب الحق ، والحاصل من المجموع احتقار الغير وإيثار نفسه ، ولذلك يجازيه الله باحتقاره له وعدم التفاته إليه كما لوح به قوله « لا يكلمهم ». قال العراقي : رواه مسلم من حديث أبي ذر اهـ .

قلت : ورواه كذلك أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه بلفظ « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم » وكررها رسول الله ﷺ ثلاث مرات ، فقال أبو ذر رضي الله عنه : خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟ قال « المسبل إزاره والمنان الذي لا يعطي شيئاً إلا مِنّة والمنفق سلعته بالحلف الفاجر ».

وروى الشيخان من حديث أبي هريرة واللفظ للبخاري « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم رجل حلف على سلعته لقد أعطى بها أكثر مما أعطى ، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع مال رجل مسلم » الحديث.

وروى الطبراني في الكبير من حديث ابن عمر « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة المنان عطاءه والمسبل ازاره خيلاء ومدمن الخمر ».

(**وقال ﷺ « ما حلف حالف بالله فادخل فيها مثل جناح بعوضة إلا كانت نكتة في قلبه إلى يوم القيامة »**) قال العراقي : رواه الترمذي والحاكم وصحح إسناده من حديث عبد الله بن أنيس اهـ .

قلت : وكذلك رواه الخرائطي في مساويء الأخلاق.

(**وقال أبو ذر**) الغفاري رضي الله عنه [قال رسول الله ﷺ] (**« ثلاثة**) من الناس (**يحبهم الله : رجل كان في فئة**) أي جماعة من أصحابه (**فنصب نحره**) أي رقبته للعدوّ (**حتى يقتل أو يفتح الله عليه أو على أصحابه، ورجل كان له جار سوء يؤذيه**) بقول أو فعل (**فصبر على أذاه حتى يفرق بينهما موت لأحدهما أو ظعن**) أي رحلة ، (**ورجل كان معه**

قوم في سفر أو سرية فأطالوا السرى حتى أعجبهم أن يمسوا الأرض فنزلوا فتنحى يصلي حتى يوقظ أصحابه للرحيل. وثلاثة يشنأهم الله التاجر أو البياع الحلاف والفقير المختال والبخيل المنان». وقال ﷺ: «ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له

قوم في سفر أو سرية فأطالوا السرى) أي سير الليل **(حتى أعجبهم أن يمسوا الأرض)** وهو كناية عن غلبة النوم **(فنزلوا)** عن دوابهم **(فتنحى)** ذلك الرجل **(يصلي)** وهم نيام **(حتى)** يصبح و **(يوقظ أصحابه للرحيل)** من ذلك المكان. **(وثلاثة من الناس يشنأهم الله)** أي يبغضهم **(التاجر)** الحلاف **(أو)** قال **(البيَّاع الحلاف)** أي كثير الحلف على سلعته وفيه إشعار بأن القليل الصدق ليس محلاً للذم، **(والفقير المختال)** أي المتكبر، **(والبخيل المنان)** بعطيته» قال العراقي: رواه أحمد واللفظ له وفيه ابن الأقمس ولا يعرف حاله، ورواه هو والنسائي بلفظ آخر بإسناد جيد، ورواه النسائي من حديث أبي هريرة «أربعة يبغضهم الله البياع الحلاف» الحديث وإسناده جيد اهـ.

قلت: لفظ أحمد في مسنده «ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يشنأهم الله الرجل يلقى العدوّ في فئة فينصب لهم نحره حتى يقتل أو يفتح لأصحابه، والقوم يسافرون فيطول سراهم حتى يحبوا أن يمسوا الأرض فينزلون عن دوابهم فيتنحى أحدهم فيصلي حتى يوقظهم لرحيلهم، والرجل يكون له الجار يؤذيه فيصبر على أذاه حتى يفرق بينهما بموت أو ظعن، والذين يشنأهم الله، التاجر الحلاف، والفقير المختال، والبخيل المنان».

وأما حديث النسائي الذي أشار إليه العراقي فلفظه في باب الزكاة من سننه من حديث أبي ذر «ثلاثة يحبهم الله تعالى وثلاثة يبغضهم الله، فأما الذين يحبهم الله فرجل أتى قوماً فسألهم بالله ولم يسألهم بقرابة بينه وبينهم فمنعوه فتخلف رجل باعقابهم فأعطاه سراً لا يعلم بعطيته إلا الله والذي أعطاه، وقوم ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحب إليهم مما يعدل به فوضعوا رؤوسهم فقام أحدهم يتملقني ويتلو آياتي، ورجل كان في سرية فلقى العدوّ فهزموا فأقبل بصدره حتى يقتل أو يفتح له. والثلاثة الذين يبغضهم الله الشيخ الزاني، والفقير المختال والغني الظلوم» ورواه كذلك الترمذي في صفة الجنة، وابن حبان، والحاكم في الزكاة والجهاد. وقال الترمذي: حديث صحيح. وقال الحاكم على شرطها. وأقره الذهبي في التلخيص. ورواه ابن عساكر في التاريخ من حديث مطرف بن عبد الله بن الشخير قال: بلغني عن أبي ذر حديث، فكنت أحب أن ألقاه فلقيته فسألته فذكره. وأما حديث أبي هريرة عند النسائي الذي أشار إليه العراقي فلفظه «أربعة يبغضهم الله البياع الحلاف، والفقير المختال، والشيخ الزاني والإمام الجائر» وهكذا رواه البيهقي أيضاً في السنن.

(وقال ﷺ «ويل للذي يحدث) الناس **(فيكذب)** في حديثه **(ليضحك به القوم ويل له ويل له»)** كرره إيذاناً بشدة هلكته وذلك لأن الكذب وحده رأس كل مذموم وجماع كل

ويل له » وقال ﷺ : « رأيت كأنّ رجلاً جاءني فقال لي قم فقمت معه فإذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس بيد القائم كلوب من حديد يلقمه في شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر فيمده فإذا مده رجع الآخر كما كان فقلت للذي أقامني ما هذا ؟ فقال : هذا رجل كذاب يعذب في قبره إلى يوم القيامة » . وعن عبد الله بن جراد قال : سألت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله هل يزني المؤمن ؟ قال : قد يكون ذلك » قال : يا نبي الله هل يكذب المؤمن ؟ قال : « لا » ثم اتبعها ﷺ بقول الله تعالى : ﴿ إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ﴾ [النحل : ١٠٥] وقال أبو سعيد الخدري سمعت

فضيحة فإذا انضم إليه استجلاب الضحك الذي يميت القلب ويجلب النسيان ويورث الرعونة كان أقبح القبائح. قال العراقي : رواه أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي في الكبرى من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده اهـ .

قلت : وكذلك رواه أحمد والطبراني في الكبير والحاكم والبيهقي كلهم عن جد حكيم معاوية بن حيدة القشيري رضي الله عنه .

(**وقال ﷺ « رأيت كأن رجلاً جاءني فقال لي: قم فقمت معه . وإذا أنا برجلين أحدهما نائم والآخر جالس بيد القائم كلوب من حديد**) وهو مثل تنور خشبة في رأسها حديدة (**يلقمه في شدق الجالس**) أي في فمه كما يلقم الجمل (**فيجذبه حتى يبلغ كاهله**) رأس الكتف (**ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر فيمده، فإذا مده رجع الآخر كما كان فقلت للذي أقامني ما هذا؟ قال: هذا رجل كذاب يعذب في قبره إلى يوم القيامة** ») رواه البخاري من حديث سمرة بن جندب في حديث طويل .

(**وعن عبد الله بن جراد**) بن المنتفق بن عامر بن عقيل العامري العقيلي هكذا نسبة ابن ماكولا ، وأما يعلى بن الأشدق فقال : حدثني عمي عبد الله بن جراد بن معاوية بن فرح بن خفاجة ابن عمرو بن عقيل . قال البخاري : له صحبة . روى عنه يعلى بن الأشدق أحد الضعفاء وأبو قتادة الشامي راوٍ وثقه حبان (**أنه سأل النبي ﷺ فقال: يا نبي الله هل يزني المؤمن؟ قال « قد يكون من ذلك » قال: يا نبي الله هل يكذب المؤمن؟ فقال « لا » ثم أتبعها رسول الله ﷺ فقال هذه الكلمة ﴿ إنما يفتري الكذب على الله الذين لا يؤمنون ﴾**) قال العراقي : رواه ابن عبد البر في التمهيد بسند ضعيف، ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت مقتصراً على الكذب، وجعل السائل أبا الدرداء اهـ .

قلت : لفظ الصمت حدثنا إسماعيل بن خالد الضرير ، حدثنا يعلى بن الأشدق ، حدثنا عبد الله ابن جراد قال : قال أبو الدرداء : يا رسول الله هل يكذب المؤمن ؟ قال : « لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر من حدث فكذب » وروى مالك في الموطأ عن صفوان بن سليم مرسلاً ومعضلاً قيل : يا

رسول الله ﷺ يدعو فيقول في دعائه: « اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجي من الزنا ولساني من الكذب ». وقال ﷺ: « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر » وقال عبد الله بن عامر: جاء

رسول الله المؤمن يكون جباناً؟ قال « نعم » قيل يكون بخيلاً؟ قال « نعم » قيل: يكون كذاباً قال « لا ».

(وقال أبو سعيد) الخدري رضي الله عنه، **(سمعت رسول الله ﷺ يدعو ويقول)** من جلة دعائه **(« اللهم طهر قلبي من النفاق)** أي من إظهار خلاف ما في الباطن وهذا قاله تعلماً لغيره **(وفرجي من الزنا ولساني من الكذب »)** قال العراقي: هكذا وقع في نسخ الإحياء عن أبي سعيد، وإنما هو عن أم معبد كذا رواه الخطيب في التاريخ دون قوله: وفرجي من الزنا، وزاد: « وعملي من الرياء وعيني من الخيانة » وسنده ضعيف اهـ.

قلت: وكذلك رواه الحكيم الترمذي في النوادر ولفظها « اللهم طهر قلبي من النفاق وعملي من الرياء ولساني من الكذب وعيني من الخيانة فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور » وأم معبد هي عاتكة بنت خالد الخزاعية الكعبية التي نزل عليها النبي ﷺ في الهجرة، وإنما قال كذلك مع أن ذاته الشريفة قد جبلت على الطهارة ابتداء ونزع من قلبه حظ الشيطان وأعين عليه فأسلم تشريفاً من قبيل قولك ﴿وثيابك فطهر﴾ [المدثر: ٤] وتعلماً لأمته.

(وقال ﷺ « ثلاثة) من الناس **(لا يكلمهم الله)** كلام رضا **(ولا ينظر إليهم)** نظر رحمة **(ولا يزكيهم)** أي لا يطهرهم من دنس قلوبهم أو لا يثني عليهم **(ولهم)** مع ذلك الأمر المهول **(عذاب أليم)** مؤلم موجع يعرفون به ما جهلوا من عظمته واجترحوا من مخالفته **(شيخ زان)** لاستخفافه بحق الحق وقلة مبالاته ورذالة طبعه إذداعيته قد ضعفت وهمته قد فترت فزناه عناد ومراغمة، **(وملك كذاب)** لأن الكذب يكون غالباً لجلب نفع أو دفع ضر والملك لا يخاف أحداًفيصانعهفهو منه قبيح لفقد الضرورة، **(وعائل)** أي فقير **(مستكبر »)** لأن كبره مع فقد سببه فيه من نحو مال وجاه إنه كونه مطبوعاً عليه مستحكماً فيه فيستحق أليم العذاب وفظيع العقاب، قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: وكذلك رواه النسائي وابن أبي الدنيا في الصمت قال: حدثنا سواد بن عبد الله، حدثنا الضحاك بن مخلد، عن ابن عجلان، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة الشيخ الزاني والإمام الكذاب والعائل المزهو » ورواه أيضاً عن محمد بن عمرو الباهلي: حدثنا أبو زكير يحيى بن محمد بن قيس، حدثنا ابن عجلان.

(وقال) أبو محمد **(عبد الله بن عامر)** بن ربيعة بن مالك بن عامر العنزي بسكون النون حليف بني عدي ثم الخطاب والد عمر وأبوه من كبار الصحابة. قال الهيثم بن عدي: مات سنة بضع

رسول الله ﷺ إلى بيتنا وأنا صبي صغير فذهبت لألعب، فقالت أمي: يا عبد الله تعال حتى أعطيك. فقال ﷺ: «وما أردت أن تعطيه» قالت: تمراً. فقال: «أما أنك لو لم تفعلي اكتبت عليك كذبة». وقال ﷺ: «لو أفاء الله علي نعماً عدد هذا الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً» وقال ﷺ وكان متكئاً: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الإشراك بالله وعقوق الوالدين». ثم قعد وقال: «ألا وقول

وثمانين، وقال الطبري في الذيل: مات سنة خمس وثمانين: **(جاء رسول الله ﷺ إلى بيتنا وأنا صبي صغير فذهبت لألعب فقالت أمي: يا عبد الله تعال أعطك. فقال رسول الله ﷺ: «وما أردت أن تعطيه» فقالت: تمراً فقال «أما أن لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة»)** قال العراقي: رواه أبو داود وفيه من لم يسم، وقال الحاكم: إن عبد الله بن عامر ولد في حياته ﷺ ولم يسمع منه. قلت: له شاهد من حديث أبي هريرة وابن مسعود ورجالها ثقات إلا أن الزهري لم يسمع من أبي هريرة اهـ.

قلت: وأخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق فقال: حدثنا أبو بدر الغبري، حدثنا أبو الوليد، حدثنا الليث بن سعد، عن محمد بن عجلان، عن مولى لعبد الله بن عامر بن ربيعة، عن عبد الله بن عامر قال: جاء رسول الله ﷺ إلى بيتنا فساقه كسياق المصنف. ووقع في روايته كأبي داود عن مولى لعبد الله بن عامر، ولذا قال العراقي: فيه من لم يسم وقد سماه غيرهما كما يأتي. وعبد الله بن عامر ذكره الترمذي في الصحابة. وقال أبو حاتم الرازي: رأى النبي ﷺ دخل على أمه وهو صغير، وقال أبو زرعة: أدرك النبي ﷺ. وقال ابن حبان: لما ذكره في الصحابة أتاهم النبي ﷺ في بيتهم وهو غلام وأشاروا كلهم إلى هذا الحديث، وقد أخرجه الضياء والبخاري في التاريخ وابن سعد والطبراني والذهلي من طريق محمد بن عجلان عن زياد مولى عبد الله بن عامر عن عبد الله بن عامر قال: دخل رسول الله ﷺ على أمي وأنا غلام فأدبرت خارجاً فنادتني أمي. يا عبد الله تعال هاك، فقال لها النبي ﷺ «ما تعطيه» قالت: أعطيه تمراً. قال: «أما أنك لو لم تفعلي لكتبت عليك كذبة». ورواية البخاري مختصرة جاء رسول الله ﷺ إلى بيتنا وأنا صبي، وذكره العجلي في كبار التابعين. قال الحافظ في الإصابة: جلّ روايته عن الصحابة فروى عن أبيه وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وحارثة بن النعمان وعائشة وجابر، روى عنه الزهري ويحيى بن سعيد الأنصاري وعاصم بن عبيد الله ومحمد بن زيد بن المهاجر وعبد الرحمن بن القاسم وعبد الله بن أبي بكر بن حزم وآخرون.

(وقال ﷺ «لو أفاء الله علي نعماً) أي ابلاً **(عدد هذا الحصى)** وفي لفظ عدد هذه العضاه **(لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً»)** رواه مسلم وقد تقدم في كتاب أخلاق النبوّة مبسوطاً.

(وقال ﷺ وكان متكئاً) على وسادة **(«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر)** جمع كبيرة وهي كل

الزور». وقال ابن عمر، قال رسول الله ﷺ: «إن العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء». وقال أنس قال النبي ﷺ: «تقبلوا إلي بست أتقبل لكم بالجنة». قالوا: وما هن؟ قال: «إذا حدث أحدكم فلا يكذب، وإذا وعد فلا

ما ورد فيه وعيد شديد في الكتاب أو السنة وإن لم يكن فيه حد على الأصح؟ **(الإشراك بالله)** أي الكفر به، **(وعقوق الوالدين»)** أو أحدهما وجمعهما لأن عقوق أحدهما يستلزم عقوق الآخر غالباً أو يجر إليه، وضابطه أن يفعل معهما ما يتأذيان به تأذياً ليس بالهين وليس المناط وجود التأذي الكثير، بل أن يكون ذلك من شأنه أن يتأذى منه كثيراً.

فإن قلت: أكبر الكبائر لا يكون إلا واحداً وهو الشرك، فكيف التعدد ههنا وأيضاً فنحو القتل والزنا أكبر من العقوق فلم حذفا وذكر هو؟ قلت: ادعاء أن الأكبر لا يكون إلا وأحداً إنما هو إن أريد الحقيقة أما إن اريد بالأكبر النسبي فهو يكون متعدداً، ولا شك أن الأكبر بالنسبة إلى بقية الكبائر أمور أشار إليها ﷺ بقوله «اتقوا السبع الموبقات» الحديث. وحينئذ فالأكبر ههنا لتعدده في الجواب يراد به الأمر النسبي، وإنما ترك ذكر القتل ونحوه في هذا الحديث لأنه علم من أحاديث أُخر أنّ ذلك أكبر الكبائر بعد الشرك على أنه ﷺ كان يراعي في مثل ذلك أحوال الحاضرين كقوله مرة «أفضل الأعمال الصلاة لأوّل وقتها أو لوقتها وأخرى أفضل الأعمال الجهاد وأخرى أفضل الأعمال بر الوالدين» وغير ذلك من نظائر له مما لا يخفى **(ثم قعد)** بعد أن كان متكئاً تنبيهاً على عظيم إثم ما يقوله: **(فقال «ألا وقول الزور»)** وإنما خص بذلك لأنه يترتب عليه الزنا والقتل وغيرهما، فكان أبلغ ضرراً من هذه الحيثية. قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي بكرة اهـ.

قلت: ورواه أيضاً الترمذي في الشمائل، ولفظه: وجلس وكان متكئاً فقال «ألا وشهادة الزور أو وقول الزور» وعند البخاري «ألا وقول الزور وشهادة الزور» فما زال يقولها حتى قلنا ألا ليته سكت. وروى البخاري أيضاً من حديث أنس رضي الله عنه «أكبر الكبائر الإشراك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وشهادة الزور».

(وقال ابن عمر) رضي الله عنه، **(قال النبي ﷺ «إن العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به»)** قال العراقي: رواه الترمذي وقال: حسن غريب اهـ.

قلت: ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال: حدثني أبو محمد عبدالله بن أيوب المخرمي، حدثنا عبد الرحيم بن هارون أبو هشام الغساني عن عبد العزيز بن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر رفعه قال «إن العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك منه ميلاً أو ميلين مما جاء به».

(وقال أنس) بن مالك رضي الله عنه، **(قال النبي ﷺ «تقبلوا لي بست)** أي تكفلوا لي بست خصال: **(أتقبل لكم بالجنة)** أي أتكفل لكم بدخولها **(وقالوا: وما هن)** وفي لفظ وما

يخلف، وإذا ائتمن فلا يخن، وغضوا أبصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا أيديكم». وقال ﷺ: «إن للشيطان كحلاً ولعوقاً ونشوقاً: أما لعوقه فالكذب، وأما نشوقه فالغضب،

هي؟ (قال «إذا حدث أحدكم فلا يكذب) أي إلا لضرورة أو مصلحة محققة، (وإذا وعد) إنساناً بشيء (فلا يخلف) وعده (وإذا ائتمن) أي جعل أميناً على سر (فلا يخن) فيما جعل أميناً عليه، (وغضوا أبصاركم) عن النظر إلى ما لا يجوز، (وكفوا أيديكم) فلا تبسطوها لما لا يحل، (واحفظوا فروجكم) عن الزنا واللواط ومقدماتها والسحاق ونحوه، ومن تكفل بالتزام هذه المذكورات فقد توقى أكثر المحرمات، فهو حري بأن يتكفل له بالجنة. قال العراقي: رواه الحاكم في المستدرك، والخرائطي في مكارم الأخلاق، وفيه سعد بن سنان ضعفه أحمد والنسائي، ووثقه ابن معين. ورواه الحاكم بنحوه من حديث عبادة بن الصامت وقال: صحيح الإسناد اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن أبي شيبة في المصنف، وأبو يعلى، والبيهقي. وسياق المصنف هو سياق الخرائطي في مكارم الأخلاق قال: حدثنا عباس بن محمد، حدثنا يونس بن محمد المؤدب، حدثنا ليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سعد بن سنان، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ فساقه كما للمصنف سواء. وأما سياق الحاكم والبيهقي فليس فيه قالوا وما هن، وفيه «غضوا أبصاركم» من غير «واو».

وأخرجه ابن أبي الدنيا مختصراً فقال: حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا يحيى بن إسحاق السيلحيني، حدثنا الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب عن سعد بن سنان عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «إذا حدثتم فلا تكذبوا وإذا ائتمنتم فلا تخونوا» وسعد بن سنان أورده الذهبي في الضعفاء وقال: ضعفوه. وفي الميزان أحاديثه واهية. وقال النسائي: منكر الحديث ثم ساق له مما أنكر عليه هذا الخبر. وقال المنذري: رواته ثقات إلا سعد بن سنان. وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير أن ابن سنان لم يسمع من أنس.

وأما حديث عبادة بن الصامت من رواية الحاكم الذي أشار إليه العراقي، فقد أخرجه الخرائطي في مكارم الاخلاق وقال: حدثنا أبو غالب البصري محمد بن أحمد، حدثنا أبو الربيع الزهراني، حدثنا إسماعيل بن جعفر، حدثنا عمرو بن أبي عمر، وعن المطلب بن حنطب، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم» ورواه كذلك أحمد وابن حبان والبيهقي.

(وقال ﷺ «إن للشيطان كحلاً) أي شيئاً يجعله في عيني الإنسان لينام (ولعوقاً) بالفتح أي شيئاً في فيه ليندلق لسانه بالفحش، (ونشوقاً) بالفتح وهو ما ينشقه الإنسان انشاقاً وهو

وأما كحله فالنوم ». وخطب عمر رضي الله عنه يوماً فقال: قام فينا رسول الله ﷺ كقيامي هذا فيكم فقال: « أحسنوا إلى أصحابي ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل على اليمين ولم يستحلف ويشهد ولم يستشهد ». وقال النبي ﷺ: « من حدث عني بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين ». وقال ﷺ: « من حلف

جعله في أنفه ويلعقه إياه ويدسم به أذنيه أي يسد يعني: إن وساوسه ما وجدت فيه منفذاً دخلت فيه، **(فأما لعوقه فالكذب)** أي المحرم شرعاً **(وأما نشوقه فالغضب)** أي لغير الله **(وأما كحله فالنوم »)** أي الكثير المفوّت للقيام بوظائف العبادات الفرضية والنفلية كالتهجد. قال العراقي: رواه الطبراني وأبو نعيم من حديث أنس بسند ضعيف وقد تقدم اهـ.

قلت: ورواه كذلك البيهقي وفيه عاصم بن علي شيخ البخاري قال: يحي لا شيء، وضعفه ابن معين. قال الذهبي وذكر له ابن عدي أحاديث مناكير والربيع بن صبيح ضعفه النسائي وقوّاه أبو زرعة ويزيد الرقاشي قال النسائي وغيره: متروك، وروى ابن أبي الدنيا في كتاب مكائد الشيطان، والطبراني في الكبير، والبيهقي أيضاً بسند ضعيف من حديث سمرة بن جندب « إن للشيطان كحلاً ولعوقاً فإذا كحل الإنسان من كحله نامت عيناه عن الذكر، وإذا لعقه من لعوقه ذرب لسانه بالشر ».

(وخطب عمر بن الخطاب) رضي الله عنه **(بالجابية)** لما قدم الشام والجابية موضع قرب دمشق، **(فقال)** في خطبته: **(قام رسول الله ﷺ كمقامي فيكم فقال « أحسنوا إلى أصحابي ثم الذين يلونهم)** وهم التابعون لهم بإحسان **(ثم يفشو الكذب)** أي يظهر **(حتى يحلف الرجل على اليمين ولم يُحَلَّف ويشهد)** على الشيء ابتداء **(ولم يستشهد)** أي لم يطلب للشهادة. قال العراقي: رواه الترمذي وصححه والنسائي في الكبرى من رواية ابن عمر عن عمر اهـ. وخطبته رضي الله عنه بالجابية طويلة مشهورة قد نقلت من عدة طرق وتواترت.

(وقال ﷺ « من حدث) وفي رواية لابن ماجه من روى **(عني بحديث)** وفي رواية حديثاً ولفظ ابن ماجه من روى عني حديثاً **(وهو)** أي والحال أنه **(يُرى)** بضم ففتح أي يظن وبالفتح أي يعلم **(أنه كذب)** بكسر فسكون أو بفتح فكسر **(فهو أحد الكاذبين »)** بصيغة الجمع باعتبار كثرة النقلة وبالتثنية باعتبار المفتري والناقل عنه. وقال النووي: يرى ضبطناه بضم الياء والكاذبين بكسر الباء الموحدة وفتح النون على الجمع. قال: وهذا هو المشهور في اللفظين. وقال عياض: الرواية عندنا الكاذبين على الجمع، وقال الطيبي: وقوله أحد الكاذبين من باب القلم أحد اللسانين والخال أحد الأبوين. قال العراقي: رواه مسلم في مقدمة صحيحه من حديث سمرة بن جندب اهـ.

قلت: وكذلك رواه الطيالسي، وأحمد، وابن ماجه، وابن حبان كلهم من حديث سمرة ورواه أيضاً أحمد، وابن ماجه، وابن جرير من حديث علي، ورواه أيضاً أحمد، ومسلم والترمذي، وابن ماجه،

على يمين بإثم ليقتطع بها مال امرىء مسلم بغير حق لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان».

وابن جرير من حديث المغيرة بن شعبة. وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا علي بن الجعد، أنبأنا شعبة وقيس عن حبيب بن أبي ثابت عن ميمون بن أبي شبيب عن المغيرة بن شعبة، عن النبي ﷺ قال: «من حدث عني بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين».

وحدثنا علي بن الجعد، أنبأنا شعبة عن الحكم قال: سمعت ابن أبي ليلى يحدث عن سمرة بن جندب، عن النبي ﷺ قال: «من روى عني حديثاً وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين» واستنبط من الحديث أنه ليس لراوي حديث أن يقول قال رسول الله ﷺ إلا إن علم صحته ويقول في الضعيف: روي أو بلغنا فإن روى ما علم أو ظن وضعه ولم يبين حاله اندرج في جملة الكذابين لاعانته المفتري على نشر فريته فيشاركه في الإثم كمن أعان ظالماً، ولهذا بعض التابعين كان يهاب الرفع ويوقف قائلاً الكذب على الصحابي أهون.

(وقال ﷺ: «من حلف على يمين) أي محلوف يمين **(بإثم)** وإنما قال على يمين تنزيلاً للحلف منزلة المحلوف إتساعاً **(ليقتطع بها)** أي بسبب اليمين **(مال امرىء مسلم)** قيد اتفاقي لا احترازي، فالذمي كذلك بل حقه أوجب رعاية لإمكان أن يرضي الله المسلم المظلوم يوم الجزاء برفع درجاته فيعفو عن ظالمه والكافر لا يصلح لذلك **(بغير حق)** شرعي بأن يكون كذباً وزورا **(لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان»)** فيعامله معاملة المغضوب عليه فلا ينظر إليه ولا يكلمه أو وهو عليه غضبان أي مريداً لعقوبته، وإذا لقيه وهو يريدها جاز بعد ذلك أن يرفع عنه بشرط أن لا يكون متعلق إرادته عذاب واصب فإن ما تعلق به وصف الإرادة لا بد من وقوعه، وغفران الجرائم أصل من أصول الدين إما بالموازنة أو بالطول المحض والتنوين في غضاب للتهويل وللإشارة إلى عظم هذه الجريمة. قال العراقي: متفق عليه من حديث ابن مسعود اهـ.

قلت: ولفظها: «من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرىء مسلم هو فيها فاجر لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان» وهكذا رواه الطيالسي في مسنده، وعبد الرزاق في المصنف، وأحمد، وابو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن خزيمة، وابن الجارود، وابن حبان من حديث الأشعث بن قيس وابن مسعود معاً وذلك أن ابن مسعود لما ذكر ذلك في مجلسه دخل الأشعث فقال: ما يحدثكم أبو عبد الرحمن؟ قالوا: كذا وكذا. قال: صدق فيّ نزلت كان بيني وبين رجل مخاصمة فخاصمته إلى النبي ﷺ فقال: «هل لك بينة». قلت: لا قال: فيمينه» قلت إذاً يحلف، فقال عند ذلك فذكره فنزلت: ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وإيمانهم﴾ الآية [آل عمران: ٧٧]. ورواه أحمد والطبراني وأبو نعيم من حديث معقل بن يسار، ورواه الطبراني أيضاً من حديث واثلة بن حجر، وروى الحاكم وحده من حديث الأشعث بن قيس بلفظ: «من حلف على يمين يقتطع بها مال امرىء مسلم وهو فاجر لقي الله تعالى وهو أجذم. ورواه هو والطبراني أيضاً من حديثه بلفظ: «من حلف على يمين صبر ليقتطع بها مال امرىء مسلم لقي الله وهو عليه غضبان. عفا عنه أو عاقبه وروى الشافعي في سننه تخريج الطحاوي والبزار من حديث معبد بن كعب عن

وروي عن النبي ﷺ : « أنه ردّ شهادة رجل في كذبة كذبها » . وقال ﷺ : « كل خصلة يطبع أو يطوى عليها المسلم إلا الخيانة والكذب » . وقالت عائشة رضي الله عنها : ما كان

أبيه بلفظ : « من حلف على يمين ليقتطع بها مال أمريء مسلم لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان » قيل : يا رسول الله وإن كان شيئاً يسيراً ؟ قال : وإن كان سواكاً من أراك » . ورواه ابن عساكر من حديث ابن مسعود بهذا اللفظ . وروي عبد الرزاق وأحمد والحاكم والطبراني من حديث عمران بن حصين بلفظ : « من حلف على يمين مصبورة بالله كاذباً متعمداً ليقتطع بها مال امرىء مسلم ، فليتبوأ مقعده من النار » وروى الطبراني في الكبير من حديث أبي موسى بلفظ : « من حلف على يمين يريد أن يقتطع بها حق أخيه ظالماً لم ينظر الله إليه يوم القيامة ولم يزكه وله عذاب أليم » . وروى أحمد ، وعبد بن حميد ، والنسائي ، والطبراني ، والبيهقي من حديث عدي بن عميرة الكندي والطبراني وحده من حديث العرس بن عميرة بلفظ : « من حلف على يمين كاذبة ليقتطع بها حق أخيه لقي الله وهو عليه غضبان » . ورواية حق امرىء أحق بالترجيح من رواية مال امرىء لعمومها وشمولها غير المال كحد قذف ونصيب زوجة في قسم ونحو ذلك وقوله : « وهو فيها فاجر أقام الفجور مقام الكذب ليدل على أنه من أنواعه ورواية لقي الله أجذم ، وكذا فليتبوأ مقعده من النار خرج مخرج الزجر والمبالغة في المنع والمقام يقتضي التأكيد إذ مرتكب هذه الجريمة قد بلغ في الاعتداء الغاية حيث اقتطع حق امرىء لا تعلق له به ، واستخف بحرمة الإسلام ، ومع ذلك فلا يجري على ظاهره وفيه أن اقتطاع الحق يوجب دخول النار إلا أن يبرىء صاحب الحق أو يعفو الحق .

(وروي : « أن النبي ﷺ رد شهادة رجل في كذبة كذبها ») قال العراقي : رواه ابن أبي الدنيا في الصمت من رواية موسى بن شيبة مرسلاً وموسى روي معمر عنه مناكير قاله أحمد بن حنبل اهـ .

قلت : قال ابن أبي الدنيا ، حدثنا أبو حذيفة الفزاري ، حدثنا عبد الرحمن بن مسعود الزجاج الموصلي ، عن معمر ، عن موسى بن شيبة أن النبي ﷺ رد شهادة رجل في كذبة . قال الحافظ في التهذيب : موسى بن شيبة أو ابن ابي شيبة مجهول روى له أبو داود في المراسيل . وقال الذهبي في الكاشف ، قال أحمد : أحاديثه مناكير ، وقال أبو حاتم : صالح . روي عنه الحميدي .

(وقال ﷺ : « على كل خصلة يطبع) أي يمكن أن يطبع وهي رواية الجماعة كما سيأتي (أو) قال (يطوي) وهي رواية حديث أبي مسعود (عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب ») فلا يطبع عليها وإنما يحصل ذلك بالتطبع ، ولهذا صح سلب الإيمان عنه في قوله : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » ولا معارضة بين استثناء الخصلتين هنا وخبر من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كان فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق لأن خلف الوعد داخل في الكذب والفجور من لوازم الخيانة . قال العراقي : رواه ابن أبي شيبة في المصنف من حديث أبي أمامة . ورواه ابن عدي في مقدمة الكامل من حديث سعد بن أبي وقاص وابن عمر وأبي أمامة أيضاً .

من خلق أشد على أصحاب رسول الله ﷺ من الكذب، ولقد كان رسول الله ﷺ يطلع الرجل من أصحابه على الكذبة فما ينجلي من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث توبة لله عز وجل منها. وقال موسى عليه السلام: يا رب أي عبادك خير لك عملاً؟ قال: من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه. وقال لقمان لابنه: يا بني إياك

ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت من حديث سعد مرفوعاً وموقوفاً والموقوف أشبه بالصواب قاله الدارقطني في العلل اهـ.

قلت: ورواه أيضاً أبو يعلى في المسند والضياء في المختارة من حديث سعد بلفظ: «كل خلة يطبع عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب» رواه البزار من حديثه بلفظ: «يطبع المؤمن على كل خلة غير الخيانة والكذب» ورواه الدارقطني في الإفراد وابن عدي والبيهقي وابن النجار من حديثه بلفظ: «يطبع المؤمن على كل شيء إلا الخيانة والكذب». ورواه البيقهي من حديث ابن عمر بلفظ: «يطبع المؤمن على كل خلق ليس الخيانة والكذب». ورواه الطبراني كذلك. ورواه أحمد من حديث أبي أمامة: «يطبع الله على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب».

وقال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثنا داود بن رشيد، حدثنا علي بن هاشم سمعت الأعمش ذكره عن أبي إسحاق عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «على كل خلة يطبع أو يطوى عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب». وهذا أشبه بسياق المصنف، ثم قال: وحدثنا أحمد بن جميل، أنبأنا عبد الله بن المبارك، أنبأنا سفيان وشعبة، عن سلمة بن كهيل، عن مصعب ابن سعد عن سعد قال: «كل الخلال يطبع عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب» قال: وأنبأنا أحمد بن جميل، أنبأنا عبد الله، أنبأنا سفيان، عن منصور، عن مالك بن الحارث، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن ابن مسعود قال: «كل الخلال يطوي عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب» قال الحافظ السخاوي في المقاصد: وأمثلها حديث سعد لكن ضعف البيهقي رفعه. وقال الدارقطني: الموقف أشبه بالصواب اهـ. ومع ذلك فهو مما يحكم له بالرفع على الصحيح لكونه مما لا مجال للرأي فيه.

(**وقالت عائشة**) رضي الله عنها: (**ما كان من خلق أشد عند أصحاب رسول الله ﷺ من الكذب، ولقد كان رسول الله ﷺ يطلع على الرجل من أصحابه على الكذبة فما تنحل من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث لله عز وجل منها توبة**). قال العراقي: رواه أحمد من حديث عائشة ورجاله ثقات إلا أنه قال عن ابن أبي مليكة أو غيره، وقد رواه أبو الشيخ في طبقات الأصبهانيين فقال: عن ابن أبي مليكة ولم يشك وهو صحيح اهـ.

قلت: وأخرجه ابن أبي الدنيا عن علي بن الجعد، أنبأنا نصر بن طريف الباهلي، حدثنا إبراهيم ابن ميسرة، عن عبيد بن سعد، عن عائشة قالت: ما كان فذكره.

(**وقال موسى عليه السلام: يا رب أي عبادك خير عملاً. قال: من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه**) أخرجه ابن أبي الدنيا عن محمد بن علي بن الحسن بن شقيق المروزي،

والكذب فإنه شهي كلحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه وقال عليه السلام: «في مدح الصدق: أربع إذا كن فيك فلا يضرك ما فاتك من الدنيا صدق الحديث وحفظ الأمانة وحسن خلق وعفة طعمة». وقال أبو بكر رضي الله عنه في خطبة بعد وفاة رسول الله ﷺ: قام فينا رسول الله ﷺ مثل مقامي هذا عام أول ثم بكى وقال: «عليكم بالصدق

أنبأنا إبراهيم بن الأشعث، حدثنا الفضيل عن ليث بن أبي سليم، عن عبد الرحمن بن ثردان بن قيس، عن هذيل بن شرحبيل قال: قال موسى عليه السلام: رب أي عبادك فساقه.

(**وقال لقمان**) لابنه (**يا بني إياك والكذب فإنه شهي كحلم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه**) أخرجه ابن أبي الدنيا عن إبراهيم بن عبد الله، أنبأنا إسماعيل بن إبراهيم، عن يونس، عن الحسن قال: قال لقمان لابنه فساقه.

(**وقال ﷺ: «في مدح الصدق أربع**) خصال (**إذا كن فيك فلا يضرك ما فاتك من الدنيا**) أي لا بأس عليك وقت فوت الدنيا إن حصلت هذه الخلال (**صدق حديث**) أي ضبط اللسان وعفته عن الكذب والبهتان، (**وحفظ أمانة**) بأن يحفظ جوارحه وما ائتمن عليه (**وحسن خليقة**) بأن يكون حسن العشرة مع الناس، (**وعفة طعمة»**) بأن لا يطعم حراماً ولا ما قويت الشبهة فيه ولا يزيد على الكفاية حتى من الحلال ولا يكثر الأكل وأطلق الأمانة لتشيع في جنسها فيراعي أمانة الله في التكاليف وأمانة الخلق في الحفظ والأداء. قال العراقي: رواه الحاكم والخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عبد الله بن عمرو، وفيه ابن لهيعة اهـ.

قلت: قال الخرائطي: حدثنا علي بن حرب الموصلي، حدثنا زيد بن أبي الزرقاء، حدثنا ابن لهيعة، عن الحرث بن يزيد، عن ابن حجيرة، عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ فذكره مثل سياق المصنف. ورواه كذلك الطبراني في الكبير، ورواه أحمد والطبراني أيضاً، والبيهقي من حديث ابن عمر بلفظ: «صدق الحديث وحفظ الأمانة وحسن الخلق وعفة مطعم»، في سند البيهقي شعيب بن يحيى. قال ابن أبي حاتم ليس بمعروف، وقال الذهبي بل ثقة عن ابن لهيعة وفيه ضعف. ورواه ابن عدي وابن عساكر من حديث ابن عباس قال الهيثمي: إسناد أحمد والطبراني حسن، وقال المنذري: رواه أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني والبيهقي بأسانيد حسنة.

(**وقال أبو بكر رضي الله عنه في خطبته بعد وفاة رسول الله ﷺ: قام فينا رسول الله ﷺ مقامي هذا عام أول ثم بكى**) أبو بكر (**وقال: «عليكم بالصدق فإنه مع البر وهما في الجنة»**) وإياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار» أخرجه ابن أبي الدنيا من طريق أوسط بن إسماعيل البجلي، وقد تقدم الكلام عليه في أول هذه الآفة.

وقد روي نحو ذلك من قول ابن مسعود قال ابن أبي الدنيا: حدثنا علي بن الجعد، أنبأنا شعبة، أخبرني عمرو بن مرة، سمعت مرة الهمداني قال: كان عبد الله يقول: «عليكم بالصدق فإنه يهدي

فإنه مع البر وهما في الجنة ». وقال معاذ: قال لي ﷺ: « أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث وأداء الأمانة والوفاء بالعهد وبذل السلام وخفض الجناح ».

وأما الآثار فقد قال علي رضي الله عنه: أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب، وشر

إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ويثبت البر في قلبه فلا يكون للفجور موضع إبرة يستقر فيها ». وقد روي ذلك مرفوعاً.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو خيثمة، حدثنا جرير، عن منصور، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب صديقاً ».

تنبيه:

إيراد المصنف هذا هنا وفيما تقدم يوهم أن ذلك الكلام مرفوع إلى النبي ﷺ، وإنما هو من كلام أبي بكر رضي الله عنه لأن ضمير ثم بكى وقال: يرجع إليه لا إلى رسول الله ﷺ، فعلى هذا لو ذكره في الآثار كان أليق.

(وقال معاذ) بن جبل رضي الله عنه **(قال رسول الله ﷺ لي: « أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد وبذل السلام وخفض الجناح »)** قال العراقي: رواه أبو نعيم في الحلية وقد تقدم.

قلت: رواه من طريق إسماعيل بن رافع، عن ثعلبة بن صالح، عن رجل من أهل الشام عن معاذ قال: قال رسول الله ﷺ: « يا معاذ انطلق فارحل راحلتك ثم أئتني أبعثك على اليمن » فذكر الحديث وفيه فقال: « يا معاذ أوصيك بتقوى الله، وصدق الحديث، ووفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، ورحم اليتيم، وحفظ الجار، وكظم الغيظ، وخفض الجناح، وبذل السلام، ولين الكلام، ولزوم الإيمان، والتفقه في القرآن، وحب الآخرة والجزع من الحساب، وقصر الأمل، وحسن العمل » الحديث بطوله.

وأخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق مختصراً من طريق عبادة بن نسي عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ قال: لما بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قال لي: « أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث، ووفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، وحفظ الجار ». ورواه في موضع آخر بمثل سياق المصنف.

(وأما الآثار: فقد قال علي رضي الله عنه: أعظم الخطايا) أي الذنوب الصادرة عن عمد يقال خطىء إذا أذنب متعمداً ذكره الزمخشري **(عند الله اللسان الكذوب)** أي الكثير الكذب لأن اللسان أكثر الأعضاء عملاً، **(وشر الندامة ندامة يوم القيامة)**، أخرجه ابن أبي الدنيا عن

الندامة ندامة يوم القيامة. وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه: ما كذبت كذبة منذ شددت عليَّ إزاري. وقال عمر رضي الله عنه: أحبكم إلينا ما لم نركم أحسنكم إسماً فإذا رأيناكم فأحبكم إلينا أحسنكم خلقاً، فإذا اختبرناكم فأحبكم إلينا أصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة وعن ميمون بن أبي شبيب قال: جلست أكتب كتاباً فأتيت على حرف إن أنا كتبته زينت الكتاب وكنت قد كذبت فعزمت على تركه فنوديت من جانب البيت ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ [إبراهيم:

عبد العزيز بن بحر، أنبأنا أبو عقيل، عن محمد بن نعيم مولى عمر بن الخطاب، عن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، عن جده علي رضي الله عنه قال: أعظم الخطايا فساقه.

قلت: الجملة الأولى من الاثر قد رويت مرفوعة. أخرجه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث طويل، ومن طريقه الديلمي من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ: «أعظم الخطايا اللسان الكذوب» وفيه الحسن بن عمارة. قال الذهبي: هو متروك بالاتفاق. وأخرجه ابن عدي في الكامل عن يعقوب بن إسحاق، حدثنا أحمد بن الفرج، عن أيوب بن سويد، عن الثوري، عن ابن أبي نجيح، عن ابن عباس قال: كان من خطبة رسول الله ﷺ أن أعظم الخطايا اللسان الكذوب. قال ابن عدي: تفرد به أيوب عن الثوري، ثم قال: وحدثنا محمد بن أحمد الوراق، حدثنا موسى بن سهل النسائي، عن أيوب بن سويد، عن المثني بن صباح، عن عمرو بن شعيب، عن طاوس عن ابن عباس، ثم قال: وهذا إنما يرويه أيوب بهذا الإسناد. وأخرجه ابن أبي الدنيا أيضاً من قول عبد الله يعني ابن مسعود قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا سفيان، حدثني عبد الرحمن بن عابس، حدثني ناس من أصحاب عبد الله أنه كان يقول في خطبته: شر الروايا روايا الكذب وأعظم الخطايا اللسان الكذوب.

(وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى **(ما كذبت كذبة منذ شددت علي ازاري)** أخرجه ابن أبي الدنيا عن محمد بن إدريس، حدثنا محمد بن خالد النيلي، حدثنا الوليد بن مسلم، عن مالك بن أنس قال: قال عمر بن عبد العزيز فذكره.

(وعن عمر) بن الخطاب **(رضي الله عنه)** قال: **(أحبكم إلينا ما لم نركم أحسنكم أسماء فإذا رأيناكم فأحبكم إلينا أحسنكم خلقاً فإذا اختبرناكم فاحبكم إلينا أصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة)**. أخرجه ابن أبي الدنيا، عن محمد بن إدريس، حدثنا محمود بن خالد، حدثنا أبي، حدثني عيسى بن المسيب عن عدي بن ثابت قال: قال عمر فذكره.

(وعن ميمون بن أبي شبيب) الربعي الكوفي كنيته أبو نصر صدوق كثير الإرسال، مات سنة ثلاث وثلاثين في وقعة الجماجم، روى له البخاري في الأدب المفرد والأربعة **(قال: قعدت أكتب كتاباً فمررت بحرف إن أنا كتبته زينت الكتاب وكنت قد كذبت فعزمت على تركه، فناداني مناد من جانب البيت ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا**

٢٧] وقال الشعبي: ما أدري أيها أبعد غوراً في النار الكذاب أو البخيل؟ وقال ابن السماك؟ ما أراني أؤجر على ترك الكذب لأني إنما أدعه أنفة. وقيل لخالد بن صبيح: أيسمى الرجل كاذباً بكذبة واحدة قال: نعم. وقال مالك بن دينار: قرأت في بعض الكتب ما من خطيب إلا وتعرض خطبته على عمله، فإن كان صادقاً صدق وإن كان كاذباً قرضت شفتاه بمقاريض من نار كلما قرضتا نبتتا. وقال مالك بن دينار: الصدق

وفي الآخرة) أخرجه ابن أبي الدنيا عن عبد الله بن عمر بن محمد القرشي، وعبد الرحمن بن صالح العتكي قالا: حدثنا حسين الجعفي، عن الحسن بن الحر، عن ميمون بن أبي شبيب قال: قعدت فذكره وزاد في آخره قال: وتهيأت للجمعة في زمن الحجاج فجعلت أقول اذهب لا أذهب، فناداني مناد من جانب البيت ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله﴾ [الجمعة: ٩] قال: فذهبت.

قلت: ورواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي قال: حدثنا الحسين بن علي الجعفي، عن الحسن بن الحر، عن ميمون بن أبي شبيب قال: جلست مرة أكتب كتاباً قال: فعرض لي شيء إذا أنا كتبته في كتابي زين كتابي وكنت قد كذبت، وإن أنا تركته كان في كتابي بعض القبح وكنت قد صدقت. قال: فقلت مرة أكتبه وقلت مرة لا أكتبه. قال: فاجمع رأيي على تركه، فناداني مناد من جانب البيت ﴿يثبت الله الذين آمنوا﴾ الآية ثم ذكر القول الثاني بهذا الإسناد.

(وقال) عامر بن شراحيل (الشعبي) رحمه الله تعالى: (ما أدري أيها أبعد غوراً في النار الكذب أو البخل) أخرجه ابن أبي الدنيا، عن إسحاق بن إبراهيم، أنبأنا جرير عن بيان عن الشعبي فذكره.

(وقال) محمد بن صبيح (بن السماك) البغدادي الواعظ (ما أراني أؤجر) أي أثاب (على ترك الكذب لأني إنما أدعه) أي أتركه (انفة) أخرجه ابن أبي الدنيا عن هارون بن سفيان، حدثنا عبد الله بن صالح العجلي، سمعت ابن السماك يقول فذكره. وأخرجه أبو نعيم في الحلية عن أبيه، عن أبي الحسن بن أبان، عن ابن أبي الدنيا بهذا الإسناد.

(وقيل لخالد بن صبيح:) أرأيت (من يكذب) كذبة (واحدة هل يسمى فاسقاً؟ قال: نعم) أخرجه ابن أبي الدنيا عن أبي صالح المروزي، سمعت رافع بن أشرس قال: قلت لخالد بن صبيح فذكره.

(وقال) أبو يحيى (مالك بن دينار) البصري التابعي رحمه الله تعالى: (قرأت في بعض الكتب ما من خطيب) يخطب (إلا عرضت خطبته على عمله فإن كان صادقاً) بأن كان عمله موافقاً لقوله (صدق، وإن كان كاذباً قرضت) أي قطعت (شفتاه بمقراضين من نار)

والكذب يعتركـان في القلب حتى يخرج أحدهما صاحبه. وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد ابن عبد الملك في شيء فقال له: كذبت فقال عمر: والله ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين صاحبه.

وإنما ثناهما لكونهما قطعتان ركبتا بمسمار واحد، ولذلك يسمى المقراض الجلمان (ثم نبتتا قرضتا **نبتتا**) أخرجه ابن أبي الدنيا، عن محمد بن عمرو بن العباس الباهلي، حدثنا مرحوم بن عبد العزيز، سمعت مالك بن دينار يقول: قرأت فذكره. وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا الحسين بن محمد بن العباس الزجاج الفقيه الآملي، حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحدادي وأحمد بن محمد اللآلئي قالا: حدثنا أبو حاتم، حدثنا عباس بن مرحوم، حدثنا أبي قال: سمعت مالك بن دينار يقول: ما من خطيب يخطب فذكره. وليس فيه قرأت في بعض الكتب. وقد روى مالك بن دينار بعض ذلك عن الحسن مرسلاً.

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا هارون بن عبد الله، حدثنا سيار، حدثنا جعفر، حدثنا مالك بن دينار عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يخطب خطبة إلا الله سائله عنها يوم القيامة ما أردت بها» قال: فكان مالك إذا حدثني بهذا بكى، ثم يقول: أتحسبون أن عيني تقر بكلامي عليكم، وأنا أعلم أن الله سائلي عنه يوم القيامة ما أردت به أنت الشهيد على قلبي لو أعلم أنه أحب إليك ما أقرأ على اثنين أبداً.

وروى أبو نعيم في الحلية من طريق المغيرة بن حبيب وصدقة بـن موسى كلاهما عن مالك بن دينار، عن ثمامة عن أنس رفعه: «أتيت ليلة أسري بي إلى السماء فإذا أنا برجال تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هم خطباء من أمتك» هذا لفظ حديث المغيرة، ولفظ حديث صدقة: «أتيت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت وفت قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء أمتك الذي يقولون ولا يفعلون ويقرأون كتاب الله ولا يعملون».

وأخرجه ابن أبي الدنيا عن حمزة بن العباس، حدثنا عبدان، أنبأنا عبد الله بن المبارك، أنبأنا حماد بـن سلمة، عن علي بن زيد سمعت أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ فساقه نحوه.

(وقال مالك بـن دينار) رحمه الله تعالى: **(الصدق والكذب يعتـركان في القلب حتى يخرج أحدهما صاحبه)** أخرجه ابن أبي الدنيا عن أسد بن عمار التميمي، حدثنا سعيد بن عون البصري، حدثنا جعفر، سمعت مالك بن دينار يقول فذكره.

(وكلم عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى **(الوليد)** بن عبد الملك بن مروان **(في شيء فقال له الوليد: كذبت. فقال عمر: ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين صاحبه)** أخرجه ابن أبي الدنيا عن محمد بن أبي عمر المكي وسفيان بن وكيع قالا: حدثنا ابن عيينة عن رجل قال: قال سفيان عن الماجشون قال: كلم عمر بـن عبد العزيز فساقه.

بيان ما رخص فيه من الكذب:

وقد بقيت آثار هي على شريطة المصنف، فمن ذلك قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: أيها الناس إياكم والكذب فإنه مجانب الإيمان. رواه أحمد وابن أبي شيبة عن وكيع، ورواه ابن أبي الدنيا عن إسحاق بن إسماعيل عن سفيان كلاهما عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عنه هكذا موقوفاً عليه وروي مرفوعاً، وهكذا رواه يحي بن عبد الملك وجعفر الأحمر وعمر بن ثابت كلهم عن إسماعيل. قال الدارقطني في العلل: الموقوف أشبه بالصواب، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في خطبته ليس فيما دون الصدق من الحديث خير من يكذب يفجر ومن يفجر يهلك. رواه الزهري عن سالم بن عبد الله عن أبي هريرة قال كان عمر فذكره. وقال أيضاً لا تجد المؤمن كذاباً رواه ابن أبي الدنيا في الصمت من طريق حسان بن عطية عنه. وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إن المبارز لله تعالى بالمعصية لمن حلف باسمه كاذباً وأن الكذبة لتفطر الصائم. ورواه ابن أبي الدنيا من طريق المسعودي عن رجل من بني أسد قال: قال ابن مسعود فذكره. وقال إبراهيم النخعي كانوا يقولون إن الكذب ليفطر الصائم. ورواه ابن أبي الدنيا من طريق الأعمش عنه. وقال مطرف بن طريف: ما أحب أني كذبت وأن لي الدنيا وما فيها. رواه سفيان الثوري عنه. وقال يزيد بن ميسرة: إن الكذب يسقي باب كل شر كما يسقي الماء أصول الشجر، وقال الحسن البصري الكذب جماع النفاق، وقال شقيق بن سلمة، قال أخي عبد الرحمن بن سلمة: ما كذبت منذ أسلمت إلا أن الرجل يدعوني إلى طعامه فأقول: ما أشتهيه فعسى أن يكتب. وقال الأحنف بن قيس: ما كذبت منذ أسلمت إلا مرة واحدة فإن عمر سألني عن ثوب بكم أخذته فاسقطت ثلثي الثمن. وقال إسماعيل بن عبيد الله المخزومي: أمرني عبد الملك بن مروان أن أجنب بنيه الكذب وإن كان فيه يعني القتل. وقال سفيان بن عيينة: حدثني رجل قال: حدثت سليمان بن علي بحديث، فقال لي: كذبت. قال: فقلت ما يسرني إني كذبت وإن لي ملء بهوك هذا ذهباً. قال: فانكسر عني. وقال الشعبي: من كذب فهو منافق، وقال الأعمش: لقد أدركت قوماً لو لم يتركوا الكذب إلاّ حياء لتركوه. وقال ابن المبارك: أول عقوبة الكاذب من كذبه أنه يرد عليه صدقه. وقال: أبو بكر بن عياش: إذا كذبني الرجل كذبة لم أقبل منه بعدها. وقال رافع بن أشرس كان يقال إن من عقوبة الكذاب أن لا يقبل صدقه قال: وأنا أقول: ومن عقوبة الفاسق المبتدع أن لا تذكر محاسنه. وقال مسروق: ليس شيء أعظم عند الله من الكذب. وقال لقمان لابنه: يا بني من ساء خلقه عذب نفسه ومن كذب ذهب جماله، وكل ذلك في كتاب الصمت.

بيان ما يرخص فيه من الكذب:

قال أبو بكر بن الأنباري الكذب ينقسم إلى خمسة أقسام.

أحدها: تعبير الحاكي ما يسمع بقوله ما لا يعلم نقلاً ورواية، وهذا القسم هو الذي يؤثم ويهضم المروءة.

اعلم أن الكذب ليس حراماً لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره، فإن أقل درجاته أن يعتقد المخبر الشيء على خلاف ما هو عليه فيكون جاهلاً وقد يتعلق به ضرر غيره ورب جهل فيه منفعة ومصلحة، فالكذب محصل لذلك الجهل فيكون مأذوناً فيه، وربما كان واجباً.

قال ميمون بن مهران: الكذب في بعض المواطن خير من الصدق أرأيت لو أن رجلاً سعى خلف إنسان بالسيف ليقتله فدخل داراً فانتهى إليك فقال: أرأيت فلاناً ما كنت قائلاً: ألست تقول: لم أره. وما تصدق به وهذا الكذب واجب.

والثاني: هو أن يقول قولاً يشبه الكذب والمتكلم به لا يقصد إلا الحق، ومنه الخبر كذب أبي ثلاث كذبات في قوله: ﴿إني سقيم﴾ [الصافات: ٨٩] وفي قوله: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾ [الأنبياء: ٨٣] وفي قوله: ﴿سارة أختي﴾ فتأويل هذا القول أي قال قولاً يشبه الكذب وهو صادق في الكلمات الثلاث.

والثالث: يقال كذب بمعنى أخطأ.

والرابع: يقال كذب الرجل بمعنى بطل أمله وما رجاه، ومنه قول الشاعر:

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها مغالبة ما دام للسيف قائم

أي كذبكم أملكم وبطل تقديركم.

الخامس: يطلق الكذب ويراد به الإغراء ومطالبة المخاطب بلزوم الشيء المذكور، كقول العرب: كذب عليك العسل يريدون كل العسل تلخيصه أخطأ تارك العسل ورافضه، فغلب المضاف إليه على المضاف: قال عمر رضي الله عنه: كذب عليكم الحج معناه الزموا الحج. هذا خلاصة ما ذكره في هذه المسألة والمشار إليه من قبل اعتوار الأحكام الشرعية عليه من الحرمة والإباحة هو القسم الأول منها، وقد أشار إليه المصنف فقال:

(**اعلم أن الكذب ليس حراماً لعينه بل لما فيه من الضرر**) الحاصل (**على المخاطب وعلى غيره**) إما في الحال أو في المآل، (**فإن أقل درجاته أن يعتقد المخبر**) الذي أخبر بالقول (**الشيء على خلاف ما هو به فيكون جاهلاً وقد يتعلق به ضرر غيره، ورب جهل**) بالشيء (**فيه منفعة ومصلحة**) له أو لغيره، (**فالكذب محصل لذلك الجهل فيكون مأذوناً فيه**) نظراً لتلك المنفعة والمصلحة، (**وربما كان**) الكذب (**واجباً**) إذا وقع في تركه ما هو أفحش منه.

(**قال ميمون بن مهران**) الجزري الثقة كاتب عمر بن عبد العزيز: (**إن الكذب في بعض المواطن خير. أرأيت لو أن رجلاً سعى وآخر وراءه بالسيف فدخل داراً فانتهى إليك، فقال: أرأيت فلاناً ما كنت قائلاً؟ ألست تقول لم أره وما تصدق فهذا الكذب واجب**)

فنقول الكلام وسيلة إلى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل بالصدق والكذب جميعاً ، فالكذب فيه حرام وإن أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك المقصد مباحاً واجب إن كان المقصود واجباً ، كما أن عصمة دم المسلم واجبة . فمهما كان في الصدق سفك دم امرىء مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم مقصود الحرب أو إصلاح ذات البين أو استمالة قلب المجني عليه إلا بكذب فالكذب مباح إلا أنه ينبغي أن يحترز منه ما أمكن لأنه إذا فتح باب الكذب على نفسه فيخشى أن يتداعى إلى ما يستغنى عنه وإلى ما لا يقتصر على حد الضرورة فيكون الكذب حراماً في الأصل إلا لضرورة ، والذي يدل على الاستثناء ما روي عن أم كلثوم قالت : سمعت رسول الله ﷺ يرخص في شيء من

أخرجه ابن أبي الدنيا فقال : حدثنا أحمد بن منيع ، حدثنا ابن علية ، عن سوار بن عبد الله قال : نبئت أن ميمون بن مهران قال وعنده رجل من قراء أهل الشام : إن الكذب في بعض المواطن خير من الصدق ، فقال الشامي : لا الصدق في كل موطن خير . قال : أرأيت لو رأيت رجلاً يسعى وآخر يتبعه بالسيف فدخل داراً فانتهى إليك فقال : رأيت الرجل ، ما كنت قائلاً ؟ قال : كنت أقول لا قال : فهو ذاك .

(**فنقول : الكلام وسيلة إلى المقاصد**) أي يتوصل به إلى تحصيلها سواء كانت دنيوية أو أخروية وسواء كانت محمودة أو مذمومة ، (**فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعاً ، فالكذب فيه حرام**) قولاً واحداً (**وإن أمكن التوصل بالكذب دون الصدق فالكذب فيه**) حينئذ (**مباح إن كان تحصيل ذلك المقصود مباحاً ، وواجب إن كان المقصود واجباً كما أن عصمة دم المسلم**) وكذا عصمة ماله وعرضه (**واجب ، فمهما كان في الصدق سفك دم مسلم قد اختفى من ظالم**) يريد قتله أو أخذ ماله أو هتك عرضه ، وكذا في الستر على عورة أخيه إذا سئل ، (**فالكذب فيه واجب**) ويدل على ذلك قول ميمون بن مهران السابق . (**ومهما كان لا يتم مقصود حرب**) مع العدوّ (**أو إصلاح ذات البين**) بين رجلين أو بين رجل وامرأة أو بين طائفتين ، (**أو استمالة قلب المجني عليه**) وكذا الحديث مع المرأة (**إلا بكذب فالكذب**) حينئذ (**مباح إلا أنه ينبغي أن يحترز عنه**) أي عن الكذب (**ما أمكن**) له ذلك (**لأنه إذا فتح باب الكذب فيخشى أن يتداعى**) ويتسبب (**إلى ما يستغنى عنه ، وإلى ما لا يقتصر على حد الضرورة ، فكان حراماً في الأصل إلا لضرورة**) عارضة ، (**فالذي يدل على الاستثناء**) أي الإخراج عن حد الحرمة (**ما روي عن أم كلثوم**) بنت عقبة بن أبي معيط أخت الوليد وأخت عثمان لأمه صلت القبلتين وهاجرت إلى المدينة ماشية عام الحديبية ، وفيها نزلت آية الامتحان فتزوّجها زيد بن حارثة ثم الزبير ثم عبد الرحمن بن عوف ، فولدت له إبراهيم وحميداً ومات عنها ، فتزوّجها عمرو بن العاص فماتت بعد شهر ، روى لها البخاري ومسلم

الكذب إلا في ثلاث الرجل يقول القول يريد به الإصلاح، والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها. وقالت أيضاً: قال رسول الله ﷺ «ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيراً أو نمى خيراً». وقالت أسماء بنت يزيد، قال رسول الله ﷺ: «كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين مسلمين ليصلح

وأبو داود والترمذي والنسائي (**قالت: ما سمعت رسول الله ﷺ يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث**) مواطن: (**الرجل يقول القول يريد**) به (**الإصلاح**) أي إصلاح ذات البين، (**والرجل يقول القول في الحرب، والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها**) رواه مسلم في صحيحه وقد تقدم. وعند ابن جرير: لا يصلح الكذب إلا في إحدى ثلاث: الرجل يصلح بين الرجلين، وفي الحرب، والرجل يحدث امرأته. ورواه ابن جرير أيضاً من حديث أبي الطفيل بلفظ: رجل كذب امرأته ليستصلح خلقها، ورجل كذب ليصلح بين امرأين مسلمين، ورجل كذب في خديعة حرب، فإن الحرب خدعة. ورواه أبو عوانة من حديث أبي أيوب بلفظ: لا يحل الكذب إلا في ثلاثة: الرجل يكذب امرأته يرضيها بذلك، والرجل يمشي بين رجلين يصلح بينهما، والحرب خدعة.

(**وقالت أم كلثوم**) أيضاً: (**قال رسول الله ﷺ «ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيراً أو نمى خيراً»**) بتخفيف الميم وتشديدها أي رفع خيراً: رواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي وابن جرير من طريق حميد بن عبد الرحمن عن أم كلثوم ولفظهم «ليس الكذاب بالذي يصلح بين الناس فينمي خيراً ويقول خيراً» وقد تقدم هذا الحديث.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا أحمد بن جميل، أنبأنا عبد الله بن المبارك، أنبأنا يونس، عن الزهري، أنبأنا حميد بن عبد الرحمن بن عوف أن أمه وهي أم كلثوم بنت عقبة أخبرته أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فيقول خيراً وينمي خيراً» قال ابن شهاب: فلم أسمع يرخص فيما يقول الناس كذب إلا في ثلاث: الحرب والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها.

(**وقالت أسماء بنت يزيد**) بن السكن الأنصارية بنت عمة معاذ روى لها الأربعة (**أن رسول الله ﷺ قال «كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين رجلين**) بينهما إحن وفتن (**يصلح بينهما»**) فلا يكتب عليه في ذلك إثم. قال العراقي: رواه أحمد بزيادة فيه وهو عند الترمذي مختصراً وحسّنه اهـ.

قلت: ورواه ابن أبي الدنيا عن داود بن عمرو الضبي، حدثنا داود بن عبد الرحمن العطار، عن عبد الله بن عثمان بن خيثم، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد أن رسول الله ﷺ خطب الناس فقال «أيها الناس ما يحملكم على أن تتابعوا كما تتابع الفراش في النار كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا ثلاث خصال: رجل كذب امرأته ليرضيها، ورجل كذب بين امرأين

بينهما » . وروي عن أبي كاهل قال : وقع بين اثنين من أصحاب النبي ﷺ كلام حتى تصارما فلقيت أحدهما فقلت : ما لك ولفلان فقد سمعته يحسن عليك الثناء ثم لقيت الآخر فقلت له مثل ذلك حتى اصطلحا قلت : أهلكت نفسي وأصلحت بين هذين ، فأخبرت النبي ﷺ فقال : « يا أبا كاهل أصلح بين الناس » أي ولو بالكذب وقال عطاء بن يسار ، قال رجل للنبي ﷺ : أكذب على أهلي قال : « لا خير في الكذب » قال : أعدها وأقول لها . قال : « لا جناح عليك » .

وروي أن ابن أبي عذرة الدؤلي وكان في خلافة عمر رضي الله عنه كان يخلع النساء اللاتي يتزوّج بهن فطارت له في الناس من ذلك أحدوثة يكرهها فلما علم بذلك أخذ بيد عبد الله بن الأرقم حتى أتى به إلى منزله . ثم قال لامرأته أنشدك بالله هل تبغضيني ؟

ليصلح بينهما ، ورجل كذب في خديعة الحرب . وأخرجه ابن عدي في الكامل بمثل ذلك . وأخرجه الترمذي وحسنه بلفظ « لا يصلح الكذب إلا في ثلاث : حديث الرجل امرأته ليرضيها والكذب في الحرب والكذب يصلح بين الناس » . ورواه ابن جرير وابن النجار بهذا اللفظ من حديث عائشة .

(**وروي عن أبي كاهل**) الأحمس اسمه قيس بن عائذ وقيل عبد الله بن مالك ، روى عن النبي ﷺ ، وروى عنه إسماعيل بن أبي خالد بواسطة أخيه وبغير واسطة ، وكان إمام الحي ، ومات في زمن المختار . قال الحافظ في الإصابة : وفي الصحابة رجل آخر أبو كاهل غير منسوب له حديث طويل أخرجه أبو أحمد الحاكم . (**قال : وقع بين رجلين من أصحاب النبي ﷺ كلام حتى تصارما**) أي تقاطعا ، (**فلقيت أحدهما فقلت مالك ولفلان وقد سمعته يحسن عليك الثناء ، ولقيت الآخر فقلت**) له (**مثل ذلك حتى اصطلحا ، ثم قلت أهلكت نفسي**) بالكذب (**وأصلحت بين اثنين ، فأخبرت النبي ﷺ فقال : « يا أبا كاهل أصلح بين الناس » ولو يعني بالكذب »**) قال العراقي : رواه الطبراني ولم يصح اهـ .

قلت : ولفظه ولو بكذا وكذا يعني الكذب .

(**وقال عطاء بن يسار**) أبو محمد الهلالي المدني ثقة ، روى له الجماعة (**قال رجل للنبي ﷺ : أكذب أهلي قال « لا خير في الكذب » قال : أعدها**) وعداً (**وأقول لها**) كذا وكذا أمنيها . (**قال « لا جناح عليك »**) وهذا مرسل . قال العراقي : رواه ابن عبد البر في التمهيد من رواية صفوان بن سليم ، عن عطاء بن يسار مرسلاً ، وهو في الموطأ عن صفوان بن سليم معضلاً من غير ذكر عطاء بن يسار .

(**ويروى ان ابن أبي عذرة الدؤلي وكان في خلافة عمر**) رضي الله عنه (**يخلع النساء اللاتي يتزوّجهن فطار له في الناس من ذلك أحدوثة**) أي سيرة يتناقلونها (**يكرهها**) حين يسمعها ، (**فلما علم بذلك قام بعبد الله بن أرقم**) بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن

قالت: لا تنشدني. قال فإني أنشدك الله. قالت: نعم. فقال لابن الأرقم: أتسمع ثم انطلقا حتى أتيا عمر رضي الله عنه فقال: إنكم لتحدثون أني أظلم النساء وأخلعهن، فاسأل ابن الأرقم فسأله فأخبره فأرسل إلى امرأة ابن أبي عذرة فجاءت هي وعمتها فقال. أنت التي تحدثين لزوجك أنك تبغضينه؟ فقالت: إني أول من تاب وراجع أمر الله تعالى إنه ناشدني فتحرجت أن أكذب أفأكذب يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم فاكذبي فإن كانت إحداكن لا تحب أحدنا فلا تحدثه بذلك فإن أقل البيوت الذي يبنى على الحب ولكن الناس يتعاشرون بالإسلام والأحساب. وعن النواس بن سمعان الكلابي قال: قال رسول الله ﷺ: «ما لي أراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار؟ كل الكذب يكتب على ابن آدم لا محالة إلا أن يكذب الرجل في الحرب فإن الحرب خدعة أو يكون بين الرجلين شحناء فيصلح بينهما أو يحدث امرأته يرضيها». وقال ثوبان:

زهرة الزهري، أسلم عام الفتح، وكتب للنبي ﷺ، ولأبي بكر، وعمر، وولي بيت المال لعمر ولعثمان يسيراً، وكان من خيار عباد الله روى عنه عروة، **(حتى أدخله بيته فقال لامرأته: أنشدك الله)** أي أسألك بالله **(هل تبغضيني؟ قالت: لا تنشدني)** أي لا تحلفني. **(قال: فإني أنشدك بالله. قالت له: نعم)** أبغضك. **(فقال لابن أرقم: أتسمع)** ما قالت؟ **(ثم انطلق إلى عمر)** رضي الله عنه أي هو وزيد بن أرقم **(فقال)** ابن أبي عذرة: **(إنكم لتحدّثون. أني أظلم النساء فأخلعهن فسل ابن أرقم)** ما جرى، **(فسأله عمر فأخبره الخبر فأرسل إلى امرأة ابن أبي عذرة فجاءت وعمتها)** أي مع عمتها **(فقال: أنت التي تحدثين لزوجك أنك تبغضينه؟ فقالت: إني أوّل من تاب وراجع أمر الله تعالى إنه ناشدني)** أي حلفني بالله، **(فتحرجت أن أكذب)** أي خفت أن أقع في الإثم إن كذبت، **(أفأكذب يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم فأكذبي فإن كانت إحداكن)** يا معشر النساء **(لا تحب أحدنا)** معشر الرجال **(فلا تحدثه بذلك فإن أقل البيوت الذي يبنى على الحب ولكن الناس يتعاشرون بالإسلام والأحساب)** أخرجه الذهبي والإسماعيلي في مناقب عمر.

(وعن النوّاس بن سمعان) ابن خالد العامري **(الكلابي)** رضي الله عنه **(قال: ما لي أراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش)** أي تتساقطون فيه تساقط هذا الحيوان الذي يرمي نفسه **(في النار)** أي على ضوئها **(كل الكذب مكتوب كذباً لا يحل له إلا أن يكذب الرجل في الحرب)** فإنه لا يكتب عليه إثم في ذلك **(فإن الحرب خدعة)** بل قد يجب إذا دعت إليه ضرورة أهل الإسلام، **(أو يكون بين رجلين)** أو قبيلتين أو بين رجل وامرأته **(شحناء)** أي عداوة وإحن **(فيصلح بينهما، أو يحدث امرأته يرضيها)** أي يمنيها ويعدها لترضى، فالكذب في هذه الأحوال غير محرم بل قد يجب. قال العراقي: رواه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق وفيه انقطاع وضعف اهـ.

الكذب كله إثم إلا ما نفع به مسلماً أو دفع عنه ضرراً. وقال علي رضي الله عنه: إذا حدثتكم عن النبي ﷺ فلأن أخرّ من السماء أحب إليّ من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فالحرب خدعة.

فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معناها ما عداها إذا ارتبط به مقصود صحيح له أو لغيره أما ماله فمثل أن يأخذه ظالم ويسأله عن ماله فله أن ينكره أو يأخذه سلطان فيسأله عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها فله أن ينكر ذلك فيقول: ما زنيت وما سرقت. وقال ﷺ: «من ارتكب شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله»

وقلت: ورواه أيضاً الطبراني وابن السني في اليوم والليلة، والخرائطي في مكارم الأخلاق بنحوه.

(وقال ثوبان) رضي الله عنه: **(الكذب كله إثم إلا ما نفع به مسلم أو دفع عنه)** به ضر، وقال إياس بن معاوية: الكذب عندي من يكذب فيما لا يضره ولا ينفعه، فاما رجل كذب كذبة يرد عن نفسه بها بلية أو يجر إلى نفسه بها معروفاً فليس عندي بكذاب أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت.

(وقال علي رضي الله عنه: إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فلأن أخرّ) أي اسقط **(من السماء)** إلى الأرض **(أحب إليّ من أن أكذب عليه)** فإن كذباً عليه ليس ككذب على أحد، **(وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم)** أي في المحاورات **(فالحرب خدعة)** وقد تقدم تحقيق هذه اللفظة في كتاب العلم، وتقدم بيان قول علي رضي الله عنه في كتاب الحلال والحرام.

(فهذه) الخصال **(الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معناها ما عداها)** أي لها حكمها في أن يستثنى من التحريم **(إذا ارتبط به غرض مقصود صحيح له أو لغيره)** من إخوانه المسلمين، **(أما ما له فمثل أن يأخذه ظالم)** فيعذبه ويهدده **(ويسأله عن ماله)** أين وضعه، **(فله أن ينكره)** فيقول: لا أدري وليس عندي مال، **(أو يأخذه السلطان ويسأله عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها فله ان ينكر ويقول: ما زنيت ولا شربت. قال رسول الله ﷺ «من ارتكب شيئاً من هذه القاذورات)** جمع قاذورة وهي كل قول أو فعل يستفحش ويستقبح، وقيل: المراد هنا الفاحشة يعني لأن سبب الحديث أنه ذكره لما رجم ماعزاً سميت قاذورة لأن حقها ان تتقذر فوصفت بما يوصف به صاحبها **(فليستتر بستر الله »)** أي لا يخبر بذلك الناس وفي معناه قول العامة: إذا بليتم فاستتروا قال العراقي: رواه الحاكم من حديث ابن عمر «اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله عنها فمن ألم بشيء منها فليستتر بستر الله» وإسناده جيد اهـ.

قلت: وتمامه «وليتب إلى الله فإنه من يبدلنا صفحته نقم عليه كتاب الله» قال الحاكم على

وذلك أن إظهار الفاحشة فاحشة أخرى، فللرجل أن يحفظ دمه وماله الذي يؤخذ ظلماً وعرضه بلسانه وإن كان كاذباً.

وأما عرض غيره فبأن يسأل عن سر أخيه فله أن ينكره وأن يصلح بين اثنين وأن يصلح بين الضرات من نسائه بأن يظهر لكل واحدة أنها أحب إليه وإن كانت امرأته لا تطاوعه إلا بوعد لا يقدر عليه فيعدها في الحال تطييباً لقلبها أو يعتذر إلى إنسان وكان لا يطيب قلبه إلا بإنكار ذنب وزيادة تودد فلا بأس به، ولكن الحد فيه أن الكذب محذور ولو صدق في هذه المواضع تولد منه محذور، فينبغي أن يقابل أحدهما بالآخر ويزن بالميزان القسط، فإذا علم أن المحذور الذي يحصل بالصدق أشد وقعاً في الشرع من الكذب فله الكذب، وإن كان ذلك المقصود أهون من مقصود الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الأمران بحيث يتردد فيهما، وعند ذلك الميل إلى الصدق أولى لأن الكذب

شرطهما، وتعقبه الذهبي فقال: غريب جداً لكنه قال في المهذب: اسناده جيد، وصححه ابن السكن، وذكره الدارقطني في العلل، وصحح إرساله، وقول ابن عبد البر: لا نعلمه بوجه من الوجوه. قال الحافظ ابن حجر: مراده من حديث مالك، ولما ذكر إمام الحرمين هذا الحديث في النهاية قال: صحيح متفق على صحته فتعجب منه ابن الصلاح، وقال: أوقعه فيه عدم المامه بصناعة الحديث التي يفتقر إليها كل عالم، (**وذلك لأن إظهار الفاحشة فاحشة أخرى**) بل أعظم من الأولى، (**فللرجل أن يحفظ دمه**) عن السفك (**وماله**) عن السلب (**الذي يؤخذ ظلماً**) وعدواناً (**وعرضه**) عن الهتك (**بلسانه، وإن كان كاذباً**) في قوله.

(**وأما عرض غيره فبأن يسأل عن سر أخيه فله أن ينكره**) ولا يقر ولا يفشيه، (**و**) له (**أن يصلح بين اثنين**) متخاصمين (**وأن يصلح بين الضرّات من نسائه**) جمع الضرة على القياس وهي امرأة زوجها، ويجمع أيضاً على الضرائر مثل كريمة وكرائم ولا يكاد يوجد لها نظير (**بأن يظهر لكل واحدة**) منهن (**أنها أحب**) النساء (**إليه**) لتسكن بذلك، (**أو كانت امرأته لا تطيعه إلا بوعد بما لا يقدر عليه فيعدها في الحال تطييباً لقلبها**) وجبراً لخاطرها، (**أو يعتذر إلى إنسان، وكان**) ممن (**لا يطيب قلبه إلا بإنكار ذنب وزيادة تودد**) مع وجود ذنب وقلة ودّ (**فلا بأس به**) أي يباح له ذلك، (**ولكن الحد فيه أن الكذب محذور ولو صدق في هذه المواضع تولد منه محذور، فينبغي أن يقابل أحدهما بالآخر ويزن بالميزان القسط**) أي العدل، (**فإذا علم المحذور الذي يحصل بالصدق أشدّ وقعاً في الشرع**) بأن يترتب عليه اختلال شيء من أموره الظاهرة وأعظم تأثيراً (**من الكذب فله الكذب**) حينئذ، (**وإن كان ذلك المقصود أهون من مقصود الصدق فيجب الصدق**) مراعاة للأصل ويلغي النظر إلى ذلك المقصود. (**وقد يتقابل الأمر بحيث يتردّد فيه**) أي يستوي طرفاه ولا بدّ من الترجيح، (**وعند ذلك الميل إلى الصدق أولى لأن الكذب**) من أصله قبيح وإنما قلنا إنه

يباح لضرورة أو حاجة مهمة فإن شك في كون الحاجة مهمة فالأصل التحريم فيرجع إليه، ولأجل غموض إدراك مراتب المقاصد ينبغي أن يحترز الإنسان من الكذب ما أمكنه، وكذلك مهما كانت الحاجة فيستحب له أن يترك إغراضه ويهجر الكذب فأما إذا تعلق بغرض غيره فلا تجوز المسامحة لحق الغير والإضرار به وأكثر كذب الناس إنما هو لحظوظ أنفسهم، ثم هو لزيادات المال والجاه ولأمور ليس فواتها محذوراً، حتى أن المرأة لتحكي عن زوجها ما تفخر به وتكذب لأجل مراغمة الضرات وذلك حرام. وقالت أسماء سمعت امرأة سألت رسول الله ﷺ قالت: إن لي ضرة وإني أتكثر من زوجي بما لم يفعل أضارها بذلك فهل علي شيء فيه؟ فقال ﷺ «المتشبع بما لم يعط

(**مباح لضرورة دعت أو حاجة مهمة**) ألمت، (**فإذا شك في كون الحاجة مهمة فالأصل التحريم**) فيه (**فيرجع إليه ولأجل غموض ادراك مراتب المقاصد**) وخفائه، فإنه يختلف بإختلاف الذوات وتفاوت الأوقات والحالات، (**فينبغي أن يحترز الإنسان عن الكذب ما أمكنه**) لأن الصدق أنجى والخلاص فيه أرجى، (**ولذلك**) قالوا: (**مهما كانت الحاجة له**) أي لنفسه خاصة (**فيستحب له ان يترك أغراضه ويهجر الكذب**) ويختار الصدق، (**وأما إذا تعلق بغرض غيره فلا يجوز المسامحة بحق الغير والإضرار به**) لأن حقه آكد والمراعاة فيه مطلوبة والإضرار حرام. (**وأكثر كذب الناس إنما هو لحظوظ أنفسهم**) أي لأجل تحصيلها لها من حيث كانت، (**ثم هو لزيادات المال والجاه**) وتكثير الحشم والخدم والتبسط في أمور الدنيا، (**ولأمور**) أخر (**ليس فواتها محذوراً**) شرعياً، (**حتى أن المرأة لتحكي عن زوجها ما تفاخر به وتكذب**) في تعبيرها (**لأجل مراغمة الضرات**) وكسر قلبهن، (**وذلك حرام. قالت أسماء**) بنت أبي بكر الصديق زوجة الزبير رضي الله عنهم، وأمها قتيلة بنت عبد العزي من بني عامر بن لؤي أسلمت قديماً بمكة. قال ابن إسحاق بعد سبعة عشر نفساً وهاجرت وهي حامل من الزبير بولده عبد الله، فوضعته بقباء وعاشت إلى أن ولي ابنها الخلافة، ثم إلى أن قتل وماتت بعده بقليل، وكانت تلقب «ذات النطاقين». وروت عن النبي ﷺ عدة أحاديث وهي في الصحيحين، وفي السنن، روى عنها ابناها عبد الله وعروة وأحفادها عباد بن عبد الله وعبد الله بن عروة وفاطمة بنت المنذر بن الزبير وعباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير، ومولاها عبد الله بن كيسان، وابن عباس وصفية بنت شيبة وابن أبي مليكة ووهب بن كيسان وغيرهم، وقد بلغت مائة سنة لم يسقط لها سن ولم ينكر لها عقل: (**سمعت امرأة تسأل رسول الله ﷺ قالت: إن لي ضرة**) وهي امرأة زوجها (**وإني أتكثر من زوجي بما لا يفعل**) فأقول أعطاني وكساني كذا وهو كذب (**أضارها بذلك**) أي أطلب مضرتها والمضارة تكون من الجانبين، (**فهل علي فيه شيء؟ فقال «المتشبع**) متفعل من الشبع وصيغة التفعل للتكلف ومعناه المتكلف الإسراف في الأكل وزيادة على الشبع، أو المراد المتشبه بالشبعان وليس به (**بما لم يعط**) وفي رواية للعسكري

كلابس ثوبي زور ». وقال ﷺ: « من تطعم بما لا يطعم أو قال لي وليس له أو أعطيت ولم يعط فهو كلابس ثوبي زور يوم القيامة » ويدخل في هذا فتوى العالم بما لا يتحققه، وروايته الحديث الذي لا يثبته إذ غرضه أن يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستنكف من أن يقول: لا أدري وهذا حرام ومما يلتحق بالنساء الصبيان فإن الصبي إذا كان لا يرغب في المكتب إلا بوعد أو وعيد أو تخويف كاذب كان ذلك مباحاً. نعم روينا في الأخبار أن ذلك يكتب كذباً ولكن الكذب المباح أيضاً قد يكتب ويحاسب عليه ويطالب

بما لم ينل وكلاهما بالبناء للمجهول، (**كلابس ثوبي زور**) أي ذي زور وهو من يزوّر على الناس فيلبس لباس ذوي التقشف وليس هو بذاك، وأضاف الثوبين إلى الزور لأنهما لبسا لأجله، وثنى باعتبار الرداء والإزار يعني أن المتحلي بما ليس له كمن لبس ثوبين من الزور ارتدى بأحدهما واتزر بالآخر. وقيل: المراد بثوبي زور من يصل بكميه كمين ليرى أنه لابس قميصين، أو من يلبس ثوبين لغيره موهماً أنهما له، وكيفما كان فيتحصل منه ان تشبع المرأة على ضرتها بما لم يعطها زوجها حرام، وهذا من بديع التشبيه وبليغه. وقال العراقي: متفق عليه من حديث أسماء اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد، وأبو داود، ورواه مسلم أيضاً من حديث عائشة بهذه القصة. ورواه العسكري في الأمثال من طريق ابن جريج، عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة مرفوعاً. وفي الباب سفيان بن الحكم الثقفي وجابر.

(**وقال ﷺ « من تطعم بما لم يطعم وقال**) هذا (**لي وليس له وأعطيت ولم يعط كان كلابس ثوبي زور يوم القيامة »**) قال العراقي: لم أجده بهذا اللفظ.

قلت: ولكن معناه صحيح، وروى العسكري في الأمثال من طريق أيوب بن سويد، عن الأوزاعي، عن محمد بن المنكدر، عن جابر مرفوعاً « من تحلى بباطل كان كلابس ثوبي زور » وفي معناه ما رواه الديلمي من حديث ابن عباس « من تزين للناس بما يعلم الله منه غير ذلك شأنه الله عز وجل ».

(**ويدخل في هذا فتوى العالم بما لم يتحققه**) من نفسه (**وروايته الحديث الذي ليس يتثبت فيه**) لعدم تمكنه في صناعته، (**إذ غرضه**) من افتائه وتحديثه (**أن يظهر فضل نفسه**) على غيره، (**فهو لذلك يستنكف من أن يقول لا أدري وهذا حرام**) ويلتحق به الانتصاب للتدريس والإفادة في العلوم الظاهرة أو الباطنة من غير تمكنه من الأهلية، فإنه لعب في الدين وازراء به. قال الشبلي: من تصدر قبل أوانه فقد تصدى لهوانه، وفي المشهور على الألسنة من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

(**ومما يلتحق بالنساء الصبيان فإن الصبي إذا كان لا يرغب في المكتب إلا بوعد**) بشيء (**أو وعيد وتخويف كان ذلك مباحاً**) وإن كان كذباً في نفسه. (**نعم روينا في الأخبار أن ذلك يكتب كذيبة**) تصغير كذبة، فمن ذلك ما روي من حديث ابن مسعود مرفوعاً في أثناء

بتصحيح قصده فيه ثم يعفى عنه لأنه إنما أبيح بقصد الإصلاح ويتطرق إليه غرور كبير، فإنه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغن عنه وإنما يتعلل ظاهراً بالإصلاح فلهذا يكتب وكل من أتى بكذبة فقد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم أن المقصود الذي كذب لأجله هل هو أهم في الشرع من الصدق أم لا، وذلك غامض جداً والحزم تركه إلا أن يصير واجباً بحيث لا يجوز تركه كما لو أدى إلى سفك دم أو إرتكاب معصية كيف كان.

وقد ظن ظانون أنه يجوز وضع الأحاديث في فضائل الأعمال وفي التشديد في المعاصي، وزعموا أن القصد منه صحيح وهو خطأ محض. إذ قال ﷺ: «من كذب

حديث طويل، وأن الكذب لا يصلح منه جدّ ولا هزل ولا يعد أحدكم صبياً ولا ينجز له. ومن حديث أبي هريرة: من قال لصبيه ها أعطيك فلم يعطه شيئاً كتبت كذبة. رواهما ابن أبي الدنيا في الصمت.

(**ولكن الكذب المباح أيضاً قد يكتب**) في صحيفة أعماله، (**ويحاسب عليه ويطالب بتصحيح قصده**) وحسن نيته (**فيه ثم يعفى عنه**) بمحض فضله، (**لأنه إنما أبيح بقصد الإصلاح ويطرق إليه غرور كثير، فإنه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغن عنه، وإنما يتعلل ظاهراً بالإصلاح، فلهذا يكتب**) ومن ثم شدد فيه فقال ابن مسعود: والذي نفسي بيده ما أحل الله الكذب في جد ولا هزل قط اقرؤا إن شئتم ﴿اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ [التوبة، ١١٩] وقال الأعمش: ذكرت لإبراهيم حديث أبي الضحى عن مسروق أنه رخص في الكذب في الإصلاح بين الناس فقال: ما كانوا يرخصون في الكذب في جد ولا هزل، وقال عبد الله بن عون: ذكر عند محمد بن سيرين أنه يصلح الكذب في الحرب، فانكر ذلك وقال: ما أعلم الكذب إلا حراماً. (**وكل من أتى بكذبة فقد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم أن المقصود الذي كذب له**) أي لأجل تحصيله (**هل هو أهم في الشرع من الصدق**) وآكد (**أم لا وذلك غامض**) أي خفي (**جداً، فالحزم**) كل الحزم (**في تركه**) من أصله (**إلا أن يصير واجباً**) عليه (**بحيث لا يجوز تركه، كما**) إذا كان الصدق (**يؤدي إلى سفك دم**) أخيه بغير وجه شرعي، (**وارتكاب معصية كبيرة يتسبب منها الانحلال عن ربقة الدين كيف كان**) وهذا هو التحقيق في هذا المقام.

(**وقد ظن ظانون**) من الكرامية ومن تبعهم من غيرهم من جهلة المتصوّفة والقصاص (**أنه يجوز وضع الأخبار**) على رسول الله ﷺ (**في**) الترغيب مثل: (**فضائل الأعمال**) من صلاة وصوم في ساعات مخصوصة وأيام مخصوصة، وكذا فضائل القرآن، (**وفي**) الترهيب مثل (**التشديد في العاصي**) والزجر عنها، (**وزعموا أن القصد منه صحيح وهو خطأ محض**)

عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ». وهذا لا يرتكب إلا لضرورة ولا ضرورة إذ في الصدق مندوحة عن الكذب ففيما ورد من الآيات والأخبار كفاية عن غيرها. وقول القائل: إن ذلك قد تكرر على الأسماع وسقط وقعه وما هو جديد فوقعه أعظم، فهذا هوس إذ ليس هذا من الأغراض التي تقاوم محذور الكذب على رسول الله ﷺ وعلى الله تعالى، ويؤدي فتح بابه إلى أمور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا شره أصلاً والكذب على رسول الله ﷺ من الكبائر التي لا يقاومها شيء نسأل الله العفو عنا وعن جميع المسلمين.

وشذوذ عن طريق الاستقامة بل غباوة ظاهرة وجهالة متناهية. قال ابن جماعة وغيره: وهؤلاء أعظم الأصناف ضرراً وأكثرهم خطراً إذ لسان حالهم يقول: الشريعة محتاجة لكذا فنكملها (**إذ قال** ﷺ « **من كذب عليّ**) أي أخبر عني بشيء خلاف ما هو عليه (**متعمداً**) **أي قاصداً ذلك عن** عمد (**فليتبوّأ**) أي ليتخذ (**مقعده من النار** ») أمر بمعنى الخبر، أو بمعنى التهديد، أو بمعنى التهكم، أو دعاء عليه أي بوأه الله ذلك، أو خبر بلفظ الأمر، ومعناه استوجب ذلك فليوطن نفسه عليه، والمراد أن هذا جزاؤه وقد يغفر له أو الأمر على حقيقته، والمعنى: من كذب فليأمر نفسه بالبواء. قال الحافظ ابن حجر: وأول الوجوه أولاها أخرج هذا الحديث الائمة الستة في كتبهم من طرق متعددة تقدم ذكرها تفصيلاً في كتاب العلم فراجعه. وقال ابن الصلاح: ليس في مرتبته من التواتر غيره وخرج بقوله متعمداً ما إذا كان عن ذهول ونسيان كما وقع لبعض الثقات، فإن هذا ليس بكذب عليه.

(**وهذا لا يترك إلا لضرورة هنا إذ في الصدق مندوحة**) أي متسع (**عن الكذب، ففيما ورد من الآيات والأخبار**) في الترغيب والترهيب (**كفاية**) ومقنع (**عن غيرها**) فلا يصار إليه، (**وقول القائل**) منهم: (**إن ذلك تكرر على الأسماع**) وكثر وروده عليها (**وسقط وقعه**) وملت عنه (**وما هو جديد**) طري لم يسمع، (**فوقعه**) على القلوب (**أعظم. فهذا هوس**) وتخبيط وجهل عظيم (**إذ ليس هذا من الأغراض التي تقاوم محذور الكذب على رسول الله** ﷺ **وعلى الله تعالى**)، وإذا قيل بذلك على ما زعموا فانه (**يؤدي فتح بابه إلى أمور تشوّش الشريعة**) وتقلبها (**فلا يقاوم خير هذا**) ان فرض أنه خير (**شره أصلاً**)، وإذا فهمت ذلك (**فالكذب على رسول الله** ﷺ) هو كذب على الله تعالى، وإنه (**من الكبائر التي لا يقاومها شيء**) أي هو من أكبر الكبائر، وعليه الإجماع وكون متعمد الكذب عليه يكفر ذهب إليه الشيخ أبو محمد الجويني كما نقله ابن الجوزي والسيوطي وغيرهما، ولكن ضعفه ابنه إمام الحرمين كما تقدم ذلك في كتاب العلم مفصلاً.

وروى أحمد من حديث ابن عمر « من كذب عليّ فهو في النار » وظاهره ولو مرة قال أحمد:

بيان الحذر من الكذب بالمعاريض:

قد نقل عن السلف ان في المعاريض مندوحة عن الكذب. قال عمر رضي الله عنه: أما في المعاريض ما يكفي الرجل عن الكذب؟ وروي ذلك عن ابن عباس وغيره وإنما

يفسق وترد شهادته، ورواياته كلها ولو تاب وحسنت توبته تغليظاً عليه، وغالب الكذابين على النبي ﷺ زنادقة أرادوا تبديل الدين. قال حماد: وضعت الزنادقة أربعة عشر ألف حديث والله أعلم، واستشكل هذا الحديث بأن الكذب معصية مطلقاً إلا لمصلحة والمعاصي متوعد عليها بالنار، فما الذي امتاز به عنها الكاذب عليه؟ وأجيب بأن الكذب عليه كبيرة وعلى غيره صغيرة، ولا يلزم أن يكون مقر الكاذبين واحداً، ويدل لذلك ما رواه الطبراني في الكبير وابن مردويه من حديث أبي أمامة «من كذب عليَّ متعمداً فليتبوّأ مقعده من بين عيني جهنم» قالوا يا رسول الله نحدث عنك بالحديث يزيد وينقص. قال «ليس ذاك أعنيكم إنما أعني الذي يكذب عليَّ متحدثاً يطلب به شين الإسلام» قالوا: وهل لجهنم عين؟ قال: «نعم أما سمعتموه يقول ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد﴾ فهل تراهم إلا بعينين».

بيان الحذر من الكذب بالمعاريض:

جمع معراض والمراد به التعريض. قال السعد التفتازاني: التعريض ذكر لفظ محتمل يفهم منه السامع خلاف ما يريده المتكلم. وقال بعض المتأخرين: هو ذكر شيء مقصود بلفظ حقيقي أو مجازي أو كنائي ليدل به على شيء آخر لم يذكر في الكلام نقله المناوي في شرحه، وقيل: هو أن يتكلم الرجل بكلمة يظهر من نفسه شيئاً ومراده شيء آخر. كذا في البستان وتحقيقه في قوله تعالى ﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم به﴾ [البقرة: ٢٣٥] من خطبة النساء وفي المغرب التعريض خلاف التصريح، والفرق بينه وبين الكناية هو أن التعريض يتضمن الكلام دلالة ليس فيها ذكر كقوله: ما أقبح البخل تعريض بأنه بخيل، والكناية ذكر اللزوم وارادة اللازم، كقولك: فلان طويل النجاد كثير الرماد. والنجاد: حمائل السيف، والمعنى أنه طويل القامة ومضياف.

(وقد نقل عن السلف) قولهم: **(إن في المعاريض مندوحة)** أي سعة وغنية وفسحة **(عن الكذب)** وهذا قد روي مرفوعاً أخرجه ابن عدي في الكامل من طريق أبي إبراهيم الترجماني، حدثنا داود بن الزبرقاني، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن زرارة بن أبي أوفى، عن عمران بن الحصين رضي الله عنه مرفوعاً «إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب» قال: ولا أعلم رفعه غير داود، ورواه البيهقي وابن السني عنه موقوفاً. قال البيهقي: الصحيح هكذا. ورواه الترجماني عن داود بن الزبرقان، عن أبن أبي عروبة فرفعه. قال الذهبي: داود قد تركه أبو داود وقد رواه كذلك البخاري في الأدب المفرد.

(قال عمر رضي الله عنه) في معنى ذلك **(في المعاريض ما يكفي الرجل عن الكذب)** أي يغنيه عنه ويجعله في فسحة منه رواه البيهقي في الشعب من طريق أبي عثمان النهدي عنه بلفظ:

أرادوا بذلك إذ اضطر الإنسان إلى الكذب، فأما إذا لم تكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعاً ولكن التعريض أهون ومثال التعريض ما روي أن مطرفاً دخل على زياد فاستبطأه فتعلل بمرض وقال: ما رفعت جنبي مذ فارقت الأمير إلا ما رفعني الله وقال إبراهيم: إذا بلغ الرجل عنك شيء فكرهت أن تكذب فقل إن الله تعالى ليعلم ما قلت من ذلك من شيء فيكون قوله: «ما» حرف نفي عند المسمع وعنده للإبهام. وكان معاذ بن جبل عاملاً لعمر رضي الله عنه فلما رجع قالت له امرأته ما جئت به مما يأتي به العمال إلى أهلهم؟ وما كان قد أتاها بشيء فقال كان عندي ضاغط قالت: كنت أميناً عند رسول الله ﷺ. وعند أبي بكر رضي الله عنه فبعث عمر معك

أما أن في المعاريض ما يكفي المسلم من الكذب، ورواه العسكري في الأمثال من طريق محمد بن كثير عن ليث عن مجاهد قال: قال عمران في المعاريض لمندوحة للرجل المسلم الحر عن الكذب.

(**ورُوي ذلك عن ابن عباس وغيره**) من الصحابة رضوان الله عليهم منهم: عمران بن حصين، فقد روى ذلك من قوله كما في الأدب المفرد للبخاري، ومنهم من رفعه كما تقدم والموقوف هو الصحيح قاله البيهقي، ومنهم علي بن أبي طالب روي عنه موقوفاً ومرفوعاً، (**وإنما أرادوا ذلك إذا اضطر الإنسان إلى الكذب**) والجيء إليه، (**فأما إذا لم يكن حاجة ولا ضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعاً، ولكن التعريض أهون**) في الجملة. وقال البيهقي بعد أن أورد الحديث المذكور: هذا يجوز فيما يرد به ضرراً ولا يضر الغير، (**ومثال المعاريض ما روي أن مطرفاً**) هو ابن عبدالله بن الشخير البصري التابعي الثقة العابد تقدم ذكره (**دخل على زياد**) بن عبيد الله وهو المعروف بابن سمية ولاّه يزيد بن معاوية البصرة والكوفة (**فاستبطأه**) أي عاتبه في بطئه عنه للسلام عليه، (**فتعلل**) مطرف (**بمرض**) أي أظهر له أنه كان مريضاً (**وقال: ما رفعت جنبي**) عن الفراش (**منذ فارقت الأمير إلا ما رفعني الله**) فإنه يشمل الرفع الاختياري والاضطراري.

(**وقال إبراهيم**) النخعي: (**إذا بلغ الرجل عنك شيء فكرهت أن تكذب فقل إن الله ليعلم ما قلت من ذلك من شيء فيكون قوله: «ما» حرف نفي عند المستمع**) فيفهم من قوله أنه لم يقله، (**وعنده**) أي عند القائل (**للإبهام**) إما موصولة أو إستفهامية وفي كل منهما الإبهام، وكذا لو قال: الله يعلم ما قلته وهو أخصر من الأول. (**وكان معاذ**) بن جبل رضي الله عنه (**عاملاً لعمر**) رضي الله عنه على بعض الأعمال (**فلما رجع**) من عمله (**قالت**) له (**امرأته: ما جئت به ما يأتي به العمال إلى أهليهم**) وفي بعض النسخ من عراضة أهليهم، والمراد الهدية والتحفة تعرض على الأهل (**ولم يكن جاء به**) وفي نسخة: وما كان قد أتاها بشيء فاعتذر إليها، (**فقال: كان معي ضاغط**) قال ابن فارس في المجمل يقال أرسله ضاغطاً على فلان هو شبه الرقيب يمنعه من الظلم. (**قالت**) زوجته: (**كنت أميناً عند رسول الله ﷺ وأبي**

ضاغطاً وقامت بذلك بين نسائها واشتكت عمر فلما بلغه ذلك دعا معاذاً وقال: بعثت معك ضاغطاً. قال: لم أجد ما اعتذر به إليها إلا ذلك فضحك عمر رضي الله عنه وأعطاه شيئاً. فقال: أرضها به ومعنى قوله ضاغطاً يعني رقيباً وأراد به الله تعالى وكان النخعي لا يقول لابنته: أشتري لك سكراً بل يقول: أرأيت لو اشتريت لك سكراً فإنه ربما لا يتفق له ذلك. وكان إبراهيم إذا طلبه من يكره أن يخرج إليه وهو في الدار. قال للجارية: قولي له أطلبه في المسجد ولا تقولي ليس ههنا كيلا يكون كذباً. وكان الشعبي إذا طلب في المنزل وهو يكرهه خط دائرة وقال للجارية ضعي الأصبع فيها وقولي: ليس ههنا. وهذا كله في موضع الحاجة. فأما في غير موضع الحاجة فلا لأن هذا تفهيم

بكر) إذا استعملاك على أعمالهم، (**فبعث معك عمر ضاغطاً**) أنكرت ذلك، (**فقامت بذلك في نسائها واشتكت عمر، فلما سمع عمر**) ذلك (**دعا معاذاً وقال: بعثت معك ضاغطاً. قال: لم أجد ما كعتذر به إليها إلا ذلك فضحك عمر**) وعلم أن هذا من باب التعريض لمصلحة تطييباً لخاطرها، (**وأعطاه شيئاً فقال: أرضها به، وقوله: ضاغطاً يريد به**) معاذ (**ربه تعالى**) أي محاسباً ضابطاً.

(**وكان**) إبراهيم (**النخعي**) رحمه الله تعالى (**لا يقول لابنته اشترى لك سكراً، بل يقول: أرأيت لو اشتريت لك سكراً**) تحرياً من الوقوع في الكذب، (**فإنه ربما لا يتفق له ذلك**) فيكون كذباً. (**وكان إبراهيم**) النخعي إذا طلبه (**في الدار من يكرهه**) أي يكره لقيه وهو في الدار (**قال للجارية: قولي أطلبه في المسجد**) أي مسجد الحي وهو يكون في مسجد بيته، (**ولا تقولي ليس ههنا كيلا يكون كذباً**) وكان بعضهم يقول الخادمة: قل له ما هو هون يريد به الهاون الذي يدق فيه، (**وكان**) عامر بن شراحيل (**الشعبي إذا طلب في البيت وهو يكرهه**) أي يكره أن يخرج إليه (**يخط دائرة ويقول للجارية: ضعي أصبعك فيها وقولي ليس ههنا**) وفي رواية كان يخط بإصبعه دارة في الحائط ويقول قل له ما هو في الدار، ويريد به جمع دارة. ومن ذلك قول سعيد بن جبير حين أراد الحجاج قتله وقد قال له: ما تقول فيّ؟ قال قاسط عادل، فقال الحاضرون. ما أحسن ما قال ظنوا أنه وصفه بالقسط والعدل. قال الحجاج: يا جهلة سماني مشركاً ظالماً ثم تلا ﴿وأما القاسطون﴾ الآية [الجن: ١٥] وقوله: ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ [الأنعام: ١] وقصد رجل باب المأمون فقال: قولوا أحمد النبي بالباب فاستحضره وهدده فقال: أنا أحمد النبي أنت لا تحمده فضحك وقضى حاجته، ومن أحسن المعاريض ما رواه الحسن بن سفيان والديلمي من حديث أبي هريرة قال: ركب رسول الله ﷺ خلف ناقة أبي بكر وقال: «يا أبا بكر ول الناس عني فإنه لا ينبغي لنبي أن يكذب» فجعل الناس يسألونه من أنت؟ قال: باغ يبتغي. قالوا: ومن وراءك؟ قال هادٍ يهديني.

(**وهذا كله في موضع الحاجة فأما في غير موضع الحاجة فلا لأن هذا تفهيم للكذب**،

للكذب، وإن لم يكن اللفظ كذباً فهو مكروه على الجملة كما روي عن عبد الله بن عتبة قال: دخلت مع أبي على عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه فخرجت وعلي ثوب، فجعل الناس يقولون: هذا كساكه أمير المؤمنين، فكنت أقول جزى الله أمير المؤمنين خيراً. فقال لي أبي: يا بني اتق الكذب وما أشبه فنهاه عن ذلك لأن فيه تقريراً لهم على ظن كاذب لاجل غرض المفاخرة وهذا غرض باطل لا فائدة فيه.

نعم المعاريض تباح لغرض خفيف كتطييب قلب الغير بالمزاح كقوله ﷺ: «لا يدخل الجنة عجوز» وقوله للأخرى الذي في عين زوجك بياض، وللأخرى نحملك على ولد البعير وما أشبه. وأما الكذب الصريح كما فعله نعمان الأنصاري مع عثمان في قصة

وإن لم يكن اللفظ كذباً فهو مكروه على الجملة، كما روي عن عبد الله بن عتبة) بن عبد الله بن مسعود الهذلي الكوفي والد أبي العميس **(قال: دخلت)** مع أبي عتبة بن عبد الله بن مسعود **(على عمر بن عبد العزيز)** رحمه الله تعالى، **(فخرجت وعلي ثوب)** أي جديد **(فجعل الناس يقولون: هذا كساك أمير المؤمنين)** يعني عمر بن عبد العزيز، **(فكنت أقول جزى الله أمير المؤمنين خيراً، فقال لي يا بني اتق الكذب إياك والكذب وما أشبه)** والذي في كتاب الصمت لابن أبي الدنيا قال: حدثنا المثنى بن معاذ، ثنا سلم بن قتيبة، عن المسعودي، عن عون بن عبد الله قال. كساني أبي حلة فخرجت فيها فقال لي أصحابي: كساك هذه الأمير؟ فأحببت أن يروا أن الأمير كسانيها، فقلت: جزى الله الأمير خيراً كسا الله الأمير من كسوة الجنة، فذكرت ذلك لأبي فقال: يا بني لا تكذب ولا تشبه بالكذب، فالمسعودي هو عبد الرحمن ابن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود، وعون هو ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود. فالقصة لعون مع أبيه عتبة لا لعتبة مع أبيه عبد الله كما هو في سياق المصنف. **(فنهاه عن ذلك)** أي من التعريض **(لأن فيه تقريراً لهم على ظن كاذب لأجل غرض المفاخرة وهو غرض باطل ولا فائدة فيه)** ويكفي في تقبيح التقرير على الظن الكاذب ما تقدم من حديث سمرة بن جندب: من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين. **(نعم المعاريض تباح بغرض خفيف كتطييب قلب الغير بالمزاح، كقوله ﷺ: «لا تدخل العجوز الجنة»)** وقد تقدم قريباً **(و)** كقوله: **(«في عين زوجك بياض»)** قاله لأم أيمن وقد تقدم أيضاً **(و)** كقوله **(«نحملك على ولد البعير»)** قاله لامرأة جاءته تستحمله وقد تقدم أيضاً. **(وما أشبهه فأما الكذب الصريح كما فعله نعيمان)** بن عمرو **(الأنصاري)** رضي الله عنه **(مع عثمان)** بن عفان رضي الله عنه **(في قصة الضرير)** يعني به مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة الزهري، وهو أبو المسور رضي الله عنهما. قال الواقدي: وكان قد بلغ مائة وخمس عشرة سنة وكان قد عمي **(إذ قال له: إنه نعيمان)** فضربه حتى شجه في وجهه وكان يصلي، وهذه القصة ذكرها الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والمزاح قال: حدثني عمي عن جدي قال: كان مخرمة بن

الضرير إذ قال له: إنه نعيمان وكما يعتاده الناس بملاعبة الحمقى بتغريرهم بأن إمرأة قد رغبت في تزويجك فإن كان فيه ضرر يؤدي إلى إيذاء قلب فهو حرام وإن لم يكن إلا لمطايبته فلا يوصف صاحبها بالفسق ولكن ينقص ذلك من درجة إيمانه. قال ﷺ: « لا يكمل للمرء الإيمان حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب في مزاحه » وأما قوله عليه السلام: « إن الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها الناس يهوي بها في النار أبعد من الثريا » أراد به ما فيه غيبة مسلم أو إيذاء قلب دون محض المزاح ومن الكذب الذي لا

نوفل قد بلغ مائة وخمس عشرة سنة، فقام في المسجد يريد أن يبول فصاح به الناس المسجد المسجد، فأخذ نعيمان بن عمرو بيده فنحى به ثم أجلسه في ناحية أخرى من المسجد فقال له: بل هنا. قال: فصاح به الناس فقال: ويحكم فمن أتى بي إلى هذ الموضع؟ فقال: إما أن لله عليَّ إن ظفرت به أن أضربه بعصاي هذه ضربة تبلغ منه ما بلغت، فبلغ ذلك نعيمان فمكث ما شاء الله ثم أتاه يوماً وعثمان قائم يصلي في ناحية المسجد فقال لمخرمة: هل لك في نعيمان؟ قال: نعم فاخذ بيده حتى أوقفه على عثمان، وكان إذا صلى لا يلتفت، فقال: دونك هذا نعيمان فجمع يديه بعصاه فضرب عثمان فشجه فصاحوا به ضربت أمير المؤمنين فذكر بقية القصة.

(**وكما يعتاده الناس من ملاعبة الحمقى**) الذين نقص جوهر عقولهم (**بتغريرهم**) أي بإيقاعهم في الغرور والغفلة (**بأن امرأة قد رغبت في تزويجك**) ويصورون لهم كلاما يصدقونه (**فإن كان فيه ضرر**) ظاهر (**ويؤدي إلى إيذاء قلب**) مسلم (**فهو حرام**) لا يجوز ارتكابه، (**وإن لم يكن إلا مطايبة**) بلين كلام (**فلا يوصف صاحبها بالفسق ولكنه ينقص من درجة إيمانه**) العليا. (**قال رسول الله ﷺ: « لا يستكمل المؤمن إيمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب في مزاحه »**) قال العراقي: ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب من حديث أبي مليكة الذماري، وقال: فيه نظر، وللشيخين من حديث أنس: « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ». وللدراقطني في المؤتلف والمختلف من حديث أبي هريرة: « لا يؤمن عبد الإيمان كله حتى يترك الكذب في مزاحه » قال أحمد بن حنبل: منكر اهـ.

قلت: ذكره البخاري في الكنى، وأورد له هذا الحديث من طريق راشد بن سعد عنه، ورواه أبو نعيم في المعرفة بلفظ: « وحتى يخاف الله في مزاحه وكذبه » وحديث أبي هريرة رواه أيضاً أحمد والطبراني في الأوسط بلفظ: « حتى يترك الكذب في المزاحة ويترك المراء وإن كان صادقاً » وقال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثنا علي بن الجعد، أنبأنا شعبة عن الحكم قال: قال ابن عمر: « لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء وهو محق والكذب في المزاح ». ورواه أبو يعلى من حديث عمر، وقد تقدم الكلام عليه في آفة المراء.

(**وأما قوله ﷺ: « إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها الناس يهوي بها أبعد من الثريا »**) تقدم في الآفة الثالثة مع نظائره، (**أراد به ما فيه غيبة مسلم أو إيذاء قلب دون**

يوجب الفسق ما جرت به العادة في المبالغة كقوله: طلبتك كذا وكذا مرة وقلت لك كذا مائة مرة فإنه لا يريد به تفهيم المرات بعددها بل تفهيم المبالغة فإن لم يكن طلبه إلا مرة واحدة كان كاذباً وإن كان طلبه مرات لا يعتاد مثلها في الكثرة لا يأثم وإن لم تبلغ مائة وبينهما درجات بتعرض مطلق اللسان بالمبالغة فيها لخطر الكذب، ومما يعتاد الكذب فيه ويتساهل به أن يقال: كل الطعام، فيقول لا أشتهيه ذلك منهي عنه وهو حرام، إن لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد، قالت أسماء بنت عميس: كنت صاحبة عائشة في الليلة التي هيأتها وأدخلتها على رسول الله ﷺ ومعي نسوة. قالت: فوالله ما وجدنا عنده قرى إلا قدحاً من لبن فشرب ثم ناوله عائشة قالت: فاستحيت الجارية فقلت لا تردي

محض المزاح) وقد تقدمت الإشارة إليه آنفاً. **(ومن الكذب الذي لا يوجب الفسق)** أي ومن جنس الكذب الملحق به ولا يوجب الفسق بسببه **(ما جرت العادة في المبالغة)** في العدد **(كقوله: قلت لك كذا مائة مرة وطلبتك مائة مرة)** وقد يزاد في المبالغة فيقال: خمسمائة مرة أو ألف مرة **(فإنه لا يراد به تفهيم المرات بعددها بل تفهيم المبالغة)** بان وقع منه ذلك الفعل مرات، **(فإن لم يكن طلبه إلا مرة واحدة كان كاذباً)** في قوله وكذا في العشرة، **(وإن كان طلبه مرات لا يعتاد مثلها في الكثرة فلا يأثم وإن لم يبلغ مائة)** أو أكثر، **(وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان بالمبالغة فيها لخطر الكذب)** أي خطر الوقوع فيه، وكذا الاستعارة مرتبة من هذا القسم من الكذب في المبالغة، ولكنها ليست بكذب فإن علماء البيان قد حققوا ذلك بالبرهان، وقالوا: الاستعارة تفارق الكذب من وجهين. أحدهما: البناء على التأويل، وثانيهما: نصب الدليل من القرينة على إرادة خلاف الظاهر نحو: رأيت أسداً في الحمام ولكن عليك الاحتياط في مثل هذا الكلام.

(ومما يعتاد الكذب فيه ويتساهل به أن يقال كل الطعام فيقول: لا أشتهيه، وذلك منهي عنه وهو حرام إن لم يكن فيه غرض صحيح) وهو أن يكون شبعان ولا يرى إدخال الطعام على الطعام، أو يكون الطعام فيه شبهة أو قذارة لا يشتهي لأجل ذلك أو غيره، وقد أخرج ابن أبي الدنيا من طريق شقيق بن سلمة قال: قال لي أخي عبد الرحمن بن سلمة: ما كذبت منذ أسلمت إلا أن الرجل يدعوني إلى طعامه فأقول ما أشتهيه، فعسى أن يكتب.

(قال مجاهد) بن جبر المكي التابعي الثقة **(قالت أسماء بنت عميس)** بن معبد بن الحرث ابن كعب الخثعمية، هاجرت مع جعفر إلى الحبشة، تزوجها أبو بكر الصديق، ثم علي بن أبي طالب، وكانت فاضلة جليلة: **(كنت صاحبة عائشة رضي الله عنها في الليلة التي هيأتها وأدخلتها على رسول الله ﷺ ومعي نسوة قالت: فوالله ما وجدنا عنده قرى)** أي ضيافة **(إلا قدحاً من لبن)** فشرب منه، **(ثم ناول عائشة رضي الله عنها قالت)** أسماء: **(فاستحيت**

يد رسول الله ﷺ خذي منه قالت: فأخذت منه على حياء فشربت منه، ثم قال: ناولي صواحبك فقلن لا نشتهيه. فقال: لا تجمعن جوعاً وكذباً. قالت: فقلت يا رسول الله إن قالت إحدانا لشيء تشتهيه لا أشتهيه أيعد ذلك كذباً؟ قال: «إن الكذب ليكتب كذباً حتى تكتب الكذيبة كذيبة» وقد كان أهل الورع يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب، قال الليث بن سعد: كانت عينا سعيد بن المسيب ترمص حتى يبلغ الرمص خارج عينيه فيقال له: لو مسحت عينيك؟ فيقول وأين قول الطبيب لا تمس عينيك. فأقول لا أفعل وهذه مراقبة أهل الورع. ومن تركه انسل لسانه في الكذب عن حد اختياره فيكذب ولا يشعر. وعن خوات التيمي قال: جاءت أخت الربيع بن خيثم عائدة

الجارية. قالت: فقلت لا تردي يد رسول الله ﷺ خذي منه قالت: فأخذته منه على حياء فشربت منه ثم قال: «ناولي صواحبك») وهن النسوة اللاتي اتين معها (**فقلن: لا نشتهيه**) وأبين أن يأخذنه (**فقال: «لا تجمعن جوعاً وكذباً قالت**) أسماء: (**فقلت يا رسول الله إن قالت إحدانا لشيء تشتهيه لا أشتهيه أيعد ذلك كذباً؟ فقال: إن الكذب ليكتب حتى تكتب الكذيبة كذيبة**). قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت، والطبراني في الكبير وله نحوه من رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد وهو الصواب، فإن أسماء بنت عميس كانت إذ ذاك بالحبشة، لكن في طبقات الأصفهانيين لأبي الشيخ من رواية عطاء بن أبي رباح عن أسماء بنت عميس زففنا إلى النبي ﷺ بعض نسائه الحديث. فإذا كانت غير عائشة ممن تزوجها بعد خيبر فلا مانع من ذلك اهـ.

قلت: قال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا عثمان بن عمر، حدثنا يونس بن يزيد الإيلي عن أبي شداد عن مجاهد فذكره مثل سياق المصنف، ورواه أحمد وابن ماجه والبيهقي من حديث أسماء بنت عميس قالت: أتى النبي ﷺ بطعام فعرض علينا فقلنا لا نشتهيه فقال: لا تجمعن جوعاً وكذباً.

(**وقد كان أهل الورع**) من السلف (**يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب**) كما مر عن عبد الرحمن بن سلمة. (**وقال**) أبو الحرث (**الليث بن سعد**) بن عبد الرحمن الفهمي المصري ثقة ثبت إمام فقيه مشهور مات في شعبان سنة خمس وسبعين، (**كانت ترمص عينا سعيد بن المسيب حتى يبلغ الرمص خارج عينيه، فيقال له: لو مسحت هذا الرمص**) بخرقة أو نحوها؟ (**فيقول: فأين قولي للطبيب وهو يقول لا تمس عينك فأقول: لا أفعل**) أخرجه ابن أبي الدنيا عن عيسى بن عبد الله التميمي، أنبأنا يحيى بن بكير المصري، سمعت الليث بن سعد فذكره، وفيه بعد قوله خارج عينيه وصف يحيى بيده إلى المحاجر، (**وهذه مراقبة أهل الورع**) وشدة احتياطهم (**ومن تركه انسل لسانه عن اختياره فيكذب و**) هو (**لا يشعر**) به، (**وعن جواب**) بن عبيد الله (**التيمي**) الكوفي صدوق رمي بالأرجاء، وقد ذكره المصنف في كتاب

لابن له فانكبت عليه فقالت : كيف أنت يا بني ، فجلس الربيع وقال : أرضعتيه ؟ قالت : لا . قال : عليك لو قلت يا ابن أخي فصدقت ؟ ومن العادة أن يقول يعلم الله فيما لا يعلمه قال عيسى عليه السلام : إن من أعظم الذنوب عند الله أن يقول العبد إن الله يعلم لما لا يعلم ، وربما يكذب في حكاية المنام والإثم فيه عظيم إذ قال عليه السلام : « إن من أعظم الفرية أن يدعى الرجل إلى غير أبيه أو يري عينيه في المنام ما لم ير أو يقول علي ما لم أقل » . وقال عليه السلام : « من كذب في حلم كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين وليس بعاقد بينهما أبداً » .

الحلال والحرام وأنه ضعيف عند أهل الحديث وذكر ما يتعلق به هناك فراجعه (**قال : جاءت أخت الربيع بن خيثم**) الثوري الكوفي العابد تقدم ذكره في كتاب : « تلاوة القرآن » (**عائدة**) من العيادة للمريض (**إلى بني له**) تصغير ابن وقد كان مريضاً (**فانكبت عليه فقال : كيف أنت يا بني ؟ قال : فجلس الربيع**) بعد أن كان مضطجعاً (**فقال : أرضعته ؟ قالت : لا . قال : ما عليك لو قلت يا ابن أخي فصدقت**) أخرجه ابن أبي الدنيا عن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا محمد ابن عبدالله الأسدي ، حدثنا قيس بن سليم عن جواب التيمي قال : جاءت أخت الربيع فذكره ، وقال أيضاً حدثنا عبد الرحمن بن يونس ، حدثنا يحي بن يمان ، أنبأنا سفيان بن سعيد ، عن أبيه ، عن محارب بن دثار أن امرأة قالت لشتير بن شكل : يا بني قال كذبت لم تلديني أو ما ولدتيني . (**ومن العادة أن يقول يعلم الله فيما لا يعلمه . قال عيسى عليه السلام : إن من أعظم الذنوب عند الله تعالى أن يقول العبد إن الله يعلم لما لا يعلم**) أخرجه ابن أبي الدنيا عن الحسن بن عبد العزيز ، حدثنا عمر بن أبي سلمة ، عن سعيد بن عبد العزيز أن عيسى ابن مريم عليه السلام قال فذكره ، وربما يكذب في حكاية المنام والإثم فيه عظيم .

(**قال رسول الله ﷺ : « أن من أعظم الفرى**) بكسر الفاء وفتح الراء مقصوراً بوزن القرى ويمد أي من أكذب الكذبات الشنيعة جمع فرية بالكسر (**أن يدعى الرجل إلى غير أبيه**) فيقال : ابن فلان وهو ليس بابنه ، (**أو يري**) بضم أوله وكسر ثانيه (**عينه**) بالإفراد (**في المنام ما لم تر**) لأنه جزء من الوحي فالمخبر عنه بما لم يقع كالمخبر عن الله بما لم يلقه إليه . وقال الطيبي : المراد بإراءته عينه وصفها بما ليس فيها ونسب الكذب إلى الكذبات للمبالغة نحو ليل الليل ، (**أو يقول**) بفتح أوله وضم القاف ، ويروى بفتح التاء الفوقية والقاف وتشديد الواو مفتوحة (**ما لم أقل »**) وجمع الثلاثة في حيز لشدة المناسبة بينها وأنها من أفحش أنواع الافتراء ، فالكذب على النبي ﷺ كذب في أصول الدين وهدم لقاعدة من قواعد المسلمين ، والكذب عليه كذب على الله وما ينطق عن الهوى ، والرؤيا جزء من أجزاء النبوة ، والمنام طرف من الوحي ، فإذا كذب فقد كذب في نوع من الوحي . قال العراقي : رواه البخاري من حديث واثلة بن الأسقع ، وله من حديث ابن عمر من أفرى الفرى أن يري عينيه ما لم تر اهـ .

الآفة الخامسة عشرة: الغيبة والنظر فيها طويل:

فلنذكر أولاً مذمة الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة فقال تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه﴾ [الحجرات: ١٢] وقال عليه السلام: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه». والغيبة تتناول العرض وقد جمع الله بينه

قلت: وحديث ابن عمر رواه أيضاً أحمد ولفظ: «إن من أعظم الفرى» وفيه العباس بن الفضل البصري وهو متروك، وقد روي النسائي نحو رواية البخاري، ورواه البيهقي من حديث واثلة، وروي في معناه عن أوس الثقفي مرفوعاً من كذب على نبيه أو على عينيه أو على والديه فإنه لا يريح ريح الجنة رواه ابن جرير والطبراني وابن عدي والخرائطي في مساوىء الأخلاق وهو ثالث حديث له ولا رابع لها. قال ابن عدي: لا أعلم يرويه غير إسماعيل بن عياش.

(**وقال ﷺ: «من كذب في حلمه**) بضم فسكون أي في منامه (**كلف يوم القيامة أن يعقد شعيرة»**) أي ولن يقدر على ذلك لصعوبته. قال ابن العربي: وخص الشعير بذلك لما بينهما من نسبة تلبسه بما لم يشعر به. قال العراقي: رواه البخاري من حديث ابن عباس اهـ.

قلت: ورواه أحمد والترمذي، وابن جرير، والحاكم من حديث علي بلفظ: «**عقد شعيرة**» قال الترمذي: حسن، وقال الحاكم: صحيح وتعقبه ابن القطان بأن فيه عبد الاعلى بن عامر ضعفه أبو زرعة وغيره، وروي من حديث صهيب: «من كذب علي متعمداً كلف يوم القيامة أن يعقد طرفي شعيرة ولن يقدر على ذلك» رواه ابن قانع والحاكم وابن عساكر، وعند أحمد من حديث علي: «من كذب في حلمه متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».

الآفة الخامسة عشر الغيبة:

بكسر الغين (**والنظر فيها طويل، فنذكر أولاً مذمة الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع**) من الآيات والأخبار، (**وقد نص الله تعالى على ذمها في كتابه**) العزيز (**وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة فقال**) سبحانه (**﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾**) أي لا يذكر بعضكم بعضاً بسوء في غيبة (**﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه﴾**) تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفحش وجه مع مبالغات الاستفهام المقدر وإسناد الفعل إلى أحد للتعميم وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة، وتمثيل الاغتياب بآكل اللحم أي لحم الإنسان، وجعل المأكول أخاً وميتاً وتعقيب ذلك بقوله: ﴿فكرهتموه﴾ تقريراً وتحقيقاً لذلك، والمعنى إن صح ذلك أو عرض عليكم هذا قد كرهتموه ولا يمكنكم إنكار كراهته وانتصاب ميتاً على الحال من اللحم أو الأخ قاله البيضاوي.

(**وقال ﷺ: «كل**) مبتدأ (**المسلم**) فيه رد على من زعم أن كلا لا تضاف إلا إلى نكرة

وبين المال والدم. وقال أبو بررة، قال عليه السلام: «لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا تدابروا ولا يغتب بعضكم بعضاً وكونوا عباد الله إخواناً». وعن جابر وأبي سعيد قالا: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا فإن الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله سبحانه عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له

(على المسلم حرام) خبره أي جميع أنواع ما يؤذيه حرام ثم بين ذلك بقوله **(دمه)** أي اراقة دمه بلا حق **(وماله)** أي أخذ ماله بنحو غصب **(وعرضه)** أي هتك عرضه بلا استحقاق، وأدلة تحريم هذه الثلاثة مشهورة معروفة من الدين بالضرورة وجعلها كل المسلم، وحقيقته لشدة اضطراره إليها، فالدم به حياته ومادته المال فهو ماء الحياة والعرض به قيام صورته المعنوية، واقتصر عليها لأن ما سواها فرع عنها وراجع إليها، إذا قامت صورته البدنية والمعنوية فلا حاجة لغيرها وقيامها إنما هو بتلك الثلاثة، ولكون حرمتها هي الأصل والغالب لم يحتج لتقييدها بغير حق، فقوله في رواية إلا بحقها أيضاح وبيان. قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: هذا لفظ ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت قال: حدثنا أحمد بن جميل المروزي، أنبأنا عبدالله بن المبارك، أنبأنا داود بن قيس، حدثني أبو سعيد مولى عبدالله بن عامر بن كريز عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ فساقه هكذا. وأما لفظ مسلم: «بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» ورواه ابن ماجه في الزهد بلفظ: «كل المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه ودمه بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم» وقد أشار المصنف إلى وجه الاستشهاد به في الباب بقوله.

(والغيبة) هي **(تناول العرض)** بما يكره **(وقد جمع الله بينه وبين الدم والمال)** في حيز واحد فصارت حرمته كحرمتها **(وقال أبو هريرة)** رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضاً وكونوا عباد الله إخواناً)** أخرجه ابن أبي الدنيا عن إبراهيم بن المنذر الحزامي، حدثنا سفيان بن حمزة عن كثير بن زيد، عن الوليد بن رباح، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال فذكره. وقال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة وأنس دون قوله: «ولا يغتب بعضكم بعضاً» وقد تقدم في آداب الصحبة اهـ.

قلت: وبدون هذه الزيادة أيضاً رواه ابن أبي شيبة من حديث أبي بكر، وقد تقدم الكلام عليه في آداب الصحبة.

(وعن جابر) بن عبد الله **(وأبي سعيد)** الخدري رضي الله عنهما **(قالا: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا)** أي من إثمه **(إن الرجل قد يزني فيتوب فيتوب الله عليه، وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه»)** وهيهات أن يغفر له. حكي أن رجلاً اغتاب ابن الجلاء فارسل يستحله فأبي وقال: ليس في صحيفتي حسنة أحسن منها، فكيف أمحوها؟ قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت، وابن حبان في الضعفاء، وابن مردويه في التفسير اهـ.

صاحبه». وقال أنس قال رسول الله ﷺ: «مررت ليلة أسري بي على أقوام يخمشون وجوههم بأظافيرهم، فقلت يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في اعراضهم». وقال سليم بن جابر: أتيت النبي عليه الصلاة والسلام فقلت: علمني خيراً انتفع به. فقال: «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تصب من دلوك في إناء المستقي وأن تلقى أخاك ببشر حسن وإن أدبر فلا تغتابنه». وقال البراء: خطبنا

قلت: ورواه ابن أبي الدنيا أيضاً في كتاب ذم الغيبة، وأبو الشيخ الأصبهاني في التوبيخ. ورواه الطبراني عن جابر وحده بلفظ: «الغيبة أشد من الزنا» والباقي سواء وفيه عباد بن كثير وهو متروك. قال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثنا يحيى بن أيوب، حدثنا أسباط عن أبي رجاء الخراساني، عن عباد بن كثير عن الجريري عن أبي بصرة، عن جابر وأبي سعيد قالا: قال رسول الله ﷺ فساقه كسياق المصنف سواء.

(وقال أنس) رضي الله عنه (قال رسول الله ﷺ: «مررت ليلة أسري بي على قوم يخمشون) أي يقطعون (وجوههم بأظافيرهم) جمع الأظفار جمع ظفر، (فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يغتابون الناس) أي كانوا يذكرونهم بما يكرهون، (ويقعون فيأعراضهم) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال: حدثني أبو بكر محمد بن أبي عتاب، حدثنا عبد القدوس أبو المغيرة، عن صفوان بن عمرو، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ فساقه كما للمصنف سواء.

وقال أيضاً حدثنا حسين بن مهدي، حدثنا عبد القدوس أبو المغيرة، حدثنا صفوان بن عمرو السكسكي، حدثني راشد بن سعد، وعبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أنس بن مالك قال: قال رسول ﷺ: «لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم» وقد أخرجه أيضاً في كتاب ذم الغيبة باللفظ الأول. وقال العراقي: رواه أبو داود مسند ومرسلا والمسند أصح.

(وقال سليم بن جابر) أبو جري الهجيمي، وقيل: سليم بن جابر صحابي مشهور كان ينزل البدو وتقدم ذكره قريباً: (أتيت رسول الله ﷺ فقلت: علمني خيراً ينفعني الله به. قال: «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تصب من دلوك في إناء المستقي وأن تلقي أخاك ببشر حسن) أي بطلاقة وجه وبشاشة (وإذا أدبر فلا تغتابه») أي إذا ولى بظهره فلا تذكره بما يكره. كذا في النسخ، وفي بعضها: «فلا تغتابنه». رواه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال: حدثنا أبو خيثمة، حدثنا يزيد بن هارون، عن زياد بن أبي زياد، عن محمد بن سيرين قال: قال سليم بن جابر: أتيت رسول الله ﷺ فساقه. وقال العراقي: رواه أحمد في المسند وابن أبي الدنيا في الصمت، واللفظ له. ولم يقل فيه أحمد الجملة الأخيرة، وفي إسنادهما ضعف.

قلت: وكذلك رواه أبو داود والبيهقيوقدتقدم قريباً، وذكر أيضاً في آداب الصحبة وليس

رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق في بيوتهن فقال: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوارتهم فإنه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته». وقيل: أوحى الله إلى موسى عليه السلام من مات

في سند أحمد وابن أبي الدنيا من ينظر إلا زياد بن أبي زياد الجصاص أبو محمد الواسطي بصري الأصل ضعيف.

(وقال البراء) بن عازب رضي الله عنه: (**خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق**) أي ذوات الخدور (**في بيوتها**) وهو كناية عن رفع صوته فيها (**فقال**) من جملة ما خطب: (**«يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن قلبه**) أي لم يخلص إليه (**لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم**) بكشفها وإظهارها (**فإن من تتبع عورة أخيه**) المسلم (**يتتبع الله عورته ومن يتتبع الله عورته يفضحه**) وهو (**في جوف بيته»**) رواه ابن أبي الدنيا عن إبراهيم بن دينار، حدثنا مصعب بن سلام عن حمزة بن حبيب الزيات، عن أبي إسحاق عن البراء قال: خطبنا رسول الله ﷺ فذكره.

قال العراقي: وفيه مصعب بن سلام مختلف فيه.

قلت: مصعب بن سلام بتشديد اللام التميمي الكوفي. قال الذهبي في الضعفاء، قال ابن حبان: هو كثير الغلط لا يحتج به. وقال الحافظ في تهذيب التهذيب: صدوق له أوهام.

ثم قال العراقي: ورواه أبو داود من حديث أبي برزة بإسناد جيد.

قلت: ورواه الترمذي من هذا الطريق بلفظ: «يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا» الحديث وقال: حسن غريب. ورواه ابن حبان من حديث ابن عمر، ورواه الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس، ووجدت بخط الحافظ ابن حجر رواه الإسماعيلي من حديث ابن عوف، وابن قانع في معجمه في ترجمة سعد مولى رسول الله ﷺ اهـ ما وجدته.

وقد روى نحوه الحكيم الترمذي في النوادر عن جبير بن نفير مرسلاً، وقد أشرت إلى ذلك في كتاب آداب الصحبة.

وأما حديث أبي برزة، فقد أخرجه أيضاً أبو بكر بن أبي الدنيا في الصمت إلا أنه فيه رجل مجهول فقال: حدثنا عبد الرحمن بن صالح، حدثنا حفص بن غياث، عن الأعمش، عن رجل من أهل البصرة عن أبي برزة قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «لا تتبعوا عثرات المسلمين فإنه من يتتبع عثرات المسلمين يتتبع الله عثرته حتى يفضحه في جوف بيته».

وأخرجه أيضاً من طريق آخر فقال: حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني، وأحمد بن عمران الأخنسي قال: حدثنا أبو بكربن عياش، عن الأعمش، عن سعيد بن عبد الله بن جريج، عن أبي

تائباً من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة، ومن مات مصراً عليها فهو أول من يدخل النار. وقال أنس: أمر رسول الله ﷺ الناس بصوم يوم فقال: «لا يفطرن أحد حتى آذن له» فصام الناس حتى إذا أمسوا جعل الرجل يجيء فيقول: يا رسول الله ظللت صائماً فائذن لي لأفطر فيأذن له، والرجل يجيء حتى جاء رجل فقال: يا رسول الله فتاتان من أهلك ظلتا صائمتين وأنهما يستحيان أن يأتياك فائذن لهما أن يفطرا فأعرض عنه ﷺ ثم عاوده فأعرض عنه ثم عاوده فقال: «إنهما لم يصوما وكيف يصوم من ظل نهاره يأكل لحم الناس إذهب فمرهما إن كانتا صائمتين أن تستقيئا» فرجع إليهما فأخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره فقال: «والذي نفسي بيده لو بقيتا في بطونهما لأكلتهما النار». وفي رواية: أنه لما أعرض عنه جاء بعد ذلك وقال: يا رسول الله: والله إنهما قد ماتتا أو كادتا أن تموتا فقال ﷺ:

برزة قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تتبعوا عورات المسلمين ولا عثراتهم» فساقه نحوه.

(وأوحى الله تعالى إلى موسى) عليه السلام: يا موسى **(من مات تائباً من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة، ومن مات مصراً عليها فهو أول من يدخل النار. وقال أنس)** بن مالك رضي الله عنه: **(أمر رسول الله ﷺ الناس بصوم يوم)** من أيام السنة **(وقال: «لا يفطرنّ أحد حتى آذن له» فصام الناس حتى إذا أمسوا جعل الرجل يجيء فيقول: يا رسول الله ظللت صائماً فائذن لي لأفطر فيأذن له)** فيفطر، **(والرجل والرجل)** يجيء فيستأذن فيأذن له **(حتى جاء رجل فقال: يا رسول الله فتاتان من أهلك)** يعني من قريش **(ظلتا صائمتين وإنهما يستحييان، أن يأتياك فائذن لهما فلتفطرا فأعرض عنه)** بوجهه **(وعاوده)** في الإذن **(فقال: إنهما لم يصوما)** أي في حكم من لم يصم **(وكيف صام من ظل هذا اليوم يأكل لحوم الناس اذهب فمرهما إن كانتا صائمتين أن تستقيئا»)** أي تطلبان إفراغ ما في بطونهما **(فرجع)** الرجل **(إليهما فاخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم)** أي قطعة من دم غليظ متجمد، **(فرجع إلى النبي ﷺ فاخبره)** ما رأى **(فقال: «والذي نفس محمد بيده لو بقيتا)** أي العلقتان **(في بطونهما لأكلتهما النار»)** أخرجه ابن أبي الدنيا عن علي بن الجعد، أنبأنا الربيع بن صبيح، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك قال: أمر النبي ﷺ فذكره. قال العراقي: رواه ابن مردويه في التفسير من هذا الوجه، ويزيد الرقاشي ضعيف.

قلت: وكذلك رواه البيهقي من هذا الوجه، ويزيد بن أبان الرقاشي أبو عمرو البصري القاص زاهد ضعيف، روى له البخاري في الأدب المفرد والترمذي وابن ماجه.

(وفي رواية) أخرى **(أنه)** ﷺ **(لما اعرض عنه جاءه بعد ذلك وقال: يا رسول الله**

« ائتوني بهما فجاءتا فدعا رسول الله ﷺ بقدح فقال لاحداهما قيئي فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح ، وقال للأخرى قيئي فقاءت كذلك فقال : إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما ، جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس » . وقال أنس : خطبنا رسول الله ﷺ فذكر الربا وعظم شأنه فقال : « إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وأربى الربا عرض الرجل المسلم » وقال جابر : كنا مع رسول الله ﷺ في

انهما والله قد ماتتا أو كادتا أن تموتا . فقال النبي ﷺ « ائتوني بهما » فجاءتاه فدعا رسول الله ﷺ بعس أو) قال (**قدح**) شك من الراوي (**فقال لأحداهما « قيئي » فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح، وقال للأخرى « قيئي » فقاءت كذلك**) أي قيحاً ودماً وصديداً (**فقال**) ﷺ (**« إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما**) وهو الطعام والشراب (**وأفطرتا على ما حرم الله عليهما**) ثم بين ذلك بقوله : (**جلست احداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس »**) أخرجه ابن أبي الدنيا عن عبد الله بن أبي بدر ، أنبأنا يزيد بن هارون ، أنبأنا سليمان التيمي قال: سمعت رجلاً يحدث في مجلس أبي عثمان النهدي ، عن عبيد مولى رسول الله ﷺ : أن امرأتين من الانصار صامتا على عهد رسول الله ﷺ فجلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس، فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن ههنا امرأتين صامتا وقد كادتا أن تموتا من العطش، فأعرض عنه النبي ﷺ فسكت قال: ثم جاءه بعد ذلك أحسبه قال في الظهيرة، فقال: يا رسول الله إنهما والله لقد ماتتا أو كادتا أن تموتا فساقه كسياق المصنف. قال العراقي : رواه كذلك أحمد من حديث عبيد وفيه رجل لم يسم ، ورواه أبو يعلى في مسنده فاسقط فيه ذكر الرجل.

قلت : ورواه أيضاً ابن مردويه في التفسير وفيه رجل لم يسم ، وقد تقدم ذكر هذه الرواية في كتاب آداب الصحبة ، والتعريف بحال راويه عبيد مولى رسول الله ﷺ .

(**وقال أنس**) بن مالك رضي الله عنه : (**خطبنا رسول الله ﷺ فذكر الربا وعظم شأنه فقال « إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل »**) قال الطيبي : إنما كان الربا أشد من الزنا لأن فاعله حاول محاربة الشارع بفعله بعقله . قال تعالى ﴿ فائذنوا بحرب من الله ورسوله ﴾ [البقرة: ٢٧٩] أي بحرب عظيم فتحريمه محض تعبد . وأما قبح الزنا فظاهر عقلاً وشرعاً وله روادع وزواجر سوى الشرع ، فآكل الربا يهتك حرمة الله ، والزاني يخرق جلباب الحياء فريحه تهب حيناً ثم تسكن ، ولواؤه يخفق برهة ثم يقر ، (**وأربى الربا عرض الرجل المسلم**) أي الاستطالة فيه بأن يتناول منه أكثر مما يستحقه على ما قيل له ، وأكثر مما رخص له فيه ، ولذلك مثله بالربا وعده من عداده ثم فضله على جميع افراده ، لأنه أكثر مضرة وأشد فساداً ، فإن العرض شرعاً وعقلاً أعز على النفس من المال وأعظم منه

مسير فأتى على قبرين يعذب صاحباهما فقال: «أنهما يعذبان وما يعذبان في كبير. أما أحدهما فكان يغتاب الناس، وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله فدعا بجريدة رطبة أو جريدتين فكسرهما ثم أمر بكل كسرة فغرست على قبر وقال: أما أنه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين أو ما لم ييبسا». ولما رجم رسول الله ﷺ ماعزاً في الزنا قال رجل

خطراً، ولذلك أوجب الشارع بالمجاهرة بهتك الأعراض ما لم يوجب بنهب الأموال. أخرجه ابن أبي الدنيا عن محمد بن علي بن شقيق قال: سمعت أبي حدثنا أبو مجاهد عن ثابت البناني عن أنس ابن مالك قال: خطبنا رسول الله ﷺ فذكره. قال العراقي: سنده ضعيف.

قلت: ليس فيه من وصف بالضعف، وأبو مجاهد سعد الطائي ذكره ابن حبان في الثقات وقال أحد: إنه لا بأس به ونسبه فتال سعد بن عبيد الطائي الكوفي: روى له البخاري، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وعلي بن شقيق وابنه محمد ما رأيت أحداً وصفهما بضعف ولا غيره. وقال الكمال الدميري: كما وجد بخطه هذا الحديث رويناه في مسند أحمد، وروى ابن عساكر من حديث ابن عباس «من أكل درهماً ربا فهو مثل ثلاث وثلاثين زنية».

(وقال جابر) بن عبد الله رضي الله عنه: **(كنا مع رسول الله ﷺ في مسير)** أي سفر نسير معه فيه **(فأتى على قبرين يعذب صاحباهما فقال «ألا أنهما لا يعذبان في كبيرة)** أي في خصلة ثقيلة عليهما **(أما أحدهما فكان يغتاب الناس وأما الآخر فكان لا يستنزه)** أي لا يتباعد **(من بوله ودعا بجريدة رطبة أو جريدتين)** شك من الرواي **(فكسرهما ثم أمر بكل كسر فغرس على قبر، فقال ﷺ: أما أنه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين أو)** قال **(ما لم تيبسا »)** شك من الراوي أخرجه ابن أبي الدنيا عن محمد بن علي، حدثنا النضر بن شميل، أنبأنا أبو العوام واسمه عبد العزيز بن ربيع الباهلي، حدثنا أبو الزبير واسمه محمد عن جابر بن عبد الله قال: كنا مع النبي ﷺ في مسير فساقه إلا أنه قال: لا يعذبان في كبير. وفيه: «وأما الآخر فكان لا يتأذى من بوله» وفيه: ثم أمر بكل كسرة فغرست على قبر، والباقي سواء.

قال العراقي: ورواه أبو العباس الدغولي في كتاب الآداب بإسناد جيد، وهو في الصحيحين من حديث ابن عباس إلا أنه ذكر فيه بدل الغيبة النميمة، وللطيالسي فيه «أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس» ولأحمد والطبراني من حديث أبي بكرة نحوه بإسناد جيد اهـ.

قلت: وأخرجه البخاري في الأدب المفرد من حديث جابر أيضاً وفيه «أنهما لا يعذبان في كبير وبلى أما أحدهما وفيه ما كانتا رطبتين» ولم يشك. وفي بعض ألفاظ هذا الحديث. وأما الآخر «فكان لا يستتر من البول» وفي أخرى «لا يستنزه» وفي أخرى «لا يستبرئ» فهي خمس روايات مع رواية المصنف، ورواية ابن أبي الدنيا.

(ولما رجم رسول الله ﷺ الرجل في الزنا) وهو ماعز بن مالك الاسلمي **(قال رجل**

لصاحبه: هذا أقعص كما يقعص الكلب فمرّ ﷺ وهما معه بجيفة فقال: انهشا منها». فقالا يا رسول الله: ننهش جيفة؟ فقال: «ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه». وكان الصحابة رضي الله عنهم يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند الغيبة ويرون ذلك أفضل الأعمال ويرون خلافه عادة المنافقين. وقال أبو هريرة من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة وقيل له: كله ميتاً كما أكلته حياً، فيأكله فيضج ويكلح. وروي مرفوعاً كذلك وروي أن رجلين كانا قاعدين عند باب من أبواب المسجد فمر بهما

لصاحبه: هذا أقعص كما يقعص الكلب) القعص الموت الوحي وقعصة كمنعه قتله مكانه كاقعصه وانقعص مات، **(فمرَّ النبي ﷺ وهما معه بجيفة)** أي ميتة حيوان **(فقال)** لهما **(«انهشا منها»)** والنهش الأكل بمقدم الفم **(فقالا: يا رسول الله ننهش جيفة؟ فقال «ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه»)** قال العراقي: رواه أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة بإسناد جيد اهـ.

قلت: وأخرجه أيضاً عبد الرزاق في المصنف، والبخاري في الأدب المفرد، وأبو يعلى، وابن المنذر. والبيهقي في الشعب بسند صحيح ولفظهم «إن ماعزاً لما رجم سمع النبي ﷺ رجلين أحدهما يقول لصاحبه: ألم تر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب، فسار النبي ﷺ ثم مرَّ بجيفة حمار فقال: أين فلان وفلان فكلا من جيفة هذا الحمار؟ فقالا: وهل يؤكل هذا؟ قال: فأكلتما من أخيكما آنفاً أشد أكلاًمنه، والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها».

(وكان الصحابة رضي الله عنهم يتلاقون) مع بعضهم **(بالبشر)** والطلاقة **(ولا يغتابون)** أحداً منهم **(عند الغيبة ويرون ذلك أفضل الأعمال)** وأعلى الأ[illegible]ال، **(ويرون خلافه عادة المنافقين)** وشيمة المطرودين، **(وقال أبو هريرة)** رضي الله عنه: **(من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة، فقيل: كله ميتاً كما أكلته حياً فيأكله ويضج)** أي يصيح ويتململ **(ويكلح)** أي يعبس وجهه. رواه ابن أبي الدنيا هكذا موقوفاً عن يحيى بن يوسف الرقي، حدثنا محمد بن سلمة الحراني، عن عمه موسى بن يسار، عن أبي هريرة قال: من أكل فذكره. قال العراقي: رواه محمد بن إسحاق هكذا بالعنعنة.

(وروي مرفوعاً كذلك) إلى رسول الله ﷺ. قال العراقي: رواه ابن مردويه في التفسير اهـ.

قلت: وكذلك أبو يعلى وابن المنذر وعندهم: فإنه ليأكله ويكلح ويضج.

(وروي أن رجلين كانا قاعدين عند باب من أبواب المسجد) الحرام، **(فمرَّ بهما رجل**

رجل كان مخنثاً فترك ذلك فقالا : لقد بقي فيه منه شيء وأقيمت الصلاة فدخلا فصليا مع الناس فحاك في أنفسهما ما قالا فأتيا عطاء فسألاه فأمرهما أن يعيدا الوضوء والصلاة ، وأمرهما أن يقضيا الصيام إن كانا صائمين. وعن مجاهد أنه قال في ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ [الهمزة : ١] الهمزة الطعان في الناس واللمزة الذي يأكل لحوم الناس. وقال قتادة ذكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة أثلاث : ثلث من الغيبة ، وثلث من النميمة ، وثلث من البول. وقال الحسن : والله للغيبة أسرع في دين الرجل المؤمن من الأكلة في الجسد. وقال بعضهم : أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ، ولكن في الكف عن أعراض الناس. وقال ابن عباس إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر

كان مخنثاً) أي كان يتشبه بالنساء **(فترك ذلك فقالا : لقد بقي فيه منه شيء فأقيمت الصلاة فدخلا فصليا مع الناس فجال في أنفسهما)** أي حدثت نفوسهما **(مما قالا فأتيا عطاء)** بن أبي رباح مفتي مكة **(فسألاه : فأمرهما أن يعيدا الوضوء والصلاة وإن كان صائمين أن يقضيا صيام ذلك اليوم)** رواه ابن أبي الدنيا عن إسحاق بن إبراهيم ، أنبأنا سعيد بن عامر عن الربيع بن صبيح أن رجلين فذكره.

(وعن مجاهد) بن جبر المكي التابعي الثقة **(قال)** في قوله تعالى **(﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ الهمزة الطعان في الناس)** أي في أعراضهم ، **(واللمزة الذي يأكل لحوم الناس)** رواه ابن أبي الدنيا عن أحمد بن جميل ، أنبأنا ابن المبارك ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد. وروي بهذا السند أيضاً عن ابن المبارك ، عن أبي مودود ، عن يزيد مولى قيس الحذاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾ [الحجرات : ١١] قال : لا يطعن بعضكم على بعض.

(وقال قتادة) بن دعامة السدوسي ، أبو الخطاب البصري : **(ذكرنا لنا أن عذاب القبر ثلاثة أثلاث : ثلث من الغيبة ، وثلث من البول ، وثلث من النميمة)** رواه ابن أبي الدنيا عن أحمد بن منيع ، حدثنا ابن علية ، حدثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة قال : ذكر لنا فساقه.

(وقال الحسن البصري) رحمه الله تعالى : **(للغيبة أسرع في دين المؤمن من الأكلة في الجسد)** رواه ابن أبي الدنيا عن محمد بن أبي حاتم الأزدي ، حدثنا داود بن المحبر ، حدثنا الربيع ابن صبيح قال : سمعت الحسن يقول : والله للغيبة فذكره.

(وقال بعضهم : أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن اعراض الناس) رواه ابن أبي الدنيا عن عيسى بن عبد الله التميمي قال : بلغني عن عتاب بن بشير عن خصاف وخصيف وعبد الكريم بن مالك قالوا : أدركنا السلف فذكره.

(وقال ابن عباس) رضي الله عنه **(إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر**

عيوبك. وقال أبو هريرة: يبصر أحدكم القذى في عين أخيه ولا يبصر الجذع في عين نفسه. وكان الحسن يقول: ابن آدم إنك لن تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك، وأحب العباد إلى الله من كان هكذا. وقال مالك بن دينار: مرّ عيسى عليه السلام ومعه الحواريون بجيفة كلب، فقال الحواريون: ما أنتن ريح هذا الكلب؟ فقال: عليه الصلاة والسلام ما أشد بياض أسنانه كأنه ﷺ نهاهم عن غيبة الكلب، ونبههم على أنه لا يذكر من شيء من خلق الله إلا أحسنه. وسمع علي بن الحسين

عيوبك) رواه ابن أبي الدنيا عن أحمد بن جميل، أنبأنا عبد الله بن المبارك، عن إسرائيل، عن أبي يحيى عن مجاهد، عن ابن عباس قال: إذا أردت فذكره.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(يبصر أحدهم القذى في عين أخيه ولا يبصر الجذل في عينه)** رواه ابن أبي الدنيا عن عبد الله بن أبي در، أنبأنا كثير بن هشام، عن جعفر بن برقان، عن يزيد بن الأصم قال: سمعت أبا هريرة قال: يبصر أحدكم القذى في عين أخيه وينسى الجذل في عينه. وروى ذلك أيضاً من قول الحسن. قال ابن أبي الدنيا: حدثنا أحمد بن جميل، أنبأنا ابن المبارك، أنبأنا جعفر بن حيان، عن الحسن قال ابن آدم: تبصر القذى في عين أخيك وتدع الجذل معترضاً في عينك، وقد رواه ابن المبارك أيضاً، وكذا العسكري في الأمثال من حديث أبي هريرة مرفوعاً «وينسى الجذع» أو قال «الجذل في عينه» وقد تقدم في كتاب آداب الصحبة.

(وكان الحسن) البصري رحمه الله تعالى **(يقول: ابن آدم إنك لن تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك، وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك، فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك وأحب العباد إلى الله من كان هكذا)** رواه ابن أبي الدنيا عن نصر بن طرخان، حدثنا عمران بن خالد الخزاعي قال: كان الحسن يقول: يا ابن آدم إنك لن تصيب فذكره.

(وقال مالك بن دينار) رحمه الله تعالى **(مرَّ عيسى ابن مريم)** عليه السلام **(والحواريون)** معه **(على جيفة كلب فقال الحواريون: ما أنتن ريح هذا؟ فقال عيسى)** عليه السلام: **(ما أشد بياض أسنانه كأنه نهاهم عن الغيبة ونبههم على أنه لا يذكر من شيء من خلق الله إلا أحسنه)** رواه ابن أبي الدنا عن محمد بن عثمان العقيلي، حدثنا ابن عون صاحب القرب، عن مالك ابن دينار قال: مرَّ عيسى ابن مريم عليه السلام فذكره. ورواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثني سويد بن سعيد، حدثنا الحكم بن عون، عن مالك بن دينار قال: مرَّ عيسى عليه السلام مع الحواريين على جيفة كلب فساقه وقال في آخره، يعظم ينهاهم عن الغيبة.

رضي الله عنهما رجلاً يغتاب آخر فقال له: إياك والغيبة فإنها آدام كلاب الناس. وقال عمر رضي الله عنه: عليكم بذكر الله تعالى فإنه شفاء وإياكم وذكر الناس فإنه داء نسأل الله حسن التوفيق لطاعته.

(**وسمع علي بن الحسين**) بن علي بن أبي طالب رحمه الله تعالى (**رجلاً يغتاب آخر فقال: إياك والغيبة فإنها ادام كلاب الناس**) رواه ابن أبي الدنيا عن الحسين بن عبد الرحمن قال: سمع علي بن الحسين رجلاً فذكره. قال: وحدثني الحسين بن عبد الرحمن قال: سمع المهلب بن أبي صفرة رجلاً يغتاب رجلاً فقال: اكفف فوالله لا ينقى فوك من سهكها. قال: وحدثنا حسين قال: سمع قتيبة بن مسلم رجلاً يغتاب رجلاً قال: أما والله لقد تلمظت بمضغة طالما لفظتها الكرام.

(**وقال عمر رضي الله عنه عليكم بذكر الله فإنه شفاء، وإياكم وذكر الناس فإنه داء**) رواه ابن أبي الدنيا عن العباس العنبري، حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا محرز وهو أبو رجاء الشامي، عن عمر بن عبد الله، عن عمران بن عبد الرحمن قال: قال عمر بن الخطاب عليكم بذكر الله فساقه. وروي أيضاً عن خالد بن مرداس، حدثنا أبو عقيل، عن حفص بن عثمان قال: كان عمر ابن الخطاب يقول: لا تشغلوا أنفسكم بذكر الناس فإنه بلاء وعليكم بذكر الله فإنه رحمة. وقد روي ذلك أيضاً من قول سلمان. قال ابن أبي الدنيا: حدثني أبو محمد الأزدي حدثنا علي بن يزيد عن صالح المري قال: كتب سلمان إلى أبي الدرداء اما بعد: فإني أوصيك بذكر الله فإنه دواء وأنهاك عن ذكر الناس فإنه داء.

وقد بقيت أخبار وآثار أحببت ايرادها في هذا الباب هي على شريطة المصنف. قال السدي: كان سلمان رضي الله عنه مع رجلين في سفر يخدمهما وينال من طعامهما، وان سلمان قام يوماً فطلبه صاحباه فلم يجداه فضربا الخباء قالا: ما يريد سلمان شيئاً غير هذا أن يجيء إلى طعام معدود وخباء مضروب، فلما جاء سلمان أرسلاه إلى رسول الله ﷺ يطلب لهما أداماً، فانطلق فأتاه فقال: يا رسول الله بعثني أصحابي لتؤدمهم إن كان عندك. قال « ما يصنع أصحابك بالأدم قد ائتدموا » فرجع سلمان فأخبرهم فانطلقا فأتيا رسول الله ﷺ فقالا: والذي بعثك بالحق ما أصبنا طعاماً منذ نزلنا. قال: « إنكما قد ائتدمتما سلمان بقولكما فنزلت ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً﴾ » [الحجرات: ١٢] أخرجه ابن ابي حاتم. وقال ابن جريج: زعموا أنها نزلت في سلمان أكل ثم رقد فنفخ فذكر رجلان أكله وقاده فنزلت أخرجه ابن المنذر. وقال مقاتل: نزلت في رجل كان يخدم النبي ﷺ أرسل بعض الصحابة إليه يطلب منه أداماً فمنع فقالوا له: إنه بخيل وخيم، فنزلت في ذلك. أخرجه ابن أبي حاتم.

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « المؤمن حرام على المؤمن لحمه عليه حرام أن يلطمه » أخرجه ابن مردويه.

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه مرَّ على بغل ميت وهو في نفر من أصحابه فقال: والله

لأن يأكل أحدكم من هذا حتى يملأ بطنه خير له من أن يأكل لحم رجل مسلم. أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وابن أبي شيبة، وأحمد في الزهد، وابن أبي الدنيا في الصمت والخرائطي في مساويء الأخلاق.

وعن جابر رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فارتفعت لنا ريح منتنة فقال «أتدرون ما هذه الريح هذه ريح الذين يغتابون الناس» أخرجه أحمد وابن أبي الدنيا في الصمت.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لا يتوضأ أحدكم من الكلمة الخبيثة يقولها لأخيه ويتوضأ من الطعام الحلال. أخرجه البيهقي. وقال إبراهيم: الوضوء من الحدث وأذى المسلم كذا أخرجه البيهقي.

وعن عائشة وابن عباس رضي الله عنهما قالا: الحدث حدثان حدث من فيك وحدث من نومك. وحدث الفم أشد الكذب والغيبة. أخرجه البيهقي.

وعن عباس رضي الله عنهما: إن رجلين صليا صلاة الظهر والعصر وكانا صائمين فلما قضى النبي ﷺ الصلاة قال «أعيدا وضوءكما وصلاتكما وامضيا في صومكما واقضيا يوماً آخر مكانه» قالا: لم يا رسول الله؟ قال «قد اغتبتما فلاناً» أخرجه الخرائطي في مساويء الأخلاق، والبيهقي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال «الربا سبعون حوباً أيسرها كنكاح الرجل أمه وأربى الربا عرض الرجل المسلم» رواه ابن ماجه وابن أبي الدنيا.

وقال عبيدة السلماني: اتقوا المفطرين الغيبة والكذب. رواه ابن أبي الدنيا.

وقال خالد الربعي: دخلت المسجد فجلست إلى قوم فذكروا رجلاً فنهيتهم عنه فكفوا ثم جرى بهم الحديث حتى عادوا في ذكره، فدخلت معهم في شيء من أمره، فلما كان الليل رأيت في المنام كان شيئاً أسود طويلاً يشبه الرجل إلا أنه طويل جداً معه طبق خلاف أبيض عليه لحم خنزير فقال: كُل. فقلت: آكل حلم خنزير، والله لا آكله، فأخذ بقفاي وقال لي: كُل وانتهرني انتهارة شديدة ودسه في فمي، فجعلت ألوكه ولا أسيغه، وأفرق أن ألقيه واستيقظت قال: فبمحلوفه لقد مكثت ثلاثين يوماً وثلاثين ليلة ما آكل طعاماً إلا وجدت طعم ذلك اللحم في فمي. أخرجه ابن أبي الدنيا قال: وسمعت ابا يحيى بن أيوب يذكر عن نفسه أنه رأى في المنام صنع به نحو هذا، وأنه وجد طعم الدسم على شفتيه أياماً، وذلك أنه كان يجالس رجلاً يغتاب الناس.

وعن وهب بن منبه أن ذا القرنين قال لبعض الأمم: ما بال كلمتكم واحدة وطريقتكم مستقيمة؟ قالوا: إنا لا نتخادع ولا يغتب بعضنا بعضاً. رواه ابن أبي الدنيا.

وعن عكرمة رفعه أنه ﷺ لحق قوماً فقال لهم «تخللوا» فقال القوم: يا نبي الله والله ما طعمنا اليوم طعاماً. فقال «والله إني لأرى لحم فلان بين ثناياكم» وكانوا قد اغتابوه. رواه عبد بن حميد.

وقال كعب الأحبار: الغيبة تحبط العمل. رواه ابن أبي الدنيا.

بيان معنى الغيبة وحدودها :

اعلم أن حد الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرته بنقص في بدنه أو نسبه أو في خلقه أو في فعله أو في قوله أو في دينه أو في دنياه حتى في ثوبه وداره ودابته .

أما البدن ، فكذكرك العمش والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور أن يوصف به مما يكرهه كيفما كان .

وأما النسب ؛ فبأن تقول أبوه نبطي أو هندي أو فاسق أو خسيس أو إسكاف أو زبال أو شيء مما يكرهه كيفما كان .

وعن شفي بن قانع الأصبحي أن النبي ﷺ قال « أربعة يؤذون أهل النار على مابهم من الأذى يسعون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور يقول بعض أهل النار لبعض : ما بال هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الأذى ؟ قال : فرجل معلق عليه تابوت من جمر ، ورجل يجر أمعاءه ، ورجل يسيل فوه قيحاً ودماً ، ورجل يأكل لحمه . فيقال للذي يأكل لحمه : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ فيقول : إن الأبعد كان يأكل لحوم الناس بالغيبة ويمشي بالنميمة » . رواه ابن أبي الدنيا .

وقال عون بن عبد الله : ما أحسب أحداً تفرغ لعيب الناس إلا من غفلة غفلها عن نفسه رواه ابن أبي الدنيا .

وقال بكر بن عبد الله المزني : إذا رأيتم الرجل موكلاً بعيوب الناس ناسياً لعيبه فاعلموا أنه قد مكر به . رواه ابن أبي الدنيا .

بيان معنى الغيبة وحدّها :

(**اعلم أن حدّ الغيبة**) على ما ذكره العلماء (**أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه**) وسواء بلغه أو لم يبلغه وأحسن تعاريفها ذكر العيب بظهر الغيب (**سواء ذكرت**) مما يكرهه (**نقصاناً في بدنه أو في نسبه أو في خلقه**) بالضم ، (**أو في فعله أو في قوله أو في دينه أو في دنياه حتى في ثوبه**) الذي يلبسه (**وفي داره**) التي يسكنها (**ودابته**) التي يركبها .

(**أما البدن ؛ فكذكرك العمش**) محركة سوء البصر ، (**والحول**) محركة انقلاب الحدقة الى الموق ، (**والقرع**) محركة انحسار الشعر عن الرأس من مرض ، (**والقصر والطول**) كلاهما في القامة ، (**والسوداء والصفراء**) كلاهما من اللون ، (**وجميع ما يتصور أن يوصف به مما يكرهه**) .

(**وأما النسب ؛ فأن يقول : أبوه نبطي**) محركة أي ممن يخدم الأرض بالحراثة ، وفي معنى ذلك سوادي أوأكارأوفلاح (**أو هندي**) هذا إذا كان يكره الاعتزاء إلى أحد هذين ، وأما قول

وأما الخلق: فبأن تقول هو سيء الخلق بخيل متكبر مراء شديد الغضب جبان عاجز ضعيف القلب متهور وما يجري مجراه.

وأما في أفعاله المتعلقة بالدين فكقولك هو سارق أو كذاب أو شارب خمر أو خائن أو ظالم أو متهاون بالصلاة أو الزكاة، أو لا يحسن الركوع أو السجود أو لا يحترز من النجاسات أو ليس باراً بوالديه أو لا يضع الزكاة موضعها أو لا يحسن قسمتها أو لا يحرس صومه عن الرفث والغيبة والتعرض لأعراض الناس.

وأما فعله المتعلق بالدنيا فكقولك: إنه قليل الأدب متهاون بالناس أو لا يرى لأحد على نفسه حقاً أو يرى لنفسه الحق على الناس أو أنه كثير الكلام كثير الأكل نؤوم ينام في غير وقت النوم ويجلس في غير موضعه.

علي رضي الله عنه لما سأله سائل عن نسبه فقال: نحن قوم من نبط كوثى يشير به إلى أن جده سيدنا إبراهيم عليه السلام ولد بكوثى وهي قرية من سواد العراق، فهو لأجل الإرشاد إلى عدم الافتخار بالانساب، (**أو فاسق أو خسيس**) ويعني بها من يرتكب مذام الأخلاق، (**أو اسكاف**) وهو الذي يخرز النعال والجلود، (**أو زبّال**) وهو الذي يكنس زبالات البيوت، (**أو شيء مما يكرهه كيفما كان**) فالمناط هو الكراهة، وأما من يعتاد شيئاً من ذلك فخراً له فلا يكون إطلاق اللسان مثله على اللسان غيبة له.

(**وأما الخلق فأن يقول إنه سيء الخلق**) إما في المعاملة أو في المحاورة، (**بخيل**) بماله، (**متكبر**) على أخوانه (**أبي**) أي ممتنع لا يوافق في كثير من الأمور (**شديد الغضب**) في أحواله (**جبان**) بارد الهمة (**عاجز**) في كثير من أموره (**ضعيف القلب**) لا جرأة له (**متهوّر**) أي مفرط في الشجاعة حتى يرمي نفسه في النار، (**وما يجري مجراه**).

(**وأما في أفعاله المتعلقة بالدين فكقولك سارق**) أو لص أو نوري أو حرامي أو مختلس، (**أو كذاب أو شارب سكر أو خائن**) الأمانة، (**أو ظالم**) غشوم، (**أو متهاون بالصلاة**) وبالطهارة، (**أو بالزكاة**) فيؤخر الصلاة عن وقتها ويشتغل بغيرها ولا يعطي زكاة ماله أو يقول: هو (**لا يحسن الركوع والسجود**) في صلاته، (**أو لا يحترز عن النجاسات أو ليس باراً بوالديه**) أو باحدهما، (**أو لا يضع الزكاة في مواضعها، أو لا يحسن قسمتها، أو لا يحرس صومه من الرفث**) وهو الكلام القبيح، (**والغيبة والتعرض لأعراض الناس**) بالاستطالة فيها.

(**وأما فعله المتعلق بالدنيا فكقولك: إنه قليل الأدب يتهاون بالناس**) ويسخر بهم (**ولا يرى لأحد حقاً على نفسه ويرى لنفسه حقاً**) عليهم، (**أو أنه كثير الكلام كثير الأكل أو أنه نؤوم**) أي كثير النوم، (**وينام في غير وقته ويجلس في غير موضعه**).

وأما في ثوبه فكقولك: إنه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب.

وقال قوم لا غيبة في الدين لأنه ذم ما ذمه الله تعالى فذكره بالمعاصي وذمه بها يجوز بدليل ما روي أن رسول الله ﷺ ذكرت له امرأة وكثرة صلاحها وصومها ولكنها تؤذي جيرانها بلسانها فقال: « هي في النار » وذكرت عنده امرأة أخرى بأنها بخيلة فقال: « فما خيرها إذاً ». وهذا فاسد لأنهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم إلى تعرف الأحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقص ولا يحتاج إليه في غير مجلس الرسول ﷺ، والدليل عليه إجماع الأمة على أن من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب لأنه داخل فيما ذكره رسول الله ﷺ في حد الغيبة.

وكل هذا وإن كان صادقاً فيه فهو به مغتاب عاص لربه وآكل لحم أخيه بدليل ما روي أن النبي ﷺ قال: « هل تدرون ما الغيبة »؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: « ذكرك أخاك بما يكرهه ». قال أرأيت إن كان في أخي ما أقوله. قال: « إن كان فيه

(**وأما في ثوبه فكقولك: إنه واسع الكم**) كأنه الخرج كبير العمامة كالبرج، (**طويل الذيل**) يجره إلى الأرض، (**وسخ الثياب**) دنس الجيب، (**وقد قال قوم: لا غيبة في الدين**) ولو كان المغتاب يكره ذلك (**لأنه ذم ما ذمه الله تعالى فذكره بالمعاصي وذمه بها يجوز**) زجراً له (**بدليل ما روي أنه ذكر لرسول الله ﷺ امرأة وكثرة صومها وصلاتها لكنها تؤذي جيرانها**) وتلسبهم بلسانها (**فقال « هي في النار »**) قال العراقي: رواه ابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة، (**وذكر**) له ﷺ (**امرأة أخرى بأنها بخيلة فقال « فما خيرها إذاً »**)؟ قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي جعفر محمد بن علي مرسلاً، ورويناه في أمالي ابن شمعون هكذا، (**وهذا فاسد لأنهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم إلى تعرف الأحكام**) الشرعية (**بالسؤال**) والبحث، (**ولم يكن غرضهم**) من سياق قول من الأقوال (**التنقص**) ولا الهضم للجانب، (**ولا يحتاج إليه في غير مجلس رسول الله ﷺ**) أقول: وفيه بحث لأن الصحابة كانوا عارفين بأن أذى الجار والبخل من الصفات الذميمة، (**والدليل عليه إجماع الأمة على أن من ذكر غيره**) من ورائه (**بما يكرهه فهو مغتاب**)، وقد يقال: إن هذا عام وقد خص منها أحكام فلا حجة فيه ولا الزام فتأمل (**لأنه داخل فيما ذكره رسول الله ﷺ في حد الغيبة**) كما يذكره بعد هذا.

(**فكل هذا وإن كنت صادقاً فيه فأنت به مغتاب عاص لربك آكل للحم أخيك، بدليل ما روي أن النبي ﷺ قال « هل تدرون ما الغيبة »؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال « ذكرك أخاك**) أي في الإسلام ولو من غير نسب (**بما يكره**) لو بلغه. (**قيل**) يا رسول

ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته ». وقال معاذ بن جبل: ذكر رجل عند رسول الله ﷺ فقالوا: ما أعجزه: فقال ﷺ: « اغتبتم أخاكم » قالوا يا رسول الله قلنا

الله: (**أرأيت ان كان في أخي ما أقول**) أي وجد فيه (**قال « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته »**) قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: ورواه ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا واللفظ له، وأبو داود والترمذي وصححه، وابن جرير، وابن المنذر وابن مردويه.

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا يحيى بن أيوب، حدثنا إسماعيل بن جعفر، أخبرني العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال « هل تدرون » فساق كسياق المصنف. ورواه أبو داود مختصراً فقال: « الغيبة أن تذكر أخاك بما يكره ».

وأخرج عبد بن حميد والخرائطي في مساويء الأخلاق عن المطلب بن حنطب قال: قال رسول الله ﷺ « إن الغيبة أن تذكر المرء بما فيه ». فقيل: إنما كنا نرى أن نذكره بما ليس فيه قال: « ذلك البهتان ».

وأخرج ابن المنذر عن الضحاك قال: « الغيبة أن تذكر أخاك بما يشينه وتعنيه بما فيه فإن أنت كذبت عليه فذلك البهتان ».

وأخرج عبد بن حميد عن عون بن عبد الله قال: « إذا قلت للرجل ما فيه فقد اغتبته وإذا قلت ما ليس فيه فقد بهته ».

وأخرج ابن مردويه، عن أم سلمة رضي الله عنها أنها سئلت عن الغيبة فأخبرت أنها أصبحت يوم الجمعة وغدا رسول الله ﷺ إلى الصلاة، وأتتها جارتان لها من نساء فاغتابتا وضحكتا برجال ونساء فلم تبرحا على حديثهما من الغيبة حتى أقبل النبي ﷺ منصرفاً من الصلاة، فلما سمعتا صوته سكتتا، فلما قام بباب البيت ألقى طرف ردائه ثم قال « أن اخرجا فاستقيئا ثم تطهرا بالماء فخرجت أم سلمة فقاءت لحماً كثيراً قد أصل فلما رأت كثرة اللحم تذكرت أحدث لحم أكلته فوجدته في أولى جمعتين منتناً فسألها مما قاءت فأخبرته فقال ذاك لحمه طلبت تأكلينه فلا تعودي أنت ولا صاحبتك فيما تكلمتما فيه من الغيبة وأخبرتها صاحبتها أنها قاءت مثل الذي قاءت من اللحم ».

وسئل ابن عمر عن الغيبة فقال: « أن تقول بما فيه والبهتان أن تقول بما ليس فيه ». أخرجه ابن أبي الدنيا.

وقال ابن مسعود « الغيبة أن تذكر من أخيك ما تعلم فيه وإذا قلت ما ليس فيه فذلك البهتان » أخرجه أبن أبي الدنيا.

وقال هشام بن حسان « الغيبة أن تقول للرجل ما هو فيه مما يكره ».

(**وقال معاذ بن جبل**) رضي الله عنه: (**ذكر رجل عند رسول الله ﷺ فقالوا: ما**

ما فيه. قال: « إن قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه». وعن حذيفة عن عائشة رضي الله عنها إنها ذكرت عند رسول الله ﷺ امرأة فقالت: إنها قصيرة. فقال ﷺ: « اغتبتيها ». وقال الحسن ذكر الغير ثلاثة: الغيبة والبهتان والإفك وكل في كتاب الله عز وجل، فالغيبة أن تقول ما فيه، والبهتان أن تقول ما ليس فيه. والإفك أن تقول ما بلغك. وذكر ابن سيرين رجلاً فقال: ذاك الرجل الأسود، ثم قال: أستغفر الله إني أراني قد

أعجزه؟ فقال رسول الله ﷺ « اغتبتم صاحبكم » قالوا: يا رسول الله قلنا ما فيه. قال « إن قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه ») قال العراقي: رواه الطبراني بسند ضعيف اهـ.

قلت: ورواه البيهقي كذلك وهو في كتاب الصمت من حديث عبد الله بن عمرو بهذا اللفظ. رواه عن أحمد بن منيع، حدثنا علي بن عاصم، عن المثني بن الصباح، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: ذكر رجل فساقه.

وأخرج ابن جرير من حديث معاذ بلفظ: كنا مع رسول الله ﷺ فذكر القوم رجلاً فقالوا: ما يأكل إلا ما يطعم ولا يرحل إلا ما رحل وما أضعفه. فقال رسول الله ﷺ « اغتبتم أخاكم » قالوا يا رسول الله وغيبة مما يحدث فيه؟ فقال « بحسبكم أن تحدثوا عن أخيكم بما فيه ».

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا قران بن تمام، عن محمد بن أبي حميد، عن موسى بن وردان عن أبي هريرة قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فقال رجل من القوم: يا رسول الله ما أعجز فلاناً: فقال رسول الله ﷺ « أكلتم لحم أخيكم واغتبتموه ». وأخرجه ابن جرير وابن مردويه والبيهقي بلفظ « إن رجلاً قام من عند النبي ﷺ فرؤي في قيامه عجز فقال بعضهم: ما أعجز فلاناً والباقي سواء.

(وعن حذيفة عن عائشة) رضي الله عنها **(أنها ذكرت امرأة فقالت: إنها قصيرة، فقال النبي ﷺ: « اغتبتيها »)** رواه ابن أبي الدنيا عن أبي خيثمة، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان عن علي بن الأقمر، عن حذيفة عن عائشة أنها ذكرت فساقه. قال العراقي: رواه أحمد وأصله عند أبي داود والترمذي وصححه بلفظ آخر، ووقع عند المصنف عن أبي حذيفة كما عند أحمد وأبي داود والترمذي واسم أبي حذيفة سلمة بن صهيب اهـ.

قلت: الذي في النسخ الموجودة عندنا حذيفة عن عائشة ومثله في كتاب الصمت.

وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(ذكر الغير ثلاثة: الغيبة والبهتان والإفك، والكل)** مذكور **(في كتاب الله الغيبة أن تقول ما فيه، والإفك أن تقول ما بلغك، والبهتان أن تقول ما ليس فيه)** ولعل الثاني مأخوذ من القصة المعروفة وتعميمه مستفاد من حديث: « كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع ».

(وذكر) محمد **(بن سيرين)** رحمه الله تعالى **(رجلاً فقال ذلك الرجل الأسود، ثم قال:**

اغتبته وذكر ابن سيرين إبراهيم النخعي فوضع يده على عينه ولم يقل الأعور. وقالت عائشة: لا يغتابن أحدكم فإني قلت لامرأة وأنا عند النبي ﷺ إن هذه لطويلة الذيل، فقال لي: «الفظي الفظي» فلفظت مضغة لحم.

بيان أن الغيبة لا تقتصر على اللسان:

اعلم ان الذكر باللسان إنما حرم لأن فيه تفهيم الغير نقصان أخيك وتعريفه بما

لستغفر الله إني أراني قد اغتبته) رواه ابن أبي الدنيا عن محمد بن منيع، حدثنا محمد بن مسير أبو سعد، حدثنا جرير بن حازم قال ذكر ابن سيرين رجلاً فساقه. وقال أيضاً: حدثني فضل بن إسحاق، حدثنا أبو قتيبة، حدثني جرير بن حازم قال: ذكر محمد بن سيرين رجلاً فقال: ذاك الأسود، ثم قال: أستغفر الله أستغفر الله اغتبته. وأخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق جرير بن حازم.

قال ابن أبي الدنيا: وحدثني فضل، حدثنا أبو قتيبة، عن الربيع، عن محمد بن سيرين قال: إذا قلت لأخيك من خلفه ما فيه ما يكره فهي الغيبة، وإذا قلت ما ليس فيه فهو البهتان، وظلمك لأخيك أن تذكره بأقبح ما تعلم منه وتنسى أحسنه.

(وذكر) ابن سيرين **(إبراهيم النخعي)** وكان أعور، **(فوضع يده على عينه ولم يقل الأعور)** وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا يحي بن أيوب حدثنا مروان بن معاوية عن عمر بن سيف قال: قال الحسن يخشون أن يكون قولنا حميد الطويل غيبة. وقال أيضاً، حدثني فضل بن إسحاق، حدثنا أبو قتيبة قال: سمعت معاوية بن مرة قال: لو قلت للأقطع فلان الأقطع كانت غيبة. قال فذكرت ذلك لأبي إسحاق فقال: صدق.

(وقالت عائشة) رضي الله عنها: **(لا يغتابن منكم أحد أحداً فإني قلت لامرأة مرة وأنا عند النبي ﷺ إن هذه لطويلة الذيل، فقال النبي ﷺ: «الفظي الفظي» فلفظت بضعة من لحم)** رواه ابن أبي الدنيا عن عبيد الله العتكي، حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا الهنيد بن القاسم، سمعت غبطة بنت خالد قالت: سمعت عائشة تقول: لا يغتابن منكن أحد أحداً فساقه. وكذلك أخرجه في كتاب ذم الغيبة، والخرائطي في مساوىء الأخلاق وأبن مردويه والبيهقي في الشعب، وفي لفظ بعضهم: لا يغتب بعضكم بعضاً فإني كنت عند رسول الله ﷺ الحديث. وقال العراقي بعد أن عزاه ابن أبي الدنيا وابن مردويه وفي إسناده لمرأة لا أعرفها يشير إلى غبطة بنت خالد، وفي سنن أبي داود غبطة بنت عمرو وهي غير هذه.

بيان أن الغيبة لا تقتصر على اللسان:

(اعلم أن الذكر باللسان إنما حرم) شرعاً، **(لأن فيه تفهيم الغير نقصان أخيك)** وعيبه **(وتعريفه بما يكرهه)** إما باطناً أو ظاهراً، وقد يكون يكرهه باطناً ولا يظهره من نفسه لموجب

يكرهه، فالتعريض به كالتصريح والفعل فيه كالقول والإشارة والإيماء والغمز والهمزة والكتابة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام. **فمن ذلك قول** عائشة رضي الله عنها: دخلت علينا امرأة فلما ولت أومأت بيدي أنها قصيرة. **فقال** عليه السلام: «اغتبتيها». ومن ذلك المحاكاة كأن يمشي متعارجاً أو كما يمشي **فهو غيبة بل** هو أشد من الغيبة لأن أعظم في التصوير والتفهيم. ولما رأى ﷺ عائشة حاكت امرأة قال: ما يسرني أني حاكيت إنساناً ولي كذا وكذا. وكذلك الغيبة بالكتابة فإن القلم أحد

فهو داخل فيه، (**فالتعريض به**) أي التلويح (**كالتصريح والفعل فيه كالقول والإشارة والإيماء والغمز والرمز والكتابة والحركة، وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام**) فأنواع الغيبة أربعة: أحدها التصريح وهو ظاهر. والثاني: التلويح ويتضمن أربعة أنواع الإشارة والإيماء والرمز والغمز إما بالعين أو بأخذ اليد، والثالث: الكتابة بالقلم أو بالإصبع، والرابع: الحركة وهي المحاكاة. وكل ذلك حرام وتتضمن هذه الأنواع فروعاً كثيرة ولكن هذه الأصول وما عداها يرجع إليها وقد يفصلها المصنف في سياقه.

(**فمن ذلك**) أي من نوع الإشارة (**قول عائشة رضي الله عنه دخلت علينا امرأة**) وعندنا النبي ﷺ، (**فلما ولت**) أي انصرفت مولية بظهرها (**أومأت**) أي أشرت (**بيدي**) وفي رواية بأبهامي (**أنها قصيرة**) قصر الإبهام، (**فقال** ﷺ: « **قد اغتبتيها** ») قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا، وابن مردويه من رواية حسان بن مخارق. وحسان وثقه ابن حبان وباقيهم ثقات اهـ.

قلت: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو عبد الرحمن القرشي، حدثنا أبو معاوية قال: ذكر الشيباني عن حسان بن مخارق عن عائشة قالت: دخلت امرأة قصيرة والنبي ﷺ جالس فقلت بابهامي هكذا وأشرت إلى النبي ﷺ إنها قصيرة، فقال النبي ﷺ: «اغتبتيها» هذا لفظ ابن أبي الدنيا، وأما لفظ ابن مردويه في التفسير: أقبلت امرأة قصيرة والنبي ﷺ جالس قلت فأشرت بابهامي الى النبي ﷺ فقال: «لقد اغتبتيها» ورواه كذلك الخرائطي في مساوىء الأخلاق والبيهقي في الشعب. وأخرج عبد بن حميد من حديث عكرمة أن امرأة دخلت على النبي ثم خرجت فقالت عائشة: يا رسول الله ما أجلها وأحسنها لولا أن بها قصراً؟ فقال لها النبي ﷺ: «اغتبتيها» الحديث.

(**ومن ذلك المحاكاة**): يقال حكاه وحاكاه إذا فعل مثل فعله وأكثر ما يستعمل في القبيح (**بأن يمشي متعارجاً**) أو متطأطئاً رأسه (**أو كما يمشي**) أو غير ذلك من الهيئات كأن يحاكي خطبته أو وعظه أو تدريسه أو غير ذلك، (**فهو غيبة**) محرمة (**بل هو أشد من الغيبة**) أي من أشد أنواعها (**لأنه أعظم في التصوير والتفهيم**) للغير، (**ولما رأى ﷺ عائشة**) رضي الله عنها (**حكت إمرأة قال: ما يسرني أني حاكيت**) وفي نسخة: حكيت (**إنساناً ولي كذا وكذا** ») تقدم في الآفة الحادية عشر.

اللسانين، وذكر المصنف شخصاً معيناً وتهجين كلامه في الكتاب غيبة إلا أن يقترن به شيء من الأعذار المحوجة إلى ذكره كما سيأتي بيانه. وأما قوله قال قوم كذا فليس ذلك غيبة إنما الغيبة التعرض لشخص معين إما حي وإما ميت. ومن الغيبة أن تقول: بعض من مرّ بنا اليوم أو بعض من رأيناه إذا كان المخاطب يفهم منه شخصاً معيناً لأن المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم، فأما إذا لم يفهم عينه جاز.

كان رسول الله ﷺ إذا كره من إنسان شيئاً قال: «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا»، فكان لا يعين. وقولك بعض من قدم من السفر أو بعض من يدعي العلم إن كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهي غيبة.

وأخبث أنواع الغيبة غيبة القراء المرائين فإنهم يفهمون المقصود على صيغة أهل

(**وكذلك الغيبة بالكتابة**) بالقلم على الورق، (**فإن القلم أحد اللسانين**) وهو من الكلمات الحكمية أي إن القلم في التصوير والتفهيم مثل اللسان، (**وذكر المصنف**) في كتابه (**شخصاً معيناً وتهجينه**) أي نسبته إلى الهجنة، (**وذكر كلامه في الكتاب**) على وجه التهوين والتنكيل والإزراء (**غيبة**) محرمة لا يجوز إرتكاب مثله (**إلا أن يقترن به شيء من الأعذار المحوجة كما سيأتي بيانه**) فيما بعد، (**وأما قوله**) في الكتاب (**قال قوم كذا**) فهذا هو الإبهام، (**فليس ذلك غيبة**) أي الإبهام في الغيبة ليس بغيبة وهو جائز (**إنما الغيبة التعريض لشخص معين إما حي أو ميت**) بما يسوءه ويكرهه، ويستثني من هذا الإبهام ما إذا فهم منه المعين بقرينة فإنه غيبة وإليه أشار المصنف بقوله: (**ومن الغيبة أن تقول: بعض من مر بنا اليوم**) أو بعض من قدم اليوم (**أو بعض من رأيناه**) اليوم (**إذا كان المخاطب**) به (**يفهم منه**) بقرينة قائمة (**شخصاً معيناً لأن المحذور**) إنما هو (**تفهيمه دون ما به التفهيم، فإذا لم يفهم عينه جاز**) ولم يكن غيبة.

(**وكان رسول الله ﷺ إذا كره من إنسان شيئاً قال: «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا»**) فهذا هو الإبهام في الغيبة. قال العراقي: رواه أبو داود من حديث عائشة ورجاله رجال الصحيح اهـ.

(**وكان**) وفي نسخة فكان (**لا يعين**) شخصاً بعينه. (**وقولك بعض من قدم من السفر، أو بعض من يدعي العلم**) أو بعض من يوصف بالصلاح ونحو ذلك (**إذا كان معه قرينة**) قائمة (**تفهم عين الشخص فهو غيبة**).

(**وأخبث أنواع الغيبة غيبة القراء**) أي العلماء (**المرائين**) بعلومهم وهم علماء الدنيا، (**فإنهم يفهمون المقصود على صيغة أهل الصلاح ليظهروا من أنفسهم**) للناس (**التعفف

الصلاح ليظهروا من أنفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون المقصود، ولا يدرون بجهلهم أنهم جمعوا بين فاحشتين الغيبة والرياء، وذلك مثل أن يذكر عنده إنسان فيقول: الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل في طلب الحطام، أو يقول: نعوذ بالله من قلة الحياء، نسأل الله أن يعصمنا منها، وإنما قصده أن يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء، وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول: ما أحسن أحوال فلان ما كان يقصر في العبادات، وليكن قد اعتراه فتور وابتلي بما يبتلي به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه، ومقصوده أن يذم غيره في ضمن ذلك ويمدح نفسه بالتشبه بالصالحين بأن يذم نفسه فيكون مغتاباً ومرائياً ومزكياً نفسه، فيجمع بين ثلاث فواحش وهو بجهله يظن أنه من الصالحين المتعففين عن الغيبة، ولذلك يلعب الشيطان بأهل الجهل إذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فإنه يتعبهم ويحبط بمكائده عملهم ويضحك عليهم ويسخر منهم. ومن ذلك ان يذكر عيب إنسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين فيقول: سبحان الله

عن الغيبة) والتباعد عنها، **(ويفهمون المقصود)** الذي سيق الكلام لأجله، **(ولا يدرون)** بجهلهم **(أنهم جمعوا بين فاحشتين الرياء والغيبة، ومثل ذلك أن يذكر عنده إنسان فيقول: الحمد لله الذي لم يبلنا)** أي لم يمتحنا **(بالدخول على السلطان)** أو بمخالطة الأمراء أو الحمد لله الذي عصمني من مخالطة السلطان، **(والتبذل في طلب الحطام)** أي متاع الدنيا من مال وغيره، **(أو يقول: نعوذ بالله من قلة الحياء نسأل الله أن يعصمنا منه)** أو يقول: الله يلطف به ونحو ذلك، **(وإنما)** قصده بذلك **(أن يفهم)** الناس **(عيب الغير)** من الخلطة وطلب الحطام وقلة الحياء، **(فيذكره بصيغة الدعاء)** له.

(وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته) أي اغتيابه **(فيقول: ما أحسن أحوال فلان ما كان يقصر في العبادات)** ولم يشتغل بغيرها، **(ولكن قد اعتراه)** الآن **(فتور)** همة وكسل، **(وابتلي بما يبتلي به كلنا وهو قلة الصبر)** على المكاره، **(فذكر نفسه ومقصوده)** من ذلك **(أن يذم غيره ويمدح نفسه بالتشبه بالصالحين في ذم أنفسهم فيكون)** بهذا الفعل **(مغتاباً)** لأخيه **(ومرائياً)** لعمله **(ومزكياً نفسه، فيجمع بين ثلاث فواحش، وهو يظن بجهله أنه من الصالحين المتعففين عن الغيبة)** وهذا من أدق ما يبتلي به الخاصة فضلا عن العامة، **(وكذلك يلعب الشيطان بأهل الجهل)** من العامة **(إذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم)** يتعلمونه، **(فإنه يتعبهم)** أي يوقعهم في المشقة **(ويحبط بمكائده عملهم)** فلا يكون مقبولاً، **(ويضحك عليهم ويسخر منهم)** ويلعب بهم كما يلعب الصبي بالكرة، فقد روى أبو نعيم في الحلية من حديث واثلة المتعبد بلا فقه كالحمار في الطاحون.

(ومن ذلك أن يذكر عيب إنسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين) في المجلس **(فيقول:**

ما أعجب هذا حتى يصغي إليه ويعلم ما يقول فيذكر الله تعالى ويستعمل اسمه آلة له في تحقيق خبثه، وهو يمتن على الله عز وجل بذكره جهلاً منه وغروراً، وكذلك يقول: ساءني ما جرى على صديقنا من الاستخفاف به نسأل الله أن يروّح نفسه فيكون كاذباً في دعوى الاغتمام وفي إظهار الدعاء له، بل لو قصد الدعاء لأخفاه في خلوته عقيب صلاته ولو كان يغتم به لاغتم أيضاً بإظهار ما يكرهه، وكذلك يقول ذلك المسكين: قد بلي بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه، فهو في كل ذلك يظهر الدعاء والله مطلع على خبث ضميره وخفي قصده وهو لجهله لا يدري أنه قد تعرض لمقت أعظم مما تعرض له الجهال إذا جاهروا، ومن ذلك الإصغاء إلى الغيبة على سبيل التعجب، فإنه إنما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة، فيندفع فيها وكأنه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول: عجب ما علمت انه كذلك ما عرفته إلى الآن إلا بالخير، وكنت أحسب فيه غير هذا عافانا الله من بلائه فإن كل ذلك تصديق للمغتاب والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك المغتاب. قال ﷺ: «المستمع أحد المغتابين»، وقد روي عن أبي بكر

سبحان الله ما أعجب هذا) فينبهه **(حتى يصغي)** بأذن قلبه **(إلى المغتاب ويعلم ما يقوله)** ويلقيه، **(فيذكر اسم الله)** جل اسمه **(ويستعمل ذكره آلة له في تحقيق خبثه)** في طويته، **(وهو يمتن على الله عز وجل بذكره جهلاً منه وغروراً)** واستخفافاً، **(وكذلك يقول: لقد ساءني ما جرى على صديقنا)** الفلاني **(من الاستخفاف به)** والإزراء لشأنه **(فنسأل الله أن يروح سره)** وفي نسخة نفسه أي يعطيه راحة والمراد بالسر الباطن، **(ويكون)** هو **(كاذباً في دعوى الاغتمام)** عليه، **(وفي إظهار الدعاء)** له، **(بل لو)** كان صادقاً في دعواه و**(قصد الدعاء له لأخفاه في خلوة)** عن الناس أو **(عقيب صلاته)** بينه وبين الله تعالى، **(ولو كان يغتم به لاغتمّ أيضاً بإظهار ما يكرهه)** ويسوءه لو بلغه، **(وكذلك يقول: ذلك المسكين)** أو المسيكين بالتصغير **(قد بلي بآفة عظيمة تاب الله عليه وعلينا)** أو علينا وعليه كما في نسخة، **(فهو في كل ذلك يظهر الدعاء)** له، **(والله مطلع على خبث ضميره)** ورداءة طويته **(وخفي قصده، وهو لجهله لا يدري أنه قد تعرض لمقت أعظم مما يتعرض له الجهال إذا جاهروا)** إذ نبه بقوله ذلك على أنه يرتكب ما يجب عليه التوبة.

(ومن ذلك الإصغاء) أي الميل بإذن القلب **(إلى الغيبة على سبيل التعجب، فإنه إنما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة فيندفع فيها)** أي يسترسل، **(فكأنه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول: عجب ما علمت أنه كذلك ما عرفته إلى الآن إلا بالخير)** والصلاح، **(وكنت أحسب فيه غير هذا عافانا الله من بلائه)** أو لطف الله به، **(فإن كان ذلك تصديق للمغتاب والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك المغتاب. قال رسول الله ﷺ:**

وعمر رضي الله عنهما أن أحدهما قال لصاحبه : إن فلاناً لنؤوم ثم أنهما طلبا أدماً من رسول الله ﷺ ليأكلا به الخبز فقال ﷺ : « قد ائتدمتما » فقالا : ما نعلمه . قال : « بلى انكما أكلتما من لحم أخيكما » فانظر كيف جمعهما . وكان القائل أحدهما والآخر مستمع ،

« المستمع أحد المغتابين ») أي المستمع والمغتاب شريكان في الإثم . قال العراقي : روى الطبراني من حديث ابن عمر : « نهى رسول الله ﷺ عن الغيبة وعن الاستماع إلى الغيبة » وهو ضعيف اهـ .

قلت : وكذلك رواه الخطيب ولفظه : « نهى عن الغناء والاستماع إلى الغناء وعن الغيبة والاستماع إلى الغيبة وعن النميمة والاستماع إلى النميمة » قال الهيثمي فيه فرات بن السائب وهو متروك . وروى ابن أبي الدنيا عن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان أنه قال لمولى له : نزه سمعك عن استماع الخنا كما تنزه لسانك عن القول به ، فإن المستمع شريك القائل .

(وقد روي عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أن أحدهما قال لصاحبه : إن فلاناً لنؤوم) أي كثير النوم ، **(ثم طلبا أدماً من رسول الله ﷺ ليأكلاه مع الخبز ، فقال ﷺ : « قد ائتدمتما » فقالا . ما نعلمه فقال : « بلى ما أكلتما من لحم صاحبكما »)** قال العراقي : رواه أبو العباس الدغولي في الأدب من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى مرسلاً نحوه . ورواه أيضاً المقدسي في المختارة من رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس اهـ .

قلت : قال الخرائطي في مساوىء الأخلاق : حدثنا أبو بدر عباد بن الوليد ، حدثنا حبان بن هلال ، عن حماد ، عن ثابت ، عن أنس قال : كانت العرب يخدم بعضها بعضاً في الأسفار ، وكان مع أبي بكر وعمر رجل يخدمهما فناما فاستيقظا ولم يهيىء لهما طعاماً . فقال أحدهما : إن هذا النؤوم فأيقظاه فقالا : أئت رسول الله ﷺ فقل له : إن أبا بكر وعمر يقرئانك السلام فقال : « ائتدما » فجاء فأخبرهم فقالا : يا رسول الله بأي شيء ائتدمنا ؟ قال : « بلحم أخيكما والذي نفسي بيده إني لأرى لحمه بين ثناياكما » فقالا : استغفر لنا يا رسول الله فقال : مراه فليستغفر لكما .

(فانظر كيف جمعهما وكان القائل أحدهما والآخر مستمع) وقد رويت هذه القصة من وجه آخر من مرسل يحيى بن أبي كثير أورده الحكيم الترمذي في نوادر الأصول قال : إن النبي ﷺ كان في سفر ومعه أبو بكر وعمر ، فارسلوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه لحماً فقال أوليس قد ظللتم من اللحم شباعاً . قالوا : من أين ؟ فوالله ما لنا باللحم عهد منذ أيام فقال : « من لحم صاحبكم الذي ذكرتم » قالوا : يا نبي الله إنما قلنا والله إنه لضعيف ما يعيننا على شيء . قال : « ذلك فلا تقولوا » فرجع إليهم الرجل فاخبرهم بالذي قال . قال : فجاء أبو بكر فقال : يا نبي الله طأ على صماخي واستغفر لي ففعل ، وجاء عمر فقال : يا نبي الله طأ علي صماخي واستغفر لي ففعل ، وهذا السياق دل على أنهما رضي الله عنهما كانا مستمعين وأن القائل بالكلام المذكور غيرهما بدليل قولهما طأ على صماخي فأشار به إلى أنه كان مستمعاً .

وقال للرجلين اللذين قال أحدهما اقعص الرجل كما يقعص الكلب « انهشا من هذه الجيفة » فجمع بينهما فالمستمع لا يخرج من إثم الغيبة إلا أن ينكر بلسانه أو بقلبه إن خاف وإن قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعل لزمه وإن قال بلسانه اسكت وهو مشته لذلك بقلبه فذلك نفاق ولا يخرجه من الإثم ما لم يكرهه بقلبه، ولا يكفي في ذلك أن يشير باليد أي اسكت أو يشير بحاجبه وجبينه فإن ذلك استحقار للمذكور، بل ينبغي أن يعظم ذلك فيذب عنه صريحاً. وقال ﷺ: « من أذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على نصره أذله الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق ». وقال أبو الدرداء قال رسول الله ﷺ: « من رد عن عرض أخيه بالغيب كان حقاً على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة ». وقال أيضاً: « من ذب عن عرض أخيه بالغيب كان حقاً

(**وقال للرجلين اللذين**) مرّا على ماعز وهو يرجم (**وقال أحدهما للآخر: اقعص الرجل كما أقعص الكلب**) ومقول القول (**« انهشا من هذه الميتة »**) قد تقدم قبل هذا باثني عشر حديثاً، (**فجمع بينهما**) مع أن القائل واحد، (**فالمستمع لا يخرج من إثم الغيبة إلا بأن ينكر**) على المغتاب (**بلسانه**) إن قدر (**فإن خاف**) الضرر (**فبقلبه وإن قدر على القيام**) من ذلك المجلس (**أو قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعله لزمه**) الإثم، (**وإن قال بلسانه اسكت وهو مشته لذلك بقلبه فذلك نفاق**) لمخالفة قلبه لسانه، (**ولا يخرجه عن الإثم ما لم يكرهه بقلبه**) مصمماً عليه، (**ولا يكفي أن يشير باليد أي اسكت أو يشير بحاجبه أو جبينه**) أو طرف عينه، (**فإن ذلك استحقار للمذكور**) بالغيبة، (**بل ينبغي أن يعظمه فيذب عنه صريحاً قال رسول الله ﷺ: « من أذل**) بالبناء للمجهول (**عنده**) أي بحضرته أو بعلمه (**مؤمن وهو يقدر**) أي والحال أنه يقدر (**على أن ينصره**) على من ظلمه (**فلم ينصره أذله الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق »**) قال العراقي: رواه أحمد والطبراني من حديث سهل بن حنيف وفيه ابن لهيعة اهـ.

قلت: قال الهيتمي وهو حسن الحديث وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات، وكذلك رواه ابن السني في اليوم والليلة، ولفظهم جميعاً: « من أذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على أن ينصره أذله الله على رؤوس الأشهاد يوم القيامة ». وروى الخرائطي من حديث عمران بن حصين: « من ذكر عنده أخوه المسلم بظهر الغيب وهو يقدر على أن ينصره فنصره نصره الله في الدنيا والآخرة ». ومن حديث أنس بزيادة: « ومن لم ينصره أدركه الله بها في الدنيا والآخرة ».

(**وقال أبو الدرداء**) رضي الله عنه، (**قال النبي ﷺ: « من رد عن عرض أخيه بالغيب**) بأن رد على من اغتابه وشانه وعابه (**كان حقاً على الله عز وجل أن يرد عن عرضه يوم القيامة**) جزاء وفاقا ». ورواه ابن أبي الدنيا عن أبي خيثمة، حدثنا جرير، عن ليث، عن

على الله أن يعتقه من النار » وقد ورد في نصرة المسلم في الغيبة وفي فضل ذلك أخبار كثيرة أوردناها في كتاب آداب الصحبة وحقوق المسلمين فلا نطوّل بإعادتها .

شهر بن حوشب ، عن أم الدرداء ، عن أبي الدرداء ، عن النبي ﷺ قال : « من رد عن عرض أخيه بالغيبة » . فساقه وكذلك رواه في ذم الغيبة ، قال العراقي : فيه شهر بن حوشب وهو عند الترمذي من وجه آخر بلفظ : « رد الله عن وجهه النار يوم القيامة » اهـ .

قلت : لفظ الترمذي أخرجه أيضاً أحمد والطبراني . وفي رواية كان له حجاباً من النار ، رواه كذلك عبد بن حميد ، وابن زنجويه ، والروياني والخرائطي في المكارم ، والطبراني وابن السني في اليوم والليلة . وفي رواية : « كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة » رواه الطبراني والخرائطي .

(وقال) ﷺ (أيضاً من ذبّ عن عرض أخيه بالغيب كان حقاً على الله أن يعتقه من النار ») رواه ابن أبي الدنيا عن أبي خيثمة حدثنا عثمان بن عمر عن عبيد الله بن أبي زياد ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد أن رسول الله ﷺ فذكره . وكذلك رواه أحمد والطبراني ولكن بلفظ : « من رد « بدل » من « ذب » ورواه ابن المبارك وأحمد أيضاً والخرائطي في مكارم الأخلاق والطبراني أيضاً والبيهقي بلفظ : « من ذب عن لحم أخيه بالغيبة » والباقي سواء .

(وقد ورد في نصرة المسلم في الغيبة وفضل ذلك أخبار كثيرة) وآثار شهيرة **(أوردناها في كتاب آداب الصحبة وحقوق المسلمين ، فلا نطول بإعادتها)** فمن ذلك حديث أنس « من حمى عرض أخيه في الدنيا بعث الله إليه ملكاً يوم القيامة يحميه من النار » .

وحديث جابر وأبي طلحة : « ما من امرىء يخذل امرءاً مسلماً في موطن تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله في موطن تجب فيه نصرته ، وما من امرىء ينصر امرءاً مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه وتنتهك فيه حرمته إلا نصره الله في موطن تجب فيه نصرته » .

وحديث أنس : « إذا وقع في رجل وأنت في ملأ فكن للرجل ناصراً وللقوم زاجراً أو قم عنهم ثم تلا هذه الآية ﴿ أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه ﴾ [الحجرات : ١٢] وحديثه أيضاً : « من اغتيب عنده أخوه المسلم فلم ينصره وهو يستطيع نصره أدركه الله في الدنيا والآخرة .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما يمنعكم إذا رأيتم السفيه يخرق أعراض الناس أن تعربوا عليه قالوا : نخاف لسانه . قال : ذلك أدنى أن لا تكونوا شهداء ، وكان ميمون بن سياه لا يغتاب ولا يدع أحداً عنده يغتاب ينهاه ، فإن انتهى وإلاّ قام .

بيان الأسباب الباعثة على الغيبة:

اعلم أن البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها أحد عشر سبباً ثمانية منها تطرد في حق العامة وثلاثة تختص بأهل الدين والخاصة.

أما الثمانية: فالأوّل: أن يشفي الغيظ وذلك إذا جرى سبب غضب به عليه فإنه إذا هاج غضبه يشتفي بذكر مساوئه فسبق اللسان إليه بالطبع إن لم يكن ثم دين وازع، وقد يمتنع تشفي الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب في الباطن فيصير حقداً ثابتاً فيكون سبباً دائماً لذكر المساوىء، فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة.

الثاني: موافقة الأقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام، فإنهم إذا كانوا يتفكهون بذكر الأعراض فيرى أنه لو أنكر عليهم أو قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن أنه مجاملة في الصحبة وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج إلى أن يغضب لغضبهم إظهاراً للمساهمة في السراء والضراء، فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوىء.

بيان الاسباب الباعثة على الغيبة:

(**اعلم أن البواعث على الغيبة كثيرة، ولكن يجمعها أحد عشر سبباً ثمانية**) منها (**تطرد في حق العامة وثلاثة**) منها (**تختص بأهل الدين والخاصة**).

(**أما الثمانية**) التي تطرد في حق العامة (**فالأول تشفي الغيظ**) أي الغضب الكامن في القلب، (**وذلك إذا جرى سبب غضب به عليه، فإذا هاج غضبه**) وثار من باطنه على الجوارح (**تشفي بذكر مساوئه**) ومعايبه (**وسبق اللسان إليه**) أي إلى ذكر المساوىء (**بالطبع**) المجبول عليه (**إن لم يكن ثم**) أي هناك (**دين وازع**) أي مانع حاجزوورع جبلي (**وقد يمتنع تشفي الغيظ عند**) هيجان (**الغضب فيحتقن الغضب في الباطن ويصير حقداً ثابتاً فيكون سبباً دائماً لذكر المساوىء**) لا يفتر عنه، (**فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة**) وقد وردت أخبار فيمن لم يشف غيظه بمعصية الله تعالى سيأتي ذكرها.

(**الثانية: موافقة الأقران**) من إخوان الزمان (**ومجاملة الرفقاء**) والأصحاب (**ومساعدتهم على الكلام، فإنهم إذا كانوا**) من عادتهم أنهم (**يتفكهون بذكر الأعراض**) والوقوع فيها (**فيرى أنه لو انكر عليهم**) بلسانه (**أو قطع المجلس**) فإن قام منه ولم يعد (**استثقلوه**) أي عدوه ثقيلاً (**ونفروا عنه**) وقطعوا صحبته، (**فيساعدهم**) على عوائدهم، (**ويرى ذلك من حسن المعاشرة**) وجميل المجاورة (**ويظن أنه**) أي فعله ذلك (**مجاملة**) لهم (**في الصحبة، وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج إلى أن يغضب لغضبهم إظهاراً للمساهمة**) أي المشاركة (**في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوىء**) ولم يعلم بأن الله

الثالث: أن يستشعر من إنسان أنه سيقصده ويطوّل لسانه عليه أو يقبح حاله عند محتشم، أو يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل أن يقبح هو حاله ويطعن فيه ليسقط أثر شهادته أو يبتدىء بذكر ما فيه صادقاً ليكذب عليه بعده فيروّج كذبه بالصدق الأوّل ويستشهد به ويقول: ما من عادتي الكذب فإني أخبرتكم بكذا وكذا من أحواله فكان كما قلت.

الرابع: أن ينسب إلى شيء فيريد أن يتبرأ منه فيذكر الذي فعله وكان من حقه أن يبرىء نفسه ولا يذكر الذي فعل فلا ينسب غيره إليه، أو يذكر غيره بأنه كان مشاركاً له في الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه في فعله.

الخامس: إرادة التصنع والمباهاة وهو أن يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول: فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويريهم

تعالى يغضب عليه إذا طلب سخطه في رضا المخلوقين، وقد وردت في ذلك أخبار سيأتي ذكرها.

(**الثالث**): التحامي عن رد قوله لسبق الغير في تقبيحه، وبيانه (**أن يستشعر من إنسان أنه سيقصد ويطول لسانه فيه أو يقبح**) مقاله ويفضح (**حاله عند محتشم**) أي رئيس ذي جاه وحشمة، (**أو يشهد عليه بشهادة**) على شيء يغض منه (**فيبادره**) ويستعجل عليه (**قبل أن يقبح هو حاله ويطعن فيه ليسقط أثر شهادته**) ومقالته، (**أو يبتدىء بذكر ما فيه صادقاً ليكذب عليه بعده فيروج**) أي يزين (**كذبه بالصدق الأول ويستشهد به ويقول: ما من عادتي الكذب فإني**) اختبرتكم آنفاً (**بكذا وكذا من أحواله، فكان كما قلت**) وكما إذا ذكر زيد مسألة فاعترض عليها عمرو فيكون باعثاً لزيد أن يغتاب عمراً ليحامي ما سبق من كلامه من بطلان مرامه.

(**الرابع**): التبرىء عن فاحشة منسوبة إليه بالنسبة إلى الغير، وبيانه: (**أن ينسب إلى شيء فيريد أن يتبرأ منه**) أي يتخلص منه، (**فيذكر الذي فعله وكان من حقه أن يبرىء نفسه ولا يذكر الذي فعله فلا ينسب غيره إليه**) فيكون بهذا جمعاً بين الذنوب لديه، وقد قال تعالى: ﴿ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً﴾ [النساء: ١١٢] (**أو يذكر غيره بأنه كان مشاركاً له في الفعل**) ولم يكن وحده (**ليمهد بذلك عذر نفسه في فعله**).

(**الخامس: إرادة التصنع والمباهاة**) أي المفاخرة، (**وهو أن يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول: فلان جاهل**) أو بليد، (**وفهمه ركيك**) أي سقيم، (**وكلامه ضعيف**) ونحو ذلك، (**وغرضه**) منه (**أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه**) ورفعة مقامه (**ويريهم أنه أعلم منه**)

أنه أعلم منه، أو يحذر أن يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك.

السادس: الحسد وهو أنه ربما يحسد من يثني الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلاً إليه إلا بالقدح فيه فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن كرامته والثناء عليه لأنه يثقل عليه أن يسمع كلام الناس وثناءهم عليه وإكرامهم له وهذا هو عين الحسد وهو غير الغضب والحقد فإن ذلك يستدعي جناية من المغضوب عليه، والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والقريب الموافق.

السابع: اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك فيذكر عيوب غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة ومنشؤه التكبر والتعجب.

الثامن: السخرية والاستهزاء استحقاراً له فإن ذلك قد يجري في الحضور ويجري أيضاً في الغيبة ومنشؤه التكبر واستصغار المستهزأ به.

وأدق فهماً (**أو يحذر**) أي يخاف (**أن يعظم**) عندهم (**مثل تعظيمة فيقدح فيه لذلك**) حتى ينقص مقامه عندهم.

(**السادس: الحسد وهو أنه ربما يحسد من يثني عليه الناس**) ويشيرون له بالفضل (**ويحبونه ويكرمونه**) ويبجلونه، (**فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلاً إليه إلا بالقدح فيه**) والحط عليه، (**فيريد أن يسقط** .اء **وجهه عند الناس حتى يكفوا**) أي يمتنعوا (**عن إكرامه والثناء عليه، لأنه يثقل عليه أن يسمع ثناء الناس عليه وإكرامهم له، وهذا هو الحسد وهو غير الغضب والحقد**) المتقدم بذكرهما، (**فإن ذلك يستدعي جناية من المغضوب عليه، والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والقريب الموافق**) فافترقا بهذه الحيثية فهو سبب مستقل للغيبة.

(**السابع: اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت**) أي سوقه وإمضاؤه (**بالضحك**) وغيره من أسباب المقت، (**فيذكر غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة والتعجب والتعجيب**) ونحو ذلك.

(**الثامن: الاستهزاء استحقاراً له فإن ذلك قد يجري في الحضور**) أي حضرة من يستحقره، (**ويجري أيضاً في الغيبة**) بفتح الغين أي في حالة الغيب (**ومنشؤه التكبر**) والترفع (**واستحقار المستهزأ به**). وهذا السبب مع ما قبله قد يتحدان فإن تزجية الوقت كما يكون بالهزل، واللعب يكون بالاستهزاء والاستخفاف، ونظراً إلى هذا جعل مؤلف مختصر هذا الكتاب المسمى بعين العلم البواعث سبعة لا غير، فتأمل. وعلاج ذلك بما ذكر في هذا الكتاب في محله فإن

وأما الأسباب الثلاثة التي هي في الخاصة فهي أغمضها وأدقها لأنها شرور خبأها الشيطان في معرض الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان بها الشر.

الأوّل: أن تنبعث من الدين داعية التعجب في إنكار المنكر والخطأ في الدين فيقول: ما أعجب ما رأيت من فلان فإنه قد يكون به صادقاً ويكون تعجبه من المنكر، ولكن كان حقه أن يتعجب ولا يذكر اسمه فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في إظهار تعجبه فصار به مغتاباً وآثماً من حيث لا يدري، ومن ذلك قول الرجل: تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل؟

الثاني: الرحمة وهو أن يغتم بسبب ما يبتلى به فيقول: مسكين فلان قد غمني أمره وما ابتلي به فيكون صادقاً في دعوى الاغتمام ويلهيه الغم عن الحذر من ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتاباً فيكون غمه ورحمته خيراً، وكذا تعجبه. ولكن ساقه الشيطان إلى شر

مساوىء الأخلاق إنما تعالج بمعجون العلم والعمل المركب لها، وإنما علاج كل علة بضدها فليتفحص عن السبب ويعالج بالضد.

(**وأما الأسباب**) الثلاثة التي هي في الخاصة وأهل الدين، (**فهي أغمضها وأدقها**) وأخفاها (**لأنها شرور عباها الشيطان في معرض الخيرات، وفيها خير، ولكن شاب الشيطان**) أي خلط (**بها الشر**).

(**الأول: أن تنبعث من الدين داعية التعجب من إنكار المنكر**) الشرعي (**والخطأ في الدين فيقول: ما أعجب ما رأيت من فلان فإنه قد يكون صادقاً**) في قوله (**ويكون تعجبه من المنكر**) الذي صدر منه، (**ولكن كان حقه أن يتعجب ولا يذكر اسمه فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في ذكر تعجبه فصار به مغتاباً**) له (**من حيث لا يدري**) لأنه لو بلغه ذلك لكرهه (**وأثم**) في ذلك وقل من يتفطن له إلا العارفون، (**ومن ذلك قول الرجل: تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة**) الصورة، (**وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل**): فإن هذا القول وإن كان صدقاً في الحقيقة بأن تكون الجارية في نفس الأمر قبيحة، والرجل الذي يجلس إليه جاهلاً، ولكنه مخلوط بالغيبة بتعيين أشخاصهما وذكرهما بما يكرهانه لو بلغهما.

(**الثاني: الرحمة وهو أن يغتم بسبب ما يبتلى به**) أي يمتحن (**فيقول: مسكين فلان قد غمني أمره وما ابتلي به فيكون صادقاً في**) دعوى (**اغتمامه ويلهيه الغم**) الذي عرض له (**عن الحذر من ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتاباً**) له، (**فيكون غمه ورحمته خيراً، وكذا تعجبه ولكنه ساقه**) الشيطان (**إلى**) معرض (**شر من حيث لا يدري والترحم**

من حيث لا يدري والترحم والاغتمام ممكن دون ذكر اسمه، فيهيجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه.

الثالث: الغضب لله تعالى فإنه قد يغضب على منكر قارفه إنسان إذا رآه أو سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه، وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يظهره على غيره أو يستر اسمه ولا يذكره بالسوء. فهذه الثلاثة مما يغمض دركها على العلماء فضلاً عن العوام، فإنهم يظنون أن التعجب والرحمة والغضب إذا كان لله تعالى كان عذراً في ذكر الاسم وهو خطأ بل المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم ـ كما سيأتي ذكره ـ روي عن عامر بن واثلة ان رجلاً مرَّ على قوم في حياة رسول الله ﷺ فسلّم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم: إني لأبغض هذا في الله تعالى، فقال أهل المجلس: لبئس ما قلت والله لننبئنه ثم قالوا: يا فلان لرجل منهم قم فادركه وأخبره بما قال فأدركه رسولهم فأخبره فأتى الرجل رسول الله ﷺ وحكى له ما قال وسأله أن يدعوه له فدعاه وسأله فقال: قد قلت

والاغتمام ممكن دون ذكر اسمه فيهيجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه).

(**الثالث: الغضب لله تعالى فإنه قد يغضب على منكر قارفه**) أي ارتكبه (**إنسان إذا رآه أو سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه، وكان الواجب عليه أن يظهر غضبه عليه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يظهر على غيره ويستر اسمه**) ويخفيه (**ويذكره بالسوء**) لحرمة عرضه (**فهذه الثلاثة مما يغمض**) ويدق (**دركها على العلماء**) الأجلة. (**فضلاً عن العوام فإنهم**) أي العلماء (**يظنون أن التعجب والرحمة والغضب إذا كان**) كل منها (**لله تعالى كان عذراً**) مبيحاً (**في ذكر الاسم وهو خطأ، بل المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها**) أي لاسعة فيها (**عن ذكر الاسم كما سيأتي**) بيانه.

(**روى عامر بن واثلة**) بن عبدالله بن عمرو بن حجش الليثي أبو الطفيل ولد عام أحد، ورأى النبي ﷺ. وروى عن أبي بكرفمن بعده وعمر إلى أن مات سنة عشر ومئة على الصحيح، وهو آخر من مات من الصحابة قاله مسلم وغيره: (**أن رجلا مرَّ على قوم في حياة رسول الله ﷺ فسلم عليهم فردوا عليه السلام، فلما جاوزهم قال رجل منهم: إني لأبغض هذا في الله تعالى، فقال أهل المجلس: لبئسما قلت والله لتبيننه**) أن لتظهرن ما قلت، (**ثم قالوا: يا فلان لرجل منهم قم فادركه واخبره بما قال فادركه رسولهم فاخبره**) ما قال، (**فأتى الرجل رسول الله ﷺ وحكى له ما قال وسأله أن يدعوه له فدعاه وسأله فقال: قد قلت**

ذلك. فقال ﷺ: «لم تبغضه»؟ فقال: أنا جاره وأنا به خابر والله ما رأيته يصلي صلاة قط إلا هذه المكتوبة. قال: فاسأله يا رسول الله هل رآني أخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها أو الركوع أو السجود فيها؟ فسأله فقال: لا. فقال: والله ما رأيته يصوم شهراً قط إلا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر. قال: فاسأله يا رسول الله هل رآني قط أفطرت فيه أو نقصت من حقه شيئاً، فسأله عنه فقال: لا. فقال: والله ما رأيته يعطي سائلاً ولا مسكيناً قط ولا رأيته ينفق شيئاً من ماله في سبيل الله إلا هذه الزكاة التي يؤديها البر والفاجر. قال: فاسأله هل رآني نقصت منها أو ماكست فيها طالبها الذي ينالها؟ فسأله فقال: لا. فقال ﷺ للرجل: «قم فلعله خير منك».

بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن الغيبة:

اعلم أن مساوىء الأخلاق كلها إنما تعالج بمعجون العلم والعمل، وإنما علاج كل علة بمضادة سببها فلنفحص عن سببها وعلاج كف اللسان عن الغيبة على وجهين: أحدهما

ذلك) ولم ينكر **(فقال ﷺ: «لم تبغضه»** وهل لذلك سبب». **(فقال: أنا جاره)** الملاصق **(وأنا به خابر)** أي مطلع على أحواله، **(والله ما رأيته يصلي صلاة قط إلا هذه المكتوبة)** أي الفروض الخمسة. **(قال)** الرجل: **(فسله يا رسول الله هل رآني أخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها أو الركوع أو السجود فيها؟ فسأله فقال: لا. فقال: والله ما رأيته يصوم شهراً قط)** من شهور السنة **(إلا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر)** يعني شهر رمضان. **(قال)** الرجل: **(فاسأله يا رسول الله هل رآني قط أفطرت فيه أو نقصت من حقه شيئاً. فسأله فقال: لا. قال: والله ما رأيته يعطي سائلاً ولا مسكيناً ولا رأيته يعطي من ماله شيئاً في سبيل الله سوى هذه الزكاة التي يؤديها البر والفاجر قال)** الرجل: **(فاسأله)** يا رسول الله **(هل رآني نقصت منها أو ماكست طالبها الذي ينالها)** أي ماطلته؟ **(فسأله فقال: لا. فقال ﷺ: «قم فلعله خير منك»)** قال العراقي: رواه أحمد في مسنده بإسناد صحيح.

بيان العلاج الذي يمنع اللسان من الغيبة:

(اعلم أن مساوىء الأخلاق كلها تعالج بمعجون العلم والعمل) أي إذا عجن العلم النافع الخالص عن الشوائب بالعمل الصالح الخالي عن الرياء والسمعة وركبا بالأوزان الشرعية واتخذ معجوناً واستعمله من به داء مساوىء الأخلاق نفعه، **(وإنما علاج كل علة بمضادة سببها)** كما إذا قوي البرد ونظر إلى سببه عولج بالأدوية الحارة المزيلة لذلك السبب الذي نشأ بسببه ذلك البرد العارض، وكذا بالعكس. **(فلنفحص)** أي نبحث **(عن سببها)** فإن معرفة الأسباب هو الركن

على الجملة ، والآخـــر على التفصيـــل .

أما على الجملة فهو أن يعلم أن تعرضه لسخط الله تعالى بغيبته بهذه الأخبار التي رويناها وأن يعلم أنها محبطة لحسناته يوم القيامة فإنها تنقل حسناته في القيامة إلى من اغتابه بدلاً عما استباحه من عرضه فإن لم تكن له حسنات نقل إليه من سيئات خصمه ، وهو مع ذلك متعرض لمقت الله عز وجل ومشتبه عنده بآكل الميتة ، بل العبد يدخل النار بأن تترجح كفة سيئاته على كفة حسناته وربما تنقل إليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل بها الرجحان ويدخل بها النار ، وإنما أقل الدرجات أن تنقص من ثواب أعماله وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب والحساب. قال ﷺ : « ما النار في اليبس بأسرع من الغيبة في حسنات العبد » . وروي أن رجلاً قال للحسن : بلغني انك تغتابني فقال: ما بلغ من قدرك عندي أني أحكمك في حسناتي. فمهما آمن العبد بما ورد من

الأعظم في المداواة للعلل الحادثة ، **(وعلاج كف اللسان عن الغيبة على وجهين: أحدهما على الجملة)** أي الإجمال ، **(والآخر على التفصيل)** .

(أما على الجملة: فهو أن يعلم تعرضه لسخط الله تعالى بغيبته بهذه الأخبار التي رويناها) وذكرناها آنفاً ، **(وإن يعلم أنها تحبط حسناته يوم القيامة)** وقد روى ابن أبي الدنيا عن كعب قال: الغيبة تحبط العمل ، **(فإنه تنقل حسناته إلى من اغتابه بدلاً عما اجتاحه)** أي استأصله **(من عرضه، فإن لم تكن له حسنات نقل إليه من سيئاته)** كما وردت بذلك الأخبار ، **(وهو مع ذلك متعرض لمقت الله عز وجل متشبه عنده بآكل الميتة)** أي لحمها ، **(بل العبد يدخل النار)** أي يستحق دخولها **(بأن تترجح كفة سيئاته على كفة حسناته ، وربما تنقل إليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل بها الرجحان)** لكفة السيئات ، **(ويدخل بها النار وإنما أقل الدرجات أن تنقص من ثواب أعماله، وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب والحساب)** والمناقشة في كل ذلك . **(قال ﷺ)** « والله **(ما النار في اليبس بأسرع من الغيبة في حسنات العبد »)** قال العراقي : لم أجد له أصلاً . قال الحافظ السخاوي : أي في المرفوع . نعم جاء عن الحسن البصري : إياكم والغيبة والذي نفسي بيده لهي أسرع في الحسنات من النار في الحطب .

قلت : روي ذلك ابن أبي الدنيا عن أبي الحسن عن ابن عبد الله الرقي ، حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، حدثني أبي عن الحسن أنه كان يقول : إياكم والغيبة فذكره .

(وروي أن رجلاً قال للحسن) البصري : **(بلغني أنك اغتبتني فقال: ما بلغ من قدرك**

الأخبار في الغيبة لم يطلق لسانه بها خوفاً من ذلك وينفعه أيضاً أن يتدبر في نفسه، فإن وجد فيها عيباً اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله ﷺ: «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس» ومهما وجد عيباً فينبغي أن يستحيي من أن يترك ذم نفسه ويذم غيره بل ينبغي أن يتحقق إن عجز غيره عن نفسه في التنزه عن ذلك العيب كعجزه، وهذا إن كان ذلك عيباً يتعلق بفعله واختياره وإن كان أمراً خلقياً فالذم له ذم للخالق فإن من ذم صنعة فقد ذم صانعها. قال رجل لحكيم: يا قبيح الوجه، قال ما كان خلق وجهي إليّ فاحسنه. وإذا لم يجد العبد عيباً في نفسه فليشكر الله تعالى ولا يلوثن نفسه بأعظم العيوب فإن ثلب الناس وأكل لحم الميتة من أعظم العيوب بل لو أنصف لعلم أن ظنه بنفسه انه بريء من كل عيب جهل بنفسه وهو من أعظم العيوب وينفعه أن يعلم أن تألم غيره بغيبته

عندي أني أحكمك في حسناتي، فمهما آمن العبد بما ورد من الأخبار في الغيبة) أي في ذمها **(لم يطلق لسانه بها)** أصلاً **(خوفاً من ذلك)** أي من الوعيد الذي دلت عليه الأخبار، **(وينفعه أيضاً أن يتذكر في عيوب الناس عيب نفسه فإن وجد فيها عيباً اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله ﷺ: «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس»)** قال العراقي: رواه البزار من حديث أنس بسند ضعيف اهـ.

قلت: تمامه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله، ووسعته السنة ولم يعد عنها إلى البدعة وقد رواه كذلك الديلمي وتقدم في أول الباب من هذا الكتاب.

(ومهما وجد عيباً فينبغي أن يستحيي من أن يترك نفسه بذم غيره) فذم نفسه أولى من ذم غيره، **(بل ينبغي أن يتحقق أن عجز غيره في نفسه في التنزه)** أي التباعد **(عن ذلك العيب كعجزه هذا إذا كان عيباً يتعلق بفعله واختياره وإن كان أمراً خلقياً)** قد خلقه الله كذلك وليس في اختياره تبديله، **(فالذم له ذم للخالق)** أي يرجع إليه ولو لم يقصد، **(فإن من ذم صنعة فقد ذم صانعها)** استلزاماً.

(قال رجل لحكيم: يا قبيح الوجه. قال: ما كان خلق وجهي إليّ فأحسنه) أي أزينه، وإنما هذه خلقه الله تعالى فما من حسن أو قبيح إلا والله خالقه **(وإذا لم يجد العبد عيباً في نفسه)** أي ظاهراً له عند تأمله، **(فليشكر الله تعالى)** على هذه النعمة **(ولا يلوثن نفسه بأعظم العيوب)** فإن ثلب أعراض الناس وأكل لحم الميتة من أعظم العيوب وأشدها، **(بل لو أنصف لعلم أن ظنه بنفسه أنه بريء من كل عيب)** ظن فاسد و **(جهل بنفسه)** وغرور، **(وهو من أعظم العيوب)** فإن مقتضى البشرية يقتضي العيب إلا من برأه الله تعالى، **(وينفعه أن يعلم أن تألم غيره بعيبه كتألمه بعيب غيره له، فإذا كان لا يرضى لنفسه أن يغتاب)** أي

كتألمه بغيبة غيره له فإذا كان لا يرضى لنفسه أن يغتاب فينبغي أن لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه. فهذه معالجات جلية.

أما التفصيل؛ فهو أن ينظر في السبب الباعث له على الغيبة فإن علاج العلة بقطع سببها وقد قدمنا الأسباب.

أما الغضب فيعالجه بما سيأتي في كتاب آفات الغضب، وهو أن يقول: إني إذا أمضيت غضبي عليه فلعل الله تعالى يمضي غضبه علي بسبب الغيبة إذ نهاني عنها، فاجترأت على نهيه واستخففت بزجره، وقد قال ﷺ: «إن لجهنم باباً لا يدخل منه إلا من شفي غيظه بمعصية الله تعالى». وقال ﷺ: «من اتقى ربه أمسك لسانه ولم يشف

يغتابه غيره، (**فينبغي أن لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه**) وهو كمال الإيمان، (**فهذه معالجة جلية**) أي إجمالية فيها مقنع لكل متبصر يتطلع بعين بصيرته، فيستفيد من هذه المعالجات شفاء لأمراضه المستكنة.

(**أما التفصيل في ذلك فهو أن ينظر في السبب الباعث له على الغيبة**) ما هو (**فإن علاج العلة بقطع سببها وقد قدمنا**) ذكر (**الأسباب**) الثمانية والثلاثة.

(**أما الغضب فيعالجه بما سيأتي**) في الذي يليه في كتاب ذم الغضب، (**وهو أن يقول: إني إذا أمضيت غضبي عليه لعل الله يمضي غضبه عليّ بسبب الغيبة إذ نهاني عنها فقال**) ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾ [الحجرات: ١٢] (**فاجترأت على الله تعالى**) بمخالفتي له (**واستخففت بزجره**) فلم أعلم به، (**وقد قال ﷺ: « إن لجهنم باباً**) أي عظيم المشقة (**لا يدخل منه**) وفي رواية: لا يدخله (**إلا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى »**) أي أزال شدة حنقه بإيصال المكروه إلى المغتاظ عليه على وجه لا يجوز شرعاً لأن الغضب الكائن كالداء، فإذا زال بما يطلبه الإنسان من عدوه فكأنه بريء من دائه. قال العراقي: رواه البزار وابن أبي الدنيا وابن عدي والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند ضعيف اهـ.

قلت: لفظ البزار بسخط الله بدل بمعصية الله، وفي سند قدامة بن محمد بن إسماعيل بن شيبة وهما ضعيفان، وقد وثقا. ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الغضب، وابن عدي في الكامل في ترجمة قدامة بن محمد.

(**وقال ﷺ: « من اتقى به كل لسانه ولم يشف غيظه »**) قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف، ورويناه في الأربعين البلدانية للسلفي اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن أبي الدنيا في كتاب التقوى، وابن النجار في ذيل التاريخ.

غيظه » وقال ﷺ : « من كظم غيظاً وهو يقدر على أن يمضيه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء » . وفي بعض الكتب المنزّلة على بعض النبيين: يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق.

وأما الموافقة؛ فبأن تعلم أن الله تعالى يغضب عليك إذا طلبت سخطه في رضا المخلوقين فكيف ترضى لنفسك أن توقر غيرك وتحقر مولاك فتترك رضاه لرضاهم إلا أن يكون غضبك لله تعالى؛ وذلك لا يوجب أن تذكر المغضوب عليه بسوء بل ينبغي أن تغضب لله أيضاً على رفقائك إذا ذكروه بالسوء ، فإنهم عصوا ربك بأفحش الذنوب وهي الغيبة. وأما تنزيه النفس بنسبة الغير إلى الخيانة حيث يستغني عن ذكر الغير فتعالجه بأن تعرف أن التعرض لمقت الخالق أشد من التعرض لمقت المخلوقين، وأنت بالغيبة

(وقال ﷺ : « من كظم غيظاً وهو يقدر على أن يمضيه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الأشهاد حتى يخيره في أي الحور شاء ») قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث معاذ بن أنس اهـ.

قلت: ورواه الطبراني، وأبو نعيم في الحلية من حديث سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه بلفظ: « من كظم غيظاً وهو قادر على إنفاذه خيره الله من الحور العين يوم القيامة » الحديث. ولفظ أبي داود والترمذي: « من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من الحور العين يزوجه منها ما شاء ». وكذلك رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب، والطبراني والبيهقي. ورواه أحمد بلفظ: « من كظم غيظه وهو يقدر على أن ينتصر دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره في الحور العين أيتهن شاء » الحديث. وروى ابن أبي الدنيا في ذم الغضب من حديث ابن عمر: « من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه لأمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا ».

(وفي بعض الكتب) السماوية: **(يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق)**. رواه ابن شاهين في كتاب الترغيب في الذكر عن ابن عباس،وفيه عثمان ابن عطاء الخراساني ضعفوه.

(وأما الموافقة) مع الرفقاء **(فبأن تعلم إن الله تعالى يغضب عليك إذا طلبت سخطه في رضا المخلوقين)** ففي حديث عائشة: من أرضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس. رواه أبو نعيم في الحلية، **(فكيف ترضى لنفسك أو توقر غيرك)** وترضيه **(ولا تحقر مولاك وتترك رضاه لرضاهم إلا أن يكون غضبك لله تعالى، وذلك يوجب أن لا تذكر المغضوب عليه بسوء)** أصلاً. **(بل ينبغي أن تغضب لله أيضاً على رفقائك إذا ذكروه بالسوء، فإنهم عصوا ربك بأفحش الذنوب، وهي الغيبة، وأما تنزيه النفس بنسبة الغير إلى الخيانة حيث يستغني عن ذكر الغير فتعالجه بأن تعرف أن التعرض لمقت الخالق أشد من التعرض لمقت**

متعرض لسخط الله يقيناً ولا تدري أنك تتخلص من سخط الناس أم لا ، فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الآخرة وتخسر حسناتك بالحقيقة ويحصل لك ذم الله تعالى نقداً . وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والخذلان .

وأما عذرك كقولك إن أكلت الحرام ففلان يأكله وإن قبلت مال السلطان ففلان يقبله ، فهذا جهل لأنك تعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به ، فإن من خالف أمر الله تعالى لا يقتدي به كائناً من كان ، ولو دخل غيرك النار وأنت تقدر على أن لا تدخلها لم توافقه ولو وافقته لسفه عقلك ففيما ذكرته غيبة وزيادة معصية أضفتها إلى ما اعتذرت عنه وسجلت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغباوتك ، وكنت كالشاة تنظر إلى المعزى تردي نفسها من قلة الجبل فهي أيضاً تردي نفسها ولو كان لها لسان ناطق بالعذر وصرحت بالعذر ، وقالت العنز : أكيس مني وقد أهلكت نفسها فكذلك أنا أفعل . لكنت تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ، ثم لا تعجب ولا تضحك من نفسك .

وأما قصدك المباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بأن تقدح في غيرك فينبغي أن تعلم

المخلوقين، وأنت بالغيبة متعرض لسخط الله تعالى يقينا) لاستخفافك بزجره، **(ولا تدري أنك تتخلص من سخط الناس أم لا ، فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الآخرة وتخسر حسناتك بالحقيقة ويحصل لك ذم الله عز وجل نقداً)** حاضراً **(وتنتظر رفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل و)** نهاية **(الخذلان)** نعوذ بالله من ذلك .

(وأما عذرك بقوله: إن أكلت الحرام ففلان يأكله) ويشربه إلى شخص معين من المشهورين بالعلم والصلاح، **(وإن قبلت مال السلطان ففلان يقبله)** ويشير كذلك إلى أحد من أهل عصره ممن يشار إليه بالفضل. **(فهذا جهل لأنك تعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به)** ولا اتباع طريقته، **(فإن من خالف أمر الله تعالى لا يقتدي به كائناً من كان)** والباطل لا يكون مقيساً عليه، **(ولو دخل غيرك النار وأنت تقدر على أن لا تدخلها لم توافقه ولو وافقته لسفه عقلك)** وضل رشدك، **(فما ذكرته غيبة وزيادة معصية أضفتها إلى ما اعتذرت عنه وسجلت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وعدوانك، وكنت كالشاة تنظر إلى المعزى تردي نفسها)** أي تسقطها **(من قلة الجبل)** أي من أعلاه، **(فهي أيضاً تردي نفسهاولو كان لها)** أي للشاة **(لسان تنطق بالعذر لصرخت بالعذر وقالت العنز : أكيس مني، وقد أهلكت نفسها، فكذلك أفعل لكنت تضحك من جهلها)** هو جواب شرط مقدر، **(وحالك مثل حالها)** وعذرك مثل عذرها، **(ثم لا تعجب ولا تضحك على نفسك)** وتعجب من تقليد الشاة للمعزى في التردي وتضحك عليها .

(وأما قصدك المباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بأن تقدح في غيرك، فينبغي أن

أنك بما ذكرته به أبطلت فضلك عند الله وأنت من اعتقاد الناس فضلك على خطر، وربما نقص اعتقادهم فيك إذا عرفوك بثلب الناس فتكون قد بعت ما عند الخالق يقيناً بما عند المخلوقين، وهما ولو حصل لك من المخلوقين اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئاً.

وأما الغيبة لأجل الحسد فهو جمع بين عذابين لأنك حسدته على نعمة الدنيا، وكنت في الدنيا معذباً بالحسد فما قنعت بذلك حتى أضفت إليه عذاب الآخرة، فكنت خاسراً نفسك في الدنيا فصرت أيضاً خاسراً في الآخرة لتجمع بين النكالين فقد قصدت محسودك فأصبت نفسك، وأهديت إليه حسناتك فإذا أنت صديقه وعدوّ نفسك إذ لا تضره غيبتك وتضرك وتنفعه إذ تنقل إليه حسناتك أو تنقل إليك سيئاته فلا ينفعك، وقد جمعت إلى خبث الحسد جهل الحماقة وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل محسودك كما قيل:

وإذا أراد الله نشر فضيلـــــة طويت أتـاح لها لسان حسـود

وأما الاستهزاء فمقصودك منه إخزاء غيرك عند الناس بإخزاء نفسك عند الله تعالى

تعلم أنك بما قد ذكرته به أبطلت فضلك عند الله، فإنك في اعتقاد الناس فضلك على خطر، وربما نقص اعتقادهم فيك إذا عرفوك بثلب الناس) في اعراضهم، **(فتكون قد بعت ما عند الخالق يقيناً بما عند المخلوقين وهما)** وظنا، **(ولو حصل لك من المخلوقين اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئاً)**.

(وأما الغيبة لأجل الحسد فهو جمع بين عذابين لأنك حسدته على نعمة الدنيا وكنت في الدنيا معذباً بالحسد فما قنعت بذلك حتى أضفت إليه عذاب الآخرة فتجمع بين النكالين فكنت خاسراً نفسك في الدنيا فصرت أيضاً خاسراً نفسك في الآخرة، فقد قصدت محسودك فأصبت نفسك وأهديت إليه حسناتك فإذاً أنت صديقه وعدوّ نفسك إذ لا تضره غيبتك وتضرك وتنفعه إذ تنقل إليه حسناتك وتنقل إليك سيئاته، فلا تنفعك. وقد جمعت إلى خبث الحسد جهل الحماقة) وقلة العقل، **(وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل محسودك كما قيل:**

وإذا أراد الله نشـــر فضيلـــــــة طـويـت اتـاح لها لســان حســود)

طويت أي أخفيت وأتاح ساق وقدر.

(وأما الاستهزاء فمقصودك منه إخزاء غيرك عند الناس) أي افضاحه **(بإخزاء**

وعند الملائكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام، فلـو تفكـرت في حسرتـك وجنـايتـك وخجلتك وخزيك يوم القيامة يوم تحمل سيئات من استهزأت به وتساق إلى النار لأدهشك ذلك عن اخزاء صاحبك، ولو عرفت حالك لكنت أولى أن تضحك منك فإنك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك لأن يؤخذ يوم القيامة بيدك على ملأ من الناس ويسوقك تحت سيئاته كما يساق الحمار إلى النار مستهزئاً بك وفرحاً بخزيك ومسروراً بنصرة الله تعالى إياه عليك وتسلطه على الانتقام منك.

وأما الرحمة له على إثمه فهو حسن، ولكن حسدك إبليس فأضلك واستنطقك بما ينقل من حسناتك إليه ما هو أكثر من رحمتك، فيكون جزاء الاثم المرحوم فيخرج عن كونه مرحوماً وتنقلب أنت مستحقاً لأن تكون مرحوماً إذ حبط أجرك ونقصت من حسناتك وكذلك الغضب لله تعالى لا يوجب الغيبة وإنما الشيطان حبب إليك الغيبة ليحبط أجر غضبك وتصير معرضاً لمقت الله عز وجل بالغيبة.

وأما التعجب إذا أخرجك إلى الغيبة فتعجب من نفسك أنت انك كيف أهلكت

نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام) في يوم تجتمع فيه الخلائق، **(فلو تفكرت في حسرتـك)** ونـدامتـك **(وجنـايتـك)** التي جنيتهـا **(وخجلتـك وخزيك يوم القيامة)** بين يدي هؤلاء **(تحمل سيئات غيرك الذي استهزأت به)** في الدنيا، **(وتساق)** بسبب ذلك **(إلى النار)** ودار البوار **(لأدهشك ذلك)** أي أوقعك في الدهشة **(عن إخزاء أخيك)** في الدنيا، **(ولو عرفت حالك)** التي تؤول إليها **(لكنت أولى من يضحك منك فإنك سخرت منه عند نفر قليل)** وهم رفقاؤك **(وعرضت نفسك لأن يؤخذ يوم القيامة بيدك على ملأ من الناس، ويسوقك)** الذي استهزأت به **(تحت سيئاته كما يساق الحمار)** ذليلاً منقاداً **(إلى النار مستهزئاً بك وفرحاً بخزيك)** وفضيحتك **(ومسروراً بنصرة الله تعالى إياه عليك وتسلطه على الانتقام منك)**.

(وأما الرحمة) والتحنن **(له على إثمه)** الذي ابتلي به **(فهو حسن)** في نفسه، **(ولكن حسدك إبليس فأضلك)** عن الطريق **(واستنطقك بما ينقل من حسناتك إليه ما هو أكثر من رحمتك فيكون جبر الإثم المرحوم)** المشفق عليه، **(فيخرج)** بذلك **(عن كونه مرحوماً وتنقلب أنت مستحقاً لأن تكون مرحوماً إذ حبط أجرك ونقصت من حسناتك، وكذلك الغضب لله عز وجل لا يوجب الغيبة، وإنما الشيطان حبب إليك الغيبة ليحبط أجر غضبك وتصير معرضاً لمقت الله تعالى بالغيبة.**

وأما التعجب إذا أخرجك إلى الغيبة فتعجب من نفسك إنك كيف أهلكت نفسك

نفسك ودينك بدين غيرك أو بدنياه وأنت مع ذلك لا تأمن عقوبة الدنيا وهو أن يهتك الله سترك كما هتكت بالتعجب ستر أخيك . فإذاً علاج جميع ذلك المعرفة فقط والتحقق بهذه الأمور التي هي من أبواب الإيمان فمن قوي إيمانه بجميع ذلك انكف لسانه عن الغيبة لا محالة .

بيان تحريم الغيبة بالقلب:

اعلم أن سوء الظن حرام مثل سوء القول ، فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك بمساوىء الغير فليس لك أن تحدث نفسك وتسيء الظن بأخيك . ولست أعني به إلا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء ، فأما الخواطر والظن وحديث النفس فهو معفو عنه ، بل الشك أيضاً معفو عنه ، ولكن المنهي عنه أن يظن والظن عبارة عما تركن إليه النفس ويميل إليه القلب ، فقد قال الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن إثم﴾ [الحجرات : ١٢] وسبب تحريمه ان أسرار القلوب لا يعلمها إلا علام

ودينك بدين غيرك أو بدنياه، وأنت مع ذلك لا تأمن عقوبة الدنيا وهو أن يهتك الله سترك) ويفضحك ، **(كما هتكت ستر أخيك)** وفضحته **(بالتعجب، فإذاً علاج جميع ذلك المعرفة فقط)** وهي العلم ، **(والتحقق بهذه الأمور التي هي من أبواب الإيمان)** ومداخله ، **(فمن قوي إيمانه بجميع ذلك)** انشرح صدره لمعرفته واتسع النور فيه وأقبل على مولاه بكليته ، و**(انكشف لسانه عن الغيبة لا محالة)** .

بيان تحريم لغيبة بالقلب:

(اعلم أن سوء الظن) بأخيك المسلم **(حرام مثل سوء القول)** فيه ، **(فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك)** الظاهر **(بمساوىء الغير)** ومعايبة ، **(فليس لك أن تحدث نفسك وتسيء الظن بأخيك)** المسلم **(ولست أعني به إلا حقد القلب)** المستكن فيه **(وحكمه على غيره بسوء الظن ، فأما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه)** بدليل ما وردت به الأخبار وتقدم ذكرها في كتاب رياضة النفس ، **(ولكن المنهي عنه أن يظن والظن عبارة عما تركن إليه النفس، ويميل إليه القلب، وقد قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن﴾)** أي كونوا على جانب منه وإبهام الكثير ليحتاط في كل ظن ويتأمل حتى يعلم أنه من أي القبيل ، فإن من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله وما يحرم كالظن حيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين وما يباح كالظن في الأمور المعاشية **(﴿إن بعض الظن إثم﴾)** تعليل مستأنف للأمر ، والإثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه . **(وسبب تحريمه أن أسرار القلوب لا يعلمها إلاّ علاّم الغيوب، فليس لك أن تعتقد في غيرك سوءاً**

الغيوب، فليس لك أن تعتقد في غيرك سوءاً إلا إذا انكشف لك بعيان لا يقبل التأويل، فعند ذلك لا يمكنك إلا أن تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه بأذنك. ثم وقع في قلبك فإنما الشيطان يلقيه إليك فينبغي أن تكذبه فإنه أفسق الفساق وقد قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فأسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة﴾ [الحجرات: ٦] فلا يجوز تصديق إبليس إن كان ثم مخيلة تدل على فساد واحتمل خلافه لم يجز أن تصدق به لأن الفاسق يتصوّر أن يصدق في خبره، ولكن لا يجوز لك أن تصدق به حتى أن من استنكه فوجد منه رائحة الخمر لا يجوز أن يحد إذ يقال يمكن أن يكون قد تمضمض بالخمر ومجها وما شربها أو حمل عليه قهراً، فكل ذلك لا محالة دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب وإساءة الظن بالمسلم بها. وقد قال ﷺ: « إن الله حرم من المسلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء » فلا يستباح ظن السوء إلا بما

(إلا إذا انكشف لك بعيان) أي مشاهدة **(لا يقبل التأويل، فعند ذلك لا يمكنك إلا أن تعتقد ما علمته وشاهدته)** بعيانك، **(وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه باذنك ثم وقع في قلبك، فإنما الشيطان يلقيه إليك، فينبغي أن تكذبه فإنه أفسق الفساق وقد قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾)** أي فتعرفوا وتفصحوا وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم. وفي تعليق الأمر بالتبيين على فسق المخبر يقتضي جواز قبول خبر العدل من حيث أن المعلق على شيء بكلمة إن عدم عند عدمه، وأن خبر الواحد العدل يوجب تبيينه من حيث هو كذلك **﴿أن تصيبوا﴾** كراهة أصابتكم **﴿قوماً بجهالة﴾** جاهلين بحالهم وتمام الآية ﴿فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ أي مغتمين غماً لازماً متمنين أنه لم يقع، **(فلا يجوز تصديق إبليس)** فيا يوقعه في القلب، **(وإن كان ثم مخيلة تدل على فساد، واحتمل خلافه لم يجز أن يصدقه لأن الفاسق يتصور أن يصدق في خبره، ولكن لا يجوز لك أن تصدقه حتى أن من استنكه)** أي شم فمه **(فوجد منه رائحة الخمر لا يجوز أن يحد)** حد الشارب للخمر **(إذ يقال يمكن أن يكون قد تمضمض بها ومجها)** أي ألقاها **(وما شربها أو حمل عليه)** أي على شربها **(قهراً)** أي أكره إلى ذلك، **(فكل ذلك لا محالة دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب وإساءة الظن بالمسلم بها)** وقد قال الشاعر:

يقولون لي انكه قد شربت مدامة　　فقلت لهم لا بل أكلت السفرجلا

وقد اعتبر أصحابنا وجود الرائحة في إيجاب الحد بشروط على ما هو مذكور له الفروع، وهو مذهب عمر وابن مسعود، **(وقد قال ﷺ: « إن الله حرم من المسلم دمه وماله وإن يظن به ظن السوء »)** قال العراقي: رواه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند ضعيف، ولابن ماجه نحوه بسند ضعيف أيضاً، **(فلا يستباح إلا بما يستباح به المال وهو نفس مشاهدته أو بينة**

يستباح به المال وهو نفس مشاهدته أو بينة عادلة، فإذا لم يكن كذلك وخطر لك وسواس سوء الظن فينبغي أن تدفعه عن نفسك وتقرر عليها أن حاله عندك مستور كما كان وإن ما رأيته منه يحتمل الخير والشر.

فإن قلت: فبماذا يعرف عقد الظن والشكوك تختلج والنفس تحدث؟ فنقول: أمارة عقد سوء الظن أن يتغير القلب معه عما كان فينفر عنه نفوراً ما ويستثقله ويفتر عن مراعاته وتفقده وإكرامه والاغتمام بسببه. فهذه أمارات عقد الظن وتحقيقه، وقد قال ﷺ: «ثلاث في المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن أن لا يحققه». أي لا يحققه في نفسه بعقد ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح. أما في القلب فبتغيره إلى النفرة والكراهة، وأما في الجوارح فبالعمل بموجبه، والشيطان قد يقرر على القلب بأدنى مخيلة مساءة الناس ويلقي إليه أن هذا من فطنتك وسرعة فهمك وذكائك، وأن المؤمن ينظر بنور الله تعالى وهو على التحقيق ناظر بغرور الشيطان وظلمته.

عادلة، فإذا لم يكن كذلك وخطر لك وسواس سوء الظن، فينبغي أن تدفعه عن نفسك وتقرر عليها أن الحال عندك مستور كما كان، وأن ما رميته به يحتمل الخير والشر.

فإن قلت: فبماذا يعرف عقد الظن والشكوك تختلج والنفس تحدث؟ فنقول: أمارة عقد الظن أن يتغير القلب معه عما كان فينفر عنه نفوراً ما ويستثقله) أي يعده ثقيلاً، **(ويمسك عن مراعاته)** لأحواله **(وتفقده)** عند تأخره، **(وإكرامه)** عند لقائه **(أو الاغتمام بسببه)** إن عرض به عارض، **(فهذه أمارات لعقد الظن)** في القلب **(وتحقيقه، وقد قال ﷺ: «ثلاث في المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن أن لا يحققه»)** قال العراقي: رواه الطبراني من حديث حارثة بن النعمان بسند ضعيف اهـ.

قلت: لفظ الطبراني في الكبير: «ثلاث لازمات لأمتي سوء الظن والحسد والطيرة فإذا ظننت فلا تحقق، وإذا حسدت فاستغفر الله تعالى، وإذا تطيرت فامض» وفد سنده إسماعيل بن قيس الأنصاري وهو ضعيف، وكذلك رواه أبو الشيخ في كتاب التوبيخ، وروى عمر الأصبهاني الحافظ الملقب برسته في كتاب الإيمان له عن الحسن البصري مرسلاً: ثلاث لم تسلم منها هذه الأمة الحسد والظن والطيرة، ألا أنبئكم بالمخرج منها إذا ظننت فلا تحقق وإذا حسدت فلا تبغ، وإذا تطيرت فامض، **(أي لا يحققه في نفسه بعقد ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح، أما في القلب فبتغيره إلى النفرة والكراهة وأما في الجوارح فبالعمل بموجبه)** ومقتضاه **(والشيطان قد يقرر على القلب بأدنى مخيلة مساءة الناس ويلقي إليه أن هذا من فطنتك وسرعة تنبهك وذكائك)** وحسن تفرسك، **(وأن المؤمن ينظر بنور الله تعالى وهو على التحقيق نظر بغرور الشيطان وظلمته، فليحذر من ذلك. وأما إذا أخبرك غيرك من العدول فمال ظنك**

وأما إذا أخبرك به عدل فمال ظنك إلى تصديقه كنت معذوراً لأنك لو كذبته لكنت جانياً على هذا العدل إذ ظننت به الكذب، وذلك أيضاً من سوء الظن، فلا ينبغي أن تحسن الظن بواحد وتسيء بالآخر. نعم ينبغي أن تبحث هل بينهما عداوة ومحاسدة وتعنت فتتطرق التهمة بسببه، فقد رد الشرع شهادة الأب العدل للولد للتهمة ورد شهادة العدوّ، فلك عند ذلك أن تتوقف وإن كان عدلاً فلا تصدقه ولا تكذبه، ولكن تقول في نفسك المذكور حاله كان عندي في ستر الله تعالى وكان أمره محجوباً عني، وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من أمره، وقد يكون الرجل ظاهره العدالة ولا محاسدة بينه وبين المذكور، ولكن قد يكون من عادته التعرض للناس وذكر مساوئهم، فهذا قد يظن أنه عدل وليس بعدل، فإن المغتاب فاسق وإن كان ذلك من عادته ردت شهادته إلا ان الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في أمر الغيبة ولم يكترثوا بتناول أعراض الخلق.

إلى التصديق كنت معذوراً) في الجملة **(الا أنك لو كذبته لكنت جانياً على هذا العدل إذ ظننت به الكذب، وذلك أيضاً من سوء الظن، فلا ينبغي أن تحسن الظن بواحد وتسيء بالآخر. نعم ينبغي أن تبحث هل بينهما عداوة ومحاسدة وتعنت)** في خصومة أو معاملة، **(فتتطرق التهمة بسببه، فقد رد الشرع شهادة الأب العدل للولد للتهمة ورد شهادة العدوّ)** وذلك فيما روي أنه ﷺ قال: « لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا مجلود حد ولا مجلودة ولا ذي غمر على أخيه ولا مجرب عليه شهادة زور ولا التابع مع آل البيت لهم ولا الظنين في ولاء ولا في قرابة » أخرجه الترمذي وضعفه، والبيهقي من حديث عائشة.

وروي أبو داود وابن ماجه والبيهقي وابن عساكر من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، عن النبي ﷺ قال: « لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا زان ولا زانية ولا ذي غمر على أخيه في الإسلام » ورواه عبد الرزاق وأحمد بلفظ: « لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا ذي غمر على أخيه ولا شهادة التابع لأهل البيت وتجوز شهادته لغيرهم ». ورواه عبد الرزاق أيضاً عن عمر ابن عبد العزيز بلاغاً « لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا ذي غمر على أخيه ولا محدث في الإسلام ولا محدثة » ورواه أيضاً، وكذا الحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة لا تجوز شهادة ذي الظنة ولا ذي الحنة.

(فلك عند ذلك أن تتوقف وإن كان عدلاً فلا تصدقه ولا تكذبه، ولكن تقول في نفسك المذكور حاله كان في ستر الله عندي، وكان أمره محجوباً عني، وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من أمره) وحاله، **(وقد يكون الرجل ظاهره الستر والعدالة ولا محاسدة بينه وبين المذكور)** ولا معاداة ولا تعنت، **(ولكن يكون من عادته التعرض للناس وذكر مساوئهم، فهذا قد يظن أنه عدل وليس بعدل، فإن المغتاب فاسق)** هذا إذا صدر منه الاغتياب على القلة، **(وإن كان ذلك من عادته ردت شهادته إلا أن الناس لكثرة الاعتياد**

ومهما خطر لك خاطر بسوء على مسلم فينبغي أن تزيد في مراعاته وتدعو له بالخير فإن ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقي إليك الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة. ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فانصحه في السر ولا يخدعنك الشيطان فيدعوك إلى اغتيابه، وإذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور باطلاعك على نقصه لينظر إليك بعين التعظيم وتنظر إليه بعين الاستحقار وتترفع عليه بإبداء الوعظ، وليكن قصدك تخليصه من الإثم وأنت حزين كما تحزن على نفسك إذا دخل عليك نقصان في دينك، وينبغي أن يكون تركه لذلك من غير نصحك أحب إليك من تركه بالنصيحة، فإذا أنت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين أجر الوعظ وأجر الغم بمصيبته وأجر الإعانة له على دينه.

ومن ثمرات سوء الظن التجسس فإن القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو أيضاً منهي عنه. قال الله تعالى: ﴿ولا تجسسوا﴾ [الحجرات: ١٢] فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي عنه في آية واحدة ومعنى التجسس ان لا يترك عباد

تساهلوا في أمر الغيبة ولم يكترثوا بتناول اعراض الخلق) أي لم يبالوا، وهذه بلية عامة شاملة للعباد في جميع البلاد، فهي من أكبر الفساد إلا من عصمه الله تعالى.

(ومهما خطر لك خاطر بسوء على مسلم، فينبغي أن تزيد في مراعاته) وتفقده واكرامه والسؤال عن حاله، **(وتدعو له بالخير فإن ذلك يغيظ الشيطان)** ويغضبه **(ويدفعه عنك ولا يلقى إليك الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء)** له **(والمراعاة)** لحاله. **(ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة)** ظاهرة، **(فانصحه في السر)** لا في العلانية، **(فلا يخدعنك الشيطان فيدعوك إلى اغتيابه، وإذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور باطلاعك على نقصه)** وعيبه، **(لينظر إليك بعين التعظيم)** والاحترام **(وتنظر إليه بعين الاستحقار وتترفع عليه بدالة الوعظ)** والنصح، **(وليكن قصدك تخليصه من الاثم)** الذي وقع فيه، **(وأنت حزين كما تحزن على نفسك بنقصان في دينك، وينبغي أن يكون تركه لذلك من غير نصحك أحب إليك من تركه بالنصيحة، فإذا أنت فعلت ذلك كنت قد جمعت أجر الوعظ وأجر النم بمصيبته وأجر الإعانة له على دينه، ومن ثمرات سوء الظن التجسس، فإن القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق)** بمقتضاه، **(فيشتغل بالتجسس وهو أيضاً منهي عنه قال الله تعالى: ﴿ولا تجسسوا﴾ فالغيبةوسوءالظن والتجسس منهي عنه)** أي عن كل منها **(في آية واحدة)** وهي قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾ فقدم ذكر سوء الظن ثم أتبعه بثمرته ثم ذكر الغيبة، **(ومعنى التجسس أن**

الله تحت ستر الله فيتوصل إلى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف له ما لو كان مستوراً عنه، كان أسلم لقلبه ودينه، وقد ذكرنا في كتاب الأمر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته.

بيان الأعذار المرخصة في الغيبة:

اعلم أن المرخص في ذكر مساوىء الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل إليه إلا به فيدفع ذلك إثم الغيبة وهي ستة أمور.

الأوّل: التظلم فإن من ذكر قاضياً بالظلم والخيانة وأخذ الرشوة كان مغتاباً عاصياً إن لم يكن مظلوماً. أما المظلوم من جهة القاضي فله أن يتظلم إلى السلطان وينسبه إلى الظلم إذ لا يمكنه استيفاء حقه إلا به. قال ﷺ: «إن لصاحب الحق مقالاً وقال عليه السلام:

لا يترك عباد الله ستر الله فيتوسل إلى الاطلاع) إلى ما وراء، **(وهتك الستر حتى ينكشف له ما لو كان مستوراً عنه كان أسلم لقلبه ودينه. وقد ذكرنا في كتاب الأمر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته)** فلا نطوّل باعادته، والله الموفق.

بيان الاعذار المرخصة في الغيبة:

(اعلم أن المرخص في ذكر مساويء الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل إليه إلا به، فيدفع ذلك إثم الغيبة وهي ستة أمور)نظمها بعضهم فقال:

لا تقـــدح الغيبـــة في ستـــة ... متظلم متحـــذر متعـــرف
ولمظهـر فسقـاً ومستفـت ومـن ... طلـب الإعـانـة في إزالة منكـر

(الأوّل: التظلم. فإن من ذكر قاضياً من القضاة بالظلم والخيانة وأخذ الرشوة كان مغتاباًعاصياً) لله تعالى. **(أما المظلوم من جهة القاضي، فله أن يتظلم إلى السلطان)** الأعظم الذي ولأه القضاء، **(وينسبه إلى الظلم)** ويشكو منه **(إذا لا يمكنه استيفاء حقه إلا به)** فحصل الترخيص له من الشارع، **(وقد قال)** الله تعالى ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾ [النساء: ١٤٨] وقال **(ﷺ «إن لصاحب الحق مقالاً»)** أي أن لصاحب الدين صولة الطلب وقوّة الحجة. قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلـت: رواه من حديث سلمة بن كهيل، سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يحدث، عن أبي هريرة أن رجلاً تقاضى رسول الله ﷺ فأغلظ له فهمّ به أصحابه فقال: «دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً» قال الحافظ السخاوي: وهو من غرائب الصحيح. قال البزار: لا يروى عن أبي هريرة إلا بهذا الإسناد، ومداره على سلمة بن كهيل وقد صرح يعني به في رواية البخاري بأنه سمعه من أبي سلمة بمنى، وذلك لما حج. وقد رواه كذلك الترمذي. ورواه أحمد من حديث عائشة، وابن

« مطل الغني ظلم » ، وقال عليه السلام : « ليّ الواجد يحل عقوبته وعرضه » .

الثاني : الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى منهج الصلاح كما روي أن عمر رضي الله عنه مرّ على عثمان وقيل على طلحة رضي الله عنه فسلم عليه فلم يرد السلام ، فذهب إلى أبي بكر رضي الله عنه فذكر له ذلك ، فجاء أبو بكر إليه ليصلح ذلك ولم

عساكر من حديث أبي حميد الساعدي ، وروى أبو نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة « دعوه فإن طالب الحق أعذر من النبي » .

(وقال ﷺ « مطل الغني ظلم ») أي تسويف القادر المتمكن من اداء الدين الحال ظلم منه لرب الدين ، فهو حرام . والتركيب من قبيل إضافة المصدر إلى فاعله ، وقيل : من إضافة المصدر إلى مفعوله يعني يجب وفاء الدين ، وإن كان مستحقه غنياً فالفقير أولى ولفظ المطل يؤذن بتقديم الطلب فتأخير الأداء مع عدم الطلب ليس بظلم ، وقضية كونه ظلماً إنه كبيرة يفسق به ان تكرر ، وكذا إن لم يتكرر على ما جرى عليه بعضهم . قال العراقي : متفق عليه من حديث أبي هريرة اهـ .

قلت : تمامه « وإذا اتبع أحدكم على مليّ فليتبع » وكذلك رواه أبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه . وفي رواية لبعضهم « المطل ظلم الغنى » وفي الباب عن عمران بن حصين عند القضاعي وابن عمر عند أحمد والترمذي .

(وقال ﷺ « ليّ الواجد) أي الغني والليّ : المطل **(يحل)** بالضم من الإحلال ، **(عرضه »)** بأن يقول له المدين أنت ظالم أنت مماطل ونحوه مما ليس بفحش ولا قذف ، **(وعقوبته)** بأن يعزره القاضي على الأداء بنحو ضرب أو حبس حتى يؤدي . قال العراقي : رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الشريد باسناد صحيح اهـ .

قلت : رواه أبو داود في الأقضية والنسائي في البيع ، وابن ماجه في الأحكام ، وكذلك رواه أحمد والحاكم من طريق عمرو بن الشريد عن أبيه . وقال الحاكم : صحيح . وأقره الذهبي وعلقه البخاري .

وأخرج البيهقي في الشعب من طريق شعبة قال : الشكاية والتحذير ليسا من الغيبة قال عقبة : وهذا صحيح فقد يصيبه من جهة غيره أذى فيشكوه ، ويحكي ما جرى عليه من الأذى فلا يكون ذلك حراماً ولو صبر عليه كان أفضل .

(الثاني : الاستعانة) بالحاكم ونحوه **(على تغيير المنكر)** أي إزالته ، **(وردّ العاصي إلى منهج الصلاح)** بتركه وتوبته ، **(كما روي أن عمر رضي الله عنه مرَّ على عثمان ، وقيل على طلحة)** رضي الله عنهما **(فسلّم)** عليه **(فلم يرد السلام)** لشغل كان به أو لم يسمعه ، **(فذهب)** عمر **(إلى أبي بكر رضي الله عنه فذكر له ذلك فأتى أبا بكر)** وأخبره **(ليصلح ذلك)** إذ

يكن ذلك غيبة عندهم، وكذلك لما بلغ عمر رضي الله عنه ان أبا جندل قد عاقر الخمر بالشام كتب إليه: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم★ حم★ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم★ غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب﴾ [غافر: ١ - ٣] الآية، فتاب. ولم يرَ ذلك عمر ممن أبلغه غيبة إذ كان قصده أن ينكر عليه ذلك فينفعه نصحه ما لا ينفعه نصح غيره، وإنما إباحة هذا بالقصد الصحيح فإن لم يكن ذلك هو المقصود كان حراماً.

الثالث: الاستفتاء كما يقول للمفتي ظلمني أبي أو زوجتي أو أخي وكيف طريقي في الخلاص؟ والأسلم التعريض بأن يقول: ما قولك في رجل ظلمه أبوه أو أخوه أو زوجته، ولكن التعيين مباح بهذا القدر لما روي عن هند بنت عتبة انها قالت للنبي ﷺ: إن أبا

كان رد السلام واجباً، (**ولم يكن ذلك غيبة**) فدعا أبو بكر عثمان أو طلحة فاعتذر إليه وقبل ذلك منه.

(**وكذلك لما بلغ عمر رضي الله عنه أن أبا جندل عاقر الخمر بالشام كتب إليه ﴿بسم الله الرحمن الرحيم★حم★ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم★ غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب﴾ الآية فتاب**) رواه كثير بن هشام، حدثنا جعفر بن برقان، حدثنا يزيد بن الأصم أن رجلاً كان ذا بأس، وكان يرفد إلى عمر لبأسه، وكان من أهل الشام ففقده عمر فسأل عنه فقيل: تتابع في الشراب فدعا كاتبه فقال: أكتب من عمر إلى فلان سلام عليك. فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو غافر الذنب وقابل التوب، ثم دعا وأمن من عنده ودعوا له ان يقبل الله بقلبه وأن يتوب عليه، فلما اتت الصحيفة الرجل جعل يقرأها ويقول: قد وعدني الله أن يغفر لي، وقال شديد العقاب، فحذرني من عقابه فرددها وبكى، ثم نزع فأحسن النزع، فلما بلغ عمر قال: هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخاً لكم قد زلّ فسددوه ووفقوه وادعوا له ولا تكونوا أعوان الشيطان عليه، وقد تقدم ذلك في كتاب آداب الصحبة بنحوه. (**ولم ير عمر ذلك ممن أبلغه غيبة**) في حقه (**إذ كان قصده أن ينكر عليه ذلك فينفعه نصحه ما لا ينفعه نصح غيره، وإنما إباحة هذا بالقصد الصحيح، فإن لم يكن ذلك هو المقصود كان حراماً**) وذلك موضع الغرور، فإنه قلما يستعين بذي جاه ويذكر له شيئاً من ذلك إلاّ والشيطان يوقعه في آفات عظيمة لا يكاد يتخلص منها.

(**الثالث: الاستفتاء كما يقول للمفتي قد ظلمني أبي أو زوجتي أو أخي: وكيف طريقي في الخلاص والأسلم**) في هذا (**التعريض**) دون التصريح (**بأن يقول: ما قولك**) أو كيف تقول (**في رجل ظلمه أبوه**) أو أخوه (**أو زوجته**) أو أخذ مال ابنه ظلماً أو أخذت مال زوجها بغير إذنه لأجل بخله؟ (**ولكن التعيين مباح بهذا القدر، لما روي عن هند بنت عتبة**) بن

سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني أنا وولدي فآخذ من غير علمه فقال: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف». فذكرت الشح والظلم لها ولولدها ولم يزجرها ﷺ إذ كان قصدها الاستفتاء.

الرابع: تحذير المسلم من الشر فإذا رأيت فقيهاً يتردد إلى مبتدع أو فاسق وخفت أن تتعدى إليه بدعته وفسقه فلك أن تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف عليه من سراية البدعة والفسق لا غير، وذلك موضع الغرور إذ قد يكون الحسد هو الباعث ويلبس الشيطان ذلك بإظهار الشفقة على الخلق، وكذلك من اشترى مملوكاً وقد

ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية العبشمية، والدة معاوية بن أبي سفيان أخبارها قبل الإسلام مشهورة، وشهدت أحداً مع المشركين وفعلت ما فعلت بحمزة، ثم كانت تؤلب على المسلمين إلى أن جاء الله بالفتح فأسلم زوجها أبو سفيان ثم أسلمت هي يوم الفتح، وقصتها في قولها عند بيعة النساء أن لا يسرقن ولا يزنين فقالت: وهل تزني الحرة؟ وعند قوله ولا يقتلن أولادهن قد ربيناهم صغاراً وقتلتهم كباراً مشهورة.

ومن طرقه ما أخرجه ابن سعد بسند صحيح مرسل عن الشعبي، وعن ميمون بن مهران قال الواقدي: لما أسلمت هند جعلت تضرب صنماً لها في بيتها بالقدوم حتى فلذته فلذة فلذة، وتقول: كنا منك في غرور. قيل: إنها بقيت إلى خلافة عثمان، وبه جزم ابن سعد **(أنها قالت للنبي ﷺ: إن أبا سفيان)** تعني زوجها **(رجل شحيح)** أي بخيل إلى الغاية **(لا يعطيني ما يكفيني أنا وولدي أفآخذ من)** ماله من **(غير علمه)**، هل لي في ذلك من حرج؟ **(قال)** لها ﷺ **(«خذي من ماله ما يكفيك وولدك بالمعروف»)** رواه البخاري ومسلم بلفظ «خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك وولدك» وهو من رواية هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة.

قال الحافظ في الأصابة: وشذ عبدالله بن محمد بن عروة فقال عن هشام عن أبيه عن هند أخرجه ابن منده، وفيه قصة البيعة وفيه: فقالت إن أبا سفيان رجل بخيل ولا يعطيني ما يكفيني إلا ما أخذت منه من غير علمه الحديث. وفيه عن مرسل الشعبي قالت هند: كنت قد اقتنيت من مال أبي سفيان، فقال أبو سفيان: ما أخذت من مالي فهو حلال، **(فذكرت الشحّ والظلم لها ولولدها ولم يزجرها ﷺ إذ كان قصدها الاستفتاء)** لا الحكومة والدعوى.

(الرابع: تحذير المسلم من) سراية الشر فإذا رأيت **(فقيهاً يتردّد إلى مبتدع أو فاسق، وخفت أن تتعدى إليه بدعته)** ويسري إليه شره، **(فلك أن تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف عليه من سراية البدعة والفسق لا غير، وذلك موضع الغرور)** من الشيطان. **(إذ قد يكون الحسد هو الباعث)** لك **(ويلبس الشيطان ذلك بإظهار الشفقة على الخلق)** فيهلك نفسه بذلك، **(فكذلك من اشترى مملوكاً وقد عرف المملوك بالسرقة**

عرفت المملوك بالسرقة أو بالفسق أو بعيب آخر فلك أن تذكر ذلك فإن في سكوتك ضرر المشتري، وفي ذكرك ضرر العبد، والمشتري أولى بمراعاة جانبه وكذلك المزكي إذا سئل عن الشاهد فله الطعن فيه إن علم مطعناً، وكذلك المستشار في التزويج وإيداع الأمانة له ان يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لا على قصد الوقيعة. فإن علم أنه يترك التزويج بمجرد قوله لا تصلح لك فهو الواجب، وفيه الكفاية، وإن علم انه لا ينزجر إلا بالتصريح بعينه فله أن يصرح به إذ قال رسول الله ﷺ: «أترغبون عن ذكر الفاجر متى يعرفه الناس اذكروه بما فيه حتى يحذره الناس». وكانوا يقولون: ثلاثة لا

والفسق أو بعيب آخر، فلك) أيها البائع **(أن تذكر ذلك للمشتري تصريحاً فإن في سكوتك ضرر المشتري وفي ذكرك للعيب ضرر العبد)** إذ لا يقدم المشتري على شرائه فيكون كاسداً، **(والمشتري أولى بمراعاة جانبه)** من مراعاة جانب العبد، وإن كان في كل منها مضارة، **(وكذلك المزكي)** في رواة الأخبار والشهادات **(إذا سئل عن)** تزكية **(الشاهد فله الطعن فيه)** وجرحه **(إن علم مطعناً)** فيخبر بما يعلمه من الراوي أو الشاهد ليتقي خبره وشهادته فيكون ذلك مباحاً. نقله البيهقي عن شعبة. **(وكذلك المستشار في التزويج وايداع الامانة له أن يذكر ما عنده على قصد النصح للمستشير)** بأن فلاناً لا يصلح لها أو لا يصلح لأن يودع عنده شيء **(لا على قصد الوقيعة فيه)**، ويشترط أن لا يكون بين المستشار والمستشار فيه عداوة أو خصومة، **(فإن علم أنه يترك التزويج بمجرد قوله لا تصلح لك فهو الواجب، وإن علم أنه لا ينزجر إلا بتصريح بعيبه، فله أن يصرح به قال ﷺ أترعون)** بفتح همزة الاستفهام وكسر الراء من ورع يرع كوعد يعد أي أتتحرجون وتمتنعون **(عن ذكر الفاجر)** المعلن بفسقه الذي لا يبالي بما ارتكبه **(اهتكوه)** أي اكشفوا حاله، وارفعوا ستره **(متى يعرفه الناس)** فيحذرون منه **(إذ ذكروه بما فيه)** من الأوصاف الذميمة، **(حتى يعرفه الناس)** فلا يغترون به، وبيَّن بقوله بما فيه أنه لا يجوز ذكر فاسق بغير ما فيه ولا بما لم يعلن به، وأشار بقوله يحذره الناس إلى أن مشروعية ذكره بذلك مشروطة بقصد الاحتساب وإرادة النصيحة دفعاً للاغترار ونحوه، فمن ذكر أحداً من هذا الصنف تشفياً لغيظه أو انتقاماً لنفسه أو نحو ذلك من الحظوظ النفسانية، فهو آثم صرح بذلك التاج السبكي عن والده قال: كنت جالساً بدهليز دارنا فأقبل كلب، فقلت: اخسأ كلب ابن كلب فزجرني الوالد من داخل البيت، فقلت: أليس هو كلب ابن كلب؟ قال: شرط الجواز عدم قصد التحقير، فقلت: هذه فائدة. قال العراقي: رواه الطبراني وابن حبان في الضعفاء وابن عدي من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده دون متى يعرفه الناس، ورواه بهذه الزيادة ابن أبي الدنيا في الصمت اهـ.

قلت: رواه الخطيب في رواية مالك من حديث أبي هريرة بلفظ: أترعون عن ذكر الفاجر أن تذكروه يعرفه الناس، ثم قال: تفرد به الجارود.

غيبة لهم: الإمام الجائر، والمبتدع، والمجاهر بفسقه.

الخامس: أن يكون الإنسان معروفاً بلقب يعرب عن عيبه كالأعرج والأعمش، فلا إثم على من يقول: روى أبو الزناد عن الأعرج وسليمان عن الأعمش وما يجري مجراه.

وقال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثنا أبو طالب عبد الجبار بن عاصم، حدثنا الجارود بن يزيد، عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ «أترعون عن ذكر الفاجر متى يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس» وكذلك أخرجه في ذم الغيبة. وأخرجه كذلك أبو يعلى والترمذي الحكيم في الثامن والتسعين من نوادر الأصول، والحاكم في الكنى، والشيرازي في الألقاب، والعقيلي والبيهقي والخطيب كلهم من طريق الجارود بن يزيد القشيري عن بهز. قال الجارود: لقيت بهز بن حكيم في الطواف فذكره لي قال الحكيم: والخطيب تفرد به الجارود عنه، وقال الحاكم: هذا غير صحيح، وقال البيهقي: ليس بشيء. وقال في المهذب كأصله الجارود واهٍ، وقال البخاري والدارقطني: هو متروك، وقد سرقه منه جمع، ورووه عن بهز ولم يصح في ذا شيء منهم: عمرو بن الأزهر عن بهز وسليمان بن عيسى عن الثوري عن بهز وسليمان وعمرو كذابان، وقد رواه معمر عن بهز أيضاً أخرجه الطبراني في الأوسط عن عبد الوهاب أخي عبد الرزاق وهو كذاب، وقال الطبراني: لم يروه عن معمر غيره كذا قال، وقال أحمد: حديث منكر، وقال ابن عدي: لا أصل له، وقال الدارقطني في العلل. هو من وضع الجارود. وقال العقيلي: ليس لهذا الحديث أصل يثبت، وفي الميزان: أن أبا بكر الجارودي كان إذا مرَّ بقبر جده الجارود قال: يا أبت لو لم تحدث بحديث بهز لزرتك.

(وكانوا يقولون: ثلاثة لا غيبة لهم: الإمام الجائر، والمبتدع، والمجاهر بفسقه) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت عن يوسف بن موسى، حدثنا عبد الرحمن بن مغراء، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم قال: ثلاث كانوا لا يعدون من الغيبة فذكره قال: وبلغني عن أحمد بن عمران الأخنسي، حدثنا سليمان بن حيان، عن الاعمش، عن إبراهيم قال: ثلاثة ليس لهم غيبة الظالم والفاسق وصاحب البدعة. وأخرج البيهقي في الشعب عن سفيان بن عيينة قال: ثلاثة ليس لهم غيبة: الإمام الجائر والفاسق المعلن بفسقه والمبتدع الذي يدعو الناس إلى بدعته.

(الخامس: أن يكون الإنسان معروفاً بلقب يعرب) أي يبين **(عن عينه)** أي شخصه، **(كالأعرج)** وهو لقب عبد الرحمن بن هرمز المدني من أكبر أصحاب أبي هريرة، مات بالاسكندرية سنة سبع عشرة ومائة، **(والأعمش)** هو لقب سليمان بن مهران الكاهلي أبو محمد الكوفي **(فلا إثم على من يقول: روى أبو الزناد)** هو عبد الله بن ذكوان القرشي المدني ثقة فقيه مات سنة ثمانين، روى له الجماعة **(عن الأعرج)** عن أبي هريرة، **(وسليمان عن الأعمش)** هكذا في النسخ أي روى سليمان عن الأعمش، والأعمش اسمه سليمان كما تقدم إلا أن يكون أحد رواة الأعمش اسمه سليمان، لكنه ليس في الشهرة كأبي الزناد عن الأعرج، **(وما يجري مجراه)**

فقد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف ولأن ذلك قد صار بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد أن قد صار مشهوراً به. نعم إن وجد عنه معدلاً وأمكنه التعريف بعبارة أخرى فهو أولى، وذلك يقال للأعمى البصير عدولاً عن اسم النقص.

السادس: أن يكون مجاهراً بالفسق كالمخنث وصاحب الماخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وكان ممن يتظاهر به بحيث لا يستنكف من أن يذكر له ولا يكره أن يذكر به، فإذ ذكرت فيه ما يتظاهر به فلا إثم عليك. قال رسول الله ﷺ: «من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له». وقال عمر رضي الله عنه: «ليس لفاجر

كالأبح والابرش والأشبح والأثرم والأجلح والأحدب والأجرد والأحمر والأحنف والأحول والأزرق والأسود والأشتر والأشج والأشدق والأشعث والأشقر والأشل والأصفر والأصم والأعجم والأعسم والأعشى والأعلم والأعمى والأعنق والأعور والأعين والأغطش والأفرق والأفطس والأقرع، والبطين وبومة والتل والجارود والجرب والحافي والحمال ودحروجة الجعل ورخ ورشك وزنبور وزنبيج وسحبل والسمين وسندول وصاعقة والضال والضرير والضخم والضعيف والطويل والعجل وغندر والغول والفافا والفرخ والفقير والقباع والقرظ والقصير والكوسج وكيلجة ولوين والمجدر ومحرق والمزلق ومشفر والمضروب والمعرقب والمفلوج والمقعد والمقفع والمنبوذ. فهذه الألقاب رواة الآثار وحملة الأخبار مما يغض عنه السامع عند ذكره، وكذلك الكنى من الألقاب كأبي الأحوص، وأبي البطن، وأبي ثور، وأبي الشعثاء، وأبي كشوثا، وما يجري مجراه. وكذلك الأنساب من الألقاب، كالتبوذكي، والدنداني، والزنجي، والقطبي، والمنجنيقي، والنبطي وما يجري مجراه. (**فقد فعل العلماء ذلك للتعريف، ولأن ذلك قد صار بحيث لا يكرهه صاحبه لو علم**) أنهم يقولون كذلك (**بعد أن قد صار مشهوراً به**) لا يعرف إلا هكذا، وهو في الأعرج والأعمش والطويل ظاهر، فإن هؤلاء كان يقال لهم ذلك ولا يغضبون، (**نعم إن وجد عنه معدلاً وأمكنه التعريف بعبارة أخرى فهو أولى**) وهو اختيار الحسن وجماعة، فكانوا يعدون مثل ذلك غيبة وقد تقدم النقل عنهم، (**ولذلك يقال للأعمى البصير عدولاً عن اسم النقص**) ويريدون به البصير بقلبه، وفي بعض الأقوال وإنما قيل لحميد الطويل لأنه كان قصيراً، فالطول ليس بنقص بخلاف القصر. نعم إذا وصف الرجل بالطول المفرط يغضي منه.

(**السادس: أن يكون مجاهراً بالفسق**) معلناً (**كالمخنث**) والقوّاد، (**وصاحب الماخور**) وهو مجلس الشراب، (**والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس بأخذ أموالهم، وكان ممن يتظاهر به فلا إثم قال رسول الله ﷺ «من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له»**) الجلباب: الإزار وكل ما يستر به من الثوب، والقاؤه عن وجهه كناية عن ترك الحياء فيه لأن النهي عن الغيبة إنما هو لايذائه المغتاب بما يصيبه من شيء يظهر شينه فهو يستره ويكره اضافته له، فلا يقدر على التبري منه، وأما من فضح نفسه بترك الحياء فهو غير مبال بذكره فمن ذكره لم يلحقه

حرمة وأراد به المجاهر بفسقه دون المستتر إذ المستتر لا بدّ من مراعاة حرمته ». وقال الصلت بن طريف، قلت للحسن: الرجل الفاسق المعلن بفجوره ذكري له بما فيه غيبة له. قال: لا ولا كرامة. وقال الحسن ثلاثة لا غيبة لهم: صاحب الهوى، والفاسق المعلن

منه أذى فلا يلحقه وعيد الغيبة. قال العراقي: رواه ابن عدي وأبو الشيخ في كتاب الأعمال بسند ضعيف اهـ.

قلت: وقد تقدم هذا الحديث في كتاب الزكاة، وقد رواه كذلك ابن حبان في الضعفاء، والخرائطي في مساويء الأخلاق، والبيهقي في السنن وفي الشعب، والقضاعي في مسند الشهاب، والديلمي والخطيب وابن عساكر وابن النجار كلهم من طريق رواد بن الجراح، عن أبي سعد الساعدي، عن أنس مرفوعاً بلفظ « من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له » ولفظ ابن عدي « من خلع ». وقال البيهقي أنه ليس بالقوي وقال مرة في إسناده ضعف وأخرجه ابن عدي أيضاً من روايةالربيع بن بدر عن أبان عن أنس وأسناده أضعف من الأول. قال البيهقي: ولو صح فهو في الفاسق المعلن بفسقه وتقدم شيء من ذلك في كتاب الزكاة.

(وقال عمر رضي الله عنه: ليس لفاجر حرمة) رواه ابن أبي الدنيا، عن محمد بن عباد بن موسى، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، عن همام عن قتادة قال: قال عمر بن الخطاب فذكره، **(وأراد به المجاهر بفسقه دون المستتر إذ المستتر لا بدَّ من مراعاة حرمته)** لأنه لا يستتر إلا وهو خائف من لحوق العار والذم إليه، فمثل هذا إذا قيل ما يكرهه يغتم ويحزن ويتأذى.

(وقال الصلت بن طريف: قلت للحسن) البصري **(الرجل الفاسق المعلن بفجوره ذكري له بما فيه غيبة: قال لا ولا كرامة)** رواه ابن أبي الدنيا فقال: حدثني يحيى بن جعفر، أنبأنا عبد الملك بن إبراهيم الجدي، حدثنا الصلت بن طريف قال: قلت للحسن فذكره. وقال أيضاً: حدثني عبيد الله بن جرير، حدثني موسى بن إسماعيل، حدثنا الصلت بن طريف المعولي قال: سألت الحسن، قلت رجل قد علمت منه الفجور وقتلته علماً فذكري له غيبة؟ قال: لا. ولا نعمة عين للفاجر.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله: **(ثلاثة لا غيبة لهم: صاحب الهوى، والفاسق المعلن بفسقه، والإمام الجائر)** رواه ابن أبي الدنيا، عن محمد بن الحسن بن عباد، حدثنا يحيى بن أبي بكر عن شريك عن عقيل عن الحسن قال فذكره. وقال أيضاً: حدثني أبي، حدثنا علي بن شقيق، أنبأنا خارجة، حدثنا ابن جابان، عن الحسن قال: ثلاثة لا تحرم عليك اعراضهم المجاهر بالفسق والإمام الجائر والمبتدع، وقال أيضاً: حدثنا عبيد الله بن جرير، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا المبارك عن الحسن قال: إذا ظهر فجوره فلا غيبة له. قال: نحو المخنث ونحو الحرورية. قال: وحدثني محمد بن عباد بن موسى، حدثنا مروان بن معاوية، عن زائدة بن قدامة قال: قلت لمنصور

بفسقه، والامام الجائر. فهؤلاء الثلاثة يجمعهم انهم يتظاهرون به وربما يتفاخرون به، فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون إظهاره؟ نعم: لو ذكره بغير ما يتظاهر به إثم وقال عوف: دخلت على ابن سيرين فتناولت عنده الحجاج فقال: إن الله حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه، وانك إذا لقيت الله تعالى غداً كان أصغر ذنب أصبته أشد عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج.

ابن المعتمر إذا كنت صائماً أنال من السلطان. قال: لا قلت: فأنال من أصحاب الأهواء؟ قال: نعم. وقال أيضاً: حدثنا الحسن بن يحيى، أنبأنا عبد الرزاق، عن معمر عن زيد بن أسلم قال: إنما الغيبة لمن يعلن بالمعاصي. وأخرجه كذلك البيهقي في الشعب. وقال أيضاً: حدثنا خلف بن هشام، حدثنا أبو عوانة، عن قتادة عن الحسن قال: ليس بينك وبين الفاسق حرمة، قال: وكان رجل قد خرج مع يزيد بن المهلب فكان الحسن إذا ذكره هرته.

(وهؤلاء الثلاثة يجمعهم أنهم متظاهرون به، وربما يتفاخرون به، فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون اظهاره؟ نعم لو اغتابه بغير ما يتظاهر به) وكذا بغير ما فيه **(إثم. قال عوف)** بن أبي جيلة الاعرابي البصري العبدي: **(دخلت على)** أبي بكر محمد **(بن سيرين)** رحمه الله تعالى، **(فتناولت عنده الحجاج)** بن يوسف الثقفي **(فقال: إن الله حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه، كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه كأنك إذا لقيت الله غداً كان أصغر ذنب أصبته أشد عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج)** أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبو عمرو العثماني، حدثنا النعمان بن أحمد، حدثنا محمد بن عبد الملك، حدثنا الهيثم بن عبيد، حدثنا سهل أخو حزم القطعي لا أعلم إلا أنه هو ذكره قال: سمع ابن سيرين رجلاً يسب الحجاج فأقبل عليه فقال: مه أيها الرجل، فإنك لو وافيت الآخرة كان أصغر ذنب عملته قط أعظم عليك من أعظم ذنب عمله الحجاج، واعلم أن الله تعالى حكم عدل إن أخذ من الحجاج لمن ظلمه، فسيأخذ للحجاج ممن ظلمه ولا تشغلن نفسك بسبّ أحد.

تنبيه:

قولهم ليس لفاسق غيبة رواه الطبراني، وابن عدي في الكامل، والقضاعي في مسند الشهاب من طريق جعدبة بن يحيى، عن العلاء بن بشير، عن ابن عيينة، عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده مرفوعاً به. وأخرجه الهروي في ذم الكلام له وقال: إنه حسن. قال السخاوي: وليس كذلك، وقد قال ابن عدي إنه معروف بالعلاء، ومنهم من قال عنه الثوري وهو خطأ، وإنما هو ابن عيينة، وهذا اللفظ غير معروف، وكذا قال الحاكم فيما نقله البيهقي في الشعب عنه عقب إيراده غير صحيح ولا معتمد. قال الدارقطني، وابن عيينة لم يسمع من بهز، والله أعلم.

بيان كفارة الغيبة:

اعلم أن الواجب على المغتاب أن يندم ويتوب ويتأسف على ما فعله ليخرج به من حق الله سبحانه ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج من مظلمته وينبغي أن يستحله وهو حزين متأسف نادم على فعله إذ المرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع، وفي الباطن لا يكون نادماً فقد قارف معصية أخرى. وقال الحسن: يكفيه الاستغفار دون الاستحلال، وربما استدل في ذلك بما روى أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «كفارة من اغتبته أن

بيان كفارة الغيبة:

(**اعلم أن الواجب على المغتاب**) أصله مغتيب على صيغة اسم الفاعل، وقد تشترك الصيغتان وتتميزان بالقرينة (**أن يندم ويتوب**) إلى الله تعالى، (**ويتأسف على ما فعله ليخرج من حق الله تعالى**) إذ عصاه بمخالفة نهيه، (**ثم يستحل المغتاب**) وهي صيغة اسم المفعول أي يطلب منه العفو لأنه ظلمه بغيبته (**ليحله**) أي يعفو عنه، (**فيخرج من مظلمته**) فالغيبة يتعلق بها حقان عصيان الله وظلم العبد، فلا بدّ من التوبة والاستحلال، (**وينبغي أن يستحله وهو حزين متأسف نادم على فعله إذ المرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادماً فيكون قد قارف معصية أخرى**) وهي المراءاة بفعله، (**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالى: (**يكفيه الاستغفار**) له (**دون الاستحلال**) منه، (**وربما احتج في ذلك بما روى أنس ابن مالك**) رضي الله عنه، (**قال: قال رسول الله ﷺ «كفارة من اغتبت أن تستغفر له»**) رواه ابن أبي الدنيا عن أبي عبيدة عبد الوراث بن عبد الصمد، حدثنا أبي، حدثنا عنبسة بن عبد الرحمن القرشي، عن خالد بن يزيد، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ فساقه.

وقد رواه كذلك الحرث بن أبي أسامة في مسنده، والخرائطي في المساويء، والبيهقي في الشعب، وأبو الشيخ في التوبيخ، والدينوري في المجالسة، والخطيب في التاريخ، وآخرون كلهم من طريق عنبسة عن خالد بن يزيد عن أنس به مرفوعاً ولفظ بعضهم «كفارة الاغتياب أن تستغفر لمن اغتبته» وعنبسة ضعيف وقد رواه الخرائطي من غير طريقه من جهة أبي سليمان الكوفي، عن ثابت عن أنس مرفوعاً بلفظ «إن من كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته تقول اللهم اغفر لنا وله» وهو ضعيف أيضاً، ولكن له شواهد فعند أبي نعيم في الحلية، وابن عدي في الكامل كلاهما من حديث أبي داود سليمان بن عمرو النخعي، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد مرفوعاً «من اغتاب أخاه فاستغفر له فهو كفارة له» والنخعي ممن اتهم بالوضع، وعند الدارقطني من حديث حفص بن عمر الإيلي، عن سهل بن لاحق، عن محمد بن المنكدر، عن جابر مرفوعاً «من اغتاب رجلاً ثم استغفر له من بعد ذلك غفرت له غيبته» وهو ضعيف، وهو عند البيهقي في الشعب من جهة عباس الترفقي ثم من جهة همام بن منبه عن أبي هريرة قال «الغيبة تخرق الصوم والاستغفار يرقعه فمن استطاع أن يجيء غداً بصومه مرقعاً فليفعل» وقال عقبة هذا موقوف وسنده ضعيف.

تستغفر له ». وقال مجاهد : كفارة أكلك لحم أخيك أن تثني عليه وتدعو له بخير . وسئل عطاء بن أبي رباح عن التوبة من الغيبة . قال : أن تمشي إلى صاحبك فتقول له : كذبت فيما قلت وظلمتك وأسأت فإن شئت آخذت بحقك وإن شئت عفوت وهذا هو الأصح.
وقول القائل : العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام ضعيف إذ قد وجب في العرض حد القذف وتثبت المطالبة به بل في الحديث الصحيح ما روي أنه ﷺ قال : « من كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال فليستحللها منه من قبل أن

(**وقال مجاهد : كفارة أكل لحم أخيك أن تثني عليه وتدعو له بخير**) رواه ابن أبي الدنيا عن أبي كريب ، حدثنا يحي بن زكريا عن أبي زائدة ، حدثنا محمد بن عبد الله الليثي ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد فذكره . قال : وحدثني محمد بن إدريس ، حدثنا داود بن معاذ ابن أخت مخلد ابن حسين ، عن شيخ له ، عن أبي حازم قال : « من اغتاب أخاه فليستغفر له فإن ذلك كفارة لذلك » . وروى البيهقي في الشعب عن ابن المبارك قال : إذا اغتاب رجل رجلاً فلا يخبره ، ولكن يستغفر ، وعن محبوب بن موسى قال : سألت علي بن بكار عن رجل اغتبته ثم ندمت قال : لا تخبره فتفري قلبه ، ولكن ادع له واثن عليه حتى تمحو السيئة بالحسنة ويؤيده قوله تعالى : ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة﴾ [المؤمنون : ٩٦] وحديث حذيفة كان في لساني ذرب على أهلي لم يعدهم ، فسألت النبي ﷺ فقال : « أين أنت من الاستغفار يا حذيفة » الحديث . رواه الحاكم وصححه والبيهقي وبمجموع هذه يبعد الحكم عليه بالوضع .

(**وسئل عطاء**) بن أبي رباح (**عن التوبة من الغيبة**) كذا في نسخ الكتاب ، وفي بعضها من الفرية وهو الموافق لما في كتاب الصمت كما سيأتي (**فقال : تمشي إلى صاحبك فتقول له : كذبت فيما قلت وظلمتك وأسأت ، فإن شئت ، أخذت بحقك وإن شئت وهبت**) رواه ابن أبي الدنيا ، عن محمد بن إدريس ، حدثنا أبو النضر الدمشقي ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن أبي شيبة يحي بن يزيد الرهاوي ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن عطاء بن أبي رباح أنه سئل عن التوبة من الفرية قال : إن تمشي فذكره إلا أنه قال في آخره : وإن شئت عفوت بدل وهبت . قال المصنف : (**وهذا هو الحق**) .

قلت : هذا مبني على أنه لا فرق عنده بين الغيبة والفرية وهو بعيد بلا مرية ، والأحسن في هذا المقام التفصيل ، وهو أن لا يحتاج إلى الاستحلال إذا لم يصل الكلام إلى المغتاب منه بخلاف ما إذا وصله إلا إذا كان يتشوش بذكره ، فقد يكون الاعتذار أكبر من المذنب عند بعض الأبرار ، وأما قول عطاء فإنه خاص بالافتراء ، بل ينبغي أن يعترف بالخطأ في حضور الملأ بالخلأ وبالملأ فتأمل .

(**وقول القائل العرض لا عوض له ، فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام ضعيف إذ قد وجب في العرض حد القذف وتثبت المطالبة به**) كما هو مفصل في فروع الفقه ، (**بل في الحديث الصحيح ما روي أنه ﷺ قال : « من كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو**

يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم إنما يؤخذ من حسناته فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته». وقالت عائشة رضي الله عنها لامرأة قالت لأخرى: إنها طويلة الذيل قد اغتبتيها فاستحليها فإذا لا بد من الاستحلال ان قدر عليه، فإن كان غائباً أو ميتاً فينبغي أن يكثر له الاستغفار والدعاء ويكثر من الحسنات.

فإن قلت: فالتحليل هل يجب؟ فأقول: لا لأنه تبرع، والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحسن، وسبيل المعتذر أن يبالغ في الثناء عليه والتودد إليه، ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه فإن لم يطب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة الغيبة في القيامة، وكان بعض السلف لا يحلل. قال سعيد بن المسيب: لا أحلل من ظلمني وقال ابن سيرين: إني لم أحرمها عليه فأحللها له إن الله حرم الغيبة عليه وما كنت لأحلل ما حرم الله أبداً.

مال فليتسحلها منه قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم يؤخذ من حسناته فإن لم تكن له حسنات أخذت من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته») متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ: «من كانت عنده مظلمة لأخيه فليستحلله منها». ورواه أحمد كذلك وفيه: «من عرض أو مال فليتحلله اليوم قبل أن تؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم فإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له عمل أخذ من سيئات صاحبه فجعلت عليه».

(وقالت عائشة رضى الله عنها لامرأة قالت لأخرى إنها طويلة الذيل قد اغتبتيها فاستحليها، فلا بد من الاستحلال إن قدر عليه) أي على أن يأتي إليه **(فإن كان غائباً)** في سفر بعيد، **(أو ميتاً فينبغي ان يكثر له الاستغفار والدعاء ويستكثر من الحسنات)** فإن الحسنات يذهبن السيئات، وربما يفهم منه التفصيل الذي ذكرناه آنفاً فتأمل.

(فإن قلت: فالتحليل هل يجب؟ فأقول: لا لأنه تبرع والتبرع فضل وليس بواجب، ولكنه مستحب. وسبيل المعتذر أن يبالغ في الثناء عليه) بما لم يخرجه إلى حد الكذب، **(و)** يبالغ في **(التردد إليه)** بما لم يخرجه إلى حد التملق، **(ويلازم ذلك)** أي الثناء والتودد **(حتى يطيب قلبه)** فإنه ربما لا يطيب قلبه بمرة واحدة واثنتين، **(فإن لم يطب قلبه)** مع ذلك **(كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له)** في صحيفته **(يقابل بها سيئة الغيبة في يوم القيامة، وكان بعض السلف يقول: لا أحلل من اغتابني)** أي لا أجعله في حلّ مني **(وقال سعيد)** بن المسيب: **(لا أحلل من ظلمني)** أي تنقص من عرضي، **(وقال ابن سيرين: إني لم أحظرها)** أي لم أحرمها **(عليه فأحلله إن الله حرم الغيبة عليه وما كنت لأحل ما حرم الله أبداً)**.

قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو بكر بن خلاد، حدثنا محمد بن يونس، حدثنا أزهر بن سعد،

فإن قلت: فما معنى قول النبي ﷺ: « ينبغي أن يستحلها » وتحليل ما حرم الله تعالى غير ممكن؟ فنقول: المراد به العفو عن المظلمة لا أن ينقلب الحرام حلالاً. وما قاله ابن سيرين حسن في التحليل قبل الغيبة فإنه لا يجوز له أن يحلل لغيره الغيبة.

فإن قلت: فما معنى قول النبي ﷺ: « أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان إذا خرج من بيته قال اللهم إني قد تصدقت بعرضي على الناس »؛ فكيف يتصدق بالعرض

عن ابن عون قال: قيل لمحمد بن سيرين: يا أبا بكر إن رجلاً قد اغتابك فتحلله؟ قال: ما كنت لأحل شيئاً حرمه الله.

وحدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا أبو بكر بن أبي عاصم، حدثنا أبو عمير، حدثنا أبو حمزة قال: قال السري بن يحيى أو غيره لابن سيرين إني قد اغتبتك فاجعلني في حل. قال: إني أكره إن أحل ما حرمه الله عز وجل.

(**فإن قلت: فما معنى قول النبي ﷺ: « ينبغي أن يستحلها »**) وهو في حديث أبي هريرة الماضي ذكره بلفظ: « فليستحللها منه ». (**وتحليل ما حرم الله غير ممكن**) وهو الذي فهمه سعيد ابن المسيب وابن سيرين كما اقتضاه قولها السابق؟ (**فنقول: المراد به**) جعله في حل يعني (**العفو عن المظلمة**) لينقلب حرامه بمنزلة الحلال المباح له (**لا أن ينقلب الحرام حلالاً**) كما يدل له ظاهر اللفظ. (**وما قاله ابن سيرين حسن في التحليل قبل الغيبة، فإنه لا يجوز له أن يحلل لغيره الغيبة**) فمن جوزه فقد أحل ما حرمه الله، وأما بعد الغيبة فمعناه لا أعفو عنه.

(**فإن قلت: فما معنى قول النبي ﷺ: « أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان إذا خرج من بيته قال اللهم إني قد تصدقت بعرضي على الناس »**) قال العراقي: رواه البزار وابن السني في اليوم والليلة، والعقيلي في الضعفاء من حديث أنس بسند ضعيف، وذكره ابن عبد البر من حديث ثابت مرسلاً عند ذكر أبي ضمضم في الصحابة.

قلت: وإنما هو رجل ممكن كان قبلنا كما عند البزار والعقيلي اهـ.

قلت: قال الحافظ في الإصابة: قرأت بخط ابن عبد البر في حاشية كتاب ابن السكن أبو ضمضم غير منسوب، روى ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: « أتحبون أن تكونوا كأبي ضمضم »؟ قالوا: يا رسول الله ﷺ من أبو ضمضم؟ قال: « إن أبا ضمضم كان إذا أصبح قال: اللهم إني قد تصدقت بعرضي على من ظلمني » قال: فأوجب النبي ﷺ أنه قد غفر له، وذكره في الصحابة فقال: روى عنه الحسن وقتادة أنه قال: اللهم إني قد تصدقت بعرضي على عبادك. قال: وروى ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن أبي صالح، عن أبي هريرة أن رجلاً من المسلمين قال فذكر مثله. قال أبو عمر: أظنه أبا ضمضم المذكور.

قلت: تبع في ذلك كله الحاكم أبا أحمد فإنه أخرج الحديث من طريق حماد بن زيد عن هشام

ومن تصدق به فهل يباح تناوله فإن كان لا تنفذ صدقته فما معنى الحث عليه؟ فنقول: معناه أني لا أطلب مظلمة في القيامة منه ولا أخاصمه وإلاّ فلا تصير الغيبة حلالاً به ولا تسقط المظلمة عنه لأنه عفو قبل الوجوب إلا أنه وعد وله العزم على الوفاء بأن لا يخاصم

عن الحسن، وعن أبي العوام عن قتادة قالا: قال أبو ضمضم اللهم فذكره، ثم ساق حديث أبي هريرة من طريق سعيد بن عبد الرحمن عن سفيان وهو كذلك في جامع سفيان، وأخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة من طريق شعيب بن بيان، عن عمران القطان عن قتادة، عن أنس مرفوعاً، وقد تعقب ابن فتحون قول ابن عبد البر روى عنه الحسن وقتادة فقال: هذا وهم لا خفاء به النبي ﷺ يخبر أصحابه عن أبي ضمضم، فلا يعرفونه حتى يقولوا من أبو ضمضم، وأبو عمر يقول: روى عنه الحسن وقتادة. وقد أخرجه البزار والساجي من طريق أبي النضر عن هاشم بن القاسم، عن محمد بن عبد الله العمي، عن ثابت، عن أنس الحديث وفيه قالوا: وما أبو ضمضم؟ قال: «إن أبا ضمضم كان رجلاً إذا أصبح قال» الحديث. وفي رواية البزار من الزيادة: «كان رجلاً صلباً قال ابن فتحون: فالرجل لم يكن من هذه الأمة، وإنما كان قبلها فأخبرهم بحاله تحريضاً على أن يعملوا بعمله وما توهماه من أن الصحابي في حديث أبي هريرة هو أبو ضمضم خطأ، بل هو علبة ابن زيد الأنصاري، ولولا ما جاء من التصريح بأن أبا ضمضم كان فيمن كان قبلنا لجوّزت أن يكون علبة يكنى أبا ضمضم، لكن منع من ذلك ما أخرجه أبو داود عن موسى بن إسماعيل، وأبو بكر الخطيب في كتاب الموضح من طريق روح بن عبادة كلاهما عن حماد بن سلمة، عن ثابت عن عبد الرحمن بن عجلان أن النبي ﷺ قال: «أيعجز أحدكم أن يكون مثل أبي ضمضم» قالوا: ومن أبو ضمضم يا رسول الله» قال: رجل ممن كان قبلكم» الحديث قال أبو داود: رواه أبو النضر عن محمد بن عبد الله العمي، عن ثابت، عن أنس. ورواية حماد أصح. وأخرجه من طريق محمد بن ثور عن معمر عن قتادة موقوفاً اهـ.

وأسنده البخاري في تاريخه والبزار والساجي من طريق أبي النضر، وأشار البزار إلى أن محمد بن عبد الله تفرد به، وأخرجه البخاري في تاريخه، والعقيلي في الضعفاء. وقال الحافظ في ترجمة علبة بن زيد الأنصاري أخرج الخطيب من طريق أبي قرة الزبيدي في كتاب السنن له قال: ذكر ابن جريج عن صالح بن زيد عن أبي عبس الحارثي، عن ابن عم له يقال له علبة بن زيد أن رسول الله ﷺ أمر بالصدقة وحث عليها فخرج من الليل وبكى وقال: اللهم إنك قد أمرت بالصدقة وليس عندي ما أتصدق به، ولكني أتصدق بعرضي على من آذاني وشتمني أو لمزني فهو له حل، فقال النبي ﷺ: «قد قبلت منك صدقتك».

(فكيف يتصدق بالعرض ومن تصدق به، فهل يباح تناوله وإن كان لا تنفذ صدقته، فما معنى الحث عليه) واخبار حاله للاصحاب؟ **(فنقول: معناه أني لا أطلب مظلمة يوم القيامة منه ولا أخاصمه، وإلا فلا تصير الغيبة حلالاً به ولا تسقط المظلمة لأنه عفو قبل الوجوب إلا أنه وعد وله العزم على الوفاء بأن لا يخاصم فإن رجع وخاصم كان القياس**

فإن رجع وخاصم كان القياس كسائر الحقوق إن له ذلك. بل صرح الفقهاء أن من أباح القذف لم يسقط حقه من حد القاذف ومظلمة الآخرة مثل مظلمة الدنيا، وعلى الجملة فالعفو أفضل.

وقال الحسن: إذا جثت الأمم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة نودوا ليقم من كان له أجر على الله فلا يقوم إلا العافون عن الناس في الدنيا وقد قال الله تعالى: ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ [الأعراف: ١٩٩]، فقال النبي ﷺ: «يا جبريل ما هذا العفو؟ فقال: إن الله تعالى يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك. وروي عن الحسن ان رجلاً قال له: ان فلاناً قد اغتابك فبعث إليه رطباً على طبق وقال: قد بلغني أنك أهديت إليَّ من حسناتك فأردت أن أكافئك عليها فاعذرني فإني لا أقدر أن أكافئك على التمام.

الآفة السادسة عشرة النميمة:

قال الله تعالى: ﴿ همّاز مشاء بنميم﴾، ثم قال: ﴿عتلّ بعد ذلك زنيم﴾ [القلم: ١٣]

كسائر الحقوق أن له ذلك، بل صرح الفقهاء بأن من أباح القذف لم يسقط حقه من حد القاذف ومظلمة الآخرة مثل مظلمة الدنيا .وعلى الجملة فالعفو أفضل . قال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(إذا جثت الأمم بين يدي الله تعالى نودوا)** ألا **(من كان أجره على الله فليقم فلا يقوم إلا من عفا في الدنيا)** وروى ابن عساكر في التاريخ من حديث علي ينادي يوم القيامة من بطنان العرش: ألا ليقم من كان أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا عن أخيه. **(قال الله)** تعالى مخاطباً لحبيبه ﷺ: **(﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ فقال النبي ﷺ: «يا جبريل ما هذا؟ قال: إن الله تعالى يأمر أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك»)** تقدم في كتاب رياضة النفس.

(وروي عن الحسن) البصري رحمه الله تعالى **(أن رجلاً قال له: إن فلاناً قد اغتابك فبعث إليه)** الحسن **(رطباً على طبق وقال: بلغني أنك أهديت إليّ حسناتك فأردت أن أكافئك عيها فاعذرني فإني لا أقدر أن أكافئك على التمام)** أخرجه أبو نعيم في الحلية. وقال بعضهم: لو كنت أغتاب أحداً لاغتبت أمي فإنها أولى أن تأخذ حسناتي أو آخذ من سيئاتها يوم القيامة.

الآفة السادسة عشر النميمة:

(قال الله تعالى: ﴿همّاز مشاء بنميم﴾ ثم قال﴿عتل بعد ذلك زنيم﴾) فالهماز العيّاب أو المغتاب، ومشاء بنميم أي كثير المشي بالنميمة، مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم، والمقصود

قال عبدالله بن المبارك: الزنيم ولد الزنا الذي لا يكتم الحديث، وأشار به إلى أن كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على انه ولد زنا استنباطاً من قوله عز وجل عتل بعد ذلك زنيم، والزنيم هو الدعيّ. وقال تعالى: ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ [الهمزة: ١] قيل: الهمزة النمام. وقال تعالى: ﴿حمالة الحطب﴾ [اللهب: ٤] قيل: إنها كانت نمامة حمالة للحديث. وقال تعالى: ﴿فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً﴾ [التحريم: ١٠] قيل: كانت امرأة لوط تخبر بالضيفان وامرأة نوح تخبر أنه مجنون، وقد قال ﷺ: « لا يدخل الجنة

منه من جمع بين أنواع من الوصف الذميم، **(قال عبد الله بن المبارك)** رحمه‌الله تعالى: **(الزنيم ولد الزنا الذي لا يكتم الحديث، وأشار به إلى أن كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة ولد الزنا استنباطاً من قوله عز وجل: ﴿عتل بعد ذلك زنيم﴾ والزنيم هو الدعيّ)** وكون أن الزنيم هو الدعيّ أخرجه عبد بن حميد، وابن عساكر عن ابن عباس، وأنشد قول الشاعر:

زنيم تـــداعـــاه الرجـــال زيـــادة ... كما زيـد في عـــرض الأديم أكـــارعـــه

وأخرج ابن الأنبار في الوقف والابتداء، عن عكرمة أنه سئل عن الزنيم فقال: هو ولد الزنا، وأنشد قول الشاعر:

زنيم ليس يعـــرف مـــن أبـــوه ... بـــغـــي الأم في حســـب لئيم

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد قال: زنيم ملحق في النسب زعم ابن عباس، وأخرج عبد بن حميد عن سعيد بن المسيب قال: الزنيم هو الملحق في القوم ليس منهم، وروي عن ابن عباس قال: العتل الزنيم الذي يمشي بين الناس بالنميمة أخرجه عبد بن حميد، **(وقال تعالى: ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ قيل: الهمزة النمام)** رواه ابن أبي الدنيا عن هارون بن عبد الله، أنبأنا إبراهيم بن عبد الرحمن بن مهدي، عن مسكين أبي فاطمة عن شيخ من أهل البصرة عن أبي الجوزاء قال: قلت لابن عباس من هذا الذي ندبه الله بالويل؟ فقال: ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ قال: هو المشاء بالنميمة المفرق بين الإخوان والمغري بين الجميع، وكذلك رواه سعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق، وأخرجه ابن أبي الدنيا أيضاً في كتاب ذم الغيبة إلا أن لفظهم المغري بين الأخوان.

(وقال عز وجل: ﴿حمالة الحطب﴾ وقيل: إنها كانت نمامة حمالة للحديث) رواه ابن أبي الدنيا عن أحمد بن جميل، أنبأنا ابن المبارك، أنبأنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد **(حمالة الحطب)** قال كانت تمشي بالنميمة. وهكذا أخرجه ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم وروي عن قتادة قال: كانت تنقل الأحاديث من بعض الناس إلى بعض أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم، وروي عن الحسن قال: كانت تحمل النميمة فتأتي به بطون قريش أخرجه ابن أبي حاتم.

(وقال تعالى: ﴿فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً﴾ قيل: كانت امرأة لوط) عليه السلام **(تخبر بالضيفان وامرأة نوح)** عليه السلام **(كانت تخبر أنه مجنون)** رواه ابن أبي

نمام». وفي حديث آخر: «لا يدخل الجنة قتات» والقتات هو النمام. وقال أبو هريرة، قال رسول الله ﷺ: «أحبكم إلى الله أحاسنكم أخلاقاً الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون وإن أبغضكم إلى الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبرآء العثرات». وقال ﷺ: «ألا أخبركم بشراركم؟ قالوا: بلى قال: «المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبرآء العيب». وقال أبو ذر، قال رسول الله ﷺ: «من

الدنيا عن فضيل بن عبد الوهاب، حدثنا أبو عوانة، عن موسى بن أبي عائشة، عن سليمان بن بريدة، سمعت ابن عباس يقول في قوله: ﴿فخانتاهما﴾ قال: لم يكن زنا، ولكن امرأة نوح كانت تخبر أنه مجنون، وامرأة لوط كانت تخبر بالضيف إذا نزل. قال: وحدثنا فضيل، حدثني بزيع، سمعت الضحاك يقول: كانت خيانتهما النميمة، فقول الضحاك هذا هو المناسب إيراده في المقام، وقول ابن عباس أخرجه أيضاً عبد الرزاق والفريابي، وسعيدابن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وصححه من طرق. وقول الضحاك أخرجه أيضاً ابن عدي والبيهقي في الشعب وابن عساكر. (**وقد قال ﷺ: «لا يدخل الجنة نمام»**) رواه ابن أبي الدنيا عن خالد بن خراش، حدثنا مهدي بن ميمون، عن واصل الأحدب، عن أبي وائل قال: بلغ حذيفة عن رجل أنه ينم الحديث فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة نمام».

(**وفي حديث آخر: «لا يدخل الجنة قتات»**) رواه ابن أبي الدنيا عن أبي خيثمة، حدثنا وكيع، عن الأعمش عن إبراهيم، عن همام عن حذيفة قال: قال النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة قتات» قال الأعمش (**والقتات: هو النمام**) وقد رواهما باللفظين الطيالسي وأحمد والشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي والطبراني، وقد تقدم ذكرهما ورواهما أيضاً أبو البركات السقطي في معجمه، وابن النجار عن بشير الأنصاري عن جده.

(**وقال أبو هريرة**) رضي الله عنه (**قال رسول الله ﷺ: «أحبكم إلى الله تعالى أحاسنكم أخلاقاً الموطؤن أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون وأن أبغضكم إلى الله تعالى المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الملتمسون للبرآء العثرات»**) رواه ابن أبي الدنيا، عن إسماعيل ابن إبراهيم بن هشام، حدثني صالح المري، عن سعيد الجريري، عن أبي عثمان النهدي، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحبكم» فذكره. وكذلك رواه الطبراني في الأوسط والصغير، وقد تقدم في كتاب آداب الصحبة.

(**وقال ﷺ: «ألا أخبركم بشراركم»؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبرآء العنت»**) رواه ابن أبي الدنيا عن داود بن عمرو الضبي، حدثنا داود العطار، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد أن رسول الله ﷺ قال فذكره. وقد رواه أحمد من حديث أبي مالك الأشعري وتقدم في كتاب آداب الصحبة.

أشاد على مسلم بكلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيامة ». وقال أبو الدرداء: قال رسول الله ﷺ: « أيما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها بريء ليشينه بها في الدنيا كان حقاً على الله أن يذيبه بها يوم القيامة في النار »، وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ: « من شهد على مسلم بشهادة ليس لها بأهل فليتبوّأ مقعده من النار » ويقال: إن ثلث عذاب القبر من النميمة. وعن ابن عمر عن النبي ﷺ ان الله لما خلق

(وقال أبو ذر) الغفاري رضي الله عنه **(قال رسول الله ﷺ: « من أشاد)** بالدال أي أشاع ورفع وما يوجد في نسخ الكتاب بالراء تصحيف من النساخ **(على مسلم بكلمة)** كذا في النسخ والرواية كلمة **(يشينه)** أي يعيبه **(بها بغير حق شانه الله تعالى في النار يوم القيامة)** جزاء وفاقاً » رواه ابن أبي الدنيا عن علي بن الجعد، أنبأنا أبو معاوية، عن عبد الله بن ميمون، عن موسى بن مسكين، عن أبي ذر، عن النبي ﷺ قال: « من أشاد » فذكره. وكذلك رواه في ذم الغيبة والخرائطي والطبراني كلاهما في مكارم الأخلاق، والبيهقي في الشعب. قال العراقي: وفيه عبد الله بن ميمون فإن يكن القداح فهو متروك اهـ.

قلت: هو عبد الله بن ميمون بن داود القداح المخزومي المكي من رجال الترمذي، والذي قال أنه متروك أبو حاتم ومشاهغيره، ولهم رجل آخر عبد الله بن ميمون أخرج له ابن ماجه، ورجل آخر عبد الله بن ميمون الرقي مقبول وعبد الله بن ميمون الطهـومي روى عنه أحمد بن بديل، فيحتمل أن يكون أحد هؤلاء وقد أخرجه الحاكم أيضاً وصححه، فهذا يدل على أنه غير القداح فإن القداح حاله معلوم عند الحاكم، وأنه هو ولكن اعتمد على قول من مشاه على أن الذهبي قد تعقبه بأن سنده مظلم وكأنه يشير إلى ما ذكر.

(وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه **(قال ﷺ: « أيما رجل أشاع عن رجل كلمة وهو منها بريء ليشينه بها في الدنيا كان حقاً على الله أن يذيبه بها يوم القيامة في النار)** رواه ابن أبي الدنيا موقوفاً على أبي الدرداء فقال: حدثنا أحمد بن جميل، أنبأنا ابن المبارك عن وهيب يعني ابن خالد، عن موسى بن عقبة، عن سليمان بن عمرو بن ثابت، عن جبير بن نفير الحضرمي أنه سمع أبا الدرداء يقول: أيما رجل أشاع فذكره. قال العراقي: ورواه الطبراني بلفظ آخر من حديثه مرفوعاً وقد تقدم.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه، **(قال رسول الله ﷺ: « من شهد على مسلم بشهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار »)** رواه ابن أبي الدنيا، عن عبد الله بن أبي بدر، أنبانا يزيد بن هارون أنبأنا جهير بن يزيد، عن خداش بن عباس أو عياش عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ فذكره. قال العراقي: ورواه أحمد وفيه رجل لم يسم أسقطه ابن أبي الدنيا من الإسناد.

(ويقال: إن ثلث عذاب القبر من النميمة) رواه ابن أبي الدنيا عن أحمد بن منيع، حدثنا

الجنة قال لها تكلمي، فقالت: سعد من دخلني، فقال الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس لا يسكنك مـدمن خمر ولا مصرّ على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا شرطي ولا مخنث ولا قاطع رحم ولا الذي يقول عليّ عهد الله إن لم أفعل كذا وكذا ثم لم يف به.

وروى كعب الأحبار ان بني إسرائيل أصابهم قحط فاستسقى موسى عليه السلام مرات فما سقوا فأوحى الله تعالى إليه: إني لا أستجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد أصر على النميمة، فقال موسى: يا رب من هو دلني عليه حتى أخرجه من بيننا؟ قال: يا

ابن علية حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال: ذكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة اثلاث: ثلث من الغيبة، وثلث من البول، وثلث من النميمة وقد تقدم ذكره قريباً في الآفة التي قبلها. وأخرج ابن أبي الدنيا من طريق يزيد بن قوذر عن كعب قال: اتقوا النميمة فإن صاحبها لا يستريح من عذاب القبر.

(وعن ابن عمر) رضي الله عنه، **(عن النبي ﷺ)** قال **(إن الله تعالى لما خلق الجنة قال لها تكلمي فقالت: سعد من دخلني، فقال الجبار جل جلاله: وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية من الناس: مدمن خمر، ولا مصر على زنا، ولا قتات وهو النمام، ولا ديوث)** وهو القواد، **(ولا شرطي)** وهوالجلواز عند الأمراء، **(ولا المخنث)** الذي يتشبه بالنساء، **(ولا قاطع رحم ولا الذي يقول عليّ عهد الله أن لم أفعل ولا يفعل »)** وفي نسخة ولا يفي به. قال العراقي: لم أجده هكذا بتمامه، ولأحد: « لا يدخل الجنة عاق لوالديه والديوث » وفيه من لم يسم وللنسائي من حديث ابن عمر: « لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر » وفيه انقطاع واضراب، وللشيخين من حديث حذيفة: « لا يدخل الجنة قتات » ولهما من حديث جبير بن مطعم « لا يدخل الجنة قاطع » وذكر صاحب الفردوس من حديث ابن عباس: « لما خلق الله الجنة فقال لها: تكلمي تزيني فتزينت فقالت: طوبى لمن دخلني ورضي عنه إلهي فقال الله عز وجل لا يسكنك مخنث ولا نائحة » ولم يخرجه ولده في مسنده اهـ.

قلت: وروى الطبراني من حديث ابن عباس: لما خلق الله تعالى جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت ولا خطر على قلب بشر، ثم قال لها: تكلمي قالت: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ [المؤمنون: ١] ورواه ابن عساكر وزاد، ثم قالت: « أنا حرام على كل بخيل ومراء ».

(وروى كعب الأحبار أن بني إسرائيل أصابهم قحط) أي قلة مطر، **(فاستسقى موسى عليه السلام مرات فما سقوا فأوحى الله تعالى إليه أني لا أستجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد أصر على النميمة، فقال موسى: يا رب من هو دلني عليه حتى أخرجه من بيننا. قال: يا**

موسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماماً، فتابوا جميعاً فسقوا. ويقال: اتبع رجل حكيماً سبعمائة فرسخ في سبع كلمات فلما قدم عليه قال: إني جئتك للذي آتاك الله تعالى من العلم أخبرني عن السماء وما أثقل منها، وعن الارض وما أوسع منها، وعن الصخر وما أقسى منه، وعن النار وما أحر منها، وعن الزمهرير وما أبرد منه، وعن البحر وما أغنى منه، وعن اليتيم وما أذل منه فقال له الحكيم: البهتان على البريء أثقل من السموات، والحق أوسع من الأرض، والقلب القانع أغنى من البحر، والحرص والحسد أحر من النار، والحاجة إلى القريب إذا لم تنجح أبرد من الزمهرير، وقلب الكافر أقسى من الحجر، والنمام إذا بان أمره أذل من اليتيم.

بيان حد النميمة وما يجب في ردها:

اعلم أن اسم النميمة إنما يطلق في الأكثر على من ينم قول الغير إلى المقول فيه كما تقول: فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا وليست النميمة مختصة به بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه، أو كرهه ثالث. وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو بالرمز أو بالإيماء وسواء كان المنقول من الأعمال أو من

موسى اكره النميمة وأنم فتابوا جميعاً) واستسقوا، (**فسقوا. ويقال: اتبع رجل حكيماً سبعمائة فرسخ في سبع كلمات فلما قدم عليه قال**) له (**إني جئتك للذي آتاك الله من العلم أخبرني عن السماء وما أثقل منها، وعن الأرض وما أوسع منها وعن الصخر وما أقسى منه، وعن النار وما أحر منها، وعن الزمهرير وما أبرد منه، وعن البحر وما أغنى منه، وعن اليتيم وما أذل منه، فقال له الحكيم: البهتان على البريء أثقل من السموات، والحق أوسع من الأرض، والقلب القانع أغنى من البحر، والحرص والحسد أحر من النار، والحاجة إلى القريب إذا لم تنجح أبرد من الزمهرير، وقلب الكافر أقسى من الحجر، والنمام إذا بان أمره أذل من اليتيم**). وقوله البهتان على البريء أثقل من السموات. نقل ذلك عن سيدنا سليمان عليه السلام، ورواه الحكيم الترمذي من قول علي بن أبي طالب.

بيان النميمة وما يجب في ردها)

(**اعلم أن اسم النميمة إنما يطلق في الأكثر على من ينم قول الغير إلى المقول فيه، كما يقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا**) واشتقاقه من نم الحديث نما من بابي قتل وضرب إذا سعى به ليوقع فتنة أو وحشة فالرجل نم تسمية بالمصدر ونمام مبالغة والاسم النميمة، (**وليست النميمة مخصوصة به بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه أو كرهه ثالث، وسواء كان الكشف بالقول أو بالكنية أو**

الأقوال وسواء كان ذلك عيباً ونقصاً في المنقول عنه أو لم يكن ، **بل حقيقة النميمة إفشاء** السر وهتك الستر عما يكره كشفه ، بل كل ما رآه الإنسان من أحوال الناس مما يكره فينبغي أن يسكت عنه الا ما في حكايته فائدة لمسلم أو دفع لمعصية كما إذا رأى من يتناول مال غيره فعليه أن يشهد به مراعاة الحق المشهود له فأما إذا رآه يخفي مالاً لنفسه فذكره فهو نميمة وإفشاء للسر ، فإن كان ما ينم به نقصاً وعيباً في المحكي عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة ، فالباعث على النميمة إما إرادة السوء للمحكي عنه أو إظهار الحب للمحكي له أو التفرج بالحديث ، والخوض في الفضول والباطل وكل من حملت إليه النميمة وقيل له إن فلاناً قال فيك كذا أو فعل في حقك كذا أو هو يدبر في إفساد أمرك أو في ممالاة عدوّك أو تقبيح حالك أو ما يجري مجراه فعليه ستة أمور .

الأوّل : أن لا يصدقه لأن النمام فاسق وهو مردود الشهادة. قال الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة﴾ [الحجرات : ٦] .

بالرمز أو بالإيماء) أي الإشارة ، (**وسواء كان المنقول من الأعمال أو من الأقوال ، وسواء كان ذلك عيباً ونقصاناً في المنقول عنه أو لم يكن ، بل حقيقة النميمة إفشاء السر)** أي إظهار ما خفي منه ، (**وهتك الستر عما يكره كشفه)** وظهوره ، (**بل كان ما رآه الإنسان من أحوال الناس مما يكره)** فيما يتقلبون فيه ، (**فينبغي أن يسكت عنه)** فلا يحكي (**إلا ما في حكايته)** ونقله (**فائدة لمسلم)** عاجلة أو آجلة (**أو دفع لمعصية ، كما إذا رأى من يتناول مال غيره ، فعليه أن يشهد به مراعاة لحق المشهود عليه فأما إذا رآه يخفي مالاً لنفسه)** فهو إنما أخفاه ليكون مستوراً عن اطلاع الغير (**فذكره)** لآخر ، (**فهو نميمة وإفشاء للسر فإن كان ما ينم به نقصاناً وعيباً في المحكي عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة)** إذا تحقق فيه أنه أفشى السر وذكر أخاه بمكروه ، (**والباعث على النميمة)** لا يخلو من ثلاثة : (**إما إرادة السوء بالمحكى عنه)** وقصد الشرّ به فيشيع عنه كلمة يفضحه بها (**أو إظهار الحب للمحكي له)** وهو السامع فيراه أنه من جملة المحبين له ، (**أو التفرج)** أي التنزه (**بالحديث)** أي حكاية أهل الدنيا ، (**والخوض في الفضول)** مما لا يعنيه من الكلام ، (**وكل من حملت إليه النميمة ، وقيل له : إن فلاناً قال فيك كذا أو فعل في حقك كذا أو هو يدبر في إفساد أمرك أو في ممالاة عدوك)** أي موافقته ، (**أو في تقبيح حالك أو ما يجري مجراه فعليه ستة أمور)** .

(**الأول : أن لا يصدقه)** فيما يحكيه فيكذبه ولا يقبل منه قوله ، فإن قبول القول السوء أشد من القول السوء ، (**لإن النمام فاسق)** لا يقبل قوله ، (**وهو مردود الشهادة)** بنص القرآن (**قال تعالى)** : ﴿يا أيها الذين آمنوا (**إن جاءكم فاسق بنبا)** أي بخبر من الأخبار (**فتبينوا)** أي تعرفوا ذلك النبأ خشية (**أن تصيبوا قوماً بجهالة)** فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ نزلت

الثاني: أن ينهاه عن ذلك وينصح له ويقبح عليه فعله قال الله تعالى: ﴿وأمر بالمعروف وانه عن المنكر﴾ [لقمان: ١٧].

الثالث: أن يبغضه في الله تعالى فإنه بغيض عند الله تعالى ويجب بغض من يبغضه الله تعالى.

الرابع: أن لا تظن بأخيك الغائب السوء لقول الله تعالى: ﴿اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم﴾ [الحجرات: ١٢].

الخامس: أن لا يحملك ما حكى لك على التجسس والبحث لتتحقق اتباعاً لقوله تعالى: ﴿ولا تجسسوا﴾ [الحجرات: ١٢].

السادس: أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه ولا تحكي نميمته فتقول: فلان قد حكى لي كذا وكذا فتكون به نماماً ومغتاباً وتكون قد أتيت ما عنه نهيت. وقد روي

هذه الآية في الوليد بن عقبة بن أبي معيط كان بعثه رسول الله ﷺ ليقبض صدقات بني المصطلق، فلما أبصروه أقبلوا نحوه فهابهم وكان بينه وبينهم شحناء في الجاهلية، فرجع إلى رسول الله ﷺ فاخبره إنهم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة، فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد وأمره أن يثبت ولا يعجل، فأخبر أنهم متمسكون بالإسلام، وسمع أذانهم وصلاتهم فرجع فأخبر الخبر فنزلت. قال الحسن: فوالله لئن كانت نزلت في هؤلاء القوم خاصة إنها لمرسلة إلى يوم القيامة ما نسخها شيء.

(**والثاني: أن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله**) وما يلي به (**قال تعالى: ﴿وأمر بالمعروف وانه عن المنكر﴾**) والنميمة من المنكرات فيجب عليه نهيه عنها.

(**الثالث: أن يبغضه في الله فإنه بغيض عند الله**) ممقوت، (**ويجب بغض من يبغضه الله**).

(**الرابع: أن لا تظن بأخيك الغائب**) المحكي عنه (**السوء لقوله تعالى: ﴿اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم﴾**) وهذا الذي ظننته في أخيك من جملة الظنون التي يلزم مرتكبه الإثم.

(**الخامس: أن لا يحملك ما حكى لك على التجسس والبحث لتتحقق**) أي يصير عنك حقيقة (**لقوله تعالى: ﴿ولا تجسسوا﴾**)

(**السادس: أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه، فلا تحكي نميمته فتقول: فلان قد حكى كذا وكذا فتكون به نماماً ومغتاباً**) فتجمع بين فاحشتين، (**وتكون قد أتيت بما عنه**

عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئاً فقال له عمر: إن شئت نظرنا في أمرك فإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية: ﴿إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ وإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية: ﴿هماز مشاء بنميم﴾ [القلم: ١١] وإن شئت عفونا عنك. فقال: العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبداً.

وذكر أن حكيماً من الحكماء زاره بعض إخوانه فأخبره بخبر عن بعض أصدقائه فقال له الحكيم: قد أبطأت في الزيارة وأتيت بثلاث جنايات بغضت أخي إليّ وشغلت قلبي الفارغ واتهمت نفسك الأمينة.

وروي أن سليمان بن عبد الملك كان جالساً وعنده الزهري فجاءه رجل فقال له سليمان: بلغني أنك وقعت فيّ وقلت كذا وكذا، فقال الرجل: ما فعلت ولا قلت؟ فقال سليمان: إن الذي أخبرني صادق، فقال له الزهري: لا يكون النمام صادقاً. فقال سليمان: صدقت. ثم قال للرجل: اذهب بسلام.

وقال الحسن: من نمّ إليك نمّ عليك، وهذا إشارة إلى أن النمام ينبغي أن يبغض ولا

مهيت) فيكون فيه مخالفة القول الفعل وهو نفاق، **(وقد روي عن عمر بن عبد العزيز)** رحمه الله تعالى **(أنه دخل عليه رجل فذكر عنده عن رجل شيئاً فقال عمر أن: شئت نظرنا في أمرك)** أي حققناه، **(فإن كنت كاذباً)** فيما قلت **(فأنت من أهل هذه الآية ﴿إن جاءكم فاسق بنبا فتبينوا﴾ وإن كنت صادقاً)** فيما قلت **(فأنت من أهل هذه الآية ﴿هماز مشاء بنميم﴾ وإن شئت عفونا عنك. فقال العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبداً)** فانظر كيف رده ولم يقبل قوله.

(وذكر أن حكيماً من الحكماء زاره بعض إخوانه فأخبره بخبر عن غيره، فقال له الحكيم: قد أبطأت في الزيارة وأتيتني بثلاث جنايات. الأولى: بغضت إليّ أخي و) الثانية: **(شغلت قلبي الفارغ، و)** الثالثة: **(اتهمت نفسك الأمينة)**.

(وروي أن سليمان بن عبد الملك) بن مروان **(كان جالساً وعنده)** محمد بن شهاب **(الزهري، فجاءه رجل فقال له سليمان: بلغني أنك وقعت فيَّ وقلت كذا وكذا، فقال الرجل: ما فعلت ولا قلت. فقال سليمان: إن الذي أخبرني كان صادقاً)** فيما أخبر، **(فقال الزهري: لا يكون النمَّام صادقاً، فقال سليمان: صدقت)** وقال للرجل: **(اذهب بسلام)**.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(من نمَّ إليك نمَّ عليك)** ويروى من نمَّ لك نمَّ عليك. **(وهذا إشارة إلى أن النمام ينبغي أن يبغض)** ولا يحب **(ولا يوثق بصداقته)** وتقربه

يوثق بقوله ولا بصداقته وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والإفساد بين الناس والخديعة، وهو ممن يسعى في قطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض. وقال تعالى: ﴿إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق﴾ [الشورى: ٤٢] والنمام منهم. وقال ﷺ: «إن من شرار الناس من اتقاه الناس لشره» والنمام منهم. وقال: «لا يدخل الجنة قاطع» قيل: وما القاطع؟ قال: قاطع بين الناس وهو النمام. وقيل: قاطع الرحم.

وروي عن علي رضي الله عنه أن رجلاً سعى إليه برجل فقال له: يا هذا نحن نسأل

وتملقه، **(وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب)** فيما ينقله. **(والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والإفساد بين الناس والخديعة)** وهذه كلها صفات ذميمة قد جمعت في النمام، **(وهو ممن قد سعى في قطع ما أمر الله به أن يوصل قال تعالى ﴿والذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض﴾ وقال تعالى ﴿إنما السبيل على الذي يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق﴾ والنمام منهم)** لأنه يسعى في الإفساد والاغراء بين الاخوان ويبغي العنت للبرآء. **(وقال ﷺ «إن من شر الناس من اتقاه الناس لشره»)** رواه الشيخان من حديث عائشة بنحوه. قال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو خيثمة وإسحاق بن إسماعيل قالا: حدثنا سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر سمع عروة، حدثتني عائشة قالت: أستأذن رجل على النبي ﷺ فقال: «إئذنوا له فبئس ابن العشيرة أو بئس رجل العشيرة» فلما أن دخل ألان له القول، فلما خرج قلنا قلت الذي قلت ثم ألنت له القول. قال أي عائشة شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه أو تركه الناس اتقاء شره. هكذا رواه الشيخان وأبو داود والترمذي، وفي لفظ بعضهم اتقاء فحشه، وفي أوله: إن شر الناس. وعند الطبراني في الأوسط من حديث أنس «إن شر الناس منزلة من يخاف الناس شره» وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا علي بن الجعد، أخبرني عثمان بن مطر، عن ثابت، عن أنس أن رجلاً أقبل إلى النبي ﷺ وهو في حلقة فأثنوا عليه شراً، فرحب به النبي ﷺ، فلما قفى قال رسول الله ﷺ «شر الناس منزلة يوم القيامة من يخاف لسانه أو يخاف شره» **(والنمام منهم)** لأن الناس يخشون لسانه ويخافون شره. **(وقال ﷺ «لا يدخل الجنة قاطع»)** رواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي. وقال: حسن صحيح وابن خزيمة وابن حبان من حديث جبير بن مطعم. **(قيل: قاطع بين الناس)** بالإغراء والإفساد **(وهو النمام، وقيل: قاطع الرحم)** وهكذا رواه الطبراني في الكبير من حديث جبير بن مطعم، ورواه الخرائطي في مساويء الأخلاق من حديث أبي سعيد، وقيل المراد به قاطع الطريق، ولفظ الحديث محتمل لكل من المعاني الثلاثة.

(وروي عن علي كرم الله وجهه أن رجلاً أتاه يسعى إليه برجل فقال: يا هذا نحن نسأل

عما قلت فإن كنت صادقاً مقتناك وإن كنت كاذباً عاقبناك، وإن شئت أن نقيلك. فقال: أقلني يا أمير المؤمنين. وقيل لمحمد بن كعب القرظي: أي خصال المؤمن أوضع له؟ فقال: كثرة الكلام وإفشاء السر وقبول قول كل أحد. وقال رجل لعبدالله بن عامر ـ وكان أميراً ـ بلغني أن فلاناً أعلم الأمير أني ذكرته بسوء. وقال: قد كان ذلك. قال: فأخبرني بماذا قال لك حتى أظهر كذبه عندك. قال: ما أحب أن أشتم نفسي بلساني وحسبي أني لم أصدقه فيما قال ولا أقطع عنك الوصال.

وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال: ما ظنكم بقوم يحمد الصدق من كل طائفة من الناس إلا منهم. وقال مصعب بن الزبير: نحن نرى أن قبول السعاية شر من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول إجازة، وليس من دل على شيء فأخبر به كمن قبله وأجازه فاتقوا الساعي فلو كان صادقاً في قوله لكان لئيماً في صدقه حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة، والسعاية هي النميمة إلا أنها إذا كانت إلى من يخاف جانبه سميت

عما قلت، فإن كنت صادقاً مقتناك) أي أبغضناك، **(وإن كنت كاذباً عاقبناك)** عقوبة المفتري، **(وإن شئت أن نقيلك أقلناك. قال: أقلني يا أمير المؤمنين. وقيل لمحمد بن كعب القرظي)** التابعي الثقة رحمه الله تعالى: **(أي خصال المؤمن أوضع له)** أي اكثر حطاً له في الرتبة؟ **(قال: كثرة الكلام وإفشاء السر وقبول قول كل أحد)** أي فإن في كل خصلة منها ينحط مقامه. **(وقال رجل لعبد الله بن عامر)** بن ربيعة **(وكان أميراً)** على البصرة: **(بلغني أن فلاناً اعلم الأمير أني ذكرته بسوء. قال: قد كان ذلك. قال: فأخبرني بما قال لك حتى أظهر كذبه عندك. قال: ما أحب أن أشتم نفسي بلساني وحسبي أني لم أصدقه فيما قال ولاقطعت عنك الوصال)** أي مواصلة المودة أو الصلة أو هما معاً.

(وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال: ما ظنكم بقوم يحمد الصدق من كل طبقة من الناس إلا منهم) أي من أهل السعاية فإنهم ولو صدقوا فيما يقولونه فلا يحمد صدقهم مع أن الصدق محمود على كل حال ومن كل الناس؛ **(وقال مصعب بن الزبير)** بن العوّام قتله عبد الملك بن مروان سنة أثنين وسبعين بمسكن في حدّ العراق: **(نحن نرى قبول السعاية شراً من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول إجازة، وليس من دل على شيء فأخبر به كمن قبله وأجازه، فاتقوا الساعي)** أي تحفظوا منه، **(فلو كان في قوله صادقاً لكان في صدقه لئيماً حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة، والسعاية هي النميمة إلا أنها إذا كانت إلى من يخاف إلى جانبه سميت سعاية)** يقال: سعى به إلى الوالي إذا مشى به إليه، **(وقد قال النبي ﷺ «الساعي بالناس إلى الناس لغير رشدة» يعني ليس بولد حلال)** قال أبو زيد الأنصاري: يقال هو لـرشـدة

سعاية. وقد قال ﷺ: « الساعي بالناس إلى الناس لغير رشدة ». يعني ليس بولد حلال، ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستأذنه في الكلام وقال: إني مكلمك يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله وإن كرهته فإن وراءه ما تحب إن قبلته فقال: قل، فقال يا أمير المؤمنين إنه قد اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه، ولا تصخ إليهم فيما استحفظك الله إياه فإنهم لن يألوا في الأمة خسفاً وفي الأمانة تضييعاً والاعراض قطعاً وانتهاكاً، أعلى قربهم البغي والنميمة، وأجل وسائلهم الغيبة والوقيعة، وأنت مسؤول عما أجرموا وليسوا المسؤولين عما أجرمت، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فإن أعظم الناس غبناً من باع آخرته بدنيا غيره. وسعى رجل بزياد الأعجم إلى سليمان بن عبد الملك فجمع بينهما للموافقة فأقبل زياد على الرجل وقال:

أي صحيح النسب بكسر الراء والفتح لغة. قال العراقي: رواه الحاكم من حديث أبي موسى « من سعى بالناس فهو لغير رشدة » أو فيه شيء منه، وقال له أسانيد هذا أمثلها.

قلت: فيه سهل بن عطية. قال ابن طاهر في التذكرة: منكر الرواية، والحديث لا أصل له. وقد ذكر ابن حبان في الثقات سهل بن عطية، ورواه الطبراني بلفظ « لا يسعى على الناس إلا ولد بغي » وإلا من فيه عرق منه وزاد بين سهل وبين بلال بن أبي بردة أبا الوليد القرشي اهـ.

قلت: ورواه ابن عساكر والديلمي بلفظ: إلاولد زنا.

(**ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك**) بن مروان (**فاستأذن في الكلام وقال: إني مكلمك يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله، وإن كرهته فإن وراءه ما تحب ان قبلته قال: قل. فقال: يا أمير المؤمنين إنه قد اكتنفك**) أي أحاط بك (**رجال ابتاعوا**) أي اشتروا (**دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ولا تصخ إليهم فيما استحفظك الله أياه، فإنهم لن يألوا في الأمة**) أي لن يقصّروا فيها (**خسفاً والأمانة تضييعاً والاعراض قطعاً وانتهاكاً أعلى قربهم**) أي أعلى ما يتقربون به إليك (**البغي والنميمة وأجل وسائلهم الغيبة والوقيعة**) في الناس، (**وأنت مسؤول عما اجترحوا**) أي اكتسبوا (**وليسوا بمسؤلين عما اجترحت، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فإن أعظم الناس غبناً بائع آخرته بدنيا غيره**) أخرجه ابن أبي الدنيا في أخبار الخلفاء.

(**وسعى رجل بزياد بن الأعجم**) كذا في النسخ، والصواب بزياد الأعجم وهو زياد بن سليم العبدي مولاهم أبوأمامة المعروف بالأعجم، روى عن أبي موسى، وعبد الله بن عمرو. وعنه طاوس والمحبر بن قحذم شاعر مقبول، روى له أبو داود والترمذي وابن ماجه (**إلى سليمان بن**

فانت امرؤ إما ائتمنتك خـاليـاً فخنت وإما قلت قـولاً بلا علم
فأنت من الأمر الذي كان بيننا بمنـزلـة بين الخيـانـة والإثم

وقال رجل لعمرو بن عبيد : إن الأسواري ما يزال يذكرك في قصصه بشرّ فقال له عمرو : يا هذا ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت إلينا حديثه ولا أديت حقي حين أعلمتني عن أخي ما أكره ، ولكن أعلمه أن الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا ، والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين.

ورفع بعض السعاة إلى الصاحب بن عباد رقعة نبه فيها على مال يتيم يحمله على أخذه لكثرته فوقع على ظهرها : السعاية قبيحة وإن كانت صحيحة فإن كنت أجريتها مجرى النصح فخسرانك فيها أفضل من الربح ومعاذ الله أن نقبل مهتوكاً في مستور ، ولولا أنك في خفارة شيبتك لقابلناك بما يقتضيه فعلك في مثلك فتوق يا ملعون العيب فإن الله أعلم بالغيب الميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال ثمره الله والساعي لعنه الله . وقال لقمان

عبد الملك) بن مروان ، **(فجمع بينهما للموافقة فأقبل زياد على الرجل)** الذي سعى فيه يقول :

(أنت امرؤ إما ائتمنتـك خـاليـاً فخنت وإمـا قلـت قـولاً بلا علم
فأنت من الأمر الذي كـان بيننـا بمنـــزلـــة بين الملامـــة والاثم)

وفي نسخة بين الخيانة والإثم .

(وقال رجل لعمرو بن عبيد) بن باب التميمي مولاهم البصري المعتزلي كنيته أبو عثمان كان داعية إلى بدعة اتهمه جماعة مع أنه كان عابداً . قال أحمد : ليس بأهل أن يحدث عنه وقال الوردي ، عن يحيى بن معين : ليس بشيء روى له أبو داود في كتاب القدر ، وابن ماجه في كتاب التفسير **(أن الأسوارى)** بضم الهمزة نسبة إلى الاساورة بطن من تميم **(ما يزال يذكرك في قصصه بشر ، فقال له عمرو: ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت إلينا حديثه ولا أديت حقي حين أبلغتني عن أخي ، ولكن اعلمه أن الموت يعمنا والقبر يضمنا والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين)** .

(ورفع بعض السعـاة إلى الصاحب) إسماعيل **(بن عباد)** بن العباس بن عباد الطالقاني كان وزيراً لدولة آل بويه ووالده أبو الحسن عباد ممن سمع على جعفر الفريابي ، وعنه أبو الشيخ الاصبهاني توفي سنة ٣٣٤ **(رقعة نبه فيها على مال يتيم يحمله على أخذه لكثرته فكتب على ظهرها)** أي الرقعة **(السعاية قبيحة ، وإن كانت صحيحة الميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال ثمره الله)** أي زاده نمواً وفائدة وبركة ، **(والساعي لعنه الله . وقال لقمان الحكيم لابنه: يا**

لابنه: يا بني أوصيك بخلال إن تمسكت بهن لم تزل سيداً: أبسط خلقك للقريب والبعيد، وأمسك جهلك عن الكريم واللئيم، واحفظ اخوانك وصل أقاربك وأمنهم من قبول قول ساع أو سماع باغ يريد فسادك ويروم خداعك، وليكن اخوانك من إذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك. وقال بعضهم: النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهي أثافي الذل. وقال بعضهم: لو صح ما نقله النمام إليك لكان هو المجترىء بالشتم عليك والمنقول عنه أولى بحلمك لأنه لم يقابلك بشتمك. وعلى الجملة فشرّ النمام عظيم ينبغي أن يتوقى. قال حماد بن سلمة: باع رجل عبداً وقال للمشتري ما فيه عيب إلا النميمة، قال: قد رضيت فاشتراه فمكث الغلام أياماً ثم قال لزوجة مولاه: إن سيدي لا يحبك وهو يريد أن يتسرى عليك فخذي الموسى واحلقي من شعر قفاه عند نومه شعرات حتى أسحره عليها فيحبك. ثم قال للزوج: إن امرأتك اتخذت خليلاً وتريد أن تقتلك فتناوم لها حتى تعرف ذلك فتناوم لها، فجاءت المرأة بالموسى فظن أنها تريد قتله فقام إليها فقتلها، فجاء أهل المرأة فقتلوا الزوج ووقع القتال بين القبيلتين. فنسأل الله حسن التوفيق.

بني إني موصيك بخلال إن تمسكت بهن لم تزل سيداً) أي رئيساً على الأصحاب: (**أبسط خلقك للقريب والبعيد، وأمسك جهلك عن الكريم واللئيم، وأحفظ إخوانك، وصل أقاربك، وأمنهم من قبول قول ساع**) أي واش (**أو سماع باغ يريد فسادك ويروم خداعك، وليكن اخوانك من إذا فارقتهم أو فارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك. وقال بعضهم: النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهي**) أي الثلاثة (**أثافي الذل**) جمع أثفية وهي الأحجار الثلاثة التي توضع عليها القدر. (**وقال بعضهم: لو صح ما نقله النمام لكان هو المجترىء بالشتم عليك والمنقول عنه أولى بحلمك**) وعفوك (**لأنه لم يقابلك بشتمك**) ومنه قولهم:

ما بلغ المكروه إلا من نقل.

(**وعلى الجملة فشر النمام عظيم ينبغي أن يتوقى**) ويتحفظ منه. (**قال حماد بن سلمة**) بن دينار البصري أبو سلمة توفي سنة سبع وستين: (**باع رجل عبداً وقال للمشتري ما فيه عيب إلا النميمة. قال: رضيت فاشتراه فمكث الغلام أياماً ثم قال لزوجة مولاه: إن زوجك لا يحبك وهو يريد أن يتسرى عليك فخذي الموسى واحلقي من قفاه عند نومه شعرات حتى أسحره عليها فيحبك، ثم قال للزوج: إن امرأتك اتخذت خليلاً وتريد أن تقتلك فتناوم لها حتى تعرف، فجاءت المرأة بالموسى فظن أنها تقتله فقام وقتلها، فجاء أهل المرأة وقتلوا الزوج فوقع القتال بين القبيلتين وطال الأمر**) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت من طريق

حماد بن سلمة عن حميد وهو الطويل فقال: حدثنا ابراهيم أبو إسحاق، حدثني يزيد بن عوف، حدثنا حماد بن سلمة، عن حميد أن رجلاً ساوم بعبد فقال مولاه: إني أبرأ إليك من النميمة. فقال: نعم أنت بريء منها. قال: فاشتراه فجعل يقول لمولاه: إن امرأتك تبغي وتفعل وتفعل وإنها تريد أن تقتلك، ويقول للمرأة إن زوجك يريد أن يتزوّج عليك ويتسرى عليك، فإن أردت أن أعطفه عليك فلا يتزوّج عليك ولا يتسرى فخذي الموسى واحلقي شعرة من قفاه إذا نام. وقال للزوج: أنها تريد أن تقتلك إذا نمت قال: فذهب فتناوم لها وجاءت بموسى لتحلق شعرة من حلقه فأخذ بيدها فقتلها فجاء أهلها فاستعدوا عليه فقتلوه.

تنبيه:

قد بقي مما أورده ابن أبي الدنيا في النميمة وهو على شرط المصنف أخرج من طريق أبي الأحوص، عن ابن مسعود قال: إن محمداً ﷺ كان يقول «ألا أنبئكم بالعضة هي النميمة القالة بين الناس».

وأخرج من حديث أنس «من أكل بأخيه المسلم أكلة أطعمه الله بها أكلة من النار، ومن لبس بأخيه المسلم ثوباً ألبسه الله به ثوباً من النار، ومن قام بأخيه مقام رياء وسمعة أقامه الله مقام رياء وسمعة».

وأخرج من طريق عبد الله بن زرير الغافقي عن علي رضي الله عنه قال: «القائل الكلمة الزور والذي يمد بحبلها في الإثم سواء» وعن شبل بن عوف قال: كان يقال من سمع بفاحشة فأفشاها فهو كالذي أبداها.

ومن طريق أبي العالية قال: حدثت أن رسول الله ﷺ قال «أتاني البارحة رجلان فاكتنفاني فانطلقا بي حتى مرّا بي على رجل في يده كلاب يدخله في رجل فيشق شدقه حتى يبلغ لحييه فيعود فيأخذ فيه، فقلت: من هذا؟ قال: هم الذين يسعون بالنميمة».

وعن عمرو بن ميمون قال: لما تعجل موسى عليه السلام إلى ربه رأى في ظل العرش رجلاً فغبطه بمكانه وقال: إن هذا لكريم على ربه فسأل ربه أن يخبره باسمه فلم يخبره فقال: أحدثك من أمره بثلاث: كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، وكان لا يعق والديه، ولا يمشي بالنميمة».

وعن حكيم بن جابر قال: من أشاع فاحشة فهو كباديها، وعن عبد الرحمن بن يزيد قال: كانت لنا جارية أعجمية فحضرتها الوفاة فجعلت تقول: هذا فلان يمرغ في الحماة فلما ماتت سألنا عن الرجل فقالوا: ما كان به بأس إلا أنه كان يمشي بالنميمة. وعن يزيد بن قوذر عن كعب قال: اتقوا النميمة فإن صاحبها لا يستريح من عذاب القبر.

الآفة السابعة عشرة: كلام ذي اللسانين:

كلام ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد منهما بكلام يوافقه، وقلما يخلو عنه من يشاهد متعاديين وذلك عين النفاق، قال عمار بن ياسر، قال رسول الله ﷺ: «من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيمة». وقال أبو هريرة، قال رسول الله ﷺ: «تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث» وفي لفظ آخر: «الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه». وقال أبو هريرة: لا ينبغي لذي الوجهين أن يكون أميناً عند الله. وقال

الآفة السابعة عشر كلام ذي اللسانين:

(الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد بكلام يوافقه) في رأيه، **(فقلما يخلو عنه من يشاهد متعاديين، وذلك عين النفاق قال)** أبو اليقظان **(عمار بن ياسر)** بن عامر بن مالك العنسي بنون ساكنة وسين مهملة مولى بني مخزوم صحابي جليل مشهور من السابقين الأوّلين بدري قتل مع علي رضي الله عنهما بصفين سنة سبع وثلاثين. **(قال رسول الله ﷺ «من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة»)** رواه ابن أبي الدنيا عن يحيى بن عبد الحميد الحماني، حدثنا شريك، حدثنا الركين بن الربيع، عن نعيم بن حنظلة، عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ فذكره. وأخرجه البخاري في كتاب الأدب المفرد وأبو داود بسند حسن.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه **(قال رسول الله ﷺ تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بحديث هؤلاء وهؤلاء بحديث هؤلاء»)** رواه ابن أبي الدنيا عن أبي خيثمة، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ فذكره.

(وفي لفظ آخر «يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه») رواه أيضاً ابن أبي الدنيا عن أبي خيثمة، حدثنا ابن عيينة، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال «تجدون من شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي» فذكره. وهو عند أحمد والبخاري ومسلم «وتجدون شر الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه».

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه **(لا ينبغي لذي الوجهين أن يكون أميناً عند الله تعالى)** هكذا هو في النسخ موقوفاً. ورواه ابن أبي الدنيا مرفوعاً عن الحسن بن عبد العزيز، حدثنا يحيى بن حسان، حدثنا سليمان بن بلال، عن كثير بن زيد عن الوليد بن رباح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال «لا ينبغي» فذكره. وقد رواه كذلك مرفوعاً الخرائطي في مساوىء الأخلاق، والبيهقي في الشعب. وأخرج ابن أبي الدنيا من حديث أنس «من كان له

مالك بن دينار: قرأت في التوراة بطلت الأمانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله تعالى يوم القيامة كل شفتين مختلفتين. وقال ﷺ: «أبغض خليقة الله إلى الله يوم القيامة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لإخوانهم في صدورهم فإذا لقوهم تملقوا لهم والذين إذا دعوا إلى الله ورسوله كانوا بطآء وإذا دُعوا إلى الشيطان وأمره كانوا سراعاً». وقال ابن مسعود: لا يكونن أحدكم إمعة. قالوا: وما الإمعة؟ قال: الذي يجري مع كل ريح، واتفقوا على أن ملاقاة الاثنين بوجهين نفاق. وللنفاق علامات كثيرة وهذه من جملتها.

وقد روي أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ مات فلم يصلّ عليه حذيفة فقال له

لسانان في الدنيا جعل له لسانان من نار يوم القيامة» وعن ابن مسعود قال: «إن ذا اللسانين في الدنيا له يوم القيامة لسانان من نار».

(وقال مالك بن دينار) البصري رحمه الله تعالى: **(قرأت في التوراة تطلب الأمانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله يوم القيامة كل شفتين مختلفتين)** أخرجه أبو نعيم في الحلية، **(وقال رسول الله ﷺ «أبغض خليقة الله يوم القيامة الكذابون والمستكبرون والذين يكنزون)** أي يخزنون **(البغضاء لإخوانهم في صدورهم فإذالقوهم تملقوا لهم)** أي ألطفوا لهم وألانوا القول، **(والذين إذا دعوا إلى الله ورسوله كانوا بطآء)** جمع بطيء، **(وإذا دعوا إلى الشيطان وأمره كانوا سراعاً)** جمع سريع قال العراقي: لم أقف له على أصل.

(وقال ابن مسعود) رضي الله عنه: **(لا يكن أحدكم إمعة)** بكسر الهمزة وتشديد الميم المفتوحة **(قالوا: وما الإمعة؟ قال:)** الذي **(يجري مع كل ريح)** أخرجه ابن أبي الدنيا عن حبيب بن الحسن، حدثنا عمر بن حفص السدوسي، حدثنا عاصم بن علي، حدثنا المسعودي، عن سلمة بن كهيل، عن عبد الرحمن بن يزيد قال: **قال عبد الله: لا يكونن أحدكم إمعة. قالوا: وما** الإمعة يا أبا عبد الرحمن؟ قال: **يقول أنا مع الناس إن أهتدوا اهتديت وإن ضلوا ضللت ألا** ليوطنن أحدكم نفسه على إن كفر الناس أن لا يكفر اهـ. **ومما نسب إلى علي رضي الله عنه من قوله** في أبيات:

ولست بإمعة في الرجال أسائل هذا وذا ما الخبر

(واتفقوا على أن ملاقاة الاثنين بوجهين نفاق وللنفاق علامات كثيرة، وهذه من جملتها. وقد روي أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ مات فلم يصلّ عليه حذيفة) بن اليمان رضي الله عنه فبلغ الخبر إلى عمر، **(فقال عمر)** رضي الله عنه: **(يموت رجل من**

عمر: أيموت رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ولم تصلّ عليه؟ فقال: يا أمير المؤمنين إنه منهم. فقال: نشدتك الله أنا منهم أم لا؟ قال: اللهم لا. ولا أؤمن منها أحداً بعدك.

فإن قلت: بماذا يصير الرجل ذا لسانين وما حد ذلك؟ فأقول: إذا دخل على متعادين وجامل كل واحد منهما وكان صادقاً فيه لم يكن ذا لسانين فإن الواحد، قد يصادق متعادين ولكن صداقة ضعيفة لا تنتهي إلى حد الأخوّة إذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الأعداء - كما ذكرنا في كتاب آداب الصحبة والاخوة - نعم لو نقل كلام كل واحد منهما إلى الآخر فهو ذو لسانين وهو شر من النميمة إذ يصير نماماً بأن ينقل من أحد الجانبين فقط، فإذا نقل من الجانبين فهو شر من النمام، وإن لم ينقل كلاماً ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه فهذا ذو لسانين، وكذلك إذا وعد كل واحد منهما بأن ينصره، وكذلك إذا أثنى على كل واحد منهما في معاداته، وكذلك إذا أثنى على أحدهما وكان إذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين. بل ينبغي أن يسكت أو يثني على المحق من المتعادين. ويثني عليه في غيبته وفي حضوره وبين يدي عدوّه.

أصحاب رسول الله ﷺ ولا تصلي عليه، فقال: يا أمير المؤمنين إنه منهم) أي من المنافقين. وكان حذيفة قد أعطي علم ذلك من رسول الله ﷺ قال: **(فنشدتك الله أنا منهم أم لا؟ قال: اللهم لا. ولا أؤمن منها أحداً بعدك)** لم يرد بذلك نفاق الكفر، وإنما أراد نفاق العمل الذي هو ترك المحافظة على الدين سراً ومراعاتها علناً قاله القرطبي.

(فإن قلت: فبماذا يصير ذا لسانين وما حد ذلك؟ فأقول إذا دخل على متعادين وجامل كل واحد منهما) أي عامله بالمجاملة، **(وكان صادقاً فيه لم يكن منافقاً)** لعدم مخالفة السر العلن، **(ولا ذا لسانين فإن الواحد قد يصادق متعادين ولكن صداقة ضعيفة لا تنتهي إلى حد الأخوّة إذا لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الأعداء)** ومصارمتهم، **(كما ذكرناه في كتاب الصحبة والأخوة. نعم لو نقل كلام كل واحد إلى الآخر فهو ذو لسانين، وذلك شر من النميمة إذ يصير نماماً بأن ينقل من أحد الجانبين فقط، وإن لم ينقل كلاماً ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة لصاحبه فهو ذو لسانين)** أيضاً لأن تحسين معاداة هذا يستلزم تقبيح الآخر وبالعكس، **(وكذلك إذا وعد كل واحد منهما بأنه ينصره)** على الآخر فهو ذو لسانين أيضاً **(وكذلك إذا أثنى على كل واحد منهما في معاداته)** فهو ذو لسانين أيضاً، **(وكذلك إذا أثنى على أحدهما وكان إذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين)** أيضاً، **(بل ينبغي أن يسكت)** ولا يفاوض في أمرهما أصلاً **(أو يثني على المحق من المتعادين)** ويظهر الذي هو على الحق والذي هو على الباطل، **(ويثني في حضوره وفي غيبته وبين يدي عدوه)**، فهذا **(هو المخلص له عن النفاق)**.

قيل لابن عمر رضي الله عنهما: إنا ندخل على أمرائنا فنقـول القول فإذا خرجنا قلنا غيره، فقال: كنا نعد هذا نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ، وهذا نفاق مهما كان مستغنياً عن الدخول على الأمير وعلى الثناء عليه، فلو استغنى عن الدخول ولكن إذا دخل يخاف إن لم يثن فهو نفاق لأنه الذي أحوج نفسه إلى ذلك فإن كان مستغنياً عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاه فدخل لضرورة الجاه والغنى وأثنى عليه فهو منافق. وهذا معنى قوله ﷺ: «حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل» لأنه يحوج إلى الأمراء وإلى مراعاتهم ومراءاتهم، فأما إذا ابتلي به لضرورة وخاف ان لم يثن فهو معذور، فإن اتقاء الشر جائز. قال أبو الدرداء رضي الله عنه: إنا لنكشر في وجوه

(وقيل لابن عمر) رضي الله عنه: **(إنا ندخل على امرائنا فنقول القول فإذا خرجنا)** من عندهم **(قلنا غيره قال: كنا نعد ذلك نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ)** رواه ابن أبي الدنيا عن أحمد بن إبراهيم، حدثنا يعلى بن عبيد، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم عن أبي الشعثاء قال: قيل لابن عمر فساقه.

وحدثنا أحمد بن إبراهيم، جدثنا عبد الرحمن بـن مهدي، حدثنا سلام بن سليم، عن إسحاق عن عريب الهمداني قال: قلت لابن عمر: إنا إذا دخلنا على الامراء زكينا هم بما ليس فيهم، فإذا خرجنا دعونا عليهم قال: كنا نعد ذلك النفاق.

وقال العراقي: رواه البخاري بلفظ: سلاطيننا، فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم الحديث. وفي رواية: علقها بعد قوله نفاقاً في عهد رسول الله ﷺ، ورواه الطبراني من طرق.

(وهذا نفاق مهما كان مستغنياً عن الدخول على الأمير وعن الثناء عليه، فلو استغنى عن الدخول) عليه **(ولكن إذا دخل يخاف ان لم يثن)** عليه في ماله أو عرضه، **(فهو نفاق لأنه الذي أحوج نفسه إليه وإن كان يستغني عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاه، فدخل لضرورة الجاه والغنى وأثنى فهو منافق، وهذا معنى قوله ﷺ «حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل»)** رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بسند ضعيف إلا أنه قال: «حب الغنى والمال» وقال: العشب مكان البقل وروى ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي من حديث ابن مسعود «الغني ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل» وعند البيهقي من حديث جابر مثله إلا أنه قال «الزرع» مكان «البقل» وقد تقدم كل ذلك في كتاب آداب السماع، **(لأنه يحوج إلى الامراء ومراعاتهم)** في أحوالهم **(ومراءاتهم فأما إذا ابتلي به لضرورة وخاف أن لم يثن فهو معذور، فإن اتقاء الشر جائز. قال أبو الدرداء)** رضي الله عنه: **(إنا لنكشر في وجوه أقوام)** أي نظهر لهم الأنس والفرح والضحك

أقوام وان قلوبنا لتلعنهم. وقالت عائشة رضي الله عنها: استأذن رجل على رسول الله ﷺ فقال: «ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو» ثم لما دخل ألان له القول فلما خرج قلت يا رسول الله: قلت فيه ما قلت ثم ألنت له القول، فقال: «يا عائشة إن شر الناس الذي يكرم اتقاء شره» ولكن هذا ورد في الإقبال وفي الكشر والتبسم. فأما الثناء فهو كذب صراح ولا يجوز إلا لضرورة أو إكراه يباح الكذب بمثله كما ذكرناه في آفة الكذب، بل لا يجوز الثناء ولا التصديق ولا تحريك الرأس في معرض التقرير على كل كلام باطل، فإن فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي أن ينكر فإن لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه.

الآفة الثامنة عشرة: المدح:

وهو منهي عنه في بعض المواضع. أما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرنا حكمها والمدح يدخله ست آفات: أربع في المادح، واثنتان في الممدوح.

فأما المادح: فالأولى؛ أنه قد يفرط فينتهي به إلى الكذب قال خالد بن معدان: من

والملاطفة، (**وأن قلوبنا لتلعنهم**). أخرجه أبو نعيم في الحلية وقد تقدم. (**وقالت عائشة رضي الله عنها: أستأذن رجل على رسول الله ﷺ فقال «ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو»**) أو ابن العشيرة، (**فلما دخل ألان القول، فلما خرج قلت: يا رسول الله قلت فيه ما قلت، ثم ألنت له القول. فقال «يا عائشة إن شر الناس الذي يكرم اتقاء لشره»**) وفي رواية شر الناس منزلة يوم القيامة من ودعه الناس أو تركه اتقاء شره. رواه الشيخان وأبو داود والترمذي وابن أبي الدنيا وقد تقدم في الآفة التي قبلها، (**ولكن هذا ورد في الإقبال وفي الكشر والتبسم، فأما الثناء فهو كذب صريح فلا يجوز إلا لضرورة ألمت أو اكراه يباح الكذب بمثله كما ذكرناه في آفة الكذب، بل لا يجوز الثناء ولا التصديق ولا تحريك الرأس في معرض التقرير على كل كلام باطل، فإن فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي أن ينكر**) بلسانه، (**فإن لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه**) وهذا أضعف الإيمان نسأل الله التوفيق.

الآفة الثامنة عشر المدح:

وهو الثناء باللسان على الصفات الجميلة خلقية كانت أو اختيارية فهو أعم من الحمد ونقيضه الذم، (**وهو منهى عنه في بعض المواضع اما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرنا حكمها والمدح يدخله ست آفات أربع في المادح واثنتان في الممدوح.**

فأما المادح: فهو أنه قد يفرط فينتهي به إلى الكذب. قال خالد بن معدان) الكلاعي الحمصي، أبو عبد الله ثقة عابد مات سنة ثلاث ومائة روى له الجماعة: (**من مدح إماماً**) أي

مدح إماماً أو أحداً بما ليس فيه على رؤوس الاشهاد بعثه الله يوم القيامة يتعثر بلسانه.

الثانية: أنه قد يدخله الرياء فإنه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمراً له ولا معتقداً لجميع ما يقوله فيصير به مرائياً منافقاً.

الثالثة: انه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له إلى الاطلاع عليه. روي أن رجلاً مدح رجلاً عند النبي ﷺ فقال له عليه السلام: « ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح » ثم قال: « إن كان أحدكم لا بدّ مادحاً أخاه فليقل أحسب فلاناً ولا أزكي على الله أحداً حسيبه الله إن كان يرى أنه كذلك ». وهذه الآفة تتطرق إلى المدح بالأوصاف المطلقة التي تعرف بالأدلة كقوله: إنه متق وورع وزاهد وخيّر وما يجري مجراه، فأما إذا قال: رأيته يصلي بالليل ويتصدق ويحج، فهذه أمور مستيقنة، ومن ذلك قوله: إنه عدل رضا فإن ذلك خفي فلا ينبغي أن يجزم القول فيه إلا بعد خبرة باطنه.

سلطاناً (**أو أحداً بما ليس فيه على رؤوس الأشهاد بعثه الله يوم القيامة يتعثر بلسانه**). رواه ابن أبي الدنيا عن القاسم بن هاشم، حدثني يحي بن صالح الوحاظي، حدثني محمد بن أبي جميلة، حدثنا خالد بن معدان فذكره.

(**الثانية: أنه يدخله الرياء فإنه بالمدح مظهر للحب، وقد لا يكون مضمراً له ولا معتقداً لجميع ما يقوله فيصير به مرائياً منافقاً**).

(**الثالثة: أنه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل إلى الاطلاع عليه. روي أن رجلاً مدح رجلاً عند النبي ﷺ فقال ﷺ « ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح » ثم قال « إن كان أحدكم لا بدّ مادحاً أخاه فليقل أحسب فلاناً ولا أزكي على الله أحداً حسيبه الله إن كان يرى أنه كذلك »**) رواه ابن أبي الدنيا، عن علي بن الجعد، أنبأنا شعبة، عن خالد الحذاء، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه أن رجلاً مدح رجلاً عند النبي ﷺ، فذكره، ورواه أحمد والشيخان، وأبو داود، وابن ماجه من هذا الطريق بلفظ « ويلك قطعت عنق صاحبك من كان منكم مادحاً أخاه لا محالة فليقل أحسب فلاناً والله حسيبه ولا أزكي على الله أحداً حسيبه كذا وكذا ان كان يعلم ذلك منه » وعند الطبراني في الكبير بلفظ « ويحك قطعت عنق أخيك والله لو سمعها ما أفلح ابداً إذا أثنى أحدكم على أخيه فليقل إن فلاناً ولا أزكي على الله أحداً. (**وهذه الآفة تتطرق إلى المدح بالأوصاف المطلقة التي تعرف بالأدلة كقوله: إنه متق وورع وزاهد وخير**) ودين (**وما يجري مجراه، أما إذا قال رأيته يصلي بالليل ويتصدق ويحج**) وما يجري مجراه (**فهذه أمور مستيقنة، ومن ذلك قوله: إنه عدل ورضا فإن ذلك خفي فلا ينبغي أن**

سمع عمر رضي الله عنه رجلاً يثني على رجل فقال: أسافرت معه؟ قال: لا. قال: أخالطته في المبايعة والمعاملة؟ قال: لا. قال: فأنت جاره صباحه ومساءه؟ قال: لا. فقال: والله الذي لا إله إلا هو لا أراك تعرفه.

الرابعة: إنه قد يفرح الممدوح وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز. قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يغضب إذا مدح الفاسق». وقال الحسن: من دعا الظالم بطول البقاء فقد أحب أن يعصي الله تعالى في أرضه والظالم الفاسق ينبغي أن يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح.

وأما الممدوح فيضره من وجهين:

أحدهما: انه يحدث فيه كبراً وإعجاباً وهما مهلكان. قال الحسن رضي الله عنه: كان عمر رضي الله عنه جالساً ومعه الدرة والناس حوله إذ أقبل الجارود بن المنذر فقال

يجزم القول) به **(إلا بعد خبرة باطنه. سمع عمر رضي الله عنه رجلاً يثني على رجل فقال: أسافرت معه؟ قال: لا. قال: أخالطته)** أي في المجاورة والمعاملة؟ **(قال: لا. قال: والله الذي لا إله إلا هو لا تعرفه)** رواه ابن أبي الدنيا عن يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن أبي غنية، حدثني أبي قال: سمع عمر رجلاً فذكره، وقد تقدم نحو هذا في كتاب آداب الصحبة والاخوة.

(الرابعة أنه يفرح الممدوح) بذلك المدح، **(وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز. قال رسول الله** ﷺ **«إن الله تعالى يغضب إذا مدح الفاسق»)** رواه ابن أبي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب من حديث أنس وفيه أبو خلف خادم أنس ضعيف، ورواه أبو يعلى وابن عدي بلفظ «إذا مدح الفاسق غضب الرب واهتز العرش» قال الذهبي في الميزان: منكر، وقد تقدم في كتاب آداب الكسب.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(من دعا الظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في الأرض)** رواه ابن أبي الدنيا عن محمد بن عبد المجيد التميمي، حدثنا عبيد الله بن عمرو، عن يونس عن الحسن فذكره دون قوله في الأرض، **(فالظالم الفاسق ينبغي أن يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح)**.

(وأما الممدوح فيضره) المدح **(من وجهين)**.

(أحدهما: أنه يحدث فيه كبراً واعجاباً) بنفسه **(وهما مهلكان. قال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى: **(كان عمر رضي الله عنه قاعداً ومعه الدرة)** بالكسر سوط من جلد، **(والناس حوله إذ أقبل الجارود فقال رجل)** من الحاضرين: **(هذا سيد ربيعة فسمعها**

رجل: هذا سيد ربيعة فسمعها عمر ومن حوله وسمعها الجارود، فلما دنا منه خفقه بالدرة، فقال: ما لي ولك يا أمير المؤمنين. قال: ما لي ولك. أما لقد سمعتها. قال: سمعتها فمه. قال: خشيت أن يخالط قلبك منها شيء فأحببت أن أطأطىء منك.

الثاني: هو أنه إذا أثنى عليه بالخير فرح به وفتر ورضي عن نفسه ومن أعجب بنفسه قل تشمره، وإنما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصراً، فأما إذا انطلقت الألسن بالثناء عليه ظن أنه قد أدرك، ولهذا قال عليه السلام: «**قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح**». وقال ﷺ: «إذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمررت على حلقه موسى رميضاً» وقال أيضاً لمن مدح رجلاً: «**عقرت الرجل عقرك الله**». وقال مطرف: ما سمعت قط ثناء ولا مدحة إلا تصاغرت إلى نفسي. وقال زياد بن مسلم: ليس أحد يسمع

عمر ومن حوله وسمعها الجارود، فلما دنا منه خفقه بالدرة) أي ضربه بها، **(فقال)** الجارود: **(مالي ومالك يا أمير المؤمنين، فقال: ما لي ولك أما لقد سمعتها؟ قال: سمعتها فمه. قال: خشيت أن يخالط قلبك منها شيء فاحببت ان أطأطيء منك)** رواه ابن أبي الدنيا عن علي بن الجعد، حدثنا المبارك بن فضالة، عن الحسن قال: كان عمر قاعداً فذكره قال: وحدثنا خلف بن هشام حدثنا حزم، سمعت الحسن قال: مرَّ عمر بن الخطاب والجارود معه فسمع قائلاً يقول: هذا سيد ربيعة فعلاه بالدرة، فقال: أما انك قد سمعتها.

(الثاني: هو أنه إذا أثنى عليه بالخير فرح به وفتر) عن الاجتهاد في الطاعات، **(ورضي عن نفسه. ومن أعجب بنفسه قلَّ تشمره)** في العبادة، **(وإنما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصراً فإذا أطلقت الالسنة بالثناء عليه ظن أنه قد أدرك)** رفعة المقام، **(ولهذا قال النبي ﷺ)** للذي مدح عنده رجلاً «ويحك **(قطعت عنق صاحبك لو سمعها)** أي لو بلغته وقبلها **(ما أفلح)** لحدوث المهلك» **(وقال ﷺ «إذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمررت على حلقه موسى رميضاً»)** بالضاد المعجمة وهو الحديد الماضي. قال العراقي: رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق من رواية يحيى بن جابر مرسلاً.

(وقال) ﷺ **(أيضاً لمن مدح رجلاً «عقرت الرجل عقرك الله»)** قال العراقي: لم أجد له أصلاً في المرفوع، لكن عن عمر الخطاب من قوله أخرجه حميد بن زنجويه في كتاب الأدب.

قلت: رواه من طريق الثوري: عن عمر بن مسلم، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه قال: كنا جلوساً عند عمر فاثنى رجل على رجل في وجهه فقال ذلك.

(وقال مطرف) بن عبد الله بن الشخير العامري الحرشي أبو عبد الله الثقة البصري العابد. **(ما سمعت ثناء أو مدحة إلا تصاغرت إلى نفسي)** أخرجه ابن المبارك في الزهد. **(وقال**

ثناء عليه أو مدحة إلا تراءى له الشيطان، ولكن المؤمن يراجع، فقال ابن المبارك: لقد صدق كلاهما. أما ما ذكره زياد فذلك قلب العوام، وأما ما ذكره مطرف فذلك قلب الخواص. وقال ﷺ: «لو مشى رجل إلى رجل بسكين مرهف كان خيراً له من أن يثني عليه في وجهه». وقال عمر رضي الله عنه: «المدح هو الذبح» وذلك لأن المذبوح هو الذي يفتر عن العمل، والمدح يوجب الفتور أو لأن المدح يورث العجب والكبر وهما مهلكان كالذبح، فلذلك شبهه به. فإن سلم المدح من هذه الآفات في حق المادح والممدوح لم يكن به بأس، بل ربما كان مندوباً إليه، ولذلك أثنى رسول الله ﷺ على الصحابة فقال: «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالم لرجح» وقال في عمر: «لو لم أبعث

زياد بن أبي مسلم) أبو عمر الفراء البصري الصفار صدوق **(ليس أحد يسمع ثناء عليه أو مدحه إلاّ تراءى له شيطان، ولكن المؤمن يراجع)** أي يتذكر فيرجع أخرجه ابن المبارك رحمه الله تعالى في الزهد. **(قال ابن المبارك)** رحمه الله تعالى بعد أن أخرج القولين: **(لقد صدقا كلاهما أما ما ذكر زياد فذلك قلب العوام)** قبل أن يكمل نور الإيمان في قلوبهم، **(وأما ما ذكر مطرف فذلك قلب الخواص)** فإنهم لا يزدادون بالمدح إلا تواضعاً وقرباً ولا سبيل للعجب إليهم وعليه يحمل ما رواه الطبراني والحاكم من حديث أسامة بن زيد إذا مدح المؤمن في وجهه ربا الإيمان في قلبه.

(وقال ﷺ «لو مشى رجل إلى رجل بسكين مرهف) أي حديد **(كان خيراً له من أن يثني عليه في وجهه»)** قال العراقي: لم أجد له أصلاً.

(وقال عمر رضي الله عنه: المدح هو الذبح) رواه ابن أبي الدنيا عن منصور بن أبي مزاحم، حدثنا أبو سعيد المؤدب، عن عبيد الله بن عمر قال: أظنه عن أسلم مولى عمر بن الخطاب عن عمر قال: المدح ذبح، **(وذلك لأن المذبوح هو الذي يفتر)** أي يكسل **(عن العمل)** فلا يتحرك **(والمدح يوجب الفتور أو لأن المدح يورث الكبر والعجب وهو)** أي كل واحد منها مهلك **(كالذبح، فلذلك شبهه به)** بجامع الهلاك، وقد روي هذا في المرفوع من حديث ابراهيم التيمي مرسلاً. قال النبي ﷺ «ذبح الرجل ان تزكيه في وجهه» رواه ابن أبي الدنيا في الصمت، **(فإن سلم المدح من هذه الآفات في حق المادح والممدوح لم يكن به بأس، بل ربما كان مندوباً إليه، ولذلك أثنى رسول الله ﷺ على الصحابة حتى قال: «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين لرجح»)** رواه ابن عدي والديلمي من حديث ابن عمر وقد تقدم في كتاب العلم.

(وقال لعمر) رضي الله عنه: **(«لو لم ابعث لبعثت يا عمر»)** قال العراقي: رواه الديلمي من حديث أبي هريرة وهو منكر، والمعروف حديث عقبة بن عامر «لو كان بعدي نبي لكان عمر

لبعثت يا عمر » وأي ثناء يزيد على هذا. ولكنه ﷺ قال عن صدق وبصيرة. وكانوا رضي الله عنهم أجل رتبة من أن يورثهم ذلك كبراً وعجباً وفتوراً، بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر إذ قال ﷺ: « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » أي لست أقول هذا تفاخراً كما يقصده الناس بالثناء على أنفسهم، وذلك لأن افتخاره ﷺ كان بالله وبالقرب من الله لا بولد آدم وتقدمه عليهم، كما أن المقبول عند الملك قبولاً عظيماً إنما يفتخر بقبوله إياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه، وبتفصيل هذه الآفات تقدر على الجمع بين ذم المدح وبين الحث عليه. قال ﷺ: « وجبت » لما أثنوا على بعض الموتى. وقال مجاهد: إن لبني آدم جلساء من الملائكة فإذا ذكر الرجل المسلم أخاه المسلم بخير قالت الملائكة: ولك بمثله. وإذا ذكره بسوء قالت الملائكة يا ابن آدم

ابن الخطاب » رواه الترمذي وحسنه، وأخرجه ابن عدي بلفظ « لو لم أبعث فيكم لبعث عمر فيكم » رواه من طريقين في أحدهما عبد الله بن واقد الحراني وهو متروك، وفي الآخر رشدين بن سعد. وقال: قلب رشدين متنه، ورواه أيضاً من حديث بلال وفيه زكريا بن يحيى الوقاد وهو كذاب، **(وأي ثناء يزيد على هذا ولكنه عن صدق وبصيرة وكانوا أجل رتبة من أن يورثهم ذلك)** الثناء **(كبراً أو عجباً أو فتوراً)** قد نزههم الله عن ذلك، **(بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر)** وهو مظنة الهلاك.

(وقال رسول الله ﷺ « أنا سيد ولد آدم ولا فخر ») رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري والحاكم من حديث جابر وقال: صحيح الإسناد وله من حديث عبادة بن الصامت « أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر » ولمسلم من حديث أبي هريرة « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة » قاله العراقي. **(أي لست أقول هذا تفاخراً كما يقصده الناس بالثناء على أنفسهم وذلك لأن افتخاره)** ﷺ إنما **(كان بالله وبقربه من الله لا بكونه مقدماً على ولد آدم. كما ان المقبول عند الملك قبولاً عظيماً إنما يفتخر بقبوله إياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعايها)** فإنه يرى ذلك كلا شيء عنده بالنسبة إلى مقامه الذي هو فيه، **(وبتفصيل هذه الآفات تقدر على الجمع بين المدح وبين الحث عليه. إذا قال ﷺ وجبت لما اثنوا على بعض الموتى)** قال أنس مروا بجنازة فاثنوا عليه خيراً فقال ﷺ « وجبت ومروا بأخرى فاثنوا عليه شراً فقال وجبت. فقالوا: كيف ذلك يا رسول الله؟ فقال: من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار أنتم شهداء الله في الأرض » قالها ثلاثا. رواه الطيالسي وأحمد والشيخان والنسائي.

(وقال مجاهد) رحمه الله تعالى **(ان لبني آدم جلساء من الملائكة فإذا ذكر الرجل أخاه المسلم بخير قالت الملائكة ولك بمثله، وإذا ذكره بسوء قالت الملائكة: يا ابن آدم المستور**

المستور عورتك: إربع على نفسك واحمد الله الذي ستر عورتك فهذه آفات المدح.

بيان ما على الممدوح:

اعلم ان على الممدوح أن يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور، ولا ينجو منه إلا بأن يعرف نفسه ويتأمل ما في خطر الخاتمة ودقائق الرياء وآفات الأعمال، فإنه يعرف من نفسه ما لا يعرفه المادح ولو انكشف له جميع أسراره وما يجري على خواطره لكف المادح عن مدحه، وعليه أن يظهر كراهة المدح بإذلال المادح. قال ﷺ: «احثوا التراب في وجوه المادحين». وقال سفيان بن عيينة: لا يضر مدح من

عورته إربع على نفسك وأحمد الله إذ ستر عورتك) رواه ابن أبي الدنيا عن محمد بن قدامة الجوهري، ومحمد بن عبد المجيد التميمي. وهذا لفظ محمد قالا: حدثنا يحي بن سليم عن إسماعيل ابن كثير عن مجاهد قال فذكره (**فهذه آفات المدح**) فتأملها واعتبر بها.

بيان ما على الممدوح:

(**اعلم**) وفقك الله تعالى (**أن على الممدوح ان يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور فإنها** (**مهلكات، ولا ينجو**) الممدوح (**عنه إلا بأن يعرف نفسه**) بالعجز والقصور، (**ويتأمل في خطر الخاتمة**) فإن خطرها شديد لأنها تضحك على الأعمال (**و**) يتأمل في (**دقائق الرياء**) فإنه من خفي الشرك (**وآفات الاعمال**) وأنه لا يقبل منها إلا ما كان بإخلاص، (**وإنه يعرف من نفسه ما لا يعرف المادح**) فيقول: أنا أعرف بنفسي منك، (**ولو انكشف له جميع أسراره**) وما في باطنه (**وما يجري على خواطره**) مما لا يخلو منه الإنسان (**لكف المادح عن مدحه**) وامتنع من الثناء عليه والتزكية. هذا حال العارفين بالله وإليه الإشارة بقوله: من عرف نفسه فقد عرف ربه، (**وعليه أن يظهر كراهية المدح بإذلال المادح**) إن رأى في ذلك سلامة لحاله أو عدم اكرامه بالبذل له في نظير ما مدحه، ولو بالسكوت عنده والاعراض عنه بوجهه وإدخال كلام آخر أجنبي، كأنه لم يسمع ذلك المدح، وسواء كان ذلك المدح بمنثور من القول أو بمنظوم بأن مدحه بقصيدة والبلاء في هذا أكثر فإن الشاعر يجازف في كلامه كثيراً فإن أكذبه أعذبه فيجمع بين الكذب والمدح، (**وإليه الإشارة بقوله ﷺ «احثوا**) أي إرموا (**في وجوه المداحين**) بصيغة المبالغة إشارة إلى أن الكلام فيمن صدر منه المدح كثيراً حتى اتخذه صناعة وبضاعة يتأكل بها الناس وجازف في الأوصاف وأكثر الكذب (**التراب»**) أي فلا تعطوهم على المدح شيئاً. فالحثو كناية عن الحرمان والرد والتخجيل يقال: حثا في وجهه الرماد إذا أخجله، أو المراد قولوا لهم بأفواهكم التراب، والعرب تستعمل ذلك لمن يكرهونه فيقولون بعينه الاثلب وهي بالكسر والمثلثة الساكنة التراب، وهو كناية عن الذل والخيبة أو المراد أعطوهم ما طلبوا لأن كل ما فوق التراب تراب فشبه الاعطاء بالحثو على سبيل الترشيح

عرف نفسه وأثنى على رجل من الصالحين فقال: اللهم إن هؤلاء لا يعرفوني وأنت تعرفني. وقال آخر لما أثني عليه: اللهم ان عبدك هذا تقرب إليّ بمقتك وأنا أشهدك على مقته. وقال علي رضي الله عنه لما أثني عليه: اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما

والمبالغة في التقليل والاستهانة، وبهذا جزم البيضاوي وفيه نظر، وقيل هو على ظاهره فيرمي في وجوههم التراب، وجرى عليه ابن عربي قال: وصورته أن تأخذ كفا من تراب وترمي به بين يديه، وتقول: ما عسى أن يكون من خلق من هذا، ومن أنا وما قدري توبخ بذلك نفسك ونفسه وتعرف المادح قدرك وقدره، وهكذا فليحث التراب في وجوههم قال: وقد كان بعض مشايخنا إذا رأى شخصاً راكباً ذا شـارة تعظمه الناس وينظرون إليه يقول له ولهم تراب راكب على تراب.

قلـت: ويدل لذلك ما رواه ابن أبي الدنيا عن عثمان بن أبي شيبة، حدثنا الأشجعي، عن سفيان الثوري، عن الأعمش ومنه ،ر، عن إبراهيم عن همام بن الحرث قال: قال المقداد بن الأسود: أمرنا رسول الله ﷺ إذا رأينا المداحين أن نحثو في وجوههم التراب، وقد رواه أحمد ومسلم وأبو داود من حديث المقداد بلفظ المصنف، ورواه الترمذي من حديث أبي هريرة، وابن عدي، وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر، وعند بعضهم في أفواه بدل وجوه وفي لفظ المادحين بدل المداحين.

تنبيه:

قال بعض الشافعية: وتحرم مجاوزة الحد في الاطراء في المدح إذا لم يمكن حمله على المبالغة وترد به الشهادة إن أكثر منه، وإن قصد إظهار الصنعة. قال العز بن عبد السلام في قواعده: ولا تكاد تجد مداحاً إلا رذلاً ولا هجاء إلا ندلاً. **(قال)** أبو محمد **(سفيان بن عيينة)** بن أبي عمران الهلالي الكوفي ثم المكي ثقة حافظ فقيه إمام حجة مات في رجب سنة ١٩٨ وله إحدى وتسعون سنة **(لا يضر المدح من عرف نفسه)** رواه ابن أبي الدنيا عن محمد بن يحيى الواسطي، حدثنا حبان بن صخر بن جويرية، سمعت سفيان بن عيينة يقول: ليس يضر المدح من عرف نفسه، **(وأثني على رجل من الصالحين فقال: اللهم إن هؤلاء لا يعرفوني وأنت تعرفني)** رواه ابن أبي الدنيا عن محمد بن الحرث المقري حدثنا حماد بن زيد، حدثنا عطاء السلمي قال: سمعت جعفر ابن زيد الضبعي يذكر أن رجلاً مرَّ بمجلس فاثني عليه خير، فلما جاوزهم قال: اللهم إن هؤلاء لم يعرفوني وأنت تعرفني. **(وقال آخر: لما أثني عليه اللهم إن عبدك هذا تقرب إليَّ بمقتك وأنا أشهدك على مقته)** رواه ابن أبي الدنيا عن أحمد بن بجير، حدثنا قبيصة، حدثنا سفيان عن أبي سنان، عن عبد الله بن أبي الهذيل قال: أثنى رجل على رجل من المصلين في وجهه فقال: اللهم ان عبدك تقرب فذكره.

(وقال علي كرم الله وجهه لما أثني عليه: اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما

يقولون واجعلني خيراً مما يظنون، وأثنى رجل على عمر رضي الله عنه فقال: أتهلكني وتهلك نفسك؟ وأثنى رجل على علي كرّم الله وجهه في وجهه وكان قد بلغه أنه يقع فيه فقال: أنا دون ما قلت وفوق ما في نفسك.

الآفة التاسعة عشرة في الغفلة عن دقائق الخطأ في فحوى الكلام:

لا سيا فيا يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بأمور الدين فلا يقدر على تقويم اللفظ في أمور الدين إلا العلماء الفصحاء، فمن قصر في علم أو فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل لكن الله تعالى يعفو عنه لجهله. مثاله ما قال حذيفة. قال النبي ﷺ: «لا يقل أحدكم ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت» وذلك لأن في العطف المطلق تشريكاً وتسوية وهو على خلاف الاحترام. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: جاء رجل إلى رسول الله

يقولون واجعلني خيراً مما يظنون، وأثنى رجل على عمر رضي الله عنه فقال: أتهلكني وتهلك نفسك) رواه ابن أبي الدنيا عن أبي يعلى الثقفي، حدثنا أحمد بن يونس، عن ابن شهاب، عن الأعمش، عن الحسن أن رجلاً أثنى على عمر فقال: تهلكني وتهلك نفسك. **(وأثنى رجل على علي كرم الله وجهه في وجهه، وكان قد بلغه أنه يقع فيه، فقال علي)** رضي الله عنه: **(أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك)** رواه ابن أبي الدنيا عن زياد بن أيوب، حدثنا حفص ابن غياث، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري قال: أثنى رجل على علي في وجهه وقد كان بلغه أنه يقع فيه فقال له علي: انا دون ما قلت وفوق ما في نفسك.

الآفة التاسعة عشر: في الغفلة عن دقائق الخطأ في فحوى الكلام:

في أثناء المحاورات. **(لا سيا فيا يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بأمور الدين فلا يقدر على تقويم اللفظ)** وتعديله **(في أمور الدين إلا العلماء الفصحاء)** العارفون بمواقع الكلام، **(فمن قصر في علم أو فصاحة)** أي لم يحزهما لنفسه **(لم يخل كلامه عن الزلل)** والسقط من حيث لا يدري، **(لكن الله يعفو عنه لجهله مثاله ما قال حذيفة)** بن اليمان رضى الله عنه. **(قال النبي ﷺ «لا يقل أحدكم ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت»)** رواه ابن أبي الدنيا عن أبي خيثمة، حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا شعبة، عن منصور، عن عبد الله بن يسار عن حذيفة، عن النبي ﷺ فذكره. وقال العراقي: رواه أبو داود والنسائي في الكبرى بسند صحيح اهـ.

قلت: وفي لفظ لأبي داود والنسائي «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان» ورواه كذلك الطيالسي وأحمد وابن أبي شيبة وابن ماجه وابن السني والضياء في المختارة، **(وذلك لأن في العطف المطلق)** بالواو **(تشريكاً وتسوية وهو على خلاف الاحترام)** لمقام

ﷺ يكلمه في بعض الأمر فقال: ما شاء الله وشئت. فقال ﷺ: « أجعلتني لله عديلاً ما شاء الله وحده » وخطب رجل عند رسول الله ﷺ فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى، فقال: « قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى » فكره رسول الله ﷺ قوله ومن يعصهما لأنه تسوية وجمع. وكان إبراهيم يكره أن يقول الرجل

الربوبية بخلاف العطف بثم. قال صاحب المصباح. ثم حرف عطف وهي للمفردات للترتيب بمهلة. وقال الأخفش هي بمعنى « الواو » واستعملت فيما لا ترتيب فيه نحو: والله لأفعلن كذا وتقول وحياتك ثم وحياتك لأقومن، وأما في الجمل فلا يلزم الترتيب، بل قد تأتي بمعنى الواو نحو قوله تعالى ﴿ثم الله شهيد على ما يفعلون﴾ [يونس: ٤٦] أي والله شاهد على تكذيبهم وعنادهم، فإن شهادة الله غير حادثة ومثله ثم كان من الذين آمنوا.

(وقال ابن عباس) رضي الله عنهما: **(جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فكلمه في بعض الأمر فقال: ما شاء الله وشئت. فقال ﷺ « اجعلتني لله عدلاً قل ما شاء الله وحده »)** رواه ابن أبي الدنيا عن عبد الرحمن بن صالح، حدثنا المحاربي، عن الأجلح، عن يزيد بن الأصم، عن ابن عباس قال: جاء رجل فساقه. وقال العراقي: رواه النسائي في الكبرى وابن ماجه باسناد حسن اهـ.

قلت: وروى سمويه في فوائده والضياء المقدسي من حديث جابر بن سمرة بلفظ « لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد » ورواه كذلك الخطيب في المتفق والمفترق وابن النجار من حديث الطفيل بن سخبرة. روى الطبراني في الكبير من حديث ابن مسعود « قولوا ما شاء الله ثم شئت » وروى ابن سعد في الطبقات، والطبراني من طريق مسعر، عن معبد بن خالد الجدلي، عن عبد الله بن يسار، عن قتيلة امرأة من جهينة قالت: جاء يهودي. وفي رواية ابن سعد حبر من الأحبار إلى النبي ﷺ فقال: « إنكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت وتقولون والكعبة، فأمرهم النبي ﷺ أن يقولوا ورب الكعبة وأن يقولوا ما شاء الله ثم شئت، قال ابن سعد ليس لها غير هذا الحديث، وأخرجه ابن منده من طريق المسعودي عن معبد بن يسار عن قتيلة بنت صيفي الجهنية.

(وخطب رجل عند رسول الله ﷺ فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال) لا تقل هكذا **(قل)** من يطع الله ورسوله فقد رشد، **(ومن يعص الله ورسوله فقد غوى)** رواه ابن أبي الدنيا عن علي بن الجعد، أنبأنا ابن عيينة عن المغيرة، عن إبراهيم قال: خطب رجل فساقه. وقال العراقي: رواه مسلم من حديث عدي بن حاتم. **(وكره قوله ومن يعصهما لأنه تسوية وجمع)** أي ذكرهما في حيز واحد. هذا هو المشهور واختلف في ذلك فقيل: كان ذلك في أوّل الإسلام ثم لما شاع وانتشر وكمل نور الإيمان أبيح ذلك كما ذكره شراح الشفاء وتقدم البحث في ذلك. وقال بعضهم: ولعل الأوجه أن يقال العدول عن الاسمين

أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول أعوذ بالله ثم بـك، وأن يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان. وكره بعضهم أن يقال: اللهم أعتقنا من النار وكان يقول العتق يكون بعد الورود. وكانوا يستجيرون من النار ويتعوّذون من النار. وقال رجل: اللهم اجعلني ممن تصيبه شفاعة محمد ﷺ، فقال حذيفة: إن الله يغني المؤمنين عن شفاعة محمد وتكون شفاعة للمذنبين من المسلمين. وقال ابراهيم: إذا قال الرجل للرجل يا حمار يا

الكريمين غير لائق وإن كان المقام يقتضي الضمير اختصاراً، ولهذا ورد في كثير من القرآن: ومن يطع الله ورسوله ومن يعص الله ورسوله، ولله در القائل:

أعـد ذكـر نعمان لنـا ان ذكـره   هـو المسك مـا كـررتـه يتضـوّع

(**وكان إبراهيم**) النخعي (**يكره أن يقول الرجل أعوذ بالله وبك ويجوز**) أي يرى جائزاً (**أن يقال: أعوذ بالله ثم بك و**) يجوز (**أن يقول: لولا الله ثم فلان، ولا يقول لولا الله وفلان**) رواه ابن أبي الدنيا عن عبد الرحمن بـن صالح، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم أبو يحيى التيمي، حدثنا مغيرة قال: كان إبراهيم يكره أن يقول الرجل أعوذ بالله وبك ويرخص ان يقول أعوذ بالله ثم بك، ويكره أن يقول لولا الله وفلان ويرخص ان يقول لولا الله ثم فلان.

(**وكره بعضهم أن يقول**) الرجل في دعائه: (**اللهم اعتقنا من النار، وقالوا**) في توجيه ذلك إن (**العتق**) إنما (**يكون بعد الورود، وكانوا يستجيرون من النار ويتعوّذون من النار**) رواه ابن أبي الدنيا عن هارون بن عبد الله، حدثنا سيار، حدثنا جعفر، حدثنا أبو عمران الجوني قال: ادركت أربعة من أفضل ما أدركت فكانوا يكرهون أن يقولوا: اللهم اعتقنا من النار، ويقولون: إنما يعتق منها من دخلها وكانوا يقولون: نستجير بالله من النار ونعوذ بالله من النار.

قلـت: وهذا من جلة الدقائق فإن أراد القائل بالعتق العصمة والحفظ أو ما يجري مجراه فلا أرى بأساً في الإطلاق فقد اشتهر الدعاء بمثل ذلك من غير نكير.

(**وقال رجل: اللهم اجعلني ممن تصيبه شفاعة محمد**) ﷺ، (**فقال حذيفة**) رضي الله عنه: (**إن الله يغني المؤمنين عن شفاعـة محمد**) ﷺ (**وتكـون شفاعتـه للمـذنبين مـن المسلمين**) رواه ابن أبي الدنيا عن عبد الرحمن بن صالـح، حـدثنـا المحـاربي، عـن أبي مـالـك الأشجعي، عن ربعي، عن حذيفة قال: قال رجل فذكره.

وروي أيضاً عن حمدون بن سعد، حدثنا النضر بن إسماعيل، عن أبي طالب، عن عمار الدهني، عن أبي جعفر قال: سمع علي امرأة تقول: اللهم ادخلني في شفاعة محمد. قال: إذاً تمسك النار، وهذا أيضاً من الدقائق: وإذا أراد بشفاعته رفعة المنزلة له فوق منزلته فلا أرى بذلك بأساً.

(**وقال إبراهيم**) النخعي: (**إذا قال الرجل للرجل: يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيامة**

خنزير ! قيل له يوم القيامة: حماراً رأيتني خلقته خنزيراً رأيتني خلقته. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: إن أحدكم ليشرك حتى يشرك بكلبه فيقول: لولاه لسرقنا الليلة. وقال عمر رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت». قال عمر رضي الله عنه: فوالله ما حلفت بها منذ

حماراً رأيتني خلقته خنزيراً رأيتني خلقته) رواه ابن أبي الدنيا عن عبد الرحمن بن صالح، حدثنا محمد بن فضيل، عن الأعمش، عن إبراهيم قال: إذا قال الرجل فذكره. قال: وحدثنا أحمد ابن منيع، حدثنا محمد بن حازم، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم قال: إذا قال الرجل لأخيه: يا خنزير قال الله له يوم القيامة تراني خلقته خنزيراً. قال: وحدثنا سعيد بن سليمان عن أبي حفص الأبار، عن الأعمش، عن حكيم بن جبير، عن ابن عباس أن موسى عليه السلام كان في نفر من بني إسرائيل فقال: إشربوا يا حمير فأوحى الله إليه تقول لخلق من خلقي خلقتهم اشربوا يا حمير.

(وعن ابن عباس) رضي الله عنه قال: **(إن أحدكم يشرك بالله حتى يشركه بكلبه يقول: لولاه لسرقنا الليلة)** رواه ابن أبي الدنيا عن إسحاق بن إسماعيل، حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا ابن أبي خالد عن مولى لابن عباس عن ابن عباس أحسب هكذا قال أن أحدكم فساقه.

(وقال عمر) رضي الله عنه **(قال رسول الله ﷺ «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم». قال عمر)** رضي الله عنه: والله ما حلفت بها منذ سمعتها. رواه أبي الدنيا، عن خالد بن خداش، حدثنا عبد الله بن وهب، أنبأنا يونس عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ فذكره وفيه: ما حلفت بها منذ سمعت رسول الله ﷺ ينهي عنها. وقال العراقي: متفق عليه.

قلت: ورواه كذلك أحمد وابن عدي.

وروى أحمد وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي من حديث ابن عمر: «لا تحلف بابيك ولا تحلف بغير الله فإنه من حلف بغير الله فقد أشرك» ورواه ابن ماجه والبيهقي أيضاً «لا تحلفوا بآبائكم من حلف بالله فليصدق» الحديث. ورواه البخاري والنسائي بلفظ «لا تحلفوا بآبائكم» وزاد الحاكم «من حلف بشيء دون الله فقد أشرك».

وفي الباب أبو هريرة ولفظ حديثه «لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد ولا تحلفوا إلا بالله ولا تحلفوا إلا وأنتم صادقون» رواه أبو داود والنسائي والبيهقي وابن حبان وعبد الرحمن بن سمرة، ولفظ حديثه «لا تحلفوا بآبائكم ولا بالطواغيت» رواه أحمد والنسائي وابن ماجه عن سمرة ابن جندب ولفظ حديثه «لا تحلفوا بالطواغيت ولا تحلفوا بآبائكم واحلفوا بالله فإنه أحب إليه أن تحلفوا به ولا تحلفوا بشيء من دونه» رواه الطبراني في الكبير عن حبيب بن سليمان بن سمرة عن أبيه عن جده، وروى عبد الرزاق في المصنف عن قتادة مرسلاً «لا تحلفوا بالطواغيت ولا بآبائكم ولا بالأمانة».

سمعتها . وقال ﷺ : « لا تسموا العنب كرماً إنما الكرم الرجل المسلم » وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : « لا يقولن أحدكم عبدي ولا أمتي كلكم عبيدالله وكل نسائكم إماء الله وليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي ولا يقول المملوك ربي ولا ربتي وليقل سيدي وسيدتي فكلكم عبيد والرب الله سبحانه وتعالى »، وقال ﷺ : « لا تقولوا

(وقال ﷺ « لا تسموا العنب الكرم إنما الكرم الرجل المسلم ») وذلك لأن هذه اللفظة تدل على كثـرة الخير والمنافع في المسمى بها ، والرجل المسلم هو المستحق لذلك دون شجرة العنب ، وهل المراد النهي عن تخصيص شجرة العنب بهذا الاسم وأن المسلم أولى به من تسميته بالكرم كما قال في المسكين والرقوب والمفلس ، أو المراد أن تسميته بها مع اتخاذ الخمر المحـرم منه وصف بالكرم والخير لأصل هذا الشراب الخبيث المحرم ، وذلك ذريعة إلى مدح المحرم وتهييج النفوس إليه محتمل ، رواه ابن أبي الدنيا عن أبي خيثمة ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ فذكره . وقال العراقي : هو متفق عليه من حديث وائل بن حجر .

قلـت : وفي رواية لمسلم « لا تقولوا الكرم ولكن قولوا العنب والحبلة » وفي المتفق عليه من حديث أبي هريرة « لا تسموا العنب الكرم ولا تقولوا خيبة الدهر فإن الله هو الدهر » وعند ابن عساكر بلفظ « لا تسموا العنب الكرم فإن الكرم المؤمن » . وعند أحمد ومسلم « لا يقولن أحدكم للعنب الكرم فإنما الكرم قلب المؤمن » وعند أبي داود والبيهقي « لا يقولن أحدكم الكرم فإن الكرم الرجل المسلم ولكن قولوا حدائق الاعناب » .

(وقال أبو هريرة)رضي الله عنه **(قال رسول الله ﷺ « لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي ولا يقولن المملوك ربي وربتي ولكن سيدي وسيدتي فكلكم عبيد والرب الله سبحانه وتعالى »)** قال ابن أبي الدنيا في الصمت : حدثنا هاشم بن الوليد ، حدثنا النضر بن شميل ، عن عوف ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لا يقولن أحدكم عبدي ولا أمتي وليقل فتاي وفتاتي ولا يقل المملوك ربي ولا ربتي ولكن سيدي وسيدتي كلكم عبيد والرب الله » ثم قال : وحدثني يحي بن أيوب ، حدثنا إسماعيل بن جعفر ، أنبأنا العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لا يقل أحدكم عبدي أمتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم إماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي » وقال العراقي : هو متفق عليه من حديث أبي هريرة .

قلـت : لفظهما لا يقل أحدكم اطعم ربك وضيء ربك واسق ربك ولا يقل أحد ربي وليقل سيدي ومولاي ولا يقل أحدكم عبدي أمتي وليقل فتـاتي وغلامـي » وكـذلـك رواه أحمد . وفي لفـظ مسلم « لا يقولن أحدكم عبدي فكلكم عبيد الله ولكن ليقل فتاي ولا يقل العبد ربي ولكن ليقل سيدي » .

للفاسق سيدنا فإنه إن يكن سيدكم فقد أسخطتم ربكم » ، وقال ﷺ : « من قال أنا بريء من الإسلام فإن كان صادقاً فهو كما قال، وإن كان كاذباً فلن يرجع إلى الإسلام سالماً » ، فهذا وأمثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره.

ورواه أبو داود وابن السني في اليوم والليلة بلفظ « لا يقولن أحدكم عبدي أو أمتي ولا يقولن المملوك ربي وربتي وليقل المالك فتاي وفتاتي وليقل المملوك سيدي وسيدتي فإنكم المملوكون والسيد الله عز وجل » . ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق بلفظ « لا يقولن أحدكم عبدي وليقل فتاي ولا يقل العبد مولاي وليقل سيدي » وفي لفظ له « لا يقولن أحدكم عبدي فكلكم عبد ولا يقولن أحدكم مولاي فإن مولاكم الله ولكن ليقل سيدي » .

(وقال ﷺ : « لا تقولوا للمنافق سيدنا فإنه إن يكن سيدكم فقد أسخطتم ربكم ») رواه ابن الدنيا عن عبد الرحيم بن عيسى الإبلي، حدثنا معاذ بن هشام، حدثني أبي عن قتادة عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه أن النبي ﷺ قال: « لا تقولوا » فساقه . وقال العراقي: رواه أبو داود من حديث بريدة بسند صحيح.

قلت: ورواه كذلك أحمد والنسائي والروياني وابن السني والبيهقي والضياء المقدسي كلهم من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه.

(وقال رسول الله ﷺ : « من قال أنا بريء من الإسلام فإن كان صادقاً فهو كما قال وإن كان كاذباً فلن يرجع إلى الإسلام سالماً) قال العراقي: رواه النسائي وابن ماجه من حديث بريدة بإسناد صحيح اهـ.

قلت: ورواه كذلك الحاكم وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو خيثمة، حدثنا علي بن الحسن، حدثنا الحسين بن واقد، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ : « من قال إني » فذكره. ولكن لفظ الجماعة: « لم يعد إلى الإسلام صادقاً » .

(فهذا وأمثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره) فمن ذلك ما رواه مسلم من حديث ابن مسعود: « لا يقل أحدكم نسيت آية كيت وكيت بل هو نسي » وعند الطبراني: « لا يقولن أحدكم نسيت آية كيت وكيت فإنه ليس هو نسي ولكنه نسي » وروي الطبراني في الكبير من حديث واثلة: « لا يقولن أحدكم أهرقت الماء ولكن ليقل أبول » ورواه الحسن محمد بن علي بن صخر الأزدي في مشيخته وابن النجار من حديث أبي هريرة بلفظ: « لا يقول أحدكم أهريق الماء » والباقي سواء.

وروى ابن أبي شيبة في المصنف من حديث أبي هريرة: « لا يقل أحدكم اغفر لي إن شئت وليعزم المسألة فإنه لا مكره له » ورواه مالك وأحمد والشيخان وأبو داود والترمذي وابن ماجه بزيادة: « اللهم ارحمني إن شئت اللهم ارزقني إن شئت » وفيه فإنه يفعل ما يشاء لا مكره له. وروى

....

ابن ماجة من حديث ابن عباس: « لا يقولن أحدكم إني صرورة » وروى الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة: « لا يقولن أحدكم اللهم لقني حجتي فإن الكافر يلقن حجته ولكن ليقل اللهم لقني حجة الإيمان عند الممات » وروى أحمد والشيخان وأبو داود والنسائي وابن السني في اليوم والليلة من طرق عن الزهري عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه مرفوعاً: « لا يقولن أحدكم جيشت نفسي ولكن ليقل لقست نفسي » ورواه البيهقي من طريق سفيان بن عيينة عن الزهري عن أبي أمامة ولم يذكر أباه، ورواه النسائي أيضاً من طريق سفيان، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة. ورواه أحمد والشيخان من طريق سفيان عن هشام عن أبيه عن عائشة، ورواه الطبراني من طريق قرة بن عبد الرحمن عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه ورواه الدارقطني في الإفراد من حديث أبي هريرة. ورواه أبو داود من حديث عائشة بلفظ: « لا يقولن أحدكم جاشت نفسي ولكن ليقل لقست نفسي » وروى أحمد وأبو داود والنسائي والطبراني والبيهقي من حدبث أبي بكرة: « لا يقولن أحدكم إني صمت رمضان كله وقمته ».وروى تمام وابن عساكر من حديث عبد الله بن عمرو: « ولا يقولن أحدكم صمت رمضان وقمت رمضان لاصنعت في رمضان كذا فإن رمضان اسم من أسماء الله العظام. ولكن قولوا شهر رمضان كما قال ربكم في كتابه » ورواه ابن عدي وأبو الشيخ والبيهقي وضعفه والديلمي من حديث أبي هريرة: « لا تقولوا رمضان فإن رمضان إسم من أسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان » وفي حديث أبي المليح عن أبيه رفعه: « لا تقل تعسني الشيطان فإنه يعظم حتى يصير مثل البيت ويقول بقوتي صرعته ولكن قل بسم الله فإنك إذا قلت ذلك تصاغر حتى يصير مثل الذباب فيمن عثر » رواه أحمد وأبو يعلى والباوردي والطبراني وابن السني في اليوم والليلة والدارقطني في الإفراد والحاكم، ورواه أحمد أيضاً والبغوي والبيهقي عن أبي تميمة الهجيمي عن رديف رسول الله ﷺ، وعن أبي جري جابر بن سليم الهجيمي مرفوعاً: لا تقل عليك السلام فإن عليك السلام تحية الموتى، ولكن قل السلام عليك. رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح والنسائي والطبراني والحاكم والبيهقي والضياء. وروى الطبراني من حديث عبد الله بن مغفل: لا تقولوا للعشاء العتمة. فإن الأعراب يسمونها العتمة. وروى البيهقي وضعفه من حديث أنس، لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة آل عمران وسائر القرآن، ولكن قولوا السورة التي يذكر فيها البقرة والسورة التي يذكر فيها آل عمران، والقرآن على نحو هذا.

وروى الطبراني في الأوسط والبزار وأبو نعيم في الحلية والبيهقي وضعفه من حديث أبي هريرة: « لا يقولن أحدكم زرعت ولكن ليقل حرثت ».

وروى مسلم من حديث أبي هريرة: « لا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر فإن الله هو الدهر » وروى الطبراني في كتاب السنة من حديث أبي هريرة، والخطيب من حديث ابن عمر: « لا يقولن أحدكم لأخيه قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فإن الله عز وجل خلق آدم على صورته ».

ومن تأمل جميع ما أوردناه من آفات اللسان علم انه إذا أطلق لسانه لم يسلم، وعند ذلك يعرف سر قوله ﷺ « من صمت نجا » لأن هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب،

فصل

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت من طريق ليث عن مجاهد أنه كان يكره أن يقول: اللهم ادخلني في مستقر رحمتك فإن مستقر رحمته نفسه ومن طريق أيوب عن محمد بن سيرين أن رجلاً شهد عند شريح فقال: أشهد بشهادة الله، فقال له شريح لا تشهد بشهادة الله، ولكن اشهد بشهادتك فإن الله لا يشهد إلا على حق ومن طريق ليث عن مجاهد أنه كره أن يقول للميت استأثر الله به. ومن طريق مغيرة عن إبراهيم قال: كان يكره أن يقول لعمر والله لا بحمد الله وعن القاسم ابن مخيمرة قال: لأن أحلف بالصليب أحب إليّ من أن أحلف بحياة رجل. وعن العلاء بن المسيب عن أبيه عن كعب قال: إنكم تشركون في قول الرجل كلا وأبيك كلا والكعبة كلا وحياتك وأشباه هذا احلف بالله صادقاً أو كاذباً ولا تحلف بغيره. ومن طريق حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « من حلف منكم باللات فليقل لا إله إلا الله ومن قال لأخيه تعالى أقامرك فليتصدق ». ومن طريق مسعر عن سماك الحنفي أنه سمع ابن عباس يكره أن يقول الرجل إني كسلان. ومن طريق المسعودي عن عون بن عبد الله قال: لا تقولوا أصبحنا وأصبح الملك لله، ولكن قولوا أصبحنا والملك لله والحمد لله، وعنه أيضاً قال: لا يقولن أحدكم نعم الله بك عينا، فإن الله لا ينعم بشيء، ولكن ليقل أنعم الله بك عينا فإنما أنعم أقر. ومن طريق غيلان بن جرير عن مطرف قال: لا تقل إن الله يقول، ولكن قل إن الله قال واحدهم يكذب مرتين إذا سئل من هذا قال لا شيء إلا شيء أليس بشيء. وعن مطرف أنه كان يكره أن يقول أحدهم للكلب اللهم أخزه. وعن خناس بن سحيم قال: أقبلت مع زياد بن جدير من الكناسة فقتل في كلامي والأمانة، فجعل زياد يبكي فظننت إني أتيت أمراً عظيماً، فقلت: أكان يكره ما قلت؟ قال: نعم. كان عمر ينهانا عن الحلف بالأمانة أشد النهي. وعن يحيى بن مطرف قال: قلت لعيسى ابن بابان أقعد إلى هؤلاء القوم ساعة. قال: وما يدريك وما قدر ساعة؟ قلت: هنية. قال: هكذا فقل. فال: وقال لي عيسى يوماً أدخل فانظر فلاناً هل تراه في المسجد، فدخلت وخرجت وقلت: ليس في المسجد أحد. قال: لا تقل هكذا قل لم أر في المسجد أحداً. هكذا فقل. ومن طريق عبد الرحمن بن عمر بن حفص عن ربيعة بن عطاء قال: قلت عن القاسم بن محمد قاتل الله محمد بن يوسف ما أجرأه على الله. قال: هو أدل والأم من أن يجتريء على الله، ولكنها الغرة الغرة قل ما أغره بالله. ومن طريق المسعودي عن عون بن عبد الله قال: لا يقل الرجل إذا سئل عن الرجل ليس لي به عهد حتى يقول مذ لم أره.

(**ومن تأمل جميع ما أوردناه من آفات اللسان علم أنه إذا أطلق لسانه لم يسلم**) من تلك الآفات كلها أو بعضها، (**وعند ذلك يعرف سر قوله ﷺ: « من صمت نجا »**) وقد تقدم

وهي على طريق المتكلم فإن سكت سلم من الكل وإن نطق وتكلم خاطر بنفسه إلا أن يوافقه لسان فصيح وعلم غزير وورع حافظ ومراقبة لازمة ويقلل من الكلام، فعساه يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لا ينفك عن الخطر فإن كنت لا تقدر على أن تكون ممن تكلم فغنم فكن ممن سكت فسلم. فالسلامة إحدى الغنيمتين.

الآفة العشرون: سؤال العوام عن صفات الله تعالى:

وعن كلامه وعن الحروف وأنها قديمة أو محدثة ومن حقهم الاشتغال بالعمل بما في القرآن إلا أن ذلك ثقيل عن النفوس والفضول خفيف على القلب، والعامي يفرح بالخوض في العلم إذ الشيطان يخيل إليه أنك من العلماء وأهل الفضل ولا يزال يحبب إليه ذلك حتى يتكلم في العلم بما هو كفر، وهو لا يدري. وكل كبيرة يرتكبها العامي فهي

قريباً في أول هذا الكتاب، **(لأن هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب وهي على طريق المتكلم)** لا ينفك عنها، **(فإن سكت سلم من الكل وإن تكلم خاطر بنفسه إلا أن يوافقه لسان فصيح وعلم غزير وورع حافظ)** يحجزه عن التعثر في السقطات **(ومراقبة)** في القلب للحق **(لازمة)** لا تنفك عنه، **(وتقلل في الكلام)** وتحفظ في المنطق، **(فعساه يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لا ينفك عن الخطر)** والإشراف على الهلاك، **(فإن كنت لا تقدر على أن تكون ممن تكلم فغنم)** بنتيجة كلامه، **(فكن ممن سكت فسلم)** من آفاته. **(فالسلامة)** من المكروهات **(إحدى الغنيمتين)** روى ابن أبي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب من مرسل الحسن: « رحم الله عبداً تكلم فغنم أو سكت فسلم » ورواه العسكري في الأمثال عن الحسن عن أنس، ورواه البيهقي أيضاً عن ثابت عن أنس، ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق بلفظ: « رحم الله عبداً قال فغنم أو سكت فسلم » رواه عن الحسن مرسلاً. ورواه أبو الشيخ في الثواب من حديث أبي أمامة بلفظ الخرائطي.

الآفة العشرون سؤال العوام عن صفات الله تعالى:

(وعن كلامه وعن الحروف وإنها قديمة أو حادثة) وما يجري مجراه كسؤالهم عن الإيمان هل هو مخلوق أو غير مخلوق، **(ومن حقهم الاشتغال بالعمل بما في القرآن)** من الأوامر والنواهي **(إلا أن ذلك ثقيل على النفوس)** لا تستمر به **(والفضول خفيف على القلب والعامي يفرح بأن يخوض في العلم إذ الشيطان يخيل إليه أنك من العلماء)** الكمل وأهل الفضل، **(فلا يزال يحبب إليه ذلك حتى)** يوقفه على دهليز الكفر، وربما **(يتكلم بما هو كفر)** والعياذ بالله فينسل من الدين، **(وهو لا يدري)** ولا يشعر، **(وكل كبيرة يرتكبها العامي**

أسلم له من أن يتكلم في العلم لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته، وإنما شأن العوام والاشتغال بالعبادات والإيمان بما ورد به القرآن والتسليم بما جاء به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادات سوء أدب منهم يستحقون به المقت من الله عز وجل ويتعرضون لخطر الكفر، وهو كسؤال ساسة الدواب عن أسرار الملوك وهو موجب للعقوبة. وكل من سأل عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم، فإنه بالإضافة إليه عامي، ولذلك قال ﷺ: «ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم».

فهي **أسلم له من أن يتكلم في العلم**) لعدم أهليته، (**لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته وإنما شأن العوام الاشتغال بالعبادات**) الظاهرة، (**والإيمان بما ورد به القرآن والتسليم لما جاء به الرسل**) عليهم السلام (**من غير بحث**) ولا تنقير، فهذا أفضل أحوالهم وأعظم أعمالهم (**وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادة سوء أدب منهم يستحقون به المقت من الله تعالى**) والبعد عن ساحة حضرته، (**ويتعرضون لخطر الكفر وهو كسؤال ساسة الدواب**) جمع سائس، وهو الذي يتعاهد الدواب في خدمتها ومراعاة أحوالها (**عن أسرار الملوك**) الباطنة (**وهو موجب للعقوبة**) والنكال. (**وكل من سأل عن علم غامض**) أي دقيق (**ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم**) وفساده أكثر من صلاحه، (**فإنه بالإضافة إليه عامي، ولذلك قال رسول الله** ﷺ: **«ذروني»**) أي اتركوني من السؤال (**ما تركتكم**) أي مدة تركي إياكم من الأمر بالشيء والنهي عنه، فلا تتعرضوا لي بكثرة البحث عما لا يعنيكم في دينكم مهما أنا تارككم لا أقول لكم شيئاً، فقد يوافق ذلك إلزاماً وتشديداً وخذوا بظاهر ما أمرتكم ولا تستكشفوا كما فعل أهل الكتاب، ولا تكثروا من الاستقصاء فيما هو مبين بوجه ظاهر وإن صلح لغيره لا مكان أن يكثر الجواب المرتب عليه فيضاهي قصة بقرة بني إسرائيل شددوا فشدد عليهم، فخاف وقوع ذلك بأمته ومن ثم علله بقوله: (**فإنما هلك من كان قبلكم**) من أمم الأنبياء (**بسؤالهم**) إياهم عما لا يعنيهم. وفي رواية بكثرة سؤالهم (**واختلافهم على أنبيائهم**) ولما كان الأمر كذلك تسببوا لتفرق القلوب ووهن الدين واستوجبوا به المحن والبلايا، والمفهوم من السياق النهي عن السؤال والاختلاف، فإن قيل: السؤال مأمور به بنص فاسألوا أهل الذكر، فكيف يكون الشيء مأموراً منهياً.

قلت: إنما هو مأمور فيما يأذن المعلم في السؤال عنه، وهو الذي يعنيه في دينه أو دنياه والمنهي عنه هو السؤال الذي يكثر به النزاع والخصومات وفيما لا يعني من الفضول.

(**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه**) أي دائماً على كل تقدير ما دام منهياً عنه حتماً في الحرام وندباً في المكروه إذ لا يمتثل مقتضى النهي إلا بترك جميع جزئياته وإلا صدق عليه أنه عاص أو مخالف (**وما أمرتكم به فأتوا منه**) وجوباً في الواجب وندباً في المندوب (**ما استطعتم**) لأن فعله هو

وقال أنس: سأل الناس رسول الله ﷺ يوماً فأكثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر وقال: « سلوني ولا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به » فقام إليه رجل فقال يا رسول الله: من أبي؟ فقال: « أبوك حذافة » فقام إليه شابان أخوان فقالا: يا رسول الله من أبونا؟ فقال: « أبوكما الذي تدعيان إليه » ثم قام إليه رجل آخر فقال: يا رسول الله أفي الجنة أنا أم في النار؟ فقال: « لا بل في النار » فلما رأى الناس غضب رسول الله ﷺ أمسكوا فقام إليه عمر رضي الله عنه فقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً، فقال: « اجلس يا عمر رحمك الله انك ما علمت لموفق ».

إخراجه من العدم إلى الوجود، وذلك يتوقف على شرائط وأسباب كالقدرة على الفعل ونحوها وبعضه يستطاع وبعضه لا، فلا جرم سقط التكليف بما لا يستطاع إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وبدلالة الموافقة له يخص عموم ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة.

قلت: رواه البخاري في الاعتصام بنحوه، ورواه مسلم بلفظ بكثرة سؤالهم، وفيه: فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه، وكذا رواه الشافعي وأحمد والنسائي وابن ماجه. ورواه الطبراني في الأوسط بلفظ: « فإنما أهلك من كان قبلكم اختلافهم على أنبيائهم » وفيه: « فاجتنبوه ما استطعتم » ورواه ابن حبان بنحوه وعند بعضهم قال: خطبنا رسول الله ﷺ فذكره.

(وقال أنس) رضي الله عنه **(سأل الناس رسول الله ﷺ يوماً حتى أكثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر فقال: « سلوني فلا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به » فقام إليه رجل)** هو عبد الله **(فقال: يا رسول الله ﷺ من أبي: فقال: « أبوك حذافة »)** هو ابن قيس ابن عدي بن سعيد بن سهم القرشي، وعبد الله ابنه هذا يكنى أبا حذافة، وقيل: أبو حذيفة وأمه بنت خرثان من بني الحرث بن عبد مناف من السابقين الأولين مات بمصر في خلافة عثمان **(فقام إليه شابان اخوان فقالا: يا رسول الله من أبونا؟ فقال: « أبوكما الذي تدعيان »)** أي تنسبان **(إليه ثم قام اليه رجل فقال يا رسول الله أفي الجنة أنا أو في النار؟ قال: لا بل في النار » فلما رأى الناس غضب رسول الله ﷺ امسكوا)** عن السؤال **(فقام إليه عمر)** رضي الله عنه **(فقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً، فقال)** ﷺ **(« اجلس يرحمك الله إنك ما علمت لموفق »)** قال العراقي: متفق عليه مقتصراً على سؤال عبد الله بن حذافة وقول عمر، ولمسلم من حديث أبي موسى فقام آخر فقال: من أبي؟ قال: أبوك مولى شيبة اهـ.

قلت: هو في الصحيح من حديث الزهري عن أنس أن رسول الله ﷺ خرج حين زالت

وفي الحديث نهى رسول الله ﷺ عن القيل والقال وإضاعة المال وكثرة السؤال. وقال ﷺ: «يوشك الناس يتساءلون حتى يقولوا قد خلق الله الخلق فمن خلق الله فإذا قالوا ذلك فقولوا ﴿قل هو الله أحد * الله الصمد﴾ [الاخلاص: ١، ٢] حتى تختموا السورة، ثم ليتفل أحدكم عن يساره ثلاثاً وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم. وقال جابر: ما نزلت آية المتلاعنين إلا لكثرة السؤال. وفي قصة موسى والخضر عليهما السلام تنبيه على المنع من السؤال قبل أوان استحقاقه إذ قال: ﴿فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً﴾ [الكهف: ٧٠] فلما سأل عن السفينة أنكر عليه حتى اعتذر وقال: ﴿لا تؤاخذني بما نسيت

الشمس فصلى الظهر، فلما سلم قام على المنبر وقال: «من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أجبتكم به ما دمت في مقامي هذا» قال: فسأله عبد الله بن حذافة، فقال: من أبي؟ قال: «أبوك حذافة» الحديث.

(**وفي الحديث نهي رسول الله ﷺ عن قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال**) متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة.

(**وقال ﷺ: «يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا قد خلق الله الخلق فمن خلق الله؟ فإذا قالوا ذلك فقولوا الله أحد حتى تختموا السورة ثم ليتفل أحدكم عن يساره ثلاثاً وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم»**) متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم قاله العراقي.

قلت: وهذا السياق أشبه بسياق أبي داود، يوشك الناس يتساءلون حتى يقول قائلهم هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله عز وجل فإذا قالوا ذلك فقولوا الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ثم ليتفل عن يساره ثلاثاً وليستعذ بالله من الشيطان». ورواه ابن السني كذلك في عمل اليوم والليلة.

(**وقال جابر**) رضي الله عنه: (**ما نزلت آية التلاعن إلا لكثرة السؤال**) قال العراقي: رواه البزار بسند جيد. (**وفي قصة موسى والخضر**) عليهما السلام (**تنبيه على المنع من السؤال قبل أوان استحقاقه إذ قال: ﴿فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء﴾**) أي فلا تفاتحني بالسؤال عن شيء أنكرته مني ولم تعلم وجه صحته (**﴿حتى أحدث لك منه ذكراً﴾**) أي حتى أبتدئك ببيانه، فانطلقا على الساحل يطلبان السفينة حتى إذا ركبا في السفينة أخذ الخضر فأساً فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها فلم يصبر موسى عليه السلام، (**فلما سأل عن السفينة**) وقال له أخرقتها لتغرق أهلها فإن خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي إلى غرق أهلها (**أنكر عليه**) وقال له: ﴿لقد جئت شيئاً إمراً﴾ أي أمراً عظيماً فذكره الخضر بقوله، (**حتى اعتذر وقال ﴿لا تؤاخذني بما نسيت**) أي بالذي نسيته يعني وصيته بأن لا يعترض عليه أو بنسياني إياها وهو اعتذار بالنسيان أخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع لها، (**ولا ترهقني من أمري**

ولا ترهقني من أمري عسراً﴾ [الكهف: ٧٣] فلما لم يصبر حتى سأل ثلاثاً قال: ﴿هذا فراق بيني وبينك﴾ [الكهف: ٧٨] وفارقه.

فسؤال العوام عن غوامض الدين من أعظم الآفات وهو من المثيرات للفتن فيجب دفعهم ومنعهم من ذلك وخوضهم في حروف القرآن يضاهي حال من كتب الملك إليه كتاباً ورسم له فيه أموراً، فلم يشتغل بشيء منها وضيع زمانه في أن قرطاس الكتاب عتيق أم حديث، فاستحق بذلك العقوبة لا محالة، فكذلك تضييع العامي حدود القرآن واشتغاله بحروفه أهي قديمة أم حديثة؟ وكذلك سائر صفات الله سبحانه وتعالى والله تعالى أعلم.

عسراً﴾) بالمضايقة والمؤاخذة على المنسي فإن ذلك يعسر على متابعتك وعسراً مفعول ثان لترهق فإنه يقال رهقه إذا غشيه وأرهقه إياه، (**فلما لم يصبر حتى سأل ثالثاً**) الأول عن السفينة، والثاني عن قتل الغلام والثالث: عن إقامة الجدار (**قال: ﴿هذا فراق بيني وبينك﴾**) الإشارة إلى الفراق الموعود بقوله: فلا تصاحبني أو إلى الاعتراض الثالث أو الوقت (**وفارقه**)، وكان ما كان مما هو مذكور في القرآن.

(**فسؤال العوام عن غوامض الدين من أعظم الآفات وهو من المثيرات للفتن فيجب زمهم**) أي كفهم، (**ومنعهم عن ذلك**) وليس المراد بالعوام السوقية والأجلاف من أهل السواد فقط، بل في معنى العوام الأديب والنحوي والمحدث والمفسر والفقيه والمتكلم، بل كل عالم سوى المتجردين لعلم السباحة في بحار المعرفة القاصرين أعمارهم عليه الصارفين وجوههم عن الدنيا والشهوات المعرضين عن المال والجاه والخلق وسائر اللذات المخلصين لله تعالى في العلوم والأعمال القائمين بجميع حدود الشريعة وآدابها في القيام بالطاعات، وترك المنكرات المفرغين قلوبهم بالجملة عن غير الله المستحقرين للدنيا، بل للآخرة في جنب محبة الله تعالى. فهؤلاء هم أهل الغوص في بحر المعرفة وهم مع ذلك كله على خطر عظيم يهلك من العشرة تسعة إلى أن يسعد واحد منهم بالدر المكنون والسر المخزون، (**وخوضهم**) أي أولئك العوام ومن في معناهم (**في حروف القرآن يضاهي اشتغال من كتب إليه الملك كتاباً رسم له فيه أموراً فلم يشتغل بشيء منها وضيع زمانه في أن قرطاس الكتاب عتيق أم حديث، فاستحق بذلك العقوبة لا محالة فكذا تضييع العامي حدود القرآن واشتغاله بحروفه أهي قديمة أم حادثة وكذلك سائر صفات الله تعالى**) فإن اتفق سؤال مثل ذلك فيجب على العارف منع السائل عن مثله، وليبين أنه بدعة. وقد نهينا عن الخوض في مثل ذلك وإن لم يجد بداً من الخوض معه في مثله، فليقل له: ماذا تعني في سؤالك فإن أردت شيئاً من القرآن ومن صفات الله تعالى فجميع صفات الله قديمة، وإن أردت شيئاً من صفات الخلق فجميع صفاتهم مخلوقة، فإن أردت ما ليس صفة للخلق ولا صفة للخالق فهو غير مفهوم ولا مقصود وما لا يفهم ولا يتصور ذاته. كيف يفهم حكمه في القدم والحدوث

....

والأصل زجر السائل والسكوت عن الجواب ولا عدول عنه إلا لضرورة، فسبيل المضطر ما ذكرناه. وإن كان السائل ذكياً مستعداً للحقائق يكشف له الغطاء عن المسألة. ويقال له: إن كل شيء فله في الوجود اربع مراتب: وجود في الأعيان، ووجود في الأذهان، ووجود في اللسان، ووجود في البياض المكتوب عليه كالنار مثلاً، فإن لها وجوداً في التنور ووجوداً في الخيال والذهن وهو العلم بصورة النار وحقيقتها ولها وجود في اللسان وهي كلمة دالة عليها. أعني لفظ النار ولها وجود في البياض المكتوب عليه بالرقوم والإحراق صفة خاصة للنار كالقدم للقرآن، ولكلام الله تعالى والمحرق من هذه الجملة هي التي في التنور دون التي في الأذهان وفي اللسان وعلى البياض إذ لو كان المحرق هو الذي في البياض أو اللسان لاحترق، ولو قيل: النار محرقة. قلنا: نعم. فإن قيل كلمة النار محرقة وهي النون والألف والراء. قلنا: فإن قيل: فرقوم هذه الحروف على البياض محرقة. قلنا: لا. فإن قيل: المذكور بكلمة النار والمكتوب بكلمة النار محرق. قلنا: نعم لأن المذكور والمكتوب بهذه الكلمات هو ما في التنور ما في التنور محرق، فكذلك القدم وصف كلام الله كالإحراق في وصف النار وما يطلق عليه اسم القرآن له وجود على أربع مراتب.

أولاها: وهي الأصل وجود قائم بذات الله تعالى يضاهي وجود النار في التنور ولله المثل الأعلى، لكن لا بد من هذه الأمثلة في تفهيم العجزة والقدم وصف خاص لهذا الوجود.

والثانية: وجود العلم في أذهاننا عند التعلم قبل ان ننطق بلساننا ثم وجوده في لساننا بتقطع أصواتنا، ثم وجوده في الأوراق بالكتابة، فإذا سئلنا عما في أذهاننا من علم القرآن قبل النطق به قلنا علمنا صفتنا وهي مخلوقة، لكن المعلوم به قديم، كما أن علمنا بالنار وثبوت صورتها في الخيال غير محرق، لكن المعلوم به محرق. فإذا سئلنا عن صوتنا وحركة لساننا. قلنا ذلك صفة لساننا ولساننا حادث وصفته توجد بعده وما هو بعد الحادث حادث بالضرورة، ولكن منطوقنا ومذكورنا ومقروءنا ومتلونا بهذه الأصوات الحادثة قديم، كما إذا ذكرنا حروف النار بلساننا كان المذكور بهذه الحروف محرقاً وأصواتنا وتقطع أصواتنا غير محرق إلا أن يقول قائل حروف النار عبارة عن نفس النار قلنا: إن كان كذلك فحروف النار محرقة وحروف القرآن إن كان عبارة عن نفس القرآن فهي قديمة وكذلك المخطوط برقوم النار والمكتوب به محرقة، لأن المكتوب هو نفس النار إذ الرقم الذي هو صورة النار غير محرق، فإنه في الأوراق من غير إحراق واحتراق.

فهذه أربع درجات في الوجود تشكل على العوام ولا يمكنهم إدراك تفاصيلها وخاصة كل واحد منها، فلذلك لا يخوض بهم فيها لجهلهم بحقيقة هذه الأمور، فحق البليد أن يمنع من الخوض فيه ويقال له القرآن غير مخلوق واسكت ولا تزد عليه ولا تنقص ولا تزل عنه ولا تبحث، وأما الذكي فيزال عنه الإشكال في لحظة ويوصي بأن لا يحدث العامي وأن لا يكلفه ما ليس في طاقته.

....

وهكـــــذا جيـــــع مـــــواضـــــع الإشكـــــالات في الظواهر ، وقد استوفاه المصنف في الجام العوام ومر تفصيل ذلك في كتاب قواعد العقائد وعلى هذا القدر وقع الاقتصار في شرح كتاب آفات اللسان فرغ من ذلك عند أذان طهر يوم الثلاثاء ثالث صفر الخير من شهور سنة ألف ومائتين وكتب أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني تاب الله عليه وأعانه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا آمين.



كتاب ذم الغضب والحقد والحسد
وهو الكتاب الخامس من ربع المهلكات
من كتب إحياء علوم الدين
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .الحمد لله الفرد الصمد الواحد الأحد ، الذي على فضله المعوّل وعلى كرمه المعتمد ، الولي الذي هدى وأرشد ، ووفق وأسعد ، وأبان طريق الغي والرشد ، خلق الإنسان ودبر الأكوان وهو على ما كان لا يتغير ولا يتجدد ، أحمده سبحانه حمد عبد سلك الواضح الجدد ، وتخلى عن ظلمات اللجاج واللدد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تسدد قائلها في كل قبول وردّ ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله السيد السند ، المختار المنتقى المفضل الأمجد ، الذي بعث نبينا وآدم بين الروح والجسد ، أفضل من لربه عبد ، وعلى آله وصحبه وتابعيهم ووارثي علومهم صلى الله وعليهم وسلم صلاة وسلاماً يدومان بدوام الأبد ، ما حيعل الداعي وقال أشهد ، أو ناح قمري على الأراك وغرد .

(**وبعد**) فهذا شرح :

(**كتاب ذم الغضب والحقد والحسد**) .

وهو الخامس من الربع الثالث من كتاب الإحياء للإمام حجة الإسلام قطب الاحياء أبي حامد محمد بن محمد الغزالي سقاه الله من رحيق الرضوان ، وصب عليه من شآبيب الغفران يحل جواهر ألفاظه الغريبة ، ويدل على إشارات معانيه العجيبة ، ويفتح قلاع نوادره المستغربه ، ويورد الراغب إلى حياض مناهله المستعذبة ، مقتبساً من مشكاة أنوار النبوّة ، مقتنصاً من إلهام أسرار الفتوّة ، مستعيناً بالله في إجازة هذا الأمر الخطير معتصماً به في تيسير كل عسير ، لا إله إلا هو عليه توكلت وهو على كل شيء قدير .

قال المصنف رحمه الله تعالى : (**بسم الله الرحمن الرحيم**) الذي يستعان به على كل خلق كريم ، ويستعاذ به من كل طبع ذميم .

الحمد لله الذي لا يتكل على عفوه ورحمته إلا الراجون، ولا يحذر سوء غضبه وسطوته إلا الخائفون، الذي استدرج عباده من حيث لا يعلمون، وسلط عليهم الشهوات وأمرهم بترك ما يشتهون، وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون، ثم حفهم بالمكاره واللذات وأملى لهم لينظر كيف يعملون، وامتحن به حبهم ليعلم صدقهم فيما يدّعون، وعرفهم أنه لا يخفى عليه شيء مما يسرون وما يعلنون، وحذرهم أن يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون، فقال: ﴿ما ينظرون إلاَّ صيحة واحدة تأخذهم وهم يَخِصِّمُونَ* فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون﴾ [يس: ٤٩، ٥٠] والصلاة على محمد رسوله الذي يسير تحت لوائه النبيون، وعلى آله وأصحابه

(**الحمد لله الذي لا يتكل على عفوه ورحمته إلا الراجون**) الإتكال هو الإعتماد أي لا يعتمد الراجون إلا على عفوه ورحمته ولولا عفوه ورحمته ما تمّ لهم مقام الرجاء، (**ولا يحذر سوء غضبه وسطوته إلا الخائفون**) أي لا يخشى الخائفون إلا سطوته وغضبه وبه تم لهم مقام الخوف، فالمؤمن بين رجاء وخوف، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿يرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ [الإسراء: ٥٧] وقدم الرجاء نظراً لعموم رحمته وشمول عفوه، فقد ورد: سبقت رحمتي غضبي. (**الذي استدرج عباده**) أي أخذهم قليلاً قليلاً على الإمهال (**من حيث لا يعلمون**) أشار به إلى قوله تعالى في آخر الأعراف: ﴿إن الذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ [الأعراف: ١٨٢] (**وسلّط عليهم الشهوات**) وهي كل ما تنزع إليه النفوس فيما تريده ولا تتمالك منه، (**وأمرهم بترك ما يشتهون**) واجتناب ما إليه ينزعون (**وابتلاهم بالغضب**) وهو تغير يحصل عند ثوران دم القلب لإرادة الإنتقام، (**وكلفهم كظم الغيظ**) أي كفه وستره والغيظ أشد الحمق وكظمه الإمساك في النفس على صفح أو غيظ (**فيما يغضبون ثم حفهم بالمكاره**) جمع مكروه وهو كل ما فيه قبح أو مشقة وحفهم أحاط بهم، (**واللذات**) جمع لذة وهي إدراك الملائم من حيث هو ملائم وقيد الحيثية للإحتراز من إدراك الملائم لا من حيث ملاءمته، فليس بلذة كالدواء النافع المر فإنه ملائم من حيث أنه نافع لا من حيث أنه لذيذ، (**وأملى لهم**) أي أمهل (**لينظر كيف يعملون وامتحن به حبهم ليعلم صدقهم فيما يدعون**) هل هم صادقون في دعوى حبهم أم كاذبون، (**وعرفهم**) على ألسنة رسله الكرام (**أنه لا يخفى عليه شيء مما يسرون**) أي يخفونه (**ويعلنون**) أي يظهرونه (**وحذرهم**) أي خوّفهم (**بأن يأخذهم بغتة**) أي فجأة على غفلة (**وهم لا يشعرون**) أشار به إلى قوله تعالى: ﴿فأخذتهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون﴾ (**فقال: ﴿ما ينظرون**) أي ما ينتظرون (**إلا صيحة واحدة**) وهي النفخة الأولى (**تأخذهم وهم يخصمون***) أي يختصمون في أحوالهم لا يخطر ببالهم أمر ما (**فلا يستطيعون توصية**) في شيء من أمورهم (**ولا إلى أهلهم يرجعون**) فيروا حالهم بل يموتون حيث نبعثهم، (**والصلاة على**) سيدنا (**محمد رسوله الذي يسير تحت لوائه**) يوم القيامة

الأئمة المهديون، والسادة المرضيون، صلاة يوازي عددها عدد ما كان من خلق الله وما سيكون، ويحظى ببركتها الأوّلون والآخرون، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد؛ فإن الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة، وإنها لمستكنة في طي الفؤاد، استكنان الجمر تحت الرماد، ويستخرجها الكبر الدفين في قلب كل جبار عنيد، كاستخراج الحجر النار من الحديد، وقد انكشف للناظرين بنور اليقين، أن الإنسان ينزع منه عرق إلى الشيطان اللعين، فمن استفزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال: ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ [الأعراف: ١٢] فإن شأن الطين السكون والوقار، وشأن النار التلظي والاستعار، والحركة

(النبيون) إذ هو ﷺ قائد جيش الأنبياء والمرسلين وبيده لواء الحمد، (**وعلى آله وأصحابه الأئمة**) جمع إمام وهو كل من يقتدي به (**المهديون**) جمع مهدي وهو من اهتدى إلى طريق الحق بهداية الله تعالى واكتفى به عن الهادين، إذ كل مهدي في نفسه يتصوّر منه أن يكون هادياً لغيره، وأما الهادي فقد يهدي غيره، ولا يهتدي بنفسه (**والسادة المرضيون**) أي المقبولون عند الله وقد ثبت رضا الله عنهم بنص القرآن (**صلاة يوازي**) أي يقابل (**عددها عدد ما كان من خلق الله**) فيما مضى (**وما سيكون**) في الحال والآتي ولا يحيط بعدد ذلك إلا من خلقهم، (**ويحظى ببركتها الأولون**) من الأمم الماضية (**والآخرون**) اللاحقون بهم والخطوة بالضم والكسر رفعة المنزلة (**وسلم**) تسليماً (**كثيراً**).

(**وأما بعد؛ فإن الغضب شعلة نار**) الإضافة بيانية أي شعلة من نار (**اقتبست من نار الله الموقدة**) التي أوقدها الله وما أوقده لا يقدر أن يطفئه غيره (**التي تطلع**) أي تعلو (**على الأفئدة**) أي على أوساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصها بالذكر لأن الفؤاد ألطف ما في البدن وأشد تألماً أو لأنه منشأ الأعمال القبيحة، (**وأنها لمستكنة**) أي المخفية (**في طيّ الفؤاد**) أي داخل القلب (**استكنان الجمر**) أي خفاءه (**تحت الرماد**) وهو إسم لما خمد من النار (**ويستخرجها الكبر**) المحيط بالكبد (**الدفين في قلب كل جبار عنيد**) أي ظالم معاند، فالقوّة تظهرها والعجز يخفيها (**كما يستخرج الحجر النار من الحديد**) وأصل الكلام كما يستخرج الحديد النار من الحجر والمراد به حجر القداح فإذا ضرب الحديد عليه خرجت النار. (**وقد انكشف للناظرين بنور اليقين**) حقائق الأشياء على ما هي عليها، ومن ذلك (**أن الإنسان ينزع منه عرق إلى الشيطان اللعين**) يقال نزعه عرق منه إذا جذبه إليه وأشبهه، ومنه الخبر: العرق نزاع، وفي لفظ: دساس (**فمن استفزته نار الغضب**) أي استخفته (**فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال: ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾**) وكذا قوله تعالى: ﴿وخلق الجان من مارج من نار﴾ [الرحمن: ١٥] فمن هنا ظهرت القرابة، (**فإن شأن الطين السكون والوقار**) واللصوق إلى الأرض، وإذا رُمي به إلى العلو فلا بدّ له من نزول إلى تحت،

والاضطراب ومن نتائج الغضب الحقد والحسد، وبهما هلك من هلك وفسد من فسد، ومفيضهما مضغة إذا صلحت صلح معها سائر الجسد وإذا كان الحقد والحسد والغضب، مما يسوق العبد إلى مواطن العطب، فما أحوجه إلى معرفة معاطبه ومساوئه، ليحذر ذلك ويتقيه، ويميطه عن القلب إن كان وينفيه، ويعالجه إن رسخ في قلبه ويداويه فإن من لا يعرف الشر يقع فيه، ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه، ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويقصيه.

ونحن نذكر ذم الغضب وآفات الحقد والحسد في هذا الكتاب ويجمعها بيان ذم الغضب، ثم بيان حقيقة الغضب، ثم بيان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا ؟ ثم بيان الأسباب المهيجة للغضب، ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه، ثم بيان فضيلة كظم الغيظ، ثم بيان فضيلة الحلم، ثم بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من

(وشأن النار التلظي) أي التلهب **(والإستعار والحركة والإضطراب)** وإذا خليت بنفسها طلب العلو وهذه الأوصاف تضاد أوصاف الطين، **(ومن نتائج الغضب الحقد)** بالكسر وهو الإنطواء على العداوة والبغضاء **(والحسد)** محركة وهو ظلم ذي النعمة بتمني زوالها وصيرورتها إلى الحاسد، **(وبهما هلك من هلك وفسد من فسد، ومفيضهما مضغة)** صنوبرية **(إذا صلحت صلح سائر الجسد)** وإذا فسدت فسد سائر الجسد ألا وهي القلب، كما ورد ذلك في الخبر **(فإذا كان الحقد والحسد والغضب، مما يسوق العبد ويجره إلى مواطن العطب)** أي الهلاك، **(فما أحوجه إلى معرفة معاطبه)** أي مهالكه **(ومساوئه)** جمع مسوأ أي مواطنه! **(ليحذر ذلك ويتقيه)** أي يتجنب عنه، **(ويميطه)** أي يزيله **(عن القلب إن كان)** أي وجد **(وينفيه)** أي يطرده وفي بعض النسخ وينقيه من التنقية أن يخلصه، **(ويعالجه إن رسخ في قلبه ويداويه)** بما يقلعه عنه **(فإن من لا يعرف الشر يقع فيه)** وهو من الأمثال المشهورة وقد نظمه بعض فقال:

عرفت الشر لا للشـ ـر لكن لأوقاه

(ومن عرفه فالمعرفة) وحدها **(لا تكفيه ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويقصيه)** أي يبعده.

(ونحن نذكر ذم الغضب وآفات الحقد والحسد في هذا الكتاب ويجمعها بيان ذم الغضب) بالأخبار والآثار، **(ثم بيان حقيقة الغضب)** ما هي، **(ثم بيان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة)** والتهذيب **(أم لا ؟ ثم بيان الأسباب المهيجة)** أي الباعثة المحركة للغضب، **(ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه)** وتمكنه منه، **(ثم بيان فضيلة كظم الغيظ، ثم بيان فضيلة الحلم)** بالصفح والإمساك، **(ثم بيان القدر الذي به يجوز الإنتصار والتشفي به**

الكلام، ثم القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق، ثم القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته، ثم بيان السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والأخوة وبني العم والأقـارب وتأكده وقلته في غيرهم وضعفه، ثم بيان الدواء الذي به ينفي مرض الحسد عن القلب، ثم بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب وبالله التوفيق.

بيان ذم الغضب:

قال الله تعالى: ﴿إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحميّة حميّة الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ [الفتح: ٢٦] الآية ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المؤمنين بماأنزل الله عليهم من السكينة. وروى أبو هريرة أن رجلاً قال: يا رسول الله مرني بعمل وأقلل. قال: « لا تغضب »، ثم أعاد عليه فقال: « لا تغضب ». وقال ابن عمر قلت لرسول الله ﷺ قل لي قولاً وأقلله لعلي

من الكلام، ثم القول في معنى الحقد ونتائجه) أي ما يتولد منه من القبائح **(وفضيلة العفو والرفق، ثم القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته)** ودفعه، **(ثم بيان السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والأخوة وبني العم والأقـارب وتأكده وقلته في غيرهم وضعفه، ثم بيان الدواء الذي به ينفي)** أي يطرد **(مرض الحسد عن القلب، ثم بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب)**

بيان ذم الغضب:

(قال الله تعالى) في سورة الفتح: **(إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية)** أي الأنفة **(حمية الجاهلية)** التي تمنع إذعان الخلق **(فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾) (الآية)** تمامها ﴿وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليماً﴾ **(ذم الكفار)** يعني قريش مكة **(بما تظاهروا به)** في عدم دخوله ﷺ مع المؤمنين مكة **(من الحمية)** أي الأنفة **(الصادرة عن الغضب)** والتهوّر **(بالباطل ومدح المؤمنين بما أنعم عليهم من السكينة)** أي الثبات والوقار، ففي الصحيح أنه ﷺ لما هم بقتالهم بعثوا إليه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزي ومكرزاً ليسألوه أن يرجع من عامه على أن تخلي له قريش مكة من قابل ثلاثة أيام، فأجابهم وكتب لهم كتاباً الحديث. وفيه: قال للكاتب اكتب ما يريدون فهم المؤمنون أن يأبوا ذلك ويبطشوا عليهم، فأنزل الله السكينة عليهم فتوقروا وحلموا. **(وروى أبو هريرة)** رضي الله عنه **(أن رجلاً قال: يا رسول الله مرني بعمل وأقلل قال: « لا تغضب »، ثم أعاد عليه فقال: « لا تغضب »)** رواه البخاري من طريق أبي حصين الأسدي عن أبي صالح، عن أبي

أعقله. فقال: « لا تغضب » فأعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع إلي « لا تغضب ». وعن

هريرة ولم يخرجه مسلم، إلا ان الأعمش رواه عن أبي صالح واختلف عليه في إسناده فقيل عنه عن أبي صالح عن أبي هريرة كقول أبي حصين، وقيل عنه عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد، وقيل: عنه عن أبي صالح عن أبي هريرة أو جابر، وقيل عنه عن أبي صالح عن رجل من الصحابة لم يسم.

وأخرجه الترمذي من طريق أبي حصين أيضاً ولفظه: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله علمني شيئاً ولا تكثر عليَّ لعلي أعيه. قال: « لا تغضب » فردد ذلك عليه مراراً كل ذلك يقول: « لا تغضب ». وفي رواية أخرى لغير الترمذي قال: قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة ولا تكثر عليَّ قال: « لا تغضب ». ورواه أحمد كذلك من حديث أبي هريرة، ورواه أحمد أيضاً والبغوي، والباوردي، وابن قانع، وابن حبان، والطبراني، والحاكم، والضياء من حديث جارية بن قدامة التميمي هكذا رواه من طريق الأحنف عن عمه جارية بن قدامة أن رجلاً قال: يا رسول الله قل لي قولاً وأقلل عليَّ لعلي أعقله. قال: « لا تغضب » فأعاد عليه مراراً كل ذلك يقول: « لا تغضب ». وفي رواية لأحمد أن جارية بن قدامة قال: سألت النبي ﷺ فذكره، فهذا يغلب على الظن أن السائل هو جارية بن قدامة، لكن ذكر الإمام أحمد عن يحي القطان أنه قال هكذا. قال هشام: يعني أن هشاماً ذكر في الحديث إن جارية سأل النبي ﷺ. قال يحي: وهم يقولون لم يدرك النبي ﷺ، وكذا قال العجلي وغيره أنه تابعي وليس بصحابي. ورواه الطبراني في الكبير من حديث سفيان بن عبدالله الثقفي، ورواه مسدد والمحاملي والضياء من حديث أبي سعيد الخدري. وقيل: إن السائل هو أبو الدرداء، فقد أخرج الطبراني من حديثه قال: قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة. قال: « لا تغضب ولك الجنة ». وسيأتي للمصنف قريباً.

وأخرج أحمد من طريق الزهري عن حميد بن عبد الرحمن، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: قلت يا رسول الله أوصني. قال: « لا تغضب ». قال الرجل: فذكرت حين قال النبي ﷺ ما قال، فإذا الغضب يجمع الشرّ كله، ورواه مالك في الموطأ عن الزهري عن حميد مرسلاً.

وقوله: « لا تغضب » يحتمل أمرين: أحدهما أن يكون مراده الأمر بالأسباب التي توجب حسن الخلق فإن النفس إذا تخلقت بالأخلاق الجميلة وصارت لها عادة أوجب لها ذلك رفع الغضب عند حصول أسبابه، والثاني: أن يكون المراد لا تعمل بمقتضى الغضب إذا حصل لك بل جاهد نفسك على ترك تنفيذه والعمل بما يأمر به، فإن الغضب إذا ملك ابن آدم كان كالآمر الناهي له، وإذا لم يمتثل ما يأمره به غضبه وجاهد نفسه اندفع عنه شر الغضب، وربما سكن غضبه وذهب فكأنه حينئذ لم يغضب.

(وقال ابن عمر) رضي الله عنه: **(قلت لرسول الله ﷺ قل لي قولاً وأقلل لعلي أعقله. قال: « لا تغضب » فأعدت ذلك عليه مرتين كل ذلك يرجع إليَّ)** ويقول: **(« لا تغضب »)** قال العراقي: رواه أبو يعلى بإسناد حسن.

عبدالله بن عمرو أنه سأل رسول الله ﷺ ماذا ينقذني من غضب الله؟ قال: «لا تغضب». وقال ابن مسعود، قال النبي ﷺ: «ما تعدون الصرعة فيكم» قلنا: الذي لا تصرعه الرجال. قال: «ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب». وقال أبو هريرة، قال النبي ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب». وقال ابن عمر: قال النبي ﷺ: «من كفَّ غضبه ستر الله عورته». وقال سليمان بن داود عليهما السلام: يا بني إياك وكثرة الغضب فإن كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم. وعن عكرمة في قوله تعالى: ﴿وسيّداً وحصوراً﴾ [آل عمران:

قلت ورواه أيضاً ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة والسياق له، فهذا يدل على أن السائل في حديث أبي هريرة هو ابن عمر.

(وعن عبدالله بن عمرو) بن العاصي رضي الله عنهما **(أنه سأل رسول الله ﷺ)** فقال: **(ماذا يبعدني)** وفي لفظ: يباعدني **(من غضب الله؟ قال: «لا تغضب»)** هكذا في النسخ، وفي بعضها: أنه سأل رجل رسول الله، فباللفظ الأول أخرجه أحمد في المسند فعلى هذا السائل هو عبدالله بن عمرو، وباللفظ الثاني أخرجه الطبراني في مكارم الأخلاق، وابن عبد البر في التمهيد بإسناد حسن قاله العراقي.

قلت: وبمثل سياق، أحمد أخرجه أيضاً ابن أبي الدنيا وابن حبان.

(وقال ابن مسعود) رضي الله عنه، **(قال النبي ﷺ: «ما تعدون الصرعة)** كهمزة **(فيكم»؟ قلنا: الذي لا تصرعه الرجال)** أي لا تغلبه في الصراع بل يصرعهم. **(قال: «ليس ذلك)** بالصرعة **(ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب»)** هو الصرعة رواه مسلم بلفظ: «ولكنه» وقد أوردته مسنداً في مقدمة كتاب العلم.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه، **(قال النبي ﷺ: «ليس الشديد)** أي القوي **(بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»)** رواه البخاري ومسلم، ورواه العسكري في الأمثال بلفظ: «ليس الشديد الذي يغلب الناس ولكن الشديد الذي يغلب نفسه عند الغضب».

(وقال ابن عمر) رضي الله عنه، **(قال النبي ﷺ: «من كف غضبه ستر الله عورته»)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو وذم الغضب وفي الصمت، وقد تقدم في آفات اللسان، ورواه أيضاً بلفظ: «من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه» الحديث.

(وقال سليمان) بن داود عليهما السلام: **(يا بني إياك وكثرة الغضب فإن كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم)** رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

٣٩] قال: السيد الذي لا يغلبه الغضب. وقال أبو الدرداء: قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة. قال: « لا تغضب ». وقال يحيى لعيسى عليهما السلام: لا تغضب. قال: لا أستطيع أن لا أغضب إنما أنا بشر. قال: لا تقتن مالاً. قال: هذا عسى. وقال ﷺ: « الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل » وقال ﷺ: « ما غضب أحد ألا أشفى على جهنم ». وقال له رجل أي شيء أشد ؟ قال: « غضب الله » قال: فما يبعدني من غضب الله ؟ قال: « لا تغضب ».

الآثار: قال الحسن: يا ابن آدم كلما غضبت ووثبت يوشك أن تثب وثبة فتقع في النار. وعن ذي القرنين أنه لقي ملكاً من الملائكة فقال: علمني علماً ازداد به إيماناً

(وعن عكرمة) مولى ابن عباس **(في قوله تعالى: ﴿وسيداً وحصوراً﴾ قال: السيد الذي لا يغلبه الغضب)** ورواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

(وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه. **(قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة. قال: « لا تغضب »)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا، والطبراني في الكبير والأوسط بأسناد حسن اهـ.

قلت: ولكن بزيادة « ولك الجنة » وقال المنذري: رواه الطبراني بإسنادين أحدهما رجاله ثقات.

(وقال يحيى لعيسى عليهما السلام: لا تغضب. قال: لا استطيع أن لا أغضب إنما أنا بشر. قال: لا تقتن مالاً. قال: هذا عسى) أن استطيع عليه. رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. **(وقال ﷺ: « الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر)** بفتح الصاد وكسر الموجدة دواء معروف **(العسل »)** قال العراقي: رواه الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من رواية بهز ابن حكيم عن أبيه عن جده بسند ضعيف اهـ.

قلت: لفظ البيهقي « يا معاوية إياك والغضب فإن الغضب » الخ هكذا رواه ابن عساكر في التاريخ، ورواه الحكيم الترمذي بلفظ: « لا تغضب يا معاوية بن حيدة فإن الغضب » الخ.

(وقال ﷺ: « ما غضب أحد إلا أشفى على جهنم ») قال العراقي: رواه البزار وابن عدي من حديث ابن عباس: « للنار باب لا يدخله إلا من شفى غيظه بمعصية الله » وإسناده ضعيف وتقدم في آفات اللسان، **(وقال له)** ﷺ **(رجل أي شيء أشد ؟ قال: « غضب الله » قال: فما يبعدني من غضب الله ؟ قال: « لا تغضب »)** قال العراقي: رواه أحمد من حديث عبدالله بن عمرو بالشطر الأخير وقد تقدم قبله بستة أحاديث.

(الآثار: قال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(يا ابن آدم كلما غضبت ووثبت يوشك أن تثب وثبة فتقع في النار)** رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب، **(وعن ذي القرنين)** المذكور

ويقيناً. قال: لا تغضب، فإن الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب فردّ الغضب بالكظم وسكنه بالتؤدة، وإياك والعجلة فإنك إذا عجلت أخطأت حظك، وكن سهلاً ليناً للقريب والبعيد، ولا تكن جباراً عنيداً. وعن وهب بن منبه أن راهباً كان في صومعته فأراد الشيطان أن يضله فلم يستطع فجاءه حتى ناداه فقال له: افتح فلم يجبه، فقال: افتح فإني إن ذهبت ندمت فلم يلتفت إليه، فقال: إني أنا المسيح. قال الراهب: وإن كنت المسيح فما أصنع بك؟ أليس قد أمرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة. فلو جئتنا اليوم بغيره لم نقبله منك. فقال: إني الشيطان وقد أردت أن أضلك فلم أستطع؛ فجئتك لتسألني عما شئت فأخبرك، فقال: ما أريد أن أسألك عن شيء، قال: فولّى مدبراً، فقال الراهب: ألا تسمع؟ قال: بلى، قال: أخبرني أي أخلاق بني آدم أعون لك عليهم؟ قال: الحدة إن الرجل إذا كان حديداً قلبناه كما يقلب الصبيان

في القرآن إسمه الإسكندر وليس هو الذي كان وزيره ارسطاطاليس وأرخ التواريخ وقد غلط في ذلك جماعة نبه عليه ابن تيمية في كتاب الفرقان (**أنه لقي ملكاً من الملائكة فقال: علمني علماً ازداد به إيماناً ويقيناً . قال: لا تغضب فإن الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب فردّ الغضب بالكظم**) أي بالإمساك عنه (**وسكّنه بالتؤدة**) أي السكون والرفق (**وإياك والعجلة فإنك إذا عجلت أخطأت حظك، وكن سهلاً ليناً للقريب والبعيد ولا تكن جباراً عنيداً**) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب (**وعن وهب بن منبه**) رحمه الله تعالى (**أن راهباً كان في صومعته**) يتعبد فيها (**فأراد الشيطان أن يضله فلم يستطع فجاءه حتى ناداه فقال: افتح لي فلم يجبه**) فقال: افتح (**فإني إن ذهبت**) عنك (**ندمت**) على عدم فتحك، (**فلم يلتفت**) الراهب (**إليه فقال: إني أنا المسيح**) أي عيسى عليه السلام. (**قال الراهب: وإن كنت المسيح ما اصنع بك أليس قد أمرتنا بالعبادة والإجتهاد ووعدتنا القيامة فلو جئتنا اليوم بغير ذلك لم نقبله منك؟ قال: فقال إني الشيطان وقد أردت أن أضلك فلم استطع فجئتك لتسألني عما شئت فاخبرك. قال: ما أريد أن أسألك عن شيء. قال: فولى مدبراً، فقال الراهب: ألا تسمع؟ قال: بلى. قال: فاخبرني أي اخلاق بني آدم أهون لك عليهم؟ قال: الحدة إن الرجل إذا كان حديداً قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة**)

قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو بكر الآجري، حدثنا عبدالله بن محمد العطشي، حدثنا إبراهيم بن الجنيد حدثني محمد بن الحسين، حدثنا بشر بن أبان، حدثني الحسن بن عبيدالله بن مسلم القرشي، عن وهب بن منبه أن راهباً تخلى في صومعته في زمن المسيح عليه السلام فأراده إبليس بكل ديرة فلم يقدر عليه، فأتاه تشبهاً بالمسيح فناداه: أيها الراهب اشرف عليَّ اكلمك، فقال: انطلق لشأنك فلست راداً ما مضى من عمري، فقال: اشرف علي فأنا المسيح. قال: فإن كنت

الكرة. وقال خيثمة: الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم وإذا رضي جئت حتى أكون في قلبه؟ وإذا غضب طرت حتى أكون في رأسه، وقال جعفر بن محمد: الغضب مفتاح كل شر. وقال بعض الأنصار: رأس الحمق الحدّة وقائده الغضب، ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم، والحلم زين ومنفعة، والجهل شين ومضرة، والسكوت عن جواب الأحمق جوابه. وقال مجاهد: قال إبليس ما أعجزني بنو آدم فلن يعجزوني في ثلاث: إذا

المسيح فما إليك من حاجة أليس قد أمرتنا بالعبادة ووعدتنا القيامة؟ انطلق لشأنك فلا حاجة لي فيك. قال: فانطلق اللعين عنه وتركه.

وحدثنا أبي، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا محمد بن سهل، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، حدثني عبد الصمد أنه سمع وهب بن منبه يقول: إن إبليس أتى راهباً في صومعته فاستفتح عليه فقال: من أنت؟ قال: أنا المسيح، فقال الراهب: والله لئن كنت إبليس لا أخلو بك، ولئن كنت المسيح ما عسيت أني أصنع بك اليوم لقد بلغتنا رسالة ربك وقبلنا عنك وشرعت لنا الدين ونحن عليه فاذهب فلست بفاتحك. قال له: صدقت أنا إبليس ولا أريد ضلالتك بعد اليوم أبداً فسلني عما بدا لك أخبرك به. قال: وأنت صادق قال: لا تسألني عن شيء إلا صدقتك به. قال: فأخبرني أي اخلاق بني آدم أوثق في أنفسكم أن تضلوه بها. قال: ثلاثة أشياء الشح والحدة والسكر.

وأخرج أيضاً من طريق أخرى قصة تشبهها وهي من طريق بكار بن عبدالله: سمعت وهباً يقول: كان رجل عابدّ اراده الشيطان من قبل الشهوة والرغبة والغضب فلم يستطع له شيئاً فساق القصة، وفي آخرها قال له الشيطان: أفلا تسألني عما أضل به بني آدم؟ قال: بلى. قال: فأخبرني ما أوثق ما في نفسك أن تضلهم به، فقال: ثلاثة أخلاق من لم يستطع بشيء منها غلبناه: بالشح والحدة والسكر، فإن الرجل إذا كان شحيحاً قللنا ماله في عينه ورغبناه في أموال الناس، وإذا كان حديداً تداورناه بيننا كما يتداور الصبيان الكرة، ولو كان يحيي الموتى بدعوته لم نيأس منه، فإن ما يبني يهدمه لنا بكلمة، وإذا سكر اقتدناه إلى كل سوء كما ينقاد من أخذ العنز بإذنها حيث شاء.

(**وقال خيثمة**) بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي الكوفي تابعي ثقة يرسل، مات بعد الثمانين، روى له الجماعة: (**الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم، وإذا رضي جئته حتى أكون في قلبه، وإذا غضب طرت حتى أكون في رأسه**) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. (**وقال**) أبو عبدالله (**جعفر بن محمد**) بن علي بن الحسين: (**الغضب مفتاح كل شر**) رواه ابن أبي الدنيا، وفي قول بعضهم: جماع كل شر أي الشرور كلها تنشأ منه وهو يفتح أبوابها. (**وقال بعض الأنصار: رأس الحمق الحدة وقائده الغضب، ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم. الحلم زين ومنفعة، والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الأحمق جوابه**) رواه ابن أبي الدنيا، وقد روي بعض ذلك من كلام الشافعي رحمه الله تعالى. (**وقال مجاهد**) رحمه الله

سكر أحدهم أخذنا بخزامته فقدناه حيث شئنا وعمل لنا بما أحببنا ، وإذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم ، ونبخله بما في يديه ونمنيه بما لا يقدر عليه . وقيل لحكيم : ما أملك فلاناً لنفسه! قال: إذاً لا تذله الشهوة ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب . وقال بعضهم: إياك والغضب فإنه يصيرك إلى ذلة الاعتذار . وقيل : اتقوا الغضب فإنه يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل . وقال عبدالله بن مسعود : انظروا إلى حلم الرجل عند غضبه ، وأمانته عند طمعه ، وما علمك بحلمه إذا لم يغضب ، وما علمك بأمانته إذا لم يطمع ؟ وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله أن لا تعاقب عند غضبك وإذا غضبت على رجل فأحبسه ، فإذا سكن غضبك فأخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ، ولا تجاوز به خمسة

تعالى : **(قال إبليس: ما اعجزني بنو آدم فلن يعجزوني في ثلاث)** حالات: الأولى **(إذا سكر أحدهم أخذنا بخزامه)** بالضم اسم الحبل الذي تخزم به الدابة **(فقدناه)** أي سقناه **(حيث شئنا وعمل لنا بما أحببنا ، و)** الثانية : **(إذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم)** عليه بعد ، **(و)** الثالثة : **(بخله بما في يده)** من الأموال **(وتمنيه بما لا يقدر عليه)** رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب . **(وقيل لحكيم: ما أملك فلاناً لنفسه؟ قال: إذاً لا تذله الشهوة ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب)** رواه ابن أبي الدنيا أي: فهذه خواص من ملك نفسه . **(وقال بعضهم: إياك والغضب فإنه مصيرك إلى ذلة الإعتذار)** رواه ابن أبي الدنيا ، وذلك لأن الإعتذار لا يخلو من الكذب فهو ذل ، ففي الخبر : إياك وما يعتذر منه . وعن ابن عون قال: اعتذر رجل عند إبراهيم النخعي فقال: قد عذرناك غير معتذر إن الإعتذار يخالطه الكذب، وقال مطرف: المعاذر مفاجر . **(وقيل: اتقوا الغضب فإنه يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل)** وهذا قد روي من حديث معاوية بن حيدة القشيري بلفظ لا تغضب فإن الغضب الخ كما تقدم قريباً . **(وقال عبدالله بن مسعود)** رضي الله عنه : **(انظروا إلى حلم الرجل عند غضبه، وأمانته عند طمعه، وما علمك بحلمه إذا لم يغضب، وما علمك بأمانته إذا لم يطمع)** رواه ابن أبي الدنيا . **(وكتب عمر بن عبد العزيز)** رحمه الله تعالى **(إلى عامله أن لا تعاقب عند غضبك، وإذا غضبت على رجل فاحبسه فإذا سكن غضبك فاخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطاً)** .

قال أبو نعيم في الحلية : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا ابن مسعود المقدسي ، حدثنا محمد بن كثير ، حدثنا الاوزاعي ح.

وحدثنا أحمد بن إسحاق ، حدثنا عبدالله بن أبي داود ، حدثنا علي بن خشرم ، حدثنا عيسى بن يونس، عن الأوزاعي قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله: لا تعاقب رجلاً لمكان جلسائك ، ولا تغضب عليه ، ولا تؤدب أحداً من أهل بيتك إلا على قدر ذنبه ، وإن لم يبلغ إلاّ سوطاً واحداً .

عشر سوطاً . وقال علي بن زيد : أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول فاطرق عمر زماناً طويلاً ثم قال: أردت أن يستفزني الشيطان بعز السلطان، فأنال منك اليوم ما تناله مني غداً ؟ وقال بعضهم لابنه: يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا تثبت روح الحي في التنانير المسجورة، فأقل الناس غضباً أعقلهم، فإن كان للدنيا كان دهاء ومكراً، وإن كان للآخرة كان حلماً وعلماً، فقد قيل: الغضب عدوّ العقل والغضب غول العقل، وكان عمر رضي الله عنه إذا خطب قال في خطبته: أفلح منكم من حفظ من الطمع والهوى والغضب، وقال بعضهم: من أطاع شهوته وغضبه قاداه إلى النار .وقال الحسن: من علامات المسلم قوّة في دين وحزم في لين وإيمان في يقين وعلم في حلم وكيس في رفق وإعطاء في حق وقصد في غنى وتجمل في فاقة وإحسان في قدرة وتحمل في رفاقة وصبر في شدة، لا يغلبه الغضب ولا تجمح به الحمية ولا تغلبه شهوة ولا تفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقصر به نيته، فينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل ولا

(وقال علي بن زيد) بن عبدالله بن زهير بن عبدالله بن جدعان التيمي القرشي البصري، وهو المعروف بعلي بن زيد بن جدعان ينسب أبوه إلى جد جده ضعيف مات سنة إحدى وثلاثين: **(أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز فأطرق عمر طويلاً ثم قال: أردت أن يستفزني الشيطان بعز سلطاني فأنال منك اليوم ما تناله مني غداً)** أخرجه أبو نعيم في الحلية. **(وقال بعضهم لابنه)** وهو يعظه **(يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا تثبت روح الحي في التنانير المسجورة)** أي الموقودة بالحطب، **(فأقل الناس غضباً أعقلهم)** أي أكثرهم عقلاً، **(فإن كان للدنيا كان دهاء ومكراً، وإن كان للآخرة كان علماً وحلماً)** رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب، **(وقد قيل: الغضب عدو العقل والغضب غول العقل)** رواه ابن أبي الدنيا. **(وكان عمر رضي الله عنه إذا خطب قال في خطبته: أفلح منكم من حفظ من الهوى والطمع والغضب)** رواه ابن أبي الدنيا في الصمت عن عبد الرحمن بن صالح، حدثنا أبو بكر بن عياش قال، قال عمر بن الخطاب: لا خير فيما دون الصدق من الحديث من يكذب يفجر ومن يفجر يهلك، قد أفلح من حفظ من ثلاث: الهوى والطمع والغضب. **(وقال بعضهم: من أطاع غضبه وشهوته قاداه إلى النار)** رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. **(وقال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى: **(من علامات المسلم)** أي الكامل في إسلامه **(قوة في دين، وحزم في لين، وإيمان في يقين، وعلم في حلم، وكيس في رفق، وإعطاء في حق وقصد)** أي اقتصاد **(في غنى، وتجمل في فاقة)** أي حالة فقر، **(وإحسان في قدرة)** أي عند القدرة، **(وصبر في شدة لا يغلبه الغضب ولا تجمح به الحمية)** أي الأنفة **(ولا تغلبه شهوة ولا يفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقصر به نيته . ينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل)** بما عنده، **(ولا**

يبذر ولا يسرف ولا يقتر، يغفر إذا ظلم ويعفو عن الجاهل. نفسه منه في عناء والناس منه في رخاء، وقيل لعبدالله بن المبارك: أجمل لنا حسن الخلق في كلمة. فقال: ترك الغضب. وقال نبي من الأنبياء لمن تبعه: من يتكفل لي أن لا يغضب فيكون معي في درجتي ويكون بعدي خليفتي؟ فقال شاب من القوم: أنا ثم أعاد عليه فقال الشاب: أنا أوفى به، فلما مات كان في منزلته بعده وهو ذو الكفل، سمي به لأنه تكفل بالغضب

يبذر) في ماله، **(ولا يسرف ولا يقتر. يغفر إذا ظلم ويعفو عن الجاهل)** إذا جهل عليه، **(نفسه منه في عناء)** أي تعب **(والناس منه رخاء)** أي سعة، رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

(وقيل لعبدالله بن المبارك) رحمه الله تعالى: **(أجمل لنا حسن الخلق في كلمة. فقال ترك الغضب)** رواه ابن أبي الدنيا.

وهكذا فسر الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه حسن الخلق بترك الغضب، وقد روي ذلك مرفوعاً أخرجه محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة من حديث أبي العلاء بن الشخير أن رجلاً أتى النبي ﷺ من قبل وجهه فقال: يا رسول الله أي العمل أفضل؟ قال: «حسن الخلق» ثم أتاه عن يمينه فقال: يا رسول الله أي العمل أفضل؟ فقال: «حسن الخلق» ثم أتاه عن شماله فقال: يا رسول الله أي العمل أفضل؟ قال: «حسن الخلق» ثم أتاه من بعده يعني من خلفه فقال: يا رسول الله أي العمل أفضل؟ فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقال: «مالك لا تفقه حسن الخلق هو أن لا تغضب إن استطعت» وهذا مرسل.

(وقال نبي من الأنبياء) من بني إسرائيل **(لمن معه: من يتكفل لي أن لا يغضب ويكون معي في درجتي ويكون بعدي خليفتي؟ فقال شاب من القوم: أنا، ثم أعاد عليه فقال الشاب: أنا أوفى به، فلما مات كان في منزلته بعده، وهو ذو الكفل سمي به لأنه كفل بالغضب ووفى به)** رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم كلهم من طريق عبدالله بن الحرث، لكن هذا السياق لابن أبي الدنيا.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: لما كبر اليسع قال: لو أني استخلفت رجلاً على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف عمل فجمع الناس فقال: من يتقبل لي بثلاث استخلفه: يصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يغضب؟ فقام منهم رجل شاب قال: نعم. قال: فردهم من ذلك اليوم وقال مثلها اليوم الآخر، فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال: أنا فاستخلفه قال: فجعل إبليس يقول للشياطين: عليكم بفلان فأعياهم ذلك، فقال: دعوني وإياه ثم أتاه في صورة شيخ كبير فقير فأتاه حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام الليل ولا النهار إلا تلك النومة، فدق الباب فقال: من هذا؟ قال: شيخ كبير مظلوم. قال: فقام ففتح الباب فجعل يقص عليه ويطول في قصته حتى حضره وقت الرواح وذهبت القائلة وقال: إذا رحت فائتني آخذ لك بحقك فانطلق وراح، وكان في مجلسه فجعل ينتظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام، فلما كان الغد ورجع إلى القائلة وأخذ

ووفى به. وقال وهب بن منبه: للكفر أربعة أركان: الغضب، والشهوة، والخرق، والطمع.

مضجعه أتاه فدق الباب فقال مثل ما قال في الأولى واعتذر له عن المجيء، وفعل ذلك ثلاث مرات، ثم أنه رأى كوة في البيت فتسوّر منها فإذا هو في البيت فإذا هو يدق الباب من داخل، فاستيقظ الرجل فقام إلى الباب فإذا هو مغلق، وإذا الرجل معه في البيت فقال له: من أين أتيت؟ فأخبره فعرف أنه عدو الله وقال له: أعييتني في كل شيء ففعلت ما ترى لأغضبك فسمّاه الله ذا الكفل لأنه تكفل بأمر فوفى به.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان قاض في بني إسرائيل فحضره الموت فقال: من يقوم مقامي على أن لا يغضب؟ فقال رجل: أنا فسمي ذا الكفل فكان ليله جميعاً يصلي ثم يصبح صائماً فيقضي بين الناس وله ساعة يقيلها وكان كذلك، فأتاه الشيطان عند نومته فقال له أصحابه: مالك؟ قال: إنسان مسكين له على رجل حق وقد غلبني عليه. فقالوا: كما أنت حتى يستيقظ وهو فوق نائم فجعل يصبح عمداً حتى يغضبه فسمع فقال له: مالك فذكر له ما قال. قال: إذهب قل له يعطيك. قال: قد أبى. قال: اذهب انت له فذهب ثم أتاه من الغد فقال: مالك؟ قال: مضيت إليه فلم يرفع بكلامك رأساً، قال: اذهب إليه فذهب ثم جاء من الغد حين قال فقال له أصحابه: اخرج أنت لا تدعه ينام فجعل يصيح ويقول: من أجل إني مسكين لو كنت غنياً تسمع، فقال: ما لك؟ قال: ذهبت إليه فضربني. قال: امش حتى أجيء معك فهو ممسك بيده، فلما رآه ذهب معه فنثر يده منه فذهب ففرّ.

وأخرج أبو سعيد النقاش في كتاب القضاة عن ابن عباس قال: كان نبي لله جمع أمته فقال: أيكم يتكفل لي بالقضاء بين أمتي على أن لا يغضب؟ فقام فتى فقال: أنا يا رسول الله فساق الحديث وفيه، فأتاه الشيطان نصف النهار وهو نائم فناداه حتى أيقظه فاستعداه، وفيه: فبعث معه الرسول مرتين أو ثلاثاً، ثم أخذ الرجل بيده ومشى معه ساعة، فلما رأى الشيطان ذلك نزع يده من يده ثم فرّ فسمي ذا الكفل.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن حجرة الأكبر أنه بلغه أن ملكاً من ملوك بني إسرائيل حضرته الوفاة فساق القصة وفيها: فأتاه الشيطان في صورة رجل وقد تحيّن مقيله فيمنعه من النوم بالنهار حتى ينام بالليل ففعل ذلك ثلاثاً ويقول: قد صنعت ما صنعت لعله يغضب، فقال له ذو الكفل: انطلق فأنا أذهب معك فانطلق فطاف به، ثم قال له: أتدري من أنا قال: أنا الشيطان تكفلت لصاحبك بأمر فأردت أن تدع بعضه وأن الله قد عصمك.

(وقال وهب بن منبه) رحمه الله تعالى: **(للكفر أربعة أركان: الغضب، والشهوة، والخرق، والطمع)** أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر، حدثنا علي بن إسحاق، حدثنا حسين المروزي، حدثنا الهيثم بن جميل، حدثنا صالح المري، عن أبان، عن

بيان حقيقة الغضب:

اعلم ان الله تعالى لما خلق الحيوان معرضاً للفساد والموتان، بأسباب في داخل بدنه وأسباب خارجة عنه؛ أنعم عليه بما يحميه عن الفساد ويدفع عنه الهلاك إلى أجل معلوم سماه في كتابه.

أما السبب الداخل: فهو إنه ركبه من الحرارة والرطوبة؛ وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة، فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تصير أجزاؤها بخاراً يتصاعد منها، فلو لم يتصل بالرطوبة مدد من الغذاء يجبر ما انحل وتبخر من

وهب قال: قرأت في الحكمة: للكفر أربعة أركان: ركن منه الغضب، وركن منه الشهوة، وركن منه الطمع، وركن منه الخرق.

بيان حقيقة الغضب

(**أعلم**) هداك الله (**أن الله تعالى لما خلق الحيوان معرضاً للفساد والموتان**) بالضم هو الهلاك الذريع (**بأسباب في داخل بدنه وأسباب خارجة عنه، أنعم عليه بما يحميه عن الفساد**) أي يحفظه عنه (**ويدفع عنه الهلاك إلى أجل معلوم**) مقدر محتوم (**سماه في كتابه**) وهو اللوح المحفوظ.

(**أما السبب الداخل فهو أنه ركبه من الرطوبة والحرارة**) وجعلها حافظين لكمالات البدن وكل منها يوصف بالغريزية والحرارة الغريزية حتى السارية في سائر البدن التي بها النضج والطبخ وسائر الأفعال، وفي المعدة جزء منها به الهضم المعدي ونفض الفضول، وفي الكبد جزء منها وكذا في العروق، وفي القلب معظمها إذ هو معدنها ومستوقدها ،مادتها الدم الوارد من الكبد على البطن الأيمن من القلب، فيتغير فيه إلى البخارية ثم يستحيل إلى طبيعة الروح في البطن الأيسر منه ويحصل له مزاج يستعد لقبول التولد، وكذا في سائر الأعضاء، ولأجل أنها آلة الطبيعة في أفعالها كالجذب والهضم وغير ذلك ينسب إليها كشحدائيه البدن، ويقال: حرارة غريزية. وأفلاطون يسميها النار الإلهية، ولا يقال برودة غريزية، ولأن مركبها الرطوبة دون اليبوسة يقال رطوبة غريزية ولا يقال يبوسة غريزية، ثم اختلفوا فيها فقال جالينوس: إنها الحرارة الاستقهية النارية التي في البدن، وأما الجزء الناري إذا خالط سائر الإستقصاة أفادها طبخاً وقواماً والتئاماً، ولم يبلغ في الكثرة إلى حدّ الإحراق ولا من القلة إلى القصور عن الإنضاج، وأنها كما تدفع البارد الوارد على البدن المركب بالمضادة تدفع أيضاً الحار الغريب الوارد المركب. وقال ارسطو وجمهور المتأخرين: إنها حرارة سماوية أفيضت على البدن مع فيضان النفس ولكل منها أدلة ذكرت في مواضعها من كتب الفن، (**وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة، فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تصير أجزاؤها بخاراً يتصاعد منها، فلو لم يتصل بالرطوبة مدد من**

أجزائها لفسد الحيوان، فخلق الله الغذاء الموافق لبدن الحيوان وخلق في الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذاء؛ كالموكل به في جبر ما انكسر وسد ما انثلم ليكون ذلك حافظاً له من الهلاك بهذا السبب.

وأما الأسباب الخارجة التي يتعرض لها الإنسان؛ فكالسيف والسنان وسائر المهلكات التي يقصد بها، فافتقر إلى قوّة وحمية تثور من باطنه فتدفع المهلكات عنه، فخلق الله طبيعة الغضب من النار وغرزها في الإنسان وعجنها بطينته. فمهما صدّ عن غرض من أغراضه ومقصود من مقاصده اشتعلت نار الغضب وثارت به ثوراناً يغلي به دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع إلى أعالي البدن، كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر، فلذلك ينصب إلى الوجه فيحمر الوجه والعين، والبشرة لصفائها تحكي لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها. وإنما ينبسط الدم إذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه، فإن صدر الغضب على من فوقه وكان معه يأس من

الغذاء) الموافق **(يجبر ما انحل وتبخر من أجزائها لفسد الحيوان، فخلق الله الغذاء الموافق لبدن الحيوان وخلق في الحيوان شهوة تبعثه)** أي تحمله **(على تناول الغذاء)**، ولولا تلك الشهوة لما أقدم على تناول الغذاء فهذه فائدة الشهوة فهي **(كالموكل به في جبر ما انكسر وسد ما انثلم ليكون ذلك حافظاً له من الهلاك بهذا السبب)**. ثم إن الرطوبة الغريزية إذا وصل إليها مدد الغذاء تصير وافية لحفظ الحرارة الغريزية، فتارة مع حفظها بالزيادة في النمو كما في سن الحداثة، و رة تكون وافية لحفظها فقط كما في سن الشباب، وتارة تكون ناقصة من حفظها نقصاناً لا يعتد به غير محسوس كما في سن الكهولة، وتارة نقصاناً ظاهراً وهو إلى آخر العمر.

(وأما الأسباب الخارجة التي يتعرض لها الإنسان: فكالسيف والسنان وسائر المهلكات التي يقصد بها فافتقر إلى قوة وحمية تثور من باطنه فتدفع المهلكات عنه، فخلق الله الغضب من النار) كما وردت به الأخبار وسيأتي ذكر بعضها، **(وغرزه في الإنسان وعجنه بطينته، فمهما قصد في غرض من أغراضه ومقصود من مقاصده اشتعلت)** أي ارتفعت **(نار الغضب وثارت ثوراناً يغلي به دم القلب)** كما يغلي الماء في القدر على النار **(وينتشر)** ذلك الدم **(في العروق)** الأوردة منها والشرايين **(ويرتفع إلى أعالي البدن)** من العروق، **(كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر، فلذلك ينصب في الوجه فيحمر الوجه والعين، والبَشرة لصفائها تحكي ما وراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها)** ففي حديث أبي سعيد رفعه «ألا إن الغضب جمرة في قلب ابن آدم أما رأيتم إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه» وفي مرسل الحسن: الغضب جمرة في قلب الإنسان توقد ألا ترى إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه، **(وإنما ينبسط الدم اذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فإن**

الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب وصار حزناً، ولذلك يصفرّ اللون، وإن كان الغضب على نظير يشك فيه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمرّ ويصفر ويضطرب.

وبالجملة؛ فقوّة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب بطلب الإنتقام وإنما تتوجه هذه القوّة عند ثورانها إلى دفع المؤذيات قبل وقوعها وإلى التشفي والإنتقام بعد وقوعها. والإنتقام قوت هذه القوّة وشهوتها وفيه لذتها، ولا تسكن إلا به. ثم إن الناس في هذه القوّة على درجات ثلاث في أول الفطرة من التفريط والافراط والاعتدال.

أما التفريط: فبفقد هذه القوّة أو ضعفها وذلك مذموم، وهو الذي يقال فيه إنه لا حمية له. ولذلك قال الشافعي رحمه الله: من استغضب فلم يغضب فهو حمار: فمن فقد قوّة الغضب والحمية أصلاً فهو ناقص جداً، وقد وصف الله سبحانه أصحاب النبي ﷺ بالشدة والحمية فقال: ﴿أشدّاء على الكُفَّارِ ورحَماءُ بينهم﴾ [الفتح: ٢٩] وقال لنبيه

صدر الغضب ممن فوقه) في الرتبة **(وكان معه يأس من الإنتقام)** منه **(تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب وصار خوفاً، ولذلك يصفر اللون)** وينخطف، **(وإن كان على نظير يشك فيه تولد منه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب)** فاحمراره واصفراره من ترجيح أحد الطرفين على الآخر تارة وتارة واضطرابه للتردد.

(وبالجملة: فقوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب لطلب الانتقام، وإنما تتردد هذه القوة عند ثورانها إلى دفع المؤذيات والمهلكات قبل وقوعها وإلى التشفي والإنتقام بعد وقوعها والإنتقام فوق هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن إلا به، ثم إن الناس في هذه القوة على درجات ثلاث في أول الفطرة) التي فطروا عليها **(من التفريط والإفراط والإعتدال)**.

(أما التفريط: ففقد هذه القوة) من أصلها **(أو ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه أنه لا حمية له)** وإليه الإشارة بقوله:

ولا خير في حلم إذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

(ولذلك قال الشافعي) رضي الله عنه: **(من استغضب فلم يغضب فهو حمار)** أي بليد الطبع جافل أخرجه البيهقي وغيره بأسانيدهم وسيأتي قريباً، **(فمن فقد قوة الغضب والحمية أصلاً فهو ناقص جداً)** مناقض لرتبة الكمال، **(وقد وصف الله سبحانه أصحاب النبي ﷺ بالشدة والحمية)** في الدين والصلابة **(فقال:** ﴿والذين معه **أشداء على الكفار)** أي أقوياء

ﷺ: ﴿جاهد الكُفَّار والْمُنَافِقين واغْلِظ عليهم﴾ [التوبة: ٧٣] الآية. وإنما الغلظة والشدة من آثار قوّة الحمية وهو الغضب.

وأما الافراط؛ فهو أن تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته، ولا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار، بل يصير في صورة المضطر. وسبب غلبته أمور غريزية وأمور اعتيادية: فربّ إنسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كأن صورته في الفطرة صورة غضبان، ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب لأن الغضب من النار. كما قال ﷺ، وإنما برودة المزاج تطفئه وتكسر سورته.

وأما الأسباب الاعتيادية: فهو أن يخالط قوماً يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب

عليهم يحمون حمى الدين بإنفتهم، **(وقال لنبيه ﷺ)** ﴿يا أيها النبي **(جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم﴾ والغلظة والشدة)** في الآيتين **(من آثار قوّة الحمية وهو الغضب)** وكذلك قوله تعالى في وصف الصحابة ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ [المائدة: ٥٤].

(وأما الإفراط: فهو أن تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته ولا يبقى للمرء معه بصيرة ونظر في الأمور وفكرة) فيها **(ولا اختيار فيها، بل يصير في صورة المضطر)** والملجأ والمكره، **(وسبب غلبته أمور غريزية)** من أصل الخلقة **(وأمور اعتيادية)** قد اعتاد عليها **(فرب إنسان هو بالفطرة)** الأصلية **(مستعد لسرعة الغضب حتى كأن صورته في الفطرة صورة غضبان ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب)** بأن يكون الحار فيه أكثر، وهذا هو اعتداله. والمزاج كيفية متشابهة من تفاعل عناصر متفقة الأجزاء المماسة بحيث تكسر سورة كل واحد منها سورة الآخر، **(لأن الغضب من النار كما قال ﷺ)** قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي سعيد بسند ضعيف: «الغضب جمرة في قلب ابن آدم» ولأبي داود من حديث عطية السعدي: «إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار» فيه أبو وائل القاص، واسمه عبدالله بن يحيى. قال ابن حبان: يروي العجائب، ووثقه ابن معين انتهى.

قلت: حديث أبي سعيد رواه أيضاً الإمام أحمد، وحديث عطية السعدي أخرجه أبو داود من طريق عروة بن محمد بن عطية بن عروة بن سعد الساعدي، عن أبيه، عن جده. وكذلك رواه الإمام أحمد، ورواه أبو نعيم في الحلية، وابن عساكر من طريق أبي إدريس الخولاني من حديث معاوية بن أبي سفيان: «أن الغضب من الشيطان والشيطان من النار». **فبرودة المزاج تطفئه وتكسر سورته.**

(وأما الأسباب الاعتيادية فهو أن يخالط قوماً) أي يعاشرهم فيراهم **(يتبجحون)** أي

ويسمون ذلك شجاعة ورجولية، فيقول الواحد منهم: أنا الذي لا أصبر على المكر والمحال ولا أحمل من أحد أمراً! ومعناه لا عقل فيَّ ولا حلم. ثم يذكره في معرض الفخر بجهله. فمن سمعه رسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب. ومهما اشتدت نار الغضب وقوي اضطرامها أعمت صاحبها وأصمته عن كل موعظة، فإذا وعظ لم يسمع بل زاده ذلك غضباً، وإذا استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر إذ ينطفىء نور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب، فإن معدن الفكر الدماغ، ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان مظلم إلى الدماغ يستولي على معادن الفكر، وربما يتعدّى إلى معادن الحس فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه، وتسود عليه الدنيا بأسرها، ويكون دماغه على مثال كهف اضطرمت فيه نار فاسودّ جوّه وحمي مستقره وامتلأ بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فانمحى أو انطفأ نوره، فلا تثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا ترى فيه صورة، ولا يقدر على إطفائه لا من

يفتخرون (**بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول الواحد منهم: أنا الذي لا أصبر على المكر والمحال**) أي المماحلة (**ولا أحمل من أحد**) وفي نسخة: من أحد أمراً (**ومعناه**) عند التأمل (**لا عقل لي ولا حلم**) فهو لا يدرك هذا المعنى، (**ثم**) لا يستحي حتى (**يذكره في معرض الفخر**) والتبجح (**بجهله**) وسخافة عقله. (**فمن سمعه**) منهم (**رسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب**) ويعتاد عليه مستحلاً له. (**ومهما اشتدت نار الغضب وقوي إضطرامها**) أي التهابها (**أعمت صاحبها**) عن رؤية الرشد (**وأصمته عن**) سماع (**كل موعظة**) حسنة، (**فإذا وعظ لم يسمع بل زاده ذلك غضباً**) وحنقاً على الواعظ، (**وإن استضاء بنور عقله وراجع نفسه**) بتأثير الوعظ فيه يوماً ما (**لم يقدر**) على المراجعة (**إذ ينطفىء نور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب**) الصاعد من ثوران الدم في القلب: (**فإن معدن الفكر الدماغ**) كما تقدم بيانه في باب رياضة النفس، (**ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان إلى الدماغ مظلم**) وسبب إظلامه ثقل الدم، وما يتصاعد عن الثقيل لا يخلو عن كدرة وظلمة (**يستولي على معادن الفكر**) ومخازنه فيغطي عليها ويكدرها، (**وربما يتعدى إلى معادن الحس المشترك فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه**) وإنما ذلك للكدر الذي خالط نورها، (**وتسود عليه الدنيا بأسرها**) أي بتمامها فلا يرى إلا سواداً مخالطاً بألوان كدرة مختلطة، (**ويكون دماغه**) ساعتئذ (**على مثال كهف**) في جبل (**أضرمت فيه نار وأججت فاسود جوه**) من فوق (**وحمي مستقره**) من تحت (**وامتلأ بالدخان جوانبه**) أي أطرافه (**وكان فيه سراج ضعيف**) فغلب عليه الدخان (**فانمحى**) أثره (**وانطفأ نوره، فلا تثبت فيه قدم**) لسخونة مستقره (**ولا يسمع فيه كلام**) لامتلائه بالدخان فيمنع من السماع (**ولا ترى فيه صورة**) إظلامه، (**ولا يقدر على إطفائه لا**

داخل ولا من خارج، بل ينبغي أن يصبر إلى أن يحترق جميع ما يقبل الاحتراق، فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ، وربما تقوى نار الغضب فتفني الرطوبة التي بها حياة القلب، فيموت صاحبه غيظاً كما تقوى النار في الكهف فينشق وتنهدّ أعاليه على أسافله، وذلك لإبطال النار ما في جوانبه من القوّة الممسكة الجامعة لأجزائه، فهكذا حال القلب عند الغضب. وبالحقيقة فالسفينة في ملتطم الأمواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر أحسن حالاً وأرجى سلامة من النفس المضطربة غيظاً، إذ في السفينة من يحتال لتسكينها وتدبيرها وينظر لها ويسوسها، وأما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته إذ أعماه الغضب وأصمه. ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الأطراف وخروج الأفعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام، حتى يظهر الزبد على الأشداق وتحمر الأحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة، ولو رأى الغضبان في حالة غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته، وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره فإن الظاهر عنوان الباطن، وإنما قبحت صورة

من داخل ولا من خارج، بل ينبغي أن يصبر إلى أن يحترق جميع ما يقبل الاحتراق) ثم بعد ذلك تأكل النار نفسها إن لم تجد ما تأكله، **(فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما تقوى نار الغضب)** أي تشتد قوّتها **(فتفني)** أي تقاوم **(الرطوبة)** الغريزية **(التي بها حياة القلب، فيموت صاحبه غيظاً)** لأن حياة القلب إنما هي بتعادل كل من الحرارة والرطوبة فإذا غلب أحدهما على الآخر كان سبب زوال صفة الحياة عنها فيموت بموت صاحبه، **(كما تقوى النار في الكهف فينشق وتنهد أعاليه على أسافله وذلك لإبطال النار ما في جوانبه من القوة الممسكة الجامعة لأجزائه، فهذا حال القلب عند الغضب)** فانظر كيف يكون. **(وبالحقيقة فالسفينة)** الكائنة **(في ملتطم الأمواج عند اضطراب الرياح)** واختلافها من الجهات **(في لجة البحر)** أي وسطه ومعظمه **(أحسن حالاً وأرجى سلامة من النفس المضطربة غيظاً)** المتغيرة غضباً، **(إذ في السفينة من يحتال لتسكينها)** وتعديلها **(وتدبيرها)** بطيّ شراعها أو تثقيل مراسيها **(وينظر لها ويسويها)** فعسى أن يخف اضطرابها. **(وأما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته)** وفسد تدبيره **(إذ أعماه الغضب وأصمه. ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون)** إما إلى الإحمرار أو إلى الكدرة أو إلى الصفرة **(وشدة الرعدة)** والإضطراب والرعشان **(في الأطراف)** كاليد والرجل **(وخروج الأفعال عن الترتيب والنظام)** المعهودين **(واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق)** أي أطراف الفم **(وتحمر الأحداق)** والوجنات **(وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة)** أي تتغير، **(ولو رأى الغضبان في حال غضبه)** في المرآة **(قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته، وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره فإن الظاهر عنوان الباطن،**

الباطن أولاً ثم انتشر قبحها إلى الظاهر ثانياً، فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس الثمر بالمثمرة فهذا أثره في الجسد.

وأما أثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش من الكلام الذي يستحي منه ذو العقل ويستحي منه قائله عند فتور الغضب، وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ.

وأما أثره على الأعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة، فإن هرب منه المغضوب عليه أو فاته بسبب وعجز عن التشفي رجع الغضب على صاحبه فمزق ثوب نفسه ويلطم نفسه، وقد يضرب بيده على الأرض ويَعْدُو عَدْو الواله السكران والمدهوش المتحير، وربما يسقط صريعاً لا يطيق العدو والنهوض بسبب شدة الغضب ويعتريه مثل الغشية، وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة مثلاً على الأرض وقد يكسر المائدة إذا غضب عليها، ويتعاطى أفعال المجانين فيشتم البهيمة والجمادات ويخاطبها ويقول: إلى متى منك هذا يا كيت وكيت؟ كأنه يخاطب عاقلاً، حتى ربما رفسته دابة فيرفس الدابة ويقابلها بذلك.

وإنما قبحت صورة الباطن أولاً ثم انتشر قبحها إلى الظاهر ثانياً فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس المثمر بالثمرة فهذا أثره في الجسد).

(**أما أثره في اللسان فانطلاقه بالشتم**) واللعن (**والفحش**) والبذاء (**وقبائح الكلام الذي يستحي منه ذوو العقول**) السليمة (**ويستحي منه قائله عند فتور الغضب**) وسكونه فيتعجب من نفسه، (**وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ**). قال مورق العجلي: ما تكلمت في غضب قط بما أندم عليه إذا رضيت.

(**وأما أثره على الأعضاء**) الظاهرة (**فالضرب**) باليد والرفس بالرجل والمناصاة بالجبهة والمدافعة بالركب (**والتهجم**) على المغضوب عليه (**والتمزيق**) لثوبه (**والقتل والجرح عند التمكن**) منه (**من غير مبالاة، فإن هرب منه المغضوب عليه**) واختفى من عينه (**أو فاته بسبب**) من الأسباب (**وعجز عن التشفي**) لغيظه منه (**رجع الغضب على صاحبه فيمزق ثوب نفسه ويلطم نفسه**) بيديه وربما بنعليه، (**وقد يضرب بيده على الأرض ويعدو عدو الواله السكران والمدهوش المتحير**) الذي لا يعي شيئاً، (**وربما سقط صريعاً**) على الأرض (**لا يطيق العدو والنهوض لشدة الغضب ويعتريه مثل الغشية**) والسكرة، (**وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة مثلاً على الأرض فيكسرها وقد يكسر المائدة**) برجله (**إذا غضب عليها ويتعاطى أفعال المجانين فيشتم البهيمة ويخاطبها ويقول: إلى حرسك**) كذا في النسخ وفي بعضها إلى متى منك (**يا كيت وكيت؟ كأنه يخاطب عاقلاً وربما رفسته دابة فيرفس الدابة**) كما رفسته (**ويقابلها بذلك**) وربما قابلها بعصا أو سلاح ليشفي غيظه بذلك.

وأما أثره في القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد وإضمار السوء والشماتة بالمساءات والحزن بالسرور والعزم على إفشاء السر وهتك الستر والاستهزاء وغير ذلك من القبائح، فهذه ثمرة الغضب المفرط.

وأما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الأنفة مما يؤنف منه من التعرض للحرم والزوجة والأمة واحتمال الذل من الأخساء وصغر النفس والقماءة وهو أيضاً مذموم، إذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهو خنوثة. قال ﷺ: «إن سعداً لغيور وأنا أغير من سعد وإن الله أغير مني»، وإنما خلقت الغيرة لحفظ الأنساب، ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الأنساب. ولذلك قيل: كل أمة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في نسائها. ومن ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات، وقد قال ﷺ: «خير أمتي أحدّاؤها» يعني في الدين. وقال تعالى: ﴿ولا تأخذكم بهما رأفةٌ في دين الله﴾

(**وأما أثره في القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد وإضمار السوء والشماتة**) أي الفرح (**بالمساءات والحزن بالسرور والعزم على إفشاء السر وهتك الستر والإستهزاء وغير ذلك من القبائح**) والرذائل، (**فهذه ثمرة الغضب المفرط**) المتجاوز عن الحد.

(**وأما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الأنفة مما يؤنف منه من التعرض للحرم والزوجة والأمة**) وكذا ما سواهن من داخل الحجاب (**واحتمال الذل من الأخساء**) واللؤماء (**وصغر النفس**) والهمة (**والقماءة وهو أيضاً مذموم، إذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهو خنوثة**) تضاد الرجولية (**قال ﷺ: «إن سعداً لغيور وأنا أغير من سعد والله أغير مني»**) رواه مسلم من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه من حديث المغيرة بنحوه، وقد تقدم في كتاب النكاح: (**وإنما خلقت الغيرة لحفظ الأنساب**) عن المخالطة. (**ولو تسامح الناس بذلك**) وغفلوا عنها (**لاختلطت الأنساب ولذلك قيل: كل أمة وضعت الغيرة في رجالها**) فهم يغارون على حرمهم (**وضعت الصيانة في نسائها**) فهن يتعففن فالصيانة في النساء تابعة لغيرة الرجال فإذا لم يغاروا رفعت نساؤهم حجاب الحياء، (**ومن ضعف الغضب الخور**) محركة ضعف في القلب ومنه رمح خوار إذا كان ليناً سهلاً (**والسكوت عند مشاهدة المنكرات، وقد قال ﷺ: «خير أمتي أحدّاؤها»**) جمع حديد، والمعنى أنشطها وأسرعها إلى الخير (**يعني في الدين**) أي إن المراد بالحدة الصلابة في الدين وهي تنشأ من غيرة الإيمان حمية للدين لأن الحكم إذا نيط بوصف صار علة فيه فخيار أمة الإيمان من تزايدت حدته عن تزايد قوة الإيمان لا عن كبر وهوى. قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث علي بسند ضعيف وزاد: «الذين إذا غضبوا رجعوا» اهـ.

قلت: ورواه كذلك الديلمي وفيه نعيم بن سالم بن قنبر كذاب. وقال ابن حبان: يضع

[النور : ٢] بل من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه، إذ لا تتم الرياضة إلا بتسليط الغضب على الشهوة، حتى يغضب على نفسه عند الميل إلى الشهوات الخسيسة. ففقد الغضب مذموم، وإنما المحمود غضب ينتظر إشارة العقل والدين، فينبعث حيث تجب الحمية وينطفىء حيث يحسن الحلم، وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله بها عباده وهو الوسط الذي وصفه رسول الله ﷺ حيث قال: « خير الأمور أوساطها » فمن مال غضبه إلى الفتور حتى أحس من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس في احتمال الذل والضيم في غير محله، فينبغي أن يعالج نفسه حتى يقوى غضبه، ومن مال غضبه إلى الإفراط حتى جرّه إلى التهوّر واقتحام الفواحش فينبغي أن يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين، فهو الصراط المستقيم وهو أرق من

الحديث، ولفظهم:« خيار أمتي احداؤهم » وقد يشتد على كثيرين الحدة بسوء الخلق، والفارق المميز هو الذي ختم به الحديث، فالرجوع والصفاء هو الفارق، وصاحب الخلق السوء يحقد، وصاحب الحدة لا يحقد والغالب أنه لا يغضب إلا لله، ومما يشهد للحديث ما رواه أبو يعلى والطبراني عن ابن عباس رفعه: « الحدة تعتري خيار أمتي » وفي مسند الحسن بن سفيان من حديث أبي منصور الفارسي وله صحبة قيل له: لولا حدة فيك! فقال: ما يسرني بحدتي كذا وكذا، وقد قال رسول الله ﷺ : « إن الحدة تعتري خيار أمتي » وكذا أخرجه البغوي في هجر الصحابة، وأبو نعيم في الحلية، ولكن رواه المستغفري فقال عن يزيد بن أبي منصور وكانت له صحبة بدلاً عن أبي منصور والأولى أكثر. (**وقال تعالى: ﴿ولا تأخذكم بهما﴾**) أي بالزاني والزانية في حدهما (**رأفة في دين الله**) أي شدة رحمة وهو دليل لذم التفريط (**بل من فقد الغضب عجز، عن رياضة نفسه**) وتهذيبها، (**إذ تتم الرياضة بتسليط الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الميل إلى الشهوات الخسيسة، ففقد الغضب**) من أصله (**مذموم، وإنما المحمود**) الإقتصاد منه وهو (**غضب ينتظر إشارة العقل والدين، فينبعث حيث تجب الحمية وينطفىء**) ويقل (**حيث يحسن الحلم، وحفظه على حدّ الإعتدال هو الاستقامة التي كلف الله بها عباده**) وقد تقدم أن المراد بالاستقامة عندهم الوفاء بالعهود ولزوم الصراط المستقيم برعاية حظ الاستواء في كل أمر ديني ودنيوي، (**وهو الوسط الذي وصفه رسول الله ﷺ حيث قال: « خير الأمور أوساطها »**) رواه البيهقي من حديث مطرف مرسلاً، ورواه الحافظ أبو بكر الجياني في الأربعين البلدانية من حديث علي بسند ضعيف، وقد تقدم الكلام على ذلك. (**فمن مال غضبه إلى الفتور حتى أحس من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس في احتمال الذل والضيم في غير محله، فينبغي أن يعالج نفسه حتى يقوي غضبه. ومن مال غضبه إلى الإفراط حتى جرّه إلى التهور واقتحام الفواحش فينبغي أن يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين، فهو الصراط المستقيم**) المذكور في سورة الفاتحة (**وهو أرقّ من الشعر**

الشعرة وأحدّ من السيف، فإن عجز عنه فليطلب القرب منه. قال تعالى: ﴿ولَنْ تستطيعُوا أن تعْدِلوا بيْن النِّسَاء ولَوْ حَرَصْتُم فلا تَميلُوا كل المَيْلِ فتَذروُها كالمُعَلَّقَةِ﴾ [النساء: ١٢٩] فليس كل من عجز عن الإتيان بالخير كله ينبغي أن يأتي بالشر كله؛ ولكن بعض الشر أهون من بعض وبعض الخير أرفع من بعض. فهذه حقيقة الغضب ودرجاته. نسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه إنه على ما يشاء قدير.

بيان ان الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا ؟

إعلم إنه ظن ظانون أنه يتصوّر محو الغضب بالكلية، وزعموا أن الرياضة إليه تتوجه وإياه تقصد، وظن آخرون إنه أصل لا يقبل العلاج. وهذا رأي من يظن أن الخلق كالخلق وكلاهما لا يقبل التغيير، وكلا الرأيين ضعيف. بل الحق فيه ما نذكره وهو إنه ما بقي الإنسان يحب شيئاً ويكره شيئاً فلا يخلو من الغيظ والغضب، وما دام يوافقه شيء ويخالفه آخر فلا بدّ من أن يحب ما يوافقه ويكره ما يخالفه، والغضب يتبع ذلك فإنه مهما أخذ منه محبوبه غضب لا محالة، وإذا قصد بمكروه غضب لا محالة.

إلا أن ما يحبه الإنسان ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

وأحد من السيف) أي في غاية الرقة ونهاية الشدة والمجاوز عليه في خطر عظيم، **(فإن عجز عنه فليطلب القرب منه)** فإن القريب من القريب قريب **(﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة﴾ فليس كل من عجز عن الإتيان بالخير كله ينبغي أن يأتي بالشر له ولكن)** كما قيل: **(بعض الشر أهون من بعض، و)** في معناه **(بعض الخير أرفع من بعض. فهذه حقيقة الغضب ودرجاته)** وما يتعلق به.

بيان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا:

(**أعلم**) وفقك الله **(أنه ظن ظانون أنه يتصور محو الغضب بالكلية، وزعموا أن الرياضة إليه تتوجه وإياه تقصد)** فإزالته ممكنة ولا إستحالة فيها، **(وظن آخرون أنه أصلاً لا يقبل العلاج)** ولا ينمحي بالكلية. **(وهذا رأي من يظن أن الخلق)** بضمتين **(كالخلق)** بالفتح **(وكلاهما لا يقبل التغيير)** والتبديل كما تقدم الكلام عليه في كتاب رياضة النفس، **(وكلا الرأيين ضعيف)** لا يعوّل عليه. **(بل الحق فيه ما نذكره وهو أنه ما بقي الإنسان يحب شيئاً ويكره شيئاً فلا يخلو من الغيظ والغضب وما دام يوافقه شيء ويخالفه آخر فلا بد وأن يحب ما يوافقه ويكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فإنه مهما أخذ منه محبوبه غضب لا محالة، و)** كذلك **(إذا قصد بمكروه غضب لا محالة إلا أن ما يحبه الإنسان ينقسم إلى ثلاثة أقسام.**

الأوّل: ما هو ضرورة في حق الكافة كالقوت والمسكن والملبس وصحة البدن، فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بدّ وأن يغضب، وكذلك إذا أخذ منه ثوبه الذي يستر عورته، وكذلك إذا أخرج من داره التي هي مسكنه أو أريق ماؤه الذي لعطشه، فهذه ضرورات لا يخلو الإنسان من كراهة زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها.

القسم الثاني: ما ليس ضرورياً لأحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب، فإن هذه الأمور صارت محبوبة بالعادة والجهل بمقاصد الأمور، حتى صار الذهب والفضة محبوبين في أنفسهما فيكنزان، ويغضب على من يسرقهما وإن كان مستغنياً عنهما في القوت، فهذا الجنس مما يتصوّر أن ينفك الإنسان عن أصل الغيظ عليه، فإذا كانت له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز أن لا يغضب، إذ يجوز أن يكون بصيراً بأمر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب بأخذها، فإنه لا يحب وجودها ولو أحب وجودهالغضب على الضرورة بأخذها وأكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجاه والصيت والتصدر في المجالس والمباهاة في العلم، فمن غلب هذا

الاول: ما هو ضرورة في حق الكافة) لا يستغنون عنه بحال **(وهو القوت)** بقدر ما يسد جوعه، **(والمسكن)** بقدر ما يستكن فيه في الشتاء والصيف **(والملبس)** بقدر ما يستر عورته ويصحح صلاته، **(وصحة البدن)** فهذه الأشياء ضرورة في حق الكافة. **(فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بدّ وأن يغضب)** إذ وجب عليه حفظ بدنه إلى أن يصح، **(وكذلك إذا أخذ منه ثوبه الذي يستر به عورته)** ويصحح به صلاته، **(وكذلك إذا أخرج من داره التي هي مسكنه)** أو أخذ من قوته الذي يسدّ به جوعه **(أو أريق ماؤه الذي هو لعطشه، فهذه ضرورات لا يخلو الإنسان من كراهة زوالها)** وسلبها **(و)** لا يخلو **(من غيظه على من يتعرض لها)**.

(القسم الثاني: ما ليس ضرورياً لأحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب) بأنواعها والحرث والعقارات، **(فإن هذه الأمور صارت محبوبة بالعادة)** المستمرة **(والجهل بمقاصد الأمور حتى صار الذهب والفضة محبوبين في أنفسهما فيكنزان ويغضب على من يسرقهما، وإن كان مستغنياً عنهما في القوت)** الذي يسدّ به كلب الجوع، **(فهذا الجنس مما يتصور أن ينفك الإنسان من أصل الغيظ)** المستكن في القلب، **(فإذا كانت له دار زائدة على مسكنه)** الذي يأوي إليه **(فهدمها ظالم)** لسبب من الأسباب **(فيجوز أن لا يغضب)** على فعله هذا. **(إذ يجوز أن يكون بصيراً بأمر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب بأخذها)** أو هدمها، **(فإنه لا يحب وجودها ولو أحب وجودها لغضب على الضرورة بأخذها وأكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجاه والصيت)**

الحب عليه فلا محالة يغضب إذا زاحمه مزاحم على التصدر في المحافل، ومن لا يحب ذلك فلا يبالي ولو جلس في صف النعال، فلا يغضب إذا جلس غيره فوقه. وهذه العادات الرديئة هي التي أكثرت محاب الإنسان ومكارهه فأكثرت غضبه، وكلما كانت الإرادات والشهوات أكثر كان صاحبها أحط رتبة وأنقص، لأن الحاجة صفة نقص فمهما كثرت كثر النقص، والجاهل أبداً جهده في أن يزيد في حاجاته وفي شهواته، وهو لا يدري أنه مستكثر من أسباب الغم والحزن، حتى ينتهي بعض الجهال بالعادات الرديئة ومخالطة قرناء السوء إلى أن يغضب لو قيل له: أنك لا تحسن اللعب بالطيور واللعب بالشطرنج ولا تقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير، وما يجري مجراه من الرذائل، فالغضب على هذا الجنس ليس بضروري لأن حبه ليس بضروري.

القسم الثالث: ما يكون ضرورياً في حق بعض الناس دون البعض، كالكتاب مثلاً في حق العالم فإنه مضطر إليه فيحبه فيغضب على من يحرقه ويغرقه، وكذلك أدوات

والشهرة (**والتصدر في المجالس**) أي التقدم والإرتفاع (**والمباهاة بالعلم، فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب إذا زاحمه مزاحم على التصدر في المحافل**) أي مجامع الناس، (**ومن لا يحب ذلك ولا يبالي لو جلس في صف النعال**) أي في الصف المؤخر الذي هو موضع خلع النعال، (**فلا يغضب إذا جلس غيره فوقه. وهذه العادات الرديئة هي التي أكثرت محاب الإنسان ومكارهه فأكثرت غضبه، وكلما كانت الإرادات والشهوات أكثر كان صاحبها أحط رتبة وأنقص**) مقاماً، (**لأن الحاجة**) التي هي اسم من الإحتياج (**صفة نقص**) في الإنسان (**فمهما كثرت**) هذه الصفة (**كثر النقص**) لأن النقص من لوازم الحاجة فإذا كثر الملزوم تبعه اللازم لا محالة في الوصف، (**والجاهل أبداً جهده في حاجاته وفي شهواته وهو لا يدري أنه مستكثر**) بذلك (**من أسباب الغم والحزن**) فإنها تحمله على ذلك، (**حتى ينتهي بعض الجهال بالعادات الرديئة ومخالطة قرناء السوء إلى أن يغضب لو قيل له: إنك لا تحسن اللعب بالطيور**) والحمام وغيره (**واللعب بالشطرنج**) والنرد وما في معناهما (**ولا تقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير، وما يجري مجراه من الرذائل**) والمستقبحات، (**فالغضب على هذا الجنس ليس بضروري لأن حبه ليس بضروري**) بل مستغنى عنه.

(**القسم الثالث: ما يكون ضرورياً في حق بعض الناس دون البعض كالكتاب**) مثلاً (**للعالم**) فإنه مضطر إليه في مطالعته (**فيحبه**) محبة الدينار والدرهم عند غيره بل أعظم، ومن هذا قول بعضهم:

فمحبوبي من الدنيا كتابي ... وهل أبصرت محبوباً يعارُ

الصناعات في حق المكتسب الذي لا يمكنه التوصل إلى القوت إلا بها ، فإن ما هو وسيلة إلى الضروري ، والمحبوب يصير ضرورياً ومحبوباً ، وهذا يختلف بالأشخاص وإنما الحب الضروري ما أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله : « من أصبح آمناً في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » ، ومن كان بصيراً بحقائق الأمور وسلم له هذه الثلاثة يتصوّر أن لا يغضب في غيرها فهذه ثلاثة أقسام فلنذكر غاية الرياضة في كل واحد منها .

(**فيغضب على من يخرقه ويمزقه**) أو يمحيه أو يوسخ ورقه أو يكب عليه شيئاً من الأدهان ، (**وكذلك أدوات الصناعات وآلاتها في حق المكتسب الذي لا يمكنه التوصل إلى القوت إلا بها فإن ما هو وسيلة إلى الضروري المحبوب يصير ضرورياً ومحبوباً وهذا يختلف بالأشخاص ، وإنما الحب الضروري ما أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله : « من أصبح آمناً في سربه**) بكسر السين المهملة على الأشهر أي نفسه وروي بفتحها أي في مسلكه ، وقيل : بفتحتين أي في منزله (**معافى في بدنه**) وفي رواية في جسده أي صحيحاً بدنه (**وله**) وفي رواية وعنده (**قوت يومه**) أي غداؤه وعشاؤه والذي يحتاج إليه في يومه ذلك (**فإنما حيزت**) بكسر الحاء (**له الدنيا**) أي ضمت وجمعت (**بحذافيرها »**) أي بأسرها ، والمعنى من جمع الله له بين عافية بدنه وأمن قلبه حيث توجه وكفاف عيشه بقوت يومه وسلامة أهله ، فقد جمع الله له جميع النعم التي من ملك الدنيا لم يحصل على غيرها فينبغي أن لا يشتغل يومه ذلك إلا بشكره بأن يستغرقه في طاعة المنعم لا في معصيته ولا يفتر عن ذكره ، وإليه أشار بعضهم بقوله :

إذا ما القوت يأتي لك والصحة والأمن
وأصبحت أخا حزن فلا فارقك الحزن

قال العراقي : رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عبيد الله بن محصن دون قوله بحذافيرها . قال الترمذي : حسن غريب اهـ .

قلت : ورواه كذلك البخاري في الأدب ، والطبراني في الكبير كلهم من طريق مروان الفزاري ، عن عبد الرحمن بن أبي شميلة ، عن سلمة بن عبيد الله بن محصن ، عن أبيه مرفوعاً به . قال ابن القطان ولم يصححه الترمذي لأن عبد الرحمن لا يعرف حاله . وفي الميزان قال أحمد : سلمة لا أعرفه ، ولينه العقيلي ثم ساق له هذا الخبر ، وقال : روي من حديث أبي الدرداء أيضاً بإسناد لين ، وعبدالله بن محصن الأنصاري قال الترمذي : له صحبة ، ووقع عند الباوردي عبيد بن محصن غير مضاف وساق له هذا الحديث ، ووقع عند إبراهيم الحربي من هذا الوجه عبد الرحمن بن محصن .

(**ومن كان بصيراً بحقائق الأمور وسلم له هذه الثلاث يتصور أن لا يغضب في غيرها ، فهذه ثلاثة أقسام . فلنذكر غاية الرياضة في كل واحد منها**) .

أما القسم الأول: ليست الرياضة فيه لينعدم غيظ القلب، ولكن لكي يقدر على أن لا يطيع الغضب ولا يستعمله في الظاهر إلا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل، وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف الحلم والاحتمال مدة، حتى يصير الحلم والاحتمال خلقاً راسخاً فأما قمع أصل الغيظ من القلب فذلك ليس مقتضى الطبع وهو غير ممكن. نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن، وينتهي ضعفه إلى أن لا يظهر أثره في الوجه، ولكن ذلك شديد جداً وهذا حكم القسم الثالث أيضاً لأن ما صار ضرورياً في حق شخص فلا يمنعه من الغيظ استغناء غيره عنه. فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه.

وأما القسم الثاني: فيمكن التوصل بالرياضة إلا الانفكاك عن الغضب عليه إذ يمكن إخراج حبه من القلب، وذلك بأن يعلم الإنسان أن وطنه القبر ومستقره الآخرة، وأن الدنيا معبر يعبر عليها ويتزوّد منها قدر الضرورة، وما وراء ذلك عليه وبال في وطنه ومستقره فيزهد في الدنيا ويمحو حبها عن قلبه، ولو كان للإنسان كلب لا يحبه لا

(**أما القسم الأول: فليست الرياضة فيه لينعدم غيظ القلب**) من أصله، (**ولكن لكي يقدر على أن لا يطيع الغضب**) بل يكف نفسه عنه (**فلا يستعمله في الظاهر إلا على حدّ يستحبه الشرع ويستحسنه العقل، وذلك ممكن بالمجاهدة**) والرياضة (**وتكلف الحلم والاحتمال مدة**) من الزمان، (**حتى يصير الحلم والإحتمال خلقاً**) فيه (**راسخاً**) بعد أن كان مكلفاً فأما قمع أصل الغيظ من القلب، (**فذلك مقتضى الطبع**) أي يقتضيه الطبع البشري لا ينفك عنه (**وهو**) أي قمعه (**غير ممكن. نعم يمكن كسر سورته**) أي شوكته (**وتضعيفه**) أي توهينه (**حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه**) وكسر قوته (**إلى أن لا يظهر أثره في الوجه**) ولا في الأطراف وهذا ممكن، (**ولكن ذلك شديد جداً**) إلا من خفف الله عليه (وهذا حكم القسم الثالث أيضاً لأن ما صار ضرورياً في حق الشخص فلا يمنعه من **الغيظ استغناء غيره عنه، فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه**) هذا حال القسم الأول والثالث.

(**وأما القسم الثاني: فيمكن التوصل بالرياضة إلى الإنفكاك من الغضب عليه إذ يمكن إخراج حبه من القلب**) بنوع من الإعتبار، (**وذلك بأن يعلم الإنسان أن وطنه القبر ومستقره الآخرة وإنما الدنيا**) دار ممر لا دار مقر، بل هي بمنزلة (**معبرة يعبر عليها**) ولا يعمرها كما رواه أبو نعيم في الحلية عن عيسى عليه السلام: الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها، (**ويتزود منها قدر الضرورة**) الداعية (**وما وراء ذلك عليه وبال**) أي ثقل (**في وطنه ومستقره فيزهد في الدنيا**) ويرغب عنها (**ويهجر حبها من قلبه**) وفي بعض النسخ ويمحي

يغضب إذا ضربه غيره، فالغضب تبع للحب. فالرياضة في هذا تنتهي إلى قمع أصل الغضب وهو نادر جداً، وقد تنتهي إلى المنع من إستعمال الغضب والعمل بموجبه وهو أهون.

فإن قلت: الضروري من القسم الأوّل التألم بفوات المحتاج إليه دون الغضب، فمن له شاة مثلاً وهي قوته فماتت لا يغضب على أحد وإن كان يحصل فيه كراهة، وليس من ضرورة كل كراهة غضب، فإن الإنسان يتألم بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الأشياء كلها بيد الله ومنه فلا يغضب على أحد من خلقه، إذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب، ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم، فلا يغضب على من يذبح شاته التي هي قوته كما لا يغضب على موتها، إذ يرى الذبح والموت من الله عز وجل فيندفع الغضب بغلبة التوحيد، ويندفع أيضاً بحسن الظن بالله، وهو أن يرى أن الكل من الله وأن الله لا يقدر له إلا ما فيه الخيرة، وربما تكون الخيرة في مرضه وجوعه وجرحه وقتله، فلا يغضب كما لا

بدل ويهجر، (**ولو كان للإنسان كلب لا يحبه لم يغضب عليه إذا ضربه غيره**) أي لا يتأثر في قلبه شيء من ضربه، (**فالغضب تبع للحب. فالرياضة في هذا قد تنتهي إلى قمع أصل الغضب وهو نادر جداً**) قليل الوقوع، (**وقد تنتهي إلى المنع من استعمال الغضب و**) من (**العمل بموجبه**) ومقتضاه (**وهو أهون**) بالنسبة إلى قمع أصله.

(**فإن قلت الضروري من القسم الأول التألم بفوات المحتاج إليه**) أي حصول الألم فيه (**دون الغضب، فمن له شاة مثلاً وهي قوته**) يشرب من لبنها (**فماتت**) عليه (**لا يغضب على أحد وإن كان يحصل منه كراهة**) وتألم بمقتضى الطبع، (**وليس من ضرورة كل كراهة غضب فالإنسان يتألم بالفصد والحجامة ولا يغضب**) بعد ذلك (**على الفصاد والحجام، فمن غلب عليه**) نور (**التوحيد**) المطلق الذاتي والفعلي (**حتى**) يرى الأشياء كلها من الله تعالى (**فلا يغضب على أحد من خلقه إذ يراهم مسخرين**) مذللين منقادين (**في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب، ومن وقع ملك**) من الملوك (**بضرب رقبته**) مثلاً (**لم يغضب على القلم**) وأصل التوقيع أثر الكتابة في الكتاب، ومنه استعير التوقيع في القصص وذلك بأن ترفع رقعة لعملك فيها شكاية حال أو قصة فيكتب عليها يكون كذا وكذا فيسمى ذلك توقيعاً (**فلا يغضب على من يذبح شاته التي هي قوته كما لا يغضب على موتها**) بحتف أنفها. (**إذ يرى الموت والذبح من الله تعالى فيندفع الغضب بغلبة**) نور (**التوحيد، ويندفع أيضاً بحسن الظن بالله وهو أن يرى أن الكل من الله وأن الله لا يقدر له إلا ما فيه الخيرة، وربما تكون الخيرة في جوعه ومرضه وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد**) أو الحجام

يغضب على الفصاد والحجام لأنه يرى أن الخيرة فيه، فنقول هذا على هذا الوجه غير محال، ولكن غلبة التوحيد إلى هذا الحد إنما تكون كالبرق الخاطف، تغلب في أحوال مختطفة ولا تدوم، ويرجع القلب إلى الالتفات إلى الوسائط رجوعاً طبيعياً لا يندفع عنه، ولو تصوّر ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله ﷺ فإنه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه، حتى قال: «اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فأيما مسلم سببته أو لعنته أو ضربته فاجعلها مني صلاة عليه وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة»، وقال عبدالله بن عمرو بن العاص: يا رسول الله اكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا فقال: «اكتب فوالذي بعثني بالحق نبياً ما يخرج منه إلا حق» وأشار إلى لسانه، فلم يقل

(لأنه يرى أن الخيرة فيه) مع ظنه أنه لا يقدر له إلا ما فيه الخير؟ **(فنقول: هذا على الوجه)** المذكور **(غير محال)** فقد يتصور للعبد أن يترقى إلى هذا المقام ويكشف له عن بصيرته فيتساوى عنده الذبح والموت فلا يغضب للذبح كما لا يغضب للموت، وينكشف له عن حقيقة الحقائق وعن أسرار الربوبية وعما ينتج حسن الظن بالله، **(ولكن غلبة التوحيد إلى هذا الحد إنما تكون كالبرق الخاطف، يغلب في أحوال مختطفة ولا يدوم)** ولا يستمر حكمه مع العارف، **(ويرجع القلب)** بعد ذلك **(إلى الالتفات إلى الوسائط رجوعاً طبيعياً لا يندفع عنه)** فهو إذاً حال لا مقام، **(ولو تصور ذلك على الدوام)** والاستمرار **(لبشر لتصور لرسول الله ﷺ)** وهو أفضل الخلق أجمعين وأكمل العباد العارفين، **(فإنه كان يغضب أحياناً حتى تحمر وجنتاه)** رواه مسلم من حديث جابر: «كان إذا غضب احمرت عيناه وعلاصوته واشتد غضبه» وللحاكم: «كان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه واشتد غضبه» وقد تقدم في أخلاق النبوة، **(حتى قال)** ﷺ: **(«اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فأيما مسلم سببته أو لعنته أو ضربته فاجعلها مني صلاة عليه وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة»)** قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ: «اللهم أنا بشر» دون قوله: «أغضب كما يغضب البشر» وقال: «جلدته» بدل «ضربته» وفي رواية «اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر» وأصله متفق عليه وقد تقدم، ولمسلم من حديث أنس «إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر» ولأبي يعلى من حديث أبي سعيد وأبي هريرة أو قال ضربته، وفيه محمد بن إسحاق رواه بالعنعنة.

(وقال عبدالله بن عمرو بن العاص) بن وائل السهمي القرشي رضي الله عنهما: **(اكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا: فقال: «اكتب فوالذي بعثني بالحق ما يخرج منه إلا حق» وأشار إلى لسانه)** وهو متضمن لما في قوله تعالى: ﴿ما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى﴾ [النجم: ٣، ٤] قال العراقي: رواه أبو داود بنحوه بإسناد صحيح، **(فلم يقل)** ﷺ

إني لا أغضب، ولكن قال إن الغضب لا يخرجني عن الحق، أي لا أعمل بموجب الغضب. وغضبت عائشة رضي الله عنها مرة فقال لها رسول الله ﷺ: « ما لك؟ جاءك شيطانك » فقالت: وما لك شيطان؟ قال: « بلى ولكني دعوت الله فأعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بالخير »، ولم يقل: لا شيطان لي، وأراد شيطان الغضب لكن قال: لا يحملني على الشر. وقال علي رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ لا يغضب للدنيا فإذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له فكان يغضب على الحق، وإن كان غضبه لله فهو التفات إلى الوسائط على الجملة، بل كل من يغضب على من يأخذ ضرورة قوته وحاجته التي لا بدّ له في دينه منها فإنما غضب لله، فلا يمكن الانفكاك عنه. نعم قد يفقد أصل الغضب فيما هو ضروري إذا كان القلب مشغولاً بضروري أهم منه، فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره، فإن استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الإحساس بما عداه.

(إني لا أغضب) أي لم ينف عنه الغضب، **(ولكن قال: « إن الغضب لا يخرجني من الحق » أي لا أعمل بموجب الغضب)** ومقتضاه.

(وغضبت عائشة) رضي الله عنها **(مرة فقال)** لها **(ﷺ: « مالك؟ جاء شيطانك » فقالت: وما لك شيطان؟ فقال: « بلى ولكن دعوت الله فأعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير »)** رواه مسلم في أواخر كتابه قبل باب صفة الجنة عن هارون بن سعيد الايلي، عن ابن وهب، عن أبي صخر، عن ابن نشيط حدثه أن عروة حدثه أن عائشة زوج النبي ﷺ حدثته أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً قالت: فغرت عليه فجاء فرأى ما منع فقال: « مالك يا عائشة أغرت؟ فقلت: ومالي لا يغار مثلي على مثلك؟ فقال ﷺ: « لقد جاء شيطانك » قلت: يا رسول الله أو معي شيطان؟ قال: « نعم » قلت ومع كل إنسان؟ قال: « نعم » قلت ومعك يا رسول الله؟ قال: « نعم ولكن ربي أعانني عليه فأسلم ». **(فلم يقل)** ﷺ **(لا شيطان لي، وأراد شيطان الغضب لكن قال: لا يحملني على الشر)** وقد ذكر هذا الحديث وتقدم الكلام عليه.

(وقال علي كرم الله وجهه: كان ﷺ لا يغضب للدنيا فإذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له) رواه الترمذي في الشمائل وقد تقدم في أخلاق النبوة، **(فكان يغضب على الحق وإن كان غضبه لله فهو التفات إلى الوسائط على الجملة، بل كل من يغضب على من يأخذ ضرورة قوته وحاجته التي لا بد له في دينه منها فإنما غضب لله لأنه)** داخل في انتهاك حرمة الله، **(فلا يمكن الإنفكاك عنه. نعم قد يفقد أصل الغيظ فيما هو ضروري إذا كان القلب مشغولاً بضروري أهم منه فلا يكون للقلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره، فإن استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الإحساس بما عداه)** أي فلا يحس

وهذا كما ان سلمان لما شُتم قال: إن خفت موازيني فأنا شر مما تقول وإن ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول. فقد كان همه مصروفاً إلى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم. وكذلك شُتم الربيع بن خثيم فقال: يا هذا قد سمع الله كلامك وإن دون الجنة عقبة إن قطعتها لم يضرني ما تقول، وإن لم أقطعها فأنا شر مما تقول، وسب رجل أبا بكر رضي الله عنه فقال: ما ستر الله عنك أكثر، فكأنه كان مشغولاً بالنظر في تقصير نفسه عن أن يتقي الله حق تقاته ويعرفه حق معرفته، فلم يغضبه نسبة غيره إياه إلى نقصان، إذ كان ينظر إلى نفسه بعين النقصان، وذلك لجلالة قدره، وقالت امرأة لمالك بن دينار: يا مرائي، فقال: ما عرفني غيرك! فكأنه كان مشغولاً بأن ينفي عن نفسه آفة الرياء، ومنكراً على نفسه ما يلقيه الشيطان إليه فلم يغضب لما نسب إليه. وسب رجل الشعبي فقال: إن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك. فهذه الأقاويل دالة في الظاهر على أنهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم، ويحتمل أن يكون ذلك قد أثر في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الأغلب على قلوبهم، فإذاً

به ولا يشعر لغلبة الإستغراق، وذلك إذا أخذ بمجامع قلبه وأحاط به إحاطة القشر باللب وقد يتصور مع بعض الإستغراق الإحساس بغير ما هو فيه ولكن لا يؤثر عنده.

(**وهذا كما ان سلمان**) الفارسي رضي الله عنه (**لما شتم قال: إن خفت موازيني**) أي موازين حسناته (**فأنا شر مما تقول وإن ثقلت لم يضرني ما تقول. فقد كان**) رضي الله عنه (**همه مصروفاً إلى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم**) ولم يبال به. (**وكذلك شتم الربيع بن خيثم**) الثوري الكوفي (**فقال**) له: (**يا هذا قد سمع الله كلامك وأن دون الجنة عقبة**) كؤداً (**إن قطعتها لم يضرني ما تقول. وإن لم أقطعها فأنا شر مما تقول**) أخرجه أبو نعيم في الحلية (**وسب رجل أبا بكر رضي الله عنه فقال**) له: (**ما ستر الله عنك أكثر، فكأنه**) رضي الله عنه (**كان مشغولاً بالنظر في تقصير نفسه عن أن يتقي الله حق تقاته ويعرفه حق معرفته فلم تغضبه نسبة غيره إياه إلى نقصان، إذ كان ينظر إلى نفسه بعين النقصان وذلك لجلالة قدره**) وعظيم منزلته في المعرفة. (**وقالت امرأة لمالك بن دينار**) البصري: (**يا مرائي! فقال: ما عرفني غيرك**) أخرجه أبو نعيم في الحلية، (**فكأنه كان مشغولاً بأن ينفي عن نفسه آفة الرياء ومنكراً على نفسه ما يلقي الشيطان إليه فلم يغضب لما نسب إليه**) لذلك. (**وسب رجل**) عامر بن شراحيل (**الشعبي فقال: إن كنت صادقاً فغفر الله لي وإن كنت كاذباً فغفر الله لك**) أخرجه أبو نعيم في الحلية، وقيل لأبي يزيد البسطامي: لحيتك أفضل أم ذنب الكلب؟ فقال: إن مت مؤمناً فلحيتي وإلا فذنب الكلب، فكان همه مشغولاً بحسن الخاتمة. (**فهذه الأقاويل دالة في الظاهر على أنهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم، ويحتمل أن يكون قد أثر ذلك في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو**

اشتغال القلب ببعض المهمات لا يبعد أن يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض المحاب، فإذاً يتصوّر فقد الغيظ إما باشتغال القلب بمهم، أو بغلبة نظر التوحيد، أو بسبب ثالث: وهو أن يعلم أن الله يحب منه أن لا يغتاظ فيطفىء شدة حبه لله غيظه، وذلك غير محال في أحوال نادرة. وقد عرفت بهذا أن الطريق للخلاص من نار الغضب محو حب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها ـ كما سيأتي في كتاب ذم الدنيا ـ ومن أخرج حب المزايا عن القلب تخلص من أكثر أسباب الغضب، وما لا يمكن محوه يمكن كسره وتضعيفه فيضعف الغضب بسببه ويهون دفعه، نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه انه على كل شيء قدير والحمد لله وحده.

بيان الأسباب المهيجة للغضب:

قد عرفت أن علاج كل علة حسم مادتها وإزالة أسبابها فلا بد من معرفة أسباب الغضب. وقد قال يحيى لعيسى عليهما السلام: أي شيء أشد؟ قال غضب الله، قال فما يقرب من غضب الله، قال أن تغضب، قال: فما يبدي الغضب وما ينبته؟ قال عيسى: الكبر والفخر والتعزز والحمية.

الأغلب على قلوبهم، فإذا اشتغال القلب ببعض المهمات لا يبعد أن يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض المحاب، فإذاً يتصور فقد الغيظ إما باشتغال القلب بمهم) ديني على وجه الاستغراق (**أو بغلبة نظر التوحيد**) وهذان السببان قد ذكرا. (**وسبب ثالث: وهو أن يعلم أن الله يحب منه أن لا يغتاظ فتطفىء شدة حبه لله غيظه وذلك غير محال في أحوال نادرة**) عزيزة الوقوع فإنها تستدعي كمال الحب واستدامة المراقبة، (**وقد عرفت بهذا أن طريق الخلاص من نار الغضب محوحب الدنيا من**) لوح (**القلب**) لأنه من لوازمه، (**وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها ـ كما سيأتي في كتاب ذم الدنيا ـ ومن أخرج حب المزايا**) جمع مزية (**من القلب تخلص من أكثر أسباب الغضب، وما لا يمكن محوه**) من لوح القلب (**فيمكن كسره وتضعيفه**) وتوهينه (**فيضعف الغضب بسببه ويهون دفعه**).

بيان الأسباب المهيجة للغضب:

(**قد عرفت أن علاج كل علة بحسم مادتها وإزالة أسبابها**) التي نشأت منها تلك العلة (**فلا بد من معرفة أسباب الغضب**) أولاً حتى يهتدي لإزالتها، (**وقد قال عيسى ليحيى عليهما السلام**) وهما ابنا الخالة: (**أي غضب أشد؟ قال: غضب الله. قال: فما يقرب من غضب الله؟ قال: أن تغضب**) وقد تقدم قريباً بلفظ: وما يباعد من غضب الله؟ قال: أن لا تغضب، (**قال يحي: فما يبدي الغضب وما ينبته؟ قال عيسى**) عليه السلام: (**الكبر والفخر والتعزز والحمية**) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

والأسباب المهيجة للغضب هي: الزهو والعجب والمزاح والهزل والهزء والتعيير والمماراة والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه، وهي بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعاً ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الأسباب فلا بد من إزالة هذه الأسباب بأضدادها.

فينبغي أن تميت الزهو بالتواضع وتميت العجب بمعرفتك بنفسك ـ كما سيأتي بيانه في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بأنك من جنس عبدك إذ

الناس يجمعهم في الانتساب أب وإنما اختلفوا في الفضل أشتاتا

فبنو آدم جنس واحد وإنما الفخر بالفضائل والفخر والعجب والكبر أكبر الرذائل وهي أصلها ورأسها، فإذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك فلم تفتخر وأنت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والأعضاء الظاهرة والباطنة وأما المزاح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه إذا عرفت ذلك. وأما الهزل

(فالأسباب المهيجة للغضب هي الزهو والعجب والمزح والهزل والتعيير) أي ذكر عيب الغير ونسبته إليه **(والمماراة)** أي المخاصمة **(والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه، وهي بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعاً ولا خلاص عن الغضب مع بقاء هذه الأسباب فلا بدّ من إزالة هذه الأسباب بإضدادها)** ونقائضها.

(فينبغي أن يميت الزهو بالتواضع) فإن الزهو هو الكبر والرفعة والتواضع ضده **(وتميت العجب بالمعرفة بنفسك)** بالذل والقصور **(كما سيأتي بيانه في كتاب الكبر والعجب، ويزيل الفخر بأنك من جنس عبدك)** الذي تملكه **(إذ)** قال الشاعر:

(الناس يجمعهم في الإنتساب أب وإنما اختلفوا في الفضل أشتاتا)

ومثل ذلك قول علي رضي الله عنه: في أبيات ذكرت في كتاب العلم.

الناس من جهة التمثيل أكفاء أبوهم واحد والأم حوّاء

(فبنو آدم جنس واحد وإنما الفخر بالفضائل) النفسية العلمية والعملية **(والفخر)** من غير فضيلة **(والعجب)** بالنفس **(والكبر)** على الغير **(أكبر الرذائل وهي رأسها وأصلها)** أي هذه الثلاثة أساس كل رذيلة، **(فإذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك فلم تفتخر وأنت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والأعضاء الظاهرة والباطنة، وأما المزح فيزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر)** وتستغرقه **(وتفضل عنه إذا عرفت ذاك)** ففيها شغل شاغل عن المباسطة والمزاح وغيره، **(وأما الهزل)** من القول **(فيزيله بالجد في طلب**

فتزيله بالجد في طلب الفضائل والأخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك إلى سعادة الآخرة. وأما الهزء فتزيله بالتكرم عن إيذاء الناس وبصيانة النفس عن أن يستهزأ بك. وأما التعبير فبالحذر عن القول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب. وأما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلباً لعز الاستغناء وترفعاً عن ذل الحاجة.

وكل خلق من هذه الأخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر في علاجه إلى رياضة وتحمل مشقة، وحاصل رياضتها يرجع إلى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها، ثم المواظبة على مباشرة أضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مألوفة هينة على النفس، فإذا انمحت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت أيضاً عن الغضب الذي يتولد منها. ومن أشد البواعث على الغضب عند أكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همة، وتلقيبه بالألقاب المحمودة غباوة وجهلاً حتى تميل النفس إليه وتستحسنه. وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن

الفضائل والأخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك إلى سعادة الآخرة) فالذي يجتهد في تحصيل مثل هذه لا يتفرغ للهزليات، **(وأما الهزء فيزيله بالتكرم عن إيذاء الناس)** فلا يؤذيهم **(وبصيانة النفس عن أن يستهزأ بك)** فإن من استهزأ بغيره استهزىء به، **(وأما التعبير فبالحذر عن قول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب)** وفي بعض النسخ عن مر القول، **(وأما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة)** والإكتفاء **(بقدر الضرورة)** والحاجة الداعية فالدنيا ساعة فاجعلها طاعة **(طلباً لعز الاستغناء وترفعاً عن ذل الحاجة)** فإن الاحتياج إلى الناس مذلة حاضرة والاستغناء عنهم عز حاضر، وقد قال علي رضي الله عنه: استغن عمن شئت تكن أميره واحتج إلى من شئت تكن أسيره.

(وكل خلق من هذه الأخلاق وصفة من هذه الصفات تفتقر في علاجه إلى رياضة) وتهذيب **(وتحمل مشقة)** وكلفة، **(وحاصل رياضتها يرجع إلى معرفة غوائلها)** ودسائسها **(لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة أضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة)** مع التكرار **(مألوفة هينة على النفس فإذا أنمحت عن)** لوح **(النفس فقد زكت وطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت أيضاً عن الغضب الذي يتولد منها)** لا محالة فإنها إذا طهرت عن أسباب الغضب لم يكن للغضب إليها سبيل، **(ومن أشد البواعث للغضب عند أكثر الجهال)** من العوام **(تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همة وتلقيبه بالألقاب المحمودة)** المرضية **(غباوة وجهلاً)** بحقائق الأمور، **(حتى تميل النفس إليه وتستحسنه)** وتختاره، **(وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الأكابر في معرض**

الأكابر في معرض المدح بالشجاعة، والنفوس مائلة إلى التشبه بالأكابر فيهيج الغضب إلى القلب بسببه، وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض قلب ونقصان عقل وهو لضعف النفس ونقصانها، وآية أنه لضعف النفس أن المريض أسرع غضباً من الصحيح، والمرأة أسرع غضباً من الرجل، والصبي أسرع غضباً من الرجل الكبير، والشيخ الضعيف أسرع غضباً من الكهل، وذو الخلق السيء والرذائل القبيحة أسرع غضباً من صاحب الفضائل. فالرذل يغضب لشهوته إذا فاتته اللقمة، ولبخله إذا فاتته الحبة، حتى انه يغضب على أهله وولده وأصحابه، بل القوي من يملك نفسه عند الغضب كما قال رسول الله ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» بل ينبغي أن يعالج هذا الجاهل بأن تتلى عليه حكايات أهل الحلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ، فإن ذلك منقول عن الأنبياء والأولياء والحكماء والعلماء وأكابر الملوك الفضلاء، وضد ذلك منقول عن الأكراد والأتراك والجهلة والأغبياء الذين لا عقول لهم ولا فضل فيهم.

المدح) والاستحسان (**بالشجاعة والنفوس مائلة إلى التشبه بالأكابر**) والتزيّي بزيهم، (**فيهيج الغضب في القلب بسببه وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض ونقصان عقل**) وجنون (**وهو لضعف النفس ونقصانها**) عن درجة الكمال، (**وآية أنه لضعف النفس أن المريض أسرع غضباً من الصحيح**) فلنقصان صحته وكونها مزالة عن حد الاعتدال يتسرع إلى الغضب ولا يتحمل سماع كلمة تخالف مزاجه، (**والمرأة أسرع غضباً من الرجل**) لنقصان فيها، (**والصبي أسرع غضباً من الكبير**) لأنه لم يبلغ إلى حد الكمال، (**والشيخ الضعيف**) الذي فنيت قوته (**أسرع غضباً من الكهل**) الذي بقيت قوته بعد لأنه في سن الانحطاط وهو من الأربعين إلى الستين، وأما الشيخ فهو من الستين إلى آخر العمر، (**وذو الخلق السيء والرذائل القبيحة أسرع غضباً من صاحب الفضائل فالرذل**) المتنكس الخلق (**يغضب لشهوته إذا فاتته اللقمة**) والشربة (**ولبخله إذا فاتته الحبة**) من المال (**حتى يغضب على أهله وولده وأصحابه**) في أمور حقيرة، (**بل القوي من يملك نفسه عند الغضب. قال ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة**) الذي يصرع الناس فيغلبهم (**إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب»**) تقدم قريباً، (**بل ينبغي أن يعالج هذا الجاهل**) الأحمق (**بأن تتلى عليه حكايات أهل الحلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ**) والتحلم والتجاوز، (**فإن ذلك منقول عن الأنبياء والحكماء والعلماء وأكابر الملوك الفضلاء**) وقد جمع غالب ذلك في كتب معروفة (**وضد ذلك منقول عن الأتراك والأكراد**) والأجلاف من أهل البادية (**والجهلة والأغبياء الذين لا عقل لهم ولا فضل**) فليستمع تلك الأخبار، وما حكي عن الفريقين ويتهذب بأخلاق الأولين من الصالحين ويتشبه بهم ويبعد نفسه عن أحوال المسترذلين ويتجنب عنها.

بيان علاج الغضب بعد هيجانه:

ما ذكرناه هو حسم لمواد الغضب وقطع لأسبابه حتى لا يهيج، فإذا جرى سبب هيجه فعنده يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه إلى العمل به على الوجه المذموم، وإنما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل.

أما العلم فهو ستة أمور:

الأوّل: أن يتفكر في الاخبار التي سنوردها في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه، فيمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشفي والانتقام وينطفىء عنه غيظه، قال مالك بن أوس بن الحدثان: غضب عمر على رجل وأمر بضربه فقلت يا أمير المؤمنين ﴿خُذِ العَفْوَ وأمُرْ بالعُرفِ وأعْرِضْ عَنِ الجاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] فكان عمر يقول: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ فكان يتأمل في الآية وكان وقافاً عند كتاب الله مهما تلي عليه كثير التدبر فيه فتدبر فيه وخلى

بيان علاج الغضب بعد هيجانه:

اعلم أن (**ما ذكرناه**) آنفاً (**هو حسم لمواد الغضب وقطع لأسبابه**) الباعثة له (**حتى لا يهيج فإذا جرى سبب هيجه**) وأثاره (**فعنده يجب التثبت**) فيه (**حتى لا يضطر صاحبه إلى العمل به على الوجه المذموم**) شرعاً، (**وإنما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل.**

أما العلم فهو ستة أمور.

(**الأول: أن يتفكر في الأخبار التي سنوردها في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه وما عند الله تعالى** (**فتمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم**) والصفح (**عن التشفي والإنتقام وينطفىء غيظه**) وتخمد ناره. (**قال مالك بن أوس بن الحدثان**) محركة النصري بالنون والصاد أبو سعيد المدني له رؤية، وروى عن عمر توفي سنة ٩٣ روى له الجماعة: (**غضب عمر**) رضي الله عنه (**على رجل وأمر بضربه فقلت: يا أمير المؤمنين ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ فكان عمر يقول: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ فكان يتأمل في الآية وكان وقافاً عند كتاب الله مهما تلي عليه كثير التدبر فيه فتدبر فيه وخلى الرجل**) أخرج البخاري في الصحيح بنحوه من طريق شعيب عن الزهري، عن عبيد الله أن ابن عباس قال: قدم عيينة بن حصن فنزل على الحر بن قيس وكان ممن يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجلس عمر فقال عيينة لابن أخيه الحر: يا ابن أخي هل لك وجه عند هذا الأمير تستأذن عليه؟ قال: نعم فأذن له عمر فدخل فقال: يا ابن الخطاب ما تعطينا الجزل وما تحكم بيننا بالعدل فغضب عمر حتى هم به فقال الحر يا

الرجل. وأمر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى: ﴿والكَاظِمِين الغَيْظ﴾ [آل عمران: ١٣٤] فقال لغلامه: خل عنه.

الثاني: أن يخوّف نفسه بعقاب الله وهو أن يقول قدرة الله عليَّ أعظم من قدرتي على هذا الإنسان، فلو أمضيت غضبي عليه فما آمن أن يمضي الله غضبه عليَّ يوم القيامة أحوج ما أكون إلى العفو، فقد قال تعالى في بعض الكتب القديمة: يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق. وبعث رسول الله ﷺ وصيفاً إلى حاجة فأبطأ عليه فلما جاء قال: « لولا القصاص لأوجعتك » أي القصاص في القيامة. وقيل: ما كان في بني إسرائيل ملك إلا ومعه حكيم إذا غضب أعطاه صحيفة فيها:

أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين﴾ وإن هذا من الجاهلين فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقافاً عند كتاب الله.

(**وأمر عمر بن عبد العزيز**) رحمه الله تعالى (**بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى: ﴿والكاظمين الغيظ﴾ وقال لغلامه: خل عنه**) أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(**الثاني: أن يخوّف نفسه بعذاب الله وهو أن يقول قدرة الله على أعظم من قدرتي على هذا الإنسان، فلو أمضيت غضبي عليه فما آمن أن يمضي الله غضبه عليَّ يوم القيامة أحوج ما أكون إلى العفو**) فإذا تأمل هذا المعنى، فلا بدّ وأن ينكسر ثوران الغضب عنه في الحال، (**وقد قال تعالى في بعض الكتب**) التي أنزلها على رسله، (**يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق**) أخرجه ابن شاهين في الترغيب وقد تقدم، (**وبعث رسول الله ﷺ وصيفاً**) وهو الغلام دون المراهق (**إلى حاجة فابطأ عليه فلما جاء قال: « لولا القصاص لأوجعتك »**) قال العراقي: رواه أبو يعلى من حديث أم سلمة بسند ضعيف اهـ.

قلت: ورواه ابن سعد في الطبقات بلفظ: « إن النبي ﷺ أرسل وصيفة له فأبطأت عليه فقال: لولا القصاص لأوجعتك بهذا السواك ». (**أي القصاص في القيامة**) ونقل البخاري في الصحيح أنه أقاد أبو بكر وعمر وابن الزبير وعلي وسويد بن مقرن من اللطمة، وأقاد عمر من ضربه بالدرة، وأقاد علي من ثلاثة أسواط واقتص شريح من سوط وخموش، وهذا كله رواية عن الإمام أحمد، ولكن العمل على خلافه لعدم انضباطه. وقد أجمع الفقهاء أن لا قصاص إلا في الجراح والقتل كما نقله ابن الجوزي، وتبعه الذهبي في سيرة عمر بن الخطاب، ولكن دعوى الإجماع فيه نظر إلا أن يكون الخلاف لفظياً، وقد قال الله تعالى: ﴿فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ [البقرة: ١٩٤] (**وقيل: ما كان في بني إسرائيل ملك إلا ومعه حكيم إذا**

ارحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة، فكان يقرؤها حتى يسكن غضبه.

الثالث: أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقابلته والسعي في هدم أغراضه والشماتة بمصائبه، وهو لا يخلو عن المصائب فيخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا إن كان لا يخاف من الآخرة. وهذا يرجع إلى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من أعمال الآخرة ولا ثواب عليه، لأنه متردد على حظوظه العاجلة يقدم بعضها على بعض إلا أن يكون محذوره أن تتشوّش عليه في الدنيا فراغته للعلم والعمل وما يعينه على الآخرة فيكون مثاباً عليه.

الرابع: أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب بأن يتذكر صورة غيره في حالة الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة الحليم الهادي التارك للغضب للأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء، ويخير نفسه بين أن يتشبه بالكلاب والسباع وأراذل الناس وبين أن يتشبه بالعلماء والأنبياء في عادتهم لتميل نفسه إلى حب الاقتداء بهؤلاء إن كان قد بقي معه مسكة من عقل.

غضب أعطاه صحيفة وفيها: ارحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة، فكان يقرؤها فيسكن غضبه) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

(**الثالث: أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقابلته والسعي في هدم أغراضه والشماتة بمصائبه وهو لا يخلو عن المصائب فيخوّف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا إن كان لا يخاف من الآخرة**) والعلم بهذا مهم للغاية، فإن عاقبة العداوة وخيمة ومن كان له عدو متشمر في إيصال السوء إليه لا يرتاح في معيشته مطلقاً، فإذا عصم نفسه من الغضب سلم من هذه الورطة (**و**) لكن (**هذا يرجع إلى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من أعمال الآخرة ولا ثواب عليه، لأنه متردد في حظوظه العاجلة يقدم بعضها على بعض إلا أن يكون محذوره أن يتشوش عليه في الدنيا فراغته للعلم والعمل وما يعينه على الآخرة فيكون مثاباً عليه**) حينئذ، وأما لو وقف نيته على حظوظه فقط فليس له في الآخرة نصيب.

(**الرابع: أن يتفكر في قبح صورته عند غضبه**) لو رآه في المرآة أو (**بأن يتذكر صورة غيره في حالة الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه بالكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة الحليم التارك للغضب بالأنبياء والعلماء والحكماء، ويخيّر نفسه بين أن يشبه الكلاب والسباع وأراذل الناس، وبين أن يشبه الأنبياء والعلماء في عادتهم لتميل نفسه إلى حب الإقتداء بهؤلاء إن كان قد بقى معه مسكة من عقل**) أي بقية منه، وذلك لأن الغضب غول العقل لا يدع فيه شيئاً منه فبعيد عليه أن يتصور هذا المعنى في نفسه، وهو أن يظن أنه من أعقل الناس ولكن لا بدّ من التمرين على هذا التصور تكلفاً حتى يستأهل لفهمه.

الخامس: أن يتفكر في السبب الذي يدعوه إلى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ، ولا بدّ أن يكون له سبب مثل قول الشيطان له: إن هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيراً في أعين الناس! فيقول لنفسه: ما أعجبك تأنفين من الاحتمال الآن ولا تأنفين من خزي يوم القيامة والافتضاح إذا أخذ هذا بيدك وانتقم منك؟ وتحذرين من أن تصغري في أعين الناس ولا تحذرين من أن تصغري عند الله والملائكة والنبيين؟ فمهما كظم الغيظ فينبغي أن يكظمه لله وذلك يعظمه عند الله، فما له وللناس وذل من ظلمه يوم القيامة أشد من ذله لو انتقم الآن، أفلا يحب أن يكون هو القائم إذا نودي يوم القيامة ليقم من أجره على الله، فلا يقوم إلا من عفا، فهذا وأمثاله من معارف الايمان ينبغي أن يقرره على قلبه.

السادس: أن يعلم أن غضبه من تعجبه من جريان الشيء على وفق مراد الله لا على وفق مراده، فكيف يقول: مرادي أولى من مراد الله ويوشك أن يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه.

وأما العمل فأن تقول بلسانك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. هكذا أمر رسول الله

(الخامس: أن يتفكر في السبب الذي يدعوه إلى الإنتقام ويمنعه من كظم الغيظ ولا بدّ، وأن يكون له سبب مثل قول الشيطان له أن هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيراً في أعين الناس) فإذا علم من نفسه أن الشيطان قد وسوس له بمثل ذلك **(فليقل لنفسه)** مخاطباً لها: **(ما أعجبك تأنفين من الإحتمال الآن ولا تأنفين من خزي يوم القيامة والافتضاح إذا أخذ هذا بيدك وانتقم منك؟ وتحذرين من أن تصغري في أعين الناس ولا تحذرين من أن تصغري عند الله وعند الملائكة والنبيين)** على رؤوس الأشهاد، **(** فمهما كظم الغيظ فينبغي أن يكظمه لله وذلك **)** الذي **(** يعظمه عند الله فماله وللناس وذل **من ظلمه يوم القيامة أشد من ذله لو انتقم الآن؟ أفلا يحب أن يكون هو القائم إذا نودي يوم القيامة ألا ليقم من أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا)** عن أخيه في مظلمة؟ كما ورد ذلك في الخبر وتقدم ذكره، **(فهذا وأمثاله من معارف الإيمان ينبغي أن يقرره على قلبه)** ويعرضه عليه مراراً حتى يتقرر فيه.

(السادس: أن يعلم أن غضبه من تعجبه من جريان الشيء على وفق مراد الله لا على وفق مراده، فكيف) يتصور له أو يخطر بباله أن **(يقول: مرادي أولى من مراد الله؟ ويوشك أن يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه)** هذا ما يتعلق بالعلم.

(وأما العمل: فأن تقول بلسانك: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أمر رسول الله

ﷺ أن يقال عند الغيظ، وكان رسول الله ﷺ إذا غضبت عائشة أخذ بأنفها وقال: « يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن » فيستحب أن تقول ذلك، فإن لم يزل بذلك فاجلس إن كنت قائماً واضطجع إن كنت جالساً واقرب من الأرض التي منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك، واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فإن سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة، فقد قال رسول الله ﷺ: « إن الغضب جمرة توقد في القلب » ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه، فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئاً فإن كان قائماً فليجلس

ﷺ **أن يقال عند الغيظ)** قال العراقي: متفق عليه من حديث سليمان بن صرد قال: « كنت جالساً مع النبي ﷺ ورجلان يستبان فأحدهما أحمر وجهه وانتفخت أوداجه » الحديث. وفيه: « لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لذهب عنه ما يجد » فقالوا له: إن النبي ﷺ قال: « تعوذ بالله من الشيطان الرجيم » الحديث اهـ.

قلت: لفظ الحديث عندهما قال: استب رجلان عند النبي ﷺ ونحن جلوس عنده وأحدهما يسب صاحبه مغضباً قد احمر وجهه، فقال النبي ﷺ: « إني لأعلم كلمة لو قالها لأذهبتْ عنه ما يجد لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » فقالوا للرجل: أما تسمع ما يقول النبي ﷺ ؟ قال: إني لست بمجنون. وقد رواه كذلك أبو داود والترمذي والنسائي، وفي رواية لهؤلاء الثلاثة من حديث معاذ: « اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم » قال صاحب سلاح المؤمن: وليس لسليمان بن صرد في الصحيحين سوى حديثين: أحدهما هذا. وروى ابن عدي من حديث أبي هريرة: « إذا غضب الرجل فقال أعوذ بالله سكن غضبه » ورواه الطبراني أيضاً في الأوسط والصغير من حديث ابن مسعود بنحوه.

(وكان ﷺ إذا غضبت عائشة) رضي الله عنها **(أخذ بأنفها وقال: « يا عويش)** صغر إسمها للترخم **(قولي اللهم رب النبي محمد أغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من مضلات الفتن »)** رواه ابن السني في اليوم والليلة من حديثها، وقد تقدم في الأذكار والدعوات. **(فيستحب أن يقول ذلك فإن لم يزل بذلك فاجلس إن كنت قائماً، واضطجع إن كنت جالساً، واقرب من الأرض التي منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون، فإن سبب الغضب الحرارة)** الغريبة العارضة على الحرارة الغريزية التي هي غذاء القلب، **(وسبب الحرارة الحركة)** فإذا سكن سكنت الحرارة فقل عملها، **(فقد قال** ﷺ: **« إن الغضب جمرة توقد في القلب ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه)** أي عروق رقبته **(وحمرة عينيه؟ فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئاً فإن كان قائماً فليجلس وإن كان جالساً فليقم »)** قال العراقي رواه الترمذي من حديث أبي سعيد دون قوله « توقد » ورواه بهذه اللفظة البيهقي وقد تقدم اهـ.

وإن كان جالساً فلينم، فإن لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد أو يغتسل فإن النار لا يطفئها إلا الماء، فقد قال ﷺ: « إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء فإنما الغضب من النار » وفي رواية: « إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ » وقال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: « إذا غضبت فاسكت ». وقال أبو هريرة: كان رسول الله ﷺ إذا غضب وهو قائم جلس وإذا

قلت: لفظ الترمذي سيأتي للمصنف قريباً بعد ثلاثة أحاديث، وقد روي من حديث الحسن مرسلاً الغضب جمرة في قلب الإنسان توقد ألا ترى إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فإذا أحس أحدكم من ذلك شيئاً فليجلس ولا يعدونه الغضب » وقد روي ذلك أيضاً من حديث سنان بن سعد عن أنس مرفوعاً والمراد أنه يحبسه في نفسه ولا يعدوه إلى غيره بالأذى بالفعل.

(فإن لم يزل ذلك فتوضأ بالماء البارد واغتسل فإن النار لا يطفئها إلا الماء، فقد قال رسول الله ﷺ: « إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء فإن الغضب من النار » وفي رواية: « إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ ») قال العراقي: رواه أبو داود من حديث عطية السعدي دون قوله: « بالماء البارد » وهو بلفظ الرواية الثانية التي ذكرها المصنف وقد تقدم.

قلت: الحديث في مسند أحمد، وسنن أبي داود من طريق عروة بن محمد بن عطية أنه كلمه رجل فاغضبه فقام فتوضأ فقال: حدثني أبي، عن جدي عطية قال: قال رسول الله ﷺ إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار » الحديث. وليس فيه بالماء مع أن التوضؤ لا يكون إلا بالماء، وأما لفظ البارد فليس في نسخ الكتاب، وقد أورد المصنف ما يدل على الوضوء ولم يورد ما يدل على الاغتسال. وقد روى أبو نعيم في الحلية وابن عساكر من حديث أبي مسلم الخولاني أنه كلم معاوية بشرّ فغضب ثم نزل فاغتسل ثم عاد إلى المنبر، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان من النار والماء يطفىء النار فإذا غضب أحدكم فليغتسل ».

(وقال ابن عباس) رضي الله عنه، **(قال رسول الله ﷺ: « إذا غضبت فاسكت »)** أي عن النطق بغير الذكر المشروع لأن الغضب يصدر عنه من قبيح القول ما يوجب الندم عليه عند سكون سورة الغضب، ولأن الانفعال ما دام موجوداً فنار الغضب تتأجج فإذا سكت أخذت في الخمود. قال العراقي: رواه أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني واللفظ لها والبيهقي في الشعب وفيه ليث ابن أبي سليم اهـ.

قلت: ولفظ أحمد: « إذا غضب أحدكم فليسكت » قالها ثلاثا.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(كان النبي ﷺ إذا غضب وهو قائم جلس وإذا**

غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه. وقال أبو سعيد الخدري: قال النبي ﷺ: «ألا إن الغضب جمرة في قلب ابن آدم ألا ترون إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فمن وجد من ذلك شيئاً فليلصق خده بالأرض». وكأن هذا إشارة إلى السجود وتمكين أعز الأعضاء من أذل المواضع وهو التراب لتستشعر به النفس الذل وتزايل به العزة، والزهو الذي هو سبب الغضب.

وروي أن عمر غضب يوماً فدعا بماء فاستنشق وقال: إن الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب. وقال عروة بن محمد: لما استعملت على اليمن قال لي أبي: أوليت؟ قلت:

غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا وفيه من لم يسم، ولأحمد بإسناد جيد في أثناء حديث فيه، وكان أبو ذر قائماً ثم اضطجع فقيل له: لم جلست ثم اضطجعت؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال لنا: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغيظ وإلا فليضطجع» والمرفوع عند أبي داود وفيه عنده انقطاع سقط منه أبو الأسود اهـ.

قلت: ورواه كذلك البيهقي قال: كان أبو ذر يسقي على حوض فأغضبه رجل فقعد ثم اضطجع فقيل له، فقال قال رسول الله ﷺ فذكره قال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح.

(وقال أبو سعيد الخدري) رضي الله عنه: **(قال النبي ﷺ)** في خطبته: **(«ألا إن الغضب جمرة في قلب ابن آدم ألا ترون إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فمن وجد من ذلك شيئاً فليلصق خدّه بالأرض»)** قال العراقي: رواه الترمذي وقال حسن اهـ.

قلت ورواه كذلك أحمد إلا أنه قال احمرار يعم، وقال: فمن أحس من ذلك شيئاً فليلزق بالأرض.

(وكأن هذا إشارة إلى السجود وتمكين أعز الأعضاء) الذي هو الخد **(من أذل المواضع وهو التراب لتستشعر به النفس الذل وتزايل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب)** والقصد أن يبعد عن هيئة الوثوب والمسارعة للبطش ما أمكن حسماً لمادة المبادرة، وحمل الطيبي وغيره هذا على التواضع والخفض دون السجود أي لأن السجود لا يكون بالخدّ.

(وروي أن عمر) رضي الله عنه **(غضب يوماً فدعا بماء فاستنشق)** به **(وقال: إن الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. **(وقال عروة بن محمد)** بن عطية السعدي عامل عمر بن عبد العزيز على اليمن مقبول مات بعد العشرين روى له أبو داود، وهو الذي روى عن أبيه عن جده: «إذا غضب أحدكم فليتوضأ» وتقدم قريباً: **(لما استعملت على اليمن)** استعمله عمر بن عبد العزيز **(قال لي أبي)** وهو محمد بن عطية بن عروة السعدي تابعي صدوق مات على رأس المائة، روى له أبو داود في السنن، والنسائي في مسند مالك، وقد روى عن أبيه ووهم من زعم أن له صحبة وأبوه صحابي مشهور **(أوليت؟**

نعم. قال: فإذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك وإلى الأرض تحتك ثم عظّم خالقهما. وروي أن أبا ذر قال لرجل: يا ابن الحمراء ـ في خصومة بينهما ـ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «يا أبا ذر بلغني أنك اليوم عيّرت أخاك بأمه» فقال: نعم، فانطلق أبو ذر ليرضي صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «يا أبا ذر ارفع رأسك فانظر ثم اعلم أنك لست بأفضل من أحمر فيها ولا أسود إلا أن تفضله بعمل» ثم قال: «إذا غضبت فإن كنت قائماً فاقعد وإن كنت قاعداً فاتكىء وإن كنت متكئاً فاضطجع». وقال المعتمر بن سليمان: كان رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتد

قلت نعم. قال: فإذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك وإلى الأرض تحتك ثم عظّم خالقهما) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب عن أحمد بن حنبل، أخبرنا ابن المبارك، عن حنظلة بن أبي سفيان قال: قال عروة بن محمد فذكره، وأخرجه ابن المبارك في الزهد.

(وروي أن أبا ذر) الغفاري رضي الله عنه **(قال لرجل: يا ابن الحمراء)** يريد به حمراء العجان يعني ابن المعجنة **(في خصومة)** كانت **(بينهما فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «يا أبا ذر بلغني أنك اليوم عيرت رجلاً بأمه» فقال: نعم، فانطلق أبو ذر يرضي صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «يا أبا ذر أرفع رأسك فانظر ثم اعلم أنك لست بأفضل من أحمر فيها ولا أسود إلا أن تفضله بعمل»)** أي صالح. **(ثم قال: «إذا غضبت فإن كنت قائماً فاقعد وإن كنت قاعداً فاتكىء وإن كنت متكئاً فاضطجع»)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب بإسناد صحيح وستأتي الإشارة إلى هذا الحديث في باب ذم المكر من حديث أبي ذر أيضاً. قال العراقي: ولأحمد أنه ﷺ قال له: «انظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى» ورجاله ثقات. وفي الصحيحين من حديثه كان بيني وبين رجل من إخواني كلام، وكانت أمه أعجمية فعيرته بأمه فشكاني إلى النبي ﷺ فقال: «يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية» اهـ.

قلت: يشير إلى ما رواه البخاري عن سليمان بن حرب، حدثنا شعبة عن واصل الأحدب عن المعرور قال: لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسألته عن ذلك فقال: إني سابيت رجلاً فعيرته بأمه فقال لي النبي ﷺ: «يا أبا ذر أعيرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية» الحديث. هكذا أخرجه في أول الصحيح. وأخرجه في كتاب العتق عن آدم عن شعبة عن واصل، وفي الأدب عن عمرو بن حفص بن غياث عن أبيه، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان والنذور عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن وكيع، عن أحمد بن يونس، عن زهير. وعن أبي بكر عن أبي معاوية عن إسحاق بن يونس عن عيسى بن يونس كلهم عن الأعمش. وعن أبي موسى الزمن وبندار وغندر عن شعبة عن واصل كلاهما عن الوردي. وأخرجه أبو داود بنحوه من طريقين.

(وقال المعتمر بن سليمان) بن طرخان التيمي أبو محمد البصري ثقة مات سنة سبع وثمانين

غضبه فكتب ثلاث صحائف وأعطى كل صحيفة رجلاً وقال للأول: إذا غضبت فأعطني هذه، وقال للثاني: إذا سكن بعض غضبي فأعطني هذه، وقال للثالث: إذا ذهب غضبي فأعطني هذه، فاشتد غضبه يوماً فأعطي الصحيفة الأولى فإذا فيها ما أنت وهذا الغضب أنك لست بإله إنما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضاً، فسكن بعض غضبه، فأعطى الثانية فإذا فيها: ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء، فأعطى الثالثة، فإذا فيها: خذ الناس بحق الله فإنه لا يصلحهم إلا ذلك. أي لا تعطل الحدود. وغضب المهدي على رجل فقال شبيب: لا تغضب لله بأشد من غضبه لنفسه، فقال: خلوا سبيله.

فضيلة كظم الغيظ:

قال الله تعالى: ﴿والكاظمين الغيظ﴾ [آل عمران: ١٣٤] وذكر ذلك في معرض المدح. وقال رسول الله ﷺ: «من كف غضبه كف الله عنه عذابه، ومن اعتذر إلى ربه قبل الله عذره، ومن خزن لسانه ستر الله عورته». وقال ﷺ: «أشدكم من غلب نفسه

وقد جاوز الثمانين، وروى له الجماعة (**كان رجلاً ممن كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه فكتب ثلاث صحائف فأعطى كل صحيفة رجلاً وقال للأول: إذا غضبت فأعطني هذه الصحيفة، وقال الثاني إذا سكن بعض غضبي فأعطني هذه. وقال للثالث: إذا ذهب غضبي فأعطني هذه فاشتد غضبه يوماً فأعطي الصحيفة الأولى فإذا فيها ما أنت وهذا الغضب إنك لست بإله إنما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضاً فسكن بعض غضبه، فأعطي الثانية فإذا فيها ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء، فأعطى الثالث فإذا فيها خذ الناس بحق الله فإنه لا يصلحهم إلا ذلك أي لا تعطل الحدود**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. (**وغضب المهدي**) محمد بن عبدالله العباسي (**على رجل فقال شبيب: لا تغضبن لله بأشد من غضبه لنفسه. فقال: خلوا سبيله**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

فضيلة كظم الغيظ:

(**قال الله تعالى: ﴿والكاظمين الغيظ**) والكظم هو الكف إما بكف النفس أو بالصفح والمعنى المتحملين الغيظ والغيظ الغضب الكامن في القلب، (**وذكر ذلك في معرض المدح**) للمتقين من المؤمنين وتمام الآية: ﴿والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ (**وقال رسول الله ﷺ: «من كف غضبه كف الله عنه عذابه، ومن اعتذر إلى ربه قبل الله عذره، ومن خزن لسانه ستر الله عورته»**) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب من حديث أنس، ورواه كذلك أبو يعلى، وابن شاهين، والخرائطي في مساوىء الأخلاق، والضياء المقدسي في المختارة. وقال

عند الغضب، وأحلمكم من عفا عند القدرة». وقال ﷺ: «**من كظم غيظاً ولو شاء أن** يمضيه لأمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا». وفي رواية: «**ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً**». وقال ابن عمر: قال رسول الله ﷺ: «**ما جرع عبد جرعة أعظم أجراً من جرعة غيظ** كظمها ابتغاء وجه الله تعالى». وقال ابن عباس رضي الله عنهما: **قال** ﷺ: «**إن لجهنم**

العراقي: رواه الطبراني في الأوسط، والبيهقي في الشعب واللفظ له بإسناد ضعيف، ولابن أبي الدنيا من حديث ابن عمر: «من ملك غضبه وقاه الله عذابه» الحديث. وقد تقدم في آفات اللسان اهـ.

قلت: حديث ابن عمر رواه ابن أبي الدنيا في كتابيه الصمت وذم الغضب ولفظه: «من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر إلى ربه قبل الله عذره».

(**وقال** ﷺ: «**أشدكم من غلب نفسه**) أي ملكها وقهرها (**عند الغضب**) بأن لم يمكنها من العمل بغضبه بل يجاهدها على ترك تنفيذه (**وأحلمكم من عفا عند القدرة**») وفي لفظ بعد القدرة أي أثبتكم عقلاً من عفا عمن جنى عليه بعد تمكينه منه. رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب من حديث علي قال: مرَّ النبي ﷺ على قوم يرفعون حجراً فقال: «ما هذا»؟ قالوا حجر الأشداء. فقال ذلك. وسنده ضعيف قال العراقي: وروى البيهقي في الشعب بالشطر الأول من رواية عبد الرحمن بن عجلان مرسلاً بإسناد جيد، وللبزار والطبراني في مكارم الأخلاق واللفظ له من حديث أنس: «أشدكم أملككم لنفسه عند الغضب» وفيه عمران القطان مختلف فيه.

(**وقال رسول الله** ﷺ: «**من كظم غيظاً**) أي رده ومنعه (**ولو شاء أن يمضيه**) أي ينفذه (**أمضاه**) نفذه (**ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا**») رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب من حديث ابن عمر، وفيه مسكين بن أبي سراج تكلم فيه ابن حبان. (**وفي رواية**) «من كتم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه (**ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً**») رواه ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة وفيه من لم يسم ورواه أبو داود من حديث رجل من أبناء أصحاب النبي ﷺ عن أبيه بزيادة: «ومن ترك لبس ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعاً كساه الله حلة الكرامة، ومن زوج لله توجَّه الله بتاج الملك» ورواه بهذه الزيادة أيضاً ابن أبي الدنيا فقال: عن سويد بن وهب عن أبيه. ورواه البغوي في معجم الصحابة عن عبد الجليل الفلطيني عن عمه، وأورده الذهبي في الميزان في ترجمة عبد الجليل وقال: قال البخاري لا يتابع عليه.

(**وقال ابن عمر**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله** ﷺ **ما جرع عبد جرعة أعظم أجراً من جرعة غيظ كظمها**) عبد (**ابتغاء وجه الله عز وجل**») في الأساس كظم القربة ملأها وشد رأسها، وكظم الباب سدّه ومن المجاز كظم الغيظ وعلى الغيظ. قال الطيبي: يريد انه استعارة من كظم القربة، وقوله: «من جرعة غيظ» استعارة أخرى كالترشيح لها شبه جرع غيظه ورده إلى باطنه بتجرع الماء وهي أشد جرعة يتجرعها العبد وأعظمها ثواباً وأرفعها درجة كحبس نفسه عن التشفي قال العراقي: رواه ابن ماجه بإسناد جيد اهـ.

باباً لا يدخله إلا من شفي غيظه بمعصية الله تعالى ». وقال ﷺ : « ما من جرعة أحب إلى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها عبد وما كظمها عبد إلا ملأ الله قلبه إيماناً ». وقال ﷺ : « من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق ويخيره من أي الحور شاء ».

الآثار: قال عمر رضي الله عنه: من اتقى الله لم يشف غيظه، ومن خاف الله لم يفعل ما يشاء، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون. وقال لقمان لابنه: يا بني لا تذهب ماء

قلت: وقال المنذري رواته محتج بهم في الصحيح ولفظه: « ما من جرعة » ورواه أحمد بلفظ: « ما تجرع عبد أفضل منه عند الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله عز وجل ».

(**وقال ابن عباس**) رضي الله عنه (**قال رسول الله ﷺ : « إن لجهنم باباً لا يدخله إلا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى »**) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب وقد تقدم في آفات اللسان. (**وقال ﷺ : « ما من جرعة أحب إلى الله تعالى من جرعة غيظ يكظمها عبد وما كظمها عبد إلا ملأ الله قلبه**) وفي لفظ جوفه (**إيماناً »**) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب من حديث ابن عباس وفيه ضعف، ويتلفق من حديث ابن عمر وحديث الصحابي الذي لم يسم وقد تقدما قاله العراقي.

قلت: ورواه أحمد بلفظ المصنف إلا أنه قال: « ملأ الله جوفه نوراً ». وأما حديث الصحابي الذي لم يسم فعند أبي داود أمنا وإيماناً، وحديث ابن عباس هذا مستقل ودعوى التلفيق فيه نظر، وروى ابن المبارك في الزهد من حديث الحسن مرسلاً: ما من جرعة أحب إلى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها رجل، أو جرعة صبر على مصيبة، وما قطرة أحب إلى الله من قطرة دمع من خشية الله أو قطرة دم إهريق في سبيل الله.

(**وقال ﷺ : « من كظم غيظاً وهو يقدر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق ويخيره من أي الحور شاء »**) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب وفي الصمت من حديث معاذ بن أنس، ورواه كذلك أحمد وأبو داود والترمذي وقال حسن غريب، وابن ماجه والطبراني والبيهقي وقد تقدم في آفات اللسان. ورواه أبو نعيم وابن عساكر بزيادة في آخره « ومن ترك ثوب جمال وهو قادر على لبسه كساه الله رداء الإيمان يوم القيامة، ومن انكح عبداً لله وضع الله على رأسه تاج الملك يوم القيامة ».

الآثار:

(**قال عمر رضي الله عنه: من اتقى الله لم يشف غيظه، ومن خاف الله لم يفعل ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب، والجملة الأولى منه رواها ابن أبي الدنيا في كتاب التقوى مرفوعاً من حديث سهل بن سعد: « من اتقى الله كل

وجهك بالمسألة، ولا تشف غيظك بفضيحتك، واعرف قدرك تنفعك معيشتك. وقال أيوب: حلم ساعة يدفع شراً كثيراً. واجتمع سفيان الثوري وأبو خزيمة اليربوعي والفضيل بن عياض فتذاكروا الزهد فأجمعوا على أن أفضل الأعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الجزع. وقال رجل لعمر رضي الله عنه: والله ما تقضي بالعدل ولا تعطي الجزل فغضب عمر حتى عرف ذلك في وجهه فقال له رجل: يا أمير المؤمنين ألا تسمع أن الله تعالى يقول: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ [الأعراف: ١٩٩] فهذا من الجاهلين. فقال عمر: صدقت، فكأنما كانت ناراً فأطفئت. وقال محمد بن كعب: ثلاث من كنّ فيه استكمل الإيمان بالله، إذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل، وإذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له. وجاء

لسانه ولم يشف غيظه». ورواه كذلك الديلمي وابن النجار وهو في البلدانيات للسلفي وقد تقدم للمصنف **(وقال لقمان لابنه)** وهو يعظه: **(يا بني لا تذهب ماء وجهك بالمسألة، ولا تشف غيظك بفضيحتك، واعرف قدرك تنفعك معيشتك)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. **(وقال أيوب)** بن أبي تيمية السختياني: **(حلم ساعة يدفع شراً كثيراً)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. **(واجتمع سفيان الثوري وأبو خزيمة اليربوعي والفضيل بن عياض)** رحمهم الله تعالى، **(فتذاكروا الزهد فاجتمعوا على أن أفضل الأعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. **(وقال رجل لعمر رضي الله عنه: والله ما تقضي بالعدل وما تعطي الجزل)** أي الكثير **(فغضب عمر حتى عرف)** ذلك **(في وجهه فقال رجل: يا أمير المؤمنين ألم تسمع إن الله تعالى يقول: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين﴾ فهذا من الجاهلين. فقال عمر: صدقت فكأنما كانت ناراً فانطفأت)** أخرجه البخاري في الصحيح من طريق شعيب عن الزهري عن عبيد الله إن ابن عباس قال: قدم عيينة بن حصن فنزل على الحر بن قيس وكان ممن يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجلس عمر فقال عيينة لابن أخيه الحر: يا ابن أخي هل لك وجه عند هذا الأمير تستأذن عليه؟ فإذن له عمر فدخل فقال: يا ابن الخطاب ما تعطينا الجزل وما تحكم بيننا بالعدل؟ فغضب عمر حتى همّ به فقال الحر: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﴿خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين﴾ وإن هذا من الجاهلين قال: فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله انفرد به البخاري وقد تقدم ذكره قريباً.

(وقال محمد بن كعب) القرظي **(ثلاث)** خصال **(من كن فيه)** فقد **(استكمل الإيمان بالله)** تعالى: إحداهن **(إذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل، وإذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب، وقد روي نحوه مرفوعاً من حديث أنس رواه الطبراني في الصغير بلفظ: «ثلاث من أخلاق الإيمان من إذا غضب

رجل إلى سلمان فقال: يا عبدالله أوصني. قال: لا تغضب. قال: لا أقدر. قال: فإن غضبت فأمسك لسانك ويدك.

بيان فضيلة الحلم:

اعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ، لأن كظم الغيظ عبارة عن التحلم أي تكلف الحلم ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من هاج غيظه ويحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة، ولكن إذا تعوّد ذلك مدة صار ذلك اعتياداً فلا يهيج الغيظ، وإن هاج فلا يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطبيعي وهو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوّة الغضب وخضوعها للعقل، ولكن ابتداؤه التحلم وكظم الغيظ تكلفاً. قال ﷺ: «إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحرَّ الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه». وأشار بهذا إلى أن اكتساب الحلم

لم يدخله غضبه في باطل، ومن إذا رضي لم يخرجه رضاه من حق، ومن إذا قدر لم يتعاط ما ليس له. قال الهيثمي: فيه بشر بن الحسين وهو كذاب.

(**وجاء رجل إلى سلمان**) الفارسي رضي الله عنه (**فقال**) له: (**يا أبا عبدالله أوصني! فقال: لا تغضب. قال: لا أقدر قال فإن غضبت فامسك لسانك ويدك**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب من طريق ميمون بن مهران. قال: جاء رجل فذكره وفيه: إن الرجل قال: أمرتني أن لا أغضب وأنه ليغشاني ما لا أملك. قال: فإن غضبت فامسك لسانك ويدك وملك يده ولسانه هو الذي أشار النبي ﷺ بأمره لمن غضب أن يجلس ويضطجع وبأمره أن يسكت.

فضيلة الحلم:

(**اعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ لأن كظم الغيظ عبارة عن التحلم أي تكلف الحلم**) لأن صيغة التفعل في الأكثر للتكلف، (**ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من هاج غيظه**) أي ثار والتهب شراره (**ويحتاج فيه**) أي في دفعه (**إلى مجاهدة شديدة**) ورياضة بليغة، (**ولكن إذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتياداً فلا يهيج الغيظ**) بقوة، (**وإن هاج**) يوماً (**فلا يكون في كظمه تعب**) لخفة وطأته (**وهو الحلم الطبيعي**) ولذا عبر عنه بعضهم بأنه الطمأنينة عند سورة الغضب، ومنهم من قال: هو ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب وفي معناه من قال: هو احتمال الأعلى الأذى من الأدنى أو رفع المؤاخذة عن مستحقها بجناية في حق مستعظم (**وهو دلالة كمال العقل واستيلائه**) أي ملكه وقوته (**وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل**) بحيث لا تثور إلا حيثما يأمر العقل، (**ولكن ابتداؤه التحلم وكظم الغيظ تكلفاً. قال ﷺ: «إنما العلم بالتعلم**) أي إنما تحصيله بطريق الطلب والاكتساب من أهله وأخذه منهم حيث كانوا (**و**) إنما (**الحلم بالتحلم**) أي ببعث النفس وتنشيطها إليه (**ومن يتحر الخير**) أي من يجتهد في تحصيل الخير ويقصده (**يعطه**) أي يعطيه الله تعالى إياه (**ومن يتوق**

....

الشر) أي سن يحفظ نفسه من الوقوع فيه **(يوقه) » أي يحفظه الله تعالى منه . قال العراقي** : رواه الطبراني والدارقطني في العلل من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف انتهى .

قلت : ورواه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية ، والعسكري في الأمثال كلهم من طريق محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني : حدثنا الثوري ، عن عبد الملك بن عمير ، عن رجاء بن حيوة ، عن أبي الدرداء رفعه مثل سياق المصنف بزيادة لم يسكن الدرجات العلا ، ولا أقول لكم الجنة من تكهن أو استقسم أو تطير طيراً يرده من سفر .

قال الحافظ السخاوي : ومحمد بن الحسين كذاب ولكن قد رواه البيهقي في المدخل من طريق هلال عن أبيه عن عبيد الله بن عمرو عن عبد الملك بن عمير به موقوفاً على أبي الدرداء انتهى .

قلت : ورواه بهذا السند أيضاً الطبراني في الأوسط ، والخطيب في رياضة المتعلمين وفي الباب أبو هريرة ، وأنس ، ومعاوية ، وابن مسعود ، وشداد بن أوس .

أما حديث أبي هريرة فقد أخرجه الدارقطني في الإفراد وفي العلل ، والخطيب في التاريخ .

وأما حديث أنس فأخرجه العسكري من طريق محمد بن الصلت : حدثنا عثمان البري عن قتادة عنه مرفوعاً به .

وأما حديث معاوية فأخرجه الطبراني في الكبير ، وابن أبي عاصم في العلم له كلاهما من طريق عتبة بن أبي حكيم عمن حدثه عن معاوية رفعه بلفظ : « يا أيها الناس إنما العلم بالتعلم والفقه بالتفقه ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين وإنما يخشى الله من عباده العلماء » وجزم البخاري بتعليقه فقال : وقال النبي ﷺ : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » وقال : « إنما العلم بالتعلم » مع أن في إسناده من لم يسم لمجيئه من طريق أخرى . وقال الحافظ ابن حجر : إسناد حديث معاوية حسن لأن فيه مبهماً اعتضد بمجيئه من وجه آخر .

وأما حديث ابن مسعود : فقد أخرجه البيهقي في المدخل من طريق علي بن الأقمر والعسكري في الأمثال من طريق أبي الزعراء كلاهما عن أبي الأحوص عنه بلفظ : « إن الرجل لا يولد عالماً وإنما العلم بالتعلم » وقد روي عنه نحوه موقوفاً بسند رجاله موثقون أخرجه البزار في حديث طويل أنه كان يقول : « فعليكم بهذا القرآن فإنه مأدبة الله فمن استطاع منكم أن يأخذ من مأدبة الله فليفعل فإنما العلم بالتعلم » .

وأما حديث شداد بن أوس فأخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث طويل بلفظ : « إن رجلاً قال يا رسول الله ماذا يزيد في العلم ؟ قال التعلم » وفي سنده عمر بن صبيح وهو كذاب ، وقد روي في الباب عن التابعين أخرج العسكري من طريق حماد عن حميد الطويل قال : كان الحسن يقول : إذا لم تكن حليماً فتحلم وإذا لم تكن عالماً فتعلم فقلما تشبه رجل بقوم إلا كان منهم ، ومن طريق زافر عن عمرو بن عامر البجلي قال : قال الحسن : هو والله أحسن منك رداء وإن كان رداؤك حبرة رجل رداه الله الحلم فإن لم يكن حلم لا أبالك فتحلم فإنه من تشبه بقوم لحق بهم .

طريقه التحلم أولاً وتكلفه، كما أن اكتساب العلم طريقه التعلم. وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم، لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم حلمكم» أشار بهذا إلى أن التكبر والتجبر هو الذي يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين. وكان من دعائه ﷺ: «اللهم أغنني بالعلم وزيني بالحلم وأكرمني بالتقوى وجملني بالعافية». وقال أبو هريرة: قال النبي ﷺ: «ابتغوا الرفعة عند الله. قالوا: وما هي يا رسول الله؟ قال: تصل من

(أشار بهذا إلى أن اكتساب الحلم طريقه التحلم أولاً وتكلفه، كما أن اكتساب العلم طريقه التعلم. وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: «اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا)** أي تواضعوا **(لمن تعلمون)** أي لمن يتعلم منكم **(ولمن تعلمون منه)** أي من مشايخكم **(ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم علمكم»)** قال العراقي: رواه ابن السني في رياضة المتعلمين بسند ضعيف انتهى.

قلت: ورواه الطبراني أيضاً في الأوسط، وابن عدي في الكامل بلفظ: «تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار وتواضعوا لمن تعلمون منه» قال الهيثمي: فيه عباد بن كثير وهو متروك الحديث. ورواه أبو نعيم في الحلية من طريق حيوس بن رزق‌الله، عن عبد المنعم بن بشير، عن مالك، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب رفعه: «تعلموا العلم وتعلموا للعلم الوقار» وقال غريب من حديث مالك عن زيد لم نكتبه إلا من حديث حيوس عن عبد المنعم وروى الخطيب في الجامع من حديث أبي هريرة: «تواضعوا لمن تعلمون منه وتواضعوا لمن تعلمون ولا تكونوا جبابرة العلماء».

(أشار بهذا إلى أن التجبر والكبر هو الذي يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين) وإن التواضع والسكون هو الذي يمنع ثوران الغضب ويورث الحلم، **(وكان من دعاء رسول الله ﷺ اللهم اغنني بالعلم)** أي الذي يقرب إلى معرفتك **(وزيني بالحلم)** أي اجعله زينة لي **(واكرمني بالتقوى)** لأكون من أكرم الناس عندك **(وجملني بالعافية»)** وخص سؤال العلم بالأغناء لأنه هو القطب وعليه المدار وليس الغنى إلا فيه، فمن كان عارياً عنه فهو الفقير حقيقة، والحلم بالزينة لأنه أفضل ما يتحلى به الإنسان ولا زينة كزينته، والتقوى بالإكرام لأنها أساس كل خير والسبب لسعادة الدارين، والعافية بالجمال لأنه لا جمال للمرء كجمالها. قال العراقي: لم أقف له على أصل.

قلت: بل رواه ابن النجار في التاريخ، والرافعي في تاريخ قزوين من حديث ابن عمر.

(وقال أبو هريرة رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: «ابتغوا) أي اطلبوا بجد واجتهاد فإن الإبتغاء مختص بالإجتهاد في الطلب قاله الراغب، وقال الحراني افتعال تكلف البغي وهو أشد الطلب **(الرفعة)** أي الشرف والمنزلة **(عند الله)** أي في دار كرامته **(قالوا: وما هي يا رسول**

قطعك وتعطي من حرمك وتحلم عمن جهل عليك ». وقال ﷺ : « خمس من سنن المرسلين: الحياء والحلم والحجامة والسواك والتعطر ». وقال علي كرم الله وجهه، قال النبي ﷺ : « إن الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم وأنه ليكتب جباراً عنيداً وما

الله؟ قال: تصل من قطعك) أي قطع مؤاساتك أو زيارتك فلا تقابله بالقطع **(وتعطي من حرمك)** أي منعك ما هو لك **(وتحلُم)** بضم اللام **(عمن جهل)** أي سفه **(عليك»)** بأن تمسك لسانك ويدك عنه والسفاهة تسمى جهلاً ومنه قول الشاعر:

ألا لا يجهلـــن أحـــد علينـــا فنجهـل فــوق جهــل الجاهلينــا

قال العراقي: رواه الحاكم والبيهقي وقد تقدم.

قلت: ورواه ابن عدي من حديث ابن عمر بدون قوله: « **تصل من قطعك** ».

(وقال ﷺ : « خمس من سنن المرسلين) أي من شأنهم وفعلهم: **(الحياء)** الذي هو خجل الروح عن كل عمل لا يحسن في الملأ الأعلى وذلك لأنه يطهر الروح من أسباب النفس، **(والحلم)** الذي هو سعة الصدر وانشراحه لورود النور عليه، **(والحجامة)** لأن للدم حرارة وقوة وهو غالب على قلوب المرسلين فإذا لم تنقص أضرت، **(والسواك)** لأن الفم طريق الوحي ومحل لنجوى الملك فإهماله تضييع لحرمة الوحي، **(والتعطر»)** أي استعمال العطر لأنه ليس للملائكة حظ مما للبشر إلا الريح الطيب وهم يكثرون مخالطة الرسل فيكون الطيب بمنزلة قراهم. قال العراقي: رواه أبو بكر بن أبي عاصم في المثاني والآحاد، والترمذي الحكيم في نوادر الأصول بسند ضعيف من رواية مليح بن عبدالله الخطمي عن أبيه عن جده، وللترمذي وحسنه من حديث أبي أيوب: أربع فاسقط الحلم والحجامة وزاد النكاح انتهى.

قلت: جد مليح بن عبدالله هو حصين بن عبدالله الخطمي له صحبة، والحديث أيضاً رواه البخاري في التاريخ والبزار في المسند، والبغوي في المعجم، والطبراني في الكبير، وأبو نعيم في المعرفة، والبيهقي في الشعب وقال البيهقي عقب تخريجه: هذا ذكره البخاري في التاريخ عن عبد الرحمن بن أبي فديك، وهو محمد بن إسماعيل عن عمر بن محمد الأسلمي فعمر ينفرد به انتهى.

وعمر قال الذهبي من المجاهيل وكأنه أشار إلى ذلك الحافظ العراقي بقوله بسند ضعيف.

وأما حديث أبي أيوب فأخرجه كذلك أحمد والبيهقي كلهم من طريق مكحول عن أبي السمال عنه ولفظه. « أربع من سنن المرسلين الحياء والتعطر والنكاح والسواك » وقد روى فيه الحناء بالنون بدل الحياء، فيكون على تقدير مضاف أي استعماله، ورجح ابن القيم عن المزي أن صوابه الختان وسقطت النون قال: وهكذا رواه المحاملي عن شيخه الترمذي، وروى العقيلي والبيهقي من حديث ابن عباس: « من سنن المرسلين الحياء والعلم والحجامة والسواك والتعطر وكثرة الأزواج ».

(وقال علي) رضي الله عنه. **(قال النبي ﷺ : « إن الرجل المسلم يدرك بالحلم درجة**

يملك إلا أهل بيته». وقال أبو هريرة: إن رجلاً قال يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئون إليّ ويجهلون عليَّ وأحلم عنهم. قال: «إن كان كما تقول فكأنما تسفهم الملّ ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك» الملّ: يعني به الرمل. وقال رجل من المسلمين: اللهم ليس عندي صدقة أتصدق بها فأيما رجل أصاب من عرضي شيئاً فهو عليه صدقة، فأوحى الله تعالى إلى النبي ﷺ إني قد غفرت له.

الصائم القائم) أي الصائم في شدة الحر والتهجد بالليل **(وأنه ليكتب جباراً عنيداً)** أي بسبب سوء خلقه **(وما يملك إلا أهل بيته»)** قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط بسند ضعيف انتهى.

قلت: ورواه كذلك أبو الشيخ في كتاب الثواب. قال المنذري: وسنده ضعيف، وروى أبو داود وابن حبان والبغوي في شرح السنَّة من حديث عائشة: «إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة القائم الصائم».

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه **(إن رجلاً قال يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيؤن إلي ويجهلون علي)** أي يسفهون **(وأحلم عنهم)** أي أصفح وأتجاوز. **(قال: «لئن كان كما تقول فكأنما تسفهم الملّ)** يقال سف الدواء سفا وأسفه غيره والإسم السفوف بالفتح **(ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك»)** رواه مسلم في الصحيح. **(والملّ: يعني به الرمل)** وقيل: هو رماد الفرن، **(وقال رجل من المسلمين: اللهم ليس عندي صدقة أتصدق بها فأيما رجل أصاب من عرضي شيئاً فهو عليه صدقة، فأوحى الله إلى النبي ﷺ إني قد غفرت له)** قال العراقي: رواه أبو نعيم في الصحابة، والبيهقي في الشعب من رواية عبد المجيد بن أبي عيسى بن جبر عن أبيه عن جده بإسنادلين. زاد البيهقي عن علبة بن زيد، وعلبة هو الذي قال ذلك كما في أثناء الحديث. وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب أنه رواه ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رجلاً من المسلمين ولم يسمه قال: ولعله أبو ضمضم.

قلت: وليس بأبي ضمضم إنما هو علبة بن زيد، وأبو ضمضم ليست له صحبة وإنما هو متقدم انتهى.

قلت: وقد سبق ابن عبد البر في ذلك أحمد والحاكم في الكنى، وأما علبة بن زيد فهو رجل من الصحابة من ولد مالك بن الأوس، وقد ذكره ابن إسحاق في السيرة وابن حبيب في المحبر في البكائين في غزوة تبوك، فأما علبة بن زيد فخرج من الليل وصلى وبكى وقال: اللهم إنك قد أمرت بالجهاد ورغبت فيه ولم تجعل عندي ما أتقوى به مع رسولك وإني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني بها في جسد أو عرض، فذكر الحديث بغير إسناد، وقد ورد موصولاً من حديث مجمع بن حارثة، ومن حديث عمرو بن عوف وأبي عبس بن جبر، ومن حديث علبة بن زيد نفسه كما

وقال ﷺ : « أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم » قالوا : وما أبو ضمضم؟ قال : « رجل ممن كان قبلكم كان إذا أصبح يقول اللهم إني تصدقت اليوم بعرضي على من ظلمني » .

وقيل في قوله تعالى : ﴿ربانيين﴾ [آل عمران : ١٧٩] أي حلماء علماء . وعن الحسن في قوله تعالى : ﴿وإذا خاطبهُم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ [الفرقان : ٦٣] قال : حلماء إن جهل عليهم لم يجهلوا . وقال عطاء بن أبي رباح : ﴿يمشون على الأرض هوناً﴾ [الفرقان :

سنبينه . وروى ابن مردويه ذلك من حديث مجمع بن حارثة ، وروى ابن منده من طريق محمد بن طلحة عن عبد الحميد بن أبي عيسى بن جبر عن أبيه عن جده قال : كان علبة بن زيد بن حارثة رجلاً من أصحاب النبي ﷺ فلما حض على الصدقة جاء كل رجل منهم سطاقته وما عنده ، فقال علبة بن زيد : اللهم إنه ليس عندي ما أتصدق به اللهم إني أتصدق بعرضي على من ناله من خلقك ، فأمر رسول الله ﷺ منادياً فنادى : أين المتصدق بعرضه البارحة فقدم عليه فقال : قد قبلت صدقتك . قال الحافظ : هكذا وقع الإسناد وفيه تغيير ونقص ، وإنما هو عبد الحميد بن محمد ابن أبي عنبس والصحبة لأبي عنبس لا لجبر ، وقد روى الطبراني من طريق محمد بن طلحة بهذا الإسناد حديثاً غير هذا ، وروى البزار من طريق صالح مولى التوأمة عن علبة بن زيد نفسه قال : حث رسول الله ﷺ على الصدقة فذكر الحديث . قال البزار : علبة هذا رجل مشهور من الأنصار ولا يعلم له غير هذا الحديث . وقد روى عمرو بن عوف حديثه هذا أيضاً . قال الحافظ : وأشار إلى ما أسنده ابن أبي الدنيا ، وابن شاهين من طريق كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده نحوه ، وأخرجه الخطيب من طريق أبي قرة الزبيدي في السنن له قال : ذكره ابن جرير عن صالح ابن زيد عن أبي عيسى الحارثي عن ابن عم له يقال له علبة بن زيد أن رسول الله ﷺ أمر الناس بالصدقة فذكره ، لكن قال بعد قوله : ولكني أتصدق بعرضي على من آذاني وشتمني أو لمزني فهو له حلّ فقال له النبي ﷺ : « قد قبلت منك صدقتك » قال الخطيب : كذا في الكتاب عن أبي عيسى الحارثي ، والصواب عن أبي عبس بفتح العين وسكون الموحدة .

(وقال ﷺ : « أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم؟ قالوا : وما أبو ضمضم؟ قال : رجل كان فيمن قبلكم كان إذا أصبح يقول اللهم إني أتصدق بعرضي على من ظلمني ») تقدم الكلام عليه في آفات اللسان ، ولولا التصريح بأنه كان فيمن كان قبلنا لجوّزنا أن يكون علبة بن زيد يكنى أبا ضمضم ، وقد أشرنا آنفاً إلى كلام ابن عبد البر والمناقشة معه في قوله أظنه أبا ضمضم فراجعه .

(وقيل في قوله تعالى : ﴿كونوا ربانيين﴾ أي حلماء علماء) وتقدم في كتاب العلم . **(وعن الحسن)** البصري رحمه الله تعالى **(في قوله تعالى : ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ قال : حلماء إن جهل عليهم لم يجهلوا)** أخرج عبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي

٦٣] أي حلماً. وقال ابن أبي حبيب في قوله عز وجل: ﴿ وكهلاً ﴾ [آل عمران: ٤٦] قال: الكهل منتهى الحلم. وقال مجاهد: ﴿ وإذا مرّوا باللغو مروا كراماً ﴾ [الفرقان: ٧٢] أي: إذا أوذوا صفحوا.

وروي أن ابن مسعود مرّ بلغو معرضاً فقال رسول الله ﷺ: « أصبح ابن مسعود

حاتم، والبيهقي في الشعب عن الحسن قال: يمشون على الأرض هوناً الآية. قال: يمشون حلماء متواضعين لا يجهلون على أحد وإن جهل عليهم لم يجهلوا. وأخرج عبد بن حميد عن الحسن في حديث طويل ذكر فيه فنعتهم الله في القرآن أحسن نعت فقال: ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ﴾ قال: حلماء لا يجهلون على أحد، وإن جهل عليهم حلموا. وقال مجاهد ﴿ سلاماً ﴾ أي سداداً من القول رواه الفريابي، وسعيد بن منصور، وابن جرير. وقال الفضيل بن عياض ﴿ سلاماً ﴾ أي إن جهل عليه حلم وإن أسيء إليه أحسن وإن حرم أعطى وإن قطع وصل أخرجه الخرائطي في مكارم الاخلاق، وعن سعيد بن جبير قال: ﴿ سلاماً ﴾ أي وداً معروفاً أخرجه ابن أبي حاتم.

(**وقال عطاء بن أبي رباح**) رحمه الله تعالى: (﴿ **يمشون على الأرض هوناً** ﴾ **أي حلماً**) **أخرج ابن أبي حاتم عن ابي عمران الجوني قال: (هوناً)** أي حلماً بالعبرانية، وعن ميمون بن مهران قال بالسريانية، وقال ابن عباس (**هوناً**) أي بالطاعة والعقاب والتواضع أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وقال مجاهد (**هوناً**) أي بالوقار والسكينة أخرجه عبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وابن جرير والبيهقي في الشعب، وروي مثله عن الفضيل بن عياض أخرجه الخرائطي في المكارم. وقال ابن عباس: (**هوناً**) أي محلماً حلماً أخرجه ابن أبي حاتم وعن زيد بن أسلم (**هوناً**) لا يشتدون. أخرجه ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وعن قتادة (**هوناً**) أي تواضعاً لعظمته أخرجه ابن أبي حاتم، وعن الحسن (**هوناً**) حلماء متواضعين أخرجه البيهقي في الشعب.

(**وقال ابن أبي حبيب**) هو يزيد بن أبي حبيب أبو رجاء المصري واسم أبيه سويد ثقة فقيه مات سنة ثمان وعشرين روى له الجماعة (**في قوله تعالى: ﴿ وكهلاً ﴾** ومن الصالحين ﴾ (**قال: الكهل منتهى الحلم**) أعلم أن سن الكهولة هو سن الإنحطاط مع بقاء من القوة وهو من الأربعين إلى نحو من ستين سنة، ثم إن الحلم هنا بالضم بمعنى العقل أي سن الكهولة هو الذي ينتهي إليه كمال العقل ثم لا يزيد، والمناسب لسياق المصنف أن يكون بكسر الحاء بمعنى ضبط النفس عند هيجان الغضب أي هذه القوة منتهاها في هذا السن فتأمل، وسيأتي لذلك تحقيق قريباً.

(**وقال مجاهد**) في قوله تعالى (﴿ **وإذا مرّوا باللغو مرّوا كراماً** ﴾ **أي إذا أوذوا صفحوا**) أخرجه الفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في ذم الغضب وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب. (**وروي أن ابن مسعود**) رضي الله عنه (**مر**

وأمسى كريماً » ثم تلا إبراهيم بن ميسرة وهو الراوي قوله تعالى: ﴿وإذا مروا باللغو مرّوا كراماً﴾ وقال النبي ﷺ: « اللهم لايدركني ولا أدركه زمان لا يتبعون فيه العليم، ولا يستحيون فيه من الحليم، قلوبهم قلوب العجم وألسنتهم ألسنة العرب ». وقال ﷺ: « ليلني منكم ذوو الأحلام والنهى، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، وإياكم وهيشات الأسواق ». وروي أنه وفد على النبي ﷺ الأشج فأناخ راحلته

بلغو معرضاً) ولم يقف **(فقال رسول الله ﷺ)**: لقد **(أصبح ابن مسعود أو)** قال **(أمسى كريماً ثم تلا إبراهيم بن ميسرة)** الطائفي نزيل مكة ثبت حافظ مات سنة اثنتين وثلاثين روى له الجماعة **(وهو الراوي)** لهذا الحديث **(قوله تعالى: ﴿وإذا مروا باللغو مرّوا كراماً﴾)** قال العراقي: رواه ابن المبارك في البر والصلة بإسناد منقطع انتهى.

قلت: وكذلك أخرجه ابن أبي حاتم، وابن عساكر كلهم من طريق إبراهيم بن ميسرة قال: بلغني إن ابن مسعود مر بلغو معرضاً ولم يقف فذكره.

(وقال النبي ﷺ: « اللهم لا يدركني ولا أدركه زمان لا يتبعون فيه العليم ولا يستحيون فيه من الحليم قلوبهم قلوب العجم وألسنتهم ألسنة العرب ») قال العراقي: رواه أحمد من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف انتهى.

قلت: وقد روي نحوه من حديث علي رواه الديلمي ولفظه: « **يأتي على الناس زمان لا يتبع فيه** العالم ولا يستحيا فيه من الحليم ولا يوقر فيه الكبير ولا يرحم فيه الصغير يقتل بعضهم بعضاً قلوبهم قلوب الأعاجم وألسنتهم ألسنة العرب لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً يمشي الصالح منهم مستخفياً أولئك شرار خلق الله لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ».

(وقال ﷺ: « ليلني) بكسر اللامين وخفة النون من غير ياء قبل النون وبإثباتها مع شدة النون على التأكيد هكذا ضبطه النووي بالوجهين. وقال الطيبي: حق هذا اللفظ إن تحذف منه الياء لأنه على صيغة الأمر، وقد وجد بإثبات الياء وسكونها في سائر كتب الحديث، والظاهر أنه غلط **(منكم)** أي ليدنون مني منكم يا أصحابي **(ذوو الأحلام)** وفي لفظ أولو الأحلام أي العقول **(والنهى)** جمع نهية بالضم وهي العقل الناهي عن القبائح هكذا فسره غير واحد وفيه لزوم التكرار من غير ضرورة داعية، والأولى أن يفسر ذوو الأحلام بالبالغين والحلم بالضم ما يراه النائم وقد غلب استعماله فيما يراه من دلالة البلوغ فدلالته على البلوغ التزامية، **(ثم الذين يلونهم)** أي يقربون منهم في الوصف كالمراهقين، **(ثم الذين يلونهم)** كالصبيان المميزين **(ولا تختلفوا فتختلف)** بالنصب **(قلوبكم)** أي تراصوا في الصفوف وليقرب بعضكم بعضاً ولا يختلف فإن الاختلاف الظاهر يورث اختلاف الباطن، **(وإياكم وهيشات الأسواق »)** جمع هيشة وهي الفتنة والإضطراب أي مختلطات الأسواق وجماعاتها، والمعنى: لا تكونوا مختلطين إختلاط أهل الأسواق فلا يتميز الذكور من الأناث، ولا الصبيان من البالغين، والظاهر من سياق المصنف لهذا الحديث

ثم عقلها وطرح عنه ثوبين كانا عليه وأخرج من العيبة ثوبين حسنين فلبسهما. وذلك بعين رسول الله ﷺ يرى ما يصنع، ثم أقبل يمشي إلى رسول الله ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام: «إن فيك يا أشج خلقين يحبهما الله ورسوله» قال: ما هما بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ قال: «الحلم والأناة» فقال: خلتان تخلقتهما أو خُلقان جبلت عليهما؟ فقال: «بل خلقان جبلك الله عليهما». فقال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله

هنا أن المراد بالأحلام جمع الحلم بالكسر أي أصحاب هذه الصفة أي أهل الوقار والسكينة وهم أشراف الصحابة وسابقوهم، ويدل على ذلك حديث ابن مسعود عند الحاكم: «ليلني منكم الذين يأخذون عني» يعني الصلاة أي لشرفهم ومزيد فضلهم وعلى هذا فلا يكون في الحديث تكرار. قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي مسعود دون قوله: ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم فهي عند أبي داود والترمذي وحسنه، وهي عند مسلم في حديث آخر لأبي مسعود اهـ.

قلت: وكذلك رواه عبد الرزاق والنسائي وابن ماجه والحاكم وقال: هو على شرط البخاري وقال الترمذي في العلل: سألت البخاري عن هذا الحديث فقال: أرجو أن يكون محفوظاً، ورواه أحمد وابن حبان والطبراني والنسائي من حديث ابن مسعود.

(**وروي أنه وفد إلى النبي ﷺ الأشج**) العبدي ويقال له أشج عبد القيس،وأشج بني عصر مشهور بلقبه واسمه المنذر بن عابد بن الحرث. قال الواقدي: كان قدوم الأشج ومن معه سنة عشر من الهجرة وقيل سنة ثمان قبل فتح مكة، (**فأناخ راحلته ثم عقلها**) أي حبسها بعقال، (**ثم طرح عنه ثوبين كانا عليه، وأخرج من العيبة**) وهي شبه الخرج (**ثوبين حسنين أبيضين فلبسهما، وذلك بعين رسول الله ﷺ ما يصنع**) أي بمرأى منه، وكان قد تخلف عن أصحابه وهو أصغرهم سناً وهم أقبلوا بثياب سفرهم، فقابلوا النبي ﷺ، (**ثم أقبل يمشي إلى رسول الله ﷺ**) فقبّل يده (**فقال ﷺ: «يا أشج**) ناداه بلقبه المشهور به (**إن فيك خلقين**) بضمتين وفي رواية لخصلتين مثنى خصله (**يحبهما الله ورسوله». فقال: ماهما بأبي أنت وأمي؟ فقال: «الحلم**) بالكسر أي العقل (**والإناة**) بالكسر أي التثبت وعدم العجلة (**فقال**) يا رسول الله: (**خلقان تخلقتهما**) أي تكلفتها (**أو خلقان جبلتها**) أي جبلني الله عليهما؟ (**قال: «بل خلقان جبلك الله عليهما». فقال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله**) وهذا لا يناقضه النهي عن مدح المؤمن في وجهه فإن ما كان من النبوة فهو وحي والوحي لا يجوز كتمه أو أنه ﷺ علم من حاله أنه لا يلحقه به الإعجاب، فأخبره بذلك ليزداد لزوماً ويشكر الله على ما منحه. قال العراقي: متفق عليه.

قلت: ورواه مسلم في الإيمان والترمذي في البر من حديث ابن عباس، ورواه أحمد من حديث الوازع. ورواه ابن ماجه من حديث أبي سعيد إلا أنه قال: التؤدة بدل الإتاءة وهي بمعناها.

ورسوله. وقال ﷺ . « إن الله يحب الحليم الحيي الغني المتعفف أبا العيال التقي، ويبغض الفاحش البذي، السائل الملحف الغبي » . وقال ابن عباس: قال النبي ﷺ : « ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تعتدوا بشيء من عمله: تقوى تحجزه عن معاصي الله عز وجل، وحلم يكف به السفيه، وخلق يعيش به في الناس » . وقال رسول الله ﷺ : « إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد أين أهل الفضل ؟ فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعاً إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون لهم: إنا نراكم سراعاً إلى الجنة.

(**وقال ﷺ : « إن الله يحب الحليم**) أي صاحب الحلم (**الحيي**) أي الكثير الحياء (**الغني**) عن الناس لقلة حاجته إليهم (**المتعفف**) عن السؤال لهم (**ويبغض الفاحش البذيء**) خبيث اللسان يتكلم بالهذر من القول (**السائل الملحف »**) أي الملح. قال العراقي: رواه الطبراني من حديث فاطمة بسند ضعيف دون قوله الغني، ولمسلم من حديث سعد: إن الله يحب العبد التقي الحفي اهـ.

قلت: روى أحمد ومسلم من حديث سعد بن أبي وقاص: إن الله يحب العبد التقي الغني الحفي » وروي ابن ماجه من حديث عمران: « إن الله يحب عبده المؤمن الغني المتعفف » وروى أحمد من حديث أسامة بن زيد: « إن الله يبغض الفاحش المتفحش » وروى أبو نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة: « إن الله يبغض السائل الملحف » .

(**وقال ابن عباس**) رضي الله عنهما: (**قال رسول الله ﷺ : « ثلاث**) خصال (**من لم تكن فيه**) خصلة واحدة منهن (**فلا تعتدن**) أي لا تعتبرن (**بشيء من عمله: تقوى**) أي كف عن المحارم والشبهات (**تحجزه عن معاصي الله**) ومحارمه، (**وحلم يكف به أذى السفيه**) فلا يرد عليه بمثل صنعه بل بالعفو والصفح واحتمال الأذى ونحو ذلك (**وخلق**) بضم اللام (**يعيش به في الناس »**) بأن تكون عنده ملكة يقتدر بها على مداراتهم ومسالمتهم ليسلم من شرهم. قال العراقي: رواه أبو نعيم في كتاب الإيجاز بإسناد ضعيف، والطبراني من حديث أم سلمة بإسناد لين، وقد تقدم في آداب الصحبة.

قلت: ورواه البزار من حديث أنس بلفظ: « ثلاث من كن فيه فقد استوجب الثواب واستكمل الإيمان: خلق يعيش به في الناس، وورع يحجزه عن محارم الله تعالى، وحلم يرده عن جهل الجاهل » وفيه عبدالله بن سليمان تكلم فيه، وأخرجه البيهقي من حديث الحسن مرسلاً بلفظ: « ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن كان الكلب خيراً منه: ورع يحجزه عن محارم الله عز وجل، أو حلم يرد به جهل جاهل، أو حسن خلق يعيش به في الناس » .

(**وقال ﷺ : « إذا اجتمع الخلائق يوم القيامة**) وفي نسخة: إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة (**نادى مناد**) من بطنان العرش: (**أين أهل الفضل؟ فيقوم ناس وهم يسير**) أي قليل (**فينطلقون سراعاً إلى الجنة**) أي مسرعين إليها (**فتتلقاهم الملائكة فيقولون**) لهم: (**إنا**

فيقولون: نحن أهل الفضل. فيقولون لهم: ما كان فضلكم؟ فيقولون: كنا إذا ظلمنا صبرنا وإذا أسيء إلينا عفونا وإذا جهل علينا حلمنا. فيقال لهم: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين».

الآثار: قال عمر رضي الله عنه: تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم. وقال علي رضي الله عنه: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك، وأن لا تباهي الناس بعبادة الله، وإذا أحسنت حمدت الله تعالى، وإذا أسأت استغفرت الله تعالى. وقال الحسن: اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم. وقال اكثم بن صيفي: دعامة العقل الحلم وجماع الأمر الصبر. وقال أبو الدرداء: أدركت الناس ورقاً لا

نراكم سراعاً إلى الجنة) أي فما السبب في ذلك؟ **(فيقولون: نحن أهل الفضل. فيقولون: ما كان فضلكم؟ فيقولون: كنا إذا ظلمنا)** أي ظلمنا غيرنا **(صبرنا)** على ظلمهم، **(وإذا أسيء إلينا غفرنا)** أي صفحنا عن إساءتهم، **(وإذا جهل علينا حلمنا)** أي قابلنا جهلهم بالحلم. **(فيقال لهم: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين»)** قال العراقي: رواه البيهقي في الشعب من رواية عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده. قال البيهقي: في إسناده ضعف.

الآثار:

(قال عمر رضي الله عنه: تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب، ورواه أبو نعيم في الحلية من حديثه مرفوعاً، وقد ذكر في أول هذا الباب، وقدروي بنحوه مرفوعاً من حديث أبي الدرداء، وقد تقدم أيضاً قريباً. **(وقال علي رضي الله عنه: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك، وأن لا تباهي الناس بعبادة الله تعالى، وإذا أحسنت حمدت الله وإذا أسأت استغفرت الله)**. أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب، وأخرجه أبو نعيم في الحلية من قول أبي الدرداء فقال: حدثنا عبدالله بن محمد، حدثنا محمد بن أبي سهل بن عبدالله بن محمد العبسي، حدثنا أبو أسامة عن خالد بن دينار، عن معاوية بن قرة قال: قال أبو الدرداء: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك فساقه إلا أنه قال وأن تباري بدل تباهي، **(وقال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى: **(اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم)**. أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب، وأبو نعيم في الحلية، وقد روي بنحوه من حديث أبي الدرداء مرفوعاً وقد تقدم قريباً. **(وقال اكثم بن صيفي)** بن رياح بن الحرث بن مخاش بن معاوية بن شريق بن جردة بن أسيد بن عمرو بن تميم التميمي الحكيم المشهور ذكره ابن السكن في الصحابة، والصحيح أنه لم يلق النبي ﷺ بل مات قبل وصوله إليه عطشاً وأنه أسلم، وأوصى جماعة بالإسلام وكان من المعمرين عاش مائتين وسبعين سنة، ويقال مائة وتسعين وأبوه صيفي أيضاً من المعمرين، وكانت له حكمة وبلاغة، فمن جملة حكمه قوله: **(دعامة العقل وجماع الأمر الصبر)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. والدعامة: ما يدعم به الحائط إذا مال أي يسنده

شوك فيه فأصبحوا شوكاً لا ورق فيه إن عرفتهم نقدوك وإن تركتهم لم يتركوك. قالوا: كيف نصنع؟ قال: تقرضهم من عرضك ليوم فقرك. وقال علي رضي الله عنه: إن أوّل ما عوّض الحليم من حلمه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل. وقال معاوية رحمه الله تعالى: لا يبلغ العبد مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته، ولا يبلغ ذلك إلا بقوّة العلم. وقال معاوية لعمرو بن الأهتم: أي الرجال أشجع، قال: من رد جهله بحلمه. قال: أي الرجال أسخى؟ قال: من بذل دنياه لصلاح دينه. وقال أنس بن مالك في قوله تعالى: ﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليّ حميم﴾ إلى قوله: ﴿عظيم﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥] هو الرجل يشتمه أخوه فيقول: إن كنت كاذباً فغفر الله لك،

يمنعه من السقوط، ومنه قيل للسيد في القوم هو دعامة قومه، كما يقال هو عمادهم فجعل الحلم دعامة للعقل يكون سبباً لاستقامته وعدم زلته. **(وقال أبو الدرداء)** رضي الله عنه: **(أدركت الناس ورقاً لا شواك فيه)** أي نفع كله **(وأصبحوا الآن شوكاً لا ورق فيه)** أي شر كله **(إن عرفتهم نقدوك)** كما ينقد الدرهم والدينار، **(وإن تركتهم لم يتركوك. قالوا: كيف نصنع؟ قال: تقرضهم من عرضك ليوم فقرك)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا عبدالله بن محمد، حدثنا محمد بن شبل، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا محمد بن قيس، حدثنا مسعر، عن عوف بن عبدالله، عن أبي الدرداء قال: من يتفقد ينقد ومن لا يعد الصبر لفواجع الأمور يعجز إن قارضت الناس قارضوك وإن تركتهم لم يتركوك فقال: فما تأمرني؟ قال: اقرض من عرضك ليوم فقرك.

(وقال علي رضي الله عنه: إن أول ما عوّض الحليم من حلمه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. **(وقال معاوية رحمه الله تعالى: لا يبلغ العبد مبلغ الرأي حتى يبلغ حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. **(وقال معاوية)** رحمه الله تعالى **(لعمرو بن الأهتم)** بن سمي بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس بن عمرو بن كعب بن زيد مناة بن تميم التميمي المنقري كنيته أبو نعيم، ويقال أبو ربعي له صحبة، وكان خطيباً جيلاً بليغاً شاعراً شريفاً في قومه، وكان يقال لشعره الحلل المنتشرة وهو عم شيبة بن سعد بن الأهتم، والمرفل بن خاقان بن الأهتم، وخالد بن صفوان بن عبدالله بن الأهتم، وكلهم من البلغاء المشهورين **(أي الرجال اشجع؟ قال: من ردّ جهله بحلمه قال: أي الرجال أسخى؟ قال: من بذل دنياه لصلاح دينه)**. أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. **(وقال أنس بن مالك)** رضي الله عنه **(في قوله تعالى: ﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة﴾ إلى قوله: ﴿عظيم﴾)** وتمام الآية ﴿كأنه ولي حميم★ وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ **(هو الرجل يشتمه أخوه فيقول: إن كنت كاذباً فغفر الله لك، وإن كنت**

وإن كنت صادقاً فغفر الله لي. وقال بعضهم: شتمت فلاناً من أهل البصرة فحلم علي فاستعبدني بها زماناً. وقال معاوية لعرابة بن أوس: بم سدت قومك يا عرابة؟ قال: يا أمير المؤمنين كنت أحلم عن جاهلهم وأعطي سائلهم وأسعى في حوائجهم. فمن فعل فعلي فهو مثلي، ومن جاوزني فهو أفضل مني، ومن قصر عني فأنا خير منه. وسبّ رجل ابن عباس رضي الله عنهما فلما فرغ قال: يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها؟ فنكس الرجل رأسه واستحى. وقال رجل لعمر بن عبد العزيز: اشهد أنك من الفاسقين، فقال: ليس تقبل شهادتك. وعن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم أنه سبه رجل فرمى إليه بخميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم، فقال بعضهم: جمع له خمس خصال محمودة: الحلم، وإسقاط الأذى، وتخليص الرجل مما يبعده من الله عز وجل، وحمله على الندم والتوبة ورجوعه إلى المدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير. وقال رجل

صادقاً فغفر الله لي) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب، **(وقال بعضهم: شتمت فلاناً)** لرجل سماه **(من أهل البصرة فحلم عني)** أي صفح عني ولم يجازني السيئة **(فاستعبدني بها زماناً)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. **(وقال معاوية)** رحمه الله تعالى **(لعرابة بن أوس)** بن قيظي بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة بن الحارث الأوسي الحارثيُ. قال ابن حبان: له صحبة قال ابن سعد: كان مشهوراً بالجود وله أخبار مع معاوية، وفيه يقول الشماخ:

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

الأبيات: **(بم سدت قومك يا عرابة؟ قال: يا أمير المؤمنين كنت أحلم عن جاهلهم وأعطي سائلهم وأسعى في حوائجهم فمن فعل مثل فعلي فهو مثلي، ومن جاوزني فهو أفضل مني، ومن قصر عني فأنا خير منه)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب **(وسب رجل)** عبدالله **(بن عباس)** رضي الله عنه، **(فلما فرغ)** الرجل من سبه **(قال: يا عكرمة)** هو مولاه **(هل للرجل حاجة فنقضيها له؟ فنكس الرجل رأسه واستحيا)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. **(وقال رجل لعمر بن عبد العزيز)** رحمه الله تعالى: **(أشهد أنك رجل من الفاسقين. فقال: ليس تقبل شهادتك)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب، وأبو نعيم في الحلية. **(وعن علي بن الحسين بن علي)** بن أبي طالب رضي الله عنهم **(أنه سبه رجل فرمى إليه خميصة)** وهي كساء أسود مربع **(كانت عليه، وأمر له بألف درهم)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب وأبو نعيم في الحلية. **(وقال بعضهم: من جمع له خمس خصال محمودة الحلم)** أي الصفح والعفو **(وإسقاط الأذى)** أي ترك ما يؤذي به إخوانه **(وتخليص الرجل مما يبعده عن الله عز وجل وجهله على الندم والتوبة ورجوعه إلى المدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشيء يسير)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. **(قال رجل لجعفر بن محمد)** بن علي بن

لجعفر بن محمد: إنه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في أمر وإني أريد أن أتركه فأخشى أن يقال لي إن تركك له ذل، فقال جعفر: إنما الذليل الظالم. وقال الخليل بن أحمد: كان يقال من أساء فاحسن إليه فقد جعل له حاجز من قلبه يردعه عن مثل إساءته. وقال الأحنف بن قيس: لست بحليم ولكنني أتحلم. وقال وهب بن منبه: من يرحم يُرحم، ومن يصمت يسلم ومن يجهل يغلب، ومن يعجل يخطىء، ومن يحرص على الشر لا يسلم، ومن لا يدع المراء يشتم، ومن لا يكره الشر يأثم، ومن يكره الشر يعصم، ومن يتبع وصية الله يحفظ، ومن يحذر الله يأمن، ومن يتول الله يمنع، ومن لا يسأل الله يفتقر، ومن يأمن مكر الله يخذل، ومن يستعن بالله يظفر. وقال رجل لمالك بن دينار: بلغني أنك ذكرتني بسوء، قال: أنت إذا أكرم علي من نفسي إني إذا فعلت ذلك أهديت لك حسناتي. وقال بعض العلماء: الحلم أرفع من العقل لأن الله تعالى تسمى به. وقال رجل لبعض الحكماء: والله لأسبنك سباً يدخل معك في قبرك. فقال: معك يدخل لا معي. ومرّ

الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم: (**إنه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في أمر واحد أريد أن أتركه فأخشى أن يقال إن تركك له ذل، فقال جعفر: إنما الذليل الظالم**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. (**وقال الخليل بن أحمد**) الفراهيدي إمام أئمة النحو (**كان يقال من أساء فأحسن إليه جعل له حاجز من قلبه يردعه عن مثل إساءته**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. (**وقال الأحنف بن قيس**) بن معاوية بن حصين التميمي تابعي ثقة: (**لست بحليم ولكن أتحلم**) أخرجه المزني في التهذيب عن الحسن لكن قال: أتحالم بدل أتحلم. (**وقال وهب بن منبه**) رحمه الله تعالى: (**من يرحم يرحم، ومن يصمت**) أي يسكت في كثير من الأمور (**يسلم عن الوبال، ومن يجهل**) أي يسفه على غيره (**يغلب**) أي يصير مغلوباً لا يعينه أحد، (**ومن يعجل**) في الأمور (**يخطىء**) أي يقع في الخطأ (**ومن يحرص على الشر لا يسلم**) من الآفات، (**ومن لا يدع**) أي لا يترك (**المراء**) أي المخاصمة مع الناس (**يشتم، ومن لا يكره الشتم يأثم**) وفي بعض النسخ الشر بدل الشتم، (**ومن يكره الشر يعصم**) من الوقوع فيه، (**ومن يتبع وصية الله يحفظ**) من الهلاك، (**ومن يحذر الله يأمن**) من العقاب، (**ومن يتول الله يمنع**) جانبه، (**ومن لا يسأل الله يفتقر، ومن يأمن مكر الله يخذل، ومن يستعن بالله يظفر**) بمراده أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. (**وقال رجل لمالك بن دينار**) أي يحيى البصري العابد: (**بلغني إنك ذكرتني بسوء. قال: أنت إذاً أكرم عليَّ من نفسي إذا فعلت ذلك أهديت لك حسناتي**) أخرجه أبو نعيم في الحلية. (**وقال بعض العلماء: الحلم أرفع**) رتبة (**من العقل لأن الله تعالى تسمى به**) فإن من أسمائه الحليم ولا يسمى بالعاقل ولا يجوز إطلاقه عليه. (**وقال رجل لبعض الحكماء: والله لأسبنك سباً يدخل معك في قبرك. قال: معك يدخل لا معي**) أخرجه ابن أبي

المسيح بن مريم عليه الصلاة والسلام بقوم من اليهود فقالوا له شراً، فقال لهم خيراً. فقيل له: إنهم يقولون شراً وأنت تقول خيراً؟ فقال: كلّ ينفق مما عنده. وقال لقمان: ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة: لا يعرف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا عند الحرب، ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه. ودخل على بعض الحكماء صديق له فقدم إليه طعاماً فخرجت امرأة الحكيم ـ وكانت سيئة الخلق ـ فرفعت المائدة وأقبلت على شتم الحكيم، فخرج الصديق مغضباً فتبعه الحكيم وقال له: تذكر يوم كنا في منزلك نطعم فسقطت دجاجة على المائدة فأفسدت ما عليها فلم يغضب أحد منا؟ قال: نعم. قال: فاحسب أن هذه مثل تلك الدجاجة. فسرى عن الرجل غضبه وانصرف وقال: صدق الحكيم الحلم شفاء من كل ألم. وضرب رجل قدم حكيم فأوجعه فلم يغضب فقيل له في ذلك فقال: أقمته مقام حجر تعثرت به فذبحت الغضب. وقال محمود الوراق.

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب ... وإن كثرت منه عليّ الجرائمُ
وما الناس إلا واحد من ثلاثة ... شريف ومشروف ومثل مقاومُ

الدنيا في ذم الغضب. (**ومر المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بقوم من اليهود فقالوا له شراً. فقال لهم خيراً فقيل له إنهم يقولون شراً وأنت تقول خيراً؟ فقال: كل واحد منا ينفق مما عنده**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب، ومن هنا قولهم: كل إناء بما فيه يطفح أو ينضح أو يرشح. (**وقال لقمان**) الحكيم لابنه: يلا بني (**ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة: لا يعرف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا عند الحرب، ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه**) أخرجه القالي في أماليه عن العتبي قال: بلغني أن لقمان كان يقول فذكره. (**ودخل على بعض الحكماء صديق له فقدم إليه طعاماً فخرجت امرأة الحكيم وكانت سيئة الخلق فرفعت المائدة وأقبلت على شتم الحكيم فخرج الصديق مغضباً فتبعه الحكيم وقال له: تذكر يوم كنا في منزلك نطعم فسقطت دجاجة على المائدة فأفسدت ما عليها فلم يغضب أحد منا. قال: نعم. قال: فأحسب أن هذه**) المرأة (**مثل تلك الدجاجة فسرى عن الرجل غضبه**) أي كشف عنه وسكن (**وانصرف. وقال: صدق الحكيم العلم شفاء من كل ألم**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب، (**وضرب رجل قدم حكيم فأوجعه فلم يغضب فقيل له في ذلك فقال: أقمته مقام حجر تعثرت به وذبحت الغضب**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب (**وقال محمود الوراق**) رحمه الله تعالى:

(**سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب ... وإن كثرت منه عليّ الجرائم**)
(**وما الناس إلا واحد من ثلاثة ... شريف ومشروف ومثل مقاومُ**)

فأما الذي فوقي فأعرف قدره وأتبع فيه الحق والحق لازمُ
وأما الذي دوني فإن قال صنت عن إجابته عرضي وإن لام لائمُ
وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا تفضلت إن الفضل بالحلم حاكمُ

بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام:

اعلم أن كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابلته بمثله فلا تجوز مقابلة الغيبة بالغيبة، ولا مقابلة التجسس بالتجسس، ولا السب بالسب. وكذلك سائر المعاصي، وإنما القصاص والغرامة على قدر ما ورد الشرع به وقد فصلناه في الفقه. وأما السب فلا يقابل بمثله إذ قال رسول الله ﷺ: «إن امرؤ عيّرك بما فيك فلا تعيره بما فيه» وقال: «المستبان ما قالا فهو على البادىء ما لم يعتد المظلوم» وقال: «المستبان شيطانان يتهاتران» وشتم رجل أبا بكر الصديق رضي الله عنه وهو ساكت، فلما ابتدأ ينتصر منه قام رسول الله ﷺ فقال أبو بكر: إنك كنت ساكتاً لما شتمني فلما تكلمت قمت. قال: «لأن الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم أكن لأجلس في

(فأما الذي فوقي فاعرف قدره واتبع فيه الحق والحق لازمُ)
(وأما الذي دوني فإن قال صنت عن إجابته عرضي وإن لام لائم)
(وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا تفضلت إن الفضل بالفخر حاكم)

بيان القدر الذي يجوز الإنتصار والتشفي به من الكلام:

(اعلم) وفقك الله تعالى **(إن كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابلته بمثله، فلا تجوز مقابلة الغيبة بالغيبة، ولا التجسس بالتجسس، ولا مقابلة السب بالسب، وكذا سائر المعاصي)** حكمها أن لا تقابل بمثلها، **(وإنما القصاص والغرامة على ما ورد الشرع به فصلناه في الفقه)** في الكتب الأربعة البسيط والوسيط والوجيز والخلاصة. **(وأما السب فلا يقابل بمثله. قال رسول الله ﷺ: «إن امرؤ عيرّك بما فيك فلا تعيره بما فيه»)** رواه أحمد من حديث جابر بن سليم أبي جرير الجهيمي وقد تقدم في آفات اللسان. **(وقال)** ﷺ **(«المستبان شيطانان يتهاتران»)** رواه أحمد من حديث عياض بن حمار وقد تقدم، **(وقال)** ﷺ **(«المتسابان ما قالا فهو على البادىء ما لم يعتد المظلوم»)** رواه أحمد ومسلم من حديث أبي هريرة بلفظ حتى يعتدي وتقدم بلفظ ما لم يتعد المظلوم. **(وشتم رجل أبا بكر)** رضي الله عنه في مجلس النبي ﷺ **(وهو ساكت)** لا يتكلم، **(فلما ابتدأ ينتصر منه قام رسول الله ﷺ فقال)** له أبو بكر: **(إنك كنت ساكتاً لما شتمني فلما تكلمت قمت)** هلاّ سبب؟ **(قال)** ﷺ **(«لأن**

مجلس فيه الشيطان». وقال قوم: تجوز المقابلة بما لا كذب فيه، وإنما نهى رسول الله ﷺ عن مقابلة التعيير بمثله نهي تنزيه، والأفضل تركه ولكنه لا يعصى به، والذي يرخص فيه أن تقول: من أنت؟ وهل أنت إلا من بني فلان كما قال سعد لابن مسعود: وهل أنت إلا من بني هذيل؟ وقال ابن مسعود: وهل أنت إلا من بني أمية؟ ومثل قوله: يا أحمق. قال مطرف: كل الناس أحمق فيما بينه وبين ربه إلا ان بعض الناس أقل حماقة من بعض. وقال ابن عمر في حديث طويل: حتى ترى الناس كلهم حمقى في ذات الله تعالى، وكذلك قوله: يا جاهل إذ ما من أحد إلا وفيه جهل فقد آذاه بما ليس بكذب، وكذلك قوله: يا سيء الخلق، يا صفيق الوجه، يا ثلاّباً للأعراض، وكان

الملك كان يجيب عنك) ما دمت ساكتاً **(فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم أكن لأجلس في مجلس فيه الشيطان»)** قال العراقي: رواه أبو داود من حديث أبي هريرة متصلاً ومرسلاً، قال البخاري: المرسل أصح.

(وقال قوم) من أهل العلم: **(تجوز المقابلة بما لا كذب فيه و)** أجابوا عن حديث جابر بن سليم بأن **(نهيه ﷺ عن التعيير بمثله نهي تنزيه)** لا نهي تحريم، **(والأفضل تركه ولكنه)** إذا أتى به **(لا يعصي، والذي يرخص فيه أن يقول من أنت)** أو من تكون أنت، أو ما الذي يقال لك، **(وهل أنت إلا من بني فلان)** ينسبه لقبيلته التي هو منها إلا أن كانت القبيلة مما ينبز باللؤم كباهلة وسلول وهيثم. **(كما قال سعد)** بن أبي وقاص الزهري **(لابن مسعود)** رضي الله عنهما في كلام جرى بينهما: **(وهل أنت إلا من هذيل)** وهو ابن مدركة بن الياس بن مضر **(فقال ابن مسعود: وهل أنت إلا ابن أمية)** تصغير أمة وهي الجارية؟ فقد ذكر ابن قتيبة في المعارف زهرة امرأة ينسب إليها ولدها دون الأب هكذا قال، ولا أعلم أحداً وافقه عليها، وشيوخ النسب متفقون على أنه اسم رجل فإن صحت النسخة ففيه تقوية لقول صاحب المعارف، ووجد في بعض النسخ وهل أنت الأمن بني أمية فيكون إشارة إلى أمه فإنها حمرة بنت سفيان بن أمية بنت عم أبي سفيان بن حرب بن أميةٍ، **(ومثله قوله: يا أحمق. قال مطرف)** بن عبدالله التابعي الثقة **(كل الناس أحمق فيما بينه وبين ربه إلا أن بعض الناس أقل حماقة من بعض)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. **(وقال ابن عمر)** رضي الله عنه **(في حديث طويل)** رفعه إلى النبي ﷺ وفيه: **(حتى ترى الناس كلهم حمقي في ذات الله)** عز وجل وقد تقدم في العلم، **(وكذلك قوله: يـا جـاهل إذ ما من أحد إلا وفيه جهل)** في أمور دينية أو دينيوية، **(فقد آذاه بما ليس بكذب، وكذلك قوله: يا سيء الخلق)** أو يا ضيق الخلق أو **(يا صفيق الوجه)** أي رقيقه أو **(يا ثلاباً للأعراض)** أي وقاعاً فيها، **(وكان ذلك فيه)** موجوداً **(وكذلك قوله: لو كان فيك حياء)** أو شيء من الحياء أو لو كنت تستحي من الله **(ما تكلمت)** بكذا،

ذلك فيه. وكذلك قوله: لو كان فيك حياء لما تكلمت، **وما أحقرك في عيني بما فعلت** وأخزاك الله وانتقم منك.

فأما النميمة والغيبة والكذب وسبّ الوالدين فحرام بالإتفاق لما روي أنه كان بين خالد بن الوليد وسعد كلام، فذكر رجل خالداً عند سعد، **فقال سعد**: مه إن ما بيننا لم يبلغ ديننا. يعني أن يأثم بعضنا في بعض، فلم يسمع السوء فكيف يجوز له أن يقوله؟

والدليل على جواز ما ليس بكذب ولا حرام كالنسبة إلى الزنا والفحش والسب: ما روت عائشة رضي الله عنها أن أزواج النبي ﷺ أرسلن إليه فاطمة، **فجاءت فقالت**: يا رسول الله أرسلني إليك أزواجك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة، والنبي ﷺ نائم، فقال: «يا بنية أتحبين ما أحب» قالت: نعم. قال: «فأحبي هذه» فرجعت إليهن فاخبرتهن بذلك فقلن: ما أغنيت عنا شيئاً، فأرسلن زينب بنت جحش، قالت: وهي التي كانت تساميني في الحب فجاءت فقالت: بنت أبي بكر وبنت أبي بكر، فما زالت تذكرني وأنا ساكتة أنتظر أن يأذن لي رسول الله ﷺ في الجواب فأذن لي فسببتها حتى

(وما أحقرك في عيني بما) عملت أو **(فعلت وجزاك الله)** بما يليق بك أو جزاؤك على الله يا بعيد **(وانتقم منك)** بعدله.

(فأما النميمة والغيبة والكذب وسب الوالدين فحرام بالإتفاق لما روي أنه كان بين خالد بن الوليد) ابن المغيرة أبو سليمان المخزومي **(وسعد)** بن أبي وقاص الزهري رضي الله عنهما **(كلام، فذكر رجل خالداً)** بسوء **(عند سعد فقال سعد: مه)** أي أسكت **(إن ما بيننا لم يبلغ ديننا يعني أن يأثم بعضنا في بعض فلم يسمع السوء، فكيف يجوز أن يقوله)**. أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

(والدليل على جواز ما ليس بكذب ولا حرام كالنسبة إلى الزنا والفحش ما روت عائشة رضي الله عنها: إن أزواج النبي ﷺ أرسلن إليه فاطمة) رضي الله عنها **(فجاءت فقالت: يا رسول الله أرسلني أزواجك يسألنك العدل)** أي التسوية **(في ابنة أبي قحافة)** تعني عائشة بنت أبي بكر نسبتها إلى جدها **(والنبي ﷺ نائم)** أي مضطجع. **(فقال: «يا بنية أتحبين ما أحب»؟ قالت: نعم. قال: «فأحبي هذه»)** يعني عائشة وكان ذلك في بيتها، **(فرجعت إليهن وأخبرتهن بذلك، فقلن: ما أغنيت عنا شيئاً فأرسلن زينب بنت جحش)** أم المؤمنين الأسدية وأمها عمة النبي ﷺ أميمة **(قالت)** عائشة: **(وهي التي كانت تساميني في الحب)** أي تغالبني، **(فجاءت فقالت بنت أبي بكر وبنت أبي بكر فما زالت تذكرني)** وتعدد عليّ **(وأنا ساكتة أنتظر أن يأذن لي رسول الله ﷺ في الجواب)** فأذن لي **(فسببتها**

جف لساني، فقال النبي ﷺ: «كلا إنها ابنة أبي بكر» يعني أنك لا تقاومينها في الكلام قط وقولها: سببتها، ليس المراد به الفحش بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق. وقال النبي ﷺ: «المستبان ما قالا فعلى البادىء منهما حتى يعتدي المظلوم» فأثبت للمظلوم انتصاراً إلى أن يعتدي، فهذا القدر هو الذي أباحه هؤلاء وهو رخصة في الإيذاء جزاء على إيذائه السابق. ولا تبعد الرخصة في هذا القدر ولكن الأفضل تركه فإنه يجره إلى ما وراءه ولا يمكنه الاقتصار على قدر الحق فيه، والسكوت عن أصل الجواب لعله أيسر من الشروع في الجواب والوقوف على حدّ الشرع فيه، ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه في فورة الغضب ولكن يعود سريعاً، ومنهم من يكف نفسه في الابتداء ولكن يحقد على الدوام. والناس في الغضب أربعة: فبعضهم كالحلفاء سريع الوقود سريع الخمود، وبعضهم كالغضاء بطيء الوقود بطيء الخمود، وبعضهم بطيء

حتى جف لساني، فقال النبي ﷺ: «كلا) حرف ردع وزجر **(إنها بنت أبي بكر» يعني أنك لا تقاومينها في الكلام)** والمقاومة في الكلام المغالبة رواه مسلم في الصحيح، **(وقولها)** رضي الله عنها: **(سببتها ليس المراد به الفحش)** في الكلام المنهي عنه، **(بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق)** بدليل أنه بحضرته ﷺ وبأذنه **(وقال النبي ﷺ: «المستبان على ما قالا حتى يعتدي المظلوم»)** رواه أحمد ومسلم من حديث أبي هريرة وتقدم للمصنف في آفات اللسان بلفظ: ما لم يبتدىء المظلوم. **(فأثبت للمظلوم انتصاراً إلى أن يعتدي)** أي يتجاوز عن الحد الشرعي المأذون فيه، **(فهذا القدر هو الذي أباحه هؤلاء)** الذين أجازوا المقابلة **(وهو رخصة في الإيذاء جزاء على إيذائه السابق ولا تبعد الرخصة في هذا القدر، ولكن الأفضل تركه فإنه يجر إلى ما وراء ولا يمكن الإقتصار على مقدار الحق فيه)** فمن حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه، **(والسكوت عن أصل الجواب لعله أيسر من الشروع في الجواب والوقوف على حد الشرع فيه)** فتركه أروح للخاطر، **(ولكن في الناس من لا يقدر على ضبط نفسه في فور الغضب)** وحدته **(ولكن يعود سريعاً)** إلى الرضا، **(ومنهم من يكف نفسه في الإبتداء ولكن يحقد في الدوام)** أي يمسك البغضاء في قلبه، **(والناس في الغضب أربعة: فبعضهم كالحلفاء)** وزان الحمراء نبات معروف الواحدة حلفاة **(سريع الوقود)** لخفته ورخاوته **(سريع الخمود)** أي السكون فيصير كلا شيء، **(وبعضهم كالغضى)** مقصور شجر من أشجار الجبال خشبه من أصلب الخشب، ولهذا يكون في فحمه صلابة **(بطيء الوقود)** لصلابته فلا تؤثر النار فيه سريعاً **(بطيء الخمود)** تبقى ناره مدة لا تنطفىء، ولذلك قال الشاعر:

فسقى الغضى والساكنيه وإن هم ... شبوه بين جوانحي وبأضلعي

الوقود سريع الخمود وهو الأحمد ما لم ينتبه إلى فتور الحمية والغيرة، وبعضهم سريع الوقود بطيء الخمود وهذا هو شرهم. وفي الخبر: «المؤمن سريع الغضب سريع الرضا فهذه بتلك». وقال الشافعي رحمه الله: من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان. وقد قال أبو سعيد الخدري، قال رسول الله ﷺ: «ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات شتى فمنهم بطيء الغضب سريع الفيء، ومنهم سريع الغضب سريع الفيء، فتلك بتلك، ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء، ألا وإن خيرهم البطيء الغضب السريع الفيء وشرهم السريع الغضب البطيء الفيء». ولما كان الغضب يهيج ويؤثر في كل إنسان وجب على السلطان أن لا يعاقب أحداً في حال غضبه، لأنه ربما يتعدى الواجب، ولأنه ربما يكون متغيظاً عليه فيكون متشفياً لغيظه ومريحاً نفسه من ألم الغيظ، فيكون صاحب حظ فيه فينبغي أن يكون انتقامه وانتصاره لله تعالى لا لنفسه. ورأى عمر رضي الله عنه سكران فأراد أن يأخذه ويعزره فشتمه السكران فرجع عمر، فقيل له: يا أمير المؤمنين لما شتمك تركته؟ قال: لأنه أغضبني ولو عزرته. لكان ذلك لغضبي

(**وبعضهم بطيء الوقود سريع الخمود وهو الأحمد ما لم ينته إلى فتور الحمية و**) ضعف (**الغيرة**) الدينية، (**وبعضهم سريع الوقود بطيء الخمود وهذا هو شرهم، وفي الخبر**) عن رسول الله ﷺ: (**«المؤمن سريع الغضب سريع الرضا فهذه بتلك»**) تقدم ذلك.

(**وقال الشافعي رضي الله عنه: من استغضب فلم يغضب فهو حمار، ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان**) أخرجه الأبدي والبيهقي وأبو نعيم كلهم في مناقبة بأسانيدهم (**وقد قال أبو سعيد الخدري**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ: «ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات منهم بطيء الغضب سريع الفيء**) أي الرجوع، (**ومنهم سريع الغضب سريع الفيء فتلك بتلك، ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء ألا وإن خيرهم البطيء الغضب السريع الفيء وشرهم السريع الغضب البطيء الفيء»**) قد تقدم ذلك (**ولما كان الغضب في الحال يهيج ويؤثر في كل إنسان وجب على السلطان أن لا يعاقب أحداً في حال غضبه عليه لأنه ربما يتعدى الواجب**) أي يتجاوز القدر الواجب في معاقبته، (**ولأنه يكون**) في هذه الحالة (**مشفياً غيظه ومريحاً نفسه فيكون صاحب حظ فيه، وينبغي أن يكون انتقامه وانتصاره لله لا لنفسه**) فقد روي أنه (**رأى عمر رضي الله عنه سكراناً فأراد أن يأخذه ويعزره**) تعزيراً شرعياً (**فشتمه السكران**) واستطال بلسانه عليه (**فرجع عمر**) عن أخذه، (**فقيل له: يا أمير المؤمنين لما شتمك تركته! قال: لأنه أغضبني ولو عزرته لكان ذلك لغضبي لنفسي ولم أحب**

لنفسي، ولم أحب أن أضرب مسلماً حمية لنفسي. وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لرجل أغضبه: لولا أنك أغضبتني لعاقبتك.

القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق:

اعلم أن الغضب إذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقداً. ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار عنه وأن يدوم ذلك ويبقى، وقد قال ﷺ: «المؤمن ليس بحقود». فالحقد ثمرة الغضب. والحقد يثمر ثمانية أمور:

الأول: الحسد: وهو أن يحملك الحقد على أن تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة إن أصابها وتسر بمصيبة إن نزلت به، وهذا من فعل المنافقين، وسيأتي ذمه إن شاء الله تعالى.

الثاني: أن يزيد على إضمار الحسد في الباطن، وتشمت بما أصابه من البلاء.

الثالث: أن تهجره وتصارمه وتنقطع عنه وإن طلبك وأقبل عليك.

أن أضرب مسلماً حمية لنفسي) أخرجه الإسماعيلي في مناقب عمر. **(وقال عمر بن عبد العزيز)** رحمه الله تعالى **(لرجل أغضبه: لولا أنك أغضبتني لعاقبتك)** أخرجه أبو نعيم في الحلية.

القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق:

(اعلم) هداك الله **(أن الغضب إذا لزم كظمه)** أي كفه وحبسه **(لعجز عن التشفي)** بالمغضوب عليه **(في الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه)** أي احتبس فصار حقداً **(ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استثقاله والبغضة والنفار منه وأن يدوم ذلك ويبقى)** ولذا قالوا في تعريفه هو الإنطواء على العداوة والبغضاء **(وقد قال ﷺ: «المؤمن ليس بحقود»)** تقدم في كتاب العلم، **(فالحقد ثمرة الغضب)** ونتيجته، **(والحقد يثمر ثمانية أمور)**.

(الأول: الحسد) محركة، **(وهو أن يحملك الحقد على أن تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة أصابها وتسر بمصيبة إن نزلت به وهذا من فعل المنافقين أعني الحسد)** لمخالفة الظاهر فيه الباطن **(وسيأتي ذمه)** قريباً.

(الثاني: أن يزيد على أصحاب الحسد في الباطن فيشمت) أي يفرح **(بما يصيبه من البلاء)**.

(الثالث: أن تهجره وتصارمه وتنقطع عنه وإن طلبك وأقبل عليك) بالملاطفة.

الرابع: وهو دونه أن تعرض عنه استصغارا له.

الخامس: أن تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وإفشاء سر وهتك ستر وغيره.

السادس: أن تحاكيه استهزاء به وسخرية منه.

السابع: إيذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه.

الثامن: أن تمنعه حقه من قضاء دين أو صلة رحم أو رد مظلمة. وكل ذلك حرام.

وأقل درجات الحقد أن تحترز من الآفات الثمانية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد إلى ما تعصي الله به، ولكن تستثقله في الباطن ولا ينتهي قلبك عن بغضه، حتى تمتنع عما كنت تطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله تعالى والمعاونة على المنفعة له، أو بترك الدعاء له والثناء عليه أو التحريض على بره ومؤاساته. فهذا كله مما ينقص درجتك في الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل وإن كان لا يعرّضك لعقاب الله.

ولما حلف أبو بكر رضي الله عنه أن لا ينفق على مسطح ـ وكان قريبه ـ لكونه تكلم في واقعة الإفك نزل قوله تعالى: ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم﴾ [النور: ٢٢] إلى

(**الرابع: وهو دونه أن تعرض عنه استصغاراً له**) أي استحقاراً واستذلالاً.

(**الخامس: أن تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وإفشاء سر وهتك ستر وغيره**).

(**السادس: أن يحاكيه استهزاء به وسخرية منه**).

(**السابع: إيذاؤه بالضرر وما يؤلم بدنه**).

(**الثامن: أن يمنعه حقه من صلة رحم أو قضاء دين أو رد مظلمة وكل ذلك حرام لا يحل إرتكابه وأقل درجات الحقد أن تحترز من الآفات الثمانية المذكورة لا تخرج بسبب الحقد إلى ما تعصي الله به ولكن تستثقله بالباطن ولا تنهي قلبك عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تتطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله والمعاونة على المنفعة أو بترك الدعاء له أو الثناء عليه**) في المجالس (**والتحريض على بره ومؤاساته، فهذا كله مما ينقص درجتك في الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل وإن كان لا يعرضك لعقاب**) أليم. (**ولما حلف أبو بكر**) رضي الله عنه (**أن لا ينفق على مسطح**) بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف (**وكان قريبه**) لأن أم مسطح بنت خالة أبي بكر مطلبية أسلمت قديماً وكان أبو بكر يمونه لأجل قرابته (**لما تكلم في واقعة الإفك**) وخاض معهم في أمر عائشة (**نزل قوله تعالى: ﴿ولا يأتل﴾**) أي لا يحلف (**أولو الفضل منكم**

قوله : ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُم﴾ [النور : ٢٢] ، فقال أبو بكر : نعم نحب ذلك وعاد إلى الإنفاق عليه .

والأولى أن يبقى على ما كان عليه ، فإن أمكنه أن يزيد في الإحسان مجاهدة للنفس وأرغاماً للشيطان فذلك مقام الصديقين وهو من فضائل أعمال المقربين . فللمحقود ثلاثة أحوال عند القدرة .

والسعة) أن يؤتوا أولي القربى﴾ (**إلى قوله: ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ فقال أبو بكر : بل نحب ذلك وعاد إلى الإنفاق عليه)** رواه عبد الرزاق وأحمد والبخاري وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشعب كلهم من حديث عائشة الطويل ، وفيه لما أنزل الله في براءتي قوله : ﴿ إن الذين جاؤوا بالإفك ﴾ العشر الآيات كلها . قال أبو بكر وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال ، فأنزل الله ﴿ولا يأتل أولو الفضل﴾ إلى قوله: ﴿رحيم﴾ قال أبو بكر : بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي فرجع إلى النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبداً . وروى البخاري والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه في هذا الحديث قالت: فحلف أبو بكر أن لا ينفع مسطحاً بنافعة أبداً ، فأنزل الله ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة﴾ يعني أبا بكر ﴿أن يؤتوا أولي القربى والمساكين﴾ يعني مسطحاً إلى قوله: ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾ قال أبو بكر : بلى والله إنا لنحب أن يغفر الله لنا وعادله بما كان يصنع . وروى البخاري وسعيد بن منصور وابن المنذر من حديث رومان قالت: وكان فيمن حدث الحديث رجل كان يجديه أبو بكر ، فحلف أبو بكر أن لا يصله فأنزل الله ﴿ولا يأتل أولو الفضل﴾ الآية وروى ابن مردويه من حديث ابن عباس: وكان أبو بكر يعطي مسطحاً أو يصله ويبره فحلف لا يعطيه فنزل ولا يأتل الآية. وروى الطبراني وابن مردويه من حديث ابن عمر ، فبعث أبو بكر إلى مسطح لاوصلتك بدرهم أبداً ولا عطفت عليك بخير أبداً ، ثم طرده وأخرجه من منزله فنزل القرآن ﴿ولا يأتل﴾ إلى آخر الآية . وروى ابن أبي حاتم والطبراني عن سعيد بن جبير : كان مسطح من المهاجرين الأولين، وكان ابن خالة أبي بكر وكان يتيماً في حجره، فلما حلف أبو بكر أن لا يصله نزلت في أبي بكر ﴿ولا يأتل﴾ أي لا يحلف ﴿أولو الفضل منكم﴾ يعني في الغنى (**والسعة**) يعني في الرزق (**أن يؤتوا أولي القربى**) يعني مسطحاً قرابة أبي بكر وابن خالته (**والمساكين**) يعني مسطحاً كان مسكيناً والمهاجرين في سبيل الله يعني مسطحاً وليعفوا وليصفحوا يعني ليتجاوزوا عن مسطح (**ألا تحبون**) الآية. قال النبي ﷺ : « أما تحب أن يغفر الله لك؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: فاعف واصفح » فقال أبو بكر : قد عفرت وصفحت لا أمنعه معروفاً اليوم . (**فالأولى أن يبقى على ما كان عليه فإن أمكنه أن يزيد في الإحسان**) والصلة (**مجاهدة للنفس وإرغاماً للشيطان فذلك هو مقام الصديقين وهو من فضائل أعمال المقربين فللمحقود ثلاثة أحوال عند القدرة**) .

أحدها: أن يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة ونقصان وهو العدل.

الثاني: أن يحسن إليه بالعفو والصلة، وذلك هو الفضل.

الثالث: أن يظلمه بما لا يستحقه وذلك هو الجور، وهو إختيار الأراذل، والثاني: هو إختيار الصديقين، والأول: هو منتهى درجات الصالحين، ولنذكر الآن فضيلة العفو والإحسان.

فضيلة العفو والإحسان:

اعلم أن معنى العفو أن يستحق حقاً فيسقطه ويبرىء عنه من قصاص أو غرامة، وهو غير الحلم وكظم الغيظ؛ فلذلك أفردناه. قال الله تعالى: ﴿خُذِ العَفْوَ وأْمُرْ بالعُرْفِ وأعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وقال الله تعالى: ﴿وأنْ تَعْفُوا أقْرَبُ للتَّقْوَى﴾ [البقرة: ٢٣٧] وقال رسول الله ﷺ: «ثلاث والذي نفسي بيده لو كنت حلافاً لحلفت عليهن ما نقص مال من صدقة فتصدقوا، ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغي

(**إحداها: أن يستوفي حقه الذي يستحقه**) سواء (**من غير زيادة ونقصان وهو العدل**) لما فيه من المساواة.

(**والثاني: أن يحسن إليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل**).

(**والثالث: أن يظلمه بما لا يستحقه**) فيأخذ منه فوق حقه (**وذلك هو الجور وهو اختيار الأراذل**) وهم اللئام من الناس. (**والثاني هو اختيار الصديقين**) ولذلك عفا أبو بكر عن مسطح ووصله بالبر وأحسن إليه بعد العفو، (**والأول هو منتهى درجة الصالحين، ولنذكر الآن فضيلة العفو والإحسان**) وما أعد الله لصاحبها من الثواب والغفران.

فضيلة العفو:

(**اعلم**) هداك الله تعالى (**أن معنى العفوان تستحق حقاً فتسقطه وتبرأ عنه من قصاص أو غرامة**) يقال: غرمت الدية والكفالة إذا أديته بعد ما لزمك غرماً ومغرماً وغرامة (**وهو غير الحلم وكظم الغيظ، فلذلك أفردناه، وقد قال الله تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف﴾ الآية**) وقد تقدم الكلام عليه في آداب الصحبة. (**وقال تعالى: ﴿وأن تعفوا أقرب للتقوى﴾ وقال رسول الله ﷺ: «ثلاث**) خصال (**والذي نفسي بيده إن كنت حالفاً لحلفت عليهن**) أي على حقيقتهن (**ما نقصت صدقة من مال**) كذا في النسخ والمعنى ما نقص مال من صدقة فإنه وإن نقص في الدنيا فنفعه في الآخرة باق فكأنه ما نقص وليس معناه أن المال لا ينقص حساً. قال ابن عبد السلام: ولا أن الله يخلف عليه لأن هذا معنى مستأنف (**فتصدقوا**) ولا تبالوا

بها وجه الله إلا زاده الله بها عزاً يوم القيامة، ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر»، وقال ﷺ: «التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله، والعفو لا يزيد العبد إلا عزاً فاعفوا يعزكم الله، والصدقة لا تزيد المال إلا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله»، وقالت عائشة رضي الله عنها: «ما رأيت رسول الله ﷺ

بالنقص الحسي، **(ولا عفا رجل عن مظلمة)** ظلمها **(فيبتغي بها وجه الله إلا زاده الله بها عزاً يوم القيامة، ولا فتح رجل)** على نفسه **(باب مسألة)** فيسأل الناس ويظهر لهم الفقر والحاجة وهو بخلاف ذلك **(إلا فتح الله عليه باب فقر»)** لم يكن له في حساب بأن يسلط على ما في يده من الأموال فيتلفها حتى يعود فقيراً محتاجاً على حالة أسوأ مما أذاع عن نفسه جزاء على فعله ولا يظلم ربك أحداً. رواه ابن أبي الدنيا هكذا في ذم الغضب من حديث عبد الرحمن بن عوف. وفي رواية له: «ثلاث اقسم عليهن ما نقص مال قط من صدقة فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة ظلمها إلا زاده الله بها عزاً فاعفوا يزدكم الله ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة يسأل الناس إلا فتح الله عليه باب فقر». وقال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي كبشة الأنماري وقال: حسن صحيح، ولمسلم وأبي داود نحوه من حديث أبي هريرة انتهى.

قلت: لفظ حديث أبي كبشة: «ثلاث أقسم عليهن ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عز وجل عزاً ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر». وأحدثكم حديثاً فاحفظوه: إنما الدنيا لأربعة نفر فذكر حديثاً طويلاً، وقد رواه أحمد بطوله في مسنده، وحديث أبي هريرة الذي أشار إليه العراقي لفظه: «ثلاث اعلم أنهن حق ما عفا امرؤ عن مظلمة إلا زاده الله بها عزاً ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة فيبتغي بها كثرة إلا زاده الله بها فقراً وما فتح رجل على نفسه باب صدقة فيبتغي بها وجهه الله تعالى إلا زاده الله كثرة» وقد رواه كذلك البيهقي.

(وقال ﷺ: «التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة) في الدنيا لأنه بالتواضع لهم يعظم في القلوب وترتفع منزلته في النفوس **(فتواضعوا يرفعكم الله)** تعالى في الدنيا بوضع القبول في القلوب وإعظام المنزلة في الصدور وفي الآخرة بتكثير الأجر وإعظام القدر كما ذكره العلائي وغيره فحمله على الدنيا فقط أو على الآخرة فقط في الثلاثة غير سديد **(والعفو لا يزيد العبد إلا عزاً)** لأن من عرف بالعفو ساد وعظم في القلوب فهو على ظاهره أو المراد عزه في الآخرة بكثرة الثواب وترك العقاب **(فاعفوا يعزكم الله)** في الدارين **(والصدقة لا تزيد المال إلا كثرة)** بمعنى أنه يبارك فيه وتندفع عنه المفسدات فينجبر نقص الصورة بذلك **(فتصدقوا يرحمكم الله»)** أي يضاعف عليكم رحمته بإضعافه لكم أجرها. قالوا: وهذا من جوامع الكلم. رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب من حديث محمد بن عمير العبدي. وقال العراقي: رواه أبو الشيخ الأصبهاني في الترغيب والترهيب والديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف.

منتصراً من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك من محارم الله، فإذا انتهك من محارم الله شيء كان أشدهم في ذلك غضباً، وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً »،

(**وقالت عائشة رضي الله عنها: « ما رأيت**) أي ما علمت (**رسول الله ﷺ منتصراً**) أي منتقماً (**من مظلمة**) بفتح اللام والميم ما أخذ أو نيل من معصوم عدواناً سواء كانت في البدن أو العرض أو المال أو الاختصاص (**ظلمها**) المنصوب على الأول مفعول مطلق، وعلى الثاني مفعول به. وظلم يتعدى لمفعولين كما في القاموس خلافاً لمن زعم قصره على واحد فقد ظلم بها (**قط**) وإنما لم ينتقم ﷺ منها مع أن مرتكبها قدباء بإثم عظيم لأنه حق آدمي يسقط بعفوه بخلاف حقوق الله تعالى التي ذكرها بقوله: (**ما لم تنتهك محارم الله تعالى**) أي ترتكب والمحارم جمع محرم أي شيء حرمه الله على عباده.

فإن قلت: مظلمته ﷺ إيذاء له وإيذاؤه كفر وهو حينئذ حق الله تعالى فكيف يسقط بعفوه؟ قلت: لا نسلم أن مطلق إيذائه كفر. ألا ترى فيمن جذب رداءه حتى أثر في عنقه فعفا عنه وأعطاه حمل بعيريه، والحاصل أن إيذاءه لا يصدر إلا من مسلم جاف وهذا له نوع عذر فلم يكفر وعفا عنه، أو من منافق وقد أمر بتحمل أذاهم لئلا ينفر الناس عنه، أو من كافر معاهد فمصلحة تألفه اقتضت عدم مؤاخذته بجريمته أو من حربي وهو غير ملتزم للأحكام.

(**فإذا انتهك من محارم الله شيء كان أشدهم غضباً**) فينتقم لمن ارتكب ذلك لما علمت أنه لا يقبل العفو، ومن المحارم التي ينتقم بها ولا يعفو عنها حق الآدمي إذا همّ في طلبه وفي الحث على العفو والحلم واحتمال الأذى والإنتصار لدين الله تعالى، أنه ليس لكل ذي ولاية التخلق بهذا الخلق الكريم فلا ينتقم لنفسه ولا يهمل حق الله تعالى على أنهم قد أجمعوا أنه لا يجوز للقاضي أن يقضي لنفسه ولا لمن تقبل شهادته له كأبيه وابنه، ولا ينافي هذا الحديث أمره ﷺ بقتل ابن خطل ونحوه ممن كان يؤذيه لأنهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات الله تعالى، أو ان عفوه إنما كان في غير ذنب يكفر به مرتكبه كمن رفع صوته عليه، ومن جذبه بردائه حتى أثر في رقبته بخلاف أولئك فإنهم كفروا بإيذائه فلم يمكنه العفو عنهم، ومن ثم اقتص ﷺ ممن نال من عرضه، (**وما خير**) ﷺ (**بين أمرين إلا أختار أيسرهما**) إما بأن يخيره الله تعالى فيما فيه عقوبتان فيختار الأخف، أو في قتال الكفار وأخذ الجزية فيختار أخذها، أو في حق أمته في المجاهدة في العبادة والإقتصاد فيختار الإقتصاد، وإما بأن يخيره المنافقون أو الكفار، فعلى هذا يتصور قوله: (**ما لم يكن مأثماً**) أي إثماً كما في رواية البخاري، وفيها أيضاً. فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وفي رواية الطبراني ما لم يكن لله فيه سخط، وعلى الأول يكون الإستثناء منقطعاً إذ لا يتصور تخيير الله تعالى إلا بين جائزين رواه الترمذي في الشمائل واللفظ له رواه البخاري ومسلم والحاكم والطبراني بنحوه، وعند الحاكم: « ما لعن رسول الله ﷺ مسلماً بذكر وما ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يضرب في سبيل الله، ولا سئل شيئاً قط فمنعه إلا أن يسئل مأثماً ولا انتقم لنفسه من شيء إلا أن تنتهك حرمات الله تعالى فيكون لله فينتقم ».

وقال عقبة: لقيت رسول الله ﷺ يوماً فابتدرته فأخذت بيده أو بدرني فأخذ بيدي فقال: « يا عقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة: تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك »، وقال ﷺ: « قال موسى عليه السلام يا رب أي عبادك أعز عليك، قال الذي إذا قدر عفا »، وكذلك سئل أبو الدرداء عن أعز الناس قال الذي يعفو إذا قدر فأعفوا يعزكم الله، وجاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو مظلمة فأمره النبي ﷺ أن يجلس وأراد أن يأخذ له بمظلمته، فقال له النبي ﷺ: « إن المظلومين هم المفلحون يوم القيامة »، فأبى أن يأخذها حين سمع الحديث: وقالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: « من دعا على من ظلمه فقد إنتصر ». وعن أنس قال: قال

(وقال عقبة بن عامر) الجهني رضي الله عنه: **(لقيت رسول الله ﷺ يوماً فبدرته فأخذت بيده أو بدرني فأخذ بيدي فقال: « يا عقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة)** ؟ قلت: نعم فقال: **(تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك »)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا، والطبراني في مكارم الأخلاق، والبيهقي في الشعب بإسناد ضعيف وقد تقدم.

قلت: وقد روى أحمد والطبراني من حديث معاذ بن أنس: « أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن ظلمك » وقد تقدم أيضاً.

(وقال رسول الله ﷺ: « قال موسى) عليه السلام **(يا رب أي عبادك أعز عليك؟ قال: الذي إذا قدر عفا »)** قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة وفيه ابن لهيعة. **(ولذلك سئل أبو الدرداء)** رضي الله عنه: **(من أعز الناس؟ قال: الذي يعفو إذا قدر فاعفوا يعزكم الله)**. وروي نحو ذلك من حديث عبد الرحمن بن عوف رواه ابن أبي الدنيا وقد ذكر قريباً. **(وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ يشكو ومظلمة)** ظلمها **(فأمره النبي ﷺ أن يجلس وأراد أن يأخذ له بمظلمته، فقال رسول الله ﷺ: « إن المظلومين)** في الدنيا **(هم المفلحون)** أي الفائزون **(يوم القيامة »)** بالأجر الجزيل والنجاة من النار ورفع الدرجات والإنتقام لهم ممن ظلمهم والأخذ بثأرهم ممن بغى عليهم، **(فأبى أن يأخذها حين سمع الحديث)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو عن أبي صالح الحنفي مرسلاً.

قلت: ورواه كذلك في كتاب ذم الغضب ورستة في كتاب الإيمان، وأبو صالح الحنفي هو عبد الرحمن بن قيس تابعي جليل.

(وقالت عائشة) رضي الله عنها: **(قال رسول الله ﷺ: « من دعا على من ظلمه فقد انتصر »)** أي أخذ من عرض الظالم فنقص من ثواب المظلوم بحسبه ففيه إخبار بأن من انتصر ولو

رسول الله ﷺ : « إذا بعث الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات : يا معشر الموحدين إن الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض » ، وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بعضادتي الباب فقال : « ما تقولون وما تظنون » ؟ فقالوا : نقول أخ وابن عم حليم رحيم ـ قالوا ذلك ثلاثاً ـ فقال ﷺ : « أقول كما قال يوسف : ﴿لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف : ٩٢] قال فخرجوا كأنما نشروا من القبور فدخلوا في الإسلام » وعن سهيل بن عمرو قال : لما قدم رسول الله ﷺ مكة وضع يديه

بلسانه فقط استوفى حقه فلا إثم عليه ولا أجر له ، فالحديث تعريض بكراهة الإنتصار وندب العفو ليصير أجره على الله ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور . رواه ابن أبي شيبة والترمذي وأبو يعلى وابن أبي الدنيا في ذم الغضب . قال الترمذي في العلل : إنه سئل عنه البخاري ، فقال : لا أعلم أحداً رواه غير أبي الأحوص لكن هو من حديث أبي حمزة وضعف أبا حمزة جداً .

(وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا بعث الله الخلائق يوم القيامة نادى منادٍ من تحت العرش ثلاثة أصوات : يا معشر الموحدين إن الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض ») قال العراقي : رواه أبو سعد أحمد بن إبراهيم المقري في كتاب التبصرة والتذكرة بلفظ : « ينادي مناد من بطنان العرش يوم القيامة يا أمة محمد أن الله تعالى يقول ما كان لي قبلكم وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتي » وإسناده ضعيف . ورواه الطبراني في الأوسط بلفظ : « ينادي منادٍ يا أهل الجمع تتاركوا المظالم بينكم وثوابكم علي » وله من حديث أم هانىء « ينادي منادٍ يا أهل التوحيد ليعف بعضكم عن بعض وعلى الثواب » وهو ضعيف أيضاً .

(وعن أبي هريرة) رضي الله عنه **(أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة بعضادتي الباب فقال : « ما تقولون وما تظنون » فقالوا : نقول أخ وابن عم حليم رحيم قالوا ذلك ثلاثاً ، فقال رسول الله ﷺ : « أقول كما قال يوسف : ﴿لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾ قال : فخرجوا كأنما نشروا من القبور فدخلوا في الإسلام »)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو وفي ذم الغضب ، ومن طريقه رواه ابن الجوزي في الوفاء وفيه ضعف قاله العراقي .

قلت : ورواه بهذا السياق البيهقي في دلائل النبوة .

(وعن سهيل بن عمرو) بن عبد شمس بن عبد ود العامري أحد أشراف قريش وخطبائهم ، وكان أعلم الشفة وهو الذي تولى أمر الصلح بالحديبية وكلامه ومراجعته للنبي ﷺ في ذلك في الصحيحين وغيرهما . مات بالشام في طاعون عمواس **(قال : لما قدم رسول الله ﷺ مكة وضع**

على باب الكعبة والناس حوله فقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده» ثم قال: «يا معشر قريش ما تقولون وما تظنون؟» قال: قلت يا رسول الله نقول خيراً ونظن خيراً أخ كريم وإبن عم رحيم وقد قدرت، فقال رسول الله ﷺ: «أقول كما قال أخي يوسف: ﴿لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم﴾»، وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا وقف العباد نادى مناد ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة، قيل ومن ذا الذي له على الله أجر؟ قال: «العافون عن الناس، فيقوم كذا وكذا ألفاً فيدخلونها بغير حساب»، وقال ابن مسعود قال رسول الله

يديه على بابي الكعبة والناس حوله فقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده» ثم قال: «يا معشر قريش ما تظنون وما تقولون» قال سهيل: قلت يا رسول الله نقول خيراً ونظن خيراً أخ كريم وقد قدرت. فقال رسول الله ﷺ: «أقول كما قال أخي يوسف﴿ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم»﴾) قال العراقي: لم أجده.

قلت بل رواه أحمد بن زنجويه في كتاب الأموال من طريق ابن أبي حسين قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة دخل البيت ثم خرج فوضع يده على عضادتي الباب فقال: «ماذا تقولون» فقال سهيل بن عمرو نقول: خيراً ونظن خيراً أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت. فقال: «أقول كما قال أخي يوسف ﴿لا تثريب عليكم﴾» وفي الباب عبدالله بن عمرو وابن عباس.

أما حديث ابن عمرو فقد أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة التفت إلى الناس فقال: «ما تقولون وما تظنون»؟ فقالوا: ابن عم كريم فقال: ﴿لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم﴾».

وأما حديث ابن عباس فأخرجه ابن مردويه قال: إن رسول الله ﷺ لما فتح مكة صعد المنبر فحمدالله واثنى عليه ثم قال: «يا أهل مكة ماذا تظنون ماذا تقولون» قالوا: نظن خيراً ونقول خيراً في ابن عم كريم قد قدرت قال: فإني أقول كما قال أخي يوسف ﴿لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾ والترثيب هو التعيير.

(وعن أنس) رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا وقف العباد نادى منادٍ ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة. قيل: من ذا الذي أجره على الله؟ قال: العافون عن الناس فقام كذا وكذا ألفاً فدخلوها بغير حساب»)** قال العراقي: رواه الطبراني في مكارم الأخلاق وفيه الفضل بن بشار ولا يتابع على ذلك حديثه اهـ.

قلت: وروى ابن عساكر من حديث علي: «ينادي مناد يوم القيامة من بطنان العرش ألا فليقم من كان أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا عن أخيه».

ﷺ : « لا ينبغي لوالي أمر أن يؤتى بحدٍ إلا أقامه والله عفو يحب العفو ثم قرأ: ﴿ولْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ [النور: ٢٢] الآية »، وقال جابر: قال رسول الله ﷺ: « ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل من أي أبواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء: من أدى ديناً خفياً وقرأ في دبر كل صلاة: ﴿قلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] عشر مرات وعفا عن قاتله » قال أبو بكر: أو إحداهن يا رسول الله قال: « أو إحداهن ».

الآثار: قال ابراهيم التيمي: إن الرجل ليظلمني فأرحمه. وهذا إحسان وراء العفو لأنه يشتغل قلبه بتعرضه لمعصية الله تعالى بالظلم وأنه يطالب يوم القيامة فلا يكون له جواب.

(وقال ابن مسعود) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: « لا ينبغي لوالي أمر أن يؤتي بحدٍ)** من حدود الله تعالى **(إلا أقامه والله عفو يحب العفو ثم قرأ ﴿وليعفوا وليصفحوا﴾ »)** قال العراقي: رواه أحمد والحاكم وصححه وتقدم في آداب الصحبة.

(وقال جابر) بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: « ثلاث)** أي ثلاث خصال **(من جاء بهن مع الإيمان دخل من أي أبواب الجنة شاء)** أي يخير في دخول أيها شاء **(وزوج)** بالبناء للمفعول أي زوجه الله **(من الحور العين)** في الجنة **(حيث شاء من أدى ديناً خفياً)** إلى مستحقه بأن لم يكن عالماً به كان ورثه من أبيه ولم يشعر به **(وقرأ في دبر كل صلاة)** مكتوبة من الخمس كما في رواية **(قل هو الله أحد)** أي سورتها **(عشر مرات وعفا عن قاتله »)** بأن ضربه ضرباً قاتلاً فعفا عنه قبل موته. قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط وفي الدعاء بسند ضعيف اهـ.

قلت: ورواه أيضاً أبو يعلى في مسنده، وابن السني في عمل اليوم والليلة، وأبو نعيم في الحلية في ترجمة بشر بن منصور كلهم من طريق عمر بن نبهان عن أبي راشد عن جابر، عن النبي ﷺ. وعمر بن نبهان ضعيف جداً. وقيل متروك. وعند أبي يعلى زيادة في آخر الحديث.

(فقال أبو بكر: أو إحداهن يا رسول الله؟ قال: « أو إحداهن ») وروى ابن عساكر من حديث ابن عباس بلفظ ثلاث من كن فيه أو واحدة منهن فليتزوج من الحور العين حيث شاء رجل ائتمن على أمانة فأداها مخافة الله عز وجل، ورجل خلى عن قاتله، ورجل قرأ في دبر كل صلاة قل هو الله أحد عشر مرات » وإسناده ضعيف أيضاً.

الآثار:

(قال إبراهيم) بن يزيد **(التيمي)** الكوفي: **(إن الرجل ليظلمني فارحمه)** أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو. **(وهذا إحسان وراء العفو لأنه يشتغل قلبه بتعرضه لمعصية الله**

وقال بعضهم: إذا أراد الله أن يتحف عبداً قيض له من يظلمه. ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فجعل يشكو إليه رجلاً ظلمه ويقع فيه فقال له عمر: إنك أن تلقى الله ومظلمتك كما هي، خير لك من أن تلقاه وقد اقتصصتها. وقال يزيد بن ميسرة: إن ظللت تدعو على من ظلمك فإن الله تعالى يقول إن آخر يدعو عليك بأنك ظلمته فإن شئت استجبنا لك وأجبنا عليك وإن شئت أخرتكما إلى يوم القيامة فيسعكما عفوي. وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظالمه: كل الظالم إلى ظلمه فإنه أسرع إليه من دعائك عليه إلا أن يتداركه بعمل وقمن أن لا يفعل. وعن ابن عمر عن أبي بكر أنه قال: بلغنا أن الله تعالى يأمر منادياً يوم القيامة فينادي من كان له عند الله شيء فليقم فيقوم أهل العفو، فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس. وعن هشام بن محمد قال: أتى النعمان بن المنذر برجلين قد أذنب أحدهما ذنباً عظيماً فعفا عنه والآخر أذنب ذنباً خفيفاً فعاقبه وقال:

تعالى بالظلم وأنه يطالب يوم القيامة فلا يكون له جواب) فهذا سبب رحمته عليه **(وقال بعضهم: إذا أراد الله أن يتحف عبداً قيض له)** أي سلط عليه **(من يظلمه)** أخرجه ابن أبي الدنيا أي: فإذا ظلمه وصبر على مظلمته ولم ينتصر منه كان سبباً لمزيد الأجور له. **(ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز)** رحمه الله تعالى **(فجعل يشكو إليه رجلاً)** قد **(ظلمه ويقع فيه)** أي يتكلم فيه بالسوء، **(فقال له عمر: إنك أن تلقى الله ومظلمتك كما هي)** باقية **(خير لك من أن تلقاه وقد اقتصصتها)** أي أخذت اقتصاصها أخرجه أبو نعيم في الحلية. **(وقال يزيد بن ميسرة)** الحضرمي أخو عبد الرحمن: **(إن ظللت تدعو على من ظلمك فإن الله يقول: إن آخر يدعو عليك أنك ظلمته فإن شئت استجبنا لك وأجبنا عليك وإن شئتا أخرتكما إلى يوم القيامة فليسعكما عفوي)** أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو. **(وقال مسلم بن يسار)** البصري نزيل مكة، أبو عبدالله الفقيه ثقة عابد مات سنة مائة، روى له أبو داود والنسائي وابن ماجه **(لرجل دعا على ظالمه: كل الظالم إلى ظلمه فإنه أسرع عليه من دعائك إلا أن يتداركه بعمل)** صالح **(وقمن أن لا يفعل)** فيكون هلاكه منه. أخرجه ابن أبي الدنيا. **(وعن ابن عمر عن أبي بكر)** رضي الله عنهما **(أنه قال: بلغنا أن الله تعالى يأمر منادياً يوم القيامة فينادي: من كان له عند الله شيء فليقم فيقوم أهل العفو فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس هكذا. أخرجه ابن أبي الدنيا وهذا له حكم المرفوع فإن الصحابي إذا قال بلغنا فإنما يعني به عن النبي ﷺ. وفي الأحاديث المرفوعة مما تقدم بعضها يشهد لهذا الأثر. (وقال هشام بن محمد)** بن السائب الكلبي أبو المنذر. قال الذهبي في الضعفاء، قال الدارقطني وغيره متروك **(أتى النعمان بن المنذر)** الغساني من بني ماء السماء **(برجلين أحدهما قد أذنب ذنباً عظيماً فعفا عنه، والآخر أذنب ذنباً صغيراً فعاقبه وقال:**

تعفـو الملـوك عـن العظيـم مـن الذنـوب بفضلهـا
ولقـد تعـاقـب في اليسـير وليس ذاك لجهلهـا
إلا ليعـرف حلمهـا ويخاف شـدة دخلهـا

وعن مبارك بن فضالة، قال: وفد سواد بن عبدالله في وفد من أهل البصرة إلى أبي جعفر، قال: فكنت عنده إذ أتي برجل فأمر بقتله فقلت يقتل رجل من المسلمين وأنا حاضر، فقلت يا أمير المؤمنين ألا أحدثك حديثاً سمعته من الحسن؟ قال: وما هو؟ قلت سمعته يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، فيقوم مناد فينادي من له عند الله يد فليقم فلا يقوم إلا من عفا فقال: والله لقد سمعته من الحسن؟ فقلت والله لسمعته منه، فقال: خلينا عنه. وقال معاوية: عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة، فإذا أمكنتكم فعليكم بالصفح والافضال.

تعفـو الملـوك عـن العظيـم مـن الذنـوب بفضلهـا
ولقـد تعـاقـب في اليسير وليس ذاك لجهلهـا
إلا ليعـرف حلمهـا ويخاف شـدة نكلهـا

أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو.

(**وعن مبارك بن فضالة**) البصري صدوق يدلس، روى له البخاري تعليقاً، وأبو داود والترمذي وابن ماجه (**قال: أوفدني**) أي أقدمني (**سواد بن عبدالله**) بن قدامة التميمي البري البصري قاضي البصرة صدوق محمود السيرة تكلم فيه الثوري لدخوله في القضاء، وحفيده سوار بن عبدالله بن سوار قاضي الرصافة ثقة، روى له داود والترمذي والنسائي (**في وفد**) أي جماعة (**من أهل البصرة إلى أبي جعفر**) عبدالله العباسي: (**فكنت عنده إذ أتي برجل فأمر بقتله فقلت يقتل رجل من المسلمين وأنا حاضر، فقلت: يا أمير المؤمنين ألا أحدثك حديثاً سمعته من الحسن**) يعني البصري؟ (**قال: وما هو؟ قال: سمعته يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، فيقوم منادٍ فيقول: من له عند الله يد فليقم فلا يقوم إلا من عفا**) عن أخيه في مظلمة، (**فقال: والله لسمعته من الحسن، فقلت: والله لسمعته منه. فقال: خليا عنه**). وفي نسخة خلينا عنه أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو.

(**وقال معاوية**) رحمه الله تعالى: (**عليكم بالحلم والاحتمال**) أي احتمال الأذى (**حتى تمكنكم الفرصة، فإذا أمكنتكم**) الفرصة وقدرتم على الإنتقام (**فعليكم بالصفح والإفضال**) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو.

وروي أن راهباً دخل على هشام بن عبد الملك فقال للراهب: أرأيت ذا القرنين أكان نبياً؟ فقال: لا، ولكنه إنما أعطي ما أعطي بأربع خصال كن فيه: كان إذا قدر عفا، وإذا وعد وفى، وإذا حدث صدق، ولا يجمع شغل اليوم لغد. وقال بعضهم: ليس الحليم من ظلم فحلم. حتى إذا قدر إنتقم، ولكن الحليم من ظلم فحلم حتى إذا قدر عفا. وقال زياد: القدرة تذهب الحفيظة يعني الحقد والغضب، وأتي هشام برجل بلغه عنه أمر فلما أقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته فقال له هشام: وتتكلم أيضاً؟ فقال الرجل: يا أمير المؤمنين قال الله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١] أفنجادل الله تعالى ولا نتكلم بين يديك كلاماً؟ قال هشام: بلى ويحك تكلم.

وروي أن سارقاً دخل خباء عمار بن ياسر بصفين فقيل له: اقطعه فإنه من أعدائنا، فقال بل أستر عليه لعل الله يستر عليّ يوم القيامة، وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع

(**روي أن راهباً**) من عباد بني إسرائيل (**دخل على هشام بن عبد الملك**) بن مروان أيام خلافته (**فقال للراهب: أرأيت ذا القرنين**) المذكور قصته في القرآن (**كان نبياً. فقال: لا**) لم يكن نبياً (**ولكنه**) كان رجلاً صالحاً (**إنما أعطي ما أعطي بأربع خصال كن فيه: كان إذا قدر عفا**) ولم ينتقم لغضبه، (**وإذا وعد**) أحداً بشيء (**وفى**) بما وعده، (**وإذا حدث صدق**) في حديثه ولم يكذب (**ولا يجمع شغل اليوم لغد**). أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو. (**وقال بعضهم: ليس الحليم من ظلم فعفا حتى إذا**) أمكنته الفرصة و(**قدر**) عليه (**انتقم**) منه، (**ولكن الحليم من ظلم فحلم ثم قدر فعفا**) عنه أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو. (**وقال زياد بن عبدالله**) النميري البصري: روى له الترمذي وقد ضعف (**القدرة تذهب الحفيظة يعني الحقد والغضب**) وهو اسم من أحفظه إذا اغضبه يعني إذا قدر على من أغضبه وتمكن من الإنتقام منه يتراجع فلا يبقى معه حقد في قلبه ويميل إلى العفو والصفح، والمعنى من شأن القدرة أن يكون كذلك وإلا فكم من قادر على التمكن يبادر إلى الإنتقام ولا يعفو (**وأتـي هشام**) بن عبد الملك (**برجل بلغه عنه أمر**) كرهه (**فلما أقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته**) ويبرىء نفسه (**فقال له هشام: وتتكلم أيضاً**) أي مع جنايتك (**فقال الرجل: يا أمير المؤمنين قال الله تعالى: ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها﴾ أفنجادل الله ولا نتكلم بين يديك؟ فقال هشام: بلى ويحك تكلم**) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو.

(**وروي أن سارقاً دخل خباء عمار بن ياسر**) رضي الله عنه يسرق منه شيئاً وذلك (**بصفين**) وكان مع علي رضي الله عنه فأخذ السارق (**فقيل له: اقطعه**) أي اقطع يده (**فإنه من أعدائنـا. قال: بل استر عليه لعل الله يستر علينا يوم القيامة**) فإن من ستر على مؤمن في الدنيا ستر الله عليه في الآخرة، وإنما لم يقم عمار عليه الحد لكونه لم يتحقق منه سرقة، وإنما كان

طعاماً فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدها قد حلت فقال لقد جلست وإنها لمعي، فجعلوا يدعون على من أخذها ويقولون: اللهم اقطع يد السارق الذي أخذها اللهم افعل به كذا، فقال: عبدالله: اللهم إن كان حمله على أخذها حاجة فبارك له فيها وإن كان حملته جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه. وقال الفضيل: ما رأيت أزهد من رجل من أهل خراسان جلس إليّ في المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه فجعل يبكي فقلت: أعلى الدنانير تبكي؟ فقال: لا، ولكن مثلتني وإياه بين يدي الله عز وجل فأشرف عقلي على إدحاض حجته فبكائي رحمة له؛ وقال مالك بن دينار: أتينا منزل الحكم بن أيوب ليلاً وهو على البصرة أمير. وجاء الحسن

قصده أن يسرق ففي مثل هذا العفو والستر حسن أوانه خاف أن يكون في إقامة الحد عليه منتصراً لنفسه لا سيما وقد قالوا إنه من أعدائنا. **(وجلس ابن مسعود)** رضي الله عنه **(في السوق يبتاع)** أي يشتري **(متاعاً فابتاع)** أي اشترى **(متاعاً ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته)** أي مصرورة **(فوجدها قد حلت)** واختلست الدراهم **(فقال: قد جلست وإنها لمعي فجعلوا يدعون على من أخذها ويقولون: اللهم اقطع يد السارق الذي أخذها اللهم افعل به كذا، فقال عبدالله** رضي الله عنه: **(اللهم إن كان حملته على أخذها حاجة)** اضطرته **(فبارك له فيها وإن كان حملته جرأة على الذنب)** أي من غير حاجة إليها **(فاجعله آخر عقوبة)** أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو. **(وقال الفضيل)** بن عياض رحمه الله تعالى: **(ما رأيت أزهد من رجل من أهل خراسان جلس إليَّ في المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه فجعل يبكي فقلت)** له: **(أعلى)** ذهاب **(الدنانير تبكي؟ قال: لا ولكن مثلتني وإياه بين يدي الله)** أي مثلت نفسي وإياه **(فأشرف عقلي على إدحاض حجته)** أي بطلانها **(فبكائي رحمة له)** حيث لا يجد جواباً بين يدي الله، فالنظر في هذا غاية الزهد في الدنيا حيث لم تخطر الدنانير في البال مع كمال احتياجه إليها وزهد عنها. أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو وأبو نعيم في الحلية. **(وقال مالك بن دينار)** أبو يحيى البصري العابد رحمه الله تعالى: **(أتينا منزل الحكم بن أيوب)** بن يحيى بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي ابن عم الحجاج بن يوسف بن الحكم **(وهو على البصرة)** والياً عليها، وقد ذكر الذهبي في ذيل الضعفاء الحكم بن أيوب هذا وقال هو ابن عم الحجاج روى عن أبي هريرة مجهول **(ليلاً)** أي أتيناه بالليل، **(وجاء الحسن وهو خائف)** وذلك لأن أهل البصرة كانوا قد خلعوا بيعة عبد الملك وأنكروا تولية الحجاج عليهم وبايعوا عبد الرحمن بن الأشعث وفيهم القراء والمشيخة وانضم اليهم قراء الكوفة. وكان الحجاج قد عاملهم بالظلم وعذبهم في أخذ الخراج أشد العذاب، وكان ممن بايعه من القراء عقبة بن عامر الكوفي ومن معه وميمون بن أبي شبيب وماهان الأعور القاضي وعبد الرحمن بن أبي ليلى والفضل بن مروان وأبو البحتري الطائي وسعيد بن جبير وعامر الشعبي وسفيان بن سلمة

وهو خائف فدخلنا معه عليه فما كنا مع الحسن إلا بمنزلة الفراريج، فذكر الحسن قصة يوسف عليه السلام وما صنع به أخوته من بيعهم إياه وطرحهم له في الجب فقال: باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم، وذكر ما لقي من كيد النساء ومن الحبس ثم قال: أيها الأمير ماذا صنع الله به؟ أداله منهم ورفع ذكره وأعلى كلمته وجعله على خزائن الأرض، فماذا صنع حين أكمل له أمره وجمع له أهله؟ ﴿قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمْ اليومَ يَغْفِرُ الله لَكُم وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢] يعرض للحكم بالعفو عن أصحابه. قال الحكم: فأنا أقول لا تثريب عليكم اليوم ولو لم أجد إلا ثوبي هذا لو أريتكم تحته. وكتب ابن المقفع إلى صديق له يسأله العفو عن بعض إخوانه: فلان هارب من زلته إلى عفوك لائذ منك بك. واعلم أنه لن يزداد الذنب عظماً إلا ازدادا العفو فضلاً. وأتى عبد

وإبراهيم التيمي وإبراهيم النخعي وجبلة بن وحر، وجابر الجعفي والمعرور بن مؤيد، وحمزة بن المغيرة بن شعبة، وسلمة بن كهيل ومعبد الجهيني وأيوب بن القرية، فجاء الحجاج بعساكر وأمده عبد الملك بأهل الشام وحاصر البصرة مدة حتى ملكها، وهرب ابن الأشعث فقتل من قتل من القراء في الحرب وهرب الباقون، ولا يزالون يتتبعون ويؤخذون إلى أن كان آخر من أخذ منهم سعيد بن جبير وماهان الأعور فقتلا، فهذا كان سبب خوف الحسن، **(فدخلنا عليه مع الحسن فما كنا معه إلا بمنزلة الفراريج)** وهي صغار الدجاج، **(فذكر الحسن)** للأمير **(قصة يوسف)** عليه السلام **(وما صنع به أخوته من بيعهم إياه وطرحهم له في الجب فقال: باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم وذكر ما لقي)** يوسف عليه السلام **(من كيد النساء ومن الحبس)** مما هو مذكور في القرآن، **(ثم قال: يا أيها الأمير ماذا صنع الله به، أداله منهم ورفع ذكره وأعلى كلمته وجعله)** أميناً **(على خزائن الأرض فماذا صنع حين أكمل له أمره وجمع له أهله)** وحضروا بين يديه؟ **(قال لهم: ﴿لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم﴾ يعرض)** الحسن **(للحكم بالعفو عن أصحابه)** من القراء إذ كان فيهم من مالأ مع ابن الأشعث **(قال الحكم: وأنا أقول لا تثريب عليكم فيغفر الله لكم، ولو لم أجد إلا ثوبي لسترتكم به)** أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو.

(وكتب ابن المقفع) تقدم ذكره وكان أحد البلغاء **(إلى صديق له يسأله العفو عن إخوانه)** ما لفظه: **(فلان هارب من زلته إلى عفوك لائذ منك بك، واعلم أنه لن يزداد الذنب عظماً إلا ازداد العفو فضلاً)** أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو، **(وأتى عبد الملك بن مروان بأسارى ابن الأشعث)** وهو عبد الرحمن بن قيس بن محمد بن الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي جده الأشعث صحابي، وكان مع علي رضي الله عنه في حروبه، زوجه أبو بكر رضي الله عنه أخته أم فروة بنت أبي قحافة، فولد له منها محمد يكنى أبا القاسم، وهو تابعي ثقة حديثه في السنن، مات سنة سبع وستين، وولده قيس بن محمد كوفي مقبول، روى له أبو داود

الملك بن مروان بأسارى إبن الأشعث فقال لرجاء بن حيوة: ما ترى؟ قال إن الله تعالى قد أعطاك ما تحب من الظفر فأعط الله ما يحب من العفو فعفا عنهم.

وروي أن زياداً أخذ رجلاً من الخوارج فأفلت منه فأخذ أخاً له فقال له. إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك، فقال: أرأيت إن جئتك بكتاب من أمير المؤمنين تخلي سبيلي؟ قال: نعم. قال: فأنا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم وأقيم عليه شاهدين إبراهيم وموسى ثم تلا: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [النجم: ٣٦ - ٣٨] فقال زياد: خلوا سبيله هذا رجل قد لقن حجته، وقيل: مكتوب في الإنجيل. من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان.

وولده عبد الرحمن كوفي مجهول الحال، روى له أبو داود وهو صاحب الواقعة ويعرف بابن الأشعث نسبة إلى جده الأعلى، ومختصر خبره: أن الحجاج بن يوسف كان قد أرسل ابن الأشعث إلى بلاد الترك فأوغل فيها وفتح حصونها فبلغ إليه عن الحجاج ما يسوءه فخلع طاعته وطاعة عبد الملك، ورجع بالعساكر إلى العراق،وملك البصرة، وجمع قراء المصريين، فاجتمع له نحو مائة ألف غير الموالي، وجمع الحجاج الجيوش عليه والتقيا في دير الجماجم واستمرت الحرب مائة يوم، وذلك سنة ثلاث وثمانين من الهجرة فانكسر ابن الأشعث وهرب إلى ملك الترك واستجاربه فأجاره، فلم يزل الحجاج يتوعده ويتهدده فأمسكه وأهل بيته ووضع السواجير في أعناقهم وأرسلهم إلى عمارة بن تميم وإلى سجستان فالقى ابن الأشعث نفسه من قصر عال فمات وقتل عمارة جماعة منهم وبعث برؤوسهم مع بقية الأسارى إلى الحجاج وبعث بهم الحجاج إلى عبد الملك (**فقال**) عبد الملك (**لرجاء بن حيوة**) بن جرول بن الأحنف بن السمط ابن امرىء القيس الكندي الفلسطيني يكنى أبا المقدام ويقال أبا نصر، قال ابن سعد: ثقة فاضل كثير العلم. وقال العجلي والنسائي: ثقة. وقال مسلمة بن عبد الملك: هو ممن ينزل به الغيث وينصر به على العدو، ومات سنة إثنتي عشرة ومائة روى له البخاري تعليقاً ومسلموالأربعة :(**ما ترى؟ قال: إن الله قد أعطاك ما تحب من الظفر فاعط الله ما يحب من العفو فعفا عنهم**) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو.

(**وروي أن زياداً**) هو والي العراقين ويعرف بابن أبيه وبابن سمية وابنه عبيد الله وهو الذي تولى حرب الحسين رضي الله عنه (**أخذ رجلاً من الخوارج فأفلت منه**) وهرب (**فأخذ**) زياد (**أخاً له فقال: إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك. فقال: أرأيت أن جئتك بكتاب من أمير المؤمنين تخلي سبيلي؟ قال: نعم. قال: فأنا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم**) جل جلاله (**وأقيم عليه شاهدين**) عدلين (**إبراهيم وموسى عليهما السلام: ﴿أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى﴾ فقال زياد: خلوا سبيله هذا رجل لقن حجته**) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو (**وقيل: مكتوب في الإنجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان**). أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو. ومما يستحسن إيراده هنا ما

فضيلة الرفق:

اعلم ان الرفق محمود ويضاده العنف والحدة. والعنف نتيجة الغضب والفظاظة. والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلاسة، وقد يكون سبب الحدة الغضب، وقد يكون سببها شدة الحرص واستيلاؤه بحيث يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت فالرفق في الأمور ثمرة لا يثمرها إلا حسن الخلق، ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوّة الغضب وقوّة الشهوة وحفظها على حد الإعتدال، ولأجل هذا أثنى رسول الله ﷺ على الرفق وبالغ فيه فقال: «يا عائشة إنه من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة» ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من خير الدنيا والآخرة»، وقال ﷺ: «إذا

ذكره صاحب خلاصة التواريخ أن المهلب بن أبي صفرة وكان يكنى أبا سعيد بلغه عن رجل شيء كرهه فقال له جلساؤه: ألا تأمر بقتله؟ فقال: ما اعرفني بدوائه فبعث إليه خمسة آلاف درهم وتختاً من ثياب وطيب، ثم دخل المهلب على ابن زياد فلقيه الرجل فقبّل يده فقال: يدك يد يتقى بها الذم ويكسب بها الحمد ويقتل بها العدو، فبلغ ابن زياد ذلك فقال: كان المهلب اعلم بداوئه.

فضيلة الرفق:

بالكسر هو حسن الإنقياد لما يؤدي إلى الجميل.

(**اعلم**) هداك الله (**أن الرفق محمود ويضاده العنف. والحدة. والعنف نتيجة الغضب والفظاظة**) وهي غلظة القلب. (**والرفق واللين نتيجتا حسن الخلق والسلاسة**) وهي السهولة. (**وقد يكون سبب الحدة الغضب**) وهو الأكثر، (**وقد يكون سببه شدة الحرص واستيلاؤه**) على القلب (**بحيث يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت**) في الأمور فالرفق في الأمور ثمرة لا يثمرها إلا حسن الخلق ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب (**وقوة الشهوة وحفظها على حد الإعتدال**) من مرتبتي التفريط والإفرط، (**ولأجل هذا إثنى رسول الله ﷺ على الرفق وبالغ فيه فقال: «يا عائشة إنه من أعطي حظه من الرفق أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من خير الدنيا والآخرة»**) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب، والحكيم في النوادر، وأبو نعيم في الحلية، والخرائطي في مكارم الأخلاق، وابن النجار وقال العراقي: رواه أحمد والعقيلي في الضعفاء في ترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر المليكي، وضعفه عن القاسم عن عائشة. وفي الصحيحين من حديثها «إن الله يحب الرفق في الأمر كله» اهـ.

قلت: رواه عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة، وقد رواه من هذا الطريق أيضاً العسكري في الأمثال، والقضاعي في مسند الشهاب وهو عند العسكري فقط من حديث ابن أبي مليكة عن عائشة بلا واسطة لكن بلفظٍ آخر سيأتي ذكره وعند أحمد في سياق هذا

أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق » ، وقال ﷺ : « إن الله ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق وإذا أحب الله عبداً أعطاه الرفق وما من أهل بيت يحرمون الرفق إلا حرموا محبة الله تعالى » وقالت عائشة رضي الله عنها قال النبي ﷺ : « إن الله رفيق يحب

الحديث زيادة في آخره وهي وصلة رحم وحسن الخلق وحسن الجوار يعمرن الديار يزدن في الأعمار ، وقد روى هذا الحديث من غير تلك الزيادة أحمد أيضاً والترمذي قال: حسن صحيح ، والطبراني في الكبير ، والقضاعي والبيهقي من حديث يعلى بن مملك عن أم الدرداء عن أبي الدرداء لكن بدون قوله: الدنيا والآخرة في الموضعين ، والحديث الذي عزاه للبخاري أن الله يحب الرفق في الأمر كله له سبب ذكره البخاري ، وهو أن اليهود لما قالوا السام عليك . قالت : بل عليكم السام واللعنة فقال لها ﷺ : « يا عائشة إن الله » الحديث . وقد أخرجه مسلم كذلك في كتاب الإستئذان ، وكذلك أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان كلهم من حديث عائشة ، ومعنى قوله في الأمر كله أي في أمر الدين والدنيا حتى في معاملة المرء مع نفسه ويتأكد ذلك في معاشرة من لا بد للإنسان من معاشرته كزوجة وخادم وولد .

(وقال ﷺ : « إذا أحب الله أهل بيت ادخل عليهم الرفق ») بأن يرفق بعضهم ببعض فيستد أمرهم. قال العراقي : رواه أحمد بسند جيد والبيهقي بسند ضعيف من حديث عائشة اهـ .

قلت : ولفظ أحمد : « إذا أراد الله بأهل بيت خيراً ادخل عليهم الرفق » ورواه العسكري في الأمثال من طريق ابن أبي مليكة عن عائشة بهذا اللفظ ، ورواه كذلك البخاري في التاريخ والبزار من حديث جابر بسند صحيح ، وعند البيهقي من حديث عائشة بسند ضعيف: « إذا أراد بعبيد خيراً رزقهم الرفق في معاشهم وإذا أراد بهم شراً رزقهم الخرق في معاشهم » .

(وقال ﷺ : « إن الله ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق) بالضم اسم من خرق كتعب إذا عمل شيئاً فلم يرفق فيه فهو أخرق وهي خرقاء ، **(وإذا أحب الله عبداً أعطاه الرفق)** أي في أمره كله **(وما من أهل بيت يحرمون الرفق إلا محبة الله تعالى حرموا »)** قال العراقي : رواه الطبراني في الكبير من حديث جابر بإسناد ضعيف اهـ .

قلت : وروى البزار من حديث جابر بالجملة ، الثانية منه بلفظ : « إذا أراد الله بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق » وكذلك رواه أحمد وقد تقدم قبله .

(وقال ﷺ : « إن الله رفيق) أي لطيف بعباده يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر ، فيكلفهم فوق طاقتهم بل يسامحهم ويلطف بهم ، ولا يجوز إطلاق الرفق عليه سبحانه إسماً لأن أسماءه إنما تتلقى من النقل المتواتر ولم يوجد هكذا . ذكره بعض العلماء والأصل فيه قول القاضي حيث قال : الرفق هو اللطف وأخذ الأمر بأحسن الوجوه وأيسرها ، والظاهر أنه لا يجوز إطلاقه عليه تعالى إسماً لأنه لم يتواتر ولم يستعمل هنا على قصد التسمية ، وإنما أخبر به عنه تمهيداً للحكم الذي بعده اهـ . ولكن قال النووي : الأصح جواز تسميته تعالى رفيقاً وغيره مما يثبت بخبر الواحد .

الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف » وقال ﷺ : « يا عائشة أرفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق » ، وقال ﷺ : « من يحرم الرفق يحرم الخير كله » ، وقال ﷺ : « أيما وال ولي فرفق ولان رفق الله تعالى به يوم القيامة » ، وقال

(يحب الرفق) بالكسر أي لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل أي يحب أن يرفق بعضهم ببعض ، وزعم أن المراد يحب أن يرفق بعباده لا يلائم سياق المصنف ، وهو قوله : **(ويعطي عليه)** في الدنيا من الثناء الجميل ونيل المطالب وتسهيل المقاصد في العقبى من الثواب الجزيل **(ما لا يعطي على العنف »)** بالضم الشدة والمشقة نبه به على وطاءة الأخلاق وحسن المعاملة وكمال المجاملة ، ووصف الله تعالى بالرفيق إرشاداً وحثاً لنا على الرفق في كل أمر فهو خارج مخرج الأخبار لا التسمية كما تقرر . قال العراقي : رواه مسلم من حديث عائشة .

قلت : ولكن بزيادة في أوله : يا عائشة وفي آخره وما لا يعطي على ما سواه . وأخرجه من غير تلك الزيادة البخاري في كتاب الأدب المفرد ، وأبو داود من حديث عبدالله بن مغفل ، وابن ماجه ، وابن حبان من حديث أبي هريرة ، وأحمد ، والبيهقي من حديث علي ، والطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة ، والبزار من حديث أنس . ففي حديث علي أبو خليفة لم يضعفه أحد وبقية رجاله ثقات ، وحديث أبي أمامة فيه صدقة السمين صدقه الجمهور ووثقه أبو حاتم وبقية رجاله ثقات ، وحديث أنس رواه البزار بإسنادين رجال أحدهما ثقات وفي بعضهم خلاف . وروى البيهقي في مناقب الشافعي قال : رآني أبي وأنا أعجل في بعض الأمر فقال : يا بني رفقاً رفقاً فإن العجلة تنقص الأعمال ، وبالرفق تدرك الآمال ، وقد سمعت عروة يقول : سمعت أبا هريرة رفعه : « إن الله يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف » .

(وقال ﷺ : « يا عائشة ارفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق ») رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب عن عطاء بن يسار مرسلاً . وقال العراقي : رواه أحمد من حديث عائشة وفيه انقطاع وصله أبو داود مقتصراً على قوله : يا عائشة ارفقي .

(وقال ﷺ : « من يحرم) من الحرمان وهو متعد إلى مفعولين الأول الضمير العائد إلى من ، والثاني **(الرفق)** وال فيه لتعريف الحقيقة **(يحرم الخير كله »)** بالبناء للمجهول أي صار محروماً من الخير ولامه للعهد الذهني وهو الخير الحاصل من الرفق . قال العراقي : رواه مسلم من حديث جرير دون قوله : « كله » فهي عند أبي داود اهـ .

قلت : ورواه أيضاً الطيالسي وأحمد وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان وهو عند العسكري في الأمثال من طريق عبد الرحمن بن هلال عن جرير كلفظ أبي داود ، ورواه الطبراني في الكبير في أثناء حديث : « ومن يحرم الرفق يحرم الخير » ورواه مسلم بإسناد آخر بلفظ : « من حرم الرفق حرم الخير » .

(وقال ﷺ : « أيما والٍ ولي) على قوم **(فلان)** لهم أي لاطفهم بالقول والفعل **(ورفق)**

ﷺ : « تدرون من يحرم على النار يوم القيامة كل هين لين سهل قريب » ، وقال ﷺ : « الرفق يمن والخرق شؤم » ، وقال ﷺ : « التأني من الله والعجلة من الشيطان » . وروي أن رسول الله ﷺ أتاه رجل فقال : يا رسول الله إن الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فأخصصني منك بخير فقال : « الحمد لله » مرتين أو ثلاثاً ثم أقبل عليه فقال : « هل أنت مستوص » مرتين أو ثلاثاً قال : نعم . قال : « إذا أردت أمراً فتدبر عاقبته فإن كان رشداً

بهم وساسهم بلطف (**رفق الله به يوم القيامة »**) في الحساب والعقاب ، ومن عومل بالرفق في ذلك المقام فهو من السعداء بلا كلام . رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب من حديث عائشة . وقال العراقي : رواه مسلم من حديث عائشة في حديث فيه : « ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به » .

قلت : وروى ابن أبي الدنيا أيضاً في ذم الغضب من حديثها : « من رفق بأمتي رفق الله به ومن شق على أمتي شق الله عليه » .

(**وقال ﷺ : « تدرون من يحرم على النار كل هين لين سهل قريب »**) قال العراقي : رواه الترمذي من حديث ابن مسعود ، وقد تقدم في آداب الصحبة .

قلت : ورواه كذلك الطبراني ولفظها : « ألا أخبركم من تحرم عليه النار هذا على كل هين لين قريب سهل » وقد رواه كذلك أبو يعلى من حديث جابر ، ورواه ابن النجار من حديث أبي هريرة بلفظ : « يحرم على النار » الخ .

(**وقال ﷺ : « الرفق يمن**) أي بركة (**والخرق**) بالضم (**شؤم »**) قال العراقي : رواه الطبراني في الأوسط من حديث ابن مسعود والبيهقي في الشعب من حديث عائشة وكلاهما ضعيف اهـ .

قلت : في إسناد الطبراني المعلى بن عرفان وهو متروك ، وقد رواه كذلك العسكري وعدّه من الأمثال والحكم ، وفي رواية : والرغب شؤم وهو الشره والنهم والحرص على الدنيا .

(**وقال ﷺ : « التأني من الله والعجلة من الشيطان »**) قال العراقي : رواه أبو يعلى من حديث أنس ، ورواه الترمذي وحسنه من حديث سهل بن سعد بلفظ : « الأناة من الله » وقد تقدم . (**وروي أن رسول الله ﷺ أتاه رجل فقال : يا رسول الله إن الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فاخصصني منك بخير . فقال : « الحمد لله مرتين أو ثلاثاً ، ثم أقبل عليه فقال : هل أنت مستوص » مرتين أو ثلاثاً ؟ فقال : « نعم » قال : « إذا أردت أمراً فتدبر عاقبته**) بأن تتفكر وتتأمل ما يصلحه ويفسده وتدقق النظر في عواقبه (**فإن كان رشداً**) أي غير منهي عنه شرعاً وفي رواية خيراً (**فامضه**) أي فافعله وفي رواية فوحه من الوحا وهو السرعة أي تسرع

فأمضه وإن كان سوى ذلك فانته » ، وعن عائشة رضي الله عنها . أنها كانت مع رسول الله ﷺ في سفر على بعير صعب فجعلت تصرفه يميناً وشمالاً فقال رسول الله ﷺ : « يا عائشة عليك بالرفق فإنه لا يدخل في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه » .

إليه ، **(وإن كان سوى ذلك فانته »)** أي كف عنه ولا تأته . قال العراقي : رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق من حديث أبي جعفر مرسلاً ، وأبو جعفر هذا اسمه عبدالله بن مسور الهاشمي ضعيف جداً ، ولأبي نعيم في كتاب الإيجاز من رواية إسماعيل الأنصاري عن أبيه عن جده : « إذا هممت بأمر فاجلس فتدبر عاقبته » وإسناده ضعيف اهـ .

قلت : ومن طريق ابن المبارك أخرجه في ذم الغضب ، وأبو جعفر المذكور هو عبدالله بن مسور بن عوف بن جعفر بن أبي طالب . قال الذهبي في المغني : قال أحمد وغيره : أحاديثه موضوعة . وقال النسائي والدارقطني : متروك ، ومما يشهد له ما رواه رجل من بلى قال انطلقت مع أبي إلى النبي ﷺ فناجاه أبي دوني فقلت لأبي ما قال لك رسول الله ﷺ قال : قال لي إذا أردت أمراً فعليك بالتؤدة حتى يريك الله منه المخرج ، رواه الطيالسي في المسند والبخاري في الأدب المفرد ، وابن أبي الدنيا في ذم الغضب ، والخرائطي في مكارم الأخلاق والبيهقي في الشعب فهذا شاهد جيد وهو حسن .

تنبيه :

قال أبو القاسم الراغب يحتاج الرأي إلى أربعة أشياء : إثنان من جهة الزمان في التقديم والتأخير أحدهما أن يعيد النظر فيما يرقبه ولا يعجل إمضاءه فقد قيل : إياك والرأي الفطير ، وأكثر من يستعجل في ذلك ذوو النفوس الشهمة والأمزجة الحارة ، والثاني أن لا يدافع بعد أحكامه فقد قيل : أحزم الناس من إذا وضح له الأمر صدع فيه ، وأكثر من يدافع ذلك ذوو النفوس المهينة والأمزجة الباردة ، وإثنان من جهة الناس . أحدهما : ترك الإستبداد بالرأي فإن الإستبداد به من فعل المعجب بنفسه ، وقد قيل : الأحمق من قطعه العجب بنفسه عن الإستشارة والأستبداد عن الإستخارة ، والثاني أن يتخير من تحسن مشاورته :

فما كـل ذي نصـح بمؤتيـك نصحـه ... ولا كـل مـؤت نصحـه بلبيـب
ولكن إذا ما استجمعا عند صاحب ... فحـق لـه مـن طـاعـة بنصيـب

ومن دخل في أمر بعد الأحتراز من هذه الأربعة أحكم تدبيره فإن لم ينجح عمله لم تلحقه مذمة .

(وعن عائشة) رضي الله عنها **(إنها كانت مع رسول الله ﷺ في سفر على بعير صعب فجعلت تصرفه يميناً وشمالاً ، فقال رسول الله ﷺ : « يا عائشة عليك بالرفق)** أي اللين والملاطفة **(فإنه لا يدخل)** أي الرفق **(في شيء إلا زانه)** إذ هو سبب لكل خير **(ولا ينزع من شيء إلا شانه »)** أي عابه . قال العراقي رواه مسلم في صحيحه .

قلت: رواه من طريق شعبة عن المقدام بن شريح بن هانىء عن أبيه عن عائشة بالحديث فقط من غير قصة، ولفظه: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شأنه». ومن وجه آخر عن شعبة بالقصة ولفظها. ركبت عائشة بعيراً فكانت فيه صعوبة فجعلت تردده فقال لها فذكره. وأخرجه البخاري في الأدب المفرد من طريق شعبة بلفظ: كنت على بعير فيه صعوبة، فقال النبي ﷺ: «عليك بالرفق» الحديث. ورواه أحمد في آخرين منهم أبو داود وابن أبي الدنيا في ذم الغضب وابن حبان والخرائطي في مكارم الأخلاق بلفظ: «يا عائشة عليك بتقوى الله والرفق فإن الرفق لم يكن في شيء قط إلا زانه ولا نزع من شيء قط إلا شأنه». ورواه العسكري في الأمثال من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ثابت عن أنس رفعه: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه ولكان الخرق قط في شيء إلا شانه».

تتمة:

نذكر فيها الأحاديث الواردة في الرفق. فمن ذلك: «يا عائشة إن الرفق لو كان خلقاً ما رأى الناس خلقاً أحسن منه، ولو كان الخرق خلقاً ما رأى الناس خلقاً أقبح منه» رواه الطبراني والحاكم في الكنى من حديث عائشة، ورواه العسكري في الأمثال بذكر قصته من سلام اليهود وردها عليهم.

ومن ذلك حديث عائشة: «ما كان الرفق في قوم إلا نفعهم ولا كان الخرق في قوم إلا ضرهم» رواه العسكري في الأمثال من طريق معمر عن هشام بن عروة عن أبيه عنها.

ومن ذلك حديث جابر: «الرفق في العيشة خير من بعض التجارة» رواه الدارقطني في الإفراد والإسماعيلي في معجمه والطبراني في الأوسط والبيهقي.

وفي الأمثال للعسكري من طريق حجاج بن سليمان الرعيني قال: قلت لابن لهيعة كنت اسمع عجائز المدينة يقلن إن الرفق في المعيشة خير من بعض التجارة. فقال: حدثني محمد بن المنكدر، عن جابر رفعه به، ورواه الطبراني من حديث جرير: «الرفق زيادة بركة» وفي لفظ به بزيادة والبركة ومن يحرم الرفق يحرم الخير.

وروى القضاعي في مسند الشهاب من حديث جرير: «الرفق رأس الحكمة».

ورواه أبو الشيخ في الثواب والعسكري من طريق عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه قال: بلغني أنه مكتوب في التوراة أن الرفق رأس الحكمة، ورواه كذلك ابن أبي عاصم، وروي أحمد والطبراني من حديث أبي الدرداء: «من فقه الرجل رفقه في معيشته» ولفظ ابن عدي: «من فقهك رفقك في معيشتك».

الآثار: بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جماعة من رعيته إشتكوا من عماله فأمرهم أن يوافوه، فلما أتوه قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أيها الناس أيتها الرعية إن لنا عليكم حقا النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير، أيتها الرعاة: إن للرعية عليكم حقاً فاعلموا أنه لا شيء أحب إلى الله ولا أعز من حلم إمام ورفقه، وليس جهل أبغض إلى الله ولا أغم من جهل إمام وخرقه، واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق العافية ممن هو دونه. وقال وهب بن منبه: الرفق بنيّ الحلم وفي الخبر موقوفاً ومرفوعاً: «العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق والده واللين أخوه والصبر أمير جنوده». وقال بعضهم: ما أحسن الإيمان يزينه العلم وما أحسن

الآثار:

وروي أنه (**بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جماعة من عماله**) جمع عامل وهم الذين ولاّهم على بعض الأعمال (**اشتكوا**) أي شكاهم بعض الرعايا (**فأمرهم أن يوافوه**) أي يلاقوه، (**فلما أتوه قام فحمد الله وإثنى عليه ثم قال: أيتها الرعية إن لنا عليكم حقا**) أي حقان سقطت النون للإضافة. أحدهما (**النصيحة بالغيب**) أي ينصحون ولاة الأمور على غيبتهم، (**و**) الثاني (**المعاونة على الخير**) أي يعاون بعضهم بعضاً في أمور الخير. (**أيتها الرعاة**) أي الولاة والعمال (**إن للرعية عليكم حقاً واعلموا أنه لا حلم أحب إلى الله ولا أعز من حلم إمام ورفقه، وليس جهل أبغض إلى الله ولا أغم من جهل إمام وخرقه، واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق العافية ممن هودونه**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

(**وقال وهب بن منبه**) رحمه الله تعالى: (**الرفق بني الحلم**) تصغير الابن أي ثمرته ونتيجته منه يتولد. أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب، وأبو نعيم في الحلية.

وفي الخبر موقوفاً ومرفوعاً «العلم) أي الشرعي النافع (**خليل المؤمن**) أنه لا نجاة ولا نور إلا به فكأنه خالل المؤمن بمحبته يطلبه عند غيبته ويتمسك به عند وجوده ويستضيء بنوره عند جهله (**والحلم وزيره**) أي معينة المتحمل لأثقاله ويستعين به على أموره الدينية والدنيوية، ولهذا قيل: ما ضم شيء إلى شيء أحسن من الحلم إلى العلم (**والعقل دليله**) أي يرشده من جهله (**والعمل قيمه**) وفي رواية قائده أي القائم بحفظ أصله، والمراد به العمل بمقتضى كل من العلم والحلم والعقل (**والرفق والده**) لا يصدر في أمر إلا بمراجعته وطاعته رجاء بركته، والمراد أصله الذي نشأ منه ويتفرع عليه وكل من كان سبباً لإيجاد شيء أو إصلاحه أو ظهوره يسمى أباً (**واللين أخوه**) ولا ينفصل ولا يتصل ولا يستقل دونه (**والصبر أمير جنوده»**) جعل ما تقدم جنوداً وأميرها الصبر لا يعمل كل منها فيما أهل له إلا به لأن عجلة النفس وخفتها تفسد كل خلق حسن ما لم يتقدم الصبر أمامها ويصير إمامها. قال العراقي: رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب وفضائل الأعمال من حديث أنس

العلم يزينه العمل وما أحسن العمل يزينه الرفق وما أضيف شيء إلى شيء مثل حلم إلى علم. وقال عمرو بن العاص لابنه عبدالله ما الرفق؟ قال: أن تكون ذا إناة فتلاين الولاة. قال فما الخرق؟ قال: معاداة إمامك ومناوأة من يقدر على ضررك. وقال سفيان لأصحابه: تدرون ما الرفق؟ قالوا: قل يا أبا محمد، قال: أن تضع الأمور مواضعها: الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه والسوط في موضعه؛ وهذه إشارة إلى أنه لا بدّ من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق، كما قيل:

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا ... مضر كوضع السيف في موضع الندى

بسند ضعيف، ورواه القضاعي في مسند الشهاب من حديث أبي الدرداء وأبي هريرة وكلاهما ضعيف اهـ.

قلت: رواه ابن أبي الدنيا هكذا موقوفاً ومرفوعاً، ورواه البيهقي عن الحسن البصري مرسلاً ولفظه: «العلم خليل المؤمن والعقل دليله والعمل قيمه والحلم وزيره والصبر أمير جنوده والرفق والده واللين أخوه» وفيه سوار بن عبدالله العنبري قاضي البصرة وقد تقدم أنه ثقة، لكن تكلم فيه الثوري لأجل دخوله في القضاء، وفيه عبد الرحمن بن عثمان أبو بحر البكراوي. قال أحمد: طرح الناس حديثه. وقال الحاكم في نوادر الأصول عن ابن عباس قال: كنت ذات يوم رديفاً لرسول الله ﷺ فقال: «ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟ قلت: بلى قال: عليك بالعلم فإن العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق أبوه واللين أخوه والصبر أمير جنوده».

(وقال بعضهم: ما أحسن الإيمان يزينه العلم وما أحسن العلم يزينه العمل وما أحسن العمل يزينه الرفق وما أضيف شيء إلى شيء مثل حلم إلى علم) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. **(وقال عمرو بن العاص)** بن وائل السهمي القرشي **(لابنه عبدالله)** رضي الله عنهما: **(ما الرفق؟ قال: أن تكون ذا إناة)** بالكسر اسم من التأني وهو التثبت في الأمور وعدم التسرع فيها، **(وتلاين الولاة)** أي تلاطفهم وتصانعهم في القول والعمل. **(قال: فما الخرق؟ قال: معاداة إمامك)** أي ولي الأمر (ومناوأة) أي معارضة **(من يقدر على ضررك)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. **(وقال سفيان)** بن عيينة **(لأصحابه: أتدرون ما الرفق؟ قالوا: قل يا أبا محمد قال: أن تضع الأمور** مواضعها: **الشدة في موضعها، واللين في موضعه، والسيف في موضعه والسوط في موضعه)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب، وغلط من زعم أنه سفيان الثوري فإن الثوري يكنى أبا عبدالله، **(وهذا إشارة إلى أنه لا بد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق كما قيل)** قائله أبو الحسين أحمد بن الحسين المتنبي:

(ووضع الندى في موضع السيف بالعلا ... مضر كوضع السيف في موضع الندى)

فالمحمود وسط بين العنف واللين كما في سائر الأخلاق، ولكن لما كانت الطباع إلى العنف والحدة أميل كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر، فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق دون العنف، وإن كان العنف في محله حسناً كما أن الرفق في محله حسن، فإذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق الهوى وهو ألذ من الزبد بالشهد. وهكذا، قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله، وروي أن عمرو بن العاص كتب إلى معاوية يعاتبه في التأني فكتب إليه معاوية. أما بعد، فإن التفهم في الخير زيادة رشد، وإن الرشيد من رشد عن العجلة وإن الخائب من خاب عن الإناة وإن المتثبت مصيب أو كاد أن يكون مصيباً وأن العجل مخطىء أو كاد أن يكون مخطئاً، وإن من ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لا ينفعه التجارب لا يدرك المعالي. وعن أبي عون الأنصاري قال: ما تكلم الناس بكلمة صعبة إلا وإلى جانبها كلمة ألين منها تجري مجراها. وقال أبو حمزة الكوفي:

(**فالمحمود**) من ذلك (**وسط بين العنف واللين كما في سائر الأخلاق**) على ما سبق ذكره في كتاب رياضة النفس، (**ولكن لما كانت الطباع إلى العنف والحدة أميل كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر، فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق**) في أخبار تقدم ذكرها (**دون العنف**) بل ورد فيه ما يصرح بذمة وتقبيحه (**وإن كان العنف في محله**) حيث أمره الشرع (**حسناً كما أن الرفق في محله حسن، فإذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق الهوى وهو ألذ من الزبد**) إذا خلط (**بالشهد**) بالضم وهو العسل الأبيض (**هكذا قاله عمر بن عبد العزيز**) كما أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. (**وروي أن عمرو بن العاص كتب إلى معاوية**) رضي الله عنهما (**يعاتبه في التأني**) ويحضه على اغتنام الفرصة في أمر كان قصده، (**فكتب إليه معاوية**) في الجواب (**أما بعد: فإن التفهم في الخير زيادة**) علم و(**رشد**) من الضلالة، (**وأن الرشيد من رشد عن العجلة**) أي استبصر فلم يعجل في أمره، (**وأن الخائب من خاب عن الإناة**) بالكسر اسم من التأني (**وأن المتثبت**) في أمره (**مصيب**) أي واجد الصواب (**أو كاد أن يكون مصيباً وأن العجل في**) الأمور (**مخطىء**) عن طريق الصواب (**أو كاد أن يكون مخطئاً وأن من لا ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لا تنفعه التجارب لا يدرك المعالي**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. (**وعن أبي عون الأنصاري**) الأعور الشامي، اسمه عبدالله بن أبي عبدالله مقبول، روى له النسائي (**قال: ما تكلم الناس بكلمة صعبة إلا وإلى جانبها كلمة ألين منها تجري مجراها**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. (**وقال أبو حمزة الكوفي**) اسمه سيار مقبول، روى له البخاري في كتاب الأدب المفرد، وأبو داود، والترمذي وابن ماجه، ووقع في الإسناد عن سيار أبي الحكم عن طارق بن شهاب، والصواب عن سيار أبي حمزة فإنه هو الذي روى عن طارق بن شهاب، وأما سيار أبو الحكم العنزي فإنه لم تثبت روايته عن طارق. نبه عليه الحافظ في مختصر التهذيب: (**لا تتخذ من الخدم**

لا تتخذ من الخدم إلا ما لا بد منه فإن مع كل إنسان شيطاناً. واعلم أنهم لا يعطونك بالشدة شيئاً إلا أعطوك باللين ما هو أفضل منه. وقال الحسن: المؤمن وقاف متأن وليس كخاطب ليل: فهذا ثناء أهل العلم على الرفق وذلك لأنه محمود ومفيد في أكثر الأحوال وأغلب الأمور، والحاجة إلى العنف قد تقع ولكن على الندور، وإنما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف فيعطي كل أمر حقه فإن كان قاصر البصيرة أو أشكل عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن ميله إلى الرفق فإن النجح معه في الأكثر.

القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته:

بيان ذم الحسد:

اعلم أن الحسد أيضاً من نتائج الحقد، والحقد من نتائج الغضب فهو فرع فرعه والغضب أصل أصله، ثم إن للحسد من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى. وقد ورد في ذم الحسد خاصة أخبار كثيرة؛ قال رسول الله ﷺ: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل

إلا ما لا بدّ منه فإن مع كل إنسان شيطاناً فإكثار الخدم إكثار من الشياطين، **(واعلم أنهم لا يعطونك بالشدة شيئاً إلا أعطوك باللين ما هو أفضل منه)**. اخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. **(وقال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى: **(المؤمن وقاف)** أي كثير الوقوف والتثبت **(متأن)** في أموره **(وليس كحاطب ليل)** إذ لا يخوض فيما لا يعنيه، فإن الذي يجمع الحطب بالليل يوشك أن يلم ما يؤذيه من حية وغيرها يظنه حطباً. أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

(فهذا ثناء أهل العلم على الرفق وذلك لأنه محمود) العاقبة **(مفيد في أكثر الأحوال وأغلب الأمور، والحاجة إلى العنف قد تقع ولكن على الندور)** والقلة **(وإنما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف)** بحسن تبصرة **(فيعطي كل أمر حقه، فإن كان قاصر البصيرة)** عن التمييز **(أو أشكل عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن ميله إلى الرفق)** دون العنف، **(فإن النجح معه)** أي مع الرفق **(في الأكثر)** وإن لم يصب فلا تلحقه مذمة، والله أعلم.

القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته

بيان ذم الحسد:

(اعلم) هداك الله **(أن الحسد أيضاً من نتائج الحقد، والحقد من نتائج الغضب)** فإن الإنسان إذا غضب حقد وإذا حقد حسد **(فهو)** أي الحقد **(فرع فرعه)** أي نتيجته بالواسطة **(والغضب أصل أصله)** الذي ينشأ منه، **(ثم للحسد)** مع كونه فرعاً **(من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى، وقد ورد في ذم الحسد خاصة أخبار كثيرة)** منها:

النار الحطب »، وقال ﷺ في النهي عن الحسد وأسبابه وثمراته: « لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً »، وقال أنس: كنا يوماً جلوساً عند رسول الله ﷺ فقال: « يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة » قال: فطلع رجل من الأنصار ينفض لحيته من وضوئه قد علق نعليه في يده الشمال فسلَّم، فلما كان الغد قال ﷺ مثل ذلك فطلع ذلك الرجل، وقاله في اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل، فلما قام النبي ﷺ تبعه عبدالله بن عمرو بن العاص فقال له: إني لاحيت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثاً فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي الثلاث

(**قال ﷺ: « الحسد**) أي المذموم وهو تسخط قضاء الله والإعتراض عليه (**يأكل الحسنات**) قال الطيبي: الأكل هنا استعارة لعدم القبول وأن حسناته مردودة عليه وليست بثابتة في ديوان عمله الصالح حتى تحبط (**كما تأكل النار الحطب »**) فتعدمه وتمحوه، وذلك لأن الحسد اعتراض على الله فيما لا عذر للعبد فيه لأنه لا تضره نعمة الله على عبده والله لا يبعث ولا يضع الشيء في غير محله، فكأنه نسب ربه للجهل والسفه ولم يرض بقضائه، فلذلك ردت حسناته من ديوان الأعمال. قال العراقي: رواه أبو داود من حديث أبي هريرة وابن ماجه من حديث أنس وقد تقدم.

قلت: وعند ابن ماجه: « والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار، والصلاة والصوم والإيمان جنة من النار » سنده ضعيف وقد تقدم الكلام في ذلك وأخرجه الخطيب بسند حسن.

(**وقال ﷺ في النهي عن الحسد وأسبابه وثمراته: « لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخواناً »**) فإن التباغض من أسباب الحسد، والتقاطع والتدابر من ثمراته ونتيجته. أخرجه أحمد والبخاري ومسلم، وفي رواية لمسلم: « لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً المسلم أخو المسلم » الحديث بطوله، وبلفظ المصنف رواه ابن أبي شيبة في المصنف من حديث أبي بكر وقد تقدم الكلام فيه في كتاب آداب الصحبة.

(**وقال أنس**) رضي الله عنه: (**كنا يوماً جلوساً عند رسول الله ﷺ فقال: « يطلع عليكم الآن من هذا الفج**) وهو الطريق في الجبل (**رجل من أهل الجنة » قال: فطلع رجل من الأنصار تنطف**) أي تقطر (**لحيته من وضوئه قد علق نعليه في يده الشمال فسلم، فلما كان من الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل وقاله في اليوم الثالث، فطلع ذلك الرجل، فلما قام النبي ﷺ تبعه عبدالله بن عمرو بن العاص**) وقد كان حاضراً في تلك المجالس في المرات الثلاثة، يسمع منه ﷺ قوله فيه، (**فقال**) لذلك الرجل: (**إني لاحيت أبي**) أي خاصمته في أمر (**فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثاً**) أي ثلاث ليال (**فإن رأيت أن**

فعلت، فقال: «نعم» فبات عنده ثلاث ليال فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى، ولم يقم حتى يقوم لصلاة الفجر قال: غير أني ما سمعته يقول: إلاَّ خيراً فلما مضت الثلاث وكدت أن أحتقر عمله قلت: يا عبدالله لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول كذا وكذا فأردت أن أعرف عملك فلم أرك تعمل عملاً كثيراً فما الذي بلغ بك ذلك؟ فقال: ما هو إلا ما رأيت، فلما وليت دعاني فقال ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد على أحد من المسلمين في نفسي غشاً ولا حسداً على خير أعطاه الله إياه، قال عبدالله: فقلت له هي التي بلغت بك وهي التي لا نطيق، وقال ﷺ: «ثلاث لا ينجو منهن أحد: الظن والطيرة والحسد، وسأحدثكم بالمخرج من ذلك: إذا ظننت فلا تحقق، وإذا تطيرت فامض، وإذا حسدت

تؤويني إليك) أي تضمني إلى بيتك **(حتى تمضي)** الثلاث ليال **(فعلت. فقال: نعم فبات عنده ثلاث ليال)** يراعي أحواله في حركاته وسكناته، **(فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى ولا يقوم حتى يقوم لصلاة الفجر. قال)** عبدالله بن عمرو: **(غير أني لم أسمعه يقول: إلا خيراً فلما مرت الثلاث)** الليال **(وكدت أن أحتقر عمله قلت: يا عبدالله)** ناداه بأعم أسمائه فإن الخلق كلهم عبداً لله، **(لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة)** أي مهاجرة **(ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول كذا وكذا، فأردت أن أعرف عملك فلم أرك تعمل عملاً كثيراً)** يوجب تلك البشارة، **(فما الذي بلغ بك ذلك قال: ما هو إلا ما رأيت، فلما وليت)** بظهري **(دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد على أحد من المسلمين في نفسي عنتاً ولا حسداً على خير أعطاه الله إياه، فقال عبدالله)** بن عمرو: **(فقلت له هي التي بلغت بك وهي التي لا نطيق)** رواه ابن أبي الدنيا هكذا في كتاب ذم الحسد. وقال العراقي: رواه أحمد بسند صحيح على شرط الشيخين، ورواه البزار وسمى الرجل في رواية له سفيانفيها ابن لهيعة انتهى.

قلت: وجدت بخط الحافظ في هامش المغني عند قوله صحيح على شرط الشيخين ما لفظه له علة، فإن الزهري لم يسمعه عن أنس فيما يقال اهـ.

والمسمى بسفيان في الأنصار من الصحابة ثلاثة: سفيان بن نسر بن زيد الخزرجي، وسفيان بن ثابت الأنصاري، وسفيان بن أمية الظفري فالله أعلم أيهم أراده البزار.

(وقال ﷺ: «ثلاثة لا ينجو منهن أحد: الظن) أي سوء الظن بالناس، **(والطيرة)** أي التطير وهو التشاؤم، **(والحسد)** لذوي النعم على ما منحهم الله تعالى **(وسأحدثكم بالمخرج من ذلك)** قالوا: أخبرنا يا رسول الله. قال: **(إذا ظننت فلا تحقق)** مقتضى ظنك، **(وإذا تطيرت)** من شيء **(فامض)** لمقصدك **(وإذا حسدت فلا تبغ»)** أي لا تجاوز الحد. رواه ابن

فلا تبغ ». وفي رواية: « ثلاثة لا ينجو منهن أحد وقلَّ من ينجو منهن » **فأثبت في هذه** الرواية إمكان النجاة. وقال ﷺ: « دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء، والبغضة هي الحالقة لا أقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين والذي نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتى تحابوا ألا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم أفشوا السلام بينكم ». وقال ﷺ: « كاد الفقر أن يكون كفراً وكاد الحسد أن يغلب القدر ».

أبي الدنيا في كتاب ذم الحسد من حديث أبي هريرة، وفيه يعقوب بن محمد الزهري، وموسى بن يعقوب الزمعي ضعفها الجمهور، **(وفي رواية: « ثلاث لا ينجو منهن أحد وقلَّ من ينجو منهن »)** رواها ابن أبي الدنيا أيضاً من رواية عبد الرحمن بن معاوية وهو مرسل ضعيف وتقدم في آفات اللسان حديث حارثة بن النعمان: « ثلاث لازمات لأمتي سوء الظن والحسد والطيرة فإذا ظننت فلا تحقق وإذا حسدت فاستغفر الله تعالى وإذا تطيرت فامض ». رواه أبو الشيخ في التوبيخ والطبراني في الكبير. وروى رستة في كتاب الإيمان له من مرسل الحسن بلفظ: « ثلاث لم تسلم منها هذه الأمة الحسد والظن والطيرة ألا أنبئكم بالمخرج منها إذا ظننت فلا تحقق وإذا حسدت فلا تبغ وإذا تطيرت فامض » **(فأثبت في هذه الرواية إمكان النجاة)**.

(قال ﷺ: « دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء) كانوا يتحاسدون ويتباغضون **(والبغضة هي الحالقة لا أقول حالقة الشعر ولكن حالقه الدين، والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا. ألا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم أفشو السلام بينكم »)** ورواه الطيالسي وأحمد وابن منيع وعبد بن حميد والترمذي وابن أبي الدنيا والشاشي وابن قانع وابن عبد البر في جامع العلم، والبيهقي والضياء المقدسي كلهم من طريق مولى للزبير عن الزبير بن العوّام مرفوعاً.

(وقال ﷺ: « كاد الفقر) أي مع الإضطرار إلى ما لا بد منه كما سيأتي للمصنف **(أن يكون كفراً)** أي قارب أن يوقع في الكفر لأنه يحمل على حسد الأغنياء، والحسد يأكل الحسنات وعلى التذلل لهم بما يدنس به عرضه ويثلم به دينه وعلى عدم الرضا بالقضاء وتسخط الرزق، وذلك إن لم يكن كفراً فهو جار إليه. وقيل: المراد كاد أن يكفر نعمة الفقر لثقل تحملها على النفس، وذلك لأن الفقر نعمة من الله داع إلى الإنابة والإلتجاء إليه والطلب منه، وهو حلية الأنبياء وزينة الأولياء وزي الصلحاء، ومن ثم ورد في الخبر: إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين فهو نعمة جليلة بيد أنه مؤلم شديد التحمل. **(وكاد الحسد أن يغلب القدر »)** أي كاد الحسد في قلب الحاسد أن يغلب العلم بالقدر، فلا يرى أن النعمة التي حسد عليها أنها صارت إليه بقدر الله وقضائه، كما أنها لا تزول إلا بقضائه وقدره، وغرض الحاسد زوال نعمة المحسود. ولو تحقق لم يحسده واستسلم وعلم أن الكل بقدر. قال العراقي: رواه أبو مسلم الكشي، والبيهقي في الشعب من

....

رواية يزيد الرقاشي عن انس ويزيد ضعيف، ورواه الطبراني في الاوسط من وجه اخر بلفظ: « كادت الحاجة أن تكون » وفيه ضعف أيضاً انتهى.

قلت: قال الحافظ السخاوي في المقاصد: رواه أحمد بن منيع من طريق يزيد بن الرقاشي عن الحسن أو أنس به مرفوعاً وهو عند أبي نعيم في الحلية، وأبي مسلم الكشي وأبي علي بن السكن في مصنفه، والبيهقي في الشعب، وابن عدي في الكامل من طريق يزيد عن الحسن بلا شك، وفي لفظ عند بعضهم أن يسبق بدل أن يغلب ويزيد ضعيف.

ورواه الطبراني من طريق عمر بن عثمان الكلابي عن عيسى بن يونس عن سليمان التيمي عن أنس مرفوعاً ولفظه: « كاد الحسد أن يسبق القدر وكادت الحاجة أن تكون كفراً » وفيه ضعف أيضاً انتهى.

قلت: وفي الميزان يزيد الرقاشي تألف.

وقد رواه أبو نعيم من طريق المسيب بن واضح، عن يوسف بن أسباط، عن سفيان، عن حجاج بن الفرافصة، عن يزيد وحجاج قال أبو زرعة ليس بقوي. وقال الزركشي: لكن يشهد له ما خرّجه النسائي وابن حبان وصححه من طريق أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً أنه كان يقول: « اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر » فقال رجل: ويعتدلان؟ قال: « نعم » انتهى.

وفي الحلية في ترجمة عكرمة أن لقمان قال لابنه: قد ذقت المرار فليس شيء أمر من الفقر. وقال العسكري في الأمثال: ولا تكاد العرب تجمع بين كاد وأن وبذلك نزل القرآن، ولكن كذا يرويه أصحاب الحديث هكذا نقله السخاوي وفي الأنصاف لابن الأنباري: لا تستعمل: « أن » مع « كاد » في اختيار ولذلك لم يأت في القرآن ولا في كلام فصيح، فأما حديث: « كاد الفقر أن يكون كفراً » فإن صح فزيادة « أن » من كلام الراوي انتهى.

وقال النووي: إثبات: « أن » مع « كاد » جائز ولكنه قليل. وقال ابن مالك: وقوع خبر « كاد » مقروناً « بأن » قد خفي على أكثر النحاة، والصحيح جوازه لكنه قليل، ولذلك لم يقع في القرآن لكن عدم وقوعه فيه لا يمنع من استعماله قياساً.

لطيفة:

قال المناوي في شرحه: قد ألغز أبو العلاء المعري في لفظه: « كاد » فقال:

أنحوي هذا العصر ما هي لفظة ... جرت في لساني جرهم وثمود
إذا ما نفت والله أعلم أثبتت ... وإن أثبتت قامت مقام جحود

قال الشهاب الحجازي: فلم أر أحداً أجاب فقلت:

لقد كاد هذا اللغز يصدىء فكرتي ... وما كدت أشفي علتي بورودِ
وهذا جواب يرتضيه ذوو النهى ... وممتنع عن فهم كل بليدِ

وقال ﷺ : « إنه سيصيب أمتي داء الأمم » قالوا : وما داء الأمم؟ قال: « الاشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي ثم الهرج » . وقال ﷺ : « لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك » . وروي أن موسى عليه السلام لما تعجل إلى ربه تعالى رأى في ظل العرش رجلاً فغبطه بمكانه فقال: إن هذا الكريم على ربه ،

وهذا الجواب لغز أيضاً وقد أوضحه بعضهم بقوله:

أشار الحجازي الإمام الذي حوى علوماً زكت من طارف وتليدِ
إلى كاد إفصاحاً لذي الفضل والنهى وأبهم أفكاراً لكل بليدِ

(**وقال ﷺ : إنه سيصيب أمتي داء الأمم » قالوا**) : يا رسول الله (**وما داء الأمم؟ قال: « الأشر**) محركة أي كفر النعمة (**والبطر**) محركة أي الطغيان عند النعمة (**والتكاثر**) من جمع المال (**والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي**) أي مجاوزة الحد (**ثم يكون الهرج »**) بفتح فسكون أي القتل، وهذا تحذير شديد من التنافس في الدنيا والتحاسد عليها، فإن ذلك أصل الفتن وعنه ينشأ الشرور . قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة باسناد جيد انتهى.

قلت: ورواه كذلك ابن أبي الدنيا في ذم الحسد والحاكم وصححه، وأقره الذهبي وفي إسناد الطبراني أبو سعيد الغفاري لم يرو عنه غير حميد بن هانيء ورجاله وثقوا، وهذا السياق الذي ساقه المصنف لابن أبي الدنيا . ولفظ الجماعة: والتشاحن في الدنيا والتباغض والتحاسد وليس عندهم ثم يكون الهرج.

(**وقال ﷺ : « لا تظهر الشماتة لأخيك**) في الدين كذا هو باللام في سائر الروايات والمشهور بأخيك بالباء الموحدة والشماتة الفرح ببلية من يعاديك أو تعاديه (**فيعافيه الله**) وفي رواية فيرحمه الله أي رغماً لأنفك (**ويبتليك »**) حيث زكيت نفسك ورفعت منزلتك وشمخت بانفك وشمت به . قال الطيبي: وجملة فيرحمه الله نصب جواباً باللنهي ويبتليك عطف عليه وهذا معدود من جوامع الكلم. قال العراقي: رواه الترمذي من حديث واثلة بن الأسقع وقال: حسن غريب، وفي رواية ابن أبي الدنيا فيرحمه الله انتهى.

قلت: أورده الترمذي من طريقين: أحدهما من حديث عمر بن إسماعيل بن مجالد عن حفص ابن غياث عن يزيد بن سنان عن مكحول عن واثلة، والآخر من طريق القاسم بن أمية الحذاء عن حفص بن غياث به، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات، وقال عمر بن إسماعيل كذاب كذبه ابن معين وغيره، والقاسم لا يجوز الاحتجاج به، ولا أصل للحديث وممن تبع ابن الجوزي القزويني فانتقده على المصابيح، وزعم وضعه ونازعها العلائي والحق مع العلائي فإن القاسم بن أمية صدوق وتضعيف ابن حبان له بلا مسند، فالحديث له أصل لا كما قاله ابن الجوزي.

(**وروي أن موسى**) عليه السلام (**لما تعجل إلى ربه رأى في ظل العرش رجلاً فغبطه**

فسأل ربه تعالى أن يخبره باسمه فلم يخبره وقال: أحدثك من عمله بثلاث: كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، وكان لا يعق والديه، ولا يمشي بالنميمة. وقال زكريا عليه السلام: قال الله تعالى: الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي. وقال ﷺ: «أخوف ما أخاف على أمتي أن يكثر فيهم المال فيتحاسدون ويقتتلون». وقال ﷺ: «استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود». وقال ﷺ: «إن لنعم الله أعداء» فقيل: ومن هم؟ فقال: «الذين

بمكانه) أي تمنى أن يكون مثله **(وقال: إن هذا الكريم على ربه فسأل ربه أن يخبره باسمه فلم يخبره باسمه وقال: أحدثك من عمله بثلاث)** خصال: **(كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، وكان لا يعق والديه، وكان لا يمشي بالنميمة)** أورده القشيري في الرسالة مختصراً ولفظه: رأى موسى عليه السلام رجلاً عند العرش فغبطه فقال: ما صنعته؟ فقيل: كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله انتهى.

وقد وقع نظيره لنبينا ﷺ وذلك فيما ذكره العلماء في قصة المعراج أنه رأى رجلاً في نور العرش الحديث، وفيه: ولم يكن عاقاً لوالديه. أخرجه ابن أبي الدنيا من حديث أبي المخارق مرسلاً، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب.

(وقال زكريا يا صلوات الله عليه، قال الله تعالى: الحاسد عدوّ لنعمتي مسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي) قال القشيري في الرسالة. قال بعضهم: الحاسد جاحد لأنه لا يرضى بقضاء الواحد قال: وفي بعض الكتب الحسود عدوّ نعمتي.

(وقال ﷺ: «أخوف ما أخاف على أمتي أن يكثر فيهم المال فيتحاسدون ويقتتلون») أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الحسد من حديث أبي عامر الأشعري، وفيه ثابت بن أبي ثابت جهله ابن أبي حاتم. قال العراقي: وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد أن مما يخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها، ولهما من حديث عمرو بن عوف البدري: «والله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا» الحديث. ولمسلم من حديث عبدالله بن عمرو: «إذا فتحت عليكم فارس والروم» الحديث وفيه: «يتنافسون ثم يتحاسدون ثم يتدابرون» الحديث. ولأحمد والبزار من حديث عمر: «لا تفتح الدنيا على أحد إلا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة» وفيه ابن لهيعة.

(وقال ﷺ: «استعينوا على قضاء الحوائج) وفي رواية على قضاء حوائجكم **(بالكتمان)** أي كونوا لها كاتمين عن الناس واستعينوا بالله على الظفر بها، ثم علل طلب الكتمان بقوله: **(فإن كل ذي نعمة محسود»)** أي إن أظهرتم حوائجكم للناس حسدوكم. قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا والطبراني من حديث معاذ بسند ضعيف انتهى.

يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله». وقال ﷺ: «ستة يدخلون النار قبل

قلت: حديث معاذ أخرجه العقيلي وابن عدي والطبراني وأبو نعيم والبيهقي، فالعقيلي رواه عن محمد بن خزيمة عن سعيد بن سالم العطار عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ، والباقون من طريق العقيلي، ثم قال أبو نعيم: غريب من حديث خالد تفرد به عنه ثور حدث به عمر بن يحيى البصري عن شعبة عن ثور اهـ.

وقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات وقال: سعيد كذاب، قال البخاري يذكر بوضع الحديث، وتابعه حسين بن علوان وضاع، وقد أخرجه ابن أبي الدنيا أيضاً بهذا الإسناد، وقال ابن حبان: سعيد يضع الحديث، وقال العقيلي: لا يعرف إلا بسعيد ولا يتابع عليه، وقال الهيثمي: إن ابن معدان لم يسمع معاذاً فهو منقطع. وفي الباب ابن عباس رواه الخطيب في التاريخ عن إبراهيم بن مخلد عن إسماعيل بن علي الخطيب، عن الحسين بن عبدالله الإبزاري، عن إبراهيم بن سعيد الجوهري، عن المأمون، عن الرشيد، عن المهدي، عن أبيه عن جده، عن عطاء عن ابن عباس. قال ابن الجوزي: موضوع من عمل الإبزاري، وسئل أحمد وابن معين عنه فقالا: يضع، وقال ابن أبي حاتم: هو أي حديث ابن عباس هذا منكر لا يعرف، وعمر بن الخطاب رواه أبو بكر الخرائطي في اعتلال القلوب عن علي بن حرب عن حابس بن عمر، وعن ابن جريج عن عطاء عنه وهو ضعيف أيضاً. وعلي بن أبي طالب رواه الخلعي في فوائده عن أحمد بن محمد بن الحجاج، عن أحمد بن محمد القرسياني، عن أحمد بن عبدالله، عن غندر، عن شعبة عن مروان الأصفر عن النزال بن سبرة عنه. وقال الحافظ السخاوي في المقاصد: رواه الطبراني في معاجمه الثلاثة، وعنه وعن غيره أبو نعيم في الحلية من حديث سعيد بن سالم العطار، عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ رفعه. وكذا أخرجه ابن أبي الدنيا، والبيهقي، في الشعب، والعسكري في الأمثال، والخلعي في فوائده، والقضاعي في مسنده وسعيد كذبه أحمد وغيره. وقال العجلي: لا بأس به. ولكن قد أخرجه العسكري أيضاً من غير طريقه بسند ضعيف أيضاً عن وكيع عن ثور ولفظه: استعينوا على طلب حوائجكم بكتمانها فإن لكل نعمة حسدة، ولو أن امرءاً كان أقوم من قدح لكان له من الناس غامز وهو مع ذلك منقطع، فخالد لم يسمع من معاذ. وله طريق أخرى عند الخلعي في فوائده من حديث مروان الأصفر عن النزال بن سبرة عن علي رفعه أي بلفظ المصنف إلا أنه زاد في آخر لها، ثم قال: وفي الباب جماعة منهم عمر.

قلت: وبما ذكر يظهر أن الحديث ضعيف لا موضوع، وابن الجوزي يتساهل كثيراً كما تقدمت الإشارة إليه، ثم إن الأحاديث الواردة في التحدث بالنعم محمولة على ما بعد وقوعها فلا تكون معارضة لهذا. نعم إن ترتب على التحديث بها حسد فالكتمان أولى، والله أعلم.

(وقال ﷺ: «إن لنعم الله اعداء» قيل: ومن أولئك؟ قال: «قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله») قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس: إن لأهل النعم حساداً فاحذروهم وسنده ضعيف.

الحساب بسنة » قيل : يا رسول الله من هم ؟ **قال : « الأمراء بالجور ، والعرب بالعصبية ، والدهاقين بالتكبر ، والتجار بالخيانة ، وأهل الرستاق بالجهالة ، والعلماء بالحسد »** .

الآثار : قال بعض السلف : أوّل خطيئة كانت هي الحسد . حسد إبليس آدم عليه السلام على رتبته فأبى أن يسجد له فحمله الحسد على المعصية . وحكي أن عون بن عبدالله دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذ على واسط فقال : إني أريد أن أعظك

(**وقال** ﷺ : **« ستة يدخلون النار قبل الحساب » قيل : يا رسول الله** ﷺ **من هم » ؟ قال : « الأمراء بالجور**) أي الظلم على الرعية ، (**والعرب**) وهم سكان البادية (**بالعصبية**) الجاهلية ، (**والدهاقين**) جمع دهقان بالكسر وهو رئيس القرية (**بالتكبر**) على أهل قريته ، (**والتجار بالخيانة**) في معاملاتهم (**وأهل الرستاق**) أي السواد (**بالجهالة**) في أمور الدين ، (**والعلماء بالحسد »**) قال العراقي : رواه الديلمي من حديث ابن عمر وأنس بسندين ضعيفين اهـ .

قلت : لفظ الديلمي من حديث أنس : « ستة يعذبهم الله بذنوبهم يوم القيامة الأمراء بالجور ، والعلماء بالحسد ، والعرب بالعصبية ، وأهل الأسواق بالخيانة ، والدهاقين بالكبر ، وأهل الرساتيق بالجهل » .

وأما حديث ابن عمر فأخرجه أبو نعيم في الحلية بلفظ : « ستة يدخلون النار بغير حساب : الأمراء بالجور ، والعرب بالعصبية ، والدهاقين بالكبر ، والتجار بالكذب ، والعلماء بالحسد ، والأغنياء بالبخل » .

ومما جاء في المرفوع « الحسد يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل » رواه الديلمي من حديث معاوية بن حيدة . وعن ابن مسعود رفعه « إياكم والكبر فإن إبليس حمله الكبر على أن لا يسجد لآدم ، وإياكم والحرص فإن آدم حمله الحرص على أكل الشجرة ، وإياكم والحسد فإن ابني آدم إنما قتل أحدهما صاحبه حسداً فهن أصل كل خطيئة » أخرجه القشيري في الرسالة ، وابن عساكر في التاريخ من حديثه .

(**الآثار**) : (**قال بعض السلف : إن أول خطيئة كانت**) أي وجدت (**هي الحسد**) وذلك أنه (**حسد إبليس آدم**) على ما شرفه وآتاه من فضله (**فأبى أن يسجد له فحمله على المعصية**) وهو مأخوذ من حديث ابن مسعود الذي تقدم ذكره قريباً ، وأورده القشيري في الرسالة بسنده ، وفيه : فهن أصل الخطيئة . (**وحكي أن عون بن عبد الله**) بن عتبة بن مسعود الهذلي المكي عابد ثقة روى له مسلم والأربعة ، مات قبل العشرين ومائة (**دخل على الفضل**) كذا في النسخ والصواب المفضل (**بن المهلب**) بن أبي صفرة ظالم بن سراق العتكي ، أبو غسان البصري ؛ صدوق من مشاهير الأمراء ، روى له أبو داود ، والنسائي ، ووالده المهلب يكنى أبا سعيد

بشيء . فقال: وما هو؟ قال: إياك والكبر فإنه أوّل ذنب عُصيَ الله به ، ثم قرأ : ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاَّ إبليس﴾ [البقرة: ٣٤] الآية . وإياك والحرص فإنه أخرج آدم من الجنة أمكنه الله سبحانه من جنة عرضها السموات والأرض يأكل منها إلا شجرة واحدة نهاه الله عنها فأكل منها فأخرجه الله تعالى منها ثم قرأ : ﴿اهبطوا منها﴾ [البقرة: ٣٨] إلى آخر الآية . وإياك والحسد فإنما قتل ابن آدم أخاه حين حسده ثم قرأ : ﴿واتلُ عليهم نبأ ابنيْ آدم بالحق﴾ [المائدة: ٢٧] الآيات . وإذا ذكر أصحاب رسول الله ﷺ فأمسك ، وإذا ذكر القدر فاسكت ، وإذا ذكرت النجوم

بصري من ثقات الأمراء ، وله رواية مرسلة. قال أبو إسحاق السبيعي : ما رأيت أميراً أفضل منه . مات سنة اثنتين وثمانين على الصحيح، خلف ثلاثة وعشرين ذكراً ، روى أبو داود والترمذي والنسائي ، **(وكان يومئذ بواسط)** مدينة بالعراق اختطها الحجاج ، وكان عاملاً عليها من طرف أخيه يزيد بن المهلب ، وكان أخوه يزيد والياً على البصرة بل على العراق جميعه ، فلما كان سنة اثنين ومائة ندب يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة بن عبد الملك في جيش كثيف إلى قتال يزيد بن المهلب إذ بلغه أنه دعا الناس إلى نفسه ، والتقيا يوم الجمعة منتصف صفر بعقر بابل فقتل يزيد ومن معه من أخوته وأولادهم وعدتهم ثمانية وعشرون إنساناً إلا المفضل فإن ابنه احتال عليه بأن قال الأمير يعني يزيد قد مضى ويقول لك : اتبعني فانصرف عند ذلك ، ولما عرف الخبر انكر على ابنه فعله وشد عليه بالسيف وقال: ما أراك إلا أنت تفضح شيخاً مثلي ، وكان معاوية بن يزيد إذ ذاك بواسط فأخذ عيال أبيه وثقله وانحدر إلى البصرة ولحق بهم المفضل ومن معه ، واجتمع بها آل المهلب وانفذ مسلمة بن عبد الملك مالك بن أحوز المازني في طلب من هرب من آل المهلب وأمره بقتل كل من بلغ منهم، فقتل المفضل بن المهلب وسائر ولد المهلب الباقين ولم يدع بالغاً منهم إلا قتله **(فقال: إني أريد أن أعظك بشيء : فقال: ما ذاك؟ فقال: إياك والكبر فإنه أول ذنب عُصي الله به، ثم قرأ ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا﴾ وإياك والحرص فإنه أخرج آدم من الجنة أمكنه الله من جنة عرضها السموات والأرض يأكل منها إلا شجرة واحدة نهاه الله عنها، فأكل منها فأخرجه، ثم قرأ: ﴿اهبطوا منها جميعاً﴾ إلى آخر الآية . وإياك والحسد فإنه قتل ابن آدم أخاه حين حسده ثم قرأ : ﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق﴾ وإذا ذكر أصحاب رسول الله ﷺ فاسكت)** أي لا تذكرهم بسوء ، **(وإذا ذكر القدر فاسكت)** فإنه سر من أسرار الله لا ينبغي الخوض فيه ، **(وإذا ذكرت النجوم فاسكت)** وأول هذا الأثر قد روي مرفوعاً من حديث ابن مسعود .

قال القشيري في الرسالة : أخبرنا أبو الحسن الأهوازي ، أخبرنا أحمد بن عبيد البصري ، حدثنا إسماعيل بن الفضل ، حدثنا يحي بن مخلد ، حدثنا معاذ بن عمران ، عن الحرث بن شهاب ، عن معبد بن أبي قلابة ، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة هن أصل كل خطيئة

فاسكت. وقال بكر بن عبدالله: كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول: أحسن إلى المحسن بإحسانه فإن المسيء سيكفيه إساءته، فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به إلى الملك فقال: إن هذا الذي يقوم بحذائك ويقول ما يقول زعم أن الملك أبخر، فقال له الملك: وكيف يصح ذلك عندي؟ قال: تدعوه إليك، فإنه إذا دنا منك وضع يده على أنفه لئلا يشم ريح البخر، فقال له: انصرف حتى أنظر فخرج من عند الملك فدعا الرجل إلى منزله فأطعمه طعاماً فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك على عادته فقال: أحسن إلى المحسن بإحسانه فإن المسيء سيكفيه إساءته، فقال له الملك: ادن مني فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة أن يشم الملك منه رائحة الثوم، فقال الملك في نفسه: ما أرى فلاناً، إلا قد صدق. قال: وكان الملك لا يكتب بخطه إلا بجائزة أو صلة، فكتب له كتاباً بخطه إلى عامل من عماله إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبناً وابعث به إليَّ، فأخذ الكتاب وخرج فلقيه

فاتقوهن واحذروهن: اياكم والكبر فإن إبليس حمله الكبر على أن لا يسجد لآدم، وإياكم والحرص فإن آدم حمله الحرص على أن يأكل من الشجرة، وإياكم والحسد فإن ابني آدم إنما قتل أحدهما صاحبه حسداً» وقد تقدم ذلك.

وأخرج الطبراني في الكبير من حديث ابن مسعود، ومن حديث ثوبان «إذا ذكر أصحابي فامسكوا، وإذا ذكرت النجوم فامسكوا، وإذا ذكر القدر فامسكوا» ورواه أيضاً ابن عدي من حديث ابن عمر.

(وقال بكر بن عبد الله) المزني **(كان رجل يغشى بعض الملوك)** أي يدخل عليه **(فيقوم بحذاء الملك)** أي في مقابلته **(فيقول: أحسن إلى المحسن بإحسانه فإن المسيء ستكفيه إساءته، فحسده رجل على ذلك المقام)** من الملك **(والكلام فسعى به إلى الملك فقال: إن هذا الذي يقوم بحذائك ويقول ما يقول زعم أن الملك أبخر)** وهو الذي فسد ريح فمه **(فقال له الملك: وكيف يصح ذلك عندي؟ قال: تدعو به إليك إذا اخذ مقامه فإنه إذا دنا منك يضع يده على أنفه لئلا يشم ريح البخر، فقال له: انصرف حتى أنظر)** صحة ذلك، **(فخرج من عند الملك فدعا الرجل)** المذكور **(إلى منزله فأطعمه طعاماً فيه ثوم، فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك فقال)** على عادته قوله: أيها الملك **(أحسن إلى المحسن بإحسانه والمسيء ستكفيه مساوئه، فقال له الملك: ادن مني فدنا فوضع يده على فيه مخافة أن يشم الملك منه ريح الثوم، فقال الملك في نفسه: ما أرى فلاناً إلاّ قد صدق)** في قوله **(قال: وكان الملك لا يكتب بخطه إلا بجائزة أو صلة فكتب له كتاباً بخطه إلى عامل من عماله: إذا أتاك حامل كتابي فاذبحه واسلخه واحش جلده تبناً وابعث به إليَّ، فأخذ الكتاب**

الرجل الذي سعى به فقال: ما هذا الكتاب؟ قال: خط الملك لي بصلة. فقال: هبه لي! فقال: هو لك، فأخذه ومضى به إلى العامل فقال العامل: في كتابك أن أذبحك وأسلخك، قال: إن الكتاب ليس هو لي فالله الله في أمري حتى تراجع الملك، فقال: ليس لكتاب الملك مراجعة، فذبحه وسلخه وحشا جلده تبناً وبعث به ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته وقال مثل قوله، فعجب الملك وقال: ما فعل الكتاب؟ فقال: لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له. قال الملك: إنه ذكر لي أنك تزعم أني أبخر. قال: ما قلت ذلك. قال: فلم وضعت يدك على فيك؟ قال: لأنه أطعمني طعاماً فيه ثوم فكرهت أن تشمه، قال: صدقت ارجع إلى مكانك فقد كفاك المسيء إساءته. وقال ابن سيرين رحمه

وخرج فلقيه الرجل الذي سعى به فقال: ما هذا الكتاب؟ فقال: خط الملك لي بصلة. فقال: هبه مني. فقال: هو لك فأخذه ومضى إلى العامل، فقال العامل: في كتابك أن أذبحك وأسلخك. قال: إن الكتاب ليس هو لي الله، الله في أمري حتى ارجع إلى الملك. قال: ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبناً وبعث به، ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته وقال مثل قوله، فتعجب الملك وقال: ما فعل الكتاب؟ فقال لقيني فلان واستوهبه مني فوهبته له، فقال الملك: إنه ذكر لي أنك تزعم انني أبخر. قال: ما فعلت. قال: فلم وضعت يدك على أنفك؛ قال: كان اطعمني طعاماً فيه ثوم، فكرهت أن تشمه. قال: صدقت ارجع إلى مكانك فقد كفاك المسيء إساءته).

أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا محمد بن حمزة، حدثنا علي بن سهل، حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، عن حميد، عن بكر بن عبد الله قال: كان فيمن كان قبلكم ملك وكان له حاجب يقربه ويدنيه، وكان هذا الحاجب يقول: أيها الملك أحسن إلى المحسن ودع المسيء تكفيه إساءته. قال: فحسده رجل على قربه من الملك فسعى به فقال: أيها الملك إن هذا الحاجب عدوّ يخبر الناس أنك أبخر. قال: وكيف لي بأن اعلم ذلك؟ قال: إذا دخل تدنيه تكلمه فإنه يقبض على أنفه. قال: فذهب الساعي فدعا الحاجب إلى دعوته واتخذ مرقة وأكثر فيها الثوم، فلما كان من الغد دخل الحاجب فأدناه الملك يكلمه بشيء فقبض على فيه، فقال له: تنح فدعا بالدواة وكتب له كتاباً وختمه وقال: اذهب بهذا إلى فلان وكانت جائزته مائة ألف، فلما أن خرج استقبله الساعي فقال: أي شيء هذا؟ قال: قد دفعه إلى الملك فاستوهبه فوهبه فأخذ الكتاب ومرّ فلما أن فتحوا الكتاب دعوا بالذباحين فقال: اتقوا الله يا قوم، فإن هذا غلط وقع علي وعاودوا الملك، فقالوا: لا يتهيأ لنا معاودة الملك، وكان في الكتاب، إذا أتاكم حامل كتابي هذا فاذبحوه واسلخوا جلده واحشوه بالتبن ووجهوه إليّ فذبحوه وسلخوا جلده ووجهوه له، فلما ان رآه الملك تعجب فقال: تعال وحدثني واصدقني لم إذ أدنيتك قبضت على أنفك؟ فقال: أيها الملك إن

الله: ما حسدت أحداً على شيء من أمر الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة، وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار؟ وقال رجل للحسن: هل يحسد المؤمن؟ قال: ما أنساك بني يعقوب نعم، ولكن غمه في صدرك فإنه لا يضرك ما لم تعد به يداً ولا لساناً، وقال أبو الدرداء: ما أكثر عبد ذكر الموت إلاّ قلّ فرحه وقلّ حسده! وقال معاوية: كل الناس أقدر على رضاه إلا حاسد نعمة فإنه لا يرضيه إلا زوالها. ولذلك قيل:

كل العداوة قد ترجى إماتتها ... إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال بعض الحكماء: الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسود ما يلقى. وقال إعرابي: ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسد، إنه يرى النعمة عليك نقمة عليه. وقال الحسن: يا

هذا دعاني إلى دعوته واتخذ مرقه وأكثر فيها الثوم واطعمني فلما أدناني الملك قلت يتأذى الملك بريح الثوم، فقال: ارجع إلى مكانك وقل ما كنت تقوله ووصله بمال عظيم أو كما ذكره.

(**وقال محمد بن سيرين**) رحمه الله تعالى: (**ما حسدت أحداً على شيء من أمر الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة، وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد.

(**وقال رجل للحسن**) البصري رحمه الله تعالى: هل يحسد المؤمن؟ قال: **ما أنساك بني يعقوب** عليه السلام حين حسدوا يوسف لمكانته عند أبيهم (**نعم. ولكن غمة في صدرك وأنه لا يضرك ما لم تعدّ به يداً أو لساناً**) أي تجاوز عما في صدرك إلى عمل اليد أو اللسان. أخرجه أبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا محمد بن نصير، حدثنا إسماعيل بن عمر، وحدثنا مالك بن مغول أراه عن عبد الملك بن عمير قال: قال أبو الدرداء: من أكثر ذكر الموت قلّ فرحه وقل حسده، ورواه أيضاً عن عبد الرحمن بن العباس، حدثنا إبراهيم بن إسحاق الحربي، حدثنا عبدالله بن عمر، حدثنا ابن خراش عن العوام عن إبراهيم التيمي، عن أبي الدرداء فذكره. (**وقال معاوية**) رضي الله عنه: (**كل الناس أقدر على رضاك إلا حاسد نعمة فإنه لا يرضيه إلا زوالها**) أخرجه القشيري في الرسالة من غير إسناد (**ولذلك قيل:**

كل العداوة قد ترجى إماتتها) ويروى مودتها (**إلا عداوة من عاداك من حسد**). أورده القشيري في الرسالة.

(**وقال بعض الحكماء: الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسود ما يلقى**) أي من الألم في قلبه في الدنيا والعذاب في الآخرة، (**وقال اعرابي: ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسد إنه يرى النعمة عليك غمة عليه**) وقد روي نحو ذلك من قول عمربن عبد العزيز : ما رأيت ظالماً أشبه

ابن آدم لم تحسد أخاك؟ فإن كان الذي أعطاه لكرامته عليه فلم تحسد من أكرمه الله؟ وإن كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره إلى النار؟ وقال بعضهم: الحاسد لا ينال من المجالس إلا مذمة وذلاً، ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضاً. ولا ينال من الخلق إلا جزعاً وغماً، ولا ينال عند النزع إلا شدة وهولاً، ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالاً.

بمظلوم من الحاسد غم دائم ونفس متتابع كذا في الرسالة القشيرية، وروي أيضاً من قول الخليل بن أحمد: ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسد نفس دائم وعقل هائم وحزن لائم. رواه البيهقي في الشعب. **(وقال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى: **(يا ابن آدم لم تحسد أخاك فإن كان الذي أعطاه لكرامة عليه فلم تحسد من أكرمه الله تعالى وإن كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره إلى النار؟)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد. **(وقال بعضهم: الحاسد لا ينال من المجالس إلا ملامة وذلاً، ولا ينال من الملائكة إلا لعنه وبغضاً، ولا ينال من الخلق إلا جزعاً وغماً، ولا ينال عند الفزع إلاَّ شدة وهولاً، ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالاً)**، أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد.

ومما بقي من الآثار مما يدخل في الباب قال الاحنف بن قيس: لا راحة لحسود أخرجه البيهقي في الشعب. وروى ابن عمر أن ابليس قال لنوح: اثنتان أهلك بهما بني آدم: الحسد وبالحسد لعنت وجعلت شيطاناً رجيماً، والحرص ابيح آدم بالجنة كلها فأصبت حاجتي منه بالحرص أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد. قيل: الحسود لا يسود رواه القشيري في الرسالة وهو صحيح المعنى، والمشهور على الألسنة: الحسود لا يسود أبداً والبخيل تأكل ماله العدا. وفي الرسالة وقيل في قوله تعالى: ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ [الأعراف: ٣٣] قيل: ما بطن الحسد. قلت: والمشهور ما بطن من معاصي القلب من حسد وغيره كالعجب والحقد وسوء الظن، قال: وقيل أثر الحسد يستبين فيك قبل ان يتبين في عدوك. وقال الأصمعي: رأيت اعرابياً أتت عليه مائة وعشرون سنة فقلت: ما أطول عمرك؟ قال: تركت الحسد فبقيت. وقال ابن المبارك: الحمد لله الذي لم يجعل في قلب امرىء ما جعله في قلب حاسدي. وفي بعض الآثار: إن في السماء الخامسة ملكاً يمر به عمل عبد له ضوء كضوء الشمس فيقول له الملك: قفه فأنا ملك الحسد أضرب به وجه صاحبه فإنه حاسد، ويقال: الحاسد ظالم غشوم لا يبقي ولا يذر، وقيل: من علامات الحاسد أن يتملق إذا شهد ويغتاب إذا غاب ويشمت بالمصيبة إذا نزلت. وقال معاوية: ليس في خلال الشرخلة أعدل من الحسد يقتل الحاسد غماً قبل المحسود؛ وقيل: أوحى الله إلى سليمان بن داود عليهما السلام أوصيك بسبعة أشياء: لا تغتابن صالح عبادي، ولا تحسدن أحداً من عبادي. فقال سليمان عليه السلام: يا رب حسبي. وقيل: الحاسد إذا رأى نعمة بهت، وإذا رأى عثرة شمت، وقيل: إذا أردت أن تسلم من الحاسد فلبس عليك أمرك. وقيل: الحاسد مغتاظ على من لا ذنب

بيان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه:

اعلم أنه لا حسد إلا على نعمة فإذا أنعم الله على أخيك بنعمة فلك فيها حالتان.

إحداهما: أن تكره تلك النعمة وتحب زوالها، وهذه الحالة تسمى حسداً. فالحسد حده كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه.

له، بخيل بما لا يملكه. وقيل: إياك أن تعتني في مودة من يحسدك فإنه لا يقبل إحسانك، وقيل: إذا أراد الله سبحانه أن يسلط على عبد عدواً له لا يرحمه سلط عليه حاسده، وقال ابن المعتز:

قل للحسود إذا تنفس صعدة يا ظالماً وكأنه مظلوم

وقال غيره:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

بيان حقيقة الحسد وحكمه واقسامه ومراتبه:

(**اعلم**) وفقك الله تعالى (**انه لا حسد إلا على نعمة، فإذا أنعم الله على أخيك**) في الدين (**بنعمة فلك فيها حالتان.**

احداهما: أن تكره تلك النعمة وتحب زوالها، وهذه الحالة تسمى حسداً. فالحسد حدّه كراهة النعمة وحب زوالها على المنعم عليه). قال التاج السبكي في قواعده: اعلم أن طائفة من الفقهاء أشكلوا ردّ شهادة الحاسد مع قبولها من العدو على غير عدوه، ويقوّي الإشكال تفسير الشافعي العداوة التي ترد بها الشهادة بأنها التي تبلغ حداً يتمنى هذا زوال نعمة ذاك ويفرح بمصائبه ويحزن لمسرته، ففسر الحسد بما فسرّ به العداوة أو بأخف، لأن تمني زوال النعمة أشد من أن يهوى زوالها. إذ التمني تفعل، ويهوى فعل والتفعل أشد، ولكني أقول من الفرق الذي يتضح به العرف بعد تسليم أن الحسد ترد به الشهادة كما قال الراغب: تمنى زوال نعمة على مستحق لها، وربما كان معه سعي في إزالتها. وفي الصحاح: إنه تمنى زوال نعمة المحسود إليك، وعليه جرى ابن الأثير في النهاية حيث قال: إن الحسد أن يرى لأخيه نعمة فيتمنى أن تزول عنه وتكون له دونه، فاتفقوا على أن الحسد تمني زوال نعمة الغير، وشرط الراغب كون الغير مستحقاً والصحاح كون الحاسد يتمنى انقلاب النعمة إليه، فأقول: إن الحسن تمنى زوال نعمة من يستحق تلك النعمة، فالحاسد يعاند المقادير الإلهية ويطلب وضع الحق في غير موضعه أو زواله عن موضعه فهو عاص بهذا الاعتبار، وأما العداوة فناشئة من كراهة شخصه بسبب من الأسباب أعم أن يكون السبب الذي كرهه لأجله مقتضياً للكراهة أم لا. ولا يكون الحامل عليه تلبيس عدّوه بالنعمة بل بمجرد تقربه منه، وذلك مما جبلت عليه بعض السريرة فليس العدو عاصياً ولا مراغماً حقاً وإن كان العدو ذا نعمة يستحقها فليس الحامل له على عداوته كونه مستحقاً به انه عدو، فإن انضم إلى العداوة سعى في زوال النعمة من المستحق أو أمر آخر فهو معصية صرح به في الاعجاب، وبهذا ظهر أن تعريف الحسد في الرافعي ناقض ما قاله أهل اللغة.

الحالة الثانية: أن لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها، ولكن تشتهي لنفسك مثلها وهذه تسمى غبطة وقد تختص باسم المنافسة.

وقد تسمى المنافسة حسداً والحسد منافسة ويوضع أحد اللفظين موضع الآخر ولا حجر في الأسامي بعد فهم المعاني، وقد قال ﷺ: «إن المؤمن يغبط والمنافق يحسد» فأما الأوّل فهو حرام بكل حال إلا نعمة أصابها فاجر أو كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وإفساد ذات البين وإيذاء الخلق فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك لزوالها، فإنك لا تحب زوالها من حيث هي نعمة بل من حيث هي آلة الفساد، ولو أمنت فساده لم يغمك بنعمته، ويدل على تحريم الحسد الاخبار التي نقلناها وأن هذه الكراهة تسخط لقضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة، وأي معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير أن يكون لك منه مضرة؟ وإلى هذا أشار القرآن

(**الحالة الثانية: أن لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ولا دوامها، ولكنك تشتهي لنفسك مثلها وهذا يسمى غبطة**) وهي محمودة (**وقد يخص باسم المنافسة وقد تسمى المنافسة حسداً والحسد منافسة، ويوضع أحد اللفظين بدل الآخر ولا حجر في الأسامي بعد فهم المعاني، وقد قال ﷺ «المؤمن يغبط والمنافق يحسد»**) قال العراقي: لم أجد له أصلاً مرفوعاً، وإنما هو من قول الفضيل بن عياض، كذلك رواه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد.

قلت: ورواه أبو نعيم في الحلية من طريقي إبراهيم بن الاشعث قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: «المؤمن يغبط ولا يحسد والمنافق يحسد ولا يغبط والمؤمن يستر ويعظ وينصح والفاجر يهتك ويغيظ ويشين ويعير».

(**فأما الأول فهو حرام بكل حال**) إذ لا يخلو من معاندة المقادير الإلهية أو طلب الحق في غير موضعه أو زواله عن موضعه، فالمتلبس به عاص بهذا الاعتبار وذلك. إما كبيرة أو يصير كبيرة بالتكرار بالنسبة إلى شخص واحد أو أشخاص لاسيما إذا انضم السعي إليه في الإزالة (**إلا نعمة أصابها فاجر أو كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتن وافساد ذات البين وإيذاء الخلق، فلا تضرك كراهتك لها ومحبتك لزوالها فإنك لا تحب زوالها من حيث أنها نعمة، بل من حيث أنها آلة الفساد، ولو أمنت فساده لم يغمك تنعمه، ويدل على تحريم الحسد الأخبار التي نقلناها**) آنفاً كحديث أبي هريرة: «لا تحاسدوا ولا تباغضوا» وحديثه أيضاً «سيصيب أمتي داء الأمم» وحديثه أيضاً «إياكم والحسد» وحديث الزبير «دب اليكم داء الأمم قبلكم» وغيرها مما تقدم ذكرها. (**وأن هذه الكراهة تسخط لقضاء الله**) وقدره (**في تفضيل بعض عباده على بعض**) لحكمة سبقت، (**وذلك لا عذر فيه ولا رخصة. وأي معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير أن يكون لك فيه مضرة؟ وإلى هذا أشار القرآن بقوله: ﴿إن تمسسكم**

بقوله: ﴿إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها﴾ [آل عمران: ١٢٠] وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة يتلازمان. وقال تعالى: ﴿ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفّاراً حسداً من عند أنفسهم﴾ [البقرة: ١٠٩] فاخبر تعالى أن حبهم زوال نعمة الإيمان حسد. وقال عز وجل: ﴿ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء﴾ [النساء: ٨٩] وذكر الله تعالى حسد أخوة يوسف عليه السلام وعبّر عما في قلوبهم بقوله تعالى: ﴿إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين★ اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخلُ لكم وجه أبيكم﴾ [يوسف: ٨، ٩] فلما كرهوا حب أبيهم له ساءهم ذلك وأحبوا زواله عنه فغيبوه عنه. وقال تعالى: ﴿ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا﴾ [الحشر: ٩] أي لا تضيق صدورهم به ولا يغتمون فأثنى عليهم بعدم الحسد. وقال تعالى في معرض

حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها﴾ وهذا الفرح شماتة). أشار بذلك إلى ان المراد بالحسنة النعمة وبالسيئة المعصية، وانه أريد بالأول الحسد، وبالثاني الشماتة. ثم نبه على أنهما لا يضران المحسود ولا المشموت به إذا اتقى وصبر بقوله: ﴿وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً﴾ [آل عمران: ١٢٠] **(والحسد والشماتة يتلازمان)** وهي معصية زائدة على معصية الحسد. **(وقال تعالى)**: ﴿ودَّ كثير من أهل الكتاب **(لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم﴾ وقال)** تعالى: **﴿ودّوا لو تكفرون كما كفر وافتكونون سواء﴾** أي مساوين في الكفر، **(فأخبر أن حبهم زوال نعمة الإيمان حسد: وذكر الله تعالى حسد أخوة يوسف)** عليهم السلام وهم عشرة لأمهات شتى بني يعقوب عليه السلام، وهم: يهوذا، وروبيل، وشمعون، ولاوي، ورديالون، وبشحر، ودنية بنت خالته تزوّجها يعقوب أولاً، فلما توفيت تزوّج أختها راحيل، فولدت له بنيامين ويوسف، وأربعة آخرين: نتيال وجاد واشر من سريتين زلفة وفلحص، **(وعبر عما في قلوبهم بقوله: ﴿قالوا ليوسف وأخوه﴾)** يعني بنيامين وهو أخوه لأمه وأبيه واختصاصه بالإضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين ﴿أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة﴾ أي: والحال أنا جماعة أقوياء أحق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما ﴿إنَّ أبانا لفي ضلال مبين★﴾ لتفضيله المفضول أو لترك العدل في المحبة روي انه كان أحب إليه لما يرى فيه من المخايل، وكان اخوته يحسدونه. فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له ﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً﴾ بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها ﴿يخلَ لكم وجه أبيكم﴾ أي يصف لكم فيقبل عليكم بكليته ولا يلتفت عنكم إلى غيركم، **(فلما كرهوا حب أبيه له)** وعدم صبره عنه **(ساءهم ذلك وأحبوا زواله عنه فغيبوه عنه)** بما هو مذكور في القرآن. **(وقال تعالى: ﴿ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أتوا﴾ أي لا تضيق به صدورهم ولا يغتمون)** من رؤية ما آتاهم الله من فضله، **(فأثنى**

....

الله عليهم بعدم الحسد) وهو عدم ضيق الصدور من رؤية النعمة. **(قال تعالى في معرض الإنكار)** على أهل الكتب ﴿أم يحسدون الناس﴾ أي بل يحسدون. وإنما قدرت «أم» هنا «بل» لأن المراد هنا اثبات الحسد لهم لا الاستفهام عنه لا بالانكار ولا بغيره، وإذا كان هذا المراد تعين أن يكون التقدير بل يحسدون، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً﴾ الآية. وقد سبق قريباً لا يقال الانكار يتضمن الاثبات وزيادة لأنا نقول: تلك الزيادة لا دليل عليها، بل ولا يقتضيها المقام فظهر أن الاظهر في «أم» هنا أن معناها «بل» فقط. وفي قوله ﴿يحسدون﴾ دلالة على أن المضارع حقيقة في الحال لأنه أطلق في يحسدون، وأريد يد الحال لأنهم كانوا حاسدين وقت وقوع اللفظ عليهم ولم يرد أنهم يحسدون في المستقبل، وإذا أطلق وأريد الحال كان حقيقة لأن الأصل في الاطلاق الحقيقة. وهذا عند التحقيق خلاف من يدعي صلاحية الحال والاستقبال كابن مالك لأنه يجعله موضوعاً للقدر المشترك إلا أن يقال: التواطؤ يقع على افراده للحقيقة.

قال التاج السبكي في قواعده: وأنا أقول بالفصل في ذلك في المشكل وتساوي الأفراد. وفي الآية دلالة على أن مفهوم العموم من باب الكلية لا من باب الكل لأنه تعالى قد ذمهم على الحسد، فإما أن يكون الحسد المذموم عليه الحسد من حيث هو، أو الحسد من حيث العموم بمعنى أن كل واحد مذموم على الحسد القائم به من غير نظر إلى القائم بغيره، ولا خامس لهذه الأقسام عقلاً ولا سبيل إلى الأول لأن الحسد من حيث هو ليس من فعل المكلف لا يلام عليه، ولا إلى الثاني لأن حسد غيره ليس من فعله فكيف يلام على فعل غيره، ولا إلى الثالث أيضاً لأنه كذلك، فتعين الرابع وهو أن يكون الحكم ثابتاً لكل فرد إثباتاً وسلباً غير منظور فيه إلى غيره بنفي ولا اثبات، وفي الآية أيضاً دليل على جواز التكليف بما لا يطاق لأنه تعالى لامهم على الحسد وهو أمر يقوم بالحاسد لا يقدر على دفعه، ونظيرها أقبل ولا تخف، ولا يقال: إنما دام على تعاطي أسبابه للإجماع على ان الحسد في نفسه مذموم، ولأن البخل والحسد سيّان في كونهما مما لا يطاق، وقد ذمهم على البخل قبل ذلك في قوله: ﴿أم لهم نصيب من الملك﴾ [النساء: ٥٣] الآية. وكذلك في قوله ﴿الذين يبخلون﴾ [النساء: ٣٧] والبخل والحسد مشتركان في ان صاحبها يريد منع النعمة عن الغير، ثم يتميز البخل بعدم دفع ذي النعمة شيئاً، والحسد تمني أن لا يعطى أحد سواه شيئاً. وفي الآية أيضاً دلالة على أن الحسد حرام، ثم يختلف باختلاف المحسود، فإن كان نبياً فهو أيضاً كفر، وإلاّ فلا ينتهي إلى الكفر.

فان قلت: ما وجه دلالته عل التحريم؟ قلت: التوعد عليه في قوله تعالى: ﴿وكفى بجهنم سعيرا﴾ [النساء: ٥٥] مع السياق المؤذن بذلك. وفي التوعد كفاية فإنه كالنص في التحريم.

فان قلت: فما وجه دلالته على مطلق الحسد والكلام على الحسد إنما هو في حسدهم النبي ﷺ على ما سيذكر من ان المراد بالناس النبي ﷺ؟ قلت: قوله يحسدون الناس فإنه دال على أن العلة

الإنكار ﴿أم يحسدون الناس على ما أتاهم الله من فضله﴾ [النساء : ٥٤] وقال تعالى : ﴿كان الناس أمة واحدة﴾ إلى قوله : ﴿إلا الذين أوتوه من بعدما جاءتهم البيّنات بغياً بينهم﴾ [البقرة: ٢١٣] قيل في التفسير : حسداً . وقال تعالى : ﴿وما تفرقوا إلا من بعدما جاءهم العلم بغياً بينهم﴾ [الشورى : ١٤] فأنزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته وأمرهم أن يتألفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا إذ أراد كل واحد منهم أن يتفرد بالرئاسة وقبول القول فردّ بعضهم على بعض . قال ابن عباس : كانت اليهود قبل أن يبعث النبي ﷺ إذا قاتلوا قوماً قالوا نسألك بالنبي الذي وعدتنا أن ترسله وبالكتاب الذي تنزله إلا ما نصرتنا ، فكانوا ينصرون ، فلما جاء النبي ﷺ من ولد

في الذم للحسد على الاثبات من الفضل ، وهذا شامل لكل محسود على نعمة أوتيها من فضل الله ، وفيها دلالة على صحة إطلاق اسم الجميع وإرادة الواحد لأن المراد بالناس النبي ﷺ ، كما روي ذلك عن ابن عباس والشافعي والاكثرين ، وتقرير ذلك أنه لو لم يرد بالناس بعض المؤمنين وأراد كلهم لناقض قوله : إنهم لم يحسدوا آل إبراهيم لكنه لا يناقضه لاستحالة الناقض على كلام الله ، فدلّ على أنه أراد البعض وما هو إلا محمد ﷺ ، لأن القائل قائلان قائل بأن المراد جميع المؤمنين ، وقائل بأن المراد النبي عليه السلام ، والأول مندفع بأن مدعيه يدعي زيادة الأصل والأصل عدمها لأن هذا اللفظ قد ثبت أنه استعمل في الخصوص فليحمل على التيقن ، وعلى من ادعى ما وراءه الدليل ، فثبت الثاني وقد كان يمكن أن يقال أن المراد بالناس آل النبي كما في آل إبراهيم ، والمعنى أنهم يحسدون آل النبي لكونه بعث من أنفسهم ، ويكون النبي هو الفضل الذي أوتيه أهله وحسدوا عليه ولكن هذا القول لم نر من قال به . ﴿على ما آتاهم الله من فضله﴾ من النبوّة والرسالة والكتاب والنصرة الإعزاز ، وجعل النبي الموعود منهم ، وتمام الآية ﴿فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً★ فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيراً﴾ .

(وقال) تعالى : ﴿كان الناس أمة واحدة﴾ إلى قوله : ﴿إلا الذين أوتوه من بعدما جاءتهم البينات بغياً بينهم﴾ قيل في التفسير حسداً) أي فسروا البغي بالحسد ، فإنه تجاوز من الحق إلى الباطل . **(وقال)** تعالى : ﴿وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم﴾ أي حسداً ، **(فأنزل الله العلم)** في صدورهم **(ليجمعهم)** أي يجمع شملهم **(ويؤلف بينهم على طاعته)** الواجبة عليهم **(وأمرهم أن يتألفوا بالعلم فتحاسدوا)** وتباغضوا وتدابروا ، **(واختلفوا ، وأراد كل واحد منهم أن ينفرد بالرئاسة)** والتقدم **(وقبول القول ، فردّ بعضهم على بعض . قال ابن عباس)** رضي الله عنه : **(كانت اليهود الذين بالمدينة قبل أن يبعث النبي ﷺ إذا قاتلوا قوماً قالوا نسألك بالنبي الذي وعدتنا أن ترسله ، وبالكتاب)** الذي وعدتنا **(أن تنزله ألا ما نصرتنا على هذا القوم ، فكانوا)** يستجاب دعاؤهم و**(ينصرون)** على

إسماعيل عليه السلام عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم إياه فقال تعالى: ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به﴾ إلى قوله: ﴿أن يكفروا بما أنزل الله بغياً﴾ [البقرة: ٨٩ ، ٩٠] أي حسداً وقالت صفية بنت حيي للنبي ﷺ: جاء أبي وعمي من عندك يوماً. فقال أبي لعمي: ما تقول فيه؟ قال: أقول انه النبي الذي بشّر به موسى، قال: فما ترى؟ قال: أرى معاداته أيام الحياة. فهذا حكم الحسد في التحريم.

وأما المنافسة؛ فليست بحرام بل هي إما واجبة وإما مندوبة وإما مباحة، وقد يستعمل لفظ الحسد بدل المنافسة، والمنافسة بدل الحسد قال قثم بن العباس لما أراد هو والفضل أن يأتيا النبي ﷺ فيسألاه أن يؤمرهما على الصدقة ـ قالا لعلي حين قال لهما: لا

عدوهم، **(فلما جاء النبي ﷺ من ولد إسماعيل عليه السلام عرفوه)** حق المعرفة **(وكفروا بعد معرفتهم إياه، فقال تعالى)** في حقهم ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به﴾ إلى قوله ﴿إن يكفروا بما أنزل الله بغياً﴾ أي حسداً. قال العراقي: رواه ابن إسحاق في السيرة فيما بلغه عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: إن اليهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ فذكره بنحوه وهذا منقطع انتهى.

قلت: قد رواه ابن أبي حاتم في تفسيره من طريق الضحاك عن ابن عباس ولا انقطاع فيه.

(وقالت صفية بنت حيي) بن أخطب بن سعنة الإسرائيلية أم المؤمنين رضي الله عنها اصطفاها النبي ﷺ من سبي خيبر وجعل عتقها صداقها وقسم لها، وكانت من عقلاء النساء لها شرف في قومها: **(للنبي ﷺ جاء أبي وعمي من عندك يوماً. فقال أبي لعمي: ما تقول فيه؟ قال: أقول أنه النبي الذي بشّر به موسى)** ﷺ. **(فما ترى)** أنت؟ **(قال: أرى معاداته، أيام الحياة)** أي مدة الحياة. قال العراقي: رواه ابن إسحاق في السيرة قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: حدثت صفية فذكره نحوه وهو منقطع أيضاً. **(فهذا حكم الحسد في التحريم)**.

(وأما المنافسة؛ فليست بحرام بل هي إما واجبة) كما إذا كانت في الأمور الدينية، **(أو مباحة)** كما إذا كانت في الفضائل، **(وقد يستعمل لفظ المنافسة بدل الحسد والحسد بدل المنافسة)** توسعاً. **(قال قثم بن العباس)** بن عبد المطلب له صحبة ورواية ولم يعقب، استشهد بعد الخمسين وله ذكر في اللباس في صحيح البخاري أن النبي ﷺ حمله بين يديه وكان يشبه بالنبي ﷺ، وكان أخا الحسين من الرضاعة توفي بسمرقند وله مقام هناك يزار روى له النسائي في خصائص علي: **(لما أراد هو و)** أخوه **(الفضل بن العباس)** وهو أكبر ولد العباس استشهد في خلافة عمر، روى له الجماعة **(أي يأتيا رسول الله ﷺ فيسألانه أن يؤمرهما على الصدقة.**

تذهبا إليه فإنه لا يؤمـركما عليها ـ فقالا له: ما هذا منك إلا نفاسة والله لقد زوّجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك، أي هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجه إياك فاطمة.

والمنافسة في اللغـة مشتقـة مـن النفـاسـة والذي يـدل على إبـاحـة المنـافسـة قـولـه تعالى: ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ [المطففين: ٢٦] وقال تعالى: ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم﴾ [الحديد: ٢١] وإنما المسابقة عند خوف الفوت وهو كالعبدين يتسابقان إلى خدمة مولاهما، إذ يجزع كل واحد أن يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها، فكيف وقد صرح رسول الله ﷺ بذلك فقال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله علماً فهو يعمل به ويعلمه الناس». ثم فسر ذلك في حديث

قالا لعلي) بن أبي طالب رضي الله عنه **(حين قال لهما علي لا تذهبا إليه فإنه لا يؤمـركما عليها)** أي على الصدقات فإنه علم أنها أوساخ ولا يرضى لهما العمل على مثلها، **(فقالا له: ما هذا منك)** يا علي **(إلاّ نفاسة، والله لقد زوجك ابنته)** فاطمة **(فما نفسنا)** بكسر الفاء أي ما ضننا **(ذلك عليك أي هذا منك حسد، وما حسدناك على تزويجه إياك فاطمة)** رضي الله عنها.
قال العراقي: هكذا وقع للمصنف أنهما قثم والفضل وإنما هما الفضل والمطلب بن ربيعة، كما رواه مسلم من حديث المطلب بن ربيعة بن الحرث قال: اجتمع ربيعة بن الحرث والعباس بن عبد المطلب فقالا: والله لو بعثنا هذين الغلامين قال لي وللفضل بن العباس إلى رسول الله ﷺ فكلماه فذكر الحديث.

(والمنافسة مشتقة في اللغة من النفاسة) وقد نفس الشيء بالضم نفاسة كرم فهو نفيس وأنفس انفاساً مثله فهو منفس ونفست به مثل ضننت لنفاسته وزناً ومعنى، **(والذي يدل على إباحة المنافسة قوله تعالى: (وفي ذلك)** أي الرحيق والنعيم **(فليتنافس المتنافسون﴾)** أي ليرتغب المرتغبون، **(وقال)** تعالى: ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم﴾ وجنّة عرضها السموات والأرض﴾ **(وإنما)** تكون **(المسابقة عند خوف الفـوت)** كما سيـأتي **(وهـو كـالعبـديـن يتسابقان الى خدمة مولاهما إذ يجزع كل واحد أن يسقبه صاحبه فيحظى)** أي ينال الحظوة وهي الشرف والكرامة **(عند مولاه أي سيده بمنزلة لا يحظى هو بها، وكيف وقد صرح رسول الله ﷺ بذلك فقال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله علماً فهو يعمل به ويعلمه الناس»)** أخرجه الأئمة الستة في كتبهم سوى أبو داود من حديث سفيان بن عيينة عن الزهري عن سالم بن عبدالله بن عمر عن أبيه قال: قال النبي ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار». رواه كذلك أحمد وابن حبان، وقد روي

أبي كبشة الأنماري فقال: «مثل هذه الأمة مثل أربعة: رجل آتاه الله مالاً وعلماً فهو يعمل بعلمه في ماله، ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً فيقول: رب لو أن لي مالاً مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله فهما في الأجر سواء ـ وهذا منه حب لأن يكون له مثل ماله فيعمل مثل ما يعمل من غير حب زوال النعمة عنه ـ قال: ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً فهو ينفقه في معاصي الله، ورجل لم يؤته علماً ولم يؤته مالاً فيقول: لو أن لي مثل مال فلان لكنت أنفقه في مثل ما أنفقه فيه من المعاصي فهما في الوزر سواء» فذمه رسول الله ﷺ من جهة تمنيه للمعصية لا من جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ماله. فإذاً لا حرج على من يغبط غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له. نعم إن كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالإيمان والصلاة والزكاة، فهذه المنافسة واجبة، وهو

من طريق عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي داود عن الزهري باللفظ السابق، ورواه أحمد والشيخان وابن ماجه وابن حبان من حديث ابن مسعود بنحوه، ورواه أيضاً أحمد والبخاري من حديث أبي هريرة بنحوه، وروى أبو يعلى والضياء من حديث أبي سعيد بنحوه، ورواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة له من حديث ابن عمرو بنحوه، وقد ذكر تفصيل ذلك من كتاب العلم.

(**ثم لو فسر ذلك في حديث أبي كبشة الأنماري**) المذحجي رضي الله عنه مشهور بكنيته واختلف في إسمه على أقوال: فقيل سعيد بن عمرو أو عمرو بن سعيد، وقيل عمر أو عامر بن سعيد نزل حمص روى له أبو داود والترمذي وابن ماجه، وروى عن أبي بكر روى عنه عمرو بن رؤبة وغيره (**فقال: «مثل هذه الأمة مثل أربعة: رجل آتاه الله مالاً وعلماً فهو يعمل بعلمه في ماله**) ينفقه في حقه، (**ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً فيقول: رب لو أن لي مالاً كنت أعمل فيه بمثل عمله فهما في الأجر سواء**) قال المصنف: (**وهذا منه حب لأن يكون له مثل ما كان له من غير حب زوال النعمة عنه**) ثم رجع إلى بقيته، فقال: (**قال**) الراوي: (**ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً فهو ينفقه في معاصي الله**) وفي رواية؛ فهو يتخبط في ماله ينفقه في غير حقه، (**ورجل لم يؤته الله مالاً ولا علماً فيقول: لو أن لي مال فلان كنت أعمل بمثل عمله فهما في الوزر سواء»**) قال العراقي: رواه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي: حسن صحيح انتهى.

قلت: ورواه كذلك أحمد وهناد والطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب، (**فذمه رسول الله ﷺ من جهة تمنيه للمعصية لا من جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ماله، فإذاً لا حرج على من يغبط غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له**) وهذا هو حسد الغبطة المحمودة. (**نعم إن كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة**

أن يحب أن يكون مثله لأنه إذا لم يكن يحب ذلك فيكون راضياً بالمعصية وذلك حرام، وإن كانت النعمة من الفضائل كإنفاق الأموال في المكارم والصدقات فالمنافسة فيها مندوب إليها، وإن كانت نعمة يتنعم بها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباحة، وكل ذلك يرجع إلى إرادة مساواته واللحوق به في النعمة وليس فيها كراهة النعمة، وكأن تحت هذه النعمة أمرين: أحدهما راحة المنعم عليه، والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره أحد الوجهين، وهو تخلف نفسه ويحب مساواته له.

ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في المباحات، نعم ذلك ينقص من الفضائل ويناقض الزهد والتوكل والرضا ويحجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان. وههنا دقيقة غامضة وهو أنه إذا أيس من أن ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه فلا محالة يحب زوال النقصان، وإنما يزول نقصانه إما بأن ينال مثل ذلك أو بأن تزول نعمة المحسود، فإذا انسد أحد الطريقين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر حتى إذا زالت النعمة عن المحسود

كالإيمان والصلاة والزكاة) وما أشبهها، **(فهذه المنافسة واجبة، وهو أن يحب أن يكون مثله)** في التلبس بتلك النعمة **(لأنه إن لم يحب)** ذلك فيكون راضياً بالمعصية وذلك حرام، وإن كانت النعمة من الفضائل الخارجة **(كإنفاق الأموال في المكارم والصدقات)** للفقراء، **(فالمنافسة فيها مندوب إليها)** لأنها تبعث على مكارم الأخلاق، **(وإن كانت نعمة يتنعم فيها على وجه مباح)** قد أباح له الشرع في التمتع بها، **(فالمنافسة فيها مباحة)** فالمنافسة تتبع ما غبط فيه حرمة واباحة ووجوباً وندباً، **(وكل ذلك يرجع إلى ارادة مساواته واللحوق به في النعمة وليس فيها كراهة النعمة، وكأن تحت هذه النعمة أمرين: أحدهما: راحة المنعم عليه، والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره أحد الوجهين وهو تخلف نفسه)** عن اللحوق، **(ويحب مساواته له)**.

(ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في المباحات) ما لم يحب نقصان غيره، **(نعم ذلك ينقص من الفضل ويناقض الزهد والتوكل والرضا)** والتسليم والقناعة وهن أحوال شريفة، **(ويحجب عن المقامات الرفيعة)** المقدار، **(ولكنه لا يوجب العصيان)** في ظاهر الشرع **(وههنا دقيقة غامضة)** خفية المدرك **(وهو أنه إذا أيس من أن ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه)** عن نفسه، **(فلا محالة يحب زوال النقصان وإنما يزول نقصانه)** بأحد أمرين: **(إما بأن ينال مثل ذلك، أو بأن تزول نعمة المحسود، فإذا انسد أحد الطريقين فيكاد القلب لا ينفك من شهوة الطريق الآخر)** وهو زوال نعمة المحسود،

كان ذلك أشهى عنده من دوامها إذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فإن كان بحيث لو ألقي الأمر إليه ورد إلى اختياره لسعى في إزالة النعمة عنه فهو حسود حسداً مذموماً، وإن كان تدعه التقوى عن إزالة ذلك، فيعفي عما يجده في طبعه من ارتياح إلى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارهاً لذلك من نفسه بعقله ودينه، ولعله المعنى بقوله ﷺ: «ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن: الحسد والظن والطيرة» ثم قال: وله منهن مخرج: «إذا حسدت فلا تبغ» أي إن وجدت في قلبك شيئاً فلا تعمل به. وبعيد أن يكون الإنسان مريداً للحاق بأخيه في النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل إلى زوال النعمة، إذ يجد لا محالة ترجيحاً له على دوامها. فهذا الحد من المنافسة يزاحم الحسد الحرام، فينبغي أن يحتاط فيه فإنه موضع الخطر، وما من إنسان إلا وهو يرى فوق نفسه جماعة من معارفه وأقرانه يحب مساواتهم، ويكاد ينجر ذلك إلى الحسد المحظور إن لم يكن قوي الإيمان رزين التقوى. ومهما كان محركه خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غيره جره ذلك على الحسد المذموم وإلى ميل الطبع إلى زوال النعمة عن أخيه، حتى

(حتى إذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك أشهى عنده من دوامها عليه إذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره) الذي هو المطلوب، **(وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فإن كان بحيث لو ألقي الأمر إليه ورد إلى اختياره لسعى في إزالة النعمة عنه فهو حسود حسداً مذموماً، وإن كان)** ممن **(تدعه)** أي يمنعه **(التقوى عن إزالة ذلك فيعفي عنه فيما يجده في طبعه من ارتياح إلى زوال النعمة عن محسوده)**مهما **كان كارهاً لذلك من نفسه بعقله ودينه ولعله المعنى)** أي المراد **(بقوله ﷺ «ثلاث)** خصال **(لا ينفك المؤمن عنهن)** أي فإنهن لازمات **(الحسد والظن والطيرة» ثم قال «وله منهن مخرج إذا حسدت فلا تبغ»)** تقدم قريباً **(أي إن وجدت في قلبك شيئاً فلا تعمل به)** أي بمقتضاه، **(وبعيد أن يكون الانسان مريداً للحاق بأخيه في النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل إلى زوال النعمة إذ يجد لا محالة له ترجيحاً على دوامها)** إلا من عصمه الله عنه. **(فهذا الحدّ من المنافسة يزاحم)** أي يقابل **(الحسد الحرام، فينبغي ان يحتاط له فإنه موضع الخطر، ولا أحد إلا وهو يرى)** وفي نسخة: وما من انسان إلا وهو يرى **(نفسه فوق جماعة من معارفه وأقرانه)** وفي نسخة: وهو يرى فوق نفسه من معارفه وأقرانه **(من يحب ان يساويه)** وفي نسخة: مساواتهم، **(ويكاد ينجر)** وفي نسخة: يجره **(ذلك إلى الحسد المحظور إن لم يكن قوي الإيمان رزين التقوى)** أي شديده صلبه. **(ومهما كان محركه خوف التفاوت وظهور نقصانه من غيره جره ذلك إلى الحسد المذموم وإلى ميل الطبع إلى زوال النعمة عن أخيه، حتى ينزل هو إلى مساواته إذا**

ينزل هو إلى مساواته إذ لم يقدر هو أن يرتقي إلى مساواته بإدراك النعمة وذلك لا رخصة فيه أصلاً، بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين أو مقاصد الدنيا، ولكن يعفى عنه في ذلك ما لم يعمل به إن شاء الله تعالى وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له. فهذه حقيقة الحسد وأحكامه.

وأما مراتبه فأربع:

الأولى: أن يحب زوال النعمة عنه وإن كان ذلك لا ينتقل إليه وهذا غاية الخبث.

الثانية: أن يحب زوال النعمة إليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة أو امرأة جميلة أو ولاية نافذة أو سعة نالها غيره، وهو يحب أن تكون له ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه، ومكروهه فقد النعمة لا تنعم غيره بها.

لم يقدر هو أن يرتقي إلى مساواته بإدراك النعمة وذلك لا رخصة فيه أصلاً، بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين أو مقاصد الدنيا، ولكن ذلك يعفي عنه ما لم يعمل به إن شاء الله تعالى) وهو الذي فهم من الحديث السابق، **(وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له)**.

قال التاج السبكي في قواعده في الكلام على قوله تعالى: ﴿أم يحسدون الناس﴾ [النساء: ٥٤] الآية وفيها دلالة على أن الحسد كبيرة عند من يقول الكبيرة ما هدد عليه أو توعد به، وفيها دلالة على أنه إذا لم يظهره اللسان بل أضمره الجنان لا يعاقب صاحبه إلى يوم القيامة،فلا يعزر في الدنيا ولا يؤاخذ لأنه من أعمال القلوب التي لا إطلاع عليها فلا يؤاخذ بها ما لم يظهره بقول أو فعل، ونظير المسألة قول الشيخ أبي حامد: إن من يتعين قتله ولا يظهر ذلك بقول ولا فعل لا يقدح في شهادته لأن ما في القلب لا يمكن الاحتراز عنه والله أعلم.

(فهذه حقيقة الحسد وأحكامه.

وأما مراتبه فهي أربعة:

الأولى: أن يحب زوال النعمة عنه، وإن كان ذلك لا ينتقل إليه وهذا غاية الخبث.

الثانية: أن يحب انتقالها لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة، أو امرأة جميلة، أو ولاية نافذة) الأحكام، **(أوسعة)** العيش **(نالها غيره وهو يحب أن تكون له، ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه، ومكروهه)** أي ما يكرهه **(فقد النعمة)** من أصلها **(لا تنعم غيره بها)**.

الثالثة: أن لا يشتهي عينها لنفسه بل يشتهي مثلها فإن عجز عن مثلها أحب زوالها كي لا يظهر التفاوت بينهما.

الرابعة: أن يشتهي لنفسه مثلها فإن لم تحصل فلا يحب زوالها عنه، وهذا الأخير هو المعفوّ عنه إن كان في الدنيا والمندوب إليه إن كان في الدين، والثالثة فيها مذموم وغير مذموم، والثانية أخف من الثالثة، والأولى مذموم محض. وتسمية الرتبة الثانية حسداً فيه تجوز وتوسع ولكنه مذموم لقوله تعالى: ﴿ولا تتمنّوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾ [النساء: ٣٢] فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم وأما تمنيه عين ذلك فهو مذموم.

بيان أسباب الحسد والمنافسة:

أما المنافسة فسببها حب ما فيه المنافسة، فإن كان ذلك أمراً دينياً فسببه حب الله تعالى وحب طاعته، وإن كان دنيوياً فسببه حب مباحات الدنيا والتنعم فيها، وإنما نظرنا

(**الثالثة: أن لا يشتهي عينها بل يشتهي لنفسه مثلها، فإن عجز عن مثلها أحب زوالها كي لا يظهر التفاوت بينهما.**

(**الرابعة: أن يشتهي لنفسه مثلها فإن لم يحصل**) له ذلك (**فلا يحب زوالها عنه، وهذا الاخير هو المعفو عنه إن كان في الدنيا والمندوب إليه إن كان في الدين، والثالثة فيها مذموم**) وهو محبة زوالها (**وغير مذموم**) وهو طلب مثلها، (**والثانية**) التي هي محبة زوال النعمة (**أخف من الثالثة**) التي هي محبة زوالها إن لم يحصل له مثلها هكذا في النسخ والأولى العكس، (**والأولى**) التي هي محبة زوالها عنه وإن لم تنتقل إليه (**مذموم محض**) وقد سماه غاية الخبث، (**وتسمية المرتبة الثانية**) هكذا في النسخ، والأولى الرابعة (**حسداً فيه تجوز وتوسع**) وذلك سائغ في كلام العرب، (**ولكنه مذموم. قال تعالى: ﴿ولا تتمنّوا ما فضّل الله به بعضكم على بعض للرّجال نصيبٌ مما اكتسبُوا وللنساء نصيبٌ مّمّا اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليماً﴾ [النساء: ٣٢] وقال تعالى: ﴿لكل أجل كتاب﴾ [الرعد: ٣٨] ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ [الرعد: ٨] (فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم أما تمنيه عين ذلك فمذموم**) فإنه يقتضي زوال ذلك العين عنه.

بيان أسباب الحسد والمنافسة:

(**اما المنافسة فسببها حب**) ما فيه (**المنافسة**) مما تنتهي إليه الرغبات، (**فإن كان ذلك مراداً دينياً فسببه حب الله تعالى وحب طاعته**) فيهما اللذان ألجآه إلى التنافس فيه، (**وإن كان دنيوياً فسببه حب مباحات الدنيا والتنعم بها**) والتمتع بعلائقها وهذا ظاهر في كونه

الآن في الحسد المذموم ومداخله كثيرة جداً ، ولكن يحصر جلتها سبعة أبواب : العداوة ، والتعزز ، والكبر ، والتعجب ، والخوف من فوت المقاصد المحبوبة وحب الرئاسة ، وخبث النفس وبخلها فإنه إنما يكره النعمة على غيره إما لأنه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا يختص بالأمثال بل يحسد الخسيس الملك بمعنى أنه يحب زوال نعمته لكونه مبغضاً له بسبب إساءته إليه ، أو إلى من يحبه ، وإما أن يكون من حيث يعلم أنه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعز نفسه وهو المراد بالتعزز ، وإما أن يكون في طبعه أن يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه لنعمته وهو المراد بالتكبر ، وإما أن تكون النعمة عظيمة والمنصب عظيماً فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو المراد بالتعجب ، وإما أن يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بأن يتوصل بها إلى مزاحمته في أغراضه ، وإما أن يكون يحب الرئاسة التي تنبني على الاختصاص بنعمة لا يساوي فيها ، وإما أن يكون بسبب من هذه الأسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى ، ولا بدّ من شرح هذه الأسباب .

مباحاً ، (**وإنما نظرنا الآن في الحسد المذموم، ومداخله كثيرة جداً ، ولكن يحصر جلتها سبعة أبواب**) وما ء اها متفرع عنها وآيل إليها وهي : (**العداوة، والتعزز، والكبر، والتعجب، والخوف من فوت المقاصد المحبوبة، وحب الرئاسة، وخبث النفس، وبخلها**) فهذا من أصول الأسباب ، ثم ذكر وجه الحصر في هذه السبعة فقال : (**فإنه إنما يكره النعمة على غيره إما لأنه عدوه**) أما بسبب دبني أو دنيوي (**فلا يريد له الخير**) مطلقاً ، (**وهذا**) هو السبب الأوّل وقد قالوا : الذي له عدوّ ما له هدوّ ، وذلك (**لا يختص بالأمثال**) والأقران ، (**بل**) قد (**يحسد الخسيس**) أي الدنيء (**الملك**) أو الأمير (**بمعنى أنه يحب زوال نعمته عنه لكونه مبغضاً له بسبب إساءته إليه أو**) إساءته (**إلى من يحبه**) فهو يبغضه لأجل ذلك ويحسده بالمعنى المذكور ، (**وإما أن يكون من حيث يعلم أنه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز**) وهذا هو السبب الثاني ، (**وإما أن يكون في طبعه أن يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه بنعمته وهو المراد بالتكبر**) وهذا هو السبب الثالث ، (**وإما أن تكون النعمة عظيمة والمنصب كبيراً فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وذلك المنصب هو التعجب**) وهذا هو السبب الرابع ، (**وإما أن يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بأن يتوصل بها إلى مزاحمته من اغراضه**) وهذا هو السبب الخامس ، (**وإما أن يكون يحب الرئاسة التي تنبني على الاختصاص بنعمة لا يساوي فيها**) وهذا هو السبب السادس . (**وإما أن لا يكون لسبب من هذه الأسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله**) وهذا هو السبب السابع ، (**ولا بد من شرح هذه الأسباب**) وتفصيلها .

السبب الأوّل: العداوة والبغضاء : وهذا أشد أسباب الحسد فإن من أذاه شخص بسبب من الأسباب وخالفه في غرض بوجه من الوجوه أبغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد ، والحقد يقتضي التشفي والانتقام ، فإن عجز المبغض عن أن يتشفى بنفسه أحب أن يتشفى منه الزمان، وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى ، فمهما أصابت عدوّه بلية فرح بها وظنها مكافأة له من جهة الله على بغضه وأنها لأجله ، ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك لأنه ضد مراده ، وربما يخطر له أنه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوّه الذي آذاه بل أنعم عليه . وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقها ، وإنما غاية التـقي أن لا يبغي وأن يكره ذلك من نفسه ، فأما أن يبغض إنساناً ثم يستوي عنده مسرته ومساءته ، فهذا غير ممكن ، وهذا مما وصف الله تعالى الكفار به أعني الحسد بالعداوة ، إذ قال تعالى : ﴿وإذا لقوكم قالوا آمنّا وإذا خلوا عضّوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور ★ وإن تمسسكم حسنة تسؤهـم﴾ [آل عمران : ١١٩ ، ١٢٠] الآية . وكذلك قال تعالى : ﴿ودّوا ما عنتّم قد بدت البغضاء من

(السبب الأوّل: العداوة والبغضاء: وهذا أشد أسباب الحسد، فإن من آذاه انسان بسبب من الأسباب وخالفه في غرضه بوجه من الوجوه أبغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد) المستكن في ضميره ، **(والحقد يقتضي التشفي والإنتقام، فإن عجز المبغض عـن أن يتشفي بنفسه أحب أن يتشفى منه الزمان)** بإصابة نكبة من نكباته ، **(وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى)** أي أنه كريم عند الله وما صار له من الانتقام بسبب كرامته عليه ، **(فمهما أصابت عدوّه بلية فرح)** واستبشر **(وظنه مكافأة من جهة الله تعـالى لـه على بغضه وأنه لأجله)** وقد يكتم ذلك في نفسه فلا يظهر ذلك لأحد ، وقد لا يكتم بل يتبجح به عند الناس ويخبرهم بذلك . **(ومهما اصابته نعمة)** أو عرض له سرور **(ساءه ذلك لأنه ضد مراده، وربما يظهر له أنه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذي آذاه بل أنعم عليه)** وهذه الحالة فالناس واقعون فيها . **(وبالجملة: فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقها، وإنما غاية التقي أن لا يبغي)** بالقول أو الفعل ، **(وأن يكره ذلك من نفسه، فإما أن يبغض انساناً ثم تستوي عنده مسرته ومساءته)** على حد سواء ، **(فهذا غير ممكن)** إذ لا بد من ترجيح أحدهما على الآخر ، **(وهذا ما وصف الله الكفار أعني الحسد بالعداوة إذ قال)** تعالى في حقهم: ﴿وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ﴾ وكل من يغتاظ يعض على أنامله: ﴿قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور ★ إن تمسسكم حسنة﴾ الآية وقد تقدم تمامها ، **(وكذلك قال)** تعالى في حقهم: **(﴿ودّوا ما عنتم قد بدت البغضاء**

أفواههم وما تخفي صدورهم أكبرُ﴾ [آل عمران: ١١٨] والحسد بسبب البغض ربما يفضي إلى التنازع والتقاتل واستغراق العمر في إزالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك الستر وما يجري مجراه.

السبب الثاني: التعزز وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيره، فإذا أصاب بعض أمثاله ولاية أو علماً أو مالاً خاف أن يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه وليس من غرضه أن يتكبر بل غرضه أن يدفع كبره، فإنه قد رضي بمساواته مثلاً، ولكن لا يرضى بالترفع عليه.

السبب الثالث: الكبر: وهو أن يكون في طبعه أن يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة في اغراضه، فإذا نال نعمة خاف أن لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته، أو ربما يتشوّف إلى مساواته، أو إلى أن يرتفع عليه فيعود متكبّراً بعد أن كان متكبراً عليه. ومن التكبر والتعزز كان حسد أكثر الكفار لرسول الله ﷺ إذ قالوا: كيف يتقدم علينا غلام يتيم، وكيف نطأطىء رؤوسنا؟ فقالوا: ﴿لولاَ نُزِّلَ هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ [الزخرف: ٣١] أي كان لا يثقل علينا أن

من أفواههم وما تخفي صدورهم﴾ الآية. والحسد بسبب البغض ربما يفضي إلى التنازع) أي التخاصم **(والتقاتل)** بالسلاح، **(واستغراق العمر في إزالة النعمة بالحيل)** والخداع، **(وبالسعاية وهتك الستر وما يجري مجراه)**.

(السبب الثاني: التعزز: وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيره فإذا أصاب بعض) من أقرانه **(ولاية** لمنصب **أو مالاً أو علماً خاف أن يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه، فليس من غرضه أن يتكبر، بل من غرضه أن يدفع كبره فإنه قد رضي بمساواته مثلاً، ولكن لا يرضى بالترفع عليه)** وفي نسخة: بترفعه عليه.

(السبب الثالث: أن يكون في طبعه أن يتكبر عليه ويستصغره) ويستحقره **(ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له)** في أموره **(والمتابعة في اغراضه، فإذا نال نعمة خاف أن لا يحمل تكبره ويترفع عن متابعته، وربما يتشوّف)** أي يتطلع **(إلى مساواته، أو إلى أن يرتفع عليه فيعود متكبراً بعد أن كان متكبراً عليه، ومن التعزز والتكبر كان حسد أكثر الكفار لرسول الله ﷺ إذا قالوا: كيف يتقدم علينا غلام يتيم)** من أبويه، **(وكيف نطأطىء له رؤوسنا؟ فقالوا: ﴿لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين)** يعني: مكة والطائف **(عظيم﴾ أي كان لا يثقل علينا أن نتواضع له ونتبعه)** ويتقدم علينا **(إذا كان**

نتواضع له ونتبعه، إذا كان عظيماً. وقال تعالى يصف قول قريش: ﴿أهؤلاء مَنَّ الله عليهم من بيننا﴾ [الأنعام: ٥٣] كالاستحقار لهم والأنفة منهم.

السبب الرابع: التعجب كما أخبر الله تعالى عن الأمم السالفة إذ قالوا: ﴿ما أنتم إلا بَشَرٌ مثلنا﴾ [يس: ١٥] ﴿وَقَالُوا: أنؤمن لبشرين مثلنا﴾ [المؤمنون: ٤٧] ﴿ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذاً لخاسرون﴾ [المؤمنون: ٣٤] فتعجبوا من أن يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله تعالى بشر مثلهم فحسدوهم وأحبوا زوال النبوّة عنهم جزعاً أن يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة لا عن قصد تكبر وطلب رئاسة وتقدم عداوة أو سبب آخر من سائر الأسباب، وقالوا متعجبين: ﴿أبعث الله بشراً رسولاً﴾ [الاسراء: ٩٤] وقالوا: ﴿لَوْلاَ أُنْزِلَ علينا الملائكة﴾ [الفرقان: ٢١] وقال تعالى: ﴿أوعجبتم أن جاءكم ذِكْرٌ من ربكم على رجل منكم﴾ [الأعراف: ٦٣] الآية.

السبب الخامس: الخوف من فوت المقاصد: وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد، فإن كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عوناً له في الإنفراد بمقصوده،

عظيماً) قال ابن إسحاق في السيرة: إن قائل ذلك الوليد بن المغيرة: أينزل على محمد واترك وأنا كبير قريش، ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف؟ فنحن عظيما القريتين فانزل الله فيما بلغني هذه الآية. ورواه أبو محمد بن أبي حاتم، وابن مردويه في تفسيرهما من حديث ابن عباس إلا انهما قالا: مسعود بن عمرو، وفي رواية لابن مردويه حبيب بن عمير الثقفي وهو ضعيف نقله العراقي. (**وقال الله تعالى يصف قول قريش: ﴿أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا﴾ يشيرون إلى من اتبعه ﷺ من المؤمنين (كالاستحقار لهم والأنفة منهم)** حملهم على ذلك التعزز والكبر والجبروت.

(**السبب الرابع: التعجب: كما أخبر الله تعالى عن الأمم الماضية إذ قالو: ﴿ما أنت إلا بشر مثلنا﴾ وقالوا: ﴿أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون﴾ ﴿ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذا لخاسرون﴾ فتعجبوا من أن يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله بشر مثلهم، فحسدوهم واحبوا زوال نعمة النبوّة عنهم جزعاً)** أي خوفاً (**أن يفضل عليهم من هم مثلهم في الخلقة)** الظاهرة (**لا عن قصد تكبر وطلب رئاسة وتقدم عداوة، أو سبب آخر من سائر الاسباب)** أي باقيها، (**وقالوا متعجبين ﴿أبعث الله بشراً رسولا﴾ وقالوا: ﴿لولا أنزل علينا الملائكة﴾ فقال تعالى)** رداً عليهم تعجبهم: ﴿أو عجبتم إن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم﴾).

(**السبب الخامس: الخوف من فوت المقاصد)** المحبوبة: (**وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد، فإن كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عوناً له في الإنفراد**

ومن هذا الجنس تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية، وتحاسد الأخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الأبوين للتوصل به إلى مقاصد الكرامة والمال، وكذلك تحاسد التلميذين لأستاذ واحد على نيل المرتبة من قلب الأستاذ، وتحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة من قلبه للتوصل به إلى المال والجاه، وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على أهل بلدة واحدة إذا كان غرضهما نيل المال بالقبول عندهم، وكذلك تحاسد العالمين المتزاحمين على طائفة من المتفقهة محصورين إذ يطلب كل واحد منزلة في قلوبهم للتوصل بهم إلى أغراض له.

السبب السادس: حب الرئاسة وطلب الجاه بنفسه من غير توصل به إلى مقصود، وذلك كالذي يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون إذا غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما يمدح به من أنه واحد الدهر وفريد العصر في فنه وأنه لا نظير له، فإنه لو سمع بنظير له في أقصى العالم لساءه ذلك وأحب موته أو زوال النعمة عنه التي بها يشاركه في المنزلة من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو ثروة أو غير ذلك مما يتفرد هو به ويفرح بسبب تفرده، وليس السبب في هذا عداوة ولا تعززاً ولا تكبراً على

بمقصوده، **ومن هذا الجنس تحاسد الضرات**) جمع ضرة وقد تجمع على الضرائر (**في التزاحم على مقاصد الزوجية**)، فيطلب كل منهما الانفراد بالزوج من غير مشاركة، (**وتحاسد الأخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلوب الأبوين للتوصل به إلى مقاصد الكرامة والمال**)، فيطلب كل منهم أن يكون مكرما عندهما وأن يخصاه بالمال دون غيره، (**وكذلك تحاسد التلميذين لأستاذ واحد في نيل المنزلة من قلب الاستاذ**) بان يختص به دون رفيقه، (**وتحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة من قلبه للتوصل به إلى الجاه والمال**) وقضاء الأغراض، (**وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على أهل بلدة واحدة إذا كان غرضهما نيل المال**) وإصابة الدنيا (**بالقبول عندهم، وكذلك**) تحاسد العالمين (**المتزاحمين على طائفة من المتفقهة محصورين، إذ يطلب كل واحد منزلة في قلوبهم للتوصل بهم إلى اغراض له**).

(**السبب السادس: حب الرئاسة وطلب الجاه لنفسه من غير توصل به إلى مقصود: وذلك كالرجل يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون إذا غلب عليه حب الثناء**) الحسن عليه (**واستفزه الفرح بما يمدح به من أنه واحد الدهر وفريد العصر في فنه وأنه لا نظير له، فإنه لو سمع بنظير له في أقصى العالم ساءه ذلك وأحب موته أو زوال النعمة التي بها يشاركه في المنزلة من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو ثروة أو غير ذلك مما ينفرد هو به ويفرح بسبب تفرده، وليس السبب في هذا عداوة ولا تعززاً ولا تكبراً على**)

المحسود ولا خوفاً من فوات مقصود سوى محض الرئاسة بدعوى الإنفراد، وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة في قلوب الناس للتوصل إلى مقاصد سوى الرئاسة. وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله ﷺ ولا يؤمنون به خيفة من أن تبطل رئاستهم واستتباعهم مهما نسخ علمهم.

السبب السابع: خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى؛ فإنك تجد من لا يشتغل برئاسة وتكبر ولا طلب مال إذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى فيما أنعم الله به عليه يشق ذلك عليه، وإذا وصف له اضطراب أمور الناس وإدبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به، فهو أبداً يحب الإدبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزانته. ويقال: البخيل من يبخل بمال نفسه، والشحيح هو الذي يبخل بمال غيره، فهذا يبخل بنعمة الله تعالى على عباده الذين ليس بينه وبينهم عداوة ولا رابطة، وهذا ليس له سبب ظاهر إلا خبث في النفس ورذالة في الطبع عليه وقعت الجبلة ومعالجته شديدة لأن الحسد الثابت بسائر الأسباب أسبابه عارضة يتصوّر زوالها فيطمع في إزالتها، وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض

المحسود ولا خوفاً من فوات مقصود سوى تمحض الرئاسة بدعوى الإنفراد، وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة في قلوب الناس للتوصل إلى مقاصد سوى الرئاسة، وقد كان علماء اليهود) وأحبارهم **(ينكرون معرفة رسول الله ﷺ ولا يؤمنون)** مع تحققهم أنه نبي أرسله الله بالحق **(خيفة من أن تبطل رئاستهم)** وتقدمهم **(واستتباعهم مهما نسخ علمهم)**.

(السبب السابع: خبث النفس وشحها بالخير على عباد الله فإنك تجد من لا يشتغل برئاسة وتكبّر ولا طلب مال إذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله فيما أنعم الله به عليه شق عليه ذلك) وساءه، **(وإذا وصف له اضطراب أمور الناس وإدبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم)** أي تكدره بسبب من الأسباب **(فرح به، فهو أبداً يحب الإدبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزائنه، ويقال: البخيل من يبخل بمال نفسه، والشحيح من يبخل بمال غيره)**. وقيل: البخيل هو الذي يمنع الواجب مع حرص، وقيل: البخيل من يبخل على عياله دون نفسه، والشحيح من يبخل على نفسه وعياله وقيل غير ذلك، **(فهذا يبخل بنعمة الله على عباده الذين ليس بينهم وبينه عداوة ولا رابطة، وهذا ليس له سبب ظاهر إلا خبث في النفس ورذالة في الطبع عليه وقعت الجبلة)** والفطرة الأصلية **(ومعالجته شديدة لأن الحسد الثابت بسائر الأسباب أسبابه عارضة يتصوّر زوالها**

فتعسر إزالته إذ يستحيل في العادة إزالته ، فهذه هي أسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الأسباب أو أكثرها أو جميعها في شخص واحد فيعظم فيه الحسد بذلك ويقوى قوّة لا يقدر معها على الإخفاء والمجاملة ، بل ينهتك حجاب المجاملة وتظهر العداوة بالمكاشفة ، وأكثر المحاسدات تجتمع فيها جملة من هذه الأسباب وقلما يتجرد سبب واحد منها .

بيان السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والأخوة وبني العم والأقارب وتأكده وقلته في غيرهم وضعفه :

اعلم أن الحسد إنما يكثر بين قوم تكثر بينهم الأسباب التي ذكرناها ، وإنما يقوى بين قوم تجتمع جملة من هذه الأسباب فيهم وتتظاهر ، إذ الشخص الواحد يجوز أن يحسد لأنه قد يمتنع عن قبول التكبر ، ولأنه يتكبر ، ولأنه عدوّ ولغير ذلك من الأسباب. وهذه الأسباب إنما تكثر بين أقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الأغراض ، فإذا خالف واحد منهم صاحبه في غرض من الأغراض نفر طبعه عنه وأبغضه وثبت الحقد في قلبه ، فعند ذلك يريد أن يستحقره ويتكبر عليه ويكافئه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله إلى أغراضه وتترادف

فيطمع في ازالتها) بالمعالجات ، **(وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر إزالته إذ يستحيل في العادة ازالته، فهذه هي أسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الأسباب أو أكثرها أو جميعها في شخص واحد فيعظم فيه الحسد لذلك، ويقوى قوة لا يقوى معها على الاخفاء والمجاملة بل ينهتك حجاب المجاملة)** لقوّة تلك الأسباب : **(تظهر العداوة بالمكاشفة)** أي المجاهرة ، **(وأكثر المحاسدات)** التي بين الناس **(تجتمع فيها جملة من هذه الأسباب وقلما يتجرد سبب واحد منها)** لأن بعضها يجر بعضاً .

بيان السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأقران:

(والاخوة وبني العم والأقارب وتأكده وقلته في غيرهم وضعفه) .

(اعلم) وفقك الله **(أن الحسد إنما يكثر بين قوم تكثر بينهم الأسباب التي ذكرناها ، وإنما يقوى بين قوم تجتمع جملة من هذه الأسباب فيهم وتتظاهر)** أي تتقاوى **(إذ الشخص الواحد يجوز أن يحسد لأنه يمتنع من قبول التكبر ولأنه يتكبر ولأنه عدوّ ولغير ذلك من الأسباب)** المذكورة. **(وهذه الأسباب إنما تكثر بين أقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الأغراض، فإذا خالف واحد صاحبه في غرض من الأغراض نفر طبعه وأبغضه)** بقلبه **(وثبت الحقد فيه)** أي رسخ في باطنه ، **(فعند ذلك يريد أن يستحقره)** ويستذله **(ويتكبر عليه ويكافئه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من**

جملة من هذه الأسباب إذ لا رابطة بين شخصين في بلدتين متنائيتين، فلا يكون بينهما محاسدة، وكذلك في محلتين. نعم إذا تجاورا في مسكن أو سوق أو مدرسة أو مسجد تواردا على مقاصد تتناقض فيها أغراضهما فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه تثور بقية أسباب الحسد، ولذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد، والعابد يحسد العابد دون العالم، والتاجر يحسد التاجر بل الإسكاف يحسد الإسكاف ولا يحسد البزاز إلا بسبب آخر سوى الاجتماع في الحرفة، ويحسد الرجل أخاه وابن عمه أكثر مما يحسد الأجانب، والمرأة تحسد ضرتها وسرية زوجها أكثر مما تحسد أم الزوج وابنته، لأن مقصد البزاز غير مقصد الإسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد إذ مقصد البزاز الثروة ولا يحصلها إلا بكثرة الزبون، وإنما ينازعه فيه بزاز آخر إذ حريف البزاز لا يطلبه الإسكاف بل البزاز. ثم مزاحمة البزاز المجاور له أكثر من مزاحمة البعيد عنه إلى طرف السوق فلا جرم يكون حسده للجار أكثر. وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لأن مقصده أن يذكر بالشجاعة ويشتهر بها وينفرد بهذه الخصلة، ولا يزاحمه العالم

النعمة التي توصله إلى اغراضه، وتترادف جملة الأسباب إذ لا رابطة بين شخصين في بلدتين متقابلتين فلا تكون بينهما محاسدة وكذلك في محلتين) في بلدة واحدة. **(نعم إذا تجاورا في مسكن)** بأن كانا في محلة واحدة **(أو سوق أو مسجد أو مدرسة أو رباط تواردا على مقاصد تتناقض فيها أغراضهما، فيثور من التناقض التنافر)** في الطباع **(والتباغض، ومنه تثور بقية أسباب الحسد)** إذ هو أساس تلك الأسباب، **(فلذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد، والعابد يحسد العابد دون العالم، والتاجر يحسد التاجر، بل الإسكاف)** وهو الخراز **(يحسد الإسكاف ولا يحسد البزاز)** الذي يبيع القماش من البز **(إلا لسبب آخر سوى الاجتماع في الحرفة)** أي الصنعة، **(ويحسد الرجل أخاه وابن عمه أكثر مما يحسد الأجانب)** أي الأباعد، **(والمرأة تحسد ضرتها)** أي زوجة بعلها **(وسرية زوجها)** أي جاريته **(أكثر مما تحسد أم الزوج)** أي حماتها **(وابنته)** وأخته، **(لأن مقصد البزاز غير مقصد الإسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد إذ مقصد البزاز الثروة)** أي وفرة المال **(ولا يحصلها إلا بكثرة الزبون)** وهو المشتري لأنه يربـن غيره أي يدفعه عن أخذ المبيع وهي مولدة ليس من كلام أهل البادية، **(وإنما ينازعه فيها بزاز آخر إذ حريف البزاز)** أي معامله والجمع حرفاء كشريف وشرفاء **(لا يطلبه الإسكاف بل البزاز، ثم مزاحمة البزاز المجاور له أكثر من مزاحمة البعيد عنه إلى طرف السوق، فلا جرم يكون حسده للمجاور أكثر)** لقربه منه، **(وكذلك الشجاع)** وهو الجريء في الحروب **(يحسد الشجاع مثله ولا يحسد العالم)** لاختلاف المقاصد، **(لأن مقصده أن يذكر بالشجاعة ويشتهر بها)** بين الناس **(وينفرد بهذه الخصلة)** وهي الشجاعة **(ولا**

يزاحمه العالم على هذا الغرض، وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع، ثم حسد الواعظ للواعظ أكثر من حسده للفقيه والطبيب، لأن التزاحم بينهما على مقصود واحد أخص، فأصل هذه المحاسدات العداوة، وأصل العداوة التزاحم بينهما على غرض واحد، والغرض الواحد لا يجمع متباعدين بل متناسبين، فلذلك يكثر الحسد بينهما. نعم من اشتد حرصه على الجاه وأحب الصيت في جميع أطراف العالم بما هو فيه فإنه يحسد كل من هو في العالم وإن بعد ممن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها، ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا، فإن الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين. أما الآخرة فلا ضيق فيها، وإنما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وأنبيائه وملكوت سمواته وأرضه لم يحسد غيره إذا عرف ذلك أيضاً، لأن المعرفة لا تضيق على العارفين، بل المعلوم الواحد يعلمه ألف ألف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره، بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الأنس وثمرة الإفادة والاستفادة، فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لأن مقصدهم معرفة الله تعالى وهي بحر واسع لا ضيق

(يزاحمه العالم على هذا الغرض، وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع) لما ذكرنا لاختلاف المقاصد، **(ثم حسد الواعظ)** على الكرسي **(على الواعظ أكثر من حسده الفقيه والطبيب لأن التزاحم بينهما)** أي بين الواعظين **(على مقصود واحد)** هو **(أخص فأصل هذه المحاسدات العداوة)** والبغضاء، **(وأصل العداوة)** والبغضاء **(التزاحم على غرض واحد، والغرض الواحد لا يجمع متباعدين بل متناسبين، فلذلك يكثر الحسد بينهم)** أي بين المتناسبين، **(نعم من اشتد حرصه على الجاه)** أي على حصوله عند عامة الناس **(وأحب الصيت)** أي رفع الذكر **(في جميع أطراف العالم بما هو فيه، فإنه يحسد كل من هو في العالم وإن بعد عنه ممن يساهمه)** أي يشاركه **(في الخصلة التي يتفاخر بها، ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا)** وحبها رأس كل خطيئة كما ورد، **(فإن الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين. أما الآخرة فلا ضيق فيها، وإنما مثال الآخرة نعمة العلم النافع، فلا جرم من يحب معرفة الله ومعرفة صفاته وملائكته وأنبيائه وملكوت أرضه وسمائه فلا يحسد غيره)** وفي نسخة لم يحسد غيره **(إذا عرف ذلك أيضاً لأن المعرفة لا تضيق على العارفين باختلاف طبقاتهم في المعرفة، بل المعلوم الواحد يعلمه ألف ألف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذبه ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره)** لعدم التلازم، **(بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الأنس)** في المعرفة **(وثمرة الإفادة للغير والإستفادة من الغير، فلذلك لا يكون بين علماء الدين)** الذين هم في صدر علوم الآخرة **(محاسدة)** أصلاً **(لأن مقصدهم)** من اشتغالهم بالعلم تحصيل **(معرفة الله)** تعالى من طريق الصفات، **(وهو بحر واسع لا ضيق فيه)** ولا تزاحم عليه، وأما قولهم: المورد

فيه وغرضهم المنزلة عند الله تعالى ، ولا ضيق أيضاً فيما عند الله تعالى لأن أجل ما عند الله سبحانه من النعيم لذة لقائه وليس فيها ممانعة ومزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الأنس بكثرتهم . نعم إذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لأن المال أعيان وأجسام إذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الآخر ، ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر أو نقص عنه لا محالة فيكون ذلك سبباً للمحاسدة ، وإذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله تعالى لم يمنع ذلك أن يمتلىء قلب غيره بها وأن يفرح بذلك ، والفرق بين العلم والمال أن المال لا يحل في يد ما لم يرتحل عن اليد الأخرى ، والعلم في قلب العالم مستقر ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير أن يرتحل من قلبه ، والمال أجسام وأعيان ولها نهاية . فلو ملك إنسان جميع ما في الأرض لم يبق بعده مال يتملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصوّر استيعابه ، فمن عوّد نفسه الفكر في جلال الله وعظمته وملكوت أرضه وسمائه صار ذلك ألذ عنده من كل نعيم ، ولم يكن ممنوعاً منه ولا مزاحماً فيه ، فلا يكون في قلبه حسد لأحد من الخلق لأن غيره

العذب كثير الزحام فالمراد به كثرة الواردين عليه من غير تزاحم فيه ، فإن المورد العذب من حيث هو عذب يرد عليه القاصي والداني ولا يزاحم أحد صاحبه لسعته . هذا إن كان المراد به معرفة الله سبحانه وإلا فالموارد العذبة سواها شأنها أن يتزاحم عليها (**وغرضهم المنزلة عند الله**) والحظوة لديه ، (**ولا ضيق أيضاً فيما عند الله لأن أجل ما عند الله من النعيم لذة لقائه وليس فيها ممانعة ولا مزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على بعض**) كما ورد في الخبر : « هل تضامون في رؤية القمر في ليلة البدر » الحديث . (**بل يزيد الأنس بكثرتهم . نعم إذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا**) لا محالة ، (**لأن المال هو أعيان وأجسام إذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الآخر**) فهذا سبب التحاسد ، (**ومعنى الجاه ملك القلوب، ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر**) مطلقاً (**أو نقص منه لا محالة فيكون ذلك سبباً للمحاسدة**) ثم ينجر إلى المنافرة ، (**وإذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله لم يمنع ذلك أن يمتلى قلب غيره بها وأن يفرح به ، فالفرق بين العلم والمال أن المال لا يحل في يد ما لم يرتحل عن اليد الآخرى ، والعلم في قلب العالم مستقر**) لا يحول ولا يزول ، (**ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير أن يرتحل عن قلبه، وأن المال أجسام وأعيان ولها نهاية**) ينتهي إليها ، (**فلو ملك الإنسان جميع ما في الأرض لم يبق بعده مال يتملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه**) على وجه الإحاطة والكمال، (**فمن عوّد نفسه الفكر في جلال الله وعظمته وملكوت أرضه وسمائه صار ذلك عنده ألذ من كل نعيم**) أخرجه أبو نعيم في الحلية عن مالك ابن دينار قال: خرج أهل الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا أطيب شيء فيها . قالوا : وما هي يا أبا يحيى ؟ قال: معرفة الله عز وجل، (**ولم يكن ممنوعاً عنه ولا مزاحماً فيه فلا يكون في قلبه حسد**

أيضاً لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل زادت لذته بمؤانسته، فتكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب الملكوت على الدوام أعظم من لذة من ينظر إلى أشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة، فإن نعيم العارف وجنته معرفته التي هي صفة ذاته يأمن زوالها وهو أبداً يجني ثمارها فهو بروحه وقلبه مغتذٍ بفاكهة علمه وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دانية، فهو وإن غمض العين الظاهرة فروحه أبداً ترتع في جنة عالية ورياض زاهرة، فإن فرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلّ اخواناً على سرر متقابلين﴾ [الحجر: ٤٧] فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا فماذا يظن بهم عند انكشاف الغطاء ومشاهدة المحبوب في العقبى؟ فإذاً لا يتصوّر أن يكون في الجنة محاسدة ولا أن يكون بين أهل الجنة في الدنيا محاسدة لأن الجنة لا مضايقة فيها ولا مزاحمة، ولا تنال إلا بمعرفة الله تعالى التي لا مزاحمة فيها في الدنيا أيضاً، فأهل الجنة بالضرورة براء من الحسد في الدنيا والآخرة جميعاً، بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة عليين إلى مضيق سجين، ولذلك وسم به الشيطان اللعين، وذكر من صفاته أنه حسد آدم عليه السلام على

لأحد من الخلق، لأن غيره أيضاً لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته، بل زادت لذته بمؤانسته، فتكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب الملكوت على الدوام أعظم من لذة من ينظر إلى أشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة، فإن نعيم العارف وجنته معرفته التي هي صفة ذاته يأمن زوالها وهو أبداً يجني ثمارها) ويقطف أنوارها، **(فهو بروحه وقلبه مغتذ بفاكهة علمه)** وثمرة معرفته وفهمه **(وهي فاكهة)** شهية **(غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دانية)** أي قريبة التناول سهلة المأخذ **(فهو وإن غمض العين الظاهرة فروحه أبداً ترتع في جنة عالية)** أي رفيعة المقدار **(ورياض زاهرة)** أي ذات زهر وثمار أو نيرة مضيئة، **(فإذا فرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين)** بعضهم لبعض، **(بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين)** جل وعز: **(﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلّ)** أي حقد وحسد **(إخواناً على سرر متقابلين﴾ فهذا حالهم وهم في)** عالم **(الدنيا فمن تظن بهم عند إنكشاف الغطاء)** ورفع الحجاب، **(ومشاهدة المحبوب في العقبى، فإذاً لا يتصور أن يكون في الجنة محاسدة، ولا أن يكون بين أهل الجنة في الدنيا محاسدة لأن الجنة لا مضايقة فيها ولا محاسدة، ولا تنال)** أي الجنة **(إلا بمعرفة الله التي لا مزاحمة فيها في الدنيا أيضاً، فأهل الجنة بالضرورة برآء من الحسد)** وغيره من أوصاف النقص **(في الدنيا والآخرة جميعاً بل الحسد من صفات المبعدين)** المطرودين **(عن سعة عليين إلى مضيق سجين)** والعليون: درجة من درجات الجنة، والسجين: طبقة من طبقات الجحيم. **(ولذلك وسم به الشيطان اللعين)** أي

ما خص به من الاجتباء، ولما دعي إلى السجود استكبر وأبى وتمرد وعصى. فقد عرفت أنه لا حسد إلا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل، ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر إلى زينة السماء ويتحاسدون على رؤية البساتين التي هي جزء يسير من جملة الأرض، وكل الأرض لا وزن لها بالإضافة إلى السماء، ولكن السماء لسعة الأقطار وافية بجميع الأبصار فلم يكن فيها تزاحم ولا تحاسد أصلاً. فعليك إن كنت بصيراً وعلى نفسك مشفقاً أن تطلب نعمة لا زحمة فيها ولذة لا كدر لها، ولا يوجد ذلك في الدنيا إلا في معرفة الله عز وجل ومعرفة صفاته وأفعاله وعجائب ملكوت السموات والأرض. ولا ينال ذلك في الآخرة إلا بهذه المعرفة أيضاً. فإن كنت لا

علم به إذ هو أول من حسد، **(وذكر من صفاته أنه حسد آدم)** عليه السلام **(على ما خص من الاجتباء)** والاختصاص **(ولما دعي إلى السجود استكبروا أبي وتمرد وعصى)** وإنما حمله على ذلك وصف الحسد، **(فقد عرفت أنه لا حسد إلا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل، ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر إلى زينة السماء)** وما فيها من عجائب الصنع، **(ويتحاسدون على البساتين التي هي جزء يسير من جملة الأرض وكل الأرض لا وزن لها بالإضافة إلى السماء)**، لأن عجائب ملكوت السماء أكثر من عجائب ملكوت الأرض، فلهذه النسبة لا وزن للأرض إذا قوبلت بالسماء. وقد ألف بعضهم في المفاخرة بينهما رسالة وإلا فالجزء اليسير منها وهي التي ضمت جسد النبي ﷺ توازن السموات كلها والعرش كما صرح به العلماء، **(ولكن السماء لسعة الأقطار وافية بجميع الأبصار فلم يكن فيها تزاحم ولا تحاسد أصلاً)** وقد يقال: إن سبب التحاسد على الجزء اليسير من الأرض كالبساتين مثلاً إنما هو لكونه مما تملكه اليد وهو مظنة التزاحم، وأما عجائب السماء فإنها ليست كذلك فلا مظنة للتزاحم فيها إلاّ لكونها واسعة الأقطار فتأمل ذلك **(فعليك)** أيها المتأمل المسترشد **(إن كنت بصيراً)** بعين قلبك **(وعلى نفسك مشفقاً أن تطلب نعماً لا زحمة فيه ولذة لا مكدر لها ولا يوجد ذلك في الدنيا إلا في معرفة الله ومعرفة صفاته وأفعاله وعجائب ملكوت السماء والأرض)** فإن النظر فيها مما يقوي المعرفة بالله، **(ولا ينال ذلك في الآخرة أيضاً إلا بهذه المعرفة أيضاً)** أعلم أنه لا يحيط مخلوق من ملاحظة حقيقة ذات الله تعالى إلا بالحيرة والدهشة ونهاية معرفة العارفين عجزهم عن المعرفة ومعرفتهم بالحقيقة هي أنهم لا يعرفونه، وأنهم لا يمكنهم البتة معرفته، وأنه يستحيل أن يعرف الله المعرفة الحقيقية المحيطة بكنه صفاة الربوبية إلا الله تعالى، فإذا انكشف ذلك إنكشافاً برهانياً كما سنذكره فقد عرفوه أي بلغوا المنتهى الذي يمكن في حق الخلق من معرفته، وأما اتساع المعرفة فيكون في معرفة أسماء وصفاته والخلق متفاوتون فيها، فبقدر ما انكشف من معلومات الله وعجائب مقدوراته وبدائع آياته في الدنيا والآخرة والملك والملكوت تزداد معرفتهم بالله تعالى، وتقرب معرفتهم من معرفة الحقيقة وللمقربين من معاني الأسماء والصفات حظوظ ثلاثة.

تشتاق إلى معرفة الله تعالى ولم تجد لذتها وفتر عنها رأيك وضعفت فيها رغبتك فأنت في ذلك معذور إذ العنين لا يشتاق إلى لذة الوقاع، والصبي لا يشتاق إلى لذة الملك، فإن هذه لذات يختص بإدراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين، فكذلك لذة المعرفة يختص بإدراكها الرجال ﴿رجالٌ لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ [النور: ٣٧] ولا يشتاق إلى هذه اللذة غيرهم لأن الشوق بعد الذوق، ومن لم يذق لم يعرف، ومن لم

الأول: معرفة هذه على سبيل المكاشفة والمشاهدة حتى تتضح لهم حقائقها بالبرهان الذي لا يجوز فيه الخطأ وينكشف لهم اتصاف الله انكشافاً يجري في الوضوح، والبيان مجرى اليقين الحاصل للإنسان بصفاته الباطنة التي لا يدركها إلا بمشاهدة باطنة لا بإحساس ظاهرة.

الثاني: استعظامهم ما ينكشف لهم من صفات الجلال على وجه ينبعث منه شوقهم إلى الاتصاف بما يمكنهم من تلك الصفات ليقربوا بها من الحق قرباً بالصفة لا بالمكان، فيأخذوا من الاتصاف بها شبهاً من الملائكة المقربين عند الله تعالى.

الثالث: السعي في اكتساب المحكي من تلك الصفات والتحلي بمحاسنها، وبه يصير العبد ربانياً ورفيقاً للملأ الأعلى من الملائكة، فإنهم على بساط القرب، فمن قرب إلى شبه من صفاتهم نال شيئاً من قربهم بقدر ما نال من أوصافهم المقربة له من الحق، فمن كملت له هذه الحظوظ الثلاثة فهو الذي نال نعماً لا زحمة فيه ولذة لا مكدر لها، فأما من كان حظه من معاني ما يتعلق بالله تعالى بأن يسمع لفظاً ويفهم تفسيره في اللغة ووضعه ويعتقد بالقلب وجود معناه لله تعالى فهو منجوس الحظ نازل الدرجة وهو نقص ظاهر بالإضافة إلى ذروة الكمال.

(فإن كنت لا تشتاق إلى معرفة الله ولا تجد لذتها وفتر عنها رأيك وضعفت فيها رغبتك فأنت في ذلك معذور) فلن يتصور أن يمتلىء القلب بالمعرفة إلا ويتبعها شوق وعشق للصفة التي كانت باباً لتلك المعرفة وحرص على التحلي بها لو كان ذلك ممكناً إلهاً وإلاً فينبعث الشوق إلى القدر الممكن منها لا محالة ولا يخلو عن الشوق أصلاً إلا لأحد أمرين: إما لضعف اليقين بكون الوصف المعلوم من أوصاف الجلال والكمال، وإما لكون القلب ممتلئاً بشوق آخر مستغرقاً به، **(فالعنين)** الذي لا شهوة له **(لا يشتاق إلى شهوة الوقاع، والصبي)** الذي لم يكمل تمييزه **(لا يشتاق إلى لذة الملك، فإن هذه لذات يختص بإدراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين)** المتشبهين بالنساء، **(وكذلك لذة المعرفة يختص بمعرفتها الرجال)** المقربون للحضرة الإلهية فلهم فيها حظ وافر. **(رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله)** فهي عندهم في مرتبة التحقيق والانكشاف وعند غيرهم على الإيهام والتشبيه والمشاركة في الإسم كما يقال للعنين: الوقاع لذيذ كالسكر فهو يصدقه، ولكن تلك اللذة لا تشبه هذه البتة ولكن تشاركها في الإسم، **(ولا يشتاق إلى هذه اللذة غيرهم لأن الشوق)** يكون **(بعد الذوق)** فمن ذاق اشتاق، **(ومن لم يذق لم يعرف)** وإليه أشار بعض العارفين بقوله:

يعرف لم يشتق، ومن لم يشتق لم يطلب، ومن لم يطلب لم يدرك، ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في أسفل السافلين، ﴿ومن يَعْشُ عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين﴾ [الزخرف: ٣٦].

بيان الدواء الذي به ينفى مرض الحسد عن القلب:

اعلم أن الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب ولا تداوى أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل، والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف تحقيقاً أن الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين، وأنه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين، بل ينتفع به فيهما. ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدوّ نفسك وصديق عدوّك فارقت الحسد لا محالة. أما كونه ضرراً عليك في الدين فهو أنك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى، وكرهت نعمته التي قسمها بين عباده، وعدله الذي أقامه في ملكه بخفي حكمته فاستنكرت ذلك واستبشعته، وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الإيمان، وناهيك بهما جناية على الدين.

من ذاق طعم شراب القوم يدريه ومن داره غدا بالروح يشريه

(**ومن لم يعرف لم يشتق**) لفقدان الذوق الذي هو أصل الشوق وإليه أشار القائل:

ولو يذوق عاذلي صبابتي صبا معي لكنه ما ذاقا

(**ومن لم يشتق لم يطلب**) لأن طلب الشيء لا يكون إلا بعد الاشتياق إليه، كما أن الاشتياق لا يتم إلا بالذوق والذوق سبيل المعرفة، (**ومن لم يطلب لم يدرك**) المطلوب (**ومن لم يدرك بقي مع المحرومين الأشقياء المطرودين في أسفل السافلين**) وإليه الإشارة بقوله تعالى: (**﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين﴾**).

بيان الدواء الذي به ينفى مرض الحسد عن القلب:

(**اعلم**) أرشدك الله تعالى (**أن الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب**) أي هو مرض باطني غاية ضرره يتعلق بالقلب، (**ولا تداوى أمراض القلب إلا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف تحقيقاً أن الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين، وأنه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين، بل ينتفع به في الدنيا والدين، ومهما عرفت هذا عن بصيرة**) ومعرفة كشفية (**ولم تكن عدوّ نفسك وصديق عدوّك فارقت الحسد لا محالة. أما كونه ضرراً عليك في الدين فهو أنك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى**) الذي قضاه على عباده، (**وكرهت نعمته التي قسمها لعباده وأبيت عدله الذي أقامه في ملكه بخفي حكمته واستنكرت ذلك واستبشعته**) أي استقبحته. (**وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الإيمان، وناهيك بها جناية على الدين**) قال صاحب المجمل: ناهيك كلمة تعجب

وقد انضاف إلى ذلك أنك غششت رجلاً من المؤمنين وتركت نصيحته وفارقت أولياء الله وأنبياءه في حبهم الخير لعباده تعالى، وشاركت إبليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم. وهذه خبائث في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب، وتمحوها كما يمحو الليل النهار. وأما كونه ضرراً عليك في الدنيا فهو أنك تتألم بحسدك في الدنيا أو تتعذب به، ولا تزال في كمد وغم إذ أعداؤك لا يخليهم الله تعالى عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموماً محروماً متشعب القلب ضيق الصدر قد نزل بك ما يشتهيه الأعداء لك وتشتهيه لأعدائك، فقد كنت تريد المحنة لعدوّك فتنجزت في الحال محنتك وغمك نقداً، ومع هذا فلا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة إن كنت عاقلاً أن تحذر من الحسد لما فيه من ألم القلب ومساءته مع عدم النفع، فكيف وأنت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة؟ فما أعجب من العاقل كيف يتعرض لسخط الله تعالى من غير نفع يناله بل مع ضرر

واستعظام كما يقال حسبك وتأويلها أنه غاية تنهاك عن طلب غيره، **(وقد انضاف إليه أنك غششت رجلاً من المؤمنين وتركت نصحيته)** التي أوجبها الله عليك، **(وفارقت أولياء الله وأنبياءه في حبهم الخير لعباد الله وشاركت إبليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا)** والمصائب والمحن وزوال النعم. **(وهذه خبائث في القلوب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب)** كما رواه ابن ماجه من حديث أنس وتقدم **(وتمحوها)** أي تنسخها وتزيلها **(كما يمحو الليل النهار. وأما كونه ضرراً في الدنيا عليك فهو أنك تتألم** بحسدك **في الدنيا وتتعذب به ولا تزال في كمد وغم)** وحزن **(إذ أعداؤك)** الذين تحسدهم **(لا يخليهم الله عز وجل عن نعم يفيضها عليهم)** ظاهرة وباطنة، فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم لكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموماً **(محروماً متشعب القلب)** أي متفرقة، **(ضيق الصدر كما تشتهيه لأعدائك وكما تشتهي اعداؤك لك)** أن تكون كذلك، **(فقد كنت تريد المحنة)** والبلية **(لعدوّك فنجزت)** أي حصلت ناجزة **(في الحال محنتك وغمك نقداً، ولا تزول النعمة عن المحسود بحسدك)** إذ ليس ذلك بيدك، **(ولو لم تكن تؤمن بالبعث)** والنشور **(والحساب)** والجزاء **(لكان مقتضى الفطنة إن كنت عاقلاً أن تحذر من الحسد)** أي من الاتصاف به **(لما فيه من ألم القلب)** الذي لا ينفك عنه **(ومساءته)** وانقباضه **(مع عدم النفع)** فيه **(فكيف وأنت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة)** والوعيد والتهديد، **(فما أعجب من العاقل كيف يتعرض لسخط الله)** وغضبه ومقته **(من غير نفع يناله)** في آجله أو عاجله **(مع ضرر يحتمله وألم يقاسيه)** طول حياته، **(فيهلك بذلك دينه**

يحتمله وألم يقاسيه فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة؟ وأما أنه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح لأن النعمة تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله تعالى من إقبال ونعمة فلا بدّ أن يدوم إلى أجل معلوم قدره الله سبحانه فلا حيلة في دفعه، بل كل شيء عنده بمقدار، ولكل أجل كتاب. ولذلك شكا نبي من الأنبياء من امرأة ظالمة مستولية على الخلق فأوحى الله إليه: فر من قدامها حتى تنقضي أيامها أي ما قدرناه في الأزل لا سبيل إلى تغييره فاصبر حتى تنقضي المدة التي سبق القضاء بدوام إقبالها فيها. ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا يكون عليه إثم في الآخرة، ولعلك تقول: ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي، وهذا غاية الجهل فإنه بلاء تشتهيه أوّلاً لنفسك فإنك أيضاً لا تخلو عن عدوّ يحسدك فلو كانت النعمة تزول بالحسد لم يبق لله تعالى عليك نعمة ولا على أحد من الخلق، ولا نعمة الإيمان أيضاً لأن الكفار يحسدون المؤمنين على الإيمان. قال الله تعالى: ﴿ودّ كثيرٌ من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عِنْدِ أنفسهم﴾ [البقرة: ١٠٩] إذ ما يريده الحسود لا يكون. نعم هو يضل بإرادته الضلال لغيره، فإن إرادة الكفر كفر. فمن

ودنياه من غير جدوى ولا فائدة) تعود إليه منه. **(وإما أنه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح أن النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله من إقبال)** وحظ **(ونعمة)** ومسرة **(فلا بدّ وأن يدوم)** ويستمر **(إلى أجل)** معلوم **(قدره الله فلا حيلة إلى دفعه)** ومما نعته، **(بل كل شيء عنده بمقدار ولكل أجل كتاب)** قد أحصاه وضبطه فلا يتقدم ولا يتأخر، **(ولذلك شكا نبي من الأنبياء)** من بني إسرائيل **(من إمرأة ظالمة)** سليطة اللسان **(مستولية على الخلق، فأوحى الله تعالى إليه فر من قدامها حتى تنقضي أيامها ما قدرناه في الأزل لا سبيل إلى تغييره)** وتبديله، **(فاصبر حتى تنقضي المدة التي سبق القضاء بدوام إقبالها فيها ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا يكون عليه اثم في الآخرة، ولعلك تقول: ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي)** عليه **(وهذا غاية الجهل)** ونهاية الحماقة، **(فإنه بلاء تشتهيه أولاً لنفسك فإنك لا تخلو أيضاً عن عدو يحسـدك، فلو كانت النعم تزول بالحسد لم يبق لله عليك نعمة ولا على الخلق)** إذ ما من أحد إلا وهو محسود **(ولا نعمة الإيمان أيضاً)** وهو من أكبر النعم، **(لأن الكفار يحسدون المؤمنين على)** نعمة **(الإيمان)** وغالب بعضهم أباها لذلك. **(قال تعالى: ﴿ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم﴾ [آل عمران: ٦٩] وقال تعالى: ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم﴾ (إذ ما يريده الحسود لا يكون)** ولا يتم ولا يكون إلا ما يريده المولى عز شأنه. **(نعم هو يضل)** أي

اشتهى أن تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكأنما يريد أن يسلب نعمة الإيمان بحسد الكفار، وكذا سائر النعم. وإن اشتهيت أن تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباوة، فإن كل واحد من حمقى الحساد أيضاً يشتهي أن يخص بهذه الخاصية، ولست بأولى من غيرك. فنعمة الله تعالى عليك في أن لم تزل النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وأنت بجهلك تكرهها.

وأما ان المحسود ينتفع به في الدين والدنيا فواضح. أما منفعته في الدين فهو أنه مظلوم من جهتك لا سيما إذا أخرجك الحسد إلى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساوئه، فهذه هدايا تهديها إليه، أعني أنك بذلك تهدي إليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيامة مفلساً محروماً عن النعمة، كما حرمت في الدنيا عن النعمة فكأنك أردت زوال النعمة عنه فلم تزل، نعم كان الله عليه نعمة إذ وفقك للحسنات فنقلتها إليه فأضفت إليه نعمة إلى نعمة، وأضفت إلى نفسك شقاوة إلى شقاوة.

وأما منفعته في الدنيا فهو أن أغراض الخلق مساءة الأعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين ولا عذاب أشد مما أنت فيه من ألم الحسد، وغاية أماني أعدائك أن

الحسود يقوم به وصف الضلال (**بإرادته الضلال لغيره، فإن إرادة الكفر كفر**) فمن نوى أنه سيكفر غداً مثلاً كفر في الحال، (**فمن اشتهى أن تزول النعمة عن المحسود بالحسد، فكأنه يريد أن يسلب نعمة الإيمان بحسد الكفار**) فإنهم بنص الآية يريدون ذلك، (**وكذا سائر النعَم**) مما دقّ وجلَّ، (**وإن اشتهيت أن تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك، فهذا غاية الجهل والغباوة**) وسوء الفهم، (**فإن كل واحد من حمقاء الحساد أيضاً يشتهي أن يخص بهذه الخاصية ولست بأولى من غيرك فنعمة الله عليك في أن لم تزل النعمة بالحسد مما يجب شكرها وأنت بجهلك تكرهها**) .

(**وأما أن المحسود ينتفع به في الدين والدنيا فواضح، أما منفعته في الدين فهو أنه مظلوم من جهتك لا سيما إذا أخرجك الحسد إلى القول باللسان والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساوئه**) وعيوبه بين الناس، (**فهو بمنزلة هدايا تهديها إليه** أعني **أنك بذلك تهدي إليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيامة مفلساً محروماً عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة، فكأنك أردت زوال النعمة عنه فلم تزل**) عنه. (**نعم كان لله عليه نعمة إذ وفقك للحسنات فنقلتها إليه، فأضفت إليه نعمة إلى نعمة، وأضفت لنفسك شقاوة إلى شقاوة** .

(**وأما منفعته في الدنيا فهو أن أهم أغراض الخلق مساءة الأعداء وغمهم**) ونكدهم (**وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين، ولا عذاب أعظم مما أنت فيه من ألم الحسد، وغاية**

يكونوا في نعمة وأن تكون في غم وحسرة بسببهم، وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم. ولذلك لا يشتهي عدوّك موتك بل يشتهي أن تطول حياتك، ولكن في عذاب الحسد لتنظر إلى نعمة الله عليه فينقطع قلبك حسداً، ولذلك قيل:

لا مات أعداؤك بل خلدوا حتى يروا فيك الذي يكمدُ
لا زلت محسوداً على نعمة فإنما الكامل من يحسدُ

ففرح عدوّك بغمك وحسدك أعظم من فرحه بنعمته، ولو علم خلاصك من ألم الحسد وعذابه لكان ذلك أعظم مصيبة وبلية عنده فما أنت فيما تلازمه من غم الحسد إلا كما يشتهيه عدوّك، فإذاً إذا تأملت هذا عرفت أنك عدوّ نفسك وصديق عدوك إذا تعاطيت ما تضررت به في الدنيا والآخرة وانتفع به عدوك في الدنيا والآخرة. وصرت مذموماً عند الخالق والخلائق شقياً في الحال والمآل، ونعمة المحسود دائمة شئت أم أبيت باقية، ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوّك حتى وصلت إلى إدخال أعظم سرور على إبليس الذي هو أعدى أعدائك، لأنه لما رآك محروماً من نعمة العلم والورع والجاه والمال الذي اختص به عدوّك عنك خاف أن تحب ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب المحبة،

أماني اعدائك) أي نهاية ما يتمنونه **(أن يكونوا في نعمة وأن تكون في غم)** وحسرة **(بسببهم، وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم)** ومتمناهم. **(ولذلك لا يشتهي عدوّك موتك، بل يشتهي أن تطول حياتك، ولكن في عذاب الحسد لتنظر إلى نعمة الله)** عليه **(ولينقطع قلبك حسداً ولذلك قيل:**

(لا مات اعداؤك بل خلدوا حتى يروا فيك الذي يكمد)

أي يورث فيهم الكمد والحزن.

لا زلت محسوداً على نعمة فإنما الكامل من يحسد

ففرح عدوّك بغمك وحسدك أعظم من فرحه بنعمته، ولو علم خلاصك من ألم الحسد وعذابه لكان ذلك أعظم مصيبة وبلية عنده، فما أنت فيما تلازمه من غم الحسد إلا كما يشتهيه عدوّك، فإذاً إذا تأملت هذا عرفت أنك عدوّ نفسك وصديق عدوّك إذا تعاطيت ما تضررت به في الدنيا والآخرة، وانتفع به عدوّك في الدنيا والآخرة، وصرت مذموماً عند الخلق شقياً في الحال والمآل ونعمة المحسود دائمة) تتوالى عليه (شئت أم أبيت) ليس بيدك شيء، **(ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوّك حق، توصلت إلى إدخال أعظم سرور على إبليس الذي هو أعدى أعدائك)** أي أكبر اعدائك **(لأنه لما رآك محروماً عن نعمة اعلم والورع والجاه والمال الذي اختص به عدوّك عنك خاف أن تحب ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب المحبة)** له، **(لأن**

لأن من أحب الخير للمسلمين كان شريكاً في الخير، ومن فاته اللحاق بدرجة الأكابر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم مهما أحب ذلك، فخاف إبليس أن تحب ما أنعم الله به على عبده من صلاح دينه ودنياه فتفوز بثواب الحب فبغضه إليك حتى لا تلحقه بحبك كما لم تلحقه بعملك.

وقد قال إعرابي للنبي ﷺ: يا رسول الله الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم. فقال النبي ﷺ: «المرء مع من أحب» وقام إعرابي إلى رسول الله ﷺ وهو يخطب فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ فقال: «ما اعددت لها»؟ قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام إلا إني أحب الله ورسوله، فقال ﷺ: «أنت مع من أحببت». قال أنس: فما فرح المسلمون بعد إسلامهم كفرحهم يومئذ. إشارة إلى أن أكبر بغيتهم كانت حب الله ورسوله. قال أنس: فنحن نحب رسول الله وأبا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم ونرجو

من أحب الخير للمسلمين كان شريكاً في الخير) ويشهد له ما رواه الخطيب من حديث جابر «من أحب قوماً على أعمالهم حشر يوم القيامة في زمرتهم فحوسب بحسابهم وإن لم يعمل باعمالهم». **(ومن فاته اللحاق بدرجة الأكابر في الدين)** من عباد الله الصالحين **(لم يفته ثواب الحب لهم مهما أحب ذلك فخاف إبليس أن تحب ما أنعم الله به على عبده من صلاح دينه ودنياه فتفوز بثواب الحب فيبغضه إليك حتى لا تلحقه بحبك)** له **(كما لم تلحقه بعملك)**.

(وقد قال إعرابي) أي رجل من البادية **(للنبي ﷺ: الرجل يحب القوم ولا يلحق بهم. فقال النبي ﷺ: «المرء مع من أحب»)** أي في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا بالطاعة والأدب الشرعي، وفي الآخرة بالعافية والقرب المشهدي، فمن لم يتحقق بهذا وادعى المحبة فدعواه كاذبة. قال العراقي: متفق عليه من حديث ابن مسعود اهـ.

قلت: ولكن لفظه عندهما المرء مع من أحب. قال العلائي: والحديث مشهور أو متواتر لكثرة طرقه. **(وقام إعرابي إلى رسول الله ﷺ وهو يخطب فقال: متى الساعة؟ فقال: «ما أعددت لها»؟ قال: ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام إلا أني أحب الله ورسوله، فقال ﷺ: «أنت مع من أحببت»)** أي في زمرتهم وإن لم تعمل بعملهم **(قال أنس)** رضي الله عنه: **(فما فرح المسلمون بعد إسلامهم كفرحهم يومئذ إشارة إلى أن أكبر بغيتهم كان حب الله ورسوله. قال أنس)** رضي الله عنه **(فنحن نحب رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم، ونرجو أن نكون معهم)** أي في زمرتهم. قال العراقي: متفق عليه من حديث أنس.

قلت: وكذلك رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي، وعند بعضهم قال أنس: فما فرح

أن نكون معهم. وقال أبو موسى: قلت يا رسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلي ويحب الصوَّام ولا يصوم، حتى عدَّ أشياء. فقال النبي ﷺ: «هو مع من أحب»، وقال رجل لعمر بن عبد العزيز: إنه كان يقال إن استطعت أن تكون عالماً فكن عالماً، فإن لم تستطع أن تكون عالماً فكن متعلماً، فإن لم تستطع أن تكون متعلماً فأحبهم، فإن لم تستطع فلا تبغضهم، فقال: سبحان الله لقد جعل الله لنا مخرجاً.

فانظر الآن كيف حسدك إبليس ففوّت عليك ثواب الحب، ثم لم يقنع به حتى بغَّض إليك أخاك وحملك على الكراهة حتى أثمت، وكيف لا وعساك تحاسد رجلاً من أهل

المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث. ورواه الدارقطني في السنن بزيادة «وله ما اكتسب» وذكر سببه أن اعرابياً جاء فبال في المسجد،فأمر رسول الله ﷺ بمكانه فاحتفر فصب عليه دلو فقال الإعرابي: يا رسول الله المرء يحب القوم ولا يعمل عملهم فذكره.

(وقال أبو موسى) الأشعري رضي الله عنه: **(قلت يا رسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلي، ويحب الصوم ولا يصوم حتى عد أشياء، فقال النبي ﷺ: «هو مع من أحب»)** قال العراقي: متفق عليه بلفظ آخر مختصر «الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم» قال «المرء مع من أحب» انتهى.

قلت: ووجد بخط الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى. وأما هذا اللفظ عن عتبة بن عمر مرسلاً.

(وقال رجل لعمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى: **(إنه كان يقال إن استطعت أن تكون عالماً فكن عالماً، فإن لم تستطع أن تكون عالماً فكن متعلماً، فإن لم تستطع أن تكون متعلماً فأحبهم، فإن لم تستطع فلا تبغضهم، فقال)** عمر بن عبد العزيز: **(سبحان الله لقد جعل الله لنا مخرجاً)** وقد أخرجه البزار في المسند، والطبراني في الأوسط من حديث أبي بكرة: أغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً ولا تكن الخامسة فتهلك. قال عطاء: قال لي مسعر: زدتنا خامسة لم تكن عندنا، والخامسة: أن تبغض العلم وأهله. وقال ابن عبد البر: هي معاداة العلماء وبغضهم ومن لم يحبهم فقد أبغضهم أو قارب وفيه الهلاك.

قال الولي العراقي في المجلس الثالث والأربعين بعدالخمسمائة من أماليه بعد ان رواه من طريق الطبراني عن محمد بن الحسين الأنماطي، عن عبيد بن جنادة الحلبي، عن عطاء بن مسلم، عن خالد الحذاء، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه فذكره. إن هذا الحديث ضعيف ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة، وعطاء بن مسلم هو الخفاف وهو ضعيف وعن أبي داود ليس بشيء.

(فانظر الآن كيف حسدك إبليس ففوّت عليك ثواب الحب ثم لم يقنع به حتى بغض إليك أخاك وحملك على الكراهية حتى أثمت) أي وقعت في الإثم، **(وكيف لا)** يكون ذلك **(وعساك تحاسد رجلاً من أهل العلم وتحب)** فيه **(أن يخطىء)** يوماً في مسألة **(في دين الله**

العلم وتحب أن يخطىء في دين الله تعالى وينكشف خطؤه ليفتضح؟ وتحب أن يخرس لسانه حتى لا يتكلم أو يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم وأي إثم يزيد على ذلك؟ فليتك إذ فاتك اللحاق به ثم اغتممت بسببه سلمت من الإثم وعذاب الآخرة وقد جاء في الحديث: «أهل الجنة ثلاثة: المحسن والمحب له والكاف عنه» أي من يكف عنه الأذى والحسد والبغض والكراهة، فانظر كيف أبعدك إبليس عن جميع المداخل الثلاثة حتى لا تكون من أهل واحد منها البتة، فقد نفذ فيك حسد إبليس وما نفذ حسدك في عدوك بل على نفسك، بل لو كوشفت بحالك في يقظة أو منام لرأيت نفسك أيها الحاسد في صورة من يرمي سهماً إلى عدوه ليصيب مقتله، فلا يصيبه بل يرجع إلى حدقته اليمنى فيقلعها، فيزيد غضبه فيعود ثانية فيرمي أشد من الأولى فيرجع إلى عينه الأخرى فيعميها، فيزداد غيظه فيعود ثالثة فيعود على رأسه فيشجه، وعدوّه سالم في كل حال وهو إليه راجع مرة بعد أخرى، وأعداؤه حوله يفرحون به ويضحكون عليه. وهذا حال الحسود

وينكشف خطؤه لينفضح) بين الناس، **(وتحب أن يخرس لسانه حتى لا يتكلم أو يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم، وأي إثم يزيد على ذلك)** إذا تأملت فيه، **(فليتك إذا فاتك اللحاق به ثم اغتممت بسببه سلمت من الإثم وعذاب الآخرة، وقد جاء في الحديث: أهل الجنة ثلاثة المحسن)** أي في عمله، **(والمحب له، والكاف عنه)** قال العراقي: لم أجد له أصلاً. **(أي من يكف عنه الأذى والحسد والبغض والكراهة)** فلا يؤذيه بقول ولا فعل ولا يحسده على نعمة أوتيها ولا يبغضه ولا يكرهه. وروى الديلمي من طريق عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي عن أبيه عن علي بن موسى الرضا عن آبائه عن علي رفعه «أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذريتي والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه» وقد سمعت هذا الحديث من لفظ الشريف الأجل عميد السادة ابن قناع محمد بن مقاعس بن أبي نمي الحسني رحمه الله تعالى بمصر.

(فانظر كيف أبعدك إبليس عن جميع المداخل الثلاثة حتى لا تدور بها ألبتة) وهو أن تعمل عملهم أو تحبهم أو تكف عنهم، **(فقد نفذ)** فيك **(حسد إبليس وما نفذ حسدك على عدوّك بل على نفسك)** خاصة، **(بل لو كوشفت بحالك في يقظة أو منام لرأيت نفسك أيها الحاسد في صورة من يرمي حجراً إلى عدوه ليصيب به مقتله)** أي الموضع الذي إذا أصابه ذلك الحجر قتله **(فلا يصيبه بل يرجع على حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه)** ثانياً، **(فيعود ويرميه أشد من الأول)** فيرجع الحجر على عينه الأخرى **(فيعميها فيزداد غيظه، فيعود)** مرة **(ثالثة)** فيرمي الحجر **(فيعود على رأسه فيشجه)** ويدميه **(وعدوّه سالم في كل حال)** لم يصبه شيء، **(وهو إليه راجع مرة بعد أخرى، وأعداؤه حواليه يفرحون به**

وسخرية الشيطان منه، بل حالك في الحسد أقبح من هذا لأن الرمية العائدة لم تفوّت إلا العينين ولو بقيتا لفاتتا بالموت لا محالة. والحسد يعود بالإثم والإثم لا يفوت بالموت، ولعله يسوقه إلى غضب الله وإلى النار، فلأن تذهب عينه في الدنيا خير له من أن تبقى له عين يدخل بها النار فيقلعها لهيب النار. فانظر كيف انتقم الله من الحاسد إذا أراد زوال النعمة عن المحسود فلم يزلها عنه ثم أزالها عن الحاسد، إذ السلامة من الإثم نعمة والسلامة من الغم والكمد نعمة وقد زالتا عنه تصديقاً لقوله تعالى: ﴿ولا يحيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إلاَّ بأهله﴾ [فاطر: ٤٣] وربما يبتلى بعين ما يشتهيه لعدوّه، وقلما يشمت شامت بمساءة إلا ويبتلى بمثلها، حتى قالت عائشة رضي الله عنها: ما تمنيت لعثمان شيئاً إلا نزل بي، حتى لو تمنيت له القتل لقتلت. فهذا إثم الحسد نفسه فكيف ما يجرّ إليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق وإطلاق اللسان واليد بالفواحش في التشفي من الأعداء؟ وهو الداء الذي فيه هلك الأمم السالفة.

فهذه هي الأدوية العلمية فمهما تفكر الإنسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر

ويضحكون عليه، وهذا حال الحسود وسخرية الشيطان منه، بل حالك في الحسد أقبح من هذا لأن الحجر العائد بعد الرمي لم يفوّت إلا العين، ولو بقيت لفاتت بالموت لا محالة، والحسد يعود بالاثم والإثم لا يفوت بالموت، ولعله يسوقه إلى غضب الله وإلى النار) إن لم يتب عنه (**فلأن تذهب عينه في الدنيا خير له من أن تبقى له عين يدخل بها النار فيذهبها لهب النار**) وفي نسخة فيقلعها لهيب النار.

(**فانظر كيف انتقم الله من الحاسد إذ أراد زوال النعمة عن المحسود فلم يزلها عنه، ثم أزال نعمة الحاسد إذ السلامة من الإثم نعمة من الله تعالى، و**) كذا (**السلامة من الغم والكمد نعمة**) من الله تعالى، (**وقد زالتا عنه تصديقاً لقوله تعالى: ﴿ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله﴾ وربما يبتلى**) الحاسد (**بعين ما يشتهيه لعدوّه وقلما يشمت شامت لمساءة إلا ويبتلي بمثلها**) ففي الخبر: «لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك» وتقدم قريباً. (**قالت عائشة رضي الله عنها: ما تمنيت لعثمان رضي الله عنه شيئاً إلا نزل بي حتى لو تمنيت له القتل لقتلت**)، وكان سبب كلامها فيه لكثرة ما كان يبلغها من الشكاية في حقه من قبل جور عماله وابقائهم على أعمالهم، فكانت كغيرها من الصحابة يغضبون بذلك منه. (**فهذا إثم الحسد نفسه، فكيف بما يجر إليه الحسد من الاختلاف** وجحود **الحق وإطلاق اللسان واليد بالفواحش في التشفي من الاعداء**) والانتصار منهم؟ (**وهو الداء الذي به هلك الأمم السالفة**).

(**فهذه هي الأدوية العلمية فمهما تفكر الإنسان فيها بذهن صاف**) عن كدر الغش

انطفأت نار الحسد من قلبه، وعلم أنه مهلك نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه ومنغص عيشه.

وأما العمل النافع فيه فهو أن يحكم الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد من قول وفعل فينبغي أن يكلف نفسه نقيضه، فإن بعثه الحسد على القدح في محسوده كلف لسانه المدح له والثناء عليه، وإن حمله على التكبر عليه ألزم نفسه التواضع له والاعتذار إليه، وإن بعثه على كف الإنعام عليه ألزم نفسه الزيادة في الإنعام عليه، فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه وأحبه، ومهما ظهر حبه عاد الحاسد فأحبه، وتولد من ذلك الموافقة التي تقطع مادة الحسد، لأن التواضع والثناء والمدح وإظهار السرور بالنعمة يستجلب قلب المنعم عليه ويسترقه ويستعطفه ويحمله على مقابلة ذلك بالإحسان، ثم ذلك الإحسان يعود إلى الأوّل فيطيب قلبه ويصير ما تكلفه أولاً: طبعاً آخراً ولا يصدّنه عن ذلك قول الشيطان له: لو تواضعت وأثنيت عليه حملك العدو على العجز أو على النفاق أو الخوف وأن ذلك مذلة ومهانة، وذلك من خدع الشيطان ومكائده بل المجاملة تكلفاً كانت أو طبعاً تكسر سورة العداوة من الجانبين وتفل غربها وتعود القلوب

(**وقلب حاضر إنطفأ من قلبه نار الحسد**) في الحال، (**وعلم أنه مهلك نفسه ومفرج عدّوه ومسخط ربه ومنغص عيشه**) ومشتّت حاله وقد تقدم بيان ذلك.

(**وأما العمل النافع فيه؛ فهو أن يحكم الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد من قول وفعل، فينبغي أن يكلف نفسه نقيضه وضده، فإن بعثه الحسد على القدح فيه كلف نفسه المدح له والثناء عليه**) فالقدح والمدح نقيضان إذا حلّ أحدهما ارتحل الثاني، (**وإن حمله على التكبر عليه، ألزم نفسه التواضع له والاعتذار إليه، وإن بعثه على كف الانعام عليه ألزم نفسه الزيادة في الانعام عليه، فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه وأحبه، ومهما ظهر حبه عاد الحاسد وأحبه وتولد من ذلك الموافقة التي تقطع مادة الحسد، لأن التواضع و**) حسن (**الثناء والمدح وإظهار السرور بالنعمة يستجلب قلب المنعم عليه ويسترقه ويستعطفه ويحمله على مقابلة ذلك بالإحسان، ثم ذلك الإحسان يعود إلى الأول فيطيب قلبه**) ويصفو ظاهره (**ويصير ما تكلفه أولاً**) في أي أول مرة (**طبعاًآخراً**) أي في آخر مرة (**ولا يصدنه**) أي يمنعه (**من ذلك قول الشيطان له**) فيما يوسوس إليه (**لو تواضعت وأثنيت عليه حمله العدوّ على**) العجز منك (**أو على النفاق والخوف، وأن ذلك مذلة ومهانة، فإن ذلك من خدع الشيطان ومكائده**) فإنما مقصود الشيطان أن تكون العداوة والبغضاء بين المسلمين على الأبد (**بل المجاملة**) على أي حال (**تكلفاً كانت أو طبعاً تكسر سورة العداوة**) أي شدتها وثورتها

التآلف والتحاب، وبذلك تستريح القلوب من ألم الحسد وغم التباغض.

فهذه هي أدوية الحسد وهي نافعة جداً إلا أنها مرّة على القلوب جداً ولكن النفع في الدواء المرّ. فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء؛ وإنما تهون مرارة هذا الدواء، أعني التواضع للأعداء والتقرب إليهم، بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوّة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله تعالى وحب ما أحبه، وعزة النفس وترفعها عن أن يكون في العالم شيء على خلاف مرادها جهل، وعند ذلك يريد ما لا يكون، إذ لا مطمع في أن يكون ما يريد وفوات المراد ذل وخسة، ولا طريق إلى الخلاص من هذا الذل إلا بأحد أمرين: إما بأن يكون ما تريد أو بأن تريد ما يكون، والأوّل ليس إليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه. وأما الثاني: فللمجاهدة فيه مدخل، وتحصيله بالرياضة ممكن، فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء الكلي.

فأما الدواء المفصل: فهو تتبع أسباب الحسد من الكبر وغيره وعزة النفس وشدة الحرص على ما لا يغني، وسيأتي تفصيل مداواة هذه الأسباب في مواضعها إن شاء الله

(من الجانبين ويذل) أي يكسر **(غربها)** أي حدتها **(وتعود القلوب)** أي يحركها **(إلى التآلف والتحاب)** والتوادد، **(وبه تستريح القلوب من ألم الحسد وغم التباغض)**.

(فهذه هي أدوية الحسد) علماً وعملاً **(وهي نافعة جداً إلا انها مُرَّة جداً، ولكن النفع في الدواء المُر فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء، وإنما تهون مرارة هذا الدواء. أعني التواضع للاعداء أو التقرب إليهم بالمدح والثناء)** أو ببذل الاحسان وغير ذلك **(بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها بأن يتحقق بها حتى تنكشف له إنكشافاً برهانياً وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله وقدره)** والتسليم لأوامره **(وحب ما أحبه وعزة النفس وترفعها عن أن يكون في العالم شيء على خلاف مرادها)** أي النفس **(جهل)** وغباوة، **(وعند ذلك يريد ما لا يكون)** مما تبذره القدرة **(إذ لا مطمع في أن يكون ما يريد، وفوات المراد ذل وخسة ولا طريق إلى الخلاص من هذا الذل إلا بأحد أمرين: إما بأن يكون ما تريد، أو بأن تريد ما يكون. والأوّل ليس إليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه أبداً)** ومن ذلك قولهم: الرب يريد والعبد يريد ولا يكون في الكون إلا ما يريد. **(وأما الثاني: فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل وان يمرن نفسه بجريانها تحت مجاري الأقدار ويكلفها بالرضا والتسليم حتى تكون إرادتها تابعة لإرادة الحق سبحانه)** وترضى بما يكون. **(هذا هو الدواء الكلي)** بطريق الإجمال.

(فأما الدواء المفصل فهو تتبع أسباب الحسد من الكبر وعزة النفس وشدة الحرص على ما لا يغني) والتنافر والبغضاء وغير ذلك فيتأصلها من أصلها. **(وسيأتي تفصيل مداواة هذه**

تعالى ـ فإنها مواد هذا المرض ولا ينقمع المرض إلا بقمع المادة، فإن لم تقمع المادة لم يحصل بما ذكرناه إلا تسكين وتطفئة، ولا يزال يعود مرة بعد أخرى ويطول الجهد في تسكينه مع بقاء مواد، فإنه ما دام محباً للجاه فلا بدّ وأن يحسد من استأثر بالجاه والمنزلة في قلوب الناس دونه، ويغمه ذلك لا محالة، وإنما غايته أن يهون الغم على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده، فأما الخلو عنه رأساً فلا يمكنه والله الموفق.

بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب:

اعلم أن المؤذي ممقوت بالطبع، ومن آذاك فلا يمكنك أن لا تبغضه غالباً، فإذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك أن لا تكرهها له حتى يستوي عندك حسن حال عدوك وسوء حاله، بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة، ولا يزال الشيطان ينازعك إلى الحسد له، ولكن إن قوي ذلك فيك حتى بعثك على إظهار الحسد بقول أو فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بافعالك الاختيارية فأنت حسود عاص بحسدك، وإن كففت ظاهرك بالكلية إلا انك بباطنك تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة

الأسباب في مواضعها) اللائقة من هذا الكتاب، **(فإنها)** أي تلك الأسباب **(مواد هذا المرض ولا ينقمع المرض إلا بقمع المادة)** التي منها نشأ ذلك المرض، **(فإن لم تقمع المادة لم يحصل بما ذكرناه الا تسكين)** في الجملة **(وتطفئة، ولا يزال)** المرض **(يعود مرة بعد أخرى ويطول الجهد في** تسكينه مع بقاء مراده **فإنه ما دام محباً للحياة فلا بدّ وان يحسد من استأثر بالجاه والمنزلة في قلوب الناس دونه ويغمه ذلك لا محالة، وإنما غايته أن يهوّن الغم عن نفسه)** ويخفيه **(ولا يظهر بلسانه ويده، فاما الخلو عنه رأساً فلا يمكنه والله الموفق)**.

بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب:

(اعلم) هداك الله تعالى **(أن المؤذي ممقوت بالطبع)** أي يبغضه الناس طبعاً، **(ومن آذاك)** بوجه من الوجود في نفسك أو من عليه حياطتك، **(فلا يمكنك أن لا تبغضه غالباً فإذا تيسرت له نعمة)** من الله تعالى **(فلا يمكنك أن لا تكرهها له حتى يستوي عندك حسن حال عدوك وسوء حاله، بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة)** وتمييزاً، **(ولا يزال الشيطان ينازعك إلى الحسد له)** ويسوّل لك في تحسينه، **(ولكن إن قوي ذلك فيك حتى بعثك)** أي حملك **(على إظهار الحسد بقول أو فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بأفعالك الإختيارية، فأنت)** حينئذ **(حسود عاص بحسدك وإن كففت ظاهرك)** من القول والفعل **(بالكلية إلا أنك بباطنك تحب زوال النعمة)** على المحسود، **(وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة فأنت**

فأنت أيضاً حسود عاص، لأن الحسد صفة القلب لا صفة الفعل، قال الله تعالى: ﴿ولاَ يجِدُونَ في صُدُورِهم حاجةً مما أوتوا﴾ [الحشر: ٩] وقال عز وجل: ﴿ودَّوا لو تَكفرُون كما كَفَرُوا فتكونون سواء﴾ [النساء: ٨٩] وقال: ﴿إن تَمسَسْكُم حَسَنَةٌ تسؤْهُـم﴾ [آل عمران: ١٢٠] أما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد، بل محل الحسد القلب دون الجوارح. نعم هذا الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها بل هو معصية بينك وبين الله تعالى، وإنما يجب الاستحلال من الأسباب الظاهرة على الجوارح، فأما إذا كففت ظاهرك وألزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كأنك تمقت نفسك على ما في طبعها فتكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع، فقد أديت الواجب عليك، ولا يدخل تحت اختيارك في أغلب الأحوال أكثر من هذا، فأما تغيير الطبع ليستوي عنده المؤذي والمحسن ويكون فرحه أو غمه بما تيسر لهما من نعمة أو تنصب عليهما من بلية سواء، فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه ما دام ملتفتاً إلى حظوظ الدنيا، إلا أن يصير مستغرقاً بحب الله تعالى مثل السكران الواله، فقد ينتهي أمره إلى أن لا يلتفت

أيضاً) في هذه الحالة (**حسود عاص؛ فإن الحسد صفة القلب لا صفة الفعل. قال تعالى: ﴿ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا﴾ وقال**) تعالى: (**﴿ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء﴾ وقال**) تعالى: (**إن تمسسكم حسنة تسؤهم﴾ الآية. فهذه الآيات دالة على أن ال حسد من صفات القلب.**

(**أما الفعل: فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح**) فالقلب مستقره والجوارح مظاهر آثاره. (**نعم هذا الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها**) كما قلنا في الغيبة، (**بل هي معصية بينك وبين الله تعالى، وإنما يجب الاستحلال من الأسباب الظاهرة على الجوارح**) كالغيبة والنميمة والشتم ونحوها، (**فأما إذا كففت ظاهرك وألزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كأنك مقت نفسك على ما في طبعها، فتكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع، فقد أديت الواجب عليك**) وأتيت بالميسور منه، (**ولا يدخل تحت اختيارك في أغلب الأحوال أكثر من هذا، فأما تغيير الطبع ليستوي عنده المؤذي والمحسن ويكون فرحه أو غمه مما تيسر لها من نعمة أو ينصب عليهما من بلية سواء، فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه ما دام ملتفتاً إلى حظوظ الدنيا**) ومختلطاً بدواعيها (**إلا أن يكون مستغرقاً بحب الله تعالى**) مستهتراً بذكره (**مثل السكران الواله فقد ينتهي أمره**

قلبه إلى تفاصيل أحوال العباد ، بل ينظر إلى الكل بعين واحدة وهي عين الرحمة ، ويرى الكل عباد الله وأفعالهم أفعالاً لله ، ويراهم مسخرين وذلك إن كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ، ثم يرجع القلب بعد ذلك إلى طبعه ويعود العدو إلى منازعته ـ أعني الشيطان ـ فإنه ينازع بالوسوسة فمهما قابل ذلك بكراهته وألزم قلبه هذه الحالة فقد أدى ما كلفه . وقد ذهب ذاهبون إلى أنه لا يأثم إذا لم يظهر الحسد على جوارحه لما روي عن الحسن أنه سئل عن الحسد فقال: غمه فإنه لا يضرك ما لم تبده ، وروي عنه موقوفاً ومرفوعاً إلى النبي ﷺ انه قال: « ثلاثة لا يخلو منهن المؤمن وله منهن مخرج » فمخرجه من الحسد أن

إلى أن لا يلتفت قلبه إلى تفاصيل أحوالِ العباد ،بل ينظر إلى الكل بعين واحدة وهي عين الرحمة ويرى الكل عباد الله وأفعالهم أفعالاً ويراهم مسخرين) ولا يتم ذلك إلا بعد الترقي من حضيض المجاز إلى ارتفاع الحقيقة واستكمال المعراج فيرى ما ذكر بالمشاهدة العيانية وتنتفي عنه الكثرة بالكلية ويستغرق بالفردانية المحضة ، فلا يبقى فيه متسع لغير الله تعالى ، ثم في نظره إلى الكل بعين الرحمة تفصيل ، فإن كان ممن يصرف الغافلين إلى الله تعالى بطريق اللطف وينظر إلى العصاة لا بعين الازدراء فهو في تجلي اسمه الرحمن ، وإن كان ممن لا يدع فاقة لمحتاج إلا سدَّها بقدر طاقته أو شاركه في الحزن بسبب حاجته فهو في تجلي اسمه الرحيم ، **(وذلك إن كان)** أي وجد **(فهو كالبرق الخاطف لا يدوم)** مع العارف ولا يستمر بل تارة وتارة **(ويرجع القلب بعد ذلك إلى طبعه)** الذي جبل عليه ، **(ويعود العدو إلى منازعته أعني الشيطان فإنه ينازع بالوسوسة)** ويسوّل له ما يوافق هوى النفس ، **(فمهما قابل ذلك بكراهته وألزم قلبه هذه الحالة فقد أدى ما كلفه)** فإن هذا القدر هو الذي يدخل تحت الاختيار ، **(وقد ذهب ذاهبون إلى أن لا يأثم إذا لم يظهر الحسد عن جوارحه، كما روي عن الحسن)** البصري رحمه الله تعالى **(أنه سئل عن الحسد فقال: غمه فإنه لا يضرك ما لم تبده)** تقدم قريباً بلفظ: سأل رجل الحسن هل يحسد المؤمن؟ قال: ما أنساه بني يعقوب. نعم ولكن غمه في صدرك وأنه لا يضرك ما لم تعد به يداً أو لساناً. **(وروي عنه موقوفاً)** عليه **(ومرفوعاً إلى رسول الله ﷺ انه قال « ثلاث لا يخلو منهن مؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من الحسد ان لا يبغي »)** .

أما الموقوف وهو مرسل الحسن ، فرواه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد ، ورستة في كتاب الإيمان له بلفظ: « ثلاث لم تسلم منها هذه الأمة الحسد والظن والطيرة ألا أنبئكم بالمخرج منها إذا ظننت فلا تحقق وإذا حسدت فلا تبغ وإذا تطيرت فامض » .

وأما المرفوع بلفظ « ثلاث لازمات لأمتي سوء الظن والحسد والطيرة فإذا ظننت فلا تحقق وإذا حسدت فاستغفر الله وإذا تطيرت فامض » هكذا رواه أبو الشيخ في كتاب التوبيخ ، والطبراني في الكبير من حديث حارثة بن النعمان ، وقد تقدم ذكر كل من اللفظين قريباً .

لا يبغي، والأولى أن يحمل هذا على ما ذكرناه من أن يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو، وتلك الكراهة تمنعه من البغي والإيذاء، فإن جميع ما ورد من الأخبار في ذم الحسد يدل ظاهره على أن كل حاسد آثم، ثم الحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الأفعال. فكل من يحب إساءة مسلم فهو حاسد. فإذاً كونه آثماً بمجرد حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد، والأظهر ما ذكرناه من حيث ظواهر الآيات والأخبار ومن حيث المعنى، إذ يبعد أن يعفى عن العبد في إرادته إساءة مسلم واشتماله بالقلب على ذلك من غير كراهة.

وقد عرفت من هذا أن لك في أعدائك ثلاثة أحوال.

أحدها: أن تحب مساءتهم بطبعك، وتكره حبك لذلك وميل قلبك إليه بعقلك وتمقت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة في إزالة ذلك الميل منك، وهذا معفو عنه قطعاً لأنه لا يدخل تحت الاختيار أكثر منه.

الثاني: أن تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته إما بلسانك أو بجوارحك، فهذا هو الحسد المحظور قطعاً.

(والأولى أن يحمل هذا على ما ذكرناه من أن يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل ومقابلة حب الطبع) وميله **(لزوال نعمة العدوّ، وتلك الكراهة تمنعه من البغي)** عليه **(ومن الإيذاء له فإن جميع ما ورد من الاخبار في ذم الحسد)** مما تقدم ذكر بعضها **(يدل ظاهره على أن كل حاسد آثم)** على الاطلاق، **(والحسد عبارة عن صفة القلب لا من الأفعال)** الصادرة عن الجوارح، **(فكل محب مساءة المسلمين)** ومضرتهم **(فهو حاسد فإذاً كونه آثماً بمجرد حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد، والأظهر)** من القولين **(ما ذكرناه من حيث ظواهر الآيات** والأخبار، **ومن حيث المعنى إذ بعيد أن يعفي عن العبد في ارادته مساءة مسلم)** واشتماله بالقلب عليها من غير كراهة لها.

(وقد عرفت من هذا أن لك من أعدائك ثلاثة أحوال):

(احداها: ان تحب مساءتهم بطبعك) من حيث مجانسته بالنفس **(وتكره)** حبك لذلك وميل قلبك إليه بعقلك **(وتمقت نفسك)** أي تبغضها **(عليه، وتودّ لو كانت لك حيلة في إزالة ذلك الميل عنك وهذا معفوّ عنه قطعاً)** أي من غير شك فيه، **(لأنه لا يدخل تحت الاختيار أكثر منه)**.

(الثانية: أن تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته) وغمه **(إما بلسانك)** بالقدح والشتم ونحوه، **(أو بجوارحك)** أي بفعلها، **(فهذا هو الحسد المحظور قطعاً)** أي من غير شك فيه.

الثالث: وهو بين الطرفين أن تحسد بالقلب من غير مقت لنفسك على حسدك، ومن غير إنكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاه، وهذا في محل الخلاف. والظاهر أنه لا يخلو عن إثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه. والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل.

(الثالثة: وهو بين الطرفين أن تحسد بالقلب من غير مقتك لنفسك على حسدك ومن غير إنكار منك على قلبك) ولا الكراهة له، **(ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاها)** من القول والعمل، **(وهذا محل الخلاف)** فمن ذاهب إلى أنه لا يأثم ومن ذاهب إلى انه يأثم، **(والظاهر أنه لا يخلـو من إثم بقدر قوة ذلك وضعفه)** فإذا كان حبه له قوياً كان الإثم كذلك، وإن كان ضعيفـاً كان الإثم كذلك والله أعلم.

وبه تمّ كتاب ذم الغضب والحقد والحسد، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد أفضل المخلوقات وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً، كان الفراغ منه في الأول من نهار الثلاثاء سادس عشر صفر الخير من شهور سنة مائتين وألف على يد مسوّده محمد مرتضى الحسيني غفر له بمنه وكرمه آمين، والحمد لله رب العالمين.

كتاب ذم الدنيا وهو الكتاب السادس
من ربع المهلكات من كتب
احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

الحمد لله الذي أصعد قوالب الأصفياء بالمجاهدات، وأسعد قلوب الأولياء بالمشاهدات، وخلص أشباح المتقين من ظلم الشهوات، وأخلص أرواح الموقنين عن ظلم الشبهات، أحمده حمداً من رأى آيات قدرته الباهرة، وشاهد شواهد فردانيته القاهرة، فانكشفت له عجاب المقدورات، وأشكره شكر من اعترف بمجده وكماله، واغترف من بحر جوده وأفضاله، فخوطب بأسرار المنازلات، وأشهد أن لا إله إلا الله إلهاً واحداً وربأ قادراً فاطر الارضين والسموات، شهادة تؤذن باخلاص الضمائر والطويات، وتنير مطالع أنوارها غياهب الشكوك وسدف الدجنات، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، وحبيبه وخليله، المبعوث إلى كافة البريات بالآيات الباهرات، المنعوت باشرف الخلال الزاكيات، صلى الله عليه وعلى آله الائمة الهداة، وأصحابه الفضلاء الثقات، وعلى أتباعهم باحسان ما هبت في الأسحار النسمات وسلم كثيراً كثير.

(وبعد) : فهذا شرح.

كتاب ذم الدنيا

وهو السادس من الربع الثالث من كتاب الاحياء للإمام الرباني حجة الإسلام الغزالي أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، نفع الله باسرار علومه، وأفاض علينا من افاضات أنوار فهومه، حللت فيه عقدة ألفاظه الغريبة، ورفعت من جوه معانيها حجب الخفاء والريبة مع تتبع تخريج ما أورده فيه من الأخبار والآثار، وما نقل من أقوال الصالحين، ومن أحوال الأخيار على وجه غير مخل ولا ممل، أن لم يصبه وابل فطل، مستعيناً بالله في سائر الأمور، سائلاً منه الأمداد وشرح الصدور، فنعم المولى ونعم النصير، وهو على كل شيء قدير.

قال المصنف رحمه الله تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي عرف أولياءه غوائل الدنيا وآفاتها . وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها حتى نظروا في شواهدها وآياتها ، ووزنوا بحسناتها سيئاتها فعلموا أنه يزيد منكرها على معروفها ولا يفي مرجوها بمخوفها ولا يسلم طلوعها من كسوفها ، ولكنها في صورة امرأة مليحة تستميل الناس بجمالها ، ولها أسرار سوء قبائح تهلك الراغبين في وصالها ، ثم هي فرارة عن طلابها شحيحة بإقبالها وإذا أقبلت لم يؤمن شرها ووبالها ، إن أحسنت ساعة أساءت سنة . وإن أساءت مرة جعلتها سنة ، فدوائر إقبالها على التقارب دائرة ، وتجارة بنيها خاسرة بائرة ، وآفاتها على التوالي لصدور طلابها راشقة ، ومجاري أحوالها بذل طالبيها ناطقة ،

بسم الله الرحمن الرحيم

(**الحمد لله الذي عرف أولياءه غوائل الدنيا**) أي دواهيها قاله الكسائي وقيل الغائلة الفساد والشر ، (**وآفاتها وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها**) . أصل العورة السوأة سميت بها لقبح انكشافها والنظر إليها وكل شيء يستره الانسان أنفة وحياء فهو عورة ، (**حتى نظروا في شواهدها وآياتها**) الدالة عليها ، (**ووزنوا بحسناتها سيئاتها فعلموا أنه يزيد منكرها على معروفها**) المنكر ما أنكره العقل والشرع والمعروف ضده ، (**ولا يفي**) من الوفاء (**مرجوّها بخوفها**) أي مخوفها يزيد على مرجوّها (**ولا يسلم طلوعها من كسوفها**) أي من تغيرها وزوالها ، (**ولكنها في صورة امرأة مليحة**) الصورة (**تستميل الناس**) أي تصرفهم إليها (**بجمالها**) أي زينتها . أشار بذلك إلى ما ذكر صاحب القوت أنه قد كوشف بها بعض الأولياء في صورة امرأة ، ورأى أكف الخلق ممدودة إليها وهي تجعل في أيديهم شيئاً قال : وطائفة تمر عليها مكتوفي الأيدي لا ينظرون إليها فلا تعطيهم شيئاً ، (**ولها أسرار سوء قبائح تهلك الراغبين في وصالها**) أي مواصلتها ، (**ثم هي فرارة**) أي كثيرة الفرار والشرود (**عن طلابها**) جمع طالب (**شحيحة بإقبالها**) أي بخيلة به إن هي أقبلت على أحد منهم لم تعطه من اقبالها شيئاً ، (**وإذا أقبلت لم يؤمن شرها**) أي ضررها ونكايتها (**ووبالها**) أي وخمها وسوء عاقبتها (**إن أحسنت**) إلى أحد (**ساعة**) من الدهر (**أساءت سنة**) وهي عند العرب أربعة أزمنة ، (**وإن أساءت مرة**) واحدة (**جعلتها**) أي الاساءة (**سنّة**) متبعة لا تنثني عنها ، (**فدوائر اقبالها على التقارب دائرة**) أي تدور دوائرها بالهلاك متقاربة ، (**وتجارة بنيها**) أي أولادها (**خاسرة**) غير رابحة (**بائرة**) من البوار وهو الهلاك ، (**وآفاتها على التوالي**) أي على تعاقب الزمن (**بصدور طلابها راشقة**) كما ترشق السهام بالأغراض ، (**ومجاري أحوالها بذل طالبيها**

فكل مغرور بها إلى الذل مصيره. وكل متكبر بها إلى التحسر مسيرة. شأنها الهرب من طالبها والطلب لها ربها، ومن خدمها فاتته، ومن أعرض عنها واتته، لا يخلو صفوها عن شوائب الكدورات ولا ينفك سرورها عن المنغصات، سلامتها تعقب السقم، وشبابها يسوق إلى الهرم، ونعيمها لا يثمر إلا الحسرة والندم فهي خداعة مكارة، طيارة فرارة، لا تزال تتزين لطلابها حتى إذا صاروا من أحبابها، كشرت لهم عن أنيابها، وشوّشت عليهم مناظم أسبابها، وكشفت لهم عن مكنون عجابها، فأذاقتهم قواتل سمامها، ورشقتهم بصوائب سهامها، بينا أصحابها منها في سرور وإنعام إذ ولت عنهم كأنها أضغاث أحلام، ثم عكرت عليهم بدواهيها فطحنتهم طحن الحصيد ووارتهم في أكفانهم تحت الصعيد، إن ملكت واحداً منهم جميع ما طلعت عليه الشمس جعلته حصيداً كأن لم يغن بالأمس. تمني أصحابها سروراً وتعدهم غروراً حتى يأملون كثيراً ويبنون قصوراً.

ناطقة) أي مصرحة بلسان حالها. **(فكل متعزز بها إلى الذل مصيره)** أي مرجعه وعاقبته، **(وكل متكثر بها إلى التحسر)** أي التلهف **(مسيره شأنها الهرب من طالبها)** أي تفر ممن يطلبها **(والطلب لهاربها)** أي تطلب من هرب عنها وولاها بظهره **(من خدمها)** وفي نسخة من قصدها **(فاتته، ومن أعرض عنها واتته)** أي وافقته **(لا يخلو صفوها عن شوائب الكدورات)** والشوائب هي الأدناس والأقذار. واحدها شائبة قاله الجوهري. **(ولا ينفك سرورها عن المنغصات)** أي المكدرات **(سلامتها تعقب السقم)** أي المرض **(وشبابها يسوق إلى الهرم)** أي الضعف والكبر، **(ونعيمها لا يثمر إلا الحسرة والندم فهي خداعة)** كثيرة الخداع، **(مكّارة)** كثير المكر، **(طيَّارة)** كثير الطيران، **(فرَّارة)** كثيرة الفرار **فهي كما قال** بعضهم: وأجاد إن جلت أوجلت أو حلت أوحلت أو كست أوكست **(لا تزال تتزين لطلابها)** بأنواع الزين، **(حتى إذا ركنوا)** إليها و **(صاروا من أحبابها كشرت لهم عن أنيابها)** أي أفصحت لهم بالعداوة والشر، كما أن الكلب إذا هرَّ على أحد كشر عن أنيابه أي أظهر **(وشوّشت)** أي غيرت وخلطت **(عليهم مناظم أسبابها)** أي الأسباب المنطومة في سلك الاعتدال، **(وكشفت لهم عن مكنون عجائبها فأذاقتهم قواتل سمامها)** جمع سم **(ورشقتهم بصوائب سهامها)** أي رمتهم بسهامها الصائبة التي لا تكاد تخطىء **(بينا أصحابها منها في سرور وانعام إذ ولت عنهم)** أي أدبرت **(كأنها أضغاث أحلام)** كناية عن الشيء كأنه لم يكن، **(ثم كرت)** أي رجعت **(عليهم بدواهيها)** أي شدائدها **(فطحنتهم طحن الحصيد)** أي الزرع المحصود **(ووارتهم)** أي سترتهم **(في أكفانهم تحت الصعيد)** أي وجه الأرض **(إن ملكت واحداً جميع ما طلعت عليه الشمس جعلته حصداً)** أي محصوداً ومكسراً **(كان لم يغن بالأمس تمنّي أصحابها سروراً وتعدهم غروراً)** أي تغرهم في وعدها **(حتى يؤملون كثيراً ويبنون قصوراً)** أي أبنية مرتفعة **(فتصبح قصورهم قبوراً)** أي تؤول إليها **(وجمعهم بوراً)**

فتصبح قصورهم قبوراً وجمعهم بوراً . وسعيهم هباء منثوراً ودعاؤهم ثبوراً ، هذه صفتها وكان أمر الله قدراً مقدوراً . والصلاة على محمد عبده ورسوله المرسل إلى العالمين بشيراً ونذيراً وسراجاً منيراً . وعلى من كان من أهله وأصحابه له في الدين ظهيراً وعلى الظالمين نصيراً وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ؛ فإن الدنيا عدوّة لله وعدوّة لأولياء الله وعدوّة لأعداء الله ، أما عداوتها لله فإنها قطعت الطريق على عباد الله . ولذلك لم ينظر الله إليها منذ خلقها . وأما عداوتها لأولياء الله عز وجل : فإنها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها . وأما عداوتها لأعداء الله : فإنها استدرجتهم بمكرها وكيدها فاقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها . وعوّلوا عليها فخذلتهم أحوج ما كانوا إليها . فاجتنوا منها حسرة تتقطع دونها الأكباد . ثم حرمتهم السعادة أبد الآباد . فهم على فراقها يتحسرون ومن مكايدها يستغيثون ولا يغاثون . بل يقال لهم : ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا

أي هلاكاً (**وسعيهم هباء**) ما يرى في ضوء الشمس (**منثوراً**) أي مبدداً . (**وكان أمر الله قدراً مقدوراً**) وهذا السياق منتزع من خطبة لعلي رضي الله عنه ذكرها صاحب نهج البلاغة ، وسيأتي ذكر بعضها (**والصلاة على**) سيدنا (**محمد عبده ورسوله المرسل إلى العالمين**) أي كافة الخلق أجمعين (**بشيراً**) لأهل الإيمان بالجنان (**ونذيراً**) أي منذر الأهل الكفر بالنيران (**وعلى من كان من آله وأصحابه له في الدين ظهيراً**) أي معيناً في إقامته (**وعلى الظالمين**) الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والنفاق (**نصيراً**) أي ناصراً (**وسلم**) تسليماً (**كثيراً**) .

(**أما بعد : فإن الدنيا عدوة لله وعدوة لأولياء الله وعدوة لأعداء الله . أما عداوتها لله فإنها قطعت الطريق على عباد الله**) السالكين إليه ، (**ولذلك**) أي لأجل عداوتها لله (**لم ينظر الله إليها**) نظر عناية (**منذ خلقها**) كما ورد ذلك في الخبر ، وسيأتي بيانه . (**وأما عداوتها لأولياء الله فإنها تزينت لهم بزينتها وعمتهم**) أي شملتهم (**بزهرتها ونضارتها**) وهي متاعها وزينتها (**حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها**) وقطعوا النظر عن زينتها . (**وأما عداوتها لأعداء الله فإنها استدرجتهم**) أي أخذتهم درجة درجة (**بمكرها ومكيدتها واقتنصتهم**) أي صادتهم (**بشبكتها**) وهي محركة آلة الصيد ، (**حتى وثقوا بها**) أي اطمأنوا بها ، (**وعوّلوا**) أي اعتمدوا (**عليها فخذلتهم أحوج ما كانوا إليها فاجتنوا منها حسرة تنقطع دونها الأكباد ثم حرمتهم السعادة أبد الآباد**) أي إلى آخر الدهر . (**فهم على فراقها يتحسرون**) أي يتلهفون ، (**ومن مكائدها يستغيثون ولا يغاثون**) أي ولا ينصرون ، (**بل يقال لهم : ﴿اخسأوا**) أي ذلوا (**فيها ولا تكلمون أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف**

تُكَلِّمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] ﴿أولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بالآخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العَذَابُ ولاَ هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [البقرة: ٨٦].

وإذا عظمت غوائل الدنيا وشرورها فلا بد أولاً من معرفة حقيقة الدنيا وما هي؟ وما الحكمة في خلقها مع عداوتها؟ وما مدخل غرورها وشرورها؟ فإن من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك أن يقع فيه. ونحن نذكر ذم الدنيا وأمثلتها، وحقيقتها وتفصيل معانيها، وأصناف الأشغال المتعلقة بها، ووجه الحاجة إلى أصولها، وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل بفضولها إن شاء الله تعالى، وهو المعين على ما يرتضيه.

بيان ذم الدنيا:

الآيات الواردة في ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة. وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم إلى الآخرة. بل هو مقصود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يبعثوا إلا لذلك، فلا حاجة إلى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها، وإنما نورد بعض الأخبار الواردة فيها فقد روي أن رسول الله ﷺ مر على شاة ميتة فقال: «أترون هذه الشاة هينة على أهلها»؟ قالوا: من هوانها ألقوها. قال: «والذي نفسي

عنهم العذاب ولا هم ينصرون﴾) وهذا مقتبس من كلام عمر بن عبد العزيز فيما أخرجه صاحب الحلية أنه كتب إلى عامله عدي بن ارطأة أما بعد: فإن الدنيا عدوة أولياء الله وعدوة أعدائه، فأما أولياء الله فغمتهم وأما أعداء الله فغوتهم. (**وإذا عظمت غوائل الدنيا وشرورها فلا بد أولاً من معرفة حقيقة الدنيا وما هي وما الحكمة في خلقها مع عداوتها وما مدخل غرورها وشرورها فإن من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك أن يقع فيه**) وهو لا يشعر. (**ونحن نذكر ذم الدنيا وأمثلتها وحقيقتها وتفصيل معانيها وأصناف الأشغال المتعلقة بها ووجه الحاجة إلى أصولها، وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل بفضولها إن شاء الله تعالى وهو المعين على ما يرتضيه**).

بيان ذم الدنيا:

(**الآيات الواردة في ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة، وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم إلى الآخرة، بل هو مقصود الأنبياء عليهم السلام ولم يبعثوا إلا لذلك فلا حاجة إلى الإستشهاد بآيات القرآن لظهورها، وإنما نورد بعض الأخبار الواردة فيها، فقد روي أن رسول الله ﷺ مر على شاة ميتة**) شائلة برجلها وفي لفظ: بجدي أجرب ميت (**فقال: «أترون هذه الشاة هينة على أهلها» قالوا: من هوانها ألقوها. قال:**

بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء » . وقال ﷺ : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » .

« والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شَرْبة ماء ») قال العراقي رواه ابن ماجه والحاكم وصحح إسناده من حديث سهل بن سعد ، وأخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح، ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث المسور بن مخرمة دون هذه القطعة الأخيرة ولمسلم نحوه من حديث جابر اهـ .

قلت: رواه ابن ماجه والحاكم في المستدرك من طريق أبي يحيى زكريا بن منظور ، حدثنا أبو حازم عن سهل بن سعد به ولفظه: كنا مع رسول الله ﷺ بذي الحليفة فإذا هو بشاة ميتة شائلة برجلها فقال: « أترون هذه هينة على صاحبها فوالذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه على صاحبها ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها قطرة أبداً » وقال الحاكم: صحيح الإسناد وهو متعقب ، فابن منظور ضعيف. وأما الجملة الأخيرة من الحديث فقط بلفظ المصنف ، فقد أخرجها الترمذي من طريق عبد الحميد بن سليمان عن أبي حازم عن سعد بن سعد رفعه به ، وقال: صحيح غريب من هذا الوجه وهو من هذا الوجه عند الطبراني وأبي نعيم ، ومن طريقهما أورده الضياء في المختارة ، وكذلك رواه البيهقي في الشعب ، وأخرجه كذلك القضاعي في مسند الشهاب من طريق أبي جعفر محمد بن أحمد بن أبي عوف :يحدثنا أبو مصعب ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر رفعه: « لو كانتْ الدنيا » الخ. وكذلك رواه الخطيب عن رواة مالك . وفي الباب عن أبي هريرة أشار إليه الترمذي .

(وقال ﷺ : « الدنيا سجن المؤمن) بالنسبة لما أعدّ له في الآخرة من النعيم المقيم **(وجنة الكافر »)** بالنسبة لما أمامه من عذاب الجحيم ، وقال بعضهم معنى قوله : الدنيا سجن المؤمن . أي لأنه ممنوع من شهواتها المحرمة ، فكأنه في سجن والكافر عكسه فكأنه في جنة . وقال بعض العارفين: الدنيا سجن المؤمن إن شعر به وضيق ميه على نفسه طلبت السراح منه إلى الآخرة فيسعد ، ومن لم يشعر بأنها سجن فوسع فيها على نفسه طلبت البقاء فيها وليست باقية فيشقى. قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة اهـ .

قلت: رواه من طريق الدراوردي عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً ، وكذلك رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وكذا هو في حديث مالك عن العلاء .

وفي الباب عن ابن عمر وسلمان وابن عمر .

وأما حديث ابن عمر فأخرجه البزار والعسكري والقضاعي من طريق موسى بن عقبة بن عبدالله بن دينار عنه ، ولفظه كسياق حديث أبي هريرة. وأخرجه الطبراني وأبو نعيم واللفظ له من حديث ابن عمر مرفوعاً : « يا أبا ذر ان الدنيا سجن المؤمن والقبر أمنه والجنة مصيره ،يا أبا ذر إنّ الدنيا جنة الكافر والقبر عذابه والنار مصيره المؤمن من لم يخرج من ذل دنياه » الحديث.

وقال رسول الله ﷺ : « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله منها » ، وقال أبو موسى الأشعري : قال رسول الله ﷺ : « من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر

وأما حديث سلمان ، فرواه الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك ولفظه لفظ حديث أبي هريرة ، وأخرجه العسكري في الأمثال من طريق عامر بن عطية قال: رأيت سلمان أكره على طعام فقال: حسبي إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن أطول الناس جوعاً يوم القيامة أكثرهم شبعاً في الدنيا يا سلمان إنما الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ».

وأما حديث ابن عمرو ، فأخرجه أحمد والطبراني وأبو نعيم والحاكم من طريق أبي عبد الرحمن الجبلي عنه بلفظ: « الدنيا سجن المؤمن وسنته فإذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة » ورواه البغوي في شرح السنة ، ورجال أحمد رجال الصحيح غير عبدالله بن جنادة وهو ثقة. ورواه ابن المبارك في الزهد وزاد: « مثل المؤمن حين تخرج نفسه كمثل رجل كان في سجن فخرج منه فجعل يتقلب في الأرض ويتفسح فيها ». وقد روي عن الحسن مرسلاً أخرجه العسكري في الأمثال من طريق سعيد ابن سليمان عن ابن المبارك قال: كان الحسن يقول قال: النبي ﷺ : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فالمؤمن يتزوّد والكافر يتمتع والله إن أصبح فيها مؤمن إلا حزيناً وكيف لا يحزن من جاءه من الله إنه وارد جهنم ولم يأته أنه صادر عنها ».

(وقال ﷺ : « الدنيا ملعونة) لأنها غرت النفوس بزهرتها ونضارتها فإمالتها من العبودية إلى الهوى حتى سلكت غير طريق الهدى **(ملعون ما فيها)** ويحتمل أن يكون المراد باللعن الترك أي متروكة متروك ما فيها وقد يقال أنها متروكة الأنبياء والأصفياء كما في الخبر الآخر لهم الدنيا ولنا الآخرة **(إلا ما كان لله منها »)** قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي هريرة وزاد إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم اهـ.

قلت: سياق المصنف أخرجه أبو نعيم في الحلية ، والضياء في المختارة من حديث جابر بلفظ: « إلا ما كان منها لله عز وجل » وإسناده حسن.

وأما حديث أبي هريرة فرواه كذلك الطبراني في الأوسط من حديث ابن مسعود وقال لم يروه عن ثوبان عن عبدة إلا أبو المطرف المغيرة بن مطرف ولفظه: « وعالماً أو متعلماً » والمغيرة بن مطرف لا يعرف ، وقد رواه البزار من هذا الطريق بلفظ إلا أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر وذكر الله » ورواه الطبراني في الكبير من حديث أبي الدرداء بلفظ: « إلا ما ابتغى به وجه الله. قال المنذري: إسناده لا بأس به.

(وقال أبو موسى الأشعري) رضي الله عنه : **(« قال رسول الله ﷺ : من أحب دنياه أضر بآخرته)** لأن حب الدنيا يشغله عن تفريغ قلبه لحب ربه ولسانه لذكره فيضر آخرته ولا بد **(ومن أحب آخرته أضر بدنياه)** لأن حب الآخرة يعطل عليه أسباب الكسب والمعاش فيضر بدنياه ولا بد ، والباء في القرينتين للتعدية ، **(فآثروا)** أي اختاروا **(ما يبقى على ما يفنى »)**.

بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى» ، وقال ﷺ : «حب الدنيا رأس كل خطيئة» ، وقال زيد بن أرقم: كنا مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه فدعا بشراب فأتي بماء وعسل، فلما أدناه من فيه بكى حتى أبكى أصحابه وسكتوا وما سكت: ثم عاد وبكى حتى ظنوا أنهم لا يقدرون على مساءلته قال: ثم مسح عينيه فقالوا: يا خليفة رسول الله ما

قال العراقي: رواه أحمد والبزار والطبراني وابن حبان والحاكم وصححه على شرط الشيخين.

قلت: وهو منقطع بين المطلب بن عبدالله وبين أبي موسى اهـ.

قلت: سبقه إلى ذلك الذهبي، وقد رواه كذلك القضاعي في مسند الشهاب، والبيهقي في الشعب. وقال المنذري: رجال أحمد ثقات وعند بعضهم ألا فآثروا بزيادة ألا التنبيهية.

(وقال ﷺ : «حب الدنيا رأس كل خطيئة») لأنه يوقع في الشبهات ثم في المكروه ثم في التحريم، ولطالما أوقع في الكفر بل جميع الأمم المكذبة لأنبيائهم إنما حملهم على كفرهم حب الدنيا. هكذا رواه الديلمي في الفردوس من حديث علي ويعضد سنده ولم يخرجه ولده في المسند. وقال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه عن الحسن مرسلاً اهـ.

قلت: وقال البيهقي بعد أن أورد هذا ما لفظه ولا أصل له من حديث النبي إلا من مراسيل الحسن اهـ.

ومراسيل الحسن عندهم شبه الريح كما نقله العراقي في شرح الألفية، ولذا أورده ابن الجوزي في الموضوعات ورد عليه الحافظ ابن حجر بأن ابن المديني أثنى على مراسيل الحسن وقال: إذا رواها عنه الثقات صحاح وهذا فالإسناد إليه حسن اهـ.

وقال أبو زرعة: كل شيء يقول الحسن قال رسول الله ﷺ وجدت له أصلاً ثابتاً ما خلا أربعة أحاديث وليته ذكرها، وهذا القول عند البقاعي في الزهد، وأبي نعيم في ترجمة الثوري من الحلية من قول عيسى بن مريم عليه السلام، وعند ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان له من قول مالك بن دينار، وعند ابن يونس في ترجمة سعد بن مسعود التجيبي في تاريخ مصر له من قول سعد، هذا وجزم ابن تيمية أنه من قول جندب البجلي رضي الله عنه.

(وقال زيد بن أرقم) بن زيد يونس الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه صحابي مشهور أول مشاهده الخندق، وأنزل الله تصديقه في سورة المنافقين، مات سنة ست وستين روى له الجماعة: **(كنا مع أبي بكر رضي الله عنه فدعا بشراب فأتي بماء وعسل)** أي ماء ممزوج بعسل، **(فلما أدناه أي قرَّبه من فيه بكى حتى أبكى أصحابه وما سكت، ثم عاد وبكى حتى ظنوا أنهم لا يقدرون على مساءلته قال: ثم مسح عينيه)** كناية عن سكوته من البكاء فإن من سكت مسح عينيه، **(فقالوا:)** أي قال من حضر المجلس: **(يا خليفة رسول الله ما أبكاك؟ قال: كنت**

أبكاك؟ قال: كنت مع رسول الله ﷺ فرأيته يدفع عن نفسه شيئاً ولم أرَ معه أحداً، فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك؟ قال: «هذه الدنيا مثلت لي فقلت لها: إليك عني ثم رجعت فقالت: إنك إن أفلت مني لم يفلت مني من بعدك»، وقال ﷺ: «يا عجباً كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور».

وروي أن رسول الله ﷺ وقف على مزبلة فقال: «هلموا إلى الدنيا وأخذ خرقاً قد بليت على تلك المزبلة وعظاماً قد نخرت فقال: هذه الدنيا»، وهذه إشارة إلى أن زينة

مع رسول الله ﷺ فرأيته يدفع عن نفسه شيئاً ولم أر معه أحداً فقلت: يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك قال: «هذه الدنيا مثلت لي) أي صورت لي **(فقلت لها إليك عني)** أي إذهبي عني فذهبت **(ثم رجعت فقالت: إنك إن أفلت مني)** أي خلصت **(لم يفلت مني من بعدك»)** قال العراقي: رواه البزار بسند ضعيف بنحوه والحاكم وصحح إسناده وابن أبي الدنيا، والبيهقي من طريقه بلفظه اهـ.

قلت: قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا أبو بكر بن أبي عاصم، حدثنا الحسن بن علي والفضل بن داود قالا: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثنا عبد الواحد بن زيد، حدثنا أسلم، عن مرة الطبيب، عن زيد بن أرقم أن أبا بكر رضي الله عنه استسقى فأتى بإناء فيه ماء وعسل، فلما أدناه من فيه بكى وأبكى من حوله فسكت وما سكتوا، ثم عاد فبكى حتى ظنوا أن لا يقدروا على مساءلته، ثم مسح وجهه فأفاق فقالوا: ما هاجك على هذا البكاء؟ قال: كنت مع النبي ﷺ وجعل يدفع عنه شيئاً إليك عني إليك عني ولم أرمعه أحداً فقلت: يا رسول الله أراك تدفع عنك شيئاً ولا أرى معك أحداً قال: «هذه الدنيا تمثلت لي بما فيها فقلت لا إليك عني فتنحت وقالت: أما والله لئن انفلت مني لا ينفلت مني من بعدك فخشيت أن تكون قد لحقتني فذاك الذي أبكاني» وهكذا هو لفظ الحاكم والبيهقي، والذي ساقه المصنف هو لفظ ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا، وتبعه صاحب القوت والمصنف أخذه من سياق القوت.

(وقال ﷺ: «يا عجباً كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور») قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا من حديث أبي جعفر مرسلاً.

قلت: هو عبدالله بن المسود المدائني الهاشمي كذاب يضع الحديث وقد تقدم ذكره في الكتاب الذي قبله.

(وروي أن رسول الله ﷺ وقف على مزبلة) وهي الموضع الذي يرمي فيه الكناسة والزبالة **(فقال: «هلموا إلى الدنيا وأخذ)** منها **(خرقاً قد بليت)** من كثرة الاستعمال **(على تلك المزبلة وعظاماً قد نخرت)** أي تفتتت **(فقال: هذه الدنيا»)** رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا، والبيهقي في شعب الإيمان من طريقه من رواية أبي ميمون اللخمي مرسلاً. قال العراقي: وفيه بقية بن الوليد وقد ضعفه وهو مدلس.

الدنيا ستخلق مثل تلك الخرق وأن الأجسام التي ترى بها ستصير عظاماً بالية. وقال ﷺ : « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون إن بني إسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا في الحلية والنساء والطيب والثياب » ، وقال عيسى عليه السلام : لا تتخذوا الدنيا رباً فتتخذكم عبيداً إكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فإن صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة. وقال عليه أفضل الصلاة والسلام أيضاً : يا معشر الحواريين إني قد أكببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي فإن من خبث الدنيا أن عُصيَ الله فيها ، وإن من خبث الدنيا إن الآخرة لا تدرك إلا بتركها ، ألا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا أن أصل كل

قلت : قال الذهبي في الضعفاء : أبو ميمون عن رافع بن خديج مجهول.

(وهذا إشارة إلى أن زينتها ستخلق مثل تلك الخرق وأن الأجسام التي تتزين بها ستصير عظاماً بالية. وقال ﷺ : « إن الدنيا حلوة خضرة) أي مشتهاة مونقة تعجب من رآها **(وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون إن بني إسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا في الحلية والنساء والطيب والثياب »)** رواه ابن أبي الدنيا من حديث الحسن مرسلاً هكذا بهذه الزيادة في آخر قال العراقي : رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد دون قوله : « إن بني إسرائيل » إلى آخره والشطر الأول متفق عليه اهـ.

قلت : ورواه كذلك مسلم والنسائي وآخرون من طريق سعيد بن يزيد أبي سلمة ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد . وممن رواه عن أبي نضرة خليد بن جعفر ، وسليمان بن طرخان التيمي ، وعلي ابن زيد بن جدعان ، وحديثه عند ابن ماجه والترمذي وقال : حسن ، والمستمر بن ريان وهو عند العسكري من حديث عبيدالله بن عمر عن نافع عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ : « الدنيا خضرة حلوة من أخذها بحقها بورك له فيها ورب متخوّض في مال الله ورسوله له النار يوم القيامة » وقدعزا الديلمي حديث الدنيا خضرة حلوة وأن رجالاً يتخوّضون إلى البخاري عن خولة ، والذي فيه من حديثها الجملة الثانية خاصة. نعم فيه حديث حكيم بن حزام : « إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإسراف نفس لم يبارك له فيه » الحديث. وفي الباب عن ميمون عند أبي يعلى ، والطبراني ، والرامهرمزي في الأمثال ، وعن عبدالله بن عمر ، وعند الطبراني فقط رفعاه « الدنيا حلوة خضرة ».

(وقال عيسى عليه السلام : لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم عبيداً اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فإن صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا. **(وقال عليه أفضل الصلاة والسلام أيضاً : يا معشر الحواريين إني قد أكببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي فإن من خبث الدنيا أن الله عُصي فيها وإن من خبث الدنيا أن الآخرة لا تدرك إلا بتركها ألا فاعبروا**

خطيئة حب الدنيا، ورب شهوة ساعة ورثت أهلها حزناً طويلاً. وقال أيضاً: بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا ينازعنكم فيها الملوك والنساء، فأما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فإنهم لن يعرضوا إليكم ما تركتموهم ودنياهم، وأما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة. وقال أيضاً: الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه، وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموت فيأخذ بعنقه. وقال موسى بن يسار: قال النبي ﷺ: «إن الله عز وجل لم يخلق خلقاً أبغض إليه من الدنيا وأنه منذ خلقها لم ينظر إليها»، وروي أن سليمان بن داود عليهما السلام مر في موكبه

الدنيا ولا تعمروها واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة ساعة ورثت أهلها حزناً طويلاً) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا، وفي الحلية لأبي نعيم في ترجمة الثوري. قال عيسى عليه السلام: حب الدنيا رأس كل خطيئة، وقد تقدم وفي الفردوس للديلمي بلا سند من حديث ابن عمر: «الدنيا منظرة الآخرة فاعبروها ولا تعمروها».

(وقال) عليه السلام أيضاً: **(بطحت لكم الدنيا)** أي مهدت وفرشت **(وجلستم على ظهرها فلا ينازعنكم فيها الملوك والنساء، فأما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فإنهم لن يتعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم، وأما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة)** أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا. **(وقال)** عليه السلام أيضاً: **(الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل رزقه)** الذي كتب له فيها، **(وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموت فيأخذ بعنقه)** أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا.

وقد رواه صاحب الحلية من حديث ابن مسعود مرفوعاً قال: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا جبرون بن عيسى المصري، حدثنا يحيى بن سليمان، حدثنا فضيل بن عياض، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «من أسر في قلبه حب الدنيا التاط فيها بثلاث: شقاء لا ينفد، وحرص لا يبلغ مناه، وأمل لا يبلغ منتهاه. فالدنيا طالبة ومطلوبة فمنْ طلب الدنيا طلبته الآخرة حتى يأتيه الموت فيأخذ بعنقه ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه» قال أبو نعيم غريب من حديث فضيل والأعمش وحبيب لم نكتبه إلا من حديث جبرون عن يحيى.

(وقال موسى بن يسار) القرشي المطلبي المدني مولى قيس بن مخرمة وهو عم محمد بن إسحاق بن يسار. قال ابن معين: ثقة، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات. استشهد به البخاري وروى له الباقون سوى الترمذي: **(قال النبي ﷺ: «إن الله جل ثناؤه لم يخلق خلقاً أبغض إليه من الدنيا وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها)** نظر رضا وإلا فهو ينظر إليها نظر تدبير ولولا ذلك لاضمحلت». رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا عن موسى أنه بلغه أن النبي ﷺ **قال فذكره. قال** العراقي: ورواه البيهقي في الشعب من طريقه وهو مرسل.

والطير تظله والجن والإنس عن يمينه وشماله قال: فمر بعابد من بني إسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكاً عظيماً، قال: فسمع سليمان وقال: لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما أعطي إبن داود، فإن ما أعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى. وقال ﷺ: «الهاكم التكاثر يقول إبن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت؟» وقال ﷺ: «الدنيا دار من لا دار له ومال من لا

قلت: ورواه الحاكم في التاريخ مرفوعاً من حديث أبي هريرة بلفظ: «إن الله لم يخلق خلقاً أبغض إليه من الدنيا وما نظر إليها منذ خلقها بغضاً لها» وفي إسناده داود بن المحبر. قال أحمد والنسائي: متروك. وروي ابن عساكر في التاريخ من مرسل علي بن الحسين بن علي: «إن الله تعالى لما خلق الدنيا أعرض عنها فلم ينظر إليها من هوانها عليه». ومن حديث أبي هريرة مرفوعاً: «إن الله لما خلق الدنيا نظر إليها ثم أعرض عنها، ثم قال: وعزتي وجلالي لا أنزلنك إلا في شرار خلقي».

(وروي أن سليمان بن داود عليهما السلام مرَّ في موكبه) أي في زينته وحشمته مع عسكره **(والطير تظله)** عن حر الشمس **(والجن والإنس عن يمينه وشماله قال: فمرَّ بعابد من عباد بني إسرائيل فقال: والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكاً عظيماً. قال: فسمع سليمان)** عليه السلام ذلك **(فقال: لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما أعطي ابن داود)** يعني نفسه، **(فإن ما أعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى)** أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا.

وقال صاحب الحلية: حدثنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبدالله بن أحمد، حدثنا أحمد بن محمد بن أيوب، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن إدريس بن وهب، حدثني أبي قال: كان لسليمان عليه السلام ألف بيت من قوارير وأسفله حديد فركب الريح يوماً فمرَّ بحراث فنظر إليه الحراث فقال لقد أوتى آل داود ملكاً عظيماً فحملته الريح لسليمان قال: فنزل حتى[1] فقال: إني سمعت قولك لتسبيحة واحدة لله تعالى منك خير مما أعطيه ابن داود، فقال الحراث: ذهب همك كما أذهب همي.

(وقال ﷺ: «الهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت») قال العراقي: رواه مسلم من حديث عبدالله بن الشخير انتهى.

قلت: وكذلك رواه الطيالسي، وسعيد بن منصور، وأحمد، وعبد بن حميد، والترمذي، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، والطبراني، والحاكم، وابن حبان، وابن مردويه، وأبو نعيم في الحلية كلهم من طريق مطرف بن عبدالله بن الشخير عن أبيه ولفظهم: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقرأ ﴿الهاكم التكاثر﴾ وفي لفظ: وقد أنزلت عليه الهاكم التكاثر وهو يقول: «ابن آدم» الخ.

---

(١) هنا بياض بالأصل.

مال له، ولها يجمع من لا عقل له، وعليها يعادي من لا علم له، وعليها يحسد من لا فقه له، ولها يسعى من لا يقين له» وقال ﷺ: «من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء» «وألزم الله قلبه أربع خصال: هماً لا ينقطع عنه أبداً، وشغلاً لا يتفرغ منه

وأخرج أحمد وعبد بن حميد ومسلم وابن مردويه من حديث أبي هريرة: «يقول العبد مالي مالي وإنما له من ماله ثلاثة: ما أكل فافني وما لبس فأبلى أو تصدق فابقى وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس».

وأخرج عبد بن حميد عن الحسن مرسلاً مرفوعاً: «يقول ابن آدم مالي مالي وما له من ماله إلا ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو أعطى فامضى».

(وقال ﷺ: «الدنيا دار من لا دار له) قال الطيبي: لما كان القصد الأول من الدار الإقامة مع عيش هني أبدي والدنيا بخلافه لم تستحق أن تسمى داراً، فمن داره الدنيا فلا دار له ﴿إن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾ [العنكبوت: ٦٤] قال عيسى عليه السلام: من ذا الذي يبني على البحر داراً ذلكم الدنيا فلا تتخذوها قراراً. **(ومال من لا مال له)** لأن القصد من المال الإنفاق في وفرة القرب، فمن أتلفه في شهواته واستيفاء لذاته فحقيق فأن يقال لا مال له ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ [الحديد: ٢٠] ولذلك قدم الظرف على عامله في قوله: **(ولها يجمع من لا عقل له)** لغفلته عما يهمه في الآخرة ويراد منه في الدنيا، والعاقل إنما يجمع للدار الآخرة ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾ [البقرة: ١٩٧] **(وعليها يعادي من لا علم عنده، وعليها يحسد من لا فقه له، ولها يسعى من لا يقين له»)** قال العراقي: رواه أحمد من حديث عائشة مقتصراً على قوله: «دار من لا دار له ولها يجمع من لا عقل له» دون بقيته، وزاد ابن أبي الدنيا، والبيهقي في الشعب من طريقه: «ومال من لا مال له» انتهى.

قلت: رواه أحمد من طريق ذويد عن أبي إسحاق عن عروة عن عائشة ورجاله رجال الصحيح غير ذويد وهو ثقة، ورواه البيهقي أيضاً من حديث ابن مسعود موقوفاً. قال المنذري: وإسناده جيد.

(وقال ﷺ: «من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء») أي لاحظ له في قربه ومحبته ورضاه. رواه ابن أبي الدنيا من حديث أنس، ورواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي ذر، والحاكم من حديث حذيفة. قال العراقي: وكلها ضعيفة. ورواه هنا أيضاً عن حذيفة، وعند الحاكم من حديث ابن مسعود بسند فيه تألف بلفظ: «من أصبح وهمه غير الله فليس من الله، ومن أصبح لا يهتم بالمسلمين فليس منهم» ورواه البيهقي وابن النجار من حديث أنس بلفظ: «وأكبر همه».

(وقال ﷺ: «من أصبح والدنيا أكبر همه ألزم الله قلبه أربع خصال) لا ينفك من واحدة حتى يأتيه الموت: **(هماً لا ينقطع منه أبداً، وشغلاً لا يتفرغ منه أبداً، وفقراً لا يبلغ**

أبداً، وفقراً لا يبلغ غناه أبداً، وأملاً لا يبلغ منتهاه أبداً»، وقال أبو هريرة: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جميعها بما فيها» فقلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بيدي وأتي بي وادياً من أودية المدينة فإذا مزبلة فيها رؤوس أناس وعذرات وخرق وعظام، ثم قال: «يا أبا هريرة هذه الرؤوس كانت تحرص كحرصكم وتأمل كأملكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي صائرة رماداً، وهذه العذرات هي ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها من بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها، وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفقها، وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد، فمن كان باكياً على الدنيا فليبكِ» قال: فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا.

يروى أن الله عز وجل لما أهبط آدم إلى الأرض قال له: ابن للخراب ولد للفناء.

غناه أبداً، وإملالاً يبلغ منتهاه أبداً») رواه الديلمي في الفردوس من حديث ابن عمر. قال العراقي: وإسناده ضعيف، والمصنف خلط الحديثين فجعلها حديثاً واحداً.

(**وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جميعاً بما فيها؟ قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بيدي وأتى بي وادياً من أودية المدينة، فإذا مزبلة فيها رؤوس ناس وعذرات**) جمع عذرة على وزن كلمة الخرء ولا يعرف تخفيفها (**وخرق وعظام، ثم قال: «يا أبا هريرة هذه الرؤوس كانت تحرص كحرصكم وتأمل آمالكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد، ثم هي صائرة رماداً، وهذه العذارت ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها من بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها**) أي يتباعدون عنها، (**وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفقها، وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد**) أي يسيرون ويقطعون، (**فمن كان باكياً على الدنيا فليبك» قال: فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا**) قال العراقي: لم أجد له أصلاً.

قلت: لكن أورد صاحب القوت عن الحسن مرسلاً بنحوه، وسيأتي في أمثلة الدنيا.

(**وروي أن الله عز وجل لما أهبط آدم عليه السلام إلى الأرض قال**) له: (**ابن للخراب ولد للفناء**) روى البيهقي في الشعب من رواية مؤمل بن إسماعيل، عن حماد بن سلمة، عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة، عن عبد الرحمن بن أبي عمرة، عن أبي هريرة مرفوعاً: «إن ملكاً بباب من أبواب السماء ينادي: يا بني آدم لدوا للموت وابنوا للخراب». وروي أيضاً من طريق موسى بن عبيدة، عن محمد بن ثابت، عن أبي حكيم مولى الزبير عن الزبير رفعه: «ما من صباح يصبح على العباد إلا وصارخ يصرخ لدوا للموت واجمعوا للفناء وابنوا للخراب» وموسى

وقال داود بن هلال: مكتوب في صحف إبراهيم عليه السلام: يا دنيا ما أهونك على الأبرار الذين تصنعت وتزينت لهم، إني قذفت في قلوبهم بغضك والصدود عنك وما خلقت خلقاً أهون علي منك، كل شأنك صغير وإلى الفناء يصير قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومي لأحد ولا يدوم لك أحد، وإن بخل بك صاحبك وشح عليك، طوبى للأبرار الذين أطلعوني من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة، طوبى لهم ما لهم عندي من الجزاء إذا وفدوا إلي من قبورهم إلا النور يسعى أمامهم والملائكة حافون بهم حتى أبلغهم ما يرجون من رحمتي. وقال رسول الله ﷺ: «الدنيا موقوفة بين السماء والأرض، منذ خلقها الله تعالى لم ينظر إليها، وتقول يوم

وشيخه ضعيفان، وأبو حكيم مجهول، ولأبي نعيم في الحلية من حديث ابن وهب، عن يحيى بن أيوب، عن عبيد الله بن زحر أن أبا ذر قال: تلدون للموت وتبنون للخراب وتؤثرون ما يفنى وتتركون ما يبقى وهو موقوف منقطع. وقد رواه أحمد في الزهد له من رواية ابن المبارك عن أبي أيوب، فأدخل بين عبيد الله وأبي ذر رجلاً. وأخرج الثعلبي في التفسير وفي القصص بإسناد واهٍ جداً عن كعب الأحبار. قال: صاح ورشان عند سليمان بن داود عليهما السلام فقال: أتدرون ما يقول هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «يقول لدوا للموت وابنوا للخراب» وأخرج أحمد في الزهد من طريق عبد الواحد بن زياد قال: قال عيسى ابن مريم عليه السلام: يا بني آدم لدوا للموت وابنوا للخراب تفنى نفوسكم وتبلى دياركم، وقد قيل في معنى ذلك:

له ملك ينادي كل يوم — لدوا للموت وابنوا للخراب

وللحافظ ابن حجر في المعنى.

بني الدنيا أقلوا الهم فيها — فما فيها يؤول إلى الفواتِ
بناء للخراب وجمع مال — ليفنى والتوالد للمماتِ

(وقال داود بن هلال) لم أجد له ترجمة (مكتوب في صحف إبراهيم عليه السلام: يا دنيا ما أهونك على الأبرار الذين تصنعت وتزينت لهم إني قذفت في قلوبهم بغضك والصد عنك، وما خلقت خلقاً أهون عليَّ منك كل شأنك صغير وإلى الفناء تصيرين قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومي لأحد ولا يدوم أحد لك، وإن بخل بك صاحبك وشح عليك. طوبى للأبرار الذين أطلعوني من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة. طوبى لهم مالهم عندي من الجزاء إذا وفدوا إليَّ من قبورهم إلا النور يسعى أمامهم والملائكة حافون بهم حتى أبلغهم ما يرجون من رحمتي) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا.

(وقال ﷺ: «الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله تعالى لا ينظر إليها

القيامة يا رب إجعلني لأدنى أوليائك اليوم نصيباً فيقول اسكتي يا لا شيء إني لم أرضك لهم في الدنيا أرضاك لهم اليوم ».

وروي في أخبار آدم عليه السلام أنه لما أكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل، ولم يكن ذلك مجعولاً في شيء من أطعمة الجنة إلا في هذه الشجرة فلذلك نهي عن أكلها قال فجعل يدور في الجنة، فأمر الله تعالى ملكاً يخاطبه فقال له: قل له أي شيء تريد؟ قال آدم: أريد أن أضع ما في بطني من الأذى، فقيل للملك: قل له في أي مكان تريد أن تضعه أعلى الفرش أم على السرر أم على الأنهار أم تحت ظلال الأشجار هل

وتقول يوم القيامة يا رب اجعلني لأدنى أوليائك نصيباً اليوم . فيقول: اسكتي يا لا شيء إني لم أرضك لهم في الدنيا أرضاك لهم اليوم ») ولفظ القوت: وجاء في الخبر إن الدنيا موقوفة بين السماء والأرض لا ينظر الله إليها منذ خلقها إلى ان يفنيها تقول: يا رب لم تبغضني لم تمقتني؟ فيقول تعالى: اسكتي يا لا شيء. وفي لفظ آخر: أنت وأهلك إلى النار. وفي الحديث الآخر زيادة أنها تبعث يوم القيامة فيقول تعالى: ميزوا ما كان منها ليّ وألقوا سائرها في النار، فتقول: يا رب اجعلني اليوم لأدنى عبادك في الجنة منزلة. فيقول: اسكتي يالاشيء أنا لم أرضك لهم في الدنيا أرضاك لهم اليوم عندي في دار كرامتي انتهى.

وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن علي بن الحسين قال: قال علي بن أبي طالب: إذا كان يوم القيامة أتت الدنيا بأحسن زينتها، ثم: قالت: يا رب هبني لبعض أوليائك. فيقول الله لها: يا لا شيء اذهبي فأنت لا شيء أنت أهون من أن أهبك لبعض أوليائي، فتطوى كما يطوى الثوب الخلق فتلقى في النار. وسيأتي للمصنف بعض هذا في هذا الباب وفيه التصريح بأنه من قول أبي هريرة. وقال العراقي: تقدم بعضه من رواية موسى بن يسار ولم أجد باقيه انتهى.

قلت: ووجد بخط الحافظ ابن حجر ما نصه: لابن ماجه نحوه عن ثوبان.

(**وروي في أخبار آدم عليه السلام أنه لما أكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل**) بالضم الثخين الذي يبقى أسفل الصافي (**ولم يكن ذلك مجعولاً في شيء من أطعمة الجنة إلا في هذه الشجرة، فلذلك نهينا عن أكلها. قال: فجعل يدور في الجنة فأمر الله ملكاً يخاطبه فقال: قل له أي شيء تريد؟ قال**) له (**آدم: أريد أن أضع ما في بطني من الأذى. فقيل للملك: قل له في أي مكان تضعه على الفرش أم على السرر أم على الأنهار أم تحت ظلال الأشجار؟ هل ترى ههنا موضعاً يصلح لذلك ولكن اهبط إلى الدنيا**) قال: فتلطف الله تعالى بهذا المعنى فأهبط إلى الأرض، فمكان أول ما صنع في الأرض أن أحدث، فصارت الدنيا كنيف العقلاء وسجن النبلاء هكذا أورده صاحب القوت.

ترى ههنا مكاناً يصلح لذلك؟ اهبط إلى الدنيا. وقال ﷺ: «ليجيئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم إلى النار» قالوا: يا رسول الله مصلين؟ قال: «نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنية من الليل فإذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه».
وقال ﷺ في بعض خطبه: «المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه؟ فليتزوّد العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه، فإن الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم

(وقال ﷺ: «ليجيئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة) أي عظيمة **(فيؤمر بهم إلى النار» قالوا: يا رسول الله مصلين؟ قال «نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنية من الليل)** أي كانوا يهجعون من الليل قليلاً **(فإذا عرض لهم من الدنيا شيء وثبوا عليه»)** قال العراقي: رواه أبو نعيم في الحلية من حديث سالم مولى أبي حذيفة، وأبو منصور الديلمي من حديث أنس وهو ضعيف أيضاً انتهى.

قلت: قال: أبو نعيم في الحلية: حدثنا محمد بن أحمد بن علي، حدثنا أحمد بن الهيثم، حدثنا مسلم ابن إبراهيم،حدثنا بشر بن مطر بن حكيم بن دينار النطعي قال: سمعت عمرو بن دينار وكيل آل الزبير يحدث مالك بن دينار قال: حدثني شيخ من الأنصار يحدث عن سالم مولى أبي حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «ليجاءن بأقوام يوم القيامة معهم من الحسنات مثل جبال تهامة حتى إذا جيء بهم جعل الله أعمالهم هباء ثم قذفهم في النار» فقال سالم: يا رسول الله بأبي أنت وأمي حل لنا هؤلاء الأقوام حتى نعرفهم فو الذي بعثك بالحق إني أتخوّف أن أكون منهم. قال يا سالم: أما انهم كانوا يصومون ويصلون ولكنهم كانوا إذا عرض لهم شيء من الحرام وثبوا عليه فأدحض الله أعمالهم، فقال مالك بن دينار: هذا والله النفاق، فأخذ المعلى بن زياد بلحيته فقال: صدقت والله أبا يحيى انتهى.

وكذلك رواه سمويه في فوائده والخطيب في المتفق والمفترق، وأورده صاحب القوت فقال: حدثنا عبد الواحد بن زيد، عن الحسن، عن أنس فذكره مثل سياق المصنف ثم قال: ورويناه من طريق آخر فذكره بنحو سياق صاحب الحلية، وهو في الحلية أيضاً في ترجمة الفضيل بن عياض عنه، عن عمران بن حسان عن الحسن قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه ذات يوم فقال «هل منكم من أحد» الحديث إلى قوله: «خمسين صديقاً» ثم قال: لا أعلم رواه بهذا اللفظ إلا الفضيل عن عمران، وعمران يعد من أصحاب الحسن لم يتابع على هذا الحديث.

قلت: وبما تقدم عن القوت يظهر أن عبد الواحد بن زيد تابعه على ذلك والله أعلم.

(وقال ﷺ في بعض خطبه «المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود العبد لنفسه من نفسه ومن دنياه لآخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه، فإن الدنيا خلقت لكم وأنت خلقتم

للآخرة، والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار »، وقال عيسى عليه السلام: لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في إناء واحد.

وروي أن جبريل عليه السلام قال لنوح عليه السلام: يا أطول الأنبياء عمراً كيف وجدت الدنيا؟ فقال: كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر. وقيل لعيسى عليه السلام: لو اتخذت بيتاً يكنك. قال: يكفينا خلقان من كان قبلنا. وقال نبينا ﷺ: « احذروا الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت »، وعن الحسن قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم على أصحابه فقال: « هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيراً ألا إنه من رغب في الدنيا وطال أمله فيها أعمى الله قلبه على قدر ذلك، ومن زهد في الدنيا وقصر فيها أمله أعطاه الله علماً بغير تعلم، وهدى بغير هداية: ألا أنه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك، إلا بالقتل والتجبر، ولا الغنى إلا بالفخر

للآخرة، والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الموت من دار إلا الجنة أو النار » قال العراقي: رواه البيهقي في الشعب من رواية الحسن عن رجل من أصحاب النبي ﷺ وفيه انقطاع.

(وقال عيسى عليه السلام: لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في إناء واحد) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا.

(ويروى أن جبريل) عليه السلام **(قال لنوح عليه السلام: يا أطول الانبياء عمراً كيف وجدت الدنيا؟ قال: كبابين دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا. **(وقيل لعيسى عليه السلام: لو اتخذت بيتاً)** تأوي إليه. **(فقال: يكفينا خلقان من كان قبلنا)** يقال ثوب خلق وجمعه خلقان أي بال.

(وقال نبينا ﷺ: « احذروا الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت ») قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه من رواية أبي الدرداء الرهاوي، وقال البيهقي: إن بعضهم قال عن أبي الدرداء عن رجل من الصحابة. قال الذهبي: لا يدرى من أبو الدرداء وقال: هذا منكر لا أصل له.

(وعن الحسن) البصري **(قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم على أصحابه فقال: « هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيراً ألا إنه من رغب في الدنيا وطال أمله فيها أعمى الله قلبه على قدر ذلك، ومن زهد في الدنيا وقصر أمله فيها أعطاه الله علماً بغير تعلم وهدى بغير هداية، ألا إنه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك إلا**

والبخل، ولا المحبة إلا باتباع الهوى، إلا فمن أدرك ذلك الزمان منكم فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى، وصبر على البغضاء وهو يقدر على المحبة، وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك إلا وجه الله تعالى أعطاه الله ثواب خمسين صديقاً».

وروي أن عيسى عليه السلام اشتد عليه المطر والرعد والبرق يوماً، فجعل يطلب شيئاً يلجأ إليه فوقعت عينه على خيمة من بعيد فأتاها فإذا فيها امرأة فحاد عنها، فإذا هو بكهف في جبل فأتاه فإذا فيه أسد فوضع يده عليه وقال: إلهي جعلت لكل شيء مأوى ولم تجعل لي مأوى، فأوحى الله تعالى إليه: مأواك في مستقر رحمتي لأزوجنك يوم القيامة مائة حوراء خلقتها بيدي، ولأطعمن في عرسك أربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا، ولآمرنّ منادياً ينادي أين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد في الدنيا

بالقتل والتجبر، ولا الغنى إلا بالفخر والبخل، ولا المحبة إلا باتباع الهوى. ألا فمن أدرك ذلك الزمان منكم فصبر للفقر وهو يقدر على الغنى، وصبر للبغضاء وهو يقدر على المحبة، وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك إلا وجه الله أعطاه الله عز وجل ثواب خمسين صديقاً) » قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه هكذا مرسلاً، وفيه إبراهيم بن الأشعث تكلم فيه أبو حاتم انتهى.

قلت: ورواه من هذا الطريق أيضاً أبو نعيم في الحلية بلفظ: «هل منكم أحد يريد أن يؤتيه الله علماً من غير تعلم وهدى بغير هداية، هل منكم أحد يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيراً ألا من رغب في الدنيا» الحديث بطوله.

وأخرج أبو عبد الرحمن السلمي في كتاب المواعظ والوصايا من حديث ابن عباس: «من رغب في الدنيا وأطال أمله فيها أعمى الله قلبه على قدر رغبته فيها، ومن زهد في الدنيا وقصر فيها أمله أعطاه الله علماً من غير تعلم وهدى من غير هداية».

وأخرج أبو نعيم في الحلية والديلمي في مسند الفردوس من حديث علي «من زهد في الدنيا علمه الله بلا تعلم وهداه بلا هداية جعله بصيراً وكشف عنه العمى» وإسنادهما ضعيف.

(وروي أن عيسى عليه السلام اشتد عليه المطر والرعد والبرق يوماً فجعل يطلب شيئاً يلجأ إليه فرفعت له خيمة) وفي نسخة فوقعت عينه على خيمة **(من بعيد فأتاها فإذا فيها امرأة فحاد عنها)** أي مال، **(فإذا هو بكهف في جبل فإذا فيه أسد فوضع يده عليه وقال: الهي لكل شيء مأوى)** أي موضع يأوي إليه **(ولم تجعل لي مأوى، فأوحى الله إليه مأواك في مستقر رحمتي لأزوّجنك يوم القيامة مائة حوراء خلقتها بيدي، ولأطعمن في عرسك أربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا، ولآمرنّ منادياً ينادي أين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد عيسى بن مريم)**. أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا.

عيسى ابن مريم. وقال عيسى ابن مريم عليه السلام: ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها وما فيها، وتغره ويأمنها، ويثق بها وتخذله، وويل للمغترين كيف أرتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون؟ وويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غداً بذنبه؟ وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: يا موسى ما لك ولدار الظالمين إنها ليست لك بدار أخرج منها همك وفارقها بعقلك، فبئست الدار هي إلا لعامل يعمل فيها فنعمت الدار هي يا موسى إني مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم.

وروي أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح فجاءه بمال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ، فلما صلى رسول الله ﷺ إنصرف فتعرضوا له، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم ثم قال: أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء» قالوا: أجل يا رسول الله، قال: «فأبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم». وقال أبو

(قال عيسى عليه السلام: ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها ويأمنها وتغره ويثق بها وتخذله، وويل للمغترين كيف أرتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون. وويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غداً بذنبه) ؟ أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا.

(وقيل: أوحى الله إلى موسى عليه السلام يا موسى مالك ولدار الظالمين إنها ليست لك بدار أخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هي إلا لعامل يعمل فيها، فنعمت الدارهي يا موسى إني مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا.

(وروي أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة) عامر **(بن الجراح)** أحد العشرة رضي الله عنهم، **(فجاءه بمال من البحرين)** ناحية بالبصرة، **(فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة)** بالمال **(فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ، فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف فتعرضوا له، فتبسم ﷺ حين رآهم، ثم قال: «أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء» قالوا: أجل يا رسول الله. قال «فابشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخاف أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم»)** متفق عليه من حديث عمرو بن عوف البدري.

سعيد الخدري: قال رسول الله ﷺ: «إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض» فقيل ما بركات الأرض؟ قال: «زهرة الدنيا». وقال ﷺ: «لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا»، فنهى عن ذكرها فضلاً عن إصابة عينها.

وقال عمار بن سعيد: مر عيسى عليه السلام بقرية فإذا أهلها موتى في الأفنية والطرق، فقال: يا معشر الحواريين إن هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا، فقالوا: يا روح الله وددنا أن لو علمنا خبرهم. فسأل الله تعالى فأوحى إليه إذا كان الليل فنادهم يجيبوك، فلما كان الليل أشرف على نشز ثم نادى: يا أهل القرية فأجابه مجيب لبيك يا روح الله! فقال: ما حالكم وما قصتكم؟ قال: بتنا نحن في عافية وأصبحنا في الهاوية، قال: وكيف ذاك؟ قالوا: بحبنا الدنيا وطاعتنا أهل المعاصي، قال: وكيف كان حبكم للدنيا؟ قال: حب الصبي لأمه إذا أقبلت فرحنا بها وإذا أدبرت حزنا وبكينا عليها، قال: فما بال أصحابك لم يجيبوني؟ قال: لأنهم ملجمون بلجم من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد، قال: فكيف أجبتني أنت من بينهم؟ قال: لأني كنت فيهم ولم أكن منهم، فلما نزل بهم العذاب أصابني معهم، فأنا معلق على شفير جهنم لا

(**وقال أبو سعيد الخدري**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ: «إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض» فقيل: ما بركات الأرض؟ فقال: «زهرة الدنيا»**) متفق عليه. (**وقال ﷺ: «لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا»**) لأن الله يغار على قلب عبده أن يشتغل بغيره. رواه ابن أبي الدنيا ومن طريقه البيهقي في الشعب من رواية محمد بن النضر الحارثي مرسلاً، (**فنهى عن ذكرها فضلاً عن إصابة عينها**) ففيه تشديد.

(**وقال عمار بن سعيد**) كذا في النسخ ولم أجد له ترجمة: (**مرّ عيسى عليه السلام بقرية فإذا أهلها موتى في الأفنية**) جمع فناء بالكسر وفناء الدار ما حولها (**والطرق، فقال لهم: يا معشر الحواريين إن هؤلاء** ماتوا عن **سخطه ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا**) أي لدفن بعضهم بعضاً. (**فقالوا: يا روح الله وددنا أنا علمنا خبرهم. فسأل ربه فأوحى الله إليه إذا كان الليل فنادهم يجيبوك فلما كان الليل أشرف**) أي صعد (**على نشز**) محركة أي موضع عال (**ثم نادى: يا أهل القرية فأجابه مجيب لبيك يا روح الله! فقال: ما حالكم وما قصتكم؟ قال: بتنا في العافية وأصبحنا في الهاوية**) وهي دركة من دركات جهنم. (**قال: وكيف ذلك؟ قال: لحبنا الدنيا وطاعتنا أهل المعاصي. قال: وكيف كان حبكم للدنيا؟ قال: حب الصبي لأمه إذا أقبلت فرح بها وإذا أدبرت بكى وحزن عليها. قال: فما بال أصحابك لا يجيبوني؟ قال: لأنهم ملجمون بلجم من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد. قال: فكيف أجبتني أنت من بينهم؟ قال: لأني كنت فيهم ولم أكن منهم، فلما نزل بهم العذاب أصابني**

أدري أنجو منها أم أكبكب فيها؟ فقال المسيح للحواريين: لأكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة.

وقال أنس: كانت ناقة رسول الله ﷺ العضباء لا تسبق فجاء أعرابي بناقة له فسبقها، فشق ذلك على المسلمين، فقال ﷺ: «إنه حق على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه»، وقال عيسى عليه السلام: من الذي يبني على موج البحر داراً؟ تلكم الدنيا فلا تتخذوها قراراً. وقيل لعيسى عليه السلام: علمنا علماً واحداً يحبنا الله عليه، قال: ابغضوا الدنيا يحبكم الله تعالى. وقال أبو الدرداء، قال رسول الله ﷺ: «لو

معهم فأنا معلق على شفير جهنم لا أدري أنجو منها أم أكبكب فيها. فقال المسيح عليه السلام للحواريين: لأكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح) جمع مسح بالكسر وهو الصوف الأسود **(والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة)**. أخرجه أبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن محمد بن زكريا، حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا سهل بن عاصم، حدثنا عبدالله بن محمد بن عقبة، حدثني عبد الرحمن أبو طالوت، حدثنا مهاجر الأسدي، عن وهب بن منبه قال: مرَّ عيسى عليه السلام بقرية فساق بنحو من سياق المصنف وفيه قال: ما كان جنايتكم؟ قال: عبادة الطاغوت وحب الدنيا. قال: وما كانت عبادتكم الطاغوت؟ قال: الطاعة لأهل معاصي الله، وفيه قال عيسى عليه السلام: وما الهاوية؟ قال: سجين. قال: وما سجين؟ قال: جمرة من نار مثل أطباق الدنيا كلها دفنت أرواحنا فيها، وفيه: وأنا معلق بشعرة في الهاوية لا أدري أكردس في النار أم أنجو، فقال عيسى عليه السلام: بحق أقول لكم لأكل خبز الشعير وشرب ماء القراح والنوم على المزابل مع الكلاب لكثير مع عافية الدنيا والآخرة.

(وقال أنس) رضي الله عنه: **(كانت ناقة رسول الله ﷺ العضباء لا تسبق)** أي لا تجاريها النوق في سرعة السير، **(فجاء إعرابي بناقة له)** وفي رواية على قعود له **(فسبقها فشق ذلك على المسلمين)** أي اشتد كما في رواية **(فقال رسول الله ﷺ: «إنه حق)** وفي رواية: إن حقاً **(على الله ان لا يرفع شيئاً من أمر الدنيا إلا وضعه»)** ورواه أحمد وعبد بن حميد والبخاري وأبو داود وابن حبان والدارقطني والنسائي، ووجد بخط الكمال الدميري قال: أفادني بعض طلبة العلم أنه سمع بعض الحفاظ يقول: الاعرابي الذي جاء على قعود فسبق ناقة النبي ﷺ هو جبريل عليه السلام.

(وقال عيسى عليه السلام: من ذا الذي يبني على موج البحر داراً تلكم الدنيا فلا تتخذوها قراراً) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا. **(وقيل لعيسى عليه السلام: علمنا عملاً واحداً يحبنا الله عليه. قال: ابغضوا الدنيا يحبكم الله)**. أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا. **(وقال أبو الدرداء)** رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم**

تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة »، ثم قال أبو الدرداء ـ من قبل نفسه ـ لو تعلمون ما أعلم لخرجتم إلى الصعدات تجأرون وتبكون على أنفسكم، ولتركتم أموالكم لا حارس لها ولا راجع إليها إلا ما لا بد لكم منه، ولكن يغيب عن قلوبكم ذكر الآخرة، وحضرها الأمل فصارت الدنيا أملك بأعمالكم، وصرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم شر من البهائم التي لا تدع هواها مخافة مما

قليلاً ولبكيتم كثيراً ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة ») قال العراقي: رواه الطبراني دون قوله « ولهانت » الخ زاد « ولخرجتم إلى الصعدات » الحديث. وزاد الترمذي، وابن ماجه من حديث أبي ذر « وما تلذذتم بالنساء على الفرش » رأوّل الحديث متفق عليه من حديث أنس، وفي افراد البخاري من حديث عائشة اهـ.

قلت: قد تقدم الكلام على هذا الحديث، وتمام الحديث عند الطبراني بعد قوله « ولخرجتم إلى الصعدات تجارون إلى الله لا تدرون تنجون أو لا تنجون ». وقد رواه الحاكم والبيهقي كذلك. وعند ابن عساكر من حديث أبي الدرداء « لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت ما أكلتم طعاماً على شهوة أبداً، ولا شربتم شراباً على شهوة أبداً، ولأدخلتم بيتاً تستظلون به ولمررتم إلى الصعدات تلدمون صدوركم وتبكون على أنفسكم ». ورواه أبو نعيم في الحلية من قوله، وعند الحاكم من حديث أبي ذر « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولما ساغ لكم الطعام ولا الشراب » وفي الحلية في ترجمة العلاء بن زياد عن أبي ذر مثل سياق الترمذي وابن ماجه بزيادة « وددت أني شجرة تعضد ». وأما صدر الحديث فرواه أيضاً من حديث أنس أحمد والدارمي والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان، ورواه من حديث أبي هريرة أحمد والبخاري والترمذي وهو عند الحاكم بزيادة في آخره « يظهر النفاق وترتفع الامانة » الحديث.

(وقال أبو الدرداء ـ من قبل نفسه ـ لو تعلمون ما أعلم لخرجتم إلى الصعدات) بضمتين أي إلى البراري والقفار **(تبكون على أنفسكم)** قد مرَّ عند الطبراني أنه من جملة حديث أبي الدرداء، ولفظه: ولخرجتم إلى الصعدان تجأرون إلى الله. وعند ابن عساكر بلفظ: ولمررتم إلى الصعدات تلدمون صدوركم، وأخرجه أبو نعيم في الحلية من قوله قال: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثنا داود بن عمرو، حدثنا عبشر، حدثنا برد عن حزام بن حكيم قال: قال أبو الدرداء: تعلمون ما أنتم راؤن بعد الموت لما أكلتم طعاماً على شهوة. ولا شراباً على شهوة، ولا دخلتم بيتاً تستظلون فيه ولخرجتم إلى الصعدات تضربون صدوركم وتبكون على أنفسكم. وددت أني شجرة تعضد ثم تؤكل. إلى هنا نص الحلية، ثم ساق المصنف بقية كلام أبي الدرداء فقال: **(ولتركتم أموالكم لا حارس لها ولا راجع إليها إلا ما لا بدّ لكم منه، ولكن يغيب عن قلوبكم ذكر الآخرة وحضرها الأمل، فصارت الدنيا أملك بأعمالكم وصرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم شر من البهائم التي لا تدع)** أي لا تترك

هو في عاقبته، ما لكم لا تحابون ولا تناصحون وأنتم إخوان على دين الله ما فرق بين أهوائكم إلا خبث سرائركم، ولو اجتمعتم على البر لتحاببتم، ما لكم تناصحون في أمر الدنيا ولا تناصحون في أمر الآخرة؟ ولا يملك أحدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه على أمر آخرته، ما هذا إلا من قلة الإيمان في قلوبكم، لو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لآثرتم طلب الآخرة لأنها أملك لأموركم. فإن قلتم: حب العاجلة غالب؟ فإنا نراكم تدعون العاجل من الدنيا للآجل منها، تكدون أنفسكم بالمشقة والاحتراف في طلب أمر لعلكم لا تدركونه، فبئس القوم أنتم ما حققتم إيمانكم بما يعرف به الإيمان البالغ فيكم! فإن كنتم في شك مما جاء به محمد ﷺ فأتونا لنبين لكم ولنريكم من النور ما تطمئن إليه قلوبكم! والله ما أنتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم إنكم تستبينون صواب الرأي في دنياكم وتأخذون بالحزم في أموركم، ما لكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيبونه وتحزنون على اليسير منها يفوتكم، حتى يتبين ذلك في وجوههكم ويظهر على ألسنتكم، وتسمونها المصائب وتقيمون فيها المآتم، وعامتكم قد تركوا كثيراً من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوهكم ولا يتغير حالكم، إني لأرى الله قد تبرأ منكم يلقي بعضكم بعضاً بالسرور، وكلكم يكره أن يستقبل صاحبه بما يكره مخافة أن يستقبله صاحبه بمثله

(هواها مخافة مما في عاقبته)، ثم قال: **(ما لكم لا تحابون)** أي لا يحب بعضكم بعضاً **(ولا تناصحون)** أي لا ينصح بعضكم بعضاً **(وانتم اخوان على دين، ما فرق بين أهوائكم إلا خبث سرائركم)** أي فساد بواطنكم، **(ولو تجامعتم على البر لتحاببتم، مالكم لا تناصحون في أمر الدنيا ولا يملك أحدكم النصحية لمن يحبه ويعينه على أمر آخرته، ما هذا إلا من قلة الإيمان في قلوبكم. لو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لآثرتم طلب الآخرة لأنها أملك بقلوبكم، فإن قلتم: حب العاجلة غالب فإنا نراكم تدعون العاجل من الدنيا للآجل منها تكدون)** أي تتعبون **(أنفسكم بالمشقة والاحتراف)** أي الاكتساب **(في طلب أمر لعلكم لا تدركونه فبئس القوم أنتم ما حققتم إيمانكم بما يعرف به الإيمان البالغ فيكم، فإن كنتم في شك مما جاء به محمد)** ﷺ **(فاتونا فلنبين لكم ولنريكم من النور ما تطمئن إليه قلوبكم، والله ما أنتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم)** أي نقبل عذركم **(إنكم لتبينون صواب الرأي في دنياكم وتأخذون بالحزم في أموركم ما لكم تفرحون باليسير من الدنيا إذ تصيبونه وتحزنون على اليسير منها)** إذ **(يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على ألسنتكم وتسمونها المصائب وتقيمون فيها المآتم)** جمع مأتم أي البكاء والعويل والحزن، **(وعامتكم قد تركوا كثيراً من دينهم، ثم لا يتبين ذلك في جوههم ولا يتغير حالكم إني لأرى الله قد تبرأ منكم يلقى بعضكم بعضاً بالشرور، وكلكم يكره أن يستقبل صاحبه بما

فاصطحبتم على الغل ونبتت مراعيكم على الدمن وتصافيتم على رفض الأجل، ولوددت أن الله تعالى أراحني منكم وألحقني بمن أحب رؤيته ولو كان حياً لم يصابركم، فإن كان فيكم خير فقد أسمعتكم وإن تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيراً، وبالله أستعين على نفسي

يكره مخافة أن يستقبله صاحبه بمثله **فاصطحبتم على الغل)** أي الحقد في الصدور، **(ونبتت مراعيكم على الدمن)** جمع دمنة بالكسر كسدرة وسدر وهو الموضع المتلبد بالسرجين، **(وتصافيتم على رفض)** أي ترك **(الأجل، ولوددت أن الله أراحني منكم)** بالموت **(والحقني بمن أحب رؤيته)** ولو كان **(حياً لم يصابركم)** يعني به النبي ﷺ وأصحابه، **(فإن كان فيكم خير فقد أسمعتكم)** أي أبلغت القول إلى أسماعكم إن كنتم تقبلونه وتعملون به، **(وان تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيراً)** أي سهلاً، **(والله استعين على نفسي وعليكم)** إلى هنا اهـ كلام أبي الدرداء رضي الله عنه.

ومن كلام علي رضي الله عنه مما هو في نهج البلاغة: ولو تعلمون ما أعلم مما طوى عنكم غيبه إذاً لخرجتم إلى الصعدات تبكون على أعمالكم وتلدمون على أنفسكم، ولتركتم أموالكم لا حارس لها ولا خائف عليها، ولهمت كل امرىء منكم نفسه لا يلتفت إلى غيرها، ولكنكم نسيتم ما ذكرتم وأمنتم ما حذرتم، فبان منكم رأيكم وتشتت عليكم أمركم، لوددت أن الله فرق بيني وبينكم والحقني بمن هو أحق لي منكم.

ومما رواه ابن المبارك عن الأوزاعي عن حسان بن عطية أن أبا الدرداء كان يقول: لا تزالون بخير ما أحببتم خياركم وما قيل فيكم الحق فقبلتموه، فإن عارف الحق كعامله.

ومما رواه المسعودي عن أبي الهيثم قال: قال أبو الدرداء: لا تكلفوا من الناس ما لم تكلفوا، ولا تحاسبوا الناس دون ربهم. ابن آدم عليك نفسك فإنه من يتتبع ما يرى في الناس يطل حزنه ولا يشف غيظه.

ومما رواه أبو بكر بن أبي شيبة بسنده إليه قال: اعبدوا الله كأنكم ترونه وعدوا أنفسكم من الموتى، واعلموا أن قليلاً يغنيكم خير من كثير يلهيكم، واعلموا ان البر لا يبلى وأن الإثم لا ينسى.

ومما رواه يزيد بن عمرون عن جُوَيبر عن الضحاك عنه قال: قال يا أهل دمشق أنتم الإخوان في الدنيا والجيران في الدار والأنصار على الأعداء ما يمنعكم من مودتي، وإنما مؤنتي على غيركم. ما لي أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون، وأراكم قد أقبلتم على ما تكفل لكم به وتركتم ما أمرتم به ألا إن قوماً بنوا شديداً وجمعوا كثيراً وأملوا بعيداً فأصبح بنيانهم قبوراً وأملهم غروراً وجمعهم بوراً.

ومما رواه أحمد بن حنبل بسنده إليه أنه كان يقول: ويل لكل جماع فاغرٌ فاهُ ككأنه مجنون يرى

وعليكم. وقال عيسى عليه السلام: يا معشر الحواريين ارضوا بدنيء الدنيا مع سلامة الدين كما رضي أهل الدنيا بدنيء الدين مع سلامة الدنيا. وفي معناه قيل:

أرى رجالاً بأدنى الدين قد قنعوا ... وما أراهم رضوا في العيش بالدون

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما اسـ ... ـتغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال عيسى عليه السلام: يا طالب الدنيا لتبرّ★ تركك الدنيا أبرّ. وقال نبينا ﷺ: «لتأتينكم بعدي دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب»، وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: يا موسى لاتركن إلى حب الدنيا فلن تأتيني بكبيرة هي أشد منها.

ما عند الناس ولا يرى ما عنده، لو يستطيع لوصل الليل بالنهار ويله من حساب غليظ وعذاب شديد.

ومما رواه خالد بن يزيد عن سعيد بن هلال عنه أنه كان يقول: ما معشر أهل دمشق لا تستحيون تجمعون ما لا تأكلون وتبنون ما لا تسكنون وتأملون ما لا تبلغون. قد كان القرون من قبلكم يجمعون فيوعون ويأملون فيطيلون ويبنون فيوثقون، فأصبح جمعهم بوراً وأملهم غروراً وبيوتهم قبوراً. هذه عاد قد ملأت ما بين عدن إلى عمان أموالاً وأولاداً، فمن يشتري مني تركة عاد بدرهمين.

ومما رواه صفوان بن عمرو عنه أنه كان يقول: يا معشر أهل الأموال بردوا على جلودكم من أموالكم قبل أن نكون وإياكم فيها سواء ليس إلا أن تنظروا فيها وننظر فيها معكم. إني أخاف عليكم شهوة خفية في نعمة ملهية، وذلك حين تشبعون من الطعام وتجوعون من العلم إلى غير ذلك من غرر كلامه مما هو مذكور في الحلية وغيرها. والله أعلم.

(وقال عيسى عليه السلام: يا معشر الحواريين ارضوا بدنيء الدنيا) أي حقيرها **(مع سلامة الدين كما رضي أهل الدنيا بدنيء الدين مع سلامة الدنيا)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا، **(وفي معناه قد قيل)**:

(أرى رجالاً بأدنى الدين قد قنعوا ... ولا أراهم رضوا في العيش بالدون)

(فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما اسـ ... ـتغنى الملوك بدنياهم عن الدين)

(وقال عيسى عليه السلام: يا طالب الدنيا لتبرّ بها) أي لتصير براً بها **(تركك الدنيا أبر)** أي أكثر براً أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا. **(وقال نبينا ﷺ: «لتأتينكم بعدي دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب»)** قال العراقي لم أجد له أصلاً. **(وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: يا موسى لا تركنن إلى حب الدنيا فلن تأتيني بكبيرة أشد عليك منها)** أخرجه صاحب الحلية من طريق سفيان عن منصور بن المعتمر عن مجاهد عن كعب قال الرب تعالى لموسى: يا موسى لا تركنن إلى حب الدنيا فإنك لن تلقاني بكبيرة من الكبائر أخسر

ومر موسى عليه السلام برجل وهو يبكي ورجع وهو يبكي، فقال موسى: يا رب عبدك يبكي من مخافتك فقال: يا بن عمران لو سال دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى يسقطا لم أغفر له وهو يحب الدنيا.

الآثار: قال علي رضي الله عنه: من جمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلباً ولا عن النار مهرباً؛ أولها: من عرف الله فأطاعه، وعرف الشيطان فعصاه، وعرف الحق فاتبعه، وعرف الباطل فاتقاه، وعرف الدنيا فرفضها، وعرف الآخرة فطلبها، وقال الحسن: رحم الله أقواماً كانت الدنيا عندهم وديعة فأدوها إلى من ائتمنهم عليها، ثم راحوا خفافاً. وقال أيضاً رحمه الله: من نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره. وقال لقمان لابنه: يا بنيّ إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل، وحشوها الإيمان بالله تعالى، وشراعها التوكل على الله عز وجل، لعلك تنجو وما أراك ناجياً. وقال الفضيل: طالت فكرتي في هذه الآية:

عليك من الركون إلى الدنيا، **(ومرَّ موسى عليه السلام برجل وهو يبكي ورجع)** عليه **(وهو يبكي، فقال موسى: يا رب عبدك يبكي من مخافتك. فقال: يا بن عمران لو نزل دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى تسقطا لم أغفر له وهو يحب الدنيا)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا.

(الآثار الواردة) في ذمها: **(قال علي رضي الله عنه: من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلباً ولا عن النار مهرباً أولها: من عرف الله فاطاعه، وعرف الشيطان فعصاه، وعرف الحق فاتبعه، وعرف الباطل فألقاه)** أي اجتنبه، **(وعرف الدنيا فرفضها)** أي تركها، **(وعرف الآخرة فطلبها)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا. **(وقال الحسن البصري)** رحمه الله تعالى: **(رحم الله أقواماً كانت الدنيا عندهم وديعة فأدوها إلى من ائتمنهم عليها ثم راحوا خفافاً)** نقله صاحب القوت. **(وقال أيضاً: من نافسك في دينك فنافسه)** أي فإن المنافسة في أمور الدين مندوب إليها، **(ومن نافسك في دنياك فالقها في نحره)** نقله صاحب القوت. **(وقال لقمان لابنه)** وهو يعظه: **(يا بني إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله، وحشوها الإيمان بالله، وشراعها التوكل على الله، لعلك تنجو وما أراك ناجياً)** نقله صاحب القوت. وقد روي نحو ذلك عن وهب بن منبه وهو في الحلية قال: يا بني اتخذ طاعة الله تجارة تريد بها الدنيا والآخرة، والإيمان بالله سفينتك التي تحمل عليها، والتوكل على الله دقلها والدنيا بحرك والأيام موجك والأعمال المفروضة تجارتك إلى آخر ما قال. **(وقال الفضيل)** بن عياض رحمه الله تعالى: **(طالت فكرتي في هذه الآية ﴿ إنا جعلنا ما**

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ★ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً﴾ [الكهف: ٧، ٨]، وقال بعض الحكماء: إنك لن تصبح في شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك وسيكون له أهل بعدك، وليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلة وغداء يوم، فلا تهلك في أكلة، وصم عن الدنيا وأفطر على الآخرة، وإن رأس مال الدنيا الهوى وربحها النار. وقيل لبعض الرهبان: كيف ترى الدهر؟ قال: يخلق الأبدان ويجدد الآمال ويقرب المنية ويبعد الأمنية. قيل: فما حال أهله؟ قال: من ظفر به تعب ومن فاته نصب. وفي ذلك قيل:

ومن يحمد الدنيا لعيش يسره ... فسوف لعمري عن قليل يلومها
إذا أدبرت كانت على المرء حسرة ... وإن أقبلت كانت كثيراً همومها

وقال بعض الحكماء: كانت الدنيا ولم أكن فيها، وتذهب الدنيا ولا أكون فيها، فلا أسكن إليها فإن عيشها نكد وصفوها كدر وأهلها منها على وجل، إما بنعمة زائلة أو بلية نازلة أو منية قاضية. وقال بعضهم: من عيب الدنيا أنها لا تعطي أحداً ما يستحق،

على الأرض) من الحيوان والنبات والمعادن **(زينة لها)** لأهلها **(لنبلوهم)** أي لنختبرهم **(أيهم أحسن عملاً)** في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجي أيامه وصرفه على ما ينبغي، وفيه تسكين لرسول الله ﷺ. **(وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً﴾)** تزهيد فيه، والجزر الذي قطع نباتها من الجرز وهو القطع، والمعنى: إنا لنعيد ما عليها من الزينة تراباً مستوياً بالأرض ونجعله كصعيد أملس لا نبات فيه. **(وقال بعض الحكماء: إنك لن تصبح في شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك ويكون له أهل بعدك، وليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلة وغداء يوم، فلا تهلك في أكله، وصم عن الدنيا وافطر على الآخرة، وإن رأس مال الدنيا الهوى وربحها النار)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا **(وقيل لبعض الرهبان: كيف ترى الدهر؟ قال: يخلق الأبدان)** أي يبليها **(ويجدد الآمال ويقرب المنية)** أي الموت **(ويبعد الأمنية. قال: فما حال أهله؟ قال: من ظفر بـه تعب ومن فاته نصب)** يقال: نصب الماء في الأرض إذا غار، **(وقد قيل)** في معنى ذلك:

(ومن يحمد الدنيا لعيش يسره ... فسوف لعمري عن قليل يلومها)
(إذا أدبرت كانت على المرء حسرة ... وإن أقبلت كانت كثيراً همومُها)

(وقال بعض الحكماء: كانت الدنيا ولم أكن فيها وتذهب الدنيا ولا أكون فيها فلا أسكن إليها، فإن عيشها نكد) أي عسر وتعب **(وصفوها كدر وأهلها منها على وجل)** أي خوف، **(إما بنعمة زائلة)** أي ستزول قريباً **(أو بلية نازلة)** ستنزل قريباً **(أو منية قاضية)** أي متحتمة. **(وقال بعضهم: من عيب الدنيا أنها لا تعطي أحداً ما يستحق لكنها إما أن**

لكنها إما أن تزيد وإما أن تنقص. وقال سفيان: أما ترى النعم كأنها مغضوب عليها قد وضعت في غير أهلها. وقال أبو سليمان الداراني: من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيئاً إلا أراد أكثر. ومن طلب الآخرة على المحبة لها لم يعط شيئاً إلا أراد أكثر. وليس لهذا غاية. ولا لهذا غاية وقال رجل لأبي حازم: أشكو إليك حب الدنيا وليست لي بدار، فقال: انظر ما آتاكه الله عز وجل منها فلا تأخذه إلا من حله ولا تضعه إلا في حقه. ولا يضرك حب الدنيا، وإنما قال هذا لأنه لو آخذ نفسه بذلك لأتعبه حتى يتبرم بالدنيا ويطلب الخروج منها. وقال يحيى بن معاذ: الدنيا حانوت الشيطان، فلا تسرق من حانوته شيئاً فيجيء في طلبه فيأخذك، وقال الفضيل: لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى، لكان ينبغي لنا أن نختار خزفاً يبقى على ذهب يفنى. فكيف

تزيد) فوق استحقاقه **(وإما أن تنقص)** من استحقاقه روي ذلك من كلام علي رضي الله عنه.

(وقال سفيان) الثوري رحمه الله تعالى: **(أما ترى النعم كأنها مغضوب عليها قد وضعت في غير أهلها)** أخرجه أبو نعيم في الحلية، **(وقال أبو سليمان الداراني)** رحمه الله تعالى: **(من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيئاً إلا أراد أكثر)** مما طلب، **(ومن طلب الآخرة على المحبة لها لم يعط منها شيئاً إلا أراد أكثر)** مما طلب، **(وليس لهذا غاية ولا لهذا غاية)** أخرجه أبو نعيم في الحلية. **(وقال رجل لأبي حازم)** سلمة بن دينار الأعرج المدني التابعي رحمه الله تعالى: **(أشكو إليك حب الدنيا وليست لي بدار. فقال: انظر ما آتاك الله عز وجل منها فلا تأخذه إلا من حله)** أي من حيث هو حلال، **(ولا تضعه إلا في حقه ولا يضرك حب الدنيا)** أخرجه ابن أبي الدنيا، **(وإنما قال هذا لأنه لو آخذ نفسه بذلك لأتعبه حتى يتبرم)** أي يتضجر **(بالدنيا ويطلب الخروج منها)**.

وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: قلت لأبي حازم يوماً إني لأجد شيئاً يحزنني. قال: وما هو يا ابن أخي؟ قلت: حب الدنيا. قال لي: اعلم يا ابن أخي أن هذا الشيء ما أعاتب نفسي على بعض شيء حببه الله إلي لأن الله تعالى قد حبب هذه الدنيا إلينا ولكن معاتبتنا أنفسنا في غير هذا أن لا يدعونا حبها إلى أن نأخذ شيئاً بشيء يكرهه الله تعالى. ولا نمنع شيئاً من شيء احبه الله تعالى فإذا نحن فعلنا ذلك لم يضرنا حبنا إياها.

(وقال يحيى بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى: **(الدنيا حانوت الشيطان)** أي دكانه الذي فيه متاعه **(فلا تسرق من حانوته شيئاً فيجيء في طلبه فيأخذك)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا. **(وقال الفضيل)** بن عياض رحمه الله تعالى: **(لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان ينبغي لنا أن نختار)** لأنفسنا **(خزفاً يبقى على ذهب يفنى، فكيف وقد اخترنا خزفاً يفنى على ذهب يبقى)**؟ أخرجه أبو نعيم في الحلية.

وقد اخترنا خزفاً يفنى على ذهب يبقى؟ وقال أبو حازم: إياكم والدنيا فإنه بلغني أنه يوقف العبد يوم القيامة إذا كان معظماً للدنيا فيقال: هذا عظم ما حقره الله. وقال ابن مسعود: ما أصبح أحد من الناس إلا وهو ضيف وماله عارية، فالضيف مرتحل والعارية مردودة. وفي ذلك قيل:

وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بدَّ يوماً أن ترد الودائع

وزار رابعة أصحابها، فذكروا الدنيا فأقبلوا على ذمها، فقالت: اسكتوا عن ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها. ألا من أحب شيئاً أكثر من ذكره. وقيل لإبراهيم بن أدهم: كيف أنت؟ فقال:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
فطوبى لعبد آثر الله ربه وجاد بدنياه لما يتوقع

(وقال أبو حازم) سلمة بن دينار الأعرج رحمه الله تعالى: **(إياكم والدنيا فإنه بلغني أنه يوقف العبد يوم القيامة إذا كان معظماً للدنيا فيقال: هذا عظم ما حقره الله تعالى)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا. وأبو نعيم في الحلية. **(وقال ابن مسعود)** رضي الله عنه: **(ما أصبح أحد من الناس إلا وهو ضعيف وماله عارية والضيف مرتحل والعارية مردودة)** أخرجه الطبراني ومن طريقه أبو نعيم في الحلية من رواية الضحاك بن مزاحم قال: قال عبدالله: ما منكم إلا ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مؤداة لأهلها. **(وقد قيل)** في معنى ذلك:

(وما المال والأهلون إلا وديعة ولا بد يوماً أن ترد الودائع)

(و) يحكى أنه **(زار رابعة)** بنت إسماعيل العدوية البصرية **(أصحابها)** ممن كان يتردد عليها **(فذكروا الدنيا فأقبلوا على ذمها فقالت: اسكتوا عن ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها. ألا من أحب شيئاً أكثر من ذكره)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا وقولها من أحب شيئاً أكثر من ذكره. حديث مرفوع أخرجه أبو نعيم، ثم الديلمي من طريق مقاتل بن حبان عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن عائشة به، **(وقيل لإبراهيم بن أدهم: كيف أنت؟ فقال)** منشداً:

(نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع)
(فطوبى لعبد آثر الله ربه وجاد بدنياه لما يتوقع)

أخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق يعلى بن عبيد قال: دخل إبراهيم بن أدهم على أبي جعفر أمير المؤمنين فقال: كيف شأنكم يا أبا إسحاق؟ قال: يا أمير المؤمنين.

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

وقيل أيضاً في ذلك:

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ... ونال من الدنيا سروراً وأنعما
كبان بنى بنيانه فأقامه ... فلما استوى ما قد بناه تهدما

وقيل أيضاً في ذلك:

هب الدنيا تساق إليك عفواً ... أليس مصير ذاك إلى انتقال
وما دنياك إلا مثل فيء ... أظلك ثم آذن بالزوال

وقال لقمان لإبنه: يا بني بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً، ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعاً. وقال مطرف بن الشخير: لا تنظر إلى خفض عيش الملوك ولين رياشهم، ولكن انظر إلى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم. وقال ابن عباس: إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء: جزءاً للمؤمن، وجزءاً للمنافق، وجزءاً للكافر، فالمؤمن يتزوّد، والمنافق

ومن طريق أبي عمير عن حمزة قال: دخل إبراهيم بن أدهم على بعض الولاة فقال له: مم معيشتك؟ قال نرقع دنيانا الخ. فقال: أخرجوه فقد استقبل.

(**وقيل أيضاً**) في المعنى:

(أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ... ونال من الدنيا سروراً وأنعما)
(كبان بنى بنيانه فأقامه ... فلما استوى ما قد بناه تهدّما)

وفي نسخة فأتمه بدل فأقامه.

(**وقيل أيضاً**) في المعنى:

(هب الدنيا تساق إليك عفواً ... أليس مصير ذاك إلى انتقال)؟
(وما دنياك إلا مثل فيء ... أظلك ثم آذن بالزوال)

وفي نسخة للزوال.

(**وقال لقمان لابنه**) وهو يعظه: (**يا بني بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا. (**وقال مطرف بن**) عبدالله بن (**الشخير**) بن عوف العامري التابعي العابد ولأبيه صحبة وقد ذكر: (**لا تنظر إلى خفض عيش الملوك ولين رياشهم، ولكن انظروا إلى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا (**وقال ابن عباس**) رضي الله عنه: (**إن الله جعل الدنيا ثلاثة أجزاء جزءاً للمؤمن، وجزءاً للمنافق، وجزءاً للكافر. فالمؤمن يتزود**) منها لآخرته، (**والمنافق يتزين**) بمتاعها، (**والكافر يتمتع**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا. (**وقال**

يتزين، والكافر يتمتع. وقال بعضهم: الدنيا جيفة، فمن أراد منها شيئاً فليصبر على معاشرة الكلاب. وفي ذلك قيل:

يا خاطب الدنيا إلى نفسها ... تنح عن خطبتها تسلم
إن التي تخطب غدارة ... قريبة العرس من المأتم

وقال أبو الدرداء: من هوان الدنيا على الله أنه لا يعصى إلا فيها ولا ينال ما عنده إلا بتركها. وفي ذلك قيل:

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو في ثياب صديق

وقيل أيضاً:

يا راقد الليل مسروراً بأوّله ... إن الحوادث قد يطرقن أسحاراً

بعضهم: الدنيا جيفة) أي بمنزلة جيفة في هوانها ونتنها **(فمن أراد منها شيئاً فليصبر على معاشرة الكلاب)** رواه صاحب القوت من قول علي رضي الله عنه، وقال علي: مزاحمة الكلاب بدل معاشرة. وفي هذا المعنى قال الشافعي رحمه الله تعالى:

وما هي إلا جيفة مستحيلة ... عليها كلابٌ همهن اجتذابها

ومن هنا يؤخذ القول المشهور على الألسنة: الدنيا جيفة وطلابها كلاب. وفي القوت: ولقد أشهد ذلك بعض المكاشفين فقال: رأيت الدنيا في صورة جيفة، ورأيت إبليس في صورة كلب وهو هائم عليها ومنادياً ينادي من فوق: أنت كلب من كلابي وهذه جيفة من خلقي، ولقد جعلتها نصيبك فمن نازعك شيئاً منها فقد سلطتك عليه، **(وقد قيل في هذا المعنى):**

(يا خاطب الدنيا إلى نفسها ... تنح عن خطبتها تسلم)
(إن التي تخطب غدارة ... قريبة العرس إلى المأتم)

وقال أبو محمد الحريري:

يا خاطب الدنيا الدنية إنها ... شرك الردى وقرارة الأكدارِ
دار متى ما أضحكت أبكت ... غدارة تباً لها من دارِ

في أبيات أخر ذكرها في مقامته.

(وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه: **(من هوان الدنيا على الله أن لا يعصى إلا فيها ولا ينال ما عنده إلا بتركها)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا وذكره صاحب نهج البلاغة من كلام علي رضي الله عنه **(وقيل)** في معنى ذلك وهو أحسن ما سمع في تشبيه الدنيا:

(إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو في ثياب صديق)

(وقيل أيضاً) في معناه:

(يا راقد الليل مسروراً بأوله ... إن الحوادث قد يطرقن أسحاراً)

أفنـى القـرون التي كـانـت منعمـة ... كـر الجديـديـن إقبـالاً وإدبـارا
كم قد أبادت صروف الدهر من ملك ... قد كان في الدهـر نفـاعـاً وضرارا
يـا مـن يعـانـق دنيـا لا بقـاء لها ... يمسي ويصبـح في دنيـاه سفـارا
هلا تـركـت مـن الدنيـا معـانقـة ... حتى تعـانـق في الفـردوس أبكـارا
إن كنت تبغي جنان الخلد تسكنهـا ... فينبغـي لـك أن لا تـأمـن النـارا

وقال أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه: لما بعث محمد ﷺ أتت إبليس جنوده فقالوا: قد بعث نبي وأخرجت أمة، قال: يحبون الدنيا؟ قالوا: نعم، قال: لئن كانوا يحبون الدنيا ما أبالي أن لا يعبدوا الأوثان، وإنما أغدو عليهم وأروح بثلاث: أخذ المال من غير حقه، وانفاقه في غير حقه، وإمساكه عن غير حقه، والشر كله من هذا تبع. وقال رجل لعلي كرّم الله وجهه: يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا. قال: وما أصف لك من دار من صح فيها سقم ومن أمن فيها ندم، ومن افتقر فيها حزن، ومن استغنى فيها افتتن في حلالها الحساب وفي حرامها العقاب ومتشابهها العتاب. وقيل له ذلك مرة أخرى فقال:

(أفنـى القـرون التي كـانـت منعمـة ... كـر الليـالي إقبـالاً وإدبـاراً)
(يـا مـن يعانـق دنيا لا بقـاء لها ... يمسي ويصبـح في دنيـاه سفـاراً)
أي كثير السفر لأجل تحصيلها.
(هلا تركـت مـن الدنيـا معـانقـة ... حتى تعـانـق في الفـردوس أبكـاراً)
(إن كنت تبغـي جنـان الخلـد تسكنهـا ... فينبغـي لـك أن لا تـأمـن النـارا)

وقيل في هذا المعنى:

يـا راقـد الليـل انتبـه ... إن الخطـوب لها سرى
ثقـة الفتى بـزمـانـه ... ثقـة محللـة العـرى

(وقال أبو أمامة) صدى بن عجلان **(الباهلي)** رضي الله عنه: **(لما بعث محمد ﷺ أتت إبليس جنوده فقالوا: قد بعث نبي وأخرجت أمته. قال يحبون الدنيا؟ قالوا: نعم. قال: لئن كانوا يحبونها ما أبالي أن لا يعبدوا الأوثان وأنا أغدو عليهم وأروح بثلاث أخر: المال من غير حقه، وإنفاقه في غير حقه، وإمساكه عن حقه والشر كله لهذا تبع)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا، **(وقال رجل لعلي بن أبي طالب)** رضي الله عنه: **(يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا. فقال: وما أصف لك من دار من صح فيها ما أمن، ومن سقم فيها ندم، ومن افتقر فيها حزن، ومن استغنى فيها فتن في حلالها الحساب وفي حرامها العذاب)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا، وكذلك ذكره صاحب نهج البلاغة ولفظه: ما أصف من دار أولها عناء

أطول أم أقصر ؟ فقيل، قصر، فقال: حلالها حساب، وحرامها عذاب. وقال مالك بن دينار: اتقوا السحارة فإنها تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا. وقال أبو سليمان الداراني: إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تزاحمها، فإذا كانت الدنيا في القلب لم تزاحمها الآخرة، لأن الآخرة كريمة والدنيا لئيمة. وهذا تشديد عظيم ونرجو أن يكون ما ذكره سيار بن الحكم أصح، إذ قال: الدنيا والآخرة يجتمعان في القلب فأيهما غلب كان الآخر تبعاً له. وقال مالك بن دينار: بقدر ما تحزن للدنيا يخرج همَّ الآخرة من قلبك، وبقدر ما تحزن للآخرة يخرج همّ الدنيا من قلبك. وهذا اقتباس مما قاله علي كرّم الله وجهه

وآخرها فناء وفي حلالها حساب وفي حرامها عقاب من استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن، ومن ساعاها فاتته، ومن قعد عنها واتته، ومن أبصر بها بصرته، ومن أبصر إليها أعمته. **(وقيل له ذلك مرة أخرى)** أي سؤال وصف الدنيا **(فقال: أطول أم أقصر ؟ فقيل: قصر، فقال: حلالها حساب، وحرامها عذاب)** أخرجه أيضاً ابن أبي الدنيا وسيأتي ذلك في المرفوع. **(وقال مالك بن دينار)** البصري رحمه الله تعالى: **(اتقوا السحارة فإنها تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا)**. رواه صاحب الحلية من طريق سيار بن حاتم العنزي بن سلمة البصري، عن جعفر بن سليمان، عن مالك بن دينار. وفي ترجمة مالك بن دينار: اتقوا السحارة مرة واحدة، وفي ترجمة جعفر بن سليمان عن مالك مرتين اهـ.

(وقال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى: **(إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تزاحمها)** للؤمها، **(فإذا كانت الدنيا في القلب لم تزاحمها الآخرة)** لكرمها **(لأن الآخرة كريمة والدنيا لئيمة)** نقله صاحب القوت. وقال: معناه أن يسير الدنيا يخرج كثير الآخرة وكثير من شأن الآخرة لا يخرج يسيراً من الدنيا، وأن كثيراً من أمر الآخرة قد يزيله قليل من أمر الدنيا وأن قليلاً من أمر الدنيا قد لا يزيله الكثير من أمر الآخرة هذا العزة شأن الآخرة وقلة النصيب منها وللؤم شأن الدنيا ودناءتها وكثرة النصيب منها وعظم البلوى بها. قال المصنف: **(وهذا تشديد عظيم ونرجو أن يكون ما ذكره سيار بن الحكم)** كذا في النسخ كلها والصواب سيار أبو الحكم العنزي الواسطي البصري وهو سيار بن أبي سيار واسمه وردان، وقيل: ورد، وقيل دنيار يقال: إنه أخو شاور الوراق لأمه. قال أحمد: صدوق ثقة ثبت في كل المشايخ، وقال ابن معين والنسائي: ثقة. وقال الحافظ ابن حجر: وليس هو الذي يروي عن طارق بن شهاب مات سنة ١٢٢ روي له الجماعة. **(أصح إذ قال: الدنيا والآخرة يجتمعان في القلب فأيها غلب كان الآخر تبعاً له)** أي فالحكم للغالب وهذا لا يمنع مزاحمة الدنيا مع الآخرة **(وقال مالك بن دينار)** البصري رحمه الله تعالى: **(بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك، وبقدر ما تحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك)** نقله صاحب القوت. **(وهذا اقتباس مما قاله علي**

حيث قال: الدنيا والآخرة ضرتان، فبقدر ما ترضي إحداهما تسخط الأخرى. وقال الحسن: والله لقد أدركت أقواماً كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذي تمشون عليه، ما يبالون أشرقت الدنيا أم غربت، ذهبت إلى ذا أو ذهبت إلى ذا؟ وقال رجل للحسن: ما تقول في رجل آتاه الله مالاً فهو يتصدق منه ويصل منه، أيحسن له أن يتعيش فيه؟ ـ يعني يتنعم ـ فقال: لا، لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها إلا الكفاف ويقدم ذلك ليوم فقره. وقال الفضيل: لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت عليَّ حلالاً لا أحاسب عليها في الآخرة لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مرَّ بها أن تصيب ثوبه. وقيل: لما قدم عمر رضي الله عنه الشام فاستقبله أبو عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة بحبل، فسلّـم وسأله، ثم أتى منزله فلم يرَ فيه إلا سيفه وترسه ورحله، فقال له عمر رضي الله عنه: لو اتخذت متاعاً؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن هذا يبلغنا المقيل. وقال

رضي الله عنه حيث قال) في تشبيه الدنيا والآخرة **(الدنيا والآخرة ضرتان فبقدر ما ترضى إحداهما تسخط الأخرى)** وقد روي ذلك أيضاً من قول وهب بن منبه كما في الحلية، ومثله قول عون بن عبدالله المسعودي: الدنيا والآخرة في العبد ككفتي الميزان ترجح إحداهما فتخف الأخرى.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(والله لقد أدركت أقواماً كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذي يمشون عليه ما يبالون أشرقت الدنيا أم غربت ذهبت إلى ذا أم ذهبت إلى ذا)** نقله صاحب القوت، **(وقال رجل للحسن)** البصري. **(ما تقول في رجل آتاه الله مالاً فهو يتصدق منه ويصل منه ويحسن فيه أله أن يتعيش فيه، يعني التنعم. فقال: لا)** يجوز له. **(لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها إلا الكفاف ويقدم ذلك ليوم فقره)** نقله صاحب القوت بلفظ: سئل عن الرجل يوسع عليه في رزقه هل له أن يتسع في الشهوات. فقال: لا والله إذاً لو كانت له الدنيا لم يكن ينبغي أن يأخذ من ماله إلا للحاجة والكفاية من غير سرف ولا تبذير ويقدم فضول ذلك لآخرته ذخيرة له اهـ. والكفاف. هو ما يكف به نفسه فيما لا بدّ له منه، فهذا هو الذي لا يعد من الدنيا.

(وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى: **(لو أن الدنيا بحذافيرها)** أي بجملتها **(عرضت علي حلالاً لا أحاسب بها في الآخرة أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه)** أخرجه أبو نعيم في الحلية عن محمد بن جعفر بن يوسف، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إسماعيل بن يزيد، حدثنا إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت الفضيل يقول فذكره. **(وقيل: قدم عمر رضي الله عنه الشام)** قدمته الأولى **(فاستقبله أبو عبيده)** عامر **(بن الجراح)** رضي الله عنه **(على ناقة مخطومة بحبل)** أي خطامها من حبل الليف، **(فسلم)** عليه **(وسأله، ثم أتى منزله فلم ير فيه إلا سيفه وترسه ورحله، فقال له عمر رضي الله عنه: لو اتخذت**

سفيان: خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الآخرة لقلبك. وقال الحسن: والله لقد عبدت بنو إسرائيل الأصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم للدنيا. وقال وهب: قرأت في بعض الكتب، الدنيا غنيمة الأكياس وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها، فسألوا الرجعة فلم يرجعوا. وقال لقمان لابنه: يا بني إنك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الآخرة، فأنت إلى دار تقرب منها أقرب من دار تباعد عنها. وقال سعيد بن مسعود: إذا رأيت العبد تزداد دنياه وتنقص آخرته وهو به راض فذلك المغبون الذي

متاعاً؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن هذا يبلغنا المقيل) قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا عبدالله بن محمد، حدثنا محمد بن شبل، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو خالد الأحمر ح.

وحدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر قالا: حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه قال: دخل عمر بن الخطاب على أبي عبيدة بن الجراح، فإذا هو مضطجع على طنفسه رحله متوسداً لحقيبة فقال له عمر: إلا اتخذت ما اتخذ أصحابك؟ فقال: يا أمير المؤمنين هذا يبلغني المقيل. وقال معمر في حديثه: لما قدم عمر الشام تلقاه الناس وعظماء أهل الأرض، فقال عمر: أين أخي؟ قالوا: من؟ قال: أبو عبيدة قالوا: الآن يأتيك فلما أتاه نزل فاعتنقه ثم دخل عليه بيته فلم ير في بيته إلا سيفه وترسه ورحله ثم ذكر نحوه.

(وقال سفيان الثوري) رحمه الله تعالى: **(خذ من الدنيا لبدنك)** أي قدر ما تقيم به عمارة البدن لأداء ما كلفت به، **(وخذ من الآخرة لقلبك)** أخرجه ابن أبي الدنيا. **(وقال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى: **(والله لقد عبدت بنو إسرائيل الأصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم الدنيا)** أي بسبب حبهم لها، **(فأوقعتهم في الشرك)** نقله صاحب القوت. **(وقال وهب)** بن منبه اليماني رحمه الله تعالى: **(قرأت في بعض الكتب)** أي السماوية **(الدنيا غنيمة الأكياس)** أي العقلاء **(وغفلة الجهال لم يعرفوها)** لجهلهم بها، **(فسألوا الرجعة)** إليها **(فلم يرجعوا)** أخرجه أبو نعيم في الحلية. **(وقال لقمان لابنه)** وهو يعظه: **(يا بني إنك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها)** أي من بطن أمك، **(واستقبلت الآخرة فأنت إلى دار تقرب منها أقرب من دار تباعد عنها)** أخرجه ابن أبي الدنيا. **(وقال سعد بن مسعود: إذا رأيت العبد تزداد دنياه وتنقص آخرته وهو به راض فذلك المغبون الذي يلعب بوجهه)** وهو لا يشعر. سعد بن مسعود هذا لم أجد له ترجمة في رجال الحديث وهو هكذا في سائر نسخ الكتاب وفي الزهد والرقائق من مرسل سعيد بن أبي سعيد إذا رأيت كلما طلبت شيئاً من أمر الآخرة وابتغيته يسر عليك، وإذا طلبت شيئاً من أمر الدنيا وابتغيته عسر عليك فاعلم أنك على حال حسنة، وإذا رأيت كلما طلبت شيئاً من أمر الآخرة وابتغيته، عسر عليك، وإذا طلبت شيئاً من أمر الدنيا وابتغيته يسر لك فأنت على حال قبيحة.

يلعب بوجهه وهو لا يشعر . وقال عمرو بن العاص على المنبر : والله ما رأيت قوماً قط أرغب فيما كان رسول الله ﷺ يزهد فيه منكم ، والله ما مرّ رسول الله ﷺ ثلاث إلا والذي عليه أكثر من الذي له . وقال الحسن بعد أن تلا قوله تعالى : ﴿ فلا تغرنّكم الحياة الدنيا ﴾ [لقمان : ٣٣] من قال ذا ؟ قاله من خلقها ومن هو أعلم بها ، إياكم وما شغل من الدنيا فإن الدنيا كثيرة الأشغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب . وقال أيضاً : مسكين ابن آدم رضي بدار حلالها حساب وحرامها عذاب ، إن أخذه من حله حوسب به وإن أخذه من حرام عذب به ، ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله ، يفرح بمصيبته في دينه ويجزع من مصيبته في دنياه .

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز : سلام عليك أما بعد : فكأنك بآخر من كتب عليه الموت قد مات ، فأجابه عمر : سلام عليك كأنك بالدنيا ولم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل . وقال الفضيل بن عياض : الدخول في الدنيا هين ولكن الخروج منها شديد . وقال بعضهم : عجباً لمن يعرف أن الموت حق كيف يفرح ، وعجباً لمن يعرف أن النار حق كيف يضحك ، وعجباً لمن رأى تقلب الدنيا بأهلها كيف يطمئن إليها ؟ وعجباً لمن يعلم

(وقال عمرو بن العاص) رضي الله عنه **(على المنبر : والله ما رأيت قوماً قط أرغب فيما كان رسول الله ﷺ يزهد فيه منكم ، والله ما مر برسول الله ﷺ ثلاث إلا والذي عليه أكثر من الذي له)** . قال العراقي : رواه الحاكم وصححه ، ورواه أحمد وابن حبان بنحوه **(وقال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى : **(بعد أن تلا قوله تعالى : ﴿ فلا تغرنكم الحياة الدنيا)** ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ **(من قال ذا قاله من خلقها)** بقدرته **(من هو أعلم بها إياكم وما شغل)** عن الله **(من الدنيا فإن الدنيا كثيرة الإشغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب)** نقله صاحب القوت . **(وقال)** الحسن **(أيضاً : مسكين ابن آدم رضي بدار حلالها حساب وحرامها عذاب إن أخذه من حله حوسب بنعمته وإن أخذه من حرام عذب به)** نقله صاحب القوت ، وفيه أيضاً : مسكين **(ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمصيبته في دينه ويجزع من صيبته في دنياه)** .

(وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز) رحمهما الله تعالى **(سلام عليك أما بعد : فكأنك بآخر من كتب عليه الموت قد مات ، فأجابه عمر سلام عليك)** أما بعد : **(كأنك بالدنيا لم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل)** أخرجه أبو نعيم في الحلية وأعاده المصنف في كتاب ذم الجاه والرياء ، **(وقال الفضيل)** بن عياض رحمه الله تعالى : **(الدخول في الدنيا هين ولكن التخلص منها شديد)** أخرجه أبو نعيم في الحلية . **(وقال بعضهم : عجباً لمن يعرف أن الموت حق كيف يفرح ، وعجباً لمن يعمل أن النار حق كيف يضحك ، وعجباً لمن يرى تقلب**

أن القدر حق كيف ينصب ؟ وقدم على معاوية رضي الله عنه رجل من نجران عمره مائتا سنة فسأله عن الدنيا كيف وجدها ؟ فقال : سنيات بلاء وسنيات رخاء ، يوم فيوم وليلة فليلة يولد ولد ويهلك هالك ، فلولا المولود لباد الخلق ، ولولا الهالك ضاقت الدنيا بمن فيها ، فقال له : سل ما شئت ، قال : عمر مضى فترده أو أجل حضر فتدفعه ، قال : لا أملك ذلك . قال : لا حاجة لي إليك . وقال داود الطائي رحمه الله : يا ابن آدم فرحت ببلوغ أملك ، وإنما بلغته بانقضاء أجلك ثم سوّفت بعملك كان منفعته لغيرك . وقال بشر : من سأل الله الدنيا فإنما يسأله طول الوقوف بين يديه . وقال أبو حازم : ما في الدنيا شيء يسرك إلا وقد ألصق الله إليه شيئاً يسوءك . وقال الحسن : لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث : إنه لم يشبع مما جمع ، ولم يدرك ما أمل ، ولم يحسن الزاد لما يقدم عليه . وقيل لبعض العباد : قد نلت الغنى ، فقال : إنما نال الغنى من عتق من رق

الدنيا بأهلها كيف يطمئن إليها ، وعجباً لمن يعلم أن القدر) أي ما قدره الله **(حق)** كائن **(كيف ينصب)** أي يتعب ؟ وروى ابن عدي والبيهقي من حديث ابن مسعود : عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه ، وعجبت لغافل وليس بمغفول عنه ، وعجبت لضاحك ملء فيه ولا يدري أرضي عنه أم سخط .

(وقدم على معاوية) رضي الله عنه في أيام ولايته **(رجل من نجران)** بلد من بلاد همدان باليمن . قال البكري : سمي باسم أبيها نجران بن زيد بن يشجب ابن يعرب بن قحطان **(عمره مائتا سنة ، فسأله عن الدنيا كيف وجدها ؟ فقال : سنيات بلاء وسنيات رخاء)** جمع سنية تصغير سنة **(يوم فيوم وليلة فليلة يولد ولد ويهلك هالك . فلولا المولود لباد الخلق أي فني ، ولولا الهالك ضاقت الدنيا بمن فيها قال له : سل ما شئت ! قال : عمر)** قد **(مضى فترده)** عليَّ **(وأجل حضر فتدفعه)** عني ؟ **(قال)** معاوية **(لا أملك ذلك . قال : لا حاجة لي إليك)** أخرجه ابن أبي الدنيا . **(وقال داود)** بن نصير **(الطائي)** رحمه الله تعالى : **(يا ابن آدم فرحت ببلوغ أملك وإنما بلغته بانقضاء أجلك ثم سوفت بعملك كان منفعته لغيرك)** أخرجه أبو نعيم في الحلية **(وقال بشر)** بن الحرث **(الحافي)** رحمه الله تعالى : **(من سأل الله الدنيا فإنما يسأله طول الوقوف بين يديه)** نقله صاحب القوت أي لطول حسابه إن كانت حلالاً أو حراماً . **(وقال أبو حازم)** سلمة بن دينار الأعرج : **(ما في الدنيا شيء يسرك إلا وقد ألزق إليه شيء يسوءك)** رواه أبو نعيم في الحلية من طريق ابن مطرف عنه بلفظ : ما يسوءك **(وقال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى **(لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث : إنه لم يشبع مما جمع)** منها من متاعها ، **(ولم يدرك ما أمل)** أي منتهى أمله ، **(ولم يحسن الزاد لما قدم إليه)** نقله صاحب القوت . **(وقيل لبعض العباد : قد نلت الغنى . فقال : إنما نال الغنى من عتق من**

الدنيا. وقال أبو سليمان: لا يصبر عن شهوات الدنيا إلا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة. وقال مالك بن دينار: اصطلحنا على حب الدنيا فلا يأمر بعضنا بعضاً ولا ينهي بعضنا بعضاً، ولا يدعنا الله على هذا، فليت شعري أي عذاب الله ينزل علينا؟ وقال أبو حازم: يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة. وقال الحسن: أهينوا الدنيا فوالله ما هي لأحد بأهنأ منها لمن أهانها. وقال أيضاً: إذا أراد الله بعبد خيراً أعطاه من الدنيا عطية ثم يمسك، فإذا نفد أعاد عليه، وإذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطاً. وكان بعضهم يقول في دعائه: يا ممسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنك أمسك الدنيا عني. وقال محمد بن المنكدر: أرأيت لو أن رجلاً صام الدهر لا يفطر، وقام الليل لا ينام، وتصدق بماله وجاهد في سبيل الله واجتنب محارم الله غير أنه يؤتى به يوم القيامة فيقال: إن هذا عظم في عينه ما صغره الله وصغر في عينه ما عظمه الله كيف ترى يكون حاله،

رق الدنيا) أخرجه ابن أبي الدنيا. **(وقال أبو سليمان)** الداراني رحمه الله تعالى: **(لا يصبر عن شهوات الدنيا إلا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة)** نقله صاحب القوت **(وقال مالك بن دينار)** البصري رحمه الله تعالى: **(اصطلحنا على حب الدنيا فلا يأمر بعضنا بعضاً ولا ينهى بعضنا بعضاً ولا يدعنا الله على هذا، فليت شعري أي عذاب الله ينزل علينا)**! رواه أبو نعيم في الحلية عن محمد بن علي بن حبيش عن أحمد بن يحيى، عن يحيى بن معين، عن سعيد بن عامر عن جعفر بن سليمان عنه. **(وقال أبو حازم)** سلمة بن دينار الأعرج رحمه الله تعالى: **(يسير الدنيا)** أي قليلها **(يشغل عن كثير الآخرة)** وإنك تجد الرجل نفسه بهم غيره حتى لهو أشد اهتماماً من صاحب الهم بهم نفسه هكذا رواه صاحب الحلية بتلك الزيادة من طريق عتيبة بن سعيد عن يعقوب بن عبد الرحمن عنه. **(وقال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى: **(أهينوا الدنيا فوالله ما هي لأحد باهنأ منها لمن أهانها)** نقله صاحب القوت بلفظ فوالله لا هنأ ما تكون حين تهينها. **(وقال أيضاً إذا أراد الله بعبد خيراً أعطى له عطية ثم يمسك فإذا نفد أعاد عليه، وإذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطاً)** وكان يحلف بالله ما أعز عبد الدنيا إلا أذل دينه، وما أعز عبد دينه إلا هانت عليه الدنيا، وبعضهم يقول: من أكرم الدنيا أهانته غدراً ومن أهانها اليوم أكرمته غداً. **(وكان بعضهم يدعو)** أي يقول في دعائه: **(يا ممسك السماء أن تقع على الأرض أمسك الدنيا عني)** وهذا خاف الافتتان على نفسه منها فطلب الإمساك عنها. **(وقال)** أبو عبدالله **(محمد بن المنكدر)** بن عبدالله بن الهدير التيمي القرشي المدني ابن خال عائشة الصديقية رضي الله عنها: **(أرأيت أن رجلاً صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا يفتر)** أي لا يكسل **(وتصدق بماله وجاهد في سبيل الله واجتنب محارم الله غير أنه يؤتى به يوم القيامة فيقال: أما أن هذا عظم في عينه ما صغره الله وصغر في عينه ما عظمه الله كيف ترى**

فمن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة عنده مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا ؟ وقال أبو حازم : اشتدت مؤنة الدنيا والآخرة ، فأما مؤنة الآخرة فإنك لا تجد عليها أعواناً ، وأما مؤنة الدنيا فإنك لا تضرب بيدك إلى شيء منها إلا وجدت فاجراً قد سبقك إليه . وقال أبو هريرة : الدنيا موقوفة بين السماء والأرض كالشن البالي تنادي ربها منذ خلقها إلى يوم يفنيها : يا رب يا رب لم تبغضني ؟ فيقول لها : اسكتي يا لا شيء . وقال عبدالله بن المبارك : حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته ، فمتى يصل الخير إليه ؟ وقال وهب بن منبه : من فرح قلبه بشيء من الدنيا فقد أخطأ الحكمة ، ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ، ومن غلب علمه هواه فهو الغالب . وقيل لبشر : مات فلان . فقال : جمع الدنيا وذهب إلى الآخرة ضيع نفسه قيل له : إنه كان يفعل ويفعل

يكون حاله فمن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة عنده مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا) نقله صاحب القوت **(وقال أبو حازم)** سلمة بن دينار رحمه الله تعالى : **(اشتدت مؤنة الدنيا والآخرة فأما مؤنة الآخرة فإنك لا تجد عليها أعواناً ، وأما مؤنة الدنيا فإنك لا تضرب بيدك إلى شيء منها إلا وجدت فاجراً قد سبقك إليه)** . قال أبو نعيم في الحلية : حدثنا أبو حامد بن جبلة ، حدثنا محمد بن إسحاق ، وحدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا سفيان قال : قال أبو حازم : اشتدت مؤنة الدنيا والدين . قالوا : يا أبا حازم هذا الدين فكيف الدنيا ؟ قال : لأنك لا تمد يدك إلى شيء إلا وجدت فاجراً قد سبقك إليه . **(وقال أبو هريرة)** رضي الله عنه : **(الدنيا موقوفة بين السماء والأرض كالشن البالي)** أي القربة المتخرقة **(تنادى ربها منذ خلقها إلى يوم يفنيها يا رب لم تبغضني لم تمقتني ؟ فيقول لها : اسكتي يا لا شيء اسكتي يا لا شيء)** تقدم في أول الباب . **(وقال عبدالله بن المبارك)** رحمه الله تعالى : **(حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته)** أي استولت عليه وسدت عليه طريق الخير ، **(فمتى يصل الخير إليه)** أخرجه أبو نعيم في الحلية **(وقال وهب بن منبه)** رحمه الله تعالى : **(من فرح قلبه بشيء من الدنيا فقد أخطأ الحكمة ، ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ، ومن غلب علمه هواه فهو الغالب)** رواه أبو نعيم في الحلية عن حبيب بن الحسن حدثنا أبو شعيب الحراني حدثنا جدي أحمد بن أبي شعيب ، حدثنا القشيري ، عن محمد بن زياد ، عن وهب قال : من جعل شهوته تحت قدميه فزع الشيطان من ظله ، ومن غلب علمه هواه فذلك العالم الغلاب . ومن طريق جعفر بن سليمان قال : سمعت مالك بن دينار يقول : من غلب شهوة الدنيا فذاك الذي يفرق الشيطان من ظله .

(قيل لبشر بن الحرث) الحافي رحمه الله تعالى : **(مات فلان . فقال : جمع الدنيا وذهب إلى الآخرة ضيع نفسه . قيل : إنه كان يفعل ويفعل وذكروا أبواباً من البر ، فقال)** بشر : **(وما**

ـ وذكروا أبواباً من البر ـ فقال: وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا؟ وقال بعضهم: الدنيا تبغض إلينا نفسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت إلينا؟ وقيل لحكيم: الدنيا لمن هي؟ قال: لمن تركها. فقيل: الآخرة لمن هي؟ قال: لمن طلبها. وقال حكيم: الدنيا دار خراب وأخرب منها قلب من يعمرها، والجنة دار عمران وأعمر منها قلب من يطلبها. وقال الجنيد: كان الشافعي رحمه الله من المؤيدين الناطقين بلسان الحق في الدنيا وعظ أخاً له في الله وخوّفه بالله فقال: يا أخي إن الدنيا دحض مزلة ودار مذلة، عمرانها إلى الخراب صائر، وساكنها إلى القبور زائر، شملها على الفرقة موقوف، وغناها إلى الفقر مصروف، الإكثار فيها إعسار، والإعسار فيها يسار، فافزع إلى الله وارض برزق الله لا تتسلف من دار بقائك في دار فنائك، فإن عيشك فيء زائل وجدار مائل، أكثر من عملك واقصر من أملك. وقال ابراهيم بن أدهم لرجل: أدرهم في المنام أحب إليك أم دينار في اليقظة؟ فقال: دينار في اليقظة فقال: كذبت، لأن الذي تحبه في الدنيا كأنك

ينفع هذا وهو يجمع الدنيا)؟ نقله صاحب القوت. **(وقال بعضهم: الدنياتبغض إلينا نفسها ونحن نحبها)** مع ذلك، **(فكيف لو تحببت إلينا:)** أخرجه ابن أبي الدنيا. **(وقيل لحكيم: الدنيا لمن هي؟ قال: لم نركها؛ فقيل: الآخرة لمن هي؟ فقال: لمن طلبها)** وفي ذلك قيل:

كل من لاقيت يشكو حاله ... ليت شعري هذه الدنيا لمن
هذه الدنيا لمن طلقها ... ورضي منها بقوت وكفن

(وقال حكيم: الدنيا دار خراب وأخرب منها قلب من يعمرها، والجنة دار عمران وأعمر منها قلب من يطلبها). أخرجه ابن أبي الدنيا. **(وقال)** أبو القاسم **(الجنيد)** بن محمد البغدادي قدّس سره: **(كان الشافعي)** رحمه الله تعالى **(من المؤيدين الناطقين بلسان الحق في الدين)** يروى أنه **(وعظ أخاً له في الله)** أي في ذات الله عز وجل **(وخوّفه في الله فقال: يا أخي إن الدنيا دحض مزلة)** الدحض هو الذي تزلق فيه الأقدام ولا تثبت، والمزلة بمعناه، **(ودار مذلة)** أي دار هوان وذل. **(عمرانها إلى الخراب صائر)** أي راجع، **(وساكنها إلى القبور زائر)** أي عما قريب يزور القبور ويسكنها. **(شملها)** أي جمعها **(على الفرقة)** أي الافتراق **(موقوف، وعناها)** أي تعبها **(إلى الفقر مصروف، الإكثار فيها إعسار)** أي فقر، **(والاعسار منها يسار)** أي غنى، **(فافزع إلى الله)** أي الجأ إليه، **(وارض برزق الله)** مما قدره لك في الأزل. **(لا تستلف أي لا تستقرض (من دار بقائك)** من الآخرة **(في دار فنائك)** من الدنيا، **(فإن عيشك فيء زائل)** أي ظل يزول قريباً **(وجدار مائل)** لا يعتمد، **(أكثر من عملك)** الصالح **(واقصر من أملك. وقال إبراهيم بن أدهم)** رحمه الله تعالى: **(لرجل: أدرهم في المنام أحب إليك أم دينار في اليقظة؟ فقال: دينار في اليقظة فقال: كذبت لأن الذي تحبه في الدنيا كأنك تحبه في المنام، والذي تحبه من الآخرة كأنك لا تحبه**

تحبه في المنام، والذي لا تحبه في الآخرة كأنك لا تحبه في اليقظة. وعن إسماعيل بن عياش قال: كان أصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون إليك عنا يا خنزيرة، فلو وجدوا لها إسماً أقبح من هذا لسموها به. وقال كعب: لتحبن إليكم الدنيا حتى تعبدوها وأهلها. وقال يحي بن معاذ الرازي رحمه الله: العقلاء ثلاثة، من ترك الدنيا قبل أن تتركه، وبنى قبره قبل أن يدخله، وأرضى خالقه قبل أن يلقاه. وقال أيضاً: الدنيا بلغ من شؤمها أن تمنيك لها يلهيك عن طاعة الله، فكيف الوقوع فيها؟ وقال بكر بن عبدالله: من أراد أن يستغني عن الدنيا بالدنيا كان كمطفيء النار بالتبن. وقال بندار: إذا رأيت أبناء الدنيا يتكلمون في الزهد فاعلم أنهم في سخرة الشيطان. وقال أيضاً: من أقبل على الدنيا أحرقته

في اليقظة) أخرجه أبو نعيم في الحلية. **(وعن إسماعيل بن عياش)** بن سليم العنسي بالنون الحمصي يكنى أبا عتبة صدوق في روايته عن الشاميين مخلط في غيرهم، مات سنة إحدى وثمانين عن بضع وتسعين سنة، روى له البخاري في كتاب رفع اليدين له والأربعة **(قال: كان أصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون: إليك عنا يا خنزيرة، فلو وجدوا لها إسماً أقبح من هذا لسموها به)** ولفظ القوت، وقال أبو راشد التنوخي: سمعت أصحابنا إذا أقبلت إلى أحدهم الدنيا قالوا إليك إليك يا خنزيرة استأخري عنا لا حاجة لنافيك. إنا نعرف إلهنا اهـ.

وقد أورده صاحب القوت في أوائل شرح مقام الزهد عن يزيد بن ميسرة وهو الصواب. قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثنا داود بن عمر والضبي، سمعت إسماعيل بن عياش، حدثني أبو راشد التنوخي، عن يزيد بن ميسرة قال: كان أشياخنا يسمون الدنيا الدنية، ولو وجدوا اسماً شراً منه لسموها به، وكانوا إذا أقبلت إلى أحدهم دنيا قالوا إليك إليك عنا يا خنزيرة لا حاجة لنا بك إنا نعرف الهنا.

(وقال يحي بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى: **(العقلاء ثلاثة: من ترك الدنيا قبل أن تتركه، ومن بني قبره قبل أن يدخله، ومن أرضى خالقه قبل أن يلقاه)** أخرجه أبو نعيم في الحلية. **(وقال أيضاً إن الدنيا بلغ من شؤمها أن تمنيك بما يلهيك عن طاعة الله، فكيف الوقوع فيها)** أخرجه كذلك في الحلية. **(وقال بكر بن عبد الله)** المزني التابعي الثقة: **(من أراد أن يستغني عن الدنيا بالدنيا كان كمطفيء النار بالتبن)** أخرجه ابن أبي الدنيا. **(وقال)** أبو الحسين **(بندار)** بن الحسين الشيرازي صحب الشبلي مات بأرجان سنة ٣٥٣: **(إذا رأيت أبناء الدنيا يتكلمون في الزهد فاعلم أنهم في سخرة الشيطان)** يعني لا يتكلم في الزهد إلا من كان زاهداً حتى يكون لكلامه التأثير، ولذلك لما خطب بشر بن مروان على منبر الكوفة قال: رافع بن خديج: انظروا أميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق فقلت: وما كان عليه؟ قال: ثياب رقاق. ولما جاء عبدالله بن عامر القرشي إلى أبي ذر رضي الله عنه في بزته وجعل يتكلم في

نيرانها - يعني الحرص - حتى يصير رماداً؛ ومن أقبل على الآخرة صفته بنيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع به، ومن أقبل على الله عز وجل أحرقته نيران التوحيد فصار جوهراً لا حدّ لقيمته، وقال علي كرّم الله وجهه: إنما الدنيا ستة أشياء، مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم، فأشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب، وأشرف المشروبات الماء ويستوي فيه البر والفاجر، وأشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة، وأشرف المركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال، وأشرف المنكوحات المرأة وهي مبال في مبال، وإن المرأة لتزين أحسن شيء منها ويراد أقبح شيء منها، وأشرف المشمومات المسك وهو دم.

الزهد وضع أبو ذر راحته على فيه وجعل يضرط به، فغضب ابن عامر فأتى ابن عمر فشكا إليه وقال: ألم تر ما لقيت من أبي ذر؟ قال: وما ذاك؟ قال: جعلت أقول في الزهد فأخذ يهزأ بي، فقال ابن عمر: أنت صنعت بنفسك تأتي أبا ذر في هذه البزة وتتكلم في الزهد. **(وقال)** بندار **(أيضاً: من أقبل على الدنيا أحرقته نيرانها يعني الحرص حتى يصير رماداً، ومن أقبل على الآخرة صفته نيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع به، ومن أقبل على الله عز وجل أحرقته نيران التوحيد فصار جوهراً لا حدّ لقيمته)** أخرجه أبو نعيم في الحلية. **(وقال علي رضي الله عنه: إنما الدنيا ستة أشياء: مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم، فاشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب)** أي ما تلقيه النحل بفيها، **(وأشرف المشروبات الماء يستوي فيه البر والفاجر، وأشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة، وأشرف المركوبات الفرس عليه تقتل الرجال، وأشرف المنكوحات المرأة وهي مبال في مبال)** أي ظرف بول في ظرف بول. **(والله إن المرأة لتزين أحسن شيء منها ويراد أقبح شيء منها، وأفضل المشمومات المسك وهو دم الغزال)**.

قال أبو القاسم الراغب في كتاب الذريعة: جميع اللذات تنقسم عشرة أقسام: مأكل ومشرب وملبس ومشم ومسمع ومبصر ومركب وخادم ومرفق من الآلات وما يشبهها. وقد جعل ذلك سبعة، وأدخل الخادم والمركب والمرفق وما يجري مجرى ذلك في جملة المبصرات، وعلى ذلك ما روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث قال لعمار بن ياسر وقد رآه يتنفس: يا عمار على ماذا تنفسك إن كان على الآخرة فقد ربحت، وإن كان على الدنيا فقد خسرت صفقتك، فإني قد وجدت لذاتها سبعة المأكولات والمشروبات والمنكوحات والملبوسات والمشمومات والمسموعات والمبصرات، فأما المأكولات فأفضلها العسل وهو ضعة ذباب، وأما المشروبات فأفضلها الماء وهو مباح أهون موجود وأعز مفقود، وأما المنكوحات فمبال في مبال، وحسبك أن المرأة تزين أحسن شيء فيها ويراد أقبح شيء فيها، وأما الملبوسات فأفضلها الديباج وهو نسج دودة، وأما المشمومات فأفضلها المسك وهو دم فأرة، وأما المسموعات فريح هابة في

بيان المواعظ في ذم الدنيا وصفتها:

قال بعضهم: يا أيها الناس اعملوا على مهل، وكونوا من الله على وجل، ولا تغتروا بالأمل ونسيان الأجل، ولا تركنوا إلى الدنيا فإنها غدّارة خدّاعة، قد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم بأمانيها، وتزينت لخطابها فأصبحت كالعروس المجلية، العيون إليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة، فكم من عاشق لها قتلت، ومطمئن إليها خذلت، فانظروا إليها بعين الحقيقة فإنها دار كثير بوائقها وذمها خالقها، جديدها يبلى، وملكها يفنى، وعزيزها يذل، وكثيرها يقل، وحيها يموت، وخيرها يفوت، فاستيقظوا رحمكم الله من غفلتكم، وانتبهوا من رقدتكم قبل أن يقال فلان عليل أو مدنف. فقيل؛ فهل على الدواء من دليل، أو هل إلى الطبيب من سبيل؟ فتدعى لك الأطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال: فلان أوصى ولماله أحصى، ثم يقال قد ثقل لسانه

الهواء، وأما المبصرات فخيالات صائرات إلى الفناء. قال الراغب: وقد ذكر الله تعالى أصل ذلك في قوله: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين﴾ [آل عمران: ١٤] الآية فالمشار إليه بحرث الدنيا إلى هذه الأشياء السبعة على ما ذكره علي رضي الله عنه، والعشرة على ما ذكره غيره، وكلا القولين في التحصيل واحد.

بيان المواعظ في ذم الدنيا وصفتها:

(قال بعضهم) في موعظته: **(يا أيها الناس اعملوا على مهل)** أي في مهلة من عمركم، **(وكونوا من الله)** علا وجلّ **(على وجل)** أي خوف منه، ولله در من قال:

كن من مواهب ذا الكريم ... علا وجل على وجل
واعلم بأن قضاءه ... حتم أجل وله أجل

(ولا تغتروا بالأمل ونسيان الأجل، ولا تركنوا إلى الدنيا فإنها غدّارة) كثيرة الغدر **(خدّاعة)** كثيرة الخداع، **(وقد تزخرفت لكم بغرورها، وفتنتكم بأمانيها، وتزينت لخطّابها، فأصبحت كالعروس المجلية)** عند إهدائها لزوجها، **(العيون إليها ناظرة، والقلوب عليها عاكفة)** أي مقيمة محبوسة، **(والنفوس لها عاشقة، فكم من عاشق لها قتلت ومطمئن إليها خذلت، فانظروا إليها بعين الحقيقة فإنها دار كثرت بوائقها)** أي دواهيها، **(وذمها خالقها)** فهو أعرف بها منا. **(جديدها يبلى، وملكها يفنى، وعزيزها يذل، وكثيرها يقل، وحيها يموت، وخيرها يفوت)** أي لا يستمر، **(فاستيقظوا من غفلتكم، وانتبهوا من رقدتكم قبل أن يقال فلان عليل)** أي مريض **(أو مدنف)** كمكرم من لازمه الدنف محركة أي المرض وقد دنف كعلم وأدنف وأدنفه المرض. **(فقيل: فهل على الدواء من دليل، وهل إلى الطبيب من سبيل؟ فيدعى لك الأطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال: فلان**

فما يكلم إخوانه ولا يعرف جيرانه، وعرق عند ذلك جبينك، وتتابع أنينك، وثبت يقينك، وطمحت جفونك، وصدقت ظنونك. وتلجلج لسانك، وبكى إخوانك، وقيل لك هذا ابنك فلان، وهذا أخوك فلان ومنعت من الكلام فلا تنطق، وختم على لسانك فلا ينطلق، ثم حل بك القضاء وانتزعت نفسك من الأعضاء، ثم عرج بها إلى السماء، فاجتمع عند ذلك إخوانك وأحضرت أكفانك، فغسلوك وكفنوك، فانقطع عوّادك واستراح حسادك، وانصرف أهلك إلى مالك، وبقيت مرتهناً بأعمالك. وقال بعضهم لبعض الملوك: إن أحق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها وأعطى حاجته منها، لأنه يتوقع آفة تعدو على ماله فتجتاحه أو على جمعه فتفرقه، أو تأتي سلطانه فتهدمه من القواعد، أو تدب إلى جسمه فتسقمه، أو تفجعه بشيء هو ضنين به بين أحبابه، فالدنيا

أوصى) بكذا وكذا **(ولما له أحصى)** أي ضبط، **(ثم يقال: قد ثقل لسانه فما يكلم إخوانه ولا يعرف جيرانه، وعرق عند ذلك جبينك وتتابع أنينك)** وهو صوت المريض وتتابعه تعاقبه، **(وثبت يقينك، وطمحت جفونك، وصدقت ظنونك، وتلجلجل لسانك، وبكى إخوانك، وقيل لك هذا ابنك فلان، وهذا أخوك فلان، ومنعت الكلام فلا تنطق)** لشدة ما نزل بك، **(وختم على لسانك فلا ينطلق ثم حل به القضاء)** المحتوم **(وانتزعت نفسك من الاعضاء، ثم عرج بها إلى السماء، فاجتمع عند ذلك إخوانك وأحضرت اكفانك، فغسلوك وكفنوك، فانقطع عوّادك)** الذين كانوا يعودونك أيام المرض **(واستراح حسادك، وانصرف أهلك إلى مالك وبقيت مرتهناً)** أي محبوساً **(بأعمالك)** إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

وفي كلام علي رضي الله عنه في أثناء خطبته: بينا هو يضحك إلى الدنيا وتضحك إليه في ظل عيش غفول إذ وطأ الدهر به حسكه، ونقصت الأيام قواه، ونظرت إليه الحقوق من كثف، فخالطه من لا يعرفه، ومحاه منهم ما كان يجده، وتولدت فيه فترات علل إنسي ما كان بصحته، ففزع إلى ما عوّده الأطباء من تسكين الحار القار وتحريك البارد بالحار، فلم يطفىء ببارد إلا ثور حرارة، ولا حرّك بحار إلا هيج برودة ولا اعتدل بممازج لتلك الطبائع إلا أمدّ منها كل ذات داء، حتى فتر معلله وزهد ممرضه وتعايا أهله بصفة دائه، وخرسوا عن جواب السائلين عنه، وتنازع دونه شبحا خير يكتمونه، فقائل هو لما به وممن لهم إياب عاقبته ومصير لهم على فقره يذكر لهم أسى الماضين من قبله، فبينما هو كذلك على جناح من اف الدنيا وترك الاحبة إذ عارض.

(وقال بعضهم لبعض الملوك: إن أحق الناس بذم الدنيا وقلاها) أي بغضها **(من بسط له فيها وأعطي حاجته منها، لأنه يتوقع آفة تعدو على ماله فتجتاحه)** أي تستأصله بالهلاك **(أو على جمعه فتفرقه، أو تأتي سلطانه فتهدمه من القواعد)** فلا يثبت له سلطانه، **(أو تدب إلى جنبه فتسقمه)** أي تمرضه، **(أو تفجعه بشيء هو ضنين به)** أي بخيل **(من أحبابه،**

أحق بالذم، وهي الآخذة ما تعطي، الراجعة فيما تهب، بينا هي تضحك صاحبها إذ أضحكت منه غيره، وبينا هي تبكي له إذ أبكت عليه، وبينا هي تبسط كفه بالإعطاء إذ بسطتها بالإسترداد، فتعقد التاج على رأس صاحبها اليوم وتعفره بالتراب غداً، سواء عليها ذهاب ما ذهب وبقاء ما بقي، تجد في الباقي من الذاهب خلفاً، وترضى بكل من كل بدلاً.

وكتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز: أما بعد، فإن الدنيا دار ظعن ليست بدار إقامة، وإنما أنزل آدم عليه السلام من الجنة إليها عقوبة، فاحذرها يا أمير المؤمنين فإن الزاد منها تركها. والغنى منها فقرها. لها في كل حين قتيل. تذل من أعزها. وتفقر من جمعها. هي كالسم يأكله من لا يعرفه وفيه حتفه. فكن فيها كالمداوي جراحه يحتمي قليلاً مخافة ما يكره طويلاً. ويصبر على شدة الدواء مخافة طول الداء. فاحذر هذه الدار الغدارة الختالة الخداعة التي قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها وخلت بآمالها وسوفت بخطابها. فأصبحت كالعروس المجلية، العيون إليها ناظرة والقلوب عليها والهة،

فالدنيا أحق بالذم، هي الآخذة ما تعطي، الراجعة فيما تهب، **بينا هي تضحك صاحبها إذا أضحكت منه غيره، وبينا هي تبكي له إذا أبكت عليه، وبينا هي تبسط كفه بالإعطاء إذ بسطتها بالاسترداد، تعقد التاج على رأس صاحبها اليوم وتعفره في التراب غداً)** أي بعد أن تجعله رئيساً مملكاً إذا هو معفر تحت التراب **(سواء عليه ذهاب ما ذهب وبقاء ما بقي، تجد في الباقي من الذاهب خلفاً، وترضى من كل بدلاً)** فمن هذا وصفه فهو حري بأن يقلى ويذم. أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا هكذا.

(وكتب الحسن) البصري رحمه الله تعالى **(إلى عمر بن عبد العزيز)** رحمه الله تعالى يعظه في كتابه حين ولي الخلافة: **(أما بعد؛ فإن الدنيا دار ظعن)** أي سفر **(ليست بدار إقامة، وإنما أنزل آدم عليه السلام إليها عقوبة)** لما صدر منه **(من مخالفة الأمر)** وفي الحلية في ترجمة الفضل قال: ليست الدار دار إقامة، وإنما أهبط آدم إليها عقوبة. ألا ترى كيف يزويها عنه ويمررها عليه، **(فاحذرها يا أمير المؤمنين فإن الزاد منها تركها. والغنى منها فقرها. لها في كل حين قتيل. تذل من أعزها. وتفقر من جمعها. هي كالسم يأكله من لا يعرفه وهو حتفه)** أي موته. **(فكن فيها كالمداوي جراحته يحتمي قليلاً مخافة ما يكره طويلاً. ويصبر على شدة الدواء مخافة طول البلاء. فاحذر هذه الدار الغدارة الختالة)** أي الكثيرة الختل **(الخداعة التي قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها وخلت بآمالها وتشوّفت لخطابها)** وفي نسخة: سوّفت بخطابها. **(فأصبحت كالعروس المجلية المزينة، فالعيون إليها ناظرة**

والنفوس لها عاشقة وهي لأزواجها كلهم قالية. فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الآخر بالأوّل مزدجر. ولا العارف بالله عز وجل حين أخبره عنها مدكر. فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسي المعاد فشغل فيها لبه حتى زلت به قدمه، فعظمت ندامته وكثرت حسرته، واجتمعت عليه سكرات الموت بألمه وحسرات الفوت بغصته. وراغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يروّح نفسه من التعب، فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد، فاحذرها يا أمير المؤمنين وكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون لها، فإن صاحب الدنيا كلما إطمأن منها إلى سرور أشخصته إلى مكروه، السار في أهلها غار، والنافع فيها غداً ضار، وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها إلى فناء، فسرورها مشوب بالأحزان لا يرجع منها ما ولى وأدبر، ولا يدري ما هو آت فينتظر. أمانيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر، وعيشها نكد وابن آدم فيها على خطر، إن عقل ونظر فهو من النعماء على خطر ومن البلاء على حذر، فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبراً ولم يضرب لها مثلاً لكانت الدنيا قد أيقظت النائم ونبهت الغافل، فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ؟ فما لها عند الله جل ثناؤه قدر وما نظر إليها منذ خلقها، ولقد عرضت على نبيك ﷺ بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه ذلك عند الله

والقلوب عليها والهة، والنفوس لها عاشقة وهي لأزواجها كلهم قاتلة) وفي نسخة: قالية أي باغضة. **(فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الآخر بالأوّل مزدجر. ولا العارف بالله عز وجل حين أخبره عنها مدكر. فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسي المعاد، فشغل فيها عن الله حتى زلت قدمه، فعظمت ندامته وكثرت حسرته، واجتمعت عليه سكرات الموت بألمه وحسرات الفوت بغصته. ومن راغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يروّح نفسه من التعب، فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد، فأحذرها يا أمير المؤمنين وكن أسرّ ما تكون فيها أحذر ما تكون لها، فإن صاحب الدنيا كلما اطمأن فيها إلى سرور أشخصته إلى مكروه)** أي أصدرته ورفعته **(السار في أهلها غار)** أي مغرور **(والنافع فيها غداً ضار، وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها إلى فناء، فسرورها مشوب)** أي مخلوط **(بالأحزان لا يرجع منها ما ولى وأدبر، ولا يدري ما هو آت فينتظر. أمانيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر، وعيشها نكد، وابن آدم فيها على خطر ومن البلاء على حذر، فلو كان الخالق)** تعالى **(لم يخبر عنها خبراً ولم يضرب لها مثلاً لكانت الدنيا قد أيقظت النائم ونبهت الغافل، فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ؟ فما لها عند الله [جلّ ثناؤه] قدر)** أي قيمة **(وما نظر إليها منذ خلقها)** نظر رضا كما ورد ذلك في الخبر وتقدم، **(وقد عرضت على نبيك ﷺ بمفاتحها وخزائنها لا ينقص ذلك عند**

جناح بعوضة فأبى أن يقبلها . إذ كره أن يخالف على الله أمره أو يحب ما أبغضه خالقه أو يرفع ما وضع مليكه . فزواها عن الصالحين إختباراً وبسطها لأعدائه اغتراراً ، فيظن المغرور بها المقتدر عليها أنه أكرم بها ، ونسي ما صنع الله عز وجل بمحمد ﷺ حين شد الحجر على بطنه ، ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه جل وعز أنه قال لموسى عليه السلام : إذا رأيت الغني مقبلاً فقل ذنب عجلت عقوبته ، وإذا رأيت الفقير مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين ، وإن شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى ابن مريم عليه السلام فإنه كان يقول: إدامي الجوع ، وشعاري الخوف ، ولباسي الصوف ، وصلائي في الشتاء ، مشارق الشمس ، وسراجي القمر ، ودابتي رجلاي ، وطعامي وفاكهتي ما أنبتت

الله جناح بعوضة فأبى أن يقبلها) قال العراقي : هكذا اورده ابن أبي الدنيا مرسلاً ، ورواه أحمد والطبراني متصلاً من حديث أبي مويهبة في أثناء حديث فيه : « إني قد أعطيتك خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة » الحديث . وسنده صحيح ، وللترمذي من حديث أبي أمامة « عرض عليَّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً » الحديث وقال : حسن . وعلي بن زيد يضعف في الحديث .

(إذ كره أن يخالف على الله أمره أو يحب ما أبغض خالقه أن يرفع ما وضع مليكه ، فزواها عن الصالحين إختيار أو بسطها لأعدائه اغتراراً) . وقد روي ذلك من كلام علي رضي الله عنه قال في بعض خطبه في ذكر النبي ﷺ قد حقر الدنيا وصغرها وأهونها وهوّنها ، وعلم أن الله زواها عنه اختياراً وبسطها على غيره احتقاراً ، فأعرض عن الدنيا بقلبه ، وأمات ذكرها عن نفسه ، وأحب أن تغيب زينتها عن عينه لئلا يتخذ منها رياشاً أو يرجو منها معاشاً . **(فيظن المغرور بها المقتدر عليها أنه أكرم بها)** حيث أعطيها ، **(ونسي ما صنع الله عز وجل بمحمد ﷺ حين شد الحجر على بطنه)** هكذا رواه ابن أبي الدنيا ، وللبخاري من حديث جابر « قام وبطنه معصوب بحجر » وللترمذي من حديث أنس « رفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله ﷺ عن حجرين » وقال : حديث غريب وقد تقدم . **(ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال لموسى عليه السلام: إذا رأيت الغنى مقبلاً فقل ذنب عجلت عقوبته ، وإذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين)** . ذكره صاحب القوت مع زيادة جملة قبله ، ورواه أبو عثمان الصابوني من طريق محمد بن أبي الأزهر قال : سمعت فضيل بن عياض يقول : قيل لموسى عليه السلام : يا موسى إذا رأيت فساقه مثل سياق المصنف ، وأخرجه صاحب الحلية من طريق مجاهد عن كعب قال : إن الرب تعالى قال لموسى عليه السلام فساقه .

(فإن شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى بن مريم عليه السلام حيث كان يقول: إدامي الجوع ، وشعاري الخوف ، ولباسي الصوف ، وصلائي) أي دفائي يقال : صلى بالنار وبالشمس إذا تدفأ بها **(في الشتاء مشارق الشمس ، وسراجي القمر ، ودابتي رجلاي ،**

الأرض، أبيت وليس لي شيء، وأصبح وليس لي شيء، وليس على الأرض أحد أغنى مني..

وقال وهب بن منبه: لما بعث الله عز وجل موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون قال لا يروعنكما لباسه الذي لبس من الدنيا، فإن ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس إلا بإذني، ولا يعجبكما ما تمتع به منها فإنما هي زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين، فلو شئت أن أزينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أن قدرته تعجز عما أوتيتما لفعلت، ولكني أرغب بكما عن ذلك فأزوي ذلك عنكما، وكذلك أفعل بأوليائي إني لأذودهم عن نعيمها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة، وإني

وطعامي وفاكهتي ما أنبتت الأرض، أبيت وليس لي شيء، وأصبح وليس لي شيء، وليس على الأرض أحد أغنى مني).

وفي خطبة علي رضي الله عنه كما في نهج البلاغة، ولقد كان لك في رسول الله ﷺ كان لك فيه الاسوة ودليل لك على ذم الدنيا وعيبها وكثرة فخارها إذ قبضت عنه أطرافها ووطئت لغيره أكنافها وفطم من رضاعها وزوى عن زخارفها، وإن شئت ثنيت بموسى كليم الله عليه السلام إذ يقول: ﴿رب إني لما أنزلت إليَّ من خير فقير﴾ [القصص: ٢٤] والله ما سأل إلاّ خبزاً يأكله لأنه كان يأكل بقلة الأرض، ولقد كانت خضرة البقلة ترى من صفيق بطنه لهزاله وتشاكل لحمه، وإن شئت ثلثت بداود عليه السلام كان يعمل شقائق الخوص بيده ويقول لجلسائه: أيكم يكفيني بيعها ويأكل قرص الشعير من ثمنها. وان شئت اقتديت بعيسى عليه السلام، فلقد كان يتوسد الحجر، ويلبس الخشن، وإدامه الجوع، وسراجه بالليل القمر، وصلاؤه في الشتاء مشارق الشمس ومغاربها، وفاكهته ما تنبت الأرض للبهائم، ولم تكن له زوجة ولا ولد، لا يعز مالاً ولكن يذله، دابته رجلاه، وخادمه يداه اهـ.

(**وقال وهب بن منبه: لما بعث الله موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون**) كان فيما (**قال**) له: اسمع كلامي واسمع وصيتي (**لا يروعنكما لباسه الذين لبس من الدنيا**) أي لا يعجبنكما (**فإن ناصيته بيدي ليس ينطق**) بحرف (**ولا يطرف**) بلحظ (**ولا يتنفس إلا بإذني، ولا يعجبكما ما متع به منها**) ولا تمدا إلى ذلك أعينكما (**فإنما هي زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين، ولو شئت ان أزينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أن مقدرته تعجز عما أوتيتما لفعلت، ولكني أرغب بكما عن ذلك فازوي**) أي أقبض (**ذلك عنكما، وكذلك أفعل بأوليائي إني لأذودهم**) أي أسوقهم (**عن نعيمها كما يذود الراعي الشفيق**) أي المشفق (**غنمه عن مواقع الهلكة**) محركة أي الهلاك، (**وإني لأجنبهم ملاذها ورفاءها كما**

لأجنبهم ملاذها كما يجنب الراعي الشفيق إبله عن منازل العرة، وما ذاك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالماً موفراً، إنما يتزين لي أوليائي بالذل والخوف والخضوع والتقوى تنبت في قلوبهم وتظهر على أجسادهم، فهي ثيابهم التي يلبسون ودثارهم الذي يظهرون، وضميرهم الذي يستشعرون، ونجاتهم التي بها يفوزون، ورجاؤهم الذي إياه يأملون، ومجدهم الذي به يفخرون، وسيماهم التي بها يعرفون، فإذا لقيتهم فأخفض لهم جناحك، وذلل لهم قلبك ولسانك، واعلم أنه من أخاف لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، ثم أنا الثائر له يوم القيامة.

وخطب علي كرم الله وجهه يوماً خطبة فقال فيها: اعلموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم ومجزيون بها، فلا تغرنكم الحياة الدنيا فإنها بالبلاء

يجنب الراعي الشفيق إبله عن مبارك العرة) بالضم وهي الجرب، **(وما ذاك لهوانهم عليّ ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالماً موفراً)** لم تكلمه الدنيا ولم ينقصه الهوى. واعلم يا موسى أنه لم يتزين لي العباد بزينة هي أبلغ عندي من الزهد في الدنيا فإنها زينة الأبرار عندي، **(إنما يتزين لي أوليائي بالذل والخشوع والخوف)** والنحول والسجود **(والتقوى تثبت في قلوبهم فتظهر على أجسادهم، فهي ثيابهم التي يلبسون، ودثارهم الذي يظهرون، وضميرهم الذي يستشعرون، ونجاتهم التي بها يفوزون، ورجاؤهم الذي إياه يأملون، ومجدهم الذي به يفخرون، وسيماهم التي بها يعرفون)** أولئك هم أوليائي حقاً. **(فإذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك، وذَلِّل لهم قلبك ولسانك)** هكذا أورد قول وهب هذا صاحب الحلية وصاحب القوت. **(واعلم)** يا موسى **(أنه من أخاف لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، ثم أنا الثائرله يوم القيامة)** أي الآخذ بالثأر.

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء، والحكيم في النوادر وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الاسماء والصفات، وابن عساكر من حديث أنس يقول الله عز وجل: من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة الحديث.

وعند الطبراني من حديث ابن عباس يقول الله عز وجل: من عادى لي ولياً فقد ناصبني بالمحاربة الحديث.

وروى أحمد، والحكيم، وأبو يعلى والطبراني في الاوسط، وأبو نعيم في الطب، والبيهقي في الزهد، وابن عساكر من حديث عائشة قال الله عز وجل: من آذى لي ولياً فقد استحل محاربتي الحديث.

(وخطب علي رضي الله عنه يوماً خطبة فقال فيها: اعلموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم ومجزيون بها، فلا تغرّنكم الحياة الدنيا فإنها بالبلاء

محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة، وكل ما فيها إلى زوال وهي بين أهلها دول وسجال، لا تدوم أحوالها ولا يسلم من شرها نزالها، بينا أهلها منها في رخاء وسرور إذا هم منها في بلاء وغرور. أحوال مختلفة وتارات منصرفة. العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة. ترميهم بسهامها وتقصيهم بحمامها. وكل حتفة فيها مقدور وحظه فيها موفور. واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان أطول منكم أعماراً وأشد منكم بطشاً وأعمر دياراً وأبعد آثاراً. فأصبحت أصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها وأجسادهم بالية وديارهم على عروشها خاوية وآثارهم عافية، واستبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنمارق الممهدة. الصخور والأحجار المسندة في القبور اللاطئة الملحدة. فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة متشاغلين. لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والأخوان على ما بينهم من قرب المكان والجوار ودنو الدار. وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلا وأكلتهم الجنادل والثرى؟

محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة، وكل ما فيها إلى زوال فهي من أهلها دول) أي نوب (**وسجال**) جمع سجل بالفتح وهو الدلو يقال الحرب بينهم سجال أي تارة لهم وتارة عليهم، (**لا تدوم أحوالها**) أي لا تثبت على حالة واحدة (**ولن يسلم من شر نزالها**) جمع نازل أي واردها شبههم بالمسافر الذي ينزل ثم يسافر، (**بينا أهلها منها في رخاء وسرور إذا هم منها في بلاء وغرور، وأحوال مختلفة وتارات منصرفة**) أي متغيرة. (**العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم وإما أهلها فيها أغراض مستهدفة بالبلايا والمحن. ترميهم بسهامها وتقصمهم**) أي تكسرهم (**بحمامها**) أي موتها العاجل (**وكل**) منهم (**حتفه فيها مقدور**) مكتوب من الأزل، (**وحظه منها موفور**) أي واف. (**واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل قد مضى ممن كان أطول منكم أعماراً وأشد منكم بطشاً**) أي قوة وقهراً، (**وأعمر دياراً وأبعد آثاراً فأصبحت أصواتهم هامدة**) أي ساكنة (**من بعد طول تقلبها، وأجسادهم بالية وديارهم خالية وآثارهم عافية**) أي مندرسة. (**استبدلوا بالقصور المشيدة والسرور والنمارق الممهدة الصخور والأحجار المنسدة في القبور اللاطئة**) أي اللاصقة، (**الملحدة، فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين أهل عمارة موحشين، وأهل محلة متشاغلين لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان على ما بينهم من قرب المكان والجوار ودنو الدار، وكيف يكون بينهم تواصل**) أو توافق (**وقد طحنهم بكلكله**) أي بصدره. يقال: أناخ عليه الذهر بكلكله وأصله في صدر البعير، وذلك لأنه إذا أناخ على شيء بصدره فقد أهلكه، ثم استعير للدهر (**البلى**) أي استأصلهم فلم يبق منهم شيئاً،

وأصبحوا بعد الحياة أمواتاً وبعد نضارة العيش رفاتاً فجع بهم الأحباب وسكنوا تحت التراب وظعنوا فليس لهم إياب. هيهات هيهات: ﴿كَلَاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠] فكأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه من البلى والوحدة في دار المثوى وأرتهنتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك لمستودع. فكيف بكم لو عاينتم الأمور وبعثرت القبور وحصل ما في الصدور وأوقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لإشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والأستار وظهرت منكم العيوب والأسرار؟ هنالك تجزى كل نفس بما كسبت إن الله عز وجل يقول: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١] وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ [الكهف: ٤١] الآية جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه متبعين لأوليائه حتى يحلنا وإياكم دار المقامة من فضله إنه حميد مجيد.

(وأكلتهم الجنادل والثرى، وأصبحوا بعد الحياة أمواتاً وبعد نضارة العيش) أي طراوته **(رفاتاً)** متكسرين. **(فجع بهم الأحباب وسكنوا التراب وظعنوا)** أي ساروا **(فليس لهم إياب**أي رجـــوع. **(هيهات هيهات ﴿إنها كلمةٌ هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾ فكأن قد صرتم إلى ما صار وإليه من البلاء والوحدة في دار المثوى وارتهنتم في ذلك المضجع)** أي حبستم **(وضمكم ذلك المستودع. فكيف بكم لو قد عاينتم الأمور وبعثرت القبور)** أي أخرج ما فيها **(وحصل ما في الصدور)** من النبات **(وأوقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لإشفاقها)** أي خوفها **(من سالف الذنوب وهتكت منكم الحجب والأستار)** أي مزقت ورفعت **(وظهرت منكم العيوب والأسرار؟ هنالك تجزي كل نفس بما كسبت)** من خير أو شر **(إن الله عز وجل يقول: ﴿ليجزي الذين أساؤا بـما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾ وقال تعالى ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه﴾ الآية جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه ومتبعين لاوليائه حتى يحلنا وإياكم دار المقامة من فضله إنه حميد مجيد)**.

هذه الخطبة أوردها الشريف في نهج البلاغة ونصها: دار بالبلاء محفوفة وبالغدر معروفة. لا تدوم أحوالها ولا تسلم نزالها. أحوال مختلفة وتـارات متصرفة العيش فيها مذموم والأمان فيها معدوم وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتفنيهم بحمامها. واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى قبلكم ممن كان أطول منكم أعماراً وأعمر دياراً وأبعد آثاراً. أصبحت أصواتهم هامدة ورياحهم راكدة وأجسادهم بالية. ديارهم خالية وآثارهم عافية، واستبدلوا بالقصور المشيدة والنمارق المهدة الصخور والأحجار المسندة والقبور اللاطئة

وقال بعض الحكماء: الأيام سهام والناس أغراض، والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وأيامه حتى يستغرق جميع أجزائك، فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك وسرعة الليالي في بدنك؟ لو كشف لك عما أحدثت الأيام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتي عليك واستثقلت ممر الساعة بك ولكن تدبير الله فوق تدبير الإعتبار، وبالسلوّ عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها، وأنها لأمر من العلقم إذا عجنها الحكيم، وقد أعيت الواصف لعيوبها بظاهر أفعالها، وما تأتي به من العجائب أكثر مما يحيط به الواعظ، اللهم أرشدنا إلى الصواب.

وقال بعض الحكماء: وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها فقال: الدنيا وقتك الذي يرجع إليك فيه طرفك، لأن ما مضى عنك فقد فاتك إدراكه، وما لم يأت فلا علم لك

الملحدة التي قد بني على الخراب بناؤها وشيد بالتراب بناؤها، فمحلها مقترب وساكنها مغترب، بين أهل محلة موحشين وأهل فراغ متشاغلين لا يستأنسون بالأوطان ولا يتواصلون تواصل الجيران، على ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار، وكيف يكون بينهم تزاور وقد طحنهم بكلكله البلا وأكلتهم الجنادل والثرى. وكان قد صرتم إلى ما صاروا إليه وارتهنكهم ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع، وكيف بكم لو تناهت بكم الأمور وبعثرت القبور. هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون.

(**وقال بعض الحكماء: الأيام سهام والناس أغراض، والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وأيامه**) أي ينتقصك (**حتى يستغرق جميع أجزائك**) أي يستولي. (**فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك وسرعة الليالي في بدنك؟ لو كشف لك**) وحققت الحقائق (**عما أحدثت الأيام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتي عليك واستثقلت ممر الساعة بك ولكن تدبير الله فوق الإعتبار**) لكل معتبر، (**وبالسلو عن غوائل الدنيا**) أي مهالكها (**وجد طعم لذاتها**) لذائقيه، (**وأنها الأمر من العلقم**) وهوالحنظل وقيل: قثاء الحمار (**إذا عجنها الحكيم**) أي اختبرها، (**وقد اعيت الواصف**) أي أعجزته (**لعيوبها بظاهر افعالها، وما تأتي به من العجائب أكثر مما يحيط به الواعظ**) في فصيح مقاله (**فتستوهب الله رشداً إلى الصواب**) هذا كله ما كتبه الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز. أورده هكذا بتمامه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا.

(**وقال بعض الحكماء: وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها فقال: الدنيا وقتك الذي يرجع إليك فيه طرفك، لإن ما مضى عنك فقد فاتك إدراكه، وما لم يأت فلا علم لك به**) وإليه أشار القائل:

ما مضى فات والمؤمل غيب ... ولك الساعة التي أنت فيها

به، والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعاته، وأحداثه تتوالى على الإنسان بالتغيير والنقصان، والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول، والأمل طويل والعمر قصير وإلى الله تصير الأمور.

وخطب عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه فقال: يا أيها الناس إنكم خلقتم لأمر إن كنتم تصدقون به فإنكم حمقى، وإن كنتم تكذبون به فإنكم هلكى، إنما خلقتم للأبد ولكنكم من دار إلى دار تنقلون، عباد الله إنكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص، ومن شرابكم شرق، لا تصفو لكم نعمة تسرون بها إلا بفراق أخرى تكرهون فراقها، فاعملوا لما أنتم صائرون إليه، وخالدون فيه. ثم غلبه البكاء ونزل.

وإليه أشار الصوفية بقولهم: الصوفي ابن وقته **(والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعته، وأحداثه)** أي صروفه **(تتوالى على الإنسان بالتغيير والنقصان والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول، والأمل طويل والعمر قصير وإلى الله تصير الأمور)** أخرجه ابن أبي الدنيا.

(وخطب عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى **(فقال: يا أيها الناس إنكم خلقتم لأمر إن كنتم تصدقون به فأنتم حمقى)** لا عقول لكم، **(وإن كنتم تكذبون به إنكم لهلكى، إنما خلقتم للأبد ولكنكم من دار إلى دار تنقلون عباد الله إنكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص)** جمع غصة بالضم وهو ما يعترض في الحلق فيغص به، **(ومن شرابكم شرق)** وهو ما يشرق به في الحلق **(لا تصفو لكم نعمة تسرون بها إلا بفراق لأخرى تكرهون فراقها، فاعملوا لما أنتم صائرون إليه وخالدون فيه. ثم غلبه البكاء ونزل)** هكذا أخرجه ابن أبي الدنيا.

وأخرجه أبو نعيم في الحلية مختصراً فقال: حدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن، حدثنا سفيان بن وكيع، حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال: قال عمر بن عبد العزيز إنما خلقتم للأبد ولكنكم تنقلون من دار إلى دار ثم ساق سند آخر إلى ابن عيينة قال فيه قال عمر بن عبد العزيز ولم يذكر عمرو بن دينار، وقال في موضع آخر: إن هذه الخطبة كانت بخناصرة وقد سبقه إلى ذلك علي رضي الله عنه فقال في بعض خطبه: أيها الناس إنما أنتم في هذه الدنيا غرض تنتقل فيه المنايا مع كل جرعة شرق، وفي كل أكلة غصص لا تنالون منها نعمة إلا بفراق أخرى ولا يعمر معمر منكم يوماً من عمره إلا بهدم آخر من أجل ولا تجدد له زيادة في أكلة إلا بنفاد ما قبلها من رزقه، ولا يحيا له أثر إلا مات له أثر، ولا يتجدد له جديد إلا بعد أن يخلق له جديد، ولا تقوم له ثانية إلا وتسقط منه مخضودة.

وقال علي كرّم الله وجهه في خطبته: أوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وإن كنتم لا تحبون تركها، المبلية أجسامكم وأنتم تريدون تجديدها، فإنما مثلكم ومثلها كمثل قوم في سفر سلكوا طريقاً وكأنهم قد قطعوه، وأفضوا إلى علم فكأنهم بلغوه وكم عسى أن يجري المجرى حتى ينتهي إلى الغاية؟ وكم عسى أن يبقى من له يوم في الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها؟ فلا تجزعوا لبؤسها وضرائها فإنه إلى إنقطاع ولا تفرحوا بمتاعها ونعمائها فإنه إلى زوال، عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه.

وقال محمد بن الحسين: لما علم أهل الفضل والعلم والمعرفة والأدب أن الله عز وجل قد

(**وقال علي رضي الله عنه في خطبته: أوصيكم بتقوى الله والترك**) في نهج البلاغة للشريف الرضي قال رضي الله عنه: نحمده على ما كان، ونستعينه من أمرنا على ما يكون، ونسأله المعافاة في الأديان كما نسأله المعافاة في الأبدان. أوصيكم بالرفض (**للدنيا التاركة لكم وإن كنتم لا تحبون تركها**) ولفظ الأصل: وإن لم تحبوا تركها (**المبلية أجسامكم وإن كنتم تريدون**) ولفظ الأصل تحبون (**تجديدها فإنما مثلكم ومثلها كمثل سفر**) بفتح فسكون جمع سافر كراكب وركب (**سلكوا طريقاً وكأنهم قد قطعوه وأفضوا إلى علم**) محركة وهو المنار في الأرض، ولفظ الأصل وأتوا علماً (**فكأنهم بلغوه، وكم عسى أن يجري المجرى حتى ينتهي إلى الغاية**) وكم عسى المجرى إلى الغاية أن يجري إليها حتى يبلغها، (**وكم عسى أن يبقى من له يوم في الدنيا**) ولفظ الأصل وما عسى أن يكون بقاء من له يوم لا يعدوه (**وطالب حثيث يطلبه**) ولفظ الأصل يحدوه في الدنيا (**حتى يفارقها فلا**) تنافسوا في عز الدنيا وفخرها، ولا تعجبوا بزينتها ونعيمها، ولا (**تجزعوا لبؤسها وضرائها**) ولفظ الأصل: من ضرائها وبؤسها (**فإنه إلى انقطاع**) ولفظ الأصل: فإن عِزها وفخرها إلى انقطاع، (**ولا تفرحوا بنعمائها فإنه إلى زوال**) ولفظ الأصل: وزينتها ونعيمها إلى زوال وضرائها وبؤسها إلى نفاد، وكل مدة فيها إلى انتهاء، وكل حين فيها إلى فناء. أو ليس لكم في آثار الأولين مزدجر، وفي آبائكم الأولين تبصرة ومعتبر إن كنتم تعقلون. أو لم تروا إلى الماضين منكم لا يرجعون وإلى الخلف الباقين لا يبقون. أولستم ترون أهل الدنيا يمسون ويصبحون على أحوال شتى، فميت يبكي وآخر يعزي وصريع مبتل وعابد يعود وآخر بنفسه يجود (**عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه**) ولفظ الأصل بعد قوله يجود وطالب للدنيا والموت يطلبه، (**وغافل وليس بمغفول عنه**) وعلى أثر الماضي ما يمضي الباقي الا هادم اللذات ومنغص الشهوات وقاطع الأمنيات عند المساورة للأعمال القبيحة، واستعينوا الله على أداء واجب حقه وما لا يحصى من إعداد نعمه وإحسانه.

(**وقال محمد بن الحسن**) هكذا في النسخ، وفي بعضها محمد بن الحسين، والمسمى بمحمد بن

أهان الدنيا، وأنه لم يرضها لأوليائه، وأنها عنده حقيرة قليلة، وأن رسول الله ﷺ زهد فيها وحذر أصحابه من فتنتها، أكلوا منها قصداً وقدموا فضلاً، وأخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يلهي، لبسوا من الثياب ما ستر العورة، وأكلوا من الطعام أدناه مما سد الجوعة، ونظروا إلى الدنيا بعين أنها فانية، وإلى الآخرة أنها باقية، فتزوّدوا من الدنيا كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الآخرة، ونظروا إلى الآخرة بقلوبهم فعلموا أنهم سينظرون إليها بأعينهم فارتحلوا إليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرتحلون إليها بأبدانهم، تعبوا قليلاً وتنعموا طويلاً، كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم، أحبوا ما أحب لهم وكرهوا ما كره لهم.

الحسن جماعة كثيرون منهم: محمد بن الحسن بن أنس الصغاني، ومحمد بن الحسن بن أبي الحسن البراد الكوفي، ومحمد بن الحسن بن زبالة المديني، ومحمد بن الحسن بن الزبير الكوفي، ومحمد بن الحسن بن عطية بن سعد العوفي، ومحمد بن الحسن بن عمران الواسطي، ومحمد بن الحسن بن هلال، ومحمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني، والله أعلم أيهم أراده المصنف: **(لما علم أهل العقل والعلم والمعرفة والأدب أن الله عز وجل قد أهان الدنيا)** وحقر شأنها، **(وأنه لم يرضها لأوليائه، وأنها عنده حقيرة قليلة)** المقدار، **(وأن رسول الله ﷺ زهد فيها)** ورغب عنها **(وحذر أصحابه من فتنتها)** وضرب لهم في ذلك الأمثال كما سيأتي ذكرها. **(أكلوا منها قصداً)** أي مقتصدين لا إفراطاً ولا تفريطا **(وقدموا فضلاً بين)** أيديهم، **(وأخذوا منها ما يكفي)** في عمارة البدن **(وتركوا ما يلهي)** عن الله تعالى **(لبسوا من الثياب ما ستر العورة)** واكتفوا به عن لبس ثياب الشهرة. **(وأكلوا من الطعام أدناه)** أي أقله **(مما سد الجوعة)** وأمسك الرمق. **(ونظروا إلى الدنيا بعين أنها فانية)** وكل ما فيها إلى زوال **(وللآخرة أنها باقية فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب)** كناية عن التقليل. فإن الراكب مع الراحلة لا يحمل من الزاد إلا قدر ما يكفيه فقط ولم يحمل الفضل. **(فخربوا الدنيا وعمروا بها الآخرة نظروا إلى الآخرة بعين قلوبهم فعلموا أنهم سينظرون إليها باعينهم، فارتحلوا إليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرتحلون إليها بأبدانهم صبروا قليلاً وتنعموا طويلاً كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم أحبوا ما أحب لهم وكرهوا ما كره لهم)**، ولله در القائل:

إن لله عبـــاداً فطنـــا ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظـروا فيهـا فلما علموا ... أنها ليست لحيّ وطنا
جعلـوهـا لجة واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سفنا

ولنختم هذا الفصل بكلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فيما يتعلق بالدنيا مما ذكره صاحب نهج البلاغة وفي سياقه المشهي إذ هو مستقى من بحر النبوة. قال رضي الله عنه في بعض خطبه: لا ترفعوا من رفعته الدنيا، ولا تشيموا بارقها، ولا تسمعوا ناطقها، ولا تجيبوا ناعقها، ولا تستضيئوا

بأشراقها، ولا تفتنوا باعلاقها، فإن برقها خالب، ونطقها كاذب، وأموالها محروبة، وأعلاقها مسلوبة، ألا وهي المتصدية العنون والجامحة الحرون والمانية الخؤون، والجحود الكنود، والعنود الصدود، والحيود الميود. حالها أنقال ووطأتها زلزال وعز هاذل وجدها هزل وعلوها سفل دار صرف وسلب ونهب وعطب أهلها على ساق وسباق ولحاق. وقد تحيرت مذاهبها وأعجزت مهاربها وخابت مطالبها، فأسلمتهم المعاقل ولفظتهم المنازل وأعيتهم المحاول فمن ناج معقور ولحم مجزور وشلو مذبوح ودم مسفوح وعاض على يديه وصافق لكفيه ومرتفق بخديه وراد على رأيه وراجع عن عزمه. وقد أدبرت الحيلة وأقبلت العيلة. ولات حين مناص هيهات هيهات فات ما فات وذهب ما ذهب ومضت الدنيا لحال بالها فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين.

وقال رضي الله عنه في خطبة له، والدنيا دار بني لها الفناء ولأهلها منها الجلاء وهي حلوة خضرة قد عجلت للطالب والتبست بقلب الناظر فارتحلوا عنها بأحسن ما بحضرتكم من الزاد، ولا تسألوا فيها فوق الكفاف، ولا تطلبوا فيها أكثر من البلاغ.

وقال رضي الله عنه في خطبة له: فإن الدنيا رتق مشربها ردغ مشرعها بريق منظرها ويؤبن مخبرها. غرور حائل وضوء آفل وظل زائل وسناد مائل، حتى إذا أنس نافرها واطمأن ناكرها قمعت بأرجلها وقنصت بأحبلها وأقصدت بأسهمها وأعلقت المرء ادهات المنية قائدة له إلى ضنك المضطجع ووحشة المرجع ومعاينة المحل وثواب العمل.

وقال رضي الله عنه في خطبة له: انظروا إلى الدنيا نظر الزاهدين فيها الصادقين فيها، فإنها والله عما قليل تزيل الساوي الثاوي الساكن، وتفجع المترف الآمن لا يرجع ما تولى منها فأدبر ولا يرد ما هو آت منها فينتظر سرورها مشوب بالحزن وجلد الرجال فيها إلى الضعف والوهن، فلا يغرنكم كثرة ما يعجبكم فيها لقلة ما يصحبكم منها رحم الله امرءاً تفكر فاعتبر واعتبر فابصر، فكان ما هو كائن من الدنيا عن قليل لم يكن، وكان ما هو كائن من الآخرة عما قليل لم يزل وكل معدود منقض وكل متوقع آت وكل آت قريب دان.

وقال رضي الله عنه في خطبة له أما بعد: فإني أحذركم الدنيا فإنها حلوة خضرة حفت بالشهوات وتحببت بالعاجلة ووافت بالقليل وتحلت بالآمال وتزينت بالغرور. لا تدوم حبرتها ولا تؤمن فجعتها. غرارة ضرارة حائلة زائلة نافذة بائدة اكالة غوالة لا تعد، وإذا تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا بها أن تكون كما قال الله تعالى: ﴿ كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدر ﴾ [الكهف: ٤٥] لم يكن امرؤ منها في حيرة إلا أعقبته بعدها عبرة، ولم يلق من سرائها بطناً إلا منحته من ضرائها ظهراً، ولم تطله فيها ديمة رخاء إلا هشت عليه مزنة بلاء، وحري إذا أصبحت له منتصرة أن تمسي له متنكرة، وإن جانب منها اعذوذب واحلولى أمر منها جانب، فأولى لا ينال امرؤ من غضارتها رغباً إلا أرهقته من نوائبها تعباً، ولا يمسي منها في جناح إلا أصبح على قوادم خوف غرارة غرور ما فيها

....

فانية فإن من عليها الأخير في ازوادها إلا التقوى. من أقل منها استكثر مما يؤمنه ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه وزال عما قليل عنه. كم من واثق بها قد فجعته وذي طمأنينة إليها قد صرعته وذي أبهة قد جعلته حقيراً وذي نخوة قد ردته ذليلاً. سلطانها دول وعيشها دنف وعذبها أجاج وحلوها صبر وغذاؤها سمام وأسبابها رمام. حيها بعرض موت وصحيحها بعرض سقم. ملكها مسلوب وعزيزها مغلوب وموفورها منكوب وجارها محروب. ألستم في مساكن من كان قبلكم أطول أعماراً وأبقى آثاراً وأبعد مالاً وأعد عديداً وأكثف جنوداً، تعبدوا للدنيا أي تعبد، وآثروها أي إيثار ثم ظعنوا منها بغير زاد مبلغ ولا ظهر قاطع، فهل بلغكم أن الدنيا سنحت لهم نفساً بفدية أو اعانتهم بمعونة وأحسنت لهم صحبة، بل أرهقتهم بالقوادح وأدهشتهم بالقوارع وضعضعتهم بالنوائب وعفرتهم للمناخر ووطئتهم بالمناسم وأعانت عليهم ريب المنون، فقد رأيتم تنكرها لمن دان لها وآثرها وأخلد إليها حتى ظعنوا منها لفراق الأبد. هل زودتهم إلا السغب أو أحلتهم إلا الضنك أو نورت لهم إلا الظلمة أو أعقبتهم إلا الندامة؟ أفهذه تؤثرون أم إليها تطمئنون أم عليها تحرصون؟ فبئست الدار لمن لم يتهمها ولم يكن منها على وجل منها. فاعملوا وأنتم تعلمون بأنكم تاركوها وظاعنون عنها، واتعظوا فيها بالذين قالوا من أشد منا قوة. حملوا إلى قبورهم فلا يدعون ركباناً، وانزلوا فلا يدعون ضيفاناً، وجعل لهم من الصفيح أجنان ومن التراب أكفان ومن الرفات جيران. فهم جيرة لا يجيبون داعياً ولا يمنعون ضيماً ولا يبالون مندبة. إن جيدوا لم يفرحوا وإن قحطوا لم يقنطوا جميعاً، وهم آحاد وجيرة وهم أبعاد متدانون، لا يتزاورون وقريبون لا يتقاربون. حلماء قد ذهبت أضغانهم وجهلاء قد ماتت أحقادهم لا يخشى فجعهم ولا يرجى دفعهم. استبدلوا بظهر الأرض بطناً وبالسعة ضيقاً وبالأهل غربة وبالنور ظلمة فجاءوها كما فارقوها حفاة عراة قد ظعنوا عنها بأعمالهم إلى الحياة الدائمة والدار الباقية كما قال سبحانه: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وقال رضي الله عنه في خطبة له أما بعد فإني أحذركم الدنيا فإنها منزلة قلعة وليست بدار نجعة. قد تزينت بغرورها وغرت بزينتها. دار هانت على ربها فخلط حلالها بحرامها وخيرها بشرها وحياتها بموتها وحلوها بمرها. لم يصطفها الله لأوليائه وكم يضن بها على أعزائه. خيرها زهيد وشرها عتيد وجمعها ينفد وملكها يسلب وعامرها يخرب. فما خير دار تنقص نقص البناء وعمر يفني فناء الزاد ومدة تنقطع انقطاع السير.

وقال رضي الله عنه في خطبة له: ثم إن الدنيا دار فناء وعناء وعبر وغير، فمن الفناء أن الدهر موتر قوسه لا تخطىء سهامه ولا تؤسي جراحه. يرى الحي بالموت والصحيح بالسقم والناجي بالعطب. آكل لا يشبع وشارب لا ينفع، ومن العناء أن المرء يجمع ما لا يأكل ويبني ما لا يسكن ثم يخرج إلى الله لا ما لا حمل ولا بناء نقل، ومن غيرها أنك ترى المرحوم مغبوطاً والمغبوط مرحوماً ليس ذلك إلا نعيماً ذل وبؤساً نزل. ومن عبرها أن المرء يشرف على أمله فيقتطعه حضور أجله، فلا أمل يدرك ولا موت يترك. فسبحان الله ما أغر سرورها واظمأ ريها واضحى فيئها إلا جاء يرد

بيان صفة الدنيا بالأمثلة:

اعلم أن الدنيا سريعة الفناء قريبة الانقضاء، تعد بالبقاء ثم تخلف في الوفاء، تنظر إليها فتراها ساكنة مستقرة وهي سائرة سيراً عنيفاً ومرتحلة ارتحالاً سريعاً، ولكن الناظر إليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن إليها، وإنما يحس عند انقضائها، ومثالها الظل فإنه متحرك [ساكن، متحرك] في الحقيقة ساكن في الظاهر، لا تدرك حركته بالبصر الظاهر، بل بالبصيرة الباطنة، ولما ذكرت الدنيا عند الحسن البصري رحمه الله أنشد وقال:

ولا ماض يرتد. فسبحان الله ما أقرب الحي من الميت بلحاقه به وأبعد الميت من الحي لانقطاعه عنه. إنه ليس شيء بشر من الشر إلا عقابه، وليس شيء بخير من الخير إلا ثوابه، وكل شيء من الدنيا سماعه أعظم من عيانه، وكل شيء من الآخرة عيانه أعظم من سماعه، فليكفكم من العيان السماع ومن الغيب الخبر.

وقال رضي الله عنه أيضاً في خطبة له: وإنما الدنيا منتهى بصر الأعمى لا يبصر مما وراءها شيئاً والبصير ينفذها بصره ويعلم أن الدار وراءها فالبصير منها شاخص والأعمى إليها شاخص والبصير منها يتزوّد والأعمى لها متزوّد.

وقال رضي الله عنه أيضاً في خطبة له: وأحذركم الدنيا فإنها دار شخوص ومحلة تنقيص ساكنها ظاعن وقاطعها بائن تميد بأهلها ميدان السفينة تصفقها العواصف في لجج البحار، فمنهم الغرق الموبق، ومنهم الناجي على متون الأمواج. تحفزه الرياح بأذيادها وتحمله على أهوالها. فما غرق منها فليس بمستدرك وما نجا منها فإلى مهلك. وله رضي الله عنه كلام في هذا الباب كثير قد اقتصرت على ما ذكرت.

بيان صفة الدنيا بالأمثلة.

(**اعلم**) هداك الله تعالى (**أن الدنيا سريعة الفناء**) أي تفنى سريعاً (**قريبة الانقضاء**) أي تنقضي قريباً، (**تعد**) محبيها (**بالبقاء**) أي تمنيهم بأنهم يبقون فيها (**ثم تخلف في الوفاء**) وهذا معنى قول علي رضي الله عنه في بعض خطبه: ووعدها خلف (**تنظر إليها فتراها ساكنة مستقرة وهي سائرة سيراً عنيفاً**) أي شديداً (**ومرتحلة ارتحالاً سريعاً، ولكن الناظر إليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن إليها، وإنما يحس عند انقضائها، ومثالها الظل فإنه متحرك ساكن**) أي متصف بوصفين التحرك والسكون باعتبارين مختلفين، (**متحرك في الحقيقة**) ولولا ذلك لما انتقل (**ساكن في الظاهر لا تدرك حركته بالبصر الظاهر، بل بالبصيرة الباطنة**) وقد جاء تشبيهها به في كلام علي رضي الله عنه وغيره، وتارة بالظل الزائل، وتارة بالفيء المائل، ومنه قول الشاعر:

إنما الدنيا كظل زائل

أحلام نـوم أو كظـل زائـلٍ   إن اللبيب بمثلها لا يُخْـدعِ

وكان الحسن بن علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه يتمثل كثيراً ويقول:

يا أهل لـذات دنيـا لا بقـاء لها   إن اغتراراً بظـل زائـل حمق

وقيل: إن هذا من قوله. ويقال: إن اعرابياً نزل بقوم فقدموا إليه طعاماً فأكل، ثم قام إلى ظل خيمة لهم فنام هناك فاقتلعوا الخيمة فأصابته الشمس فانتبه، فقام وهو يقول:

ألا إنما الدنيـا كظـل بنيتـه   ولا بد يـومـاً أن ظلـك زائـلُ

وكذلك قيل:

وإن امـرأ دنيـاه أكبر همـه   لمستمسك منها بحبـل غـرورُ

(مثال آخر للدنيا من حيث التغرير بخيالاتها ثم الإفلاس منها بعد افلاتها). تشبه خيالات المنام وأضغاث الأحلام. قال رسول الله ﷺ: «الدنيا حلم وأهلها عليها

(ولما ذكرت الدنيا عند الحسن البصري رحمه الله تعالى أنشد وقال):

(أحلام نـوم أو كظـل زائـل   أن اللبيـب بمثلهـا لا يخدع)

وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما يتمثل ويقول:

يـا أهـل لـذات دنيـا لا بقـاء لها   إن اغترار بظـل زائـل حمق

(وكان يرى أنه من قوله) أي هو الذي أنشأه **(ويقال: نزل إعرابي بقوم فقدموا إليه طعاماً فأكل، ثم قام إلى ظل خيمة لهم فنام هناك فاقتلعو الخيمة فأصابته الشمس فانتبه من النوم فقام وهو يقول):**

(إلا انما الدنيـا كظـل بنيتـه   ولا بـد يـومـاً أن ظلـك زائـلُ)

وكذلك قيل:

(وإن امـرأ دنيـاه أكبر همـه   لمستمسك منها بحبـل غـرورُ)

هكذا أنشده الأصمعي وله قصة.

(مثال آخر للدنيا): **(اعلم أن الدنيا من حيث التغرير بخيالاتها)** أي إيقاع الغرور بما يتخيل منها **(ثم الإفلاس منها بعد إفلاتها)** أي اليأس منها بعد شرودها. **(تشبه خيالات المنام وأضغاث الأحلام)** وهي أخلاط منامات واحدها ضغث حلم من ذلك لأنه يشبه الرؤيا الصادقة وليس بها. **(قال رسول الله ﷺ: «الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومعاقبون»)** قال العراقي: لم أجد له أصلاً. وقال يونس بن عبيد بن دينار العبسي، أبو عبيد البصري ثقة ثبت

مجازون ومعاقبون ». وقال يونس بن عبيد: ما شبهت نفسي في الدنيا إلا كرجل نام فرأى في منامه ما يكره وما يحب فبينما هو كذلك إذ انتبه فكذلك الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا، فإذا ليس بأيديهم شيء مما ركنوا إليه وفرحوا به. وقيل لبعض الحكماء: أي شيء أشبه بالدنيا؟ قال: أحلام النائم.

(مثال آخر للدنيا في عداوتها لأهلها وإهلاكها لبنيها): اعلم أن طبع الدنيا التلطف في الاستدراج أوّلاً والتوصل إلى الإهلاك آخراً. وهي كامرأة تتزين للخطاب حتى إذا نكحتهم ذبحتهم. وقد روي أن عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فرآها في صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة، فقال لها: كم تزوّجت؟ قالت: لا أحصيهم، قال: فكلهم مات عنك أم كلهم طلقك؟ قالت: بل كلهم قتلت، فقال عيسى عليه السلام: بؤساً لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين! كيف تهلكينهم واحداً بعد واحد ولا يكونون منك على حذر؟

فاضل ورع مات سنة تسع وثلاثين روى له الجماعة: **(ما شبهت نفسي في الدنيا إلا كرجل نام فرأى في منامه ما يكره وما يحب، فبينما هو كذلك إذ انتبه)** من نومه، **(فكذلك الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا فإذا ليس بأيديهم مما ركنوا إليه وفرحوا به)**. وقوله: الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا هو من قول علي رضي الله عنه قاله السخاوي في المقاصد، ورواه أبو نعيم في الحلية من طريق المعافي بن عمران عن سفيان الثوري من قوله. **(وقيل لبعض الحكماء: أي شيء أشبه بالدنيا؟ قال: أحلام النائم)**.

(مثال آخر للدنيا في عداوتها لأهلها وإهلاكها لبنيها) ومحبيها: **(اعلم أن طبع الدنيا التلطف في الإستدراج أولاً)** حتى يتمكن منها **(والتوصل إلى الإهلاك آخر أو هي كامرأة تتزين للخطاب بأنواع الزينة حتى إذا نكحتهم ذبحتهم)** من حيث لا يشعرون، **(وقد روي أن عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فرآها في صورة عجوز هتماء)** أي مكسورة الأسنان **(عليها من كل زينة فقال لها: كم تزوجت؟ قالت: لا أحصيهم. قال: فكلهم مات عنك أو كلهم طلقك؟ قالت: كلهم قتلت، فقال عيسى عليه السلام: بؤساً لأزواجك الباقين لا يعتبرون بأزواجك الماضين! كيف تهلكينهم واحداً واحداً ولا يكونون منك على حذر؟)** نقله صاحب القوت وقد روي ذلك مرفوعاً من حديث أنس بلفظ: « مثلت لأخي عيسى بن مريم الدنيا في صورة امرأة فقال لها: لك زوج؟ قالت: نعم أزواج كثيرة. قال: هم أحياء قالت: لا قتلتهم فعلم حينئذ أنها دنيا مثلت له ». رواه الديلمي في مسند الفردوس، والمقصود من سياق هذا أنها تستدرج بنيها بلطف حيلة فإذا استولت عليهم أهلكتهم فلا ينبغي الإعتماد على ما يظهر منها من ظاهر الزينة فإن في باطنها الهلاك.

(مثال آخر للدنيا في مخالطة ظاهرها لباطنها : اعلم أن الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرائر وهي شبه عجوز متزينة تخدع الناس بظاهرها فإذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها تمثل لهم قبائحها فندموا على اتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها . وقال العلاء بن زياد : رأيت في المنام عجوزاً كبيرة متعصبة الجلد عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها معجبون ينظرون إليها ، فجئت ونظرت وتعجبت من نظرهم إليها وإقبالهم عليها فقلت لها : ويلك من أنت ؟ قالت : أو ما تعرفني ؟ قلت : لا أدري ! من أنت ؟ قالت : أنا الدنيا ، قلت : أعوذ بالله من شرك ! قالت : إن أحببت أن تعاذ من شري فابغض الدرهم .

(مثال آخر للدنيا) : في مخالفة باطنها لظاهرها **(اعلم أن الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرائر وهي تشبه عجوز متزينة تخدع الناس بظاهرها ، فإذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها تمثل لها قبائحها فندموا على إتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها . قال)** أبو نصر **(العلاء بن زياد)** بن مطر العدوي البصري أحد العباد ثقة ، روى له البخاري تعليقاً ، وأبو داود في المراسيل ، والنسائي ، وابن ماجه : **(رأيت في النوم عجوزاً كبيرة)** السن **(متعصبة الجلد)** أي يابسته **(عليها من كل زينة الدنيا)** أي من الملابس الفاخرة والحلى ، **(والناس عكوف عليها)** أي محيطون بها قائمون لديها **(متعجبون ينظرون إليها ونظرت وتعجبت من نظرهم إليها وإقبالهم عليها وقلت لها : ويلك من أنت ؟ قالت : أما تعرفني ؟ فقلت : لا أدري من أنت . قالت : إني أنا الدنيا . فقلت : أعوذ بالله من شرك قالت : فإن أحببت أن تعاذ من شري فابغض الدرهم) .**

قال أبو نعيم في الحلية : حدثنا أبو حامد بن جبلة ، حدثنا أبو العباس السراج حدثنا هارون بن عبدالله ، حدثنا يسار ، حدثنا الحرث بن نبهان ، حدثنا هارون بن رباب ، عن العلاء بن زياد قال : رأيت الدنيا في منامي امرأة قبيحة عليها من كل زينة قلت : من أنت يا عدوة الله من أنت أعوذ بالله منك ؟ قالت : أنا الدنيا إن سرك أن يعيذك الله مني فابغض الدراهم .

وحدثنا أبو بكر بن مالك ، حدثنا عبدالله بن أحمد ، حدثني أبي ، حدثنا وهب بن جرير قال : سمعت جرير بن هلال يحدث عن العلاء بن زياد قال : رأيت الناس في النوم يتبعون شيئاً فتبعته ، فإذا عجوز كبيرة هتماء عوراء عليها من كل حلية وزينة فقلت : من أنت ؟ قالت : أنا الدنيا . قلت : أسأل الله أن يبغضك إليّ . قالت : نعم إن أبغضت الدراهم .

وأورده صاحب القوت من مورق العجلي ولفظه : رأيت الدنيا في صورة شمطاء سمجة عليها

وقال أبو بكر بن عياش: رأيت الدنيا في النوم عجوزاً مشوّهة شمطاء تصفق بيديها وخلفها خلق يتبعونها يصفقون ويرقصون، فلما كانت بحذائي أقبلت عليَّ فقالت: لو ظفرت بك لصنعت بك مثل ما صنعت بهؤلاء. ثم بكى أبو بكر وقال: رأيت هذا قبل أن أقدم إلى بغداد.

وقال الفضيل بن عياض: قال ابن عباس: يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء، أنيابها بادية مشوّهاً خلقها، فتشرف على الخلائق فيقال لهم: أتعرفون هذه؟ فيقولون: نعوذ بالله من معرفة هذه! فيقال: هذه الدنيا التي تناحرتم عليها، بها تقاطعتم الأرحام. وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم، ثم يقذف بها في جهنم فتنادي: أي رب أين أتباعي وأشياعي؟ فيقول الله عز وجل: ألحقوا بها اتباعها وأشياعها. وقال الفضيل: بلغني أن رجلاً عرج بروحه فإذا امرأة على قارعة الطريق عليها من كل زينة

ألوان المصبغات وأنواع الزينة فقلت: أعوذ بالله منك. فقالت: إذا أردت أن يعيذك الله مني فابغض الدرهم. قال: وفي لفظ آخر: والله لا يعيذك الله مني حتى تبغض الدينار والدرهم.

(**وقال أبو بكر بن عياش**) بتحتانية ومعجمة الأسدي الكوفي المقري تقدمت ترجمته، والإختلاف في اسمه على عشرة أقوال. (**رأيت الدنيا في النوم عجوزاً مشوّهة**) أي قبيحة الخلقة (**شمطاء تصفق بيديها وخلفها خلق يتبعونها يصفقون ويرقصون، فلما كانت بحذائي**) أي مقابلتي أقبلت علي فقالت: لو ظفرت بك لصنعت بك مثل ما صنعت بهؤلاء، ثم بكى أبو بكر وقال: رأيت هذا قبل أن أقدم إلى بغداد. قال المزي: وهو من مشهوري مشايخ الكوفة ومن قرائهم، وقد دخل بغداد ونشر بها العلم، وروى عنه أكابر الشيوخ، مات سنة ٢٣٣ عن ست وتسعين سنة.

(**وقال الفضيل بن عياض**) رحمه الله تعالى: (**قال ابن عباس رضي الله عنه: يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاءأنيابها بادية**) وهوأسنانها من قدام (**مشوهاً خلقها**) أي قصيراً (**وتشرف على الخلائق فيقال لهم: تعرفون هذه؟ فيقولون: نعوذ بالله من معرفة هذه، فيقال: هذه الدنيا التي تناحرتم عليها**) أي تذابحتم (**بها تقاطعتم الأرحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم، ثم تقذف في جهنم فتنادي: أي رب أين اتباعي وأشياعي**) أي جماعتي؟ (**فيقول الله عز وجل: الحقوا بها اتباعها وأشياعها**) فيقذفون في النار. هكذا أورده صاحب القوت عن ابن عباس ولم يذكر الفضيل بن عياض. وقد روى الفضيل عن جماعة، عن عكرمة، عن ابن عباس، وعن جماعة عن عطاء عن ابن عباس وقد روى أبو سعيد بن الإعرابي في كتاب الزهد له من حديث عبادة يجاء بالدنيا يوم القيامة فيقال: ميزوا ما كان منها لله وألقوا سائرها في النار. (**وقال الفضيل**) رحمه الله تعالى: (**بلغني أن رجلاً عرج بروحه فإذا امرأة**

من الحلي والثياب، وإذا لا يمر بها أحد إلا جرحته، فإذا هي أدبرت كانت أحسن شيء رآه الناس، وإذا هي أقبلت كانت أقبح شيء رآه الناس، عجوز شمطاء زرقاء عمشاء قال: فقلت أعوذ بالله منك! قالت: لا والله. لا يعيذك الله مني حتى تبغض الدرهم! قال: فقلت من أنت؟ قالت: أنا الدنيا.

(مثال آخر للدنيا وعبور الإنسان بها: اعلم أن الأحوال ثلاثة: حالة لم تكن فيها شيئاً وهي ما قبل وجودك إلى الأزل، وحالة لا تكون فيها مشاهداً للدنيا وهي ما بعد موتك إلى الأبد، وحالة متوسطة بين الأبد والأزل وهي أيام حياتك في الدنيا؛ فانظر إلى مقدار طولها وانسبه إلى طرفي الأزل والأبد حتى تعلم أنه أقل من منزل قصير في سفر بعيد، ولذلك قال ﷺ: «ما لي وللدنيا! وإنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف فرفعت له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها». ومن رأى الدنيا

على قارعة الطريق عليها من كل زينة الحلي والثياب، وإذ لا يمر بها أحد إلا جرحته، فإذا هي أدبرت كانت أحسن شيء رآها الناس، وإذا هي أقبلت كانت اقبح شيء رآه الناس. عجوز شمطاء زرقاء عمشاء. قال: فقلت أعوذ بالله منك. قالت: لا والله لا يعيذك الله مني حتى تبغض الدرهم. قال، قلت: من أنت؟ قالت: أنا الدنيا) وهذه القصة أشبه بقصة العلاء بن زياد التي أوردناها آنفاً، وأن الفضيل بلغه عن رجل عنه والتاريخ يقبله والله أعلم.

(مثال آخر للدنيا وعبور الإنسان بها: اعلم) هداك الله تعالى **(أن الأحوال ثلاثة: حالة لم تكن فيها شيئاً)** مذكوراً **(وهي ما قبل وجودك)** في هذا العالم إلى الأزل أي استمداد الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب الماضي. **(وحالة لا تكون فيها مشاهداً للدنيا وهي ما بعد موتك إلى الأبد)** وهو استمراره كذلك في المآل. **(وحالة متوسطة بين الأبد والأزل وهي أيام حياتك في الدنيا)** ووجـوك فيها **(فانظر إلى مقدار طولها وانسبه إلى طرفي الأزل والأبد حتى تعلم أنه أقل من منزل قصير في سفر طويل، ولذلك قال ﷺ: « ما لي وللدنيا)** أي ليس لي الفة ومحبة معها ولا لها معي حتى أرغب فيها. وأي إلفة لي وصحبة مع الدنيا. قال الطيبي: واللام في الدنيا مقحمة للتأكيد إن كان الواو بمعنى «مع» وإن كـان للعطـف فتقديره: مالي وللدنيا معي **(إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف)** أي شديد الحر **(فرفعت له)** أي ظهرت له **(شجرة فقال تحت ظلها)** من القيلولة وهي نوم نصف النهار، والمراد هنا مطلق الاستراحة **(ساعة)** يدفع بذلك حرّ الوقت **(وتركها »)** قال العراقي: رواه الترمذي، وابن ماجه، والحاكم من حديث ابن مسعود بنحوه. ورواه أحمد، والحاكم وصححه من حديث ابن عباس انتهى.

بهذه العين لم يركن إليها ولم يبال كيف انقضت أيامه في ضر وضيق أو في سعة ورفاهية، بل لا يبني لبنة على لبنة. توفي رسول الله ﷺ وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة. ورأى بعض الصحابة يبني بيتاً من خص فقال: «أرى الأمر أعجل من هذا

قلت: سياق المصنف هو حديث ابن عباس قال: دخل عمر على رسول الله ﷺ وهو على حصير أثر في جنبه فقال: يا رسول الله لو اتخذت فراشاً أوثر من هذا: فقال: «مالي وللدنيا وما للدنيا ومالي والذي نفسي بيده ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها» هكذا أخرجه أحمد والطبراني والحاكم وابن حبان والبيهقي.

وأما لفظ حديث ابن مسعود «مالي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها، وهكذا رواه أيضاً أحمد وهناد وابن سعد والطبراني والحاكم والبيهقي. قال ابن مسعود: دخلت على النبي ﷺ وهو نائم على حصير قد أثر بجنبه فبكيت فقال: «ما يبكيك»؟ قلت: كسرى وقيصر على الخز والديباج وأنت نائم على هذا الحصير فذكره. قال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح غير هلال بن جناب وهو ثقة. وقال الترمذي: هو حسن صحيح. وقال الحاكم: على شرط البخاري، وأقره الذهبي.

قال الطيبي: وهذا التشبيه تمثيلي ووجه الشبه سرعة الرحيل وقلة المكث، ومن ثم خص الراكب ومقصوده: أن الدنيا زينة زينت للعيون والنفوس فأخذت بهم استحساناً ومحبة، ولو باشر القلب معرفة حقيقتها ومصيرها لأبغضها ولما آثرها على الآجل الدائم.

وقال الحكيم في نوادر الأصول: جعل الله الدنيا ممراً والآخرة مقراً والروح جارية والرزق بلغة والمعاش حجة والسعي جزاء ودعاء من دار الآفات إلى دار السلام، ومن السجن إلى البستان، وذلك حال كل إنسان لكن للنفس أخلاق دنيئة رديئة تعمى عن كونها دار ممر وتلهى عن تذكر كون الآخرة دار مقر، ولا يبصر ذلك إلا من اطمأنت نفسه وماتت شهوته واستنار قلبه بنور اليقين، ولذلك شهد النبي ﷺ هذه الحال في نفسه ولم يضفها لغيره، وإن كان سكان الدنيا جميعاً كذلك لعماهم عما هناك.

(ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن إليها ولم يبال كيف انقضت أيامه في ضر وضيق أو في سعة ورفاهية، بل لا يبني لبنة على لبنة) بفتح فكسر واحدة اللبن ككتف وقد يخفف وهو ما يعمل من الطين ويبنى به. **(توفي رسول الله ﷺ وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة)**. قال العراقي: رواه ابن حبان والطبراني في الأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف انتهى.

وفي خطبة علي رضي الله عنه يذكر فيها ما كان عليه ﷺ من الزهد في الدنيا فقال: خرج من الدنيا خميصاً وورد الآخرة سليماً لم يضع حجراً على حجر حتى مضى لسبيله، وأجاب داعي ربه.

(ورأى بعض أصحابه يبني بيتاً من خص) بالضم هو القصب الفارسي يبنى به البيت،

وأنكر ذلك » وإلى هذا أشار عيسى عليه السلام حيث قال: الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها. وهو مثال واضح فإن الحياة الدنيا معبر إلى الآخرة، والمهد هو الميل الأوّل على رأس القنطرة، واللحد هو الميل الآخر، وبينهما مسافة محدودة، فمن الناس من قطع نصف القنطرة، ومنهم من قطع ثلثها، ومنهم من قطع ثلثيها، ومنهم من لم ىَ له إلا خطوة واحدة وهو غافل عنها. وكيفما كان فلا بدّ له من العبور، والبناء على القنطرة وتزيينها بأصناف الزينة وأنت عابر عليها غاية الجهل والخذلان.

(مثال آخر للدنيا في لين موردها وخشونة مصدرها) : اعلم أن أوائل الدنيا تبدو هينة لينة يظن الخائض فيها أن حلاوة خفضها كحلاوة الخوض فيها وهيهات! فإن الخوض في الدنيا سهل والخروج منها مع السلامة شديد، وقد كتب علي رضي الله عنه إلى سلمان الفارسي بمثالها فقال: مثل الدنيا مثل الحية لين مسها ويقتل سمها، فأعرض عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها، وضع عنك همومها بما أيقنت من فراقها، وكن

ويقال للبيت المبني به خص والجمع أخصاص **(فقال: أرى الأمر أعجل من هذا)** قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن عمر وقال: حسن صحيح، **(وأنكر ذلك)** عليه، **(وإلى هذا أشار عيسى عليه السلام حيث قال: الدنيا قنطرة)** يعبر عليها إلى الآخرة **(فاعبروها ولا تعمروها)** كذا نقله صاحب القوت، وقد روى مالك من حديث ابن عمر مرفوعاً رواه الديلمي في الفردوس بلا سند، **(وهو مثال واضح فإن الحياة الدنيا معبر إلى الآخرة، فالمهد هو الميل الأول)** بكسر الميم اسم للمسافة **(على رأس القنطرة، واللحد هو الميل الآخر)** في آخر القنطرة **(بينهما مسافة محدودة)** معينة، **(فمن الناس من قطع نصف القنطرة، ومنهم من قطع ثلثها، ومنهم من قطع ثلثيها، ومنهم من لم يبق له إلا خطوة واحدة وهو غافل عنها وكيفما كان فلا بدّ له من العبور)** والمرور **(والبناء على القنطرة وتزيينها بأصناف الزينة وأنت عابر عليها غاية الجهل والخذلان)** وفي القوت قال الحواريون لعيسى عليه السلام: إنما نريد أن نبني بيتاً نجتمع فيه نتعبد ونتدارس، فاختر لنا موضعاً نبني فيه. فقال: تعالوا فمشوا معه فوقف على قنطرة فقال: ابنوا ههنا. فقالوا: نبني على قنطرة وهي مدرجة للناس لا يدعون فيها. فقال: كذلك الدنيا مدرجة الموتى وأنتم تبنون عليها ولا يدعونكم فيها.

(مثال آخر للدنيا في لين موردها وخشونة مصدرها: اعلم) وفقك الله تعالى **(أن أوائل أمر الدنيا تبدو هينة لينة يظن الخائضَ فيها أن حلاوة خفضها كحلاوة الخوض فيها وهيهات! فإن الخوض في الدنيا سهل والخروج منها مع السلامة)** للدين **(شديد، وقد كتب علي رضي الله عنه إلى سلمان الفارسي)** رضي الله عنه **(بمثالها فقال: مثل الدنيا مثل الحية لين مسها وتقتل بسمها)** وبين المس والسم جناس القلب، **(فاعرض عما يعجبك منها لقلة ما**

أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون لها، فإن صاحبها كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصه عنه مكروه والسلام.

(مثال آخر للدنيا في تعذر الخلاص من تبعاتها بعد الخوض فيها) : قال رسول الله ﷺ : « إنما مثل صاحب الدنيا كالماشي في الماء هل يستطيع الذي يمشي في الماء أن لا تبتل قدماه » وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا أنهم يخوضون في نعيم الدنيا بأبدانهم وقلوبهم منها مطهرة، وعلائقها عن بواطنهم منقطعة، وذلك مكيدة من الشيطان بل لو أخرجوا مما هم فيه لكانوا من أعظم المتفجعين بفراقها، فكما أن المشي على الماء يقتضي بللاً لا محالة يلتصق بالقدم فكذلك ملابسة الدنيا تقتضي علاقة وظلمة في القلب، بل علاقة الدنيا مع القلب تمنع حلاوة العبادة. قال عيسى عليه السلام: بحق أقول لكم، كما ينظر

يصحبك منها وضع عنك همومها لما أيقنت) به **(من فراقها، وكن أسر ما تكون فيها احذر ما تكون لها، فإن صاحبها كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصه عنه مكروه والسلام)** .

وهذا الكتاب كتبه إليه قبل أيام خلافته. ذكره الشريف الرضي في نهج البلاغة ولفظه؛ أما بعد فإن مثل الدنيا مثل الحية لين مسها قاتل سمها فذكره، وفيه: وكن آنس ما تكون فيها أحذر ما تكون منها، فإن صاحبها كلما اطمأن فيها إلى سرور اشخصته منه إلى محذور أو إلى إيناس ازالته عنه بإيحاش. وفي رواية: أزاله عنه إيحاش. والمقصود من إيراد هذا الكلام تشبيه الدنيا بالحية في لين المس ونفث السم، وقد قال الشاعر في ذلك:

هي دنيا كحية تنفث السـ ... ـم وإن كانت المجسة لانت

(مثال آخر للدنيا في تعذر الخلاص من تبعاتها بعد الخوض فيها) : والتبعة وزان كلمة واحدة التبعات اسم لما يتبعه من ظلامة ونحوها. **(قال النبي ﷺ : « إنما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي في الماء هل يستطيع الذي يمشي في الماء أن لا تبتل قدماه »)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي من طريقه في الشعب من رواية الحسن قال: بلغني أن رسول الله ﷺ **قال** فذكره، ووصله البيهقي في الشعب وفي الزهد من رواية الحسن عن أنس انتهى.

قلت: لفظ البيهقي في الشعب: هل من أحد يمشي على الماء إلا ابتلت قدماه؟ كذلك صاحب الدنيا لا يسلم من الذنوب، وهو استثناء من أعم عام الأحوال تقديره: هل يمشي في حال من الأحوال إلا في حال ابتلال قدميه.

(وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا أنهم يخوضون في نعيم الدنيا بأبدانهم وقلوبهم عنها مطهرة وعلائقها عن بواطنهم منقطعة، وذلك مكيدة من الشيطان) ألقاها على قلوبهم فأعمى بها بصائرهم، **(بل لو أخرجوا مما هم فيه لكانوا من أعظم المتفجعين بفراقها)** وازوائها عنهم، **(فكما أن المشي في الماء يقتضي بللاً لا محالة يلتصق بالقدم، فكذلك ملابسة الدنيا تقتضي علاقة وظلمة في القلب، بل علاقة القلب مع الدنيا تمنع حلاوة العبادة . قال**

المريض إلى الطعام فلا يلتذ به من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا، وبحق أقول لكم، إن الدابة إذا لم تركب وتمتهن تصعب ويتغير خلقها كذلك القلوب إذا لم ترفق بذكر الموت ونصب العبادة تقسو وتغلظ، وبحق أقول لكم، إن الزق ما لم ينخرق أو يقحل يوشك أن يكون وعاء للعسل كذلك القلوب ما لم تخرقها الشهوات أو يدنسها الطمع أو يقسيها النعيم فسوف تكون أوعية للحكمة. وقال النبي ﷺ: «إنما بقي من الدنيا بلاء وفتنة وإنما مثل عمل أحدكم كمثل الوعاء إذا طاب أعلاه طاب أسفله وإذا خبث أعلاه خبث أسفله».

(مثال آخر لما بقي من الدنيا وقلته بالإضافة إلى ما سبق): قال أنس: قال

عيسى عليه السلام: بحق أقول لكم، كما ينظر المريض إلى طعام فلا يلتذ به من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا. وبحق أقول لكم، إن الدابة إذا لم تركب وتمتهن) أي تذلل **(لصعبت وتغير خلقها، كذلك القلوب إذا لم ترقق بذكر الموت ونصب العبادة)** أي تعبها ورياضتها **(تقسو وتغلظ)** فلا ينجع فيها الموعظة. **(وبحق أقول لكم، إن الزق ما لم ينخرق أو يقحل)** أي ييبس **(يوشك أن يكون وعاء للعسل)** الذي هو أشرف المطعومات، **(كذلك القلوب ما لم تخرقها الشهوات أو يدنسها الطمع أو يقسيها النعيم فسوف تكون أوعية للحكمة)**، كذا في القوت. وروى أبو نعيم في الحلية عن مالك بن دينار قال: إن البدن إذا سقم لم ينجع فيه طعام ولا شراب ولا نوم ولا راحة، وكذلك القلب إذا علقه حب الدنيا لم ينجع فيه الموعظة. وقال أيضاً: إن القلب المحب لله عز وجل يحب النصب في الله عز وجل.

(وقال نبينا ﷺ: «إن ما يغنى من الدنيا بلاء وفتنة وإنما مثل عمل أحدكم كمثل الوعاء إذا طاب أعلاه طاب أسفله وإذا خبث أعلاه خبث أسفله») قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث معاوية فرقه في موضعين ورجاله ثقات انتهى.

قلت: ورواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا مخلد بن جعفر، حدثنا جعفر الفريابي، حدثنا هشام بن حماد، حدثنا صدقة بن خالد، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد، حدثنا أبو عبد رب سمعت معاوية على منبر دمشق يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه لم يبق من الدينا إلا بلاء وفتنة وإنما العمل كالوعاء إذا طاب أعلاه طاب أسفله وإذا خبث أعلاه خبث أسفله» **قال أبو نعيم**: رواه الوليد بن مسلم عن ابن جابر مثله لم يروه عن معاوية إلا أبو عبدرب.

(مثال آخر لما بقي من الدنيا وقلته بالإضافة إلى ما سبق: قال أنس) رضي الله عنه:

رسول الله ﷺ : « مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من أوله إلى آخره فبقي متعلقاً بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع ».

(مثال آخر لتأدية علائق الدنيا بعضها إلى بعض حتى الهلاك) : قال عيسى عليه السلام : مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً حتى يقتله.

(مثال آخر لمخالفة آخر الدنيا أوّلها ولنضارة أوائلها وخبث عواقبها) : اعلم أن شهوات الدنيا في القلب لذيذة كشهوات الأطعمة في المعدة، وسيجد العبد عند

(قال رسول الله ﷺ « مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من أوله إلى آخره فبقي معلقاً) وفي رواية متعلقاً **(بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع »)** فهذا مثل ضربه على نقضها وسرعة زوالها.

قال ابن القيم: ويوضح هذا المثل ما رواه أحمد من حديث أبي سعيد: صلّى بنا رسول الله ﷺ العصر نهاراً ثم قام فخطبنا فلم يترك شيئاً قبل قيام الساعة إلا أخبر به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، وجعل الناس يلتفتون إلى الشمس هل بقي منها شيء، فقال: « لا إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه ».

قال العراقي: رواه أبو الشيخ ابن حبان في الثواب، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف.

قلت: قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إسماعيل بن يزيد، حدثنا إبراهيم بن الأشعث، حدثنا فضيل بن أبان، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: « مثل الدنيا والآخرة كمثل ثوب شق من أوّله إلى آخره فتعلق بخيط منها فما لبث ذلك الخيط أن ينقطع » قال: غريب من حديث الفضيل لم نكتبه إلا من حديث إبراهيم، وأبان بن أبي عياش لم تصح صحبته لأنس لأنه كان لهجاً بالعبادة والحديث ليس من شأنه.

(مثال آخر لتأدية علائق الدنيا بعضها إلى بعض حتى الهلاك) : أي بعضها يجر بعضاً ويستدعيه حتى يوقعه في الهلاك. **(قال عيسى عليه السلام: مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر)** أي المالح **(كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً حتى يقتله)**، نقله صاحب القوت، وهذا لأن شارب ماء البحر لا يحصل له الري مما يشربه بل يزيده وهجاً في جوفه، فلم يزل يسيغ منه جرعة بعد أخرى حتى يكون حتفه فيه، وعلائق الدنيا كذلك كلما يتعلق بعلاقة منها تستدعي الأخرى، ولا يقنع بها حتى تستولي عليه العلائق وتحيط به فيكون سبب هلاكه الأبدي. نعوذ بالله من ذلك.

(مثال آخر لمخالفة آخر الدنيا أوّلها ولنضارة أوائلها) أي طراوتها وبهجتها **(وخبث عواقبها: اعلم)** هداك الله تعالى **(أن شهوات الدنيا في القلب لذيذة كشهوات الأطعمة في**

الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والنتن والقبح ما يجده للأطعمة اللذيذة إذا بلغت في المعدة غايتها، وكما أن الطعام كلما كان ألذ طعماً وأكثر دسماً وأظهر حلاوة كان رجيعه أقذر وأشد نتناً، فكذلك كل شهوة في القلب هي أشهى وألذ وأقوى، فنتنها وكراهتها والتأذي بها عند الموت أشدّ بل هي في الدنيا مشاهدة، فإن من نهبت داره وأخذ أهله وماله وولده، فتكون مصيبته وألمه وتفجعه في كل ما فقد بقدر لذته به وحبه له وحرصه عليه، فكل ما كان عند الوجود أشهى عنده وألذ فهو عند الفقد أدهى وأمرّ، ولا معنى للموت إلا فقد ما في الدنيا. وقد روي أن النبي ﷺ قال للضحاك بن سفيان الكلابي: « ألست تؤتى بطعامك وقد ملح وقزح ثم تشرب عليه اللبن والماء؟ قال: بلى؛ قال: فإلامَ يصير؟ قال: إلى ما قد علمت يا رسول الله، قال: فإن الله عز وجل

المعدة وسيجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والفتن والقبح ما يجده في الأطعمة اللذيذة إذا بلغت في المعدة غايتها، وكما أن الطعام كلما كان ألذ طعماً وأكثر دسماً وأظهر حلاوة كان رجيعه أقذر) أي ما خرج من بطنه أكثر قذراً، **(وأشد نتناً، وكذلك كل شهوة في القلب هي أشهى وألذ وأقوى، فنتنها وكراهتها والتأذي بها عند الموت أشد بل هي في الدنيا مشاهدة، فإن من نهبت داره وأخذ أهله وولده وماله فتكون مصيبته وألمه وتفجعه في كل ما فقد بقدر لذته به وحبه له وحرصه عليه، فكل ما كان عند الوجود أشهى عنده وألذ فهو عند الفقد أدهى وأمرّ ولا معنى للموت إلا فقد ما في الدنيا)**. ومن هنا قال من قال.

ومـن سره أن لا يـرى مـا يسـوءه فلا يتخـذ شيئاً يخاف لـه فقـداً

(وقد روي ان النبي ﷺ قال للضحاك بن سفيان) بن عوف بـن أبي بكر بن كلاب أبي سعيد **(الكلابي)** كان من عمال النبي ﷺ على الصدقات، وروى البغوي وابن قانع أنه كان سيّافاً لرسول الله ﷺ يقوم على رأسه متوشحاً بسيفه، روى له الأربعة أرباب السنن: **(« ألست تؤتى بطعامك وقد ملح)** أي أصلح بالملح **(وقزح)** أي أصلح بالقزح بكسر فسكون وهي الابزار وقزح قدره بالتخفيف والتثقيل جعل فيها القزح **(ثم تشرب عليه اللبن والماء » قال: بلى، قال: « فإلى ما يصير »)** أي يرجع؟ **(قال: إلى ما قد علمت يا رسول الله. قال: « فإن الله عز وجل ضرب مثل الدنيا لما يصير إليه طعام ابن آدم »)** قال العراقي: رواه أحمد والطبراني بنحوه، وفيه علي بن زيد بن جدعان مختلف فيه اهـ.

ولفظ القوت: وقد ضرب رسول الله ﷺ مثل الدنيا بما يخرج من نحو ابن آدم بقوله للإعرابي « أرأيتم ما تأكلون وتشربون تنظفون وتطيبون وتبردون »، قال: بلى، قال « فإلى أي شيء يصير »، قال: ما قد علمت يا رسول الله قال: « أليس أحدكم يقعد خلف بيته فيجعل يده على أنفه من نتن ريحه »، قال: نعم. قال « فإن الله جعل الدنيا مثلاً لما يخرج من ابن آدم ».

ضرب مثل الدنيا بما يصير إليه طعام ابن آدم »، وقال أبيّ بن كعب: قال رسول الله ﷺ: « إن الدنيا ضربت مثلاً لابن آدم فانظر إلى ما يخرج من ابن آدم وإن قزحه وملحه إلام يصير ». وقال ﷺ: « إن الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلاً وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلاً وإن قزحه وملحه ». وقال الحسن: قد رأيتهم يطيبونه بالأفاويه والطيب ثم يرمون به حيث رأيتم، وقد قال الله عز وجل: ﴿فلينظر الإنسانُ إلى طعامه﴾ [عبس: ٢٤] قال ابن عباس: إلى رجيعه. وقال رجل لابن عمر: إني أريد أن أسألك وأستحي. قال: فلا تستحي واسأل. قال: إذا قضى أحدنا حاجته فقام ينظر إلى ذلك منه. قال: نعم إن الملك يقول له انظر إلى ما بخلت به انظر إلى ماذا صار. وكان

(وقال أبيّ بن كعب) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ « إن الدنيا ضربت مثلاً لابن آدم فانظر إلى ما يخرج من ابن آدم وأن قزحه وملحه)** بالتشديد فيهما ويرويان بالتخفيف أيضاً **(إلى ما يصير »)** يعني ما يخرج منه كان قبل ذلك ألواناً من الأطعمة طيبة ناعمة وشراباً سائغاً فصارت عاقبته إلى ما ترى. قال العراقي: رواه الطبراني وابن حبان بلفظ: « إن مطعم ابن آدم قد ضرب للدنيا مثلاً » ورواه عبد الله بن أحمد في زيادات المسند بلفظ « جعل » اهـ.

قلت: وقد رواه أحمد أيضاً ولفظهم جميعاً « إن مطعم ابن آدم وضرب مثلاً للدنيا وأن قزحه وملحه فانظر إلى ما يصير » قال المنذري: إسناد جيد قوي.

(وقال ﷺ: « إن الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلاً وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلاً وأن قزحه وملحه ») قال العراقي: في الشطر الأوّل منه غريب، والشطر الأخير هو الذي تقدم من حديث الضحاك بن سفيان « إن الله ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلاً للدنيا » اهـ.

قلت: ولفظ القوت: ورواه يحيى السعدي عن أبيّ بن كعب، عن رسول الله ﷺ قال: « إن الله ضرب » فذكره مثل سياق المصنف، وزاد في آخره « فانظر ما يخرج من ابن آدم ».

(قال الحسن) رحمه الله تعالى: **(وقد رأيتهم يطيبونه بالأفاويه)** أي التوابل **(والطيب ثم يرمونه بأخبث ما رأيتم)** نقله صاحب القوت، **(وقد قال الله عز وجل ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه﴾ قال ابن عباس: إلى رجيعه)** كيف صار وإلى ما آل نقله صاحب القوت، ويروى عن ابن عباس أنه لما أهبط آدم إلى الأرض وأحدث نظر إلى ما خرج منه فأتاه ريحه فاغتم لذلك، فقال له جبريل: هذه رائحة خطيئتك.

(وقال رجل لابن عمر) رضي الله عنه: **(إني أريد أن أسالك واستحي قال: فلا تسحي وسل)** عما بدا لك. **(قال: إذا قضى أحدنا حاجته فقام نظر إلى ذلك منه؛ قال: نعم إن الملك يقول له: انظر هذا ما بخلت به انظر إلى ماذا صار)** نقله صاحب القوت وقال: فهذه

بشير بن كعب يقول: انطلقوا حتى أريكم الدنيا فيذهب بهم إلى مزبلة فيقول: انظروا إلى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمنهم.

(مثال آخر في نسبة الدنيا إلى الآخرة): قال رسول الله ﷺ: « ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر أحدكم بمَ يرجع إليه ».

مشاهدة ذوي الألباب الذي فهموا عن الله تعالى باطن الخطاب من قوله تعالى: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ [الذاريات: ٢١] قيل: مجاري الطعام والشراب إلى ما يؤول فيزهدون في أوّله إذ قد كوشفوا بآخره.

(وكان بشيّر) مصغراً **(ابن كعب)** بن أبي الحميري العدوي، أبو أيوب البصري مخضرم. قال النسائي وابن سعد: ثقة احتفر قبراً في طاعون الجارف فقرأ فيه القرآن، فلما مات دفن فيه. ذكره مسلم في مقدمة كتابه، وروى له الباقون **(يقول: انطلقوا حتى أريكم الدنيا فيذهب بهم إلى السوق وهي مزبلة فيقول: انظروا إلى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمنهم)** نقله صاحب القوت قال: وفي حديث الحسن مرَّ رسول الله ﷺ على مزبلة فقال: « من سرّه أن ينظر إلى الدنيا بحذافيرها فلينظر إلى هذه المزبلة » قال: وروي عن عمر أنه مر بمزبلة فاحتبس عندها فكان أصحابه تأذوا من ذلك فقال: هذه دنياكم التي تحرصون عليها.

(مثال آخر في نسبة الدنيا إلى الآخرة) أي أنها حقيرة: **(قال رسول الله ﷺ « ما الدنيا في الآخرة)** أي في جنبها وبالإضافة إليها وهو حال عاملها معنى النفي وقد يقدر أي ما قدر الدنيا واعتبارها فهو العامل **(إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم)** أي البحر **(فلينظر أحدكم بم يرجع إليه)** فإنه لا يجدي لواجديه ولا يضر فقده لفاقديه ». أخرجه أبو نعيم في الحلية قال: أخبرت عن سهل بن السري البخاري واذن له في الرواية عنه قال: حدثنا محمد بن علي بن سهل، حدثنا النضر بن سلمة، حدثنا إبراهيم بن الأشعث، عن فضيل بن عياض، عن سليمان الشيباني وبيان بن بشر عن قيس بن أبي. حازم عن المستورد بن شداد قال: قال رسول الله ﷺ: « ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع » قال أبو نعيم: وهو غريب من حديث فضيل عن سليمان وصححه. ورواه إسماعيل بن زيد: حدّثنا إبراهيم بن الأشعث، حدثنا فضيل، عن إسماعيل بن خالد، عن قيس، عن المستورد عن النبي ﷺ اهـ.

ورواه الحاكم في المستدرك عن المستورد قال: كنا عند رسول الله ﷺ فتذاكروا في الدنيا والآخرة فقال بعضهم: إنما الدنيا بلاغ للآخرة فيها العمل، وقالت طائفة: الآخرة فيها الجنة. وقالوا: ما شاء الله. فقال رسول الله ﷺ: « ما الدنيا في الآخرة إلا كما يمشي أحدكم إلى اليم فأدخل أصبعه فيه فما خرج منه فهو الدنيا » قال الحاكم: صحيح، وأقره الذهبي.

ثم اعلم أن المثل إنما يضرب عن غائب بحاضر يشبه من بعض وجوهه أو معظمها وما لا شبه له

(مثال آخر للدنيا وأهلها في اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الآخرة وخسرانهم العظيم بسببها) : اعلم أن أهل الدنيا مثلهم في غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم إلى جزيرة فأمرهم الملاّح بالخروج إلى قضاء الحاجة وحذرهم المقام وخوّفهم مرور السفينة واستعجالها ، فتفرقوا في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم حاجته وبادر إلى السفينة فصادف المكان خالياً فأخذ أوسع الأماكن وألينها وأوفقها لمراده ، وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر إلى أنوارها وأزهارها العجيبة وغياضها الملتفة ونغمات طيورها الطيبة وألحانها الموزونة الغريبة وصار يلحظ من بريتها أحجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الألوان والأشكال الحسنة المنظر العجيبة النقوش السالبة أعين الناظرين بحسن زبرجدها وعجائب صورها ، ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع إليها فلم يصادف إلا مكاناً ضيقاً حرجاً فاستقرَّ فيه . وبعضهم أكبّ على تلك الأصداف والأحجار وأعجبه حسنها ولم تسمح نفسه بإهمالها فاستصحب منها جملة ، فلم يجد في السفينة إلا مكاناً ضيقاً وزاده ما حمله من الحجارة ضيقاً وصار ثقيلاً عليه ووبالاً ، فندم على أخذه ولم يقدر على

منع فيه من ضرب المثل ، ومثل الدنيا بالذي يعلق بالإصبع من البحر تقريباً للعوام في احتقار الدنيا ، وإلاّ فالدنيا كلها في جنب الجنة ودوامها أقل ، لأن البحر يفنى بالقطرات والجنة لا تبيد ولا ينفد نعيمها ، بل يزيد للواحد من العبيد ، فكيف بجميع أهل التوحيد ؟

(مثال آخر للدنيا وأهلها في اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الآخرة وخسرانهم العظيم بسببها : اعلم) وفقك الله تعالى **(أن أهل الدنيا في غفلتهم مثلهم مثل قوم ركبوا في سفينة)** ليجوزوا عليها إلى وطنهم ، **(فانتهت بهم إلى جزيرة)** في البحر ذات أساود وأسود فأرست هناك ، **(فأمرهم الملاّح بالخروج)** منها **(لقضاء الحاجة)** والتفسح ، **(وحذّرهم)** أي خوّفهم **(المقام)** أي الإقامة والمكث في الجزيرة إلا قدر قضاء الحاجة ، **(وخوّفهم مرور السفينة واستعجالها)** فخرجوا منها ، **(فتفرقوا في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم حاجته وبادر إلى السفينة فصادف المكان خالياً فأخذ)** لنفسه **(أوسع الأماكن وألينها وأوفقها لمراده ، وبعضهم توقف في الجزيرة ونظر إلى أزهارها وأنوارها)** العجيبة وغياضها الملتفة الأشجار ، **(ونغمات طيورها الطيبة وألحانها الموزونة الغريبة ، وصار يلحظ من بريتها أحجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الألوان والأشكال الحسنة المنظر العجيبة النقوش السالبة أعين الناظرين لحسن زبرجدها)** أي زينتها **(وعجائب صورها ، ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع إليها فلم يصادف)** فيها **(إلا مكاناً ضيقاً حرجاً فاستقرّ فيه ، وبعضهم أكب على تلك الأصداف والأحجار فأعجبه حسنها ولم تسمح نفسه بإهمالها)** أي تركها فاستصحب منها جملة) فأتى بها إلى السفينة ، **(فلم يجد في السفينة إلا مكاناً ضيقاً وزاده ما حمله من الحجارة ضيقاً وصار ثقلاً عليه ووبالاً ، فندم على أخذه ولم يقدر على رميه)**

رميه ولم يجد مكاناً لوضعه، فحمله في السفينة على عنقه وهو متأسف على أخذه وليس ينفعه التأسف. وبعضهم تولج الغياض ونسي المركب وبعد في متفرجه ومتنزهه منه حتى لم يبلغه نداء الملاح لاشتغاله بأكل تلك الثمار واستشمام تلك الأنوار والتفرج بين تلك الأشجار، وهو مع ذلك خائف على نفسه من السباع وغير خال من السقطات والنكبات، ولا منفك عن شوك ينشب بثيابه وغصن يجرح بدنه وشوكة تدخل في رجله وصوت هائل يفزع منه وعوسج يخرق ثيابه ويهتك عورته ويمنعه عن الانصراف لو أراد، فلما بلغه نداء أهل السفينة انصرف مثقلاً بما معه ولم يجد في المركب موضعاً فبقي في الشط حتى مات جوعاً. وبعضهم لم يبلغه النداء وسارت السفينة، فمنهم من افترسته السباع، ومنهم من تاه فهام على وجهه حتى هلك، ومنهم من مات في الأوحال، ومنهم من نهشته الحيات فتفرقوا كالجيف المنتنة.

وأما من وصل إلى المركب بثقل ما أخذه من الأزهار والأحجار، فقد استرقته وشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضيقت عليه مكانه فلم يلبث أن ذبلت تلك الأزهار وكمدت تلك الألوان والأحجار فظهر نتن رائحتها فصارت مع كونها مضيقة

لإعجابه به، **(ولم يجد مكاناً لوضعه فحمله في السفينة على عنقه وهو متأسف)** نادم **(على أخذه)** من الجزيرة **(وليس ينفعه التأسف. وبعضهم تولج)** تلك **(الغياض ونسي المركب وبَعُد في متفرجه ومتنزهه منه حتى لم يبلغه نداء الملاّح رئيس السفينة لاشتغاله بأكل تلك الثمار واشتمام تلك الأنوار والتفرج بين تلك الأشجار، وهو مع ذلك خائف على نفسه من السباع)** العوادي في تلك الجزيرة أن تهم عليه، **(وغير خال من السقطات والنكبات، ولا منفك عن شوك يتشبث بثيابه، وغصن يجرح بدنه، وشوكة تدخل في رجله، وصوت هائل يفزع منه، وعوسج)** وهو شجر شائك **(يخرق ثيابه ويهتك عورته ويمنعه عن الانصراف لموارده، فلما بلغه نداء أهل السفينة انصرف مثقلاً بما معه ولم يجد في المركب موضعاً فبقي على الشط حتى مات جوعاً. وبعضهم لم يبلغه النداء وسارت السفينة، فمنهم من افترسته السباع، ومنهم من تاه على وجهه حتى هلك، ومنهم من مات في الأوحال، ومنهم من نهشته الحيات وتفرقوا كالجيف المنتنة)** فلم يغن عنهم حجرهم وزهرهم، فصاروا كما قال تعالى حكاية عمن هذه حاله: ﴿ما أغنى عني ماليه ★ هلك عني سلطانيه﴾ [الحاقة: ٢٨، ٢٩].

(فأما من وصل إلى المركب بثقل ما أخذه من الحجارة المزبرجدة) والأزهار المزينة **(فقد استرقته)** أي استعبدته **(وشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضيقت عليه مكانه فلم يلبث أن ذبلت تلك الأزهار وكمدت ألوان)** تلك **(الأحجار، فظهر نتن رائحتها**

عليه مؤذية له بنتنها ووحشتها فلم يجد حيلة إلا أن ألقاها في البحر هرباً منها، وقد أثر فيه ما أكل منها فلم ينته إلى الوطن إلا بعد أن ظهرت عليه الأسقام بتلك الروائح فبلغ سقيماً مدبراً. ومن رجع قريباً ما فاته إلا سعة المحل فتأذى بضيق المكان مدة ولكن لما وصل إلى الوطن استراح ومن رجع أولاً وجد المكان الأوسع ووصل إلى الوطن سالماً، فهذا مثال أهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة أمورهم، وما أقبح من يزعم أنه بصير عاقل أن تغره أحجار الأرض وهي الذهب والفضة وهشيم النبت وهي زينة الدنيا وشيء من ذلك لا يصحبه عند الموت بل يصير كلاً ووبالاً عليه وهو في الحال شاغل له بالحزن والخوف عليه. وهذه حال الخلق كلهم إلا من عصمه الله عز وجل.

(مثال آخر لاغترار الخلق بالدنيا وضعف إيمانهم) : قال الحسن رحمه الله: بلغني أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: « إنما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء حتى إذا لم يدروا ما سلكوا منها أكثر أو ما بقي، أنفدوا الزاد وخسروا

فصار مع كونها مضيقة عليه مؤذية له بنتنها ووحشتها فلم يجد حيلة إلا أن ألقاها في البحر هرباً منها، وقد أثر فيه ما أكل منها فلم ينته إلى الوطن إلاَّ بعد ما ظهرت عليه الأسقام بتلك الروائح) المنتنة **(فبلغ سقيماً مدنفاً)** ناحل البدن **(مدبراً)** قد أدبرت عنه العافية. **(ومن رجع قريباً ما فاته إلا سعة المحل فتأذى بضيق المكان مدة، ولكن لما وصل إلى الوطن استراح، ومن رجع أوّلا وجد المكان الأوسع ووصل إلى الوطن سالماً)** من الأثقال والأشغال. **(فهذا مثال أصناف أهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم على عاقبة أمرهم، وما أقبح من يزعم)** في نفسه **(أنه بصير عاقل أن تغره أحجار الأرض وهي الذهب والفضة)** فإنهما ينبتان في المعادن كما تنبت بقية الأحجار، ولولا تسنى الحاجات بها لكانا هما والأحجار سواء في القدر **(وهشيم النبت وهي زينة الدنيا)** وزخرفها **(وشيء من ذلك لا يصحبه عند الموت بل يصير كلاً)** أي ثقلاً **(ووبالاً عليه، وهو في الحال شاغل بالحزن والخوف عليه. وهذه حال الخلق كلهم إلا من عصمه الله تعالى)**. فرأس المعاصي كلها حب الدينار والدرهم فمن أسقط حبها فقد استراح باله، والله الموفق.

(مثال آخر لاغترار الخلق بالدنيا وضعف إيمانهم) بقول الله تعالى في تحذيره إياهم غوائل الدنيا ودواهيها: **(قال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى: **(بلغني أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: « إنما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء)** أي لانبات بها ولا ماء **(حتى إذا لم يدروا ما سلكوا منها أكثر أو ما بقي)** منها **(أنفدوا الزاد)** أي فني

الظهر وبقوا بين ظهراني المفازة ولا زاد ولا حمولة، فأيقنوا بالهلكة فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم رجل في حلة تقطر رأسه فقالوا: هذا قريب عهد بريف وما جاءكم هذا إلا من قريب، فلما انتهى إليهم قال: يا هؤلاء! فقالوا: يا هذا! فقال: علام أنتم؟ فقالوا: على ما ترى، فقال: أرأيتم إن هديتكم إلى ماء رواء ورياض خضر ما تعملون؟ قالوا: لا نعصيك شيئاً. قال: عهودكم ومواثيقكم بالله فأعطوا عهودهم ومواثيقهم بالله لا يعصونه شيئاً. قال: فأوردهم ماء رواء ورياضاً خضراً فمكث فيهم ما شاء الله ثم قال: يا هؤلاء؟ قالوا: يا هذا! قال: الرحيل! قالوا: إلى أين؟ قال: إلى ماء ليس كمائكم وإلى رياض ليست كرياضكم، فقال أكثرهم: والله ما وجدنا هذا حتى ظننا إنا لن نجده وما نصنع بعيش خير من هذا، وقالت طائفة ـ وهم أقلهم ـ: ألم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله أن لا تعصوه شيئاً وقد صدقكم في أوّل حديثه فوالله ليصدقنكم في آخره فراح فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم فبدرهم عدوّ فأصبحوا بين أسير وقتيل».

زادهم (**وحسروا الظهر**) أي أعروه وهو كناية عن هلاك ما يركبونه (**وبقوا بين ظهراني المفازة ولا زاد**) لهم (**ولا حمولة**) تبلغهم، وفي لفظ: فحسر ظهرهم ونفد زادهم وسقطوا بين ظهراني المفازة (**فأيقنوا بالهلكة**) محركة أي الهلاك، (**فبينا هم كذلك إذ خرج عليهم رجل في حله يقطر رأسه**) أي مدهناً رأسه غير أشعث (**فقالوا: هذا قريب**) وفي لفظ الحديث: (**عهد بريف**) أي خصب (**وما جاءكم هذا إلا من قريب، فلما انتهى إليهم قال: يا هؤلاء**) القوم: (**قالوا يا هذا الرجل: قال: على ما أنتم**)؟ أي على أي حال أنتم؟ (**فقالوا: على ما ترى**) من الضنك والشدة حسر ظهرنا ونفد زادنا وسقطنا بين يدي ظهراني المفازة لا ندري ما قطعنا منها أكثر أم ما بقي منها. (**قال: أرأيتم إن هديتكم إلى ما وراء**) ككتاب أي ما يرويكم وتصدون منه على الري (**ورياض خضر ما تعملون؟ قالوا: لا نعصيك شيئاً. قال: عهودكم ومواثيقكم بالله. فاعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله**) أنهم (**لا يعصونه شيئاً**) وفي لفظ قال: ما تجعلون لي إن أوردتكم ماء رواء ورياضاً خضراً؟ قالوا: نجعل لك حكمك. قال: تجعلون لي عهودكم ومواثيقكم ألا تعصوني؟ فجعلوا له عهودهم ومواثيقهم أن لا يعصوه. (**قال: فمال بهم فأوردهم ماء رواء ورياضاً خضراً**) كما وعدهم، (**فمكث فيهم ما شاء الله**) أن يمكث، (**ثم قال: يا هؤلاء**) القوم. (**قالوا: يا هذا**) الرجل: (**قال: الرحيل**) أي ارتحلوا. (**قالوا: إلى أين؟ قال: إلى ماء ليس كمائكم ورياض ليست كرياضكم**) بل هي أجل وأفخر، وفي لفظ: ثم قال: هلموا إلى رياض أعشب من رياضكم وماء أروى من مائكم. (**فقال أكثرهم: والله ما وجدنا هذا حتى ظننا أنا لن نجده وما نصنع بعيش خير من هذا**) فلم يرتحلوا. (**قال: وقالت طائفة وهم أقلهم ألم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله أن لا تعصوه شيئاً وقد صدقكم في أول حديثه، فوالله ليصدقنكم في آخره؟ فراح فيمن اتبعه**) أي ارتحلوا معه

(مثال آخر لتنعم الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فراقها) : اعلم أن مثل الناس فيما أعطوا من الدنيا مثل رجل هيأ داراً وزينها وهو يدعو إلى داره على الترتيب قوماً . واحداً بعد واحد ، فدخل واحد داره فقدم إليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلحقه لا ليتملكه ويأخذه ، فجهل رسمه وظن انه قد وهب ذلك منه فتعلق به قلبه لما ظن أنه له ، فلما استرجع منه ضجر وتفجع ، ومن كان عالماً برسمه انتفع به وشكره ورده بطيب قلب وانشراح صدر ، وكذلك من عرف سنة الله في الدنيا علم أنها دار ضيافة سبلت على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا منها وينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافرون بالعواري ، ولا يصرفون إليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها . فهذه أمثلة الدنيا وآفاتها وغوائلها نسأل الله تعالى اللطيف الخبير حسن العون بكرمه وحلمه .

حيث أشار ، وفي لفظ : فراح وراحوا معه فأوردهم ماء رواء ورياضاً خضراً ، **(وتخلف بقيتهم فنذر بهم عـدو)** فأغار عليهم **(فأصبحوا من بين أسير وقتيل »)** قال العراقي : رواه ابن أبي الدنيا هكذا بطولة ، ولأحمد والطبراني والبزار من حديث ابن عباس : « أن رسول الله ﷺ أتاه فيما يرى النائم ملكان » الحديث . فقال : أي أحد الملكين إن مثل هذا ومثل أمته مثل قوم سفر انتهوا إلى مفازة فذكر نحوه وأخصر منه وإسناده حسن انتهى .

قلت : وبخط الحافظ ابن حجر إسناده صحيح واللفظ الذي ساقه المصنف وهو سياق حديث الحسن عند ابن أبي الدنيا ، وقد روى نحوه ابن عساكر ، عن ابن المبارك قال : بلغنا عن الحسن قال ابن عساكر . وهذا مرسل وفيه انقطاع بين ابن المبارك والحسن .

(مثال آخر لتنعم الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فراقها : أعلم) بصرك الله بنوره **(إن مثل الناس فيما أعطوا من الدنيا)** من ولد ومال وعقار **(مثل رجل هيأ داراً وزينها وهو يدعو إلى داره على الترتيب قوماً ، واحداً بعد واحد ، فدخل واحد داره فقدم إليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلحقه)** بعده **(لا ليتملكه ويأخذه ، فجهل رسمه ، فظن أنه قد وهب ذلك منه فتعلق به قلبه لما ظن أنه له ، فلما استرجع منه ضجر)** وقلق **(وتفجع)** وحزن ، **(ومن كان عالماً برسمه انتفع به وشكره ورده بطيبة قلب وانشراح صدر ، فكذلك من عرف سنة الله في الدنيا)** التي أجرى مراسمها على خلق **(علم أنها دار ضيافة سبلت)** أي حبست **(على المجتازين)** العابرين **(لا على المقيمين ليتزودوا منها وينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافرون بالعواري)** جمع عارية **(ولا يصرفون إليها كل قلوبهم)** ولا يميلون بالأنس بها كل الميل ، **(حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها)** فمن انس بشيء وتعلق به قلبه حزن عند فراقه لا محالة . **(فهذه أمثلة الدنيا وآفاتها وغوائلها)** وقد بقيت للدنيا أمثلة خطرت بالفكر عند كتابتي لهذا الموضع لا بأس بذكرها .

فمنها مثال للدنيا في انقطاعها وفنائها وإن كانت مدتها أكثر مما هي بالإضافة إلى الآخرة، بل لو فرض أن السموات والأرض مملوءات خردلاً وبعد كل ألف سنة طائر ينقل خردلة فني الخردل والآخرة لا تفنى فنسبة الدنيا إلى الآخرة في التمثيل كنسبة خردلة واحدة إلى ذلك الخردل. روى الطبراني في الكبير من حديث المستورد بن شداد مرفوعاً: «ما أخذت الدنيا من الآخرة إلا كما أخذ المخيط غرس في البحر من مائة».

مثال آخر للدنيا وأهلها: أعلم أن الدنيا مشتقة من الدناءة وهي الخسة والحقارة وهي شبه جيفة متغيرة منتنة، والمتكالبون على حوزها لأنفسهم بمنزلة الكلاب العادية كاشرة أنيابها. وقد تقدم في قول علي رضي الله عنه تشبيهها كذلك، وكذا في قول غيره، ويستأنس له بقوله تعالى: ﴿وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع﴾ [الرعد: ٢٦] أي جيفة متغيرة. روي عن الأصمعي أنه قال: يقال متع اللحم إذا راح وتغير.

مثال آخر للدنيا في سرعة انفضاضها هي كالسوق التي يجتمع فيها الناس لقضاء أغراضهم من بيع وشراء وغير ذلك، فعن قريب يعود كل إلى منزله وتنفض السوق. ورد في بعض الأخبار: إنما الدنيا كسوق قام ثم انفض ربح فيه من ربح وخسر فيه من خسر.

مثال آخر للدنيا في شدة عنائها: هي كالبحر العميق الذي لا حد لقعره، وله أمواج متلاطمة، وفيه تماسيح فاغرة فاها، وقد جعل في أسفله من نفائس الجواهر، فمن أراد غورها وقع فيها وغرق ولم يخلص قال بعض أهل العلم في تفسير قوله تعالى: ﴿ومنهم من أغرقنا﴾ [العنكبوت: ٤٠] أي في بحر الدنيا. وتقدم قول لقمان: إن الدنيا بحر عميق. وقال الحريري:

فلا تـوغلـن إذا مـا سبحـت فـإن السلامـة في السـاحـل

مثال آخر للدنيا هي بمنزلة الكنيف الذي يحتاجه الإنسان في وقت دون وقت، فينبغي أن يأخذ الإنسان منها بلغة على قدر الاحتياج كما يحتاج إلى الكنيف تارة لا يدخلها إلا ضرورة، وكلما استغنيت عن دخولك الكنيف كان أجود.

مثال آخر للدنيا في مخالفة ظاهرها لباطنها هي كالكنيف المبيض أو الروث المفضض، فإن ظاهرها يغر الإنسان بزينته وباطنها لا شيء ينتفع به.

مثال آخر للدنيا هي بمنزلة الحمام إنما يدخل فيه للحاجة، فخذ منه ما ينقي الدرن ويذهب الصنة ويذكر النار، فإذا قارب أن يأخذ منك فاهرب منه، وفيه قال الشاعر:

خـذ مـن الحمام وأخـرج قبـل أن يـأخـذ منـك
حـدثـن عنـه وإلا حـدث الحمام عنـك

مثال آخر للدنيا في إصابتها لبعض واخطائها لآخرين: هي بمنزلة امرأة صماء عمياء ردماء في حجرها جواهر وهي قاعدة على حجر مدوّر، يتبعها ناس كثير يلتمسون ما عندها وهي لا تسمع

بيان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد:

اعلم ان معرفة ذم الدنيا لا تكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة ما هي؟ وما الذي ينبغي أن يجتنب منها وما الذي لا يجتنب فلا بدَّ وأن نبين الدنيا المذمومة المأمور باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله ما هي؟ فنقول: دنياك وآخرتك عبارة عن حالتين من أحوال قلبك، فالقريب الداني منها يسمى دنيا وهو كل ما قبل الموت،

قولاً ولا ترى وجهاً، وقد اعتزل عنها قوم قليلو العدد وقعدوا على حجرة وهي تولي في كل ساعة قبضة مما في حجرها واحداً من القوم لا تخص، بل ربما تخطئهم وربما تعطيهم كأنها المعنية لهم بقول الشاعر:

لا تمدحن ابن عباد وإن كثرت ... كفاه جوداً ولا تذممه إن ردما
فليس ينحل إبقاء على نشب ... ولن يجود بفضل المال معتزما
لكنها خطرات من وساوسه ... يعطي ويمنع لا بخلاً ولا كرما

وتارة تعرج على من اعطته فتسلبه سلباً وتدوسه دوساً بحجرها.

مثال آخر للدنيا هي بمنزلة خان قد بنى على قارعة الطريق ومقتنياتها آلات موضوعة فيه يصلح الإنتفاع بها ما دام المسافر نازلاً في ذلك الخان، فيتناول منها مقدار الكفاية ويتسلى عنها عند الراحلة، ويستهجن بنفسه أن يكذب أو يغضب ويحزن يرتكب القبائح في سببها. وهذا المثال قد يستنبط من آخر الأمثلة التي ذكرها المصنف، ولكن تشبهها بالخان للمسافر أقعد من تشبيهها بدار الضيافة وإن كان مآلها أي محصلها واحداً فتأمل.

مثال آخر للدنيا هي بمنزلة صديقك الذي يظهر لك الصداقة في الظاهر ويحفر وراءك ليوقعك في الهلاك فهي تغر بزينتها لمن أقبل عليها واحبها، ولكنها في الباطن تختله وتورده موارد الهلاك، فهي عدوة محبوبة وإياه عنى أبو نواس بقوله:

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدوّ في ثياب صديق

وروي عن الحسن قال: ما مثلنا مع الدنيا إلا كما قال كثير:

أسيئي بنا أو أحسني لا ملامة ... لدينا ولا مقلية إن تقلت

بيان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد:

(**اعلم**) أرشدك الله تعالى (**أن معرفة ذم الدنيا لا يكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة ما هي**) أي ما حقيقتها وماهيتها في حقك؟ (**وما الذي ينبغي أن يجتنب منها**) ويحترز عنها؟ (**وما الذي لا يجتنب**) منها؟ (**فلا بد أن نبين الدينا المذمومة المأمور باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله ما هي؟ فنقول**) وبالله التوفيق: (**دنياك وآخرتك عبارة عن حالتين من أحوال قلبك، فالقريب الداني منها يسمى دنيا وهو كل ما قبل الموت،**

والمتراخي المتأخر يسمى آخرة وهو ما بعد الموت، فكل مالك فيه حظ ونصيب وغرض وشهوة ولذة عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك، إلا أن جميع مالك إليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هو ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما يصحبك في الآخرة وتبقى معك ثمرته بعد الموت وهو شيئان: العلم والعمل فقط، وأعني بالعلم العلم بالله وصفاته وأفعاله وملائكته وكتبه ورسله وملكوت أرضه وسمائه، والعلم بشريعة نبيه. وأعني بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله تعالى، وقد يأنس العالم بالعلم حتى يصير ذلك ألذ الأشياء عنده فيهجر النوم والمطعم والمنكح في لذته لأنه أشهى عنده من جميع ذلك، فقد صار حظاً عاجلاً في الدنيا. ولكنا إذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا أصلاً بل قلنا أنه من الآخرة، وكذلك العابد قد يأنس بعبادته فيستلذها بحيث لو منع عنها لكان ذلك أعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم:

والمتراخي المتأخر يسمى آخرة وهو ما بعد الموت) وهذا يؤيد قول من قال: إن الدنيا فعلى من الدنو كما سيأتي قريباً للمصنف. **(وكل مالك فيه حظ وغرض ونصيب وشهوة ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك إلا أن جميع مالك إليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم، بل هو ثلاثة أقسام:**

القسم الأول: ما يصحبك في الآخرة) بعد سفرك من الدنيا **(وتبقى معك ثمرته بعد الموت)** ولا ينقطع **(وهو شيئان العلم والعمل فقط. وأعني بالعلم العلم بالله وصفاته وأفعاله)** يشير به إلى مراتب التوحيد الثلاثة بأن الله واحد في ذاته، واحد في صفاته، واحد في أفعاله، ثم بما يتبع ذلك وإليه أشار بقوله: **(وملائكته وكتبه ورسله)** وبما يليق في حق كل منها حسبما في قواعد العقائد، **(وملكوت أرضه وسمائه)** بما فيهما من العجائب الدالة على كمال قدرته. **(والعلم بشريعة نبيه)** الذي هو معدود في أمته وكل ما يوصل إلى تحصيل هذه المعلومات فهو داخل فيها. **(وأعني بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله تعالى)** عن الشك والشرك الخفي بمقتضى علمه بالشريعة التي أمر باتباعها وهما من اللذات العقلية وهي أشرف اللذات وأقلها وجوداً فشرفها أنها لا تمل ولا تتبدل، ولكن لا يعرفها إلا من تخصص بها كالحكمة لا يستلذها إلا الحكيم. **(وقد يأنس العالم بالعلم حتى يصير ذلك ألذ الأشياء عنده فيهجر النوم والمنكح والمطعم في لذته)** فلا يألف فراش النوم ولا يشتغل بالأكل ويدع زوجته كأنها أرملة **(لأنه)** أي العلم بما ذكر **(أشهى عنده من جميع ذلك، فقد صار حظاً عاجلاً في الدنيا. ولكنا إذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا أصلاً، بل قلنا أنه من الآخرة)** كيف وغالب من مضى من صالحي السلف هكذا لأن شأنهم حيث شغلتهم معرفة الله تعالى عن كثير من اللذات البدنية، وحتى عن كثير من اللذات المتوسطة بينها وبين العقلية. **(وكذلك العابد قد يأنس بعبادته فيستلذها**

ما أخاف من الموت إلا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل، وكان آخر يقول: اللهم ارزقني قوّة الصلاة والركوع والسجود في القبر. فهذا قد صارت الصلاة من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنوّ، ولكنا لسنا نعني بالدنيا المذمومة ذلك، وقد قال ﷺ: «حبب إليَّ من دنياكم ثلاث: النساء والطيب وقرة عيني في الصلاة» فجعل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا، وكذلك كل ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا، والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع والسجود إنما يكون في الدنيا فلذلك أضافها إلى الدنيا: إلا أنا لسنا في هذا الكتاب نتعرض إلا للدنيا المذمومة فنقول: هذه ليست من الدنيا.

بحيث لو منع عنها) ولو ساعة من الزمان **(لكان ذلك أعظم العقوبات عليه)** ويرى نفسه متلهفاً نادماً كأنه كان في يده شيء ففاته، **(حتى قال بعضهم: ما أخاف الموت إلا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل)** فهذا قد حذر الموت لأجل حيلولته بينه وبين التهجد. **(وكان آخر يقول: اللهم ارزقني قوة الصلاة والركوع والسجود في القبر)** ومنهم من استجيب له ذلك فكشف عن قبور بعض منهم فرؤي مصلياً، ومنهم من رؤي في قبره قارئاً للقرآن. **(فهذا قد صارت الصلاة)** والقراءة **(عنده من حظوظه العاجلة، وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الإشتقاق من الدنو)** الذي هو القرب بالذات أو الحكم، فهي إذاً فعلى من الدنو. قال الحراني: هو الإنزال رتبة في مقابلة علياء، ولكونها لزمتها العاجلة صارت في مقابلة الأخرى اللازمة للعلو، ففي الدنيا نزول قدر وتعجيل، وفي الآخرة علو قدر وتأخير فتقابلتا. **(ولكنا لسنا نعني بالدنيا المذمومة ذلك)** كيف يكون ذلك، **(وقد قال ﷺ: «حبب إليَّ من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة»)** رواه النسائي والحاكم من حديث أنس دون قوله: «ثلاث» وتقدم في النكاح، وفي بعض ألفاظه: «وجعلت قرة عيني في الصلاة» وفي بعضها: «وجعل». وتقدم تفصيل ذلك. ومنهم من قال: إن لفظ ثلاث لم يقع في شيء من طرقه بل زيادته محيلة للمعنى، ولكن شرحه الإمام أبو بكر بن فورك في رسالة ووجهه بما حاصله في كلام المصنف حيث قال: **(فجعل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا، وذلك لأن كل ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع والسجود إنما يكون في الدنيا فلذلك أضافها إلى الدنيا)** فعلى هذا لفظ الثلاث إن ثبت لا يكون محيلاً للمعنى، ولكن لما لم يكن في الصلاة تقاضى شهوة نفسانية كما في النساء والطيب عبر فيها بعبارة تخالف السياق الأول. فقال: وجعلت قرة عيني في الصلاة كما في رواية، وعند أحمد في الزهد زيادة على هذا الحديث وهي: أصبر عن الطعام والشراب ولا أصبر عنهن. وروى الديلمي من حديث أنس: الجائع يشبع والظمآن يروى وأنا لا أشبع من حب الصلاة والنساء.

(إلا أنا في هذا الكتاب لسنا نتعرض إلا للدنيا المذمومة فنقول: هذه ليست من الدنيا.

القسم الثاني: وهو المقابل له على الطرف الأقصى كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة أصلاً كالتلذذ بالمعاصي كلها والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الحاجات والضرورات الداخلة في جملة الرفاهية والرعونات كالتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث والغلمان والجواري والخيول والمواشي والقصور والدور ورفيع الثياب ولذائذ الأطعمة، فحظ العبد من هذا كله هي الدنيا المذمومة وفيما يعد فضولاً أو في محل الحاجة نظر طويل، إذ روي عن عمر رضي الله عنه أنه استعمل أبا الدرداء على حمص فاتخذ كنيفاً أنفق عليه درهمين، فكتب إليه عمر: من عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عويمر، قد كان لك في بناء فارس والروم ما تكتفي به عن عمران الدنيا حين أراد الله خرابها، فإذا أتاك كتابي هذا فقد سيرتك إلى دمشق أنت وأهلك، فلم يزل بها حتى مات، فهذا رآه فضولاً من الدنيا فتأمل فيه.

القسم الثاني: وهو المقابل له على الطرف الأقصى كل ما فيه للإنسان حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة أصلاً كالتلذذ بالمعاصي كلها والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الضرورات والحاجات الداخلة في جملة الرفاهية) أي سعة العيش **(والرعونات)** وهي الوقوف مع مقتضى طباع النفس **(كالتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة)** أي العدد الكثير منهما **(والخيل المسوّمة)** أي الفارهة السمينة المعلمة بأنواع الزينة السائمة منها والمستعدة **(والأنعام)** المراد بها الأزواج الثمانية **(والحرث)** الزراعة **(والغلمان والجواري)** المتخذة للخدمة **(والحيوان والمواشي)** فيه تخصيص بعد تعميم من قوله: والانعام **(والقصور والدور ورفيع الثياب ولذائذ الأطعمة)** والأشربة **(فحظ العبد من هذا كله هي الدنيا المذمومة وفيما يعد فضولاً أو في محل الحاجة نظر طويل)** فقد يختلف ذلك باختلاف الأشخاص والأزمان **(إذ روي عن عمر رضي الله عنه أنه استعمل أبا الدرداء)** عويمر بن عامر رضي الله عنه **(على حمص)** وهي مدينة معروفة بالشام **(فاتخذ كنيفاً)** أي حظيرة تستره من حر الشمس **(أنفق عليه درهمين)** فبلغ ذلك عمر، فكتب إليه: من عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عويمر وهو اسمه على ما اشتهر، وقيل: بل لقبه واسمه عامر. حكاه الفلاس عن بعض ولده، وبه جزم الأصمعي في رواية الكريمي عنه: **(قد كان لك في بناء فارس والروم ما تكتفي به عن عمران الدنيا حين أذن بخرابها، فإذا أتاك كتابي هذا فقد سيّرتك وأهلك إلى دمشق)** فلما بلغه الكتاب سار بأهله إلى دمشق فلم يزل بها حتى مات في خلافة عثمان على الأصح عند أصحاب الحديث. وقال ابن حبان: ولا معاوية قضاء دمشق في خلافة عمر. **(فهذا رآه فضولاً من الدنيا فتأمل فيه)** كيف عد مثله فضولاً مع أن التي صرف عليه شيء حقير.

القسم الثالث: وهو متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على أعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد الخشن وكل ما لا بدّ منه ليتأتى للإنسان البقاء والصحة التي بها يتوصل إلى العلم والعمل. وهذا ليس من الدنيا كالقسم الأوّل، لأنه معين على القسم الأوّل ووسيلة إليه. فمهما تناوله العبد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل لم يكن به متناولاً للدنيا ولم يصر به من أبناء الدنيا، وإن كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثاني وصار من جملة الدنيا، ولا يبقى مع العبد عند الموت إلا ثلاث صفات: صفاء القلب أعني طهارته عن الأدناس وأنسه بذكر الله تعالى وحبه لله عز وجل، وصفاء القلب وطهارته لا يحصلان إلا بالكف عن شهوات الدنيا والأنس لا يحصل إلا بكثرة ذكر الله تعالى والمواظبة عليه، والحب لا يحصل إلا بالمعرفة. ولا تحصل معرفة الله إلا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلاث هي المنجيات المسعدات بعد الموت.

أما طهارة القلب عن شهوات الدنيا، فهي من المنجيات إذ تكون جنة بين العبد وبين

(القسم الثالث: وهو متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على أعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام) الذي به يتغذى ومن الماء التي به يروى، **(والقميص الواحد الخشن)** الذي يواري عورته، وخرج من الواحد أن يكون له قميصان ومن الخشن أن يكون رقيقاً، **(وكل ما لا بد منه ليتأتى للإنسان البقاء والصحة التي بها يتوصل إلى العلم والعمل، وهذا ليس من الدنيا كالقسم الأول، لأنه معين على القسم الأول ووسيلة إليه، فمهما تناوله العبد)** بما لا يمكن التبلغ بأقل منه **(على قصد الاستعانة به على العلم والعمل)** فمعذور بل مشكور ومأجور، **(ولم يكن به متناولاً للدنيا ولم يصر به من ابناء الدنيا)** ولم يلحقه الذم، **(وإن كان باعثه الحظ العاجل دون الإستعانة على التقوى التحق بالقسم الثاني الذي هو مقابل للقسم الأول، (وصار من جملة الدنيا)** ولو كان المتناول حقيراً في نفسه، **(ولا يبقى مع العبد عند الموت إلا ثلاث صفات:)** الأولى: **(صفاء القلب أعني طهارتها من أدناس الدنيا)** وأوساخها، **(و)** الثانية: **(أن يذكر الله تعالى، و)** الثالثة: **(حبه لله تعالى. وصفاء القلب وطهارته لا يحصلان إلا بالكف عن شهوات الدنيا)** وحظوظها، **(والأنس لا يحصل إلا بكثرة ذكر الله والمواظبة عليه، والحب لا يحصل إلا بالمعرفة)** إذ من لم يعرف لم يحب. **(ولا تحصل معرفة الله إلا بدوام الفكر)** في جلال الله وعظمته. **(وهذه الصفات الثلاث هي المنجيات المسعدات للعبد بعد الموت)**.

(أما طهارة القلب عن شهوات الدنيا، فهي من المنجيات إذ تكون جنة بين العبد وبين

عذاب الله كما ورد في الأخبار: « إن أعمال العبد تناضل عنه فإذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه، وإذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه». الحديث.

وأمـا الانس والحب، فهما مـن المسعـدات وهما مـوصلان العبـد إلى لـ ة اللقــاء

عذاب الله كما ورد في الأخبار: « إن أعمال العبد تناضل) أي تدافع **(عنه فإذا جاء العذاب من جهة رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه، وإذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه» الحديث)** أي إلى آخر الحديث. قال العراقي رواه الطبراني من حديث عبد الرحمن ابن سمرة بطوله، وفيه خالد بن عبد الرحمن المخزومي ضعفه البخاري، وأبو حاتم، ولأحمد من حديث أسماء بنت أبي بكر: « إذا دخل الإنسان قبره فإن كان مؤمناً احتف به عمله الصلاة والصيام» الحديث وإسناده صحيح انتهى.

قلت: رواه الطبراني بإسنادين: في أحدهما سليمان بن أحمد الواسطي قال الذهبي ضعفوه، وفي الآخرة خالد بن عبد الرحمن المخزومي وهو الذي أشار إليه العراقي، وقد رواه أيضاً الحكيم في النوادر وسنده ضعيف أيضاً ولفظهما: « إني رأيت البارحة عجباً رأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك، ورأيت رجلاً من أمتي يلهث عطشاً فجاءه صيام رمضان فسقاه، ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله فخلصه منهم، ورأيت رجلاً من أمتي من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة، فجاءته حجته وعمرته فاستخرجاه من الظلمة ورأيت رجلاً من أمتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرده عنه، ورأيت رجلاً من أمتي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه فجاءته صلة الرحم فقالت: إن هذا كان واصلاً لرحمه فكلمهم وكلموه وصار معهم، ورأيت رجلاً من أمتي يأتي النبيين وهم حلق حلق كلما مر على حلقة طرد فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده فأجلسه إلى جنبي، ورأيت رجلاً من أمتي يتقي وهج النار بيديه عن وجهه فجاءته صدقته صارت ظلاً على رأسه وستراً عن وجهه، ورأيت رجلاً من أمتي جاءته زبانية العذاب فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من ذلك، ورأيت رجلاً من أمتي هوى في النار فجاءته دموعه اللاتي بكى بها في الدنيا من خشية الله فأخرجته من النار، ورأيت رجلاً من أمتي قد هوت صحيفته إلى شماله فجاءه خوفه من الله فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه، ورأيت رجلاً من أمتي قد خف ميزانه فجاءه أفراطه فثقلوا ميزانه، ورأيت رجلاً من أمتي على شفير جهنم فجاءه وجله من الله عز وجل فاستنقذه من ذلك، ورأيت رجلاً من أمتي يرعد كما ترعد السعفة فجاءه حسن ظنه بالله فسكن رعدته، ورأيت رجلاً من أمتي يزحف على الصراط مرة ويحبو مرة ويتعلق مرة فجاءته صلاته عليّ فأخذت بيده فأقامته على الصراط حتى جاز ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله فأخذت بيده فأدخلته الجنة».

(وأما الأنس والحب فهما من المسعدات وهما موصلان للعبد إلى لذة اللقاء والمشاهدة.

والمشاهدة، وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت إلى أن يدخل أوان الرؤية في الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة، وكيف لا يكون القبر عليه روضة من رياض الجنة ولم يكن له إلا محبوب واحد؟ وكانت العوائق تعوقه عن دوام الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله، فارتفعت العوائق وأفلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسروراً سلماً من الموانع آمناً من العوائق؟ وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذباً ولم يكن له محبوب إلا الدنيا وقد غصب منه وحيل بينه بينه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع إليه؟ ولذلك قيل:

ما حال من كان له واحد ... غيب عنه ذلك الواحدُ

وليس الموت عدماً إنما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله تعالى، فإذاً سالك طريق الآخرة هو المواظب على أسباب هذه الصفات الثلاث وهي: الذكر والفكر والعمل الذي يفطمه عن شهوات الدنيا ويبغض إليه ملاذها، ويقطعه عنها. وكل ذلك لا يمكن إلا بصحة البدن وصحة البدن لا تنال إلا بقوت وملبس ومسكن، ويحتاج كل واحد إلى أسباب فالقدر الذي لا بدّ منه من هذه الثلاثة إذا أخذه العبد من الدنيا للآخرة لم

وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت إلى أن يدخل أوان الرؤية في الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة) ويتنعم فيها، **(وكيف لا يكون القبر عليه روضة ولم يكن له)** في الدنيا **(إلا محبوب واحد)** لم يمل إلى غيره؟ **(وكانت العوائق تعوقه)** أي تمنعه **(عن دوام الأنس بدوام ذكره ومطالعة جماله، فارتفعت العوائق)** بالموت **(وأفلت من السجن إلى البستان وخُلِّيَ بينه وبين محبوبه، فقدم عليه مسروراً سلماً من الموانع آمناً من الفراق)** مطمئناً بالوصال. **(وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذباً ولم يكن له محبوب إلا الدنيا وقد غصب منه وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع إليه؟ ولذلك قيل:**

ما حال من كان له واحد ... غيب عنه ذلك الواحد

وليس الموت عدماً إنما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله تعالى، فإذاً سالك طريق الآخرة هو المواظب على) حيازة **(أسباب هذه الصفات الثلاث وهي: الذكر والفكر والعمل الذي يفطمه عن شهوات الدنيا ويبغض إليه ملاذها ويقطعه عنها، وكل ذلك لا يمكن إلا بصحة البدن)** لا سقمه مما يشوّش عليه ويعوقه من حيازة تلك الأسباب، **(وصحة البدن لا تنال إلا بقوت)** يقيم عمارة البدن **(وملبس)** يواري عورته **(ومسكن)** يأوي إليه فيطمئن قلبه، **(ويحتاج كل واحد)** من هذه الثلاثة **(إلى أسباب)** كثيرة **(فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلاثة إذا أخذه العبد من الدنيا للآخرة)** أي للوصول إليها **(لم يكن من أبناء**

يكن من أبناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة للآخرة، وإن أخذ ذلك بحظ النفس وعلى قصد التنعم صار من أبناء الدنيا والراغبين في حظوظها إلا أن الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم إلى ما يعرض صاحبه لعذاب الآخرة وسمي ذلك حراماً، وإلى ما يحول بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالاً، والبصير يعلم أن طول الموقف في عرصات القيامة لأجل المحاسبة أيضاً عذاب فمن نوقش الحساب عذب إذ قال رسول الله ﷺ: «حلالها حساب وحرامها عذاب» وقد قال أيضاً: «حلالها عذاب» إلا أنه عذاب أخف من عذاب الحرام، بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت من الدرجات العلى في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها لحظوظ حقيرة خسيسة لا بقاء لها هو أيضاً عذاب، وقس به حالك في الدنيا إذا نظرت إلى أقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف يتقطع قلبك عليها حسرات مع علمك بأنها سعادات منصرمة لا بقاء لها؟ ومنغصة بكدورات لا صفاء لها فما حالك في فوات سعادة

الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة أي بمنزلة) بقعة يزرع فيها (لـ) أجل **(الآخرة وإن أخذ ذلك لحظ النفس)** وقضاء الشهوة **(وعلى قصد التنعم صار من أبناء الدنيا و)** من **(الراغبين في حظوظها إلا أن الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم إلى ما يعرض صاحبه لعذاب في الآخرة ويسمى ذلك حراماً، وإلى ما يحول بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالاً، والبصير يعلم أن طول الموقف في عرصات القيامة لأجل الحساب أيضاً عذاب فمن نوقش الحساب فقد عذب)** رواه الشيخان من حديث عائشة بدون: «فقد» وروى الطبراني في الكبير من حديث ابن الزبير: «من نوقش المحاسبة هلك» **(إذ قال رسول الله ﷺ: «حلالها حساب وحرامها عذاب»)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه موقوفاً على علي بن أبي طالب بإسناد منقطع بلفظ: وحرامها نار، ولم أجده مرفوعاً انتهى.

قلت: بل أخرجه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس بلفظ: «يا ابن آدم الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب» نبه عليه الحافظ السخاوي في المقاصد، **(وقد قال أيضاً: «حلالها عذاب»)** أي لأن المناقشة في الحساب عذاب، **(إلا أنه عذاب أخف من عذاب الحرام، بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت من الدرجات العلى في الجنة وما يرد في القلب من التحسر على تفويتها بحظوظ حقيرة خسيسة لا بقاء لها هو أيضاً عذاب، وقس به حالك في الدنيا إذا نظرت إلى أقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف يتقطع قلبك عليها حسرة مع علمك بأنها سعادات)** زائلة **(منصرمة)** منقطعة **(لا بقاء لها ومنغصة بكدورات لا صفاء لها، فما حالك في فوات سعادة لا يحيط الوصف بعظمتها)** ولا يمكن مقدار جلالتها

لا يحيط الوصف بعظمتها وتنقطع الدهور دون غايتها ؟ فكل من تنعم في الدنيا ولو بسماع صوت من طائر أو بالنظر إلى خضرة أو شربة ماء بارد فإنه ينقص من حظه في الآخرة أضعافه وهو المعنى بقوله ﷺ لعمر رضي الله عنه : « هذا من النعيم الذي تُسأل عنه » أشار به إلى الماء البارد . والتعرض لجواب السؤال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار ، وكل ذلك من نقصان الحظ . ولذلك قال عمر رضي الله عنه : اعزلوا عني حسابها حين

(وتنقطع الدهور) وتنصرم الأزمنة دون **(غايتها وإدراك نهايتها ، فكل من تنعم في الدنيا ولو بسماع صوت من طائر)** حسن الصوت كالعندليب والهزار والببغاء **(أو بالنظر إلى خضرة)** بجنب ماء جار أو تحت شجرة مثلاً **(أو شربة ماء بارد)** ونحو ذلك ، **(فإنه ينقص من حظه في الآخرة أضعافه)** فإن كل ذلك من نعيم الدنيا **(هو المعنى)** أي المراد **(بقوله ﷺ لعمر رضي الله عنه من النعيم الذي تُسأل عنه أشار به إلى الماء البارد)** روي ذلك من حديث جابر قال وجاءنا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر فأطعمناهم رطباً وسقيناهم فقال رسول الله ﷺ : « هذا من النعيم الذي تسألون عنه » رواه أحمد والنسائي والبيهقي في الشعب ، ورواه عبد ابن حميد وابن مردويه بلفظ : « ثم أتيناهم برطب وماء فأكلوا وشربوا » ثم قال : « هذا النعيم الذي تسألون عنه » وروى مسلم والأربعة من حديث أبي هريرة قال : خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر فذكروا قصة إتيانهم إلى منزل أبي الهيثم الأنصاري وفيه : فجاء بفرق فيه بسر وتمر وذبح لهم شاة فأكلوا من الشاة ومن الفرق وشربوا فلما شربوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر : « والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة » ورواه ابن حبان وابن مردويه من حديث ابن عباس نحو هذه القصة لأبي أيوب الأنصاري وفيه : « والذي نفسي بيده إن هذا لهو النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة .

وروى أحمد وابن جرير وابن عدي والبغوي في معجمه وابن منده في المعرفة وابن عساكر وابن مردويه والبيهقي في الشعب من حديث أبي عسيب مولى النبي ﷺ قال : خرج رسول الله ﷺ ليلاً فمر بي فدعاني فخرجت إليه ثم مرّ بأبي بكر فدعاه فخرج إليه ثم مر بعمر فدعاه فخرج إليه ، فانطلق حتى دخل حائطاً لبعض الأنصار فقال لصاحب الحائط : « أطعمنا فجاء بفرق فوضعه فأكل رسول الله ﷺ وأصحابه ثم دعا بماء بارد فشرب وقال : لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة فأخذ عمر الفرق فضرب به الأرض حتى تناثر البسر ، ثم قال : يا رسول الله إنا المسؤلون عن هذا يوم القيامة ؟ قال : نعم ثلاثاً كسرة يسد بها الرجل جوعته أو ثوب يستر به عورته أو حجر يدخل فيه من الحر والبرد » وقد تقدم هذا الحديث في كتاب الأطعمة ، وذكرنا شيئاً في ذلك هناك . وأخرج أبو بكر بن شيبة وهناد بن السري عن بكر بن عتيق قال : سقيت سعد بن جبير شربة من عسل في قدر فشربها ثم قال : والله لأسألن عن هذا . فقلت لم ؟ قال : شربته وأنا أستلذه .

(والتعرض لجواب السؤال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار ، وكل ذلك من نقصان الحظ ، ولذلك قال عمر رضي الله عنه : أعزلوا عني حسابها حيث كان به عطش

كان به عطش فعرض عليه ماء بارد بعسل فأداره في كفه ثم امتنع عن شربه، فالدنيا قليلها وكثيرها حرامها وحلالها ملعونة إلا ما أعان على تقوى الله، فإن ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته أقوى وأتقن كان حذره من نعيم الدنيا أشد، حتى أن عيسى عليه السلام وضع رأسه على حجر لما نام ثم رماه إذ تمثل له إبليس وقال: رغبت في الدنيا! وحتى أن سليمان عليه السلام في ملكه كان يطعم الناس لذائذ الأطعمة وهو يأكل خبز الشعير، فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتحاناً وشدة، فإن الصبر عن لذائذ الأطعمة مع القدرة عليها ووجودها أشد ولهذا روي أن الله تعالى زوى الدنيا عن نبينا ﷺ فكان يطوي أياماً، وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع، ولهذا سلط الله البلاء والمحن على الأنبياء والأولياء ثم الأمثل فالأمثل. كل ذلك نظراً لهم وامتناناً عليهم

فعرض عليه ماء بارد) ممزوج **(بعسل)** في قدح **(فأداره في كفه ثم امتنع عن شربه)** وناول بعض أصحابه فشربها. رواه سليمان بن المغيرة عن ثابت وقد تقدم. **(فالدنيا قليلها وكثيرها حلالها وحرامها ملعونة)** أي مبعدة من الله تعالى إلا ما أعان على تقوى الله فإن ذلك القدر ليس من الدنيا، **(وكل من كانت معرفته)** بالله **(أقوى وأيقن)** أي أكثر يقيناً. وفي بعض النسخ وأتقن أي أثبت وأرسخ **(كان حذره من نعيم الدنيا أشد، حتى أن عيسى عليه السلام وضع رأسه على حجر لما نام ثم رماه إذ تمثل له إبليس وقال: رغبت في الدنيا)** نقله صاحب القوت. **(وحتى أن سليمان عليه السلام في ملكه كان يطعم الناس لذائذ الأطعمة وهو يأكل خبز الشعير)** وكذا روي عن يوسف عليه السلام أنه كان يطعم الناس في المجاعة لذائذ الأطعمة وهو يجوع ويأكل خبز الشعير، فقيل له في ذلك فقال: أخشى أن أنسى الجياع، **(فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتحاناً وشدة، فإن الصبر عن لذائذ الأطعمة مع القدرة عليها ووجودها)** عنده **(أشد، ولهذا زوى الله تعالى الدنيا عن نبينا ﷺ)**. قال العراقي: رواه محمد ابن خفيف في شرف الفقراء من حديث عمر بن الخطاب قال: قلت يا رسول الله عجباً لمن بسط الله لهم الرزق وزواها عنك الحديث. وهو من طريق ابن إسحاق معنعناً انتهى.

قلت: وفي خطبة علي رضي الله عنه: ولقد كان في رسول الله ﷺ ما يدلك على مساوىء الدنيا وعيوبها إذا جاع فيها مع خاصته وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته. **(فكان يطوي أياماً)** قال العراقي: رواه الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس «أن النبي ﷺ كان يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله» الحديث. قال الترمذي: حسن صحيح. **(وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع)** تقدم، **(ولهذا سلط الله البلاء والمحن على الأنبياء والأولياء ثم الأمثل فالأمثل)** روى أحمد والبخاري والترمذي وابن ماجه من حديث سعد «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل» الحديث. وروى الطبراني في الكبير من حديث أخت حذيفة «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل». الحديث. وروى ابن ماجه وأبو يعلى والحاكم من حديث

ليتوفر من الآخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذة الفواكه ويلزمه ألم الفصد والحجامة شفقة عليه وحباً له لا بخلاً عليه، وقد عرفت بهذا أن كل ما ليس لله فهو من الدنيا وما هو لله فذلك ليس من الدنيا.

فإن قلت: فما الذي هو لله؟ فأقول: الأشياء ثلاثة أقسام:

منها: ما لا يتصوّر أن يكون لله وهو الذي يعبر عنه بالمعاصي والمحظورات وأنواع التنعمات في المباحات، وهي الدنيا المحضة المذمومة فهي الدنيا صورة ومعنى.

ومنها: ما صورته لله ويمكن أن يجعل لغير الله وهو ثلاثة: الفكر والذكر والكف عن الشهوات، فإن هذه الثلاثة إذا جرت سراً، ولم يكن عليها باعث سوى أمر الله واليوم الآخر فهي لله وليست من الدنيا، وإن كان الغرض من الفكر طلب العلم للتشرف به وطلب القبول بين الخلق بإظهار المعرفة أو كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال أو الحمية لصحة البدن أو الاشتهار بالزهد فقد صار هذا من الدنيا بالمعنى، وإن كان يظن بصورته أنه لله تعالى.

أبي سعيد «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون لقد كان أحدهم يبتلي بالفقر حتى ما يجد إلا العباءة يحويها فيلبسها، ويبتلي بالقمل حتى يقتله ولأحدهم كان أشد فرحاً بالبلاء من أحدكم بالعطاء». **(كل ذلك نظراً لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من الآخرة حظهم، كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذة الفواكه ويلزم ألم الفصد والحجامة شفقة عليه وحباً له لا بخلاً عليه)**، وذلك لأن نظر الوالد في حقه أتم فيما يؤول إليه من النفع ونظر الولد قاصر على اللذة العاجلة. **(وقد عرفت بهذا أن كل ما ليس لله فهو من الدنيا، وما هو لله فذلك ليس من الدنيا.**

فان قلت: فما الذي هو لله؟ فأقول: الأشياء ثلاثة أقسام:

منها: ما لا يتصوّر أن يكون لله وهو الذي يعبر عنه بالمعاصي والمحظورات وأنواع المتنعمات في المباحات وهي الدنيا المحضة المذمومة، فهي الدنيا صورة ومعنى). أما صورة فظاهر، وأما معنى فإن هذه لا يتقرّب بها إلى الله تعالى، بل هي تبعد عن ساحات رحمته فليس لها تعلق بالآخرة أصلاً.

(ومنها: ما صورته لله) تعالى **(ويمكن أن يجعل لغير الله وهي ثلاثة: الفكر والذكر)** بالقلب واللسان **(والكف عن الشهوات)** النفسانية، **(فإن هذه الثلاث إذا جرت سراً)** ولم يطلع عليها أحد **(ولم يكن عليها باعث سوى أمر الله واليوم الآخر فهي لله)** تعالى **(وليست من الدنيا، وإن كان الغرض من الفكر طلب العلم للتشرف به وطلب القبول بين الخلق بإظهار المعرفة أو كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال)** وجمعه **(أو الحمية لصحة البدن، أو لاشتهار)** بين الناس **(بالزهد)** والصلاح، **(فقد صار هذا من الدنيا بالمعنى، وإن كان يظن بصورته أنه لله)** تعالى.

ومنها: ما صورته لحظ النفس ويمكن أن يكون معناه لله، وذلك كالأكل والنكاح وكل ما يرتبط به بقاؤه وبقاء ولده، فإن كان القصد حظ النفس فهو من الدنيا وإن كان القصد الاستعانة به على التقوى فهو لله بمعناه، وإن كانت صورته صورة الدنيا. قال ﷺ: «من طلب الدنيا حلالاً مكاثراً مفاخراً لقي الله وهو عليه غضبان، ومن طلبها استعفافاً عن المسألة وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر». فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد. فإذاً الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة إليه لأمر الآخرة ويعبر عنه بالهوى وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ونَهى النفس عن الهوى ٭ فإن الجنة هي المأوى﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١] ومجامع الهوى خمسة أمور: وهي ما جمعه الله تعالى في قوله: ﴿إنما الحياةُ الدُّنيا لَعِبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد﴾ [الحديد: ٢٠] والأعيان التي تحصل منها هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى: ﴿زُيِّن للناس حبّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا﴾ [آل عمران: ١٤]،

(ومنها: ما صورته لحظ النفس ويمكن أن يجعل معناه لله وذلك كالأكل والنكاح وكل ما يرتبط به بقاؤه وبقاء ولده؛ فإن كان القصد حظ النفس هو من الدنيا، وإن كان القصد الاستعانة به على التقوى فهو لله بمعناه، وإن كانت صورته صورة الدنيا. قال ﷺ « من طلب الدنيا حلالاً مكاثراً مفاخراً لقي الله وهو عليه غضبان، ومن طلبها استعفافاً على المسألة وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ») تقدم هذا الحديث في كتاب آداب الكسب. وقد رواه أبو الشيخ في الثواب، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف، ولفظهم: « من طلب الدنيا حلالاً استعفافاً عن المسألة وسعياً على أهله وتعطفاً على جاره بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر، ومن طلبها حلالاً مكاثراً بها مفاخراً لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان ».

(فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد، فإذا الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة إليه لأمر الآخرة ويعبّر عنه بالهوى، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ونهى النفس عن الهوى٭ فإنَّ الجنّة هي المأوى﴾ ، فصارت الدنيا طاعة النفس للهوى، (ومجامع الهوى خمسة أمور وهي ما جمعه الله تعالى في قوله: ﴿اعلموا إنما الحياة الدنيا لعب ولهو زينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد﴾ والأعيان التي تحصل منها هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى: ﴿زيّن للنّاس حبّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا﴾) وأصل هذا منتزع من

سياق صاحب القوت، فإنه لما ذكر اختلاف الصوفية في ماهية الزهد وتباين أقوالهم عن نحو أربعين قولاً قال: ونحن بحمد الله تعالى ونعمته غير محتاجين إلى أقوالهم بما بين الله تعالى في كتابه المبين الذي جعل فيه الشفاء والغنى فهو هدى للمتقين، وقد قال ﷺ: «هو الحبل المتين والصراط المستقيم من طلب الهدى في غيره أضله الله» فقد ذكر جل إسمه في كتابه أن الدنيا سبعة أشياء وهو قوله: ﴿زين للناس حب الشهوات﴾ إلى قوله ﴿والحرث﴾ ثم قال ﴿ذلك متاع الحياة الدنيا﴾ فوصف حب الشهوات بالتزين، ثم نسق الأوصاف السبعة على الحب لها، ثم أشار بقوله ذلك، فذا إشارة إل الكاف، والكاف كناية عن المذكور المتقدم المنسوق، واللام بين ذا والكاف للتمكين والتوكيد، فحصل من تدبر الخطاب أن هذه السبعة جملة الدنيا وأن الدنيا هي هذه الأوصاف السبعة وما تفرع من الشهوات رد إلى أصل من هذه الجمل، فمن أحب جميعها فقد أحب جملة الدنيا نهاية الحب، ومن أحب أصلاً منها أو فرعاً من أصل فقد أحب بعض الدنيا، فعلمنا بنص الكلام أن التشهوة دنيا، وفهمنا من دليله أن الحاجات ليست بدنيا لأنها تقع ضرورات، فإذا لم تكن الحاجة دنيا لأنها لا تسمى شهوة، وإن كانت قد تشتهي، ثم سمعناه قد ردّ هذه الأوصاف السبعة في مكان آخر إلى خمسة معان فقال: ﴿اعملوا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر﴾ فهذه الخمسة وصف من أحب تلك السبعة ثم اختصر الخمسة في معنيين هما جامعان للسبعة فقال: ﴿إنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾ ثم رد الوصفين إلى وصف واحد وعبر عنه بمعنيين فصارت الدنيا ترجع إلى شيئين جامعين مختصرين يصلح أن يكون كل واحد منهما هو الدنيا فالوصف الواحد الذي رد الإثنين إليه اللذين هما اللعب واللهو هو الهوى اندر حب السبعة فيه فقال تعالى: ﴿ونهى النفس عن الهوى﴾ فاصرت الدنيا طاعة النفس للهوى بدليل قوله تعالى: ﴿فأما من طغى★ وآثر الحياة الدنيا★ فإن الجحيم هي المأوى﴾ [النازعات: ٣٧ ـ ٣٩] فلما كانت الجنة ضد الجحيم كان الهوى هو الدنيا، لأن النهي عنه ضد الإيثار له، فمن نهى نفسه عن الهوى فإنه لم يؤثر الدنيا، وإذا لم يؤثر الدنيا فهذا هو الزهد كانت له الجنة التي هي ضد الجحيم التي هي لمن لم ينه نفسه عن الهوى بإيثاره الدنيا، فصارت الدنيا هي طاعة الهوى وإيثاره في كل شيء، فينبغي أن يكون الزهد مخالفة الهوى من كل شيء اهـ.

وقال أبو القاسم الراغب في الذريعة. اللذات ثلاثة: لذة عقلية وهي التي يختص الإنسان بها كالعلم والحكمة، ولذة بدنية وهي التي يشارك فيها جميع الحيوان والإنسان كلذة المأكل والمشرب والمنكح، ولذة مشتركة بين بعض الحيوان وبين الإنسان كلذة الرئاسة والعلية، وجميع اللذات تنقسم عشرة أقسام ومآلها إلى سبعة، وهي التي ذكرها أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لعمار وقد تقدم ذكره. ثم قال: والمراد بالنساء اقتناؤهنّ والاستكثار منهن، وبالبنين الذكور من الأولاد والحفدة والخدم، بالانعام الأزواج الثمانية، وبالخيل المسوّمة السائمة منها والمستعدة. **(فقد عرفت أن كل ما هو ﷺ فليس من الدنيا وقدر ضرورة القوت وما لا بدّ منه من مسكن وملبس هو الله إن قصد به وجه الله ،**

فقد عرفت أن كل ما هو لله فليس من الدنيا وقدر ضرورة القوت وما لا بدّ منه من مسكن وملبس هو لله إن قصد به وجه الله، والاستكثار منه تنعم وهو لغير الله. وبين التنعم والضرورة درجة يعبر عنها بالحاجة ولها طرفان وواسطة: طرف يقرب من حد الضرورة فلا يضر فإن الاقتصار على حد الضرورة غير ممكن، وطرف يزاحم جانب التنعم ويقرب منه وينبغي أن يحذر منه، وبينهما وسائط متشابهة ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه.

والحزم في الحذر والتقوى والتقرب من حدّ الضرورة ما أمكن اقتداء بالأنبياء والأولياء عليهم السلام، إذ كانوا يردون أنفسهم إلى حدّ الضرورة حتى أن أويساً القرني

والاستكثار منه تنعم وهو لغير الله، وبين التنعم والضرورة درجة يعبر عنها بالحاجة ولها طرفان وواسطة. طرف) منها **(يقرب من حد الضرورة فلا يضرّ فإن الاقتصار على حدّ الضرورة غير ممكن)** قال صاحب القوت: وروينا في أخبار إبراهيم عليه السلام في قصة تطول قال في آخرها: إن الله عز وجل قال له: لو بخليلك أنزلت حاجتك لقضاها يعني نفسه تعالى ولم يعنتك وقد كان احتاج، فذهب إلى خليل له يستمنحه شيئاً فتوارى عنه فرجع إبراهيم منكسراً، فلما قيل له ذلك قال: إلهي علمت مقتك للدنيا فخفت أن أسألك منها فتمقتني فأوحى الله إليه: أما علمت أن الحاجة في الدنيا ليست من الدنيا. قال: وروينا مرة أن القوت ليس هو من الدنيا، وقد جاءنا معناه عن نبينا ﷺ قال: «من نظر إلى زهرة الدنيا أصبح ممقوتاً في ملكوت السماء، ومن صبر على القوت نزل من الفردوس حيث أحب» فدل ذلك على أن القوت ليس هو من الدنيا لأنه استثناه منها فمدحه على الصبر عليه بعد ذمها.

(وطرف) أخر **(يزاحم)** أي يقابل **(جانب التنعم ويقرب منه، وينبغي أن يحذر منه، وبينها أوساط متشابهة. ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه)** كما ورد ذلك في الخبر، وتقدم في كتاب الحلال والحرام.

(والحزم كل الحزم في الحذر من الشبهات والتقوى فإنها ملاك الأمور كلها والتقريب من حدّ الضرورة ما أمكن اقتداء بالأنبياء والأولياء عليهم السلام إذ كانوا يردون أنفسهم إلى حدّ الضرورة، حتى أن أويساً القرني) رحمه الله تعالى، وهو ابن عامر بن جزء بن مالك ابن عمرو بن سعد بن عمرو بن عصوان بن قرن بن رومان بن ناجية بن مراد المرادوي القرني الزاهد المشهور. أدرك النبي ﷺ. وروى عن عمر وعلي. وروى عنه يسير بن عمرو وعبد الرحمن ابن أبي ليلى. ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الكوفة وقال: كان ثقة. وذكره البخاري فقال: في إسناده نظر. قال ابن عدي: ليس له رواية، لكن كان مالك ينكر وجوده إلا

كان يظن أهله أنه مجنون لشدة تضييقه على نفسه، فبنوا له بيتاً على باب دارهم فكان يأتي عليهم السنة والسنتان والثلاث لا يرون له وجهاً، وكان يخرج أوّل الأذان ويأتي إلى منزله بعد العشاء الآخرة، وكان طعامه أن يلتقط النوى، وكلما أصاب حشفة خبأها لإفطاره، وإن لم يصب ما يقوته من الحشف باع النوى واشترى بثمنه ما يقوته، وكان لباسه مما يلتقط من المزابل من قطع الأكسية فيغسلها في الفرات ويلفق بعضها إلى بعض ثم يلبسها، فكان ذلك لباسه. وكان ربما مرّ بالصبيان فيرمونه ويظنون أنه مجنون فيقول لهم: يا اخوتاه إن كنتم ولا بدّ أن ترموني فارموني بأحجار صغار، فإني أخاف أن تدموا عقبي فيحضر وقت الصلاة ولا أصيب الماء، فهكذا كانت سيرته. ولقد عظم رسول الله ﷺ أمره فقال: « إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن إشارة إليه رحمه الله » ولما

أن شهرته وشهرة أخباره لا تسع أحداً يشك فيه. وقال عبد الغني بن سعيد القرني بفتح القاف والراء هو أويس أخبر به النبي ﷺ قبل وجوده، وشهد صفين مع علي رضي الله عنه، وكان من خيار المسلمين، وروى ضمرة عن أصبغ بن زيد قال: أسلم أويس على عهد النبي ﷺ ولكن منعه من القدوم بره، وقد روى له مسلم في آخر صحيحه من كلامه، وقتل بصفين على الصحيح المشهور. (**كان يظن أهله أنه مجنون لشدة تضييقه على نفسه**) أي في المعيشة، (**فبنوا له بيتاً على باب دارهم، فكان يأتي عليهم السنة والسنتان والثلاث لا يرون له وجهاً، وكان يخرج أول الأذان**) ويمكث في مسجد الحي (**و**) لا (**يأتي منزله**) إلا بعد (**العشاء الآخرة**) فلا يرونه لذلك، (**وكان طعامه أن يلتقط**) ما سقط من (**النوى، فكلما أصاب حشفة**) محركة التمر الرديء الذي يرمي به (**خبأها لإفطاره، وإن لم يصب ما يقوته باع النوى اشترى بثمنه ما يقوته، وكان لباسه ما يلتقط من المزابل من قطع الأكسية**) التي يرمونها (**فيغسلها في الفرات**) وهي نهر الكوفة (**ويلفق بعضها إلى بعض ثم يلبسها، فكان ذلك لباسه. وكان ربما مرّ بالصبيان فيرجمونه**) بالحجارة (**ويظنون أنه مجنون فيقول لهم: يا اخوتاه إن كنتم ترموني ولا بدّ فارموني بأحجار صغار، فإني أخاف أن تدموا عقبي فيحضر وقت الصلاة ولا أصيب الماء. فهكذا كانت سيرته، ولهذا عظّم رسول الله ﷺ أمره فقال: « إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن إشارة إليه »**) تقدم في كتاب قواعد العقائد.

وروى الطبراني في الكبير من حديث سلمة بن نفيل السكوني « إني أجد نفَس الرحمن من ههنا وأشار إلى اليمن » الحديث وليس له غيره. وقد أخرج النسائي بقية الحديث ولم يذكر هذه الجملة، وكذا ابن حبان في الأنواع والتقاسيم.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي نضرة عن أسير بن جابر بن، عن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن خير التابعين رجل يقال له أويس بن عامر ». وفي رواية له:

ولي الخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أيها الناس من كان منكم من العراق فليقم، قال: فقاموا. فقال: اجلسوا إلا من كان من أهل الكوفة، فجلسوا. فقال: اجلسوا إلا من كان من مراد، فجلسوا. فقال: اجلسوا إلا من كان من قرن، فجلسوا كلهم إلا رجلاً واحداً. فقال له عمر: أقرني أنت؟ فقال: نعم. فقال: أتعرف أويس بن عامر القرني؟ فوصفه له، فقال: نعم. وما ذاك تسأل عنه يا أمير المؤمنين؟ والله ما فينا أحمق منه ولا أجن منه ولا أوحش منه ولا أدنى منه، فبكى عمر رضي الله عنه ثم قال: ما قلت ما قلت إلا لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدخل في شفاعته مثل ربيعة

«فمن لقيه منكم فمروه فليستغفر لكم» من طريق قتادة عن زرارة عن أسير بن جابر، ومنها قول عمر: سمعت رسول الله ﷺ «يأتي عليك أويس بن عامر مع إبداد أهل اليمن ثم من مراد ثم من قرن كان به برص فبرىء منه إلا موضع درهم. له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبرّه فإن استطعت ان يستغفر لك فافعل» الحديث. ورواه كذلك ابن سعد والعقيلي وأحمد والحاكم مختصراً. ورواه البيهقي وأبو نعيم في الدلائل وفي الحلية من هذا الوجه مطوّلاً وهو ما ذكره المصنف بقوله.

(**ولما ولي عمر رضي الله عنه الخلافة قال: أيها الناس من كان منكم من العراق فليقم قال: فقاموا. فقال: اجلسوا إلا من كان من أهل الكوفة، فجلسوا. فقال: أجلسوا إلا من كان من مراد**) وهي قبيلة من اليمن، (**فجلسوا فقال: اجلسوا إلا من كان من قرن**) محركة وهي قبيلة من مراد. (**فجلسوا كلهم إلا رجلاً واحداً، فقال له: أقرني أنت؟ فقال: نعم، فقال: أتعرف أويس بن عامر القرني؟ فوصف له**) بوصفه الذي أخبره به ﷺ (**فقال: نعم، وما تسأل عن ذلك يا أمير المؤمنين والله ما فينا أحمق منه ولا أجن منه ولا أوحش منه ولا أدنى منه**) أي أحقر.

وقد رواه ابن منده من طريق سعد بن الصلت، بن مبارك بن فضالة، عن مروان بن الأصفر، عن صعصعة بن معاوية قال: كان عمر يسأل وفد أهل الكوفة إذا قدموا عليه تعرفون أويس بن عامر القرني؟ فيقولون: لا. فذكر نحوه. ورواه هدبة بن خالد، عن مبارك فقال: عن أبي الأصفر بدل مروان بن الأصفر. أخرجه أبو يعلى. وروى الروياني في مسنده من طريق بكر بن عبد الله، عن الضحاك، عن أبي هريرة فذكر حديثاً في وصف الأتقياء الأصفياء قال: قلنا يا رسول الله كيف لنا برجل منهم؟ قال: «ذلك أويس» وساق الحديث في توصية النبي ﷺ علياً وعمر إذا لقياه أن يستغفر لهما وفيه قصة طلب عمر إياه.

(**فبكى عمر ثم قال: ما قلت إلا إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدخل الجنة في شفاعته مثل ربيعة ومضر»**) قال العراقي: روينا في جزء ابن السماك من حديث أبي أمامة «يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من ربيعة ومضر» وإسناده حسن وليس فيه ذكر لأويس، بل في آخره فكان المشيخة يرون ذلك الرجل عثمان بن عفان اهـ.

ومضر » . فقال هرم بن حيان : لما سمعت هذا القول من عمر بن الخطاب قدمت الكوفة

قلت : ما ذكره المصنف رواه ابن أبي شيبة والحاكم والبيهقي وابن عساكر من حديث الحسن مرسلاً : يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من ربيعة ومضر . قال الحسن : هو أويس القرني . وروى ابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه ، عن جده ، عن عمر رفعه « يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي يقال له أويس فئام من الناس » . وروى البيهقي في الدلائل من طريق الثقفي عن خالد ، عن عبدالله بن شقيق ، عن عبدالله بن أبي الجدعاء رفعه قال : « يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم » قال الثقفي ، قال هشام بن حسان : كان الحسن يقول هو أويس القرني . وقد رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح غريب . ورواه أيضاً الحاكم ، وليس لعبدالله ابن الجدعاء غير هذا الحديث . ورواه ابن عساكر من حديث ابن عباس ، ورواه أبو نعيم في الحلية ، وابن عساكر أيضاً من حديث واثلة بن الأسقع .

وأما حديث أبي أمامة الذي ذكره العراقي فأورده الذهبي في كتاب التبيان في سيرة أمير المؤمنين عثمان وهو عندي بخطه ما نصه شبابة بن سوار وغيره : حدثنا حرز بن عثمان ، عن عبد الله بن ميسرة ، وحبيب بن عبد الرحمن ، عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « يدخل بشفاعة رجل من أمتي الجنة مثل أحد الحيين ربيعة ومضر » فكان المشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان رضي الله عنه . هذا حديث صالح السند غريب اهـ .

قلت : رواه الطبراني في الكبير وفيه زيادة ولفظه : « يدخل بشفاعة رجل من أمتي أكثر من عدد مضر ويرتفع الرجل في أهل بيته ويشفع على قدر عمله » . ورواه أحمد والطبراني أيضاً والضياء بلفظ « ليدخلن بشفاعة رجل لين تقي مثل الحيين أو مثل أحد الحيين ربيعة ومضر إنما أقول ما أقول » . ثم قال الذهبي في الكتاب المذكور : ويروى بإسناد لا يصح عن ابن عباس مرفوعاً « ليدخلن بشفاعة عثمان الجنة سبعون ألفاً » .

قلت : رواه ابن عساكر بلفظ « ليدخلن بشفاعة عثمان سبعون ألفاً كلهم استوجبوا النار الجنة بغير حساب » . وروى ابن عساكر أيضاً من حديث الحسن مرسلاً ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي عدد ربيعة ومضر . قيل : من هو يا رسول الله ؟ قال : عثمان بن عفان » . ثم قال الذهبي في الكتاب المذكور : الثوري ويزيد بن زريع ، عن خالد الحذاء ، عن عبدالله بن شقيق العقيلي قال : جلست إلى نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم ابن أبي الجدعاء فقال : سمعت رسول الله يقول « ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من تميم ، قالوا : سواك يا رسول الله ؟ قال : سواي » . وزاد يزيد عن الحذاء في حديثه قال : أظن الرجل عثمان . ولم يسم يزيد في حديثه ابن أبي الجدعاء بل قال رجل اهـ .

(**فقال هرم بن حيان**) العبدي : قال ابن عبد البر : هو من صغار الصحابة ، وعده ابن أبي حاتم في الزهاد الثمانية من كبار التابعين . وقال ابن سعد : ثقة له فضل ، وكان على عبد القيس في الفتوح

فلم يكن لي همّ إلا أن أطلب أويساً القرني وأسأل عنه حتى سقطت عليه جالساً على شاطىء الفرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه قال: فعرفته بالنعت الذي نعت لي، فإذا رجل لحيم شديد الأدمة محلوق الرأس كث اللحية متغير جداً كريه الوجه متهيب المنظر قال: فسلمت عليه فردّ عليَّ السلام ونظر إليَّ، فقلت: حياك الله من رجل ومددت يدي لأصافحه فأبى أن يصافحني، فقلت: رحمك الله يا أويس وغفر لك كيف أنت رحمك الله؟ ثم خنقتني العبرة من حبي إياه ورقتي عليه إذ رأيت من حاله ما رأيت حتى بكيت وبكى فقال: وأنت فحياك الله يا هرم بن حيان كيف أنت يا أخي ومن دلّك عليَّ؟ قال: قلت الله. فقال: لا إله إلا الله سبحان الله: ﴿إنْ كان وعْدُ ربِّنا لمفعولاً﴾ [الإسراء: ١٠٨] قال: فعجبت حين عرفني ولا والله ما رأيته قبل ذلك ولا رآني! فقلت: من أين عرفت اسمي واسم أبي وما رأيتك قبل اليوم؟ قال: ﴿نبأني العليم

وقال ابن حبان: أدرك عمر وولي الولايات في خلافته، وفي الزهد لأحمد أنه كان يصحب حممة الدوسي، وحممة مات في خلافة عثمان، وفيه أيضاً حدثنا محمد بن مصعب: سمعت مخلداً هو ابن الحسين ذكر عن هشام يعني ابن حسان عن الحسن أن هرماً مات في غزاة له في يوم صائف، فلما فرغ من دفنه جاءت سحابة حتى كانت حيال القبر فرشت القبر حتى روي لا تجاوز قطرة ثم عادت عدوها على بدئها. وكذا رواه ابنه عبد الرزاق في زوائده من طريق ابن جعفر الطباع عن مخلد. وأخرجه بسند أبي داود عن مخلد به. وفي لفظ أبي نعيم في الحلية: مات هرم في يوم صائف شديد الحر، فلما نفضوا أيديهم من قبره جاءت سحابة تسير حتى قامت على قبره فلم يكن أطول منه ولا أقصر منه رشته حتى روته ثم انصرفت. وفي لفظ آخر: لما مات جاءت سحابة فظللت سريره، فلما دفن رشت على القبر فما أصابت حول القبر شيئاً. وله أيضاً من طريق السدي بن يحيى عن قتادة قال: مطر قبر هرم من يومه وأنبت العشب من يومه: (**لما سمعت هذا القول من عمر بن الخطاب**) رضي الله عنه (**قدمت الكوفة فلم يكن لي همّ إلا أن أطلب أويساً القرني وأسأل عنه حتى سقطت عليه جالساً على شاطىء الفرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه. قال: فعرفته بالنعت الذي نعت، فإذا رجل لحيم شديد الأدمة محلوق الرأس كث اللحية متغير جداً كريه الوجه متهيب النظر قال: فسلمت عليه فردّ عليّ السلام ونظر إليَّ، فقلت: حياك الله من رجل ومددت يدي لأصافحه فأبى أن يصافحني فقلت: رحمك الله يا أويس وغفر لك كيف أنت رحمك الله؟ ثم خنقتني العبرة من حبي إياه ورقتي عليه إذ رأيت من حاله ما رأيت حتى بكيت وبكى، فقال: وأنت فحياك الله يا هرم بن حيان كيف أنت يا أخي؟ من دلّك عليَّ؟ قال: قلت الله**) عز وجل. (**فقال: لا إله إلا الله سبحان الله ﴿إن كان وعد ربنا لمفعولا﴾ قال: فتعجبت حين عرفني ولا والله ما رأيته قبل ذلك ولا رآني، فقلت: من أين عرفت اسمي وإسم أبي وما رأيتك قبل اليوم؟ فقال: ﴿نبأني العليم**

الخبير﴾ [التحريم : ٣] وعرفت روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك ، إن الأرواح لها أنفس كأنفس الأجساد وإن المؤمنين ليعرف بعضهم بعضاً ويتحابون بروح الله وإن لم يلتقوا يتعارفون ويتكلمون وإن نأت بهم الدار وتفرقت بهم المنازل . قال : قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله ﷺ بحديث أسمعه منك . قال : إني لم أدرك رسول الله ﷺ ولم تكن لي معه صحبة بأبي وأمي رسول الله ، ولكن رأيت رجالاً قد صحبوه ، وبلغني من حديثه كما بلغك ، ولست أحب أن أفتح على نفسي هذا الباب أن أكون محدثاً أو مفتياً أو قاضياً . في نفسي شغل عن الناس يا هرم بن حبان ! فقلت : يا أخي اقرأ علي آية من القرآن اسمعها منك وادع لي بدعوات وأوصني بوصية أحفظها عنك ، فإني أحبك في الله حباً شديداً . قال : فقام وأخذ بيدي على شاطىء الفرات ثم قال : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، ثم بكى . ثم قال : قال ربي والحق قول ربي وأصدق الحديث حديثه وأصدق الكلام كلامه ثم قرأ : ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين★ ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ حتى انتهى إلى قوله : ﴿إنه هو العزيز الرحيم﴾ [الدخان : ٣٨ - ٤٢] فشهق شهقة ظننت أنه قد غشي عليه ، ثم قال : يا ابن حيان مات أبوك حيان ويوشك أن تموت فإما إلى جنة وإما إلى نار ، ومات

الخبير﴾ وعرف روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك . إن الأرواح لها أنفس كأنفس الأجساد ، وإن المؤمنين ليعرف بعضهم بعضاً ويتحابون بروح الله وإن لم يلتقوا) بالأبدان (**يتعارفون ويتكلمون ، وإن نأت**) أي بعدت (**به الدار وتفرقت بهم المنازل**) . وقد ورد « الأرواح أجناد مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » . وورد أيضاً : « إن الأرواح لتشام كما تشام الخيل » وكل ذلك تقدم في كتاب آداب الصحبة والأخوّة (**قال : قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله ﷺ بحديث أسمعه منك . قال : إني لم أدرك رسول الله ﷺ ولم تكن لي معه صحبة بأبي وأمي**) أفدي (**رسول الله ﷺ ولكن رأيت رجالاً قد صحبوه وبلغني من حديثه نحو ما بلغك . ولست أحب ان أفتح هذا الباب على نفسي أن أكون محدثاً أو مفتياً أو قاضياً . في نفسي شغل عن الله يا هرم بن حيان فقلت : يا أخي اقرأ عليَّ آية من القرآن اسمعها منك ، وادع لي بدعوات ، واوصني بوصية أحفظها عنك ، فإني أحبك في الله حباً شديداً . قال : فقام وأخذ بيدي على شاطىء الفرات ثم قال : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم بكى ، ثم قال : قال ربي والحق قول ربي ، واصدق الحديث حديثه ، وأصدق الكلام كلامه ، ثم قرأ ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين★ ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ حتى انتهى إلى قوله : ﴿إنه هو العزيز الرحيم﴾ فشهق شهقة ظننت أنه قد غشي عليه ، ثم قال : يا ابن حيان مات أبوك حيان ،**

أبوك آدم وماتت أمك حوّاء ومات نوح ومات ابراهيم خليل الرحمن ومات موسى نجي الرحمن ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد ﷺ وعليهم رسول رب العالمين، ومات أبو بكر خليفة المسلمين، ومات عمر بن الخطاب أخي وصفي، ثم قال: يا عمراه يا عمراه! قال: فقلت رحمك الله إن عمر لم يمت، قال: فقد نعاه إليَّ ربي ونعى إليَّ نفسي! ثم قال: أنا وأنت في الموتى كأنه قد كان، ثم صلى على النبي ﷺ ثم دعا بدعوات خفيات ثم قال: هذه وصيتي إياك يا هرم بن حيان كتاب الله ونهج للصالحين المؤمنين، فقد نعيت إلى نفسي ونفسك، عليك بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت، وأنذر قومك إذا رجعت إليهم، وأنصح للأمة جميعاً وإياك أن تفارق الجماعات قيد شبر فتفارق دينك وأنت لا تعلم فتدخل النار يوم القيامة، ادع لي ولنفسك ثم قال: اللهم إن هذا يزعم أنه يحبني فيك وزارني من أجلك فعرفني وجهه في الجنة وأدخله عليّ في دارك دار السلام واحفظه ما دام في الدنيا حيثما كان وضم عليه ضيعته وأرضه من الدنيا باليسير، وما أعطيته من الدنيا فيسره له تيسيراً واجعله لما أعطيته من نعمائك من

ويوشك أن تموت فإما إلى الجنة وإما إلى النار، ومات أبوك آدم، وماتت أمك حواء، ومات نوح، ومات إبراهيم خليل الرحمن، ومات موسى نجي الرحمن، ومات داود خليفة الرحمن، ومات محمد ﷺ رسول رب العالمين، ومات أبو بكر خليفة المسلمين، ومات عمر بن الخطاب أخي وصفي، ثم قال: يا عمراه يا عمراه! قال: فقلت رحمك الله إن عمر لم يمت) بعد. **(فقال: فقد نعاه إليَّ ربي ونعى إليَّ نفسي، ثم قال: أنا وانت في الموتى كأنه قد كان، ثم صلى على النبي ﷺ ثم دعا بدعوات خفيات ثم قال: هذه وصيتي إياك يا هرم بن حيان: كتاب الله، ونهج الصالحين المؤمنين. قد نعيت إليَّ نفسي ونفسك عليك بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت، وانذر قومك إذا رجعت إليهم)** أي لقوله تعالى: ﴿ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾ [التوبة: ١٢٢] أي حذرهم من عقاب الله تعالى، **(والنصح للأمة جميعاً)** أي للخاصة والعامة، فقد ورد «الدين النصيحة». **(وإياك ان تفارق الجماعة)** أي جماعة المسلمين **(قيد شبر فتفارق دينك وأنت لا تعلم فتدخل النار يوم القيامة)** فقد ورد: «من فارق الجماعة شبراً فقد فارق الإسلام». وفي لفظ «فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه». وفي لفظ فهو في النار **(ادع لي ولنفسك ثم قال: اللهم إن هذا يزعم انه يحبني فيك وزارني من أجلك فعرفني وجهه في الجنة وادخله عليّ في دارك دار السلام واحفظه ما دام في الدنيا حياً حيثما كان وضم عليه ضيعته)** أي ما يخاف عليه الضياع من عقار أو حرفة أو صناعة **(وأرضه من الدنيا باليسير)** أي بالقليل مما يكف به وجهه، **(وما أعطيته من الدنيا فيسره له تيسيراً واجعله لما أعطيته من نعمائك من الشاكرين، وأجزه عني خير الجزاء، ثم قال:**

الشاكرين واجزه عني خير الجزاء . ثم قال : استودعك الله يا هرم بن حيان والسلام عليك ورحمة الله وبركاته لا أراك بعد اليوم رحمك الله تطلبني فإني أكره الشهرة والوحدة أحب إليَّ إني كثير الهم شديد الغم مع هؤلاء الناس ما دمت حيًّا ، فلا تسأل عني ولا تطلبني ، واعلم أنك مني على بال وإن لم أرك ولم ترني فاذكرني وادع لي فإني سأذكرك وأدعو لك إن شاء الله إنطلق أنت ههنا حتى انطلق أنا ههنا ، فحرصت أن أمشي معه ساعة فأبى عليَّ وفارقته فبكى وأبكاني وجعلت أنظر في قفاه حتى دخل إلى بعض السكك ، ثم سألت عنه بعد ذلك فما وجدت أحداً يخبرني عنه بشيء رحمه الله وغفر له .

فهكذا كانت سيرة أبناء الآخرة المعرضين عن الدنيا .

استودعك الله يا هرم بن حيان والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. لا أراك بعد اليوم رحمك الله تطلبني فإني أكره الشهرة) بين الناس، **(والوحدة أعجب إليَّ إني كثير الهم شديد الغم مع هؤلاء الناس ما دمت حياً فلا تسأل عني ولا تطلبني، واعلم أنك مني على بال وإن لم أرك وان لم ترني، فاذكرني وادع لي فإني سأذكرك وادعو لك إن شاء الله تعالى: انطلق أنت ههنا حتى انطلق أنا ههنا، فحرصت أن أمشي معه ساعة فأبى عليَّ وفارقته فبكى وأبكاني، وجعلت أنظر في قفاه حتى دخل بعض السكك، ثم سألت عنه بعد ذلك فما وجدت أحداً يخبرني عنه بشيء رحمه الله تعالى وغفر له)** هكذا أخرج هذه القصة بطولها أبو نعيم في الحلية.

وأخرج الحاكم من طريق ابن المبارك، أخبرنا جعفر بن سليمان، عن الجريري، عن أبي نفرة العبدي، عن أسير بن جابر قال: قال صاحب لي بالكوفة: هل لك في رجل تنظر إليه فذكر قصة أويس وفيها . فتنحى إلى سارية فصلى ركعتين ثم أقبل علينا بوجهه فقال: ما لكم ولي تطؤن عقبي وأنا إنسان ضعيف تكون لي الحاجة ولا أقدر عليها معكم. لا تفعلوا رحمكم الله. من كانت له إليَّ حاجة فليلقني بعشاء ، ثم قال: إن هذا المجلس يغشاه ثلاثة نفر: مؤمن فقيه ومؤمن لم يفقه ومنافق، وذلك في الدنيا مثل الغيث فيصيب الشجرة المونقة المثمرة فتزداد حسناً وإيناعاً وطيباً ويصيب الشجرة غير المثمرة فيزداد ورقها حسناً وتكون لها ثمرة، ويصيب الهشيم من الشجر فيحطمه ثم قرأ ﴿ونُنزل من القرآن ما هو شفاءٌ ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾ [الإسراء : ٨٢] اللهم ارزقني شهادة توجب لي الحياة والرزق وإسناده صحيح.

وأخرج أحمد في الزهد، عن عبد الرحمن بن مهدي، عن عبدالله بن أشعث بن سوار، عن محارب بن دثار رفعه: « من أمتي من لا يستطيع أن يأتي مسجده أو مصلاه من العري يحجزه إيمانه إن يسأل الناس منهم أويس القرني وفرات بن حيان ».

(فهكذا كانت سيرة أبناء الآخرة المعرضين عن الدنيا) .

وقد عرفت مما سبق في بيان الدنيا ومن سيرة الأنبياء والأولياء أن حدّ الدنيا كل ما أظلته الخضراء وأقلته الغبراء إلا ما كان لله عز وجل من ذلك، وضد الدنيا الآخرة وهو كل ما أريد به الله تعالى مما يؤخذ بقدر الضرورة من الدنيا لأجل قوة طاعة الله وذلك ليس من الدنيا. ويتبين هذا بمثال: وهو أن الحاج إذا حلف أنه في طريق الحج لا يشتغل بغير الحج بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل وخرز الراوية وكل ما لا بدّ للحج منه لم يحنث في يمينه ولم يكن مشغولاً بغير الحج، فكذلك البدن مركب النفس تقطع به مسافة العمر، فتعهد البدن بما تبقى به قوّته على سلوك الطريق بالعلم والعلم هو من الآخرة لا من الدنيا. نعم إذا قصد تلذذ البدن وتنعمه بشيء من هذه الأسباب كان منحرفاً عن الآخرة ويخشى على قلبه القسوة. قال الطنافسي: كنت على باب بني شيبة في المسجد الحرام سبعة أيام طاوياً فسمعت في الليلة الثامنة منادياً وأنابين اليقظة والنوم: ألا من أخذ من الدنيا أكثر مما يحتاج إليه أعمى الله عين قلبه. فهذا بيان حقيقة الدنيا في حقك. فاعلم ذلك ترشد إن شاء الله تعالى.

(وقد عرفت مما سبق في بيان الدنيا ومن سيرة الأنبياء والأولياء أن حد الدنيا كل ما أظلته الخضراء) أي السماء سميت بها لخضرة لونها عند النظر إليها **(وأقلته)** أي حملته **(الغبراء)** أي الأرض سميت لاغبرارها **(إلا ما كان لله عز وجل من ذلك، وضد الدنيا الآخرة وهو كل ما أريد به الله تعالى مما يؤخذ بقدر الضرورة)** الحاقة **(من الدنيا لأجل قوة طاعة الله تعالى)** والتبلغ به إليها، **(فذلك ليس من الدنيا)** أي ليس محسوباً منها. **(ويتبين هذا بمثال)** يذكر **(وهو أن الحاج إلى)** بيت الله الحرام **(إذا حلف أنه في طريق الحج لا يشتغل بغير أمور الحج بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد)** الذي يتقوت به **(وعلف الجمل)** الذي يركبه **(وخرز الراوية)** أي القربة التي يشرب منها **(وكل ما لا بد للحج منه لم يحنث في يمينه ولم يكن مشغولاً بغير الحج)** فهو صادق في يمينه، **(فكذلك البدن مركب النفس يقطع به مسافة العمر)** أي مدته، **(فتعهد البدن)** أي محافظته **(لما يتقي به قوته على سلوك الطريق بالعلم والعمل هو من الآخرة لا من الدنيا. إذا قصد تلذذ البدن وتنعمه بشيء من هذه الأسباب كان منحرفاً عن الآخرة ويخشى على قلبه)** إحداث **(القسوة)** فيه بسبب ركونه إلى ذلك مع قصد التنعم.

(قال الطنافسي) وهو محمد بن عبيد بن أبي أمية الكوفي الأحدب الثقة، مات سنة أربع ومائتين روى له الجماعة. **(كنت على باب بني شيبة في المسجد الحرام)** وهو أحد أبوابه المشهورة **(سبعة أيام طاوياً)** على الجوع، **(فسمعت الليلة الثامنة منادياً وأنا بين اليقظة والنوم: ألا من أخذ من الدنيا أكثر مما يحتاج إليه أعمى الله عين قلبه)** وقد ورد معنى ذلك

بيان حقيقة الدنيا في نفسها وأشغالها التي استغرقت هـم الخلق حتى أنستهم أنفسهم وخالقهم ومصدرهم ومورده:

اعلم أن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة للإنسان فيها حظ وله في إصلاحها شغل، فهذه ثلاثة أمور قد يظن أن الدنيا عبارة عن آحادها وليس كذلك. أما الأعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عنها فهي الأرض وما عليها. قال الله تعالى: ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيّهم أحسن عملاً﴾ [الكهف: ٧] فالأرض فراش للآدميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملبس ومطعم ومشرب ومنكح.

ويجمع ما على الأرض ثلاثة أقسام: المعادن والنبات والحيوان. أما النبات: فيطلبه الآدمي للاقتيات والتداوي، وأما المعادن فيطلبها للآلات والأواني كالنحاس والرصاص وللنقد كالذهب والفضة ولغير ذلك من المقاصد، وأما الحيوان فينقسم إلى الإنسان

في بعض الأخبار، والمراد بعين القلب البصيرة. (**فهذا بيان حقيقة الدنيا في حقك**) فتأمل في معناها (**فاعلم ذلك ترشد إن شاء الله تعالى**).

بيان ماهية الدنيا في نفسها أي ذاتها واشغالها التي استغرقت هم الخلق واستولت عليها حتى أنستهم أنفسهم وخالقهم ومصدرهم ومورده:

(**اعلم**) هداك الله تعالى (**أن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة وللإنسان فيها حظ**) ونصيب (**وله في إصلاحها شغل، فهذه ثلاثة أمور وقد يظن أن الدنيا عبارة عن آحادها وليس كذلك**) بل هي عبارة عن مجموعها. (**أما الأعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عنها فهي الأرض وما عليها قال الله تعالى: ﴿إنا جعلنا ما على الأرض**) من أعيان ونبات ومعادن (**زينة لها لنبلوهم**) أي نختبرهم (**أيهم أحسن عملاً﴾**) أي أكثر زهداً فيها. رواه ابن أبي حاتم عن الثوري، (**فالأرض فراش الآدميين ومهاد ومسكن ومستقر**) وكل ذلك بنص الآيات الواردة فيه، (**وما عليها لهم فلبس ومطعم ومشرب ومنكح**). أخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها﴾ قال: ما عليها من شيء.

(**ويجمع ما على الأرض ثلاثة أقسام: المعادن والنبات والحيوان. أما النبات: فيطلبه الآدمي للإقتيات وللتداوي**) أي منه ما هو للقوت خاصة وهو أنواع الحبوب، ومنه ما هو للتداوي وهو أنواع الحشائش. (**وأما المعادن: فيطلبها الآدمي للآلات والأواني**) أي لاتخاذها (**كالنحاس**) بنوعية الأحمر والأصفر (**والرصاص**) والقلعي وغيرها، (**وللنقد كالذهب والفضة**) فإذا أطلق النقدان في عبارة الفقهاء فإنما يراد بها إياهما (**ولغير ذلك من**

والبهائم. أما البهائم: فيطلب منها لحومها للمآكل وظهورها للمركب والزينة. وأما الإنسان: فقد يطلب الآدمي أن يملك أبدان الناس ليستخدمهم ويستسخرهم كالغلمان أو ليتمتع بهم كالجواري والنسوان، ويطلب قلوب الناس ليملكها بأن يغرس فيها التعظيم والإكرام وهو الذي يعبر عنه بالجاه إذ معنى الجاه ملك قلوب الآدميين. فهذه هي الأعيان التي يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله: ﴿زُين للناس حبّ الشهوات من النساء والبنين﴾ وهذا من الانس ﴿والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة﴾ وهذا من الجواهر والمعادن، وفيه تنبيه على غيرها من اللآلىء واليواقيت وغيرها. ﴿والخيل المسوّمة والأنعام﴾ وهي البهائم والحيوانات ﴿والحرث﴾ [آل عمران: ١٤] وهو النبات والزرع.

فهذه هي أعيان الدنيا إلا أن لها مع العبد علاقتين: علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه إليها حتى يصير قلبه كالعبد أو المحب المستهتر بالدنيا ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء

المقاصد. وأما الحيوان: فينقسم إلى الإنسان والبهائم. أما البهائم: فتطلب لحومها لمآكل وظهورها للمركب) قال الله تعالى: ﴿ومن الأنعام حمولة وفرشاً﴾ [الأنعام: ١٤٢] فالحمولة ما يحمل عليها والفرش ما يفرش للذبح (**والزينة**) قال الله تعالى: ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة﴾ [النحل: ٨] (**وأما الإنسان: فقد يطلب الآدمي أن يملك أبدان الناس ليستخدمهم ويستسخرهم كالغلمان**) شراء بملك اليمين أو استئجاراً، (**أو ليتمتع بهم كالجواري**) بملك اليمين (**والنسوان**) بعقد النكاح، (**ويطلب قلوب الناس ليمكلها بأن يغرس فيها التعظيم والإكرام، وهو الذي يعبر عنه بالجاه إذ معنى الجاه ملك قلوب الآدميين. فهذه هي الأعيان التي يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين﴾ وهذا من الإنسان**) والمراد بالبنين الأولاد الذكور والحفدة (**﴿والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة﴾ وهذا من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيرها من اللآلىء واليواقيت وغيرها**) من أنواع الحلى كالماس والزمرد والبلخش والعقيق. (**والخيل المسوّمة**) أي المعلمة السائمة منها والمستعدة (**﴿والأنعام﴾ وهي البهائم والحيوانات**) وهي الأزواج الثمانية المذكورة في القرآن (**﴿والحرث﴾ وهو النبات والزرع**).

(**فهذه هي أعيان الدنيا إلا أن لها مع العبد علاقتين: علاقة مع القلب: وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه إليها حتى يصير قلبه كالعبد**) المذلل (**أو المحب المستهتر بالدنيا، ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد**

والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء وحب التكاثر والتفاخر، وهذه هي الدنيا الباطنة. وأما الظاهرة فهي: الأعيان التي ذكرناها.

العلاقة الثانية مع البدن، وهو اشتغاله بإصلاح هذه الأعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها والخلق إنما نسوا أنفسهم ومآبهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل. ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها علم أن هذه الأعيان التي سميناها دنيا لم تخلق إلا لعلف الدابة التي يسير بها إلى الله تعالى. وأعني بالدابة البدن فإنه لا يبقى إلا بمطعم ومشرب وملبس ومسكن، كما لا يبقى الجمل في طريق الحج إلا بعلف وماء وجلال.

ومثال العبد في الدنيا في نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يعلف الناقة ويتعهدها وينظفها ويكسوها ألوان الثياب، ويحمل إليها أنواع الحشيش ويبرد لها الماء بالثلج حتى تفوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه في البادية فريسة للسباع هو وناقته. والحاج البصير لا يهمه من أمر

والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء وحب التكاثر والتفاخر، وهذه هي الدنيا الباطنة وأما الظاهرة فهي الأعيان التي ذكرناها.

(**والعلاقة الثانية مع البدن، وهو اشتغاله بإصلاح هذه الأعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات والحرف**) بأنواعها (**التي الخلق مشغولون بها**) ملتفتون إليها، (**والخلق إنما نسوا أنفسهم ومآبهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل، ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها**) وإنها لماذا خلقت ولماذا خلق هو (**علم أن هذه الأعيان التي سميناها دنيا لم تخلق إلا لعلف الدابة التي يسير بها إلى الله تعالى. وأعنى بالدابة البدن فإنه**) أي البدن (**لا يبقى**) أي لا يوصف بالبقاء والمتعة (**إلا بمطعم ومشرب وملبس ومسكن**) وهي ضرورات في حفظ البدن، (**كما لا يبقى الجمل في طريق الحج إلا بعلف وماء وجلال**) جمع جل بالضم وهو ما يقي ظهره لئلا ينقبه الرحل.

(**ومثال العبد في الدنيا في نسيانه نفسه ومقصده**) الذي هو متوجه إليه (**مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يعلف الناقة ويتعهدها**) بالخدمة (**وينظفها ويكسوها ألوان الثياب**) المزخرفة، (**ويحمل إليها أنواع الحشيش ويبرد لها الماء بالثلج**) لم يزل مشغولاً بذلك (**حتى تفوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه في البادية**

الجمل إلا القدر الذي يقوى به على المشي فيتعهده وقلبه إلى الكعبة والحج، وإنما يلتفت إلى الناقة بقدر الضرورة، فكذلك البصير في سفر الآخرة لا يشتغل بتعهد البدن إلا بالضرورة كما لا يدخل بيت الماء إلا لضرورة ولا فرق بين إدخال الطعام في البطن وبين إخراجه من البطن في أن كل واحد منهما ضرورة البدن، ومن همته ما يدخل بطنه فقيمته ما يخرج منها وأكثر ما شغل الناس عن الله تعالى هو البطن، فإن القوت ضروري وأمر المسكن والملبس أهون، ولو عرفوا سبب الحاجة إلى هذه الأمور واقتصروا عليه لم تستغرقهم أشغال الدنيا وإنما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتتابعت أشغال الدنيا عليهم واتصل بعضها ببعض وتداعت إلى غير نهاية محدودة، فتاهوا في كثرة الأشغال ونسوا مقاصدها.

ونحن نذكر تفاصيل أشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة إليها وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتى تتضح لك أشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف أنستهم

فريسة للسباع) تفرس **(هو وناقته)**، أو نهبة للعربان يستفردونه فيأخذونه مع ناقته كالأسير إن لم يقتلوه. **(والحاج البصير العاقل لا يهمه من أمر الجمل إلا القدر الذي يقوى به على المشي فيتعهده)** ويصلح شأنه **(وقلبه إلى الكعبة والحج، وإنما يلتفت إلى الناقة بقدر الضرورة)** والحاجة. **(وكذلك البصير في سفر الآخرة لا يشتغل بتعهد البدن إلا بالضرورة)** بل يتناول ما يتناوله تناول مفطر عالم بقذارة مآله **(كما لا يدخل بيت الماء إلا بالضرورة ولا فرق بين إدخال الطعام في البطن وبين إخراجه من البطن في أن كل واحد منهما ضرورة البدن، ومن همته ما يدخل بطنه)** أي من شغل همته في إصلاح ما يدخل بطنه **(فقيمته ما يخرج من بطنه)** فاخسس بهذه اللقمة التي قيمتها ذلك فحقه أن يعلم أن نسبة الثمار والفواكه نسبة الجعل إلى الروث، فلو نطق الشجر لقال لك: تأكل فضالتي كما يأكل الجعل فضالتك، والخنزير إذا استطاب لفاظه الإنسان فما هو إلا كاستطابتها لفاظة الشجر، وبهذا يعلم أن شرف المطعم والمشرب بالإضافة لا بإطلاق. **(وأكثر ما شغل الناس عن الله تعالى هو البطن)** ولذا قيل: إن البطن عدو الإنسان، **(فإن القوت أمر ضروري)** فإنه لا قوام له في الدنيا إلا به، **(وأمر المسكن والملبس أهون)** من أمر القوت **(ولو عرفوا سبب الحاجة إلى هذه الأمور واقتصروا عليه لم تستغرقهم أشغال الدنيا)** أي لم تستول عليهم، **(وإنما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها، ولكنهم جهلوا وغفلوا وتتابعت أشغال الدنيا عليهم واتصل بعضها ببعض فتداعت إلى غير نهاية محدودة، فتاهوا في كثرة الأشغال ونسوا مقصودها)**.

(ونحن نذكر) الآن **(تفاصيل أشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة إليها وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتى يتضح لك أن أشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله وكيف**

عاقبة أمورهم فنقول: الأشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات والأعمال التي ترى الخلق مكبين عليها وسبب كثرة الأشغال هو أن الإنسان مضطر إلى ثلاث: القوت والمسكن والملبس، فالقوت للغذاء والبقاء والملبس لدفع الحر والبرد، والمسكن لدفع الحر والبرد، ولدفع أسباب الهلاك عن الأهل والمال. ولم يخلق الله القوت والمسكن والملبس مصلحاً بحيث يستغنى عن صنعة الإنسان فيه.

نعم. خلق ذلك للبهائم فإن النبات يغذي الحيوان من غير طبخ، والحر والبرد لا يؤثر في بدنه فيستغني عن البناء ويقنع بالصحراء، ولباسها شعورها وجلودها، فتستغني عن اللباس.

والإنسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك إلى خمس صناعات هي أصول الصناعات وأوائل الأشغال الدنيوية وهي: الفلاحة والرعاية والاقتناص والحياكة والبناء. أما البناء فللمسكن، والحياكة وما يكتنفها من أمر الغزل والخياطة فللملبس، والفلاحة للمطعم، والرعاية للمواشي والخيل أيضاً للمطعم والمركب والاقتناص نعني به تحصيل ما

أنستهم عاقبة أمورهم فنقول: الأشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات والأعمال التي ترى الخلق منكبين عليها) يقال: أكب على كذا إذا لازم عليه، **(وسبب كثرة الأشغال هو أن الإنسان مضطر إلى ثلاث: القوت والمسكن والملبس، فالقوت للغداء والبقاء)** أي بقاء البدن على اعتداله، **(والملبس لدفع الحر والبرد، والمسكن لدفع الحر والبرد ولدفع أسباب الهلاك عن الأهل والمال، ولم يخلق الله القوت والملبس والمسكن مصلحاً بحيث يستغني عن صنعة الإنسان فيه)**.

(نعم خلق ذلك للبهائم، فإن النبات يغذي الحيوان من غير طبخ، والحر والبرد لا يؤثر) كل منها **(في** بدنه **فيستغني عن البناء)** أي المسكن **(ويقنع بالصحراء)** صيفاً وشتاءً، **(ولباسها شعرها وجلودها فيستغني عن اللباس)**.

(والإنسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك إلى خمس صناعات) لا قوام للعالم دونها **(هي أصول الصناعات وأوائل الأشغال الدنيوية وهي: الفلاحة والرعاية والإقتناص والحياكة والبناء)** وعد أبو القاسم الراغب في الذريعة الأصول أربعة. فذكر الفلاحة والحياكة والبناء وزاد السياسة، وجعل الرعاية من المرشحات ولم يذكر الإقتناص. **(أما البناء فللمسكن)** أي لأجل تهيئه الموضع الذي يسكن فيه فمحترفه يقال له البناء، **(والحياكة وما يكتنفها من أمر الغزل والخياطة فللمبس)** ومحترفها يقال له الحائك والنسّاج، **(والفلاحة للمطعم)** ومحترفها يقال له الفلاح والزراع، **(والرعاية للمواشي)** يتعهدها للإطعام والاستقاء وغيرهما ومحترفها يقال له الراعي، وراعي الجواميس بالخصوص يقال له الجميسي، **(والخيل أيضاً للمطعم**

خلقه الله من صيد أو معدن أو حشيش أو حطب، فالفلاح يحصل النبات والراعي يحفظ الحيوانات ويستنتجها، والمقتنص يحصل ما نبت ونتج بنفسه من غير صنع آدمي، وكذلك يأخذ من معادن الأرض ما خلق فيها من غير صنعة آدمي، ونعني بالاقتناص ذلك ويدخل تحته صناعات وأشغال عدة، ثم هذه الصناعات تفتقر إلى أدوات وآلات كالحياكة والفلاحة والبناء والاقتناص، والآلات إنما تؤخذ إما من النبات وهو الأخشاب أو من المعادن كالحديد والرصاص وغيرهما أو من جلود الحيوانات. فحدثت الحاجة إلى ثلاثة أنواع أخر من الصناعات: النجارة والحدادة والخرز، وهؤلاء هم عمال الآلات، ونعني بالنجار كل عامل في الخشب كيفما كان، وبالحداد كل عامل في الحديد وجواهر المعادن حتى النحاس والابري وغيرهما. وغرضنا ذكر الأجناس فأما آحاد الحرف فكثيرة. وأما الخراز فنعني به كل عامل في جلود الحيوانات وأجزائها. فهذه أمهات الصناعات.

والمركب والاقتناص نعني به تحصيل ما خلقه الله من صيد أو معدن أو حشيش أو حطب) وهذا إصطلاح خاص، وإلا فالمقتنص في العرف هو الذي يصطاد حيوانات البر كالقنيص والقانص، كما أن الصائد والصياد له، وللذي يصطاد الطيور وحيوانات البحر ولمن يستخرج معادن البحر يقال له الغطاس، ومعادن البر يقال له النابل، ولمن يقطع الحشيش يقال له الحشاش، ولمتطلب الحطب من البراري والفيافي يقال له الحطاب. فهذه اصطلاحات عرفية والمصنف جعل الاقتناص لفظاً شاملاً للكل. (**فالفلاح يحصل النبات والراعي يحفظ الحيوانات ويستنتجها، والمقتنص يحصل ما نبت)** في الأرض (**ونتج بنفسه من غير صنع آدمي، وكذلك يأخذ من معادن الأرض ما خلق فيها من غير صنع آدمي، ونعني بالإقتناص ذلك)** ولا مشاحة في الإصطلاح (**وتدخل تحته صناعات وأشغال عدة)** هي كالخادمة لها، (**ثم هذه الصناعات تفتقر إلى أدوات وآلات كالحياكة والفلاحة والبناء والاقتناص)** فإن كلا منها يحتاج إلى ما ذكر، (**والآلات إنما تؤخذ إما من النبات وهو الأخشاب، أو من المعادن كالحديد والرصاص وغيرهما. أو من جلود الحيوانات. فحدثت الحاجة إلى ثلاثة أنواع أخر من الصناعات: النجارة والحدادة)** بكسرهما (**والخرز)** وهؤلاء هم عمال الآلات (**ونعني بالنجار كل عامل في الخشب كيفما كان، وبالحداد كل عامل في الحديد وجواهر المعادن حتى النحاس والابري وغيرهما)** الذي يشتغل الأبر للخياطة وغيرها وهذا أيضاً اصطلاح خاص إذ المعروف أن الحداد كل عامل في جنس الحديد خاصة. وأما عامل بقية المعادن فلكل إسم خاص ففي النحاس نحاس وفي الرصاص رصاص، وفي القلعي سمكري. وقس على ذلك فهي صناعات مختلفة لا يدخل بعضها على بعض. (**وغرضنا ذكر الأجناس وإما آحاد الحرف فكثيرة)** لا تحصر. (**وأما الخراز فنعني به كل عامل في جلود الحيوانات وأجزائها)** وتحته النعال

ثم إن الإنسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر إلى الاجتماع مع غيره من جنسه وذلك لسببين:

أحدهما: حاجته إلى النسل لبقاء جنس الإنسان، ولا يكون ذلك إلا باجتماع الذكر والأنثى وعشرتها.

والثاني: التعاون على تهيئة أسباب المطعم والملبس ولتربية الولد، فإن الاجتماع يفضي إلى الولد لا محالة والواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة أسباب القوت ثم ليس يكفيه الاجتماع مع الأهل والولد في المنزل، بل لا يمكنه أن يعيش كذلك ما لم تجتمع طائفة كثيرة ليتكفل كل واحد بصناعة، فإن الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج إلى آلاتها، وتحتاج الآلة إلى حداد ونجار، ويحتاج الطعام إلى طحان وخباز،

والقراب والدباغ والسروجي وغيرهم. (**فهذه أمهات الصناعات**) المحتاج إليها وما عداها فإنها مرشحة لكل واحد وخادمة له كالحدادة للزراعة وكالقصارة والخياطة للحياكة، ومثل ذلك بالإضافة إلى العالم مثل أجزاء الشخص إلى الشخص سواء، فإنها على ثلاثة أضرب: إما الأصول كالقلب والكبد والدماغ، وإما مرشحة لتلك الأصول وخادمة كالمعدة والعروق والشرايين، وإما مكملة لها مربية كاليد والحاجب، وأما بيان شرف هذه الصناعات مع بعضها فقد تقدمت الإشارة إليه في كتب العلم.

(**ثم إن الإنسان خلق**) مدني الطبع (**بحيث لا يعيش وحده، بل يضطر إلى الإجتماع مع غيره من جنسه**) ليحصل لنفسه أدنى ما يحتاج إليه بمعاونة عدة له. وعليه نبه النبي ﷺ بقوله: « المؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » وقوله: « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا تألم بعضه تداعى سائرة » وقيل: الناس كجسد واحد متى عاون بعضه بعضاً استقل، ومتى خذل بعضه بعضاً اختل، (**وذلك لسببين**).

(**أحدهما: حاجته إلى النسل لبقاء جنس الإنسان، ولا يكون ذلك إلا بإجتماع الذكر والأنثى وعشرتها**) فصار ذلك ضرورياً ومما لا بد منه.

(**والثاني: التعاون على تهيئة أسباب المطعم والملبس ولتربية الولد، فإن الإجتماع**) بين الذكر والأنثى (**يفضي إلى**) حدوث (**الولد لا محالة. و**) معلوم أن (**الواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة أسباب القوت ثم ليس يكفيه الإجتماع مع الأهل والولد في المنزل، بل لا يمكنه أن يعيش كذلك ما لم تجتمع طائفة كثيرة ليتكفل كل واحد بصناعة**) هي له متظاهرين متعاونين، (**فإن الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج إلى آلاتها**) وأعظمها الثوران والفدان، فالثوران يحتاجان إلى رعيتها وتعهدهما، والفدان يحتاج إلى خشب وحديد وحبال، وتحتاج هذه (**الآلة إلى حداد ونجار**) وحبال، (**فالنجار يقطع الخشب**

وكذلك كيف ينفرد بتحصيل الملبس وهو يفتقر إلى حراسة القطن وآلات الحياكة والخياطة وآلات كثيرة؟ فلذلك امتنع عيش الإنسان وحده وحدثت الحاجة إلى الاجتماع، ثم لو اجتمعوا في صحراء مكشوفة لتأذوا بالحر والبرد والمطر واللصوص فافتقروا إلى أبنية محكمة ومنازل ينفرد كل أهل بيت به وبما معه من الآلات والأثاث، والمنازل تدفع الحر والبرد والمطر وتدفع أذى الجيران من اللصوصية وغيرها، لكن المنازل قد تقصدها جماعة من اللصوص خارج المنازل فافتقر أهل المنازل إلى التناصر والتعاون والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل فحدثت البلاد لهذه الضرورة.

ثم مهما اجتمع الناس في المنازل والبلاد وتعاملوا تولدت بينهم خصومات، إذ تحدث رئاسة وولاية للزوج على الزوجة وولاية للأبوين على الولد لأنه ضعيف يحتاج إلى قوام

ويصلحه والحداد يصلح المسامير والحبال يفتل الحبل الذي به يربط بعضه مع بعض، (**ويحتاج الطعام إلى**) دائس وذراء ومنق ومغربل ثم إلى (**طحان**) يطحنه إما برحا فبيديه، أو طحن الطاحون فبالبهائم، والبهائم تحتاج إلى رعية وتعهد، ثم الدقيق المطحون إذا حضر احتاج بعد نخله إلى عجان، والعجن يحتاج إلى ظرف، وذلك الظرف إما من المعادن فاحتاج إلى حداد ونحاس وصفار، وإما من الخزف فاحتاج إلى خزاف (و) إلى (**خباز**) والخباز يحتاج إلى الوقيد والوقاد، (**وكذلك كيف ينفرد بتحصيل الملبس وهو يفتقر إلى حراسة القطن**) والحراثة تحتاج إلى آلاتها (**وآلات الحياكة**) كالنول والبكرات والمناسج والشيوخ والسفينة والمغازل وغيرها (**و**) آلات (**الخياطة**) كالابر والمقص والذراع والخيط والإسفيداج وغيرها مما يحتاج إليه الخياط، وأعمال كثيرة غير ما ذكر. (**فلذلك امتنع عيش الإنسان وحده وحدثت الحاجة إلى الإجتماع**) والتعاون، (**ثم لو اجتمعوا في صحراء مكشوفة**) تحت السماء (**لتادوا**) أي هلكوا وفي نسخة لتأذوا (**بالحر**) في الصيف (**والبرد**) في الشتاء (**والمطر واللصوص**) بالليالي عند اشتغالهم بالنوم، (**فافتقروا إلى أبنية محكمة ومنازل**) محدودة (**ينفرد كل أهل بيت وبما معه من الآلات**) المحتاج إليها، (**والأثاث**) والأمتعة والمنازل تدفع الحر والبرد والمطر بالاستكنان فيها، (**وتدفع**) أيضاً (**أذى الجيران من اللصوصية وغيرها، ولكن المنازل قد يقصدها جماعة من اللصوص**) متظاهرين مع البعض (**خارج المنازل، فافتقر أهل المنازل إلى التناصر والتعاون والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل فحدثت البلاد لهذه الضرورة**) فالبلدة كل مجتمع قوم يحيط به سور.

(**ثم مهما اجتمع الناس في المنازل والبلاد**) لا محالة أن يتعاملوا في أمور معايشهم، فإذا (**تعاملوا تولدت بينهم لا محالة خصومات**) ومنازعات ومشابكات بحكم ما جبل عليه الإنسان من الحرص، والشح والحسد (**إذ تحدث رئاسة وولاية للزوج على الزوجة**) بحكم قيامه عليها (و) تحدث (**ولاية للأبوين على الولد لأنه ضعيف محتاج إلى قوام به. ومهما حصلت**

به. ومهما حصلت الولاية على عاقل أفضى إلى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم، إذ ليس لها قوة المخاصمة وإن ظلمت، فأما المرأة فتخاصم الزوج والولد يخاصم الأبوين. هذا في المنزل.

وأما أهل البلد أيضاً فيتعاملون في الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا، وكذلك الرعاة وأرباب الفلاحة يتواردون على المراعي والأراضي والمياه وهي لا تفي بأغراضهم فيتنازعون لا محالة. ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بعمى أو مرض أو هرم وتعرض عوارض مختلفة ولو ترك ضائعاً لهلك، ولو وكل تفقده إلى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب يخصه لكان لا يذعن له.

فحدث بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات أخرى، فمنها صناعة المساحة التي بها تعرف مقادير الأرض لتمكن القسمة بينهم بالعدل، ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص عنهم. ومنها صناعة الحكم والتوصل لفصل

الولاية على عامل) كالزوجة والولد والرقيق والأجير **(أفضى)** الحال **(إلى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم، إذ ليس لها قوة المخاصمة وإن ظلمت)** لكونها خرساء، **(فأما المرأة فتخاصم الزوج والولد يخاصم الأبوين)** وكذا الرقيق والأجير. **(هذا في المنزل)**.

(فأما أهل البلد أيضاً فيتعاملون في الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة) للمواشي **(وأرباب الفلاحة)** يضطرون في أحوالهم أن يبعدوا في المراعي حيث مساقط الغيث، ويتقربوا إلى المواضع القريبة من المياه لمصلحة المواشي، فإذا بعدوا يعسر عليهم إراحة المواشي إلى المنازل التي فيها أربابها فحدثت الحاجة إلى بناء كفور وإحياء وإحماء، فيريحون فيها المواشي ويبيتون بها معهم مع تلك الآلات التي يحتاجون إليها في الحراثة ليكون غدهم ورواحهم قريباً من مواضع حاجاتهم، ثم أنهم **(يتواردن على المراعي والأرضين والمياه وهي لا تفي بأغراضهم فيتنازعون لا محالة. ثم قد يعجر بعضهم عن الفلاحة والصناعة بعمى أو مرض أو هرم)** أي كبر سن **(وتعرض عوارض مختلفة ولو ترك ضائعاً لهلك، ولو وكل تفقده إلى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب يخصه لكان لا يذعن له)** أي لا ينقاد.

(فحدثت بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالإجتماع صناعات أخرى فمنها: صناعة المساحة التي بها تعرف مقادير الأرض) يقال: مسحت الأرض مسحاً إذا ذرعتها والإسم المساحة بالكسر وإنما احتيج إليها **(لتمكن القسمة بينهم بالعدل)** فيعطي كل ذي حق حقه **(ومنها: صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف)** والسنان **(ودفع اللصوص عنهم)**

الخصومة. ومنها الحاجة إلى الفقه وهو معرفة القانون الذي ينبغي أن يضبط به الخلق، ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله تعالى في المعاملات وشروطها. فهذه أمور سياسية لا بدّ منها ولا يشتغل بها إلا مخصوصون بصفات مخصوصة من العلم والتمييز والهداية، وإذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا الصناعة أخرى ويحتاجون إلى المعاش، ويحتاج أهل البلد إليهم إذ لو اشتغل أهل البلد بالحرب مع الأعداء مثلاً تعطلت الصناعات، ولو اشتغل أهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت تعطلت البلاد عن الحراس واستضر الناس، فمست الحاجة إلى أن يصرف إلى معايشهم وأرزاقهم الأموال الضائعة التي لا مالك لها إن كانت أو تصرف الغنائم إليهم إن كانت العداوة مع الكفار، فإن كانوا أهل ديانة وورع قنعوا بالقليل من أموال المصالح، وإن أرادوا التوسع فتمس الحاجة لا محالة إلى أن يمدهم أهل البلد بأموالهم ليمدوهم بالحراسة فتحدث الحاجة إلى الخراج. ثم يتولد بسبب الحاجة إلى الخراج الحاجة لصناعات أُخر، إذ يحتاج إلى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وأرباب الأموال وهم العمال. وإلى من يستوفي منهم بالرفق وهم الجباة والمستخرجون، وإلى من يجمع عنده

بالشوكة. (**ومنها: صناعة الحكم والتوسط لفصل الخصومة. ومنها الحاجة إلى الفقه وهو معرفة القانون الذي ينبغي أن يضبط به الخلق ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله في المعاملات**) الجارية بينهم (**وشروطها**) مما يصح ومما يبطل. (**فهذه أمور سياسية لا بد منها**) ولا يستغني عنها (**ولا يشتغل بها إلا مخصوصون بصفات مخصوصة من التمييز والعلم والهداية**) والتوفيق والرشد. (**وإذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا الصناعة أخرى ويحتاجون إلى المعاش**) ليستعينوا به على تفرغهم، (**ويحتاج أهل البلد إليهم**) في معرفة الأحكام والحدود الشرعية (**إذ لو اشتغل أهل البلد بالحرب مع الأعداء مثلاً تعطلت الصناعات، ولو اشتغل أهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت تعطلت البلاد عن الحراس**) لها عن نكاية الأعداء واللصوص (**واستضر الناس، فمست الحاجة إلى أن يصرف إلى معايشهم وأرزاقهم الأموال الضائعة التي لا مالك لها إن كانت**) حسبما تقدم حكمها في آخر كتاب الزكاة (**أو تصرف إليهم الغنائم إن كانت العداوة مع الكفار، فإن كانوا أهل ديانة وورع قنعوا بالقليل من أموال المصالح، وإن أرادوا التوسع فتمس الحاجة لا محالة إلى أن يمدهم أهل البلد بأموالهم ليمدوهم بالحراسة**) والضبط (**فتحدث الحاجة إلى الخراج**) وهو ما يتحصل من غلة الأرض. (**ثم يتولد بسبب الحاجة إلى الخراج الحاجة إلى صناعات أخر إذ يحتاج إلى من يوظف الخراج بالعدل**) والتسوية (**على الفلاحين وأرباب الأموال وهم العمال**) وصناعتهم العمالة بالكسر، (**وإلى من يستوفي منهم بالرفق**) والتدريج

ليحفظه إلى وقت التفرقة وهم الخزان، وإلى من يفرق عليهم بالعدل وهو الفارض للعساكر. وهذه الأعمال لو تولاها عدد لا تجمعهم رابطة انخرم النظام فتحدث منه الحاجة إلى ملك يدبرهم وأمير مطاع يعين لكل عمل شخصاً ويختار لكل واحد ما يليق به ويراعي النصفة في أخذ الخراج وإعطائه واستعمال الجند في الحرب وتوزيع أسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الأمير والقائد على كل طائفة منهم إلى غير ذلك من صناعات الملك، فيحدث من ذلك بعد الجند الذين هم أهل السلاح وبعد الملك الذي يراقبهم بالعين الكالئة ويدبرهم الحاجة إلى الكتاب والخزان والحساب والجباة والعمال. ثم هؤلاء أيضاً يحتاجون إلى معيشة ولا يمكنهم الاشتغال بالحرف فتحدث الحاجة إلى مال الفرع مع مال الأصل وهو المسمى فرع الخراج. وعند هذا يكون الناس في الصناعات ثلاث طوائف، الفلاحون والرعاة والمحترفون. والثانية الجندية الحماة بالسيوف، والثالثة المترددون بين الطائفتين: في الأخذ والعطاء وهم العمال والجباة وأمثالهم. فانظر كيف ابتدأ

(**وهم الجباة**) وصناعتهم الجباية (و) يقال لهم أيضاً المستخرجون والمستوفون والواحد مستوف ومستخرج، (**وإلى من تجمع عنده ليحفظه إلى وقت التفرقة**) إما مرة في السنة أو مرتين أو أكثر أو أقل (**وهم الخزان**) جمع خازن، (**وإلى من يفرق عليهم بالعدل وهو الفارض للعساكر** وصناعه الفراضة. **وهذه الأعمال لو تولاها عدد لا تجمعهم رابطة انخرم النظام**) وتعرض للفساد، (**فتحدث منه الحاجة إلى ملك يدبرهم**) ويسوسهم ويقودهم، (**وأمير مطاع**) وهو الوزير (**يعين لكل عمل شخصاً ويختار لكل أحد ما يليق به ويرعى النصفة**) محركة الإنتصاف (**في أخذ الخراج وإعطائه واستعمال الجند في الحرب وتوزيع أسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الأمير والقائد على كل طائفة منهم إلى غير ذلك من صناعات الملك، فيحدث من ذلك بعد الجند الذي هم أهل السلاح، وبعد الملك الذي يراقبهم بالعين الكالئة ويدبرهم الحاجة إلى الكتاب والخزان والحساب والجباة والعمال**)، فالكتاب هم الذين يكتبون عن لسان الملك إلى الرعايا والآفاق وهم على طبقات: أعلاها كتاب السر وصناعتهم الكتابة وهي أعظم الصنائع وأسناها وأكثرها افتقاراً للمعلومات، والخزان هم الخازنون للمال والغلال الحاصلين من خراج الأرض وغيره، والحساب هم الكتبة الذين يحسبون المداخل والمخارج من تلك الأموال والغلال والجباة والعمال وقد تقدم ذكرهما (**ثم هؤلاء أيضاً يحتاجون إلى معيشة ولا يمكنهم الاشتغال بالحرف فتحدث الحاجة إلى مال الفرع مع مال الأصل وهو المسمى فرع الخراج، وعند هذا تكون الناس في الصناعات ثلاث طوائف**). الأولى: (**الفلاحون والرعاة والمحترفون، والثانية: الجندية الحماة لهم بالسيوف، والثالثة: المترددون بين الطائفتين في الأخذ والإعطاء وهم العمال والجباة وأمثالهم**) كالخزان

الأمر من حاجة القوت والملبس والمسكن وإلى ماذا انتهى. وهكذا أمور الدنيا لا يفتح منها باب إلا وينفتح بسببه أبواب أُخر، وهكذا تتناهى إلى غير حد محصور وكأنها هاوية لا نهاية لعمقها. من وقع في مهواة منها سقط منها إلى أخرى، وهكذا على التوالي.

فهذه هي الحرف والصناعات إلا أنها لا تتم إلا بالأموال والآلات، والمال عبارة عن أعيان الأرض وما عليها مما ينتفع به، وأعلاها الأغذية ثم الأمكنة التي يأوي الإنسان إليها وهي الدور، ثم الأمكنة التي يسعى فيها للتعيش كالحوانيت والأسواق والمزارع، ثم الكسوة، ثم أثاث البيت وآلاته، ثم آلات الآلات، وقد يكون في الآلات ما هو حيوان كالكلب آلة الصيد، والبقر آلة الحراثة، والفرس آلة الركوب في الحرب، ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فإن الفلاح ربما يسكن قرية ليس فيها آلة الفلاحة، والحداد والنجار يسكنان قرية لا يمكن فيها الزراعة. فبالضرورة يحتاج الفلاح إليهما ويحتاجان إلى الفلاح، فيحتاج أحدهما أن يبذل ما عنده للآخر حتى يأخذ منه غرضه وذلك بطريق

والمستوفين. (**فانظر كيف ابتدأ الأمر من حاجة القوت والمسكن والملبس وإلى ماذا انتهى. وهكذا أمور الدنيا لا يفتح منها باب إلا وتفتح بسببه**) عشرة (**أبواب أخر**) لم تكن في باله، (**وهكذا تتناهى إلى غير حد محصور وكأنها هاوية**) عميقة أي وهدة منخفضة (**لا نهاية لعمقها. من وقع في مهواة منها**) أي حفرة (**سقط منها إلى أخرى، وهكذا على التوالي**).

(**فهذه هي الحرف والصناعات**) وأشرفها السياسة وهي أربعة أضرب: الأول: سياسة الأنبياء وحكمهم على الخاصة والعامة ظاهرهم وباطنهم، والثاني: الولاة وحكمهم على ظاهر الخاصة والعامة دون باطنهم، والثالث: الحكماء وحكمهم على باطن الخواص، والرابع: الفقهاء والوعاظ وحكمهم على بواطن العامة (**إلا انها**) أي تلك الصناعات (**لا تتم إلا بالأموال والآلات، والمال عبارة من أعيان الأرض وما عليها مما ينتفع به، وأعلاها الأغذية ثم الأمكنة التي يأوي الإنسان إليها وهي الدور، ثم الأمكنة التي يسعى فيها للتعيش**) فهي معدة لذلك لا للسكنى (**كالحوانيت والأسواق والمزارع، ثم الكسوة، ثم أثاث البيت والآلة، ثم آلات الآلات**) هكذا على هذا الترتيب. (**وقد يكون في الآلات ما هو حيوان كالكلب آلة الصيد، والبقر آلة الحراثة، والفرس آلة الركوب في الحرب، ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فإن الفلاح ربما يسكن قرية ليس بها آلة الفلاحة، والنجار والحداد يسكنان قرية لا يمكن به الزراعة، فبالضرورة يحتاج الفلاح إليهما**) في اتخاذ آلة الفلاحة، (**ويحتاجان إلى الفلاح**) في الزراعة (**فيحتاج أحدهما أن يبذل ما عنده للآخر حتى يأخذ منه غرضه وذلك بطريق**

المعاوضة إلا أن النجار مثلاً إذا طلب من الفلاح الغذاء بآلته ربما لا يحتاج الفلاح في ذلك الوقت إلى آلته فلا يبيعه، والفلاح إذا طلب الآلة من النجار لطعام ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت فلا يحتاج إليه فتتعوق الأغراض فاضطروا إلى حانوت يجمع آلة كل صناعة ليترصد بها صاحبها أرباب الحاجات، وإلى أبيات يجمع إليها ما يحمل الفلاحون فيشتريه منهم صاحب الأبيات ليترصد به أرباب الحاجات، فظهرت لذلك الأسواق والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب فإذا لم يصادف محتاجاً باعها بثمن رخيص من الباعة فيخزنونها في انتظار أرباب الحاجات طمعاً في الربح، وكذلك في جميع الأمتعة والأموال، ثم يحدث لا محالة بين البلاد والقرى تردد فيتردد الناس يشترون من القرى لا طعمة ومن البلاد الآلات، وينقلون ذلك ويتعيشون به لتنتظم أمور الناس في البلاد بسببهم، إذ كل بلد ربما لا توجد فيه كل آلة، وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام، فالبعض يحتاج إلى البعض فيحوج إلى النقل، فيحدث التجار المتكلفون بالنقل وباعثهم عليه حرص جمع المال لا محالة فيتعبون طول الليل والنهار في الأسفار لغرض غيرهم ونصيبهم منها جمع المال الذي يأكله لا محالة غيرهم، إما قاطع طريق وإما سلطان ظالم،

المعاوضة) والمبادلة، **(إلا أن النجار مثلاً إذا طلب من الفلاح الغذاء بآلته ربما لا يحتاج الفلاح في ذلك الوقت إلى الآلة فلا يبيعه، والفلاح إذا طلب الآلة من النجار بالطعام ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت فلا يحتاج إليه فتتعوّق الأغراض، فاضطروا إلى حانوت يجمع آلة كل صناعة يترصد بها صاحبها أرباب الحاجات)** لوقت حاجاتهم، **(وإلى أبيات)** وهو مخزن الغلال **(يجمع إليه ما يحمله الفلاحون فيشتريه منهم صاحب الأبيات يترصد به أرباب الحاجات، فظهرت لذلك الأسواق والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب فإذا لم يصادف محتاجاً)** إلى أخذها **(باعها بثمن رخيص من الباعة فخزنوها في انتظار أرباب الحاجات طمعاً في الربح)** والفائدة. **(وكذلك في جميع الأمتعة والأموال ثم يحدث لا محالة بين البلاد والقرى تردد فيتردد الناس يشترون من القرى الأطعمة ومن البلاد الآلات، وينقلون ذلك ويتعيشون به لتنتظم أمور الناس في البلاد بسببهم، إذ كل بلد ربما توجد فيه كل آلة، وكل قرية لا يوجد فيها كل الطعام، والبعض يحتاج إلى البعض فيحوج إلى النقل فيحدث التجار المتكلفون بالنقل)** من بلد إلى آخر **(وباعثهم عليه حرص في جمع المال)** كيفما اتفق، **(فيتعبون طول الليل والنهار في الأسفار)** ويتحملون المشاق في البراري والقفار وركوب متن البحار **(لأغراض غيرهم، ونصيبهم منها جمع المال الذي يأكله لا محالة غيرهم. إما قاطع طريق)** ينهبه ويسلب ما عنده، وإما ان تكسر بهم السفينة فلا ينجو إلا بنفسه، **(وإما سلطان ظالم)** يطمع في ماله فيسلبه وهم مع ذلك يقولون: من تعطل وتبطل انسلخ

ولكن جعل الله تعالى في غفلتهم وجهلهم نظاماً للبلاد ومصلحة للعباد، بل جميع أمور الدنيا انتظمت بالغفلة وخسة الهمة. ولو عقل الناس وارتفعت هممهم لزهدوا في الدنيا ولو فعلوا ذلك لبطلت المعايش، ولو بطلت لهلكوا ولهلك الزهاد أيضاً.

ثم هذه الأموال التي تنقل لا يقدر الإنسان على حملها فتحتاج إلى دواب تحملها، وصاحب المال قد لا تكون له دابة فتحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الإجارة، ويصير الكراء نوعاً من الإكتساب أيضاً، ثم يحدث بسبب البياعات الحاجات إلى النقدين فإن من يريد أن يشتري طعاماً بثوب فمن أين يدري المقدار الذي يساويه من الطعام كم هو؟ والمعاملة تجري في أجناس مختلفة كما يباع ثوب بطعام وحيوان بثوب وهذه أمور لا تتناسب، فلا بدّ من حاكم عدل يتوسط بين المتبايعين يعدل أحدهما بالآخر فيطلب ذلك العدل من أعيان الأموال، ثم يحتاج إلى مال يطول بقاؤه لأن الحاجة إليه

من الانسانية بل من الحيوانية وصار من جنس الموتى، فيمدحون السعي ويذمون التواني والكسل ويلهجون بقولهم: قد فاز باللذة الجسور. وقد قيل: إذا أردت أن لا تتعب فاتعب لئلا تتعب، (**ولكن جعل الله في غفلتهم وجهلهم نظاماً للبلاد ومصلحة للعباد**) ولولا حركتهم وسعيهم في تحصيل ما يتحملونه لتعطلت الأمور وقل المنتفع، (**بل جميع أمور الدنيا انتظمت بالغفلة وخسة الهمة. ولو عقل الناس وارتفعت هممهم** لزهدوا **في الدنيا**) لحقارتها وخستها (**ولو فعلوا ذلك لبطلت المعايش، ولو بطلت لهلكوا ولهلك الزهاد أيضاً**). وهنا نكتة لطيفة عن حكمة خفية، وذلك أن الله تعالى بلطيف قدرته فرق همم الناس للصناعات المتفاوتة ويسرّ كلاً لما خلق له وجعل آلاتهم الفكرية والبدنية مستعدة لها، فجعل لمن قيضه لمراعاة العلم والمحافظ على الدين قلوباً صافية وعقولاً بالمعارف لائقة وأمزجة لطيفة وأبداناً لينة مستصلحة. ومن قيضه لمراعاة المهن الدنيوية والمحافظة عليها كالزراعة والتجارة والبناءة جعل لهم قلوباً قاسية وعقولاً كدة وأمزجة غليظة وأبداناً خشنة، وكما أنه محال أن يصلح السمع للرؤية والبصر للسمع، كذلك من المحال أن يكون من خلق للمهنة يصلح للحكمة ذلك تقدير العزيز العليم.

(**ثم هذه الأموال التي تنقل لا يقدر الإنسان على حملها**) على ظهره (**فيحتاج إلى دواب تحملها، وصاحب المال قد لا يملك الدابة فتحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الإجارة**) وقد تقدم الكلام عليها في كتاب الكسب. (**ويصير الكراء نوعاً من الاكتساب أيضاً، ثم يحدث بسبب البياعات الحاجة إلى التقدير**) والتخمين، (**فإن من يريد أن يشتري طعاماً بثوب فمن أين يدري المقدار الذي يساويه من الطعام كم هو؟ والمعاملة تجري في أجناس مختلفة كما يباع ثوب بطعام وحيوان بثوب، وهذه أمور لا تتناسب فلا بدّ من حاكم عدل يتوسط بين المتبايعين يعدل أحدهما بالآخر، فيطلب ذلك العدل من أعيان الأموال**

تدوم، وأبقى الأموال المعادن فاتخذت النقود من الذهب والفضة والنحاس، ثم مست الحاجة إلى الضرب والنقش والتقدير فمست الحاجة إلى دار الضرب والصيارفة. وهكذا تتداعى الأشغال والأعمال بعضها إلى بعض حتى انتهت إلى ما تراه. فهذه أشغال الخلق وهي معاشهم. وشيء من هذه الحرف لا يمكن مباشرته إلا بنوع تعلم وتعب في الابتداء.

وفي الناس من يغفل عن ذلك في الصبا فلا يشتغل به أو يمنعه عنه مانع فيبقى عاجزاً

ثم يحتاج إلى مال يطول بقاؤه، لأن الحاجة إليه تدوم، **وأبقى الأموال المعادن)** المركوزة في الأرض **(فاتخذت النقود من الذهب والفضة والنحاس)** لأجل التعامل بها، **(ثم مست الحاجة إلى الضرب والنقش والتقدير فحدثت الحاجة إلى)** اتخاذ **(دار الضرب)** واتخاذ السكة فيها احتاج العمال فيها إلى صنائع كثيرة تبلغ إلى السبعين. كل ذلك مما يحتاج لتهيئة آلاتها، فالدينار لا يصلح للتعامل حتى يقع في يد اثني عشر صانعاً، والنقرة المضروبة تزيد على ذلك **(و)** بعد تمام الدينار والدرهم تحدث الحاجة **(إلى الصيارفة)** ليحرروهما وينقدوهما بالعيار الصحيح. **(وهكذا تتداعى الأشغال والأعمال بعضها إلى بعض حتى انتهت إلى ما تراه)** والأصل في هذا كله تيسير القوت والملبس والمسكن. **(فهذه أشغال الخلق وهي معايشهم)**، ولكن ينبغي أن يعلم أن حصول الفقر وخوفه الناتجين للحرص هما الباعثان على الجد واحتمال الكد في منفعة الناس إما باختيار وإما باضطرار. ولهذا قيل: رب ساع لقاعد وهو أن يكون الناس لو كفى كل منهم أمره لأدى ذلك إلى فساد العالم من حيث أنه لم يكن أحد يعول لغيره مهنة، وكان الواحد منهم يعجز عن القيام بمصالح نفسه كلها فيؤدي ذلك إلى فقر جميعهم. وقد قيل: قيام العالم بالفقر أكثر من قيامه بالغنى، لأن الصناعات القائمة بالغنى ثلاث: الملك والتجارة والبناء، وسائرها قائمة بالفقر. فلو لم يكن الفقر وخوفه فمن كان يتولى الحياكة والحجامة والدباغة والكناسة، ومن كان ينقل البز والملابس من الشرق إلى الغرب ومن الجنوب إلى الشمال. هذا مع أن من الناس من لو كفى أمر دنياه لكان يوجد منه من البغي والفساد ما يؤدي إلى خراب البلاد وفساد العباد، بل كان يوجد منه ما يؤدي إلى هلاك نفسه في أسرع مدة، ومن تدبر صنع الله عز وجل لم تعرض له الشبهة التي تعرض لمن يقول: إذا كان الله غنياً جواداً واسعاً فلم خص بعضهم بالغنى وجعل أكثرهم فقراء؟ ومن حق الغني الذي يغني عباده والجواد الذي لا يعرف لجوده منتهى أن لا يخص بالعطية بعضاً دون بعض، وذلك أن الجواد الحق هو الذي يعطي كل أحد بقدر استحقاقه على وجه يعود لمصلحته ومصلحة غيره، وقد فعل تعالى ذلك بالعباد، ثم قال المصنف: **(وشيء من هذه الحرف)** والصناعات **(لا يمكن مباشرته إلا بنوع تعلم وتعب في الابتداء)** أي في أول عمره، ففي الخبر «التعلم في الصغر كالنقش على الحجر والتعلم في الكبر كالنقش على الماء الجاري».

(ومن الناس من يغفل عن ذلك في الصبا فلا يشتغل به أو يمنعه عنه مانع فيبقى) في

عن الاكتساب لعجزه عن الحرف، فيحتاج إلى أن يأكل مما يسعى فيه غيره فيحدث منه حرفتان خسيستان؟ اللصوصية والكدية، إذ يجمعها أنهما يأكلان من سعي غيرهما، ثم الناس يحترزون من اللصوص والمكدين ويحفظون عنهم أموالهم فافتقروا إلى صرف عقولهم في استنباط الحيل والتدابير.

وأما اللصوص: فمنهم من يطلب أعواناً ويكون في يديه شوكة وقوّة فيجتمعون ويتكاثرون ويقطعون الطريق كالأعراب والأكراد.

وأما الضعفاء منهم فيفزعون إلى الحيل إما بالنقب أو التسلق عند انتهاز فرصة الغفلة، وإما بأن يكون طراراً أو سلالاً إلى غير ذلك من أنواع التلصص الحادثة بحسب ما تنتجه الأفكار المصروفة إلى استنباطها.

باقي عمره (**عاجزاً عن الاكتساب لعجزه عن الحرف، فيحتاج أن يأكل مما يسعى فيه غيره فتحدث منه حرفتان خسيستان: اللصوصية**) وهو سلب أموال الناس بالقوّة، (**والكدية**) بالكسر وهي الشحاذة أي التكفف من الناس، (**إذ يجمعها أنهما يأكلان من سعي غيرهما، ثم الناس يحترزون من اللصوص والمكدين ويحفظون عنهم أموالهم**) ولما رأوا انهم قد حصنوا أموالهم (**فافتقروا إلى صرف عقولهم في استنباط الحيل والتدبير**) في أخذ أموالهم.

(**أما اللصوص: فمنهم من يطلب أعواناً**) يساعدونهم على صنعتهم ويقاسمونهم ما يأخذون (**ويكون**) مع ذلك (**في يديه شوكة وقوّة فيجتمعون ويتكاثرون ويقطعون الطرق في البر والبحر كالأعراب والأكراد**) وبضع الاتراك.

(**وأما الضعفاء منهم فيفزعون إلى الحيل إما بالنقب**) وهو أن ينقب الحائط (**أو التسلق**) بأن يطلع على الحائط (**عند انتهاز فرصة الغفلة**) من أرباب الأموال ولكل منهما آلات معدة، فمن آلات النقب المعاول، ومن آلات التسلق المسامير والمطارق فيدق المسمار ويمكنه من الحائط فيصعد عليه ثم مسماراً آخر، وهكذا إلى أن يصعد فيربط به حبلاً جعله كالسلم فيتدلى به وينزل إلى الموضع فيأخذ ما فيه، ثم يصعد بذلك الحبل إلى أن ينزل عوداً على بدء، وقد يفتقر إلى فتح الباب من داخل ليدخل أعوانه، ويتخذون لفتح الأبواب والاغاليق ألات تفتحها. (**وإما بأن يكون طراراً**) وأصل الطر الشق والطرار هو الذي يقطع النفقات ويأخذها على غفلة من أهلها (**أو سلالاً**) وهو بمعناه وكذا المختلس (**إلى غير ذلك من أنواع التلصص الحادثة في الأزمنة المتأخرة بحسب ما أنتجته الأفكار المصروفة إلى استنباطها**) وهي صناعة مستقلة ولها ناس معروفون يعلمون صبيانهم من الصغر حتى ينشأوا على ذلك، ولهم في ذلك حكايات مستغربة.

وأما المكدي؛ فإنه إذا طلب ما سعى فيه غيره وقيل له اتعب واعمل كما عمل غيرك فما لك والباطلة فلا يعطي شيئاً فافتقروا إلى حيلة في استخراج الأموال وتمهيد العذر لأنفسهم في البطالة فاحتالوا للتعلل بالعجز إما بالحقيقة كجماعة يعمون أولادهم وأنفسهم بالحيلة ليعذروا بالعمى فيعطون، وإما بالتعامي والتفالج والتجانن والتمارض وإظهار ذلك بأنواع من الحيل مع بيان أن تلك محنة أصابت من غير استحقاق، ليكون

(وأما المكدي؛ فإنه إذا طلب ما سعى فيه غيره وقيل له اتعب واعمل فيه كما عمل غيرك فما لك وللبطالة فلا يعطي شيئاً فافتقر إلى حيلة في استخراج الأموال وتمهيد العذر لأنفسهم في البطالة، فاحتالوا للتعلل بالعجز إما بالحقيقة كجماعة يعمون أنفسهم وأولادهم بالحيله ليعذروا بالعمى فيعطون) ولقد حكى لي من أثق به أنه رأى مكذباً في بلاد الروم مقطوعاً يديه وهو قاعد على رأس السكة وهو يقول: أشتهي الرمان وقد فرش منديلاً بين يديه والناس يرمون له من الدراهم فخالج في نفسه أن يطلع على كنه حقيقته، فانتظره يوماً من الأيام عند غروب الشمس وقد حاز ما في المنديل وقام فتبعه من بعد، حتى إذا جاء في زقاق ضيق ونظر عن يمينه وشماله ولم ير أحداً فدق الباب وفتح له فدخل فاستعجل من ورائه فدق الباب واستأذن الدخول وقال: غريب يريد الإيواء ففتح له الباب، فإذا في البيت جوار قد تلقينه وقال لهن: أكرمن هذا الضيف فإذا بيت وسيع وفراش فاخرة فأتوا بالطست والإبريق وغسلن الغبار عن وجهه وغيرن عليه الثياب الفاخرة غير ثياب الكدية وأتي بالطعام وأكل معه ثم استجر الحديث بأن قال له: ما بالك تفعل كذا وأنت بهذه الحالة، فقال: يا فلان إني قد قطعت يدي اختياراً للكدية وما جمعت هذا الذي ترى إلا من الكدية وأحضر ولداً له صغيراً وقد قطع يديه كذلك ليعلمه الكدية وبات عنده تلك الليلة وأخذ جلية خبره، فلما أصبح نزع تلك الثياب الفاخرة ولبس ثياب الكدية وخرج من منزله إلى ما كان عليه وهذا أغرب ما سمعت.

(وإما بالتعامي والتفالح والتجانن والتمارض) أي ادعاء كل من ذلك وليس على الحقيقة، **(وإظهار طلك بأنواع من الحيل)** بأن يربط على عينيه خرقة فيظهر أنه أعمى، أو يظهر أنه لا يقدر على حركة يده فيربطها بالخرق، أو أن به فالجاً، أو يظهر الخرق فيتكلم بكلام غير منتظم، أو يدعي أمراضاً كالبواسير والنواصير أو غير ذلك. وقد يربط بساقيه خرقاً مدهونة بالزيت والقطران يدعي بذلك أن به جراحات. ولله در أبي زيد السروجي حيث اعتذر عن التعارج فقال:

تعارجت لا رغبة في العرج ... ولكن لأقرع باب الفرج

(مع بيان أن تلك محنة أصابت من غير استحقاق ليكون ذلك سببة الرحمة) لحالهم والشفقة عليهم فيعطون وجماعة يدعون أنهم كانوا أهل صناعات نظرية فانقطعوا عنها بالعمى،

ذلك سبب الرحمة، وجماعة يلتمسون أقوالاً وأفعالاً يتعجب الناس منها حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها فيسخوا برفع اليد عن قليل من المال في حال التعجب، ثم قد يندم بعد زوال التعجب ولا ينفع الندم، وذلك قد يكون بالتمسخر والمحاكاة والشعبذة والأفعال المضحكة، وقد يكون بالأشعار الغريبة والكلام المنثور المسجع مع حسن الصوت، والشعر الموزون أشد تأثيراً في النفس لا سيما إذا كان فيه تعصب يتعلق بالمذاهب كأشعار مناقب الصحابة وفضائل أهل البيت أو الذي يحرك داعية العشق من أهل المجانة كصنعة الطبالين في الأسواق وصنعة ما يشبه العوض وليس بعوض كبيع التعويذات والحشيش الذي يخيل بائعه أنها أدوية فيخدع بذلك الصبيان والجهال، وكأصحاب القرعة والفأل من المنجمين. ويدخل في هذا الجنس الوعاظ والمكدون على رؤوس المنابر إذا لم يكن وراءهم طائل علمي وكان غرضهم استمالة قلوب العوام وأخذ أموالهم بأنواع الكدية وأنواعها تزيد على ألف نوع وألفين. وكل ذلك استنبط بدقيق

(**وجماعة يلتمسون أفعالاً وأقوالاً يتعجب الناس منها حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها**) وسماعها (**حتى يسخوا برفع اليدين عن قليل من المال في حال التعجب، ثم قد يندم بعد زوال التعجب ولا ينفع الندم،** لأن الدرهم إذا خرج من الكيس لا يعود إليه، **وذلك قد يكون بالتمسخر**) والاستهزاء بالناس (**والمحاكاة**) والتقليد (**والشعبذة والأفعال المضحكة**) والحركات المستغربة من عين وحاجب وتحريك أعضاء وتعويج فم وغير ذلك. (**وقد يكون بالأشعار الغريبة أو الكلام المنثور المسجع مع حسن الصوت**) ولطف الإيقاع، (**والشعر الموزون أشد تأثيراً في النفس لاسيما إذا كان فيه تعصب يتعلق بالمذاهب كأشعار مناقب الصحابة، وفضائل أهل البيت**) ووقائعهم ومقاتلهم وما جرى لهم مع إخوانهم، (**أو الذي يحرك داعية العشق من أهل المجانة كصنعة الطبالين في الأسواق**) فيوردون من المواليا والدوبيت في معانيه تهييج على العشق وترويج لوصال المحبوب وما أشبه ذلك، (**وتسليم ما يشبه العوض وليس بعوض كبيع التعويذات**) والتمائم المزخرفة بألوان المداد، (**والحشيش الذي يجعل بائعه أن أدوية فيخدع بذلك الصبيان والجهال**) فيأخذون منهم الدراهم في مقابلته، (**وكأصحاب القرعة والفال من المنجمين**) فيكتبون ذلك في رقاع ويخبرون عما سيقع وسيكون من خير وشر بحكم النجم الطالع وبحكم الفال والقرعة. (**ويدخل في هذا الجنس الوعاظ المكدون على رؤوس المنابر**) والكراسي (**إذا لم يكن وراءهم طائل علمي وكان غرضهم استمالة قلوب العوام**) وجلبها (**وأخذ أموالهم. وأنواع الكدية تزيد على ألف نوع وألفين**) فإذا نظرنا إلى الفروع التي أحدثتها المتأخرون من المكدين فقد تزيد على الفين وهي صناعة مستقلة ولها شيوخ معروفون وتراتيب وآداب وكلها مبناها الحيل والخداع في أخذ أموال الناس بالباطل، ويدخل في هذا الجنس من يتوسع في تناول عمل غيره في مأكله وملبسه ومسكنه وغير ذلك، ثم لا

الفكرة لأجل المعيشة. فهذه هي أشغال الخلق وأعمالهم التي أكبوا عليها وجرّهم إلى ذلك كله الحاجة إلى القوت والكسوة ولكنهم نسوا في أثناء ذلك أنفسهم ومقصودهم ومنقلبهم ومآبهم فتاهوا وضلوا، وسبق إلى عقولهم الضعيفة بعد أن كدرتها زحمة الإشتغالات بالدنيا خيالات فاسدة، فانقسمت مذاهبهم واختلفت آراؤهم على عدة أوجه.

فطائفة غلبهم الجهل والغفلة فلم تنفتح أعينهم للنظر إلى عاقبة أمورهم فقالوا: المقصود أن نعيش أياماً في الدنيا فنجتهد حتى نكسب القوت ثم نأكل حتى نقوى على الكسب، ثم نكسب حتى نأكل فيأكلون ليكسبوا ثم يكسبون ليأكلوا، وهذا مذهب الفلاحين والمحترفين ومن ليس له تنعم في الدنيا ولا قدم في الدين فإنه يتعب نهاراً ليأكل ليلاً ويأكل ليلاً ليتعب نهاراً، وذلك كسير السواني فهو سفر لا ينقطع إلا بالموت.

يعمل عملاً بقدر ما يتناوله منهم فإنه ظالم له قصدوا إفادته أو لم يقصدوا، وكذلك من يدعي التصوف فيتعطل عن المكاسب ولا يكون له علم يؤخذ عنه ولا عمل صالح في الدين يقتدي به، بل يجعل همه على غارب بطنه وفرجه، فإنه يأخذ منافعهم ويضيق عليهم معاشهم ولا يرد إليهم نفعاً ولا طائل في مثلهم إلا بأن يكدروا الماء ويغلوا الاسعار، ولهذا كان عمر رضي الله عنه إذا نظر إلى ذي سيماء سأل أله حرفة؟ فإذا قيل: لا. سقط من عينه. ومن الدلالة على قبح من هذا فعله أن الله تعالى ذم من يأكل مال نفسه إسرافاً وبداراً فما حال من أكل مال غيره على ذلك ولا ينيلهم عوضاً ولا يرد عليهم بدلاً؟ (**وكل ذلك استنبط بدقيق الفكر لأجل المعيشة. فهذه هي اشغال الخلق وأعمالهم التي أكبوا عليها**) ولازموها (**وجرهم إلى ذلك كله الحاجة إلى القوت والكسوة، ولكن نسوا في أثناء ذلك أنفسهم ومقصودهم**) الذي خلقوا لأجله (**ومنقلبهم ومآبهم فضلوا وتاهوا**) في أودية الحيرة، (**وسبق إلى عقولهم الضعيفة بعد أن كدرتها زحمة أشغال الدنيا خيالات فاسدة فانقسمت مذاهبهم**) وتنوّعت مشاربهم، (**واختلفت آراؤهم ءلى عدة أوجه**).

(**فطائفة**) منهم (**غلبهم الجهل والغفلة، فلم تنفتح أعينهم للنظر إلى عاقبة أمرهم فقالوا: المقصود أن نعيش أياماً في الدنيا فنجتهد حتى نكتسب القوت**) من حيث انفق (**ثم تأكل حتى نقوى على الكسب، ثم نكتسب حتى نأكل فيأكلون ليكتسبوا ويكتسبون ليأكلوا، وهذا مذهب الفلاحين**) وغالب أهل القرى (**والمحترفين ومن ليس له تنعم في الدنيا ولا قدم في الدين فإنه يتعب نهاراً ليأكل ليلاً ويأكل ليلاً ليتعب نهاراً، وذلك كسير السواني**) التي تدور على المياه (**فهو سفر لا ينقطع إلا بالموت**) ولا ينجع في هؤلاء الوعظ لتنبيه التراكم الغفلة وهم كالبهائم يأكلون ويتعبون ويأكلون.

وطائفة أخرى زعموا أنهم تفطنوا لأمر وهو أنه ليس المقصود أن يشقى الإنسان بالعمل ولا يتنعم في الدنيا، بل السعادة في أن يقضي وطره من شهوة الدنيا وهي شهوة البطن والفرج، فهؤلاء نسوا أنفسهم وصرفوا هممهم إلى اتباع النسوان وجمع لذائذ الأطعمة يأكلون كما تأكل الأنعام، ويظنون أنهم إذا نالوا ذلك فقد أدركوا غاية السعادة فشغلهم ذلك عن الله تعالى وعن اليوم الآخر.

وطائفة ظنوا أن السعادة في كثرة المال والاستغناء بكثرة الكنوز فأسهروا ليلهم واتعبوا نهارهم في الجمع فهم يتعبون في الأسفار طول الليل والنهار ويترددون في الأعمال الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا يأكلون إلا قدر الضرورة شحاً وبخلاً عليها أن تنقص، وهذه لذتهم، وفي ذلك دأبهم وحركتهم إلى أن يدركهم الموت فيبقى تحت الأرض أو يظفر به من يأكله في الشهوات واللذات، فيكون للجامع تعبه ووباله وللآكل لذته، ثم الذين يجمعون ينظرون إلى أمثال ذلك ولا يعتبرون.

(**وطائفة أخرى زعموا أنهم تفطنوا لأمر وهو أنه ليس المقصود أن يشقى الإنسان بالعمل ولا يتنعم في الدنيا، بل السعادة في أن يقضي وطره من شهوة الدنيا وهي شهوة البطن والفرج**) وهم غالب أهل هذا العصر قد قصر نظرهم على ذلك. (**فهؤلاء نسوا أنفسهم وصرفوا هممهم إلى اتباع النسوان**) بقصد نكاح وملك يمين (**وجمع لذائذ الأطعمة**) والأشربة فيرفقون فيها ويبالغون في استحسانها (**يأكلون كما تأكل الأنعام، ويظنون أنهم إذا أدركوا ذلك فقد أدركوا غاية السعادات فشغلهم ذلك عن الله واليوم الآخر**) وتاهوا عن المقصود.

(**وطائفة أخرى: ظنوا أن السعادة في كثرة المال والاستغناء بكثرة الكنوز، فسهروا ليلهم واتعبوا نهارهم في الجمع**) من هنا ومن هنا، (**فهم يتعبون في الأسفار**) والبراري والبحار (**طول الليل والنهار، ويترددون في الأعمال الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا يأكلون إلا قدر الضرورة**) من غير توسع (**شحاً وبخلاً عليها أن تنقص وهذه لذتهم، وفي ذلك دأبهم وحركتهم إلى أن يدركهم الموت فيبقى**) المال موقوفاً (**تحت الأرض أو يظفر به من يأكله في الشهوات واللذات**) ويتوسع فيها، (**فيكون للجامع تعبه ووباله**) إذ يحاسب به يوم القيامة، وللآكل لذته ولله در القائل:

قد يجمع المال غير آكله ... ويأكل المال غير من جمعه

(**ثم الذين يجمعون**) المال (**ينظرون إلى أمثال ذلك**) ممن جمع فلم يأكل وأكله غيره، (**ولا يعتبرون**)، وذلك من عمي بصائرهم.

وطائفة ظنوا أن السعادة في حسن الاسم وانطلاق الألسنة بالثناء والمدح بالتجمل والمروءة، فهؤلاء يتعبون في كسب المعاش ويضيقون على أنفسهم في المطعم والمشرب ويصرفون جميع مالهم إلى الملابس الحسنة والدواب النفيسة، ويزخرفون أبواب الدور وما يقع عليها أبصار الناس حتى يقال أنه غني وأنه ذو ثروة ويظنون أن ذلك هي السعادة، فهمتهم في نهارهم وليلهم في تعهد موقع نظر الناس.

وطائفة أخرى ظنوا أن السعادة في الجاه والكرامة بين الناس وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير، فصرفوا هممهم إلى استجرار الناس إلى الطاعة بطلب الولايات وتقلد الأعمال السلطانية لينفذ أمرهم بها على طائفة من الناس، ويرون أنهم إذا اتسعت ولايتهم وانقادت لهم رعاياهم فقد سعدوا سعادة عظيمة وأن ذلك غاية المطلب وهذا أغلب الشهوات على قلوب الغافلين من الناس، فهؤلاء شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكر في آخرتهم ومعادهم.

ووراء هؤلاء طوائف يطول حصرها تزيد على نيف وسبعين فرقة كلهم قد ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل، وإنما جرهم إلى جميع ذلك حاجة المطعم والملبس والمسكن

(وطائفة) أخرى: **(ظنوا ان السعادة في حسن الاسم)** والذكر الطيب **(وانطلاق الألسنة بالثناء والمدح بالتجمل والمروءة. فهؤلاء يتعبون في كسب المعايش ويضيقون على أنفسهم)** وربما يتداينون فوق طاقتهم، **(ويزخرفون أبواب الدور وما يقع عليه أبصار الناس)** ويتخذون فرساً نفيسة وخدماً وحشماً ويلبسونهم فاخر الثيا، **(حتى يقال أنه غني وأنه ذو ثروة، ويظنون أن ذلك هو السعادة همتهم في ليلهم ونهارهم في تعهد موقع نظر الناس)** من داره وأثاثه وملبسه ومركبه، وهذه حال خواص أهل الزمان وهو قصور عن بلوغ المقصود وإراءة ما ليس له حقيقة وخبث النية وفساد الطوية من حب المحمدة والثناء.

(وطائفة) أخرى: **(ظنوا أن السعادة في الجاه والمكرمة بين الناس وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير، فصرفوا هممهم إلى استجرار الناس إلى الطاعة)** والانقياد **(لهم بطلب الولايات وتقلد الأعمال السلطانية لينفذ أمرهم بها على طائفة من الناس، ويرون انهم إذا اتسعت ولايتهم وانقادت لهم رعاياهم قد سعدوا سعادة عظيمة وأن ذلك غاية المطلب. وهذا أغلب الشهوات على قلوب الغافلين من الناس، فهؤلاء شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكر في آخرتهم ومعادهم.**

ووراء هؤلاء طوائف يقول حصرها على الضابط تزيد على نيف وسبعين فرقة هم كلهم ضلوا) في أنفسهم **(وأضلوا)** كثيراً ممن تبعهم وقلدهم **(عن سواء السبيل)** أي الطريق

ونسوا ما تراد له هذه الأمور الثلاثة والقدر الذي يكفي منها، وانجرت بهم لأوائل أسبابها إلى أواخرها، وتداعى بهم ذلك إلى مهاوٍ لم يمكنهم الرقي منها فمن عرف وجه الحاجة إلى هذه الأسباب والأشغال وعرف غاية المقصود منها فلا يخوض في شغل وحرفة وعمل إلا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه منه، وأن غاية مقصوده تعهد بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك إن سلك فيه سبيل التقليل اندفعت الأشغال عنه وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الآخرة وانصرفت الهمة إلى الاستعداد له، وإن تعدى به قدر الضرورة كثرت الأشغال وتداعى البعض إلى البعض وتسلسل إلى غير نهاية، فتتشعب به الهموم ومن تشعبت به الهموم في أودية الدنيا فلا يبالي الله في أي واد أهلكه منها، فهذا شأن المنهمكين في أشغال الدنيا. وتنبه لذلك طائفة فأعرضوا عن الدنيا فحسدهم الشيطان ولم يتركهم، وأضلهم في الاعراض أيضاً حتى انقسموا إلى طوائف.

فظنت طائفة أن الدنيا دار بلاء ومحنة والآخرة دار سعادة لكل من وصل إليها سواء

المستقيم، (**وإنما جرهم إلى جميع ذلك حاجة المطعم والملبس والمسكن فنسوا ما تراد له هذه الأمور الثلاثة، والقدر الذي يكفي منها وانجرت لهم أوائل أسبابها**) إلى آخرها وتداعى بهم إلى الوقوع في (**مهاوي**) أي وهدأت منخفضة (**لم يمكنهم الرقي**) أي الصعود والخلاص (**منها، فمن عرف وجه الحاجة إلى هذه الأسباب والأشغال وعرف غاية المقصود منها فلا يخوض في شغل وحرفة وعمل**) منها (**إلا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه منه و**) عالم (**أن غاية مقصوده تعهد بدنه بالقوت**) الذي يتقوى به، (**والكسوة**) التي يقي بها من الحر والبرد (**حتى لا يهلك**) جوعاً وعرياً. (**وذلك أن سلك فيه سبيل التقليل**) مقتصراً فيه على الكفاف (**اندفعت الأشغال**) جلة (**وفرغ القلب لمعرفة الله وغلب عليه ذكر الآخرة**) وما أعدّ الله له منها، (**وانصرفت الهمة**) لا محالة (**إلى الاستعداد له**) أي لذكر الآخرة، (**وإن تعدى به قدر الضرورة**) وتجاوز عنه (**كثرت الأشغال وتداعي البعض إلى البعض وتسلسل إلى غير نهاية**)، فقد روى ابن ماجه والحكيم والشاشي والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود « من جعل الهموم هماً واحداً همّ المعاد كفاه الله سائر همومه. (**ومن تشعبت به الهموم في أودية الدنيا**) وأحوالها (**فلا يبالي الله في أي واد أهلكه منها** ») وفي لفظ: « لم يبال الله في أي أوديتها هلك ». (**فهذا شأن المنهمكين في أشغال الدنيا**) المكبين عليها. (**وتنبه لذلك طائفة من الناس فأعرضوا عن الدنيا فحسدهم الشيطان**) على ذلك (**ولم يتركهم**) من مكيدته، (**وأضلهم في الاعراض أيضاً حتى انقسموا إلى طوائف**).

(**فظننت طائفة**) منهم (**أن الدنيا دار بلاء ومحنة**) واختبار وعبر وشقاوة، (**والآخرة دار سعادة لكل من وصل إليها**) بأي طريق كان (**سواء تعبد في الدنيا**) أو لم يتعبد، فرأوا أن

تعبد في الدنيا أو لم يتعبد ، فرأوا أن الصواب في أن يقتلوا أنفسهم للخلاص من محنة الدنيا ، وإليه ذهب طوائف من العباد من أهل الهند فهم يتهجمون على النار ويقتلون أنفسهم بالإحراق ويظنون أن ذلك خلاص لهم من محن الدنيا .

وظنت طائفة أخرى أن القتل لا يخلص بل لا بد أوّلاً من إماتة الصفات البشرية وقطعها عن النفس بالكلية ، وأن السعادة في قطع الشهوة والغضب ، ثم أقبلوا على المجاهدة وشددوا على أنفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم فسد عقله وجن ، وبعضهم مرض وانسد عليه الطريق في العبادة ، وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية فظن أن ما كلفه الشرع محال وأن الشرع تلبيس لا أصل له فوقع في الإلحاد ، وظهر لبعضهم أن هذا التعب كله لله وأن الله تعالى مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه عصيان عاص ولا تزيده عبادة متعبد ، فعادوا إلى الشهوات وسلكوا مسلك الإباحة

الصواب في أن يقتلوا أنفسهم قتلاً حقيقياً للخلاص من محنة الدنيا) وبلائها وفتنتها ، فهم صدقوا في أول ظنهم وهو كون الدنيا دار محنة وبلاء ولكن أخطأوا في طريق الوصول إلى سعادة الآخرة . (**وإليه ذهب طوائف**) البراهمة المعروفة بالجركية (**من الهند فهم يتهجمون على النار يقتلون أنفسهم بالإحراق فيها**) كما نقل ذلك الشيخ الأكبر قدس سره في الفتوحات، وأورده ابن بطوطة في رحلته ، (**ويظنون أن ذلك خلاص لهم من محن الدنيا**) وهو غاية الضلال والخسران، وقد تمكن منهم الشيطان حتى سوّل لهم ذلك ، ولهذه الطائفة فضائح كثيرة من هذا الجنس، ويدخل في هذا الجنس طوائف الدرزية الذين يرمون أنفسهم من شاهق الجبل بعد أن يأخذوا ديتهم ويسلمونها إلى أولادهم، فيظنون أن الموت على هذا الوصف سعادة لهم ولأولادهم وهو عين الضلال .

(**وظنت طائفة أخرى، أن القتل لا يخلص**) من محن الدنيا ، (**بل لا بدّ أولاً من إماتة الصفات البشرية**) المذمومة (**وقطعها عن النفس بالكلية، وأن السعادة في قطع الشهوة والغضب، ثم أقبلوا على المجاهدة**) الشديدة (**وشددوا على أنفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة**) كما فعل ذلك في بعض أولياء العجم، (**وبعضهم فسد عقله وجن**) كما وقع ذلك لبعض أهل عبادان ، وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى ينكر عليهم ذلك ويقول: يا أهل عبادان احفظوا عقولكم ويقول: إن من ترك الرسم فسد دماغه وقد تقدم ذلك في كتاب رياضة النفس، (**وبعضهم مرض**) وفتر عن العمل (**وأفسد عليه طريق العبادة**) ، وهذا يقع لكثير من المتريضين، (**وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية فظن أن ما كلفه الشرع**) من قمعها (**محال**) ليس من الممكنات (**وأن الشرع تلبيس لا أصل له**) ويحمل ألفاظه على غير معانيه مما تنتجه أفكاره (**فوقع في**) عدة (**الإلحاد**) وخرج من ربقة الدين ، (**وظهر لبعضهم أن هذا التعب كله لله وأن الله مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه عصيان عاص ولا يزيده**

وطووا بساط الشرع والأحكام، وزعموا أن ذلك من صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا أن الله مستغن عن عبادة العباد.

وظن طائفة أن المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد بها إلى معرفة الله تعالى، فإذا حصلت المعرفة فقد وصل وبعد الوصول يستغني عن الوسيلة والحيلة، فتركوا السعي والعبادة وزعموا أنه ارتفع محلهم في معرفة الله سبحانه عن أن يمتهنوا بالتكاليف، وإنما التكليف على عوام الخلق.

ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هائلة يطول إحصاؤها إلى ما يبلغ نيفاً وسبعين فرقة، وإنما الناجي منها فرقة واحدة وهي السالكة ما كان عليه رسول الله ﷺ

عبادة متعبد) وتمكن الشيطان منهم في هذا الفهم السخيف **(وقواه فيهم، حتى انسلخوا فعادوا إلى الشهوات)** واللذات **(وسلكوا مسلك الإباحة)** في سائر ما يتناولونه **(وطووا بساط الشرع)** على غرته **(و)** أبطلوا مقتضيات **(الأحكام، فزعموا أن ذلك من صفاء توحيدهم)** أي كلفوه **(حيث أنهم اعتقدوا ان الله مستغن عن عبادة العباد)** وهي دسيسة عظيمة هلك بها طوائف من المتصوفة لعدم اتقانهم في العلم، وإنما معنى غناه عن وجل تنزهه عن العلاقة مع الأغيار في الذات والصفات.

(وظن طائفة أخرى أن المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد بها إلى معرفة الله تعالى) يتخلق بأخلاق الله تعالى، **(فإذا حصلت المعرفة)** وحصل التخلق **(فقد وصل إلى المقصود إليهم وبعد الوصول)** إلى هذا المقام **(يستغني عن الوسيلة)** وأعمال الحيلة فتركوا السعي والعبادة ورفضوهما بالكلية. **(وزعموا أنهم ارتفع محلهم في معرفة الله تعالى من أن يمتهنوا)** أي يزلوا **(بالتكاليف)** الشرعية فهم خواص الخواص، **(وإنما التكليف على عوام الخلق)** حتى سلبوا ذلك المقام وربما تعلقوا بقوله تعالى: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ أي فإذا وصلت إلى مقام اليقين فقد سقطت عنك العبادة، ومنهم من قال: سلمنا أن المراد باليقين الموت فنحن قد أمتنا نفوسنا بالكلية فارتفعت عنا تكاليف العبادة، ومنهم من يعتمد ذلك فإذا دخل ضال مثله في سلكه فأمره أن يغسل ويكفن ويجهز تجهيز الموتى ثم يتقدم عليه فيصلي صلاة الجنازة ثم يقول له: قم فقد صرت في عداد الموتى وسقطت عنك التكاليف، وكل ذلك تلبيس وضلال وشناعات، وغالب الملاحدة على ذلك وبعض طوائف من جهلة الصوفية أعاذنا الله من أحوالهم.

(ووراء هذا) الذي أوردناه **(مذاهب)** أخرى **(باطلة وضلالات هائلة)** لا طائل تحتها **(يطول احصاؤها إلى أن تبلغ نيفا وسبعين فرقة)** على ما أورده الشهرستاني في الملل والنحل وصاحب الشجرة وغيرهما ممن ألف في بيان الفرق الإسلامية وكلهم في النار، **(وإنما الناجي منها فرقة واحدة)** بنص الخبر الآتي **(وهي السالكة ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه)**

وأصحابه، وهو أن لا يترك الدنيا بالكلية ولا يقمع الشهوات بالكلية. أما الدنيا فيأخذ منها قدر الزاد. وأما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل. ولا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة، بل يتبع العدل ولا يترك كل شيء من الدنيا ولا يطلب كل شيء من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما خلق من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده، فيأخذ من القوت ما يقوي به البدن على العبادة، ومن المسكن ما يحفظ عن اللصوص والحر والبرد، ومن الكسوة كذلك حتى إذا فرغ القلب من شغل البدن أقبل على الله تعالى بكنه همته واشتغل بالذكر والفكر طول العمر، وبقي ملازماً لسياسة الشهوات ومراقباً لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى، ولا يعلم تفصيل ذلك إلا بالاقتداء بالفرقة الناجية هم الصحابة فإنه عليه الصلاة والسلام لما قال: «الناجي منها واحدة» قالوا: يا رسول الله ومن هم؟ قال: «أهل السنة والجماعة» فقيل: ومن أهل السنة

الكرام رضوان الله عليهم، (**وهو أن لا يترك الدنيا بالكلية ولا يقمع الشهوات بالكلية أما الدنيا فيأخذ منها قدر الزاد**) المبلغ له إلى الآخرة، فقد ورد في الخبر: «وليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب». (**وأما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع و**) انقياد (**العقل فلا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع**) طريق (**العدل**) والإقتصاد ولا يترك كل شيء من الدنيا، ولا يطلب كل شيء من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما خلق الله من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فيأخذ من القوت ما يقوي به البدن على العبادة) وإليه الإشارة بقوله: «حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه» (**ومن المسكن**) ما لا بد منه وهو (**وما يحفظ عن**) تطرق (**اللصوص و**) يحميه (**عن**) نكاية (**الحر والبرد، ومن الكسوة كذلك**) أي قدر ما يستر به عورته ويكون وقاية الحر والبرد (**حتى إذا فرغ القلب من شغل البدن أقبل على الله بكنه الهمة**) أي خالصها (**واشتغل بالذكر والفكر**) والمراقبة (**طول العمر بقي ملازماً لسياسة الشهوات ومراقباً لها، حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى**) وإلى هذا الإشارة بقوله ﷺ: «ليس خيركم من ترك هذه وأخذهذه بل خيركم من أخذ من هذه لهذه» يعني الدنيا والآخرة. وروى الخطيب والديلمي من حديث أنس: «خيركم من لم يترك آخرته لدنياه ولا دنياه لآخرته ولم يكن كلا على الناس». ورواه ابن عساكر بلفظ: «ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منها جميعاً فإن الدنيا بلاغ إلى الآخرة ولا تكونوا كلاً على الناس». (**ولا يعلم تفصيل ذلك إلا بالإقتداء بالفرقة الناجية**) وقد اختلفوا في تعيين هذه الفرقة، فكل يدعي حسن معتقده ويقول: هو من الفرقة الناجية، وهو كما قال الشاعر:

وكل يدعي وصلاً بليلى ... وليلى لا تقر لهم بذاك

(**و**) الصحيح أن الفرقة الناجية (**هم الصحابة**) رضوان الله عليهم، (**فإنه ﷺ لما قال: «الناجي منها واحدة». قالوا: يا رسول الله ومن هم؟ قال: «أهل السنة والجماعة» فقيل:**

والجماعة؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي». وقد كانوا على المنهج القصد وعلى السبيل

ومن أهل السنة والجماعة؟ فقال: «ما أنا عليه وأصحابي») قال العراقي: حديث افتراق الأمة وفيه: الناجي منهم واحدة قالوا ومن هم قال أهل السنة والجماعة الحديث رواه الترمذي من حديث عبدالله بن عمرو وحسنه: «يفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا واحدة». قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي» ولأبي داود من حديث معاوية وابن ماجه من حديث عوف وأنس بن مالك وهي الجماعة وأسانيدها جياد اهـ.

قلت: وقد روي أيضاً عن أبي هريرة وسعد بن أبي وقاص كذا ذكره الحاكم، وزاد السخاوي في المقاصد فقال: وعن جابر وأبي أمامة وابن عمرو وابن مسعود وعمر وابن عوف وأبي الدرداء وواثلة وعلي بن أبي طالب، فهؤلاء أربعة عشر رووا حديث التفرق بألفاظ مختلفة. ونحن نذكر ذلك جميعه.

فأما حديث عبدالله بن عمرو، فقد ذكره العراقي كما تراه، وعزاه إلى الترمذي، ورواه الحاكم في المستدرك، وإنما ذكره شاهداً، ورواه البزار في مسنده وسكت عنه، ورواه البيهقي في المدخل فقال عبد الرحمن ابن زياد، عن عبدالله بن يزيد، عن عبدالله بن عمرو رفعه بلفظ: «إن بني إسرائيل تفرقوا على اثنتين وسبعين ملة وإن أمتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي».

وأما حديث معاوية، فرواه أبو داود وكما أشار إليه العراقي ولفظه: «ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وأن هذه الأمة ستفترق على ثلاثة وسبعين إثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة» الحديث. وقد رواه أيضاً أحمد والدارمي والحاكم والبيهقي في المدخل من طريق عبدالله بن لحي الهوزني عنه.

وأما حديث أنس، فرواه ابن ماجه كما أشار إليه العراقي ولفظه عنده: «إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة». وكذلك رواه ابن جرير في التفسير ورجاله رجال الصحيح، ورواه أحمد بلفظ: «إن بني إسرائيل تفرقت إحدى وسبعين فرقة فهلكت سبعون فرقة وخلصت واحدة وإن أمتي ستفترق على إثنين وسبعين فرقة تهلك إحدى وسبعون فرقة وتخلص فرقة». قيل: يا رسول الله من تلك الفرقة؟ قال: «الجماعة».

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا حبيب بن الحسن، حدثنا عمرو بن حفص السدوسي ح.

وقال ابن مردويه في التفسير: حدثنا عبدالله بن جعفر، حدثنا أحمد بن يونس أيضاً قالا: حدثنا عاصم بن علي، حدثنا أبو معشر، عن يعقوب بن زيد بن طلحة، عن زيد بن أسلم عن أنس ابن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «افترقت أمة موسى على إحدى وسبعين فرقة منهم في النار

سبعون فرقة وواحدة في الجنة، وتفرقت أمة عيسى على إثنين وسبعين فرقة منها في الجنة واحدة وإحدى وسبعون في النار قالوا: من هم يا رسول الله قال الجماعات».

ورواه الطبراني في الأوسط مختصر بلفظ: «تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهن في النار إلا واحدة ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

ورواه أبو يعلي في مسنده بلفظ تفترق هذه الأمة على بضع وسبعين فرقة إني أعلم أهداها فرقة الجماعة».

وأما حديث عوف بن مالك، فرواه ابن ماجه كما أشار إليه العراقي ولفظه عنده: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على إثنين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لتفرقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وإثنتان وسبعون في النار» قيل: يا رسول من هم؟ قال: «الجماعة» ورجاله موثقون، وكذلك رواه الطبراني في الكبير، ورواه الطبراني أيضاً وابن عدي، وابن عساكر بإسناد ضعيف بلفظ: «افترقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة وتزيد أمتي عليها فرقة ليس فيها فرقة أضر على أمتي من قوم يقيسون الدين برأيهم فيحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحل». ورواه الحاكم بلفظ: «تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة أعظمها فتنة على أمتي قوم يقيسون الأمور برأيهم فيحلون الحرام ويحرمون الحلال».

وأما حديث أبي هريرة، فأخبرناه عبد الخالق بن أبي بكر بن الزبني الزبيدي قال: أخبرنا أبو عبدالله محمد بن أحمد بن سعيد المكي ح.

وأخبرناه أعلى من ذلك بدرجة شيخنا عمر بن أحمد بن عقيل الحسيني قالا: أخبرنا عبدالله بن سالم، أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ، أخبرنا النور علي بن يحيى، أخبرنا يوسف بن زكريا، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ، أخبرنا أبو الفضل أحمد بن علي الحافظ، أخبرنا أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين الحافظ، أخبرني محمد بن أحمد بن محمد هبة الله، أخبرنا عبد الخالق بن طرخان، أخبرنا علي بن نصر، أنبأنا عبد الملك بن أبي القاسم، أنبأنا محمد بن القاسم وأحمد بن عبد الصمد وعبد العزيز بن محمد قالوا: أخبرنا عبد الجبار بن محمد، أنبأنا محمد بن أحمد بن محبوب، أنبأنا محمد بن عيسى الحافظ، حدثنا الحسين بن حريث أبو عمار، حدثنا الفضل بن موسى، عن محمد بن عمرو، وعن أبي سلمة، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أ إثنتين وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة». هكذا رواه الترمذي وقال: حسن صحيح. ورواه أيضاً أبو داود، وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه، والبيهقي، وقال أبو يعلى في مسنده محمد بن عمرو يشك، فزاد أبو داود في روايته: «منها إثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة». وزاد الترمذي: «كلهم في النار إلا ملة واحدة». قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»

....

ورواه الحاكم في المستدرك وقال: احتج مسلم لمحمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة واتفقا جميعاً على الاحتجاج بالفضل بن موسى وهو ثقة، واستدرك عليه الذهبي في مختصره فقال: لم يحتج منفرداً ولكن مقروناً بغيره ورواه أحمد وأبو يعلى في مسنديها بلفظ: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة» الحديث. وباقي سياقه كسياق حديث أبي أمامة الآتي ذكره قريباً.

وأما حديث سعد بن أبي وقاص، فرواه ابن أبي شيبة في مسنده فقال: حدثنا أحمد بن عبدالله بن يونس، عن أبي بكر بن موسى بن عبيدة، عن عبدالله بن عبيدة، عن ابنة سعد، عن أبيها، عن النبي ﷺ قال: «افترقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين ملة ولن تذهب الليالي ولا الأيام حتى تفترق أمتي على مثلها وكل فرقة منها في النار إلا واحدة وهي الجماعة». وكذلك رواه عبد بن حميد البزار في إسنادهم ضعف.

وأما حديث جابر فقال أسلم بن سهل الواسطي المعروف بنحتل في كتابه تاريخ واسط: حدثنا محمد بن الهيثم، حدثنا شجاع بن الوليد، عن عمرو بن قيس، عمن حدثه، عن جابر بن عبدالله قال: «قال رسول الله ﷺ: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في النار، وتفرقت النصارى على إثنين وسبعين فرقة كلها في النار، وإن أمتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» فقال عمر بن الخطاب: أخبرنا يا رسول الله من هم؟ قال: «السواد الأعظم» وفي السند مجهول.

وأما حديث أبي أمامة، فرواه الطبراني في الكبير بلفظ: «تفرقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إثنين وسبعين فرقة، وأمتي تزيد عليهم فرقة كلها في النار إلا السواد الأعظم» ورواته موثقون. رواه أبو نعيم في تاريخ أصبهان، حدثنا أحمد بن جعفر بن معبد، حدثنا يحي بن مطرف، حدثنا عبد الرحمن بن المبارك، حدثنا قريش بن حبان، حدثنا أبو غالب، عن أبي أمامة به. ورواه الضياء في المختارة بلفظ إن بني إسرائيل» والباقي سواء وفيه: «وأن هذه الأمة ستزيد عليهم فرقة» ورواه أحمد وأبو يعلى من حديث أبي هريرة مثله في السياق إلا أن فيه: «تفرقت اليهود» بدل: «بني إسرائيل». وقد تقدم الإشارة إليه.

وأما حديث ابن عمر وابن مسعود فقد أشار إليها السخاوي في المقاصد.

وأما حديث عمرو بن عوف، فرواه الحاكم من طريق كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جده عمرو بن عوف المزني، عن النبي ﷺ قال: «إن بني إسرائيل افترقت على موسى سبعين فرقة كلها ضالة إلا واحدة، ثم افترقت على عيسى بن مريم إحدى وسبعين فرقة كلها ضالة إلا واحدة، وإنكم تفترقون إثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة إلا واحدة الإسلام وجماعته» وفيه قصة. ورواه أيضاً الطبراني. قال الحاكم: وكثير بـن عبدالله لا تقوم به حجة.

الواضح الذي فصلناه من قبل. فإنهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا بل للدين، وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالكلية، وما كان لهم في الأمور تفريط ولا إفراط، بل كان أمرهم بين ذلك قواماً، وذلك هو العدل، والوسط بين الطرفين وهو أحب الأمور إلى الله تعالى كما سبق ذكره في مواضع. والله أعلم.

تم كتاب ذم الدنيا والحمد لله أوّلاً وآخراً وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

وأما حديث أبي الدرداء وواثلة فقد أشار إليهما السخاوي في المقاصد.

وأما حديث علي بن أبي طالب، فرواه أبو نعيم في الحلية، وابن النجار في التاريخ بلفظ: « تفرقت هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ينتحلون وتفارق أمرنا » وفي سنده لين.

(وقد كانوا) رضي الله عنهم **(على المنهج القصد)** أي المتوسط بين الإفراط والتفريط، **(وعلى السبيل الواضح الذي فصلناه من قبل فإنهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا)** أي الأجل إقامة أمور الدنيا، **(بل للدين)** وما يتوصلون بها إليه، **(وما كانوا يترهبون)** أي ما كانوا مثل الرهابين ينتحلون **(ويهجرون الدنيا بالكلية، وما كان لهم في الأمور تفريط ولا إفراط، بل كان أمرهم بين ذلك قواماً)** أي معتدلاً. **(وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين)**، وبه فسر قوله تعالى: ﴿وكان بين ذلك قواماً﴾ [الفرقان: ٦٧] **(وهو أحب الأمور إلى الله تعالى)** لما ورد في الخبر: « خير الأمور أوساطها » **(كما سبق ذكره في مواضع)** من هذا الكتاب **(والسلام)** ولنختم الكتاب بفائدة لها تعلق بما سبق نشير إليها.

أعلم أنه لما احتاج الناس بعضهم إلى بعض سخر الله كل واحد من كافتهم لصناعة ما يتعاطاها، وجعل بين طبائعهم وصنائعهم مناسبات خفية واتفاقات سماوية لتؤثر الواحد بعد الواحد حرفة من الحرف ينشرح صدره بملابستها وتطيعه قواه لمزاولتها فإذا جعل الله صناعة أخرى فربما وجد متبلداً فيها ومتبرماً بها، وقد سخرهم الله لذلك لئلا يختاروا بأجمعهم صناعة واحدة فتبطل الأقوات والمعاونات، ولولا ذلك لما اختاروا من الأسماء إلا أحسنها، ومن البلاد إلا أطيبها، ومن الصناعات إلا أجملها، ومن الأعمال إلا أرفعها. ولتناصروا على ذلك ولكن الله بحكمته جعل كل واحد منهم في ذلك مجبراً في صورة مخير، فالناس إما راض بصنعة لا يريد عنها حولاً كالحائك الذي يرضى بصنعته، ويعيب الحجام الذي يرضي بصناعته، ويعيب الحائك. وبهذا انتظم أمرهم كما قال الله تعالى: ﴿فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون﴾ [المؤمنون: ٥٣] وإما كاره لها يكابدها مع كراهة كأنه لا يجد عنها بدلاً، وعلى ذلك دل قول النبي ﷺ: « كل ميسر لما خلق له » بل صرح تعالى في قوله: ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا﴾

....

[الزخرف: ٣٢] الآية وقوله تعالى: ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون﴾ [الفرقان: ٢٠] وقوله تعالى: ﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾ [الإسراء: ٨٤] ولهذا قال ﷺ: « لن يزال الناس بخير ما تباينوا فإذا تساووا هلكوا » فالتباين والتفرق والإختلاف في نحو هذا الوضع سبب الإلتئام والاجتماع والاتفاق، كاختلاف صورة الكتابة وتباينها وتعددها التي لولاها لما حصل لها نظام. فسبحان الله ما أحسن ما صنع وأحكم ما أسس واتقن ما دبر. تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين. وقد وقع الفراغ من شرح كتاب ذم الدنيا على يد مسوّده العبد الفقير أبي الفيض محمد مرتضى الحسيني غفر له بمنه وكرمه في آخر ساعة من نهار السبت ثامن عشرى صفر الخير من شهور سنة ١٢٠٠، حامداً لله مسلماً محسبلاً آمين، والحمد لله رب العالمين.

كتاب ذم البخل وذم حب المال وهو الكتاب السابع من ربع المهلكات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مستوجب الحمد برزقه المبسوط، وكاشف الضر بعد القنوط، الذي خلق

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي إليه مصائر الخلق وعواقب الأمر، نحمده على عظيم إحسانه ونير برهانه، ونوامي فضله وامتنانه، حمداً يكون لحقه قضاء، ولشكره أداء، وإلى ثوابه مقرباً، ولحسن مزيده موجباً ونستعين به استعانة راجٍ لفضله، مؤمل لنفعه، واثق بدفعه، معترف له بالطول، مذعن له بالعمل والقول، ونؤمن به إيمان من رجاه موقناً، وأناب إليه مؤمناً، وخضع له مذعنا، وأخلص له موحداً وعظمه ممجداً ولاذ به راضياً مجتهداً، ونشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله المجتبى من خلائقه، والمفتاح لشرح حقائقه، والمختص بعقائل كراماته والمصطفى لمكارم رسالاته الموضحة به أشراط الهدى، والمجلوبة غريب الردى، صلى الله عليه وعلى آله الأئمة الأطهار، وأصحابه الفضلاء الأخيار، واتباعهم المقتفين للآثار، وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد: فهذا شرح.

كتاب ذم البخل وحب المال

وهو السابع من الربع الثالث من كتاب الإحياء للإمام الهمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، سقى الله ثراه صوب الغمامة المنحلة العزالي، يتضمن حل معاقده، وضبط أوابده، وضم ما انتثر من فوائده، وإبانة ما خفي من إشاراته، وتوضيح ما اعتاص من مشكلات عباراته، عازياً كل قولٍ إلى قائله وكل خبر إلى راويه، وكل أثر إلى ناقله مرتقياً ذروة معاليه متكفلاً ضبط ألفاظه ومعانيه، وبالله اعتصم، وأسأله العصمة فيما يصم، مستعيذاً بالله من شر الشيطان الرجيم ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم. قال رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله مستوجب الحمد) أي مستحقه **(برزقه المبسوط)** أي المنشور على عباده

الخلق، ووسع الرزق، وأفاض على العالمين أصناف الأموال، وابتلاهم فيها بتقلب الأحوال، وردَّدهم فيها بين العسر واليسر، والغنى والفقر، والطمع واليأس، والثروة والإفلاس، والعجز والاستطاعة، والحرص والقناعة، والبخل والجود، والفرح بالموجود، والأسف على المفقود، والإيثار والإنفاق، والتوسع والإملاق، والتبذير والتقتير، والرضا بالقليل واستحقار الكثير، كل ذلك ليبلوهم أيهم أحسن عملاً، وينظر أيهم آثر الدنيا على الآخرة بدلاً، وابتغى عن الآخرة عدولاً وحولاً، واتخذ الدنيا ذخيرة وخولاً، والصلاة على محمد الذي نسخ بملته مللاً، وطوى بشريعته أدياناً ونحلاً، وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذللاً، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد؛ فإن فتن الدنيا كثيرة الشعب والأطراف واسعة الأرجاء والأكناف، ولكن

(**وكاشف الضر**) بالضم ويفتح ما يؤلم الظاهر من الجسم وهو ما يتصل بمحبوسه في مقابلة الأذى وهو إيلام النفس وما يتصل بأحوالها وتشعر الضمة فيه أنه عن علو وقهر والفتحة بأنه يكون من مماثل ونحوه (**بعد القنوط**) أي بعد الإياس من كشفه وهو رفعه ودفعه، (**الذي خلق الخلق**) أي المخلوقات بأسرها، (**ووسع الرزق**) الحسي والمعنوي، (**وأفاض على العالمين**) بمقتضى جوده المطلق (**أصناف الأموال**) وأنواعها من الصامت والناطق، (**وابتلاهم**) أي اختبرهم (**فيها**) أي في تلك الأموال التي أعطوها (**بتقليب الأحوال**) أي تغييرها من حال إلى حال، (**وردَّدهم فيها**) أي جعلهم مرددين فيها (**بين**) حالتي (**العسر واليسر**) أي الضيق والفرج، (**والغنى والفقر، والطمع واليأس، والثروة**) أي الكثرة (**والإفلاس**) أي الفقر والعدم، (**والعجز والإستطاعة**) أي التمكن والقدرة، (**والحرص والقناعة، والبخل والجود، والفرح بالموجود، والأسف**) محركة أي الحزن (**على المفقود، والإيثار والإنفاق، والتوسع والإملاق**) أي الافتقار والاحتياج، (**والتبذير**) أي تفريق المال على وجه الإسراف (**والتقتير**) أي تقليل النفقة (**والرضا بالقليل واستحقار الكثير**) بأن لا يكون له مقام كبير عنده، (**كل ذلك لتبلوهم**) أي تختبرهم (**أيهم أحسن عملاً**) أي ازهدهم في الدنيا كما قاله الفضيل بن عياض. (**وينظر أيهم آثر الدنيا عن الآخرة بدلاً**) أي اختارها بدلاً عنها، (**وابتغى عن الآخرة عدولاً وحولاً**) بكسر ففتح اسم بمعنى التحول والإنقلاب، (**واتخذ الدنيا ذخيرة**) يعتدها (**وخولاً**) محركة وهو الحشم والخدم، (**والصلاة على**) السيد الكامل (**محمد الذي نسخ بملته**) الحنيفية (**مللاً**) أي أزال أحكامها وعاداتها، (**وطوى بشريعته أدياناً ونحلاً**) بكسر ففتح جمع نحلة بالكسر هي الدعوة، (**وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذللاً**) بضمتين جمع ذليل أي إذلاء منقادين (**وسلم**) تسليماً (**كثيراً**).

(**أما بعد: فإن فتن الدنيا كثيرة الشعب والأطراف**) والشعبة بالضم من الشجرة الغصن

الأموال أعظم فتنها وأطم محنها ، وأعظم فتنة فيها أنه لا غنى لأحد عنها ، ثم إذا وجدت فلا سلامة منها ، فإن فقد المال حصل منه الفقر الذي يكاد أن يكون كفراً ، وإن وجد حصل منه الطغيان الذي لا تكون عاقبة أمره إلا خسراً . وبالجملة ، فهي لا تخلو من الفوائد والآفات ، وفوائدها من المنجيات ، وآفاتها من المهلكات ، وتمييز خيرها عن شرها من المعوصات التي لا يقوى عليها إلا ذوو البصائر في الدين من العلماء الراسخين دون المترسمين المغترين . وشرح ذلك مهم على الانفراد ، فإن ما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا لم يكن نظراً في المال خاصة بل في الدنيا عامة ، إذ الدنيا تتناول كل حظ عاجل . والمال بعض أجزاء الدنيا ، والجاه بعضها ، واتباع شهوة البطن والفرج بعضها ، وتشفي الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها ، والكبر وطلب العلو بعضها ، ولها أبعاض كثيرة ،

المتفرع منها والجمع شعب كغرفة وغرف (**واسعة الأرجاء والأكناف**) والأرجاء النواحي والأكناف الجوانب ، (**ولكن الأموال أعظم فتنها وأطم**) أي أعم (**محنها وأعظم فتنة فيها**) أي في الأموال (**أنه لا غنى عنها**) ولله در المتنبي حيث قال:

ومن نكد الدنيا على الحرّ أنْ يرى عدواً له ما من صداقته بدٌّ

إن كان عني بذلك المال فهو أحسن ما قيل فيه . (**ثم إذا وجدت فلا سلامة منها**) أي من شرورها ، (**فإن فقد المال**) وعدمه (**حصل منه الفقر الذي يكاد أن يكون كفراً**) كما ورد في الخبر : « كاد الفقر أن يكون كفراً » روي ذلك من حديث أنس مرفوعاً ، ومن حديث الحسن مرسلاً ، وقد تقدم . وأخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة عكرمة أن لقمان قال لابنه ، يا بني قد ذقت المرار فليس شيء أمرّ من الفقر ، ولذا استعاذ النبي ﷺ منه . (**وإن وجد حصل منه الطغيان الذي لا يكون عاقبة أمره إلا خسراً**) أي انتقاصاً في رأس ماله .

(**وبالجملة ، فهي لا تخلو من الفوائد والآفات**) باختلاف الحالات وفوائدها من المنجيات ، (**وآفاتها من المهلكات وتمييز خيرها من شرها من المعوصات**) أي من المشكلات يقال: أعوص الأمر إذا أشكل فهمه . (**التي لا يقوي عليها إلا ذوو البصائر في الدين**) الذي كشف الله عن بصيرتهم وأنار بنور الهداية سريرتهم . أولئك (**من العلماء الراسخين**) أي المتمكنين في معارفهم (**دون المترسمين**) الذي يعرفون من العلوم رسومها (**المغترين**) لما هم فيه ، (**وشرح ذلك مهم على الانفراد**) أي الاستقلال فإن ما ذكرناه أولاً (**في كتاب ذم الدنيا لم يكن نظراً في المال خاصة بل في الدنيا عامة ، والدنيا تتناول كل حظ عاجل**) من حظوظه (**والمال بعض أجزاء الدنيا والجاه بعضها ، وإتباع شهوة البطن والفرج بعضها ، وتشفي الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها والكبر وطلب العلو بعضها ولها أبعاض كثيرة**) غير ما ذكر ،

ويجمعها كل ما كان للإنسان فيه حظ عاجل. ونظرنا الآن في هذا الكتاب في المال وحده، إذ فيه آفات وغوائل. وللإنسان من فقده صفة الفقر، ومن وجوده وصف الغنى ـ وهما حالتان يحصل بهما الاختبار والامتحان، ثم للفاقد حالتان: القناعة والحرص، وإحداهما مذمومة والأخرى محمودة. وللحريص حالتان: طمع فيما في أيدي الناس، وتشمر للحرف والصناعات مع اليأس عن الخلق، والطمع شر الحالتين. للواجد حالتان: إمساك بحكم البخل والشح، وإنفاق. وإحداهما مذمومة والأخرى محمودة. وللمنفق حالتان: تبذير واقتصاد، والمحمود هو الاقتصاد. وهذه أمور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم. ونحن نشرح ذلك في أربعة عشر فصلاً إن شاء الله تعالى وهو: بيان ذم المال، ثم مدحه، ثم تفصيل فوائد المال وآفاته، ثم ذم الحرص والطمع، ثم علاج الحرص والطمع. ثم فضيلة السخاء. ثم حكايات الأسخياء، ثم ذم البخل، ثم حكايات البخلاء. ثم الإيثار وفضله. ثم حد السخاء والبخل. ثم علاج البخل. ثم مجموع الوظائف في المال. ثم ذم الغنى ومدح الفقر». إن شاء الله تعالى.

(**ويجمعها كل ما للإنسان فيه حظ عاجل**) كما سبق بيانه. ونظرنا الآن في هـذا الكتـاب في المال وحده إذ فيه آفات وغوائل) أي مهالك، (**وللإنسان من فقد صفة الفقر، ومن وجوده صفة الغنى وهما حالتان يحصل بهما الاختبار والامتحان. ثم للفاقد حالتان: القناعة والحرص، وإحداهما مذمومة**) وهي الحرص (**والأخرى محمودة**) وهي القناعة، ولا يكون الحرص إلا إذا تناهت الشهوة عقلية كانـت أو بـدنيـة، وقـد يكـون الحرص محموداً لكـن لا في أمـور الدنيـا (**وللحريص حالتان: طمع فيما في أيدي الناس**) مما يملكونه، (**أو تشمر للحرف والصناعات مع الياس من الخلق، والطمع شر الحالتين وللواجد**) وهو في مقابلة الفاقد (**حالتان: إمساك بحكم البخل والشح وإنفاق**) أي بذل، (**واحداهما مذمومة**) وهي الإمساك (**والأخرى محمودة**) وهي الإنفاق. (**وللمنفق حالتان: تبذير**) في غير محله (**واقتصاد والمحمود**) منهما (**هو الاقتصاد، وهذه أمور متشابهة، وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم. ونحن نشرح ذلك في أربعة عشر فصلاً إن شاء الله تعالى، وهو بيان ذم المال، ثم مدحه، ثم تفصيل فوائد المال وآفاته، ثم ذم الحرص والطمع، ثم علاج الحرص والطمع، ثم فضيلة السخاء، ثم حكايات الأسخياء، ثم ذم البخل، ثم حكايات البخلاء، ثم الإيثار وفضله، ثم حدّ السخاء والبخل، ثم علاج البخلاء، ثم مجموع الوظائف في المال، ثم ذم الغنى ومدح الفقر**) فهذه أربعة عشر مقاصد جعل كل مقصد في فصل مستقل على هذا النسق والترتيب.

بيان ذم المال وكراهة حبه:

قال الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلهِكُمْ أَمْوالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُم فِتْنَةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢٨] فمن اختار ماله وولده على ما عند الله فقد خسر وغبن خسراناً عظيماً. وقال عز وجل: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَها﴾ [هود: ١٥] الآية. وقال تعالى: ﴿إنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رآهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق: ٦، ٧] فلا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم وقال تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكاثُرُ﴾ [التكاثر: ١].

وقال رسول الله ﷺ: « حب المال والشرف ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء

الفصل الأول

في بيان ذم المال وكراهة حبه:

(**قال الله تعالى**) في كتابه العزيز: (**يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم**) أي لا تشغلكم (**أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك**) أي الهاه أحدهما عنه (**فأولئك هم الخاسرون**) في تجارتهم المتنغصون في حظوظهم، وأصل الإلهاء الصرف لأن اللهو منقول من لهى إذا غفل. (**وقال تعالى: ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾**) أي تفتنكم عن أمور الدين وتوقعكم في المهالك وقدم الأموال في الآيتين تنبيهاً على أنها أعظم أسباب الفتنة. (**وقال تعالى: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها﴾ الآية**) أي إلى آخرها. (**وقال تعالى: ﴿إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى﴾**) أي رأى نفسه. واستغنى مفعوله الثاني لأنه بمعنى علم، ولذلك جاز أن يكون فاعله ومفعوله ضميرين لواحد. (**وقال تعالى: ﴿الهاكم التكاثر﴾**) أي التباهي بالكثرة في الأموال والأولاد ﴿حتى زرتم المقابر﴾ أي حتى متم وقربتم مضيعين أعماركم في طلب الدنيا عما هو أهم لكم وهو السعي لأخراكم، وهذا أحد الوجوه في تفسير الآية.

(**وقال رسول الله ﷺ: « حب المال والشرف ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل »**) قال العراقي: لم أجده بهذا اللفظ، وذكر بعد هذا بلفظ الجاه بدل الشرف اهـ.

قلت: وروى أبو نعيم في الحلية، والديلمي: « حب الغنى ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب » واختلف في المراد به هل هو الغنى المقابل للفقر أو هو الممدود بمعنى غناء الشعر؟ وروى الديلمي من حديث أنس: « الغناء واللهو ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب » وقد تقدم شيء من ذلك في كتاب آداب السماع.

البقل » وقال ﷺ : « ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأكثر إفساداً فيها من حب الشرف والمال والجاه في دين الرجل المسلم » ، وقال ﷺ : « هلك المكثرون إلا من قال به في عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم » ، وقيل : يا رسول الله أي أمتك شر ؟ قال :

(وقال ﷺ : « ما ذئبان) مثنى ذئب : « وما » بمعنى : « ليس » وذئبان اسمها وقوله : **(ضاريان)** صفة له أي لهجان وفي رواية جائعان وفي أخرى : عاديان **(أرسلا في زريبة غنم)** أي مأواها والجملة في محل رفع صفة **(بأكثر فساداً)** خبر ما والباء زائدة **(فيها)** أي في الزريبة ، وفي رواية « لها » والضمير للغنم واعتبر فيه الجنسية فلذا أنث **(من حب المال والجاه)** هو المفضل عليه لإسم التفضيل **(في دين الرجل المسلم »)** ، ومقصود الحديث : أن حب المال والجاه أكثر فساداً للدين من إفساد الذئبين للغنم لأن ذلك يستجر صاحبه إلى ما هو مذموم شرعاً . قال العراقي : رواه الترمذي ، والنسائي في الكبرى من حديث كعب بن مالك وقال : جائعان مكان ضاريان ، ولم يقولا في زريبة . وقال : الشرف بعد الجاه . قال الترمذي : حسن صحيح ، وللطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد : « ماذئبان ضاريان في زريبة غنم » الحديث . وله وللبزار من حديث أبي هريرة ضاريان جائعان وإسناد الطبراني فيهما ضعيف اهـ .

قلت : وكذلك رواه أحمد وأبو يعلى في مسنديهما . قال التيمي : رجالهما رجال الصحيح غير محمد بن عبدالله بن زنجويه ، وعبدالله بن محمد بن عقيل وقد وثقا . وقال المنذري إسناد الترمذي جيد ولفظهم جميعاً : « ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حر المرء على المال والشرف لدينه » .

ورواه الطبراني والضياء في المختارة من حديث عاصم بن عدي عن أبيه عن جده قال : اشتريت أنا وأخي مائة سهم من خيبر ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : « ما ذئبان عاديان أصابا غناً أضاعها ربها بأفسد لها من حب المال والشرف لدينه » . وروى الطبراني في الأوسط من حديث أسامة بن زيد بلفظ : « ما ذئبان ضاريان باتا في حظيرة فيها غنم يفترسان ويأكلان بأسرع فساداً من طلب المال والشرف في دين المسلم » . وقد أخرجه الضياء كذلك .

(وقال ﷺ : « هلك الأكثرون إلا من قال به) أي بالمال أطلق القول وأراد به العمل **(في عباد الله)** أي المستحقين من الفقراء **(هكذا وهكذا)** وأشار **(بيده وقليل ما هم »)** قال العراقي : رواه الطبراني من حديث عبد الرحمن بن أبزي بلفظ : المكثرون ولم يقل في عباد الله . ورواه أحمد من حديث أبي سعيد بلفظ المكثرون ، وهو متفق عليه من حديث أبي ذر بلفظ : هم الأخسرون فقال أبو ذر : من هم ؟ فقال : « هم الأكثرون مالا إلا من قال هكذا » الحديث اهـ .

قلت : رواه أحمد وهناد وعبد بن حميد وأبو يعلى من حديث أبي سعيد بلفظ : « هلك المكثرون إلا من قال بالمال هكذا وهكذا وقليل ما هم » .

وأما حديث أبي ذر المتفق عليه ، فهو أن المكثرين هم المقلون يوم القيامة إلا من أعطاه الله

«الأغنياء»، وقال ﷺ: «سيأتي بعدكم قوم يأكون أطايب الدنيا وألوانها ويركبون فره الخيل وألوانها وينكحون أجمل النساء وألوانها ويلبسون أجمل الثياب وألوانها، لهم بطون من القليل لا تشبع وأنفس بالكثير لا تقنع، عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون إليها، اتخذوها آلهة من دون إلههم ورباً دون ربهم، إلى أمرها ينتهون ولهواهم يتبعون، فعزيمة من محمد بن عبدالله لمن أدركه ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم أن لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم، فمن فعل ذلك فقد أعان

خيراً فتح فيه يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيراً. وفي رواية: إن الأكثرين هم الأقلون.

(وقيل: يا رسول الله أي أمتك أشر؟ قال: «الأغنياء») قال العراقي: غريب لم أجده بهذا اللفظ، وللطبراني في الأوسط من حديث عبدالله بن جعفر: «شرار أمتي الذين ولدوا في النعيم وغذو به يأكلون من الطعام ألواناً» وفيه أصرم بن حوشب ضعيف. ورواه هناد بن السري في الزهد له من رواية عروة بن رويم مرسلاً، وللبزار من حديث أبي هريرة بسند ضعيف: «إن من شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه أجسامهم» اهـ.

قلت: وحديث عبدالله بن جعفر هذا قد تقدم في آفات اللسان وله بقية «ويركبون الدواب ألواناً ويتشدقون في الكلام». وقد رواه كذلك الحاكم وصححه وتعقب، والبيهقي في الشعب، ومرسل عروة بن رويم رواه هناد بن السري في الزهد، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية: حدثنا وكيع، حدثنا الاوزاعي عنه رفعه: «خيار أمتي الذين» الحديث. وفيه: «وشرار أمتي الذين ولدوا في النعيم وغذوا به وإنما نهمتهم ألوان الطعام والثياب ويتشدقون في الكلام». وروي مثله من حديث ابن عباس بلفظ: «شرار أمتي الذين ولدوا في النعيم وغذوا فيها الذين يأكلون طيب الطعام ويلبسون لين الثياب هم شرار أمتي حقاً حقاً» الحديث. رواه الديلمي. وروي مثله من حديث فاطمة بنت رسول الله ﷺ، رواه ابن أبي الدنيا، وابن عدي، والبيهقي وقد تقدم في ذم الغيبة.

(وقال ﷺ: «سيأتي بعدكم قوم يأكلون أطايب الدينا وألوانها وينكحون أجمل النساء وألوانها ويلبسون ألين الثياب وألوانها ويركبون فره الخيل وألوانها، لهم بطون من القليل لا تشبع وأنفس بالكثير لا تقنع، عاكفين على الدنيا يغدون ويرحون إليها، اتخذوها آلهة من دون إلههم ورباً دون ربهم، إلى أمرها ينتهون وهواهم يتبعون، فعزيمة من محمد بن عبدالله لمن أدرك ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم أن لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم، فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم

على هدم الإسلام »، وقال ﷺ : « دعوا الدنيا لأهلها، من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حتفه وهو لا يشعر »، وقال ﷺ : « يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت؟ ». وقال رجل: يا رسول الله ما لي لا أحب الموت! فقال: « هل معك من مال؟ » قال: نعم يا رسول الله، قال: « قدم مالك فإن قلب المؤمن مع ماله، إن قدمه أحب أن يلحقه وإن خلفه أحب أن يتخلف معه »، وقال ﷺ : « أخلاء ابن آدم ثلاثة. واحد يتبعه إلى قبض روحه،

الإسلام») قال العراقي: روى الطبراني في الكبير والأوسط من حديث أبي أمامة: « ستكون بعدي رجال من أمتي يأكلون ألوان الطعام، ويشربون ألوان الشراب، ويلبسون أنواع الثياب، يتشدقون في الكلام أولئك شرار أمتي » وسنده ضعيف ولم أجد لباقيه أصلاً اهـ.

قلت: وحديث أبي أمامة هذا أخرجه أيضاً أبو نعيم في الحلية، وفي حديث عبدالله بن جعفر الذي ذكر قبل هذا وفيه: ويركبون الدواب ألواناً. وروى تمام في جزء من حديثه من حديث علي: « شرار أمتي وأول من يساق إلى النار الأقماع من أمتي الذين إذا أكلوا لم يشبعوا وإذا جمعوا لم يستغنوا ».

(وقال ﷺ : « دعوا الدنيا لأهلها) أي اتركوها لهم، **(من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه لنفسه ومن تلزمه مؤنته أخذ حتفه)** أي هلاكه **(وهو لا يشعر »)** بأن المأخوذ فيه هلاكه إذ هي السم القاتل. قال العراقي: رواه البزار من حديث أنس، وفيه هانىء بن المتوكل ضعفه ابن حبان اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن لال في مكارم الأخلاق.

(وقال ﷺ : « يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك) يا ابن آدم **(من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت »)** رواه مسلم من حديث عبدالله بن الشخير وأبي هريرة، وقد تقدم في الكتاب الذي قبله.

(وقال رجل: يا رسول الله مالي لا أحب الموت! فقال: « هل معك من مال » ؟ قال: نعم يا رسول الله. قال: « قدم مالك) بين يدك **(فإن قلب المؤمن مع ماله إن قدمه أحب أن يلحقه وإن خلفه أحب أن يتخلف معه »)** قال العراقي: لم أقف عليه، بل رواه ابن المبارك في الزهد عن عبدالله بن عبيد قال: قال رجل فذكره، وفيه: « هل لك مال فقدم مالك بين يديك » والباقي سواء، ثم رأيت بخط المحدث الشمس محمد بن أحمد بن علي الداودي تلميذ الحافظ السيوطي على هامش المغني ما نصه: رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة، وفيه طلحة بن عمرو ضعيف. وأخرجه من وجه آخر أقوى منه لكن مرسلاً اهـ.

قلت: وكأنه يشير إلى الذي قدمناه، وعبدالله بن عبيد بن عمير الليثي المكي تابعي ثقة.

والثاني إلى قبره، والثالث إلى محشره. فالذي يتبعه إلى قبض روحه فهو ماله، والذي يتبعه إلى قبره فهو أهله، والذي يتبعه إلى محشره فهو عمله».

وقال الحواريون لعيسى عليه السلام: ما لك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك؟ فقال لهم: ما منزلة الدينار والدرهم عندكم؟ قالوا: حسنة، قال: لكنهما والمدر عندي سواء. وكتب سلمان الفارسي إلى أبي الدرداء رضي الله عنهما يا أخي إياك أن تجمع من الدنيا ما لا تؤدي شكره، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يجاء بصاحب الدنيا الذي أطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله امض فقد أديت حق الله فيّ، ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله ويلك ألا أديت حق الله فيّ فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور».

(وقال ﷺ: «أخلاء ابن آدم) جمع خليل أي أصحابه (ثلاثة. واحد يتبعه إلى قبض روحه، والثاني إلى قبره، والثالث إلى محشره. فالذي يتبعه إلى قبض روحه فهو ماله، والذي يتبعه إلى قبره هو أهله، والذي يتبعه إلى محشره هو عمله») قال العراقي: رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط من حديث النعمان بن بشير بإسناد جيد نحوه. ورواه أبو داود والطيالسي وأبو الشيخ في كتاب الثواب والطبراني في الأوسط من حديث أنس بسند جيد أيضاً. وفي الكبير من حديث سمرة بن جندب، وللشيخين من حديث أنس: «يتبع الميت ثلاثة فيرجع إثنان ويبقى واحد» الحديث اهـ.

قلت: لفظ حديث: «يتبع الميت ثلاثة: أهله وماله وعمله فيرجع إثنان ويبقى واحد يرجع أهله وماله ويبقى معه عمله». هكذا رواه ابن المبارك وأحمد والترمذي وقال: حسن صحيح والنسائي.

(وقال الحواريون) وهم أصحاب عيسى عليه السلام (لعيسى بن مريم عليه السلام: مالك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك؟ فقال لهم: ما منزلة الدينار والدرهم عندكم؟ قالوا: حسنة. قال: لكنها عندي والمدر سواء) نقله صاحب القوت.

(وكتب سلمان الفارسي إلى أبي الدرداء) رضي الله عنهما: (يا أخي إياك أن تجمع من الدنيا ما لا تؤدي شكره، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يجاء بصاحب الدنيا الذي أطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله: امض فقد أديت حق الله فيَّ، ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله: ويلك ألا أديت حق الله فيَّ فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور») قال العراقي: ليس هو من حديث سلمان إنما هو من حديث أبي الدرداء إنه كتب إلى سلمان. كذا رواه البيهقي في الشعب وقال بدل الدنيا المال وهو منقطع اهـ.

وكل ما أوردناه في كتاب الزهد والفقر في ذم الغنى ومدح الفقر يرجع جميعه إلى ذم المال، فلا نطول بتكريره، وكذا كل ما ذكرناه في ذم الدنيا فيتناول ذم المال بحكم العموم، لأن المال أعظم أركان الدنيا. وإنما نذكر الآن ما ورد في المال خاصة.

قال ﷺ: «إذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف»، وقال ﷺ: «لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا».

قلت: وكذلك رواه أبو سعيد بن منصور، وابن عساكر من طريق محمد بن واسع، عن أبي الدرداء رفعه: «يجاء بصاحب المال الذي أطاع الله فيه وماله بين يديه» الحديث.

وقال أبو نعيم في الحلية: وحدثنا أبو عمرو بن حمدان، حدثنا الحسن ابن سفيان، حدثنا بشر ابن الحكم، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر عن صاحب له أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان: «أخي اغتنم صحتك وفراغك» الحديث. وفيه: «يا أخي لا تجمع مالاً لا تستطيع شكره فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: يجاء بصاحب الدنيا يوم القيامة الذي أطاع الله فيها وهو بين يدي الله وماله خلفه» الحديث. وفيه بعد قوله: «وماله بين كتفيه فيعيره ماله ويقول له: ويلك هلا عملت بطاعة الله فيّ» الحديث بطوله، ثم قال: ورواه ابن جابر والمطعم بن المقدام عن محمد بن واسع أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان مثله.

(وكل ما أوردناه في كتاب الزهد والفقر في ذم الغنى ومدح الفقر يرجع جميعه إلى ذم المال، فلا نطول بتكريره، وكذا كل ما ذكرناه في ذم الدنيا فيتناول ذم المال بحكم العموم، لأن المال أعظم أركان الدنيا وإنما نذكر الآن ما ورد في المال خاصة).

(قال ﷺ: «إذا مات العبد قالت الملائكة: ما قدم، وقال الناسُ ما خلف») رواه البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة يبلغ به. وقد تقدم في كتاب آداب الصحبة وفي بعض خطب علي رضي الله عنه: إن المرء إذا هلك قال الناس ما ترك، وقالت الملائكة ما قدم الله أباؤكم فقدموا بعضاً يكن لكم قرضاً ولا تخلفوا كلاً فيكون عليكم كلاً.

(وقال ﷺ: «لا تتخذوا الضيعة) أي العقار وهي الأرض التي تزرع ويستغل منها **(فتحبوا الدنيا»)** أي تميلوا فتلهيكم عن ذكر الله. ومن هنا قال بعض الحكماء: الضياع مدارج الهموم، وكتب الوكلاء مفاتيح الغموم. وقال أيضاً الضيعة إن تعهدتها ضعت وإن لم تتعهدها ضاعت، ووهت هشام للأبرش ضيعة فسأله عنها. فقال: لا عهد لي بها. فقال: لولا أن الراجع في هبته كالراجع في قيئه لأخذتها منك. أما علمت أنها إنما سميت ضيعة لأنها تضيع إذا تركت. وسيأتي للمصنف كلام في هذا وحاصله: إن اتخاذ الضياع مما يسوّد القلب ويلهي عن ذكر الله تعالى، ومن انتفى في حقه ذلك جاز له الاتخاذ. قال العراقي: رواه الترمذي والحاكم وصحح إسناده من حديث ابن مسعود بلفظ: «فترغبوا» اهـ.

الآثار: روي أن رجلاً نال من أبي الدرداء وأراه سوءاً فقال: اللهم من فعل بي سوءاً فأصح جسمه وأطل عمره وأكثر ماله. فانظر كيف رأى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر؟ لأنه لا بدّ وأن يفضي إلى الطغيان، ووضع علي كرّم الله وجهه درهماً على كفه ثم قال: أما إنك ما لم تخرج عني لا تنفعني. وروي أن عمر رضي الله عنه أرسل إلى زينب بنت جحش بعطائها فقالت: ما هذا؟ قالوا: أرسل به إليك عمر بن الخطاب، قالت: غفر الله له، ثم حلت ستراً كان لها فقطعته وجعلته صرراً وقسمته في أهل بيتها ورحمها وأيتامها، ثم رفعت يديها وقالت: اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا. فكانت أول نساء رسول الله ﷺ لحوقاً به. وقال الحسن: والله ما أعز

قلت: أي فترغبوا في الدنيا، وكذلك رواه ابن المبارك وهناد كلاهما في الزهد وابن جرير في تهذيبه، وفي سند الترمذي والحاكم شمر بن عطية عن المغيرة بن سعد بن الأخرم عن أبيه عن ابن مسعود، ولم يخرج الستة عن هؤلاء الثلاثة غير الترمذي وقد وثقوا.

الآثار الواردة في ذم المال: (وروي أن رجلاً نال من أبي الدرداء) رضي الله عنه **(وأراه سوءاً فقال: اللهم من فعل بي سوءاً فأصح جسمه وأطل عمره وأكثر ماله)** نقله صاحب القوت. **(فانظر كيف رأى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لأنه ولا بد أن يفضي إلى الطغيان)** أي التجاوز عن الحدود، **(ووضع علي رضي الله عنه درهماً على كفه ثم قال: أما إنك ما لم تخرج عني لا تنفعني)** نقله صاحب القوت. **(وروي أن عمر رضي الله عنه أرسل إلى زينب بنت جحش)** الأسدية أم المؤمنين رضي الله عنها **(بعطائها)** وهو قسمها من مال البحرين. قال عبيدالله بن أبي رافع راوي الأثر، **(فقالت: ما هذا؟ قالوا)**: يعني الرسول ومن عندها **(أرسل به إليك عمر بن الخطاب)** من عطائك **(قالت: غفر الله له)** لقد كان غيري أقوى على قسمة هذا مني. قال الرسول: هذا كله لك وكان آلافاً كثيرة. فقالت: سبحان الله ضعه واطرحوا عليه ثوباً، **(ثم حلت ستراً كان لها فقطعته وجعلته صرراً وقسمتها في أهل رحمها وأيتامها)**. وفي رواية، ثم قالت للراوي: ادخل يدك فاقبض منه قبضة اذهبوا بها إلى بني فلان، ثم جعلت تقبض من تحت الثوب ترسله إلى الأيتام والمساكين حتى أنفذته، **(ثم رفعت يديها وقالت: اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا، فكانت أول نساء رسول الله ﷺ لحوقاً به)** ﷺ. وقد كان رسول الله ﷺ أخبرهن بذلك وهن مجتمعات عنده فقال: «أسرعكن لحاقاً بي أطولكن باعاً» كما رواه مسلم والنسائي وابن حبان من حديث عائشة، فلم يكن بينهن أجود بالعطاء وأسخى بالمال من زينب، فأسرعت به لحاقاً.

وهذه القصة أخرجها ابن سعد في الطبقات بسند فيه الواقدي عن محمد بن كعب قال: كان عطاء زينب بنت جحش إثني عشر ألفاً لم تأخذه إلا عاماً واحداً، فجعلت تقول: اللهم لا يدركني هذا المال قابل، فإنه فتنة، ثم قسمته في أهل رحمها في أهل الحاجة فبلغ عمر فقال: هذه امرأة يراد

الدرهم أحد إلا أذله الله. وقيل: إن أوّل ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما إبليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال: من أحبكما فهو عبدي حقاً. وقال سميط بن عجلان: إن الدراهم والدنانير أزمة المنافقين يقادون بها إلى النار. وقال يحيى بن معاذ: الدرهم عقرب فإن لم تحسن رقيته فلا تأخذه، فإنه إن لدغك قتلك سمه، قيل: وما رقيته؟ قال: أخذه من حله ووضعه في حقه. وقال العلاء بن زياد: تمثلت لي الدنيا وعليها من كل زينة فقلت: أعوذ بالله من شرك فقالت: إن سرك أن يعيذك الله مني فابغض الدرهم والدينار. وذلك لأن الدرهم والدينار هما الدنيا كلها إذ يتوصل بهما إلى جميع أصنافها، فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا وفي ذلك قيل:

بها خير، فوقف عليها وارسل السلام وقال: بلغني ما فرقت فأرسل ألف درهم فسلكت به ذلك المسلك. وفي الصحيحين: وكانت زينب امرأة صناع اليدين، فكانت ترقع وتخرز وتصدق في سبيل الله. قال صاحب القوت: وكانت بعدها عائشة رضي الله عنها في الجود والسخاء. روي هشام بن عروة عن أبيه أن معاوية بعث إلى عائشة مرة بمائة ألف. قال: فوالله ما غابت الشمس من ذلك اليوم حتى فرقتها. فقالت مولاة لها: لو اشتريت لنا من هذه الدراهم بدرهم لحماً. فقالت: لو قلت لي قبل أن أفرقها فعلت.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(والله ما أعز الدرهم أحد إلا أذله الله)** ولفظ القوت وقال الحسن: ما أعز أحد نفسه إلا أهان دينه وحلف بالله ما أعز أحد الدينار والدرهم إلا أذل دينه وقال مرة: إلا أذله الله، ومرة يجعل ذلك بعض العقلاء في النفس فيقول: من أراد أن يعز نفسه فليذل درهمه، وما أعز أحد درهمه إلا أهان نفسه. **(وقيل: إن أول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما إبليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال: من أحبكما فهو عبدي حقاً)** أخرجه صاحب الحلية عن وهب بن منبه. **(وقال سميط بن عجلان)** الشيباني البصري، وسميط يروى بالشين المعجمة والمهلمة وهو أخو الأخطر بن عجلان: **(إن الدنانير والدرهم أزمة المنافقين يقادون بها إلى النار)** أي بمنزلة الأزمة التي تقاد بها الدواب **(وقال يحيى بن معاذ)** الرازي رحمه الله تعالى: **(الدرهم عقرب فإن لم تحسن رقيته فلا تأخذه فإنه إن لدغك قتلك سمه. قيل: وما رقيته؟ قال: أخذه من حله ووضعه في حقه)** نقله صاحب القوت. **(وقال العلاء بن زياد)** البصري تقدم ذكره في الكتاب الذي قبله: **(تمثلت لي الدنيا)** بصورة **(امرأة** وعليها من كل زينة، فقلت أعوذ بالله من شرك. قالت: إن كنت تريد أن يعيذك الله مني **فابغض الدرهم)** أخرجه صاحب الحلية وقد تقدم في الكتاب الذي قبله، **(وذلك لأن الدرهم والدينار هي الدنيا كلها إذ يتوصل بهما إلى جميع أصنافها، فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا، ولذلك قيل)**:

إني وجـدت فلا تظنـوا غيره أن التـورع عنـد هـذا الدرهـم
فـإذا قـدرت عليـه ثم تـركتـه فـاعلم بـأن تقـاك تقـوى المسلم

وفي ذلك قيل أيضاً :

لا يغــرنــك مــن المر ء قميـــص رقعــه
أو إزار فـــوق عظـــم السـ ـاق منـــه رفعـــه
أو جبين لاح فيـــه أثـــر قـــد خلعـــه
أره الدرهـــم تعـــرف حبـــه أو ورعـــه

ويروى عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند موته فقال: يا أمير المؤمنين صنعت صنيعاً لم يصنعه أحد قبلك، تركت ولدك ليس لهم درهم ولا دينار ـ وكان له ثلاثة عشر من الولد ـ فقال عمر : أقعدوني! فأقعدوه فقال: أما قولك لم أدع لهم ديناراً ولا درهماً فإني لم أمنعهم حقاً لهم ولم أعطهم حقاً لغيرهم!

(إني وجـدت فلا تظنـوا غيره إن التـورع عنـد هـذا الدرهـم)
(فـإذا قـدرت عليـه ثم تـركتـه فـاعلم بـأن تقـاك تقـوى المسلم)
(وقيل أيضاً) :
(لا يغــرنــك مــن المر ء قميـــص رقعـــه)
أو ازار فـــوق عظـــم السـ ـاق منـــه رفعـــه)
(أو جبين لاح فيـــه أثـــر قـــد خلعـــه)
(أره الدرهـــم فـــانظـــر غيـــه أو ورعـــه)

هكذا أوردها صاحب القوت، وتقدم للمصنف أيضاً في كتاب آداب السماع.

(ويروى عن مسلمة بن عبد الملك) بن مروان كان عالماً في علم الحدثان، وزعم أنه أخذه عن خالد بن يزيد بن معاوية وهو الذي بشر عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بملك الأندلس، وغزا مسلمة إلى القسطنطينية سنة ثمان وتسعين في البر، وعمر بن هبيرة في البحر فجازا جميعاً الخليج وافتتحا مدينة العقالبة، ثم عاد إلى القسطنطينية ثم دخلها وأقام المسلمون بعرصتها وبنوا وزرعوا وأكلوا من زراعتهم. **(أنه دخل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى (عند موته فقال: يا أمير المؤمنين صنعت صنيعاً لم يصنعه أحد قبلك. تركت ولدك ليس لهم دينار ولا درهم، وكان عنده ثلاثة عشر من الولد)** الذكور وخمس من الأناث وقيل: أربعة عشر والصحيح إثنا عشر ذكوراً وست بنات كما سيأتي منهم إبراهيم وعبدالله وحفص وعبد العزيز وأما عبد الملك وسهل فإنهما ماتا قبله، **(فقال عمر : اقعدوني فاقعدوه، فقال: أما قولك لم أدع لهم ديناراً ولا درهماً فإني لم أمنعهم حقاً لهم ولم أعطهم حقاً لغيرهم، وإنما ولدي أحد**

وإنما ولدي أحد رجلين، إما مطيع لله فالله كافيه والله يتولى الصالحين، وإما عاص لله فلا أبالي على ما وقع. ورُوي أن محمد بن كعب القرظي أصاب مالاً كثيراً. فقيل له: لو ادخرته لولدك من بعدك؟ قال: لا ولكني أدخره لنفسي عند ربي وأدخر ربي لولدي. ويروى أن رجلاً قال لأبي عبد ربه: يا أخي لا تذهب بشر وتترك أولادك بخير!

رجلين: إما مطيع لله فالله كافيه والله يتولى الصالحين، وإما عاص لله فلا أبالي على ما وقع).

أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا أحمد بن الحسين، حدثنا أحمد ابن إبراهيم، حدثني أبو إسحاق، حدثنا محمد بن الحسن، حدثنا هشام قال: لما كانت الصرعة التي هلك فيها عمر دخل عليه مسلمة بن عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين إنك أقفرت أفواه ولدك من هذا المال فتركتهم على لا شيء لهم، ولو أوصيت لهم إليَّ وإلى نظرائي من أهل بيتك؟ قال: فقال اسندوني، ثم قال: أما قولك إني أقفرت أفواه ولدي من هذا المال فإني والله ما منعتهم حقاً هو لهم ولم أعطهم ما ليس لهم. وأما قولك: لو أوصيت بهم إليَّ أو إلى نظرائي من أهل بيتك، فإن وصي ووليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين. بني أحد رجلين: إما رجل يتقي الله فسيجعل الله له مخرجاً، وإما رجل يمكث على المعاصي فإني لم أكن لأقويه على معصية، ثم بعث إليهم وهم بضعة عشر ذكراً. قال: فنظر إليهم فذرفت عيناه فبكى، ثم قال: بنفسي الفتية الذين تركتهم على لا شيء لهم بل بحمد لله تركتهم على خير. أي بني: إنكم لن تلقوا أحداً من العرب ولا من المعاهدين إلا أن لكم عليهم حقاً يا بني إن أباكم سئل بين أمرين: بين أن تستغنوا ويدخل أبوكم النار، وأن تفتقروا ويدخل الجنة. فكان أن تفتقروا ويدخل الجنة أحب إليه من أن تستغنوا ويدخل النار. قوموا عصمكم الله.

وبالسند المذكور إلى أحمد بن إبراهيم قال: حدثنا سهل بن محمود، حدثنا عمر بن حفص المعيطي، حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال: قلت كم ترك لكم عمر من المال؟ فتبسم وقال: حدثني مولى لنا كان يلي نفقته. قال: قال لي عمر حين احتضر: كم عندك من المال؟ قال: قلت أربعة عشر ديناراً قال: فقال: تحتملون بها من منزل إلى منزل فقلت: كم ترك لكم من الغلة؟ قال: ترك لنا غلة ستمائة دينار ورثناها عنه، وثلاثمائة دينار ورثناها عن أخينا عبد الملك، وتركنا إثني عشر ذكراً وست نسوة اقتسمنا ماله على خمس عشرة.

(ورُوي أن محمد بن كعب القرظي) التابعي المدني الثقة (أصاب مالاً كثيراً فقيل له: لو ادخرته لولدك من بعدك. قال: ولكني أدخره لنفسي عند ربي وأدخر ربي لولدي) أخرجه أبو نعيم في الحلية. (ويروى أن رجلاً قال لأبي عبد رب) الدمشقي الزاهد، ويقال: أبو عبد ربه، ويقال: أبو عبد رب العزة مولى ابن غيلان الثقفي، ويقال: مولى بني عذرة، وقيل: اسمه عبد الجبار. وقيل: عبد الرحمن، وقيل: قسطنطين. روى عن معاوية، وعنه عبد الرحمن بن يزيد بن جابر. روى له ابن ماجه: (يا أخي لا تذهب بشر وتترك أولادك بخير، فخرج أبو عبد رب

فأخرج أبو عبد ربه من ملله مائة ألف درهم. وقال يحي بن معاذ: مصيبتان لم يسمع الأوّلون والآخرون بمثلها للعبد في ماله عند موته، قيل: وما هما؟ قال: يؤخذ منه كله ويُسأل عنه كله.

بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم:

اعلم أن الله تعالى قد سمى المال خيراً في مواضع من كتابه العزيز فقال جل وعز: ﴿إنْ تَرَكَ خَيْراً﴾ [البقرة: ١٨٠] الآية وقال رسول الله ﷺ: «نعم المال الصالح

من ماله مائة ألف درهم) رواه أبو نعيم في الحلية من طريق سعيد بن عبد العزيز بلفظ: خرج من عشرة الآف دينار أو من مائة ألف. **(وقال يحي بن معاذ)** الرازي رحمه الله تعالى: **(مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلها للعبد في ماله عند موته قيل: وما هما؟ قال: يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله)** نقله صاحب القوت. وكان عون بن عبدالله المسعودي أوصى بضيعة له تباع بعد موته ويتصدق بها، فقيل له: تدع عيالك. فقال: أقدم هذا لنفسي وادخر الله لعيالي، وجاءته مرة خمسون ألفاً فقيل له: اعتقدها لولدك. قال: اعتقدها لنفسي واعتقد الله لولدي.

بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم:

(اعلم) هداك الله تعالى (أن الله تعالى قد سمى المال خيراً في مواضع من كتابه العزيز) وبيانه: أن الخير لغة ضد الشر، وهو ما يرغب فيه الكل كالعقل مثلاً، والعدل، والفضل، والشيء النافع. وقيل: الخير ضربان: خير مطلق وهو ما يكون مرغوباً فيه بكل حال وعند كل أحد كما وصف ﷺ به الجنة فقال: «لا خير بخير بعده النار ولا شر بشر بعده الجنة»، وخير وشر مقيدان وهو أن خير الواحد شر لآخر كالمال الذي ربما يكون خيراً لزيد وشراً لعمرو، ولذلك وصفه الله تعالى بالأمرين **(فقال)** في موضع: (﴿إن ترك خيراً﴾ الآية) وتمام الآية ﴿الوصية للوالدين والأقربين﴾ وقال في موضع آخر: ﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين ★ نسارع لهم في الخيرات﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦] فقوله: ﴿إن ترك خيراً﴾ أي مالاً. وقال بعض العلماء لا يقال للمال خير حتى يكون كثيراً ومن مكان طيب كما روي أن علياً رضي الله عنه دخل على مولى له فقال: ألا أوصي يا أمير المؤمنين. قال: لا لأن الله تعالى قال: ﴿إن ترك خيراً﴾ وليس لك مال كثير، وعلى هذا أيضاً قوله تعالى: ﴿إنه لحب الخير لشديدٌ﴾ [العاديات: ٨] أي لحب المال. وقال بعض العلماء: إنما سمي المال خيراً تنبيهاً على معنى لطيف، وهو أن المال يحسن الوصية به ما كان مجموعاً من وجه محمود، وعلى ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وما تنفقوا[1] من خير يعلمه الله﴾ [البقرة: ١٩٧] وقوله: ﴿وكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً﴾ [النور: ٣٣] قيل: عني به مالاً من جهتهم. قيل: إن علمتم إن اعتقدتم يعود عليكم وعليهم بنفع أي ثواب، وكذلك قوله تعالى: ﴿لا

---

(١) تصويب الآية: «وما تفعلوا من خير يعلمه الله».

للرجل الصالح »، وكل ما جاء في ثواب الصدقة والحج فهو ثناء على المال إذ لا يمكن الوصول إليهما إلا به، وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٢] وقال تعالى ممتناً على عباده: ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾ [نوح: ١٢] وقال ﷺ: « كاد الفقر أن يكون كفراً »، وهو ثناء على المال. ولا تقف على وجه الجمع بعد الذم والمدح إلا بأن تعرف حكمة المال ومقصوده وآفاته وغوائله، حتى ينكشف لك أنه خير من وجه وشر من وجه، وأنه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر، فإنه ليس بخير محض ولا هو شر محض، بل هو سبب للأمرين جميعاً وما هذا وصفه فيمدح لا محالة تارةً ويذم أخرى، ولكن البصير المميز يدرك أن المحمود منه غير المذموم، وبيانه بالاستمداد مما ذكرناه في

يسأم الإنسان من دعاء الخير﴾ [فصلت: ٤٩] أي لا يفتر من طلب المال وما يصلح دنياه. فهذه المواضع التي أطلق فيها الخير وأريد به المال. قد بينت ذلك في شرحي على القاموس.

(**وقال ﷺ: نعم المال الصالح للرجل الصالح** ») قال العراقي: رواه أحمد، والطبراني في الكبير والأوسط من حديث عمرو بن العاص بسند صحيح بلفظ: « نعماً » وقال للمرء.

(**وكل ما جاء في ثواب الصدقة والحج فهذا ثناء على المال**) ضمناً (**إذ لا يمكن الوصول إليهما إلا به. وقال تعالى**) في قصة موسى والخضر عليهما السلام: ﴿وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما (**ويستخرجا كنزهما**) من ذهب وفضة (**رحمة من ربك**﴾) أي مرحومين من ربك. قال البيضاوي: ويجوز أن يكون علة أو مصدراً لأراد فإن إرادة الخير رحمة، وقيل: متعلق بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك. (**وقال تعالى ممتناً على عباده**) في حكاية عن بعض أنبيائه فيما خاطب به أمته: ﴿استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ★ (**ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً**﴾) [نوح: ١٠ - ١٢] وفيه بيان لعظم موقع المال عنده لا يتجاوز المحسوسات.

(**وقال ﷺ: « كاد الفقر أن يكون كفراً »**) رواه أبو مسلم الكشي في سننه، والبيهقي في الشعب من حديث أنس، وقد تقدم الكلام عليه في كتاب ذم الغضب. (**وهو ثناء على المال. ولا تقف على وجه الجمع بين المدح والذم إلا بأن تعرف حكمة المال ومقصوده آفاته وغوائله، حتى ينكشف لك أنه خير من وجه وشر من وجوه، وأنه محمود من حيث هو خير ومذموم مم حيث هو شر، فإنه ليس بخير محض**) أي مطلقاً (**ولا هو شر محض**) مطلقاً، (**بل هو سبب الأمرين جميعاً وما هذا وصفه فيمدح لا محالة تارة ويذم أخرى، ولكن البصير المميز**) يعرف أنه (**يدرك أن المحمود منه غير المذموم، وبيانه بالاستمداد مما ذكرناه**

كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم، والقدر المقنع فيه هو أن مقصد الأكياس وأرباب البصائر سعادة الآخرة التي هي النعيم الدائم والملك المقيم. والقصد إلى هذا دأب الكرام والأكياس، إذ قيل لرسول الله ﷺ: من أكرم الناس وأكيسهم؟ فقال: «أكثرهم للموت ذكراً وأشدهم له استعداداً». وهذه السعادة لا تنال إلا بثلاث وسائل في الدنيا وهي الفضائل النفسية، كالعلم وحسن الخلق، والفضائل البدنية: كالصحة والسلامة، والفضائل الخارجة عن البدن: كالمال وسائر الأسباب. وأعلاها النفسية، ثم البدنية، ثم الخارجة.

في **كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم)** وهي كثيرة غير محصاة على التفصيل، كما قال تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ [النحل: ١٨] ولكنها بالإجمال على خمسة أنواع وهي: أخروية ونفسية وبدنية وخارجية وتوفيقية. **(والقدر المقنع فيه هو أن مقصد الأكياس)** أي العقلاء **(وأرباب البصائر)** أي المعارف الذوقية **(سعادة الآخرة)** وهي أعلى أنواع النعم الخمسة **(التي هي النعيم الدائم)** بلا زوال **(والملك المقيم)** بلا انتقال، وإياها قصد بقوله تعالى: ﴿وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين﴾ [هود: ١٠٨] الآية. وذلك هو الخير المحض والفضيلة الصرف وهو أربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وقدرة بلا عجز، وعلم بلا جهل، وغنى بلا فقر. **(والقصد إلى هذا دأب الكرام والأكياس. إذ قيل لرسول الله ﷺ: من أكرم الناس وأكيسهم)** أي من أفضلهم كرامة وأكثرهم كياسة **(فقال: «أكثرهم للموت ذكراً وأشدهم له استعداداً»)** قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ: أي المرتبة أكيس؟ ورواه ابن أبي الدنيا في الموت بلفظ المصنف وإسناده جيد.

(وهذه السعادة لا تنال إلا بثلاث وسائل في الدنيا وهي: الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق، والفضائل البدنية كالصحة والسلامة، والفضائل الخارجة عن البدن كالمال وسائر الأسباب) يعني أن سعادة الآخرة منوطة بتحصيل هذه الفضائل الثلاثة والسعي فيها واستعمالها، كما قال تعالى: ﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها﴾ [الإسراء: ١٩] الآية. وأصول الفضائل النفسية أربعة: العقل وكماله العلم، والعفة وكمالها الورع، والشجاعة وكمالها المجاهدة، والعدالة وكمالها الإنصاف. وهي المعبر عنها بالدين ويكمل ذلك بالفضائل البدنية وهي أربعة أشياء: الصحة والقوة والجمال وطول العمر، وبالفضائل المطيفة بالإنسان وهي الخارجة عن البدن وهي أربعة أشياء: المال والأهل والعز وكرم العشيرة، ولا سبيل إلى تحصيل ذلك إلا بتوفيق الله عز وجل، وذلك بأربعة أشياء: هدايته ورشده وتسديد وتأييده، فجميع ذلك خمسة أنواع هي عشرون من ضرب خمسة في أربعة ليس للإنسان مدخل في اكتسابها إلا فيما هو نفسي فقط، والسعادة الحقيقية هي الخيرات الأخروية وما عداها فتسميته بذلك إما لكونه معاوناً في بلوغ ذلك أو نافعاً فيه، فكل ما أعان على خير سعادة والأشياء التي هي معينة ونافعة في بلوغ السعادة الأخروية متفاوتة

فالخارجة أخسها والمال من جملة الخارجات، وأدناها الدراهم والدنانير، فإنها

الأحوال. فمنها ما هو نافع في جميع الأحوال على كل وجه، ومنها ما هو نافع في حال دون حال وعلى وجه دون وجه، وربما يكون ضره أكثر من نفعه، فحق الإنسان أن يعرفها بحقائقها حتى لا يقع عليها الخطأ في اختياره الوضيع على الرفيع، وتقديمه الخسيس على النفيس.

إن قيل: ما الخير والسعادة والفضيلة والنافع، وهل بين هذه الأربعة فرق؟ قيل: أما الخير المطلق هو المختار من أجل نفسه والمختار غيره لأجله وهو الذي تشوفه كل عاقل. وأما السعادة المطلقة، فحسن الحياة في الآخرة وهي الأربع التي تقدم ذكرها. وقد يقال لما يتوصل به إلى هذه السعادات الأربعة سعادة وهي الستة عشر المتقدمة ويضادها الشقاوة. وأما الفضيلة فاسم لم يحصل به الإنسان مزية على الغير وهو إسم لما يتوصل به إلى السعادة ويضادها الرذيلة. وأما النافع: فهو ما يعين على بلوغ الفضيلة والسعادة والخير وهو ضربان: ضروري وهو لا يكون الوصول إلى المطلوب الا به كالعلم والعمل الصالح للمكلفين في البلوغ إلى النعيم الدائم، وغير ضروري وهو الذي قد يسد غيره مسده كالسكنجبين في كونه نافعاً في قمع الصفراء، فأن ذلك قد يسد غيره مسده، وكل نافع فقد يسمى فضيلة وسعادة وخيراً لكونه مبلغاً إلى ذلك.

وقول المصنف: وهذه السعادة لا تنال الخ يشير به إلى أن بعض الفضائل محتاج إلى بعض إما حاجة ضرورية بحيث لو لم يوجد ذلك لم يصح وجود الآخر، أو حاجة نافعة بحيث لو لم يوجد لاختل حال الآخر، وذلك أن السعادة الحقيقية الأخروية لا سبيل إلى الوصول إليها إلا باكتساب الفضائل النفسية، ولا سبيل إلى تحصيل هذه إلا بصحة البدن وقوته وأنه لا تغني الفضائل النفسية والبدنية عن الفضائل الخارجة فإنه إن أمكن أن يتصوّر حصولها لمن لا مال له ولا أهل ولا عشيرة فإنها لا تكمل إلا بها. (**وأعلاها**) أي تلك الفضائل (**النفسية ثم البدنية ثم الخارجة**) المطيفة بالإنسان.

(**فالخارجة أخسها والمال من جملة الخارجات**) فصاحبه يتمكن من الفضائل إذا فقده مشكل بلوغها والفقير في تحري المكارم كساع إلى الهيجاء بغير سلاح، أو كباز متصيد بلا جناح، ولله در من قال:

فلا مجد في الدنيا لمن قلّ ماله ... ولا مال في الدنيا لمن قلّ مجده

ومن جملة الخارجات الأهل فنعم العون على بلوغ السعادة. قال الشاعر:

ألم تر أن جمع القوم يخشى ... وأن حريم واحدهم مباحُ

والعُّزفية يتأبى عن حمل الذل، ولا عزّ له لا يمكنه أن يذود عن حريمه وكرم العشيرة فإنه مخيلة لكرم الفرع، وقال الشاعر:

خادمان ولا خادم لهما، ومرادان لغيرهما. ولا يرادان لذاتهما؛ إذ النفس هي الجوهر النفيس، المطلوب سعادتها، وأنها تخدم العلم والمعرفة ومكارم الأخلاق لتحصيلها صفة في ذاتها، والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والأعضاء، والمطاعم والملابس تخدم البدن. وقد سبق أن المقصود من المطاعم إبقاء البدن. ومن المناكح إبقاء النسل، ومن البدن تكميل النفس وتزكيتها وتزيينها بالعلم والخلق. ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه، وإنه من حيث هو ضرورة المطاعم والملابس التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة كمال النفس الذي هو خير ومن عرف فائدة الشيء وغايته ومقصده واستعمله لتلك الغاية متلفتاً إليها غير ناس لها فقد أحسن وانتفع، وكان ما حصل له الغرض محموداً في حقه، فإذا المال آلة ووسيلة إلى مقصود صحيح،

إن السري إذا سرى فبنفسه وابن السريّ إذا سرى أسراهما

وإذا علمت ذلك فالق سمعك إلى أن المال إذا اعتبر لكونه أحد أسباب الحياة الدنيوية فهو عظيم الخطر، لأنك متى توهمته مرتفعاً يعسر على الناس تزجية معاشهم، وقد تقدم أن الناس يحتاج بعضهم إلى بعض ولا يمكنهم التعايش ما لم يتظاهروا، وإذا اعتبر بسائر القنيات فهو صغير الخطر إذ هو أخس القنيات، والقنيات ثلاث: نفسية وبدنية وخارجة، والخارجة دونها. **(وأدناها أي الخارجات الناض المتعامل به وهو الدراهم والدنانير فإنها خادمان)** غير مخدومين، **(ومرادان لغيرهما ولا يرادان لذاتها)** فإنا لو تصوّرنا ارتفاع الضرورات التي بها يستدفع لكانت هي والحصباء سواء وسائر القنيات خادم من وجه ومخدوم من وجه، **(إذ النفس هي الجوهر الشريف المطلوب سعادتها وأنها تخدم العلم والمعرفة ومكارم الأخلاق لتحصيلها صفة في ذاتها، والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والأعضاء والمطاعم)** والمشارب، **(والملابس تخدم البدن)** والمآكل والملابس يخدمها المال، فالمال من حقه أن يكون خادماً لغيره من القنيات، وأن لا يكون شيء من القنيات خادماً وإن كان كثير من الناس يجهلهم يجعلون جاههم وأبدانهم ونفوسهم خدماً لما لهم وعبيداً. **(وقد سبق أن المقصود من المطاعم إبقاء)** مسكة **(البدن، ومن المناكح)** صورة **(إبقاء النسل، ومن البدن تكميل)** هيئة **(النفس وتزكيتها وتزيينها بالعلم والخلق)** وإن كان جماله وسمنه وحسن حاله مرغوباً فيها إلا أن المقصود هو ما ذكره المصنف، **(ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه، وأنه من حيث هو ضرورة المطاعم والملابس التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة كمال النفس الذي هو خير)**، ولذلك جعل من الخيرات المتوسطة. **(ومن عرف فائدة الشيء وغايته)** التي ينتهي إليها **(ومقصده)** منه **(واستعمله لتلك الغاية ملتفتاً إليها)** جاعلاً تلك نصب عينيه **(غير ناس لها فقد أحسن)** في صنيعه **(وانتفع)** بعمله، **(وكان ما حصل له الغرض)** الذي هو بصدده **(محموداً في حقه، فإذاً المال آلة)** لتحصيل الفضائل **(ووسيلة إلى مقصود صحيح،**

ويصلح أن يتخذ آلة ووسيلة إلى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادة عن سعادة الآخرة وتسد سبيل العلم والعمل. فهو إذاً محمود مذموم، محمود بالإضافة إلى المقصد المحمود، ومذموم بالإضافة إلى المقصد المذموم. فمن أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حتفه وهو لا يشعر كما ورد به الخبر.

ولما كانت الطباع مائلة إلى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان المال مسهلاً لها وآلة إليها عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الأنبياء من شره حتى قال نبينا عليه الصلاة والسلام: «اللهم اجعل قوت آل محمد كفافاً»، فلم يطلب من الدنيا إلا ما يتمحض خيره وقال: «اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة

ويصلح أن يتخذ) أيضاً (**آلة ووسيلة إلى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادة**) أي المانعة (**من سعادة الآخرة**) أي عن تحصيلها (**وتسد سبيل العلم والعمل، فهو إذاً محمود مذموم محمود بالإضافة إلى المقصد المحمود، ومذموم بالإضافة إلى المقصد المذموم**) وبه اتضح وجه كونه من الخيرات المتوسطة، (**فمن أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه**) وهو ومن تلزمه مؤنته (**فقد أخذ حتفه**) أي هلاكه (**وهو لا يشعر**) بهلاكه، (**كما ورد به الخبر**) الذي تقدم قريباً وأوله «دعوا الدنيا لأهلها» وتقدم تخريجه والكلام عليه.

(**ولما كانت الطباع مائلة إلى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان المال مسهلاً لها**) لتلك الشهوات (**وآلة إليها أعظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية**) والحاجة (**فاستعاذ الأنبياء**) عليهم السلام (**من شرّه حتى قال نبينا ﷺ: «اللهم اجعل قوت آل محمد كفافاً»**) القوت ما يسد به الرمق سمي به لحصول القوّة؟ والكفاف ما لا يفضل من الشيء ويكون بقدر الحاجة، والمراد بآل محمد زوجاته ومن في نفقته، أو مؤمنو بني هاشم وأتقياء أمته والحمل على الأعم أتم. قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة انتهى.

قلت: الذي في المتفق عليه «اللهم ارزق آل محمد قوتاً» وعند مسلم وحده «اللهم ارزق آل محمد كفافاً» وعنده أيضاً وكذلك أحمد والترمذي وابن ماجه «اللهم اجعل رزق آل محمد في الدنيا قوتاً» وفي لفظ «كفافاً» والمعنى: اجعل رزقهم بلغة تسد رمقهم وتمسك قوتهم بحيث لا ترهقهم الفاقة ولا تذلهم المسألة ولا يكون فيه تغول يصل إلى ترفه وتبسط ليسلموا من آفات الغنى والفقر، (**فلم يطلب**) لهم (**من الدنيا إلا ما يتمحض خيره. وقال**) ﷺ أيضاً: (**«اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة»**) رواه الترمذي في الزهد من جامعه، والبيهقي في الشعب من طريق ثابت بن محمد، حدثنا الحارث بن النعمان، عن أنس رفعه باللفظ المذكور، وفيه زيادة: فقالت عائشة يا رسول الله. قال: «إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً». ورواه ابن ماجه إلى قوله: «زمرة المساكين» من طريق عطاء بن أبي رباح عن أبي

المساكين». واستعاذ إبراهيم ﷺ فقال: ﴿واجْنُبْني وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ [ابراهيم: ٣٥] وعني بها هذين الحجرين الذهب والفضة، إذ رتبة النبوّة أجل من أن يخشى عليها أن تعتقد الإلهية في شيء من هذه الحجارة، إذ قد كفى قبل النبوة عبادتها مع الصغر، وإنما معنى عبادتها حبها والاغترار بها والركون إليها. قال نبينا ﷺ: «تعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم تعس ولا انتعش وإذا شيك فلا انتقش»، فتبين أن محبهما

سعيد قال: أحبوا المساكين فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول في دعائه وذكره. ورواه الطبراني في الدعاء بدون قول أبي سعيد، وبلفظ «وتوفني» وفي لفظ عنده «اللهم توفني إليك فقيراً ولا توفني غنياً واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة» وأخرجه الحاكم وصححه بزيادة «وإن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة» وقد تقدم الكلام عليه.

(**واستعاذ إبراهيم ﷺ فقال**) الله تعالى في كتابه حكاية عنه: ﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ اعلم أن الناض الذي هو العين والورق حجر جعله الله تعالى سبباً للتعامل به كما تقدم ذكره وخادم كما ذكره، فقبيح بالحر المترشح لنيل الفضائل والاقتداء بالبار جل ثناؤه والوصول إلى الغنى الأكبر أن يتهافت بأكثر مما يحتاج إليه، ويجعل نفسه أقل رقيق وأخسه، فبرق ذوي الأطماع برق خلب ويكون معتكفاً فيه على حجر يعبده على ما قال: ﴿يعكفون على أصنام لهم﴾ [الأعراف: ١٣٨] (**و**) إنما (**عنى**) ابراهيم عليه السلام (**به**) أي بقوله المذكور في سؤاله من ربه أن يجنبه وبنيه عبادة (**هذين الحجرين الذهب والفضة**) والمراد بها الأعراض الدنيوية الصارفة عن الله. (**إذ رتبة النبوة أجلّ من أن يخشى عليها أن يعتقد**) هو وبنوه (**الإلهية**) واستحقاق العبادة (**في شيء من هذه الحجارة: إذ قد كفى قبل النبوة عبادتها مع الصغر، وإنما معنى عبادته حبه والاغترار به والركون إليه**) وقد قال في موضع آخر اشارة إلى ما يعم هذا المعنى وغيره: ﴿يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً﴾ [مريم: ٤٢] (**قال نبينا ﷺ**) في ذم من يجعل جاهه وبدنه ونفسه خادماً للمال وعبداً (**تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم**) قال في المصباح: تعس تعساً من باب نفع أكب على وجهه وعثر، وقيل: هلك، وقيل: لزمه الشر وهو تاعس، وتعس من باب تعب لغة فهو تعس مثل تعب، وفي الدعاء تعساً له وتعس وانتكس، فالتعس أن يخرّ لوجهه، والنكس أن لا يستقل بعد سقطه حتى يسقط ثانية وهي أشد من الأولى. (**تعس ولا انتعش**) يقال: انتعش العاثر نهض من عثرته ونعشه الله وأنعشه أقاله، (**وإذا شيك**) أي أصاب رجله الشوك (**فلا انتقش»**) أي لا أخرج الله منه ذلك. يقال: نقشت الشوكة نقشاً وانتقشتها إذا استخرجتها بالمنقاش. قال العراقي: رواه البخاري من حديث أبي هريرة، وأبو يعلى. ولم يقل ولا انتقش وإنما علق آخره بلفظ: تعس وانتكس، ووصل ذلك ابن ماجه والحاكم انتهى.

قلت: رواه البخاري من طريق أبي بكر بن عياش، عن أبي حصين، عن أبي صالح عن أبي

عابد لها ومن عبد حجراً فهو عابد صنم. بل كل من كان عبداً لغير الله فهو عابد صنم، أي من قطعه ذلك عن الله تعالى وعن أداء حقه فهو كعابد صنم، وهو شرك إلا أن الشرك شركان: شرك خفيّ لا يوجب الخلود في النار وقلما ينفك عنه المؤمنون فإنه أخفى من دبيب النمل، وشرك جليّ يوجب الخلود في النار نعوذ بالله من الجميع.

بيان تفصيل آفات المال وفوائده:

اعلم أن المال مثل حية فيها سم وترياق، ففوائده ترياقه، وغوائله سمومه. فمن عرف غوائله وفوائده أمكنه أن يحترز من شره، ويستدر من خيره.

هريرة مرفوعاً. وفي لفظ للعسكري من طريق الحسن عن أبي هريرة مرفوعاً «لعن» بدل «تعس». وسياق حديث ابن ماجه بعد قوله «الدرهم وعبد الحلة وعبد الخميصة إن أعطي رضي وإن لم يُعط سخط تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه». الحديث. وعزاه السيوطي في الجامع الكبير للبخاري أيضاً، وتقدم للمصنف في كتاب النكاح: «تعس عبد الزوجة» تبعاً لصاحب القوت، وقد ذكر العراقي هناك أنه لم يجد له أصلاً.

(فبين أن محبها عبد لها ومن عبد حجراً فهو عابد صنم، بل كل من كان عبداً لغير الله فهو عابد صنم) أي أن الغير يكون في حقه بمنزلة الصنم الذي يعبده المشركون، وأخبث حالاً منه الذي يتقرب إلى الأعراض بما يتقرب به إلى الله تعالى كأسمائه تعالى، وآيات كتابه إذا اتخذت ذريعة لتحصيل الدنيا، وكونه أخبث حالاً من المشركين لأن المشركين ادعوا أنهم يعبدون الحجارة لتقربهم إلى الله زلفى، وهؤلاء يلازمون الأسماء والدعوات لتقربهم إلى الدنيا زلفى ولا يخفى قبحه. **(وهو شرك إلا أن الشرك شركان: شرك خفي لا يوجب الخلود في النار وقلما ينفك عنه المؤمنون فإنه أخفى من دبيب النمل)** في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء كما ورد في الخبر «الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل على الصفا» رواه الحكيم من حديث ابن عباس، ورواه البزار من حديث عائشة بسند ضعيف. وروى هناد بن السري، والحكيم، وأبو يعلى، وابن المنذر، وابن السني في عمل يوم وليلة من حديث أبي بكر بسند حسن «الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل وسأدلك على شيء إذا فعلته أذهب عنك صغار الشرك وكباره» الحديث. **(وشرك جليّ يوجب الخلود في النار)** وهو عدم الإيمان بالله ورسله. نعوذ بالله من ذلك.

بيان تفصيل آفات المال وفوائده:

(اعلم) وفقك الله تعالى **(أن المال مثل حية فيها سم وترياق)** فسمها في فمها وترياقها في لحمها، **(ففوائده ترياقه)** النافع **(وغوائله سمومه)** المهلكة. **(فمن عرف فوائده وغوائله أمكنه أن يحترز من سمه[1] ويستدر من خيره)**. ويدعى ذلك، فالحكيم بتناوله له يجري مجرى

---

(١) وفي نسخة الأحياء: من شره.

أما الفوائد: فهي تنقسم إلى دنيوية ودينية:

أما الدنيويّة فلا حاجة إلى ذكرها فإن معرفتها مشهورة مشتركة بين أصناف الخلق، ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها. وأما الدينية فتنحصر جميعها في ثلاثة أنواع.

النوع الأوّل: أن ينفقه على نفسه إما في عبادة أو في الإستعانة على عبادة. أما في العبادة: فهو كالإستعانة به على الحج والجهاد، فإنه لا يتوصل إليهما إلا بالمال، وهما من أمهات القربات والفقير محروم من فضلهما. وأما فيما يقويه على العبادة: فذلك هو المطعم

راق حاذق تناول حية قد عرف نفعها وضرها وأمن شرها وسمها، فتيحرى بتناوله الوجه الذي ينتفع هو به وينفع غيره فهو مباح له تناوله، وغير الحكيم إذا تناوله فهو الجاهل استحسن الحية واستلان مسها، فظن أنها مستصلحة لأن يتقلد بها فجعلها سخاباً في عنقه فلدغته وقتلته، وكما لا يجوز للجاهل بالرقية غير العارف بنفع الحية أن يقتدي بالراقي في تناول الحية والتصرف فيها، كذلك لا يجوز للجاهل أن يقتدي بالحكيم في أعراض الدنيا، وكما أنه محال أن يسلك الأعمى طريقاً وعراً ويسلكه البصير من غير قائد اذ هو غير آمن أن يقع في وهدة، كذلك محال أن يسلك مستبد برأيه في تناول أعراض الدنيا طريقاً يسلكه الحكيم العالم، إذ هو غير آمن أن يقع في هاوية، وكما أن الغانية لا يجوز أن يدخل عليها ويخلو بها من الرجال إلا من كان مجبوباً يؤمن عليها كذلك الدنيا لا يجوز أن يتمكن منها إلا المقطوع عنها بالعفة والزهد لئلا تغره، وذلك كأمير المؤمنين علي رضي الله عنه حيث قال: يا حمراء يا بيضاء احمري وابيضي وغري غيري، ومن تصوّر ذلك علم أن الله تعالى قد أباح الدنيا كلها لأوليائه علماً بأنهم لا يتناولونها إلا على ما يجب وكما يجب، وإذا تناولوها وضعوها كما يجب وحيثما يجب، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾ [الأعراف: ١٢٨] وقال تعالى: ﴿يرثها عبادي الصالحون﴾ [الأنبياء: ١٠٥] فافهم ذلك.

(أما الفوائد فهي تنقسم إلى دنيوية ودينية.

أما الدنيوية: فلا حاجة إلى ذكرها، فإن معرفتها مشتركة بين أصناف الخلق، ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها.

وأما الدينية: فينحصر جميعها في ثلاثة أنواع.

النوع الأول: ان ينفقه على نفسه) وذلك **(إما في عبادة)** لله تعالى كلف بها **(أو في الاستعانة على عبادة. أما في العبادة: فهو كالاستعانة به على الحج)** إلى البيت الله الحرام **(الجهاد)** مع الكفار، **(فإنه لا يتوصل إليهما إلا بالمال)** فمن لا مال له كيف يحج أو كيف يجاهد؟ **(وهما من أمهات القربات والفقير محروم عن فضلهما)** ومن هنا قول الشاعر:

المرء يـــرفعـــه الغنـــــى والفقـــــر منقصــــة وذلّ

والملبس والمسكن والمنكح وضرورات المعيشة فإن هذه الحاجات إذا لم تتيسر كان القلب مصروفاً إلى تدبيرها فلا يتفرغ للدين، وما لا يتوصل إلى العبادة إلا به فهو عبادة، فأخذ الكفاية من الدنيا لأجل الإستعانة على الدين من الفوائد الدينية. ولا يدخل في هذا التنعم والزيادة على الحاجة فإن ذلك من حظوظ الدنيا فقط.

النوع الثاني: ما يصرفه إلى الناس، وهو أربعة أقسام: الصدقة، والمروءة، ووقاية العرض، وأجرة الاستخدام.

أما الصدقة؛ فلا يخفى ثوابها وإنها لتطفىء غضب الرب تعالى، وقد ذكرنا فضلها فيما تقدم.

وأما المروءة، فنعني بها صرف المال إلى الأغنياء والأشراف في ضيافة وهدية وإعانة وما يجري مجراها، فإن هذه لا تسمى صدقة، بل الصدقة ما يسلم إلى المحتاج إلا أن هذا من الفوائد الدينية إذ به يكتسب العبد الأخوان والأصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء

وفي الخبر «نعم العون على تقوى المال». (**وأما فيما يقويه على العبادة: فذلك هو المطعم والملبس والمسكن والمنكح وضرورات المعيشة**) التي لا يستغني عنها الإنسان، (**فإن هذه الحاجات إذا لم تتيسر كان القلب منصرفاً إلى تدبيرها فلا يتفرغ للدين وما لا يتوصل إلى العبادة إلا به فهو عبادة، فأخذ الكفاية من الدنيا لأجل الإستعانة على الدين من الفوائد الدينية. ولا يدخل في هذا التنعم**) والتلذذ (**والزيادة على الحاجة فإن ذلك من حظوظ الدنيا فقط**) وليس للآخرة فيها حظ.

(**النوع الثاني: ما يصرفه إلى الناس وهو أربعة أقسام: الصدقة، والمروءة ووقاية العرض، وأجرة الاستخدام**).

(**أما الصدقة: فلا يخفى ثوابها، وإنها لتطفىء غضب الرب تعالى**) كما ورد ذلك في الخبر. وفيها انفكاك من النار، وتمنع ميتة السوء، وتزيد في العمر، وتقي مصارع السوء، وتمنع سبعين نوعاً من أنواع البلاء أهونها الجذام والبرص وكل ذلك في الأخبار. (**وقد ذكرنا فضائلها**) فيما تقدم في كتاب الزكاة.

(**وأما المروءة**)، وقد اختلف في اشتقاقها هل هي من مرىء أو من المرء؟ وعلى أي حال (**فنعني بها**) هنا جلة الأخلاق المستحسنة التي منها (**صرف المال إلى الأغنياء والأشراف من ضيافة وهدية وإعانة**) للأخ في مضايقة، (**وما يجري مجراه، فإن هذا لا يسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم إلى محتاج**) وهذا يصرفه إلى غير محتاج (**إلا أن هذا من الفوائد الدينية إذ به يكتسب العبد الأخوان والأصدقاء، وبه يكتسب صفة السخاء ويلتحق بزمرة الأسخياء**)

ويلتحق بزمرة الأسخياء. فلا يوصف بالجود إلا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل المروءة والفتوة، وهذا أيضاً مما يعظم الثواب فيه فقد وردت أخبار كثيرة في الهدايا والضيافات وإطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها.

وأما وقاية العرض، فنعني به بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع ألسنتهم ودفع شرهم، وهو أيضاً مع تنجز فائدته في العاجلة من الحظوظ الدينية. قال رسول الله ﷺ: «ما وقى به المرء عرضه كتب له به صدقة»، وكيف لا وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة واحتراز عما يثور من كلامه من العداوة التي تحمل في المكافأة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة.

والأجواد، (**فلا يتصف بالجود إلا من يصنع المعروف**) مع أشراف الناس ووجودهم، (**ويسلك سبيل الفتوة والمروءة**). ومن هنا قيل لمعاوية رحمه الله تعالى: ما المروءة؟ فقال: إطعام الطعام وضرب الهام. وقيل لآخر: ما المروءة؟ فقال: جماعها في قوله تعالى: ﴿إنَّ الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ [النحل: ٩٠] الآية. وأما الفتوّة: فهي الإيثار بالدنيا على نفسه، (**وهذا أيضاً مما يعظم الثواب فيه، فقد وردت أخبار كثيرة في الهدايا والضيافات وإطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها**) مما تقدم ذكر بعضها في آداب الكسب، وفي آداب الأكل، وفي آداب الصحبة، إلا أن من جاء بماله لأجل الناس كان موصوفاً بالسخاء، ولكن ذلك لنفسه ولأجل هواه فهو موصوف بظاهر المروءة وبمعنى الفتوّة؟ ولا أجر له في الآخرة لأنه عمل لأجل نفسه لا لأجل ربه، وحصل في الدنيا شكره وذكره تعويضاً له من حرث الآخرة، لأن هذا حرث الدنيا، فلم يكن في الآخرة أضعافاً كثيرة.

(**وأما وقاية العرض: فنعني به بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع ألسنتهم ودفع شرهم، وهو أيضاً مع تنجز فائدته في العاجل من الحظوظ الدينية أيضاً. قال رسول الله ﷺ «ما وقى به المرء عرضه كتب له صدقة»**) رواه أبو يعلى من حديث جابر وقد تقدم، ورواه الطيالسي: «ما وقى به المؤمن عرضه فهو له صدقة». ورواه العسكري في الأمثال، والقضاعي في مسند الشهاب من طريق عبد الحميد بن الحسن الهلالي، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بلفظ «ما وقى به المؤمن عرضه فهو له صدقة» زاد القضاعي «وما انفق الرجل على أهله ونفسه كتب له صدقة» فقلت لمحمد بن المنكدر، وما معنى ما وقى به المرء عرضه؟ فقال: أن يعطي الشاعر أو ذا اللسان المتقى. (**وكيف لا**) يكون ذلك (**وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة واحتراز عما يثور من كلامه من العداوة التي تحمل في المكافأة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة؟**).

وأما الاستخدام، فهو أن الأعمال التي يحتاج إليها الإنسان لتهيئة أسبابه كثيرة، ولو تولاها بنفسه ضاعت أوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر والذكر الذي هو أعلى مقامات السالكين، ومن لا مال له فيفتقر إلى أن يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام وطحنه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج إليه، وكل ما يتصوّر أن يقوم به غيرك يحصل به غرضك فأنت متعوب إذا اشتغلت به، إذ عليك من العلم والعمل والذكر والفكر ما لا يتصوّر أن يقوم به غيرك فتضييع الوقت في غيره خسران.

النوع الثالث: ما لا يصرفه إلى إنسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودور المرضى ونصب الحباب في الطريق، وغير ذلك من الأوقاف المرصدة للخيرات، وهي من الخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة بركة أدعية الصالحين إلى أوقات متمادية، وناهيك بها خيراً. فهذه جملة فوائد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر، والوصول إلى العز

(وأما الاستخدام فهو أن الأعمال التي يحتاج إليها الإنسان لتهيئة أسبابه كثيرة، ولو) فرض أنه **(تولاها بنفسه ضاعت أوقاته)** فيها **(وتعذر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر)** في جلائل عظمة الله تعالى، **(والذكر الذي هو أعلى مقامات السالكين)** وبهما يتوصلون إلى معرفة الله تعالى. **(ومن لا مال له فيفتقر إلى أن يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام)** من السوق **(وطبخه)** وطحنه وعجنه **(وكنس البيت)** وغير ذلك من اللوازم، **(حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج إليه)** في أمور دينه فإنه من اللوازم الضرورية، **(وكل ما يتصور أن يقوم به غيرك ويحصل به غرضك فأنت متعوب)** خاسر الحظ **(إذا اشتغلت به. إذ عليك من العلم والعمل والفكر والذكر ما لا يتصور أن يقوم به غيرك، فتضييع الوقت في غير خسران)** وانتقاص حظ.

(النوع الثالث: ما لا يصرفه إلى إنسان معين ولكن يحصل به خير عام) للمسلمين **(كبناء المساجد)** أي إحداثها في محلات قوم يحتاجون إليها أو تعميرها ورم ما تشعث منها وتجديد مرافقها **(والقناطر)** في طريق العامة في المواضع المحتاج إليها **(والرباطات)** لأبناء السبيل وإدرار الرزق عليها **(ودور المرضى)** وتقييد من يخدمهم وينظر في مصالحهم وربط ما يصرف إلى أدويتهم، **(ونصب الحباب)** جمع حب أي مخازن المياه **(في الطرق)** المسلوكة خصوصاً في طريق الحرمين لعموم النفع بذلك، **(وغير ذلك من الأوقاف المرصدة للخيرات، وهي من الخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة بركة أدعية الصالحين إلى أوقات متادية)** أي متطاولة، **(وناهيك بها خيراً عظيماً. فهذه جملة فوائد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال)** فأي السؤال مطلقاً ذل ولو أين الطريق

والمجد بين الخلق، وكثرة الأخوان والأعوان والأصدقاء، والوقار والكرامة في القلوب، فكل ذلك مما يقتضيه المال من الحظوظ الدنيوية.

وأما الآفات، فدينية ودنيوية أما الدينية فثلاث:

الأولى: أن يجر إلى المعاصي فإن الشهوات متفاضلة والعجز قد يحول بين المرء والمعصية، ومن العصمة أن لا يجد. ومهما كان الإنسان آيساً عن نوع من المعصية لم تتحرك داعيته، فإذا استشعر القدرة عليها انبعثت داعيته والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور، فإن اقتحم ما اشتهاه هلك وإن صبر وقع في شدة إذ الصبر مع القدرة أشد وفتنة السراء أعظم من فتنة الضراء.

الثانية: أنه يجر إلى التنعم في المباحات وهذا أوّل الدرجات، فمتى يقدر صاحب المال على أن يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك لذائذ الأطعمة كما كان

(و) من الخلاص من (**حقارة الفقر**)، فإن الفقير حقير دائماً بمعنى أنه تستحقره النفوس والعيون كما قال الشاعر:

والمرء يـــرفعـــه الغنـــى　　　والفقـــر منقصـــة وذل

(**والوصول إلى العز والمجد بين الخلق**) كما قال المتنبي:

فلا مجد في الدنيـا لمن قـلّ مـالـه　　　ولا مـال في الدنيـا لمن قـلّ مجده

(**وكثرة الأخوان والأعوان والأصدقاء، والوقار**) عند الناس (**والكرامة في القلوب، فكل ذلك مما يقتضيه المال من الحظوظ**) العاجلة (**الدنيوية**).

(**وأما الآفات: فدينية ودنيوية. اما الدينية. فثلاثة:**

الأولى: أن تجر إلى المعاصي فإن الشهوات متقاضية)[1] والنفس جموح (**والعجز قد يحول بين المرء والمعصية**) كما قيل: (**ومن العصمة أن لا تقدر**) وفي لفظ: أن لا تجد. (**ومهما كان الانسان آيساً على نوع من المعصية لم تتحرك داعيته**) إليها ليأسه منها، (**فإن استشعر القدرة عليها انبعثت داعيته**) وتحركت شهوته، (**والمال من**) تمام (**القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور، فإن اقتحم ما اشتهاه**) وركب هوى نفسه (**هلك، وإن صبر وقع في شدة**) وساء خلقه (**إذا الصبر مع القدرة أشد**) من الصبر مع العجز، (**وفتنة السراء أعظم من فتنة الضراء**)، ولذا ورد: إني أخشى عليكم فتنة السراء.

(**الثانية: أن يجر إلى التنعم في المباحات، وهذا أول الدرجات. فمتى يقدر صاحب المال على أن يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن**) من صوف أو قطن، (**ويترك لذائذ**

---

(١) في الإحياء: « متفاضلة » بدلاً من: « متقاضية ».

يقدر عليه سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام في ملكه: فأحسن أحواله أن يتنعم بالدنيا ويمرن عليها نفسه، فيصير التنعم مألوفاً عنده ومحبوباً لا يصبر عنه، ويجره البعض منه إلى البعض، فإذا اشتد أنسه به ربما لا يقدر على التوصل إليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض في المراءاة والمداهنة والكذب والنفاق وسائر الأخلاق الرديئة، لينتظم له أمر دنياه ويتيسر له تنعمه، فإن من كثر ماله كثرت حاجته إلى الناس، ومن احتاج إلى الناس فلا بدّ وأن ينافقهم ويعصي الله في طلب رضاهم، فإن سلم الإنسان من الآفة الأولى وهي مباشرة الحظوظ فلا يسلم عن هذه أصلاً. ومن الحاجة إلى الخلق تثور العداوة والصداقة، وينشأ عنه الحسد والحقد والرياء والكبر والكذب والنميمة والغيبة وسائر المعاصي التي تخص القلب واللسان، ولا يخلو عن التعدي أيضاً إلى سائر الجوارح. وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة إلى حفظه، وإصلاحه.

الثالثة: وهي التي لا ينفك عنها أحد وهو أنه يلهيه إصلاح ماله عن ذكر الله تعالى، وكل ما شغل العبد عن الله فهو خسران، ولذلك قال عيسى عليه الصلاة والسلام: في المال ثلاث آفات، أن يأخذه من غير حله، فقيل: إن أخذه من حله؟ فقال: يضعه في

الأطعمة كما كان يقدر عليه سليمان عليه السلام في ملكه) كما تقدم في الكتاب الذي قبله؟ (**فأحسن أحواله أن يتنعم بالدنيا ويمرن عليه نفسه**) أي تتعوّد، (**فيصير التنعم مألوفاً عنده ومحبوباً لا يصبر عنه، ويجره البعض منه إلى البعض، فإذا اشتد أنسه به ربما لا يقدر على التوصل إليه بالكسب الحلال**) لضيقه (**فيقتحم**) أي يدخل (**الشبهات**) ويرتكبها (**ويخوض في المراءاة**) مع الناس (**والمداهنة والكذب والنفاق وسائر الاخلاق الرديئة**) من هذا الجنس، (**لينتظم له أمر دنياه ويتيسر له تنعمه، فإن من كثير ماله كثرت حاجته إلى الناس، ومن احتاج إلى الناس فلا بدّ وأن ينافقهم**) بأن يظهر له خلاف ما يبطنه (**ويعصى الله في طلب رضاهم**) لأجل مصلحة المال، (**فإن سلم إنسان من الآفة الأولى وهي مباشر المحظورات فلا يسلم عن هذه**) الآفة (**أصلاً، ومن الحاجة إلى الخلق تثور العداوة والصداقة، وينبني عليه الحقد والحسد والرياء والكبر والكذب والغيبة والنميمة وسائر المعاصي التي تخص القلب واللسان، ولا يخلو من التعدي أيضاً إلى سائر الجوارح. وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة إلى حفظه وإصلاحه**) وتنميته والوقوف بإزائه.

(**الثالثة: وهي التي لا ينفك عنها أحد وهو أن يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله تعالى، وكل ما شغل العبد عن الله فهو خسران**) ونقص حظ في حقه، (**ولذلك قال عيسى عليه السلام في المال ثلاث آفات، أن يأخذه من غير حله**) وهي الأولى، (**فقيل: إن أخذه من**

غير حقه، فقيل: إن وضعه في حقه، فقال: يشغله إصلاحه عن الله تعالى، وهذا هو الداء العضال. فإن أصل العبادات ومخها وسرها ذكر الله والتفكر في جلاله، وذلك يستدعي قلباً فارغاً وصاحب الضيعة يمسي ويصبح متفكراً في خصومة الفلاح ومحاسبته، وفي خصومة الشركاء ومنازعتهم في الماء والحدود، وخصومة أعوان السلطان في الخراج، وخصومة الأجراء على التقصير في العمارة، وخصومة الفلاحين في خيانتهم وسرقتهم. وصاحب التجارة يكون متفكراً في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل وتضييعة للمال. وكذلك صاحب المواشي. وهكذا سائر أصناف الأموال. وأبعدها عن كثرة الشغل: النقد المكنوز تحت الأرض، ولا يزال الفكر متردداً فيما يصرف إليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف مما يعثر عليه وفي دفع أطماع الناس عنه، وأودية أفكار الدنيا لا

حله **فقال يضعه في غير حقه)** وهي الثانية، **(فقيل: إن وضعه في حقه فقال: يشغله إصلاحه عن الله تعالى)** وهي الثالثة. **(وهذا هو الداء العضال)** الذي أعيت عنه الأطباء، **(فإن أصل العبادات ومخها وسرّها)** أي خلاصتها **(ذكر الله تعالى والتفكر في جلاله وعظمته وكبريائه، وذلك يستدعي قلباً فارغاً)** عن الشواغل الحسية والمعنوية والمشوّشات الخارجة والداخلة، **(وصاحب)** المال بأنواعه لا يكاد يفارقه الشغل الظاهر والباطن، فإنه إما ضيعة يستغلها وإما تجارة في أصناف الامتعة أو غير ذلك، فصاحب **(الضيعة)** له شواغل كثيرة، فإنه **(يمسي ويصبح متفكراً في خصومة الفلاح)** الذي يتقيد بزراعة الأرض **(ومحاسبته)** على ما تخرجه الأرض من أصناف الحبوب، **(و)** هذا إن لم يكن له شركاء في حصته فإن كانوا فلا يسلم أن يشتغل **(في خصومة الشركاء ومنازعتهم)** في المحاسبة، وإلاّ فمع جيرانه ينازعهم **(في)** قسمة **(الماء)** الذي يسقي به أرضه، **(والحدود)** وكم من دماء تراق بي غير حق عند قسم الماء وتعيين الحدود، **(و)** إن سلم من هذه الآفات فلا يكاد يسلم من **(خصومة أعوان السلطان في)** مطالبة **(الخراج)** فإنهم يطالبونه بأكثر مما هو لهم فتقع الخصومة، **(و)** إن سلم منها لا يسلم من **(خصومة الأجراء على التقصير في العمارة)** للضيعة والقيام بأودها، **(و)** هو مع ذلك لم يزل في **(خصومة الفلاحين في خيانتهم وسرقتهم)**. ولذلك قال ﷺ «لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا». رواه ابن مسعود وقد تقدم قريباً في هذا حال صاحب الضيعة. **(و)** أما **(صاحب التجارة)**؟ فإنه **(يكون متفكراً في خيانة شريكه وإنفراده بالربح)** دونه، **(وتقصيره في العمل وتضييعه للمال)** فمتى يفرغ قلبه ويصفو فكره في ذكر الله ومعرفته، **(وكذلك صاحب المواشي)** المتخذة للتجارة فإنه كذلك في شغل شاغل. **(وهكذا سائر أصناف الأموال)** على تباينها **(وأبعدها عن كثرة الشغل النقد)** من العين والورق **(المكنوز تحت الأرض)** أو في الصناديق، **(ولا يزال الفكر متردداً فيما يصرف إليه)** فتارة يقول: يشتري به عقاراً أو ضيعة أو متاعاً، وتارة يقول: يشتري به رقيقاً وملابس، **(و)** يتردد أيضاً **(في كيفية حفظه وفي**

نهاية لها، والذي معه قوت يومه في سلامة من جميع ذلك. فهذه جملة الآفات الدنيوية سوى ما يقاسيه أرباب الأموال في الدنيا من الخوف والحزن والغم والهم والتعب في دفع الحساد وتجشم المصاعب في حفظ المال وكسبه، فإذاً ترياق المال أخذ القوت منه وصرف الباقي إلى الخيرات وما عدا ذلك سموم وآفات. نسأل الله تعالى السلامة وحسن العون بلطفه وكرمه إنه على ذلك قدير.

بيان ذم الحرص والطمع، ومدح القناعة واليأس مما في أيدي الناس:

اعلم أن الفقر محمود ـ كما أوردناه في كتاب الفقر ـ ولكن ينبغي أن يكون الفقير قانعاً منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت إلى ما في أيديهم ولا حريصاً على اكتساب المال كيف كان، ولا يمكنه ذلك إلا بأن يقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس والمسكن، ويقتصر على أقله قدراً وأخسه نوعاً، ويرد أمله إلى يومه أو إلى شهره، ولا يشغل قلبه

الخوف ممن يعثر) أي يطلع **(عليه)** فيشير به للظلمة **(وفي دفع أطماع الناس عنه، وأودية أفكار أهل الدنيا لا نهاية لها)** ولا مطمع في الخلاص منها، **(والذي معه قوت يومه في سلامة عن جميع ذلك. فهذه جمل الآفات الدنيوية سوى ما يقاسيه أرباب الأموال في الدنيا من الخوف)** على أنفسهم من جور الظلمة **(والحزن والغم والهمّ والتعب في دفع الحساد)** عنهم **(وتجشم المصاعب)** أي تحمل المشاق **(في حفظ الأموال وكسبها، فإذاً ترياق المال أخذ القوت منه)** فقط **(وصرف الباقي إلى الخيرات)** من الصدقات ومؤاساة الإخوان **(وما عداه سموم وآفات)** مهلكات.

بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة واليأس مما في أيدي الناس:

(اعلم) أرشدك الله تعالى **(أن الفقر محمود ـ كما أوردناه في كتاب الفقر ـ ولكن ينبغي أن يكون الفقير قانعاً)** بالقليل **(منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت إلى ما في أيديهم ولا حريصاً على اكتساب المال)** من حيث اتفق و **(كيف كان، ولا يمكنه ذلك إلا بأن يقنع بقدرة الضرورة من المطعم والملبس والمسكن، ويقتصر)** من كل منها **(على أقله قدراً وأخسه نوعاً)** ففي المطعم يقتصر على خبز الشعير أو خبز الذرة فإنهما أرخص سعراً من الحنطة، وفي الأدام يقتصر على الجبن أو الإقط أو الفجل أو الكراث أو على الزيت ونحوها. وفي الملبس على قميص من كرباس غليظ أو على جبة من الجبات التي تعمل من صوف الغنم، فإنها أقل كلفة وأرخص سعراً وأمتع في المكث، **(و)** يقنع أيضاً **(برّد أمله إلى يومه)** إن امكنه **(وإلى شهره)** وإليه انتهت الرخصة، **(ولا يشغل قلبه بما بعد شهر)** فإنه يعد في طول الأمل **(فإن**

بما بعد شهر . فإن تشوّق إلى الكثير أو طول أمله فاته عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذل الحرص ، وجره الحرص والطمع إلى مساوىء الأخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروءات ، وقد جبل الآدمي على الحرص والطمع وقلة القناعة . قال رسول الله ﷺ : « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب » ، وعن أبي واقد الليثي قال : كان رسول الله ﷺ إذا أوحى

تشوّق إلى الكثير أو طول الأمل فاته عز القناعة وقد انس[1] **لا محالة بالطمع وذل الحرص ، وجره الحرص إلى مساوىء الأخلاق)** ومذامها **(وارتكاب المنكرات الخارقة للمروءات)** فيخرج عن حد الإنسانيـة ، **(وقـل جبـل الآدمـي على الحرص والطمـع وقلـة القناعة)** إلا من وفقه الله تعالى وعصمه . **(قال رسول الله ﷺ : « لو كان لابن آدم واديان من ذهب)** وفي رواية : لو أن لابن آدم وادياً مالاً ، وفي أخرى من مال بدل من ذهب ، وفي أخرى من ذهب وفضة **(لابتغى)** أي طلب **(إليها ثالثاً)** عداه بأل لنضمن الابتغاء معنى الضم يعني لضمّ إليها ثالثاً **(ولا يملأ جوف ابن آدم)** وفي أخرى : نفس ابن آدم ، وفي أخرى ولا يسد بدل ولا يملأ ، وفي أخرى ولا يملأ عين ابن آدم ، وفي أخرى بطن بدل عين ، وليس المراد عضواً بعينه والغرض من العبارات كلها واحد **(إلا التراب)** أي لا يزال حريصاً على الدنيا حتى يموت ويمتلىء جوفه من تراب قبره ، والمراد بابن آدم الجنس باعتبار طبعه ، وإلاّ فكثير منهم يقنع بما أعطى ولا يطلب زيادة ، ولكن ذلك عارض له من الهداية إلى التوبة كما يومىء إليه قوله : **(ويتـوب الله على من تاب »)** أي يقبل التوبة من الحرص المذموم ومن غيره ، أو تاب بمعنى وفق أي وفقه يعني جبل الآدمي على حب الحرص إلا من وفقه الله وعصمه ، فوضع يتوب موضع إلا من عصمه الله إشعاراً بأن هذه الجبلة مذمومة جارية مجرى الذنب . وأن إزالتها ممكنة بالتوفيق . وفي ذكر ابن آدم دون الانسان إيماء إلى أنه خلق من تراب طبعه القبض واليبس وإزالته ممكنة بأن يمطر الله عليه من غمامة توفيقه . وهذا اللفظ أخرجه الطبراني في الكبير من حديث أبي بن كعب إلا أنه قال : « لو كان للإنسان واديان من المال » وفيه « ثم يتوب » والباقي سواء .

ورواه الطيالسي ، وأحمد ، والدارمي ، والشيخان ، والترمذي وقال : حسن صحيح غريب ، وابن حبان من حديث أنس ورواه البخاري في التاريخ ، والبزار ، والروياني ، وأبو عوانة ، والضياء من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه رفعه ، ورواه أحمد والشيخان من حديث ابن عباس ، ورواه البخاري في الصحيح من حديث عبدالله بن الزبير ، ورواه الطبراني في الكبير ، والضياء من حديث سعد بن أبي وقاص . ورواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة ولفظهم جميعاً « لو كان لابن آدم واد من مال لابتغى إليه ثانياً ، ولو كان له واديان لابتغى لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب » .

---

(١) في الإحياء : « وتدنس » بدلاً من : « وقد أنس » .

إليه أتيناه يعلمنا مما أوحى إليه، فجئته ذات يوم فقال: « إن الله عز وجل يقول: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ولو كان لابن آدم واد من ذهب لأحب أن يكون له ثان ولو كان له ثان لأحب أن يكون لهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب »، وقال أبو موسى الأشعري: نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها. إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب.

وروى أحمد، وأبو يعلى، وأبو عوانة، وابن حبان، والضياء من حديث جابر بلفظ « لو كان لابن آدم وادٍ من نخل لتمنى مثله ثم تمنى مثله حتى يتمنى أودية ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ». قال الهيثمي: رجال أبي يعلى، والبزار رجال الصحيح. وقال ابن حبان: تفرد الأعمش بقوله: « من نخل ».

وروى ابن عساكر من حديث أبي هريرة « لو أن للإنسان واديين من مال لابتغى وادياً ثالثاً ولا يملأ نفس ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب ».

(وعن أبي واقد) الحرث بن مالك **(الليثي)** المدني رضي الله عنه، مات سنة ثمان وستين، وهو ابن خمس وثمانين على الصحيح، روى له الجماعة. وعنه أبو مرة مولى عقيل بن أبي طالب **(قال: كان رسول الله ﷺ إذا أوحى إليه أتيناه يعلمنا مما أوحى إليه، فجئته ذات يوم فقال « إن الله عز وجل يقول: إنا نزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ولو أن لابن آدم وادياً من ذهب لأحبّ أن يكون إليه الثاني، ولو كان له الثاني لأحب أن يكون إليهما الثالث، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب »)** قال العراقي: رواه أحمد، والبيهقي في الشعب بسند صحيح انتهى.

قلت: وكذلك رواه الطبراني في الكبير، والضياء. وروى الطبراني فيه من حديث أبي أمامة « لو أن لابن آدم واديين لتمنى وادياً ثالثاً وما جعل المال إلا لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، ولا يشبع ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب » ورواه الحسن بن سفيان، وأبو نعيم في الحلية بلفظ: كنا نأتي النبي ﷺ فإذا نزل عليه شيء من القرآن أخبرنا به فقال لنا ذات يوم: « قال الله تعالى إنا انزلنا المال » الحديث.

(وقال أبو موسى الأشعري) رضي الله تعالى عنه: **(نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها: « إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على ما تاب »)** قال العراقي: رواه مسلم مع اختلاف دون قوله « إن الله يؤيد هذا الدين ». ورواه بهذه الزيادة الطبراني وفيه علي ابن زيد متكلم فيه انتهى.

وقال ﷺ : « منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال » ، وقال ﷺ : « يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان : الأمل وحب المال » أو كما قال.

قلت : الجملة الأولى من الحديث قد رواها النسائي، وابن حبان، والطبراني في الأوسط، والضياء من حديث أنس، ورواه أحمد، والطبراني في الكبير من حديث أبي بكرة. ورواه البزار من حديث كعب بن مالك.

(وقال ﷺ « منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال ») النهمة: شدة الحرص على الشيء، ومنه النهوم من الجوع كما في النهاية.

قال الطيبي: إن ذهب في الحديث إلى الأصل كان لا يشبعان استعارة لعدم انتهاء حرصهما ،وإن ذهب إلى الفرع يكون تشبيهاً جعل إفراد المنهوم ثلاثة: أحدها: المعروف وهر المنهوم من الجوع، والآخران من العلم والدنيا وجعلهما أبلغ من المتعارف. ولعمري أنه كذلك. وإن كان المحمود منهما هو العلم ومن ثم أمر الله تعالى ورسوله ﷺ بقوله: ﴿وقل ربي زدني علماً﴾ ويعضده قول ابن مسعود عقبه: ولا يستويان. أما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان، وأما صاحب العلم فيزداد من رضا الرحمن.

وقال الراغب: النهم بالعلم استعارة، وهو أن يحمل على نفسه ما تقصر قواها عنه فينبت والمنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى. وقال الماوردي: في الحديث تنبيه أن العلم يقتضي مما بقي منه ويستدعي ما تأخر عنه، وليس للراغب فيه قناعة ببعضه. قال العراقي: رواه الطبراني من حديث ابن مسعود بسند ضعيف انتهى.

قلت: لفظ الطبراني « منهومان لا يشبع طالبهما طالب علم وطالب الدنيا » ولفظه من حديث ابن عباس « منهومان لا يقضي واحد منهما نهمته منهوم في طلب العلم لا يقضي نهمته ومنهوم في طلب الدنيا لا يقضي نهمته». وهكذا رواه أيضاً ابن خيثمة في كتاب العلم، وقد رواه ابن عدي، والقضاعي من حديث حميد عن أنس بلفظ « منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا » قال ابن عدي: فيه محمد بن يزيد كان يسرق الحديث فيحدث بأشياء منكرة، ومن ثم قال ابن الجوزي في العلل: حديث لا يصح، وقد رواه كذلك البزار من حديث ابن عباس، وفيه ليث بن أبي سليم ضعيف، ورواه الحاكم من طريق قتادة عن أنس بلفظ « منهومان لا يشبعان منهوم في علم لا يشبع ومنهوم في دنيا لا يشبع » وقد رواه كذلك ابن عدي عن الحسن مرسلاً.

(وقال ﷺ « يهرم ابن آدم) أي يكبر **(وتشب)** وفي رواية تبقى **(منه)** خصلتان **(اثنتان)** استعارة يعني تستحكم الخصلتان في قلب الشيخ كاستحكام قوّة الشباب في شبابه. **(الأمل وحب المال »)** وفي نسخة وحب الدنيا. والرواية: الحرص وطول الأمل. وفي أخرى: الحرص والأمل، وفي أخرى: الحرص على المال والحرص على العمر، وفي أخرى: حب الدنيا وطول الأمل. وكان المصنف راعى ذلك فتأدب وقال: **(ـ أو كما قال)** ﷺ . وإنما لم تكبر هاتان

ولما كانت هذه جبلة للآدمي مضلة وغريزة مهلكة أثنى الله تعالى ورسوله على القناعة، فقال ﷺ: « طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به »، وقال ﷺ: « ما من أحد فقير ولا غني إلا ودّ يوم القيامة أنه كان أوتي قوتاً في الدنيا »، وقال ﷺ: « ليس الغني عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس »، ونهى عن شدة

الخصلتان لأن المرء جبل على حب الشهوات، وإنما تنال هي بالمال والعمر، والنفس معدن الشهوات وأمانيها لا تنقطع فهي أبداً فقيرة لتراكم الشهوات عليها قد برح بها خوف القوت وضيق عليها فهي مفتونة بذلك، وخلصت فتنتها إلى القلب فأصمته عن الله واعمته، قال العراقي: متفق عليه من حديث أنس.

قلت: وكذا رواه أحمد، وابن ماجه، والنسائي ولفظهم جيمعاً « يهرم ابن آدم ويبقى منه اثنتان الحرص والأمل » وأخرجه الشيخان تعليقاً، وفي رواية ابن ماجه « وطول الأمل » ورواه الطيالسي، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان بلفظ « وتشب منه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر ». وقد رواه بهذا اللفظ من حديث سمرة، وفي لفظ للبخاري « لا يزال قلب الكبير شاباً في اثنتين في حب المال وطول الأمل ».

(ولما كانت هذه جبلة للآدمي مضلة وغريزة مهلكة أثنى الله تعالى ورسوله) ﷺ (على القناعة فقال ﷺ: « طوبى لمن هدى إلى الإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به ») قال العراقي رواه الترمذي وصححه، والنسائي في الكبير من حديث فضالة بن عبيد، ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو « وقد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه » اهـ.

قلت: حديث فضالة بن عبيد أخرجه أيضاً ابن المبارك، والطبراني في الكبير، والحاكم، وابن حبان. وروى البيهقي من حديث ابن الحويرث، والديلمي من حديث عبد الله بن الحرث « طوبى لمن رزقه الله الكفاف ثم صبر عليه ». وحديث عبد الله بن عمر أخرجه أيضاً أحمد، والترمذي، وابن ماجه. ورواه أبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الشعب بلفظ « قد أفلح من أسلم وكان رزقه كفافاً وصبر على ذلك ».

(وقال ﷺ: « ما من أحد غني ولا فقير إلا ودّ يوم القيامة أنه كان أوتي قوتاً في الدنيا ») قال العراقي: رواه ابن ماجه من رواية نفيع بن الحرث عن أنس ونفيع ضعيف اهـ.

قلت: ورواه أيضاً أحمد، وعبد بن حميد، وأبو نعيم في الحلية بلفظ « ما من أحد يوم القيامة غني ولا فقير إلا ودّ انما كان أوتي من الدنيا قوتاً ». ورواه ابن الجوزي في الموضوعات فأفرط. وروى أبو نعيم في الحلية من طريق أبي وائل عن ابن مسعود قال « ما أحد من الناس يوم القيامة إلا يتمنى أنه كان يأكل في الدنيا قوتاً ».

(وقال ﷺ « ليس الغنى) بالكسر مقصوراً أي الحقيقي النافع المفيد **(عن كثرة العرض)**

الحرص والمبالغة في الطلب فقال: «ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة».

وروي أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال: أيّ عبادك أغنى؟ قال: أقنعهم بما أعطيته، قال: فأيهم أعدل؟ قال: من أنصف من نفسه. وقال ابن مسعود: قال رسول الله ﷺ: «إن روح القدس نفث في روعي إن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب». وقال أبو هريرة: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة إذا

محركة كما في المشارق وبفتح وسكون كما في المقاييس لابن فارس، والمراد به متاع الدنيا. قيل: وكأنه أراد بالعرض مقابل الجوهر، وعند أهل السنة مالا يبقى زمانين فشبه به متاع الدنيا في سرعة زواله وعدم بقائه يعني ليس الغنى المحمود ما حصل عن كثرة المتاع لأن كثيراً ممن وسع الله عليه لا ينتفع بما أوتي بل هو متجرد في الازدياد، ولا يبالي من أين يأتيه فكأنه فقير لشدة حرصه، فالفقير حريص ذاتي (**إنما الغنى**) المحمود المعتبر عند أهل الكمال (**غنى النفس**) أي استغناؤها بما قسم لها وقناعتها ورضاها به. وفي رواية: «ولكن الغنى» وفي أخرى «غنى القلب» بدل «غنى النفس». قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة.

قلت: ورواه كذلك أحمد، وهناد بن السري، والترمذي، وابن ماجه، ورجال أحمد رجال الصحيح، ورواه أيضاً أبو يعلى، والطبراني في الأوسط، والضياء من حديث أنس، وروى الديلمي بلا سند من حديث أنس «الغنى غنى النفس والفقر فقر النفس». وروى العسكري في الأمثال من طريق معاوية ابن صالح، عن عبد الرحمن بن جبير، عن أبيه، عن أبي ذر في حديث أوله «يا أبا ذر أترى أن كثرة المال هو الغنى إنما الغنى غنى القلب والفقر فقر القلب».

(**ونهى**) ﷺ (**عن شدة الحرص**) في الدنيا (**و**) عن (**المبالغة في الطلب**) لاعراضها الزائلة (**فقال: «ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة»**) رواه الحاكم من حديث جابر بنحوه وصححه، وقد تقدم في آداب الكسب والمعاش. وروى ابن ماجه: والحاكم والطبراني، والبيهقي من حديث أبي حميد الساعدي «أجملوا في طلب الدنيا فإنا كلاً ميسر لما كتب له». وعند ابن عساكر من حديث ابن عمر: «أجملوا في طلب الدنيا فإن الله قد تكفل بارزاقكم».

(**وروي أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال: أي رب أي عبادك أغنى؟ قال: أقنعهم بما أعطيته. قال: فايهم أعدل؟ قال: من أنصف من نفسه**). نقله صاحب القوت، (**وقال ابن مسعود**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ «إن روح القدس نفث في روعي إن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب**) ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوا شيئاً من فضل الله بمعصية الله فإنه لن ينال ما عند الله إلا بطاعته». رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القناعة، والعسكري في الأمثال، والحاكم بهذا اللفظ إلى قوله «إلا بطاعة»

اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار »، وقال أبو هريرة رضي الله عنه. قال رسول الله ﷺ: « كن ورعاً، تكن أعبد الناس، وكن قنعاً تكن أشكر الناس، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً »، ونهى رسول الله ﷺ عن الطمع فيما رواه أبو أيوب الأنصاري: أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال: « يا رسول الله عظني وأوجز فقال: « إذا صليت فصلّ صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غداً، وأجمع اليأس مما في أيدي الناس »، وقال عوف بن مالك الأشجعي: كنا عند رسول الله

وليس عندهم « فاتقوا الله » وإنما فيه « فاجملوا » وقالوا: حتى تستوفي بدل تستكمل. ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي أمامة وفيه « حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها فاجملوا في الطلب » والباقي سواء، وقد تقدم في آداب الكسب والمعاش، وكذا الكلام في النفث في الروع.

(**وقال أبو هريرة**) رضي الله عنه، (**قال لي رسول الله ﷺ: « إذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار »**) أغفله العراقي، وقد تقدم ذكره في كتاب رياضة النفس، وهو في الكامل لابن عدي في ترجمة ماضي بن محمد بن مسعود الغافقي بلفظ « يا أبا هريرة إذا اشتد كلب الجوع فعليك برغيف وجر من ماء القراح وقل على الدنيا وأهلها من الدمار » ورواه البيهقي أيضاً كذلك.

(**وقال أبو هريرة**) رضي الله عنه، (**قال رسول الله ﷺ: « كن ورعاً، تكن أعبد الناس، وكن قنعاً تكن أشكر الناس، وأحب لأخيك ما تحب لنفسك تكن مؤمناً**)، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً، وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب » رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق، والبيهقي في الشعب من رواية وائل عن أبي هريرة، ورواه الخرائطي أيضاً من حديث أبي الدرداء بلفظ: « يا أبا الدرداء أحسن جوار من جاورك تكن مؤمناً، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً، وارض بقسمة الله لك تكن من أغنى الناس؟ وسنده ضعيف وقد تقدم الكلام عليه في آداب الصحبة.

(**ونهى ﷺ عن الطمع فيما رواه أبو أيوب الأنصاري**) رضي الله عنه (**أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله عظني وأوجز. فقال « إذا صليت فصلّ صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غداً، واجمع اليأس مما في أيدي الناس »**) رواه ابن ماجه في الزهد من سننه من طريق عثمان بن جبير مولى أبي أيوب عنه ولفظه: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله علمني وأوجز. قال: إذا قمت في صلاتك فصلّ صلاة مودع ولا تكلم بكلام يعتذر منه، واجمع اليأس عما في أيدي الناس». ورواه ابن عساكر في التاريخ هكذا. ورواه الخرائطي في مكارم الاخلاق مقتصراً على الجملتين.

وفي الأمثال للعسكري من طريق القعنبي، حدثنا محمد بن أبي حمية، حدثني إسماعيل بن محمد بن

ﷺ - تسعة أو ثمانية أو سبعة - فقال: «ألا تبايعون رسول الله» قلنا: أوَليس قد بايعناك يا رسول الله؟ ثم قال: «ألا تبايعون رسول الله» فبسطنا أيدينا فبايعناه فقال

سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، عن جده أن رجلاً قال: يا رسول الله أوصني وأوجز، فقال «عليك باليأس مما في أيدي الناس فإنه الغنى، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر، وصلّ صلاتك وأنت مودع وإياك وما يعتذر منه». وأخرجه أبو نعيم في المعرفة من حديث ابن أبي فديك، عن حماد بن أبي حميد وهو لقب محمد به. وقال: إن رجلاً من الأنصار. ورواه الحاكم في الرقاق من صحيحه من حديث أبي عامر القعدي، حدثنا محمد بن أبي حميد مثله بدون تعيين كونه من الأنصار، وقال: إنه صحيح الاسناد ولم يخرجاه، وتعقب بان ابن أبي حميد مجمع على ضعفه، ويروى نحوه عن جابر مرفوعاً أخرجه الطبراني في الاوسط بلفظ: «إياكم والطمع فإنه هو الفقر وإياكم وما يعتذر منه».

وعن ابن عمر أخرجه القضاعي في مسنده من طريق ابن منيع، حدثنا الحسن بن راشد بن عبد ربه، حدثني أبي، عن نافع، عن ابن عمر قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله حدثني حديثاً واجعله موجزاً لعلي أعيه. فقال ﷺ: «صلّ صلاة مودع كأنك لا تصلي بعدها، وأيس مما في أيدي الناس تعش غنياً، وإياك وما يعتذر منه». وكذا هو في السادس من فوائد المخلص، حدثنا عبد الله هو البغوي ابن بنت أحمد بن منيع، حدثنا ابن راشد به. وأخرج العسكري عن ابن منيع أيضاً به. ورواه الطبراني في الأوسط، عن البغوي، حدثنا الحسن بن علي الواسطي، عن ابن أبي راشد، أخبرني أبي راشد، عن عبدالله عن نافع، سمعت ابن عمر وذكر نحوه بلفظ «صلاة مودع فإنك ان كنت لا تراه فإنه يراك». ورواه الدارقطني في الافراد وسمى ابن راشد الحسن كالجمهور، وقال: إنه غريب من حديث نافع عن ابن عمر. تفرد به راشد عنه ولم يروه عنه غير ابنه الحسن.

وعن سعد بن عمارة: أخرجه الطبراني في الكبير من طريق ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم وغيره، عن سعد بن عمارة أخي بني سعد بن بكر، وكانت له صحبة أن رجلاً قال له: عظني في نفسي يرحمك الله. قال: «إذا انتهيت إلى الصلاة فاسبغ الوضوء فإنه لا صلاة لمن لا وضوء، ولا إيمان لمن لا صلاة له، ثم إذا صليت فصلّ صلاة مودع، واترك طلب كثير من الحاجات فإنه فقر حاضر، واجمع اليأس مما هو في أيدي الناس فإنه هو الغنى، وانظر مما يعتذر منه من القول والفعل فاجتنبه» وهو موقوف. وكذا أخرج البخاري في التاريخ من طريقين إلى ابن إسحاق قال في احداهما: إنه سعد، وفي الأخرى أنه سعيد، ورجح أنه سعد. وأخرجه أحمد في كتاب الإيمان، والطبراني، ورجاله ثقات، وقد تقدم ذلك في كتاب أسرار الصلاة مختصراً.

(وقال عوف بن مالك) بن أبي عوف **(الأشجعي)** الغطفاني، أبو حماد رضي الله عنه. من مسلمة الفتح وتحول إلى الشام في خلافة أبي بكر، فنزل حمص وبقي إلى أوّل خلافة عبد الملك بن مروان، ومات سنة ثلاث وسبعين، روى له الجماعة: **(كنا عند رسول الله ﷺ - تسعة أو ثمانية أو سبعة - فقال: «ألا تبايعون رسول الله ﷺ»؟ قلنا: أو ليس قد بايعناك يا رسول الله؟**

قائل منا، قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك؟ قال: «أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وتصلوا الخمس، وأن تسمعوا وتطيعوا» وأسر كلمة خفية: «ولا تسألوا الناس شيئاً»، قال: فلقد كان بعض أولئك النفر يسقط سوطه فلا يسأل أحداً أن يناوله إياه.

الآثار: قال عمر رضي الله عنه: إن الطمع فقر وإن اليأس غنى وإنه من ييأس عما في أيدي الناس استغنى عنهم. وقيل لبعض الحكماء: ما الغنى؟ قال: قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك، وفي ذلك قيل:

العيش ساعات تمر	وخطوب أيام تكر
اقنع بعيشك ترضه	واترك هواك تعيش حر
فلرب حتف ساقه	ذهب وياقوت ودر

وكان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء ويأكله ويقول: من قنع بهذا لم يحتج إلى

ثم قال: «ألا تبايعون رسول الله»؟ فبسطنا أيدينا فبايعناه، فقال قائل منا: قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك؟ قال: «أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وتصلوا الصلوات الخمس، وتسمعوا وتطيعوا» وأسرّ كلمة خفية «ولا تسألوا الناس شيئاً» قال: فلقد كان بعض أولئك النفر يسقط سوطه فلا يسأل أحداً أن يناوله إياه). قال العراقي: رواه مسلم من حديثه، ولم يقل فقال قائل، ولا قال وتسمعوا وقال: سوط أحدهم وهي عند أبي داود، وابن ماجه كما ذكرها المصنف اهـ.

قلت: وعزاه السيوطي في الجامع الكبير إلى مسلم، والنسائي، والطبراني في الكبير، وابن حبان ولفظهم «ألا تبايعون على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وإن تقيموا الصلوات الخمس، وتؤتوا الزكاة، وتسمعوا وتطيعوا ولا تسألوا الناس شيئاً».

(**الآثار قال عمر رضي الله عنه: إن الطمع فقر، وإن اليأس غنى وإنه من يأس مما عند الناس استغنى عنهم**). رواه هشام بن عروة عن أبيه. قال عمر: اعملوا فساقه. (**وقيل لبعض الحكماء: ما الغنى؟ قال: قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك، ولذلك قيل:**

(**العيش ساعات تمر**) وفي نسخة أوقات (**وخطوب أيام تكر**)

(**اقنع بعيشك ترضه**	**واترك هواك تعيش حر**)
(**فلرب حتف ساقه**	**ذهب وياقوت ودر**)

(**وكان محمد بن واسع**) البصري رحمه الله تعالى (**يبل الخبز اليابس بالماء ويأكله ويقول: من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد**) أخرجه أبو نعيم في الحلية. (**وقال سفيان**) الثوري رحمه الله

أحد . وقال سفيان: خير دنياكم ما لم تبتلوا به وخير ما ابليتم به ما خرج من أيديكم وقال ابن مسعود: ما من يوم إلا وملك ينادي: يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك. وقال سميط بن عجلان: إنما بطنك يا ابن آدم شبر في شبر فلم يدخلك النار؟ وقيل لحكيم: ما مالك؟ قال: التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في أيدي الناس. ويروى أن الله عز وجل قال: يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت، وإذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا إليك محسن. وقال ابن مسعود، إذا طلب أحدكم الحاجة فليطلبها طلباً يسيراً ولا يأتي الرجل فيقول: إنك وإنك فيقطع ظهره، فإنما يأتيه ما قسم له من الرزق أو ما رزق. وكتب بعض بني أمية إلى أبي حازم ـ يعزم عليه الا رفع إليه حوائجه ـ فكتب إليه: قد رفعت حوائجي إلى مولاي فما أعطاني منها قبلت وما أمسك عني قنعت. وقيل لبعض الحكماء:

تعالى: (**خير دنياكم ما لم تبتلوا به وخير ما أبتليتم به ما خرج من أيديكم**) أخرجه أبو نعيم في الحلية. (**وقال ابن مسعود**) رضي الله عنه: (**ما مر يوم إلا وملك ينادي: يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك**) كذا في القوت. (**وقال سميط بن عجلان**) يروى بالسين المهملة والمعجمة: (**إنما بطنك يا ابن آدم شبر في شبر فلم يدخلك النار**)؟ كذا في القوت. (**وقيل لحكيم: ما مالك؟ قال: التجمل في الظاهر**) وهو أن يتجمل في ملبسه وهيئته، (**والقصد في الباطن**) أي يقتصد في أموره الباطنة فلا يفرط ولا يفرط، (**واليأس مما في أيدي الناس**) فلا ينتظر وصول شيء منها. وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق سفيان قال: قيل لأبي حازم ما مالك: قال، ثقتي بالله؟ وإياسي مما في أيدي الناس. (**ويروى: أن الله عز وجل قال**: يا ابن آدم **لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت، فإذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا إليك محسن**) نقله صاحب القوت. (**وقال ابن مسعود**) رضي الله عنه: (**إذا طلب أحدكم الحاجة فليطلبها طلباً يسيراً**) أي قليلاً أو سهلاً، (**ولا يأتي الرجل فيقول: إنك**) كذا (**وإنك**) كذا يثني عليه (**فيقطع ظهره، فإنما يأتيه ما قسم له أو ما رزق**) شك من الراوي، وهو معنى الخبر السابق، فاجملوا إلى الطلب. (**وكتب بعض بني أمية إلى أبي حازم**) سلمة بن دينار الأعرج المدني رحمه الله تعالى (**ـ يعزم عليه الارفع إليه حوائجه، فكتب اليه: قد رفعت حوائجي إلى مولاي فما أعطاني منها قبلت وما أمسك عني قنعت**) رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي بكر بن مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا يحيى بن عبد الملك، حدثنا زمعة بن صالح قال: كتب بعض بني أميه إلى أبي حازم فساقه وفيه: فكتب إليه: أما بعد جاءني كتابك تعزم إلي الأ رفعت إليك حوائجي، وهيهات رفعت حوائجي إلى ربي تعالى، والباقي سواء، ثم ساقه من طريق آخر وفيه التصريح بأن المراد ببعض بني أمية سليمان ـ يعني ابن عبد الملك ـ وفيه: هيهات رفعت حاجتي إلى من لا تختزن

أيّ شيء أسر للعاقل وأيما شيء أعون على دفع الحزن؟ فقال: أسرها إليه ما قدم من صالح العمل، وأعونها له على دفع الحزن الرضا بمحتوم القضاء. وقال بعض الحكماء: وجدت أطول الناس غماً الحسود، وأهنأهم عيشاً القنوع، وأصبرهم على الأذى الحريص إذا طمع. وأخفضهم عيشاً أرفضهم للدنيا، وأعظمهم ندامة العالم المفرط. وفي ذلك قيل:

أرفه ببال فتى أمسى على ثقة ... ان الذي قسم الأرزاق يرزقه
فالعرض منه مصون لا يدنسه ... والوجه منه جديد ليس يخلقه
إن القناعة من يحلل بساحتها ... لم يلق في دهره شيئاً يؤرقه

وقد قيل أيضاً:

حتى متى أنا في حل وترحال ... وطول سعي وإدبار وإقبال
ونازح الدار لا أنفك مغترباً ... عن الأحبة لا يدرون ما حالي

الحوائج دونه فما أعطاني منها قنعت وما أمسك عني منها رضيت. (**وقيل لبعض الحكماء: أي شيء أسر للعاقل وأيما شيء أعون على دفع الحزن؟ قال: أسرها إليه ما قدم من صالح العمل، وأعونها له على دفع الحزن الرضا بمحتوم القضاء**) نقله صاحب القوت. (**وقال بعض الحكماء: وجدت أطول الناس غماً الحسود، واهنأهم عيشاً القنوع، وأصبرهم على الأذى الحريص إذا طمع، وأحفظهم**) أي ألينهم (**عيشاً أرفضهم**) أي أتركهم (**للدنيا، وأعظمهم ندامة العالم المفرط**) أي الذي فرط في علمه فلم يعمل به، فيرى الذي عمل به قد نال مرتبة وهو منعها فتكثر ندامته حيث لا ينفع الندم، (**وقد قيل**):

(**أرفه ببال امرىء يمسي على ثقة ... إن الذي خلق الأرزاق يرزقه**)

وفي نسخة: ببال فتى أمسى وأرفه من الرفاهية وهي سعة العيش:

(**فالعرض منه مصون لا يدنسه ... والوجه منه جديد ليس يخلقه**)

وإخلاق الوجه إبلاؤه وهو كناية عن ذل السؤال الناشىء عن الحرص:

(**إن القناعة من يحلل بساحتها ... لم يلق في دهره شيئاً يؤرقه**)

أي يحزنه ويؤلمه، (**وقيل أيضاً**):

(**حتى متى أنا في حل وترحالي ... وطول سعي وإدبار واقبال**)
(**ونازح الدار لا أنفك مغترباً ... عن الأجنة[1] لا يدرون ما حالي**)

---

(١) في الإحياء: «الأحبة» بدلاً من «الأجنة».

بمشرق الأرض طوراً ثم مغربها لا يخطر الموت من حرصي على بالي
ولو قنعت أتاني الرزق في دعة إن القنوع الغنى لا كثرة المال

وقال عمر رضي الله عنه: ألا أخبركم بما أستحل من مال الله تعالى: حلتان لشتائي وقيظي، وما يسعني من الظهر لحجي وعمرتي، وقوتي بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بأرفعهم ولا بأوضعهم، فوالله ما أدري أيحل ذلك أم لا؟ كأنه شك في أن هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التي تجب القناعة بها؟ وعاتب أعرابي أخاه على الحرص

(بمشرق الأرض طوراً ثم مغربها لا يخطر الموت من حرصي على بالِ)
(ولو قنعت أتاني الرزق في دعة إن القنوع الغنى لا كثرة المال)

ومعناه ما مر في الخبر أن الغني غني النفس، وانه ليس بكثرة المال، وفي خبر آخر: القناعة كنز لا يفنى أي فهو الغني الأكبر، وروى العسكري في الأمثال من طريق ابن عائشة قال: قال أعرابي: يسار النفس أفضل من يسار المال، ورب شبعان من النعم غرثان من الكرم، وأنشد ابن دريد لسالم ابن وابصة:

غني النفس ما يغنيك من سدّ حاجة فإن زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقرا

وأنشد يعقوب بن إسحاق الكندي لنفسه:

أضاق الذنابي على الاروُس فغمض جفونك أو نكسِ
وضائل سوادك واقبض يديـ ـك وفي قعر بيتك فاستجلسِ
وعند مليكك فابغ العلـ ـو وبالواحدة اليوم فاستأنسِ
فإن الغنى في قلوب الرجا ل وإن التعزز للأنفسِ
وكأين ترى من أخي عسرة غنى وذو ثروة مفلس
ومن قائم شخصه ميت على أنه بعد لم يرمسِ

(وقال عمر رضي الله عنه: ألا أخبركم بما أستحل من مال الله عز وجل: جلبابي لشتائي وقيظي) كما قال الشاعر:

من يك ذا بتٍ فهذا بتي مقيظ مصيف مشتي

(وما يسعني من الظهر) أي الراحلة أركبها **(لحجي وعمرتي وقوتي بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بأرفعهم ولا بأوضعهم، ووالله ما أدري أيحل ذلك لي أم لا؟ كأنه شك في أن هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التي تجب القناعة بها)**؟ وهذا معروف في زهد عمر والتقلل من الدنيا. وقد روى سيف بن عمر، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر قال: جمع عمر الناس عند فتح القادسية ودمشق فقال: إني كنت امرءاً تاجراً يغنى الله عيالي بتجارتي وقد شغلت بأمركم فما ترون فيما يحل لي من هذا المال؟ فأكثر القوم وعلى ساكت، فقال:

فقال: يا أخي أنت طالب ومطلوب، يطلبك من لا تفوته وتطلب أنت ما قد كفيته، وكأن ما غاب عنك قد كشف لك، وما أنت فيه قد نقلت عنه، كأنك يا أخي لم تر حريصاً محروماً وزاهداً مرزوقاً. وفي ذلك قيل:

أراك يزيدك الإثراء حرصاً ... على الدنيا كأنك لا تموت
فهل لك غاية إن صرت يوماً ... إليها قلت حسبي قد رضيت

وقال الشعبي: حكي أن رجلاً صاد قنبرة فقالت: ما تريد أن تصنع بي؟ قال: أذبحك وآكلك، قالت: والله ما أشفي من قرم ولا أشبع من جوع ولكن أعلمك ثلاث خصال هي خير لك من أكلي. أما واحدة: فأعلمك وأنا في يدك، وأما الثانية: فإذا صرت على الشجرة، وأما الثالثة: فإذا صرت على الجبل. قال: هات الأولى، قالت: لا تلهفن على ما فاتك، فخلاها فلما صارت على الشجرة قال: هات الثانية، قالت: لا تصدقن بما لا يكون أنه يكون، ثم طارت فصارت على الجبل، فقالت: يا شقي لو ذبحتني لأخرجت

ما تقول يا أبا الحسن؟ قال: ما أصلحك وأصلح عيالك بالمعروف ليس إلاَّ، فقال: القول ما قال علي.

(وعاتب أعرابي أخاه على الحرص فقال: يا أخي أنت طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب أنت ما قد كفيته، وكان من غاب عنك قد كشف لك، وما أنت فيه نقلت عنه، كأنك يا أخي لم تر حريصاً محروماً وزاهداً مرزوقاً. وقيل في ذلك):

(أراك يزيدك الإثراء حرصاً ... على الدنيا كأنك لا تموتُ)
(فهل لك غاية إن صرت يوماً ... إليها قلت حسبي قد رضيتُ)

(وقال) عامر بن شراحيل **(الشعبي)** رحمه الله تعالى: **(حكي أن رجلاً)** فيما مضى من الزمان **(صاد قنبرة)** بضم القاف وسكون النون ضرب من العصافير لغة في قبرة كسكرة وكان النون بدل من أحد حرفي التضعيف ويضم الثالث ويفتح والجمع قنابر **(فقالت)** بلسان حالها للصائد: **(ما تريد أن تصنع بي؟ قال: أذبحك وآكلك، قالت: والله ما أشفي من قرم)** محركة شدة الشهوة للأكل **(ولا أشبع من جوع، ولكن أعلمك ثلاث خصال هن خير لك من أكلي. أما واحدة: فأعلمك وأنا في يدك، وأما الثانية: فإذا صرت على الشجرة، وأما الثالثة: فإذا صرت على الجبل. قال: هات الأولى. قالت: لا تلهفن على ما فات)** أي لا تتحسر على الفائت، فإن الحسرة على الفوات عبث **(فخلاها)** من يده فطارت، **(فلما صارت على الشجرة قال: هات الثانية. قالت: لا تصدقن بما لا يكون أنه يكون، ثم طارت فصارت على الجبل فقالت: يا شقي لو ذبحتني لأخرجت من حوصلتي)** بتشديد اللام وقد تخفف **(درتين في كل**

من حوصلتي درتين زنة كل درة عشرون مثقالاً . قال: فعض على شفته وتلهف وقال: هات الثالثة، قالت: أنت قد نسيت اثنتين فكيف أخبرك بالثالثة؟ ألم أقل لك لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون أنه يكون، أنا ولحمي ودمي وريشي لا يكون عشرين مثقالاً فكيف يكون في حوصلتي درتان في كل واحدة عشرون مثقالاً؟ ثم طارت فذهبت. وهذا مثال لفرط طمع الآدمي؟ فإنه يعميه عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون أنه يكون. وقال ابن السماك: إن الرجاء حبل في قلبك وقيد في رجلك فأخرج الرجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك. وقال أبو محمد اليزيدي: دخلت على الرشيد فوجدته ينظر في ورقة مكتوب فيها بالذهب، فلما رآني تبسم، فقلت: فائدة أصلح الله أمير المؤمنين؟ قال: نعم وجدت هذين البيتين في بعض خزائن بني أمية فاستحسنتها، وقد أضفت إليها ثالثاً وأنشدني:

إذا سدّ باب عنك من دون حاجة فدعه لأخرى ينفتح لك بابُها

واحدة عشرون مثقالاً) أي زنة كل درة كذلك. **(قال الراوي: فعض)** الصائد **(على شفتيه وتلهف)** على تخليتها من يده **(وقال: هات الثالثة . قالت: أنت قد نسيت الاثنتين فكيف أخبرك بالثالثة؟ ألم أقل لك لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون أنه يكون . أنا ولحمي ودمي وريشي لا يكون عشرين مثقالاً فكيف يكون في حوصلتي درتان في كل واحدة عشرون مثقالاً؟ ثم طارت فذهبت)** أخرجه أبو نعيم في الحلية، عن أبيه، حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن، حدثنا محمد بن عبدالله الرازي، عن مسلمة بن علقمة، عن داود، عن الشعبي فذكره سواء. **(وهذا مثال لفرط طمع الآدمي فإنه يعميه عن درك الحق حتى يقدر)** في نفسه **(ما لا يكون)** من المتخيلات **(أنه يكون . وقال ابن السماك)** وهو محمد بن صبيح البغدادي الواعظ رحمه الله تعالى: **(إن الرجاء حبل في قلبك وقيد في رجلك فأخرج الرجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك)** نقله صاحب القوت. **(وقال أبو محمد)** يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي مولى عدي بن مناة **(اليزيدي)** منسوب إلى يزيد بن منصور الحميري، قال المهدي: لأنه أدب أولاده فنسب إليه وأدب المأمون. روي عن أبي عمرو بن العلاء، وابن جريج، وقرأ لأبي عمرو وهو صدوق عالم باللغة والنحو، وله تصانيف حسنة مات سنة ٢٥٢. وأولاده محمد وعبدالله وإسماعيل وإسحاق شعراء. وممن روى عن أبي محمد اليزيدي أبو شعيب صالح بن زياد بن عبدالله بن جارود الرقي: **(دخلت على الرشيد)** هارون بن المهدي **(فوجدته ينظر في ورقة مكتوب فيها بالذهب، فلما رآني تبسم فقلت: فائدة أصلح الله أمير المؤمنين؟ قال: نعم وجدت هذين البيتين في بعض خزائن بني أمية فاستحسنتها وقد أضفت إليها ثالثاً وأنشدني:**

(إذا سد باب عنك من دون حاجة فدعه لأخرى ينفتح لك بابها)

فإن قـراب البطـن يكفيـك ملـؤه ويكفيك سوءات الأمور اجتنـابُهـا
ولا تكُ مبذالاً لعرضـك واجتنـب ركوب المعـاصي يجتنبـك عقـابُهـا

وقال عبدالله بن سلام لكعب: ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد إذ وعوها وعقلوها؟ قال: الطمع وشره النفس وطلب الحوائج. وقال رجل للفضيل: فسِّر لي قول كعب، قال: يطمع الرجل في الشيء يطلبه فيذهب عليه دينه، وأما الشره فشره النفس في هذا وفي هذا حتى لا تحب أن يفوتها شيء ويكون لك إلى هذا حاجة وإلى هذا حاجة، فإذا قضاها لك خزم أنفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له. فمن حبك للدنيا سلمت عليه إذ مررت به، وعدته إذا مرض لم تسلم عليه لله عز وجل ولم تعده لله، فلو لم يكن لك إليه حاجة كان خيراً لك. ثم قال: هذا خير لك من مائة حديث عن فلان عن فلان. وقال بعض الحكماء: من عجيب أمر الإنسان أنه لو نودي بدوام البقاء في أيام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجمع أكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال. وقال عبد الواحد بن زيد: مررت براهب

(فإن قراب البطن يكفيك ملـؤه ويكفيك سوءات الأمور اجتنابها)
ولا تكُ مبذالاً لعرضك واجتنـب ركوب المعاصي يجتنبك عقـابها)

أخرجه ابن أبي الدنيا في أخبار الخلفاء.

(وقال عبدالله بن سلام) رضي الله عنه (لكعب) الأحبار رحمه الله تعالى: (**ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد إذ وعوها وعقلوهـا؟ قـال: الطمـع وشره النفس وطلـب الحوائج. فقال رجل للفضيل: فسر لي قول كعب، قال يطمع الرجل في الشيء فيطلبه فيذهب عليه دينه، وأما الشره فشره النفس في هذا وفي هذا حتى لا تحب أن يفوتها شيء وتكون لك إلى هذا حاجة وإلى حاجة، فإذا قضاها لك خزم أنفك**) أي جعل فيها شبه الخزام في أنف الناقة (**وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له. فمن حبك للدنيا سلمت عليه إذا مررت به، وعدته إذا مرض ولم تسلم عليه لله عز وجل ولم تعده لله، فلو لم تكن لك إليه حاجة كان خيراً لك، ثم قال**) الفضيل للسائل: (**هذا خير لك من مائة حديث عن فلان وفلان**) أخرجه ابن أبي الدنيا، (**وقال بعض الحكماء: من عجيب أمر الإنسان أنه لو نودي بدوام البقاء في أيام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجمع أكثر مما قد استعمله مع قصد مدة التمتع وتوقع الزوال**) أخرجه ابن أبي الدنيا. (**وقال عبد الواحد بن زيد**) البصري رحمه الله تعالى: (**مررت براهب**) في صومعة (**فقلت له: من أين تأكل؟**

فقلت له: من أين تأكل؟ قال: من بيدر اللطيف الخبير الذي خلق الرحا يأتيها بالطحين ـ وأومأ بيده إلى رحا أضراسه ـ فسبحان القدير الخبير.

بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتسب به صفة القناعة:

اعلم أن هذا الدواء مركب من ثلاثة أركان: الصبر والعلم والعمل، ومجموع ذلك خمسة أمور.

الأول: وهو العمل. الاقتصاد في المعيشة والرفق في الانفاق، فمن أراد عز القناعة فينبغي أن يسد عن نفسه أبواب الخرج ما أمكنه، ويرد نفسه إلى ما لا بدّ له منه، فمن كثر خرجه واتسع انفاقه لم تمكنه القناعة، بل إن كان وحده فينبغي أن يقنع بثوب واحد خشن ويقنع بأي طعام كان، ويقلل من الأدام ما أمكنه، ويوطن نفسه عليه وإن كان له عيال فيردّ كل واحد إلى هذا القدر، فإن هذا القدر يتيسر بأدنى جهد. ويمكن معه الإجمال في الطلب والاقتصاد في المعيشة وهو الأصل في القناعة، ونعنى به الرفق في الإنفاق وترك الخرق فيه. قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب الرفق في الأمر كله».

فقال: من بيدر اللطيف الخبير) جل جلاله (**الذي خلق الرحا هو يأتيها بالطحين وأومأ بيده إلى رحا أضراسه**) أخرجه ابن أبي الدنيا.

بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي تكتسب به صفة القناعة:

(**اعلم**) وفقك الله تعالى (**أن هذا الدواء مركب من ثلاثة أركان**) هي أساسه: (**الصبر والعلم والعمل، ومجموع ذلك خمسة أمور**).

(**الأول: وهو العمل**) وذلك (**الاقتصاد في المعيشة**) أي الاعتدال فيها (**والرفق في الإنفاق، فمن أراد عز القناعة فينبغي أن يسد على نفسه أبواب الخرج**) أي ما يصرف في اللوازم الضرورية (**ما امكنه، ويرد نفسه إلى ما لا بد منه، فمن كثر خرجه واتسع إنفاقه لم تمكنه القناعة، بل إن كان وحده فينبغي أن يقنع بثوب واحد خشن**) من قطن أو صوف (**ويقنع بأي طعام كان، ويقلل من الأدام ما أمكنه، ويوطن نفسه عليه**) تدريجاً (**وإن كان له عيال فيرد كل وحد إلى هذا القدر، فإن هذا القدر يتيسر بأدنى جهد ويمكن معه الإجمال في الطلب**) المأمور به في الخبر، (**فالإقتصاد في المعيشة هو الأصل في القناعة**) ففي الخبر عن ابن عمر مرفوعاً: «الإقتصاد في النفقة نصف المعيشة» رواه البيهقي، والعسكري وابن السني، والديلمي، وعند الطبراني، وابن لال من حديث أنس: «الاقتصاد نصف العيش».
(**ونعني به الرفق في الإنفاق وترك الخرق فيه**) وهو سوء العمل. (**قال ﷺ: «إن الله يحب الرفق في الأمر كله**) أخرجه الشيخان من حديث عائشة وقد تقدم في كتاب ذم الغضب.

وقال ﷺ : « ما عال من اقتصد » . وقال ﷺ : « ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية ، والقصد في الغنى والفقر ، والعدل في الرضا والغضب » . وروي أن رجلاً أبصر

(وقال ﷺ : « ما عال) أي ما افتقر **(من اقتصد »)** أي في معيشته أي من أنفق قصد أو لم يجاوزه إلى الإسراف . قال العراقي : رواه أحمد والطبراني من حديث ابن مسعود ، ومن حديث ابن عباس بلفظ : « مقتصد » وكلاهما ضعيف انتهى .

قلت : روياه من طريق إبراهيم الهجري ، عن أبي الأحوص ، عن ابن مسعود وكذلك رواه القضاعي وهو عند العسكري من طريق سكين بن عبد العزيز عن الهجري بلفظ : « لا يعيل أحد على قصد ولا يبقى على سرف كثير » . وروياه أيضاً من طريق أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس بلفظ : « ما عال مقتصد » إلا أن الطبراني زاد « قط » وقد ورد في الاقتصاد أخبار كثيرة . منها ما تقدم عن ابن عمر وأنس .

ومن ذلك ما رواه العسكري من حديث أبي بلال الأشعري ، حدثنا عبدالله بن حكيم المدني ، عن شبيب بن بشر عن أنس رفعه « السؤال نصف العلم والرفق نصف المعيشة وما عال امرؤ في اقتصاد » .

وروى الحاكم ومن طريقه الديلمي من حديث عمير بن صبح عن يونس بن عبيد عن الحسن عن أبي أمامة رفعه « السؤال نصف العلم والرفق نصف المعيشة وما عال من اقتصد » .

وروى العسكري من طريق عثمان بن عمر بن خالد بن الزبير ، عن أبيه عن علي بن الحسين ، عن أبيه عن علي رفعه : « التودد نصف الدين وما عال امرؤ قط عن اقتصاد » الحديث .

وروى الطبراني في الصغير ، والقضاعي من طريق عبد القدوس بن حبيب ، عن الحسن عن أنس رفعه : « ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا عال من اقتصد » وقد عقد البيهقي في الشعب للاقتصاد في النفقة باباً .

(وقال ﷺ : « ثلاث) خصال **(منجيات)** من عذاب الله تعالى ، **(خشية الله)** أي خوفه **(في السر والعلانية)** قدم السر لأن تقوى الله فيه أعلى درجة من المعلن لما يخاف فيها من شوب رؤية الناس ، وهذه درجة المراقبة وخشية فيها تمنع من ارتكاب كل منهي عنه وتحثه على فعل كل مأمور ، **(والقصد في الغنى والفقر)** وفي لفظ بتقديم الفقر على الغنى ، والمراد التوسط فيهما في الإنفاق ونحوه ، **(والعدل في)** حالتي **(الرضا والغضب »)** فلا يحمله الغضب على الجور ، ولا الرضا على الوقوع في محذور لأجل المخلوق . قال العراقي : رواه البزار ، والطبراني ، وأبو نعيم في الحلية ، والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف انتهى .

قلت : هو في الأوسط للطبراني وفيه زيادة : « وثلاث مهلكات : هوى متبع ، وشح مطاع وإعجاب المرء بنفسه » وكذلك رواه أبو الشيخ في التوبيخ ، وروى العسكري في الأمثال ، وأبو

أبا الدرداء يلتقط حباً من الأرض وهو يقول: إن من فقهك رفقك في معيشتك. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قال النبي ﷺ: «الاقتصاد وحسن السمت والهدي الصالح جزء من بضع وعشرين جزءاً من النبوّة».

وفي الخبر: «التدبير نصف المعيشة». وقال ﷺ: «من اقتصد أغناه الله، ومن بذر

إسحاق إبراهيم بن أحمد المراغي في ثواب الأعمال من حديث ابن عباس: «ثلاث مهلكات، وثلاث منجيات، وثلاث درجات، وثلاث كفارات». فذكر الحديث وفيه قيل: وما المنجيات؟ قال: «تقوى الله في السر والعلانية، والاقتصاد في الفقر والغنى، والعدل في الرضا والغضب» الحديث. وقد رواه أيضاً الخطيب في التاريخ هكذا. ورواه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر. قال العلائي: سنده ضعيف، وعده في الميزان من المناكير. قال الهيثمي فيه ابن لهيعة ومن لا يعرف.

(وروي أن رجلاً أبصر أبا الدرداء) رضي الله عنه **(يلتقط حباً من الأرض ويقول: إن من فقهك رفقك في معيشتك)**. رواه ابن عدي في الكامل، والبيهقي في الشعب من حديثه مرفوعاً بلفظ: «من فقهك رفقك في معيشتك» ورواه أحمد والطبراني في الكبير بلفظ: «من فقه الرجل رفقه في معيشته». ورواه أبو نعيم في الحلية من قوله ولم يرفعه قال: حدثنا إبراهيم بن عبدالله، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا الفرج بن فضالة، عن لقمان بن عامر، عن أبي الدرداء قال: من فقه الرجل رفقه في معيشته.

(وقال ابن عباس) رضي الله عنه، **(قال النبي ﷺ: «الاقتصاد)** أي في الأمور بين طرفي الإفراط والتفريط **(وحسن السمت والهدي الصالح)** أي أخذ المنهج ولزوم المحجة **(جزء من بضع وعشرين جزءاً من النبوة»)** أي هذه الخصال من شمائل أهل النبوة وجزء من أجزاء فضائلهم فاقتدوا بهم فيها وتابعوهم عليها، فليس معناه أن النبوة تتجزأ ولا أن من جمع هذه الخلال صار فيه جزء من النبوة لأنها غير مكتسبة، أو المراد أن هذه الخلال مما جاءت به النبوة ودعا إليها الأنبياء، أو أن من جمعها ألبسه الله لباس التقوى الذي ألبسه الأنبياء فكأنها جزء منها. قال العراقي: رواه أبو داود من حديث ابن عباس مع تقديم وتأخير وقال: السمت الصالح. وقال: من خمسة وعشرين. ورواه الترمذي وحسنه من حديث عبدالله بن سرجس، وقال: التؤدة بدل الهدي الصالح. وقال: من أربعة انتهى.

قلت: حديث عبدالله بن سرجس المزني أخرجه الترمذي في البر بلفظ: «السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة» قال الصدر المناوي: رجاله موثوقون، ورواه عبد بن حميد، وابن أبي عاصم والطبراني في الكبير، والخطيب، والضياء بلفظ: «التؤدة والاقتصاد والسمت الحسن جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة».

(وفي الخبر: «التدبير نصف العيش») أي النظر في عواقب الإنفاق إذ به يحترز عن

أفقره الله، ومن ذكر الله عز وجل أحبه الله». وقال ﷺ: «إذا أردت أمراً فعليك

الإسراف والتقتير قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس، وفيه خلاد بن عيسى جهله العقيلي ووثقه ابن معين انتهى.

قلت: ورواه العسكري، والطبراني، وابن لال من طريق خلاد بن عيسى، عن ثابت عن أنس، ولكن بلفظ: «الاقتصاد نصف العيش وحسن الخلق نصف الدين». ورواه القضاعي في مسند الشهاب من حديث علي بلفظ المصنف، لكن بزيادة: «والتؤدة نصف العقل والهم نصف الهرم وقلة العيال أحد اليسارين». قال العامري: شارحه حسن غريب، وتعقب بأن فيه ابن لهيعة، وفيه أيضاً إسحاق بن إبراهيم الشامي أورده الذهبي في الضعفاء وقال له مناكير، وقد رويت هذه الزيادة في سياق الديلمي أيضاً إلا أنه قال: والتؤدي بدل التؤدة ورواه البيهقي بنحوه من قول ميمون بن مهران، ولابن حبان في صحيحه من حديث طويل عن أبي ذر أن النبي ﷺ قال له: «يا أبا ذر لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق» وقال بعضهم: لولا أن النبي ﷺ قال: «التدبير نصف العيش» لقلت بل هو العيش كله. وهذا لا يعارض قول الصوفية أرح نفسك عن التدبير فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك ما ذاك إلا لأن الكلام هنا في تدبير صحبه تفويض، وكلامهم فيما لا يصحبه وعلى هذا يحمل جميع ما أورده العارف ابن عطاء الله قدس سره في كتابه الذي سماه (**التنوير في إسقاط التدبير**).

(**وقال ﷺ: «من اقتصد**) في أموره كلها (**أغناه الله تعالى، ومن بذر**) أي أسرف وتجاوز عن الحدود (**أفقره الله، ومن ذكر الله عز وجل أحبه الله»**) قال العراقي: رواه البزار من حديث طلحة بن عبيدالله دون قوله: ومن ذكر الله أحبه الله» وشيخه فيه عمران بن هارون البصري. قال الذهبي: شيخ لا يعرف حاله أتى بخبر منكر أي هذا الحديث، ولأحمد وأبي يعلى من حديث لأبي سعيد «ومن أكثر ذكر الله أحبه الله» وسيأتي في ذم الكبر انتهى.

قلت: لفظ البزار في مسنده عن طلحة قال: كنا نمشي مع رسول الله ﷺ بمكة وهو صائم فأجهده الصوم فحلبنا له ناقة في قعب وصببنا عليه عسلاً نكرمه به عند فطره، فلما غابت الشمس ناولناه، فلما ذاقه قال بيده كأنه يقول: ما هذا؟ قلنا لبناً وعسلاً أردنا أن نكرمك به أحسبه قال أكرمك الله بما أكرمتني أو دعوة هذا معناها، ثم قال: من اقتصد أغناه الله، ومن بذر افقره الله، ومن تواضع رفعه الله، ومن تجبر قصمه الله قال الهيثمي: وفيه ممن لم أعرفه إثنان.

وأما عمران بن هارون البصري فوجدت بخط الحافظ ابن حجر ما نصه، قال البزار: كان مستوراً ولم يذكره الذهبي في المغني وقال في ذيله ما نصه: عمران بن هارون المقدسي الصوفي عن ابن لهيعة، والليث قال ابن يونس في حديثه لين، وقال أبو زرعة: صدوق انتهى. فلا أدري هو الذي عناه الذهبي أو غيره والله أعلم.

بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجاً ومخرجاً » والتؤدة في الإنفاق من أهم الأمور .

الثاني: أنه إذا تيسر له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي أن يكون شديد الاضطراب لأجل المستقبل، ويعينه على ذلك قصر الأمل والتحقق بأن الرزق الذي قدر له لا بدّ وأن يأتيه وإن لم يشتد حرصه، فإن شدة الحرص ليست هي السبب لوصول الأرزاق، بل ينبغي أن يكون واثقاً بوعد الله تعالى إذ قال عز وجل: ﴿وما مِنْ دَابَّة في الأرض إلا على الله رِزقُها﴾ [هود: ٦] وذلك لأن الشيطان يعده الفقر ويأمره بالفحشاء ويقول: إن لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض وربما تعجز وتحتاج إلى احتمال الذل في السؤال، فلا يزال طول العمر يتعبه في الطلب خوفاً من التعب ويضحك عليه في

وأما حديث: « من أكثر ذكر الله أحبه الله » فقد رواه ابن شاهين من حديث عائشة.

(وقال ﷺ : « إذا أردت أمراً فعليك بالتودة حتى يجعلك الله لك فرجاً ومخرجاً) قال العراقي: رواه ابن المبارك في البر والصلة وقد تقدم انتهى.

قلت: رواه عن أبي جعفر عبدالله بن المسور الهاشمي المدايني مرسلاً، والذي تقدم لفظه: « إذا أردت أمراً فتدبر عاقبته فإن كان خيراً فامضه وإن كان شراً فانته » وهكذا رواه في كتاب الزهد. وأما لفظ المصنف فأخرجه البخاري في الأدب المفرد وابن أبي الدنيا في ذم الغضب، والبغوي، والخرائطي في مكارم الأخلاق، والبيهقي، وابن عساكر من حديث رجل من بلى ولفظهم جميعاً « حتى يريك الله منه المخرج ».

(والتؤدة في الإنفاق من أهم الأمور) وقد روى أبو داود، والحاكم، والبيهقي من حديث سعد بن أبي وقاص: « التؤدة كل شيء خير إلا في عمل الآخرة ».

(الثاني: إذا تيسر له في الحال ما يكفيه) مما يصرفه على نفسه وعياله من قوت أو دراهم، **(فلا ينبغي أن يكون شديد الاضطراب)** كثير القلق **(لأجل المستقبل، ويعينه على ذلك قصر الأمل والتحقق بأن الرزق الذي قدر له)** من الأزل **(لا بد وأن يأتيه)** من حيث كان، **(وإن لم يشتد حرصه)** وطلبه **(فإن شدة الحرص ليست هي السبب لوصول الأرزاق، بل ينبغي أن يكون واثقاً بوعدالله تعالى)** الذي لا يخلف **(إذ قال)** في كتابه العزيز: **(وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها)** أي قد ضمن أن يرزقها فيتحقق أن الرزق مضمون وأن وعد الله لا يتخلف، **(وذلك لأن الشيطان يعده الفقر ويأمره بالفحشاء ويقول)** من جلة ما يعده: **(إن لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض وربما تعجز)** عن الكسب والسعي، **(وتحتاج إلى احتمال الذل في السؤال)** وهو أمر شديد لا تحتمله، **(فلا يزال طول العمر يتعبه)** الشيطان **(في الطلب)** والسعي **(خوفاً من التعب ويضحك عليه في احتماله**

إحتماله التعب نقداً مع الغفلة عن الله لتوهم تعب في ثاني الحال، وربما لا يكون. وفي مثله قيل:

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل: الفقر

وقد دخل ابنا خالد على رسول الله ﷺ فقال لهما: «لا تيأسا من الرزق ما تهزهزت رؤوسكما فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله تعالى»، ومرّ رسول الله ﷺ بابن مسعود وهو حزين فقال له: «لا تكثر همك ما يقدر يكن وما ترزق يأتك».

التعب نقداً) حاضراً **(مع الغفلة عن الله)** وعن وعده **(لتوهم تعب في ثاني حال)** نسيئة، **(وربما لا يكون وفي مثله قيل)** قائله المتنبي:

(ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل: الفقر)

أي إنفاق نفيس عمره في إتعاب النفس على مضمون خشية أن يفتقر هو عين الفقر الحاضر، **(وقد دخل)** حبة وسواء **(ابنا خالد)** من بني عامر بن صعصعة، وقيل: خزاعة نزلا الكوفة **(على رسول الله ﷺ فقال لهما: «لا تيأسا من الرزق ما تهزهزت رؤوسكما)** أي ما تحركت **(فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله تعالى»)** رواه أحمد وهناد، وابن ماجه، وابن حبان، والبغوي، والباوردي، وابن قانع، والبيهقي والطبراني، والضياء من حديث حبة وسواء إلا أنهم قالوا: ثم يعطيه الله تعالى ويرزقه. قال البغوي: وما لسواء غيره وقد تقدم.

(ومر رسول الله ﷺ بابن مسعود) عبدالله رضي الله عنه **(وهوحزين فقال: «لا يكثر همك)** وفي لفظ: لا تكثر همك **(ما يقدر يكن وما ترزق يأتك»)** قال العراقي: رواه أبو نعيم من حديث خالد بن رافع، وقد اختلف في صحبته ,رواه الاصبهاني في الترغيب والترهيب من رواية مالك بن عمر والمعافي مرسلاً انتهى.

قلت: وقد رواه أيضاً ابن ماجه في القدر، والديلمي، وابن النجار من حديث ابن مسعود، ورواه عبدالله بن أحمد في زوائد الزهد، والخرائطي، وابن أبي الدنيا، وأبو نعيم، والبيهقي، وابن عساكر من حديث مالك بن عبادة الغافقي. ورواه البغوي، وابن قانع، وابن أبي الدنيا، وأبو نعيم، والبيهقي، وابن عساكر، وأبو نعيم من حديث خالد بن رافع. وقال البغوي: ولا أعلم له غيره ولا أدري له صحبة أم لا. ورواه ابن يونس في تاريخ من دخل مصر من الصحابة من طريق عياش بن عياش عن أبي موسى الغافقي، واسمه مالك بن عبدالله أن النبي ﷺ نظر إلى ابن مسعود فقال: «لا يكثر همك ما يقدر يكون وما ترزق يأتيك». وقال الحافظ في الإصابة: خالد ابن رافع ذكره البخاري فقال: يروي عن النبي ﷺ، وعنه مالك بن عبدالله، وقد ذكره ابن حبان فقال: يروي المراسيل، وأخرج حديثه ابن منده من طريق سعيد بن أبي مريم، عن نافع بن يزيد المعري، عن عياش بن عبدالله بن مالك المعافري أن جعفر بن عبدالله بن الحكم حدثه عن خالد بن رافع أن رسول الله ﷺ قال لابن مسعود فذكره. قال سعيد: وحدثنا يحيى بن أيوب، وابن لهيعة، عن عياش عن

وقال ﷺ : « ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة » ، ولا ينفك الإنسان عن الحرص إلا بحسن ثقته بتدبير الله تعالى في تقدير أرزاق العباد ، وأن ذلك يحصل لا محالة مع الإجمال في الطلب ، بل ينبغي أن يعلم أن رزق الله للعبد من حيث لا يحتسب أكثر . قال الله تعالى : ﴿ومَنْ يتق الله يجعل له مخرجاً * ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ [الطلاق : ٢ ، ٣] فإذا انسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه ، فلا ينبغي أن يضطرب قلبه لأجله . وقال ﷺ : « أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب » .

مالك بن عبدالله . قال ابن منده وقال غيره ، عن عياش عن جعفر عن مالك مثله . ورواه البغوي من رواية سعيد عن نافع ، وذكر الأختلاف في صحبة خالد وأخرجه ابن أبي عاصم من طريق سعيد بن أيوب عن عياش بن عياش ، عن مالك بن عبدالله المعافري أن النبي ﷺ قال لابن مسعود فذكره ، ولم يذكر خالد بن رافع . والإضطراب فيه من عياش بن عياش فإنه ضعيف . وقال في ترجمة مالك بن عبدالله المعافري ، قال ابن يونس : ذكر فمن شهد فتح مصر ، وله رواية عن أبي ذر روى عنه أبو قبيل ، وقال أبو عمر روى عن النبي ﷺ أنه قال : « لا يكثر همك ما يقدر يكن وما ترزق يأتك » قال الحافظ : وهذا الحديث أخرجه ابن أبي خيثمة وابن أبي عاصم في الوحدات ، والبغوي كلهم من طريق أبي مطيع معاوية بن يحيى ، عن سعيد بن أيوب ، عن أيوب ، عن عياش بن عياش العقباني ، عن جعفر بن عبدالله بن الحكم ، عن مالك بن عبدالله المعافري أن النبي ﷺ قال لابن مسعود فذكره . هذا سياق الحسن بن سفيان ، وسقط جعفر من رواية الآخرين . قال البغوي : لم يروه غير أبي مطيع وهو متروك الحديث . وأخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق من طريق أخرى عن العقباني فقال عن مالك بن عبادة الغافقي .

(**وقال ﷺ : « إلا أيها الناس اجملوا في الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له ، ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة »**) تقدم قبل هذا بثلاثة عشر حديثاً وأنه رواه الحاكم من حديث جابر بنحوه ، وتقدم أيضاً في كتاب الكسب والمعاش . (**ولا ينفك الإنسان عن الحرص إلا بحسن ثقته بتدبير الله تعالى في تقدير أرزاق العباد ، وأن ذلك يحصل لا محالة مع الإجمال في الطلب ، بل ينبغي أن يعلم أن رزق الله للعبد من حيث لا يحتسب أكثر**) من حيث يحتسب . (**قال الله تعالى : ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ***) مما هو فيه (**ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾**) أي يرزقه فرجاً وخلاصاً من المضار من حيث لا يخطر بباله ، (**فإذا انسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه ، فلا ينبغي أن يضطرب قلبه لأجله وقال ﷺ : « أبى الله أن يزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب »**) أي من جهة لا تخطر بباله ولا تتخالج في آماله ، والمراد بالمؤمن الكامل كما يؤذن بـه إضـافتـه إليـه ، وهو من انقطع إلى الله ومحض قصده للالتجاء إليه بدليل خبر الطبراني : « من انقطع إلى الله كفاه

وقال سفيان: اتق الله فما رأيت تقياً محتاجاً أي لا يترك التقي فاقداً لضرورته، بل يلقي

الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها» والرزق إذا جاء من حيث لا يحتسب كان آمناً. فالمؤمن من الكامل يشهد الرزق بيد الرازق يخرج من مشيئة الغيب فيجريه بالأسباب، فإذا شهد ذلك كان قلبه مراقباً لما يصنع مولاه وعينه ناظرة لمختاره له معرضة عن النظر للأسباب، فالساقط عن قلبه محبة الرزق من أين وكيف ومتى بحيث لا يتهم ربه في قضائه يؤتي رزقه صفواً عفواً، والمتعلق بالأسباب قلبه جوّال فإن لم يدركه لطف فهو كالهمج في المزابل يطير من مزبلة إلى مزبلة حتى يجمع أوساخ الدنيا ثم يتركها وراء ظهره ويلقي الله بإيمان سقيم وينادي عليه هذا جزاء من أعرض عن الله واتهم مولاه فلم يرض بضمانه. قال العراقي: رواه ابن حبان في الضعفاء من حديث علي بإسناد واهٍ، ورواه ابن الجوزي في الموضوعات انتهى.

قلت: ورواه الديلمي من طريق عمر بن راشد، عن عبد الرحمن بن حرملة، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رفعه بهذا إلا أنه قال: «من حيث لا يعلم» وابن راشد ضعيف جداً.

ورواه القضاعي في مسنده من طريقه فقال: حدثنا مالك بن أنس، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده قال: اجتمع أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح فتماروا في شيء فقال لهم علي: انطلقوا إلى رسول الله ﷺ، فلما وقفوا عليه قالوا: يا رسول الله جئنا نسألك عن شيء؟ فقال: «إن شئتم، فاسألوا إن شئتم خبرتكم بما جئتم له. فقال لهم: جئتم تسألوني عن الرزق من أين يأتي، وكيف يأتي أبى الله». وذكره وهو أيضاً ضعيف. قال السخاوي: لكن معناه صحيح ففي التنزيل ﴿ومن يتق الله﴾ الآية.

وأما لفظ ابن حبان في الضعفاء، فهو ما أخرجه العسكري في الأمثال، والبيهقي في الشعب من طريق عثمان بن عمر بن خالد بن الزبير، عن أبيه، عن علي بن الحسين، عن أبيه عن علي مرفوعاً: «إنما تكون الصنيعة إلى ذي دين أو حسب وجهاد الضعفاء الحج وجهاد المرأة حسن التبعل لزوجها والتودد نصف الإيمان وما عال امرؤ على اقتصاد واستنزلوا الرزق بالصدقة وأبى الله إلا أن يجعل أرزاق عباده المؤمنين من حيث لا يحتسبون». وهذا السياق هو الذي عناه ابن الجوزي وحكم عليه بالوضع، وقد نوزع فيه. والصحيح ما قاله البيهقي فإنه ذكر بعد أن أخرجه في الشعب هذا حديث لا أحفظه على هذا الوجه إلا بهذا الإسناد وهو ضعيف بمرة، وإن صح فمعناه: أبى الله أن يجعل جميع أرزاقهم من حيث يحتسبون، كالتاجر يرزقه من تجارته، والحراث من حراثته وغير ذلك، وقد يرزقهم من حيث لا يحتسبون كالرجل يصيب معدناً أو ركازاً، أو يموت له قريب فيرثه أو يعطي من غير إشراف نفس ولا سؤال. ونحن لم نقل أن الله تعالى لا يرزق أحداً إلا بجهد وسعي، وإنما قلنا أنه بين لخلقه وعباده طرقاً جعلها أسباباً لهم إلى ما يريدون، فالأولى بهم أن يسلكوها متوكلين على الله في بلوغ ما يؤملونه دون أن يعرضوا عنها ويجردوا التوكل عنها وليس في شيء من هذه الأحاديث ما يفسد قولنا.

(**وقال سفيان**) الثوري رحمه الله تعالى: (**اتق الله فما رأيت تقياً محتاجاً**) أخرجه صاحب

الله في قلوب المسلمين أن يوصلوا إليه رزقه. وقال الفضل الضبي: قلت لاعرابي: من أين معاشك؟ قال: نذر الحاج. قلت: فإذا صدروا، فبكى وقال: لو لم نعش إلا من حيث ندري لم نعش. وقال أبو حازم رضي الله عنه: وجدت الدنيا شيئين: شيئاً منهما هو لي فلن أعجله قبل وقته ولو طلبته بقوّة السموات والأرض. وشيئاً منهما هو لغيري فذلك لم أنله فيما مضى فلا أرجوه فيما بقي، يمنع الذي لغيري مني كما يمنع الذي لي من غيري، ففي أي هذين أفني عمري؟ فهذا دواء من جهة المعرفة لا بدّ منه لدفع تخويف الشيطان. وإنذاره بالفقر.

الحلية وكأنه استنبط ذلك من قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجاً يرزقه الآية أي فلا يتصور الاحتياج مع التقوى **(أي لا يترك)** الله **(التقي فاقداً لضرورته، بل يلقى الله في قلوب المسلمين)** بل وفي قلوب الكفار **(أن يوصلوا إليه رزقه)** من غير إشراف نفس منه ولا مسألة ويشهد له خبر الطبراني السابق: من انقطع إلى الله كفاه كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب.

(وقال الفضل) بن محمد بن يعلى بن عامر بن سالم **(الضبي)** الكوفي علامة راوية للأدب ثقة، روى عن سماك وأبي إسحاق السبيعي، **(قلت لاعرابي: من أين معاشك؟ قال: نذر الحاج. قلت: فإذا صدروا)** فمن أين، **(فبكى وقال: لو لم نعش إلا من حيث ندري لم نعش. وقال أبو حازم)** سلمة بن دينار المدني التابعي: **(قد وجدت الدنيا شيئين: شيئاً منها هو لي فلن أعجله قبل أجله ولو طلبته بقوة السموات والأرض، وشيئاً منهما هو لغيري فذلك لم أنله فيما مضى ولا نرجوه فيما بقي يمنع الذي لغيري مني كما يمنع الذي لي من غيري، ففي أي هذين أفنى عمري؟)**

قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبو معمر سفيان قال: قال أبو حازم: وجدت الدنيا شيئين فشيئاً هو لي، وشيئاً لغيري، فأما ما كان لغيري فلو طلبته بحيلة السموات والأرض لم أدركه فيمنع رزق غيري مني كما يمنع رزقي من غيري.

حدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبدالله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا الأشجعي، حدثنا داود بن أبي الوازع المدني، عن أبي حازم أنه كان يقول: نظرت في الرزق فوجدته شيئين شيئاً هو لي له أجل ينتهي إليه فلن أعجله ولو طلبته بقوة السموات والأرض، وشيئاً لغيري فلم أصبه فيما مضى فأطلبه فيما بقي، فشيء يمنع من غيري كما شيء غيري يمنع مني ففي هذين أفني عمري. **(فهذا دواء من جهة المعرفة لا بد منه لدفع تخويف الشيطان وانذاره بالفقر)**.

الثالث: أن يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء، وما في الحرص والطمع من الذل، فإذا تحقق عنده ذلك انبعثت رغبته إلى القناعة لأنه في الحرص لا يخلو من تعب، وفي الطمع لا يخلو من ذل. وليس في القناعة إلا ألم الصبر عن الشهوات والفضول. وهذا ألم لا يطلع عليه أحد إلا الله وفيه ثواب الآخرة. وذلك مما يضاف إليه نظر الناس وفيه الوبال والمأثم، ثم يفوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق فإن من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته إلى الناس فلا يمكنه دعوتهم إلى الحق ويلزمه المداهنة، وذلك يهلك دينه، ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ركيك العقل ناقص الإيمان. قال ﷺ: «عز المؤمن استغناؤه عن الناس». ففي القناعة الحرية والعز. ولذلك قيل: استغن عمن

(**الثالث: أن يعرف ما في القناعة من عز الإستغناء**) عن الناس، (**وما في الطمع والحرص من الذل**) لهم، (**فإذا تحقق عنده ذلك انبعثت رغبته إلى القناعة**) واختارها (**لأنه في الحرص لا يخلو من تعب وفي الطمع لا يخلو من ذل**) لأن الحريص دائماً تعبان والطماع دائماً ذليل، (**وليس في القناعة إلا ألم الصبر عن الشهوات**) الفانية (**والفضول**) الزائلة، (**وهذا ألم لا يطلع عليه أحد**) من الناس (**إلا الله وفيه ثواب الآخرة، وذلك مما يضاف إليه نظر الناس وفيه الوبال والمأثم، ثم يفوته عن النفس والقدرة على متابعة الحق، فإن من كثرطمعه وحرصه كثرت حاجته إلى الناس فلا يمكنه دعوتهم إلى الحق ويلزمه المداهنة**) في القول والفعل، (**وذلك يهلك دينه، ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ركيك العقل**) أي ضعيفه (**ناقص الإيمان**) مبخوس الحظ. (**وقال ﷺ: «عز المؤمن استغناؤه عن الناس»**) قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط، والحاكم وصحح اسناده، وأبو الشيخ في كتاب الثواب، وأبو نعيم في الحلية من حديث سهل بن سعد أن جبريل قاله للنبي ﷺ في أثناء حديث، وفيه زافر بن سليمان، عن محمد بن عيينة. وكلاهما مختلف فيه، وجعله القضاعي في مسند الشهاب من قول النبي ﷺ انتهى.

قلت: رواه الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الحلية من طريق محمد بن حميد، والقضاعي من طريق عبد الصمد بن موسى القطان، وابن حميد أيضاً، والشيرازي في الألقاب من طريق إسماعيل بن تومة. ثلاثتهم عن زافر بن سليمان، عن محمد بن عيينة، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد قال: جاء جبريل النبي ﷺ. ولفظ الحلية أتاني جبريل فقال: «يا محمد عش ما شئت فإنك ميت واعمل ما شئت فإنك مجزى به واحبب من شئت فإنك مفارقه، وأعلم أن شرف المؤمن قيام الليل و عزه استغناؤه عن الناس». وزافر بن سليمان من رجال الترمذي، وابن ماجه وثقه جماعة. وقال ابن عدي: لا يتابع على حديثه، وشيخه محمد بن عيينة أخو سفيان. قال أبو حاتم: لا يحتج به له مناكير، وقد صحح الحاكم إسناده لاسيما وفي الباب عن أبي هريرة، وابن عباس.

شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره، وأحسن إلى من شئت تكن أميره.

الرابع: أن يكثر تأمله في تنعم اليهود والنصارى وأراذل الناس والحمقى من الأكراد والأعراب الأجلاف ومن لا دين لهم ولا عقل، ثم ينظر إلى أحوال الأنبياء والأولياء، وإلى سمت الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين ويستمع أحاديثهم ويطالع أحوالهم ويخير عقله بين أن يكون على مشابهة أراذل الناس أو على الاقتداء بمن هو أعز أصناف الخلق عند الله، حتى يهون عليه بذلك الصبر على الضنك والقناعة باليسير، فإنه إن تنعم

أما حديث أبي هريرة فرواه العقيلي، والخطيب، وابن عساكر بسند ضعيف بلفظ «شرف المؤمن صلاته بالليل وعزه استغناؤه عما في أيدي الناس» وأورده ابن الجوزي في الموضوعات فأخطأ.

وأما حديث ابن عباس، فرواه محمد بن نصر المروي في قيام الليل له من طريق هشيم بن جويبر عن الضحاك عنه موقوفاً ولفظه «شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عما في أيدي الناس». وجعله القضاعي في مسند الشهاب في حديث سهل من قول النبي ﷺ.

(**ففي القناعة الحرية**) وهي الخلوص من الرق (**والعز، ولذلك قيل: استغن عمن شئت فأنت نظيره**) أي مثله، (**واحتج إلى ما شئت فأنت أسيره، وأحسن إلى من شئت فأنت أميره**) وهو من قول بعض الحكماء، ومنهم من نسبه إلى علي رضي الله عنه. وقد روى البزار، والطبراني في الكبير، والعسكري في الأمثال، والقضاعي في المسند من طريق الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رفعه: «استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك» ورجاله ثقات. والأحاديث في القناعة والتعفف عن الناس مفردة بالتأليف، ومن أقربها لهذا المعنى حديث «لأن يأخذ أحدكم حبلاً فيأتي بحزمة حطب على ظهره فيبيعها بها نفسه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه».

(**الرابع: أن يكثر تأمله في تنعم اليهود والنصارى وأراذل الناس والحمقى من الأكراد و**) الأجلاف من (**الأعراب**) والسوادية (**ومن لا دين لهم ولا عقل**) فينظر في تبسطاتهم من الملاذ، (**ثم ينظر إلى أحوال الأنبياء**) عليهم السلام وسيرهم وشمائلهم (**والأولياء**) والصالحين، (**وإلى سمت الخلفاء الراشدين**) من الأئمة الأربعة، وعمر بن عبد العزيز، (**وسائر الصحابة والتابعين**) ومن على قدمهم من السلف الخالفين، (**ويستمع أحاديثهم**) وأقوالهم (**ويطالع أحوالهم**) من الكتب المؤلفة فيها، كحلية أبي نعيم، والقوت لأبي طالب، والرسالة لأبي القاسم. وطبقات النساك وغيرها. (**ويخير عقله بين أن يكون على مشابهة أرذال الخلق أو على الاقتداء بمن هو أعز أصناف الخلق عند الله حتى يهون عليه بذلك الصبر على الضنك والقناعة باليسير، فإنه إن تنعم في البطن**) أي في المأكولات (**فالحمار أكثر أكلاً منه، وإن**

في البطن فالحمار أكثر أكلاً منه، وإن تنعم في الوقاع فالخنزير أعلى رتبة منه، وإن تزين في الملبس والخيل ففي اليهود من هو أعلى زينة منه، وإن قنع بالقليل ورضي به لم يساهمه في رتبته إلا الأنبياء والأولياء.

الخامس: أن يفهم ما في جمع المال من الخطر ـ كما ذكرنا في آفات المال ـ وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع، وما في خلو اليد من الأمن والفراغ، ويتأمل ما ذكرناه في آفات المال مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة إلى خمسمائة عام، فإنه إذا لم يقنع بما يكفيه ألحق بزمرة الأغنياء وأخرج من جريدة الفقراء. ويتم ذلك بأن ينظر أبداً إلى من دونه في الدنيا إلا إلى من فوقه، فإن الشيطان أبداً يصرف نظره في الدنيا إلى من فوقه فيقول: لم تفتر عن الطلب وأرباب الأموال يتنعمون في المطاعم والملابس ويصرف نظره في الدين إلى من دونه فيقول: ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان أعلم منك وهو لا

تنعم في الوقاع) أي الجماع **(فالخنزير أعلى رتبة منه)** فإنه موصوف بكثرته لا يفتر عنه، وكذا الدب يضرب به المثل في كثرة الوقاع، وكذا العصافير فإنها كثيرة السفاد، **(وإن تزين في الملبس)** الحسن **(و)** ركوب **(الخيل)** المسوّمة **(ففي اليهود من هو أعلى رتبة منه)** وكذا في النصارى بل وسائر انواع الكفار في غالب الديار ويتخذون فُره الخيل للركوب، **(وإن قنع بالقليل ورضي به)** في كل ما ذكر **(لم يساهمه)** أي لم يشاركه **(في رتبته إلاّ الأنبياء والأولياء)**، فليتأمل الإنسان في هذا القدر حتى يعرف قدر القناعة.

(الخامس: أن يفهم ما في جمع المال من الخطر) والإشراف على الهلاك، **(كما ذكرناه في آفات المال وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع)** إما بالحرق أو بالغرق أو بغير ذلك من الأسباب، **(وما في خلو اليد من الأمن)** الحاضر **(والفراغ)** للخاطر، **(ويتأمل ما ذكرناه من آفات المال مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة إلى خمسمائة عام فإنه إذا لم يقنع بما يكفيه التحق بزمرة الاغنياء وأخرج عن جريدة الفقراء)** فقد روى أحمد والترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجه من حديث أبي هريرة يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام، وروى الحكيم في النوادر من حديث سعيد بن عامر بن جذيم: «يدخل فقراء المسلمين قبل الأغنياء بخمسمائة سنة حتى أن الرجل ليدخل في غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج». **(ويتم ذلك بأن ينظر أبداً إلى من هو دونه في الدنيا لا إلى من فوقه)** فيها، **(فإن الشيطان أبداً يصرف نظره في الدنيا إلى من فوقه فيقول: لم تفتر)** أي لم تكسل **(عن الطلب، وأرباب الأموال يتنعمون في المطاعم والملابس)** والمراكب **(ويصرف نظره في الدين إلى من دونه فيقول: ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان أعلم منك)** وأفضل

يخاف الله، والناس كلهم مشغولون بالتنعم فلم تريد أن تتميز عنهم؟ قال أبو ذر: أوصاني خليلي صلوات الله عليه أن أنظر إلى من هو دوني لا إلى من هو فوقي أي في الدنيا. وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «إذ نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه». فبهذه الأمور يقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الأمر الصبر وقصر الأمل، وأن يعلم أن غاية صبره في الدنيا أيام قلائل للتمتع دهراً طويلاً فيكون كالمريض الذي يصبر على مرارة الدواء لشدة طمعه في انتظار الشفاء.

بيان فضيلة السخاء:

اعلم أن المال إن كان مفقوداً فينبغي أن يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص، وإن

منك، (**وهو لا يخاف الله**) ولا يتقيد. (**والناس كلهم مشغولون بالتنعم**) والتلذذ (**فلم تريد أن تتميز عنهم**) في حياتك؟

(**قال أبو ذر**) رضي الله عنه: (**أوصاني خليلي ﷺ أن انظر إلى من هو دوني لا إلى من هو فوقي**) رواه أحمد وابن حبان في أثناء حديث وقد تقدم. (**أي في الدنيا. وقال أبو هريرة**) رضي الله عنه: (**قال النبي ﷺ: «إذا نظر أحدكم**) أي تأمل بعينه (**إلى من فضله الله عليه في المال والخلق**) بفتح الخاء وسكون اللام الصورة. قال الحافظ: ووجد في بعض النسخ المعتمدة ضبطه بضمتين (**فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه»**) لأنه إذا نظر إلى من فوقه استصغر ما عنده، وحرص على المزيد فيه أدبه بالنظر إلى من دونه ليرضى فيشكر ويقل حرصه، إذ الإنسان حسد بطبعه فإذا قاده طبعه للنظر إلى الأعلى حملته الغيرة على الكفران والسخط، فإذا رد نفسه إلى النظر الى الدون حمله حب النعمة إلى الرضا والشكر. رواه أحمد، والشيخان، وأبو يعلى بلفظ: «إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه» وفي رواية «إلى من تحته» وروى هناد والبيهقي في الشعب وقال: والجسم بدل والخلق، وفيه: فلينظر إلى من هو دونه من المال والجسم. (**فبهذه الأمور يقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الأمر الصبر**) على مرّ العيش (**وقصر الأمل، وأن يعلم أن غاية صبره في الدنيا أيام قلائل للتمتع دهوراً طويلة**) وفي بعض النسخ: دهراً طويلاً، (**فيكون كالمريض الذي يصبر على مرارة الدواء**) وكراهة مذاقه (**لشدة طمعه في انتظار الشفاء**) من أمراضه الشديدة.

بيان فضيلة السخاء:

(**اعلم**) هداك الله تعالى (**أن المال إذا كان مفقوداً، فينبغي أن يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص، وإن كان موجوداً فينبغي أن يكون حاله الإيثار**) للغير

كان موجوداً فينبغي أن يكون حاله الإيثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل، فإن السخاء من أخلاق الأنبياء عليهم السلام وهو أصل من أصول النجاة. وعنه عبّر النبي ﷺ حيث قال: « السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلية إلى الأرض فمن أخذ بغصن منها قاده ذلك الغصن إلى الجنة ». وقال جابر: قال رسول الله ﷺ: قال جبريل عليه السلام: قال الله تعالى: « إن هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فأكرموه بهما ما استطعتم » وفي رواية: « فأكرموه بهما ما صحبتموه ». وعن عائشة الصديقية رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « ما جبل الله تعالى ولياً له إلا على حسن الخلق والسخاء ». وعن جابر قال: قيل يا رسول الله

(والسخاء) أي بذله **(واصطناع المعروف والتباعد من الشح والبخل)** وبينهما فرق وقد تقدم ذكره، **(فإن السخاء)** خلق شريف **(من)** جملة **(أخلاق الأنبياء)** عليهم السلام، **(وهو أصل من أصول النجاة، وعنه عبَّر النبي ﷺ قال « السخاء شجرة من شجر الجنة)** وفي رواية: من أشجار الجنة، وفي رواية شجرة في الجنة **(أغصانها متدلية إلى الأرض)** وفي رواية: متدليات في الدنيا **(فمن أخذ منها غصناً)** وفي رواية: فمن أخذ غصناً منها **(قاده ذلك الغصن إلى الجنة »)** أي: أن السخاء يدل على كرم النفس وتصديق إيمان بالاعتماد في الخلق على من ضمن الرزق، فمن أخذ بهذا الأصل وعقد طويته عليه فقد استمسك بالعروة الوثقى الجاذبة له إلى ديار الأبرار، ولهذا الحديث بقية يأتي ذكرها قريباً. قال العراقي: رواه ابن حبان في الضعفاء من حديث عائشة، وابن عدي، والدارقطني في المستجاد من حديث أبي هريرة وسيأتي بعده، وأبو نعيم من حديث جابر وكلها ضعيفة. ورواه ابن الجوزي في الموضوعات من حديثهم، ومن حديث الحسين وأبي سعيد اهـ. وسيأتي الكلام على هذا الحديث بعد ستة أحاديث.

(وقال جابر) رضي الله عنه. **(قال رسول الله ﷺ قال جبريل عليه السلام: قال الله تعالى: « إن هذا دين أرتضيه لنفسي ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما صحبتموه »)** قاتل العراقي: رواه الدارقطني في المستجاد دون قوله: « وحسن الخلق » بسند ضعيف. ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات، وذكره بهذه الزيادة ابن عدي من رواية بقية، عن يوسف بن السقر، عن الإوزاعي، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة ويوسف ضعيف اهـ.

قلت: وروي عن أنس نحوه ولفظه مرفوع: يا أيها الناس إن الله قد اختار لكم الإسلام ديناً فاحسنوا صحبة الإسلام بالسخاء وحسن الخلق » الحديث. ورواه ابن عساكر وسيأتي ذكره بعد خمسة أحاديث.

(وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ « ما جبل الله تعالى أولياءه إلا على السخاء وحسن الخلق ») أغفله العراقي، وقد رواه ابن عساكر في التاريخ من رواية عروة

أي الأعمال أفضل؟ قال: «الصبر والسماحة». وقال عبدالله بن عمرو: قال رسول الله ﷺ: «خلقان يحبهما الله عز وجل، وخلقان يبغضهما الله عز وجل، فأما اللذان يحبهما الله تعالى فحسن الخلق والسخاء، وأما اللذان يبغضهما الله فسوء الخلق والبخل، وإذا أراد الله بعبد خيراً استعمله في قضاء حوائج الناس»، وروى المقدام بن شريح عن أبيه عن

مرسلاً، ورواه أيضاً الديلمي عنه عن عائشة بدون قوله «وحسن الخلق». وعند الحكيم الترمذي «ما جبل الله ولياً قط إلا على السخاء والجاهل سخي أحب إلى الله من عابد بخيل» وسند الديلمي ضعيف، وهو عند الدارقطني في المستجاد، وأبي الشيخ، وابن عدي بدون «وحسن الخلق».

(**وعن جابر**) رضي الله عنه (**قال: قيل يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال «الصبر والسماحة»**) قال العراقي: رواه أبو يعلى، وابن حبان في الضعفاء بلفظ: سئل عن الإيمان، وفيه يوسف بن محمد بن المنكدر ضعفة الجمهور، ورواه أحمد من حديث عمرو بن عنبسة بلفظ: «ما الإيمان؟ فقال «الصبر والسماحة» وفيه شهر بن حوشب. ورواه البيهقي في الزهد بلفظ: أي الاعمال أفضل؟ قال «الصبر والسماحة وحسن الخلق» وإسناده صحيح اهـ.

قلت: وروى البخاري في التاريخ من حديث عبيد بن عمير عن أبيه بلفظ «أفضل الإيمان الصبر والسماحة». هكذا رواه عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده وفيه مقال. ورواه الزهري عن عبد الله عن أبيه مرسلاً وهو أقوى. ورواه كذلك الديلمي من حديث معقل بن يسار. وروى الطبراني في الكبير من حديث عمرو بن عنبسة «أفضل الإيمان حسن خلق» ومن حديث أسامة بن شريك بلفظ «أفضل الأعمال حسن الخلق».

(**وقال عبد الله بن عمرو**) بن العاص رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ «خلقان يحبهما الله تعالى، وخلقان يبغضهما الله تعالى. فاما اللذان يحبهما الله فحسن الخلق والسخاء، وأما اللذان يبغضهما الله فسوء الخلق والبخل وإذا أراد الله بعبد خيراً استعمله على قضاء حوائج الناس»**) أي ثم ألهمه القيام بحقها والوفاء بما استعمل عليه. قال العراقي: رواه الديلمي دون قوله في آخره «فإذا أراد الله بعبد خيراً» وقال فيه الشجاعة بدل الخلق. وفيه محمد بن يونس الكديمي كذبه أبو داود وموسى بن هارون وغيرهما، ووثقه الخطبي. وروى الاصبهاني جميع الحديث موقوفاً على عبد الله بن عمرو. وروى الديلمي أيضاً من حديث أنس «إذا أراد الله بعبد خيراً صيّر حوائج الناس إليه». وفيه يحي بن شبيب ضعفه ابن حبان اهـ.

قلت: هذا الحديث أخرجه أبو نعيم في الحلية، ومن طريق الديلمي بدون الجملة الأخيرة. وروى البيهقي في الشعب جميع الحديث مرفوعاً من حديث ابن عمرو.

(**وروى المقدام بن شريح بن هانيء**) بن يزيد الحارثي المذحجي الكوفي ثقة. روى له البخاري في الأدب المفرد ومسلم والأربعة (**عن أبيه**) أبي المقدام شريح الكوفي مخضرم ثقة قتل

جده قال: قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة؟ قال: « إن من موجبات المغفرة بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام ». وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: « السخاء شجرة في الجنة فمن كان سخياً أخذ بغصن منها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله الجنة، والشح شجرة في النار فمن كان شحيحاً أخذ بغصن من أغصانها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله النار ». وقال أبو سعيد الخدري: قال النبي ﷺ: « يقول

مع ابن أبي بكرة بسجستان، روى له من ذكر في ابنه، **(عن جده)** أبي شريح هانىء بن يزيد صحابي نزل الكوفة، روى له البخاري في الأدب، وأبو داود، والنسائي **(قال: قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة. قال « إن من موجبات المغفرة)** أي مما يوجب غفران الذنوب الذي هو سبب لدخول الجنة **(بذل الطعام)** أي إطعامه **(وإفشاء السلام وحسن الكلام »)** قال العراقي: رواه الطبراني بلفظ « بذل السلام وحسن الكلام » وفي رواية له: « يوجب الجنة اطعام الطعام وإفشاء السلام » وفي رواية له « عليك بحسن الكلام وبذل الطعام » اهـ.

قلت: وبلفظ الطبراني رواه أيضاً الخرائطي في مكارم الأخلاق. وروى البيهقي من حديث جابر « إن من موجبات المغفرة إطعام المسلم السغبان » ورواه الحاكم بدون « ان » وروى البخاري في الأدب المفرد، والطبراني في الكبير، والحاكم والبيهقي من حديث هانىء بن يزيد بلفظ « عليك بحسن الكلام وبذل الطعام » ورواه ابن حبان بلفظ « عليك بحسن الكلام وبذل السلام ».

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ « السخاء شجرة في الجنة فمن كان سخياً أخذ بعض منها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله الجنة، والشح شجرة في النار فمن كان شحيحاً أخذ بغصن من أغصانها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله النار »)** قال العراقي: رواه الدارقطني في المستجاد، وفيه عبد العزيز بن عمران الزهري ضعيف جداً اهـ.

قلت: وكذلك رواه الخطيب في التاريخ ورواه ابن عدي، والبيهقي وضعفه باللفظ الذي ذكره المصنف في أول الباب، وتمامه « والبخل شجرة من شجر النار أغصانها متدليات في الدنيا فمن أخذ بغصن من أغصانها قاده ذلك الغصن إلى النار » روياه عن محمد من منير المطيري، عن عثمان بن شيبة، عن أبي غسان محمد بن يحيى، عن عبد العزيز بن عمران، عن ابن أبي حبيبة، عن داود بن الحصين، عن الأعرج عن أبي هريرة. وقد روي بهذا السياق أي الأخير من حديث الحسين بن علي، وجابر، وأبي سعيد، وعلي، وعائشة، ومعاوية بن أبي سفيان، وأنس.

أما حديث الحسين بن علي، فرواه الدارقطني في الإفراد، وأبو بكر الشافعي في الغيلانيات، والبيهقي، والخطيب في كتاب البخلاء من طريق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده.

وأما حديث جابر، فرواه أبو نعيم في الحلية، عن الحسن بن أبي طالب، عن عبدالله بن محمد

الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي تعيشوا في أكنافهم فإني جعلت فيهم رحمتي، ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فإني جعلت فيهم سخطي». وعن ابن عباس قال:

الخلال، عن أحمد بن الخطاب بن مهدان الشتري، عن عبد الله بن عبد الوهاب الخوارزمي، عن عاصم بن عبد الله، عن عبد العزيز بن خالد، عن الثوري، عن أبي الزبير عن جابر. ورواه أيضاً الخطيب في التاريخ من هذا الطريق. وقال أبو نعيم: تفرد به عبد العزيز بن خالد، وعنه عاصم بن عبد الله.

وأما حديث أبي سعد، فقد رواه الخطيب في تاريخه في ترجمة أبي جعفر الطيالسي عنه.

وأما حديث علي، فقد رواه الدارقطني في الإفراد، والبيهقي في الشعب، والخطيب في التاريخ عنه.

وأما حديث عائشة: فقد رواه ابن حبان في الضعفاء.

وأما حديث معاوية، فقد رواه الديلمي في مسند الفردوس.

وأما حديث أنس، فقد رواه ابن عساكر في التاريخ لكن مع اختلاف لفظ. قال أنس: أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال «يا أيها الناس إن الله قد اختار لكم الإسلام ديناً فأحسنوا صحبة الإسلام بالسخاء وحسن الخلق ألا إن السخاء شجرة في الجنة وأغصانها في الدنيا فمن كان منكم سخياً لا يزال متعلقاً بغصن من أغصانها حتى يورده الله الجنة. ألا إن اللؤم شجرة في النار وأغصانها في الدنيا فمن كان منكم لئيماً لا يزال متعلقاً بغصن من أغصانها حتى يورده الله النار» وطرق هذه الأحاديث كلها ضعاف وتقدم أن ابن الجوزي أورده في الموضوعات من هذه الطرق كلها وتعقب.

(وقال أبو سعيد الخدري) رضي الله عنه: **(قال النبي ﷺ «يقول الله تعالى اطلبوا الفضل)** أي الزيادة من الإحسان، والتوسعة عليكم **(من الرحماء من عبادي)** أي الرقيقة قلوبهم السلهة عريكتهم **(تعيشوا في أكنافهم)** جمع كنف محركة وهو الجانب **(فإني جعلت فيهم رحمتي)** أي جعلتهم مظاهر لرحمتي، **(ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم)** أي الفظة الغليظة **(فإني جعلت فيهم سخطي»)** قال العراقي: رواه ابن حبان في الضعفاء، والخرائطي في مكارم الأخلاق، والطبراني في الأوسط. وفيه محمد بن مروان السدي الصغير ضعيف. ورواه العقيلي في الضعفاء فجعله عبد الرحمن السدي وقال: إنه مجهول، وتابع محمد بن مروان السدي عليه عبد الملك ابن الخطاب، وقد غمزه ابن القطان وتابعهما عليه عبد الغفار بن الحسن بن دينار قال فيه أبو حاتم: لا بأس بحديثه، وتكلم فيه الجوزجاني والأزدي. ورواه الحاكم من حديث علي وقال: إنه صحيح الإسناد وليس كما قال اهـ.

قلت: أخرج الخرائطي، عن محمد بن أيوب الضريس، أخبرنا جندل بن واثق، عن أبي مالك الواسطي، عن عبد الرحمن السدي، عن داود بن أبي هند، عن أبي سعيد الخدري فساقه. وفيه

« فإن فيهم رحمتي » بدل « فإني جعلت » وفيه « فإنهم ينتظرون سخطي » بدل « فإني جعلت فيهم سخطي » ومدار هذا الحديث علي داود بن أبي هند . وقد رواه عنه جماعة منهم: محمد بن مروان السدي. ومن طريقه أخرجه الطبراني في الأوسط، وابن حبان في الضعفاء . ومنهم: عبد الرحمن السدي ومن طريقه أخرجه العقيلي في الضعفاء، والخرائطي في مكارم الأخلاق كما سقناه. وفي الميزان عبد الرحمن السدي عن داود بن أبي هند لا يتابع وأتي بخبر باطل، ثم ساق هذا . ولفظ العقيلي في الضعفاء عبد الرحمن السدي مجهول لا يتابع ولا يعرف حديثه من وجه يصح. ومنهم: عبد الملك بن الخطاب، وعبد الغفار بن الحسن بن دينار .

وأما حديث علي؛ فسياقه عند الحاكم « اطلبوا المعروف من رحماء أمتي تعيشوا في أكنافهم ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فإن اللعنة تنزل عليهم: يا علي إن الله خلق المعروف وخلق له أهلاً فحببه إليهم وحبب إليهم مقاله ووجه إليهم طلابه كما وجه الماء في الأرض الجدبة لتحيا به ويحيا به أهلها . إن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة » وهذا هو الذي صحح الحاكم إسناده. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات. وقال الذهبي فيما تعقب به الحاكم بأن فيه الأصبغ بن نباتة واه جداً، وحبان بن علي ضعفوه اهـ .

ولا يخفى أن هذا القدر لا يجعل الحديث موضوعاً، وإنما هو ضعيف. وشتان بين الضعيف والموضوع، ولأبي سعيد الخدري حديث آخر لفظه « اطلبوا الحوائج إلى ذوي الرحمة من أمتي ترزقوا وتنجحوا فإن الله تعالى يقول رحمتي في ذوي الرحمة من عبادي، ولا تطلبوا الحوائج عند القاسية قلوبهم ولا ترزقوا ولا تنجحوا فإن الله تعالى يقول: إن سخطي فيهم » هكذا رواه الحاكم في التاريخ، والعقيلي في الضعفاء وضعفه، والطبراني في الاوسط. وأظن ان هذا السياق هو الذي تقدمت الإشارة إليه في كلام الحافظ العراقي. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات. ومعنى هذه الأخبار هو أنكم إذا احتجتم إلى فضل غيركم من مال أو جاه أو معونة فاطلبوه عند رحماء هذه الأمة وهم أهل الدين والشرف وطهارة العنصر، فإن من توفر حظه من ذلك عصمت شفقته فرحم السائل وبذل ما عنده طلباً للثواب من غير منّ ولا أذى ولا مطل بل في ستر وعفاف واغضاء فيعيش في ظله مع سلامة الدين والعرض ولا يسترقه .

(**تنبيه**) : قال شيخ الإسلام ابن تيمية: المراد بالقاسية قلوبهم في الأخبار السابقة طائفة اليهود بقرينة تصريحهم بأن المراد هم في آية ﴿ولا تكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم﴾ [الحديد : ١٦] وقسوة القلوب من ثمرات المعاصي وقد وصف الله اليهود بها في غير موضع منها : ﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي﴾ [البقرة : ٧٤] ﴿فبما نقضت ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية﴾ [المائدة : ١٣] ثم قال: وإن قوماً ممن قد ينسب إلى علم ودين قد أخذوا من هذه الصفات بنصيب نعوذ بالله مما يكرهه الله ورسوله .

قال رسول الله ﷺ : « تجافوا عن ذنب السخي فإن الله آخذ بيده كلما عثر » . وقال ابن مسعود : قال ﷺ : « الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروة البعير وأن الله

(وعن ابن عباس) رضي الله عنه : **(قال : قال رسول الله ﷺ « تجافوا)** وفي رواية : تجاوزوا **(عن ذنب السخي)** أي الكريم ، وفي رواية : تجاوزوا للسخي عن ذنبه **(فإن الله آخذ بيده)** أي معين له ومخلص له **(كلما عثر »)** أي سقط في مهلكة ، والمعاثر هي المهالك التي يعثر فيها ، وذلك لأنه لما سخي بالأشياء اعتماداً على ربه وتوكلاً عليه شمله بعين عنايته ، فكلما عثر في مهلكة أنقذه منها . قال العراقي : رواه الطبراني في الأوسط ، والخرائطي في مكارم الأخلاق . وقال الخرائطي : أقيلوا السخطي زلته . وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه ، وزاد الطبراني فيه ، وأبو نعيم من حديث ابن مسعود نحوه بإسناد ضعيف . ورواه ابن الجوزي في الموضوعات من طريق الدارقطني اهـ .

قلت : أما حديث ابن عباس فاخرجه أبو نعيم في الحلية ، والبيهقي في الشعب ، والخطيب في التاريخ بلفظ المنصف ، وهو عن الخرائطي بلفظ « اقيلوا السخي زلته فإن الله آخذ بيده كلما عثر » وروى الخطيب أيضاً من حديثه بلفظ « تجاوزوا عن ذنب السخي وزلة العالم وسطوة السلطان العادل فإن الله آخذ بيهم كلما عثر عاثر منهم » وقد روى نحوه من حديث أبي هريرة ولفظه « تجافوا عن زلة السخي فإنه إذا عثر أخذ الرحمن بيده » رواه ابن عساكر .

وأما حديث ابن مسعود فلفظه « تجاوزوا عن ذنب السخي فإن الله آخذ بيده كلما عثر » وهكذا رواه الدارقطني في الإفراد ، والطبراني في الكبير ، وأبو نعيم في الحلية ، والبيهقي وضعفه . وأورده ابن الجوزي في الموضوعات . ولفظ الطبراني في الأوسط « فإن الله يأخذ بيده عند عثراته » .

قال الدارقطني في الافراد حدثنا محمد بن مخلد ، حدثنا إبراهيم بن حماد الأزدي عن عبد الرحيم بن حماد البصري ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن ابن مسعود فساقه . تفرد به عبد الرحيم ، وقد قال العقيلي : إنه حدث عن الأعمش بما ليس من حديثه اهـ .

وأخرجه ابن الجوزي من هذا الطريق وحكم عليه بالوضع لذلك ، وتعقبه الحافظ السيوطي بأن عبد الرحيم لم ينفرد به ، فقد رواه الطبراني في الكبير ، عن أحمد بن عبيد الله بن جرير بن جبلة ، عن أبيه ، عن بشر بن عبيد الله الدارمي ، عن محمد بن حميد العتكي ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن ابن مسعود . وقد رواه أبو نعيم والبيهقي من هذا الطريق . وقال البيهقي : عقبه هذا إسناد مجهول ضعيف .

(وقال ابن مسعود) رضي الله عنه : **(قال رسول الله ﷺ « الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروة البعير وأن الله تعالى ليباهي بمطعم الطعام الملائكة »)** قال العراقي : لم أجده من حديث ابن مسعود . ورواه ابن ماجه من حديث أنس ، ومن حديث ابن عباس بلفظ « الخير أسرع إلى البيت الذي يغشى » وفي حديث ابن عباس « يؤكل فيه من الشفرة

تعالى ليباهي بمطعم الطعام الملائكة عليهم السلام ». وقال ﷺ : « إن الله جواد يحب الجواد ويحب مكارم الأخلاق ويكره سفسافها ».

إلى سنام البعير » ولأبي الشيخ في كتاب الثواب من حديث جابر « الرزق إلى أهل البيت الذي فيه السخاء » الحديث فكلها ضعيفة اهـ.

قلت لفظ أبي الشيخ « الرزق إلى أهل البيت الذي فيه السخاء أسرع من الشفرة إلى سنام البعير » وقد روي نحوه من حديث أبي سعيد الخدري ولفظه « الرزق إلى بيت فيه السخاء » والباقي سواء رواه ابن عساكر في التاريخ.

أما حديث ابن عباس عند ابن ماجه فلفظه « الخير أسرع إلى البيت الذي يؤكل فيه من الشفرة إلى سنام البعير وأما حديث أنس عنده فلفظه الخير أسرع إلى البيت الذي يغشى من الشفرة إلى سنام البعير » وقد وقع له ثلاثياً ، وهكذا رواه ابن زنجويه ، والبيهقي ، ورواه البيهقي أيضاً عن شيخ يقال له أبو سعيد عن أبيه. وقد ورد من حديث الحسن مرسلاً ولفظه « الخير أسرع إلى البيت الذي يطعم فيه الطعام من الشفرة إلى سنام البعير » ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان.

(وقال ﷺ : « إن الله جواد يحب الجود ويحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها ») قال العراقي : رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث طلحة بن عبيد الله بن كريز وهذا مرسل ، وللطبراني في الكبير والاوسط ، والحاكم ، والبيهقي من حديث سهل بن سعد « إن الله كريم يحب الكرم ويحب معالى الأمور » وفي الكبير والبيهقي « معالي الأخلاق » الحديث وإسناده صحيح ، وتقدم آخر الحديث في اخلاق النبوة اهـ.

قلت : لفظ الخرائطي هو سياق المصنف ، لكنه زاد « وإن من إكرام الله إكرام ذي الشيبة في الإسلام والحامل للقرآن غير الجافي ولا الغالي والإمام المقسط » وقد رواه هناد بن السري في الزهد أيضاً هكذا. وقد روى الخرائطي هذا المرسل أيضاً بلفظ آخر قال « إن الله كريم يحب الكرم ويحب معالى الأخلاق » وفي لفظ « الامور ويكره سفسافها ». وقد رواه كذلك عبد الرزاق في المصنف ، والبخاري في التاريخ ، والحاكم ، والبيهقي كلهم عن طلحة بن عبيدالله بن كرز الخزاعي. وقد روي بهذا اللفظ من حديث سهل بن سعد ، وكذلك رواه الطبراني في الكبير ، وابن قانع ، والحاكم ، وأبو نعيم في الحلية ، والبيهقي. وقد روي أيضاً من حديث سعد بن أبي وقاص بلفظ : « إن الله كريم يحب الكرماء وجواد يحب الجود يحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها ». رواه ابن عساكر ، وابن النجار ، والضياء وروى الطبراني في الكبير ، وابن عدي ، والباوردي من حديث فاطمة بنت الحسين عن أبيها رفعه : « وان الله يحب معالى الأمور وأشرافها ويكره سفسافها » ويروى من حديث ابن سعد « إن الله يحب معالى الأخلاق ويكره سفسافها » رواه ابن حبان في روضة العقلاء ، والخرائطي في مكارم الأخلاق.

وقال أنس: إن رسول الله ﷺ لم يُسأل على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، وأتاه رجل فسأله فأمر له بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخاف الفاقة. وقال ابن عمر: قال ﷺ: «إن لله عباداً يختصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع على العباد نقلها الله تعالى عنه وحوّلها إلى غيره». وعن الهلالي قال: أتى رسول الله ﷺ بأسرى من بني العنبر فأمر بقتلهم وأفرد منهم رجلاً، فقال علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه: يا رسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم؟ فقال ﷺ: «نزل عليَّ جبريل

(وقال أنس) رضي الله عنه: **(إن رسول الله ﷺ لم يسئل على الإسلام إلا أعطاه، فأتاه رجل فسأله فأمر له بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم اسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة)** رواه مسلم وقد تقدم في كتاب أخلاق النبوة.

(وقال ابن عمر) رضي الله عنه **(قال رسول الله ﷺ: «إن لله عباداً يخصهم بالنعم لمنافع العباد)** أي لأجل منافعهم **(فمن بخل بتلك المنافع عن العباد)** بأن لم يعطوا منها لمن يستحق **(نقلها الله تعالى عنه وحوّلها إلى غيره»)** ﴿لأن الله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ [الرعد: ١١] فالعاقل الحازم من يستديم النعمة ويداوم الشكر والأفضال منها لعباده. قال العراقي: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وأبو نعيم وفيه محمد بن حسان السمتي فيه لين ووثقه ابن معين يرويه عن أبي عثمان عبدالله بن زيد الحمصي ضعفه الأزدي انتهى.

قلت: سياق المصنف لتمام في فوائده إلا أنه قال: اختصهم بدل يخصهم وفيه نقل الله تلك النعم عنهم وحولها إلى غيرهم، ولفظ الطبراني في الكبير، وكذا لفظ أبي نعيم: إن لله عز وجل أقواماً يختصهم بالنعم لمنافع العباد ويقرها فيهم ما بذلوها فإذا منعوها نزعها منها فحوّلها إلى غيرهم» وهكذا رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج، وأحمد، والحاكم، والبيهقي في الشعب، والخطيب، وابن النجار. فالطبراني والبيهقي روياه من طريق الاوزاعي عن عبدة بن أبي لبابة، عن ابن عمر، وقيل: بإدخال نافع بين عبدة وابن عمر.

(وعن الهلالي) منسوب إلى بني هلال. قال ابن حبيب في هوازن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن نسب إليه خلق **(قال: أتى رسول الله ﷺ بأسارى من بني العنبر)** وهم قبيلة من بني تميم، وهم بنو العنبر بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، ومنهم كانت سجاح ابنة أوس بن جوير بن اسامة بن العنبري التي تنبأت وهي مشهورة، **(فأمر بقتلهم وأفرد منهم رجلاً)** أي فلم يقتله، **(فقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: يا رسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد، فما بال هذا من بينهم؟ فقال النبي ﷺ:**

فقال: اقتل هؤلاء واترك هذا فإن الله تعالى شكر له سخاء فيه »، وقال ﷺ: « إن لكل شيء ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح ». وعن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: « طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء ». وقال ﷺ: « من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليه » فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال، وقال

« نزل علي جبريل فقال: اقتل هؤلاء واترك هذا فإن الله تعالى شكر له سخاء فيه ») قال العراقي: لم أجد له أصلاً. والهلالي لا يعرف اسمه، فإن كان هو عبد الحميد بن الحسن الهلالي فإنه يروي عن ابن المنكدر فانظره.

(وقال النبي ﷺ: « إن لكل شيء ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح ») قال العراقي لم أقف له على أصل.

قلت: ولكن المعنى صحيح ومنه قولهم: إما نعم صريحة وإلا مريحة.

(وعن نافع) مولى ابن عمر، (عن ابن عمر) رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: « طعام الجواد دواء) لكونه يطعم الضيف مع سماحة نفس وطيب خاطر وانشراح صدر، (وطعام البخيل داء ») لأنه يطعم مع تفجع وضيق نفس. قال العراقي: رواه ابن عدي، والدارقطني في غرائب مالك، وأبو علي الصوفي في عواليه. وقال: رجاله ثقات أئمة قال ابن القطان: وإنهم لمشاهير [illegible]ـات إلا مقدام بن داود، فإن أهل مصر تكلموا فيه انتهى.

قلت: هو في الكامل لابن عدي من طريق أحمد بن محمد بن شبيب السجزي، عن محمد بن معمر البحراني، عن روح بن عبادة، عن الثوري، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر به مرفوعاً. ورواه الخطيب في المؤتلف والمختلف وفي ذم البخلاء، وأبو القاسم الخرقي في فوائده بلفظ: « طعام السخي دواء - أو قال شفاء - وطعام الشحيح داء » ولفظ بعضهم: « طعام الكريم » وكذلك رواه الحاكم في التاريخ، ومن طريقه الديلمي في مسنده بلفظ طعام السخي دواء وطعام الشحيح داء » قال السخاوي، قال شيخنا: هو حديث منكر. وقال الذهبي: كذب. وقال ابن عدي: إنه باطل عن مالك فيه مجاهيل وضعفاء ولا يثبت انتهى. ورواه ابن لال في مكارم الأخلاق، والديلمي من حديث عائشة بمثل لفظ الحاكم.

(وقال ﷺ: « من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليه ») أي ثقلهم، فمن أنعم الله عليه بنعمة تهافتت عليه عوام الخلق، (فمن لم يحتمل تلك المؤنة) فقد (عرض تلك النعمة للزوال) لأن النعمة إذا لم تشكر زالت، ولذا قال حكيم: النعم وحشية قيدوها بالشكر، ومن ثم قال الفضيل بن عياض: أما علمتم أن حاجة الناس إليكم نعمة من الله عليكم فاحذروا أن تملوا وتضجروا من حوائج الناس فتصير النعم نقماً أخرجه أبو نعيم في الحلية.

وقال محمد بن الحنفية: أيها الناس اعلموا أن حوائج الناس إليكم نعم الله عليكم فلا تملوها

عيسى عليه السلام: استكثروا من شيء لا تأكله النار، قيل: وما هو؟ قال: المعروف.

فتتحول نقماً، واعلموا أن أفضل المال ما أفاد ذخراً وأورث شكراً وأوجب أجراً، ولو رأيتم المعروف رجلاً لرأيتموه حسناً جميلاً يسر الناظرين أخرجه البيهقي.

والحديث قال العراقي رواه ابن عدي وابن حبان في الضعفاء من حديث معاذ بلفظ: « ما عظمت نعمة الله على عبد إلا » فذكره وفيه أحمد بن معدان. قال أبو حاتم. مجهول والحديث باطل. ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عمر بإسناد منقطع، وفيه حليس بن محمد أحد المتروكين، ورواه العقيلي من حديث ابن عباس. قال ابن عدي: يروى من وجوه كلها محفوظة انتهى.

قلت روي هذا من حديث معاذ وعمر وعائشة وأبي هريرة وابن عباس.

أما حديث معاذ، فرواه البيهقي في الشعب، وأبو يعلى، والعسكري من طريق ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان: عن معاذ بن جبل به مرفوعاً، ورواه البيهقي أيضاً بإثبات مالك بن يخامر بين خالد ومعاذ. ورواه أيضاً أبو سعد السمان في مشيخته، وأبو إسحاق المستملي في معجمه، والخطيب، وابن النجار، وراويه عن ثور بن يزيد عندهم جميعاً أحمد بن معدان العبدي وهو مجهول. وقال البيهقي بعد أن أخرجه: هذا حديث لا أعلم أنا كتبناه إلا بإسناد وهو كلام مشهور عن الفضيل انتهى.

وأما حديث عمر، فرواه أيضاً الشيرازي في الألقاب موقوفاً ولفظهم جميعاً: « ما عظمت نعمة على عبد إلا وعظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل مؤنة الناس فقد عرض تلك النعمة للزوال ».

وأما حديث عائشة، فرواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج، والطبراني. قال المنذري: ضعيف ولفظه: « ما عظمت نعمة الله على عبد إلا اشتدت عليه مؤنة الناس فمن لم يحتمل تلك المؤنة للناس فقد عرض تلك النعمة للزوال ».

وأما حديث ابن عباس: فرواه العقيلي في الضعفاء وضعفه. ورواه أبو نعيم في الحلية ولفظه: « ما من عبد أنعم الله عليه نعمة فاسبغها ثم جعل إليها شيئاً من حوائج الناس فتبرم فقد عرض تلك النعمة للزوال ».

وأما حديث أبي هريرة فلفظ: « ما من عبد أنعم الله عليه نعمة سبغها عليه إلا جعل شيئاً من حوائج الناس إليه فإن تبرم بهم عرض تلك النعمة للزوال ». رواه البيهقي من طريق الإوزاعي، عن ابن جريج، عن عطاء عنه. فهذه الأخبار وإن كانت طرقها غير محفوظة، ولكن بعضها يؤكد بعضاً وأمثلها إسناد أبي هريرة.

(وقال عيسى عليه السلام: استكثروا من شيء لا تأكله النار. قيل: وما هو، قال: المعروف) نقله صاحب القوت، والمعنى: لا تأكل النار صاحبه. **(وقالت عائشة رضي الله**

وقالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: «الجنة دار الأسخياء». وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «إن السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار، وإن البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار، وجاهل سخي أحب إلى الله من عالم بخيل، وأدوأ الداء البخل». وقال ﷺ:

عنها: قال رسول الله ﷺ: «الجنة دار الأسخياء» لأن السخاء خلق الله الأعظم، كما ورد في الخبر وهو يحب من يتخلق بشيء من أخلاقه، فلذلك صلحوا لجواره في داره. قال العراقي: رواه ابن عدي، والدارقطني في المستجاد، والخرائطي. قال الدارقطني: لا يصح ومن طريقه روى ابن الجوزي في الموضوعات. وقال الذهبي: حديث منكر ما آفته سوى جحدر.

قلت: رواه الدارقطني فيه من طريق آخر، وفيه محمد بن الوليد الموقري وهو ضعيف أيضاً انتهى.

قلت: هو في الكامل لابن عدي، عن زيد بن عبد العزيز عن جحدر، عن بقية، عن الإوزاعي، عن عائشة ثم قال: جحدر يسرق الحديث ويروي المناكير، وكذلك رواه أبو الشيخ في الثواب، والقضاعي في المسند، وقد روي أيضاً من حديث أنس لكن بزيادة «والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة بخيل ولا عاق والديه ولا منان بما أعطى» رواه كذلك ابن عدي، وأبو الشيخ، والخطيب في ذم البخلاء، والديلمي في المسند.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: «إن السخي قريب من الله)** أي من رحمته وثوابه فليس المراد قرب المسافة تعالى الله عنه **(قريب من الناس)** أي من محبتهم فالمراد قرب المودة **(قريب من الجنة)** لسعيه فيما يدنيه منها وسلوكه طريقها فالمراد هنا قرب المسافة **(بعيد من النار)** والقرب من الجنة والبعد من النار جائز باعتبار قرب المسافة لأنهما مخلوقتان، والقرب والبعد إنما هو برفع الحجاب وعدم رفعه. فإذا قلت: الحجب؟ قلت: المسافة **(وإن البخيل بعيد من الله بعيد من الناس)** أما بعده عن الله فلكون البخل مما أبغضه الله تعالى فهو بعيد عن رحمته تعالى وثوابه، وأما بعده عن الناس فلكونهم يمقتونه فيبعدوه عنه ويبعد عنهم، **(بعيد من الجنة)** لأنه لم يسلك طريقها. **(قريب من النار)** لكونها حفت بالشهوات وحجبت بها والبخل بالمال شهوة نفسية هي طريقه الموصلة إلى النار. **(وجاهل سخي أحب إلى الله من عابد بخيل»)** لأن الجاهل السخي سريع الانقياد إلى ما يؤمر به من نحو تعلم وإلى ما ينهى عنه بخلاف العابد البخيل.

قال ابن العربي: وهذا مشكل يباعد الحديث عن الصحة مباعدة كثيرة، وعلى حاله فيحتمل أن معناه إن الجهل قسمان: جهل ما لا بد من معرفته في عمله واعتقاده، وجهل بما يعود نفعه على الناس من العلم، فأما المختص به فعابد بخيل خير منه، وأما الخارج عنه فجاهل سخي خير منه لأن

« اصنع المعروف إلى من هو أهله وإلى من ليس بأهله ، فإن أصبت أهله فقد أصبت

الجهل والعلم يعودان للاعتقاد والسخاء والبخل للعمل ، **(وعقوبة ذنب الاعتقاد أشد من ذنب العمل انتهى .**

(« وأدوأ الداء البخل ») أي أعظمه داء . قال العراقي : رواه الترمذي وقال : غريب ولم يذكر فيه أدوأ الداء البخل ، وقد رواه بهذه الزيادة الدارقطني فيه انتهى .

قلت : سياق المصنف رواه ابن جرير في تهذيبه بتلك الزيادة من حديث أبي هريرة بدون : « ان » في الجملتين وقال : ولجاهل . وقال : أكبر الداء البخل . وأما الذي رواه الترمذي من حديث أبي هريرة بدون « إن » في الموضعين وبزيادة اللام في جاهل وبدون تلك الزيادة ، فقد رواه من طريق سعد بن محمد الوراق عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن الأعرج عن أبي هريرة وقال : إنه غريب ، وإنما يروي هذا عن يحيى عن سعيد عن عائشة مرسلاً انتهى .

وكذلك رواه العقيلي في الضعفاء ، والدارقطني في الإفراد ، وابن عدي ، والبيهقي ، والخرائطي في مكارم الأخلاق ، والخطيب في كتاب البخلاء كلهم من حديث أبي هريرة . وقد روي أيضاً حديث جابر ، وعائشة ، وأنس .

أما حديث جابر ، فرواه البيهقي في الشعب .

وأما حديث عائشة ، فرواه أبو بكر بن أبي داود ، عن جعفر بن محمد بن المرزبان ، عن خالد بن يحيى ، عن غريب بن عبد الواحد ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، عن عائشة فزاد فيه سعيداً لكنه غريب لا يعرف . ورواه الدارقطني ، والطبراني في الأوسط والبيهقي ، والخطيب من طريق سعيد بن محمد الوراق ، وأيضاً عن يحيى بن سعيد ، عن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، عن عائشة ، وعند بعضهم ، عن الوراق ، عن يحيى بن عروة ، عن عائشة . والوراق قال الذهبي : ضعيف . وقال البيهقي : تفرد به الوراق وهو ضعيف . ورواه القشيري في الرسالة من طريق سعيد بن مسلمة ، عن يحيى بن سعيد ، عن محمد بن إبراهيم . ولكن بدون الجملة الأخيرة وفيه : « والجاهل السخي أحب إليّ لله من العابد البخيل » .

وأما حديث أنس ؛ فرواه الطبراني وفي مسنده محمد بن تميم وهو وضاع . وقال الدارقطني بعد أن أورد هذا الحديث : له طرق ولا يثبت منها شيء ، فتعلق ابن الجوزي بهذه الزيادة فأورد الحديث في الموضوعات ، وقد ردّ عليه الحافظ ابن حجر بأنه لا يلزم من هذه العبارة أن يكون موضوعاً ، فالثابت يشمل الصحيح والضعيف دونه وهذا ضعيف ، فالحكم عليه بالوضع ليس بجيد نقله السخاوي في المقاصد ، والشمس الداودي وغيرهما .

(وقال النبي ﷺ : « اصنع المعروف إلى من هو أهله وإلى من ليس بأهله فإن أصبت

أهله، وإن لم تصب أهله فأنت من أهله». وقال ﷺ: «إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الأنفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين». وقال أبو سعيد الخدري: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل جعل للمعروف وجوهاً من خلقه حبب إليهم المعروف وحبب إليهم فعاله ووجه طلاب المعروف إليهم ويسر عليهم إعطاءه كما يسر الغيث إلى البلدة الجدبة فيحييها ويحيي به أهلها». وقال

أهله فقد أصبت أهله وإن لم تصب أهله فأنت أهله») قال العراقي: رواه الدارقطني في المستجاد من رواية جعفر بن محمد عن أبيه، عن جده مرسلاً، وتقدم في آداب الصحبة.

قلت: ورواه ابن النجار من حديث علي. ورواه ابن لال، والخطيب في رواية مالك من حديث ابن عمر.

(وقال ﷺ: «إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الأنفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين») قال العراقي: رواه الدارقطني في المستجاد، وأبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث أنس. وفيه محمد بن عبد العزيز بن المبارك الدينوري. أورد ابن عدي له مناكير، وفي الميزان أنه ضعيف منكر الحديث. وروى الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي سعيد نحوه، وفيه صالح المري متكلم فيه انتهى.

قلت: وكذلك رواه الخلال في كرامات الأولياء، وهو من حديث الحسن عن أنس وقد رواه الحكيم في النوادر، وابن أبي الدنيا في كتاب السخاء، والبيهقي من طريقه من مرسل الحسن ولفظه: «إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بكثرة صوم ولا صلاة، ولكن دخلوها برحمة الله وسلامة الصدور وسخاوة الأنفس والرحمة لجميع المسلمين».

(وقال أبو سعيد الخدري) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل جعل للمعروف)** وهو اسم جامع لما عرف من الطاعة وندب من الإحسان **(وجوهاً)** أي جماعات فكنى بالوجه عن الذات **(من خلقه)** أي الآدميين بقرينة قوله: **(حبب إليهم المعروف)** أي جبلهم عليه **(وحبب إليهم فعاله)** أي لأجل القيام به ونشره في العالم أن يفعلوه مع غيرهم، **(ووجه طلاب المعروف إليهم)** أي إلى قصدهم وسؤالهم له في فعله معهم **(ويسر)** أي سهل **(عليهم إعطاءهم)** إياه، وفي رواية اعطاءه أي هيأ لهم أسبابه **(كما يسر الغيث إلى الأرض الجدبة)** أي الممحلة **(فيحييها)** به فتخرج نباتها باذن ربها **(ويحيي به أهلها»)** أي بما تخرج من النبات هم ومواشيهم وفي رواية: ليحييها ويحيي أهلها. قال العراقي: رواه الدارقطني في المستجاد من رواية أبي هارون العبدي عنه وأبو هارون ضعيف. ورواه الحاكم من حديث علي وصححه انتهى.

قلت: ولحديث أبي سعيد بقية وهي «وإن الله تعالى جعل للمعروف أعداء من خلقه بغض

ﷺ : « كل معروف صدقة وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة، وما وقى به الرجل عرضه فهو له صدقة، وما أنفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها ». وقال

إليهم المعروف وبغض إليهم فعاله وحظر عليهم إعطاءه كما يحظر الغيث عن الأرض الجدبة ليهلكها ويهلك بها أهلها وما يعفو أكثر » وهكذا رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج، وهو من طريق عثمان بن سماك، عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد. وقد رواه أيضاً أبو الشيخ، وأبو نعيم، والديلمي باللفظ المذكور.

(وقال رسول الله ﷺ : « كل معروف) أي ما عرف فيه رضا الله أو ما عرف من جملة الخيرات أو ما شهد عيانه بموافقته وقبول موقعه بين الأنفس فلا يلحقها منه تنكر **(صدقة »)** أي بمنزلة الصدقة وثوابه كثوابها. رواه أحمد، والبخاري، وابن حبان، والدارقطني، والحاكم من حديث جابر. ورواه الطبراني في الكبير من حديث بلال ورواه أحمد، ومسلم، وأبو داود، وأبو عوانة، وابن حبان من حديث حذيفة. ورواه ابن حبان من حديث ابن مسعود، ورواه ابن أبي الدنيا من حديث ابن عباس. ورواه الطبراني في الكبير من حديث عدي بن ثابت، عن أبيه، عن جده. ورواه أحمد، والطبراني في الصغير من حديث نبيط بن شريط. ورواه الطبراني في الكبير من حديث عبدالله بن يزيد، وقد رويت في هذا الحديث زيادات فمنها ما ذكره المصنف: **(« وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة)** لأنه ينكف بذلك عن السؤال ويكف. من ينفق عليه **(وما وقى به الرجل عرضه فهو له صدقة)** وهو ما يعطيه الشاعر أو من يخاف شره ولسانه وإنما كان صدقة لأن صيانة العرض من جملة الخيرات لا أنه يحرم على الغير كالدم والمال، **(وما أنفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها »)** قال العراقي: رواه ابن عدي، والدارقطني في المستجاد، والخرائطي، والبيهقي في الشعب من حديث جابر، وفيه عبد الحميد بن الحسن الهلالي وثقة ابن معين وضعفه الجمهور. والجملة الأولى منه عند البخاري من حديث جابر وعند مسلم من حديث حذيفة انتهى.

قلت: رواه بتمامه عبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج، والحاكم من طريق عبد الحميد بن الحسن، عن محمد بن المنكدر عن جابر. وقال الحاكم: صحيح وتعقبه الذهبي بقوله: إن عبد الحميد ضعفوه، وقال في الميزان أنه غريب جداً. ولفظ حديث جابر بعد الجملة الأولى: « وما أنفق المسلم من نفقة على نفسه وأهله كتب له بها صدقة، وما وقى به المرء المسلم عرضه كتب له بد صدقة، وكل نفقة أنفقها المسلم فعلى الله خلفها والله ضامن إلا نفقة في بنيان أو معصية ». وتقدم أن القضاعي روى من هذه الطريق: « ما وقى به المرء عرضه فهو له صدقة، وما أنفق الرجل على أهله ونفسه كتبت له صدقة » وفيه قال عبد الحميد الهلالي، فقلت لمحمد بن المنكدر: ما معنى ما وقى به عرضه الخ؟ وقد تقدم. وتقدم أيضاً أن عبد الحميد لم ينفرد به، بل رواه القضاعي أيضاً من طريق مسعود بن الصلت المزني، وبهذا يجاب عن تعقب الذهبي على الحاكم.

ومن جملة الزيادات في حديث جابر: « يصنعه أحدكم إلى غني أو فقير » رواه أبو يعلى في

ﷺ : « كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب إغاثة اللهفان » . وقال ﷺ : « كل معروف فعلته إلى غني أو فقير صدقة » . وروي أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام : لا تقتل السامري فإنه سخي . وقال جابر : بعث رسول الله ﷺ بعثاً

حديث جابر : « وإن من المعروف أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط وأن تصب من دلوك في إناء جارك » رواه أحمد وعبد بن حميد والترمذي وقال : حسن صحيح ، والدارقطني ، والحاكم .

ومن الزيادات في حديث بلال : « والمعروف يقي سبعين نوعاً من البلاء ويقي ميتة السوء » الحديث . رواه هكذا ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج ، والخرائطي ، وابن النجار .

ومن الزيادة في حديث ابن مسعود : « غنياً كان أو فقيراً » رواه الطبراني في الكبير .

ومن الزيادات في حديث ابن عباس ما أشار إليه المصنف بقوله : **(وقال ﷺ : « كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب إغاثة اللهفان »)** أي المتحير في أمره الحزين المسكين الذي لا يجد له مغيثاً ولا ناصراً . قال العراقي : رواه الدارقطني في المستجاد من رواية الحجاج بن ارطأة ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده والحجاج ضعيف وقد جاء مفرقاً والجملة الأولى تقدمت قبله ، والجملة الثانية تقدمت في كتاب العلم من حديث أنس وغيره ، والجملة الثالثة رواه أبو يعلى من حديث أنس وفيها زيادة النميري ضعيف . وروى ابن عدي الجملتين الأخيرتين في ترجمة سليمان الشاذ كوني من حديث بريدة انتهى .

قلت : وروى البيهقي هذه الجمل الثلاثة معاً في الشعب من حديث ابن عباس ، وفيه طلحة بن عمرو . قال الذهبي : قال أحمد : متروك الحديث .

(وقال ﷺ : « كل معروف فعلته إلى غني أو فقير صدقة ») قال العراقي : ، رواه الدارقطني في المستجاد من حديث أبي سعيد وجابر ، والطبراني والخرائطي ، كلاهما في مكارم الأخلاق . ومن حديث ابن مسعود ، وابن منيع من حديث ابن عمر بإسنادين ضعيفين اهـ .

قلت : حديث جابر رواه أيضاً الخطيب في الجامع ، وابن عساكر في التاريخ بلفظ : « صنعته » بدل « فعلته » وفيه : صدقة . وحديث ابن مسعود رواه أيضاً ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج ، وحديث ابن عمر رواه ابن أبي الدنيا أيضاً في الكتاب المذكور .

(وروي) في الإسرائيليات **(أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام : لا تقتل السامري فإنه سخي)** وهو رجل من اليهود وقصته مذكورة في القرآن وطائفة من اليهود ينتسبون إليه . وذكر المسعودي أنهم ينكرون نبوة داود ومن بعده من الأنبياء يقولون : لا نبي بعد موسى وجعلوا رؤساءهم من ولد هارون بن عمران ويقولون : لا مساس . ويزعمون أن نابلس هي بيت المقدس وهي مدينة يعقوب عليه السلام .

(وقال جابر) بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه : **(بعث رسول الله ﷺ بعثاً)** أي سرية

عليهم قيس بن سعد بن عبادة، فجهدوا فنحر لهم قيس تسع ركائب، فحدثوا رسول الله ﷺ بذلك، فقال ﷺ: «إن الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت».

الآثار: قال علي كرّم الله وجهه، إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق منها فإنها لا تفنى، وإذا أدبرت عنك فأنفق منها فإنها لا تبقى وأنشد:

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة ... فليس ينقصها التبذير والسرف
وإن تولت فأحرى أن تجود بها ... فالحمد منها إذا ما أدبرت خلف

وسأل معاوية الحسن بن علي رضي الله عنهم عن المروءة والنجدة والكرم فقال: أما المروءة فحفظ الرجل دينه وحرزه نفسه وحسن قيامه بضيفه وحسن المسارعة والإقدام في الكراهية. وأما النجدة فالذب عن الجار والصبر في المواطن، وأما الكرم فالتبرع

(ولي عليهم قيس بن سعد بن عبادة) بن دليم بن حارثة بن الخزرج الأنصاري الخزرجي، صحابي ابن صحابي رضي الله عنهما، مات سنة ستين أو بعدها، روى له الجماعة، **(فجهدوا)** بالضم مبنياً للمفعول أي أصابهم الجهد **(فنحر لهم قيس تسع ركائب)** جمع ركوبة بالفتح وهي الناقة تركب، **(فحدثوا رسول الله ﷺ بذلك)** لما قدموا. **(فقال ﷺ: «إن الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت»)** يشير به إلى بيت سعد بن عبادة، فإنهم مشهورون بالجود والإطعام من آبائهم. قال العراقي: رواه الدارقطني في المستجاد من رواية أبي حمزة الحميري عن جابر ولا يعرف إسمه ولا حاله اهـ.

قلت: ورواه أيضاً أبو بكر الشافعي في الغيلانيات، وابن عساكر بسياق المصنف عن جابر عن عبدالله. ورواه ابن عساكر أيضاً عن جابر بن سمرة. وقول المصنف يحتمل أن يكون جابر الأنصاري، وأن يكون جابر بن سمرة.

(الآثار: قال علي كرم الله وجهه: إذا أقبلت الدنيا) إليك فإن وفر مالك وجاهك **(فانفق منها)** لمن يستحق **(فإنها لا تبقى)** بإنفاقك مع الإقبال، **(وإذا أدبرت)** عنك وولت **(فانفق منها)** أيضاً **(فإنها لا تبقى)** فالإنفاق منها محمود على كل حال **(وأنشد)**:

(لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة ... فليس ينقصها التبذير والسرف)
(وإن تولت فأحرى أن تجود بها ... فالحمد منها إذا ما أدبرت خلف)

(وسأل معاوية) بن أبي سفيان **(الحسن بن علي)** رضي الله عنهما **(عن المروءة والنجدة والكرم)** ما حدها؟ **(فقال)** الحسن: **(أما المروءة فحفظ الرجل دينه)** عما لا يليق به **(وحرزه نفسه)** عن الذهول والدناءة **(وحسن قيامه)** أي التعهد **(بضيفه وحسن المسارعة والإقدام في الكراهية)** أي فيما تكرهه النفس، وهذه الأوصاف هي المعبر عنها بالإنسانية. **(وأما النجدة. فالذب)** أي الدفع والمنع **(عن الجار)** بأن لا يوطىء جاره بما يكره، **(والصبر في**

بالمعروف قبل السؤال والإطعام في المحل والرأفة بالسائل مع بذل النائل. ورفع رجل إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما رقعة فقال: حاجتك مقضية. فقيل له: يا ابن رسول الله لو نظرت في رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك. فقال: يسألني الله عز وجل عن ذل مقامه بين يدي حتى أقرأ رقعته. وقال ابن السماك: عجبت لمن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الأحرار بمعروفه. وسئل بعض الأعراب: من سيدكم؟ فقال: من احتمل شتمنا وأعطى سائلنا وأغضى عن جاهلنا. وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما: من وصف ببذل ماله لطلابه لم يكن سخياً وإنما السخي من يبتدىء بحقوق الله تعالى في أهل طاعته ولا تنازعه نفسه إلى حب الشكر له إذا كان يقينه بثواب الله تاماً. وقيل للحسن البصري: ما السخاء؟ فقال: أن تجود بمالك في الله عز وجل. قيل: فما الحزم؟ قال: أن تمنع مالك فيه، قيل: فما الإسراف؟ قال: الإنفاق لحب الرياسة، وقال جعفر الصادق رحمة الله عليه: لا مال أعون من العقل، ولا مصيبة أعظم من الجهل، ولا مظاهرة كالمشاورة. ألا

المواطن) أي مواطن الشدة. **(وأما الكرم: فالتبرع بالمعروف قبل السؤال)** أي يبتدىء به قبل أن يسأل، **والإطعام في المحل)** أي وقت الجدب وقلة المطر، **(والرأفة بالسائل)** أي الشفقة والرحمة بحاله **(مع بذل النائل)** أي العطاء.

(ورفع رجل إلى) أبي عبدالله **(الحسن بن علي)** رضي الله عنهما **(رقعة)** يسأله فيها حاجة. **(فقال: حاجتك مقضية)** وذلك قبل أن يقرأها. **(فقيل له: يا ابن رسول الله لو نظرت في رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك؟ قال: يسألني الله عز وجل عن ذل مقامه)** أي وقوفه **(بين يدي حتى اقرأ رقعته. وقال)** محمد بن صبيح **(ابن السماك)** البغدادي الواعظ، **(عجبت لمن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الأحرار بمعروفه)** أخرجه أبو نعيم في الحلية. **(وسئل بعض الأعراب: من سيدكم؟ فقال: من احتمل شتمنا)** فلم يرد عليه بمثله **(وأعطى سائلنا)** بماله ومعروفه **(وأغضى)** أي سامح **(عن جاهلنا)** فلم يؤاخذه بجهله. **(وقال علي بن الحسين)** زين العابدين رضي الله عنه: **(من وصف ببذل ماله لطلابه لم يكن سخياً وإنما السخي من يبتدىء بحقوق الله تعالى في أهل طاعته ولا تنازعه نفسه إلى حب الشكر له إذا كان يقينه بثواب الله تاماً »)** أخرجه أبو نعيم في الحلية. **(وقيل للحسن البصري)** رحمه الله تعالى: **(ما السخاء؟ قال: أن تجود بمالك في الله عز وجل. قيل: وما الحزم؟ قال أن تمنع مالك فيه)** أي في الله عز وجل. **(قيل: فما الإسراف، قال: الإنفاق لحب الرئاسة)** أخرجه أبو نعيم في الحلية. **(وقال جعفر الصادق)** رضي الله عنه: **(لا مال أعود من العقل)** أي أكثر عائدة منه، **(ولا مصيبة اعظم من الجهل، ولا مظاهرة)** وهي المعاونة **(كالمشاورة)** مع أهل الدين

وأن الله عز وجل يقول: إني جواد كريم لا يجاورني لئيم، واللؤم من الكفر وأهل الكفر في النار، والجود والكرم من الإيمان وأهل الإيمان في الجنة. وقال حذيفة رضي الله عنه: رب فاجر في دينه أخرق في معيشته يدخل الجنة بسماحته. وروي أن الأحنف بن قيس رأى رجلاً في يده درهم فقال: لمن هذا الدرهم؟ فقال: لي، فقال: أما أنه ليس لك حتى يخرج من يدك وفي معناه قيل:

أنـــت للمال إذا أمسكتـــه   فـــإذا أنفقتـه فـــالمال لـــك

وسمي واصل بن عطاء الغزال، لأنه كان يجلس إلى الغزالين فإذا رأى امرأة ضعيفة أعطاها شيئاً. وقال الأصمعي: كتب الحسن بن علي إلى الحسين بن علي رضوان الله عليهم يعتب عليه في إعطاء الشعراء فكتب إليه؟ خير المال ما وقى به العرض. وقيل لسفيان بن

والرأي المتين. (**ألا وإن الله عز وجل يقول: إني جواد كريم لا يجاورني لئيم**) أي في دار كرامتي، (**واللؤم من الكفر وأهل الكفر في النار، والجود والكرم من الإيمان وأهل الإيمان في الجنة**) وهو معنى الخبر السابق: «السخاء شجرة من أشجار الجنة واللؤم شجرة من أشجار النار». (**وقال حذيفة**) بن اليمان رضي الله عنه: (**رب فاجر في دينه**) أي ليس بدين (**أخرق في معيشته**) أي لا يدري في أمور معيشته ولا يحسن الصنعة (**يدخل الجنة بسماحته**) أي بذله لماله. (**ورأى الأحنف بن قيس رجلاً في يده درهم**) يقلبه (**فقال: لمن هذا الدرهم؟ قال: لي فقال: أما أنه ليس لك حتى يخرج من يدك. وفي معناه قيل**):

(**أنـــت للمال إذا أمسكتـــه   فـــإذا أنفقـه فـــالمال لـــك**)

أي: إذا أحرزته عندك فأنت بإزائه كالحارس له والخائف عليه، فإذا أخرجته من يدك صار لك حيث قضى حاجتك وسلمت من وباله واسترحت من حراسته.

(**وسمي واصل بن عطاء الغزال**) وهي نسبة من يبيع الغزل ولم يكن كذلك ولكنه لقب به، (**لأنه كان يجلس إلى الغزالين**) أي عندهم في سوقهم، (**فإذا رأى امرأة ضعيفة**) الحال أتت تشتري الغزل وهي فقيرة (**أعطاها شيئاً**) من المال مواساة لها، فلكثرة ملازمته لهم لقب بالغزال. وواصل هذا هو الذي كان يختلف إلى الحسن البصري، فلما اختلفوا، وقالت الخوارج بتكفير مرتكبي الكبائر، وقالت الجماعة بأنهم مؤمنون وإن فسقوا بالكبائر، فخرج واصل عن الفريقين وقال: فاسق هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر منزلة بين المنزلتين، فطرده الحسن فاعتزله وجلس إليه عمرو بن عبيد في باب مولى بلعدوية البصري من بني تميم فقيل لهما ولأتباعهما المعتزلة. وكان عمرو ورعاً مجتهداً إلا أنه يكذب في الحديث وهماً لا عمداً.

(**وقال الأصمعي**) عبد الملك بن سعيد بن قريب: (**كتب الحسن بن علي إلى**) أخيه (**الحسين بن علي رضي الله عنهما يعتب عليه في إعطاء الشعراء**) الأموال الجمة، (**فكتب**

عيينة: ما السخاء؟ قال: السخاء البر بالإخوان والجود بالمال. قال: وورث أبي خمسين ألف درهم فبعث بها صرراً إلى إخوانه. وقال: قد كنت أسأل الله تعالى لإخواني الجنة في صلاتي أفأبخل عليهم بالمال؟ وقال الحسن: بذل المجهود في بذل الموجود منتهى الجود. وقيل لبعض الحكماء: من أحب الناس إليك؟ قال: من كثرت أياديه عندي، قيل: فإن لم يكن، قال: من كثرت أياديّ عنده. وقال عبد العزيز بن مروان: إذا الرجل أمكنني من نفسه حتى أضع معروفي عنده فيده عندي مثل يدي عنده. وقال المهدي لشبيب بن شيبة: كيف رأيت الناس في داري؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن الرجل منهم ليدخل راجياً ويخرج راضياً، وتمثل متمثل عند عبدالله بن جعفر فقال:

إليه: خير المال ما وقى به العرض) أي حفظه عن الامتهان، وهو معنى الخبر السابق «ما وقى به المؤمن عرضه فهو صدقة» رواه عبد الحميد بن الحسن عن ابن المنكدر عن جابر رفعه. قال عبد الحميد: سأل ابن المنكدر عن معناه. فقال: ما يعطيه الشعراء وقد تقدم نحوه. **(وقيل لسفيان بن عيينة)** رحمه الله تعالى: **(ما السخاء؟ السخاء البرّ بالإخوان)** أي مواصلتهم بالإحسان **(والجود بالمال)** أي اعطاؤه وبذله لهم. **(قال: وورث أبي)** وهو عيينة بن ميمون الهلالي **(خمسين ألف درهم فبعث بها صرراً إلى إخوانه وقال: قد كنت أسأل الله تعالى لإخواني الجنة في صلاتي أفأبخل عليهم بالدنيا؟)** أخرجه أبو نعيم في الحلية. **(وقال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى: **(بذل المجهود)** أي الطاقة **(في بذل الموجود)** من المال **(منتهى الجود: وقيل لبعض الحكماء: من أحب الناس إليك؟ قال: من كثرت أياديه)** أي نعمه ومعروفه واحسانه **(عندي. قيل: فإن لم يكن؟ قال: من كثرت أياديَّ)** أي نعمي **(عنده، وقال عبد العزيز بن مروان)** ابن الحكم الأموي والد عمر بن عبد العزيز وأخو عبد الملك: **(إذا الرجل أمكنني من نفسه حتى أضع معروفي عنده)** أي قبله مني **(فيده عندي مثل يدي عنده)** أي سواء، **(وقال المهدي)** محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس: **(لشبيب بن شيبة)** بن عبد الله التميمي المنقري البصري كنيته أبو معمر أحد البلغاء إخباري صدوق، ولفصاحته قيل له الخطيب ولم يخطب قط. روى عن الحسن البصري، وروى له الترمذي، وقد ضعفه يحي بن معين، مات في حدود السبعين: **(كيف رأيت الناس في داري؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن الرجل منهم يدخل راجياً ويخرج راضياً)** وهذا الجواب مع اختصاره في غاية البلاغة مع ما بين يدخل ويخرج من حسن المقابلة والجناس بين راضيا وراجياً ولزوم ما لا يلزم، وفي صفوة التاريخ: وكان المهدي يقعد للمظالم فقال لبعض أصحابه: كيف رأيت الناس؟ فقال: رأيت الخارج راضياً والداخل راجياً. **(وتمثل متمثل عند عبدالله بن جعفر)** بن أبي طالب، وهو أحد أجواد قريش، وسيأتي ذكره في حكايات الأسخياء ـ **(فقال)**:

إن الصنيعـة لا تكـون صنيعـة | حتى يصاب بها طريـق المصنـعِ
فإذا اصطنعت صنيعة فاعمل بها | لله أو لـذوي القـرابـة أودعِ

فقال عبدالله بن جعفر: إن هذين البيتين ليبخلان الناس، ولكن أمطر المعروف مطراً، فإن أصاب الكرام كانوا له أهلاً وإن أصاب اللئام كنت له أهلاً.

حكايات الاسخياء: عن محمد بن المنكدر عن أم درة ـ وكانت تخدم عائشة رضي الله عنها ـ قالت: إن معاوية بعث إليها بمال في غرارتين ثمانين ومائة ألف درهم، فدعت بطبق فجعلت تقسمه بين الناس، فلما أمست قالت: يا جارية هلمي فطوري فجاءتها بخبز

(إن الصنيعـة لا تكـون صنيعـة | حتى يصاب بها طـريـق المصنـعِ)
(فإذا اصطنعت صنيعة فاعمل بها | لله أو لـذوي القـرابـة أودعِ)

وهو معنى قول الأثر السابق عن علي رضي الله عنه: الصنيعة لا تكون إلا الذي حسب ودين، وقد روي ذلك أيضاً من قول محمد بن علي بن الحسين كما في الحلية. **(فقال عبد الله بن جعفر: إن هذين البيتين ليبخلان الناس)**. أي يعلمانهم بخلاً، **(ولكن امطر المعروف مطراً)** أي عم بمعروفك على الكل، **(فإن أصاب الكرام كانوا له أهلاً، وإن أصاب اللئام كنت أنت له أهلاً)** وهو معنى الخبر السابق: «اصنع المعروف مع من هو أهله ومن ليس بأهله فإن أصاب الأهل فهو له أهل وإن لم يصب الأهل فأنت له أهل» ومن هنا قول العامة: اعمل المعروف وارمه في البحر إن لم يعرفه السمك يعرف رب السمك. فكـان عبد الله بن جعفر إنما ردّ على المتمثل قوله في المصراع الأخير حيث خصص فيه القرابة، ثم قال: «أودعِ» أي اترك. وإلا فالاختيار أن الصنيعـة تكون في ذوي حسب ودين وهذا لا ينكر، والله أعلم.

حكايات الاسخياء:

روي **(عن محمد بن المنكدر)** بن عبد الله بن الهدير التيمي المدنيّ ابن خال عائشة ثقة فاضل تقدم ذكره، **(عن أم درة وكانت تخدم عائشة رضي الله عنها)** وهي مولاة لها. هكذا ضبطه غير واحد بضم الدال المهملة، وضبطه الحافظ في التبصير بفتح الذال المعجمة وهي مقبولة. وروى له أبو داود في السنن: **(أن معاوية أو ابن الزبير)** وفي بعض النسخ الاقتصار على أحدهما بغير شك، ولفظ القوت أن ابن الزبير ولم يشك وهو عبد الله بـن الزبير رضي الله عنه **(بعث إليها بمال في غرارتين)** قالت: أراه **(ثمانين ومائة ألف درهم)** في كل غرارة تسعون ألفاً، **(فدعت بطبق)** وهي يومئذ صائمة **(فجعلت تقسمه بين الناس)** فأمست وما عندها من ذلك درهم، **(فلما أمست قالت: يا جارية هلمي بفطوري)** ولفظ القوت هلمي فطري **(فجاءتها بخبز**

وزيت فقالت لها أم درة: ما استعطت فيما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحماً نفطر عليه؟ فقالت لو كنت ذكرتني لفعلت.

وعن أبان بن عثمان قال: أراد رجل أن يضار عبدالله بن عباس فأتى وجوه قريش فقال: يقول لكم عبيدالله تغدوا عندي اليوم، فأتوه حتى ملأوا عليه الدار، فقال ما هذا؟ فأخبر الخبر، فأمر عبيدالله بشراء فاكهة وأمر قوماً فطبخوا وخبزوا، وقدمت الفاكهة إليهم فلم يفرغوا منها حتى وضعت الموائد فأكلوا حتى صدروا، فقال عبد الله لوكلائه: أموجود لنا هذا كل يوم؟ قالوا: نعم، قال: فليتغذ عندنا هؤلاء في كل يوم.

وقال مصعب بن الزبير: حج معاوية فلما انصرف مر بالمدينة، فقال الحسين بن علي لأخيه الحسن لا تلقه ولا تسلم عليه، فلما خرج معاوية، قال الحسن إن علينا ديناً فلا بدّ لنا من إتيانه فركب في اثره ولحقه فسلم عليه وأخبره بدينه، فمروا عليه ببختي عليه ثمانون ألف دينار وقد أعيا وتخلف عن الإبل وقوم يسوقونه، فقال معاوية: ما هذا فذكر له، فقال: أصرفوه بما عليه إلى أبي محمد [١].

وزيت فقالت لها أم درة: ما استعطت) ولفظ القوت: أما استطعت **(فيما قسمت اليوم ان تشتري لنا بدرهم لحماً نفطر عليه؟ قالت)**: لا تعنفيني **(ولو كنت ذكرتيني لفعلت)** هكذا نقله صاحب القوت. قال: وروى هشام بن عروة عن أبيه أن معاوية بعث إلى عائشة مرة بمائة ألف. قال: فو الله ما غابت الشمس من ذلك اليوم حتى فرقتها، فقالت مولاة لها: لو اشتريت لنا من هذه الدراهم بدرهم لحماً؟ فقالت: لو قلت لي قبل أن أفرقها فعلت. وقال تميم بن عروة بن الزبير: لقد رأيت عائشة تتصدق بسبعين ألفاً وأنها لترفع جانب درعها. ورواه حجاج عن عطاء قال: بعث معاوية إلى عائشة بطوق من ذهب فيه جوهر قوّم بمائة ألف فقسمته بين أزواج النبي ﷺ.

(وعن أبان بن عثمان) بن عفان الأموي المدني كنيته أبو سعيد، ويقال أبو عبد الله. ثقة مات سنة خمس ومائة. روى له البخاري في كتاب الأدب المفرد ومسلم والأربعة **(قال: أراد رجل أن يضار عبد الله بن عباس)** رضي الله عنه **(فأتي وجوه قريش)** أي أكابرهم **(فقال: يقول لكم عبد الله تغدوا عندي اليوم، فأتوه** حتى ملأوا عليه الدار **)** أي لكثرتهم: **(فقال: ما هذا؟ فأخبر الخبر، فأمر عبد الله بشراء فاكهة)** من السوق يليهم بها **(وأمر قوماً فطبخوا وخبزوا، وقدمت الفاكهة إليهم فلم يفرغوا منها حتى وضعت الموائد فأكلوا »حتى صدروا شباعاً)**، فقال عبدالله لوكلائه: أموجود لنا هذا كل يوم؟ فقالوا: نعم. قال: فليتغذ عندنا هؤلاء كل يوم نقله القشيري في الرسالة.

---

(١) هذه الفقرة من قوله: «وقال مصعب...» إلى قوله: «إلى أبي محمد» لم ترد في سياق الشرح.

وعن واقد بن محمد الواقدي قال: حدثني أبي أنه رفع رقعة إلى المأمون يذكر فيها كثرة الدين وقلة صبره عليه، فوقع المأمون على ظهر رقعته إنك رجل اجتمع فيك خصلتان، السخاء والحياء، فأما السخاء فهو الذي أطلق ما في يديك، وأما الحياء فهو الذي يمنعك عن تبليغنا ما أنت عليه، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم فإن كنت قد أصبت فازدد في بسط يدك، وإن لم أكن قد أصبت فجنايتك على نفسك، وأنت حدثتني وكنت على قضاء الرشيد، عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن أنس. أن النبي ﷺ قال للزبير بن العوّام: «يا زبير إعلم أن مفاتيح أرزاق العباد بإزاء العرش يبعث الله

(وعند واقد بن محمد الواقدي قال: حدثنا أبي) أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن واقد الاسلمي المعروف بالواقدي نسبة إلى جده الأعلى، وهو من موالي بني أسلم، تولى قضاء بغداد من قبل الرشيد، وولاه المأمون قضاء عسكر المهدي، وكان يكرم جانبه ومات بها. روى عن أبي ذؤيب ومعمر والإوزاعي ومالك والثوري. وعنه أبو بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن سعد كاتبه وآخرون. قال ابن معين: لا يكتب حديثه هو ليس بشيء. وقال أبو زرعة: ضعيف الحديث ترك الناس حديثه إلا للاعتبار. وقال ابن الأثير: ضعف في المغازي وغيرها، وولي قضاء شرقي بغدا د: وولد سنة ١٣٠ ومات في ذي الحجة سنة ٢٠٧. زاد ابن التراب لاثنتي عشرة خلت من ذي الحجة ببغداد. **(أنه رفع رقعة إلى المأمون)** عبد اللهبن هارون العباسي وهو يومئذ خليفة **(يذكر فيها كثرة الدين)** بسبب ضائقة لحقته **(وقلة صبره عليه)** وعين مقداره في قصته، **(فوقع المأمون على ظهر رقعته)** بخطه: **(إنك رجل اجتمع فيك خصلتان: سخاء وحياء، فأما السخاء فهو الذي أطلق ما في يديك)** بتبذير ما ملكت، **(وأما الحياء فهو الذي يمنعك عن تبليغنا ما أنت عليه)** وفي رواية، والحب حملك على أن ذكرت لنا بعض دينك. **(وقد أمرت لك بمائة ألف درهم)** وهو ضعف ما سأل وكان دينه خمسين ألف درهم، **(فإن كنت قد أصبت فازدد في بسط يدك، وإن لم أكن أصبت فجنايتك على نفسك)**، وفي رواية: فإن كنا قصرنا عن بلوغ حاجتك فجنايتك على نفسك، وإن كنا بلغنا بغيتك فزد في بسطة يدك، فإن خزائن الله مفتوحة ويده بالخير مبسوطة. **(وأنت حدثتني وأنت)** وفي رواية: حين كنت **(على قضاء الرشيد)** أي لأن الرشيد كان ولاّه قضاء شرقية بغداد **(عن محمد بن إسحاق)** بن يسار أبي بكر المطلبي مولاهم المدني نزيل العراق إمام المغازي، صدوق يدلس، مات سنة خمسين ومائة. روى له البخاري في التاريخ ومسلم والأربعة، وله ترجمة واسعة في تاريخ الخطيب، وهو أول التراجم في الكتاب عن الزهري عن أنس رضي الله عنه **(أن النبي ﷺ قال للزبير بن العوّام)** بن خويلد ابن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن عبد الله القرشي الأسدي، أحد العشرة المشهود له بالجنة رضي الله عنه: **(«يا زبير اعلم أن مفاتيح أرزاق العباد بإزاء العرش يبعث الله عز**

عز وجل إلى كل عبد بقدر نفقته، فمن كثر كثر له، ومن قلل قلل له وأنت أعلم، قال الواقدي: فوالله لمذاكرة المأمون إياي بالحديث أحب من الجائزة وهي مائة ألف درهم.

وجل إلى كل عبد بقدر نفقته فمن كثر كثر له ومن قلّل قلّل له») أي من وسع على عياله ونحوهم ممن عليه مؤنتهم وجوباً أو ندباً أدرأ له عليه من الأرزاق بقدر ذلك أو أزيد، ومن قتر قتر عليه. وشاهده الخبر: إن الله ينزل المعونة على قدر المؤنة، والخبر الآخر إن لله ملكاً ينادي كل صباح: اللهم أعط كل منفق خلفاً وأعط كل ممسك تلفاً. قال العراقي: حديث أنس مذكور رواه الدارقطني في المستجاد، وفي إسناده الواقدي، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري بالعنعنة ولا يصح اهـ.

قلت: يشير إلى أن محمد بن إسحاق يدلس كما سبق فما كان من رواياته كذلك فليس بمقبول عند أهل النقد، وقد رواه الدارقطني أيضاً في الإفراد بلفظ «إن مفاتيح الرزق متوجهة نحو العرش فينزل الله تعالى على الناس أرزاقهم على قدر نفقاتهم فمن كثر كثر له ومن قلل قلل له» وفيه أيضاً عبد الرحمن بن حاتم المرادي. قال الذهبي: ضعيف، وقد رواه كذلك ابن النجار، ولفظ المصنف رواه التيمي في الترغيب إلا أنه قال «إلى عباده على قدر نفقتهم» والباقي سواء.

وروى ابن عدي في الكامل، وأبو نعيم في الحلية كلاهما من طريق علي بن سعيد بن بشير عن أحمد بن عبد الله بن نافع ثابت بن عبد الله بن الزبير، عن هشام بن عروة، وعن فاطمة بنت المنذر، عن أسماء بنت أبي بكر قالت: قال الزبير بن العوام: مررت برسول الله ﷺ فجبذ عمامتي بيده فالتفت إليه فقال: «يا زبير ان باب الرزق مفتوح من لدن العرش إلى قوام بطن الأرض يرزق الله كل عبد على قدر همته ونهمته» وقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات. وقال عبد الله: يروي الموضوعات على الإثبات، وأقره على ذلك السيوطي في مختصر الموضوعات.

(وأنت أعلم) هذا من كلام المأمون يخاطب به الواقدي تأدباً كأنه يقول: وأنت أكثر علماً مني بذلك. **(قال الواقدي)** وكنت أنسيت الحديث **(فوالله لمذاكرة المأمون إياي الحديث)** المذكور **(أحب إلي من الجائزة ومن مائة ألف)**. وهذه الحكايات ساقها الخطيب في التاريخ مع اختلاف يسير، وكان الواقدي إماماً واسع العلم والرواية. وممن روى عنه بشر الحافي، وناهيك به منقبة له. وذكر ابن الجوزي في كتابه الذي وضعه في أخبار بشر أن بشراً أخذ عنه رقية الحمى وهي أن تكتب على ثلاث ورقات زيتون نهار السبت على واحدة جهنم غرثى، وعلى الثانية جهنم عطشى، وعلى الثالثة مقدورة، ثم تجعل في خرقة وتشد في عضد المحموم الأيسر. قال: سمعت الواقدي يقول: جربته فوجدته نافعاً.

ومما يناسب إيراده هنا ما رواه المسعودي في مروج الذهب، والخطيب في التاريخ واللفظ للمسعودي قال الواقدي: كان لي صديقان أحدهما هاشمي وكنا كنفس واحدة فنالتني ضائقة

وسأل رجل الحسن بن علي رضي الله عنهما حاجة فقال له: يا هذا حق سؤالك إياي يعظم لدي ومعرفتي بما يجب لك تكبر علي، ويدي تعجز عن نيلك بما أنت أهله، والكثير في ذات الله تعالى قليل، وما في ملكي وفاء لشكرك، فإن قبلت الميسور ورفعت عني مؤنة الاحتيال والاهتمام لما أتكلفه من واجب حقك فعلت، فقال: يا ابن رسول الله أقبل وأشكر العطية، وأعذر على المنع، فدعا الحسن بوكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها فقال: هات الفاضل من الثلاثمائة ألف درهم. فأحضر خمسين ألفاً قال: فما فعلت بالخمسمائة دينار؟ قال: هي عندي، قال أحضرها، فأحضرها فدفع الدنانير والدراهم إلى الرجل وقال: هات من يحملها لك، فأتاه بحمالين فدفع إليه الحسن رداءه

شديدة وحضر العيد، فقالت لي امرأتي: أما نحن في أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة، وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبي رحمة لهم لأنهم يرون صبيان الجيران وقد تزينوا في عيدهم وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحالة من الثياب الرثة، فلو احتلت في شيء نصرفه في كسوتهم. قال: فكتبت إلى صديقي الهاشمي اسأله التوسعة عليّ فوجه إليّ كيساً مختوماً ذكر أن فيه ألف درهم فما استقر قراري حتى كتب الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت إلى صاحبي الهاشمي، فوجهت إليه الكيس على حاله وخرجت إلى المسجد وأقمت فيه ليلتين مستحيياً من امرأتي، فلما دخلت عليها استحسنت ما كان مني ولم تعنفني عليه، فبينا أنا كذلك إذا وافى صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته، فقال لي: اصدقني عما فعلت فيما وجهت به إليك فعرفته الخبر على وجهه، فقال لي: إنك وجهت إليَّ وما أملك على الأرض إلا ما بعثت به إليك، وكتبت الى صديقنا أسأله المؤاساة فوجه كيسي بخاتمي. قال الواقدي: فتواسينا الألف درهم فيما بيننا، ثم اننا أخرجنا للمرأة مائة درهم قبل ذلك، ونمي الخبر إلى المأمون فدعاني فشرحت له الخبر فأمر لنا بسبعة آلاف دينار لكل واحد منا ألفا دينار وللمرأة ألف دينار.

(وسأل رجل الحسن بن علي) بن أبي طالب رضي الله عنه **(حاجة فقال له: يا هذا حق سؤالك إياي يعظم لدي ومعرفتي بما يجب لك تكبر عليَّ ويدي تعجز عن نيلك)** أي اعطائك **(بما أنت أهله، والكثير في ذات اليد قليل وما في ملكي وفاء لشكرك فإن قبلت الميسور ورفعت عني مؤنة الإحتيال والاهتمام لما أتكلفه من واجبك فعلت)** فانظر حسن هذا الاعتذار الجامع لفنون المعاني الآخذ بأساليب الفصاحة **(فقال)** الرجل: **(يا ابن رسول الله اقبل)** الميسور **(واشكر العطية، واعذر على المنع، فدعا الحسن بوكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها)** أي أنهاها إلى آخرها **(فقال: هات الفاضل من الثلاثمائة ألف درهم، فأحضر خمسين ألفاً قال: فما فعلت بالخمسمائة دينار؟ قال: هي عندي. قال: احضرها فاحضرها فدفع الدراهم والدنانير إلى الرجل)** المذكور **(وقال: هات من يحملها لك فأتاه**

لكراء الحمالين، فقال له مواليه: والله ما عندنا درهم! فقال: أرجو أن يكون لي عند الله أجر عظيم.

واجتمع قراء البصرة إلى ابن عباس وهو عامل بالبصرة فقالوا: لنا جار صوّام قوام يتمنى كل واحد منا أن يكون مثله، وقد زوّج بنته من ابن أخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به، فقام عبدالله بن عباس فأخذ بأيديهم وأدخلهم داره وفتح صندوقاً فأخرج منه ست بدر فقال: إحملوا، فحملوا فقال: ابن عباس ما أنصفناه أعطيناه ما يشغله عن قيامه وصيامه، إرجعوا بنا نكن أعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما يشغل مؤمناً عن عبادة ربه، وما بنا من الكبر ما لا نخدم أولياء الله تعالى ففعل وفعلوا.

وحكي أنه لما أجدب الناس بمصر وعبد الحميد بن سعد أميرهم فقال: والله لأعلمن الشيطان أني عدوّه، فعَالَ محاويجهم إلى أن رخصت الأسعار، ثم عزل عنهم فرحل وللتجار عليه ألف ألف درهم، فرهنهم بها حلي نسائه وقيمتها خمسمائة ألف ألف درهم،

بحمالين فدفع إليه) وفي نسخة إليهما **(الحسن رداءه لكراء الحمل، فقال له مواليه: والله ما عندنا درهم! فقال: ولكن أرجو أن يكون لي عند الله أجر عظيم)** فانظره كيف اعتذاره وكيف إحسانه رضي الله عنه. وأورده القشيري في الرسالة مختصراً فقال: وسأل رجل الحسن بن علي شيئاً فأعطاه خمسين ألف درهم وخمسمائة دينار وقال: ائت بحمّال يحمله، فأتى بحمال فأعطاه طيلسانه وقال: يكون كراء الحمّال من قبلي.

(و) يحكى أنه **(اجتمع قراء البصرة)** أي فقهاؤها **(إلى ابن عباس)** رضي الله عنه **(وهو عامل البصرة فقالوا: لنا جار صوّام قوّام يتمنى كل واحد منا أن يكون مثله)** وفي صلاحه، **(وقد زوج بنية له من ابن أخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به، فقام ابن عباس فأخذ بأيديهم فأدخلهم داره وفتح صندوقاً فأخرج منه ست بدر)** جمع بدرة بالفتح **(فقال: احملوها)** إليه يستعين بها، **(فحملوا فقال ابن عباس: ما انصفناه أعطيناه ما يشغله عن صيامه وقيامه، ارجعوا بنا نكن أعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما يشغل به مؤمناً عن عبادة ربه، وما بنا من التكبر ما لا نخدم أولياء الله تعالى ففعل وفعلوا)**.

(وحكى انه لما أجدب الناس بمصر) أي أقحطوا وغلت أسعارها **(وعبد الحميد بن سعد أميرهم فقال: والله لأعلمن الشيطان أني عدوّه)** أي في مخالفته له في البذل والإطعام **(فعال)** أي كفل **(محاويجهم)** أي فقراءهم وصرف إليهم ما يحتاجونه **(إلى أن رخصت الأسعار)** وارتفع الغلاء عنهم، **(ثم عزل عنهم فرحل وللتجار عليه ألف ألف درهم)** مما

فلما تعذر عليه ارتجاعها كتب إليهم ببيعها ودفع الفاضل منها عن حقوقهم إلى من لم تنله صلاته.

وكان أبو طاهر بن كثير شيعياً فقال له رجل: **بحق علي بن أبي طالب لما وهبت لي نخلتك بموضع كذا وكذا**، فقال: **قد فعلت، وحقه لأعطينك ما يليها، وكان ذلك** أضعاف ما طلب الرجل.

وكان أبو مرثد أحد الكرماء فمدحه بعض الشعراء فقال للشاعر: **والله ما عندي ما** أعطيك ولكن قدمني إلى القاضي وادع علي بعشرة آلاف درهم حتى أقر لك بها ثم احبسني، فإن أهلي لا يتركونني محبوساً ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع إليه عشرة آلاف درهم وأخرج أبو مرثد من الحبس.

وكان معن بن زائدة عاملاً على العراقين بالبصرة فحضر بابه شاعر فأقام مدة وأراد الدخول على معن فلم يتهيأ له فقال يوماً لبعض خدام معن، إذا دخل الأمير البستان فعرفني فلما دخل الأمير البستان أعلمه، فكتب الشاعر بيتاً على خشبة وألقاها في الماء

كان يستقرضه منهم في تلك المصاريف، (**فرهنهم بها حلى نسائه وقيمته خمسمائة ألف ألف درهم، فلما تعذر عليه ارتجاعها كتب إليهم ببيعها ودفع الفاضل منها عن حقوقهم**) وهو أربعمائة ألف ألف وتسعة وتسعون ألف ألف (**إلى من لم تنله صلاته**) أي لم تبلغه حال كونه بمصر.

(**وكان أبو طاهر بن كثير شيعياً فقال له رجل: بحق علي بن أبي طالب**) رضي الله عنه (**لما وهبت لي نخلتك**) الكائنة (**بموضع كذا**) وسماه (**فقال: قد فعلت، وحقه لأعطينك ما يليها**) أي يتصل بها من الأرض، (**وكان ذلك أضعاف ما طلب الرجل**).

(**وكان أبو مرثد أحد الكرماء**) المشهورين (**فمدحه بعض الشعراء فقال للشاعر: والله ما عندي ما أعطيك ولكن قدمني إلى القاضي وادع علي بعشرة آلاف درهم حتى أقر لك بها ثم احبسني، فإن أهلي لا يتركونني محبوساً ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع إليه عشرة آلاف درهم وأخرج أبو مرثد من الحبس**) نقله القشيري في الرسالة.

(**وكان معن بن زائدة**) بن مطر بن شريك بن عمرو بن قيس بن شراحيل بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان الشيباني الكريم الجواد المشهور (**عاملاً على العراقين بالبصرة**) عراق العرب وعراق العجم والبصرة هي القاعدة، (**فحضر بابه شاعر فأقام مدة وأراد الدخول على معن، فلم يتهيأ له فقال يوماً لبعض خدم معن: إذا دخل الأمير البستان فعرفني، فلما دخل**

الذي يدخل البستان وكان معن على رأس الماء فلما بصر بالخشبة أخذها وقرأها فإذا مكتوب عليها:

أيا جود معن ناج معنا بحاجتي فما لي إلى معن سواك شفيع

فقال: من صاحب هذه؟ فدعي بالرجل، فقال له: كيف قلت؟ فقاله، فأمر له بعشر بدر، فأخذها ووضع الأمير الخشبة تحت بساطه فلما كان اليوم الثاني أخرجها من تحت البساط وقرأها ودعا بالرجل فدفع إليه مائة ألف درهم، فلما أخذها الرجل تفكر وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج، فلما كان في اليوم الثالث قرأ ما فيها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن: حق على أن أعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار.

وقال أبو الحسن المدائني: خرج الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر حجاجاً ففاتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا، فمروا بعجوز في خباء لها فقالوا: هل من شراب؟ فقالت: نعم، فأناخوا إليها وليس لها إلا شويهة في كسر الخيمة فقالت: أحلبوها وامتذقوا لبنها،

أعلمه فكتب الشاعر بيتاً على خشبة وألقاها في الماء الذي يدخل بستان معن، وكان معن) جالساً (**على رأس الماء، فلما بصر بالخشبة أخذها وقرأها فإذا عليها مكتوب**):

(**أيا جود معن ناج معنا بحاجتي فما لي إلي معن سواك شفيعُ**)

(**قال**) الراوي (**فقال**) معن: (**من صاحب هذه؟ فدعي بالرجل فقال له: كيف قلت؟ فقاله**) أي أنشد ذلك البيت، (**فأمر له بعشر بدر فأخذها ووضع الأمير الخشبة تحت بساطه، فلما كان اليوم الثاني أخرجها من تحت البساط وقرأ ما فيها ودعا بالرجل فدفع إليه مائة ألف درهم، فلما أخذها الرجل تفكر وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج**) من البصرة، (**فلما كان اليوم الثالث قرأ ما فيها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد، فقال معن: حق علي أن أعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار**) نقله القشيري في الرسالة.

(**وقال أبو الحسن**) علي بن محمد بن عبدالله بن أبي سيف (**المدائني**) مولى عبدالله بن أبي سمرة القرشي صاحب التصانيف المشهورة. عالم بأيام الناس صدوق صام ثلاثين سنة متتابعة، بصري الأصل انتقل إلى المدائن ثم إلى بغداد. يروي عنه الزبير بن بكار وأحمد بن أبي خيثمة، ومات بمكة سنة ٢٢٤ وهو ابن ثلاثة وتسعين: (**خرج الحسن والحسين**) ابنا علي بن أبي طالب (**وعبدالله بن جعفر**) بن أبي طالب رضي الله عنهم (**حجاجاً ففاتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا. فمروا بعجوز في خباء لها فقالوا: هل من شراب؟ فقالت: نعم، فأناخوا إليها وليس لها إلا شويهة**) تصغير شاة (**في كسر الخيمة**) أي جانبها (**فقالت: احلبوها وامتذقوا لبنها**) أي

ففعلوا ذلك ثم قالوا لها : هل من طعام ؟ قالت : لا ، إلا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهيء لكم ما تأكلون ، فقام إليها أحدهم وذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاماً فأكلوا وأقاموا حتى أبردوا فلما ارتحلوا قالوا لها : نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه ، فإذا رجعنا سالمين فألمي بنا فإنا صانعون بك خيراً ثم ارتحلوا وأقبل زوجها فأخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الرجل وقال : ويلك تذبحين شاتي لقوم لا تعرفينهم ، ثم تقولين نفر من قريش ؟ قال : ثم بعد مدة ألجأتها الحاجة إلى دخول المدينة ، فدخلا وجعلا ينقلان البعر إليها ويبيعانه ويتعيشان بثمنه ، فمرت العجوز ببعض سكك المدينة ، فإذا الحسن بن علي جالس على باب داره فعرف العجوز وهي له منكرة ، فبعث إليها غلامه فدعا بالعجوز وقال لها يا أمة الله أتعرفيني ؟ قالت : لا . قال : أنا ضيفك يوم كذا وكذا ، فقالت العجوز : بأبي أنت وأمي أنت هو ؟ قال : نعم . ثم أمر الحسن فاشتروا لها من شياه الصدقة ألف شاة ، وأمر لها معها بألف دينار ، وبعث بها مع غلامه إلى الحسين فقال لها الحسين : بكم وصلك أخي ؟ قالت : بألف شاة وألف دينار ، فأمر لها الحسين أيضاً بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه إلى عبدالله بن جعفر ، فقال لها : بكم وصلك الحسن والحسين ؟ قالت :

اشربوا . (**ففعلوا ذلك ثم قالوا لها : هل من طعام ؟ قالت : لا إلا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهيء لكم ما تأكلون ، فقام إليها أحدهم وذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاماً فأكلوا وأقاموا**) هناك (**حتى أبردوا**) أي دخلوا في برد العشي ، (**فلما ارتحلوا قالوا لها : نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه**) أي بيت الله الحرام ، (**فإذا رجعنا سالمين**) إلى المدينة (**فألمي بنا**) أي انزلي عندنا (**فإنا صانعون بك خيراً ثم ارتحلوا وأقبل زوجها فأخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الرجل وقال : ويلك تذبحين شاة لقوم لا تعرفينهم ثم تقولين نفر من قريش ؟ قال : ثم بعد مدة**) من الزمن (**ألجأتها الحاجة**) والإضطرار (**إلى دخول المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان البعر إليها ويبيعانه ويتعيشان بثمنه ، فمرت العجوز في بعض سكك المدينة ، فإذا الحسن بن علي**) رضي الله عنه (**جالس على باب داره فعرف العجوز وهي له منكرة**) أي لا تعرفه ، (**فبعث**) الحسن (**غلامه ودعا العجوز فقال لها : يا أمة الله أتعرفيني ؟ قالت : لا . قال : أنا ضيفك**) الذي نزلت بك (**يوم كذا وكذا**) وأعطى لها الأمارة ، (**فقالت : بأبي أنت وأمي أنت هو ؟ قال : نعم ، ثم أمر الحسن فاشتروا لها من شاء الصدقة ألف شاة وأمر لها معها بألف دينار ، وبعث معها غلامه إلى**) أخيه (**الحسين**) رضي الله عنه (**فقال لها الحسين : بكم وصلك أخي ؟ قالت : بألف شاة وألف دينار ، فأمر لها الحسين أيضاً بمثل ذلك ، ثم بعث بها مع غلامه إلى عبد الله بن جعفر**) رضي الله عنه (**فقال لها : بكم وصلك الحسن والحسين ؟ قالت : بألفي دينار وألفي شاة ؟ فأمر لها عبد الله بألفي شاة وألفي**

بألفي شاة وألفي دينار ، فأمر لها عبدالله بألفي شاة وألفي دينار ، وقال لها : لو بدأت بي لأتعبتها ، فرجعت العجوز إلى زوجها بأربعة آلاف شاة وأربعة آلاف دينار .

وخرج عبدالله بن عامر بن كريز من المسجد يريد منزله وهو وحده ، فقام إليه غلام من ثقيف فمشى إلى جانبه فقال له عبدالله: ألك حاجة يا غلام؟ قال: صلاحك وفلاحك رأيتك تمشي وحدك فقلت : أقيك بنفسي وأعوذ بالله إن طار بجنابك مكروه ، فأخذ عبدالله بيده ومشى معه إلى منزله ، ثم دعا بألف دينار فدفعها إلى الغلام وقال: استنفق هذه فنعم ما أدبك أهلك .

وحكي أن قوماً من العرب جاءوا إلى قبر بعض أسخيائهم للزيارة فنزلوا عند قبره وباتوا عنده وقد كانوا جاءوا من سفر بعيد ، فرأى رجل منهم في النوم صاحب القبر

دينار وقال لها: لو بدأت بي لأتعبتها، فرجعت العجوز إلى زوجها بأربعة آلاف شاة وأربعة آلاف دينار) هكذا أخرجه المدائني بأسانيده.

(وخرج عبد الله بن عامر بن كريز) بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي العبشمي ، أبوه من مسلمة الفتح ، وعبد الله ولد في عهد النبي ﷺ ، وهو ابن خالة عثمان ابن عفان لأن أم عثمان هي أروى بنت كريز وأمها البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم ، واسم أم عبد الله هذا دجاجة بنت أسماء بن الصلت السلمية . مات النبي ﷺ وعمره دون السنتين ، وكان جواداً شجاعاً ميموناً . ولاّه عثمان البصرة بعد أبي موسى الأشعري سنة تسع وعشرين ، وضم إليه فارس بعد عثمان بن أبي العاص ، فافتتح خراسان كلها وأطراف فارس وسجستان وكرمان كلها ، وأحرم ابن عامر شكراً لله تعالى من خراسان ، وقدم على عثمان فلامه على تغريره بالنسك وقدم بأموال عظيمة ففرقها في قريش والأنصار ، وقتل عثمان وهو على البصرة ثم ولاّه معاوية البصرة ثلاث سنين ثم صرفه عنها ، فأقام بالمدينة ومات بها سنة ٥٧ . وأخباره في الجود كثيرة وليست له رواية في الكتب الستة . **(من المسجد يريد منزله وهو وحده)** ليس معه أحد ، **(فقام إليه غلام من ثقيف فمشى إلى جانبه فقال له عبد الله : ألك حاجة يا غلام؟ فقال: صلاحك وفلاحك رأيتك تمشي وحدك فقلت: أقيك بنفسي وأعوذ بالله إن طار بجنابك مكروه)** وفي بعض النسخ: أقيك بنفسي وأعوذ بالله إن طار بجنابك مكروه ، **(فأخذ عبد الله بيده ومشى معه إلى منزله ثم دعا بألف دينار فدفعها إلى الغلام وقال: استنفق هذه فنعم ما أدبك أهلك)** . هكذا أخرجه أبو الحسن المدائني في أخبار الأسخياء .

(وحكي أن قوماً من العرب جاؤوا إلى قبر بعض أسخيائهم) ممن كان مشهوراً بالجود **(للزيارة فنزلوا عند قبره وباتوا عنده وقد كانوا جاءوا من سفر بعيد ، فرأى رجل منهم**

وهو يقول له: هل لك أن تبادل بعيرك بنجيبي؟ وكان السخي الميت قد خلف نجيباً معروفاً به، ولهذا الرجل بعير سمين، فقال له في النوم: نعم، فباعه في النوم بعيره بنجيبه، فلما وقع بينهما العقد عمد هذا الرجل إلى بعيره فنحره في النوم، فانتبه الرجل من نومه فإذا الدم يثج من نحر بعيره، فقام الرجل فنحره وقسم لحمه فطبخوه وقضوا حاجتهم منه ثم رحلوا وساروا، فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق استقبلهم ركب، فقال رجل منهم: من فلان ابن فلان منكم؟ باسم ذلك الرجل. فقال: أنا، فقال هل بعت من فلان بن فلان شيئاً؟ وذكر الميت صاحب القبر قال: نعم بعت منه بعيري بنجيبه في النوم فقال: خذ هذا نجيبه، ثم قال: هو أبي وقد رأيته في النوم وهو يقول: إن كنت ابني فادفع نجيبي إلى فلان ابن فلان وسماه.

وقدم رجل من قريش من السفر فمر برجل من الأعراب على قارعة الطريق قد أقعده الدهر وأضرّ به المرض، فقال: يا هذا أعنا على الدهر فقال الرجل لغلامه: ما بقي

في النوم صاحب القبر وهو يقول له: هل لك ان تبادل بعيرك ببختي) [1] بالضم نوع من الإبل ويجمع على البخت والبخاتي قال الشاعر:

أجن البخت في قصاع الخلنج

(وقد كان خلّف السخي الميت بختياً معروفاً، ولهذا الرجل بعير سمين، فقال له في النوم: نعم) أبادله، **(وباعه في النوم بعيره)** الذي يركبه **(ببختيه)** الذي خلفه، **(فلما وقع بينهم العقد عمد هذا الرجل إلى بعيره فنحره في النوم، فانتبه الرجل من نومه فإذا الدم يثج)** أي ينبعث **(من نحر بعيره، فقام الرجل من النوم فنحره وقسم لحمه فطبخوا وقضوا حاجتهم من الأكل ثم رحلوا وساروا، فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق استقبلهم ركب، فقال رجل منهم: من فلان بن فلان منكم)**؟ وسماه، **(باسم ذلك الرجل)** واسم أبيه. **(فقال)** الرجل: **(أنا، فقال: هل بعت من فلان شيئاً؟ وذكر)** اسم **(الميت صاحب القبر)** الذي باتوا عنده. **(قال: نعم بعت منه بعيري ببختيه في النوم فقال: خذ هذا بختيه، ثم قال: هو)** أي صاحب القبر **(أبي وقد رأيته في النوم وهو يقول لي: إن كنت ابني فادفع بختي إلى فلان وسماه)** أخرجه أبو الحسن المدائني في أخبار الأسخياء.

(وقدم رجل من قريش من السفر فمرّ برجل من الأعراب على قارعة الطريق) أي وسطها **(قد أقعده الدهر وأضرّ به بالمرض، فقال: يا هذا أعنا على)** نوائب **(الدهر فقال الرجل لغلامه: ما بقي معك من النفقة فادفعه إليه، فصب الغلام في حجر الاعرابي أربعة**

---

(١) في الإحياء: «نبجيبي» بدلا من «بنجني».

معك من النفقة فادفعه إليه، فصب الغلام في حجر الأعرابي أربعة آلاف درهم، فذهب لينهض فلم يقدر من الضعف، فبكى فقال له الرجل: ما يبكيك لعلك استقللت ما أعطيناك؟ قال: لا، ولكن ذكرت ما تأكل الأرض من كرمك فأبكاني.

واشترى عبدالله بن عامر من خالد بن عقبة بن أبي معيط داره التي في السوق بتسعين ألف درهم، فلما كان الليل سمع بكاء أهل خالد فقال لأهله: ما لهؤلاء؟ قالوا: يبكون لدارهم، فقال: يا غلام ائتهم فاعلمهم أن المال والدار لهم جميعاً.

وقيل: بعث هارون الرشيد إلى مالك بن أنس رحمه الله بخمسمائة دينار، فبلغ ذلك الليث بن سعد فأنفذ إليه ألف دينار، فغضب هارون وقال: أعطيته خمسمائة وتعطيه ألفاً وأنت من رعيتي؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن لي من غلتي كل يوم ألف دينار، فاستحييت أن أعطي مثله أقل من دخل يوم. وحكي انه لم تجب عليه الزكاة مع أن دخله كل يوم ألف دينار.

آلاف درهم فذهب لينهض) أي يقوم **(لم يقدر من الضعف، فبكى فقال له الرجل، ما يبكيك لعلك استقللت ما أعطيناك؟ قال: لا، ولكن ذكرت ما تأكل الأرض من كرمك فأبكاني)**. أخرجه أبو الحسن المدائني.

(واشترى عبد الله بن عامر) بن كريز العبسي القرشي تقدم ذكره قريباً **(من خالد بن عقبة بن أبي معيط)** بن أبي عمر بن أمية بن عبد شمس الأموي أخو الوليد، كان من مسلمة الفتح ونزل الرقة وبها ولده، وذكره صاحب تاريخها فيمن نزلها من الصحابة وله أثر في حصار عثمان يوم الدار. **(داره التي في السوق)** بالمدينة **(بتسعين الف درهم)**، فلما كان الليل سمع عبد الله بكاء أهل خالد فقال لأهله: ما لهؤلاء؟ قالوا: يبكون لدراهم. قال: يا غلام ائتهم فاعلمهم أن الدار والمال لهم جميعاً) أخرجه أبو الحسن المدائني.

(وقيل: أنفذ هارون الرشيد إلى) أبي عبدالله **(مالك بن أنس)** الإمام **(رحمه الله خمسمائة دينار)** هدية، **(فبلغ ذلك الليث بن سعد)** أبا الحارث الفهمي المصري الفقيه رحمه الله تعالى **(فانفذ إليه ألف دينار، فغضب هارون لما بلغه ذلك وقال: أعطيه خمسمائة وتعطيه ألفاً وأنت من رعيتي؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن لي من غلتي)** التي استغلها من أرضي **(كل يوم ألف دينار)** أي عبرته **(واستحييت أن أعطي مثله)** في جلالة قدره **(أقل من دخل يوم)** نقله محمد بن صالح الأشج وقال أيضاً قدم منصور بن عمار على الليث فوصله بألف دينار، واحترق بيت عبدالله بن لهيعة فوصله بألف دينار، وقال شعيب بن الليث. خرجت مع أبي حاجاً، فقدم المدينة فبعث إليه مالك بطبق رطب فجعل على الطبق ألف دينار ورده إليه. وقال ابن

وحكي أن امرأة سألت الليث بن سعد رحمة الله عليه شيئاً من عسل فأمر لها بزق من عسل، فقيل له: إنها كانت تقنع بدون هذا. فقال: إنها سألت على قدر حاجتها ونحن نعطيها على قدر النعمة علينا. وكان الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلاثمائة وستين مسكيناً.

وقال الأعمش: اشتكت شاة عندي فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشي ويسألني هل استوفت علفها؟ وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها؟ وكان تحتي لبد أجلس عليه فإذا خرج قال: خذ ما تحت اللبد، حتى وصل إليَّ في علة الشاة أكثر من ثلاثمائة دينار من بره حتى تمنيت أن الشاة لم تبرأ.

وهب: كان الليث يصل مالكاً بمائة دينار في كل سنة وكتب مالك إليه أن عليَّ ديناً فبعث بخمسمائة دينار، وعنه قال: كتبت إلى الليث أني أجهز ابنتي على زوجها فبعث إليّ بشيء من [٢] ... قال فبعث إليه ... عصفراً فصنع ... منه بخمسمائة دينار وبقي عنده فضلة (**وحكي أنه لم تجب عليه الزكاة مع أن دخله كل يوم ألف دينار**) وروى محمد بن رمح قال: كان دخل الليث في كل سنة ثمانين ألف دينار ما أوجب الله عليه زكاة درهم قط. وقال شعيب بن الليث: يستغل أبي في السنة ما بين عشرين ألف دينار إلى خمسة وعشرين ألفاً تأتي عليه السنة وعليه دين. وقال أبو سعيد بن يونس وكانت غلته من قرية قرقشندة على أربعة فراسخ من مصر وبها كانت ولادته (**وروي أن امرأة**) فقيرة (**سألت الليث بن سعد شيئاً من عسل**) في سكرجة (**فأمر لها بزق من عسل فقيل له: إنها كانت تقنع بدون هذا. فقال: إنها سألت على قدر حاجتها ونعطيها على قدر النعمة علينا**) لنتخلق بخلق الله تعالى فإنه يعطي الحسنة إذ هم بها العبد أجراً فإذا عملها أعطاه عشراً إلى سبعمائة والله يضاعف لمن يشاء، وهذا في الرسالة القشيرية (**وكان الليث بن سعد**) سرياً من الرجال نبيلاً سخياً (**لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلاثمائة وستين مسكيناً**) وله مناقب جمة أوردها الذهبي في تاريخ الإسلام، ومنها قال الحارث بن مسكين اشترى قوم من الليث ثمرة فاستغلوها فاستقالوه فأقالهم وأمر لهم بخمسين ديناراً، فقيل له في ذلك. فقال: إنهم قد كانوا أملوا فيه أملاً فأحببت أن أعوضهم من أملهم بهذا. رحمه الله تعالى ونفعنا به.

(**وقال**) سليمان بن مهران (**الأعمش**) الكوفي رحمه الله تعالى: (**اشتكت شاة عندي فكان خيثمة بن عبد الرحمن**) بن أبي بسرة الجعفي الكوفي، لأبيه وجده صحبة. قال العجلي: وكان خيثمة رجلاً صالحاً وكان سخياً ولم ينج من فتنة ابن الأشعث بالكوفة إلا رجلان: إبراهيم النخعي وخيثمة، وقد تقدم له ذكر في آداب الصحبة. (**يعودها بالغداة والعشي ويسألني هل استوفت علفها؟ وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها**) قال الأعمش (**وكان تحتي لبدٌ أجلس عليه،**

---

(٢) هنا بياضات بالأصل كما هي هنا.

وقال عبد الملك بن مروان لأسماء بن خارجة : بلغني عنك خصال فحدثني بها ، فقال : هي من غيري أحسن منها مني ، فقال : عزمت عليك إلا حدثتني بها ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ما مددت رجلي بين يدي جليس لي قط ، ولا صنعت طعاماً قط فدعوت عليه قوماً إلا كانوا أمن علي مني عليهم ، ولا نصب لي رجل وجهه قط يسألني شيئاً فاستكثرت شيئاً أعطيته إياه .

ودخل سعيد بن خالد على سليمان بن عبد الملك وكان سعيد رجلاً جواداً فإذا لم يجد شيئاً كتب لمن سأله صكاً على نفسه حتى يخرج عطاؤه ، فلما نظر إليه سليمان تمثل بهذا البيت فقال :

إني سمعت مع الصباح منادياً يا من يعين على الفتى المعوان

فإذا خرج قال : خذ ما تحت اللبد) فآخذه ، **(حتى وصل إليَّ في علة الشاة أكثر من ثلاثمائة دينار من بره)** وصلته **(حتى تمنيت أن الشاة لم تبرأ)** مات خيثمة سنة ثمانين قبل أبي وائل روى له الجماعة .

(وقال عبد الملك بن مروان) بن الحكم الأموي **(لأسماء بن خارجة)** بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري نزيل الكوفة ابن أخي عيينة بن حصن لأبيه وعمه وصحبة : **(بلغني عنك خصال فحدثني بها . فقال : هي من غيري أحسن منها مني)** قال عبد الملك **(عزمت عليك إلا حدثتني بها . قال : يا أمير المؤمنين ما مددت رجلي بين يدي جليس لي قط ، ولا صنعت طعاماً قط فدعوت عليه قوماً إلا كانوا أمن علي مني عليهم ، ولا نصب لي رجل وجهه قط ليسألني شيئاً فاستكثرت شيئاً أعطيه اياه)** أخرجه المدائني .

(ودخل سعيد بن خالد) بن عمرو بن عثمان بن عفان القرشي الأموي أبو خالد ويقال له أبو عثمان المدني سكن دمشق وكانت داره ناحية سوق القمح ، وأمه أم عثمان بنت سعيد بن العاص . ذكره ابن حبان في الثقات روى له مسلم حديثاً واحداً . **(على سليمان بن عبد الملك)** بن مروان **(وكان سعيد رجلاً جواداً)** ممدوحاً . قال الزبير بن بكار : من أكثر الناس مالاً وله ولد كثير ، وله يقول الفرزدق :

وكل امرىء يرضى وإن كان ملا إذ نال نصفاً من سعيد بن خالدِ
له من قريش طيبوها وفيضها وإن عض كفى أمه كل حاسدِ

(فإن لم يجد شيئاً كتب لمن سأله صكاً على نفسه) والصك الكتاب الذي تكتب فيه المعاملات والأقارير ، وجمعه صكوك وأصك وهو فارسي معرب ، وكانت الأرزاق تكتب صكاكاً فتخرج مكتوبة فتباع فنهى عن شراء الصكاك **(حتى يخرج عطاؤه)** من الديوان ، فلما نظر إليه سليمان تمثل بهذا البيت :

(إني سمعت مع الصباح منادياً يا من يعين على الفتى المعوانِ)

ثم قال: ما حاجتك؟ قال: ديني. قال: وكم هو؟ قال: ثلاثون ألف دينار، قال: لك دينك ومثله.

وقيل: مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطأ أخوانه فقيل انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين، فقال: أخزى الله مالاً يمنع الأخوان من الزيارة، ثم أمر منادياً فنادى من كان عليه لقيس بن سعد حق فهو منه بريء قال: فانكسرت درجته بالعشي لكثرة من زاره وعاده.

وعن أبي إسحاق قال: صليت الفجر في مسجد الأشعث بالكوفة أطلب غريماً لي، فلما صليت وضع بين يدي حلة ونعلان، فقلت: لست من أهل هذا المسجد، فقالوا: أن الأشعث بن قيس الكندي قدم البارحة من مكة فأمر لكل من صلى في المسجد بحلة ونعلين.

وقال الشيخ أبو سعد الخركوشي النيسابوري رحمه الله سمعت محمد بن محمد الحافظ

(ثم قال: ما حاجتك؟ قال: ديني. قال: وكم هو؟ قال ثلاثون ألف دينار. قال: لك دينك ومثله) أخرجه أبو الحسن المدائني.

(وقيل: مرض قيس بن سعد بن عبادة) الخزرجي الأنصاري رضي الله عنه **(فاستبطأ إخوانه)** الذين كانوا يأتونه **(فقيل: إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدين، فقال: أخزى الله مالاً يمنع الإخوان من الزيارة، ثم أمر منادياً فنادى: من كان عليه لقيس بن سعد حق فهو منه في حل قال)** الواقدي: **(فكسرت درجته)** من الأزدحام **(بالمشي لكثرة من عاده)** نقله القشيري في الرسالة.

(وعن أبي إسحاق) عمرو بن عبدالله الحمداني السبيعي الكوفي مات سنة ١٢٩ **(قال: صليت)** صلاة **(الفجر في مسجد الأشعث)** بن قيس بن معدي كرب الكندي الصحابي أبي محمد، نزل الكوفة وكان سرياً سخياً مات سنة أربعين وله دار ومسجد **(بالكوفة أطلب غريماً لي، فلما صليت وضع بين يدي حلة ونعلان فقلت: لست من أهل هذا المسجد. فقيل: إن الأشعث بن قيس الكندي قدم البارحة من مكة فأمر لكل من صلى في المسجد بحلة ونعلين)** أخرجه المدائني رواية عن أبي إسحاق، وهو في الرسالة للقشيري بنحوه ولم يقل عن أبي إسحاق.

(وقال الشيخ أبو سعيد) عبد الملك بن محمد بن إبراهيم **(الخركوشي النيسابوري رحمه الله)** وخركوش سكة بنيسابور الزاهد الواعظ الفقيه الشافعي رحل إلى العراق والحجاز ومصر وجالس العلماء وصنف التصانيف المفيدة في علوم الشريعة ودلائل النبوة وسير العباد. روى عن أبي

يقول: سمعت الشافعي المجاور بمكة يقول: كان بمصر رجل عرف بأن يجمع للفقراء شيئاً، فولد لبعضهم مولود قال: فجئت إليه وقلت له: ولد لي مولود وليس معي شيء فقام معي ودخل على جماعة فلم يفتح بشيء، فجاء إلى قبر رجل وجلس عنده وقال: رحمك الله كنت تفعل وتصنع وإني درت اليوم على جماعة فكلمتهم دفع شيء لمولود فلم يتفق لي شيء، قال: ثم قام وأخرج ديناراً وقسمه نصفين وناولني نصفه، وقال: هذا دين عليك إلى أن يفتح عليك بشيء، قال: فأخذته وانصرفت فأصلحت ما اتفق لي به، قال: فرأى ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص في منامه فقال: سمعت جميع ما قلت وليس لنا أذن في الجواب، ولكن احضر منزلي وقل لأولادي يحفروا مكان الكانون ويخرجوا قرابة فيها خمسمائة دينار فاحملها إلى هذا الرجل، فلما كان من الغد تقدم إلى منزل الميت وقص عليهم القصة فقالوا: له اجلس وحفروا الموضع وأخرجوا الدنانير وجاءوا بها فوضعوها بين يديه، فقال: هذا مالكم وليس لرؤياي حكم، فقالوا: هو يتسخى ميتاً ولا نتسخى نحن أحياء؟ فلما ألحوا عليه حمل الدنانير إلى الرجل صاحب المولود وذكر له القصة، قال: فأخذ منها ديناراً فكسره نصفين فأعطاه النصف الذي

عمرو بن نجيد السلمي وأبي سهل بشر بن أحمد الأسفرايني. وعنه الحاكم أبو عبدالله وأبو محمد الخلال. وتفقه على أبي الحسن الماسرجسي، وجاور بمكة عدة سنين، وعاد إلى نيسابور وبذل النفس والمال للغرباء والفقهاء. وبنى بمارستان ووقف عليه الوقوف الكثيرة، وتوفي سنة ست وأربعمائة بنيسابور: (**سمعت محمد بن محمد الحافظ يقول: سمعت الشافعي المجاور بمكة يقول: كان بمصر رجل عرف بأن يجمع للفقراء شيئاً فولد لبعضهم ولد قال: فجئت إليه فقلت له: ولد لي مولود وليس معي شيء فقام معي فدخل على جماعة فلم يفتح بشيء فجاء إلى قبر رجل وجلس عنده وقال: رحمك الله كنت تفعل وتصنع**) وذكر من أمور الخير (**وإني درت اليوم على جماعة كلفتهم دفع شيء لمولود فلم يتفق لي شيء. قال: ثم قام وأخرج ديناراً** فكسره **نصفين وناولني نصفه وقال: هذا دين عليك إلى أن يفتح عليك بشيء. قال: فأخذته وانصرفت فاصلحت ما اتفق لي به. قال: فرأى ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص في منامه فقال: سمعت جميع ما قلت وليس لنا إذن في الجواب، ولكن احضر منزلي وقل لأولادي يحفروا مكان الكانون ويخرجوا قرابة فيها خمسمائة دينار فأحملها إلى هذا الرجل. قال: فلما كان من الغد تقدم إلى منزل الميت وقص عليهم القصة. فقالوا له: اجلس وحفروا الموضع وأخرجوا الدنانير وجاؤا بها فوضعوها بين يديه فقال**) المحتسب: (**هذا مالكم وليس لرؤياي حكم فقالوا: هو يتسخى ميتاً ولا نتسخى نحن أحياء، فلما ألحوا عليه حمل الدنانير إلى الرجل صاحب المولود وذكر له القصة. قال: فاخذ منها ديناراً وكسره بنصفين**

أقرضه وحمل النصف الآخر، وقال: يكفيني هذا وتصدق به على الفقراء، فقال أبو سعيد: فلا أدري أيّ هؤلاء أسخى؟

وروي أن الشافعي رحمه الله لما مرض مرض موته بمصر قال: مروا فلاناً يغسلني فلما توفي بلغه خبر وفاته فحضر وقال: ائتوني بتذكرته، فأتي بها فنظر فيها فإذا على الشافعي

فأعطاه النصف الذي أقرضه وحمل النصف الآخر وقال: يكفيني هذا وتصدق به على الفقراء، فقال أبو سعيد: فلا أدري أي هؤلاء أسخى) الميت أم أولاده أم المحتسب أم صاحب المولود، والذي يظهران أن صاحب المولود أسخى هؤلاء فإنه جاد وآثر مع شدة احتياجه. ومما يشبه هذه الحكاية ما حكى أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي الكاتب قال: كنت عند الوزير أبي محمد المهلبي ذات يوم، فدخل الحاجب فاستأذن للشريف المرتضى الموسوي، فأذن له. فلما دخل قام إليه وأكرمه وأجلسه معه في دسته وأقبل عليه يحدثه، فلما فرغ من حكايته ومهماته قام فقام إليه وودعه وخرج، فلم يكن ساعة حتى دخل الحاجب واستأذن للشريف الرضي أخيه، وكان الوزير قد ابتدأ بكتابة رقعة فألقاها وقام كالمندهش حتى استقبله من دهليز الدار وأخذ بيده وأعظمه وأجلسه معه في دسته، ثم جلس بين يديه متواضعاً وأقبل عليه بمجامعه، فلما خرج الرضى خرج معه يشيعه إلى باب الدار ثم رجع فلما خف المجلس. قلت: أيأذن الوزير أعزه الله أن أسأل عن شيء؟ قال: نعم وكأني بك تسأل عن زيادتي في إعظام الرضى على أخيه المرتضى والمرتضى أسن وأعلم. فقلت: نعم أيد الله الوزير. فقال أعلم أنا أمرنا بحفر النهر الفلاني وللشريف المرتضى على ذلك النهر ضيعة فتوجه عليه مقدار ستة عشر درهماً أو نحوه، فكاتبني بعدة رقاع يسأل في تخفيف ذلك المقدار عنه، وأما أخوه الرضى فبلغني أنه ذات يوم قد ولد له غلام فأرسلت إليه بطبق فيه ألف دينار فرده وقال: قد علم الوزير أني لا أقبل من أحد شيئاً فرددته اليه وقلت: إنما أرسلته للقوابل فـردّ الثانية وقال: قد علم الوزير أنه لا يقبل نساؤنا غريبة فرددته إليه وقلت: يفرقه الشريف على ملازمية من طلاب العلم: فلما جاء الطبق وحوله طلاب العلم وقال: هاهم حضور فليأخذ كل واحد منهم ما يريد، فقام رجل منهم وأخذ ديناراً فقرض من جانبه قطعة وأمسكها ورد الدينار إلى الطبق، فسأله الشريف عن ذلك. فقال: إني احتجت إلى دهن السراج ليلة ولم يكـن الخازن حـاضراً فاقترضت من فلان انبقال دهناً للسراج فأخذت هذه القطعة لأدفعها إليه، وكان طلبة العلم الملازمون للشريف في دار قد اتخذها لهم سماها دار العلم، وعين إليهم جميع ما يحتاجون إليه، فلما سمع الرضى ذلك أمر في الحال بأن يتخذ للخزانة مفاتيح بعدد الطلبة ويدفع إلى كل منهم مفتاح ليأخذ ما يحتاج إليه ولا ينتظر خازناً ورد الطبق على هذه الصورة، فكيف لا أعظم من هذه حاله؟

(وروي أن الشافعي رحمه الله تعالى لما مرض مرض موته) بمصر **(قال)** في وصيته: **(مروا فلاناً يغسلني)** وعني به محمد بن عبدالله بن عبد الحكم، **(فلما توفي بلغه خبر وفاته فحضر وقال: ائتوني بتذكرته)** أي دفتر حسابه. **(قال: فأتي بها فنظر فيها، فإذا على**

سبعون ألف درهم دين، فكتبها على نفسه وقضاها عنه، وقال: هذا غسلي إياه، أي أراد به هذا. وقال أبو سعيد الواعظ الخركوشي لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلوني عليه، فرأيت جماعة من أحفاده وزرتهم فرأيت فيهم سيماء الخير وآثار الفضل فقلت: بلغ أثره في الخير إليهم وظهرت بركته فيهم مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وكانَ أبوهُمَا صالحاً﴾ [الكهف: ٨٢] وقال الشافعي رحمه الله: لا أزال أحب حماد بن أبي سليمان لشيء بلغني عنه أنه كان ذات يوم راكباً حماره فحركه فانقطع زره، فمر على خياط فأراد أن ينزل إليه ليسوّي زره، فقال الخياط: والله لا نزلت فقام الخياط إليه فسوّى زره فأخرج إليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها إلى الخياط واعتذر إليه من قلتها، وأنشد الشافعي رحمه الله لنفسه:

يا لهف قلبي علي مال أجود به ... على المقلين من أهل المروءآت
إن اعتذاري إلى من جاء يسألني ... ما ليس عندي لمن إحدى المصيبات

الشافعي رحمه الله تعالى سبعون ألف درهم ديناً فكتبها على نفسه لأربابها (**وقضاها عنه وقال: هذا غسلي إياه أي أراد به هذا**) أخرجه البيهقي في مناقب الشافعي. (**قال أبو سعيد الواعظ الخركوشي رحمه الله**) المتقدم ذكره قريباً: (**لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلوني عليه، فرأيت جماعة من أحفاده**) أي من ذريته (وزرتهم فرأيت فيهم سيماء الخير وآثار الفضل فقلت: **بلغ أثره في الخير إليهم وظهرت بركته فيهم مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وكان أبوهما صالحاً﴾**) أي فالصلاح يؤثر إلى سابع الولد.

(**وقال الشافعي رحمه الله تعالى: لا أزال أحب حماد بن أبي سليمان**) الأشعري مولاهم أبا إسماعيل الكوفي واسم أبيه مسلم فقيه صدوق وهو شيخ الإمام أبي حنيفة، مات سنة عشرين (**لشيء بلغني عنه أنه كان ذات يوم راكباً حماره فحركه فانقطع زره**) أي زر قميصه، (**فمر على خياط فأراد أن ينزل إليه ليسوي زره فقال الخياط: والله لا نزلت. فقام الخياط إليه فسوّى زره فأخرج**) حماد (**إليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها إلى الخياط واعتذر إليه من قلتها**) وهذا من المروءة والسخاء. وقال الصلت بن بسطام: كان حماد يفطر كل ليلة في رمضان خمسين إنساناً فإذا كان ليلة الفطر كساهم ثوباً ثوباً (**وأنشد الشافعي رحمه الله لنفسه**):

(**يا لهف نفسي على مال أفرقه ... على المقلين من أهل المروءآت**)
(**إن اعتذاري إلى من جاء يسألني ... ما ليس عندي لمن إحدى المصيبات**)

أوردهما البيهقي في مناقبه.

وعن الربيع بن سليمان قال أخذ رجل بركاب الشافعي رحمه الله فقال: يا ربيع أعطه أربعة دنانير واعتذر إليه عني، وقال الربيع: سمعت الحميدي يقول: قدم الشافعي من صنعاء إلى مكة بعشرة آلاف دينار فضرب خباءه في موضع خارج عن مكة ونثرها على ثوب ثم أقبل على كل من دخل عليه يقبض له قبضة ويعطيه حتى صلى الظهر ونفض الثوب وليس عليه شيء. وعن أبي ثور قال: أراد الشافعي الخروج إلى مكة ومعه مال، وكان قلما يمسك شيئاً من سماحته، فقلت له ينبغي أن تشتري بهذا المال ضيعة تكون لك ولولدك، قال: فخرج ثم قدم علينا فسألته عن ذلك المال، فقال: ما وجدت بمكة ضيعة يمكنني أن أشتريها لمعرفتي بأصلها وقد وقف أكثرها، ولكني بنيت بمنى مضرباً يكون لأصحابنا إذا حجوا أن ينزلوا فيه، وأنشد الشافعي رحمه الله لنفسه يقول:

أرى نفسي تتــوق إلى أمــور ... يقصر دون مبلغهــن مــالي
فنفسي لا تطــاوعني ببخــل ... ومــالي لا يبلغني فعــالي

(وعن الربيع بن سليمان) المرادي تقدمت ترجمته في كتاب العلم (قال: أخذ رجل بركاب الشافعي رحمه الله تعالى فقال: يا ربيع اعطه أربعة دنانير واعتذر إليه عني) أخرجه البيهقي في مناقبه، (وقال الربيع: سمعت) عبدالله بن الزبير بن عيسى القرشي الأسدي (الحميدي) المكي تقدمت ترجمته في كتاب العلم (يقول: قدم الشافعي رحمه الله تعالى من صنعاء) اليمن (إلى مكة بعشرة آلاف دينار فضرب خباءه في موضع خارجاً من مكة فنثرها على ثوب ثم أقبل على كل من دخل عليه يقبض قبضة يعطيه حتى صلى الظهر ونفض الثوب وليس عليه شيء) رواه البيهقي في مناقبه وتقدم في كتاب العلم.

(وعن أبي ثور) إبراهيم بن خالد الكلبي الفقيه تقدمت ترجمته في كتاب العلم (قال: أراد الشافعي) رحمه الله (الخروج إلى مكة ومعه مال، وكان قلما يمسك شيئاً من سماحته) أي جوده وسخائه (فقلت له: ينبغي أن تشتري بهذا المال ضيعة) أي عقاراً (تكون لك ولولدك) من بعدك (قال: فخرج ثم قدم علينا) مصر (فسألته عن ذلك المال فقال: ما وجدت بمكة ضيعة يمكنني أن أشتريها لمعرفتي بأهلها وقد وقف أكثرها) على وجوه البر، (ولكن بنيت بمنى مضرباً يكون لأصحابنا إذا حجوا أن ينزلوا فيه) أخرجه الحاكم والبيهقي والأبزي في مناقبه. (وأنشد الشافعي) رحمه الله (لنفسه):

(أرى نفسي تتــوق إلى أمــور ... يقصر دون مبلغهــن مــالي)
(فنفسي لا تطــاوعني لبخــل ... ومــالي لا يبلغني فعــالي)

أوردهما البيهقي في مناقبه.

وقال محمد بن عباد المهلبي: دخل أبي على المأمون فوصله بمائة ألف درهم فلما قام من عنده تصدق بها فأخبر بذلك المأمون، فلما عاد إليه عاتبه المأمون في ذلك فقال: يا أمير المؤمنين منع الموجود سوء ظن بالمعبود، فوصله بمائة ألف أخرى.

وقام رجل إلى سعيد بن العاص فسأله فأمر له بمائة ألف درهم فبكى، فقال له سعيد: ما يبكيك؟ قال: أبكي على الأرض أن تأكل مثلك، فأمر له بمائة ألف أخرى[1].

ودخل أبو تمام على إبراهيم بن شكلة بأبيات امتدحه بها فوجده عليلاً فقبل منه المدحة وأمر حاجبه بنيله ما يصلحه، وقال: عسى أن أقوم من مرضي فأكافئه، فأقام شهرين فأوحشه طول المقام فكتب إليه يقول:

(وقال محمد بن عباد المهلبي) من ولد المهلب بن أبي صفرة: **(دخل أبي)** هو أبو معاوية عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي العتكي البصري كان رجلاً عاقلاً أديباً وثقه ابن معين. وقال أبو حاتم: ثم صدوق لا بأس به. وقال ابن سعد: كان معروفاً بالطب حسن الهيئة ولم يكن بالقوي في الحديث مات ببغداد سنة ١٧٩. روى له الجماعة، وجده حبيب بن المهلب يكنى أبا بسطام قتل مع أخيه يزيد سنة إثنين ومائة مع بقية إخوته وأهل بيته، وكان ذلك بقصر بابل، ووالده المهلب أول من عقد له اللواء أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بعد وقعة الجمل، وهو يومئذ ابن ست وعشرين سنة، وأبوه أبو صفرة أسلم على يد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وأقام بالبصرة وصار كأهلها وعقبه بها **(على المأمون)** العباسي **(فوصله بمائة ألف درهم، فلما قام من عنده تصدق بها فأخبر بذلك المأمون، فلما عاد إليه عاتبه المأمون في ذلك فقال: يا أمير المؤمنين منع الموجود سوء ظن بالمعبود، فوصله بمائة ألف أخرى)**.

(ودخل أبو تمام) حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس الشاعر الطائي كان في حداثته يسقي الماء بجامع مصر ثم خالط الأدباء وقال: فأجاد وسار شعره في البلاد ومدح الخلفاء وعاشر العلماء وهو موصوف بالظرف وكرم النفس، وولاه الحسن بن وهب بن يزيد الموصل نحو سنتين ومات بها سنة ٢٨١ وكانت ولادته سنة تسعين ومائة. **(على إبراهيم بن شكلة)** وهو إبراهيم بن المهدي بن المنصور العباسي نسب إلى أمه شكلة وهي أم ولد من مولدات المدينة، ولد سنة ١٦٢ وله مع المأمون أخبار وواقعات، وكان سرياً ممدحاً سخياً **(بأبيات امتدحه بها فوجده عليلاً فقبل منه المدحة وأمر حاجبه ينيله ما يصلحه وقال: عسى أن أقوم من** مرضي **فأكافئه فأقام شهرين فأوحشه طول المقام فكتب إليه)**:

---

(١) هذه الفقرة من قوله: «وقام رجل...» إلى قوله: «ألف أخرى» لم ترد في سياق النص.

إن حراماً قبول مدحتنا وترك ما نرتجي من الصفد
كما الدراهم والدنانير في البيـ ـع حرام إلا يداً بيد

فلما وصل البيتان إلى ابراهيم قال لحاجبه: كم أقام بالباب؟ قال: شهرين، قال: أعطه ثلاثين ألفاً، وجئني بدواة، فكتب إليه.

أعجلتنا فأتاك عاجل برنا قلاً ولو أمهلتنا لم نقلل
فخذ القليل وكن كأنك لم تقل ونقول نحن كأننا لم نفعل

وروي أنه كان لعثمان على طلحة رضي الله عنهما خمسون ألف درهم، فخرج عثمان يوماً إلى المسجد فقال له طلحة: قد تهيأ مالك فأقبضه، فقال: هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروءتك.

وقالت سعدى بنت عوف: دخلت على طلحة فرأيت منه ثقلاً فقلت له: ما لك؟

(إن حراماً قبول مدحتنا وترك ما نرتجي من الصفد)
(كما الدنانير والدراهم في البـ ـيع حرامٌ إلا يداً بيدِ)

والصفد محركة العطاء وأشار بقوله: إلا يداً بيد إلى الخبر الذهب بالذهب ربا إلا هاوها والورق بالورق ربا إلاَّ هاوها، وقد تقدم في كتاب الربا من آداب الكسب، **(فلما وصل إلى إبراهيم البيتان قال لحاجبه: كم أقام بالباب؟ قال: شهرين. قال: اعطه ثلاثين ألفاً وجئني بدواة فكتب إليه هذه الأبيات)**:

(أعجلتنا فأتاك عاجل برنا قلاً ولو أمهلتنا لم نقلل)
(فخذ القليل وكن كأنك لم تسل ونكون نحن كأننا لم نفعلِ)

(ويروى أنه كان لعثمان) بن عفان **(على طلحة)** بن عبيدالله **(رضي الله عنهما خمسون ألف درهم)** ديناً، **(فخرج عثمان يوماً إلى المسجد فقال له طلحة: قد تهيأ مالك فاقبضه، فقال: هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروءتك)** وكان طلحة رضي الله عنه يلقب بالفياض لكثرة سخائه، فقد روى أحمد في الزهد من طريق عوف عن الحسن قال: باع طلحة أرضاً له بسبعمائة ألف فبات ذلك المال عنده ليلة فبات أرقاً من مخافة ذلك المال حتى أصبح ففرقه. وفي مسند الحميدي من طريق الشعبي، عن جابر بن قبيصة قال: صحبت طلحة فما رأيت رجلاً أعطى لجزيل مال من غير مسألة منه.

(وقالت سعدى) بضم السين المهملة والألف مقصورة **(بنت عوف)** بن خارجة بن سنان بن أبي حارثة المرية زوج طلحة بن عبيدالله نسبها هكذا. رواه ابن منده وقال أبو عمر في الاستيعاب سعدى بنت عمر، وقال الحافظ: والأول أولى روت عن النبي ﷺ وعن زوجها وعن

فقال: اجتمع عندي مال وقد غمني، فقلت: وما يغمك ادع قومك؟ فقال: يا غلام عليّ بقومي، فقسمه فيهم فسألت الخادم كم كان؟ قال: أربعمائة ألف. وجاء أعرابي إلى طلحة فسأله وتقرب إليه برحم فقال: إن هذه الرحم، ما سألني بها أحد قبلك ان لي أرضاً قد أعطاني بها عثمان ثلاثمائة ألف فإن شئت فأقبضها وإن شئت بعتها من عثمان ودفعت إليك الثمن، فقال: الثمن، فباعها من عثمان ودفع إليه الثمن.

وقيل: بكى علي كرّم الله وجهه يوماً فقيل: ما يبكيك؟ فقال: لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام، أخاف أن يكون الله قد أهانني.

عمر. روى عنها يحي وابن ابنها طلحة بن يحي ومحمد بن عمران الطلحي، وقد خالف ابن حبان فذكرها في ثقات التابعين. قال الحافظ: ومن يسمع من عمر بعد وفاة النبي ﷺ بأيام وهي زوج طلحة فهي صحابية لا محالة: (**دخلت على طلحة فرأيت منه ثقلاً فقلت: مالك؟ فقال: اجتمع عندي مال فقد غمني. فقلت: وما يغمك ادع قومك؟ فقال يا غلام علي بقومي فقسمه فيهم**) أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا الحسن بن محمد بن أحمد بن كيسان النحوي، حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، حدثنا علي بن عبدالله المدني ح.

وحدثنا إبراهيم بن عبدالله، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا قتيبة بن سعيد قالا: حدثنا سفيان ابن عيينة، عن طلحة بن يحي بن طلحة، حدثتني جدتي سعدى بنت عوف المرية وكانت محل إزار طلحة قالت: دخل طلحة علي ذات يوم وهو خاثر النفس. وقال قتيبة: دخل عليَّ طلحة ورأيته مغوماً فقلت: ما لي أراك كالح الوجه، وقلت ما شأنك أرابك مني شيء فاعتبك؟ قال: لا. ولنعم حليلة المرء المسلم أنت. قلت: فما شأنك؟ قال: المال الذي عندي قد كثر وكر بني قلت: وما عليك اقسمه. قالت: فقسمه حتى ما بقي منه درهم، (**فسألت الخادم: كم كان**). ولفظ الحلية: قال طلحة بن يحي: فسألت خازن طلحة كم كان المال؟ (**قال: أربعمائة ألف**). وقال أبو نعيم أيضاً: حدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا سفيان، عن طلحة بن يحي، عن سعدى بنت عوف قالت: كانت غلة طلحة كل يوم ألفاً وافياً، وكان يسمى طلحة الفياض، وقد رواه سفيان أيضاً عن عمرو يعني ابن دينار مثله. ومن طريق الأصمعي حدثنا نافع بن أبي نعيم، عن محمد بن عمران، عن سعدى بنت عوف: لقد تصدق طلحة يوماً بمائة ألف ثم حبسه عن المسجد أن جمعت له بين طرفي ثوبه.

(**وجاء إعرابي إلى طلحة**) رضي الله عنه (**فسأله وتقرب إليه برحم فقال: إن هذا الرحم ما سألني بها قبلك أحد إن لي أرضاً قد أعطاني بها عثمان**) بن عفان (**ثلاثمائة ألف فإن شئتها فاقبضها وإن شئت بعتها من عثمان ودفعت إليك الثمن. فقال: الثمن فباعها من عثمان ودفع إليه الثمن.**)

وقيل بكى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يوماً فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام أخاف أن يكون الله قد أهانني) نقله القشيري في الرسالة.

وأتى رجل صديقاً له فدق عليه الباب فقال: ما جاء بك؟ قال: عليّ أربعمائة درهم دين، فوزن أربعمائة درهم وأخرجها إليه وعاد يبكي، فقالت امرأته: لم أعطيته إذ شق عليك؟ فقال: إنما أبكي لأني لم أتفقد حاله حتى أحتاج إلى مفاتحتي، فرحم الله من هذه صفاتهم وغفر لهم أجمعين.

بيان ذم البخل:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فأولئكَ هُمُ المفلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] وقال تعالى: ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فضلِهِ هُوَ خيراً لهمْ بَلْ هُو شرٌ لهم سيطوّقُونَ ما بخلُوا به يوم القيامة﴾ [آل عمران: ١٨٠] وقال تعالى: ﴿الَّذين يبخلُون ويأمرُون النَّاسَ بالبُخل ويكتمُونَ ما آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٧] وقال ﷺ: «إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا

(وأتى رجل صديقاً له فدق عليه الباب فقال: ما جاء بك؟ قال: علي اربعمائة درهم ديناً) وفي نسخة: دين **(قال: فوزن أربعمائة درهم وأخرجها إليه وعاد يبكي فقالت امرأته: لم أعطيته إذ شق عليك)** إذ ظنت أنه إنما بكى لأجل ذلك؟ **(فقال: إنما أبكي لأني لم أتفقد حاله حتى احتاج إلى مفاتحتي)** نقله القشيري في الرسالة.

بيان ذم البخل:

وهو إمساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه ويقابلـه الجود. والبخـل ثمرة الشـح والشـح يـأمـر بالبخل. **(قال الله تعالى: ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾)** والشح بخل مع حرص وهو ضد الإيثار، فإن المؤثر على نفسه تارك لما هو محتاج إليه، فالشحيح حريص على ما ليس بيده، فإذا حصل بيده شح وبخل فالبخل ثمرة الشح والشح يأمر بالبخل، والبخيل من أجاب داعي الشح، والمؤثر من أجاب داعي الجود والسخاء والإحسان **(وقال)** الله **(تعـالى: ﴿لا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾)** ثم البخل ضربان: بخل بقنيات نفسه، وبخل بقنيات غيره وهو أكثرهما ذماً **(و)** على ذلك **(قال)** الله **(تعالى: ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله﴾ وقال ﷺ: «إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم)** من الأمم **(حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»)** قال العراقي: رواه مسلم من حديث جابر بلفظ: «واتقوا الشح فإن الشح» الحديث. ولأبي داود والنسائي في الكبرى، وابن حبان، والحاكم وصححه من حديث عبدالله بن عمرو: «إياكم والشح فإنما هلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالبخل وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا» انتهى.

محارمهم». وقال ﷺ: «إياكم والشح فإنه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم»، وقال ﷺ: «لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيء الملكة». وفي رواية: «ولا جبار»، وفي رواية: «ولا منان».

قلت: وروي ابن جرير في التهذيب من حديث ابن عمر بلفظ: «إياكم والشح فإنما أهلك من كان قبلكم الشح وأمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا».

(وقال ﷺ: «إياكم والشح فإنه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم») قال العراقي: رواه الحاكم من حديث أبي هريرة بلفظ: «حرماتهم» مكان «أرحامهم» وقال: صحيح على شرط مسلم انتهى.

قلت: ورواه ابن جرير في التهذيب بلفظين: الأول «إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم من الأمم دعاهم فسفكوا دماءهم ودعاهم فقتلوا أولادهم» والثاني: «إياكم والبخل فإن البخل دعا قوماً فمنعوا زكاتهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم ودعاهم فسفكوا دماءهم».

(وقال ﷺ: «لا يدخل الجنة) أي مع الداخلين في الرعيل الأول من غير عذاب ولا بأس أو لا يدخلها حتى يعاقب بما اجترحه **(بخيل)** أي من هو البخل صفة لازمة له وتكرر منه ذلك. **(ولا خب)** بفتح الخاء وبكسرها وهو الخداع الذي يفسد بين المسلمين بالخداع، **(ولا خائن ولا سيء الملكة»)** أي التدبير في أمور معاشه ومن ملكت يمينه، **(وفي رواية «ولا جبار» وفي رواية «ولا منان»)** قال العراقي: رواه أحمد والترمذي وحسنه من حديث أبي بكر، واللفظ لأحمد دون قوله: «ولا منان» وهي عند الترمذي ولابن ماجه: «لا يدخل الجنة سيء الملكة» انتهى.

قلت: لفظ أحمد فيه زيادة بعد قوله ولا سيء الملكة «وأولى من يقرع باب الجنة المملوكون إذا أحسنوا فيما بينهم وبين الله وفيما بينهم وبين مواليهم». وعند أبي داود والطيالسي «لا يدخل الجنة خب ولا خائن».

وروى الخطيب في كتاب البخلاء، وابن عساكر في التاريخ بلفظ: «لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا لئيم ولا منان ولا خائن ولا سيء الملكة، وأن أول من يقرع باب الجنة المملوك والمملوكة فاتقوا الله وأحسنوا فيما بينكم وبين الله وفيما بينكم وبين مواليكم».

وعند أحمد أيضاً: «لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا منان ولا سيء الملكة، وأول من يدخل الجنة المملوك إذا أطاع الله وأطاع سيده» وهذا اللفظ قد رواه أيضاً الخرائطي في مساوىء الأخلاق من حديث أنس.

ولفظ الترمذي من حديث أبي بكر: «لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان» ورواه كذلك أبو يعلى وضعفه المنذري، وقد ثبت لفظ: «ولا منان» في أخبار كثيرة عن نافع مولى رسول الله

وقال ﷺ: «ثلاث مهلكات؛ شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه». وقال ﷺ: «إن الله يبغض ثلاثة: الشيخ الزاني، والبخيل المنان، والمعيل المختال». وقال ﷺ: «مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من لدن ثديهما إلى

ﷺ، كما عند الحسن بن سفيان، والطبراني، وابن منده وابن عساكر، وعن ابن عمر كما عند النسائي، وابن جرير. وعن أبي سعيد الخدري كما عند أحمد وأبي يعلى والبيهقي. وعن أبي زيد الجرمي كما عند الطبراني. وعن أبي أمامة كما عند الطيالسي. وعن عبدالله بن عمرو وكما عند ابن جرير والخطيب. وعن ابن عباس كما عند الطبراني والخرائطي.

وأما قوله: «لا يدخل الجنة سيء الملكة» فقد رواه الطيالسي والترمذي وقال: حسن غريب، وابن ماجه، والدارقطني في الإفراد من حديث أبي بكر. وعند أحمد والترمذي من طريق أخرى وحسنه الخرائطي بزيادة قال رجل: يا رسول الله أليس أخبرتنا أن هذه الأمة أكثرها مملوكون وأيامي قال: «بلى فأكرموهم كرامة أولادكم وأطعموهم مما تأكلون» ولم أجد رواية «ولا جبار» إلا أن يكون بمعنى المتكبر، فقد روى مسلم من حديث ابن مسعود: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه ذرة من كبر» الحديث. ومعنى هذه الأخبار لا يدخل الجنة مع هذه الخصلة حتى يطهر منها إما بتوبة في الدنيا أو بالعفو أو بالعذاب بقدره. قال التوربشتي: هذا هو السبيل في تأويل أمثال هذه الأحاديث لتوافق أصول الدين، وقد هلك بحب التمسك بظواهر أمثال هذه النصوص الجم الغفير من المبتدعة، ومن عرف وجوه القول وأساليب البيان من كلام العرب هان عليه التخلص قريباً أيضاً في كتاب العلم.

(**وقال ﷺ: «ثلاث**) خصال (**مهلكات: شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه**)، وثلاث منجيات: العدل في الغضب والرضا وخشية الله في السر والعلانية» رواه أبو الشيخ في التوبيخ، والطبراني في الأوسط أيضاً من حديث أنس، ورواه الطبراني في الأوسط أيضاً من حديث ابن عمر بزيادة وثلاث كفارات وثلاث درجات» وقد تقدم قريباً في كتاب العلم.

(**وقال ﷺ: «إن الله يبغض ثلاثة: الشيخ الزاني والبخيل المنان**) بعطائه (**والمعيل**) أي ذا العيال (**المختال»**) أي المتكبر. قال العراقي: رواه الترمذي والنسائي من حديث أبي ذر دون قوله «البخيل المنان» وقال فيه «والغني الظلوم» وقد تقدم. وللطبراني في الأوسط من حديث علي «إن الله ليبغض الغني الظلوم والشيخ الجهول والعائل المختال» وسنده ضعيف انتهى.

قلت: حديث أبي ذر رواه أيضاً أحمد، وابن حبان، والضياء بلفظ «إن الله عز وجل يحب ثلاثة ويبغض ثلاثة: الشيخ الزاني والفقير المختال والمكثر البخيل، ويحب ثلاثة» الحديث. ورواه الطيالسي والطبراني والحاكم والبيهقي والضياء أيضاً بلفظ «إن الله يحب ثلاثة ويبغض ثلاثة» فساقوا الحديث. وفيه «والثلاثة الذين يبغضهم الله البخيل المنان والمختال الفخور والتاجر الحلاف».

(**وقال ﷺ «مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جنتان**) بضم الجيم وتشديد النون

تراقيها، فأما المنفق فلا ينفق شيئاً إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفى بنانه، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا قلصت ولزمت كل حلقة مكانها حتى أخذت بتراقيه فهو يوسعها ولا تتسع»، وقال ﷺ: «خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق»، وقال ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر» وقال ﷺ: «إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، وإياكم

أي درعان، وفي رواية جبتان بالموحدة بدل النون والجبة ثوب معروف ورجحت الأولى بقوله: **(من حديد)** وادعى بعضهم انه تصحيف **(من لدن)** أي عند **(ثديهما)** بضم المثلثة وكسر الدال المهملة ومثناة تحتية مشددة جمع ثدي وأصله ثدوى كفلس وفلوس **(إلى تراقيهما)** جمع ترقوة وهما العظمان المشرفان في أعلى الصدر، **(فأما المنفق فلا ينفق شيئاً إلا سبغت)** أي امتدت وعظمت **(أووفرت)** شك من الراوي **(على جلده حتى تُخفي)** بضم تاء المضارعة وسكون الخاء المعجمة وكسر الفاء. وفي رواية تجن بجيم ونون أن تستر **(بنانه)** أي أصابعه وأنامله وصحفه بعضهم فقال: ثيابه جمع ثوب يعني أن الإنفاق يستر خطاياه كما يغطي الثوب جميع بدنه، والمراد أن الجواد إذا همّ بالانفاق انشرح له صدره وطابت به نفسه فوسع فيه، **(وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا قلصت)** أي ارتفعت **(ولزمت كل حلقة)** بسكون اللام **(مكانها)** قال الطيبي: قيد المشبه به بالحديد إعلاماً بأن القبض والشدة جبلي للإنسان، وأوقع المنفق موقع السخي فجعله في مقابل البخيل إيذاناً بأن السخاء أمر به الشارع وندب إليه لا ما يتعافاه المسلمون، **(حتى أخذت بتراقية فهو يوسعها ولا تتسع وهو يوسعها ولا تتسع»)** هكذا مرتين في سائر النسخ ضرب المثل برجل أراد لبس درع يستجن به، فحالت يداه بينها وبين أن يمر على جميع بدنه، فاجتمعت في عنقه فلزمت ترقوته. والمراد أن البخيل إذا حدث نفسه بالإنفاق شحت وضاق صدره وعلت يداه. رواه أحمد، والشيخان، وابن حبان من حديث أبي هريرة بلفظ «مثل البخيل والمتصدق» وعندهم بعد قوله بنانه وتعفوا اثره، وفيه: إلا لزقت بدل لزمت، وفيه: فهو يوسعها فلا تتسع مرة واحدة. وزعم بعضهم أن هذه الجملة الأخيرة مدرجة من كلام أبي هريرة، وهو وهم لو ورد التصريح برفعه.

(وقال ﷺ «خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق») قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي سعيد وقال غريب انتهى.

قلت: ورواه أيضاً الطيالسي، وعبد بن حميد، والبخاري في الأدب، والبزار، وأبو يعلى، وابن جرير في تهذيبه، والبيهقي في الشعب.

(قال ﷺ) في دعائه: **(«اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك ان أردّ إلى أرذل العمر»)** رواه البخاري من حديث سعد، وقد تقدم في الأذكار والدعوات.

والفحش إن الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش، وإياكم والشح فإنما أهلك من كان قبلكم الشح أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا »، وقال ﷺ: « شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع ». وقتل شهيد على عهد رسول الله

(وقال ﷺ « إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، وإياكم والفحش ان الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش، وإياكم والشح فإنما أهلك من كان قبلكم الشح أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا ») قال العراقي: رواه الحاكم من حديث عبد الله بن عمر ودون قوله « أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا » قال عوضا عنها « وبالبخل فبخلوا بالفجور ففجروا » وكذلك رواه أبو داود مقتصراً على ذكر الشح، وتقدم قبله بسبعة أحاديث. ولمسلم من حديث جابر « اتقوا الظلم فإنه ظلمات يوم القيامة، واتقو الشح » فذكره بلفظ آخر فلم يذكر الفحش انتهى.

قلت: حديث عبد الله بن عمر وقد تقدم قريباً، ولفظ أبي داود الحاكم: « إياكم والشح فإنما هلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا » وهكذا رواه ابن جرير في التهذيب، والبيهقي، وللطبراني من حديث المسور بن مخرمة « إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح إن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » ولأحمد والطبراني والبيهقي من حديث ابن عمر « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة » وزاد أحمد وعبد بن حميد والبخاري في الأدب، ومسلم وأبو عوانة من حديث جابر « واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم وحملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم ».

(وقال ﷺ « شر ما في الرجل) أي من مساوىء أخلاقه **(شح هالع)** أي جازع. يعني شح يحمل على الحرص على المال والجزع على ذهابه. وقيل: هو أن لا يشبع كلما وجد شيئاً بلعه ولا قرار له ولا يتبين في جوفه ويحرص على تهيئة شيء آخر. قال التوربشتي: والشح بخل مع حرص، فهو أبلغ في المنع من البخل، فالبخل يستعمل بالضنة بالمال، والشح في كل ما تمتنع النفس عن الاسترسال فيه من بذل مال أو معروف أو طاعة. قال: والهلع أفحش الجزع، والمعنى أنه يجزع في شحه أشد الجزع عن استخراج الحق منه **(وجبن خالع »)** أي شديد كأنه يخلع فؤاده من شدة خوفه من الخلق. قال الطيبي: والفرق بين وصف الشح بالهلع والجبن بالخلع أن الهلع في الحقيقة لصاحب الشح فأسند إليه مجازاً فهما حقيقتان، لكن الإسناد مجازي، ولا كذلك الخلع إذ ليس مختصاً بصاحب الجبن حتى يسند إليه مجازاً بل هو وصف للجبن، لكن على المجاز حيث اطلق واريد به الشدة، وإنما قال: شر ما في الرجل ولم يقل شر ما في النساء لأن الشح والجبن مما تحمد به المرأة ويذم به الرجل، أو لأن الخصلتين تقعان موقعاً في الذم من الرجال فوق ما يقعان من النساء.

قال العراقي: رواه أبو داود من حديث أبي هريرة بسند جيد انتهى.

ﷺ فبكته باكية فقالت: واشهيداه! فقال ﷺ: «وما يدريك أنه شهيد فلعله كان يتكلم فيما لا يعنيه أو يبخل بما لا ينقصه». وقال جبير بن مطعم، بينا نحن نسير مع رسول الله ﷺ ومعه الناس مقفله من خيبر إذ علقت برسول الله ﷺ الأعراب يسألونه، حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه، فوقف ﷺ فقال: «أعطوني ردائي فوالذي نفسي بيده لو كان لي عدد هذه العضاه نعماً لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً»، وقال عمر رضي الله عنه: قسم رسول الله ﷺ قسماً فقلت غير هؤلاء كانوا أحق به منهم؟ فقال: «إنهم يخيروني بين أن يسألوني بالفحش أو يبخلوني»، ولست

قلت: ورواه كذلك البخاري في التاريخ، والحكيم في النوادر، وابن جرير في التهذيب، والبيهقي في الشعب، وقال ابن طاهر: إسناده متصل.

(وقتل شهيد) أي استشهد رجل **(على عهد رسول الله ﷺ فبكته باكية فقالت: واشهيداه! فقال النبي ﷺ: «وما يدريك أنه شهيد فلعله قد كان يتكلم بما لا يعنيه أو يبخل بما لا ينقصه»)** قال العراقي: رواه أبو يعلى من حديث أبي هريرة بسند ضعيف، والبيهقي من حديث أنس أن امه قالت: ليهنك الشهادة، وهو عند الترمذي إلا أن فيه رجلاً قال له: ابشر بالجنة انتهى.

قلت: وسياق المصنف أورده في كتاب البخلاء، وكذلك البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة، ولكن بلفظ: «إن رجلاً قتل شهيداً فبكته باكية» والباقي سواء، وتقدم للمصنف في آفات اللسان قصة لكعب بن عجرة تشبهها وفيها: «وما يدريك يا أم كعب لعل كعباً قال مالا يعنيه أو منع ما لا يغنيه» وقد رواه ابن أبي الدنيا.

(وقال جبير بن مطعم) بن عدي بن نوفل القرشي النوفلي: **(بينا نحن نسير مع رسول الله ﷺ ومعه الناس مقفله)** أي مرجعه **(من حنين)** إسم واد بين مكة والطائف **(إذا علقت برسول الله ﷺ الأعراب)** وهم جفاة البوادي **(يسألونه)** متاع الدنيا **(حتى اضطروه إلى سمرة)** بفتح السين وضم الميم وهي شجرة أم غيلان، **(فخطفت رداءه فوقف رسول الله ﷺ فقال: «اعطوني ردائي فوالذي نفسي بيده لو كان لي عدد هذه العضاه)** وهي أشجار البادية **(نعماً لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً»)** أخرجه البخاري وقد تقدم في أخلاق النبوّة.

(وقال عمر) رضي الله عنه: **(قسم رسول الله ﷺ قسماً)** لجماعة **(فقلت: غير هؤلاء كانوا أحق به منهم؟ فقال: إنهم يخيروني بين أن يسألوني بالفحش أو يبخلوني)** أي ينسبونني إلى البخل **(ولست بباخل»)** وهو من يصدر عنه البخل ولو مرة بخلاف البخيل كالرحيم والراحم وفيه نوع مبالغة كما لا يخفى. أخرجه مسلم.

بباخل». وقال أبو سعيد الخدري دخل رجلان على رسول الله ﷺ فسألاه ثمن بعير فأعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقيهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأثنيا وقالا معروفاً وشكراً ما صنع بهما، فدخل عمر على رسول الله ﷺ فأخبره بما قالا. فقال ﷺ: «لكن فلان أعطيته ما بين عشرة إلى مائة ولم يقل ذلك ان أحدكم ليسألني فينطلق في مسألته متأبطها وهي نار»، فقال عمر فلم تعطيهم ما هو نار؟ فقال: «يأبون إلا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل»، وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «الجود من جود الله تعالى فجودوا يجد الله لكم ألا إن الله عز وجل خلق الجود فجعله في صورة رجل وجعل رأسه راسخاً في أصل شجرة طوبى وشد أغصانها بأغصان سدرة المنتهى، ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا، فمن تعلق بغصن منها أدخله الجنة، ألا ان السخاء من الايمان، والإيمان في الجنة. وخلق البخل من مقته وجعل رأسه رأسخاً في أصل شجرة الزقوم ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بغصن منها أدخله النار، ألا إن البخل من

(**وقال أبو سعيد الخدري**) رضي الله عنه: (**دخل رجلان على رسول الله ﷺ فسألاه ثمن بعير، فأعطاهما دينارين، فخرجا من عنده فلقيهم عمر بن الخطاب**) رضي الله عنه (**فأثنيا**) على رسول الله ﷺ (**وقالا معروفاً وشكرا ما صنع بهما، فدخل عمر**) رضي الله عنه (**على رسول الله ﷺ فأخبره بما قالا. فقال له رسول الله ﷺ: «لكن فلان أعطيته ما بين عشرة إلى مائة ولم يقل ذلك**) أي المعروف وحسن الصنيع (**إن أحدكم يسألني فينطلق في مسألته متأبطها**) أي آخذها تحت إبطه (**وهي نار» فقال عمر**) رضي الله عنه: (**فلم تعطهم ما هو نار؟ فقال «يأبون إلا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل»**) قال العراقي: رواه أحمد، وأبو يعلى، والبزار نحوه، ولم يقل أحد أنهما سألاه ثمن بعير. ورواه البزار من رواية أبي سعيد عن عمرو ورجاله ثقات انتهى.

قلت: ورواه أيضاً الحاكم والضياء من حديث أبي سعيد، ورواه الحاكم أيضاً من حديث جابر وفيه: «فينطلق بمسألته متابطها وما هي إلاّ نار» وفيه: قيل لم تعطهم؟ قال: «يأبون» الحديث.

(**وعن ابن عباس**) رضي الله عنه (**قال: قال رسول الله ﷺ: «الجود من جود الله تعالى فجودوا**) على خلق الله (**يجد الله لكم**) وهذا معنى قولهم من جاد جاد الله عليه (**ألا إن الله خلق الجود فجعله في صورة رجل وجعل رأسه راسخاً في أصل شجرة طوبى وشد أغصانها بأغصان سدرة المنتهى، ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا، فمن تعلق بغصن منها أدخله الجنة، إلا إن السخاء من الإيمان والإيمان في الجنة، وخلق البخل من مقته**) وهو أشد الغضب (**وجعل رأسه راسخاً في أصل شجرة الزقوم، ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا، فمن تعلق بغصن منها أدخله النار، إلا إن البخل من الكفر والكفر في النار»**) قال العراقي: ذكره صاحب الفردوس ولم يخرجه ولده في مسنده ولم أقف له على اسناد انتهى.

الكفر والكفر في النار »، وقال ﷺ : « السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يلج الجنة إلا سخي والبخل شجرة تنبت في النار فلا يلج النار إلا بخيل »، وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : « لوفد بني لحيان من سيدكم يا بني لحيان ». قالوا : سيدنا جد بن قيس إلا أنه رجل فيه بخل، فقال ﷺ : « وأي داء أدوأ من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجموح »، وفي رواية أنهم قالوا : سيدنا جد بن قيس، فقال: « بم تسوّدونـه ؟ » قالوا : إنه أكثرنا مالاً وإنا على ذلك لنرى منه البخل، فقال عليه السلام : « وأي داء أدوأ من البخل ليس ذلك سيدكم » قالوا : فمن سيدنا يا رسول الله ؟ قال: « سيدكم بشر بن البراء ». وقال علي

قلت : بل أخرجه الخطيب في كتاب البخلاء بسند فيه أبو بكر النقاش صاحب مناكير، وقد تقدم قبل خمسة وثلاثين حديثاً حديث أبي هريرة وهو يشبه حديث ابن عباس.

(وقال ﷺ « السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يلج الجنة إلاَّ سخي، والبخل شجرة تنبت في النار ولا يلج في النار إلا بخيل ») قال العراقي : تقدم دون قوله : فلا يلج في الجنة الخ وذكره بهذه الزيادة صاحب الفردوس من حديث علي، ولم يخرجه ولده في مسنده انتهى.

قلت : الذي تقدم آنفاً قبل ستة وثلاثين حديثاً هو من حديث علي وولده الحسين وأبي هريرة وجابر وأبي سعيد وعائشة ومعاوية وأنس، وأما بهذه الزيادة فأخرجه الحسن بن سفيان في مسنده، والخطيب في كتاب البخلاء، وابن عساكر في التاريخ من حديث عبدالله بن جراد.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه : **(قال رسول الله ﷺ لوفد بني لحيان: من سيدكم يا بني لحيان »)** ؟ بكسر اللام قبيلة من هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر وقال الهمداني لحيان من بقايا جرهم دخلت في هذيل : **(قالوا : سيدنا جد بن قيس)** بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري **(إلا أنه رجل فيه بخل. فقال ﷺ : « وأي داء أدوأ من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجموح »)** بفتح الجيم وتخفيف الميم بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن سلمة الأنصاري **(وفي روايه)** أخرى : **(أنهم قالوا : سيدنا جد بن قيس. فقال « بم تسوّدونه »)** ؟ أي بأي وصف تجعلونه سيداً فيكم؟ **(قالوا : إنه أكثرنا مالا وإنا على ذلك)** أي مع ذلك **(لنزنه)** أي لنتهمه **(على البخل)** يقال : ازنه بكذا أو على كذا إذا اتهمه به. **(فقال ﷺ « وأي داء أدوأ من البخل ليس ذلك سيدكم » . قالوا : فمن سيدنا يا رسول الله؟ قال: « سيدكم بشر بن البراء »)** بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان الأنصاري بن عم الجد بن قيس الماضي ذكره. قال العراقي : حديث أبي هريرة رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم بلفظ « يا بني سلمة » وقال « سيدكم بشر بن البراء ». وأما الرواية التي قال فيها « سيدكم عمرو بن الجموح » فرواها الطبراني في الصغير من حديث كعب بن مالك باسناد حسن انتهى.

قلت: لفظ المصنف « من سيدكم يا بني لحيان » غريب، والثابت « يا بني سلمة » فإن المخاطب به هم. وقد تقدم ان بني لحيان من هذيل فلا يطابق الخطاب، وكان الجد بن قيس قد ساد بني سلمة في الجاهلية، فحوّل النبي ﷺ تلك السيادة إلى عمرو بن الجموح، وكلاهما من بني سلمة، وقد عزاه المصنف لأبي هريرة، وقد رواه الحاكم في المستدرك. وقال أبو الشيخ باسناد غريب عن أبي سلمة عن أبي هريرة. ورواه أبو عروبة في الأمثال، وابن عدي في الكامل من طريق سعيد بن محمد الوراق، عن محمد بن عمرو، وعن أبي سلمة ولم ينفرد به سعيد الوراق، بل تابعه النضر بن شميل عن الوليد بن أبان في كتاب السخاء، وأبو الشيخ في الأمثال، ومحمد بن علي عند الحاكم أيضاً، وقد رواه أيضاً جابر بن عبد الله الأنصاري، أخرجه البخاري في الأدب المفرد والسراج، وأبو الشيخ في الأمثال وأبو نعيم في المعرفة من طريق حجاج الصواف، عن أبي الزبير: حدثنا جابر قال: قال لنا رسول الله ﷺ: « من سيدكم يا بني سلمة » قالوا: الجد بن قيس على أنا تبخله. فقال « بهذه » هكذا ومديده وأي داء أدوا من البخل بل سيدكم عمرو بن الجموح » قال: وكان عمرو يولم على رسول الله ﷺ إذا تزوّج، وأخرج أبو نعيم في المعرفة، وفي الحلية، وأبو الشيخ أيضاً، والبيهقي في الشعب من طريق ابن عيينة، عن ابن المنكدر عن جابر نحوه. ورواه الوليد بن أبان في كتاب السخاء من طريق الأشعث بن سعيد عن عمرو بن دينار عن جابر نحوه. ورواه أبو نعيم من طريق حاتم بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن عطاء عن عبد الملك بن جابر بن عتيك عن جابر بن عبد الله نحوه. وقال فيه « بل سيدكم الابيض الجعد عمرو بن الجموح ». وقد روي أيضاً من حديث أنس أخرجه أبو الشيخ في الأمثال، والحسن بن سفيان في مسنده من طريق رشيد عن ثابت عنه مختصراً. ورواه الوليد بن أبان من طريق الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت، عن النبي ﷺ مرسلاً. وروى أبو خليفة عن ابن عائشة عن بشر بن المفضل عن أبي شبرمة عن الشعبي نحوه. قال ابن عائشة، فقال بعض الأنصار في ذلك:

وقال رسول الله والقول قوله ... لمن قال منا من تسمون سيّدا
فقالوا له جد بن قيس على التي ... نبخله منا وإن كان أسودا
فسوّد عمرو بن الجموع لجوده ... وحق لعمرو بالندى أن يسوّدا
فلو كنت يا جد بن قيس على التي ... على مثلها عمرو لكنت المسوّدا

ورواه الغلابي من طريق أخرى عن الشعبي وفيه الشعر، ورواه الوليد بن أبان من طريق عبد الله بن أبي ثمامة عن مشيخه له من الأنصار نحوه وفيه الشعر.

وأما حديث كعب بن مالك الذي عزاه العراقي للطبراني في الصغير فأخرجه يعقوب بن سفيان في تاريخه، وأبو الشيخ في الأمثال، والوليد بن ابان في كتاب الجود من طريق صالح بن كيسان، عن ابن شهاب، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن النبي ﷺ قال: « من سيدكم يا بني فضلة »؟ قالوا: جد بن قيس. قال « بم تسودونه »؟ فقالوا: إنه أكثرنا مالاً وإنا على ذلك لنزنه بالبخل. فقال: « وأي داء أدوأ من البخل ليس ذا سيدكم ». قالوا: فمن سيدنا يا رسول الله؟

رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « إن الله يبغض البخيل في حياته السخي عند موته ». وقال أبو هريرة: : قال سول الله ﷺ : « السخي الجهول أحب إلى الله من العابد البخيل »، وقال أيضاً: قال ﷺ : « الشح والإيمان لا يجتمعان في قلب عبد »، وقال

قال « بشر بن البراء بن معرور » تابعه ابن إسحاق عن الزهري، وقال في رواية « بل سيدكم الأبيض الجعد بشر بن البراء » وهكذا رواه يونس، وإبراهيم بن سعد عن الزهري من رواية الأبرش عنه، وخالفه يعقوب بن إبراهيم بن سعد، فرواه عن أبيه مرسلاً أخرجه ابن أبي عاصم، وكذا أرسله معمر وهو في مصنف عبد الرزاق، وفي مساوىء الأخلاق للخرائطي وابن أخي الزهري عن عمه وهو في الأمثال لأبي عروبة، وسمعته عن الزهري في نسخة أبي اليمان هكذا نقله الحافظ في الاصابة في ترجمة بشر.

قلت: وقد وجدت طريق معمر التي أشار إليها. قال الخرائطي في مكارم الأخلاق: حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال لبني ساعدة « من سيدكم »؟ قالوا: جد بن قيس. قال « بم سوّدتموه » قالوا: إنه أكثرنا مالاً وإنا على ذلك لنزنه بالبخل. فقال النبي ﷺ « وأي داء أدوأ من البخل » قالوا: فمن سيدنا؟ قال: « بشر بن البراء بن معرور ».

(وقال علي) رضي الله عنه، **(قال رسول الله ﷺ : « إن الله يبغض البخيل)** مانع الزكاة أو أعم **(في حياته السخي عند موته »)** لأنه مضطر حينئذ لا مختار قال العراقي: ذكره صاحب الفردوس ولم يخرجه ولده ولم أجد له إسناداً اهـ.

قلت: بل أخرجه الخطيب في كتاب البخلاء بسنده إلى علي رضي الله عنه.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ « السخي الجهول أحب إلى الله من العابد البخيل »)** قال العراقي: رواه الترمذي بلفظ « ولجاهل سخي » وهو بقية حديث « ان السخي قريب من الله » وتقدم اهـ.

قلت: بل لفظ المصنف رواه الخطيب في كتاب البخلاء، والديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة إلا أن فيه العالم بدل العابد.

(وقال أبو هريرة أيضاً) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ : « لا يجتمع الإيمان والشح في قلب عبد »)** قال العراقي: رواه النسائي وفي اسناده اختلاف اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن جرير في التهذيب بزيادة أبداً، وفي رواية له أيضاً في جوف رجل مسلم، وروى ابن عدي في الكامل من حديث عبد الغفور بن عبد العزيز بن سعد الأنصاري، عن أبيه عن جده بلفظ « لا يجتمع الإيمان والبخل في قلب رجل مؤمن أبداً ».

أيضاً : « خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق » ؟ وقال ﷺ : « لا ينبغي لمؤمن أن يكون بخيلاً ولا جباناً » . وقال ﷺ : « يقول قائلكم الشحيح أغدر من الظالم وأي ظلم أعظم عند الله من الشح ، حلف الله تعالى بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل » .

وروي أن رسول الله ﷺ كان يطوف بالبيت فإذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول : بحرمة هذا البيت إلا غفرت لي ذنبي فقال ﷺ : « وما ذنبك صفه لي » . فقال هو أعظم من أن أصفه لك فقال : « ويحك ذنبك أعظم أم الأرضون ؟ » فقال : بل ذنبي أعظم يا رسول الله ، قال : « فذنبك أعظم أم الجبال » ؟ قال : بل ذنبي أعظم يا رسول الله ، قال : « فذنبك أعظم أم البحار » ؟ قال : بل ذنبي أعظم يا رسول الله ، قال : « فذنبك أعظم أم السموات » ؟ قال : بل ذنبي أعظم يا رسول الله ، قال : « فذنبك أعظم أم العرش » ؟ قال : بل ذنبي أعظم يا رسول الله ، قال : « فذنبك أعظم أم الله » ؟ قال : بل الله أعظم وأعلى ، قال : « ويحك فصف لي ذنبك » قال : يا رسول الله إني رجل ذو ثروة من

(وقال) ﷺ (أيضاً « خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق ») رواه الترمذي من حديث أبي سعيد ، وقد تقدم قبل هذا قريباً فهو مكرر . ووقع هكذا في سائر نسخ الكتاب .

(وقال ﷺ « لا ينبغي للمؤمن أن يكون بخيلاً ولا جباناً ») قال العراقي لم أره بهذا اللفظ اهـ .

قلت : بل رواه هكذا هناد والخطيب في كتاب البخلاء من حديث أبي جعفر معضلاً ، ورواه الخطيب من حديث أبي عبد الرحمن السلمي موقوفاً .

(وقال ﷺ : « يقول قائلكم الشحيح أغدر من الظالم وأي ظلم أعظم عند الله من الشح ، حلف الله تعالى بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل ») قال العراقي لم اجده بتمامه ، وللترمذي من حديث أبي بكر « لا يدخل الجنة بخيل » اهـ .

قلت : وروى الخطيب في كتاب البخلاء من حديث ابن عمر « الشحيح لا يدخل الجنة » .

(وروي أن رسول الله ﷺ كان يطوف بالبيت فإذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول : بحرمة هذا البيت الا غفرت) لي (ذنبي ، فقال رسول الله ﷺ : « وما ذنبك صفه لي » . قال : هو أعظم من أن أصفه لك . قال « ويحك ذنبك أعظم أم الأرضون » ، قال : بل ذنبي أعظم يا رسول الله . قال : « ويحك فذنبك أعظم أم الجبال » ؟ قال : بل ذنبي يا رسول الله . قال فذنبك أعظم أم البحار ؟ قال : بل ذنبي يا رسول الله . قال : « فذنبك أعظم أم السموات » ؟ قال : بل ذنبي يا رسول الله . قال : « فذنبك أعظم أم العرش » ؟ قال : بل ذنبي يا رسول الله . قال : « فذنبك أعظم أم الله » ؟ قال : بل الله أعظم وأعلى قال « ويحك فصف لي

المال وإن السائل ليأتيني يسألني فكأنما يستقبلني بشعلة من نار ، **فقال ﷺ** : « إليك عني لا تحرقني بنارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام ثم صليت ألفي ألف عام ثم بكيت حتى تجري من دموعك الأنهار وتسقي بها الأشجار ثم مت وأنت لئيم لأكبك الله في النار ، ويحك أما علمت أن البخل كفر وأن الكفر في النار ، ويحك أما علمت أن الله تعالى يقول: ﴿ومن يبخلْ فإنما يبخل عن نفسه﴾ [محمد : ٣٨] ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ [الحشر : ٩] .

الآثار: قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما خلق الله جنة عدن قال لها: تزيني فتزينت ، ثم قال لها : اظهري أنهارك فأظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان أنهار الخمر وأنهار العسل واللبن، ثم قال لها: اظهري سررك وحجالك وكراسيك وحليك وحللك وحور عينك فأظهرت فنظر إليها فقال: تكلمي ، فقالت: طوبى لمن دخلني، فقال الله تعالى: وعزتي لا أسكننك بخيلاً وقالت أم البنين

ذنبك » . قال: يا رسول الله إني رجل ذو ثروة من المال وأن السائل ليأتيني ليسألني فكأنما يستقبلني بشعلة من نار . فقال ﷺ : « إليك عني لا تحرقني بنارك، فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام ثم صليت ألفي ألف عام ثم بكيت حتى تجري من دموعك الأنهار وتسقي الأشجار ثم مت وأنت لئيم لأكبك الله في النار . ويحك أما علمت أن البخل كفر وان الكفر في النار . ويحك أما علمت أن الله تعالى يقول: ﴿ ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه﴾ [ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾) قال العراقي: الحديث بطوله باطل لا أصل له .

(**الآثار: قال ابن عباس رضي الله عنه: لما خلق الله تعالى جنة عدن**) وهي أوسط الجنات (**قال لها: تزيني فتزينت، ثم قال لها: أظهرى أنهارك فأظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان أنهار الخمر وأنهار العسل واللبن، ثم قال لها: أظهري سررك وحجالك**) محركة جمع حجلة وهي الكلة ، (**وكراسيك وحللك وحليك وحور عينك فأظهرت فنظر إليها فقال: تكلمي. فقالت: طوبى لمن دخلني، فقال الله تعالى: وعزتي لا أسكننك بخيلاً**) رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ « لما خلق الله عز وجل جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت ولا خطر على قلب بشر ، ثم قال لها: تكلمي. فقالت: (**قد أفلح المؤمنون**) » . ورواه ابن عساكر وزاد ثم قالت: « **أنا حرام على كل بخيل ومراء** » . ورواه أبو طاهر محمد بن عبد الواحد الطبري المفسر في كتاب فضائل التوحيد ، والرافعي من حديث أنس « لما خلق الله جنة عدن ـ وهي أول ما خلقها الله ـ قال لها تكلمي فقالت لا إله إلا الله محمد رسول الله قد أفلح المؤمنون قد أفلح من دخل فيَّ وشقي من دخل النار » .

(**وقالت أم البنين**) ابنة عبد العزيز بن مروان (**أخت عمر بن عبد العزيز**) رحمه الله

أخت عمر بن عبد العزيز: أف للبخيل لو كان البخيل قميصاً ما لبسته ولو كان طريقاً ما سلكته. وقال طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه: انا لنجد بأموالنا ما يجد البخلاء لكننا نتصبر، وقال محمد بن المنكدر: كان يقال إذا أراد الله بقوم شراً أمر عليهم شرارهم وجعل أرزاقهم بأيدي بخلائهم. وقال علي كرّم الله وجهه في خطبته: إنه سيأتي على الناس زمان عضوض يعض الموسر على ما في يده ولم يؤمر بذلك. قال الله تعالى: ﴿ولا تنسوا الفضلَ بينكم﴾ [البقرة: ٢٣٧]، وقال عبدالله بن عمر: والشح أشد من البخل لأن الشحيح هو الذي يشح على ما في يد غيره حتى يأخذه ويشح بما في يده فيحبسه، والبخيل هو الذي يبخل بما في يده. وقال الشعبي: لا أدري أيهما أبعد غوراً في نار جهنم البخل أو الكذب؟ وقيل: ورد على أنوشروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندي: تكلم، فقال: خير الناس من ألفي سخياً وعند الغضب وقوراً وفي القول متأنياً

تعالى: (**أف للبخيل لو كان البخل قميصاً ما لبسته ولو كان طريقاً ما سلكته. وقال طلحة بن عبيد الله**) التيمي القرشي أحد العشرة رضي الله عنه: (**انا لنجد بأموالنا ما يجده البخلاء ولكن نتصبر، وقال محمد بن المنكدر**) بن عبد الله بن المهدي التيمي: (**كان يقال إذا أراد الله بقوم شراً أمرّ عليهم شرارهم وجعل أرزاقهم بأيدي بخلائهم**). وقد روي نحو ذلك مرفوعاً من حديث مهران وله صحبة ولفظه «إذا أراد الله بقوم خيراً ولّى عليهم حلماءهم وقضى بينهم علماؤهم وجعل المال في سمحائهم، وإذا أراد الله بقوم شراً ولّى عليهم سفهاءهم وقضى بينهم جهالهم وجعل المال في بخلائهم» أخرجه الديلمي في مسند الفردوس.

(**وقال علي كرم الله وجهه في خطبته: إنه سيأتي على الناس زمان عضوض**) أي شديد المراس كالدابة العضوض التي تكثر العض لمن مسّها (**يعض الموسر على ما في يديه**) من المال بنواجذه وهو كناية عن الإمساك الشديد، (**ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى: ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾ المراد به ما فضل من المال بعد حاجتكم. (وقال عبد الله بن عمرو**) بن العاص في الفرق بين الشح والبخل، (**الشح أشد من البخل لأن الشحيح هو الذي يشح على ما في يدي غيره حتى يأخذه ويشح**) على غيره (**بما في يديه فيحبسه**) عنه. (**والبخيل هو الذي يبخل بما في يديه**) مما يفضل لديه. (**وقال الشعبي**) رحمه الله تعالى: (**لا أدري أيهما أبعد غوراً في نار جهنم البخل أو الكذب**)؟ رواه ابن أبي الدنيا في الصمت عن إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا جرير عن بيان عنه إلا انه قال في النار بدل في جهنم، (**وقيل: ورد على أنوشروان**) بفتح الهمزة وضم النون وشروان كسحبان إسم ملك الفرس وكان مشهوراً بالعدل (**حكيم الهند وفيلسوف الروم**) وهو واحد الفلاسفة ومعناه الحكيم بالرومية (**فقال أنوشروان للهندي: تكلم. فقال: خير الناس من ألفي**) أي وجد (**سخياً وعند الغضب وقوراً**) أي متحملاً لغضبه، (**وفي**

وفي الرفعة متواضعاً وعلى كل ذي رحم مشفقاً . وقام الرومي فقال: من كان بخيلاً ورث عدوّه ماله ومن قل شكره ولم ينل النجح وأهل الكذب مذمومون وأهل النميمة يموتون فقراء ومن لم يرحم سلط عليه من لا يرحمه . وقال الضحاك في قوله تعالى: ﴿ إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً ﴾ [يس: ٨] قال: البخل، أمسك الله تعالى أيديهم عن النفقة في سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى . وقال كعب: ما من صباح إلا وقد وكل به ملكان يناديان: اللهم عجل لممسك تلفاً وعجل لمنفق خلفاً . وقال الأصمعي: سمعت اعرابياً وقد وصف رجلاً فقال: لقد صغر فلان في عيني لعظم الدنيا في عينه، وكأنما يرى السائل ملك الموت إذا أتاه . وقال أبو حنيفة رحمه الله: لا أرى ان أعدل بخيلاً لأن البخل يحمله على الاستقصاء فيأخذ فوق حقه خيفة من أن يغبن، فمن كان هكذا لا يكون مأمون الأمانة . وقال علي كرّم الله وجهه: والله ما استقصى كريم قط حقه، قال الله تعالى: ﴿عرَّف بعضَهُ وأعرَضَ عن بعض﴾ [التحريم: ٣] وقال الجاحظ: ما بقي من اللذات

القول متأنياً) أي متثبتاً **(وفي الرفعة متواضعاً وعلى كل ذي رحم مشفقاً . وقال للرومي: تكلم . فقال: من كان بخيلاً ورث عدوّه ماله ومن قلَّ شكره)** للنعمة **(لم ينل النجح)** أي الظفر بالمقصود، **(وأهل الكذب مذمومون، وأهل النميمة يموتون فقراً ، ومن لم يرحم)** أي من ملكه **(سلط الله عليه من لا يرحمه)** وشاهده في كلام نبينا ﷺ: « من لا يرحم لا يَرحم » .
(وقال الضحاك في قوله تعالى: ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً﴾ قال: البخل أمسك الله تعالى أيديهم عن النفقة في سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى) أخرجه الخرائطي في مساوىء الأخلاق، **(وقال كعب الأحبار)** رحمه الله تعالى: **(ما من صباح إلا وقد وكل به ملكان يناديان)** يقول إحداهما: **(اللهم عجّل لممسك تلفاً ، و)** يقول الثاني: اللهم **(عجل لمنفق خلفاً)** هكذا رواه صاحب الحلية، وقد رواه الحاكم من حديث أبي سعيد الخدري وصححه، وتعقبه الذهبي وفيه زيادة: وملكان يناديان: يا باغي الخير هلم، ويقول الآخر: يا باغي الشر قصر .
(وقال) عبد الملك بن قريب **(الأصمعي)** رحمه الله تعالى: **(سمعت اعرابياً قد وصف رجلاً فقال: لقد صغر فلان في عيني)** أي ذل وحقر **(لعظم الدنيا في عينه، وكأنما السائل إذا يراه ملك الموت إذا أتاه)** أي يستثقله ويقشعر عنه ويزور ويكرهه كما يكره ملك الموت ويزور عنه . **(وقال)** الإمام **(أبو حنيفة)** رحمه الله تعالى: **(لا أرى أن أعدل بخيلاً لأنه يحمله البخل على الاستقصاء)** في معاملاته، **(فيأخذ فوق حقه)** لا محالة **(خيفة أن يغبن فمن كان هكذا لا يكون مأمون الأمانة)** فلا يعدل. **(وقال علي كرم الله وجهه: والله ما استقصى كريم قط حقه)** لأنه **(قال الله تعالى ﴿عرّف بعضه وأعرض عن بعض﴾)**
أخرجه ابن مردويه في تفسيره: وأخرج البيهقي في الشعب عن عطاء الخراساني قال: ما استقصى حكيم قط. ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿عرف بعضه وأعرض عن بعض﴾ وأخرج ابن أبي حاتم، عن

إلا ثلاث: ذم البخلاء، وأكل القديد، وحك الجرب. وقال بشر بن الحرث البخيل لا غيبة له. قال النبي ﷺ: «إنك إذاً لبخيل» ومدحت امرأة عند رسول الله ﷺ فقالوا: صوّامة قوّامة إلا أن فيها بخلاً قال: «فما خيرها إذاً»، وقال بشر: النظر إلى البخيل يقسي القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين. وقال يحيى بن معاذ: ما في القلب للأسخياء إلا حب ولو كانوا فجاراً وللبخلاء إلا بغض ولو كانوا أبراراً وقال ابن المعتز: أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه. ولقي يحيى بن زكريا عليهما السلام. إبليس في صورته فقال له: يا إبليس أخبرني بأحب الناس إليك وأبغض الناس إليك؟ قال: أحب الناس إليّ المؤمن البخيل وأبغض الناس إليّ الفاسق السخي، قال له: لمَ؟ قال: لأن البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي أتخوّف أن يطلع الله عليه في سخائه فيقبله، ثم ولى وهو يقول: لولا أنك يحيى لما أخبرتك.

مجاهد قال: الذي عرف أمر مارية والذي أعرض قوله لعائشة أن أباك وأباها يليان الناس بعدي مخافة أن يفشوه. (**وقال**) عمرو بن بحر (**الجاحظ**) البصري يكنى أبا عثمان من رؤساء المعتزلة، ولـه تصانيف في عدة من الفنون، روى عن يزيد بن هارون وأبي يوسف القاضي، وعنه يموت بن المزرع ومات سنة ٢٥٥، (**ما بقي من اللذات إلا ثلاث: ذم البخلاء وأكل القديد وحك الجرب**) وفي كل منها يجد الإنسان لذة ما لا يجد في غيرها. (**وقال بشر بن الحارث**) الحافي رحمه الله تعالى: (**البخيل لا غيبة له**) لأنه (**قال النبي ﷺ**) لرجل: (**«إنك إذاً البخيل»**) فلو كان غيبة لم يقل ذلك: (**ومدحت امرأة عند النبي ﷺ فقالوا: صوّامة قوّامة**) أي كثيرة الصيام والقيـام (**إلا أنه فيها بخلاً. قال «فما خيرها إذاً»**) تقدم في آفات اللسان، فهذا أيضاً يدل أن ذكر الرجل بالبخل لا غيبة له. (**وقال بشر**) رحمه الله تعالى أيضاً: (**النظر إلى البخيل يقسي القلب وبقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين**) والقولان أخرجهما الخطيب في كتاب البخلاء. (**وقال يحي بن معاذ**) الرازي رحمه الله تعالى: (**ما في القلب للأسخياء إلا حب، ولو كانوا فجاراً، وللبخلاء إلا بغض ولو كانوا ابراراً**) أخرجه أبو نعيم في الحلية. (**وقال ابن المعتز**) وهو أبو العباس عبدالله بن المعتز بالله أبي عبدالله محمد بن المتوكل على الله أبي الفضـل جعفـر بـن المعتصم العباسي، وهـو أوّل مـن ألـف في البـديـع ولـه ديـوان شعـر: (**أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه**) لأن من أكرم ماله أهان بعرضه. (**ولقي يحي بن زكريا عليهما السلام إبليس في صورته**) الحقيقية (**فقال له: يا إبليس اخبرني بأحب الناس إليك وأبغض الناس إليك. فقال: أحب الناس إلي المؤمن البخيل، وأبغض الناس إلي الفاسق السخي. قال: لم؟ قال: لأن البخيل قد كفاني بخله، والفاسق السخي أتخوّف أن يطلع الله عليه في سخائه فيقبله، ثم ولّى**) أي أدبر، (**وهو يقول: لولا انك يحي لما أخبرتك**) وكأنه أظهر له النصح في الجواب إكراماً له عليه السلام.

حكايات البخلاء: قيل: كان بالبصرة رجل موسر بخيل، فدعاه بعض جيرانه وقدم إليه طباهجة ببيض فأكل منه فأكثر وجعل يشرب الماء فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت، فجعل يتلوى فلما جهده الأمر وصف حاله للطبيب فقال: لا بأس عليك، تقيأ ما أكلت، فقال: هاه! أتقيأ طباهجة ببيض الموت ولا ذلك.

وقيل: أقبل أعرابي يطلب رجلاً، وبين يديه تين فغطى التين بكسائه، فجلس الأعرابي فقال له الرجل: هل تحسن من القرآن شيئاً؟ قال: نعم، فقرأ: ﴿... والزيتون وطور سينين﴾ [التين: ١، ٢] فقال: وأين التين؟ قال: هو تحت كسائك.

ودعا بعضهم أخاً له ولم يطعمه شيئاً، فحبسه إلى العصر حتى اشتد جوعه وأخذه مثل الجنون، فأخذ صاحب البيت العود وقال له: بحياتي أي صوت تشتهي أن أسمعك؟ قال: صوت المقلي.

ويحكى أن محمد بن يحيى بن خالد بن برمك كان بخيلاً قبيح البخل، فسئل نسيب له

حكايات البخلاء:

(**قيل: كان بالبصرة رجل موسر**) أي غني (**بخيل، فدعاه بعض جيرانه وقدم إليه طباهجة**) وهي أن يقطع اللحم ويشوي في الطنجير في أي دهن كان فإذا طبخ في الماء ثم قلي سمي قلية (**ببيض فأكل منه فأكثر وجعل يشرب الماء فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت، فجعل يتلوى**) يميناً وشمالاً (**فلما أجهده الأمر وصف حاله لطبيب فقال: لا بأس عليك تقيأ ما أكلت**) تبرأ، (**فقال: هاه! اتقيأ طباهجة ببيض؟ أموت ولا أتقيأ طباهجة ببيض**). فهذا من بخله آثر الطباهجة على الصحة.

(**وقيل: أقبل أعرابي يطلب رجلاً بين يديه تين**) وهو التمر المعروف (**فغطى التين بكسائه**) من بخله كيلا يراه فيشاركه، (**فجلس الأعرابي فقال له الرجل: هل تحسن من القرآن شيئاً؟ قال: نعم، وقرأ**) بعد الاستعاذة والبسملة (**﴿والزيتون وطور سينين﴾ فقال**) الرجل: (**وأين التين؟ فقال: هو تحت كسائك**).

(**ودعا بعضهم أخاً له ولم يطعمه شيئاً إلى العصر حتى اشتد جوعه وأخذه مثل الجنون**) فإنه قد يعتري ذلك عند خلو المعدة، (**فأخذ صاحب البيت العود**) ليغني له (**وقال له: بحياتي أي صوت تشتهي أن أسمعك**) بهذا العود؟ (**قال: صوت المقلي**) أي صوت قلية اللحم.

(**ويحكى أن محمد بن يحيى بن خالد بن برمك**) البرمكي جده خالد بن برمك كان من عبدة النار فأسلم، وولده أبو علي يحيى بلغ الرتبة العلية في الثروة حتى ولي الوزارة للعباسيين، وأخبارهم

كان يعرفه عنه فقال له قائل: صف لي مائدته فقال: هي فتر في فتر، وصحافه منقورة من حب الخشخاش، قيل: فمن يحضرها قال: الكرام الكاتبون! قال: فما يأكل معه أحد؟ قال: بلى الذباب، فقال: سوأتك بدت وأنت خاص به وثوبك مخرق، قال أنا والله ما أقدر على إبرة أخيطه بها، ولو ملك محمد بيتاً من بغداد إلى النوبة مملوءاً إبراً، ثم جاءه جبريل وميكائيل ومعهما يعقوب النبي عليه السلام يطلبون منه إبرة ويسألونه إعارتهم إياها ليخيط بها قميص يوسف الذي قُدّ من دبر ما فعل.

ويقال كان مروان بن أبي حفصة لا يأكل اللحم بخلاً حتى يقرم إليه فإذا قرم إليه أرسل غلامه فاشترى له رأساً فأكله فقيل له: نراك لا تأكل إلا الرؤوس في الصيف والشتاء فلم تختار ذلك؟ قال: نعم الرأس أعرف سعره فآمن خيانة الغلام ولا يستطيع أن يغبنني فيه، وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه، إن مس عيناً أو أذناً أو

مشهورة. ومنهم محمد بن جعفر بن يحيى حدث، وهو من مشايخ أبي داود، وأبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى المعروف بجحظة صاحب أخبار ونوادر. **(وكان بخيلاً قبيح البخل)** على خلاف شيمة أهل بيته فإنهم كانوا قد اشتهروا بالكرم، **(فسئل نسيب له كان يألفه)** أي يعاشره **(عنه وقال له قائل: صف لي مائدته. فقال: هي فتر في فتر)** والفتر بالكسر ما بين طرف الابهام وطرف السبابة بالتفريج المعتاد وصفها في غاية الضيق، **(وصحافه)** جمع صحفة بالفتح وهي الإناء الذي يؤكل فيه **(منقورة من حب الخشخاش)** أي في غاية الصغر وهي مبالغة، **(قيل: فمن يحضرها؟ قال: الكرام الكاتبون)**: وهم ملائكة اليمين والشمال. **(قال: فما يأكل معه أحد؟ قال: بلى الذباب)** وما قدر ما يأكل منه الذباب. فقال: **(سوأة له)** أي قبحاً **(أنت خاص به)** ونسيبه وأليفه **(وثوبك مخرق)** أي مقطع، **(فقال: إني والله ما أقدر على إبرة أخيط بها، ولو ملك محمد بيتاً من بغداد إلى النوبة)** وهي من بلاد السودان **مملوءاً ابراً، ثم جاءه جبريل وميكائيل ومعهما يعقوب النبي عليهما السلام يطلبون منه إبرة)** واحدة **(ويسألونه: أعرنا إياها لنخيط بها قميص يوسف)** عليه السلام **(الذي قدّ)** أي شق **(من قبل)** أي من قدام **(ما فعل)** وهذا المنتهى في البخل وفيه مبالغات.

(ويقال: كان مروان بن أبي حفصة لا يأكل اللحم بخلاً حتى يقرم إليه) أي يشتاق إليه ويشتهيه، والقرم: نزوع النفس إلى اللحم خاصة، **(فإذا قرم)** إليه **(أرسل غلامه فاشترى له رأساً)** من رؤوس الغنم المشوية **(فأكله، فقيل له: نراك لا تأكل إلاّ الرؤوس)** المشوية **(في الصيف والشتاء فلم تختار ذلك؟ فقال: نعم الرأس أعرف سعره وآمن خيانة الغلام)** فيه **(ولا يستطيع أن يغبنني فيه، وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه، إن مس)** منه

خداً وقفت على ذلك، وآكل منه ألواناً، عينه لوناً، وأذنه لوناً، ولسانه لوناً، وغلصمته لوناً، ودماغه لوناً، وأكفى مؤنة طبخه، فقد اجتمعت لي فيه مرافق. وخرج يوماً يريد الخليفة المهدي فقالت له امرأة من أهله: ما لي عليك إن رجعت بالجائزة؟ فقال: إن أعطيت مائة ألف أعطيتك درهماً فأعطى ستين ألفاً فأعطاها أربعة دوانق. واشترى مرة لحماً بدرهم فدعاه صديق له فرد اللحم إلى القصاب بنقصان دانق وقال: أكره الإسراف. وكان للأعمش جار وكان لا يزال يعرض عليه المنزل ويقول: لو دخلت فأكلت كسرة وملحاً فيأبى عليه الأعمش، فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الأعمش فقال: سر بنا، فدخل منزله فقرب إليه كسرة وملحاً، فجاء سائل فقال له رب المنزل: بورك فيك، فأعاد عليه المسألة فقال له بورك فيك، فلما سأل الثالثة قال له إذهب وإلا والله خرجت إليك بالعصا قال فناداه الأعمش فقال إذهب ويحك فلا والله ما رأيت أحداً أصدق مواعيد منه! هو منذ مدة يدعوني على كسرة وملح فلا والله ما زادني عليها.

(**عيناً أو أذناً أو خداً وقفت على ذلك**) فهو محدود، (**و**) مع ذلك (**آكل منه ألواناً، آكل عينه لوناً، وأذنيه لوناً، ولسانه لوناً، وغلصمته**) وهي رأس الحلقوم (**لوناً، ودماغه لوناً، و**) مع ذلك (**أكفى مؤنة الطبخ؛ فقد اجتمعت لي فيه مرافق**) وهذا بخل فيه نوع تدبير. (**و**) يحكى أنه (**خرج يوماً يريد الخليفة المهدي**) العباسي (**فقالت له امرأة من أهله: ما لي عليك إن رجعت بالجائزة**) أي الصلة والعطية؟ (**فقال: إن أعطيت مائة ألف**) درهم (**أعطيتك درهماً فأعطي ستين ألفاً**) درهماً (**فأعطاها أربعة دوانق**) ولم يكمل لها درهماً. (**و**) يحكى أيضاً أنه (**اشترى مرة لحماً بدرهم فدعاه صديق له**) إلى منزله (**فردّ اللحم إلى القصاب بنقصان دانق وقال: أكره الإسراف. وكان للأعمش**) سليمان بن مهران الكوفي الفقيه (**جار وكان لا يزال يعرض عليه المنزل يقول: لو دخلت فأكلت كسرة وملحاً فيأبى عليه الأعمش**) ويتعلل ويواعد، (**فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الأعمش فقال: سِرْ بنا، فدخل منزله فقرب إليه كسرة وملحاً**) كما كان يعده به (**إذ سأل سائل بالباب، فقال رب المنزل: بورك فيك فأعاد عليه المسألة، فقال له: بورك فيك، فلما سأل الثالثة. قال له: اذهب وإلاّ والله خرجت إليك بالعصا. قال: فناداه الأعمش وقال: اذهب ويحك فلا والله ما رأيت أحداً أصدق مواعيد منه منذ مدة يدعوني على كسرة وملح فلا والله ما زادني عليها**). وللبخلاء أخبار كثيرة ونوادر شهيرة، وقد اقتصر المصنف على هذا القدر، وهو الذي أورده الخطيب في كتاب البخلاء بأسانيده.

بيان الايثار وفضله:

اعلم أن السخاء والبخل كل منهما ينقسم إلى درجات. فارفع درجات السخاء الإيثار، وهو أن يجود بالمال مع الحاجة إليه، وإنما السخاء عبارة عن بذل ما يحتاج إليه أو لغير محتاج، والبذل مع الحاجة أشد. وكما أن السخاوة قد تنتهي إلى أن يسخو الإنسان على غيره مع الحاجة فالبخل قد ينتهي إلى أن يبخل على نفسه مع الحاجة، فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى، ويشتهي الشهوة فلا يمنعه منها إلا البخل بالثمن؛ ولو وجدها مجاناً لأكلها. فهذا بخيل على نفسه مع الحاجة؛ وذلك يؤثر على نفسه غيره مع أنه محتاج إليه فانظر ما بين الرجلين؟ فإن الأخلاق عطايا يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الإيثار درجة في السخاء، وقد أثنى الله على الصحابة رضي الله عنهم به فقال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] وقال النبي ﷺ: «أيما امرىء اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له»، وقالت عائشة رضي الله عنها: «ما شبع

بيان الإيثار وفضله:

(**اعلم أن السخاء والبخل كل واحد**) منهما (**ينقسم إلى درجات، فارفع درجات السخاء الإيثار، وهو أن يجود بالمال**) على الغير (**مع الحاجة إليه، وإنما السخاء عبارة عن بذل ما لا يحتاج إليه**) سواء كان (**لمحتاج أو غير محتاج والبذل**) مع وجود (**الحاجة أشد**)، فلذا كان الإيثار أرفع درجاته، وهذا هو حد السخاء في المخلوق. وسيأتي الكلام عليه عند ذكره في الفصل الذي يليه، (**وكما أن السخاوة قد تنتهي إلى أن يسخو الإنسان على غيره مع الاحتياج**) لما يسخو به، (**فالبخل قد ينتهي إلى أن يبخل على نفسه مع الحاجة**) إليه، (**فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى**) لبخله، (**ويشتهي الشهوة فلا يمنعه منها إلا البخل بالثمن**) والإمساك للمال محبة فيه (**و**) قرينة ذلك أنه (**لو وجدها مجاناً**) بغير عوض لأكلها، فدل ذلك أن الامتناع منها إنما هو لأجل البخل. (**فهذا يبخل على نفسه مع الحاجة؛ وذلك يؤثر على نفسه غيره مع أنه لا حاجة به إلى ذلك، فانظر ما بين الرجلين**) من التفاوت؟ (**فإن الأخلاق عطايا**) من الملك الخلاق جل سبحانه (**يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الإيثار درجة في السخاء، وقد أثنى الله تعالى على الصحابة**) رضوان الله عليهم (**فقال: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾**) أي حاجة وفقر، كما سيأتي قريباً في سبب نزوله. (**وقال النبي ﷺ «أيما رجل**) وفي رواية: أيما امرىء (**اشتهى شهوة فردّ شهوته وآثر على نفسه غفر له»**) وفي رواية: غفر الله له. قال العراقي: رواه ابن حبان في الضعفاء، وأبو الشيخ في الثواب من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقد تقدم انتهى.

قلت: وكذلك رواه الدارقطني في الافراد، وقد تقدم للمصنف سبب هذا الحديث، وهو ما

رسول الله ﷺ ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا ، ولو شئنا لشبعنا » ولكنا كنا نؤثر على أنفسنا » ، ونزل برسول الله ﷺ ضيف فلم يجد عند أهله شيئاً ، فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب بالضيف إلى أهله ، ثم وضع بين يديه الطعام وأمر إمرأته بإطفاء السراج ، وجعل يمد يده إلى الطعام كأنه يأكل ولا يأكل ، حتى أكل الضيف الطعام ، فلما أصبح قال له رسول الله ﷺ : « لقد عجب الله من صنيعكم الليلة إلى ضيفكم » ، ونزلت : ﴿وَيُؤثرون على أنفُسِهِمْ ولو كان بهم خصاصة﴾ فالسخاء خلق من أخلاق الله تعالى ، والإيثار أعلى درجات السخاء . وكان ذلك من دأب رسول الله ﷺ حتى سماه الله

رواه نافع أن ابن عمر اشتهى سمكة طرية وكان قد نقه من مرضه فالتمست بالمدينة فلم توجد حتى وجدت بعد مدة ، واشتريت بدرهم ونصف فأشويت وجيء بها على رغيف ، فقام سائل بالباب ، فقال ابن عمر للغلام : لفها برغيفها وادفعها إليه ، فأبى الغلام فردّه وأمر بدفعها إليه ، ثم جاء بها فوضعها بين يديه وقال : كل هنيئاً يا أبا عبد الرحمن فقد أعطيته درهماً وأخذتها ، فقال : لفها وادفعها إليه ولا تأخذ منه الدرهم ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أيما امرىء اشتهى » وذكر الحديث .

(وقالت عائشة رضي الله عنها : « ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا ، ولو شئنا لشبعنا ولكنا كنا نؤثر على أنفسنا ») قال العراقي : رواه البيهقي في الشعب بلفظ « ولكنه كان يؤثر على نفسه » وأول الحديث عند مسلم بلفظ : « ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعاً من خبز بر حتى مضى لسبيله » وللشيخين : « ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة ثلاث ليال تباعاً حتى قبض » زاد مسلم « من طعام بر » .

(ونزل برسول الله ﷺ ضيف فلم يجد عند أهله شيئاً ، فدخل عليه رجل من الأنصار) وهو أبو طلحة زيد بن سهل رضي الله عنه ، **(فذهب به إلى أهله فوضع بين يديه الطعام)** الذي هو قوته وقوت صبيانه ، **(وأمر امرأته)** وهي أم سليم رضي الله عنها **(بإطفاء السراج)** فقامت كأنها تصلح السراج فأطفأته ، **(وجعل يمد يده إلى الطعام كأنه يأكل)** أي يظهر من نفسه الأكل **(ولا يأكل)** إيثاراً **(حتى أكل الضيف الطعام)** وبقي هو وعياله مجهودين ، **(فلما أصبح)** وغدا إلى رسول الله ﷺ وقد سبقه جبريل عليه السلام فأخبره بما صنع **(قال له رسول الله ﷺ : « لقد عجب الله عز وجل من صنيعكم الليلة إلى ضيفكم » ونزلت ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾)** متفق عليه من حديث أبي هريرة . **(فالسخاء خلق من أخلاق الله تعالى)** . وقد روى أبو نعيم ، والديلمي ، وأبو الشيخ ، وابن النجار من حديث ابن عباس : « السخاء خُلُق الله الأعظم » أي فمن تخلق به تخلق بصفة من صفاته تعالى . **(والإيثار أعلى درجات السخاء ، وكان ذلك من دأب رسول الله ﷺ)** أي من طريقته ، **(حتى سماه الله تعالى عظيماً فقال : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾)** وقد تقدم الكلام على هذه الآية في كتاب رياضة النفس .

تعالى عظيماً فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤٠] وقال سهل بن عبدالله التستري قال موسى عليه السلام: يا رب أرني بعض درجات محمد ﷺ وأمته! فقال: يا موسى إنك لن تطيق ذلك، ولكن أريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي، قال: فكشف له عن ملكوت السموات فنظر إلى منزلة كادت تتلف نفسه من أنوارها وقربها من الله تعالى، فقال: يا رب بماذا بلغت به، إلى هذه الكرامة؟ قال: بخلق إختصصته به من بينهم وهو الايثار، يا موسى لا يأتيني أحد منهم قد عمل به وقتاً من عمره إلا استحييت من محاسبته، وبوّأته من جنتي حيث يشاء.

وقيل: خرج عبدالله بن جعفر إلى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيه غلام أسود يعمل فيه، إذ أتى الغلام بقوته، فدخل الحائط كلب ودنا من الغلام فرمي إليه الغلام بقرص فأكله، ثم رمى إليه الثاني والثالث فأكله، وعبدالله ينظر إليه فقال: يا غلام كم قوتك كل يوم؟ قال: ما رأيت! قال: فلم آثرت به هذا الكلب؟ قال: ما هي بأرض كلاب، إنه جاء من مسافة بعيدة جائعاً فكرهت أن أشبع وهو جائع قال: فما أنت صانع اليوم؟ قال: أطوي يومي هذا، فقال عبدالله بن جعفر: ألام على السخاء! إن هذا الغلام

(**وقال**) أبو محمد (**سهل بن عبد الله**) التستري رحمه الله تعالى، (**قال موسى عليه السلام: يا رب أرني بعد درجات محمد ﷺ وأمته. قال: يا موسى إنك لن تطيق ذلك، ولكن أريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي. قال**) الراوي: (**فكشف له عن ملكوت السماء فنظر إلى منزلة كادت تتلف نفسه من أنوارها وقربها من الله عز وجل، فقال: يا رب لماذا بلغت به إلى هذه الكرامة؟ قال: بخلق اختصصته به من بينهم وهو الإيثار. يا موسى لا يأتيني أحد منهم قد عمل وقتاً من عمره إلا استحييت من محاسبته وبوّأته من جنتي حيث يشاء**) نقله صاحب القوت.

(**وقيل: خرج عبد الله بن جعفر**) بن أبي طالب (**إلى ضيعة له**) خارج المدينة (**فنزل على نخيل قوم وفيهم غلام أسود**) اللون (**يعمل فيه**) أي يخدم الأرض، (**إذا أتى الغلام بقوته**) وهو ثلاثة أرغفة، (**فدخل الحائط**) أي البستان (**كلب ودنا من الغلام فرمى إليه الغلام بقرص فأكله، ثم رمى إليه بالثاني والثالث فأكله، وعبد الله**) بن جعفر (**ينظر إليه**) من بعيد (**فقال: يا غلام كم قوتك كل يوم؟ قال: ما رأيت. قال: فلم آثرت به هذا الكلب؟ فقال: ما هي بأرض كلاب، إنه**) غريب (**جاء من مسافة بعيدة جائعاً، فكرهت ردّه. قال: فما أنت صانع اليوم؟ قال: أطوي يومي هذا**) جوعاً. (**فقال عبد الله بن**

لأسخى مني، فاشترى الحائط والغلام وما فيه من الآلات، **فأعتق الغلام ووهبه منه**.
وقال عمر رضي الله عنه: أهدي إلى رجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة فقال: إن أخي كان أحوج مني إليه فبعث به إليه، فلم يزل كل واحد يبعث به إلى آخر حتى تداوله سبعة أبيات ورجع إلى الأوّل.

وبات علي كرّم الله وجهه على فراش رسول الله ﷺ فأوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل عليهما السلام: إني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختارا كلاهما الحياة وأحباها؟ فأوحى الله عز وجل إليهما أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين نبيي محمد ﷺ فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثر بالحياة؟ أهبطا إلى الأرض فأحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبريل عليه السلام يقول: بخ بخ من مثلك يا بـن أبي طالب والله تعالى يباهي بك الملائكة! فأنزل الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ واللهُ رَؤُوفٌ بالعِبادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

جعفر: ألام على السخاء: إن هذا لأسخى مني، فاشترى الحائط والغلام وما فيه من الآلات فاعتق الغلام ووهبه منه) أي الحائط وما فيه.

(وقال عمر) رضي الله عنه **(أهدي إلى رجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة فقال: إن أخي كان أحوج مني إليه فبعث به إليه)**، فلما وصل إليه قال: إن أخي فلاناً كان أحوج مني إليه فبعث به إليه، **(فلم يزل يبعث به كل واحد إلى آخر حتى تداوله سبعة أبيات ورجع إلى الأول)** نقله صاحب القوت.

(وبات علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على فراش رسول الله ﷺ) عند مخرجه إلى الغار، **(فأوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل عليهما السلام: إني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كلاهما الحياة** وأحباها، فأوحى الله تعالى إليهما: أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين نبيّي **محمد ﷺ فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوّه فهبطا، (فكان جبريل)** عليه السلام **(عند رأسه وميكائيل)** عليه السلام **(عند رجليه، وجبريل عليه السلام ينادي: بخ بخ من مثلك يا بـن أبي طالب والله تعالى يباهي بك الملائكة، فأنزل الله عز وجل ﴿ومن الناس من يشتري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد﴾)** قال العراقي: رواه أحمد من حديث ابن عباس: «شرى علي نفسه ولبس ثوب النبي ﷺ ثم نام مكانه» الحديث. وليس فيه ذكر جبريل ومكائيل، ولم أقف لهذه الزيادة على أصل،

وعن أبي الحسن الأنطاكي: أنه اجتمع عنده نيف وثلاثون نفساً ـ وكانوا في قرية بقرب الري ولهم أرغفة معدودة لم تشبع جميعهم، فكسروا الرغفان وأطفأوا السراج وجلسوا للطعام، فلما رفع فإذا الطعام بحاله ولم يأكل أحد منه شيئاً إيثاراً لصاحبه على نفسه.

وروي أن شعبة جاءه سائل وليس عنده شيء؛ فنزع خشبة من سقف بيته فأعطاه ثم اعتذر إليه.

وقال حذيفة العدوي: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي ومعي شيء من ماء وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه، فإذا أنا به فقلت: أسقيك؟ فأشار إلي أن نعم، فإذا رجل يقول: آه. فأشار ابن عمي إلى أن انطلق به إليه، قال فجئته فإذا

وفيه أبو بلج مختلف فيه والحديث منكر. ورواه الحاكم في المستدرك وأعله عبد الغني بن سعيد في كتاب إيضاح الأشكال.

(وعن أبي الحسن الانطاكي) له ذكر في الحلية وفي الرسالة (**أنه اجتمع عنده نيف وثلاثون نفساً وكانوا في قرية بقرب الري**) إحدى مدن خراسان، (**ولهم أرغفة معدودة لم تشبع جمعهم، فكسروا الرغفان واطفأوا السراج وجلسوا للطعام**) وأوهم كل واحد صاحبه أن يأكل، (**فلما رفع فإذا الطعام بحاله ولم يأكل واحد منهم شيئاً إيثاراً لصاحبه على نفسه**).

(**وروي أن شعبة**) بن الحجاج بن الورد العتكي أبا بسطام الواسطي ثم البصري أمير المؤمنين في الحديث، وكان من العباد الزهاد مات سنة ستين (**جاءه سائل ولم يكن عنده شيء فنزع خشبة من سقف بيته فأعطاه ثم اعتذر إليه**). وقال صاحب الرسالة: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: كان الاستاذ أبو سهل الصعلوكي يتوضأ يوماً في صحن داره، فدخل إنسان فسأله شيئاً ولم يحضره شيء، فقال: اصبر حتى أفرغ فصبر، فلما فرغ قال: خذ القمقمة وخرج ثم صبر حتى بعُد فصاح وقال: دخل إنسان وأخذ القمقمة فمشوا خلفه فلم يدركوه، وإنما فعل ذلك لأن أهل المنزل كانوا يلومونه على البذل.

(**وقال حذيفة العدوي**) هكذا في سائر النسخ، ولم أجد له ذكراً في الصحابة، ولعل الصواب وقال أبو حذيفة في المبتدأ عن العدوي قال بعض بني المغيرة: (**انطلقت يوم اليرموك**) موضع بالشام وغزوته معروفة (**لطلب ابن عم لي**) في القتلى (**ومعي شيء من ماء وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه، فإذا أنا به فقلت: أسقيك؛ فأشار أن نعم، فإذا رجل يقول: آه فأشار ابن عمي إليَّ أن انطلق به**) أي بالماء (**إليه قال: فجئته فإذا هو هشام ابن العاص**) أخو عمرو بن العاص. قال ابن المبارك في الزهد عن جرير بن حازم عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: مرّ عمرو بن العاص بنفر من قريش فذكروا هشاماً، فقالوا: أيهما أفضل؟ فقال عمرو: شهدت أنا وهشام اليرموك فقلنا، نسأل الله الشهادة، فلما أصبحنا حرمتها ورزقها،

هو هشام بن العاص فقلت: أسقيك؟ فسمع به آخر فقال: آه.. **فأشار هشام إنطلق به** إليه، فجئته فإذا هو قد مات فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات رحمة الله عليهم أجمعين.

وقال عباس بن دهقان: ما خرج أحد من الدنيا كما دخلها إلا بشر بن الحرث فإنه أتاه رجل في مرضه فشكا إليه الحاجة فنزع قميصه وأعطاه إياه، واستعار ثوباً فمات فيه.

وعن بعض الصوفية قال: كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا إلى باب الجهاد، فتبعنا كلب من البلد، فلما بلغنا ظاهر الباب إذا نحن بدابة ميتة فصعدنا إلى موضع عال وقعدنا، فلما نظر الكلب إلى الميتة رجع إلى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلباً، فجاء إلى تلك الميتة وقعد ناحية ووقعت الكلاب في الميتة، فما زالت تأكلها وذلك الكلب قاعد ينظر إليها حتى أكلت الميتة وبقي العظم ورجعت الكلاب إلى البلد، فقام ذلك الكلب وجاء إلى تلك العظام فأكل مما بقي عليها قليلاً ثم انصرف.

ولكن ذكر موسى بن عقبة وغيره أنه استشهد بأجنادين، (**فقلت: أسقيك؟ فسمع به آخر فقال: آه فأشار هشام انطلق به إليه، فجئته فإذا هو قد مات، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات**) وقد ذكر أصحاب المغازي أنه استشهد باليرموك عكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمر، وسهل بن الحارث، والحارث بن هشام، وجماعة من بني المغيرة فأتوا بماء وهم صرعى فتدافعوا حتى ماتوا ولم يذوقوا الماء، وأتى عكرمة بالماء فنظر إلى سهيل ينظر إليه فقال: ابدأ بهذا، ونظر لسهل بن الحارث ينظر إليه فقال: ابدأ بهذا، فماتوا كلهم قبل أن يشربوا، فمر بهم خالد بن الوليد فقال: بنفسي أنتم.

(**وقال عباس بن دهقان: ما خرج أحد من الدنيا كما دخلها**) أي عارياً خالصاً (**إلا بشر بن الحرث**) الحافي (**فإنه أتاه رجل في مرضه فشكا إليه الحاجة فنزع قميصه فأعطاه إياه واستعار ثوباً فمات فيه**).

(**و**) حكي (**عن بعض الصوفية قال: كنا بطرسوس**) مدينة على ساحل البحر من طرف الشام وهي بالإقليم المسمى بسين وكانت تغزى من بلاد الروم، (**فاجتمعنا جماعة وخرجنا إلى باب الجهاد، فتبعنا كلب من البلد، فلما بلغنا باب الجهاد إذا نحن بدابة ميتة فصعدنا إلى موضع خال وقعدنا، فلما نظر الكلب إلى الميتة رجع البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلباً، فجاء إلى تلك الميتة وقعد ناحية ووقعت الكلاب في الميتة**) تنهشها، (**فما زالت تأكل وذلك الكلب قاعد ينظر إليها حتى أكلت الميتة وبقي ذلك العظم ورجعت الكلاب إلى البلد، فقام ذلك الكلب وجاء إلى تلك العظام فأكل مما بقي على العظم قليلاً ثم انصرف**) فهذا من إيثاره.

وقد ذكرنا جملة من أخبار الإيثار وأحوال الأولياء في كتاب الفقر والزهد فلا حاجة إلى الإعادة ههنا، وبالله التوفيق وعليه التوكل فيما يرضيه عز وجل.

بيان حد السخاء والبخل وحقيقتها:

لعلك تقول: قد عرف بشواهد الشرع أن البخل من المهلكات ولكن ما حد البخل وبماذا يصير الإنسان بخيلاً؟ وما من إنسان إلا وهو يرى نفسه سخياً وربما يراه غيره بخيلاً، وقد يصدر فعل من إنسان فيختلف فيه الناس فيقول قوم: هذا بخل ويقول آخرون ليس هذا من البخل. وما من إنسان إلا ويجد من نفسه حباً للمال ولأجله يحفظ المال ويمسكه، فإن كان يصير بإمساك المال بخيلاً فإذاً لا ينفك أحد عن البخل. وإذا كان الإمساك مطلقاً لا يوجب البخل، ولا معنى للبخل إلا الإمساك فما البخل الذي يوجب الهلاك؟ وما حد السخاء الذي يستحق به العبد صفة السخاوة وثوابها؟ فنقول: قد قال قائلون حد البخل منع الواجب، فكل من أدى ما يجب عليه فليس ببخيل، وهذا غير كاف؛ فإن من يرد اللحم مثلاً إلى القصاب والخبز للخباز بنقصان حبة أو نصف حبة فإنه يعد بخيلاً بالإتفاق. وكذلك من يسلم إلى عياله القدر الذي يفرضه

(وقد ذكرنا جملة من أخبار الإيثار وأحوال الأوليـاء في كتاب الزهد والفقر فلا نعيده).

بيان حد السخاء والبخل وحقيقتها:

(لعلك تقول قد عرف بشواهد الشرع أن البخل من المهلكات ولكن ما حدّ البخل وبماذا يصير الإنسان بخيلا؟ وما من إنسان إلا وهو يرى نفسه سخياً، وربما يـراه غيره بخيلاً، وقد يصدر فعل من إنسان فيختلف فيه الناس فيقول قوم: هذا بخل، ويقول آخرون: ليس هذا من البخل، وما من انسان إلا ويجد في نفسه حباً للمال) ويضطر إليه **(ولأجله يحفظ المال)** عن البذل **(ويمسكه، فإن كان يصير بإمساك المال بخيلاً فإذاً لا ينفك أحد من البخل، وإذا كان الإمساك مطلقاً لا يوجب البخل، ولا معنى للبخل إلا الإمساك فما البخل الذي يوجب الهلاك)** ويورث العقوبة والذم؟ **(وما حدّ السخاء الذي يستحق العبد به صفة السخاوة وثوابها؟ فنقول: قد قال قائلون: حدّ البخل)** في الشرع **(منه الواجب)** وعند العرب منع السائل بما يفضل عنده، **(فكل من أدى ما وجب عليه فليس بخيل وهذا غير كاف)** في فهم المرام، **(فإن من يرد اللحم مثلاً إلى القصاب والخبز إلى الخباز)** بعد ما اشتراهما **(لنقصان حبة أو نصف حبة)** كما فعله مروان بن أبي حفصة في اللحم لما دعاه صاحبه، **(فإنه يعد بخيلاً بالإتفاق)** مع أنه لم يمنع الواجب. **(وكذلك من يسلم إلى عياله القدر الذي**

القاضي ثم يضايقهم في لقمة إزدادوها عليه أو ثمرة أكلوها من ماله يعد بخيلاً. ومن كان بين يديه رغيف فحضر من يظن أنه يأكل معه فأخفاه عنه عد بخيلاً. وقال قائلون: البخيل هو الذي يستصعب العطية، وهو أيضاً قاصر، فإنه إن أريد به إنه يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها، ويستصعب ما فوق ذلك؟ وإن أريد به أنه يستصعب بعض العطايا فما من جواد إلا وقد يستصعب بعض العطايا؟ وهو ما يستغرق جميع ماله أو المال العظيم. فهذا لا يوجب الحكم بالبخل. وكذلك تكلموا في الجود، فقيل الجود عطاء بلا من وإسعاف من غير رؤية. وقيل: الجود عطاء من غير مسألة على رؤية التقليل. وقيل: الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء لما أمكن. وقيل: الجود عطاء على رؤية أن المال لله تعالى والعبد لله عز وجل فيعطي عبدالله مال الله على غير رؤية الفقر. وقيل: من أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء، ومن بذل الأكثر وأبقى لنفسه شيئاً فهو صاحب جود، ومن قاسى الضر وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب إيثار، ومن لم يبذل شيئاً فهو صاحب بخل.

يفرضه القاضي ثم يضايقهم في لقمة زادوها عليه أو ثمرة أكلوها من ماله عدّ بخيلاً) مع أنه لم يضايق في القدر الواجب، **(ومن كان بين يديه رغيف فحضر من يظن أنه يأكل معه فأخفاه عنه عدّ بخيلاً)** مع ان اشراكه في الرغيف لم يكن مما يجب حتى يكون اخفاؤه عنه بخلاً. **(وقال قائلون: البخيل هو الذي يستصعب العطية)** أي يعدها صعبة على نفسه. وقال صاحب الرسالة: حقيقة الجود أن لا يصعب عليه البذل، **(وهو أيضاً قاصر)** في فهم المرام، **(فإنه إن أريد به أنه يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوقه، وإن أريد به أن يستصعب بعض العطايا)** لأكلها، **(فما من جواد إلا وقد يستصعب بعض العطايا وهو ما يستغرق جميع ماله أو المال العظيم)** الذي له صورة. **(وهذا لا يوجب الحكم بالبخل، وكذلك تكلموا في الجود)** واختلفوا فيه **(فقيل: الجود عطاء بلا منّ واسعاف من غير رؤية)** أي لا يمن في عطائه ولا يرى في نفسه أنه أسعف. **(وقيل: الجود عطاء من غير مسألة)** بل يكون ابتداؤه **(على رؤية التقليل)** بأن يرى ما أعطاه قليلاً. **(وقيل: الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء لما أمكن)**. وقيل: الجود هولين النفس بالعطاء وسعة القلب للمؤاساة وهذا نقله ابن العربي. **(وقيل: الجود عطاء على رؤية أن المال لله تعالى والعبد لله تعالى فيعطى عبد الله مال الله على غير رؤية الفقر)** وهو قول لبعض الصوفية. وقيل: الجود هو إجابة الخاطر الأول، وقيل: الجود إفادة ما يفنى لا لغرض. **(وقيل: من أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء، ومن بذل الأكثر وأبقى لنفسه شيئاً فهو صاحب جود، ومن قاسى الضراء وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب إيثار، ومن لم يبذل شيئاً فهو صاحب بخل)**. وهذا القول نقله القشيري في الرسالة عن شيخه الاستاذ

وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة الجود والبخل، بل نقول: المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق، ويمكن إمساكه عن الصرف إلى ما خلق للصرف إليه، ويمكن بذله بالصرف إلى ما لا يحسن الصرف إليه، ويمكن التصرف فيه بالعدل، وهو أن يحفظ حيث يجب الحفظ، ويبذل حيث يجب البذل، فالإمساك حيث يجب البذل بخل، والبذل حيث يجب الإمساك تبذير. وبينهما وسط وهو المحمود وينبغي أن يكون السخاء والجود عبارة عنه، إذ لم يؤمر رسول الله ﷺ إلا بالسخاء، وقد قيل له: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتِرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قواماً﴾ [الفرقان: ٦٧]. فالجود وسط بين الإسراف والإقتار وبين البسط والقبض، وهو أن يقدر بذله وإمساكه بقدر الواجب، ولا يكفي أن يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيباً به غير منازع له فيه. فإن بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصابرها فهو متسخ وليس بسخي، بل ينبغي أن لا يكون لقلبه علاقة مع المال إلا من حيث يراد المال له وهو صرفه إلى ما يجب صرفه إليه.

أبي علي الدقاق. وقال بعضهم: السخاء إخراج العبد بعض ما يملكه بسهولة، والإيثار اخراجه جميع ما يملكه بسهولة مع حاجته إليه، وهذا لقول بمعنى الذي نقله القشيري.

(وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة البخل والجود، بل نقول: المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق، ويمكن إمساكه عن الصرف إلى ما خلق للصرف إليه، ويمكن بذله بالصرف إلى ما لا يحسن الصرف إليه، ويمكن التصرف فيه بالعدل، وهو أن يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل، فالإمساك حيث يجب البذل بخل، والبذل حيث يجب الإمساك تبذير، وبينهما وسط وهو المحمود) ومنه قول ابن الوردي:

بين تبـــذيـــر وبخل رتبـــة ... وكلا هـــذيـــن إن زاد قتـــل

(وينبغي أن يكون السخاء والجود عبارة عنه إذ لم يؤمر رسول الله ﷺ إلا بالسخاء، وقد قيل له: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾) فهذا اشارة إلى المقام الوسط. **(وقد قال تعالى: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا﴾ فالجود وسط بين الإسراف والاقتار، وبين البسط والقبض، وهو أن يقدر بذله وإمساكه بقدر الواجب، ولا يكفي أن يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيباً به)** منشرحاً **(غير منازع له فيه، فإن بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصـابـرهـا فهـو متسـخ)** أي متكلف للسخاء، **(وليس بسخي)** حقيقة، **(بل ينبغي أن لا يكون لقلبه علاقة مع المال إلا من حيث يراد المال له وهو صرفه إلى ما يجب صرفه إليه)**. وقال الماوردي: حدّ السخاء بذل ما

فإن قلت: فقد صار هذا موقوفاً على معرفة الواجب فما الذي يجب بذله.

فأقول: إن الواجب قسمان: واجب بالشرع، وواجب بالمروءة والعادة. والسخي هو الذي لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المروءة، فإن منع واحداً منهما فهو بخيل، ولكن الذي يمنع واجب الشرع أبخل كالذي يمنع أداء الزكاة ويمنع عياله وأهله النفقة، أو يؤديها ولكنه يشق عليه، فإنه بخيل بالطبع، وإنما يتسخى بالتكلف، أو الذي يتيمم الخبيث من ماله ولا يطيب قلبه أن يعطي من أطيب ماله، أو من وسطه، فهذا كله بخل.

وأما واجب المروءة فهو ترك المضايقة والاستقصاء في المحقرات، فإن ذلك مستقبح، واستقباح ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص. فمن كثر ماله استقبح منه مالاً يستقبح من الفقير من المضايقة، ويستقبح من الرجل المضايقة مع أهله وأقاربه ومماليكه

يحتاج إليه عند الحاجة وأن يوصل إلى مستحقه بقدر الطاقة وتدبير ذلك مستصعب، ولعل بعض من يحب أن ينتسب إلى الكرم ينكر حد السخاء ويجعل تقدير العطية فيه نوعاً من البخل، وأن الجود بذل الموجود وهذا تكليف يفضي إلى الجهل بحدود الفضائل، ولو كان حدّ الجود بذل الموجود لما كان للسرف موضوع ولا للتبذير موقع، وقد ورد الكتاب والسنة بذمهما، وإذا كان السخاء محدوداً فمن وقف على حدّه سمي كريماً واستوجب المدح، ومن قصر عنه كان بخيلاً واستوجب الذم.

(**فإن قلت: فقد صار هذا موقوفاً على معرفة الواجب فما الذي بذله يجب؟ فأقول: الواجب قسمان. واجب بالشرع، وواجب بالمروءة والعادة، والسخي هو الذي لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المروءة فإن منع واحداً منهما فهو بخيل، ولكن الذي يمنع واجب الشرع أبخل**) أي أشد في صفة البخل (**كالذي يمنع أداء الزكاة**) فلا يزكى (**ويمنع عياله وأهله النفقة**) فلا ينفق عليهم (**أو يؤديها**) أي الزكاة، (**ولكن يشق عليه**) ويستصعبه، (**فإنه بخيل بالطبع، وإنما يتسخى بالتكلف**) من غير انشراح صدر، (**أو الذي يتيمم الخبيث من ماله**) أي يقصده فمنه ينفق (**ولا يطيب قلبه أن يعطي من أطيب ماله أو من وسطه**) وقد قال تعالى: ﴿ولا تيمموا الخبيث منه تفقون﴾ [البقرة: ٢٦٧] (**فهذا كله بخل**).

(**وأما واجب المروءة فهو ترك المضايقة والإستقصاء في المحقرات**) والتدقيق فيها، (**فإذا ذلك مستقبح**) مخالف وصف الكرم، وقد روي عن علي رضي الله عنه: ما استقصى كريم حقه قط كما تقدم، (**واستقباح ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص**) أي باختلافها فقد يكون في حال وفي شخص يستقبح أشد الاستقباح دون حال وشخص، (**فمن كثر ماله يستقبح منه ما لا يستقبح من الفقير**) الذي لا مال له (**من المضايقة**) والاستقصاء في الحساب والمعاملة، (**ويستقبح من الرجل المضايقة مع أهله وأقاربه ومماليكه ما لا يستقبح مع الأجانب،**

ما لا يستقبح مع الأجانب، ويستقبح من الجار مالاً يستقبح مع البعيد، ويستقبح في الضيافة من المضايقة مالا يستقبح في المعاملة، فيختلف ذلك بما فيه من المضايقة في ضيافة أو معاملة وبما فيه المضايقة من طعام أو ثوب، إذ يستقبح في الأطعمة مالا يستقبح في غيرها ويستقبح في شراء الكفن مثلاً أو شراء الأضحية أو شراء خبز الصدقة مالا يستقبح في غيره من المضايقة. وكذلك بمن معه المضايقة من صديق أو أخ أو قريب أو زوجة أو ولد أو أجنبي. وبمن منه المضايقة من صبي أو امرأة أو شيخ أو شاب أو عالم أو جاهل أو موسر أو فقير. فالبخيل هو الذي يمنع حيث ينبغي أن لا يمنع إما بحكم الشرع وإما بحكم المروءة، وذلك لا يمكن التنصيص على مقداره. ولعل حد البخل هو إمساك المال عن غرض، ذلك الغرض هو أهم من حفظ المال، فإن صيانة الدين أهم من حفظ المال، فمانع الزكاة والنفقة بخيل وصيانة المروءة أهم من حفظ المال، والمضايق في الدقائق مع من لا تحسن المضايقة معه هاتك ستر المروءة لحب المال فهو بخيل.

ثم تبقى درجة أخرى، وهو أن يكون الرجل ممن يؤدي الواجب ويحفظ المروءة ولكن معه مال كثير قد جمعه ليس يصرفه إلى الصدقات وإلى المحتاجين، فقد تقابل

ويستقبح من الجار ما لا يستقبح مع البعيد، ويستقبح في الضيافة من المضايقة ما لا يستقبح أقل منه في المبايعة والمعاملة) والمحاسبة، **(فيختلف ذلك بما فيه من المضايقة في ضيافة أو معاملة، وبما به المضايقة من طعام أو ثوب، إذ يستقبح في الأطعمة ما لا يستقبح في غيرها، ويستقبح في شراء الكفن)** للميت **(مثلاً أو شراء الأضحية)** لنسكه **(أو خبز الصدقة)** للفقراء **(ما لا يستقبح في غيره من المضايقة، وكذلك بمن معه المضايقة من صديق أو أخ أو قريب أو زوجة أو ولداً أو أجنبي)** فيسامح مع الأول دون الأخير، **(وبمن منه المضايقة من صبي أو امرأة أو شيخ أو شاب أو عالم أو جاهل أو موسر)** أي غني **(أو فقير)** أو صالح أو صالح أو ذي مروءة أو سوقي، فالبخيل هو الذي يمنع حيث ينبغي أن لا يمنع إما بحكم الشرع وإما بحكم المروءة، **(وذلك لا يمكن التنصيص على مقداره)** لعدم الوقوف على حده، **(ولعل حد البخل هو إمساك المال عن غرض ذلك الغرض هو أهم من حفظ المال)** وإمساكه، **(فإن صيانة الدين أهم من حفظ المال)** لشرف الدين وخساسة المال، **(فمانع الزكاة)** ومانع **(النفقة)** ممن تجب **(بخيل، وصيانة المروءة أهم من حفظ المال)** والمراد بالمروءة هنا الإنسانية وهي الصفة التي بها يصير الإنسان إنساناً كاملاً، **(والمضايق في الدقائق)** أي في الأمور الدقيقة الحقيرة **(مع من لا تحسن المضايقة معه هاتك ستر المروءة لحب المال فهو بخيل)**.

(ثم تبقى درجة أخرى وهي أن يكون الرجل مما يؤدي الواجب) المفروض عليه، **(ويحفظ المروءة. ولكن معه مال كثير قد جمعه وليس يصرفه إلى الصدقات وإلى**

غرض حفظ المال ليكون له عدة على نوائب الزمان وغرض الثواب ليكون رافعاً لدرجاته في الآخرة، وإمساك المال عن هذا الغرض بخل عند الأكياس وليس ببخل عند عوام الخلق، وذلك لأن نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيا فيرون إمساكه لدفع نوائب الزمان مهماً، وربما يظهر عند العوام أيضاً سمة البخل عليه إن كان في جواره محتاج فمنعه، وقال: قد أديت الزكاة الواجبة وليس عليّ غيرها. ويختلف استقباح ذلك باختلاف مقدار ماله، وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاح دينه واستحقاقه. فمن أدى واجب الشرع وواجب المروءة اللائقة به فقد تبرأ من البخل. نعم لا يتصف بصفة الجود والسخاء ما لم يبذل زيادة على ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات، فإذا اتسعت نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع ولا تتوجه إليه الملامة في العادة فهو جواد يقدر ما تتسع له نفسه من قليل أو كثير. ودرجات ذلك لا تحصر وبعض الناس أجود من بعض، فاصطناع المعروف وراء ما توجبه العادة والمروءة هو الجود، ولكن بشرط أن

المحتاجين، فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون له عدة على نوائب الزمان وغرض الثواب ليكون رافعاً لدرجاته في الآخرة، فإمساك المال عن هذا الغرض بخل عند الأكياس وليس ببخل عند عوام الخلق)، ومن ذلك ما قرأت في كتاب صفوة التاريخ، قال الربيع، قال المنصور لعمومته: الناس يبخلوني وما أنا ببخيل، ولكن رأيت الناس عبيد الدينار والدرهم، فأردت أن أحظرها عليهم فاستذلهم بذلك، وقد وصل عمومته في وقت واحد بعشرة ألف ألف درهم، وامتدحه ابن هرمة فاستجاد قصيدته وأمر له بعشرة آلاف درهم، ثم قال له: احتفظ بها فإنك أوّل من أخذها مني وآخر من يأخذها، فقال له ابن هرمة: أنا آتيك بها يا أمير المؤمنين يوم القيامة بخاتم صاحب بيت المال. ووصل شبيب بن شيبة بكلام تكلم به بين يديه فأعجبه بعشرين ألف درهم، **(وذلك لأن نظر العوام مقصور على حدود الدنيا فيرون إمساكه لدفع نوائب الزمان مهماً)** ويقولون: الدراهم البيض تنفع للأيام السود، **(وربما يظهر عند العوام أيضاً سمة البخل عليه إن كان في جواره محتاج فمنعه، وقال: قد أديت الزكاة الواجبة)** علي **(وليس علي غيرها)** فلا أعطي ما ليس عليَّ **(ويختلف استقباح ذلك باختلاف مقدار حاله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاحه ودينه واستحقاقه، فمن أدى واجب الشرع وواجب المروءة اللائقة به فقد تبرأ من البخل)** وتنصل من تبعيته. **(نعم، لا يتصف بصفة الجود والسخاء ما لم يبذل زيادة على ذلك)** من فاضل ماله **(لطلب الفضيلة)** عند الله **(ونيل الدرجات)** العالية، **(فإذا اتسعت نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع ولا تتوجه إليه الملامة في العادة فهو جواد بقدر ما تتسع له نفسه من قليل أو كثير ودرجات ذلك لا تنحصر، وبعض الناس أجود من بعض)**، وقد صح أن النبي ﷺ كان أجود بالخير من الريح المرسلة، **(واصطناع المعروف وراء ما توجبه العادة والمروءة هو الجود، ولكن بشرط أن يكون عن طيبة**

يكون عن طيب نفس ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة أو مكافأة أو شكر أو ثناء فإن من طمع في الشكر والثناء فهو بياع ليس بجواد، فإنه يشتري المدح بماله والمدح لذيذ وهو مقصود في نفسه، والجود هو بذل الشيء من غير عوض. هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك إلا من الله تعالى، وأما الآدمي فأسم الجود عليه مجاز إذ لا يبذل الشيء إلا لغرض، ولكنه إذا لم يكن غرضه إلا الثواب في الآخرة واكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جواداً، فإن كان الباعث عليه الخوف من الهجاء مثلاً أو من ملامة الخلق أو ما يتوقعه من نفع يناله من المنعم عليه فكل ذلك ليس من الجود لأنه مضطر إليه بهذه البواعث، وهي أعواض معجلة له عليه فهو معتاض لا جواد، كما روى عن بعض المتعبدات أنها وقفت على حبان بن هلال وهو جالس مع أصحابه فقالت: هل

نفس) وانشراح صدر، **(ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة أو مكافأة أو شكر أو ثناء، فإن من طمع في الشكر والثناء فهو بياع وليس بجواد، فإنه يشتري المدح بماله والمدح لذيذ)** لذة معنوية **(وهو مقصود في نفسه)** ومنه قول بشار:

ليس يعطيك للرجاء وللخو ... ف ولكن يلذ طعم العطاء

(والجود هو بذل الشيء من غير غرض) دنيوي أو أخروي **(هذا هو الحقيقة)** اللغوية، **(ولا يتصور ذلك إلا من الله تعالى)** فهو الجواد على الحقيقة، وإفراد الجود العفو عند القدرة، والوفاء عند الوعد، والزيادة على العطاء منتهى الرجاء، وعدم المبالاة بكم أعطى ولا لمن اعطى، وعدم الاستقصاء في العتاب عند الجفاء وإغناؤه عن الوسائل والشفعاء، وعدم إضاعة من به التجأ، فهذه الافراد متى اجتمعت فيه فذلك الجواد المطلق. **(فأما الآدمي فأسم الجود عليه مجاز)** عن تلك الحقيقة **(إذ لا يبذل الشيء إلا لغرض)** من أغراضه، **(ولكنه إذا لم يكن غرضه إلا الثواب في الآخرة أو اكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جواداً فإن كان الباعث عليه الخوف من الهجاء مثلاً أو من ملامة الخلق أو ما يتوقعه من نفع يناله من المنع عليه، فكل ذلك ليس بالجود لأنه مضطر إليه بهذه البواعث وهي أعواض معجلة له عليه فهو معتاض لا جواد)** ومنه قول أبي نواس:

فتى يشتري حسن الثناء بماله ... ويعلم أن الدائرات تدورُ

وأحسن منه قول ابن الرومي:

وتاجر البر لا يزال له ... ربحان في كل متجر تجره
أجر وحمد وإنما طلب الاجـ ... ـر ولكن كلاهما اعتوره

(كما روي عن بعض المتعبدات أنها وقفت على) أبي حبيب **(حبان بن هلال)** الباهلي ويقال الكناني البصري قال ابن معين، والترمذي، والنسائي: ثقة ثبت حجه: مات بالبصرة في شهر

فيكم من أسأله عن مسألة؟ فقالوا لها: سلي عما شئت ـ وأشاروا إلى حبان بن هلال ـ فقالت: ما السخاء عندكم؟ قالوا: العطاء والبذل والإيثار، قالت: هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين؟ قالوا: أن نعبد الله سبحانه سخية بها أنفسنا غير مكرهة، قالت: فتريدون على ذلك أجراً؟ قالوا: نعم، قالت، ولمَ؟ قالوا: لأن الله تعالى وعدنا بالحسنة عشر أمثالها، قالت سبحان الله! فإذا أعطيتم واحدة وأخذتم عشرة فبأي شيء تسخيتم عليه؟ قالوا لها فما السخاء عندك يرحمك الله؟ قالت السخاء عندي أن تعبدوا الله متنعمين ملتذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك أجراً حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء! ألا تستحيون من الله أن يطلع على قلوبكم فيعلم منها أنكم تريدون شيئاً بشيء إن هذا في الدنيا لقبيح! وقالت بعض المتعبدات أتحسبون أن السخاء في الدرهم والدينار فقط؟ قيل: ففيم؟ قالت السخاء عندي في المهج. وقال المحاسبي السخاء في الدين أو تسخو بنفسك تتلفها لله عـز وجل ويسخو قلبك ببذل مهجتك وإهراق دمك لله تعالى بسماحة من غير إكراه، ولا تريد بذلك ثواباً عاجلاً ولا آجلاً، وإن كنت غير مستغن عن الثواب ولكن يغلب على ظنك حسن كمال السخاء بترك الاختيار

رمضان سنة ٢١٢ ر ى له الجماعة (**وهو جالس مع أصحابه فقالت: هل فيكم من أسأله عن مسألة؟ فقالوا لها: سلي عما شئت وأشاروا إلى حبان بن هلال فقالت: ما السخاء عندكم؟ قالوا: العطاء والبذل والإيثار، قالت: هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين؟ قالوا: نعبد الله سخية بها أنفسنا طيبة غير مكرهة**) وفي بعض النسخ غير كارهة وصوبه بعضهم، (**قالت: فتريدون على ذلك أجراً؟ قالوا: نعم، ولمِ؟ قالوا: لأن الله وعدنا بالحسنة عشراً، قالت: سبحان الله! فإذا أعطيتم واحدة وأخذتم عشراً فبأي شيء تسخيتم عليه؟ قالوا لها: فما السخاء عندك يرحمك الله؟ قالت: السخاء عندي أن تعبدوا الله متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك أجراً**) ولا عوضاً (**حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء، ألا تستحيون من الله أن يطلع على قلوبكم فيعلم منها أنكم تريدون شيئاً بشيء إن هذا في الدنيا لقبيح**)! فدل كلامها على السخاء والجود على الحقيقة مـا خلا عـن الأغـراض والأعـواض.

(**وقالت بعض المتعبدات أتحسبون السخاء في الدرهم والدينار فقط؟ قيل**) لها: (**ففيم؟ قالت: السخاء عندي في المهج**) أي في بذلها في سبيل الله، وهذا هو سخاء الخواص كما أن الأول سخاء العوام. (**وقال الحرث**) بن أسد (**المحاسبي رحمه الله**) في كتابه الرعاية: (**السخاء في الدين أن تسخو نفسك بتلفها لله عز وجل، ويسخو قلبك ببذل مهجتك وإهراق دمك لله عز وجل بسماحة من غير إكراه لا تريد بذلك ثواباً عاجلاً ولا آجلاً، وإن كنت غير مستغن عن الثواب، ولكن يغلب على قلبك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله**

على الله، حتى يكون مولاك هو الذي يفعل لك ما لا تحسن أن تختاره لنفسك.

بيان علاج البخل:

اعلم أن البخل سببه حب المال. ولحب المال سببان:

أحدهما: حب الشهوات التي لا وصول إليها إلا بالمال مع طول الأمل، فإن الإنسان لو علم أنه يموت بعد يوم ربما أنه كان لا يبخل بماله، إذ القدر الذي يحتاج إليه في يوم أو في شهر أو في سنة قريب، وإن كان قصير الأمل ولكن كان له أولاد أقام الولد مقام

تعالى حتى يكون مولاك هو الذي يفعل بك ما لا تحسن اختياره لنفسك)، وهو أيضاً يشير إلى سخاء الخواص، ومنهم من قال: سخاء العوام سخاء النفس ببذل الموجود، وسخاء الخواص سخاء النفس عن كل موجود ومفقود غنى بالواحد المعبود وقال: بعض السخاء أتم وأكمل من الجود، وضد الجود البخل، وضد السخاء الشح، والجود والبخل يتطرق إليهما الاكتساب عادة بخلاف ذينك، فإنهما من ضرورات الغريزة، وكل سخي جواد ولا عكس، والجود يتطرقه الرياء ويمكن تطبعه بخلاف السخاء كما في العوارف.

وقال الراغب: السخاء هيئة في الإنسان داعية إلى بذل المقتنيات حصل معه البذل أم لا، ويقابله الشح والجود بذل المقتنى، ويقابله البخل هذا هو الأصل، وقد يستعمل كل منهما محل الآخر، ومن شرف السخاء والجود أن الله قرن إسمه بالإيمان، ووصف أهله بالفلاح، والفلاح أجمع لسعادة الدارين، وحق للجود أن يقترن بالإيمان فلا شيء أخص منه به ولا أشد مجانسه له، فمن صفة المؤمن انشراح الصدر ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد ★ أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً﴾ [الأنعام: ١٢٥] وهما من صفات الجواد والبخيل لأن الجواد يوصف بسعة الصدر، والبخيل بضيقه ومن أحسن ما قيل فيه:

تــــراه إذا مـــــا جئتـــــه متهللاً ... كـأنـك تعطيـه الذي أنـت سـائلـه

تعـوّد بسـط الكـف حتى لـــو أنـــه ... أراد انقبـاضـاً لم تطعمـه أنـاملـه

وقال المتنبي:

ولـو لم يكـن في كفـه غير روحـــه ... لجاد بها فليتـــق الله ســـائلـــه

بيان علاج البخل:

(اعلم) وفقك الله تعالى **(أن البخل سببه حب المال. ولحب المال سببان)**:

(أحدهما: حب الشهوات التي لا وصول إليها إلا بالمال مع طول الأمل) فهما شرطان في تحقق الوصول، ومتى تأخر أحدهما عن الآخر لم يتم له الوصول، **(فإن الإنسان لو علم أنه يموت بعد يوم ربما لا يبخل بماله إذ القدر الذي يحتاج إليه في يوم أو في شهر أو في سنة قريب**

طول الأمل، فإنه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه فيمسك لأجلهم. ولذلك قال عليه السلام: «الولد مبخلة مجبنة مجهلة»، فإذا انضاف إلى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجيء الرزق قوي البخل لا محالة.

السبب الثاني: أن يحب عين المال؛ فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره إذا اقتصر على ما جرت به عادته بنفقته وتفضل آلاف وهو شيخ بلا ولد ومعه أموال كثيرة

وإن كان قصير الأمل، ولكن كان له أولاد قام الولد مقام طول الأمل، فإنه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه فيمسك المال لأجلهم) لينتفعوا به بعد موته، **(ولذلك قال ﷺ: «الولد مبخلة)** أي يحمل والده على ترك الإنفاق في الطاعة خوف الفقر **(مجبنة)** أي يحمله على الجبن عن الجهاد خشية ضيعته **(مجهلة»)** يحمله على الجهل في أمر الدين، وفي نسخة العراقي: «محزنة» بدل «مجهلة» وقال: رواه ابن ماجه من حديث يعلى بن مرة دون قوله محزنة، ورواه بهذه الزيادة أبو يعلى والبزار من حديث أبي سعيد، والحاكم من حديث الأسود بن خلف وإسناده صحيح انتهى.

قلت: حديث يعلى بن مرة لفظه: «الولد مبخلة مجبنة وإن آخر وطأة وطئها الله بوج» هكذا رواه أحمد وابن سعد في الطبقات، والطبراني في الكبير، وحديث أبي سعيد عند أبي يعلى والبزار لفظ: «مجبنة مبخلة محزنة» وفي بعض رواياتهم بزيادة: «ثمرة القلب» قبل هذه الألفاظ، وقد روى ابن ماجه من حديث يوسف بن عبدالله بن سلام قال: جاء الحسن والحسين يستبقان إلى النبي ﷺ فضمهما إليه وقال: الولد مبخلة مجبنة».

وأما حديث الأسود بن خلف، فرواه العسكري في الأمثال، والحاكم في الصحيح من طريق معمر عن أبي خيثم، عن محمد بن الأسود بن خلف بن عبد يغوث الزهري، عن أبيه أن النبي ﷺ أخذ حسناً يقبله ثم أقبل عليهم فقال: «إن الولد مجبنة مبخلة» وأحسبه قال: «مجهلة». وكذلك رواه البغوي وابن السكن والدارقطني في الأفراد، ولم يقولوا حسبه قال مجهلة، وللعسكري فقط من طريق أشعث بن قيس قال: مررت على النبي ﷺ فقال لي: «ما فعلت بنت عمك». قلت: نفست بغلام ووالله لوددت أن لي به سبعة. فقال: «أما لئن قلت أنهم مجبنة مبخلة وأنهم لقرة العين وثمرة الفؤاد». ومن حديث عمر بن عبد العزيز قال: زعمت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم أن رسول الله ﷺ خرج وهو يحتضن حسناً أو حسيناً وهو يقول: «إنكم لتجبنون وتجهلون وإنكم لمن ريحان الله». وأخرج الطبراني في الكبير حديث خولة بلفظ: «الولد محزنة مجبنة مجهلة مبخلة».

(فإذا انضاف إلى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجيء الرزق قوي البخل لا محالة).

(السبب الثاني: أن يحب عين المال: فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره إذا اقتصر على ما جرت به عادته بنفقته) ولو فوق الاقتصاد، **(ويفضل)** من إنفاقه **(آلاف وهو)** مع ذلك **(شيخ لا ولد له)** ولا يرجى منه أن يأتي بولد، **(ومعه أموال كثيرة ولا**

ولا تسمح نفسه بإخراج الزكاة ولا بمداواة نفسه عند المرض بل صار محباً للدنانير عاشقاً لها يلتذ بوجودها في يده وبقدرته عليها، فيكنزها تحت الأرض وهو يعلم أنه يموت فتضيع أو يأخذها أعداؤه، ومع هذا فلا تسمح نفسه بأن يأكل أو يتصدق منها بحبة واحدة، وهذا مرض للقلب عظيم عسير العلاج لا سيما في كبر السن، وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه. ومثال صاحبه: مثال رجل عشق شخصاً فأحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله، فإن الدنانير رسول يبلغ إلى الحاجات فصارت محبوبة لذلك، لأن الموصل إلى اللذيذ لذيذ، ثم قد ينسى الحاجات ويصير الذهب عنده كأنه محبوب في نفسه وهو غاية الضلال، بل من رأى بينه وبين الحجر فرقاً فهو من حيث قضاء حاجته به، فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة. فهذه أسباب حب المال. وإنما علاج كل علة بمضادة سببها، فتعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر، وتعالج طول الأمل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الأقران وطول تعبهم في

تسمح نفسه بإخراج الزكاة) منها **(ولا بمداواة نفسه عند المرض، بل صار محباً للدنانير عاشقاً لها يلتذ بوجودها في يده وبقدرته عليها فيكنزها تحت الأرض)** أو في الصناديق **(وهو يعلم أنه يموت)** لا محالة، **(فتضيع أو يأخذها أعداؤه)** أو الظلمة من الحكام أو يسرقها من كان مطلعاً عليها، **(ومع هذا فلا تسمح نفسه بأن يأكل أو يتصدق منها بحبة)** واحدة، **(وهذا مرض للقلب عظيم عسير العلاج)** لأنه قد جبل طبعه عليه وتعوّده، **(لاسيا في كبر السن وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه، ومثال صاحبه مثال رجل عشق شخصاً فأحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله فإن الدنانير)** والدراهم **(رسول مبلغ إلى الحاجات)** أنشدني بعض الإخوان:

أرسلت في حاجتي رسولي ... سميته درهماً فتمتِ
لو لم يكن درهمي رسولي ... ما نالت النفس ما تمنتِ

وقال بعضهم:

إذا كنت في حاجة مرسلاً ... فارسل رسولاً هو الدرهمِ

(فصارت الدنانير والدراهم (محبوبة لذلك، لأن الموصل إلى اللذيذ لذيذاً، ثم قد ينسى الحاجات ويصير الذهب عنده كأنه محبوبٍ في نفسه وهو غاية الضلال) ونهاية الخسران، **(بل من رأى بينه وبين الحجر)** المرمى في الطريق **(فرقاً فهو لجهله إلا من حيث قضاء حاجته به)** دون الحجر، **(والفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة)** لا فرق بينهما، **(فهذه أسباب حب المال، وإنما علاج كل علة بمضادة سببها فيعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر، ويعالج طول الأمل بكثرة ذكر الموت)** في قيامه وقعوده وعند منامه،

جمع المال وضياعه بعدهم، وتعالج التفات القلب إلى الولد بأن خالقه خلق معه رزقه، وكم من ولد لم يرث من أبيه مالاً وحاله أحسن ممن ورث؟ وبأن يعلم أنه يجمع المال لولده يريد أن يترك ولده بخير وينقلب هو إلى شر، وأن ولده إن كان تقياً صالحاً فالله كافيه، وإن كان فاسقاً فيستعين بماله على المعصية وترجع مظلمته إليه. ويعالج أيضاً قلبه بكثرة التأمل في الأخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء وما توعد الله به على البخل من العقاب العظيم. ومن الأدوية النافعة: كثرة التأمل في أحوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم واستقباحهم له، فإنه ما من بخيل إلا ويستقبح البخل من غيره، ويستثقل كل بخيل من أصحابه، فيعلم أنه مستثقل ومستقذر في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه. ويعالج أيضاً قلبه بأن يتفكر في مقاصد المال، وأنه لماذا خلق؟ ولا يحفظ من المال إلا بقدر حاجته إليه والباقي يدخره لنفسه في الآخرة بأن يحصل له ثواب بذله. فهذه الأدوية من جهة المعرفة والعلم، فإذا عرف بنور البصيرة أن البذل خير له من الإمساك في الدنيا والآخرة هاجت رغبته في البذل إن كان عاقلاً، فإن تحركت الشهوة فينبغي أن يجيب الخاطر الأول ولا يتوقف، فإن الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويصده عنه.

(**والنظر في موت الأقران**) من أشكاله، (**وطول تعبهم في جمع الأموال وضياعه بعدهم**) وأنه لم ينفعهم بل كان وبالاً عليهم، (**ويعالج التفات القلب إلى الولد بأن الذي خلقه خلق معه رزقه**) وأنه مضمون له، (**وكم من ولد لم يرث من أبيه مالاً** وحاله أحسن **ممن ورث، وبأن يعلم أن يجمع المال لولده يريد أن يترك ولده بخير وينقلب هو إلى شر**) من جهة الحساب والعقاب (**وأن ولده إن كان تقياً صالحاً فالله كافيه**) ومتكفل أموره، (**وإن كان فاسقاً فيستعين بماله على المعصية وترجع مظلمته إليه**)، وقد روى الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر: الويل كل الويل لمن ترك عياله بخير وقدم على ربه بشر. (**ويعالج أيضاً قلبه بكثرة التأمل في الأخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء**) مما تقدم ذكر بعضها، (**وما توعد الله به على البخل من العذاب العظيم**) في الآخرة. (**ومن الأدوية النافعة: كثرة التأمل في أحوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم واستقباحه لهم، فإنه ما من بخيل إلا ويستقبح البخل من غيره، ويستثقل كل بخيل من أصحابه، فيعلم أنه مستثقل**) في الطباع (**ومستقذر في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه، ويعالج أيضاً قلبه بأن يتفكر في مقاصد المال، وأنها لماذا خلقت فلا يحفظ من المال إلا بقدر حاجته إليه، والباقي يدخره لنفسه في الآخرة بأن يحصل ثواب بذله في مواضع الخير** . (**فهذه أدوية**) نافعة من جهة المعرفة والعلم، فإذا عرف بنور البصيرة أن البذل خير له من الإمساك في الدنيا والآخرة هاجت رغبته في البذل إن كان عاقلاً، فإذا تحركت للبذل (**فينبغي أن يجيب الخاطر الأول ولا يتوقف**)، ومن هنا قال بعضهم:

حكي أن أبا الحسن البوشنجي كان ذات يوم في الخلاء فدعا تلميذاً له وقال: أنزع عني القميص وادفعه إلى فلان، فقال: هلا صبرت حتى تخرج؟ قال: لم آمن على نفسي أن تتغير، وكان قد خطر لي بذله! ولا تزول صفة البخل إلا بالبذل تكلفاً كما لا يزول العشق إلا بمفارقة المعشوق بالسفر عن مستقره؛ حتى إذا سافر وفارق تكلفاً وصبر عنه مدة تسلى عنه قلبه، فكذلك الذي يريد علاج البخل ينبغي أن يفارق المال تكلفاً بأن يبذله، بل لو رماه في الماء كان أولى به من إمساكه إياه مع الحب له. ومن لطائف الحيل

الجود هو إجابة الخاطر الأول أي لأنه لو لم يجب لخيف على صاحبه تغيره فيما عزم عليه، **(لأن الشيطان يعده الفقر ويخوّفه ويصده عنه)**.

(يحكى أن أبا الحسن) علي بن أحمد بن سهل **(البوشنجي)** بضم الموحدة وفتح الشين المعجمة وسكون النون. وبوشنج إحدى قرى مرو، وأبو الحسن هذا أحد فتيان خراسان لقي أبا عثمان وابن عطاء والجريري وأبا عمرو الدمشقي، مات سنة ٢٤٨ ترجم له القشيري في الرسالة. **(كان ذات يوم في الخلاء)** يقضي حاجته فوقع في خاطره أن فقيراً يعرفه محتاج إلى قميص **(فدعا تلميذاً له وقال: انزع عني)** هذا **(القميص وادفعه إلى فلان)** وسماه **(فقال: هلا صبرت)** إلى فراغك من قضاء حاجتك **(حتى تخرج قال: خطر لي بذله ولم آمن على نفسي أن تتغير)** على ما وقع لي من التخلف منه بذلك القميص، فاستعجلت بالنزع والدفع ليتعذر رجوعها. نقله القشيري في الرسالة فقال: سمعت بعض أصحاب أبي الحسن البوشنجي يقول: كان أبو الحسن البوشنجي في الخلاء فذكره، وذكر صاحب صفوة التاريخ أن المهدي حبس موسى بن جعفر الكاظم ببغداد، فبينما هو يصلي ليلة من الليالي إذ مر في قراءته بهذه الآية ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾ [محمد ﷺ: ٢٢] فرددها وبكى، وكان أحسن الناس صوتاً، ثم دعا بالربيع فقال: ائتني بموسى. قال الربيع: فشككت بين موسى الهادي وبين موسى بن جعفر، وعلمت أنه إنما أراد موسى بن جعفر لأني سمعته يقرأ ﴿وتقطعوا أرحامكم﴾ فأتيته على حاله يقرأ ويبكي فقال له: يا أبا الحسن قرأت هذه الآية فخطرت ببالي وخفت أن أكون قد قطعت رحمك، فتؤمنني أن تخرج على أحد من ولدي قال: ومن أنا حتى تتخوفني والله لافعلت ذلك ولا هو من شأني. قال: يا ربيع رح إليه الساعة ثلاثة آلاف دينار واشخصه من فوره إلى أهله لا يفسد الشيطان على قلبي. قال الربيع: فما طلع الفجر حتى دفعت إليه المال وأنهضته إلى المدينة. **(ولا تزول صفة البخل إلا بالبذل تكلفاً كما لا يزول العشق إلا بمفارقة المعشوق بالسفر عن مستقره حتى إذا سافر وفارق تكلفاً وصبر عليه مدة تسلى عنه قلبه)** وبرد عشقه، **(فكذلك الذي يريد علاج البخل ينبغي أن يفارق المال تكلفاً بأن يبذله)** في وجوه الخير، **(بل لو رماه في الماء كان أولى به من إمساكه إياه مع الحب له)** لأنه يقطع علاقته عن قلبه. **(ومن لطائف الحيل فيه أن يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء فيبذل)** أولاً **(على**

فيه أن يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء ، فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعاً في حشمة الجود ، فيكون قد أزال عن نفسه خبث البخل واكتسب بها خبث الرياء ، ولكن يتعطف بعد ذلك على الرياء ويزيله بعلاجه ، ويكون طلب الاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال ، كما قد يسلى الصبي عند الفطام عن الثدي باللعب بالعصافير وغيرها لا ليخلى واللعب ، ولكن لينفك عن الثدي إليه ، ثم ينقل عنه إلى غيره ، فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي أن يسلط بعضها على بعض كما تسلط الشهوة على الغضب وتكسر سورته بها ، ويسلط الغضب على الشهوة وتكسر رعونتها به ، إلا أن هذا مفيد في حق من كان البخل أغلب عليه من حب الجاه والرياء ، فيبذل الأقوى بالأضعف ، فإن كان الجاه محبوباً عنده كالمال فلا فائدة فيه فإنه يقلع من علة ويزيد في أخرى مثلها ، إلا أن علامة ذلك أن لا يثقل عليه البذل لأجل الرياء ، فبذلك يتبين أن الرياء أغلب عليه ، فإن كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغي أن يبذل فإن ذلك يدل على أن مرض البخل أغلب على قلبه .

ومثال دفع هذه الصفات بعضها ببعض ما يقال إن الميت تستحيل جميع أجزائه دوداً ثم يأكل بعض الديدان البعض ، حتى يقل عددها ثم يأكل بعضها بعضاً حتى ترجع إلى

قصد الرياء) والسمعة لأجل أن يقال أنه سخي ، **(حتى تسمح نفسه بالبذل طمعاً في حشمة الجود ، فيكون قد أزال عن نفسه خبث البخل واكتسب لها خبث الرياء ، ولكن ينعطف بعد ذلك على الرياء ويزيله بعلاجه ، ويكون طلب الإسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال كما يسلى الصبي عند الفطام عن الثدي باللعب بالعصافير وغيرها لا ليخلى واللعب)** فإنه ما خلق لذلك ، **(ولكن لينتقل عن الثدي إليه ، ثم ينتقل عنه إلى غيره ، وكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي أن يسلط بعضها على بعض كما تسلط الشهوة على الغضب وتكسر سورته بها ، ويسلط الغضب على الشهوة وتكسر رعونتها)** وأنفتها **(به إلا أن هذا مفيد في حق من كان البخل أغلب عليه من حب الجاه والريا ، فيبدل الأقوى بالأضعف ، فإن كان الجاه محبوباً عنده كالمال فلا فائدة فيه فإنه يقطع علة ويزيد في أخرى)** هي **(مثلها إلا أن علامة ذلك أن لا يثقل عليه البذل لأجل الرياء ، فبذلك يتبين أن الرياء أغلب عليه ، فإن كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغي أن يبذل فإن ذلك يدل على أن مرض البخل أغلب على قلبه)** .

(ومثال دفع هذه الصفات بعضها ببعض ما يقال: إن الميت يستحيل جميع أجزائه دوداً) في قبره **(ثم يأكل الديدان بعضاً ، حتى يقل عددها وتكبر ثم يأكل بعضها بعضاً حتى**

اثنتين قويتين عظيمتين، ثم لا تزالان تتقاتلان إلى أن تغلب إحداهما الأخرى فتأكلها وتسمن بها، ثم لا تزال تبقى جائعة وحدها إلى أن تموت، فكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن أن يسلط بعضها على بعض حتى يقمعها، ويجعل الأضعف قوتاً للأقوى إلى أن لا يبقى إلا واحدة، ثم تقع العناية بمحوها وإذابتها بالمجاهدة وهو منع القوت عنها. ومنع القوت عن الصفات أن لا يعمل بمقتضاها، فإنها تقتضي لا محالة أعمالاً، وإذا خولفت خمدت الصفات وماتت. مثل البخل فإنه يقتضي إمساك المال فإذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد مرة بعد أخرى ماتت صفة البخل وصار البذل طبعاً وسقط التعب فيه، فإن علاج البخل بعلم وعمل، فالعلم يرجع إلى معرفة آفة البخل وفائدة الجود، والعمل يرجع إلى الجود والبذل على سبيل التكلف، ولكن قد يقوى البخل بحيث يعمى ويصم فيمنع تحقق المعرفة فيه، وإذا لم تتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فتبقى العلة مزمنة، كالمرض الذي يمنع معرفة الدواء وإمكان إستعماله فإنه لا حيلة فيه إلا الصبر إلى الموت.

وكان من عادة بعض شيوخ الصوفية في معالجة علة البخل في المريدين أن يمنعهم من

ترجع إلى إثنتين **قويتين عظيمتين ثم لا يزالان يتقاتلان**) وفي نسخة يقتتلان (**إلى أن تغلب إحداهما الأخرى فتأكلها وتسمن بها، ثم لا تزال تبقى وحدها جائعة إلى أن تموت**) إذا لم تجد ما تأكله كالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله، (**فكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن أن يسلط بعضها على بعض حتى يقمعها بذلك، فيجعل الأضعف قوتاً للأقوى إلى أن لا تبقى إلا واحدة ثم تقع العناية بمحوها**) وإزالتها (**وأذابتها بالمجاهدة**) والرياضة، (**وهو منع القوت عنها، ومنع القوت عن الصفات أن لا يعمل بمقتضاها فإنها تقتضي لا محالة أعمالاً فإذا خولفت خمدت الصفات وماتت**) وما لم يمنع قوتها لم ينفع التسليط (**مثل البخل فإنه يقتضي إمساك المال، فإذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد مرة بعد أخرى ماتت صفة البخل وصار البذل طبعاً وسقط التعب فيه، فإذاً علاج البخل بعلم وعمل العلم يرجع إلى معرفة آفة البخل، وفائدة الجود والعمل يرجع إلى الجود والبذل على سبيل التكلف، ولكن قد يقوى البخل**) في الإنسان (**بحيث يعمي**) الأبصار (**ويصم**) الأسماع (**فيمنع تحقق المعرفة بآفته، وإذا لم تتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فتبقى العلة مزمنة**) أي ملازمة لا تفارق، (**كالمرض الذي يمنع معرفة الدواء وإمكان استعماله فإنه لا حيلة فيه إلا الصبر إلى الموت و**) لقد (**كان من عادة بعض الشيوخ**) من السادة (**الصوفية**) نفع الله بهم (**في معالجة علة البخل في المريدين أن يمنعهم من الاختصاص**)

الاختصاص بزواياهم. وكان إذا توهم في مريد فرحه بزاويته وما فيها، نقله إلى زاوية غيرها، ونقل زاوية غيره إليه وأخرجه عن جميع ما ملكه، وإذا رآه يلتفت إلى ثوب جديد يلبسه أو سجادة يفرح بها يأمره بتسليمها إلى غيره ويلبسه ثوباً خلقاً لا يميل إليه قلبه.

فبهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيا فمن لم يسلك هذا السبيل أنس بالدنيا وأحبها، فإن كان له ألف متاع كان له ألف محبوب، ولذلك إذا سرق كل واحد منه ألمت به مصيبة بقدر حبه له، فإذا مات نزل به ألف مصيبة دفعة واحدة لأنه كان يحب الكل وقد سلب عنه، بل هو في حياته على خطر المصيبة بالفقد والهلاك.

حمل إلى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر لم ير له نظير، ففرح الملك بذلك فرحاً شديداً فقال لبعض الحكماء عنده: كيف ترى هذا؟ قال: أراه مصيبة أو فقراً، قال: كيف؟ قال: إن كسر كان مصيبة لا جبر لها وإن سرق صرت فقيراً إليه ولم تجد مثله، وقد كنت قبل أن يحمل إليك في أمن من المصيبة والفقر، ثم اتفق يوماً أن كسر أو سرق وعظمت مصيبة الملك عليه فقال: صدق الحكيم ليته لم يحمل إلينا! وهذا

والانفراد (**بزواياهم**) المختصة بهم، (**فكان إذا توهم في مريد فرحة بزاويته**) ورآه قد أعجب بها (**وما فيها نقله إلى زاوية غيره ونقل زاوية غيره إليه وأخرجه عن جميع ما ملكه**) كسر الالتفات قلبه، (**وإذا رآه يلتفت إلى ثوب جديد يلبسه أو سجادة يفرح بها يأمره بتسليمه إلى غيره ويلبسه ثوباً خلقاً**) قد لبسه غيره ثم خلقه (**لا يميل إليه قلبه، فبهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيا**) ويتسلى عنه فلا يمر البخل بباله، (**فمن لم يسلك هذا السبيل أنس بالدنيا وأحبها**) وشتت همه وباله، (**فإن كان له ألف متاع كان له ألف محبوب، ولذلك إذا سرق كل واحد من ذلك ألمت به مصيبة بقدر حبه له، فإذا مات نزل به ألف مصيبة دفعة واحدة لأنه كان يحب الكل وقد سلب عنه، بل هو في حياته على خطر المصيبة بالفقر والهلاك**) أي مشرف عليها بأحدهما.

يحكى أنه (**حمل إلى بعض الملوك قدح من فيروز ج**) حجر معروف سمائي اللون فارسي معرب (**مرصع بالجواهر لم ير له نظير، ففرح الملك به فرحاً شديداً فقال لبعض الحكماء**) الذي كان (**عنده: كيف ترى هذا؟ فقال: أراه مصيبة أو فقراً. قال: كيف؟ قال: إن انكسر كانت مصيبة لا جبر لها، وإن سرق صرت فقيراً إليه**) أي محتاجاً (**ولم تجد مثله، وقد كنت قبل أن حمل إليك في أمن من المصيبة والفقر، ثم اتفق**) بعد مدة (**أن انكسر**) القدح المذكور (**يوماً وعظمت مصيبة الملك عليه**) لألفة قلبه إليه (**فقال: صدق الحكيم ليته لم يحمل إلينا!**

شأن جميع أسباب الدنيا فإن الدنيا عدوة لأعداء الله إذ تسوقهم إلى النار، وعدوة أولياء الله إذ تغمهم بالصبر عنها، وعدوة الله إذ تقطع طريقه على عباده، وعدوة نفسها، فإنها تأكل نفسها فإن المال لا يحفظ إلا بالخزائن والحراس. والخزائن والحراس لا يمكن تحصيلها إلا بالمال وهو بذل الدراهم والدنانير، فالمال يأكل نفسه ويضاد ذاته حتى يفنى، ومن عرف آفة المال لم يأنس به ولم يفرح به ولم يأخذ منه إلا بقدر حاجته، ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل لأن ما أمسكه لحاجته فليس ببخل، وما لا يحتاج إليه، فلا يتعب نفسه بحفظه فيبذله، بل هو كالماء على شط الدجلة إذ لا يبخل به أحد لقناعة الناس منه بمقدار الحاجة.

بيان مجموع الوظائف التي على العبد في ماله:

اعلم أن المال كما وصفناه خير من وجه وشر من وجه. ومثاله مثال حية يأخذها الراقي ويستخرج منها الترياق ويأخذها الغافل فيقتله سمها من حيث لا يدري ولا يخلو أحد عن سم المال إلا بالمحافظة على خمس وظائف:

الأولى: أن يعرف مقصود المال وأنه لماذا خلق وأنه لم يحتاج إليه حتى يكتسب ولا

وهذا شأن جميع أسباب الدنيا) فإنها عند فقدها تورث حسرة في القلب، **(فإن الدنيا عدوّة لأعداء الله إذ تسوقهم إلى النار)** فتظهر لهم إذ ذاك عداوتها، **(وعدوة لأولياء الله إذ تغمهم بالصبر عنها)** والحبس عن لذاتها، **(وعدوة لله إذ تقطع على عباده)** السالكين إليه، **(وعدوة نفسها فإنها تأكل نفسها فإن المال لا يحفظ إلا بالخزائن والحرس)** لها. **(والخزائن والحرس لا يمكن تحصيلها إلا بالمال وهو بذل الدراهم والدنانير، فالمال يأكل نفسه)** بالنظر إلى الوجه المذكور، **(ويضاد ذاته حتى يفنى، ومن عرف آفة المال لم يأنس به)** أصلاً **(ولم يأخذ منه إلا قدر حاجته)** الضرورية. **(ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل لأن ما أمسكه لحاجته فليس ببخل، وما لا يحتاج إليه فلا يتعب نفسه بحفظه فيبذله، بل هو كالماء على شاطىء دجلة إذ لا يبخل به أحد لقناعة الناس منه بقدر الحاجة)**.

بيان مجموع الوظائف التي على العبد في ماله:

(اعلم) وفقك الله تعالى **(أن المال كما وصفناه خير من وجه وشر من وجه)** وهو من الخيرات المتوسطة. **(ومثاله مثال حية يأخذها الراقي)** الذي يعلم رقيتها **(ويستخرج الترياق، ويأخذها الغافل)** الذي لا عهد له برقيتها فتعضه **(فيقْتله سمها من حيث لا يدري)** ولا يشعر **(ولا يخلو أحد عن سم المال إلا بالمحافظة على خمس وظائف)**.

(الأولى: أن يعرف مقصود المال وأنه لماذا خلق) وما الحكمة فيه، **(وإنه لم يحتج إليه**

يحفظ إلا قدر الحاجة، ولا يعطيه من همته فوق ما يستحقه.

الثانية: أن يراعي جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض، وما الغالب عليه الحرام كمال السلطان، ويجتنب الجهات المكروهة القادحة في المروءة كالهدايا التي فيها شوائب الرشوة، وكالسؤال الذي فيه الذلة وهتك المروءة وما يجري مجراه.

الثالثة: في المقدار الذي يكتسبه فلا يستكثر منه ولا يستقل، بل القدر الواجب ومعياره الحاجة، والحاجة ملبس ومسكن ومطعم. ولكل واحد ثلاث درجات: أدنى، وأوسط، وأعلى. وما دام مائلاً إلى جانب القلة ومتقرباً من حد الضرورة كان مخفاً ويجيء من جملة المخفين، وإن جاوز ذلك وقع في هاوية لا آخر لعمقها، وقد ذكرنا تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد.

الرابعة: أن يراعي جهة المخرج ويقتصد في الإنفاق غير مبذر ولا مقتر كما ذكرناه، فيضع ما اكتسبه من حله في حقه ولا يضعه في غير حقه، فإن الإثم في الأخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء.

حتى يكتسب) وفي نسخة: لا يكتسب **(ولا يحفظ إلا مقدار الحاجة ولا يعطيه من همته فوق ما يستحقه).**

(الثانية: أن يراعي جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض، وما الغالب عليه الحرام كمال السلاطين) ومن في حكمهم من نوابهم، **(ويجتنب الجهات المكروهة الفادحة في المروءة كالهدايا التي فيها شوائب الرشوة كالسؤال الذي فيه الذل وهتك المروءة وما يجري مجراه).**

(الثالثة: في المقدار الذي يكتسبه فلا يستكثر منه ولا يستقبل بل القدر الواجب ومعياره الحاجة والحاجة ملبس ومسكن ومطعم) فهذه الثلاثة مما يحتاج إليه الإنسان ضرورة، **(ولكل واحد)** من هذه الثلاثة **(ثلاث درجات: أدنى وأوسط وأعلى، وما دام مائلاً إلى جانب القلة ومقرباً من حد الضرورة كان مخفاً ويجيء مع جملة المخفين)** الفائزين، **(وإن جاوز ذلك وقع في)** قعر **(هاوية لا آخر لعمقها)** ولا منتهى لدركها. **(وقد ذكرنا تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد)** على ما سيأتي.

(الرابعة: أن يراعي جهة المخرج ويقتصد في الإنفاق غير مبذر ولا مقتر كما ذكرناه، فيضع ما اكتسبه من حله في حقه ولا يضعه في غير حقه، فإن الإثم في الأخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء).

الخامسة: أن يصلح نيته في الأخذ والترك والإنفاق والإمساك، فيأخذ ما يأخذ ليستعين به على العبادة، ويترك ما يترك زهداً فيه واستحقاراً له إذا فعل ذلك لم يضره وجود المال، ولذلك قال علي رضي الله عنه: لو أن رجلاً أخذ جميع ما في الأرض وأراد به وجه الله تعالى فهو زاهد، ولو أنه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله تعالى فليس بزاهد، فلتكن جميع حركاتك وسكناتك لله مقصورة على عبادة أو مايعين على العبادة، فإن أبعد الحركات عن العبادة الأكل وقضاء الحاجة وهما معينان على العبادة، فإذا كان ذلك قصدك بهما صار ذلك عبادة في حقك. وكذلك ينبغي أن تكون نيتك في كل ما يحفظك من قميص أو إزار وفراش وآنية، لأن كل ذلك مما يحتاج إليه في الدين وما فضل من الحاجة ينبغي أن يقصد به أن ينتفع به عبد من عباد الله ولا يمنعه منه عند حاجته فمن فعل ذلك فهو الذي أخذ من حية المال جوهرها وترياقها واتقى سمها فلا تضره كثرة المال، لكن لا يتأتى ذلك إلا لمن رسخ في الدين قدمه وعظم فيه علمه. والعامي إذا تشبه بالعالم في الاستكثار من المال وزعم أنه يشبه أغنياء الصحابة شابه الصبي الذي يرى المعزم الحاذق يأخذ الحية ويتصرف فيها فيخرج ترياقها فيقتدي به، ويظن أنه أخذها

(الخامسة: أن يصلح نيته في الأخذ والترك والإنفاق والإمساك، فيأخذ ما يأخذ ليستعين به على العبادة، ويترك ما يترك زهداً فيه واستحقاراً له، وإذا فعل ذلك لم يضره وجود المال، ولذلك قال علي كرم الله وجهه: لو أن رجلاً أخذ جميع ما في الأرض وأراد به وجه الله فهو زاهد، ولو أنه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله فليس بزاهد) فالفارق النية **(فلتكن جميع حركاتك وسكناتك لله مقصورة على عبادة أو على ما يعين على العباد، فإن أبعد الحركات عن العبادة الأكل وقضاء الحاجة وهما معينان على العبادة)** فالأكل يقيم الصلب وقضاء الحاجة يفرغ الباطن من الشواغل، **(فإذا كان ذلك قصدك بهما صار ذلك عبادة في حقك، وكذلك ينبغي أن تكون نيتك في كل ما تحفظه من قميص أو إزار أو فراش أو آنية، لأن كل ذلك مما قد يحتاج إليه في الدين، وما فضل عن الحاجة ينبغي أن يقصد به أن ينتفع به عبد من عباد الله، فلا يمنع منه عند حاجته، فمن فعل ذلك فهو الذي أخذ من حية المال جوهرها وترياقها واتقى سمها فلا تضره كثرة المال، ولكن لا يتأتى ذلك إلا ممن رسخ في الدين قدمه وعظم فيه علمه)** فهو يتناول المال على الوجه الذي ينتفع هو به وينتفع غيره فهو مباح له تناوله، **(و)** غيره وهو **(العامي إذا تشبه بالعالم)** الحكيم **(في الاستكثار من المال، وزعم أنه يشبه أغنياء الصحابة)** كعبد الرحمن بن عوف وغيره رضي الله عنهم **(شابه الصبي)** وفي بعض النسخ الغبي **(الذي يرى المعزم الحاذق يأخذ الحية ويتصرف فيها)** وقد عرف نفعها وضرها وأمن سمها وشرها، **(فيخرج ترياقها فيقتدي به ويظن أنه أخذها**

مستحسناً صورتها وشكلها ومستليناً جلدها، فيأخذها اقتداء به فتقتله في الحال، إلا أن قتيل الحية يدري أنه قتيل، وقتيل المال قد لا يعرف. وقد شبهت الدنيا بالحية فقيل:

هي دنيا كحية تنفث السـ ـم وإن كانت المجسة لانت

وكما يستحيل أن يتشبه الأعمى بالبصير في تخطي قلل الجبال وأطراف البحار والطرق المشوكة فمحال أن يتشبه العامي بالعالم الكامل في تناول المال.

بيان ذم الغنى ومدح الفقر:

اعلم أن الناس قد اختلفوا في تفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر ـ وقد أوردنا ذلك في كتاب الفقر والزهد وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ـ ولكنا في هذا الكتاب ندل على أن الفقر أفضل وأعلى من الغنى على الجملة من غير التفات إلى تفصيل الأحوال، ونقتصر فيه على حكاية فصل ذكره الحرث المحاسبي رضي الله عنه في بعض كتبه في الرد

مستحسناً صورتها وشكلها ومستلينا جلدها) ومسها، (**فيأخذها اقتداء به**) ويظنها مستصلحة لأن يتقلد بها فيجعلها سخاباً في عنقه، (**فتقتله في الحال إلا أن قتيل الحية يدري أنه قتيل، وقتيل المال قد لا يعرف**) أنه قتيل، (**وقد شبهت الدنيا بالحية**) نظراً إلى هذا المعنى (**وقيل**) في وصفها:

(هي دنيا كحية تنفث السـ ـم وإن كانت المجسة لانت)

وقد تقدم هذا المعنى في ذكر تشبيهات الدنيا، فكما لا يجوز للجاهل بالرقية غير العارف بنفع الحية أن يقتدي بالراقي في تناول الحية والتصرف فيها، كذلك لا يجوز للجاهل أن يقتدي بالحكيم في تناول أعراض الدنيا، (**وكما يستحيل أن يتشبه الأعمى بالبصير في تخطي قلل الجبال وأطراف البحار والطرق**) الوعرة (**المشوكة**) من غير قائد وهو غير آمن أن يقع في هوّة، (**فمحال أن يتشبه العامي بالعالم الكامل في تناول المال**) مستبداً برأيه طريقاً يسلكه العالم الكامل إذ هو غير آمن أن يقع في هاوية هو لا يشعر.

بيان ذم الغنى ومدح الفقر:

(**اعلم**) هداك الله تعالى (**أن الناس قد اختلفوا في فضل الغني الشاكر على الفقير الصابر وقد أوردنا ذلك في كتاب الزهد والفقر**) على ما سيأتي (**وكشفنا عن تحقيق الحق فيه لكنا في هذا الكتاب ندل على أن الفقر أفضل وأعلى من الغنى على الجملة من غير التفات إلى تفصيل الأحوال**) واختلاف الأقوال (**ولنقتصر فيه على حكاية فصل ذكره**) أبو عبدالله (**الحرث**) بن أسد (**المحاسبي رحمه الله تعالى في بعض كتبه**) وهو كتاب الزهد

على بعض العلماء من الأغنياء، حيث احتج بأغنياء الصحابة وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسه بهم، والمحاسبي رحمه الله حبر الأمة في علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الأعمال وأغوار العبادات، وكلامه جدير بأن يحكى على وجهه. وقد قال بعد كلام له في الرد على علماء السوء: بلغنا أن عيسى ابن مريم عليه السلام قال: يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدّقون ولا تفعلون ما تؤمرون، وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون، تتوبون بالقول والأماني وتعملون بالهوى، ولا يغني عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة، بحق أقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة؛ كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى الغل في صدوركم، يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته؟ بحق أقول لكم إن قلوبكم تبكي من أعمالكم، جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم، بحق أقول لكم أفسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة، فأي الناس أخسر منكم لو تعلمون؟ ويلكم حتام

(في الرد على بعض العلماء من الأغنياء حيث احتج بأغنياء الصحابة وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسه بهم)، وشتان ما بين الثريا والثرى،، **(والمحاسبي رحمه الله تعالى)** ممن جمع الله له بين الظاهر والباطن، وروى عن يزيد بن هارون والطبقة، وعنه أبو العباس أحمد بن مسروق الطوسي، وتوفي سنة ٢٤٣، وهو **(حبر الأمة في علم المعاملة وله السبق)** أي التقدم **(على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الأعمال واغوار العبادات، فكلامه جدير)** أي حقيق **(بأن يحكي على وجهه)** ونصه **(وقد قال بعد كلام له في الرد على علماء السوء)** من علماء الدنيا: **(بلغنا أن عيسى عليه السلام قال: يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون، وتدرسون ما لا تعلمون فياسوء ما تحكمون، تتوبون بالقول والأماني وتعملون بالهوى، وما يغني عنكم أن تنقوا)** أي تنظفوا **(جلودكم وقلوبكم دنسة)** أي وسخة بالمعاصي، **(بحق أقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة، وكذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى الغل في صدوركم، يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته؟ بحق أقول لكم: إن قلوبكم تبكي من أعمالكم)** أي من صلاحها في الظاهر وفساد الباطن، **(جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم)** فتذكروها كثيراً لمحبتكم إياها من أحب شيئاً أكثر من ذكره، **(والعمل تحت أقدامكم)** وهو كناية عن الترك والاستخفاف: **(بحق أقول لكم: أفسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة، فأي الناس أخسر منكم لو تعلمون؟ ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين)** أي السالكين إلى الله تعالى في ظلم الليل

تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محل المتحيرين! كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم، مهلا مهلاً! ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم؟ كذلك لا يغني عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة معطلة! يا عبيد الدنيا لا كعبيد أتقياء ولا كأحرار كرام، توشك الدنيا أن تقلعكم عن أصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم، ثم يأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم تدفعكم من خلفكم حتى تسلمكم إلى الملك الديان عراة فرادى، فيوقفكم على سوءاتكم ثم يجزيكم بسوء أعمالكم. ثم قال الحارث رحمه الله: إخواني فهؤلاء

(**وتقيمون**) أنتم (**في محل المتحيرين**) أي الواقفين كالمتحيرين: (**كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم**) فتظفروا بها دونهم، (**مهلاً مهلاً! ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم، كذلك لا يغني عنكم أن يكون العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة معطلة. يا عبيد الدنيا لا كعبيد أتقياء ولا كأحرار كرام، توشك الدنيا أن تقلعكم عن أصولكم فتلقيكم عى وجوهكم، ثم تكبكم على مناخركم، ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم، ثم تدفعكم من خلفكم حتى تسلمكم إلى الملك الديان عراة فُرادى**) أي منفردين، (**فيوقفكم على سوآتكم**) أي فضيحتكم، (**ثم يجزيكم بسوء أعمالكم**).

وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق عبدالله بن المبارك: أخبرنا بكار بن عبد الرحمن قال: سمعت وهب بن منبه يقول: قال الله عز وجل فيما يعتب به أحبار بني إسرائيل: تتفقهون لغير الدين، وتتعلمون لغير العمل، وتبتاعون لعمل الآخرة. تلبسون جلود الضأن وتخفون أتعس الذئاب، وتنقون الفذاء من شرابكم، وتبتلعون أمثال الجبال من الحرام، وتثقلون الدين على الناس أمثال الجبال ثم لا تعينونهم برفع الخناصر. تطيلون الصلاة، وتبيضون الثياب تفتنون بذلك مال اليتيم والأرملة فبعزتي حلفت لأخبرنكم بفتنة يضل فيها رأي ذوي الرأي وحكمة الحكيم.

وأخرج من طريق يزيد بن قوذر قال كعب: قال موسى عليه السلام: تلبسون ثياب الرهبان، وقلوبكم قلوب الخنازير والذئاب الضواري.

وأخرج ابن عساكر، عن وهب بن منبه قال: قال عيسى عليه السلام: يا علماء السوء جلستم على أبواب الجنة فلا أنتم تدخلونها ولا تدعوا المساكين يدخلونها. إن شرار الناس عندالله عالم يطلب الدنيا بعلمه.

وفي القوت قال عيسى عليه السلام: ويلكم علماء السوء مثلكم مثل قناة حش ظاهرها جص وباطنها نتن، ويلكم علماء السوء إنما أنتم مثل قبور مشيدة ظاهرها مشيدو باطنها عظام الموتى، يا علماء الدنيا إنما أنتم مثل شجرة الدفلى نورها حسن وطعمها مر - أو قال سم يقتل - يا علماء الدنيا

علماء السوء شياطين الإنس وفتنة على الناس، رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة، وأذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين، وفي الآخرة هم الخاسرون أو يعفو الكريم بفضله.

وبعد؛ فإني رأيت الهالك المؤثر للدنيا سروره ممزوج بالتنغيص، فيتفجر عنه انواع الهموم وفنون المعاصي وإلى البوار والتلف مصيره، فرح الهالك برجاء فلم تبق له دنياه ولم يسلم له دينه: ﴿خَسِرَ الدُّنيَا والآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١] فيا لها من مصيبة ما أفظعها ورزية ما أجلها، ألا فراقبوا الله إخواني ولا يغرنكم الشيطان وأولياؤه من الآنسين بالحجج الداحضة عند الله، فإنهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لأنفسهم المعاذير والحجج، ويزعمون أن أصحاب رسول الله ﷺ كانت لهم أموال فتزين المغرورون بذكر الصحابة ليعذرهم الناس على جمع المال، ولقد دهاهم الشيطان وما يشعرون. ويحك أيها المفتون إن احتجاجك بمال عبد الرحمن بن عوف مكيدة من

مثلكم مثل صخرة في فم النهر لا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص إلى الزرع فينتفع به، كذلك أنتم قعدتم على طريق الآخرة لا تسلكون ولا تتركون السالكين.

(ثم قال الحرث) المحاسبي (رحمه الله) تعالى: (**إخواني فهؤلاء علماء السوء شياطين الأنفس وفتنة على الناس**) وهم أضر على الناس من شياطين الجن، (**رغبوا في عرض الدنيا رفعتها**) الظاهرة (**وآثروها على الآخرة**) ورفعتها الباطنة، (**وأذلوا الدين للدنيا**) أي لتحصيلها (**فهم في العاجل عارٌ** وشين، **وفي الآخرة هم الخاسرون أو يعفو الله الكريم بفضله**) وذكر المصنف هذه العبارة أيضاً في كتاب الفقر والزهد.

(**وبعد؛ فإني رأيت الهالك المؤثر للدنيا**) على الآخرة (**سروره ممزوج بالتنغيص**) أي التكدير، (**فتتفجر عنه أنواع الهموم**) وتنبعث عنه أصناف الغموم (**وفنون المعاصي وإلى التلف والبوار**) أي الهلاك (**مصيره**) أي مرجعه، (**فرح الهالك برجاء فلم تبق له دنياه ولم يسلم له دينه ﴿خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾ فيالها من مصيبة ما أفظعها**) أي اشدها قبحاً (**ورزيه ما أجلها**) أي أعظمها. (**ألا فراقبوا الله إخواني ولا يغرنكم الشيطان وأولياؤه من الآنسين**) أي المتمسكين (**بالحج الداحضة عند الله، فإنهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لأنفسهم المعاذير والحجج، ويزعمون أن أصحاب رسول الله ﷺ كانت لهم أموال**) واسعة وأملاك (**فيتزين المغرور بذكر الصحابة ليعذرهم الناس على جمع المال، ولقد دهاهم الشيطان وما يشعرون. ويحك أيها المفتون إن احتجاجك بمال عبد الرحمن بن عوف**) رضي الله عنه وأضرابه من الصحابة ممن كان له مال. قال الزهري: تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف، ثم تصدق بأربعين

الشيطان ينطق بها على لسانك فتهلك! لأنك متى زعمت أن أخيار الصحابة أرادوا المال للتكاثر والشرف والزينة فقد اغتبت السادة ونسبتهم إلى أمر عظيم، ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه فقد ازدريت محمداً والمرسلين؟ ونسبتهم إلى قلة الرغبة والزهد في هذا الخير الذي رغبت فيه أنت وأصحابك من جمع المال، ونسبتهم إلى الجهل إذ لم يجمعوا المال كما جمعت، ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى من تركه، فقد زعمت أن رسول الله ﷺ لم ينصح للأمة إذ نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمع المال خير للأمة؟ فقد غشهم بزعمك حين نهاهم عن جمع المال، كذبت ورب السماء على رسول الله ﷺ! فلقد كان للأمة ناصحاً وعليهم مشفقاً وبهم رؤوفاً ومتى زعمت أن جمع المال أفضل فقد زعمت أن الله عز وجل لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم أن

ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة راحلة في سبيل الله وكان عامة ماله من التجارة. (**مكيدة للشيطان ينطق على لسانك لتهلك لأنك متى زعمت أن أخيار الصحابة أرادوا المال للتكاثر**) والتفاخر (**والشرف والزينة**) وأمثال ذلك، (**فقد اغتبت السادة الأخيار**) أي ذكرتهم بسوء، (**ونسبتهم إلى أمر عظيم، ومتى زعمت أن جمع** المال الحلال **أعلى**) مقاماً (**وأفضل من تركه فقد ازدريت بمحمد ﷺ والمرسلين**) والصديقين، (**ونسبتهم إلى قلة الرغبة والزهد في هذا الخير الذي رغبت فيه أنت وأصحابك من جمع المال ونسبتهم إلى الجهل**) ونسبت نفسك إلى العلم، (**إذا لم يجمعوا المال كما جمعت**) فكأنه لجهلهم في طريق الجمع، (**ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى من تركه، فقد زعمت أن رسول الله ﷺ لم ينصح الأمة إذ نهاهم عن جمع المال**) قال العراقي: روى ابن عدي من حديث ابن مسعود «ما أوحي الله إليَّ أن أجمع المال وأكون من التاجرين» الحديث، ولأبي نعيم، والخطيب في التاريخ، والبيهقي في الزهد من الحديث الحارث بن سويد في أثناء حديث: «لا تجمعوا ما لا تأكلون» وكلاهما ضعيف اهـ.

قلت وروى الحاكم في تاريخه من حديث أبي ذر: «ما أوحى الله إليَّ أن أكون تاجراً ولا أن أجمع المال مكاثراً ولكن أوحي إليَّ ﴿إن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين * واعبد ربك حتى يأتيك اليقين»﴾ [الحجر: ٩٨، ٩٩] ورواه أبو نعيم في الحلية، عن أبي مسلم الخولاني مرسلاً بلفظ: «ما أوحي الله إليَّ أن أجمع المال وأكون من التاجرين» والباقي سواء.

(**وقد علم أن جمع المال خير للأمة فقد غشهم بزعمك حين نهاهم عن جمع المال كذبت**) في زعمك، (**ورب السماء على رسول الله ﷺ لقد كان للأمة ناصحاً**) لم يدخر عنهم من النصح شيئاً (**و**) كان (**عليهم مشفقاً وبهم باراً رحيماً رؤفاً، ومتى زعمت أن جمع المال أفضل، فقد زعمت أن الله عز وجل لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال**) ونبههم على

جمع المال خير لهم؟ أو زعمت أن الله تعالى لم يعلم أن الفضل في الجمع فلذلك نهاهم عنه، وأنت عليم بما في المال من الخير والفضل فلذلك رغبت في الاستكثار كأنك أعلم بموضع الخير والفضل من ربك تعالى الله عن جهلك أيها المفتون؟ تدبر بعقلك ما دهاك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة! ويحك ما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف وقد ود عبد الرحمن بن عوف في القيامة أنه لم يؤت من الدنيا إلا قوتاً.

ولقد بلغني أنه لما توفي عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال أناس من أصحاب رسول الله ﷺ: إنا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك! فقال كعب: سبحان الله! وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيباً وأنفق طيباً وترك طيباً! فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مغضباً يريد كعباً فمر بعظم لحي بعير فأخذه بيده ثم انطلق يريد كعباً، فقيل لكعب. إن أبا ذر يطلبك، فخرج هارباً حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر، وأقبل أبو ذر يقص الأثر في طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان، فلما دخل قام كعب

عدم الافتتان به، **(وقد علم أن جمع المال خير لهم أو زعمت أن الله لم يعلم أن الفضل في الجمع فلذلك نهاهم عنه، وأنت عليم بما في المال من الخير والفضل فلذلك رغبت في الاستكثار كأنك أعلم بموضع الفضل والخير من ربك تعالى الله عن جهلك أيها المفتون؛ تدبر ما دهاك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة. ويحك ما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف)** رضي الله عنه **(وقد ودّ ابن عوف في القيامة أنه لم يؤت في الدنيا إلا قوتاً)** إذ ما من أحد إلا وهو يتمنى كذلك كما ورد في الخبر وتقدم.

(ولقد بلغني أنه لما توفي عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه) سنة إثنين وثلاثين وصلى عليه عثمان، وقيل الزبير، وقيل ابنه **(قال أناس من أصحاب رسول الله ﷺ: إنا نخاف على عبد الرحمن)** أي في الآخرة **(فيما ترك)** قال أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف: صولحت امرأة عبد الرحمن من نصيبها ربع الثمن على ثمانين ألفاً. وقال مجاهد: أصاب كل امرأة من نساء عبد الرحمن ربع الثمن ثمانون ألفاً، **(فقال كعب)** الأحبار رحمه الله تعالى: **(سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيباً)** إذا كانت عامة أمواله من التجارة، **(وأنفق طيباً)** إذ تصدق به مرات كما تقدم، **(وترك طيباً)** ميراثاً لورثته، **(فبلغ ذلك)** الكلام **(أبا ذر)** الغفاري رضي الله عنه، **(فخرج مغضباً يريد كعباً فمر)** في طريقه **(بلحي بعير)** بكسر اللام وهو عظم الحنك؟ وهو الذي عليه الأسنان، **(فأخذ بيده ثم انطلق يطلب كعباً فقيل لكعب: إن أبا ذر يطلبك فخرج هارباً حتى دخل على عثمان رضي الله عنه)** وهو يومئذ خليفة **(يستغيث به وأخبره الخبر، فأقبل أبو ذر)** رضي الله عنه **(يقتص الأثر)** أي يتبعه **(في طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان)** رضي الله عنه، **(فلما دخل قام كعب فجلس خلف

فجلس خلف عثمان هارباً من أبي ذر ، فقال له أبو ذر : هيه يا ابن اليهودية ! تزعم أن لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف ، ولقد خرج رسول الله ﷺ يوماً نحو أحد وأنا معه فقال : « يا أبا ذر » فقلت : لبيك يا رسول الله فقال : « الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وقدامه وخلفه وقليل ما هم » ثم قال : « يا أبا ذر » وقلت : نعم يا رسول الله بأبي أنت وأمي ، قال : « ما يسرني أن لي مثل أحد أنفقه في سبيل الله أموت يوم أموت وأترك منه قيراطين » قلت أو قنطارين يا رسول الله ؟ قال : « بل قيراطان » ثم قال : أبا ذر أنت تريد الأكثر وأنا أريد الأقل » . فرسول الله يريد هذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف ؟ كذبت وكذب من قال : فلم يرد عليه خوفاً حتى خرج .

عثمان هارباً من أبي ذر فقال له أبو ذر : هيه) بكسر فسكون كلمة استزادة (**يا ابن اليهودية تزعم أن لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف . لقد خرج رسول الله ﷺ يوماً نحو أحد وأنا معه فقال : « يا أبا ذر » فقلت : لبيك يا رسول الله . فقال : « الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا عن يمينه وشماله وقدامه وخلفه وقليل ما هم » . ثم قال : « يا أبا ذر » قلت : نعم يا رسول الله بأبي أن وأمي . قال : « ما يسرني أن لي مثل أحد انفقه في سبيل الله أموت يوم أموت وأترك منه قيراطين » قلت : أو قنطارين يا رسول الله ؟ قال : « بل قيراطين » . ثم قال : « يا أبا ذر أنت تريد الأكثر وأنا أريد الأقل » فرسول الله يريد هذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه خوفاً ثم خرج**) قال العراقي : حديث أبي ذر : « الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة » متفق عليه ، وقد تقدم دون هذه الزيادة التي في أوله من قول كعب حين مات عبد الرحمن بن عوف : كسب طيباً وترك طيباً وإنكار أبي ذر عليه فلم أقف على هذه الزيادة إلا في قول الحرث بن أسد المحاسبي بلغني كما ذكر المصنف ، وقد رواها أحمد ، وأبو يعلى أخصر من هذا ولفظ كعب : إن كان قضى عنه حق الله فلا بأس به ، فرفع أبو ذر عصاه فضرب كعباً وقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما أحب أن لو تحوّل هذا الجبل لي ذهباً » الحديث . وفيه ابن لهيعة انتهى .

قلت : حديث أبي ذر تقدم الكلام عليه في أول الفصل في هذا الكتاب ، وهو بيان ذم المال . وقد رواها البخاري ومسلم بلفظ : « هم الأخسرون » فقال أبو ذر : من هم ؟ فقال : « هم الأكثرون مالاً إلا من قال هكذا وهكذا » وفي رواية لهما : « إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة إلا من أعطاه الله خيراً فنفح فيه يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيراً » وفي رواية : « إن الأكثرين هم المقلون » وروي ابن ماجه ، وابن حبان ، والضياء من حديث أبي ذر « الأكثرون هم الأسفلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا وكسبه من طيب » . وعند الطيالسي بلفظ المكثرون » . وروى

وبلغنا أن عبد الرحمن بن عوف قدمت عليه عير من اليمن فضجت المدينة ضجة واحدة، فقالت عائشة رضي الله عنها: ما هذا؟ قيل: عير قدمت لعبد الرحمن، قالت:

الخطيب مثله من حديث ابن عباس، وروى هناد في الزهد، وابن ماجه من حديث أبي هريرة: «الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا».

وأما حديث أبي ذر: «ما أحب لو تحول هذا الجبل» الخ فرواه البخاري من حديثه بلفظ: «ما أحب أن أحداً تحول لي ذهباً يمكث عندي منه دينار فوق ثلاث إلا ديناراً أرصده لدين». وعند أحمد والدارمي بلفظ: «ما أحب أن لي أحداً ذهباً أموت يوم أموت وعندي منه دينار أو نصف دينار إلا أن أرصده لغريم». وعند أحمد وحده من حديث أبي ذر وعثمان معاً «ما أحب لو أن لي هذا الجبل ذهباً أنفقه ويتقبل مني أذر خلفي منه شيئاً». وروى الطيالسي من حديث أبي ذر بلفظ: «ما يسرني أن لي أحداً ذهباً تأتي علي ثالثة وعندي منه دينار إلا دينار أرصده لغريم» وروى ابن ماجه من حديث أبي هريرة: «ما أحب أن أحداً عندي ذهباً فتأتي على ثالثة وعندي منه شيء إلا شيء أرصده في قضاء دين» وقد رواه هناد، ومسلم، والبيهقي بلفظ: «ما يسرني».

وأخبرنا عمر بن أحمد بن عقيل بن أبي بكر الحسيني في آخرين قالوا: أخبرنا عبدالله بن سالم، وأحمد بن علي ومحمد قالوا: أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ: أخبرنا علي بن يحيى، أخبرنا يوسف بن عبدالله، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ، أخبرنا أبو الفضل أحمد بن علي الحافظ ومستمليه رضوان بن محمد بن يوسف قالا: أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد الغزي، أخبرنا علي بن إسماعيل المخزومي، أخبرنا أبو الفرج الحراني، أخبرنا أبو المكارم أحمد بن محمد بن اللبان، وأبو الحسن مسعود بن محمد بن أبي منصور قالا: حدثنا أبو علي الحسن بن أحمد بن الحسين الحداد، حدثنا أبو نعيم أحمد بن عبدالله الحافظ، حدثنا محمد بن أحمد بن محمد، حدثنا عبدالله بن محمد بن عبد الكريم، حدثنا الحسن بن إسماعيل ابن راشد الرملي، حدثنا حمزة بن ربيعة، حدثنا ابن شوذب، عن مطر ابن حميد بن هلال، عن عبدالله بن الصامت بن أخي أبي ذر قال: دخلت مع عمي على عثمان فقال لعثمان: ائذن لي بالربذة. فقال: نعم ونأمر لك بنعم من نعم الصدقة تغدو عليك وتروح. قال: لا حاجة لي في ذلك تكفي أبا ذر صرمته ثم قال اغذموا دنياكم ودعونا وربنا أو ديننا، وكانوا يقتسمون مال عبد الرحمن بن عوف وكان عنده كعب فقال عثمان بن عفان لكعب: ما تقول فيمن جمع هذا المال فكان يتصدق منه ويعطي ابن السبيل ويفعل ويفعل؟ قال: إني لأرجو له خيراً، فغضب أبو ذر ورفع العصا على كعب وقال: وما يدريك يا ابن اليهودية ليودن صاحب هذا المال يوم القيامة لو كانت عقارب تلسع السويداء من قلبه.

(وبلغنا أن عبد الرحمن بن عوف) رضي الله عنه **(قدمت عليه عير)** أي قافلة **(من اليمن فضجت المدينة)** أي أهلها **(ضجة واحدة، فقالت عائشة)** رضي الله عنها: **(ما هذا؟**

صدق الله ورسوله ﷺ ، فبلغ ذلك عبد الرحمن فسألها فقالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إني رأيت الجنة فرأيت فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون سعياً ، ولم أرَ أحداً من الأغنياء يدخلهَ معهم إلا عبد الرحمن بن عوف رأيته يدخلها معهم حبواً » ، فقال عبد الرحمن: إن العير وما عليها في سبيل الله ، وإن أرقاءها أحرار لعلي أن أدخلها معهم سعياً .

وبلغنا أن النبي ﷺ قال لعبد الرحمن بن عوف: « أما إنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمتي وما كدت أن تدخلها إلا حبواً » .

فقيل: عير قدمت لعبد الرحمن بن عوف . قالت: صدق الله ورسوله ، فبلغ ذلك عبد الرحمن فسألها . فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إني رأيت الجنة فرأيت فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون سعياً ولم أر أحداً من الأغنياء يدخلها معهم إلا عبد الرحمن بن عوف رأيته يدخلها معهم حبواً » . فقال عبد الرحمن: إن العير وما عليها في سبيل الله وإن أرقاءها أحرار لعلي أن أدخلها معهم سعياً) . قال العراقي: رواه أحمد مختصراً في كون عبد الرحمن يدخلها حبواً دون ذكر فقراء المهاجرين والمسلمين ، وفيه عمارة بن زاذان مختلف فيه انتهى .

قلت: لفظ أحمد من حديث عائشة: رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً ، ورواه أيضاً الطبراني في الكبير ، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية قال: حدثنا أبو يزيد القراطيسي ، حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا عمارة بن زاذان ، عن ثابت البناني ، عن أنس بن مالك قال: بينا عائشة في بيتها إذ سمعت صوتاً رجت منه المدينة فقالت: ما هذا ؟ قالوا : عير قدمت لعبد الرحمن بن عوف من الشام ، وكانت سبعمائة راحلة . فقالت عائشة: أما أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً » فبلغ ذلك عبد الرحمن فأتاها فسألها عما بلغه فحدثته فقال: فأنا أشهدك أنها بأحمالها وأقتابها وأحلاسها في سبيل الله . وعمارة بن زاذان الصيدلاني أبو سلمة البصري صدوق ضعفه الدارقطني وغيره ، وقد روى له البخاري في الأدب المفرد ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه .

(وبلغنا أن النبي ﷺ قال لعبد الرحمن بن عوف) رضي الله عنه : **(« أما أنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمتي وما كدت تدخلها إلا حبواً »)** قال العراقي: رواه البزار من حديث أنس بسند ضعيف ، وللحاكم من حديث عبد الرحمن : « يا ابن عوف إنك من الأغنياء ولن تدخل الجنة إلا زحفاً » الحديث . وقال: صحيح الإسناد .

قلت: ضعيف فيه خالد بن يزيد بن أبي مالك ضعفه الجمهور انتهى .

قلت: قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا محمد بن علي بن حبيش ، حدثنا جعفر بن محمد الفريابي ، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي ، حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك ، عن أبيه ، عن عطاء بن

ويحك أيها المفتون، فما احتجاجك بالمال وهذا عبد الرحمن في فضله وتقواه وصنائعه المعروف وبذله الأموال في سبيل الله مع صحبته لرسول الله ﷺ وبشراه بالجنة أيضاً يوقف في عرصات القيامة وأهوالها بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنائع المعروف، وأنفق منه قصداً، وأعطى في سبيل الله سمحاً، منع السعي إلى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يحبو في آثارهم حبواً؟ فما ظنك بأمثالنا الغرقى في فتن الدنيا؟ وبعد،

أبي رباح، عن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال له: «يا ابن عوف إنك من الأغنياء ولن تدخل الجنة إلا زحفاً فاقرض الله يطلق لك قدميك». قال ابن عوف: وما الذي أقرض الله؟ قال «تتبرأ مما أمسيت فيه» قال: من كله أجمع يا رسول الله؟ قال «نعم» قال: فخرج ابن عوف وهو يهم بذلك فأتاه جبريل فقال: مر ابن عوف فليضف الضيف وليعطم المسكين وليعط السائل فإذا فعل ذلك كانت كفارة لما هو فيه. وخالد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك أبو هاشم الدمشقي، وقد ينسب إلى جد أبيه فقيه ضعيف، وقد اتهمه ابن معين، روى له ابن ماجه. وقال الذهبي في الديوان، قال النسائي: ليس بثقة ووثقه غيره، ففي قول العراقي ضعفه الجمهور نظر.

(**ويحك أيها المفتون، فما احتجاجك بالمال وهذا عبد الرحمن**) رضي الله عنه (**في فضله وتقواه وصنائعه المعروفة وبذله الأموال في سبيل الله**)، فقد روى أبو نعيم في الحلية، عن المسور بن مخرمة قال: باع عبد الرحمن بن عوف أرضاً له من عثمان بن عفان بأربعين ألف دينار، فقسم ذلك المال في بني زهرة وفقراء المسلمين وأمهات المؤمنين. وعن عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله ﷺ قال لعبد الرحمن بن عوف «ما بطؤ بك عني؟ فقال: ما زلت بعدك أحاسب، وإنما ذلك لكثرة مالي. فقال «هذه مائة راحلة جاءتني من مصر فيه صدقة على أرامل أهل المدينة». وأخرج الطبراني من طريق المبارك، عن معمر، عن الزهري قال: تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف، ثم تصدق بأربعين ألفاً، ثم تصدق بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله، ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة في سبيل الله.

وأخرج صاحب الحلية عن جعفر بن برقان قال: بلغني أن عبد الرحمن بن عوف أعتق ثلاثين ألف بيت (**مع صحبته لرسول الله ﷺ وبشراه بالجنة**) وذلك فيما رواه الترمذي والنسائي في الكبرى من حديثه «أبو بكر في الجنة» الحديث، وفيه «وعبد الرحمن بن عوف في الجنة» وهو عند الأربعة من حديث سعيد بن زيد، قال البخاري والترمذي: وهو أصح (**يوقف في عرصات القيامة وأهوالها بسبب مال كسبه من حلال**) وقد روي عن الزهري أن عامة ماله كان من التجارة. (**للتعفف ولصنائع المعروف وأنفق منه قصداً**) على طريق العدل (**وأعطى في سبيل الله سمحاً**) أي فيضاً (**قد منع من السعي إلى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يحبو في آثارهم حبواً**) ويزحف زحفاً، (**فما ظنك بأمثالنا الغرقى في فتن الدنيا**).

فالعجب كل العجب لك يا مفتون تتمرغ في تخاليط الشبهات والسحت، وتتكالب على أوساخ الناس، وتتقلب في الشهوات والزينة والمباهات، وتتقلب في فتن الدنيا ثم تحتج بعبد الرحمن وتزعم أنك إن جمعت المال فقد جمعه الصحابة كأنك أشبهت السلف وفعلهم؟ ويحك إن هذا من قياس إبليس ومن فتياه لأوليائه! وسأصف لك أحوالك وأحوال السلف لتعرف فضائحك وفضل الصحابة. ولعمري لقد كان لبعض الصحابة أموال أرادوها للتعفف والبذل في سبيل الله، فكسبوا حلالاً وأكلوا طيباً وأنفقوا قصداً وقدموا فضلاً، ولم يمنعوا منها حقاً، ولم يبخلوا بها، لكنهم جادوا لله بأكثرها، وجاد بعضهم بجميعها، وفي الشدة آثروا لله على أنفسهم كثيراً، فبالله أكذلك أنت؟ والله أنك لبعيد الشبه بالقوم.

وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق نوفل بن إياس الهذلي قال: كان عبد الرحمن لنا جليساً وكان نعم الجليس، وأنه انقلب بنا يوماً حتى دخلنا بيته ودخل واغتسل ثم خرج فجلس معنا وأتينا بصحفة فيها خبز ولحم، فلما وضعت بكى عبد الرحمن فقلنا له: يا أبا محمد ما يبكيك؟ فقال: مات رسول الله ﷺ ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير ولا أرانا أخرنا لما هو خير لنا.

وأخرج أحمد في الزهد، عن محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن سعيد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، عن جده أنه أتي بطعام فقال شعبة: أحسبه كان صائماً فقال عبد الرحمن: قتل حمزة فلم نجد ما نكفنه فيه وهو خير مني، وقتل مصعب بن عمير وهو خير مني فلم نجد ما نكفنه فيه، وقد أصبنا منها ما أصبنا إني لأخشى أن تكون قد عجلت لنا طيباتنا في الدنيا. قال شعبة: وأظنه قال ولم يأكل.

(وبعد؛ فالعجب كل العجب لمفتون تمرغ في تخاليط الشبهات والسحت وتتكالب على أوساخ الناس وهو يتقلب في) وفي نسخة وهو يلتفت إلى **(الشهوات والزينة والمباهاة وهو يتقلب في فتن الدنيا، ثم تحتج بعبد الرحمن بن عوف)** رضي الله عنه، **(وتزعم أنك إن جمعت المال فقد جمعه الصحابة)** الكرام، **(كأنك أشبهت السلف وفعلهم. ويحك إن هذا من قياس إبليس ومن فتياه لأوليائه)** وهو قياس فاسد وفتيا باطلة! **(وسأصف لك أوصافك وأحوال السلف لتعرف فضائحك وفضل الصحابة، ولعمري لقد كان لبعض الصحابة أموال أرادوها للتعفف والبذل في سبيل الله فكسبوا حلالاً وأكلوا طيباً وأنفقوا قصداً وقدموا فضلاً)** أي ما فضل عن حاجتهم قدموه للآخرة بالتصدق **(ولم يمنعوا منها حقاً)** لله تعالى، **(ولم يبخلوا بها، ولكنهم جادوا لله تعالى بأكثرها، وجاد بعضهم بجميعها، وفي الشدة آثروا الله على أنفسهم كثيراً، فبالله أكذلك أنت؟ والله إنك لبعيد الشبه بالقوم)** لا وجه للشبه بينك وبينهم فيما صنعوا.

وبعد : فإن أخيار الصحابة كانوا للمسكنة محبين ، ومن خوف الفقر آمنين ، وبالله في أرزاقهم واثقين ، وبمقادير الله مسرورين ، وفي البلاء راضين ، وفي الرخاء شاكرين ، وفي الضراء صابرين ، وفي السراء حامدين ، وكانوا لله متواضعين ، وعن حب العلو والتكاثر ورعين . ولم ينالوا من الدنيا إلا المباح لهم ورضوا بالبلغة منها وزجوا الدنيا وصبروا على مكارهها وتجرعوا مرارتها وزهدوا في نعيمها وزهراتها . فبالله أكذلك أنت ؟

ولقد بلغنا أنهم كانوا إذا أقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا : ذنب عجلت عقوبته من الله ، تعالى وإذا رأوا الفقر مقبلاً قالوا : مرحباً بشعار الصالحين . وبلغنا أن بعضهم كان إذا أصبح وعند عياله شيء أصبح كئيباً حزيناً ، وإذا لم يكن عندهم شيء أصبح فرحاً مسروراً ، فقيل له : إن الناس إذا لم يكن عندهم شيء حزنوا ، وإذا كان عندهم شيء فرحوا ، وأنت لست كذلك ! قال : إني إذا أصبحت وليس عند عيالي شيء فرحت إذ كان لي برسول الله ﷺ أسوة ، وإذا كان عند عيالي شيء اغتممت إذ لم يكن لي بآل محمد إسوة . وبلغنا إنهم كانوا إذا سلك بهم سبيل الرخاء حزنوا وأشفقوا وقالوا : ما لنا

(**وبعد ؛ فإن أخيار الصحابة كانوا للمسكنة محبين ، ومن خوف الفقر آمنين ، وبالله في أرزاقهم واثقين ، وبمقادير الله مسرورين ، وفي البلاء راضين ، وفي الرخاء شاكرين ، وفي الضراء صابرين ، وفي السراء حامدين ، وكانوا لله متواضعين ، وعن حب العلو والتكاثر ورعين . لم ينالوا من الدنيا إلا المباح لهم**) فوضعوه في مواضعه (**ورضوا بالبلغة منها**) أي بالقدر الذي يبلغهم إلى الآخرة (**وزجوا الدنيا**) أي ساقوها وأبعدوها عنهم (**وصبروا على مكارهها وتجرعوا مرارتها وزهدوا في نعيمها وزهراتها . فبالله أكذلك أنت**) ؟ لا تقدر تقول : نعم .

(**ولقد بلغنا أنهم كانوا إذا أقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا : ذنب عجلت عقوبته من الله ، وإذا رأوا الفقر مقبلاً قالوا : مرحبا بشعار الصالحين**) وقد روي ذلك من حديث أبي الدرداء . قال الله لموسى عليه السلام فذكره ، ويروى أيضاً عن كعب الاحبار ، وقد تقدم في ذم الدنيا . وسيأتي أيضاً في كتاب الزهد والفقر . (**وبلغنا أن بعضهم كان إذا أصبح وعند عياله شيء**) من الدنيا (**أصبح كئيباً حزيناً**) مغموماً ، (**وإذا**) أصبح (**لم يكن عندهم شيء أصبح فرحاً مسروراً فقيل له : إن الناس إذا لم يكن عندهم شيء حزنوا ، وإذا كان عندهم شيء فرحوا ، وأنت لست كذلك . فقال : إني إذاً أصبحت وليس عند عيالي شيء فرحت إذ كان لي بمحمد ﷺ أسوة**) فإنه كثيراً ما يصبح وليس عند عياله شيء ، (**فإذا كان عند عيالي شيء اغتممت إذ لم يكن لي بآل محمد ﷺ أسوة . وبلغنا أنهم كانوا إذا سلك بهم سبيل**

وللدنيا وما يراد بها فكأنهم على جناح خوف، وإذا سلك بها سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا : الآن تعاهدنا ربنا . فهذه أحوال السلف ونعتهم وفيهم من الفضل أكثر مما وصفنا فبالله أكذلك أنت انك لبعيد الشبه بالقوم.

وسأصف لك أحوالك أيها المفتون ضداً لأحوالهم، وذلك أنك تطغى عند الغنى، وتبطر عند الرخاء، وتمرح عند السراء، وتغفل عن شكر ذي النعماء وتقنط عند الضراء، وتسخط عند البلاء ولا ترضى بالقضاء، نعم وتبغض الفقر وتأنف من المسكنة، وذلك فخر المرسلين وأنت تأنف من فخرهم. وأنت تدخر المال وتجمعه خوفاً من الفقر وذلك من سوء الظن بالله عز وجل وقلة اليقين بضمانه، وكفى به إثماً، وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها. ولقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم فربت عليه أجسامهم»، وبلغنا أن بعض أهل العلم قال: ليجيء يوم القيامة

الرخاء حزنوا وأشفقوا) على أنفسهم **(وقالوا : ما لنا وللدنيا وما يراد منها، فكأنهم على جناح خوف، وإذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا : الآن تعاهدنا ربنا)** أي نظر إلينا بالرضا رواه صاحب القوت عن الحسن قال: كانوا بالبلاء والشدة أشد فرحاً منكم بالرخاء والخصب. لو رأيتموهم قلتم مجانين، ولو رأوا خياركم قالوا ما لهؤلاء من خلاق، ولو رأوا شراركم قالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب. **(فهذه أحوال السلف ونعتهم وفيهم من الفضل أكثر مما وصفنا فبالله اكذلك أنت)** وفيك هذه الأوصاف؟ **(إنك لبعيد الشبه بالقوم)** . .

(وسأصف لك أحوالك أيها المفتون ضد أحوالهم، وذلك أنك تطغى عند الغنى) أي تتجاوز عن الحدود، **(وتبطر في الرخاء)** أي تكفر بالنعمة ولا تشكرها، **(وتمرح عند السراء، وتغفل عن شكر ذي النعماء، وتقنط عند الضراء، وتسخط عند البلاء ولا ترضى بالقضاء نعم وتبغض الفقر)** إذا أقبل إليك، **(وتأنف من المسكنة وذلك فخر المرسلين وأنت تأنف من فخرهم)**، فقد ورد: «الفقر أزين بالمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس» رواه الطبراني من حديث شداد بن أوس بسند ضعيف، والمعروف أنه من كلام عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، وكذلك رواه ابن عدي في الكامل، وسيأتي للمصنف في كتاب الزهد والفقر. فأما ما اشتهر على الألسنة الفقر فخري وبه أفتخر، فقد قال الحافظ ابن حجر: أنه موضوع لا أصل له، **(وتدخر المال وتجمعه خوفاً من الفقر، وذلك من سوء الظن بالله وقلة اليقين بضمانه وكفى به إثماً وعساك تجمع المال لنعيم الدينا وزهرتها وشهوتها ولذاتها، ولقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليهم أجسامهم»)** رواه البزار من حديث أبي هريرة بسند ضعيف بلفظ «إن من شرار أمتي» وقد تقدم في فصل ذم المال من أول هذا الكتاب.

قوم يطلبون حسنات لهم فيقال لهم: ﴿أذهبتُمْ طيّباتُكم في حياتِكُمْ الدُّنْيَا واستمتعتُمْ بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠] وأنت في غفلة قد حرمت نعيم الآخرة بسبب نعيم الدنيا فيا لها حسرة ومصيبة! نعم وعساك تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر والزينة في الدنيا، وقد بلغنا أنه من طلب الدنيا للتكاثر أو للتفاخر لقي الله وهو عليه غضبان، وأنت غير مكترث بما حل بك من غضب ربك حين أردت التكاثر والعلو نعم وعساك المكث في الدنيا أحب إليك من النقلة إلى جوار الله، فأنت تكره لقاء الله والله للقائك أكره، وأنت في غفلة وعساك تأسف على ما فاتك من عرض الدنيا، وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «من أسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة شهر. وقيل سنة». أنت

(وبلغنا أن بعض أهل العلم قال: ليجيء يوم القيامة قوم يطلبون حسنات لهم فيقال لهم: ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾) روى جرير بن حازم عن الحسن قال: قال عمر بن الخطاب: والله إني لو شئت لكنت من ألينكم طعاماً وأرقكم عيشاً، ولكن سمعت الله تعالى يقول عن قوم ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾ الآية. وروى ابن قانع عن سالم مولى أبي حذيفة قال: «يؤتى بأقوام يوم القيامة معهم حسنات كالجبال حتى إذا دنوا واشرفوا على الجنة فردوا أن لا نصيب لكم فيها». **(وأنت في غفلة قد حرمت نعيم الآخرة بسبب نعيم الدنيا. فيا لها حسرة ومصيبة. نعم، وعساك تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر والزينة في الدنيا، وقد بلغنا أنه من طلب الدنيا ليكاثر أو ليفاخر بها لقي الله وهو عليه غضبان)** وهو قطعة من حديث أبي هريرة أوله «من طلب الدنيا حلالاً استعفافاً عن المسألة وسعياً على أهله وتعطفاً على جاره بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر، ومن طلبها حلالاً مكاثراً بها مفاخراً لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان» رواه أبو الشيخ في الثواب، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الشعب، وقد تقدم في كتاب الكسب وآداب المعيشة. **(وأنت غير مكترث بما حل بك من غضب الله حيث أردت التكاثر والعلو. نعم وعساك المكث في الدنيا أحب إليك من النقلة إلى جوار الله تعالى، وأنت تكره لقاء الله تعالى والله للقائك أكره)** ففي الخبر «من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» متفق عليه من حديث عبادة بن الصامت، ومن حديث عائشة، ومن حديث أبي موسى. **(وأنت في غفلة وعساك تأسف على ما فاتك من عرض الدنيا، وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «من أسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسافة سنة»)** قال العراقي: رويناه في كتاب القربة لأبي حفص العتكي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وقال: مسيرة ألف سنة، وإسناده ضعيف. ورويناه في الجزء الثاني عشر من فوائد الخلعي من هذا الوجه اهـ.

قلت: وهو في مشيخة أبي عبد الله الرازي هكذا بزيادة «ومن أسف على آخرة فاتته اقترب من الجنة مسافة ألف سنة».

تأسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله. نعم ولعلك تخرج من دينك أحياناً لتوفير دنياك وتفرح بإقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سروراً بها، وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه»، وبلغنا أن بعض أهل العلم قال: إنك تحاسب على التحزن على ما فاتك من الدنيا، وتحاسب بفرحك في الدنيا إذا قدرت عليها وأنت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله تعالى، وعساك تعني بأمور دنياك أضعاف ما تعني بأمور آخرتك، وعساك ترى مصيبتك في معاصيك أهون من مصيبتك في انتقاص دنياك، نعم وخوفك من ذهاب مالك أكثر من خوفك من الذنوب، وعساك تبذل للناس ما جمعت من الأوساخ كلها للعلو والرفعة في الدنيا، وعساك ترضي المخلوقين مساخط الله تعالى كيما تكرم وتعظم. ويحك! فكأن احتقار الله تعالى لك في القيامة أهون عليك من احتقار الناس إياك، وعساك تخفي من المخلوقين مساوئك ولا تكترث باطلاع الله عليك فيها فكأن الفضيحة عند الله أهون عليك من الفضيحة عند الناس، فكأن العبيد أعلى عندك قدراً من الله تعالى الله عن جهلك! فكيف تنطق عند ذوي الألباب وهذه المثالب فيك؟ أفٍ لك! متلوث بالأقذار وتحتج بمال الأبرار؟ هيهـات هيهات ما أبعدك عن السلف الأخيار، والله لقد بلغني

(**وأنت تأسف على ما فاتك**) من الدنيا (**غير مكترث بقربك من عذاب الله. نعم ولعلك تخرج من دينك أحياناً لتوفير دنياك**) أي لتكثيرها، (**وتفرح بإقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سروراً بها، وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه»**) قال العراقي: لم أجده إلا بلاغاً للحرث بن أسد كما ذكره المصنف عنه. (**وبلغنا أن بعض أهل العلم قال: إنك محاسب على التحزن على ما فاتك من الدنيا، ومحاسب بفرحك في الدنيا إذا قدرت عليها، وأنت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله تعالى، وعساك تعني بأمور الدنيا أضعاف ما تعني بأمور آخرتك، وعساك ترى أن مصيبتك في معاصيك أهون من مصيبتك في انتقاص دنياك. نعم وخوفك من ذهاب مالك أكثر من خوفك من الذنوب، وعساك تبذل للناس ما جمعت من الأوساخ كلها للعلو والرفعة في الدنيا، وعساك ترضى المخلوقين بمساخط الله تعالى كيما تكرم وتعظم. ويحك فكان احتقار الله لك في القيامة أهون عليك من احتقار الناس إياك، وعساك تخفي من المخلوقين مساوئك**) وعيوبك، (**ولا تكترث باطلاع الله عليك فيها، فكأن الفضيحة عند الله أهون عليك من الفضيحة** في الناس، **وكان العبيد أعلى عندك قدراً من الله تعالى عن جهلك، فكيف تنطق عند ذوي الألباب وهذه المثالب**) أي المفالج والمعائب موجودة (**فيك أف لك متلوثاً بالأقذار تحتج بمال الأبرار؟ هيهات هيهات! ما أبعدك عن السلف الأخيار، والله**

أنهم كانوا فيما أحل لهم أزهد منكم فيما حرم عليكم، أن الذي لا بأس به عندكم كان من الموبقات عندهم، وكانوا للزلة الصغيرة أشد استعظاماً منكم لكبائر المعاصي، فليت أطيب مالك وأحله مثل شبهات أموالهم؟ وليتك أشفقت من سيئاتك كما أشفقوا على حسناتهم أن لا تقبل، ليت صومك على مثال إفطارهم؟ وليت اجتهادك في العبادة على مثل فتورهم ونومهم؟ وليت جميع حسناتك مثل واحدة من سيئاتهم. وقد بلغني عن بعض الصحابة أنه قال: غنيمة الصديقين ما فاتهم من الدنيا ونهمتهم ما زوى عنهم منها، فمن لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا ولا معهم في الآخرة، فسبحان الله! كم بين الفريقين من التفاوت؟ فريق خيار الصحابة في العلوّ عند الله وفريق أمثالكم في السفالة، أو يعفو الله الكريم بفضله.

وبعد؛ فإنك إن زعمت أنك متأس بالصحابة بجمع المال للتعفف والبذل في سبيل الله فتدبر أمرك، ويحك هل تجد من الحلال في دهرك كما وجدوا في دهرهم؟ أو تحسب أنك محتاط في طلب الحلال كما احتاطوا، لقد بلغني أن بعض الصحابة قال: كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام، أفتطمع من نفسك في مثل هذا

لقد بلغني أنهم كانوا فيما أحل لهم أزهد منكم فيما حرم عليكم). رواه صاحب القوت عن الحسن قال: رأيت سبعين بدرياً كانوا والله فيما أحـل لهم أزهد منكم فيما حرم عليكم. (**إن الذي لا بأس به عندكم كان كالموبقات**) أي الكبائر المهلكات (**عندهم، وكانوا للذلة الصغيرة أشد استعظاماً منكم لكبائر المعاصي، فليت أطيب مالك وأحله مثل شبهات أموالهم، وليتك أشفقت من سيئاتك كما أشفقوا على حسناتهم أن لا تقبل. ليست صومك على مثال إفطارهم، وليت اجتهادك في العبادة على مثال فتورهم ونومهم، وليت جميع حسناتك مثل واحدة من حسناتهم. وقد بلغني عن بعض الصحابة أنه قال: غنيمة الصديقين ما فاتهم من الدنيا ونهمتهم ما زوى عنهم منها**) أي أخر وأبعد، (**فمن لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا ولا معهم في الآخرة. فسبحان الله: كم بين الفريقين من التفاوت فريق خيار الصحابة في العلو عند الله تعالى، وفريق أمثالكم في السفالة أو يعفو الله الكريم بفضله**).

(**وبعد؛ فإن زعمت أنك متأس**) أي مقتد (**بالصحابة بجمع الأموال للتعفف والبذل في سبيل الله تعالى، فتدبر أمرك. ويحك هل تجد من الحلال في دهرك كما وجدوا في دهرهم، أو تحسب أنك محتاط في طلب الحلال كما احتاطوا؟ لقد بلغني أن بعض الصحابة قال: كنا نعد سبعين باباً من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام**) تقدم في كتاب الحلال والحرام. روى صاحب الحلية من طريق عباس بن خليد عن أبي الدرداء أن يترك العبد

الاحتياط؟ لا ورب الكعبة ما أحسبك كذلك! ويحك! كن على يقين أن جمع المال لأعمال البر مكر من الشيطان ليوقعك بسبب البر في اكتساب الشبهات الممزوجة بالسحت والحرام، وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «من اجترأ على الشبهات أوشك أن يقع في الحرام»، أيها المغرور، أما علمت أن خوفك من اقتحام الشبهات أعلى وأفضل وأعظم لقدرك عند الله من اكتساب الشبهات، وبذلها في سبيل الله وسبيل البر؟ بلغنا ذلك عن بعض أهل العلم قال: لأن تدع درهماً واحداً مخافة أن لا يكون حلالاً خير لك من أن تتصدق بألف دينار من شبهة لا تدري أيحل لك أم لا؟ فإن زعمت أنك أتقى وأورع من أن تتلبس بالشبهات وإنما تجمع المال بزعمك من الحلال للبذل في سبيل الله! ويحك! إن كنت كما زعمت بالغاً في الورع فلا تتعرض للحساب، فإن خيار الصحابة خافوا المسألة، وبلغنا أن بعض الصحابة قال: ما سرني أن أكتسب كل يوم ألف دينار من حلال وأنفقها في طاعة الله ولم يشغلني الكسب عن صلاة الجماعة، قالوا: ولم ذاك رحمك الله؟ قال: لأني غني عن مقام يوم القيامة فيقول عبدي من أين اكتسبت وفي أي شيء

بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً. (**أفتطمع من نفسك في مثل هذا الاحتياط؟ لا ورب الكعبة ما أحسبك كذلك. ويحك كن على يقين أن جمع المال لأعمال البر مكر من الشيطان**) واستدراج (**ليوقعك بسبب البر في اكتساب الشبهات الممزوجة بالسحت والحرام. وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «من اجترأ على الشبهات أوشك أن يقع في الحرام»**) متفق عليه من حديث عبد الرحمن بن بشير نحوه، وقد تقدم في كتاب الحلال والحرام أول الحديث. (**أيها المغرور! اما علمت أن خوفك من اقتحام الشبهات أعلى وأفضل وأعظم لقدرك عند الله من اكتساب الشبهات وبذلها في سبيل الله وسبيل البر. بلغنا ذلك عن بعض أهل العلم قال: لأن تدع درهماً واحداً مخافة أن لا يكون حلالاً خير لك من أن تتصدق بألف دينار من شبهة لا تدري أيحل لك أم لا**). تقدم في كتاب الحلال والحرام، (**فإن زعمت أنك أتقى وأورع من أن تتلبس بالشبهات، وإنما تجمع المال بزعمك من الحلال للبذل في سبيل الله. ويحك إن كنت كما زعمت بالغاً في الورع فلا تتعرض للحساب، فإن خيار الناس خافوا المسألة**) بين يدي الله تعالى. (**بلغنا أن بعض الصحابة قال: ما يسرني أن أكتسب كل يوم ألف دينار من حلال وانفقه في طاعة الله ولم يشغلني الكسب عن صلاة الجماعة، قالوا: ولم ذلك رحمك الله؟ قال: لأني غني عن مقام يوم القيامة، فيقول: عبدي من أين كسبت وفي أي شيء أنفقت**)؟ روي نحوه من قول أبي الدرداء رضي الله عنه.

قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو عمرو بن حمدان، حدثنا أحمد بن إبراهيم بن عبد الله، حدثنا عمر بن زرارة، حدثنا المحاربي عن العلاء بن المسيب عن عمرو بن مرة قال: قال أبو الدرداء:

أنفقت فهؤلاء المتقون كانوا في جدة الإسلام والحلال موجود لديهم، تركوا المال وجلا من الحساب مخافة أن يقوم خير المال بشره، وأنت بغاية الأمن والحلال في دهرك مفقود، تتكالب على الأوساخ ثم تزعم أنك تجمع المال من الحلال، ويحك! أين الحلال فتجمعه.

وبعد؛ فلو كان الحلال موجوداً لديك أما تخاف أن يتغير عند الغنى قلبك، وقد بلغنا أن بعض الصحابة كان يرث المال الحلال فيتركه مخافة أن يفسد قلبه؟ أفتطمع أن يكون قلبك أتقى من قلوب الصحابة فلا يزول عن شيء من الحق في أمرك وأحوالك؟ لئن ظننت ذلك لقد أحسنت الظن بنفسك الأمارة بالسوء، ويحك! إني لك ناصح أرى

بعث النبي ﷺ وأنا تاجر فأردت أت تجتمع لي التجارة والعبادة فلم تجتمعا، فرفضت التجارة وأقبلت على العبادة والذي نفس أبي الدرداء بيده ما أحب أن لي اليوم حانوتاً على باب المسجد لا تخطئني فيه صلاة أربح فيه كل يوم أربعين ديناراً أو أتصدق بها كلها في سبيل الله. قيل له: يا أبا الدرداء وما تكره من ذلك؟ قال: شدة الحساب، ورواه محمد بن الجنيد التار عن المحاربي فقال: عن عمرو بن مرة عن أبيه، ورواه خيثمة عن أبي الدرداء نحوه، وروى أحمد في كتاب الزهد.

ومن طريقه أبو نعيم قال: حدثنا عبد الصمد، حدثنا عبد الله بن يحيى، حدثنا أبو عبد ربه قال: قال أبو الدرداء: ما يسرني أن أقوم على الدرج من باب المسجد فأبيع وأشتري فأصيب كل يوم ثلاثمائة دينار أشهد الصلاة كلها في المسجد ما أقول ان الله لم يحل البيع ويحرم الربا، ولكن أحب أن أكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، ومن طريق محمد بن واسع أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان: ويا أخي من ولي ولك بأن نوافي يوم القيامة ولا نخاف حساباً.

(**فهؤلاء المتقون كانوا في جدة الإسلام**) أي في أوّله ونشاطه (**والحلال موجود لديهم، تركوا المال وجلاً من الحساب مخافة أن لا يقوم خير المال بشره، وأنت ثفالة الأمة**)[1] أي رذالتها (**والحلال في دهرك مفقود. تتكالب على الأوساخ**) وهي أعراض الدنيا (**ثم تزعم أنك تجمع المال من الحلال، ويحك! وأين الحلال فتجمعه؟**)

(**وبعد؛ فلو كان الحلال موجوداً لديك أما تخاف أن يتغير عند الغنى قلبك**) عما كان عليه من الإقبال على المعرفة؟ (**وقد بلغنا أن بعض الصحابة كان يرث المال الحلال فيتركه** فيقول: لا حاجة لي به أخاف أن يفسد علي قلبي. (**أفتطمع أن يكون قلبك أتقى من قلوب الصحابة فلا تزول عن شيء من الحق في أمرك وأحوالك**) هذا لا يكون، و (**لئن ظننت ذلك لقد أحسنت الظن بنفسك الأمّارة بالسوء**) وتبرآتها. (**ويحك! إني لك ناصح أرى لك أن**

---

(١) في الإحياء: «بغاية الأمن» بدلاً من «ثفالة الأمة».

لك أن تقنع بالبلغة ولا تجمع المال بأعمال البر ولا تتعرض للحساب، فإنه بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من نوقش الحساب عذب»، وقال عليه الصلاة والسلام: «يوتى برجل يوم القيامة وقد جمع مالاً من حرام وأنفقه في حرام فيقال اذهبوا به إلى النار، ويؤتى برجل قد جمع مالاً من حلال وأنفقه في حرام فيقال اذهبوا به إلى النار، ويؤتى برجل قد جمع مالاً من حرام وأنفقه في حلال فيقال اذهبوا به إلى النار، ويؤتى برجل قد جمع مالاً من حلال وأنفقه في حلال فيقال له: قف لعلك قصرت في سبب هذا بشيء مما فرضت عليك من صلاة لم تصلها لوقتها، وفرطت في شيء من ركوعها وسجودها ووضوئها فيقول: لا يا رب كسبت من حلال وأنفقت في حلال ولم أضيع شيئاً مما فرضت علي فيقال: لعلك اختلت في هذا المال في شيء من مركب أو ثوب باهيت به فيقول: لا يا رب لم أختل ولم أباه في شيء، فيقال: لعلك منعت حق أحد أمرتك أن تعطيه من ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، فيقول: لا يا رب كسبت من حلال وأنفقت في حلال ولم أضيع شيئاً مما فرضت علي ولم أختل ولم أباه ولم أضيع حق أحد أمرتني أن أعطيه، قال: فيجيء أولئك فيخاصمونه فيقولون: يا رب أعطيته وأغنيته وجعلته بين أظهرنا وأمرته أن يعطينا، فإن كان أعطاهم وما ضيع مع

تقتنع بالبلغة) من العيش، **(ولا تجمع المال لأعمال البر)** فتركك له آثر **(ولا تتعرض للحساب، فإنه بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال «من نوقش الحساب عذب»)** متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم.

(وقال ﷺ : «يؤتى برجل يوم القيامة وقد جمع مالاً من حرام وأنفقه في حرام فيقال اذهبوا به إلى النار ويؤتى برجل) آخر **(قد جمع مالاً من حلال وأنفقه في حرام فيقال اذهبوا به إلى النار، فيؤتى برجل)** آخر **(قد جمع مالاً من حلال وأنفقه في حلال فيقال له قف لعلك قصرت في طلب هذا بشيء مما فرضت عليك من صلاة لم تصلها لوقتها وفرطت في شيء من ركوعها وسجودها ووضوئها. فيقول: لا يا رب كسبت من حلال وأنفقت في حلال، ولم أضيع شيئاً مما فرضت عليَّ فيقال: لعلك اختلت في هذا المال)** من الاختيال وهو التكبر **(في شيء من مركب أو ثوب باهيت به، فيقول: لا يا رب لم أختل ولم اباه في شيء فيقال لعلك منعت حق أحد أمرتك أن تعطيه من ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، فيقول: لا يا رب كسبت من حلال وأنفقت في حلال ولم أضيع شيئاً مما فرضت عليَّ ولم أختل ولم أباه ولم أضيع حق أحد أمرتني أن أعطيه. قال: فيجيء أولئك فيخاصمونه فيقولون: يا رب أعطيته وأغنيته وجعلته بين أظهرنا وأمرته أن يعطينا فإن**

ذلك شيئاً من الفرائض ولم يختل في شيء فيقال: قف، الآن هات شكر كل نعمة أنعمتها عليك من أكلة أو شربة أو لذة فلا يزال يُسأل»، ويحك فمن ذا الذي يتعرض لهذه المسألة التي كانت لهذا الرجل الذي تقلب في الحلال وقام بالحقوق كلها وأدى الفرائض بحدودها، حوسب هذه المحاسبة فكيف ترى يكون حال أمثالنا الغرقى في فتن الدنيا وتخاليطها وشبهاتها وشهواتها وزينتها؟ ويحك، لأجل هذه المسائل يخاف المتقون أن يتلبسوا بالدنيا فرضوا بالكفاف منها وعملوا بأنواع البر من كسب المال، فلك ويحك بهؤلاء الأخيار اسوة، فإن أبيت ذلك وزعمت انك بالغ في الورع والتقوى، ولم تجمع المال إلا من حلال بزعمك ـ للتعفف والبذل في سبيل الله، ولم تنفق شيئاً من الحلال إلا بحق، ولم يتغير بسبب المال قلبك عما يحب الله، ولم تسخط الله في شيء من سرائرك وعلانيتك ويحك فإن كنت كذلك، ولست كذلك، فقد ينبغي لك أن ترضي بالبلغة وتعتزل ذوي الأموال إذا وقفوا للسؤال وتستبق مع الرعيل الأول في زمرة المصطفى، لا حبس عليك للمسألة والحساب، فإما سلامة واما عطب. فإنه بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «يدخل صعاليك المؤنفقت؟ فهؤلاء المتقون بخمسمائة عام»، وقال عليه السلام:

كان اعطاهم وما ضيع مع ذلك شيئاً من الفرائض ولم يختل في شيء فيقال: قف الآن هات شكر كل نعمة أنعمتها عليك من أكلة أو شربة أو لقمة أو لذة فلا يزال يسأل») قال العراقي: الحديث بطوله لم أقف له على أصل.

(ويحك! فمن ذا الذي يتعرض لهذه المسألة التي كانت لهذا الرجل الذي تقلب في الحلال وقام بالحقوق كلها وادّى الفرائض بحدودها، حوسب هذه المحاسبة فكيف ترى يكون حال أمثالنا الغرقى في فتن الدنيا وتخاليطها وشبهاتها وشهواتها وزينتها؟ ويحك لأجل هذه المسألة يخاف المتقون أن يتلبسوا بالدنيا) ويطمئنوا إليها (فرضوا بالكفاف منها وعملوا بأنواع البر من كسب المال، فلك ويحك بهؤلاء الأخيار أسوة، فإن أبيت ذلك وزعمت انك بالغ في الورع والتقوى ولم تجمع المال إلا من حلال بزعمك للتعفف والبذل في سبيل الله ولم تنفق شيئاً من الحلال إلا بحق، ولم يتغير بسبب المال قلبك عما يحب الله) ويرضاه، (ولم تسخط الله في شيء من سرائرك وعلانيتك. ويحك فإن كنت كذلك ولست كذلك، فقد ينبغي لك أن ترضى بالبلغة) من العيش (وتعتزل ذوي الأموال إذا وقفوا للسؤال وتستبق مع الرعيل الأول) والرعيل: طائفة من الجيش (في زمرة المصطفى) ﷺ (لا حبس عليك) ولا وقوف (للمسألة في الحساب، فإما سلامة وإما عطب) أي هلك، (فإنه بلغنا أن رسول الله قال «يدخل صعاليك المهاجرين) أي فقراؤهم (قبل أغنيائهم الجنة بخمسمائة عام») قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه، وابن ماجه من حديث أبي سعيد بلفظ

« يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم فيأكلون ويتمتعون والآخرون جثاة على ركبهم فيقول قبلكم طلبتي أنتم حكام الناس وملوكهم فأروني ماذا صنعتم فيما أعطيتكم ».

وبلغنا أن بعض أهل العلم قال: ما سرني أن لي حمر النعم ولا أكون في الرعيل الأول

« فقراء » مكان « صعاليك » ولهما وللنسائي في الكبرى من حديث أبي هريرة « يدخل الفقراء الجنة » الحديث. ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو « إن فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء إلى الجنة بأربعين خريفاً » انتهى.

قلت: حديث أبي هريرة لفظه « يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام » هكذا رواه أحمد، والترمذي وحسنه، وابن ماجه وهو في الحلية بلفظ « بيوم كان مقداره ألف عام » وقال: المؤمنين بدل المسلمين. وفي رواية له « يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام » وروى الحكيم من حديث سعيد بن عامر بن جذيم « يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة سنة حتى أن الرجل من الاغنياء ليدخل في غمارتهم فيؤخذ بيده فيستخرج ». ورواه الطبراني في الكبير بلفظ « إن فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل الناس بسبعين عاماً » وروى الديلمي من حديث أبي برزة إن فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بمقدار أربعين عاماً حتى يتمنى أغنياء المسلمين يوم القيامة أنهم كانوا فقراء في الدنيا وأن أغنياء الكفار ليدخلون النار قبل فقرائهم بمقدار أربعين عاماً حتى يتمنى أغنياء الكفار أنهم كانوا في الدنيا فقراء » وفي سنده نفيع بن الحرث وهو متروك.

وفي الباب عن جابر، وابن عمر، وأبي الدرداء ولفظهم جميعاً « يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفاً ».

فحديث جابر عند أحمد وعبد بن حميد والترمذي، وحديث ابن عمر وأبي الدرداء عند الطبراني في الكبير. وروى أحمد عن رجال من الصحابة بلفظ « يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم باربعمائة عام » الحديث.

(وقال ﷺ: « يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم فيتمتعون ويأكلون والآخرون جثاة على ركبهم فيقول: قبلكم طلبتي أنتم حكام الناس وملوكهم فأروني ماذا صنعتم فيما أعطيتكم ») قال العراقي لم أر له أصلاً.

قلت: روى أبو سعيد النقاش في كتاب القضاة من طريق عبدة بن عبد الرحيم المروزي عن بقية، حدثنا سلمة بن كلثوم عن أنس رفعه « يؤتى بالحكام يوم القيامة فمن قضى وتعدى فيقول: أنتم خزان أرضي ورعاء عبيدي وفيكم بغيتي » فساق الحديث وفيه فيقول « انطلقوا بهم فسدوا بهم ركناً من أركان جهنم » وعبدة قال أبو داود لا أحدث عنه، وسلمة شامي ثقة، وبقية روايته عن الشاميين مقبولة، وقد صرح في هذا الحديث بالتحديث.

(وبلغنا أن بعض أهل العلم قال: ما يسرني أن لي حمر النعم ولا أكون في الرعيل

مع محمد عليه السلام وحزبه . يا قوم فاستبقوا السباق مع المخفين في زمرة المرسلين عليهم السلام ، وكونوا وجلين من التخلف والانقطاع عن رسول الله ﷺ وجل المتقين. لقد بلغني أن بعض الصحابة وهو أبو بكر رضي الله عنه عطش فاستسقى فأتي بشربة من ماء وعسل فلما ذاقه خنقته العبرة ثم بكى وأبكى ، ثم مسح الدموع عن وجهه وذهب ليتكلم فعاد في البكاء ، فلما أكثر البكاء قيل له : أكل هذا من أجل هذه الشربة ؟ قال : نعم ، بينا أنا ذات يوم عند رسول الله ﷺ وما معه أحد في البيت غيري ، فجعل يدفع عن نفسه ، وهو يقول: « إليك عني » فقلت له: فداك أبي وأمي ما أرى بين يديك أحداً فمن تخاطب؟ فقال: « هذه الدنيا تطاولت إلي بعنقها ورأسها فقالت لي: يا محمد خذني ، فقلت: إليك عني ، فقالت: إن تنج مني يا محمد فإنه لا ينجو مني من بعدك » فأخاف أن تكون هذه قد لحقتني تقطعني عن رسول الله ﷺ . يا قوم فهؤلاء الأخيار بكوا وجلا

الأول مع محمد ﷺ وحزبه) رواه صاحب القوت عن سعيد بن عامر عن جذيم رضي الله عنه نحوه. **(يا قوم! فاستبقوا السباق مع المخفين في زمرة المرسلين وكونوا وجلين)** أي خائفين **(من التخلف والانقطاع عن رسول الله ﷺ كما وجل المتقون. لقد بلغني أن بعض الصحابة عطش فاستسقى)** أي طلب **(فأتي بشربة من ماء وعسل)** أي ماء ممزوج بالعسل **(فلما ذاقه خنقته العبرة ثم بكى وأبكى)** الحاضرين، **(ثم مسح الدموع عن وجهه وذهب ليتكلم فعاد في البكاء ، فما زال يبكي حتى مسح الدموع عن وجهه وذهب فتكلم فعاد في البكاء ، فلما أكثر البكاء قالوا : كل هذا من أجل هذه الشربة؟ قال: نعم بينا أنا يوماً عند رسول الله ﷺ وما معه أحد في البيت غيري، فجعل يدفع عن نفسه ويقول: « إليك عني » فقلت له: فداك أبي وأمي ما أرى بين يديك أحداً فمن تخاطب؟ قال « هذه الدنيا تطاولت إليّ بعنقها ورأسها فقالت لي يا محمد خذني فقلت: إليك عني » فقالت: أن تنج مني يا محمد فإنه لا ينجو مني من بعدك فأخاف أن تكون هذه قد لحقتني تقطعنيَ عن رسول الله ﷺ)** . قال العراقي: رواه البزار والحاكم من حديث زيد بن أرقم قال: كنا عند أبي بكر فدعا بشراب فأتي بماء وعسل الحديث. قال الحاكم: صحيح الإسناد.

قلت : بل ضعيف وقد تقدم قبل هذا الكتاب انتهى.

قلت : وكأنه يشير إلى أن في سنده عبد الواحد بن زيد ، حدثنا أسلم ، عن مرة الطبيب ، عن زيد ابن أرقم ، وعبد الواحد بن زيد قال البخاري والنسائي متروك . وأخرجه أبو نعيم في الحلية من هذا الوجه ، وقد تقدم سياقه . وقد روي نحو ذلك عن عمر رضي الله عنه رواه جعفر بن سليمان عن حوشب عن الحسن قال: أتى عمر بشربة عسل فذاقها فإذا ماء وعسل فقال: اعزلوا عني حسابها اعزلوا عني مؤنتها ، وقد تقدم أيضاً . ويروى عن عمر أيضاً أنه قال: لولا مخافة طول الحساب لأمرت بجمل يشوى لنا في التنور .

أن تقطعهم عن رسول الله ﷺ شربة من حلال! ويحك أنت في أنواع من النعم والشهوات من مكاسب السحت والشبهات لا تخشى الانقطاع؟ أف لك ما أعظم جهلك! ويحك فإن تخلفت في القيامة عن رسول الله ﷺ محمد المصطفى لتنظرن إلى أهوال جزعت منها الملائكة والأنبياء، ولئن قصرت عن السباق فليطولن عليك اللحاق، ولئن أردت الكثرة لتصيرن إلى حساب عسير، ولئن لم تقنع بالقليل لتصيرن إلى وقوف طويل وصراخ وعويل، ولئن رضيت بأحوال المتخلفين لتقطعن عن أصحاب اليمين وعن رسول رب العالمين ولتبطئن عن نعيم المتنعمين، ولئن خالفت أحوال المتقين لتكونن من المحتبسين في أهوال يوم الدين. فتدبر ويحك ما سمعت. وبعد؛ فإن زعمت أنك في مثال خيار السلف، قنع بالقليل، زاهد في الحلال، بذول لمالك، مؤثر على نفسك، لا تخشى الفقر ولا تدخر شيئاً لغدك، مبغض للتكاثر والغنى، راض بالفقر والبلاء، فرح بالقلة والمسكنة، مسرور بالذل والضعة، كاره للعلو والرفعة قوي في أمرك لا يتغير عن الرشد قلبك، قد حاسبت نفسك في الله، وأحكمت أمورك كلها على ما وافق رضوان الله ولن توقف في المسألة، ولن يحاسب مثلك من المتقين، وإنما تجمع المال الحلال للبذل

(**يا قوم! فهؤلاء الاخيار بكوا وجلاً أن تقطعهم عن رسول الله ﷺ شربة من حلال. ويحك أنت في أنواع النعم والشهوات من مكاسب السحت والشبهات لا تخشى الانقطاع. أف لك ما أعظم جهلك! ويحك فإن تخلفت في القيامة عن رسول الله ﷺ محمد المصطفى لتنظرن إلى أهوال**)أي شدائد (**جزعت منها الملائكة والأنبياء**) عليهم السلام مع جلالة قدرهم، (**ولئن قصرت عن السباق فليطولن عليك اللحاق، ولئن أردت الكثرة**) من أعراض الدنيا (**لتصيرن إلى حساب عسير، ولئن لم تقنع بالقليل**)من الدنيا (**لتصيرن إلى وقوف طويل**) بين يدي رب جليل (**وصراخ وعويل، ولئن رضيت بأحوال المتخلفين لتنقطعن عن أصحاب اليمين وعن رسول رب العالمين ولتبطئن عن نعيم المتنعمين**) في دار النعيم، (**ولئن خالفت أحوال المتقين لتكونن من المحتبسين في أهوال يوم الدين تدبر. ويحك! ما سمعت**) واجعله في تامور قلبك لترشد.

(**وبعد؛ فإن زعمت أنك في مثال خيار السلف قنع بالقليل زاهد في الحلال بذول لمالك**) أي كثير الذل له، (**مؤثر على نفسك لا تخشى الفقر ولا تدخر شيئاً لغدك مبغض للتكاثر والغنى راض بالفقر وبالبلاء، فرح بالقلة والمسكنة، مسرور بالذل والضعة. كاره للعلو والرفعة، قوي في أمرك لا يتغير عن الرشد قلبك. قد حاسبت نفسك في الله وأحكمت أمورك كلها على ما وافق رضوان الله، ولن توقف في المسألة ولا يحاسب مثلك من المتقين، وإنما تجمع المال الحلال للبذل في سبيل الله. ويحك! أيها المغرور فتدبر الأمر واحسن النظر. أما**

في سبيل الله ، ويحك أيها المغرور فتدبر الأمر وأمعن النظر ، أما علمت أن ترك الاشتغال بالمال وفراغ القلب للذكر والتذكر والتذكار والفكر والاعتبار. أسلم للدين وأيسر للحساب وأخف للمسألة وآمن من روعات القيامة وأجزل للثواب وأعلى لقدرك عند الله أضعافاً. بلغنا عن بعض الصحابة أنه قال: لو أن رجلاً في حجره دنانير يعطيها والآخر يذكر الله لكان الذاكر أفضل. وسئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لأعمال البر قال: تركه أبر به. وبلغنا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين، أحدهما ، طلب الدنيا حلالاً ، فأصابها فوصل بها رحمه وقدم لنفسه. وأما الآخر فإنه جانبها فلم يطلبها ولم يتناولها ، فأيهما أفضل ؟ قال: بعيد والله ما بينهما الذي جانبها أفضل كما بين مشارق الأرض ومغاربها. ويحك فهذا الفضل لك بترك الدنيا على من طلبها ، ولك في العاجل ان تركت الاشتغال بالمال، ان ذلك أروح لبدنك وأقل لتعبك وأنعم لعيشك وأرضى لبالك وأقل لهمومك. فما عذرك في جمع المال وأنت بترك المال أفضل ممن طلب المال لأعمال البر ؟ نعم وشغلك بذكر الله أفضل من بذل المال في سبيل الله فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة والفضل في الآجل.

علمت أن ترك الاشتغال بالمال وفراغ القلب للذكر والتذكر والفكر والاعتبار أسلم للدين وأيسر للحساب وأخف للمسألة وآمن من روعات القيامة وأجزل للثواب وأعلى لقدرك عند الله أضعافاً، بلغنا عن بعض الصحابة أنه قال: لو أن رجلاً في حجره دنانير يعطيها) للمحتاجين **(والآخر يذكر الله لكان الذاكر)** لله **(أفضل)** وهذا قد روي مرفوعاً من حديث أبي موسى الأشعري بلفظ « لو أن رجلاً في حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله كان الذاكر أفضل » رواه ابن شاهين في الترغيب في الذكر وفيه جابر أبو الوازع روى له مسلم، وقال النسائي: منكر الحديث.

(وسئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لأعمال البر . قال: تركه أبرّ به) رواه صاحب القوت عن الحسن. **(وبلغنا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين أحدهما طلب الدنيا حلالاً فأصابها فوصل بها رحمه وقدم لنفسه، وأما الآخر فإنه جانبها فلم يطلبها ولم يبذلها فأيهما أفضل؟ قال: بعيد والله ما بينهما الذي جانبها أفضل كما بين مشارق الأرض ومغاربها)** رواه صاحب القوت عن الحسن. **(ويحك! فهذا الفضل لك بترك الدنيا على من طلبها ولك في العاجل إن تركت الاشتغال بالمال إن ذلك أروح لبدنك)** أي أكثر راحة له ، **(وأقل لتعبك، وأنعم لعيشك، وأرضى لبالك)** أي لسرك **(وأقل لهمومك. فما عذرك في جمع المال وأنت بترك المال أفضل ممن طلب المال لأعمال البر . نعم وشغلك بذكر الله أفضل**

وبعد : فلو كان في جمع المال فضل عظيم لوجب عليك في مكارم الأخلاق أن تتأسى بنبيك إذ هداك الله به، وترضى ما اختاره لنفسه من مجانبة الدنيا، ويحك! تدبر ما سمعت وكن على يقين ان السعادة والفوز في مجانبة الدنيا، فسر مع لواء المصطفى سابقاً إلى جنة المأوى. فإنه بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: « سادات المؤمنين في الجنة من إذا تغدى لم يجد عشاء، وإذا استقرض لم يجد قرضاً، وليس له فضل كسوة إلا ما يواريه، ولم يقدر على أن يكتسب ما يغنيه، يمسي مع ذلك ويصبح راضياً عن ربه ﴿ فأولئك مع الذين أنعمَ اللهُ عليهِمْ من النبيينَ والصِّدِّيقينَ والشُّهَدَاءِ والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقاً ﴾ [النساء : ٦٩] ألا يا أخي متى جمعت هذا المال بعد هذا البيان فإنك مبطل فيما ادعيت أنك للبر والفضل تجمعه، لا! ولكنك خوفاً من الفقر تجمعه، وللتنعم والزينة والتكاثر والفخر والعلو والرياء والسمعة والتعظم والتكرمة تجمعه، ثم تزعم أنك لأعمال البر تجمع المال. ويحك راقب الله واستح من دعواك أيها المغرور. ويحك إن كنت مفتوناً بحب

من بذل المال في سبيل الله، فاجتمع لك راحة العاجل) أي الدنيا **(مع السلامة والفضل في الآجل)** أي الآخرة.

(وبعد : فلو كان في جمع المال فضل عظيم لوجب عليك في مكارم الأخلاق أن تتأسى) أي تقتدي **(بنبيك)** ﷺ **(إذ هداك الله به)** من الضلالة **(وترضى بما اختار)** هو **(لنفسه من مجانبة الدنيا)** وأعراضها والقناعة منها بالكفاف والبلغة. **(ويحك! تدبر ما سمعت)** ترشد، (وكن على يقين أن السعادة والفوز في مجانبة الدنيا) والإعراض عنها (فسِرْ مع لواء المصطفى) ﷺ (سابقاً إلى جنة المأوى، فإنه بلغنا أن رسول الله ﷺ قال « سادات المؤمنين في الجنة) أي رؤساؤهم فيها **(من إذا تغدى لم يجد عشاء وإذا استقرض لم يجد قرضاً وليس له فضل كسوة إلا ما يواريه ولا يقدر على أن يكتسب ما يغنيه، يمسي مع ذلك ويصبح راضياً عن ربه ﴿فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾)** قال العراقي : عزاه صاحب مسند الفردوس للطبراني من رواية أبي حازم عن أبي هريرة مختصراً بلفظ « سادة الفقراء في الجنة » الحديث ولم أره في معاجيم الطبراني اهـ.

قلت : ولعله في مكارم الأخلاق له.

(ألا يا أخي فمتى جمعت هذا المال من بعد هذا البيان. فإنك مبطل فيما ادعيت أنك للبر والفضل تجمعه. لا ولكنك خوفاً من الفقر تجمعه، وللتنعم والزينة والتكاثر والفخر والعلو والرياء والسمعة والتعظيم والتكرمة تجمعه، ثم تزعم أنك لأعمال البر تجمع المال. ويحك! راقب الله واستح من دعواك. أيها المغرور ويحك إن كنت مفتوناً بحب المال والدنيا

المال والدنيا فكن مقراً أن الفضل والخير في الرضا بالبلغة ومجانبة الفضول، نعم وكن عند جمع المال مزرياً على نفسك معترفاً بإساءتك وجلا من الحساب، فذلك أنجى لك وأقرب إلى الفضل من طلب الحجج لجمع المال. إخواني أعلموا أن دهر الصحابة كان الحلال فيه موجوداً وكانوا مع ذلك من أورع الناس وأزهدهم في المباح لهم، ونحن في دهر الحلال فيه مفقود، وكيف لنا من الحلال مبلغ القوت وستر العورة فأما جمع المال في دهرنا فأعاذنا الله وإياكم منه.

وبعد؛ فأين لنا بمثل تقوى الصحابة وورعهم ومثل زهدهم واحتياطهم؟ وأين لنا مثل ضمائرهم وحسن نياتهم؟ دهينا ورب السماء بأدواء النفوس وأهوائها، وعن قريب يكون الورود. فيا سعادة المخفين يوم النشور وحزن طويل لأهل التكاثر والتخاليط، وقد نصحت لكم إن قبلتم والقابلون لهذا قليل. وفقنا الله وإياكم لكل خير برحمته آمين. هذا آخر كلامه وفيه كفاية في إظهار فضل الفقر على الغنى ولا مزيد عليه. ويشهد لذلك جميع الأخبار التي أوردناها في كتاب ذم الدنيا، وفي كتاب الفقر والزهد.

فكن مقراً) في نفسك **(أن الخير والفضل في الرضا بالبلغة)** من العيش **(ومجانبة الفضول)** وتقديمها بين يديك. **(نعم وكن عند جمع المال مزرياً على نفسك معترفاً باساءتك وجلاً من الحساب، فذلك أنجى لك وأقرب إلى الفضل من طلب الحجج)** والأدلة **(لجمع المال. اخواني إعلموا أن دهر الصحابة كان الحلال فيه موجوداً وكانوا مع ذلك من أورع الناس وأزهدهم في المباح لهم)** كما هو معروف لمن سبر سيرتهم، **(ونحن في دهر الحلال فيه مفقود، وكيف لنا من الحلال بمبلغ القوت وستر العورة)** ركن يواري، **(فأما جمع المال في دهرنا فأعاذنا الله وإياكم من ذلك.**

وبعد؛ فأين لنا مثل تقوى الصحابة وورعهم ومثل زهدهم واحتياطهم؟ وأين لنا مثل ضمائرهم وحسن نياتهم؟ دهينا ورب السماء) جل وعز **(بأدواء النفوس)** وأمراضها **(وأهوائها، وعن قريب يكون الورود فيا سعادة المخفين)** في حلمهم **(يوم النشور وحزن طويل لأهل التكاثر والتخاليط)** في الأموال، **(وقد نصحت لكم إن قبلتم)** نصحي **(والقابلون لهذا قليل، لأن الدنيا استهوتهم وأسرتهم)** فلا يكادون يقبلون. **(وفقنا الله وإياكم لكل خير برحمته هذا آخر كلامه)** أي كلام الحرث بن أسد المحاسبي رحمه الله تعالى، **(وفيه كفاية في إظهار فضل الفقر على الغنى ولا مزيد عليه. ويشهد لذلك)** أيضاً **(جميع الأخبار)** الواردة **(التي أوردناها في كتاب ذم الدنيا)** وقد سبق **(وفي كتاب الفقر والزهد)** كما سيأتي.

ويشهد له أيضاً ما روي عن أبي امامة الباهلي. أن ثعلبة بن حاطب قال: يا رسول الله أدع الله أن يرزقني مالاً، قال: «يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه» قال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً، قال: «يا ثعلبة أما لك فيّ أسوة أما ترضى أن تكون مثل نبي الله تعالى أما والذي نفسي بيده لو شئت أن تسير معي الجبال ذهباً وفضة لسارت» قال: والذي بعثك بالحق نبياً لئن دعوت الله أن يرزقني مالاً لأعطين كل ذي حق حقه، ولأفعلن ولأفعلن، قال رسول الله ﷺ: «اللهم أرزق ثعلبة مالاً» فاتخذ غنماً فنمت كما ينمو الدود، فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل وادياً من أوديتها، حتى جعل يصلي الظهر والعصر في الجماعة ويدع ما سواهما، ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الجماعة إلا الجمعة وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة، وطفق يلقى الركبان يوم الجمعة فيسألهم عن الأخبار في المدينة، وسأل رسول الله ﷺ عنه فقال: «ما فعل ثعلبة بن حاطب»؟ فقيل: يا رسول الله اتخذ غنماً فضاقت عليه المدينة،

(ويشهد له أيضاً ما روي عن أبي امامة) صدي بن عجلان **(الباهلي)** رضي الله عنه: **(أن ثعلبة بن حاطب)**، وهما رجلان من الصحابة أحدهما ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد ابن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري. ذكره موسى بن عقبة وابن إسحاق في البدريين، وكذا ذكره ابن الكلبي وزاد أنه قتل بأحد، والثاني ثعلبة بن حاطب وأبي حاطب الأنصاري ذكره ابن اسحاق فيمن بنى مسجد الضرار. **(قال: يا رسول الله أدع الله أن يرزقني مالاً. قال: «يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه» قال)** ثم أتاه فقال: **(يا رسول الله أدع الله أن يرزقني مالاً. فقال: «يا ثعلبة أما لك بي أسوة أما ترضى ان تكون مثل نبي الله أما والذي نفسي بيده لو شئت أن تسير معي الجبال ذهباً وفضة لسارت» قال: والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله أن يرزقني مالاً لأعطين كل ذي حق حقه ولأفعلن ولأفعلن)** يعني من صنائع المعروف والبر من التصدق وغيره. **(قال رسول الله ﷺ «اللهم ارزق ثعلبة مالاً» فاتخذ غنماً فنمت)** أي زادت وبورك في نسلها **(كما ينمو الدود)** إشارة إلى الكثرة، فإن الدود يتوالد كثيراً، **(فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها)** بغنمه. **(فنزل وادياً من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في الجماعة)** مع النبي ﷺ **(ويدع ما سواهما)** لبعد الموضع، **(ثم نمت وكثرت فتنحى)** إلى واد آخر أبعد من الأول **(حتى ترك الصلوات في الجماعة إلا الجمعة وهي تنمو)** وتكثر **(كما ينمو الدود)** ببركة دعوته ﷺ فاشتغل بها **(حتى ترك الجمعة)** أي حضورها في مسجد الجماعة لبعد المسافة أو الأشغال. **(وطفق يلقي الركبان)** المارين عليه **(يوم الجمعة فيسألهم عن الأخبار في المدينة. وسأل رسول الله ﷺ عنه فقال «ما فعل ثعلبة بن حاطب؟» فقيل: يا رسول الله اتخذ غنماً فضاقت عليه المدينة)** فخرج إلى الأودية **(وأخبر بأمره كله)** وفي رواية: فأخبروه

وأخبر بأمره كله، فقال: «يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة قال وأنزل الله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدَقةً تطهّرهم وتُزكّيهم بها وصلِّ عليهم إنَّ صلاتك سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] وأنزل الله تعالى فرائض الصدقة، فبعث رسول الله ﷺ رجلاً من جهينة ورجلاً من بني سليم على الصدقة، وكتب لهما كتاباً بأخذ الصدقة وأمرهما أن يخرجا فيأخذا الصدقة من المسلمين. وقال: «مرا بثعلبة بن حاطب وبفلان ـ رجل من بني سليم ـ وخذا صدقاتهما. فخرجا حتى أتيا ثعلبة، فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ فقال: ما هذه إلا جزية ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية! انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا إليّ فانطلقا نحو السليمي فسمع بهما فقام إلى خيار أسنان ابله فعزلها للصدقة، ثم استقبلهما بها، فلما رأوها قالوا: لا يجب عليك ذلك وما نريد نأخذ هذا منك، قال: بلى خذوها نفسي بها طيبة، وإنما هي لتأخذوها فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فسألاه الصدقة فقال: أروني كتابكما، فنظر فيه فقال: هذه أخت الجزية! انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي ﷺ فلما رآهما قال: «يا ويح ثعلبة» قبل أن يكلماه. ودعا للسليمي فأخبراه بالذي صنع ثعلبة وبالذي صنع السليمي

بخبره. (**فقال «يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة»** ثلاث مرات (**قال**) الراوي: (**وأنزل الله تعالى ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلِّ عليهم إنَّ صلاتك سكن لهم﴾ وأنزل الله تعالى فرائض الصدقة، فبعث رسول الله ﷺ رجلاً من جهينة ورجلاً من بني سليم على**) قبض (**الصدقة**) من أرباب المواشي (**وكتب لهم كتاباً**) بيَّن فيه أسنان الإبل والغنم، (**وأمرهما أن يخرجا فيأخذا الصدقة من المسلمين، وقال لهما: مرا بثعلبة بن حاطب وبفلان رجل من بني سليم وخذا صدقاتهما، فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ**) وفي رواية قال: أروني كتابكما فنظر فيه (**فقال: ما هذه إلا جزية ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية**)! وفي رواية أخية الجزية. (**انطلقا حتى تفرغا**) من شأنكما (**ثم تعودا إليَّ، فانطلقا نحو السليمي**) وهو الرجل الذي من بني سليم، (**فسمع بهما فقام إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها، فلما رأياها قالا: لا يجب عليك هذا**) فإنه من خيار الاسنان، (**وما نريد أن نأخذ هذا منك**) وإنما نأخذ من وسط الأسنان. (**قال: بلى خذوها نفسي بها طيبة**) منشرحة، (**وإنما هي لتأخذوها**) وفي نسخة: وإنما هي لنا خذوها، (**فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرّا بثعلبة فسألاه الصدقة. فقال: أروني كتابكما، فنظر فيه فقال: هذه أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي، فانطلقا حتى أتيا النبي ﷺ، فلما رآهما قال «يا ويح ثعلبة» قبل أن يكلماه ودعا للسليمي**) بالبركة، (**فاخبراه بالذي صنع ثعلبة، وبالذي صنع السليمي فأنزل الله في ثعلبة**) هذه الآيات ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من

فأنزل الله تعالى في ثعلبة: ﴿ومنهم من عاهَدَ الله لئِنْ آتانا مِنْ فضْلِهِ لنصدّقن ولنكونَّنّ من الصالحِينَ فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتوَلّوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدُوه وبما كانوا يكذبون﴾ [التوبة: ٧٥ - ٧٧] وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة، فسمع ما أنزل الله فيه، فخرج حتى أتى ثعلبة فقال: لا أم لك يا ثعلبة! قد أنزل الله فيك كذا، وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ فسأله أن يقبل منه صدقته فقال: « إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك » فجعل يحثو التراب على رأسه، فقال له رسول الله ﷺ: « هذا عملك أمرتك فلم تطعني » فلما أبى أن يقبل منه شيئاً رجع إلى منزله، فلما قبض رسول الله ﷺ جاء بها إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فأبى أن يقبلها منه، وجاء بها إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأبى أن يقبلها منه، وتوفي ثعلبة بعد في خلافة عثمان، فهذا طغيان المال وشؤمه وقد عرفته من هذا الحديث.

فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ★ فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون ★ فاعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه بما كانوا يكذبون﴾ وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة فسمع ما أنزل الله فيه، فخرج حتى أتى ثعلبة فقال: لا أم لك يا ثعلبة) هلكت (**قد أنزل الله فيك كذا وكذا**) وتلا عليه، (**فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ فسأله أن يقبل صدقته. فقال: « إن الله منعني ان أقبل منك صدقتك » فجعل يحثو التراب على رأسه**) ويبكي (**فقال له رسول الله ﷺ « هذا عملك**) قد (**أمرتك فلم تطعني » فلما أبى أن يقبل منه شيئاً رجع إلى منزله، فلما قبض رسول الله ﷺ جاء بها إلى أبي بكر الصديق**) فقال: يا أبا بكر قد عرفت منزلتي من رسول الله ﷺ وموضعي وأن رسول الله ﷺ كان قد سخط عليَّ فاقبل أنت صدقتي، (**فأبى أن يقبلها منه**) حتى قبض، (**وجاء بها إلى عمر بن الخطاب**) فقال: يا أمير المؤمنين اقبل أنت صدقتي، (**فأبى أن يقبلها**) منه وقال: لم يقبلها منك رسول الله ولا أبو بكر فكيف أقبلها أنا؟ فقبض عمر وتولى عثمان (**وتوفي ثعلبة بعد خلافة عمر**) في أيام عثمان. (**فهذا طغيان المال وشؤمه وقد عرفته من هذا الحديث**).

ولفظ القوت: وأن في قصة ثعلبة بن حاطب عبرة لأولي الألباب الذين كشف عن قلوبهم الحجاب، فقير من فقراء الصفة الصالحين الأنصار ومن المهاجرين، أخرجه حب الدنيا إلى النفاق، وأدخله في العناد والشقاق، وغضب الله ورسوله عليه، فلم يقبل توبته ولا رحم عبرته، ولا أقال عثرته، وكان سبب ذلك حب الدنيا وإيثار الغنى على الفقر. نذكره ليعتبر معتبر ويزدجر مزدجر. رواه علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة أن ثعلبة بن حاطب فذكر نحو سياق المصنف وقال في آخره: فقد وتر ثعلبة المسكين بغناه، فأهلك بطغواه، واستدرج بماله فسقط به عن مقامه وحاله

ولأجل بركة الفقر وشؤم الغنى آثر رسول الله ﷺ الفقر لنفسه ولأهل بيته حتى روي عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه قال: كانت لي من رسول الله ﷺ منزلة

بماله، فحمله البخل وإيثار الكثرة والجمع على منع الصدقة وظلم أهلها، وترك إخراج حق الله تعالى منها، فعجز عن الفرض بعد أن كان ادعى القوة والنهوض بالفضل، وما كان ينقص من المال لو أخرج من كل مائة شاة شاة وهو عشر العشر إذا كثرت غنمه، وأن يخرج من خمسين ناقة حقة من الإبل، ومن أربعين بنت لبون وذلك خمس العشر إذا كثرت إبله، وربع العشر، وكان فيه رضا ربه وطهرة نفسه وزكاة ماله ولا يتبين نقصه من مزيد ماله، ولكن حضر شح نفسه وغاب يقين آخرته فأطاع الحاضر لفقد الغائب، وكان أمله قلة العناية وعدم الوقاية، فلم يوجد الفلاح وفقد الصلاح، ووجد البخل وظهر الخلف وبان الكذب وعزب الصدق ينتظم ما ذكرنا قوله تعالى ﴿وأحضرت الأنفس الشح﴾ [النساء: ١٢٨] وقوله ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ وقوله ﴿لنصدقن ولنكونن من الصالحين﴾ مع قوله ﴿بخلوا به﴾ إلى قوله ﴿بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾ فاعقبه ذلك النفاق إلى يوم التلاق، وجعل بابه حب الدنيا ومفتاح الطلب لها والحرص عليها، فحقت عليه الثلاث المهلكات، فاعتبروا يا أولي الألباب. إلى هنا كلام صاحب القوت.

ولنرجع إلى تخريج هذه القصة. قال العراقي: الحديث بطوله رواه الطبراني بسند ضعيف انتهى.

قلت: رواه أيضاً البغوي والباردوي، وابن شاهين، وابن السكن، وابن قانع كلهم في الصحابة، والديلمي وغيرهم كلهم في ترجمة ثعلبة بن حاطب بن عمرو الأوسي البدري من طريق معاذ بن رفاعة عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة أن ثعلبة بن حاطب وساقوا القصة نحو سياق المصنف.

قال الحافظ في الإصابة: وفي كون صاحب القصة إن صح الخبر ولا أظنه يصح هو البدري المذكور نظر، وقد تأكدت المغايرة بينهما بقول ابن الكلبي أن البدري استشهد بأحد، ويقوّي ذلك أيضاً أن ابن مردويه روى في تفسيره من طريق عطية عن ابن عباس في الآية المذكورة قال: وذلك أن رجلاً يقال له ثعلبة بن أبي حاطب من الأنصار أتى مجلساً فأشهدهم فقال: لئن آتاني الله من فضلة الآية، فذكر القصة بطولها فقال: إنه ثعلبة بن أبي حاطب، والبدري اتفقوا على أنه ثعلبة بن حاطب، وقد ثبت أنه ﷺ قال «لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية» وحكى عن ربه أنه قال لأهل بدر: اعلموا ما شئتم فقد غفرت لكم، فمن يكون بهذه المثابة كيف يعقبه الله نفاقاً في قلبه، وينزل به ما نزل، فالظاهر أنه غيره والله أعلم.

(ولأجل بركة الفقر وشؤم الغنى آثر رسول الله ﷺ الفقر لنفسه ولأهل بيته) فقد كان من دعائه «أعوذ بك من فتنة الفقر والغنى وأعوذ بك من غنى يطغى وفقر ينسى» **(حتى روي عن عمران بن الحصين)** رضي الله عنه **(أنه قال: كانت لي من رسول الله ﷺ منزلة**

وجاه فقال: «يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاهاً فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله ﷺ»؟ فقلت: نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فقام وقمت معه حتى وقفت بباب منزل فاطمة فقرع الباب وقال: «السلام عليكم أأدخل»؟ فقالت: ادخل يا رسول الله. قال: «أنا ومنَ معي»؟ قالت: ومن معك يا رسول الله؟ فقال: «عمران بن حصين» فقالت: والذي بعثك بالحق نبياً ما علي إلا عباءة! فقال: «اصنعي بها هكذا وهكذا» وأشار بيده، فقالت: هذا جسدي قد واريته، فكيف برأسي؟ فألقى إليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال: «شدي بها على رأسك» ثم أذنت له فدخل، فقال: «السلام عليك يابنتاه كيف أصبحت»؟ قالت: أصبحت والله وَجعة وزادني وجعاً على ما بي إني لست أقدر على طعام آكله، فقد أجهدني الجوع فبكى رسول الله ﷺ وقال: «لا تجزعي يابنتاه فوالله ما ذقت طعاماً منذ ثلاث وإني لأكرم على الله منك ولو سألت ربي لأطعمني ولكني آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها: «أبشري فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة» فقالت: فأين آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران؟ فقال: «آسية سيدة نساء عالمها، ومريم سيدة نساء عالمها، وخديجة سيدة نساء عالمها، وأنت سيدة نساء عالمك، إنكنَّ في بيوت من قصب لا أذى فيها ولا صخب» ثم قال

وجاه، فقال «يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاهاً فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله) وكانت قد اشتكت. **(فقلت: نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله. فقام معه حتى وقف بباب منزل فاطمة)** رضي الله عنها **(فقرع الباب وقال «السلام عليكم أأدخل» فقالت)** وقد عرفت صوته: **(ادخل بأبي أنت وأمي يا رسول الله. قال «أنا ومن معي». قالت: ومن منك يا رسول الله؟ فقال «عمران بن حصين». فقالت: والذي بعثك بالحق ما عليّ الا عباءة. قال «اصنعي بها هكذا وهكذا» وأشار بيده فقالت: هذا جسدي قد واريته فكيف برأسي؟ فألقى إليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال «شدي بها على رأسك» ثم أذنت له فدخل فقال «السلام عليكم يا بنتاه كيف أصبحت؟ قالت: أصبحت والله وجعة وزاد مني وجعاً على ما بي أني لست أقدر على طعام آكله، فقد أجهدني الجوع، فبكى رسول الله ﷺ وقال: «لا تجزعي يا بنتاه فوالله ما ذقت طعاماً منذ ثلاث وإني لأكرم على الله منك ولو سألت الله ربي لأطعمني ولكن آثرت الآخرة على الدنيا، ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها: «أبشري أنك لسيدة نساء أهل الجنة». فقالت: فأين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران؟ فقال: «آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك إنكن في بيوت من قصب لا أذى فيها ولا**

لها: «اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوّجتك سيداً في الدنيا سيداً في الآخرة». فانظر الآن إلى حال فاطمة رضي الله عنها وهي بضعة من رسول الله ﷺ كيف آثرت الفقر وتركت المال؟ ومن راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم وما ورد من أخبارهم وآثارهم، لم يشك في أن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات، إذا قل ما فيه مع أداء الحقوق والتوقي من الشبهات والصرف إلى الخيرات اشتغال العمر بإصلاحه وإنصرافه عن ذكر الله، إذ لا ذكر إلا مع الفراغ ولا فراغ مع شغل المال.

وقد روي عن جرير عن ليث قال: صحب رجل عيسى بن مريم عليه السلام فقال: أكون معك وأصحبك، فانطلقا فانتهيا إلى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة أرغفة، فأكلا رغيفين وبقي رغيف ثالث فقام عيسى عليه السلام إلى النهر فشرب ثم رجع فلم

صخب» ثم قال لها «اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوّجتك سيداً في الدنيا سيداً في الآخرة») وسيأتي هذا للمصنف بعينه في كتاب الزهد والفقر. قال العراقي: لم أجده من حديث عمران، ولأحمد والطبراني من حديث معقل بن يسار وضأت النبي ﷺ ذات يوم فقال: «هل لك في فاطمة تعودها» الحديث وفيه «أما ترضين أن زوجتك أقدم أمتي سلماً وأكثرهم علماً واعظمهم حلماً» واسناده صحيح انتهى.

قلت: وقد وجد بخط الكمال الدميري في نسخته قال: بل اسناده ضعيف فيه خالد بن طهمان شيعي مختلف فيه.

(**فانظر الآن إلى حال فاطمة رضي الله عنها وهي بضعة من رسول الله ﷺ كيف آثرت الفقر وتركت المال**) حتى صبرت على الجوع وقنعت بعباءة لا تغطي رأسها، (**ومن راقب أحوال الأنبياء**) عليهم السلام (**والأولياء**) من بعدهم (**وأقوالهم وما ورد من أخبارهم وآثارهم**) في القناعة والزهد، (**لم يشك في أن فقد المال أفضل من وجوده، وإن صرف إلى الخيرات**) ووجوه البر (**اذا قلَّ ما فيه أداء الحقوق**) لأربابها (**والتوقي من الشبهات**) في اكتسابه (**والصرف إلى الخيرات اشتغال العمر بإصلاحه**) وتنميته (**وإنصرافه عن ذكر الله إذ لا ذكر إلا مع الفراغ ولا فراغ مع شغل المال.**

وقد روي عن جرير) بن جازم بن زيد بن عبدالله الأزدي البصري كنيته أبو النضر وهو والد وهب ثقة مات سنة سبعين روى له الجماعة (**عن ليث**) بن أبي سليم الكوفي صدوق اختلط، روى له البخاري معلقاً ومسلم والأربعة (**قال: صحب رجل عيسى بن مريم عليه السلام فقال: أكون معك أصحبك فانطلقا فانتهيا إلى شط نهر، فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة أرغفة فأكلا رغيفين وبقي رغيف، فقام عيسى عليه السلام إلى النهر فشرب**) منه (**ثم رجع، فلم**

يجد الرغيف، فقال للرجل: من أخذ الرغيف؟ فقال: لا أدري، قال: فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية ومعها خشفان لها، قال: فدعا أحدهما فأتاه، فذبحه فاشتوى منه فأكل هو وذاك الرجل، ثم قال للخشف: قم بإذن الله فقام فذهب، فقال للرجل: أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف؟ فقال: لا أدري، ثم انتهيا إلى وادي ماء، فأخذ عيسى بيد الرجل فمشيا على الماء، فلما جاوزا قال له: أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف؟ فقال: لا أدري، فانتهيا إلى مفازة فجلسا، فأخذ عيسى عليه السلام يجمع تراباً وكثيباً ثم قال: كن ذهباً بإذن الله تعالى فصار ذهباً فقسمه ثلاثة أثلاث ثم قال: ثلث لي وثلث لك وثلث لمن أخذ الرغيف فقال: أنا الذي أخذت الرغيف، فقال: كله لك، وفارقه عيسى عليه السلام، فانتهى إليه رجلان في المفازة ومعه المال فأرادا أن يأخذاه منه ويقتلاه، فقال: هو بيننا أثلاثاً، فابعثوا أحدكم إلى القرية حتى يشتري لنا طعاماً نأكله، قال فبعثوا أحدهم فقال الذي بعث لأي شيء أقاسم هؤلاء هذا المال؟ لكني أضع في هذا الطعام سماً فأقتلهما وآخذ المال وحدي، قال: ففعل. وقال ذاتك الرجلان لأي شيء نجعل لهذا ثلث المال؟ ولكن اذا رجع قتلناه واقتسمنا المال بيننا، قال فلما رجع إليهما قتلاه وأكلا الطعام فماتا، فبقي ذلك المال في المفازة وأولئك

يجد الرغيف فقال للرجل: من أخذ الرغيف؟ فقال: لا أدري. قال: فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية معها خشفان لها، فدعا أحدهما فأتاه فذبحه فاشتوى منه فأكل هو وذلك الرجل، ثم قال للخشف: قم بإذن الله فقام فذهب، فقال للرجل: أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف؟ فقال: ما أدري. قال: ثم انتهيا إلى وادي ماء فأخذ عيسى بيد الرجل فمشيا على الماء فلما جاوزا قال له: أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف؟ قال: لا أدري. قال: فانتهيا إلى مفازة فجلسا فأخذ عيسى عليه السلام تراباً من كثيب فجمعه ثم قال: كن ذهباً بإذن الله فصار ذهباً فقسمه ثلاثة أثلاث فقال: ثلث لي وثلث لك وثلث لمن أخذ الرغيف. فقال: أنا أخذت الرغيف. قال: فكله لك. قال: وفارقه عيسى عليه السلام فانتهى إليه رجلان في المفازة ومعه المال فأرادا أن يأخذاه منه ويقتلاه، فقال: هو بيننا أثلاثاً. قال: فابعثوا أحدكم إلى القرية حتى يشتري لنا طعاماً. قال: فبعثوا أحدهم، فقال الذي بعث لأي شيء أقاسم هؤلاء هذا المال، لكني أضع في هذا الطعام سماً فاقتلهما وآخذ المال وحدي. قال: ففعل، وقال ذلك الرجلان: لأي شيء نجعل لهذا ثلث المال، ولكن إذا رجع قتلناه واقتسمناه بيننا) انصافاً، **(فلما رجع إليهما قتلاه وأكلا الطعام فماتا)** لأنه كان مسموماً، **(فبقى ذلك المال في المفازة وأولئك الثلاثة عنده**

الثلاثة عنده قتلى، فمر بهم عيسى عليه السلام على تلك الحالة فقال لأصحابه: هذه الدنيا فاحذروها.

وحكي أن ذا القرنين أتى على أمة من الأمم ليس بأيديهم شيء مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبوراً، فإذا أصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم، وقد قُيض لهم في ذلك معايش من نبات الأرض وأرسل ذو القرنين إلى ملكهم فقال له: أجب ذا القرنين، فقال: ما لي إليه حاجة، فإن كان له حاجة فليأتني! فقال: ذو القرنين صدق فأقبل إليه ذو القرنين وقال له: أرسلت إليك لتأتيني فأبيت، فها أنا قد جئت، فقال لو كان لي إليك حاجة لأتيتك، فقال ذو القرنين: ما لي أراكم على حالة لم أرَ أحداً من الأمم عليها؟ قال وما ذاك؟ قال: ليس لكم دنيا ولا شيء أفلا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بهما؟ قالوا: إنما كرهناهما لأن

قتلى، فمرَّ بهم عيسى عليه السلام على تلك الحال فقال لأصحابه: هذه الدنيا فاحذروها).

وقد رواه صاحب القوت مختصراً ولفظه: وفي اخبار عيسى عليه السلام أنه مرّ في سياحته ومعه طائفة من الحواريين بذهب مصبوب في أرض فوقف عليه ثم قال هذا القاتول فاحذروه، ثم جاز وأصحابه فتخلف ثلاثة لأجل الذهب فأقام اثنان عليه ودفعا إلى واحد شيئاً منه يشتري لهم من طيبات الدنيا من أقرب الأمصار إليهم، فوسوس اليهما العدوّ ترضيان أن يكون هذا المال بينكم اقتلا هذا فيكون المال بينكما نصفين، فاجمعا على قتله إذا رجع إليهما. قال: وجاء الشيطان إلى الثالث فوسوس إليه أرضيت لنفسك أن تأخذ ثلث المال اقتلهما فيكون المال كله لك. قال: فاشترى سماً فجعله في الطعام، فلما جـاءهما به وثبا عليه فقتلاه، ثم قعدا يأكلان الطعام، فلمّا فرغا ماتا فرجع عيسى عليه السلام من سياحته، فنظر إليهم صرعى حول الذهب والذهب بحاله، فعجب أصحابه وقالوا: ما شأن هؤلاء قتلى؟ فأخبرهم بهذه القصة.

(وحكي أن ذا القرنين) اسكندر ابن الفيلسوف الرومي **(أتى على أمة من الامم)** في بعض سياحاته **(ليس في أيديهم شيء مما يستمتع به الناس من دنياهم)** من الدراهم والدنانير **(قد احتفروا قبوراً. قال: فإذا أصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها و)** إذا جاعوا **(رعوا البقل)** من نبات الأرض **(كما ترعى البهائم، وقد قيض الله لهم في ذلك معايش من نبات الأرض فأرسل ذو القرنين إلى ملكهم)** أي رئيسهم الذي يحكم عليهم **(فقال له: أجب الملك ذا القرنين. فقال: ما لي إليه حاجة، فإن كانت له حاجة فليأتني، فقال ذو القرنين: صدق فأقبل إليه ذو القرنين وقال له: أرسلت إليك لتأتيني فأبيت، فها أنـا ذا قد جئت. فقال له: لو كان لي إليك حاجة لأتيت، فقال له ذو القرنين: ما لي أراكم على الحال التي لم أر أحداً من الأمم عليها؟ وما ذاك؟ قال: ليس لكم دنيا ولا شيء أفلا**

أحداً لم يعط منها شيئاً إلا تاقت نفسه ودعته إلى ما هو أفضل منه. فقال: ما بالكم قد احتفرتم قبوراً فإذا أصبحتم تعاهدتموها فكنستموها وصليتم عندها؟ قالوا: أردنا إذا نظرنا إليها وأملنا الدنيا منعتنا قبورنا من الأمل. قال: وأراكم لا طعام لكم إلا البقل من الأرض أفلا اتخذتم البهائم من الأنعام فاحتلبتموها وركبتموها فاستمتعتم بها؟ قالوا: كرهنا أن نجعل بطوننا قبوراً لها ورأينا في نبات الأرض بلاغاً. وإنما يكفي ابن آدم أدنى العيش من الطعام وأي ما جاوز الحنك من الطعام لم نجد له طعماً كائناً ما كان من الطعام؟ ثم بسط ملك تلك الأرض يده خلف ذي القرنين فتناول جمجمة، فقال: يا ذا القرنين أتدري من هذا؟ قال: لا. ومن هو؟ قال: ملك من ملوك الأرض أعطاه الله سلطاناً على أهل الأرض فغشم وظلم وعتا، فلما رأى الله سبحانه ذلك منه حسمه بالموت فصار كالحجر الملقى، وقد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرته ثم تناول جمجمة أخرى بالية فقال: يا ذا القرنين هل تدري من هذا؟ قال: لا أدري ومن هو؟ قال: هذا ملك ملكه الله بعده، قد كان يرى ما يصنع الذي قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر، فتواضع وخشع لله عز وجل وأمر بالعدل في أهل مملكته، فصار كما ترى قد أحصى الله

اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بها؟ قالوا: إنما كرهناها لأن أحداً لم يعط منها شيئاً إلا تاقت نفسه ودعته إلى ما هو أفضل منه، فقال: ما بالكم احتفرتم قبوراً، فإذا أصبحتم تعهدتموها فكنستموها وصليتم عندها؟ قالوا: أردنا إذا نظرنا إليها وأملنا الدنيا منعتنا قبورنا من الأمل) فهي معينة على ذكر الموت وقاطعة للأمل **(قال: وأراكم لا طعام لكم إلا البقل في الأرض أفلا اتخذتم البهائم من الأنعام فاحتلبتموها وركبتموها واستمتعتم بها؟ فقالوا: كرهنا أن نجعل بطوننا قبوراً لها، ورأينا في نبات الأرض بلاغاً وإنما يكفي ابن آدم أدنى العيش من الطعام)** قدر ما يبلغه، **(وإن ما جاوز الحنك)** أي داخل الفم **(من الطعام لم نجد له طعماً كائناً ما كان من الطعام، ثم بسط ملك تلك الأرض يده من خلف ذي القرنين فتناول جمجمة)** بالضم عظم الرأس **(فقال: يا ذا القرنين أتدري من هذا؟ قال: لا ومن هو؟ قال: ملك من ملوك الأرض اعطاه الله سلطاناً على أهل الأرض فغشم)** أي جار **(وظلم وعتا)** وتمرد، **(فلما رأى الله عز وجل ذلك منه حسمه بالموت)** أي قطعه أو كواه، **(فصار كالحجر الملقى قد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه في آخرته)** بما عمل في دنياه، **(ثم تناول جمجمة أخرى بالية فقال: يا ذا القرنين هل تدري من هذا؟ قال: لا ومن هو؟ قال: هذا ملك ملكه الله بعده قد كان يرى ما يصنع الذي قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر، فتواضع وخشع لله عز وجل وأمر بالعدل في أهل مملكته ثم مات فصار كما ترى قد أحصى**

عليه عمله، حتى يجزيه به في آخرته. ثم أهوى إلى جمجمة ذي القرنين فقال: وهذه الجمجمة كأن قد كانت كهذين فانظر يا ذا القرنين ما أنت صانع؟ فقال لـه ذو القـرنين: هل لك في صحبتي فأتخذك أخاً ووزيراً وشريكاً فيما آتاني الله من هذا المال؟ قال: ما أصلح أنا وأنت في مكان ولا أن نكون جميعاً، قال ذو القرنين: ولِمَ؟ قال: من أجل أن الناس كلهم لك عدو ولي صديق، قال: ولِمَ؟ قال: يعادونك لما في يديك من الملك والمال والدنيا! ولا أجد أحداً يعاديني لرفضي لذلك ولما عندي من الحاجة وقلة الشيء قال: فانصرف عنه ذو القرنين متعجباً منه ومتعظاً به فهذه الحكايات تدلك على آفات الغنى مع ما قدمناه من قبل، وبالله التوفيق.

تم كتاب ذم المال والبخل بحمد الله تعالى وعونه ويليه كتاب ذم الجاه والرياء.

الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرته) بما عمل به في دنياه، **(ثم أهوى إلى جمجمة ذي القرنين فقال: وهذه الجمجمة كأن قد صارت كهاتين، فانظر يا ذا القرنين ما أنت صانع)** من الخير والشر؟ **(فقال له ذو القرنين لما استحسن كلامه: هل لك في صحبتي فاتخذك أخاً ووزيراً وشريكاً فيما آتاني الله من هذا المال؟ قال: ما أصلح أنا وانت في مكان ولا أن نكون جميعاً. قال ذو القرنين: ولم)** ذلك؟ **(قال: من أجل أن الناس كلهم لك عدوّ ولي صديق. قال: ولم؟ قال: يعادونك لما في يديك من الملك والمال والدنيا ولا أجد أحداً يعاديني لرفضي لذلك)** أي تركي اياه (و) ورفضي(**لما عندي من الحاجة وقلة الشيء. قال: فانصرف عنه ذو القرنين متعجباً منه ومتعظاً به)** أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا.

(فهذه الحكايات) التي أوردناها **(تدلك على آفات الغنى)** وأخطاره **(مع ما قدمناه من قبل)** في كتاب ذم الدنيا **(إن شاء الله تعالى)**، وبه تم كتاب ذم البخل وحب المال، والحمد لله والمنه والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه. وكان الفراغ منه في صبيحة نهار الثلاثاء سادس عشر ربيع الأول من شهور سنة مائتين بعد الألف على يد مؤلفه أبي الفيض محمد مرتضى الحسيني غفر الله ذنوبه وستر عيوبه ولجميع المسلمين بمنه وكرمه آمين.

(تم الجزء التاسع ويليه إن شاء الله الجزء العاشر
وأوله كتاب ذم الجاه والرياء)



فهرس الجزء التاسع من اتحاف السادة المتقين

الموضوع | الصفحة

(١) ذكر ثلاث وظائف.